

رواية علاقات متغيرة كاملة

بقلم الكاتبة هياسين

لتحميل المزيد من الروايات زوروا موقعنا ايجي فور تريندس

او يمكنكم زيارة الموقع مباشرة من خلال الروابط التالية

www.egy4trends.com

رواية علاقات متغيرة رواية اجتماعية رومانسية طويلة باللغة
الفصحى..

**تحذير في غاية الأهمية قبل قراءتها:

الرواية نهايتها منصفة وسعيدة وواقعية لكن في طيات احداثها
جرعة نكد رهيبه تستنزف اي مشاعر وعواطف وتبيد اي طاقة
تفائل في النفس الانسانية.. حتى في داخلي شيء من الندم على
كتابتها ووددت اكثر من مرة حذفها لكن ابقيتها بناء على طلب
القراء..

ارجو التفكير قبل قراءتها.. ♥ □

دخلت دوامة الكتابة وجربت أن اكتب فعليا من أشهر قليلة...
لذا أنا لست إلا مبتدئة هاوية.. لكن طبعاً سأحاول أن ابذل
قصارى جهدي لأقدم محتوى جيد ومقبول..

"علاقات متغيرة" اسم روايتي.. هتكون رواية اجتماعية ورومانسية.. وقصصها واقعية نوعا ما.. ولن أنكر أنها مُستفزة..

كل ابطال الرواية انبثقت حكاياتهم من رحم أخطاء الماضي.. والجميع سيواجه مشاكل عصبية بعلاقتهم سواء مع شريك الحياة او مع فرد من أفراد العائلة.. وكلها إثر قراراتهم بالماضي أيضا..

مشاكلهم لن يتم حلها إلا من خلال الصبر والاقدام على الشيء الصحيح الذي يؤمن به الفرد بجوارحه بعيدا عن الرغبات..

تلخيص الثنائي رانسى راجي:

كانت ومنذ صغرها محجور عليها لابن عمها شقيق ضياء الأكبر بأمر من والديهما على الرغم من سوء سلوكياته..

وبعد أن انتظرته لسنوات طويلة ليكُون نفسه ويتزوجا لم تمكث معه سوى بضعة أشهر ثم طلب منها أن ينفصلا ودون أن يبدي أي سبب لها إلا أنه لا يحبها والده هو من أجبره على الزواج منها..

وعندما حاول أبيها الاستفسار منها لم تجد ما تقوله..

وبعد مدة اتصل والدها به وطلب منه أن يحضر لأخذها إلا أنه رفض وقال إنه يعتزم الطلاق..

فاتفق مع ابن أخيه أن يدفع له مبلغا من المال ليمسك عن الطلاق ويتركها معلقة كي لا يعيّر الناس بأن ابنته مطلقة فوافق..

نعم.. والدها ذو المؤهل العلمي المرتفع والذي يعمل في المحاماة ويقوم على القضايا التي تشبه قضاياها ويترافع لها رفض طلاقها..

فتزوج ابن عمها من أخرى واستقر في حياته وهي بقيت معلقة
كما أراد والدها ولم تجد أمامها إلا أن ترضخ..

صحيح أنها ثارت فيما بعد ولم تترك أحدا من الأصدقاء
والجيران والأقارب إلا وطلبت منه أن يتوسط لوالدها ليقبل
بطلاقها فضلا عن طلبها من بعض الشيوخ أن يجادلوا ابن
عمها ليطلقها هو بنفسه..

إلا أن أباهما رفض تغيير رأيه وتمسك به..

كما رفض ابن عمها هو الآخر منحها الطلاق بسبب المبلغ الذي
كان يدفعه والدها له بشكل مستمر..

وبالنهاية لم تحصل على طلاقها إلا بعد وفات والدها بعد خمس
سنوات لقاء زواج لم يستمر لأشهر..

تلخيص ثنائي احمد & هيام

تلخيص ثنائي جالا & مراد

*

ملاحظة 1

الحوار بين الشخصيات وطريقة تفكيرهم لا تمثل الرأي
الشخصي للكاتبة..

بل هو عرض لوجهات نظر شخصيات متعددة بأساليب تفكير مختلفة..

ملاحظة 2

الحوار بين الشخصيات وطريقة تفكيرهم لا تمثل الرأي الشخصي للكاتب..

بل هو عرض لوجهات نظر شخصيات متعددة بأساليب تفكير مختلفة..

ملاحظة 3

الحوار بين الشخصيات وطريقة تفكيرهم لا تمثل الرأي الشخصي للكاتب..

بل هو عرض لوجهات نظر شخصيات متعددة بأساليب تفكير مختلفة..

وقف احمد أثناء تجوله بإحدى المحلات بالمول التجاري مكانه بينما يمسك بقائمة المشتريات بيده ويلقي عليها نظرات بعينيه الزرقاوين ويلتقط بيده الأخرى المشتريات ويضعها بالسلة وهو يشعر بالضجر من روبيته المعتاد..

تنهد وهو يمرر أصابعه بشعره الأسود الليلي ليعيده للخلف..

هل سيمضي حياته لأخر لحظة على هذا المنوال؟

لا يصدق حقا أنه في الثانية والثلاثين من عمره..

خرج من المكان وهو يحمل أكياس مشترياته قبل أن يلفت نظره تجمع لعدد قليل من الأشخاص بالقرب منه..

فضوله الطفيف جعله يحرق بهم قليلا قبل أن تتسع عينيه على
وسعهما.. يكاد لا يصدق ما يرى..

هل يمكن أن تكون هي؟ وفجأة بعد كل هذه السنين؟

بشعرها البني الكثيف المتداخل بخلاصات مصبوغة باللون
العسلي والذي ازداد طولاً عن آخر مرة رآها فيه قبل سنوات..
طويلة..

كانت خارجة من إحدى المقاهي ممسكة بكوب من القهوة
مسرعة في خطواتها وكأنها تريد اللحاق بموعد مهم وبشكل
مفاجئ اصطدم بها إحدى المارة وسكب كوب قهوتها الساخنة
على قميصها مما جعلها تنتفض فوراً جراء سخونة القهوة التي
لأخذت قميصها وأسعت جلدتها..

كان احمد حرفياً متيبساً بمكانه بينما يرى صاحبة الشعر البني
تحاول أبعاد القميص عن جسدها قدر الإمكان حتى لا تحرقها
حرارته..

لكن بعد برهة رفعت نظرها للرجل الذي سكب عليها القهوة
واصطنعت ابتسامة عقب أن قالت بتلقائية بصوت لطالما كان
له أثراً أسر عليه

((لا بأس لم يحدث شيء.. كنت مسرعة واصطدمت بك.. كان
خطئي أنا))

استدارت لتسابق خطواتها تهم للخروج من المكان بسرعة
وعلى عجل..

فما كان من الواقف الملجوم إلا أن حرك رأسه وكأنه يستفيق
من شروده قبل أن يعلو صوت أحد الأشخاص

((السيدة أسقطت المحفظة من حقيبتها.. أين ذهبت بهذه
السرعة؟))

أسقط احمد الأكياس التي اشتراها من يده أرضا وهو يهرول
نحو الرجل ليأخذ المحفظة منه عنوة أجفله بينما يقول له
وبصوت أجش من جراء ما استحضرتة ذاكرته من مشاعر
مدفونة

((سألحق بها لأعطيها إياها))

انطلق احمد راكضا وراءها خارجاً من بوابة المول ومتقدما
نحو الشارع الرئيسي وهو يلتفت برأسه يمينا وشمالا يبحث
عنها قبل أن يلمحها بنهاية الشارع تشغل محرك سيارتها
لتقودها مبتعدة..

بدء يركض بأقصى سرعته على قدميه ليلحق بسيارتها وهو
ينادي باسمها بأعلى صوته حتى ابتعدت أكثر وأصبحت
المسافات بينهما تتضاعف أكثر لتصبح غير مرئية له على
الطريق..

فبدأت خطواته تتباطأ تدريجيا وهو يحاول تتدارك أنفاسه
السريعة كأنه انتهى توا من سباق ماراتوني..

توقف مكانه ثم ركع وهو يضع كفيه على ركبتيه قبل أن يستقيم
بعدما هدأت أنفاسه ليلتقط نفسا عميقا جدا ويزفره ببطء..

كان هذا أكثر ما بخشاه.. أن يفترقا مرة أخرى إذا ما جمعهم
الأقدار بصدفة أخرى..

فقط صدفة.. موعد غير مدبر من قبل أحد..

لقاؤه للمرأة الوحيدة التي نبض لها قلبه بعد طول فراق وبعد
سيل من الأشواق جعله يعيش بهذه اللحظات مشهد تُرسم أحداثه
في لوحة ربيع العمر..

لحظات زاد فيها نبض قلبه فكان بداخله من الحب لها ما يروي
الأحاسيس..

اخفض احمد أنظاره للمحفظة بيده ليفتحها ببطء..

تجمدت نظراته بدون أي تعابير ظاهرة على وجهه قبل أن تهتز
حدقتيه بمجرد رؤية صورتها الموضوعه بإحدى جيوب
محفظتها.. أنها هي.. هيام.. هيام قلبه.. إذا ما شك أن رؤيتها
اليوم وقبل دقائق كانت حلم فهذه الصورة إثبات له بأن ما عاشه
قبل قليل حقيقة وواقع..

حدق بالصورة الملتقطة حديثا لها على ما يبدو فشددت قلبه
ليتذكر ذكرياتهم بالماضي وبيتسم بتلقائيه لبرهة من الزمن قبل
أن تزحف ملامح التوتر الواضحة على محياه..

شعر بتوتر غير مرغوب به ثم زفر بضيق وهو يحول أنظاره
لخاتم بنصر يده اليسرى..

بعد دقائق عاد من حيث خرج راكضا يحمل ذبول خيبته..

توجه للمقهى الذي خرجت منه وتقدم يسأل أحد الموظفين عن
المرأة التي سُكبت القهوة عليها..

فأجابه الموظف بتلقائية

((نعم سيدي.. إن الأنسة تدعى هيام.. زبونة دائمة لمقهانا
وتأتي له تقريبا بشكل أسبوعي مع صديقاتها))

رفع احمد حاجبيه بدهشة وسعادة من الكلام الذي يسمعه..

لقاؤهم القادم حتما لن يكون بعيدا..

سلم محفظة هيام للموظف الذي بدا له شابا أمينا ثم قال

((الأنسة أسقطت محفظتها بغير قصد.. حاولت لحاقها وإعطائها
إياها ولكن لم أستطع.. أتمنى أن تعيدها لها حالما تأتي هنا مرة
أخرى))

استلم الموظف منه المحفظة مؤكدا له انه سيسلم الأمانة
لصاحبها..

أوماً له احمد بشكر قبل أن يخرج بخطوات متباطئة للخارج
وهو فعلا يكاد لا يصدق اللقاء وما حدث قبل أقل من ساعة..

=====
=====

بدأ كارم بقيادة سيارته بينما تجلس جالا بالمقعد الجانبي له
وصديقته فداء تجلس في المقعد الخلفي وبالطريق يدور بينهما
الثلاثة أحاديث جانبية بسيطة..

كل حين وحين كانت جالا تنقل نظراتها تارة للنافذة حيث تنتظر
للمناظر التي يمرون عليها وتارة أخرى على كارم فتشوق
ابتسامة دافئة فمها..

لاحظت فداء التي تكثف ذراعها بجلسة متراخية نظرات جالا
لكارم فزاد وجوم وجهها أكثر مما كانت عليه طوال الطريق..

تزايد القهر والكثير من الحنق والغیظ والغيرة في قلبها وهي
تري نظرات جالا نظرات فتاة عاشقة عشق لانها في لخطيبها
الذي تزعم بنفس الوقت أنه صريع في هواها..

مالت فداء بنظراتها لكارم فوجدت البرود يكتسح ملامحه كليا
ولا تؤثر عليه نظرات جالا التي ترشقه إياها شيء وهذا ما
خفف من الحرائق المندلعة داخلها..

يومٌ بعد يوم يترسخ أمامها أن علاقة جالا وكارم من طرف
واحد..

لكن بالتأكيد هذا لا ينفي أنها حقا تشفق على جالا ووجودها
بعلاقة لا جدوى منها..

قاطع صوت جالا تفكير فداء وهي تشير بيدها من خلال النافذة
على مكان قريب وهي تخاطب كارم

((تلك هي المكتبة التي تريد فداء الذهاب إليها.. قف هناك يا
كارم))

أوقف كارم سيارته بمنصف الطريق واستدار نصف استدارة
للخلف يسأل فداء بهدوء وهو يرفع حاجبيه

((هل تريدين النزول هنا يا فداء؟))

فكّت فداء يديها وتنحنت وهي تعدل من جلستها المتراخية..

ثم نظرت لكارم وهي تتعمق في قراءة ملامحه..

ومن التحديق ببؤرة عينيه فهمت بأنه يريد التحدث معها بشيء
مُلح.. حولت أنظارها باتجاه ظهر جالا الساكنة بمكانها وتعطيها
ظهرها لتقول بصوت مسموع بعيد عن طبيعتها الخجولة
وببرود حاولت تلطيفه بابتسامة

((لا.. لا داعي اليوم أن اذهب للمكتبة يا جالا.. لو سمحت يا
سيد كارم أوصلني عند أقرب محطة لاستقل حافلة تأخذني إلى
بيتي))

استدارت جالا للخلف فوراً وهي تهتف لها مستنكرة ما تطلبه

((لا يا فداء.. لا يصح استقلالك حافلة وخطيبي هنا.. أساساً
اقتربنا من الوصول إلى بيتي.. سيوصلني ويكمل الطرق
معك.. فقط دُلّيه على موقع بيتك))

مالت جالا نحو كارم وهي تضيق عينها سائلة

((لن تمنع كارم.. صحيح؟))

زفر كارم بضيق مصطنع لبرهة.. ثم هز كتفيه قائلاً

((لدي موعد مهم بعد قليل.. لكن تكرم عيونك و عيون
صديقتك))

ابتسمت جالا له بامتنان وسعادة داخلية تملؤها بينما يعود كارم
لتشغيل سيارته..

مرت دقائق لتستدير جالا للخلف وهي تلتقط قبعة موضوعة
على المقعد الخلفي لتضعها على رأس كارم قائلة بعجب رقيق

((منذ أن اشتريت هذه القبعة لك وأنت لا تلبسها وتركنها دائما
بالسيارة.. وضعها الآن على رأسك.. أشعة الشمس تكاد تكون
حارقة))

هز رأسه ببرود لها وهو يعدل وضعية القبعة على رأسه
ويجاهد نفسه بالألا يقلب عينيه زافرا من الضجر و نفاذ الصبر..

بالخلف عند فداء عاد شعور كرية يداهما لتحس بالاختناق
بينما ترشق الاثنان اللذان يجلسان أمامها بنظرات مميتة..

خاصة وهذا الشغف الذي يبرق بنظرات جالا لكارم لا يخفت..

بعد مرور دقائق أخرى همست جالا بصوت يكاد يكون مسموع
لكارم وهي تميل نحوه

((أُنزلني هنا قبل أن ندخل القرية.. أبي سيجن جنونه لو رأي
انزل من سيارتك مثل المرة الماضية.. لقد مللت من نهره لي
بسبب هذا الأمر.. أنه يصير أن هذا تجاوز غير مقبول قبل عقد
قراننا حتى لو كنا مخطوبان))

عاد كارم يهز لها رأسه طائعا وحنقه اتجاه ما فعلته والدته
تعدى أي شعور أخر داخله..

لقد سبق وخطب جالا مباشرة بعد تخرجه من المدرسة وكان
بالكاد قد أتم الثامنة عشر وجالا كانت تصغره بسنة وبعدها
فورا سافر لروسيا لدراسة الطب..

وما إن قرر العودة لأرض الوطن أثناء عطلته القصيرة لعائلته
بعد غربة خمس سنوات صدمته والدته بأنها هي ووالده اتفقا مع
والد جالا بأن يعقد القران عليها قبل أن يعود لروسيا بما أنه لم
يبقَ الكثير حتى ينهي دراسته وما إن يعود بشهادة الطب
يتزوجها فورا..

لا يستطيع يتخيل كيف استطاعوا اخذ قرار مهم كهذا بدون
الرجوع إليه..

الآن كلما يرى جالا يشعر غضب تجاهها وكان رؤيتها تضيف
الوقود على نيران الغضب حوله لتزداد ألسنتها وهجًا..

نعم هو خطبها مندفاعا بتهور لكنه لم يقرر بعد إذا كان يريد
استمرار هذا الخطبة وإنهاتها بالزواج أو لا..

ما إن اقترب كارم بسيارته من حي جالا حتى أوقف السيارة
بزاوية بعيدا عن أنظار البيوت القريبة من بيتهم..

حملت جالا حقيبتها وكتبها لتترجل من السيارة.. وقبل أن تغلق
بابها.. نظرت بثقة لفداء بالخلف هاتفه

((أرجوك يا فداء لا تشعري بأي حرج.. اعتبري كارم مثل
أخيك))

جاهدت فداء نفسها لترسم ابتسامة امتنان لجالا وهي تومئ
بوجهها لها بقبول..

أغلقت جالا الباب لتسير بخطواتها نحو الأمام.. لحظات حتى
صارت جالا بقدها الرشيق غير مرئية لكل منهما..

زمر كارم بخفوت وأشار بيده لفداء لتترجل من سيارته
وتجلس بالمقعد الجانبي له..

زفرت فداء وهي تحاول التحكم بنشج قسماتها قبل أن تفتح باب
السيارة وتخرج..

جلست بجانبه وهي تتجاهله كليا وترفض النظر له مما
أزعجه..

شغل محرك السيارة بغضب وبدأ يقود السيارة بسرعة..

كان عقله شارد بعيدا بفكره وقلبه يشعر بثقل كبير عليه..

هو الآن هنا منذ شهر ونصف.. بقي أقل من نصف شهر على
عودته لروسيا..

هل سيعقد قرانه فعلا على جالا؟

هل هذا يعني أنها ستصبح حقا زوجته وعليه أن يتقبلها كأمر
واقع وأساسي في حياته؟

ظهر الرفض والامتناع على محياه وبدت الفكرة غير مقبولة
بشكل تام له..

استرق نظرات سريعة للجالسة بجانبه بلا أي تعابير على
ملامحها..

لا يلومها..

وكيف لا تكون هكذا بعد كل ما تشاركاه في الأسابيع الماضية..

بعنف أوقف سيارته على جانب الطريق..

أجفلت فداء وهي ترتد للأمام جراء وقف السيارة فجاءة ولولا
حزام الأمان الذي تضعه لارتطم رأسها بالزجاج الأمامي
ربما..

التفتت يمينا ويسارا ونبضات قلبها تتسارع قليلا فقد أوقف
السيارة بمكان خال تماما لكن سرعان ما التفتت له..

بتمعن رمقته وشرارة الغضب وعدم الرضا يشعان من عينيها..
غصة كبيرة في فؤادها توجعها..

هتف كارم اسمها بصوت منفعل فلوحت بوجهها عنه بمهارة
خلف قناع اللامبالاة التي تدعيه وهي تنتظر أن يقول ما يريد..

بتساؤل منه تعمد جعله مبهم

((اشعر أن هناك خطب ما بيننا يا فداء!))

رفعت فداء حاجبيها متجاهلة تلك الوخزة المؤلمة التي تعشعش
بروحها لأنه يماطل بالانفصال عن جالا..

تعمدت الاستمرار بعدم النظر عنه.. فبقي الحال بينهما هكذا
لدقائق فشررد ذهنها لما قبل شهر ونصف..

كل شيء بدأ عند عودة كارم لأرض الوطن لزيارة أهله.. كارم
خطيب صديقتها المقربة جالا..

تعرفت إلى جالا عندما تعاونت معها بإحدى المشاريع الدراسية
بالجامعة..

أحبت صحبتها رغم أن جالا كانت انطوائية قليلا وعندما يقترب منها أحد تبعده لتظل وحيدة..

فجاهدت كثيرا لنيل صداقتها.. وعندما نجحت وجدتها لا تتحدث بخصوصياتها أو عن عائلتها أبدًا..

لا تتحدث لها إلا عن خطيبها المسافر..

تحدثها دائما عنه وعن وسامته وأناقته وكل شيء يخصه حتى عن رائحة عطره..

تصفه أمامها بأنه فارس أحلامها وأنهما واقعين بالحب مع بعضهما منذ طفولتهما.. تتحدث عنه وكأنه الرجل الوحيد بالعالم..

بمرة من المرات طلبت جالا منه أن يقلها إلى احدى المطاعم لتلتقي بها وهو وافق على مضمض..

ما أن ترجلت جالا من السيارة بعدما أوصلها استطاعت فداء أن تلمح كارم لأول مرة وهو يجلس وراء المقود..

فتقدمت فداء منهما ووجدته بحاجبيه اللذين انعقدا يتفحصها بنظرة سريعة..

فردت له هي الأخرى النظرات وعيناها تمران على صفحة وجهه بالخفاء..

ملاحه كانت فعلا وسيمة بشعره الأسود الناعم ولحيته
المنمقة..

ولا تخفي أنها أول لقاءات لها بكارم لاحظت ومن تعامله مع
جالا أن جالا تعيش بوهم..
فهو لا يبدو عاشق أو حتى مهتم بأن يبادلها الاهتمام أو الحب..

ولولا طبيعة جالا العدائية أحيانا وعدم تقبلها الكلام الذي لا
يعجبها لكانت نبهتها على أن علاقتها بكارم هي علاقة حب من
طرف واحد..

ومرت الأيام القصيرة وبقيت نظرات فداء تلاحق كارم أينما
ذهب حتى انه لاحظ اهتمامها بها.. وأشعرها أنه أيضا يبادلها
الحب من طريقة كلامه القليل معها..

وبدأ يرحب بطلبات جالا لإيصالها أينما تحب طالما أنها ستكون
معهم..

وبعد مدة قصيرة اضطرت جالا الغياب عن جامعتها لظرف
صحي..

فكان هو من يأخذ فداء من جامعتها ويوصلها للبيت بحجة أنه
سيأخذ منها ما تحتاجه جالا من ملاحظات للدراسة فلا تفت
عليها أي شيء..

كانت فداء فعلا تنوي الابتعاد عنه عندما كانت تشعر أحيانا
بالذنب..

لكن المفاجأة انه وبدون أي مقدمات أخبرها أنه يريد أن ينهي
علاقته بجالا والتقدم لها..

بالتأكيد وبالبدائية رفضته كليا وهي مصدومة بما أخبرها..

لكنها ولأنها إنسانة عقلانية بشكل كبير ولا تحسب الأمور
بمجرد عواطفها.. أخبرته أن يمهلها بعض الوقت وأنها لا
ترفضه وتعتبره إنساناً رائعاً..

وبعد تفكير بنفسها وجدت أن كارم شاب وسيم وناجح في حياته
تتمناه أياً فتاة..

خاصة أنه بعد أن قال إنه سيتقدم لها وجدت قلبها يخفق له..
وتحول هذا الأنجذاب الطفيف بعدها بينهما علاقة حب عمرها
الآن شهر واحد..

هي بالفعل تفكر أحيانا بجالا وبحبها له.. تشفق عليها وتخاف
كذلك على صداقتهما أن تتأثر..

فالقبول به يعني رمي صداقتها بجالا عرض الحائط وهذا أمر
صعب عليها بالفعل.. لكن ماذا عساها تفعل؟

هل من المنطقي لها أن ترفضه فقط لأنَّ خطيبته جالا تحبه؟
تعني خبيته السابقة تحبه؟ فجالا ستصبح قريبا ماضي له..

عادت فداء بفكرها للحاضر لتتظر إليه هاتفة له بصوت مبجوح

((نصف شهر بقي على عودتك لروسيا لإكمال دراستك.. والى
الآن لم تفسخ خطوبتك مع جالا.. أنا وأنت وبكل صدق لا
اعرف ما طبيعة ما بيننا.. كارم صارحني.. هل أنت حقا واقع
بحبي؟ فنحن لم نتعرف على بعضنا إلا منذ شهر))

ركز كارم نظراته عليها وقد فهم مغزى كلامها..

فأجابها وهي يمسح وجهه بكفيه ويفكر بالعبء الآخر الذي
يحملة على عاتقه بسبب اعترافه بالحب لفداء بسخافة

((فداء.. لا يوجد شيء بيني وبين جالا.. كل ما بيننا هي
مشاعر أيام الطفولة.. وربما استمرت للمراهقة.. لا افهم كيف
فعلتها وخطبتها.. بل كيف سمح أهالينا لنا بالخطبة بهذا العمر
الصغير.. لكن.. الخطبة كانت مجرد كلام.. لم اشترى حتى لها
خاتما.. ولم نعلن عن الأمر بشكل رسمي للأقارب.. حتى
والدها لم يكن يريد أن يزوج أبنته مني وكان رافضا ولا أدري
لما تراجع عن كلامه وقبل بي))

جعل أصبعيه الوسطى والسبابة تمسدان رأسه الذي سينفجر بأي
لحظة.. تنهد مسترسلا

((ظننت أنه بعد سفري سينسى الجميع كليا أمر تلك الخطوبة الغبية وسيزوجونها لأول عريس يدق بابها فأنا طوال تلك السنين لم اقبل أن أتواصل معها رغم إلحاح جالا.. أنا الآن تغيرت ونضجت.. وما كان يعجبني بالأمس تغير اليوم.. بسنين غربتي وكلما حدثتني أمي عن جالا برسالة أو مكالمة أتجاهل الحديث عنها.. ومع ذلك ما إن عدت للسفر صدمتني أمي أنها هي والدي مُصريين على عقد قرانا قبل أن أعود لروسيا))

شرد بعينيه للمدى الواسع أمامه من زجاج السيارة الأمامي..

كان هو وجالا ومنذ صغرهم يلعبون سويا.. مع مرور الوقت تكونت علاقة صحبة بينهما ومن ثم صداقة..

وربما لأنهما من جنسين مختلفين تحولت هذه الصداقة إلى استلطاف..

ومن ثم إلى ما اعتقدا أنه حب..

هو قد استلطفها بالفعل وكبر هذا الاستلطاف مع الوقت ومع كثرة اللقاءات للعب وللحديث ظن أنه هي حبيبته فقط من ستكون زوجته..

تبا بماذا كان يفكر.. فمن المستحيل أن يقبل بجالا كزوجة..

قاطع شروده حديث فداء الجاد

((إذن هي فقط من نسجت خيالها ومنذ صغرها نحوك وبدأت
تعتقد أن ما بينكما هو الحب.. وكلما كبرت تزداد معها خيالاتها
وتزداد في إلصاق صفات حميدة وجميلة وبراقة فيك أنت الذي
تعتقد أنها وجدت فيك الحب الأعظم.. نعم فهي دائما تتحدث لي
عن عظم حبكما لدرجة أنني كدت اصدق أنك تحبها))

هز برأسه مؤكدا

((معك حق.. بالنسبة لي وبمجرد أن نضجت غيرت أمنيته
السخيفة بالزواج منها.. ولكن وعلى ما يبدو أن جالا وعائلتنا
لم يفعلوا.. أساسا أنا لم أتكلم معها نهائيا طوال تلك السنين
الخمس.. لم استقبل أو اكتب لها أية رسالة))

قالت فداء بحق وهي تمسدها يدها بتوتر فيبدو أن الأمر معقد
أكثر مما تظننه

((المشكلة يا كارم هي أنه استلطف من جانب واحد.. هي
تحبك بجنون.. وأنت لا تراها إلا كزميلة اللعب في زمن
الطفولة))

يعد برهة قال كارم بهدوء وبلا تعابير تظهر عليه وهو ينظر
لفداء

((الآن ها قد مال قلبي لأخرى لأنني لم أكن أحب جالا.. أنت يا فداء.. برغم قصر مدة تعارفنا.. لكن أريد أن انهي كل ما بيني وبين جالا وأرتبط بك.. أنا فقط أخشى أن تنهار عندما أخبرها.. هل أخطأت برأيك؟))

شعرت أن كلامه نابع من قلبه فبدأ قلبها النابض ينتفض بعنف غريب..

غيرت الموضوع لتقول ما يخفف عليه

((الخطأ خطأ الأهل لا خطأك.. كان عليهم متابعة تصرفات أبنائهم وبناتهم ومع من يصاحبون حتى لا تنشأ علاقات قلبية خاطئة.. كان على والديها أن يخبراها ومنذ زمن أيضا أن ميلها لك هو مثلا بسبب حب اللعب معك منذ الطفولة وأنه ليس حبا حقيقيا))

بقي كارم ينظر لفداء بهدوء اعتادت عليه منه..

يعرف جيدا بأعماقه أنه يستغل دناءة فداء وقلة أصلها وغدرها بجالا وانجراها معه بخيانة صديقتها المقربة حتى يفصل عن جالا..

جامل فداء مصطنعا ابتساما بشوشة لعله يطمئنها

((فداء صدقيني.. أنا لا أطيق الصبر حتى أتقدم إليك ونعيش سويا ببيت واحد))

تنهدت فداء بعمق وهي تميل لتسند رأسها بيدها وعيائها
شاردتان بمستقبل حالم مع كارم..

لتقول بصوت خافت هادئ دافئ

((عندما أتزوجك يا كارم سأدعك تحبني أكثر.. بل وسأجعلك
تحب نفسك.. لأنك لن ترى نفسك إلا ملك وبيتك هو مملكتك..
وأنا سأكون الأنسانة التي تحلم بها.. سأكون الأنسانة التي لن
تخذلك أبدا.. أنت من ستختار كل شيء.. واعدك أنك لن تفكر
بالهروب من البيت لأنني سأقي الله بك))

ابتسم بسخرية وهو يستمع لخيالها الواسع..

فلتقي الله أولا بصديقتها المقربة التي تغدر بها من خلف
ظهرها..

على كل حال هو يعرف أن كل حرف نطقت به فداء سيذهب
بعد الزواج أدراج الرياح بحال تزوجت..

الكلام بعد الزواج دائما يختلف عما قبله..

لكن شعور جميل أن تلقي على مسامعه ما يجعله يشعر أن له
جناحان قويان يطير بهما ويعلو فوق السحاب.. حيث لا عذاب
ولا عتاب..

وحيث ينهل بلا حساب من حب آخر بدل ذلك الذي كان عكس
ما أراد..

حب جاهد نفسه على تقبله وفشل.. فشل بجدارة..

لكن للأسف لن تستمر علاقته بفداء طويلا وسيتركها هي
الأخرى بمجرد أن يحين موعد عودته لروسيا فما فداء إلا
وسيلة ليضمن انفصاله عن جالا بلا عودة..

التفت ينظر لها وهو يراها تغمض عينيها للحظات وهي تطلق
نفسا قويا لتطأ رأسها وتعود تفكر بإحباط بكل ما يدور
حولهم..

فشرد بالنظر إليها وبدون أن ينتبه حتى تنحنت وتنبه بأنه
أطال في صمته ونظراته لها حتى تشربت وجنتيها بحمرة من
خجلها..

شعر بسعادة تنبع من داخله.. يعجبه نظرة الخجل فيها.. فيها
الكثير مما يفقده بعلاقته مع جالا.. بل الكثير مما لا يستطيع
التغاضي عنه..

وبدون أي مقدمات قاطعها بابتسامه دافئة قائلاً

((تبدين اليوم مشرقة وجميلة يا فداء))

استمتع وهو ينظره لملامحها المصعوقة من كلماته المفاجئة وقد
طفح وجهها باللون الأحمر أكثر مما سبق..

لوح بيده مستدركا وحس غريب للمشاكسة يتفاعل بداخله وهو
يقول لها بعاطفة جياشة

((لم تنتظرين لي وكأنك لا تصدقيني؟ هل تشكين بكونك
جميلة؟))

عادت تبتسم له بخجل.. حتى ارتبكت من ميلانه نحوها بشكل
بطيء وتدرجي حتى أوشك أن يقبلها..

عندها رفعت يدها بضعف لتدفعه من صدره وتتوسل إليه قائلة

((كارم لا.. أرجوك توقف.. لا يجوز ما تفعله..))

استمر يقترب منها حتى جفل على دفعها له بعنف وفتحها باب
السيارة لتركض بسرعة هاربة دون النظر إليه خلفا..

أخرج رأسه من النافذة وهو يصرخ عاليا

((فداء.. انتظري أرجوك.. أين أنتِ ذاهبة؟))

لكتها لم ترد وتابعت الركض بأقصى ما استطاعت.. تاركة
حقيبتها وأغراضها بسيارته..

كانت تركض بالشارع والرؤية مشوشة أمامها بسبب دموعها
التي تتساقط.. فلم يملك إلا أن يغلق الباب الذي تركته مفتوحاً ثم
يشغل السيارة ليلحق بها..

ما إن لحقها حتى قلل سرعة سيارته ونظر من نافذته لها وقد
تباطأت خطواتها بالمشي بعد أن أرهقت من الركض لمسافة
طويلة.. فهتف بها

((فداء بلا جنون.. الطريق فارغ من البشر ولن تمر أي سيارة
أجرة هنا.. دعيني أوصلك لمنزلك على الأقل))

ردت باختناق عليه وهي تمسح أثار دموعها

((اتركني وشأني.. سأصل لبيتي بنفسي))

حاول إقناعها مجدداً وهو يتابع قيادة سيارته ببطء وعلى
مستوى سرعة مشيها

((إذا بقيتي على عنادك لن تصلي البيت قبل غروب الشمس..
بماذا ستخبرين عائلتك؟))

توقفت مكانها مطأطأة الرأس تنتظر للأسفل وهي تشد على
قبضتها ليوقف سيارته عندها..

شعرت باختناق ودموعها تعود لتفيض كالنهر على خديها معلنة
عن خوار قوتها التامة..

بعد دقيقة رفعت رأسها وهي تتنهد عاليا.. وعلى غير ما توقع
لفت فداء نحو السيارة لتعاود الجلوس بجانبه..

سند رأسه على مقبض السيارة وهو يزفر براحة..

ما كاد يفعله كان سيورطه بما لا يحمد عقباه.. لقد أخطأ لكن لن
يسمح لنفسه بتكرار هذه الأخطاء الفادحة.. وعليه أن يصلح كل
الفوضى الأخرى التي تحيطه..

بعد ساعة.. بمنزل فداء..

كانت تجول في الغرفة أمام أمها وأختها ونار تشتعل في جوفها
من الغضب..

توقفت أمام فداء لتقول صارخة وهي تمسك رأسها بكفيها

((هل حقًا حاول أن يقبلك يا فداء؟ يا إلهي.. الخطأ خطأك..
كيف سمحتي لنفسك أن تركبي سيارته لوحدهما؟ قلة دين
وإدب))

أخذت فداء نفسًا متوترًا وتعابير وجهها توضح وهنها لتقول
بتردد

((أخبرتكم يا أختي.. فقط حاول أن يقبلني.. وأنا ردعته
بشراسة))

شعرت شقيقتها بالاستفزاز من تهوين فداء الأمر..

فدفعت كتفها بعنف لعلها توصل لها إحساس بعض ما تشعر به
من خوف عليها يكاد يفتك بقلبها.. هتفت لها بقهر

((فقط حاول أن يقبلك؟ أخبريني هل أنت راضية عن نفسك
وعما تقولينه؟))

استقبلت فداء كلام شقيقتها القاسية بصمت.. فضمتها أمها
بخوف عليها

((استغفري الله يا ابنتي.. إياك أن تسمح لي لرجل أن يلمسك إلا
زوجك.. كيف رافقتيه بالسيارة وحيدة؟ كان عليك حتى لا
تسقطي في مثل هذا الموقف الالتزام بكلام دينك.. وألا تحاولي
تقليد زميلاتك بعلاقة الحب))

زفرت شقيقتها بسخط.. ثم هتفت لأمها بغيط لا يخلو من الدهاء
والمكر

((أمي.. لقد اقتصت عن أخباره وخلفية عائلته.. سمعة عائلته
تلعب مثل الذهب.. الشاب لا يعوض.. لكن ابنتك تتصرف
كشيء سهل المنال لذا بالتأكيد هو يفكر بها كحبيبة مؤقتة لا
كفتاة يريد الزواج منها))

ثم وبشكل سريع مسكت كتفي فداء لتسألها وهي تشدد النظر إلى
عينها

((انتظري فداء.. ركزي معي.. هل هو فعلا يحبك؟ لو كان
كذلك.. إذن اطلبي منه أن يتقدم لأبينا.. إذا رفض.. فهو كاذب
ولا يريد إلا أن يلعب معك ويفكر بك كشيء مؤقت للتسلية))

أشاحت فداء برأسها جانبا ثم تحدث بصوت بطيء لا يخلو من
الشعور بالذنب الذي يتقلها

((مشكلتي يا أختي هي صديقتي جالا.. انه خطيبها.. أنا فعلا
أريده أن يفسخ خطبته بها حتى أستطيع أن اطلب منه أن يتقدم
لي كما أنه أيضاً كان يريد أن يفسخ خطبته معها منذ زمن..
وهي واهمة بحبه.. لذا الأمر معقد..))

صرخت شقيقتها بوجهها بسخط

((فلتذهب صديقتك للجحيم يا فداء.. وما شأنك إذا كان خطيبها
يحبك؟))

حدقت الأم بيناتها بعبوس وعيناها تلمعان بعدم رضا عما
تسمعه.. لتتهتف بانفعال

((ما هذا الذي تتحدثين به يا ابنتي! ليس من الملازم أن يقال إن
فداء سرقت خطيب صديقتها.. كما علينا التأكد من كل شيء
يتعلق به.. فالرجل لا يكفي أن نعرف عن سمعة عائلته وتعليمه
فقط.. تأكدي يا فداء من أخلاقه ووازني الأمور واختاري ما
يرضي القلب والعقل والضمير حتى تكوني راضية عن نفسك
وضميرك مرتاح.. ولو أنني أرى أن تبتعدي عنه وتتصرفي
التصرف الصحيح.. والله هو المدير وخير وكيل))

أبعدت فداء كفيّ أمها واختها عنها.. لتندفع بخطوات غاضبة نحو دولابها وتبدأ بفك أزرار ثيابها بتذمر..

كانت فعلا غير راضية عن كلام أمها فبدأت تقول مبررة

((لا يا أمي.. صحيح أن جالا صديقتي.. ولكن لقد حدث الأمر دون أن نخطط له أو.. أمي.. أنا لم أفكر قط أن أحب خطيب صديقتي.. حتى أنه عندما أخبرني برغبته في فسخ خطبته مع جالا حاولت إقناعه أن يتريث.. لكن لا جدوى.. المشكلة الحقيقية هي أن جالا للأسف مهووسة به.. وأنا متأكدة أنها ستجعلني أبدا وكأني خطفته منها.. مع أنني لا أفهم كيف يمكن لفتاة أن تكمل الخطبة مع رجل لا يحبها))

تعرف أنها هي من بدأت بصداقة جالا.. وهي بالفعل حزينة لما سيحصل لجالا بسببها..

فهي لطالما وصف الكثيرون روحها بالمرحة وشيدوا على مقدرتها على إسعاد الكثيرين..

لكن.. لا.. هزت فداء رأسها وهي تنفي لنفسها بعنف..

حب كارم لها ليس خطأها..

كتفت شقيقة فداء ذراعيها لتقول بصوت هادئ لو الدتها

((الخطأ خطأ خطيبها لا خطأها يا أمي))

توقفت كفي فداء عن فتح أزرار فستانها لتستدير نحو شقيقتها
هاتفة بدفاع

((لا يا أختي.. وحتى كارم لا ذنب له بالأمر.. أعني.. نحن
الاثنتين لا سلطة لنا على قلوبنا لنخبرها من تحب.. ليس ذنبي
أنه احبني أنا وأني أحببته.. هل من الصواب يا أختي أن
يخدعها ويستمر في خطبته معها ويتزوجها وهو يحبني أنا؟))

شعرت فداء نفسها تسقط على سريرها من جديد وكأن قواها
خارت وهي تستعيد كل كلمة سمعتها منه وقلبها ينبض بجنون..

لم تستسيغ والدتها كلامهما فوقف لتغادر بهدوء وتغلق الباب
خلفها تاركة إياها تحرق بيأس بشروء في الفراغ..

لم تكن تشعر دموعها التي سالت بعجز بينما تقدمت شقيقتها
لتجلس بجانبها وتضغط على كفيها قائلة بهدوء تقنعها

((اصغي إلي يا فداء.. عليك إقناع كارم بضرورة الالتزام معك
والارتباط بك.. من المهم لك أن تكوني واضحة معه وتخبريه
برغبتك في الارتباط.. كوني صادقةً معه وبطريقة ذكية..
اظهري له ما تريدين ولا تضغطي عليه.. إن أسكتك فإن ذلك
يثبت لك أنه لا يودّ الارتباط.. بينما إذا كان يفرح بالحديث معك
عن الأولاد والعائلة والمنزل فهو ينوي أن يتزوجك))

هزت فداء رأسها بتأكيد لكلام شقيقتها..

فمبدئياً عليها أن تتحدث مع كارم بحديث جدي وان تتوقف عن
الاهتمام بمشاعر جالا..

=====
=====

وقف راجي الذي كان قد استأنف دراسة جامعته لفصل دراسي
واحد حتى لا يضيع فرصة التدريب التي وفرها له والده بهذه
الشركة الكبيرة والمرموقة حتى لو كان تدريباً غير رسمي..
كانت الشركة قابعة بالعاصمة وتبعد مسافة ساعتان بالطريق
عن منزله المتواجد بقرية مدينة أخرى تقرب العاصمة..

نظرت سارا لراجي بنظرة سريعة اشتعلت فيها مشاعر لا
تفهمها ولا إراديا أخذت عينها تسجلان تفاصيل هذا الشاب
أمامها..

شعره قصير وفاتح..

عيناه ذو اللون البني الفاتح تلمعان بعنفوان حياة مثير..

جسده الرياضي المشوق برجولة حية..

قامته طويلة وعضلاته الصلبة توحى بالأمان بالنسبة لعمره
الذي لا يتجاوز العشرين عاماً..

تجذبها هيئته بملابسه المتكون من بنطال جينز وقميص شبابي
مفتوح ظهر منه بلوزة سوداء رياضية متسعة تظهر رقبته..

تابع رؤيته وهو يقترب من أحد محامي الشركة المشرف على تدريبيه ويتحدث معه..

اختلس راجي النظر لسارا عقب أن لمحها تحديق به لتحاول سارا أكثر أن تتفادى النظر لجهته وألا تظهر له أنها انتبهت لوجوده..

بعد أن أنهى حديثه لم تمتلك لتستفزه وتثير انتباهه إلا أن تتضحك بصخب مع صديقتها ديمة الواقفة بجانبها..

فالتفت راجي لها ليخطوا ويقف بقرب المصعد ينتظر قدومه حيث أقرب نقطة منها ليلمحها بكل فتنتها..

بدت له جميلة ببلوزتها الوردية منسقة مع تنورة لا تقل عنها ضيقاً..

بالرغم من جموحها وقوة شخصيتها التي رآها عندما تعرف عليها إلا أنها من الخارج فتاة متفجرة الأنوثة ومظهرها أنثوي بشكل كامل باستثناء القراط الذهبي الذي يُزين أنفها فيضيف لمسة وحشية لها..

اتسعت عيناه بغضب عندما تقدم منها موظف بالشركة يلتف حولها فتبتسم وزميلاتها له..

زاد الغضب عندما مرت نسمة هواء من النافذة بجانبها لترفع
من طرف بلوزتها الخفيفة فيظهر جزء من بطنها..

أشاح وجهه بضيق وهو يراقب لوحة المصعد التي تشير
لاقتراب المصعد من طابقه ليطرق بنظره أرضاً..

عندما انتهت أنه ابعده نظراته عنها ويتأهب ليدخل المصعد
الذي فُتح تقدمت منه والخلخال الذهبي الظاهر على كاحلها
يلفت انتباه عيناه المطرقتان للأسفل..

وجدها وبكل غرور ترفع نظراتها من فوق شعرها الطويل
المناسب لتغطي بها عينيها المُكحلة بتفريط لتدخل المصعد
معه..

لم يخف عليها أنها ترتدي عدساتها اللاصقة الرمادية كعادة
أغلب أيامها..

والحقيقة أنه يكره كل شيء ليس طبيعي.. لكن الأمر مختلف
معه.. فمع أن مظهرها بعيد كل البعد عن البراءة..

لكنها تبقى فاتنة بطريقة جامحة جذابة..

تجذبه لامبالاتها.. قوة شخصيتها.. سيطرتها التي تتمتع فيها..
تجذبه كأنتى ظاهرة للعلن غير قابلة للكسر..

كانت ما تزال واقفة بلامبالاة بجانبه بالمصعد فأثارت حنقه..

حتى لو أنه الرجل بينهما ولكنه يكره أن يكون البادئ..

بعدم فخر اعترف لنفسه انه أكثر خجلا من أن يكون البادئ..

عاد ينظر لها من الخلف فهي كانت تقف أمامه بخطوتين..

لاحظ اليوم فعلا أنها بالغت بزنتها وعطرها..

فجاءة وجد سارا تجمع شعرها بكفيها لتضعه جانب رقبتها..

ورغما عنه لم يستطع أن يغض بصره وألا يركز بعنقها
الحنطاوي..

وبتلك الشامة القابضة بفخامة عليه..

اختلاف لون الشامة والبشرة جعلها أجمل..

عندما وصل المصعد للطابق الأرضي حيث كراج السيارات..
فُتح باب المصعد فمرت من جانبه وكأنه تمثال..

كانت سارا قد شعرت بتحدي مثير ومزعج على حد سواء
جعلها تحافظ على ابتسامتها المستنزة مرسومة على وجهها
حتى مع وصول غضبها للذروة من بروده وعدم اتخاذه أي
خطوة بعد..

تعرف انه معجب بها لكن لماذا لا يظهره لها؟

رأها راجي تسير أمامه متمائلة بدلال مقصود.. حتى توقفت
لنستدير خلفها وتتقدم منه وتضع يدها على ساعده بحركة جعلت
القشعريرة تسري ببذنه لينفضها عنها متمتما بوجرم

((لا أحبذ أن تلمسني امرأة))

تجاهلت رفضه لها وبغمغمة تغنجت فيها وهي تمد له يدها التي
تمسك مفتاح سيارتها

((راجي أريدك اليوم أن توصلني للمنزل أيضا.. فقدمي تعبت
من المشي بالكعب العالي طوال النهار ولا أظن أنني أستطيع
قيادتها! إذا كنت لا تستطيع فلا بأس يمكنني أن استقل
المواصلات العامة))

مرة أخرى إضافية أخذ نظرة سريعة لملابسها التي لا تناسب
أبدا ملابس فتاة ذاهبة للعمل..

شعر بغضب ممزوج بغيرة لا يظن أنها من حقه..

لكنه وجد بأن عليه أن يوصلها بنفسه بدلا من المواصلات
العامة والا لن تصل لوجهتها مع هذه الملابس الضيقة..

أخذ المفاتيح منها وأومئ لها بيده لتلحقه..

وبعد برهة أحب فكرة أنها تطلب منه هو دون الجميع ولأكثر
من مرة أن يوصلها فوجد نفسه يبتسم أمامه بإشراق..

العجيب أنه صباحا تعمد عدم إحضار سيارته وذهب للشركة
بالحافلة..

ربما لأنه داخلها كان يأمل أن تطلب منه أن يوصلها مجددا
لمنزلها..

لكن الشعور بالذنب لتجاوزه الخطوط الحمراء بدينه وتريبته
أثقل ضميره..

فمنذ متى هو مقبول مصاحبة فتاة والخروج معها وإيصالها
بالسيارة؟

أخلاقه فعلا بدأت تفسد بالأنحلال منذ قدومه للعاصمة للتدريب
بهذه الشركة..

بدأ راجي يقود السيارة بهدوء متأنى..

ما أثار استغرابه هو الصمت التام بينهما منذ قيادته..

طوال الطريق وهي تنتظر من النافذة بتملل وأحيانا تغمض
عينها لوقت ثم تفتحهما وتعود للنظر..

تكتفي بالنظر إلى النافذة حتى شك أنها تعد عدد الشجر في
الطريق..

هذه المرة هي هادئة ولم تكلف نفسها بفتح أي موضوع معه
كالسابق عندما يوصلها..

حتى أنها لم تسخر من قيادته البطيئة.. فهو لا يشبه أغلب شباب
اليوم الذين باتوا يتصفون باللامبالاة والتفكير السطحي.. وربما
عقله أكبر من عدد سنين عمره العشرين..

بقي الصمت والشرود بينهما وهو كان وكأنه في حديث خاص
مع نفسه..

بانتفت كل برهة لها وهو ينظر لوجهها بافتتان لا يكف عن
التأثر به مع أنها ليست بهذا الجمال الخارق خاصة مع مبالغتها
بزينتها الأنثوية الجذابة وإسهابها برش عطرها المفضل
وملابسها الغير محتشمة كليا..

نعم يفهم أنها من بيئة أخرى مختلفة كليا عن البيئة التي
يعيشها.. لكن لا زال أمر سماحه لنفسه بالأنجراف معها بهذه
الصداقة أمرا خاطئا..

أوقف السيارة أمام منزلها الأنيق ونظر له بتمعن مبهر..

لقد أخبرته سابقا أنها تعيش حاليا لوحدها ببيت عائلتها هنا..
وشقيقها يسكن بمنزل آخر بعد أن تزوج بينما والديها كثيرا
السفر..

نفر من فكرة أنها أخبرتها هكذا معلومات خطيرة فهو بالنسبة لها شاب غريب كلياً خاصة أن قلة الخبرة والسذاجة صفتان أبعد ما يكونان بها..

قالت سارا بصوت هادئ ما أن أخبرها بوصولهما

((أشعر بالتعب.. أمس كنت مع صديقاتي وسهرنا لما بعد شروق الشمس فذهبت اليوم لتدريبي للشركة بدون أن أنام أبداً))

رفع حاجبيه مذهولاً..

إذن لهذا السبب كان اليوم تاريخياً واستطاعت فيه أن تصل للشركة بوقت مبكر على غير عاداتها منذ أن بدأ التدريب بالشركة..

قال لها بفضول وهو يتمنى أن يسترسل معها بالحديث أكثر

((إذن لهذا غادرت الشركة مبكراً معي؟))

أومأت له بإيجاب ثم سألته هي الأخرى بفضول

((لما غادرت اليوم ميكرا على غير عادتك؟ فمع أنك متدرب
وحسب إلا أنك أول شخص أقابله متلهف على التخرج بسرعة
ليعمل بجد حتى بأيام العطلة))

ابتسم لها نصف ابتسامة وهو يهز كتفيه

((خرجت ميكرا لأنه تم تعيين شقيقتي بإحدى الجامعات كأستاذة
جامعية وأردنا أن تحنفل فيما بيننا ونقيم جمعة بسيطة))

كشرت ملامح سارا بتلاعب موحى اضحكه قبل أن تسأله بحنق
مصطنع

((احتفال؟ لما أنا لست مدعوة؟ لا أصدق أنه من الممكن أن يُقام
احتفال ولا يتم دعوتي؟))

وعندما رأت ارتفاع حاجبيه بدهشة ساخرة أضافت بدلال أنثوي
((لا تطلب مني مساعدتك مرة أخرى بانتقاء هدية مميزة أخرى
لأختك))

ازدادت ابتسامته اتساعا لكلامها..

لقد اشترى هدية أخرى لهيام بمناسبة الوظيفة وهذا المرة على
ذوقه هو ولم يطلب من سارا أن تساعده كما المرار السابقة..

فمدخراته تكاد أن تنتهي وذوق سارا لمختلف الهدايا غالٍ جدا لا
يستطيع تحمل ثمنه بكل المرار بالرغم من أنه يرى الإعجاب
والفرح الشديد على وجه أخته هيام لا تخفيه بما يحضره لها من
هدايا..

التفت جانبا ينظر لسارا لثوانٍ أثناء قيادته وهو يخبرها بمرح

((كما قلت سابقا أنه احتفال بسيط ولن يكون هناك موسيقى أو
رقص.. فقط وجبة غداء مميزة وبعض أطباق الحلوى.. وعلى
حد علمي بنظامك الغذائي القاسي لن تجد ما يناسبك فيها))

أوقف السيارة أمام منزل سارا ثم أردف

((هيا انزلي الآن.. وأنا سأذهب لمحطة حافلات لاستقل واحدة
لمدينتي))

تتحننت بهدوء حانق وهي تضع يدها على عتلة الباب وتفتحه..

خرجت من السيارة وسرعان ما شعرت بنفسها تهتز في وقوفها
فأغمضت عينيها حين أتاها صوته القلق

((هل أنت بخير؟ هل تستطيعين الوقوف؟))

أومأت برأسها في صمت وهي تلعن نفسها فقد كُسر جسدها من
الرقص المتواصل مع صديقاتها ولم تحظى بالنوم حتى الآن..

أغلقت الباب خلفها ثم تنفست لتأخذ قدر من الهواء الوفير
وتحاول الاتزان..

خرج راجي هو الآخر من السيارة وسلمها المفتاح بيده..

ما أن هم بإعطائها ظهره حتى قالت له هاتفة بابتسامة وقد بدت
أنها بخير

((ما رأيك أن تدخل لبيتي وأدعوك لتناول شيئا مقابل إتعبك
معي؟ يمكننا الجلوس بحديقة المنزل إذا أردت))

رفع حاجبيه وهو يحدق بها ويستوعب ما تعرضه عليه..

تخبط قليلا ثم قال لها هادرا باستنكار

((لا.. لا أجد هذا مناسبا.. أنا أعتذر عليّ الرحيل الآن.. سأراك
غدا بالشركة.. إلى اللقاء))

أومأت له بتفهم محيط فهي توقعت رفضه وسرعان ما تلقت
مكالمة على هاتفها تشغلها لتجيب بسرعة..

بينما هو اكتفى بأن يودعها بدون كلام ويستدير ليمشي للشارع
يأشر بيده على إحدى سيارات الأجرة..

شعر بقلبه ينبض بعنف وبعقله يصرخ به كي يبتعد عنها من
الآن..

فقربها منه واستجابته لها مؤخرا لهذه الدرجة وبهذه الطريقة هو
أمر خاطئ..

فهي ليست مجرد امرأة قد تمر أمام ناظري أي رجل بل فتنة
مغرية..

كنجمة تلمع في السماء.. إن اقترب منها احترق..

.

.

بعد مرور ساعتين..

((أمي لقد عدت للمنزل))

قالها راجي وهو يدخل المنزل ويتقدم فورا نحو المطبخ يرسل
نظراته إلى أمه وجالا المنهكتان في صنع قالب حلوى وصوت
ضحكاتها يصل إليه..

انخفضت ضحكات سميحة تدريجيا ما إن لمحت ابنها لترسل
إليه ابتسامة دافئة..

تشعر كأنه بالأمس كان ما يزال ذلك الطفل الرضيع في اللفة
الذي لا يزال عليها الاعتناء به..

وها هو اليوم أصعب طولا بعرض.. يرتدي ثياب أنيقة عصرية
تعكس شخصيته الجذابة..

انتبهت جالا عليه وسرعان ما هتفت له بمشاكسة

((أيها الأحمق لم يكن عليك ترك التدريب والعودة باكرا.. لم يكن سيفوتك شيئا من أطباق الحلوى ولم تكن سنبداً بالأكل من دونك.. أساسا أنت الوحيد من بيننا جميعا من يحب ويأكل السكريات بشراهة.. خفف من تناولها إذا أردت ألا يذهب مجهودك الرياضي سُدَى بالنادي))

رد راجي على هجومها باقتضاب مازح وهو يعقد حاجبيه

((انتظري يا جلجل حتى التقط أنفاسي قبل أن تهجمي عليّ فالآن عدت من الشركة بعد طريق ساعتين))

هو بالفعل تحجج بالمرض وقد أجاد الادعاء ليخرج باكرا من تدريبه..

فوالدته وعدته بإعداد كل ما يحب من حلوة وأطعمة..

ودائما ما ينتظر ويتلطف لأي مناسبة مهمة أو بسيطة كانت ليطلب من والدته أن تعد مختلف أصناف الحلوى لهم جميعا قبل أن ينتهي به وحيدا من يلتهم كل شيء..

فمهما طاب مذاق الحلويات على اختلاف أنواعها الشرقية والغربية إلا أن الحلويات التي تعدها والدته بأناملها لها نكهة خاصة ومميزة سواء لهم أو للضيوف الذين حتما ينطلقون بإبداء أجمل عبارات الثناء عقب تناولهم أحد أطباق حلواها البيتيّة..

تابع راجي النظر باستمتاع وهو يرى والدته تبدأ بتزيين الحلويات ببراعة في تشكيلها وفق ذوقها وإحساسها المرهف وصولا للشكل النهائي..

شد راجي خطواته نحو الحمام ليغتسل بينما تهتم جالا بأخذ أطباق الحلوى إلى طاولة الصالة وهي تهتف باسم هيام لتحضر حالا وتشاركهم الأكل..

خرجت هيام من غرفتها على صوت جالا بابتسامة بشوشة
السعادة لا تفارقها منذ أن قُبِلت بتعيينها بهذه السرعة..

ستدخل عالم ليست جديدة على التعامل معه ولكن بدور جديد
وستكون حتما مرحلة جديدة ومشرقة من حياتها..

تقدمت للطاولة لترى أن أمها لم تدخر أي جهد بصنع الكثير من
الأطباق والأصناف المختلفة بالرغم من أنه جمعة بسيطة بينهم
كعائلة صغيرة..

ما إن وضعت جالا طبق بسبوسة بالفستق الحلبي حتى هتفت
هيام لوالدتها تعاتبها برفقة

((أمي.. لقد أتعبت نفسك بإعداد كل هذا.. لم يكن هناك داعي
للاحتفال بتعييني للوظيفة.. يكفي ما تكلمتم به يوم مناقشتي
برسالة الدكتوراه))

ضيقت جالا عينيها بغیظ ما أن تقدم راجي وهي تسحب إحدى
الكراسي لتجلس عليها قائلة وابتسامة عبثية ترتسم على شفاهاها
((معك حق.. بالنهاية لن يأكل أحد كل هذا إلا راجي))

ضحك راجي بصوت عالي مسموع لهم بعد أن خرج من
غرفته وهو يرتدي بلوزة وبنطال بيتي لتهنئ والدتها تحاضرها

((فليأكل ما يريد ويشتهي لا تحسديه يا جالا على لقمته.. فمن
يطهو غيره لك ويملا معدتك بالطعام عندما أتأخر بعلمي؟ هو
شاب له شغف وحب بالطهي وأنت فتاة مخطوبة لا تستطيعين
قلي بيضة.. أراهن أن زوجك سيعيدك لنا بعد عدة أيام))

حركت هيام رأسها موافقة وهي تلوح بإصبعها أمامها بعد أن
قربت رأسها من جالا الجالسة بجانبها قائلة

((أنا بالفعل الآن أشعر وظيفه مرموقة ومتعبة ومع ذلك أحاول
احتراف الطهي.. أما أنتِ يا جالا فلا تخرجتِ من جامعتك
وبنفس الوقت لا تفقهين شيئا بتدبير أمور المنزل))

لم تكن جالا قد قريت لقمة لقمها حتى شعرت أنها فقدت شهيتها
وهي تصغي لنهاية آخر كلمة من كلام هيام والوجوم يحتل
وجهها..

وقفت جالا من كرسيها وهي تقول بلوم لشقيقتها التي بلغت
الثانية والثلاثين من عمرها

((لا تقلقي أختي العزيزة.. فكما تربيين كارم عاد من روسيا
ووالدته قالت بأن والده سيحدد فورا موعد عقد القران.. وبعد
زواجي سأتعلم الطهو خطوة خطوة.. العقبى لك.. أتمنى أن
تعرضي كل مهارتك لزوجك المستقبلي))

صرخت سميحة تنهر جالا بلوم.. ولكنها لم تهتم لوادتها وهي
تغادر مائدة الطعام وتعود لحجرة نومها مغلقة الباب ورائها
بعنف..

كان راجي يأكل بهدوء ولا مبالاة وكأنه بعالم آخر لا يستطيع
سماع حديثهم..

بعد دقائق قام ببساطة من كرسيه بملامح منشرحة نحو هيام
وهو يخرج من جيب بلوزته علبة مخملية..

ما إن لمحت هيام ما يحمله حتى أوامت بياس منه وهي تهتف
بصوتها العاتب الذي يتخلله بعض الحماس

((أخبرتكَ ألا تكلف نفسك بهدية أخرى))

لم يرد عليها وهو يفتح العلبة ويخرج منها عقدا جميلا رغم
بساطته..

قال لها وهو يبعد شعرها البني الطويل عن رقبتها ليلبسه حول
رقبتها

((هذه هدية الوظيفة.. وهي مختلفة كلياً عن هدايا التخرج التي
قدمناها لأختي العزيزة الدكتورة هيام مع أحر التهاني
والتبريكات بمناسبة حصولها على درجة الدكتوراه))

أقترب يقبل جبينها وهو يقول

((اسأل المولى لك يا هيام دوام الفرحة والسعادة والنجاح..
واسأله لك دوام التوفيق وأن ينفع بك ويعلمك.. ألف مبارك يا
أختي))

ثم عبث بشعرها الكثيف بحنان فأغمضت عينها ضاحكة رغم
أنه يفسد تصفيفة شعرها..

انتصبت واقفة من مكانه تجذبه لأحضانها بحنان أخوي..

لم تستطع سميحة أن تمنع نفسها من أن تبتسم بسعادة بعيون
دامعة وهي تتمتع بذلك الإحساس الجميل من الأمومة والفخر
بداخلها بدون أي كلام..

خاصة أصغر أبنائها فراجي لا يفوت على نفسه أي فرصة
لدعم أختاه..

حتى مع أن علاقته مع هيام ليست وثيقة كما هي مع جلال..
ربما لفرق العمر الذي ما يقارب اثني عشر عاماً..

ولكنه بالتأكيد هو رجلها الأفضل بعالمها.. خاصة بعد أن خذلها
كل الرجال بحياتها.. والدها.. والشاب الذي أحبته قبل أن يغدر
بها ويتزوج من فتاة بمثابة ابنة عمها..

تحب فعلاً تقارب أولادها الثلاثة من بعضهم..

تحب فكرة أن لبناتها سند مثل راجي.. رجلهم حتى بصغر سنه..

راجي الذي كان بنفس الوقت عوض لها هي كام وسعادة أبدية..
عوض عن حياة سابقة متخاذلة.. عوض عن حلم تحقق وترى فيه كل الدنيا..

استدارت برأسها لغرفة جالا فتحولت تعابير وجهها لشيء من الحزن..

تعرف أن جالا الآن لم تقصد جرح هيام بل كان ردة فعل فأعصابها تالفة منذ رجوع كارم..

والدته قد فاتحتها بشكل واضح بموضوع عقد القرآن..

لكن ومنذ عودة ابنها من السفر وحتى الآن لم يتحدث أحد مع والد جالا بشكل رسمي حتى مع اقتراب مغادرة كارم لروسيا..

قالت هيام هامسة بإعجاب وهي تنظر لنفسها بالمرأة المعلقة على الحائط وسط الصالة بينما تلامس العقد حول رقبتها

((انه لطيف للغاية))

قال راجي من مكانه بسخرية مرحة

((سعيد أنه أعجبك مع أنني اشتريته بدون تفكير بذوقك وأجده لا يناظر الهدية التي تسحقينها))

صممت هيام للحظات ثم رفعت أهدابها تنظر له وهي تفكر أنه هديته هذه المرة بسيطة بعيدة عن فخامة وبهجة الهدايا السابقة..

بدأ العيب يظهر على وجهها وهي تنظر لراجي وتفكر بشقاوة أن السبب ربما لأن تلك الفتاة لم تساعده بشراء هذه الهدية كسابقاتها..

ليلا..

خرجت جالا لشرفة حجرة نومها ومكانها المفضل ورفعت
عينها للسماء الصافية تتأمل جمالها الخلاب بتعجب لا يخفي
وهي تخرج تنهيدة طويلة من قلبها ثم نظرت أمامها لمنزل
جيرانهم أبو كارم..

لطالما حوت هذه الشرفة ذكريات عديدة لها معه..

أما الآن لم تعد تعلم ماذا سيحدث بعد.. والجميع من حولها
صامت.. يتعاملون بطبيعة وكان لا أحد غيرها ينتظر شيئا..

عذرت كارم لانقطاع علاقته بها كليا إلا من بعض السلام الذي
يرسله مع والدته لها بعد سفره بحجة ضغط الدراسة الصعبة
والغربة..

لكن الأمر مختلف منذ عودته.. منذ عودته ولم يزرها حتى..

هي زارته فقط مرة وحدة بمنزله وهو استقبلها بتناقل وتكاسل
واعين ناعسة شبه مغمضة وكان طوال الجلسة جامد لا يبادر
بالكلام..

فشعرت بانه غير مرحب بها واستأذنت الرحيل..

وأیضا عازت حينها سبب جموده بانها جاءته بوقت غير
مناسب..

اعتاد والدها بالماضي ومن صغرها أن يلحن على مسامعهم
جميعا بما فيهم كارم أنه لا يرغب أن يزوجها من خارج العائلة
وبالتالي فزواجها من كارم مستحيل..

هل يمكن أن يكون والدها له علاقة بما يحدث الآن وفعل شيء
من وراء ظهرها؟ نعم ذلك وارد ولم لا؟

لكن بنفس الوقت لو كان والدها ضد زواجها من كارم نهائيا لما
رضخ قبل سنوات لخطبتهما ولما بدا عليه الهم عليها..

زفرت جالا بضيق وهي تضرب الحائط بكفيها بخفة..

كل ما يحدث الآن غير مقبول فكارم يسير في العلاقة معها منذ
عودته من روسيا حسب أهوائه..

يتحدث معها على الهاتف بالساعات في يوم ويتجاهلها لأيام..
يرسل لها رسالة ثم لا يرن هاتفها بعد ذلك طيلة الأسبوع..

وعندما أخبرته انه حان الوقت للجلوس سويا وتقييم علاقتهما
أخبرها ببساطة أنها مزعجة وكثيرة الشكوى..

من الواضح أنها الآن ليست من أولوياته..

جلست جالا على كرسي وهي تدفن رأسها بكفيها وشعور
الخدلان يحيطها من كل شيء.. فلطالما كان كارم كل شيء
بالنسبة لها..

على الجانب الآخر من البيت.. حجرة نوم هيام..

كانت هيام قد انتهت توا من ترتيب أغراضها في خزانها
الخشبية الضخمة بغرفتها الواسعة المفروشة بخشب الخيزران

لتجلس على سريرها الضخم المحاط بستائر من حرير
ودانتيل..

رغم أنها تعتبر أن عائلتها ومنذ البداية أقرب للغنى إلا أن
وضعهم المادي تحسن أكثر..

ربما لأن هناك أكثر من جهة تدير النقود عليهم.. سواء من
والدها أو والدتها أو عمها ثائر أو هي..

فيمكن القول إنها نجحت بحياتها كثيرا على صعيد العمل فمنذ
تخرجها استطاعت أن تكمل دراستها العليا وان تشغل عدة
وظائف سواء بالمدارس أو حتى بمراكز تقوية..

كانت طوال فترة عشريناتها فتاة منتجة ومجتهدة..

ربما لأنها كانت تريد أن تشغل وقتها بدون أي فترة راحة حتى
لا تعطي لعقلها أي مجال لتفكر بمن حبه كل يوم عن الأخر
يغرس بروحها الاف الرماح ليترك لها أثرا لا تمحوه السنين..

وبالمقابل يؤلمها أنه رغم كل ما كان بينهما لا يزال قادرا على
محوها من حياته وكأنها لم تكن ويتزوج من غيرها ويعيش
الآن معها حياة مثالية..

ارتجفت هيام من نسمة هواء باردة أطلت عليها بهذا المساء
لتحيط كتفها بذراعيها قبل أن تتقدم من نافذتها الواسعة التي
تطل على الأشجار والحقول الخضراء..

وقفت أمام النافذة تنتشق هواء النسيم العليل وقد استرسلت
التفكير بحاضرها ومستقبلها..

هل ستظل تعيش بهذه الرهينة الاختيارية لآخر عمرها؟

إذا كان هو تحامل كمحب لها على نفسه ووفق إلى زواج ناجح
ويعيش سعيداً هانئاً ناسيا حبه السابق بعد أن غير نظرتة
ويوصله قلبه إلى شريكة حياة جديدة غيرها..

فلماذا لا تفعل مثله؟

هل لأنها تعتقد أنها لن تنجح بالزواج من غيره؟

فالزواج من غيره يجعلها تائهة أمام طريقتين..

بالطريق الأول لن تجد نفسها قادرة على تحمل غيره وستختلق مشاكل من توافه الأشياء لتنتهي بالطلاق..

أو أن تستمر بالزواج مع شخص لا تحبه..

وحينها ستعيش في أعماقها خيالاتها الخاصة بها مع من أحبته في قلبها لتكون كثيرة السرحان والأنفصال عن الحقيقة ولن تشعر بالسعادة في زواجها مهما حصلت عليها.. لا مع الزوج ولا مع أطفاله..

تتهدد هيام بياس وهي تفكر أنها ربما عنها تشعر بالحق على احمد وعلى أسرته..

وحتى والدها رغم معرفتها بعدم تقصده ظلمها أو إيلاها..

هي الآن تمضي حياتها فقط بكم كرها لهم جميعا..

ولو أن حبها بالسابق لهم لم يكن كبيرا أو أنها لا تمتلك وازع ديني يردعها لحاولت تدمير حياتهم جميعا ليعيشوا حالة الكآبة التي تعيشها هي..

شعرت هيام بدمة يتيمة هادئة تنزل على وجنتها وهي تفكر بأنها أصبحت مثيرة للشفقة حد أنها تكره كل من سهل زواج احمد بغيرها..

كما تكره قريبتها إيمان التي تزوجته.. قريبتها التي لا تعرفها حتى ولم تلتقيها بشكل شخصي يوما..

مهما فكرت بأنها سعيدة بوظيفتها إلا هناك جرح عميق يسكن
بداخلها يرفض أن يلتئم أو أن يخف إلى حد أن يجعلها تتمنى
الهروب بعيدا عن كل شيء..

صحيح أنها قررت ألا تتزوج أبداً ودائما ما ترفض جميع
الفرص والعروض التي تأتيها..

ولكن ما زال البقاء هكذا كعازبة وحيدة أمر صعب جدا عليها..
تحركت هيام نحو سريرها لترقد عليه وتسبل أهدابها تغيب عن
عالمها من جديد..
وتذهب بعيدا لذكرياتها بالماضي..

عندما كانت بالثامنة عشر من عمرها.. أي قبل أربعة عشر
سنة..

إلى إشرافه شمس يوم جديد وبداية مرحلة جديدة من حياتها هي
هيام..

مرحلة تبدأ بعد انتهاء مشوار اثني عشرة سنة دراسة في
المدرسة ألا وهي الدخول للحياة الجامعية..

مرحلة ستكون مختلفة كثيرا عما يسبقها في رحلة التعليم..

فكيوم أول لها في الجامعة شكّل الأمر نوعاً من الخوف في
داخلها ونوعاً من الأنهار بالوقت ذاته..

فهناك الكثير من الاكتظاظ في الجامعة خصوصا خلال اليوم
الأول..

وهناك الآف الطلاب سيمرون بجانبها.. طلاب بشكل عام
حضروا من أماكن مختلفة وثقافات مختلفة..

بالرغم من أن قلة كبيرة من الفتيات بقريتها يخترنّ الدراسة بدلا
من الزواج بتلك الأيام.. أيام التسعينات..

لكن تأثير والدتها سميحة كان له الأثر الأكبر عليها.. فهي دائما ما تنصها باتخاذ الشهادة كأولوية لها قبل كل شيء..

استيقظت هيام في تمام السادسة.. أنهت من استحمامها ثم بدأت تلبس ثيابها التي كانت عباره عن بنطال جينز باللون الرمادي وقميص اسود مع ستره من نفس لون الجينز ثم ارتدت حذاءها الرياضي..

فقد حذرتها عبير ابنة خالتها التي تكبرها بسنة بأنها ستمشي مسافات طويلة..

سرحت هيام شعرها وتركته بانسيابيه على كتفها ومن ثم أخذت حقيبتها لتضعها على طاولة المطبخ لتعد إفطارها..

لم تضع مساحيق التجميل فجمالها طبيعي وهادئ لا يحتاج لشيء يظهره..

والدتها وإخوتها راجي وجالا نائمون في هذا الوقت لا يلزمهم النهوض قبل ساعة من الآن على عكسها هي عليها النهوض مع أذان الفجر تلاحق نفسها لتتجهز وتصل بالوقت المحدد لجامعتها..

لم يتحمس أحد من والديها ليومها هذا بما فيه الكفاية لينهض معها ويشاركها في كل خطوة للاستعداد اليوم بالرغم من أنها أكبر إختوتها بسنوات وأول فرحتهم وأول من سيخوض منهم هذه التجربة..

رغم طلاق والديها وتزوج أبيها مرة ثانية وإنجابه أربع فتيات من الأخرى..

إلا أن يسكن مع عائلته الأخرى بنفس القرية وبنفس الحي الذي تسكن فيه هي مع إختوتها وأمها لذا لم تشعر مجملا بافتقاد والدها..

كانت تزوره بشكل يومي وتجلس عنده بالساعات..

لكن الآن ومع دخولها مرحلة أخرى بحياتها لا بد أنها ستكون مشغولة وستكتفي برؤية أبيها نهاية الأسبوع فقط..

والدها طبعاً اكتفى الأسبوع الماضي بمرافقتها من أجل استكمال أمور التسجيل والتجوال بين الكليات والممرات قليلاً للتعرف على قاعات المحاضرات وأماكنها..

بينما والدتها اكتفت ببعض النصائح التقليدية على سفرة العشاء العائلية بالليله السابقة مثل الذهاب إلى الجامعة باكراً فالمُحاضرون يفضلون الطلبة المجتهدين والابتعاد عن تجمعات الفتيات والشلل المشبوهة والمشكوك بها قدر الإمكان..

أنهت هيام طعام واي شيء آخر لتخرج مهرولة للمكان الذي اتفقت فيه أن تلتقي عبيير..

لن تتكرر مدى التوتر والخوف والرهبه التي تنتابها في هذا اليوم خاصة وأنها ستنقل من مجتمع المدرسة الصغير إلى مجتمع أضخم وأكبر ولن تكون على دراية بمن هم يرافقها كالمراحل السابقة..

ولكن رهبتها قلت عندما وعدتها عبيير بانها سترافقها وتلازمها بأول أسبوع لها حتى تعتاد الذهاب لوحدها وتجد الرفقة المناسبة لها..

عبيير بالإضافة إلى أنها تكبرها بسنة.. فهي فتاة مندفعة وواثقة بنفسها..

التقت هيام بعبيير وأوصلتها الحافلة التي تُقلها لصرح الجامعة..

لتنزل هيام هي وجميع الطلاب منها ويدخلوا من البوابة الرئيسية للجامعة والمخصصة لهم..

تأملت هيام كل ما حولها منبهرة بجمالية وضخامة مركز جامعتها بالرغم من أنها ذهبت إليها الأسبوع الماضي...

سألته عيبر ما إذا كانت متوترة خصوصا وأنها ستندم في اليوم الأول لها بكم هائل من الطلاب لكن هيام نفت بغير تأكيد..

ثم أضافت مبتسمة

((ربما أنا منبهة يا عيبر.. رؤيتي للكثير من الطلاب واختلاف الثقافات كلها لا تخيفني.. بل انظر إليها كعالم جديد لكني متحمسة لأمضيه وأعيشه))

بادلته عيبر الابتسامة لنقول

((وفي حال كان في المحاضرة مئة طالب وطالبة على سبيل المثال.. أنت لست مجبرة بمعرفتهم وأسمائهم لا تعنيك.. هم زملاء معك في المحاضرة لا أكثر.. عندما كنتُ بسنتي الأولى.. كنت في أول أسبوع احضره أعيش في رعب شديد من الحياة الجامعية وما اسمعه عنها وكنت اشعر بأنني سأكون ضائعة في وسط الأعداد الكبيرة جدا بالجامعة فالفارق كبير بين المدرسة والجامعة.. الآن عندما أتذكر تلك الأيام اضحك على نفسي))

استمرت الفتاتان بالمشي مروراً بالبوابة الضخمة.. ثم حدثت عيبر بنظراتها نحو الشجرة الضخمة التي أمامها فتوقفت لتومئ بعينيهما لهيام لتتنظر إلى علو وشهاقه الشجرة..

ثم طلبت منها أن تجلسا معا على العشب ويستضلا تحت ظلها..

استرخيتا وهما جالستان لتتأمل كلتاهاما الأجواء من حولهما..

بقيا على هذا الوضع لدقائق فمن فرط نشاط وحماس هيام جعلتها تذهب معها باكرا لتصل الجامعة وما يزال هناك متسع من الوقت وأكثر من نصف ساعة قبل أن تبدأ أولى محاضراتهن..

تتحنحت هيام بصوت عالي وهي تتطلع لعيبر بوجه ساخر ولهجة عابثة

((تبتدين سعيدة جدا اليوم ومتمحسة يا عبير.. ظننت أنك
ستكونين تعيسة مع بدء العام الدراسي الجديد والعودة لمقاعد
الدراسة خصوصا وأنت لست مستعدة متمحسة ساذجة مثلي))
ردت عبير على الفور بحاجبين معقودين وهي تحاول أن تمنع
نفسها من أن تبتسم بلا فائدة

((أنا دائما سعيدة.. ربما اليوم فرحتي وابتهاجي زائدة بالرغم
من انتهاء إجازتي لأنني أخير سألتقي بصديقاتي بعد غياب
أشهر.. اشتقت لهن كثيرا.. تعرفين أغلبهن لسن من مدينتنا..
ولا يمكنني أن التقيهن وجها لوجه بالإجازة))

غمزت لها هيام بعينها اليسرى وهي تبتسم بنفس العبث مضيفة
((ألسيت أيضا مبتهجة للقاء شخص معين على وجه
الخصوص؟))

غطت هيام فاها بيدها ثم مالت لها هامسة

((حمستني للقاء هذا الإياد أكثر منك.. لم تزيه منذ أشهر..
صحيح؟))

ضربت عبير بيدها كتف هيام بخفة وهي تحافظ على ابتسامتها
التي تتسع رغما عنها..

عم الهدوء بينهما لدقائق.. كان عيون عبير ذاهبة كأن ذهنها
شارد بمكان آخر قبل أن تلتفت لهيام تخبرها بإماعة

((لدى إياد شقيق يصغره بثلاث سنين أي هو بعمرك.. ربما
يكبرك ببضع أشهر))

ذهلت هيام منها فعلى ما يبدو أن علاقة عبير بإياد جدية إلى حد
أن عبير تعرف كل شيء عن إياد وعائلته وحتى أدق التفاصيل
كعمر شقيقه الأصغر..

استرسلت عبير

((إياد من عائلة متوسط الحال تقريبا مثلنا أو أقل بقليل.. وبالرغم من أن والديه غير متعلمان إلا انهما حرصا على توفير كل شيء لخلق بيئة مناسبة لتربيته هو وأخيه وتنشئتهما كما يريد أي أهل بالدنيا.. هم فخوران بما حققاه كل من إياد وشقيقه احمد رغم أنهما لم يجبرا إياد على دخول تخصص معين أو حتى الانتساب للجامعة من الأساس.. أنا حقا أحب شخصية إياد.. ليس كغيره من الشباب المدللين الفاسدين الذين رأيتم بحياتي لكن أحزن عليه أحيانا.. أخبرني انه يريد أن يعمل ليساعد والده بالمصروف ولكنه لا يستطيع.. لأنه لن يوفق بين دراسته وعمله.. لذلك أحيانا يشعر بانه عبء على والديه.. كان يفكر بان يدرس لسنة ويأجل سنة دراسية فيعمل بها ويدخر لرسم الساعات))

كانت تلاحظ عبير أن إياد يلبس دائما نفس البديل الجامعية وعدد قليل من القمصان والأحذية فلم يكن صعبا عليها الاستنتاج انه متوسط الحال تقريبا..

لكن أردفت عبير بفخر وبنبرة شديدة الاقتناع

((أنا لا يهمني حتى لو لا قدر الله لم يكتب له إكمال دراسته لن انظر له بأقل مما سبق.. هل تعتقدن أنه من يوفق من زملائه ويكمل للنهائية سيكون أفضل منه أو اعقل منه ونحوها؟ لا طبعاً فعقل الإنسان ومواهبه لا تقاس بكرسي يقبع فيه بين أربع جدران واسعة بل بهمته وطموحه وحسن ظنه بربه.. فأياد كما يقولون رجل رجله في الثرى وهامة همته في الثريا))

ابتلعت هيام ابتسامه دهشة أثناء إصغاءها لعبير وهي تضع يدها في جيوب سترتها وعيائها تارة تنظر أمامها بالمارة والطلاب على الطريق وتارة تنظر لعبير..

يبدو أن علاقتها وتفكيرها بهذا الإياد جدية جدا..

بعد لحظات تصنعت عبير التفكير قليلا قبل أن تعود لطبيعتها
المرحة وهي تخبر هيام

((هيام اعرف أن ظاهرة العلاقات بين الشباب والفتيات
ستستدعي اهتمامك فهي تمثل لك اللوهلة الأولى الحب وجو
رومانسي حيث يجلس كل اثنين متشابكي الأيدي وتتلاقى
نظراتهما بحب لبعضهما.. لكن هذا الأمر غير صحيح.. بعيدا
عن كلامنا الآن لكن صدقيني طوال سنتي الماضية.. أنا بالكاد
تحدثت والتقيت بإياد خارج محاضراتنا.. كما أن أخي عمرو
يعرفه.. عدا عن ذلك أنا لم اجلس أو امشي معه منفردا.. كل ما
بيننا مجرد أحاديث دراسية وأخرى رسمية جدا.. إنه يعرف
أخي عمرو ومعجب به وقد دعاه لوجبة غذاء في منزل عائلته
وطلب مني مرافقة شقيق إذا استطعت))

شعرت هيام بالخرج من كلام عبير وتخبطت لا تعلم بما ترد
عليها..

صحيح أنها من قرية صغيرة ولم تجرب الاختلاط والسفر
كثيرا..

ولكن ليس كأنها متحمسة لفكرة دخول الجامعة لأنها تتمنى
العثور على الحب داخل أسوارها حتى ولو سمعت قليلا عن
قصص الحب في الجامعة..

صحيح هناك بداخله بعض الثنائيات ولا تعرف إذا كان ما بينهم
حب حقيقي أم مجرد تسلية.. ولن تعرف إلا إذا عاشت الجو
بنفسها..

ولكنها دائما ما تكرر على نفسها أن والديها أرسلها هنا
للدراسة لا لشيء آخر وهي ليست من النوع التي ستخاطر
وتضع الثقة الموضوعية فيها لأي سبب ولأجل من كان..

التفتت عبير لها وهي تطالعها بهدوء وابتسامة عذبة على
شفقتها لتقول

((حسنا يا عزيزتي وبعيدا عن الحديث عن الحب والغرام..
فالحياة الجامعية جميلة جدا وحياتك قبل الجامعة لن تكون هي
ذاتها حياتك بعد الجامعة.. ستتغير كثيرا.. إلا إذا لم تقومي بأداء
شيء في الجامعة سوى حضور المحاضرات))

رفعت هيام إحدى حاجبيها لترد عليها بنفس السخرية

((لما تحدثيني كأني الفتاة المجتهدة بيننا.. بالكاد استطاع معدلي
بالتانوية العامة أن يسمح لي بأن أتخصص بالرياضيات))

نظرت عبير لها متوجسة

((لماذا تتحدثين كأنك اخترت التخصص مرغمة أو بغير
اقتناع؟))

ضحكت هيام بخفوت قبل أن تستلقي بجسمها كاملا على العشب
وتضع ذراعها تحت رأسها غير أبها لمظهرها وخاصة أنها
بأول نهار لأول يوم دوام رسمي لها..

أغمضت هيام جفنيها وسحبت نفسا عميقا تضخم له صدرها ثم
أطلقتته وهي تقول بجدية

((الأمر ليس كذلك.. لكن أنا لا أريد حقا أن أصبح معلمة..
لطالما كنت أنا وصديقاتي بالمدرسة نسيء ونسخر منهن
كثيرا.. لم نترك إنشا واحدا فيهن من دون تعليق لاذع عليه غير
نشر الإشاعات الكاذبة والصحيحة.. لكن الآن اشعر بالندم
وأكره أني لن أستطيع العمل بشهادتي إلا كمعلمة.. لا أريد أن
أصبح معلمة وأن يُرد لي كل ما قمت بفعله مع غيري))

وأمت عبير رأسها بتفهم لها لتقول بهمس متهمك عقب رقودها
هي الأخرى مستلقية بجوار هيام

((كما يقولون الدنيا دوارة))

بقي الصمت ساكنا بينهما لفترة يستمعون ل تغاريد العصافير
على الشجرة التي يتمتعون بظلمها قبل أن تنتهد هيام براحه
وتسألها والابتسامة لا تفارق وجهها

((إذن لم يسبق وان أخبرتني لماذا دخلتني الطب؟ هل بسبب
حصولك على معدل مرتفع؟ أم لحبك للتخصص نفسه؟))

ردت عبير بتلقائية

((لا هذا ولا ذاك.. إنما لأن والدي وأخي الذي يكبرني قد سلكوا
هذا المسلك قبلي كما تعلمين وأصبحوا أطباء.. فقررت ألا أكون
أقل منهم))

رفعت هيام رأسها قليلا تنظر لعبير بحنق وهي تقول لها
بتعابير جادة للغاية

((إذا كنت تشعرين أن الطب غير مناسب لك قومي بالتحويل
الآن.. هذه حياتك وأنت من ستعيشها لا عائلتك.. كما أنه مع
التقدم بالمواد ومتطلبات التخصص سيصبح الأمر أصعب..
وإذا لم تكن ميولك مع الطب فلن تتحمسي لإكمال الدراسة..
لطالما تحدثت والديك بقلق أمامنا عن انعدام حماسك ومعاناتك
والصعوبات الكثيرة التي واجهتها منذ أن درست الطب))

ابتسمت عبير لها باستخفاف قبل أن ترد مؤكدة

((مواجهتي صعوبة في بعض مواد ليست مؤشر كافٍ بأن
الطب لا يناسبني فكل التخصصات تحتوي على مواد تصعب
على الجميع.. كما أن انعدام الحماسة الكافية للدراسة لا دخل
بعدم توافق ميولي مع الطب.. السبب كان هو فقط ضغط
الدراسة علي.. وانا لن اسمح للضغط أن تسبب لي تشوش في
الحكم فأبني عليها قرارات مصيرية لحياتي))

أكملت عبير وهي تعاود إغلاق عيونها وتضع يديها تحت
رأسها وتقول بصوت ناعس

((كنت معتادة من صغري أن أكون المميزة بكل مكان اذهب إليه.. لكن الذي حدث أن دخولي للطب وتفوق الكثير من طلاب دفعتي عليّ في بعض المواد وامتلاك الكثير منهم قدرات أفضل مني في نواحي عديدة جعلني سلبية قليلة.. ولكن الآن أنا بسنة جديدة وصفحة جديدة وسأحاول أن أتعلم من أخطائي السابقة وأتأقلم أكثر))

هتفت هيام ببساطة

((معك حق خاصة أن مطلب "الاستيقاظ من النوم" سنجده في أغلب التخصصات..))

وكزت هيام عبير قبل أن تنتفض واقفة وتنفض الغبار عن نفسها وهي تغمز لها قائلة لها بشقاوة

((ربما شقيق إياد سيحضر معي احدى المحاضرات والتقي وأتعرف به))

ضحكت الفتاتان معا قبل أن ينهضا سويا يستعدان ليومهم الحافل والذي سينتهي بإرهاق تام وتعب ومواصلات مزدحمة متأخرة تجعل كلتاهاما يعيدان النظر بموضوع إكمال تعليمهم..

فبالنهاية الحياة الجامعية ليست هي الحياة النهائية للإنسان وبدونها تتحطم حياته..

بل على العكس أغلب المكتشفين والعباقرة لم يتخصصوا في الجامعة..

.

.

همّ احمد بالجلوس بإحدى مقاعد المكتبة مجاورا لشقيقه الأكبر
إياد حتى زفر بتعب..

حمل طوال الوقت كتب كليته الكبيرة بعد أن تجول مع إياد بعدة
أماكن ليطلع ويتعرف على جامعته الجديدة وبعد ذلك تناولا
وجبة فطور شهية..

فتح احمد حقيبة الظهر حتى يخرج دفتره الذي رسم عليه
خريطة تقريبية للجامعة يستدل بها كل مكان ذهب إليهم حتى
يعتاد ويحفظ طرق الوصول إليهم ثم تطلع لإياد الجالس
بجانبه..

الماكر! جعله يمشي ساعة بأكملها بحجة انه سيأخذ من شقيقة
دكتور يعرفه أوراق منها تخص الدراسة..

وما أن وصلا للمكان.. حتى مرت دقائق قبل أن تصل شقيقة
الدكتور هي وابنة خالتها الجريئة..

نعم جريئة.. لم يرى فتاة بجرأتها.. كانت تنظر إليه هو بالتحديد
بلا خجل أو حياء وتتفحصه بأكمله كأنها خاطبة وتريد أن
تخطبه لأحدى الفتيات فتأكد ما إذا كان مناسب لمعاييرهن..

لقد خجل من نظراتها لدرجة أن اطرق رأسه للأسفل..

لأول مرة يرى نظرات عابثة جريئة من فتاة.. بدت مليئة
بالغرور..

ابتسم احمد بعمق وهو غارق بالتفكير فيها حتى الآن قبل أن
يننفذ فجأة عندما ربت إياد على ذراعه وكتفه..

فنظر بتوجس لإياد الذي تحدث معه بتهكم

((بم أنت شارد هكذا يا احمد؟))

زم احمد شفتيه وهو يبادلہ النظر ولكن بحق فضحك إيد
بخفوت حتى لا يزعج الطلاب الذين يدرسون حوله بالمكتبة ثم
قال هادرا لشقيقه المتمزمت

((دُنيا عجيبة يا احمد.. بالأمس كنت بالحضانة تشكي لي الطفل
الذي سرق غُلبة عصيرك.. ثم مررت بالابتدائية وأتذكر بكاءك
لي من الأستاذ الذي خفض علامة امتحان لك ظُلماً.. والإعدادية
وأول عراك لك خضته مع أصدقائك وشكوتني لوالدي لأنني لم
أتدخل وأساندك وادخل نفسي بمشاكلك مع أصدقائك.. ومن ثم
أيام الثانوية.. كلها هذه الذكريات تمر وتجري في ذهني وأمام
عيني الآن))

أشاح احمد وجهه مبتعدا بناظريه عن إيد و غضبه يمنعه من
حتى التفكير في التحدث إليه..

فسخر إيد من قسمات وجهه العابس..

ثوانٍ وسرعان ما تغيرت ملامح وجه احمد ليضرب براحته
ظهر شقيقه قاتلا

((رباه.. أنا مُقبل على طريق جديد.. كلية الطب البشري
سنأوبني الآن.. أنني فعلا في بداية الطريق لأصبح طبيبا أن
شاء الله))

هم إيد يجمع كتبه وأوراقه ليبدأ بالدراسة بشكل جدي قاتلا
لشقيقه دون أن ينظر له

((فقط تذكر يا احمد أن تأخذ الأمور بروية.. وصدقني السنة
القادمة ستمشي بالجامعة كأنها بيتك.. والآن أريد أن أذكر عدة
أشياء))

مرت ساعتين وهما على وضعهما بالذاكرة..

عيناها وأذهانها لا تركز على أي شيء إلا الكتب والأوراق
أمامهم..

حتى اخرج احمد مندبلا من حقيبتة الظهرية ليمسح جبينه الذي
تصفد بالعرق..

زفر بضيق والتعب يرهقه ويثقل كتفيه ليتهدل ويظهر على
وجهه بشكل كبير..

وجو المكتبة الخانق والخالي من أي تكيف أو تهوية لا يُساعد..

ارجع احمد كرسيه للخلف حتى يقف مما جعل أيد يَلتفت
للأعلى إليه وهو يعقد حاجبيه ويسأله باهتمام

((أنت بخير؟))

أوماً بحذر هامسا وهو يفرك عينيه

((لا اشعر أني أستطيع الرؤية جيدا.. لقد تعبت قليلا))

هز أيد رأسه بغير رضى قبل أن يقف وهو يمسك كتف أخيه

((ارتاح قليلا وتوقف عن إرهاق نفسك.. ما زالت ببداية
الفصل.. لا داعي للمبالغة بالدراسة من الآن))

رد عليه احمد وهو يبعد يدي إيد عنه بتذمر

((لا.. لقد تعبت من المشي الذي أجبرتني عليه وربما تعرضت

لضربة شمس فالطقس لا يساعد.. كما أن الجامعة كبيرة..

اشعر أنها ارض عسكرية.. كأننا بوسط صحراء قاحلة.. يبدو

أنى فعلا تلقيت ضربة شمس))

هز إيد كتفيه وهو يقول عادا على أصابعه

((فقط احفظ كيفية ترتيب كلبتك التي تدرس بها معظم موادك

..مثلاً كل غرفه وقاعه مرتبه على الأرقام فلنستكشف كيف

يتزايد هذا الرقم من اليمين إلى الشمال أو العكس لكيلا نتوه

كثيراً.. احفظ مداخل ومخارج الكلية جميعاً مكان للطباعة

و الكافيتريا حتى تعرف كيف تصل بأقصر وقت عند التأخر

حتى لا تعرض نفسك لموقف مضحك وسخرية من هم أكبر منه.. وستشعر بهذا المكان أصغر))

حقّق احمد به بلا ملامح لمدة وهو يرفع احدى حاجبيه..

الحقيقة لا يظن أنه سيعاني كثيرا..

ليس كأنه من النوع الاجتماعي.. سينفرغ للدراسة وحسب.. فقط للدراسة ولا شيء غيرها..

ولكنه هدر لأخيه إياد بالنهاية وبامتعاض

((لا تتوقع أن أصادق أحداً لا اعرفه منذ أول يوم.. قد أتكلم مع زميل حديث عادي.. وربما بعد أسابيع.. لا تقلق سأجرب كل شيء.. قد أتصرف بحماقة لكن لا يهم فأنا جديد هنا ومعذور مهما افعل))

مد إياد يده للأمام ليدل احمد على مكان دورة المياه ليغتسل ويعيد نشاط دورته الدموية. وقال له مشجعا إياه

((لا يجب عليك يا احمد أن تبقى على طبيعتك هذا.. كن نشيطا أكثر.. عندما تذهب لمكتبه الكلية هذه بالأيام القادمة من دوني.. كون معارف عامه واتخذ منهم أصدقاء محبين للعلم وشغوفين به.. ستصبح لك شبكه علاقات كبيره.. ستتعلم معنى العطاء.. بالإضافة لتقوية مهارات كالتحدث أمام الآخرين وتبادل الأفكار))

أوما احمد برأسه أثناء إصغائه لكلام أخيه الذي بدأ يتشجع للعمل به..

ربما عليه أن يخرج من دائرة نفسه ويعيش حياته ببساطه.. وربما عليه أن ينضم لنشاط طلابي قوي..

تشبث احمد بصمته ليضيف أياد

((كلية الطب البشري هذه كتبت للتمويه فقط يجب تسميتها كلية التأهيل النفسي الصعب.. لا أريد أن أصيبك بالهلع لما ستلاقيه في كلية الطب.. ستفهمني لاحقاً لكن الآن استمتع بلحظاتك الأخيرة من الحرية لأنها ستنتهي قريباً.. دورة المياه المخصصة للذكور بأخر الممر بالمكتبة.. ادخل وسأعود لمقاعدنا فوراً لأنتبه على أشياءنا التي تركناها هناك))

أوماً احمد بهدوء وهو يدخل دورة المياه بخطى مهتزة ومباشرة يفتح الصنبور لتنزل المياه على اتساع راحتيه ليرش وجهه بالماء فوراً..

نظر احمد لنفسه بالمرأة وهو يفكر بأنه لا يجب أن يراه أحد بلك الحالة المزريّة..

وجنتيه تشتعلان بالحرمة.. متأكد أنه أخذ ضربه شمس جراء مشبه الطويل مع إياد.. والأحمق كان يريد أن يمشي مجدداً.. غسل احمد وجهه أكثر من مرة بالماء عله يخفف من إرهابه.. استند احمد على الرخام المقابل للمرآة..

لقد مشى كثيراً من الصباح ولا يزال اليوم بأوله.. فتح وأغمض عينيه عدة مرات..

كم يريد النوم الآن ويشعر بالأسى لأنه لا يستطيع ذلك.. عاد إلى مقعده بالمكتبة وما أن سحب الكرسي حتى يجلس عليه وقع ناظريه على تلك الحسناء الجميلة الجريئة..

ضيق احمد عينيه بنظره ثاقبة تكاد تخترقها لمدة وهو يراها تغادر المكتبة..

كان تلك الحسناء الجريئة كانت هي وابنة خالتها عند طاولته عند إياد وغادرن قبل أن يأتي هو..

نهره إباد فجاءة

((توقف أيها الأحمق! لا تمنع وتطيل النظر إليهن لهذه
الدرجة.. سينتبهن عليك))

ما أن خرجن حتى نظر إباد له مبتسما منه هاتفا بوجه بشوش

((لقد استعارت عبيير كتابا من هناك ورأينا بعضنا صدفة
فتقدمت باتجاهي.. سلمت عليّ وتحدثنا قليلا ثم ذهبت.. الآن
اخفض صوتك ودعنا لا نتحدث أبدا.. أمين المكتبة كان يصلي
الضحى وعاد الآن لمكتبه وما أن يسمع همسا منا حتى يوبخنا
بإخراج أمام الجميع))

أوماً له احمد طائعا..

وما أن صمت أياد قليلا حتى عادي يهمس لأحمد لينظر إليه..

شيء ما تسلسل لعينا إباد كان فاضحا لمشاعره فتابع هدره
بصوت أجش

((دعوت الدكتور عمرو وشقيقته لمنزلنا بوقت لاحق للغداء..
الدكتور عمرو هو مثلي الأعلى.. لا اصدق انه قبل بكل تواضع
ليزور منزلنا.. سأطلب من أمي أن تجهز مائدة طعام شهية تليق
بزيارته.. أخبرتني عبيير بأنها ستحضر أيضا مع أخيها))

أمال احمد شفتيه بتهكم بينما عاد نظر إباد لكتبه وبدأ يتصفح
كتبه بدون تركيز أو وعي..

صحيح انه لا يختلط كثيرا بالفتيات.. ولكن يستطيع التأكد أن
عبيير مختلفة بالنسبة له..

عبيير هي الفتاة الوحيدة التي يمكن أن يرجف قلبه حباً بها..
إذن.. هل هو مجنون؟

لم يمضي على تعارفه بها إلا سنة واحدة حتى أنهما لا يحضران معا أي محاضرات..

عرفها عن طريق شقيقها الدكتور عمرو فكان يراها بكل مرة يأتي إلى مكتبه..

تحدثنا صدفه بمره من المرات عندما تشاركنا بنشاط بالكلية..

بعدها دائما ما يلتقيان ليتحدثا على الأقل مرة أو مرتين بالأسبوع..

كما واتفقا أن يحضرا سويا المتطلبات الجامعية ومعا..

بما أن المتطلبات الجامعية يمكن أن تؤخذ بأي موعد وبأي سنة او فصل بالجامعة..

ويمكن إياد القول إنه وقع بالحب في هواها من أوائل لقائته معها وحتى هذه اللحظة..

أما احمد فعاد من بين القراءة للغرق بالتفكير بتلك الجريئة..

يشعر بشيء يشده نحوها لذا لم يستطع إلا أن يدير وجهه لأخيه ويقطع أفكاره بسؤال

((تلك التي ترافق شقيقة الدكتور عمرو هي ابنة خالتها؟))

أعطاه إياد إيماءة "بنعم" فتلاشت تعابير محياه ليتحول للوجوم فحرك إياد رأسه بمعنى "ما بها؟"

لوى احمد فمه ورفع كتفيه بلامبالاة مزيفة مجيبا

((لا شيء.. أبدا.. مجرد سؤال.. هل تدرس الطب أيضا؟))

حرك إياد رأسه نافيا ثم قال وهو يستقيم من مقعده ويلكز ظهر أخيه

((هيا لنعود للبيت))

وعندما لم يجد رد فعلا من شقيقه خطف كتابه المفتوح أمامه
بسرعة ليركض فيه للخارج..

فما لبث إلا أن انتفض احمد عندما أدرك ما فعله شقيقه ليقوم
بتجميع ملحقاته من على الطاولة والركض خلفه..

دخل احمد القاعة ونظره شاخص نحو المقاعد الأخيرة التي
تحتلها بالعادة قريبة عبير.. تلك الجريئة..

اكتشف أنها تحضر معه هذا المتطلب الجامعي.. طوال الشهر
الماضي كان يراها ثلاث مرات بالأسبوع في هذه المحاضرة..

لم يسبق له وان تحدث أبدا إليها.. فقط يلمحها ومن بعيد
بنظرات طوال المحاضرة..

لكن اليوم شعر بضعف اجبره أن يتبع قدميه اللتان تأخذانه إلى
المقعد الأمامي للمقعد المعتادة هي على الجلوس فيه..

وما أن قدمت هيام للقاعة برفقة صديقتها التي تعرفت عليها
حتى انتبهت للجالس أمام مقعدها فانسعت عيناها ولم تخفِ
ملامح التعجب..

هل قصد أن يجلس أمامها أم انه لا يتذكرها أساسا؟ فهي لا
تتذكر أنها عرفت أنه شقيق إباد من أول محاضرة أخذتها معه..

انتبه احمد للجريئة المتقدمة نحو مقعدها خلفه بكل هدوء ترتدي
اليوم على غير كعادتها ثوب قطني طويل..

ملاح وجهها صارمة على غير العادة إلا أن عيناها متألقتان
بمرح واندفاع..

عند بدأ المحاضرة وحضور المُحاضر الملزم بشرح هذا
المساق لاحظت هيام أن رفيقتها الجالسة بجوارها وعلى غير
العادة قررت أن تزيد من درجة المزاج والضحك أكثر من
المحاضرات السابقة فبدأت تتحدث وتضحك وتمزح أثناء
المحاضرة..

وبسبب طبيعة هيام الساخرة لم تقدر ألا تبادلها مزاحها
وتضحك على نكاتهما وسخريتهما..

وهو وبكل استغراب لم يستطع ألا يدع حديثهما التافه يستحوذ
على اهتمامه ولا يركز بأي كلمة تخص المحاضرة مما أثار
حنقه إلى حد أنه يمكن لأي أحد أن يشاهد تغيرات تعبيراته من
الغضب للضحك وللانفعال للابتسام رغما عنه..

لا يصدق انهما ومنذ بدء المحاضرة وهنَّ يتحدثان ويتهامسان..

حتى أن صديقتها بدأت تعرض عليها أن تشارك معها خفية
تناول بعض الوجبات الخفيفة الموجود على حجرها حيث لا
يقدر أن يراها أحد كونهما بالمقعد الخلفي داخل قاعة واسعة
تضم مئات الطلاب..

صحيح أن هذا المساق ليس بهذه الصعوبة ولكنه ليس عذر
كافي ولا يوجد مبرر لاستهتارهم الكبير..

لطالما كره احمد الجدي المستهترين بشكل كبير..

فتح احمد صفحة أخرى بدفتره الجامعي بغضب وبدأ يخط بقلمه
بعنف ويكتب..

جفل فجاءة وتلاشى الغضب من وجهه عندما قامت هيام بلكنز كنفه بورقة تخبره أن يتفضل بأخذها..

بقي للحظات متمسك بوضعه حتى قال بحق

((لا شكرا لا أريد.. تناولت فطوري قبل أن آتي))

لم تمر ثانية حتى شهقت الفتاتين وراءه من شدة الضحك دون اهتمام بنظرات وانزعاج بعض أنظار الجالسين بقربهم..

تعجب واستدار احمد للخلف باستغراب حتى استوعب عقله أنها قصدت انه تعطيه ورقة الحضور التي طلب المحاضر أن تُلَف على جميع الطلاب بالقاعة بالترتيب لتسجيل حضورهم..

نظر لهما بغيظ شديد.. وخص هيام أكثر..

وهي ما أن لمحت النظرات الظاهرة في عينيه حتى سكتت ضحكاتهما تدريجيا وبدأت بالخفوت حتى صمتت وتبعثها صديقتها مها في سكوتها تماما قبل أن تنزلا رأسهما إخراجا منه..

رفعت هيام رأسها قليلا لتجده ما يزال ينظر إليها بالتحديد مع نفس نظراته فنفخت خديها ضيقا من استمراره بالنظر إليها فشغلت عيونها بالنظر لسقف القاعة..

((الطالب بالمقعد الأخير انظر للأمام))

كان صوت المحاضر يعلو ويخاطب احمد فعاد يستدير للأمام وهو يفكر انه لا يريد إلا أن يحطم راس ثقيلة الدم الجريئة..

مبديا لا يعرف إذا كان سيقدر أن يجلس أمامها فهو لا يقبل بأقل من علامة عالية لأي مساق يأخذه..

بنهاية المحاضرة طلب المُحاضر من الطلاب كتابة تقرير عن موضوع وتسليمه بالمحاضرة القادمة منبها انه سيختار عشوائيا

بعض طلاب للتقدم أمام الجميع وقراءة تقاريرهم.. وهناك درجات على طريقة الألقاء والتحدث بالثقة..

بداية أول أسبوع وبداية المحاضرة كانت هيام ورفيقتها مها التي تجلس بجوارها متجهمات..

حان وقت الجد ولا مزيد للاستهتار..

انتهى وقت الضحك والمرح والآن تكاد كلتاهما يغمى عليها من فرط التوتر..

أخبرهم المحاضر أنه سيختار عشوائيا عدد من الطلاب ليلقوا التقرير الذي كلفهم بكتابته على مسامع كل من في القاعة ومن ثم سيأخذ التقارير من باقي الطلاب..

وها هو المُحاضر ينظر بتفحص منذ دقيقتين على ورقة قائمة الأسماء جميعها ليختار اسم أحد الطلاب..

سوء الحظ جاء معناه حرفيا عندما يهتف المحاضر عاليا على أسمها ليقع الاختيار عليها ومن بين أكثر من مئة وخمسين طالب

((هيام فيصل.. أين هيام فيصل؟ تفضلي هنا))

انتفضت هيام لتنتصب واقفة من مقعدها بسرعة وهي تجيب بأحراج وبصوت مهتز

((نعم دكتور.. ها أنا قادمة))

بقيت متجمدة بمكانها فأشار المحاضر بيديه لها لتسرع بالتقدم أمام الطلبة جميعهم وتقرأ تقريرها..

وبخطوات أخف مما عهدتها على نفسها بدأت تخطو للأمام..

وهذا ما دفع احمد ليرفع ناظريه ويراهها تتقدم للمنصة وتشد
خطواتها على استيحاء من الأعين المحدقة بها.. لتصل لها..

بالواقع لا يوجد شيء يثير التوتر.. كل ما عليه أن تقرأ ما كتبت
فلتهداً ولا داعي للقلق..

كانت هيام قد جهزت تقريراً في ثلاث ورقات عن الكتاب الذي
قرأته.. لكن ما أن وصلت المنصة حتى اكتشفت أنها نسيت
على مقعدها ورقتين من التقرير ولم تحضر إلا أول ورقة
كتبتها مع أن المحاضر شدد على أن يكتبوا ثلاث ورقات على
الأقل..

أغمضت عيناها وعضت شفتها السفلية بقهر.. من سابع
المستحيلات أن تعود لإحضار الورقتين وتعريض نفسها للحرج
أمام الجميع..

ازدردت ريقها واستمدت شجاعته لتتجاهل كل شيء وترفع
ورقتها أمامها وتبدأ قراءة بحثها بكل ثقة..

كفها مشدود ورأسها مرفوع.. ظاهرياً.. لكن داخلياً من شدة
الإحراج تشعر بنيران واللهبة أمام وجهها..

سكنت بعد أن أتمت قراءة صفحتها كاملة..

عمّ الهدوء الأجواء فشجعها المحاضر المشغول بتصفيح وترتيب
أوراق أخرى بحقيبته لتكمل وهو يهز رأسه وبدون أن ينظر لها

((أحسنت يا هيام.. هيا اكمل.. هيا))

تجمدت قليلاً ثم شعرت بالتوتر يزحف إلى أوصالها فهي بالفعل
أنهت قراءة الصفحة التي معها..

أخذن نفساً عميقاً ثم ومن دون أن تشعر أسقطت عيناها على
الصفحة التي بيدها مرة أخرى وما كان منها إلا أن أعادت
قراءة الورقة مرة ثانية وثالثة وربما مرة رابعة.. لا
تذكر جيداً..

كانت بكل مرة تقرأ سطر وتفتت قراءة السطر التالي وهكذا..

لم يلاحظ أحد أو يفقه مما قرأت تو.. وما أن انتهت حتى صفق
المحاضر بيديه لها ثانياً على تقريرها وشاركه باقي من في
القاعة التصفيق لها..

هزت رأسها بنصف ابتسامة للمُحاضر شاكرةً لتعود لمقعدها..

من الضغط والأحراج كانت تسمع جميع العمليات البيولوجية
في جسمها من ضخ الدم لنبضات القلب لكل شيء..

التفت عيناها بعينه للحظة قبل أن تجلس خلفه..

شعرت بخفقات سريعة بصدرها.. وبأن روحها توشك الآن
على الهرب..

فمن بين المئة والخمسين طالب كان واحد فقط من يصفق
بابتسامة تهكم جانبية..

كان الوحيد المنتبه للهراء الذي تقوله وكان يحدق بوجهها
الأحمر كليا كوردة الجوري ونظراته المركزة عليها تتابعها
حتى خبطت لتعود لمقعدها خلفه..

لكن لا بأس بالنسبة لها..

والحياة لا تخلو من المواقف المحزنة أحيانا والمحرجة غالبا
وكثير من يتعرضوا لمواقف أقل ما توصف به أنها سخيفة
ومحرجة في وقتها..

لكن بعد مرور فترة فجل ما ستفعله عند تذكر تلك المواقف هو
الابتسام والسخرية مما حدث ورد الفعل الذي غالباً ما يكون
غير متوقعة..

لكن ما حصل بالأسبوع التالي كان مستفز بالنسبة لأحمد
وبشكل كبير وهو يستلم درجة تقريره الذي كتبه..

رأسه كأنه ينفث الدخان من أذنيه وانفه من شدة الغضب..

ولأول مرة منذ وقعت عينيه على هيام حتى الآن تجراً ليستدير
خلفها ويتحدث إليها ويسألها

((هيام.. كم درجة حصلتِ عليها بالتقرير؟))

رفعت رأسها تنظر إليه بغم فاغر.. لا تصدق!

هل هو يبادر بالتحدث لها وكأنها صديقة قديمة له!

هزت رأسها لتركز قبل أن تبتسم بشموخ خاصة وهي متأكدة
أنه لا يتوقع منها الكثير..

ثم قالت بنبرة انتقامية حارقة لذيدة وهي تفتعل خيبة الأمل
والإحباط

((حصلت على تسعة عشر من عشرين للأسف.. وأنت؟))

ارتفع حاجبي أحمد بصدمة وهو لا يصدق الدرجة التي تخبره
إياها..

ويعنف سحب ورقة تقريرها من يديها وفتح عينيه على مدى
اتساعهما على درجتها ليتأكد مما يراه..

ثم لم يلبث إلا أن ضغط على قبضة يده الأخرى قبل أن يجعلك
الورقة ويكورها ويرميها أمامها ساحبا حقيبته ليلبسها على كتف
واحد مغادرا القاعة كلها بخطوات عنيفة وهو يكاد ينفجر من
الغضب..

لقد رأها بأب عينه هي وزميلتها قبل المحاضرة وهما تتقلان من
أحدى الكتب تقريرهما..

رأها تفتح على صفحة عشوائية بالكتاب وتنقل حرفيا الكلام
على ورقتها مع أن المحاضر نثيه انه لا يريد نقل حرفي بل
تلخيص لما يحوي الكتاب المقروء..

ومن جهة أخرى هو بالكاد وصل علامة النجاح "عشرة من
عشرين" بدرجة تقريره بالرغم من أنه أمضى بالمكتبة ساعات
وهو يقرأ ويلخص ما قرأه..

قمة الظلم.. لكن مرت دقائق وسرعان ما انفجر ضاحكا على ما
حدث..

أما هي فتركها مصدومة تنظر كالبلهاء أمامها كأنها لا تعي لما
قد حصل توا..

عصرًا.. في شرفة منزل هيام الواسعة..

وضعت هيام الماء داخل قفص عصافيرها ثم جلست على حافة
السياج وساقبها متدليتين للأسفل وهي تهزهما بطفولية وتتأمل
جمال الأراضي أمامها..

من مميزات العيش بقرية مثل قريتهم هي تأمل هذه المناظر
الخلابة بالرغم من بدء تساقط أوراق اغلب الأشجار بهذا الوقت
نظرا لاقتراب فصل الشتاء..

سمعت طرقا على خشب باب منزلهم.. وبتلقائية خرجت
شقيقتها التي تصغرها جالا صاحبة الثمانية سنوات لتفتح الباب
للطارق..

ما أن فتحت جالا الباب حتى وجدت عبير تلوح بيدها لها
وبجانبا شقيقها عمرو مبتسما لها ابتسامة تعرفها..

فظهر فجأة الحنق على جالا لتهتف لهم بخفوت وعبوس

((سانادي أمي الآن لتستقبلكم))

ما أن استدارت جالا للمطبخ حتى انتفضت فجاءة على إثر أحدٍ
يمسك ذراعها..

فأبعدت يد عمرو التي عرفتها فورا عنها بعنف صارخة بوجهه

((ابتعد عني عمرو.. أكره أن يلمسني أحد))

انصدمت عبير بريية من غضبها قبل أن تحرك نظرها لشقيقها
لبرهة الذي كان ينظر لجالا بملامح متجمدة..

لكن ما لبث عمرو للحظات حتى انفجر ضاحكا لردة فعل جالا
المبالغ فيها..

بينما علا صراخ سميحة والدة جالا القادمة من المطبخ عليها
توبخها

((تأدي جالا.. ابن خالك يكبرك بعشرين عاما على الأقل..
أساسا يجب أن تخجلي من أن تنادي اسمه هكذا))

تجاهلت جالا كلام أمها وهي تلوي فاها باشمنزاز ثم هرولت
متجاهلة للجميع بسرعة لحجرتها لتغلق خلفها الباب بعنف..

كانت ردة فعلها غريبة حتى لهيام الخارجة من الشرفة والتي
كانت تنظر للمشهد بتوجس..

إلا أن عمرو ضحك مرة أخرى من ليزيل التوتر بينهم..

تقدمت عبير للصالة مكثفة يديها على صدرها وسألت هيام
بانزعاج

((ما بال أحتك كأن العفاريت تستلبسها! كانت تتفاخر قبل سنين
بخيلاء بكونها الوحيدة التي تحظى من بيننا جميعا باهتمام أخي
عمرو... حتى أكثر مني.. والآن تتصرف أمامنا كأننا غير
مُرحب به هنا))

فحركت هيام كتفيها بدرامية مضحكة

((إنها مزاجية وعنيفة وتصيبها نوبات جنون أحيانا.. اعتدنا
عليها.. أُمي منعتها من اللعب مع الصبيان خارجا حتى لا تتأثر
بطبا عهم أكثر))

بهذه الأثناء تبسّمت سميحة والدة هيام وهي ترى عمرو يتقدم
إليها بعد أن وضع الأكياس والهدايا التي جلبها ووضعها على
الأرض معانقا..

بادلته سميحة العناق ورحبت به ثم قبلته معاتبة إياه على عدم
إعلامها بزيارتهم قبل القدوم..

لكن أجاب عمرو بتلقائية واضحة

((صدقيني يا خالتي لم نرد تكليفك وإتعابك بتجهيز أي شيء لنا
من غداء وغيره.. أردنا أن نكون زائرين خفيفين.. سنغادر بعد
ساعتين))

قاطعته هيام بعنف عابسة وهي تمد يديها لتحيط عبير باستيلاء
وتملك كأنها تخاف أن يسرقها أحد منها

((أنت تحلم.. يمكنك الرحيل وحدك.. أما عبير اتركها لتنام
عندنا.. نحن بنهاية الأسبوع دعنا نشبع من بعضنا.. أنا لا التقى
بها كثيرا بالجامعة))

ضحك الكل على طفولية وغضب هيام..

فقال عمرو مبتسما قبل أن ينسحب لغرفة جالا ممسكا بعدة
أكياس هدايا

((إذن استمتعا معا ودعوا لي مهمة إرضاء مدللتي الصغيرة..
لا أحد غيري يعرف كيف يرضيها.. لا بد أنها اشتاقت إليّ فأنا
لم أزركم منذ أشهر وهذه هي طريقته بالعتاب))

سحبت هيام يد عبير للشرفة ليقضيا بعض الوقت ريثما تنهي
والدتها من إعداد الغذاء..

قالت هيام وهي تسحب كرسيها لعبير لتجلس عليه

((الجو ليس باردا.. اجلسي هنا ريثما أحضر القهوة لنا))

هزت عبير رأسها لها شاكرة وما أن دلف هيام للصالة حتى
شعرت عبير نفسها وبدون سبب تبتسم بكل السعادة التي تتفجر
في قلبها عندما تتذكر زيارتها مع أخيها لبيت عائلة إياد..

والحق أنها أعجبت بهؤلاء الناس المكافحين بعد أن روى لهم
أبو إياد كيف جاءوا إلى المدينة من إحدى القرى منذ أن كان
إياد طفلا صغيرا..

وكيف حصل على وظيفة موظف في البلدية..

وكيف استطاع الحصول على هذه الأرض وبنى عليها هذه
الدار البسيطة..

وقال لشقيقها عمرو أن آماله كلها مبنية على ولديه الاثنین وقد
حرص على استمرارهما في الدراسة متحملا في سبيل ذلك
صعوبات ومشاق لا تخطر ببال..

وها هو إياد ابنه الأكبر يخطو أولى خطواته ليصبح طبيبا..

وقطت عندما يتخرج إياد سيتقاعد هو ويرتاح من هذا العناء
وسيتترك له أحمد أمانة عنده حتى ينهي هو الآخر دراسته..

شقيقها عمرو أكبر في الأب المكافح هذا الطموح النبيل..

لا سيما ليس كأن الوالد ترك أبناء صغار كثر لإياد ليهتم بهم
حتى يكبروا ويظلم إياد على حسابهم.. فأحمد قريب من عمر
إياد..

كما أنها لمست من تصرفات احمد أن آمال الأب كانت في
محلها..

وأن الله عز وجل حرمه من نعمة الغنى والراحة ولكنه عوضه
بهاذين الولدين الملتزمين والمتفوقين..

وضعت هيام كوبان قهوة على الطاولة الصغيرة وجلست على
كرسيها بجانب عيبر وعينها لا تفارقان ملامح وجه عيبر
المستكنة لتقاطع جوها

((إذن.. هل زرت منزل إياد أمس؟))

جفت عيبر من صوت هيام وكانت تود إخبار ما بينها لهيام
لكنها أترت أن تحفظ لنفسها كل مشاعرها خصوصا
بالمواضيع الخاصة بها فهي من النوع الكتوم حتى لأقرب
الناس إليها..

هزت عيبر رأسها مصطنعة اللامبالاة قائلة

((نعم.. وأنهينا الزيارة أمس بوقت متأخر وما إن رجعت للبيت
حتى غرقت بنوم عميق من شدة التعب.. ولا أدري كيف
حضرت اليوم إلى الجامعة ومن ثم لزيارتكم مع عمرو على
التوالي.. الآن حتى لو رفض عمرو بقاءنا فلن أستطيع من شدة
تعبي أن أعود للمنزل وسأبقى هنا لأنام عندكم.. لكن غدا أنا
فعلا مجبرة للعودة للبيت فأنا لم احضر كل كتبي واحتاج أن
ادرس بهذه العطلة جيدا وبتركيز كما تعلمين.. إذن المهم.. أين
راجي؟ لما لا أراه))

رفعت هيام حاجبيها وهزت رأسها متفهمة أن عيبر لا تود أن
تتحدث بخصوصياتها فاحترمت وجهة رغبته..

لكن عند سؤالها عن راجي طبعت على ملامحها لمسة شفقة
لتقول بصوت أجش

((راجي مع جدتي.. بالرغم من أن عزاء زوجة والدي انتهى
قبل عدة أيام لكن ما يزال بيت والدي لا يخلو من زيارة
المعزين.. رحمها الله.. والدها هو عم والدي وهو صاحب مكانة
ومعروف جدا.. ومؤكد أن الجميع سيسارعون ليؤدوا واجبهم
تجاهه.. الآن جدتي هي من تستقبل المعزين وأصرت على
أخذ راجي وبقائه معها))

صمتت قليلا لتأخذ رشفة من كوبها قبل أن تردف بنفس نبرة
الحزن

((أنا حزينة حقا من أجل أخواتي من أبي.. ما زلن صغيرات
ليفقدن أمهن.. بل الحقيقة أن العمر غير مهم.. فمهما كبرت لا
أتخيل نفسي من دون وجود أمي بحياتي))

لكن سرعان ما أزلت ملامح الحزن على وجهها لتقول
بابتسامة عفوية وعيون تشوبها لمعة مرح بمحاولة تغيير
الموضوع

((إذن.. لنستغل اليوم بقضاء أوقات ممتعة معا أنا وأنت..
لنعتبرها حفلة مبيت خاصة للفتيات))

ابتسمت عبير بعد أن رشفت هي الأخرى من كوب قهوتها ثم
قالت متفحصة نبرات هيام

((لطالما كنت مرحة.. ولكن اليوم ومؤخرا أراك أصبحت أكثر
مرحاً.. تغيرت شخصيتك كثيرا

صدرها لتقول بفخر

((نعم أنت محقة.. لم يمر إلا شهرين على تسجيلي بالجامعة
وأشعر أن شخصيتي تغيرت تماما.. بدأت أتعلم كيفية الاعتماد
على ذاتي بعد أن عشت هذان الشهران معتمدة على نفسي في

أدائي الدراسي.. بعد كل امتحان اخضع له اشعر أنني أتعلم
أساليب المذاكرة الناجحة التي لم أستطع تعلمها في سنوات
المدرسة التلقيني.. كما بدأت تعلم طرق بناء العلاقات مع
الأخرين مع كل الأشكال المختلفة والقاعات المختلفة.. في كل
قاعة أجد صديقة جديدة مميزة.. أحب أن أقيم ببعض المشاريع
معهن واعمل عمل جماعي نبث فيه روح التعاون))

وضعت عيبير كوبها على الطاولة قبل أن تضع يدها على
صدرها متعجبة من ابنة خالتها..

ظننتها ساذجة ولن تقدر على التكيف بهذه السرعة خصوصا
أنها لا تعرف غيرها..

قالت عيبير بإعجاب

((واو لا اصدق فرط الحماس بداخلك.. لدرجة أن يكون لك
صديقة في كل مساق.. هذا كثير))

هزت هيام كتفيها بخيلاء وهي تقول بتلقائية

((نعم حبيبتي عيبير.. يجب أن يكون لديك صديق في كل مساق
حتى إذا ما غبت يوماً.. تعطيك ملاحظاتها باليوم القادم
وتخبرك ما فاتك))

وقفت عيبير من كرسيها وهي تخلص ذراعيها قائلة بغرور
تميل للمزاح معها

((واو.. هل أصبحت أنت الآن من تسدين النصائح لي؟))

نهضت هيام أيضا وهي تقلد عيبير بحرکتها رادة بمرح

((ولم لا؟ لقد برزت مواهبي الاجتماعية أكثر منك))

شهقت هيام ما أن تذكرت ما كانت تود إخباره لعيبير.. فقالت
بمتعة

((أه صحيح.. لقد سجلت بأغلب النواد التي أتيتحت لي.. لقد سجلت بنادٍ للقراءة، وللشعر.. وللمسرح أيضاً))

ثم أردفت كلامها وهو يحوي عتب مبطن

((أردت إخبارك لحظة تسجيلي بهم.. لكن أصبحت نادراً ما أراك.. بعد أن توقفت على التنازل صباحاً وانتظاري قليلاً لنذهب معاً للجامعة.. ولكن لا بأس تعرفت على صديقة من نفس تخصصي وبدأنا نتشارك كل أوقاتنا وكل شيء تقريباً.. اسمها مها))

أنهت هيام كلامها بفرحة وهي تتحدث عن صديقاتها الجدد..

بالرغم من المدة القصير التي تعرفت بها عليهن إلا أنها تشعر أنهن بالغالب سيكون صديقات الحياة..

رفعت عبير إحدى حاجبيه ثم قالت بصدمة جدية

((لكن هيام.. يا إلهي.. متى سجلتي بكل هذا؟ إذن متى تجيدين وقت لحضور المحاضرات أو للدراسة؟))

أجابت بثقة غبية وهي تعبر بيديها بسخافة

((لا تخافي.. أستطيع تدبير امري.. المهم انهم قبلوا انتسابي لهم مع أنى ما زلت مستجدة وتأخرت بطلب التسجيل))

حركت عبير رأسها باستغراب وهي ترى هيام بدأت ترسم شخصيتها..

كل ما تمر به الآن سيؤثر عليها لبقية الحياة لأنها تعيش أهم سنوات عمرها في هذه الأروقة حتى تشكلت شخصيتها..

التفتت هيام لتسمع نداء أمها لها.. فأخبرت عبير أن تنتظرها بالصالة ريثما تجيب أمها..

أما عبير كانت على صدمتها.. صدمتها من كلام هيام لا هيام نفسها.. تفكر بأنها لا بد مستمتعة بحياتها وتعيشها كما يجب بدون أن تضيع ثانية منها..

بدأت عبير تتمنى لو أنها دخلت تخصصا آخر يحتاج تعب ومجهود أقل..

لكن.. بعد تفكير آخر قصير.. لا..

أن تكون طبيبة بالنهاية يستحق منها كل ما تبذل من تعب وكل ما تتخلى عنه من راحة ومتعة..

أخير عمرو الجميع أنه طرأ له موعد هام وهو بحاجة للمغادرة وسيأتي غدا مجددا ليأخذ عبير ويعيدها للبيت..

وبعد مغادرته بدقائق تقدمت جالا لعبير وقد كان وضعها كارثي..

خديها محمرين.. عينيها ذابلتين كأنها بكت لساعات.. وشعرها غير مرتب.. كأن هناك شيئا مريب حصل معها..

همست جالا لها بصوت منخفض

((عبير أريد أن أخذ حماما دافئا وسأبقى بالداخل لساعات.. ولا أريد الخروج قبل ذلك.. لذا جهزي سفرة الطعام مع هيام وأنا لن أساعدكم))

فهزت عبير رأسها بإيجاب ووجوم.. هذه الفتاة لا تبدو طبيعية..

فعلا مجنونة ومتقلبة المزاج كما قالت هيام..

لكن حاولت تجاهل التفكير بما يحدث مع جالا وتقدمت لتجهز المائدة وأثناء ذلك سمعت طرقات على الباب..

جاءت هيام مسرعة للصالة لتفتح باب المنزل قبل أن تجفل
لرؤية أبيها الذي سرعان ما سألها بوجوم وبدون أي مقدمات

((هل لديكم زوار الآن؟ أريد التحدث لأمك على انفراد))

توجهت أنظار عبير وهيام فجأة إلى صوت سميحة التي وقفت
عند عتبة باب المطبخ

((هل عاد عمرو؟))

وما أن لمحت طليقها فيصل قابعا عند باب المنزل حتى زالت
أي تعابير عن وجهها وعدلت من وضع الشال الذي يغطي
شعرها..

ثم تقدمت أكثر نحو باب.. بثبات.. بهدوء موجهة عيونها له..

وقفت سميحة بشكل مقابل له.. وكل منهما يبادل الآخر بوجها
الخال من التعابير.. ونظرات عينيها تطلق شرارات..
شرارات من الماضي.. حقد دفين يتفجر من عينا كل منهما..

إلى متى ستكتفي هي؟ وإلى متى هو قادر على التحمل؟

قالت سميحة بهدوء له تعزیه وفاة زوجته

((بداية.. عظم الله أجرکم))

كانت سميحة قد حضرت أول يوم عزاء لزوجته المتوفاة عندما
طلبت منها حمايتها أن تحضر راجي لها وقدمت واجب العزاء
قبل أن تغادر..

بعيدا عن كل شيء حدث وما زال يحدث بينهما.. فللميت
حرمته..

فيالمرغ من أنها تعيش مع أولادها بالقرب من منزل والدهم إلا
إنها نادرا جدا ما تراه.. ومع ذلك نوت نقل أحر التعازي له
شخصيا بوفاتها بأول مصادفة تراه والتي تصادف أنها الآن..

لحظات صمت مرت حتى هز فيصل رأسه مغمغما

((شكر الله سعيكم))

كان مستمرا بالمحافظة على ثباته.. قسماته لا تزال جامدة..
وتزدادان.. قتامة..

لتردف سميحة بإصرار وبابتسامه باردة

((تفضل ادخل.. هذه عبير ابنة أختي وهي ليست غريبة..
يمكنك مشاركتنا طعام الغداء والتحدث أمانا.. لا داعي
للانفراد))

شعرت سميحة بروحها العميقة تتلاشى قوتها كأنها ستحترق..

ولكن لا.. الآن وبهذا المرحلة من عمرها لن تسمح أن تتشبث
بها أي فكرة يمكن أن تجعلها تنهار وتسقط...

هي قوية.. تعلمت كيف تعيش لنفسها وأولادها.. وكيف لا تسلم
مفتاح سعادتها لأحد آخر غير نفسها..

هي قوية لدرجة أن تنظر لعينيه الآن بدون أن يتجمع فيها أي
دموع ضعف..

وصوتها خرج واثقا خالي من فوضى المشاعر بكلماتها
المتناسكة أمامه..

شدت الهمة والتماسك ما أن سمعت صوته الرخيم يتذبذب بلوم
عميق لها

((المهم أن نتحدث))

.

.

دخلت سميحة غرفتها وأغلقت الباب بعنف وراءها..

رفعت الغطاء لتضعه على جسدها بعد أن القت نفسها على سريرها الواسع القريب من النافذة..

زفرة ضيق خرجت منها بصعوبة..

أغمضت عينيها بتعب من بعد مواجهة حتمية وشجار ونقاش استمر لأكثر من ساعتين بينها وبين فيصل والد بنتيها.. هيام وجالا..

لم يصلا فيه لأي نتيجة تذكر.. فقط صراخ واتهامات متبادلة.. وماضي يعاد إحياؤه.. ماضي محرق لم تطوى صفحته..

لكن لن يههما الماضي ما دام الحاضر ملك يديها..

لن تعود كما كانت.. مهمشة.. ناقصة.. مملوءة بالعيوب.. لأنها باختصار ليست كذلك..

سأكمل حياتها الآن.. بنفس الوتيرة ولن تتعثر بعثرات الماضي..

كانت عبير تجلس بعيدا عنهم بنهاية الصالة.. كأنها لا تريد التدخل بما لا يعنيها وتريد أن تعطيتهم مساحتهم لخاصة وبفس الوقت فضولها لم يمنعها من الشرود بنظراتها رغم تركيزها بكلامهم وكل حرف..

موقف عبير تجاهها أفضل بكثير من موقف ابنتها المصونة هيام التي جرحتها بتدخلاتها بنقاشهم..

كل ما كان يصدر عن هيام كان بصف والدها بصورة ملحوظة.. عدا عن كلامها المبطن الحامل بين طياته اتهامات لها هي والدتها..

ظهرت لسميحة صور من الماضي لتتهز رأسها بعنف وهي
تهمس

((من المستحيل أن أعود لك يا فيصل.. بأحلامك))

الأحمق! ما زال غاضبا لأنها بالماضي طلبت الطلاق بعد
زواجه من أخرى مع أن الغضب هو حقها..

صحيح أنه حاول ثنيها عن الطلاق بالحسنى واللين وذكرها
بالعشرة بينهما.. العشرة التي لم يحفظها هو..

وعندما لم تقبل تركها وطلقها ظانا أنها ستشعر بالذنب والندم
فيما بعد وترجوه للعودة إليه..

ظن أن الشوق سيذبحها.. وظن أنها ستشعر بالغيرة لأنها
أفضت الساحة لغيرها.. وخاب ظنه..

ما يريح قلبها.. أنها استطاعت أن ترد الطعنة له بعدها وبوقت
قصير.. ويوجع أكبر.. بزواجها.. رغم انهم لم يستمر كثيرا..

ابتسامه كبيرة شقت وجه سميحة قبل أن تغمض عينيها وتغفو
لوقت قليل..

فتحت عينيها بعد مرور بعض الوقت من القيلولة التي كانت
فيها غائبة وعقلها يعمل دون توقف..

أزالت الغطاء من على جسدها لتتنزل قدميها وتلامس قدميها
الأرض وتتهض..

اقتربت من الطاولة لتأخذ كوب ماء ترتشف القليل منه ليرطب
حلقها بعد أن شعرت بصوتها قد يح بعد كمية الصراخ الذي
خرج من حلقها..

وقعت عينيها على صورة راجي أصغر أطفالها ابن الستة
سنوات والموضوعة بطاولة قريبه من الباب.. فابتسمت لا
إراديا..

هذا الصغير أجمل هدية من الله.. تعشق بناتها ولطالما ربتين
على أنهن إناث متميزات ولسن اقل من الذكور بشيء.. كل ما
اكتسبته برحلتها من الحياة من قوة.. كرسنه ببناتها لينشأن
قويات وواتقات من أنفسهن مثلها..

ولكن لا تتكر أنها سعيدة ولا تتخيل عالمها بدون وجود راجي
فيه ولمساته الطفولية بحياتها.. الوريث الذكر الوحيد لعائلته
كون أن جديه لم ينجبا إلا فيصل وأخيه ثائر..

سمعت سميحة طرقات خفيفة على الباب.. كانت عبير وهيام
تريدان الدخول..

زفرت سميحة بضيق وهي تسمح لها بالدخول بصوت متعب..

فتحت عبير الباب وحركت قدميها للأمام لتجلس على السرير
مبتسمة لخالتها وهيام خلفها تجلس بوجوم..

جلست سميحة مقابلهم على السرير وهمست بصوت واثق
وهادئ

((لننسى كل ما سمعناه ودار بيني وبين فيصل يا بنات..
خاصة أنت يا هيام! أزيلى هذه الملامح البائسة عليك ولا
تتدخلني من الآن وصاعدا بمشاكل الكبار.. ما زلت صغيرة
للخوض بهذه الأمور))

أخفضت هيام عيناها للأرض وردت بخفوت وهي تلوي فمها

((أنا لست صغيرة يا أمي.. أساسا أنجبتني قبل أن تصل لعمرى
هذا))

التفتت عبير لهيام وهي تضيق عيونها لتوجه لها بحزم

((نعم.. هذا بأيام خالتي.. لكن أنت أنه دراستك أولاً قبل أن تفكري بالزواج))

ابتسمت سميحة برفقه وهي تشاهد عبير ابنة أختها فتاة ناضجه أمامها مليئة بالثقة والعنفوان..

لكن قاطعتها هيام بغضب

((عبير قصدت أن أقول إنني كبيرة ولا خطأ بالمساعدة لحل مشاكل أبي وأمي.. أمي طلبت الطلاق لأن أبي تزوج.. والآن توفيت زوجته.. لا أفهم لم أمي مصرة على عنادها وترفض طلبه بالعودة إليه؟ لم لا تعود له ونعود لشمئنا كعائلة سعيدة؟ لا أفهمك أمي.. اشعر أنك لا تحبين زوجة أبي))

ردت سميحة باقتضاب واستغراب

((ولما علي أن أحبها؟))

احتقنت عينا سميحة بدموع لكنها أبت أن تطلق سراحها.. فدبت الرجفة بمفاصلها قبل أن تسترسل

((وبعد أن تزوجها.. كان الأمر بالنسبة لي إحساس صعب أن اشعر أنني تحولت إلى رقم إثنين.. ففي الواقع ابنة عمه وزوجته الثانية ليست هي الثانية في المرتبة بل الأولى في الحب والرعاية.. وأصبحت أنا الزوجة الثانية بعد سنين تفانيت فيهم في خدمته.. هي الآن بديار الحق ولا أريد أن أذكرها بشيء آخر.. بالنهاية أصبح كل ما حدث ماضي وقدرة وإرادة الله وليس لي أي اعتراض.. الحمد لله دائماً))

أغمضت سميحة عينها بتعب فالحوض والحديث بأمر
الماضي لا يجلب لها إلا الوجد..

تذكرت كيف في بداية خطبته الثاني كانت تخشى مواجهة الناس.. ترى في نظراتهم الشفقة..

وبداخلها تختلط مشاعر الفشل مع مشاعر الإهانة.. فلم تستطع
إلا أن تطلب الطلاق مع أنها اكتشفت أنها حامل بجالا..

يوم زفاف فيصل كان بنفس يوم إنجابها لجالا..

أحست بالشفقة عليها وعلى هيام..

خاصة وان الأغلب كان ينقلون لها بأن زوجته الثانية حامل
بذكر..

قبل أن تخبى ظنونه ويرزق بفتاة.. وفتاة أخرى.. وأخرى..
وأخرى أخيرة..

حتى أمرته والدته أن يطلب من زوجته التوقف عن الإنجاب
لأنه من الواضح أن نسائه هو بالذات لا ينجبن إلا إناث..

بدأت عيبير نزقة لأول مرة من كلام هيام.. فتكلمت مما زاد من
غضب هيام كثيراً

((أنا التي لا افهم والدك لما أراد الزواج.. من اجل التناسل؟ أم
من اجل المولود الذكر؟ لم إنجاب العديد من البنات وعدم العدل
في الصرف عليهم وحسن تربيتهم! لو أنه اكتفى بك وبجالا..
وأحسن تربية بناته ومعاملتهن وجعلهن ينشأن على حب الله
وطاعته والعيش تحت سقف واحد يجمع أباهم مع أمهم دون
أخرى.. ألن يكون أفضل له ولكم؟))

بدأت هيام فعلا وكأنها تخرج عن سيطرتها ولم تعد تتحمل
سماع المزيد من كلام عيبير..

لكن عيبير أردفت وهي تقول لها بانفعال

((ما الفائدة التي جناها عندما تزوج من ابنة عمه؟ حتى لو أنها
فُرِضت عليه لم يكن عليه الزواج بها.. كانت تحرض بناتها
وأباكم عليكم عدا عن تشويه صورتهن في نظر بناتها وأنشأت

عداوة من نفس العائلة وفصيلة الدم.. لا تلومي والدتك ع طلب
الطلاق من البداية لتريح نفسها من الكثير من المشاكل))

عقدت هيام حاجبها ولم يعجبها الفكرة التي تظنها عبير عنها
لترد عليها بهدوء

((زوجة والدي لم تكن سيئة.. عبير لا تدخلني بما تجهلينه.. لم
تعرض زوجة والدي بناتها علينا.. أحيانا تحدث بينهن وبين
جالا مشاكل ومشاكسات صغار وسرعان ما يتصالحن ويعدّ
للعب مع بعضهن.. فقط))

ثم عادت هيام تنظر لأمه بلوم وغضب منها لتضرب سميحة
على الحائط بجانبها بكفها هاتفة بانفعال متزايد

((هيام.. افهمي أنني لا أتقبل العودة له.. ليس بيدي أن أبقى على
حبه.. لا أقدر على حب رجل أناني ولا يفكر إلا في نفسه..
الرجل الذي لا يقدر العشرة ليس جديرا بأن يُقدّر.. وان كان الله
قد كتب بزوجة ثانية لوالدك كنت سأقبل بذلك حفاظا على
راحة واستقراركم وإن كان على حساب راحتي النفسية.. ولكن
بما أنني اعلم وأستطيع كفايتكم ماديا بحالة ما قصر والدك..
ولان الله لا يكلف نفسا إلا وسعها.. عزفت عن والدك ولم اعد
أقبله.. ولم أجد ضررا عليّ أو عليكم إذا طلبت الطلاق دام انه
الطلاق لا يختلف عن الانفصال.. أنتم بالفعل تقضون عنده وقتنا
كثيرا وبشكل يومي))

احتدّت أنفاس هيام واشتعلت مقلتاها..

تجمد جسدها بصلاية من جديد قبل أن تشير غاضبة لأمها

((أمي.. لقد ضغطت عليه جدتي للزواج منها.. والدي أخبرني
بوضوح انه تزوجها أيضا من باب انه قريبها ولها حق عليه..
والدي امثلك المال الكافي للزواج والنفقة على زوجتين.. لا
أدرى لما رفضت يا أمي البقاء معه.. كما انه.. يبدو انه ما
يزال يحبك))

تغيرت تعابير سميحة للحظة كمن باغتتها امر لم تحسب سماعه
ثم تماكنت نفسها سريعا لتقول بانفعال ساخر

((لو احبني والدك من البداية لن يقبل أن يستجيب تحت ضغط
والدته))

الأمر أصبح مزعجاً لعبير لتدعم وترد على خالتها وعيونها
على هيام

((خالتي معك حق.. عندما تزوجا والديّ الاثنان اشتهرت أُمي
عليه طلاقها بحالة زواجه من أخرى.. أخبرته أن يطلقها فوراً
ومن دون أن يعلّ قلبها وبلا أي مبررات أو حجج.. لكن الآن
وبعد العشرة تقول دائماً لنا.. ولم عليه أن يطلقها أساساً؟ ستقتله
قبل أن يفكر بغيرها..))

عمّ الهدوء الغرفة بينما استغرق الجميع بصمت..

عادت سميحة تستلقي على سريرها وجلست عبير على طرف
سرير خالتها..

بينما جلست هيام على أريكة موجودة بزاوية الغرفة وبدأت
بالتفكير وكأنها تقلب الأمور من كل أوجهها..

تعود بذاكرتها للماضي.. عندما قال والدها أمام أمها وبوجودها
هي بنفس المكان بأنه سيتزوج ابنة عمه بعد أن عرضها عمه
عليه للزواج.. وانه أساساً كان يفكر بالزواج من أخرى ليحظى
بالوريث الذكر..

لقد يأس من أمها التي لا تنجب إلا بنات وكنّ بكل محاولات
حمل يمتن بعد سويغات من الولادة باستثنائها هي هيام..

لكن أمها اختارت الطلاق على أن تبقى معه بعد الزواج بالرغم
من معرفتها فيما بعد أنها حامل بجالا.. وانتهت عدتها بولادة
جالا..

كانت وقت طلاقهما طفلة صغيرة قريبة من عمر جالا الآن..
إلا أنها انزعجت من قرار أمها الأناني بالطلاق..

أما بالنسبة لوالدها.. كانت متعلقة به بشكل كبير منذ صغرها..

ومنذ الطلاق زاد التعلق وأصبحت تقضي معه وقت مضاعف
عن السابق وتلتصق به أكثر خوفا من فقدانه بعد زواجه بالرغم
من حنق زوجة والدها قليلا وانزعاجها..

حتى بليلة زواجه لم تفارقه ورقصت وغنت معه..

وهي تريد الآن تتمنى أن يعودا لعلها تستعيد القليل من فرحة
وسعادة الماضي..

عادت للحاضر بعد أن انتهت لجالا تفتح الباب فجاءة تنظر
نحو أمها المستلقي على فراشها والتي سرعان ما قفزت بسرعة
لتعتدل جلوسها والابتسامة الباهتة ترسم على وجهها قائلة
بدفء لا تريد من صغيرتها جالا أن تعي مشاكلهم من حولها

((جالا حبيبتي أين كنت؟ تناولتي الغداء.. ما زال موضوعا على
السفرة بالصالة))

لكن جالا لم ترد وبقيت واقفة جامدة بمكانها حتى شرحت لها
بكل ما تملك من دهاء رغم صغر سنها وهي تتقدم بخطواتها
الصغيرة من أمها

((أمي أنا لست جاهلة وسمعت كل شيء.. أنا أكره أبي..
التمست فيه الموت من أجل أن تعود لي له لكن مع ذلك لا تقبلي
وأرفض عرضة بالعودة له))

كان جمود الغضب يسيطر على هيام بينما تهتف بغضب من
بين أسنانها وهي توجه نظرها نحو جالا

((يا إلهي جالا اصمتي.. عمرك ثمانية سنوات ولسانك أطول منك.. أمي لا تدعي هذه العصفورة الصغيرة الحقودة تحرضك على أبي))

لكن جالا أضافت وكأنها لم تسمع شيئاً من كلامها.. وقلبها خلف أضلعها يتمزق إرباً.. إرباً لنقول بيحة

((أمي أنا أحب أخواتي لكني أكره أبي.. انه لا يحبك وكان يفضل زوجته عليك لأنها ابنة عمه وغنية))

بنظرة غامضة ضيقت هيام عينيها..

جالا تسمع كثيراً من أحاديثهم وشجارهم الدائم.. فتحفظ الكلام بعقلها وتبرمج نفسها عليه..

فتقدمت لوالدتها قائلة بتسفي عن جالا

((من الواضح أنها تحب أخواتنا يا أمي كما قالت.. لكن.. أنا لم أخبرك قبلاً أنها انتزعت سلسلة الذهب من عنق اختي ليأنا عنوة ورمته بالبئر.. وهذه ليست أول مرة.. لكن السلسلة هذه كانت غالبية جداً على قلب المسكينة لأنها من والدتها))

كتفت جالا بيديها وهي تقول بعناد

((لا بل كانت مهداة من أبي.. لطالما كان أبي هو من يحضر الهدايا لهن وخفية عنّا حتى لا نعاتبه ونطلب منه المثل))

توقفت أهداب هيام لثواني مع كلام جالا الصحيح والموجع..

لا تنكر هيام أنها شعرت بغصة بقلبها من كلامها عن والدها..

فحتى تزوج والدها كانت هي صغيرته ومدلته..

لكن بعد مرور سنوات على زوجها بدأت تلاحظ نفسها تبتعد تدريجياً عن والدها وتقضي وقت أقل عنده..

بالرغم من انه لم يرزق إلا بمواليد إناث من زوجة والدها إلا أن التمييز كان واضح لصالح بناته الأخريات أكثر منها هي وجالا..

والدتهن سميحة لم تقصر بشيء معهن على حسب استطاعتها..

لكن لا تنكر أن والدها لم يكن عادلا بين بناته الغير شقيقات وكان يدلل بنات احدى زوجتيه أكثر عن الأخرى..

مع أن والدها ووالدتها وزوجة والدها كلهم من نفس العائلة.. لكن كان يتحجج انه يدلل متحججا أن طبقة زوجته الأخرى أعلى وأرقى وتقاليدها عائلتها تختلف عن تقاليد عائلة أمها..

هزت هيام رأسها لتعود لمشادتها مع جالا مكملة توبيخها فلا مبرر لخطئها

((غير صحيح.. بل العقد من والدتها.. هذا العقد غالي ومنذ عقود كان يتم توريثه من أم لابنتها.. الآن لن تتمكن لينا من إعطائه بالمستقبل لابنتها لأنك رميت السلسلة بالبئر))

وضعت جالا يدها على فمها لتقول بصدمة وببراءة مصطنعة

((إذن هل هو حقا مُهدى من والدتها؟ لقد ظننته انه أبي هو من أعطاه لها.. هل اقسام لك؟))

شبح ابتسامة خفية ظهر على محى جالا لم يكن له صلة بالطفولة ولم تستطيع منعه وهي تستطرد

((وكما تعرفين.. أباه هو أبي.. وكل ما يحضره لها هو ملكي.. هذا هو قانوني الجديد بما أن الدلال والهدايا كلها لهن ونحن لا شيء لنا))

أنهت جالا حديثها وهي تقف متوجه لخارج الغرفة تقاوم عبرة سنسقط بين ثانيه وثانيه على وجنتها..

لكن نداء والدتها لها باسمها أوقفها لتتجمد جالا مكانها دون أن
تستدير لهن.. فأردفت والدتها

((جالا متى ستتوقفين عن شفاوتك؟ ماذا تريدن بعقد الفتاة؟
وقبلها قمت بحرق يدها بجمرة فحم.. الم يكفيك العقاب وقتها؟))

وفجأة تحولت عيون جالا الممتلئة بالدموع لتصبح ممتلئة بظلم
وانكسار موجع وانتهاكات.. من ظلمين.. وكلاهما من أقرب
الناس إليها..

الظلم الأول تفرق معاملة والدها بينهم والظلم الثاني وللأسف لا
تستطيع البوح به أمام أحد.. إلا كارم..

الذين يريدون أيضًا إبعاده عنها..

هزت جالا رأسها لتزيح كل شيء يدور بداخلها لتصرخ بهم
عندما تتذكر اتهاماتهم

((لم اقصد حينها.. كلكم تهجتم عليّ بلا سبب لأنني أوقعت
الفحم بلا قصد عليها))

بتلك الكلمات أنهت جالا جملتها.. لتنهض هيام من على مكانها
وتأخذ شعر جالا من الخلف فتصرخ كلتاها..

وعبير وسميحة تحاولان إبعاد يد هيام نحو شقيقتها..

لكن هيام كانت تشد بكل قوتها وتغلغل فيها بلا هوادة لتردف
بينما صوت جالا يعلو المأ

((كاذبة.. اقسم أنني رايتك بأمر عيني وأنت تتعمدين وضع الفحم
على رقبتيها.. بلا قصد ووقع الفحم ولامس رقبتيها ويدها.. كيف
لو كان بقصد؟ أمي امنعها من الذهاب لبيبتهم واحبسها وحيدة
بالبيت لتتعلم الأدب))

أخيرا استطعن أن ينفذن جالا عن يدي هيام لتقع أرضا راکعة
على ركبتيها تسند يديها إلى الأرض..

تأففت عبير بصوت عالي من هيام وغادرت الغرفة بينما عادت
هيام لمكانها وسط جدية والدتها ونظراتها المسمومة غضبا..

لتقول سميحة بتلقائية معاندة لها

((لا لن امنعها من زيارة أخواتها ووالدها.. سيظن أهل والدك
أنني احرضها عليهم لتكرههم))

قالتها لترکز جالا بنظراتها باتجاه هيام بقهر وعجز بينما تشعر
داخليا بحزن وقلة حيلة طفلة..

لكان سرعان ما شبت النار في صدرها أكثر من قبل على إثر
ما حدث قبل برهة لتصيح بهيام مرة أخرى قائلة بسخط

((أول مرة وقعت مني الجمرة على يدها بغير قصد كما
أقسمت.. لكن المرة الثانية تعمدتها.. نعم تعمدت أن ارميها على
رقتي.. حتى لا يكون عقابي قد وقع عليّ هدرا وظلما))

وقفت جالا من مكانها وبكلتا كفيها قلبتهما بالهواء قائلة

((أنا التي لا أريد أن أزورهم بعد الآن.. لكن بالمقابل اسمحوا
لي أن العب مع كارم بالخارج))

قالت جالا كلماتها لتخرج من الغرفة وهو تنفخ وتتمتم بشتائم
ممتعضة ممن تعلمتها من اللعب خارجا بالحي..

قبل أن تتوقف مكانها عندما سمعت رد أمها عليها بحق

((لا جالا لن تلعب مع الصبيان بعد الآن.. والدك وجدتك
وعائلتهم سيتحدثون عنك بسوء ويشككون بتربيتي لك.. لقد
كبرت ولم تعود صغيرة على اللعب مع الجنس الآخر))

شعرت هيام بالغیظ.. وقطبت حاجبها لتقول بنبرة هادئة وهي
تتنهد

((أمي لم تكرهين كل عائلة أبي.. لم تلومينهم على زواج أبي
منذ أكثر من عقد))

هتفت سميحة بحنق

((لا اللوم أحد.. علاقتي معهم رسمية وحسب.. لأنني أريد راحة
بالي.. هل أخطأت؟))

ثم صرخت باتجاه الباب حيث جالا لا تزال واقفة لتسمعها

((وأنت جالا.. لن أكرر كلامي.. إياك أن تؤذي أخواتك أو أي
أحد آخر أيا كان))

وسمعت الأخرى ليكسوها حزن شفاف قبل أن تصرخ من
مكانها بغیض

((أمي لا داعي لدفاعك عنهن.. فوالدي لوحده أكثر من كافي
في فعل ذلك))

شعرت سميحة بدوار عميق يئنز عنها بقوه من مكانها..

تعرف أن الوضع اشد على جالا من هيام لذا تحاول ألا توبخها
بقسوة.. وان تتعامل معها بلين ولطف..

ربما لأنه ومنذ ولادتها لجالا لم تحظ بدلال والدها.. ولا حتى
نصف ما حظيته هيام بصغرها..

ومنذ أن منعتها هي أن تلعب بالخارج مع كارم ومراد كانت
تقضي بمنزل والدها وقت أكبر بحجة اللعب مع أخواتها..

لكن عندما تعود للبيت تعود غاضبة وهي تدرك أكثر الفرق
بينها وبينهن من دلال ورفاهية..

لذا ومع صغر سن ابنتها تؤكد دائما على نفسها أن تتعامل معها بأسلوب خاص يليق بحساسيتها..

فبالرغم من تصرفاتها وطباعها العنيف وأفعالها الغير مبررة.. خاصة مع تصرفاتها تجاه أبيها وعنادها الدائم له..

حتى أنها أحيانا عندما تنتبه لجالا تراها تشيح وجهها عنه حتى لا تكرهه أكثر..

تعرف أن فيصل ليس مقصرا من الناحية المادية أبدا.. ولكنه دائما ما يلبي طلبات أخواتها لأجل والدتهم ويتمل من طلبات جالا والتي لا تنكر أحيانا أنها تطلب طلبات متكلفة وغير منطقية..

ربما بالنهاية زوجته الثانية كسبت كل شيء وهي خسرت..

لكن على الأقل عاشت هي وحتى الآن هادئة ومرتاحة من داخل قلبها بعد أن اختارت أن تبعد نفسها عن كل ما يمكن أن يؤثر على حالتها النفسية والصحية واختارت السلام الداخلي..

هو أكثر ما كانت بحاجة حتى تستطيع أن تربي أولادها وتعوض عليهم كل نقص من زواج والدهم وبعد أن أصبح بالنسبة إليهن نصف أب ومال كثير..

فهي لن تكون قادرة على تعويضهن من كل نقص من دون صحتها وسلامها الداخلي..

جفلت سميحة على صوت عبير القادمة من الصالة

((هيام هيا.. سيبدأ الآن فلم مخيف ولكنه يبدو مشوق))

لكن هيام وقفت من مكانها لتقول أخيرا

((أريد الذهاب للدراسة))

عقدت عبير حاجبيها وزفرت بهدوء

((ألم تقولي إنه لا يجب علينا الدراسة بنهاية الأسبوع وعلينا أن نتسلى معا بكل ثانية منه؟))

لكن هيام تجاهلتها وهي تسرع الخطى نحو غرفتها والألم بداخلها لا يخفت..

بينما عبير نظرت بحنق لخالتها وشعرت بالندم من بقائها هنا وعدم ذهابها مع أخيها لبيتهم لتهمس خالتها مخففة عنها

((سأشاهده معك يا عبير.. هل أعددت الفوشار؟))

دخل احمد بيته بعد أن تجاوزت الساعة العاشرة مساءً وأضواء الصالة وعلى غير العادة بهذا الوقت مُضاءة..

هو على هذا الحال منذ عدة أيام يعود متأخرا خصوصا بعد تلك المشكلة التي حصلت بينه وبين زوجته إيمان..

سمع أصوات تأتي من المطبخ فعرف أن إيمان ما تزال مستيقظة..

خرجت إيمان من المطبخ ما إن أحست بوصوله وتقدمت إليه حيث كان يجلس على الأريكة لتخبره بلهفة

((لقد تأخرت.. اذهب لتغتسل ريثما أجهز طعام العشاء وأضعه على الطاولة))

عادت لتدخل المطبخ بسرعة بينما شبح ابتسامة سخرية يرسم على وجهه فما بها اليوم تتعامل معه بشكل طبيعي وكان أكبر مشكلة بينهما منذ زواجهما لم تحصل قبل عدة أيام..

تمتم احمد شاتما بغضب مبالغ فيه وهو يتجه إلى الحمام كي يغتسل ويغير ثيابه إلى أخرى منزلية مريحة..

عاد للصالة ليجد العشاء الفاخر موضوع على طاولة المائدة
بأناقة..

كانت الأواني مرتبة بشكل أنيق وورود جميلة موضوع
بمزهرية بمنتصف الطاولة..

سحب احمد كرسي ليجلس عليه وهو ينظر لفخامة ما أعدته قبل
أن يتناول بيده طبقا فارغا ليضع عليه قطعة من اللحم المقطعة
بشهيبة وعليها الصوص الأحمر ثم وضع قطعة أخرى أقتطعها
من المعكرونة بالبشاميل..

بدأ فوراً يأكل بشراهة ليتبين معه أن الطعم لا يبدو كشكله
الخارجي نهائياً إلى حد أنه ودّ أن يعود أدراجه ليغسل فمه
ولسانه من مذاق الطعام..

لكنه كان بحاجة لأي شيء يسد جوعه من طعام المنزل فلقد
سأمت معدته مؤخراً من الوجبات السريعة المعدة بالمطاعم التي
كان يتناولها بكل وجبات اليوم جراء عدم دخوله البيت إلا بعد
حلول الليل..

مرت دقائق حتى جاءت إيمان تسحب كرسيها لها على المائدة
وأساريرها تنفجر لتبتسم ابتسامة شديدة الحلاوة وهي تحدد به
بعينيها الزرقاوين المماتلتان للون عينيه..

انتبه احمد على تحديقها المستمر له فعاد الحنق يرسم على
وجهه..

لاحظت ابتسامة شفافة على شفقتها وهي تسند رأسها على كفها
بينما تراقب حنقه باستمتاع..

كانت فعلاً لا تدرك أنه حنقه حقيقي.. لم يكن لها فكرة عما يمكنه
بداخله لها..

رفع احمد عينيه لها ليرهه ثم عاد يأكل وهو يطلب منها أن
تشاركه..

لكنها هزت رأسها نفيا متعللة أنها سبقته بالأكل.. أو ربما لأنها
تذوقت الطعام قبل وضعه ولا تريد أن تعيد التجربة..

ما إن أنهى احمد الطبق أمامه حتى أخذ قطعة من الفطائر وهو
يرجع ظهره ليسنده على الكرسي قائلا بانزعاج

((إيما أريد أن اعرف أين يكون تركيزك.. ألا يمكن أن أحظى
على الأقل بوجبة جيدة ولو مرة بحياتي؟))

هزت كتفها وهي تحافظ على ابتسامتها قائلة ببساطة

((أنت أساسا لم تطلب مني إعداد الطعام ولم تكن تتوقع وجوده
بعد عودتك للبيت الليلة.. لذا هذه الوجبة أفضل من لا شيء))

انتبهت لغضبه الذي بدأ يتصاعد لرأسه.. فرفعت كفيها
باستسلام وهي تردف فورا بأسف قبل أن يدفعه مزاحها ليتهاور
ويزداد غضبه

((أنا أسفه حقا.. لم انتبه على الطعام.. تغيبت قليلا أرد على
مكالمة مهمة من إحدى صديقاتي ولم انتبه للطعام الموضوع
على النار))

التقط احمد قذح ماء ليتمتم هامسا قبل شربه

((كانت زواجة الندامة..))

جملته كانت من ثلاث كلمات ولكنها ممزوجة بتهكمات من
حدائد مسنونة يقذف بها جسدها فتمزقه بخدوش عميقة..

ازدردت إيما ريقها وهي تحاول التماسك لترد هامسة بضيق
له

((أنا أسفه يا احمد لإفسادي الطعام.. كنت أريد أن اصنع غيره
ولكنك كنت قد وصلت.. لا اصدق أنك تسمعي كلام جارح فقط
لأنني أفسدت طعام العشاء))

منحها نظرة ساخرة أتبعها بسبيل من الكلام شعرت معه بأن
أضلعها تتهتك

((ليس كأنها أول مرة تفسدين الطعام.. أنا معتاد لدرجة
الافتقار.. ولكني لا أعشر أنني أستطيع تحملك أكثر من هذا بعد
اليوم))

ثم ابعد أنظاره عن إيمان بغضب وهو بداخله يعرف أنه يببالغ
بغضبه..

فمنحته هي نظرة باردة كم وددت أن تكون مؤلمة له كما
يؤلمها.. ثم أتبعنها بقولها الساخر المرير وهي توبخه بإهانة

((حتى ولو كنت سيئة بالطبخ ولا أجيد فن "تلبية نداءات البطن
المطل على الركبتين وإخراسه" .. أيعقل أن تتجاهل كل
محاسني وإيجابيتي وتهتم فقط بمهاراتي بصنع الأكل؟))

لم يستطع هذه المرة أن يتحكم بنفسه أكثر ليصرخ غاضبا قبل
أن يقف

((أي إيجابيات هذه يا زوجة الندامة؟))

خانت الدموع إيمان لتتزلق على وجنتيها بذهول من شدة انفعاله
وغضبه منها بينما تندفع نحوه صارخة هي الأخرى عليه

((احمد.. كفى.. لن أتجاهل إهانتك لي هذه المرة.. فكلما
تجاهلتك أزدت تجريحا لي))

اشتعلت عينا احمد بغضب أشد وهو يقترب من إيمان وقد شكت
أنه سيضربها لكنه صرخ بها قبل أن يغادر الصالة

((إن اصمتي ولا تسمعيني صوتك.. لن أكون حليما معك
وأنت قبل تجاوزاتك بعد الآن.. فقط كفي عن الحديث واغربي من
أمامي))

مسحت دموعها الساقطة رغما عنها لتسحب عدة أنفاس تبعث
فيها بعض الهدوء..

لم تستطع أن تنسحب دون أن ترد عليه الكلام فتبعته إلى
المغسلة التي يغسل فيها يديه قائلة بسخرية

((لو يعود الزمن بي لكنك نصحتك بالزواج من شيف بدلا من
قبول الزواج منك.. أو أضعف الإيمان أن تتزوج الطاهي
المكسيكي من المطعم المقابل))

أغمض عينيه يغمغم وقد بلغ صبره الحد

((كفي عن استفزازي وابتعدي من أمامي إيما))

صرخت عليه هاتفة

((أنا لا أحاول استفزازك بقدر ما أحاول أن أجد لك حلول))

دمدم بكلمات مقتضبة وما إن أنهى غسل يديه اتجه للمصالة حيث
هي جالسة وجلس على الأريكة المقابلة لها يشغل التلفاز فكتفت
ذراعها وهدقت به بعبوس..

أزعجه تحديقها به فلم يركز على ما يشاهده على التلفاز والتف
لها لترشفه بنظرة باردة ومن ثم تنتصب واقفة تاركة إياه وهي
تسارع خطواتها السريعة المتمائلة لحجرة نومهما..

كان يوده اللحاق بها وتلقينها درس لا تنساه..

لماذا؟ وماذا فعلت؟ لا يعرف بصدق..

مسح احمد بكفه وجهه بتعب ووجيعة نابعة من أعماق قلبه قبل
أن تتخلل أصابعه لشعره بحركات عشوائية بعثرت خصلاته
المرتبة في حركات بدت كمساج سريع لرأسه ورقبته..

فهو لم يذق الراحة منذ أيام.. تحديدا منذ أن التقى بهيام القلب..

=====
=====

كادت فداء أن تصرخ فرحا وهي تخطف هاتفها من فوق المنضدة تضغط زر الإجابة بلهفة وسعادة وابتسامة انتصار فوق شفيتها بمجرد أن سمعت صوت الرنين فهي تعرف من يمكن أن يحدثها الآن بدون أن تقرأ اسم المتصل حتى..

أجابت مرحبة به بصوت رقيق لا يخلو من الارتباك..

تجاهل كارم تحيتها تلك وهو يتحرك من مكانه ليذلف إلى غرفته ويغلق الباب بهدوء بعيدا عن مسامع أفراد عائلته ثم توجه بعدها إلى الأريكة يجلس فوقها براحة وهي ما تزال معه على الخط..

قطعت الهدوء بينهما على الخط وهي تسأله بصوت مرتعش وبدون أي مقدمات

((كارم هل هناك أي جديد بينك وبين جالا مثل انفصال أو قبيله؟ كارم.. احممم.. اقصد.. لم اتصلت بي؟))

أخذ كارم نفسا عميقا وأطلقه بارتعاش يوازي ارتعاش نبراتهما..

يعرف بل هو مدرك إنها تتعمد فعل الألاعيب النسائية عليه بينما هو فقط مستسلم بغياء.. متعمد..

أجابها كارم بتلقائية

((فداء أردت أن أتواصل معك من أجل موضوع جالا وبنفس الوقت لا شيء جديد بالموضوع))

تردد الصمت بينهما لمدة وهي مستمرة بوضع الهاتف على أذنها تنتظر وصول صوته..

بينما أشعل سيجارته وقد صار التدخين عادة ملازمة له منذ أن
اعترب ليقول أخيرا من تحت الدخان الذي يُحيط به

((فداء.. أنت لا تفهميني.. حتى لو أنهيت كافة أموري معها..
فهذا لن يغير شيئا بيننا.. ذهني مشوش قليلا وأشعر أنني لا أريد
أن تزوج بعمرى هذا.. أفضل إنهاء دراستي بروسيا أولا.. هذا
ما أردته وخططت له منذ زمن.. فقط لو تفهم أمي وتتوقف عن
رسم حياتي كما تريد هي.. فداء.. لا تسيئي فهمي أنا احبك ولا
أريد لعلاقتنا أن تنتهي.. ربما أريد لنا أنا وأنت أن نتعرف
أكثر.. ما رأيك بما أقوله؟))

هزت فداء رأسها بخيبة وعيون مغيبة..

يبدو أن فكرة الزواج كلها ملغية تماما بالنسبة له..

هل كان يريد الانفصال عن جالا لأنه لا يريد الزواج من
الأساس لا لأنه أعجبك بها وأحبها؟

إن لم علقها به وطلب مواعدها ووعدها بخطبتها؟ ما ذنبها؟

اعتصرت فداء أناملها الهاتف اعتصارا لترد بتحشرج

((عندما تكون الدراسة هي أولويتك الأولى والأخيرة يا كارم
وعندما تستمر بالتكرار على مسامعي طوال الوقت أنك غير
مستعد.. فهذا لا يضع فقط علاقتنا في مرحلة توقف ولكنه أيضاً
يجعلني أدرك أن القرار معلق بموافقتك أنت لا أنا.. كيف تريد
من علاقتنا أن تستمر وبنفس الوقت لا تريد الزواج؟ أظن أنه
علينا التوقف عن التحدث بشكل نهائي ونلغي كل ما بيننا))

وقف من مكانه ليضرب الأريكة بقدمه متمتما بكلمات حانقة..

لا يعلم أي حظ هذا من يوقعه بفتيات لا يفكرن إلا بالزواج
بإستماته..

كيف سيخرج نفسه من ورطة فداء وهو لم يستعملها إلا كحجة
للانفصال عن جالا وهي لم تكن لتستجيب له لولا دناءتها..

استطاعت فداء أن تسمعه تمتامته الغاضبة مما أرعبها داخليا
وخشيت فعلا أن ينهي علاقته بها..

لكن عادت تنفي بقوة داخلها نفسها.. عليها أن تبقى بنفس
الصلابة..

شهر بالنسبة لها هو أكثر من كافي له للتعرف عليها والانفصال
عن جالا ثم طلب يدها للزواج..

فهدرت وبصوت لا يخلو من الانفعال

((لم غضبت؟ بما أخطأت أنا؟ كل ما طلبته منك هو أن تتوقف
عن التحدث معي أو لقائي حتى تطلبني رسمياً من والدي.. أنا
أكرهك.. لييتي أموت وأنتهي من هذا العذاب))

شردت بأفكار أخرى تننيه وتغرق بها..

شعرت وكأنها وسط نيران غير قادرة على إحراقها ولا هي
قادرة على إخمادها..

قاطع كارم شرودها وهو يزفر بضيق ثم يتمتم بصوت مبجوح

((كفى يا فداء.. لو كان يطفئ شكك بما أكنه من مشاعر تجاهك
فسأخذ اليوم موعداً من أبيك وأتقدم لطلبك رسمياً.. سأفعلها
الليلة هذه إذا أردت.. ما رأيك؟))

ما أن أنهى جملته حتى ردت عليها بعنف وخيبة

((هل تسايبرني يا كارم وتكذب عليّ؟ كان عليّ إدراك هذا الأمر
مبكراً.. أنت تخدعني يا كارم.. أصبحت متأكدة بعد أن رأيت
ترددك هذا.. يبدو أن جالا لم تكن تكذب وهي تحدثني عن
علاقتكما وكل ما بينكما.. أنت لا تريد الانفصال عنها))

عصر على قبضته لعله يخفف من قلة الحيلة التي يظن أنه
يشعر بها ثم هدر بخشونة وهو يركز على أسنانه

((سألتحدث مع جالا بكل وضوح الآن وبعد أن أنهى مكالمتنا
هذه.. وبعدها سأتهي كل ما بيننا بشكل رسمي أمام والدها وقبل
سفري.. وما أن تستقر الأمور ونعبر هذه المحنة حتى أتقدم
لخطبتك.. هل أنت سعيدة؟ لكن عليّ وقبل كل شيء أن أتناقش
مع عائلتي وأوضح لهم حقيقة مشاعري إزاء كل شيء
خصوصاً وأنهم لا يعرفونك أبداً.. حسناً؟))

عاد شعور الحزن والشفقة يفتك بها لما ستفعله بجالا ولكنها
سارعت بمحي هذه المشاعر فهي بحاجة أن تكون أصلب إذا
أرادت إكمال ما بدأت به هي وكارم..

ثم عاودت تفكر بانها فعلاً لا تعرف عن عائلة كارم أي شيء..
هي تعرفت عليه شخصياً منذ شهر وبالحد تعرف عنه أشياء
بسيطة..

لكن مع ذلك حزنت أنه لا يحدثها عن عائلته أو أصدقائه.. وأن
أفراد عائلته ليسوا حتى على علم بوجودها.. على عكس جالا..

الآن وبعد إعادة النظر هي تشعر بحرقّة الغيرة تجاه جالا..
فهدرت له بصوتٍ متحشرج

((إن حدثهم عني يا كارم فمن الطبيعي أن يتناقش الشاب عن
فتاته مع عائلته ويقدمها إليهم لكي يتعرفوا على زوجته
المستقبلية.. إذا كان فعلاً ينوي الزواج منها))

قالت جملةتها الأخيرة له وهي تشدد عليها..

فعلينا أن نتعرف على عائلته وتريح احترامهم.. وجعل أفرادها
يحبونها ويقدرونها ويحسبون لها أيّ حساب كي يحبها كارم
أكثر..

هدر كارم بحنق

((يا إلهي فداء.. أنا أريد ثقتك.. فقط الثقة))

صمتت للحظة قبل أن تقول بنبرة ذائبة بشكل مصطنع

((إن عندما تنهي كل شيء وتكون مستعدا.. تذكر أن هناك فتاة
تُدعى فداء تحبك.. فلو أردتها فعلا أنت تعرف جيدا الطريق
إلى باب بيتي.. مللت من سؤال نفسي متى ستنهي أمورك مع
جالا وتتقدم رسميا لي.. كل صديقاتي المرتبطات بفتيان قد
ارتدوا تلك القيود الذهبية حول أصابع البنصر وحتى أن
معظمها انتقلت من اليد اليمنى لليسرى إلا أنا))

إنها تفهم أسبابه التي تجبره على التريث قليلاً للتعهد لها..

لكن في الوقت نفسه عليها أن تجعله يدرك أنها لن تنتظره
طوال عمرها كلّه كي يطلب يدها..

فجأة اخشوشن صوتها وهي تقول بجفاف خانة الارتعاش

((إن وداعا يا كارم.. وأخبرني آخر المستجدات))

ثم أغلقت الخط في وجهه..

أراد كارم حقا أن يقذف هاتفه أرضا بغضب إلا أنه تجمد
وصدم برؤية الباب يُفتح من قبل والدته وهي تدخل وتغلق
الباب خلفها وقد بدت الجدية واضحة على ملامحها..

اقتربت والدة كارم منه لتمسك بكتفيه قائلة بدون أي مقدمات

((كارم.. سمعت مكالماتك كلها.. لطالما شعرت أنه هناك خطب
ما فيك منذ زمن.. والآن فقط عرفته.. لا تقلق يا روجي.. أنا لن
أبدي أي شخص في العالم عليك.. لا تهمني إلا سعادتك.. وإذا
كانت سعادتك مع غير جالا.. فأخبرني من تكون تلك الفتاة
وسأخطبها لك الآن))

=====
=====
بثوب بيتي اسود ناعم يصل لم قبل الركبتين وبقدمين حافيتين
كانت إيمان بالمطبخ تعد العشاء بعد أن أنهت مراجعة دروس
ابنها عدنان ذي الست سنوات حتى قاطعتها صديقتها باتصال
هاتفي وانشغلت معها لوقت قصير..

في الأيام الماضية لم تجد غير صديقتها كملجأ لتحكي لها عن
بعض مشاكلها ومكنونات قلبها دون الخوض بأمورها
الشخصية مع احمد..

فكل ما يتعلق بحياتها الزوجية هي مقدسة لها وحتى والدها
وعائلتها تحرص ألا يروا حالها مع زوجها وابنها إلا بصورة
مثالية..

استشعرت صديقتها من نبرة صوتها مسحة حزن فسألتهما عما
إذا ما كانت تواجه مشاكل مع زوجها..

ابتسمت إيمان وهي تجيبها بسخرية مفتعلة بينما تضع الجبن في
الطبق لتضعه على الطاولة

((لا أبدا.. علاقتنا من أفضل ما يكون كالعادة.. بل على
العكس.. أخيرا بدأت تقل محاولة والدته للسيطرة علي.. يا إلهي
كم كنت أكره تعلق والدته به هو دوناً عن شقيقه الأكبر إياد))

أناها صوت صديقاتها مازحا

((هل تريدني أن يكره امه؟))

جهزت إيمان طبق لكل من الفلفل الأحمر الدائري والزيتون
وهي تجيبها بجدية تخللتها بعض الغضب كلما تذكرت تعلق
احمد المرضي بوالدته حد وصول الأمر إلى مشكلات كبيرة
عند اتخاذ القرارات ورغبته الدائمة في تنفيذ أوامرها مهما بدا
الأمر غير منطقي

((لا طبعاً.. لما تتحدثين معي وكأنك احمد تماما؟ عليك التفريق بين الشخص الذي يحب والدته ويحترمها ويحترم آراءها.. وبين الشخص الذي يرى أن والدته لها كامل الحق في كل شيء مهما بلغت خصوصية هذا الموضوع وذلك القرار بينه وبين زوجته.. وعدم احترامه لخصوصية علاقتهما ومعرفة والدته بكل شيء يجري بينكما))

همهمت صديققتها بتفهم وهي تتخيل كم أن هكذا حياة يمكن أن تكون مُرهقة للغاية..

غمغمت إيمان لها بتحية سلام متعللة باقتراب موعد وصول زوجها وأغلقت الهاتف..

وقبل أن تكمل إعداد العشاء زفرت بعمق وهي تنتظر للبيت الهادئ شاعرة بخواء يعمه ويعم داخلها بقوة..

لا بانقطاع شقاوة وصراخ ابنها مع نومه المبكر المعتاد فقط بل وباستمرار الخصام بينها وبين احمد..

وما يزيد الأمر سوءاً أن قربه أصعب من بعده عندما يعاملها بهذا الجفاء..

وضعت العصير الطازج على الطاولة وبدأت تجهر شرايح البطاطا الساخنة عندما سمعت صوت فتح الباب كإعلان عن وصوله فأغمضت عينيها لتلتمس قوة لم تعد قادرة عليها..

توقفت خطوات احمد حين كان يخطو نحو حجرة نومه عندما سمع صوتها يأتيه من المطبخ صارخاً..

كانت إيمان لم تنتبه إلى المياه القليلة التي تملأ الأرضية فانزلقت قدمها لتجد نفسها ساقطة عقب أن لوت قدمها..

وقعت عيناه عليها جالسة على الأرض وتمسد قدمها..

شعرت بحضور عطره فالتفتت إليه وهو يتقدم منها يسألها
بخوف

((هل تتألمين؟ هل أصبت في أي مكان؟))

هزت رأسها نفيا ودموعها تتلاحق على وجنتيها من شدة الألم..

حاول بطرف أصبعه أن يضغط بقوة على الكدمة لتجفل تلقائيا
من الألم الذي لا يتزحزح عنها وهي تصرخ به

((تبا لك احمد.. المسها برفق))

زفر بحنق ولم يستطع منع نفسه من الشعور بالغضب لثمتها
إياه بدون أي احترام وقد نسي إصابتها..

لكن طلب منها بصوت مكتوم من الغيظ أن تحاول الجلوس
ليحملها من مكانها ويضعها جالسة على أقرب كرسي..

جلس على ركبته أرضا وهو يأخذ قدمها ليتفقد مدى إصابتها..

بدا عابسا وغازبا وهو ينهرها

((إلى متى إهمالك وقلة اهتمامك؟ كيف لم تنتبهي على الماء
أرضا))

انكملت إيمان من ردة فعله..

ما به هذه الأيام يوبخها بسبب وبدون سبب ويعلق على أشياء
لأول مرة ويبالغ بما يقول!

بينما هو عاد يتطلع إلى قدمها بعطف وإشفاق ليتفحصها سالبا
منها شهقة إجحال تلتها صرخة مكتومة متألمة بسبب ضغط
أصابعه مرة أخرى عليها..

انتبه فجأة لعدة كدمات أخريات على ساقها وقد بدت أنها
حاولت تغطيتها بمساحيق التجميل لتخفف من ظهورها..

شعر بلمسة قلق عليها تخالط مشاعره فسألها تباعا بهلع وهو
يشير إلى كدماتها

((ما الذي حدث؟ من الذي أذاك؟))

للحظة أجملت من التماع عينيه فبرز لون عينا احمد الأزرق
المشابه للون عينيها بوضوح ليس معتاد..

عادت تنتظر لكدماتها تذكر الموقف الذي لا تحسد عليه والذي
حدث معها صباحا في منتصف إحدى الحصص الدراسية..

عندما قفزت إحدى الطالبات من مقعدها تصرخ وتقول
"حشرة" ..

ليدب الرعب بين جميع الطالبات ويخرجن مسرعات من
الفصل..

وطبعاً هي كانت أول الهاربات من الفصل ومن خوفها على
نفسها لم يخطر ببالها حتى أن تحاول مساعدتها..

وخلال ثواني كان الفصل فارغ إلا من الطالبة التي تصرخ
وتنفض ثيابها.. حتى توقفت عن الصراخ لاكتشافها أن الحشرة
التي رأتها على ملابسها ما هي إلى خيوط سوداء متجمعة..

ومن شدة ما ضحكت بصوت مرتفع مع الطالبات انتبهت
متأخرا للألم والكدمات على ساقها التي أصابتها من جراء
حركاتها أثناء صراخها..

ولم تجد إلا أن تغطي الكدمات بمساحيق التجميل حتى لا تظهر
بما أنها معتادة على ارتداء تنانير فوق كاحليها بقليل..

سخرت إيمان من نفسها وخرجت منها ضحكة صغيرة أثارت
استيائه ومحت كل الخوف والقلق من قلبه عليها ليعود للحق
عليها..

تمتعت إيمان وهي تعود لتتطلع لعينيه بافتتان أفلت منها لجامه

((حادث بسيط تعرضت له صباحا بالمدرسة))

ثم ابتسمت بتسليية له رغم المها الشديد لتضيف

((هل أنت خائف علي؟))

أستقام احمد هادرا بجمود دون أن ينتظر ردها

((غيري ثيابك سنذهب إلى المشفى))

أوشكت أن تعتذر لضحككتها بموقف أبعد ما يتحمل ذلك ولكنه لم
يترك لها مجال وهو يبتعد عنها..

=====
=====

تقدمت من سارا صديققتها ديمة وهي تحييبها بحاجبيها لتتفرج
شفتي سارا بابتسامة تُظهر صف أسنانها التي أظهر احمر
شفاها الفاقع اللون بياضها..

ثم قالت سارا لمن معها على الخط قبل أن تغلقه

((لا.. أنا فعلا لا أستطيع القوم.. لكن سأفكر بالموضوع.. هل
يمكن أن تقطع الخط.. هناك مكالمة مهمة من والدتي.. إلى
اللقاء يا حبيبي سأراك بسهرة الخميس القادم))

سألته ديمة بتسليية وقد كانت سمعت أخر جملة من حديث سارا
على الهاتف قبل أن تنهي مكالمتها

((هل حبيب سهرة الخميس القادمة هو نفسه حبيب سهرة
الخميس الماضية؟))

وسرعان ما ضحكت ديمة بسخرية على سؤالها وشاركتها سارا
الضحك براحة لتقول وهي تهز كتفيها

((هل تصدقين يا ديمة أنني أنهيت المكالمة معه وانا لا أتذكر أساسا اسمه؟ لكن لا يهم سأغير رقم هاتفي لأتخلص من كل الصعاليك الذين يلاحقوني.. أغلبهم زملائي بالمدرسة.. والآن بعد أن تخرجت من المدرسة فأريد أن أجرب مواعدة الرجال الأكبر سنًا))

لوت ديمة فمها وهي تهز رأسها تأكيدا على ما تقوله بمشاكسة

((سارا أنت تعيشين حياة رائعة قبل أن تكلمي حتى عامك الثامن عشر))

فرقعت سارا أصابعها وقد بدت أنها تذكرت شيئا مهما.. لتهتف بديمة وهي ترفع سبابتها أمامها

((يا إلهي لقد تذكرت.. كما تعلمين حفلة عيد ميلادي الثامن عشر ستكون بعد أقل من ثلاثة أشهر وسأحتاج مساعدتك ببعض الأمور.. أريده حفلا مميزا لذا بدأت التجهيز قبل الحفل بست أشهر كما تعلمين))

اقتربت خطوة منها لتردف حاسدة بمزاح

((الم أخبرك أنك محظوظة.. أنت ما زلتني يافعة.. أتمنى لو أعود صغيرة بعمرك بلا هموم.. بعمرى هذا أنا مجبرة لحضور المواعيد المدبرة من قبل والدتي فأنا أسير بخطى حثيثة نحو الخامسة والعشرين))

ردت سارا عليها بابتسامة لطيفة

((لا تبالغي.. العيش بعمرى ليس سهلا أبدا.. والدي يضغط عليّ لأجل الدراسة.. انه يجبرني على الحضور للشركة بشكل يومي لعلّي أحب العمل وأتحفز للدراسة ودخول الجامعة.. المهم أخبريني.. كيف كان موعدك المدير السابق؟))

هزت ديمة كتفيها بلا مبالاة وهي تفكر بتلك المواعيد المدبرة التي تبعث دائما على التوتر فيها..

حيث يلزمها التحضير لها لأيام من أجل الظهور بمظهر أنيق
وتجنب التصرف بفظاظة أو الوقوع في موقف غير متوقع
وينتهي الأمر بأن لا يسير كل شيء بالطريقة التي خطت
لها..

فتقع ضحية لموعِد فاشل ينتهي بشكل كارثي.. أو يترك لديها
ذكرى سيئة بسبب تصرف الطرف الآخر..

بينما كانت سارا لا تفكر إلا بالذي يمشی بالمرر أمامها لترفع
حاجبها بمجرد تلاقي أعينهما وكأنها تستشير بالذهاب إلى
المقهى..

فيشير بحركة رأسه أن تتبعه إلى هناك..

جفلت سارا على سؤال ديمة لها

((بماذا شردت يا سارا؟ بذلك المتدرب الجامعي؟ ما هو اسمه
ذكريني؟))

غرقت بضحكة خافتة لتجيب تلك الشقية أمامها بتلقائية

((اسمه راجي))

عقدت ديمة حاجبها هادرة

((انه يظنك موظفة أو متدربة مثله هنا ولا يعرف حتى عمرك
الحقيقي.. صحيح؟ ولا أظنه يعرف أن والدك يمتلك حصة أسهم
تتجاوز النصف من أسهم هذه الشركة المرموقة))

هزت سارا رأسها مؤكدة على كلام ديمة..

ذكرتها ديمة بما قالت

((أظن أن عمره عشرين عاما.. الم تقولي للتو أنك تطمحين
لمواعد الرجال الأكبر سنا؟ أم هو مختلف كفاية ليكون تحديك
الجديد؟))

لم تجبها سارا وذاكرته تعرض أمامها أول لقاء لها معه منذ أن
بدء تدريبيه هنا..

كانت مسبقا تنتبه لنظراته التي تلاحقها وتعرف أنها تلفت
انتباهه رغما عنه وما أن تمسك به متلبسا يحدق بها حتى يشيح
برأسه بعيدا على الفور وبخجل..

أول مرة تحدثت معه كانت سجاثرها قد انتهت فتقدمت منه
تطلب سيجارة ليرد عليها بعفوية "لا" .. فردت عليه ببساطة
"شكراً" وانصرفت..

لحقها فوراً وأخبرها أنه كان يمازحها..

وقد بدا أنه استغرب كل هذه الجدية في التعامل مع دعابته وقد
أعجبها الانطباع الذي أخذه عنها..

ثم اعتذر منها وأخبرها أن علية السجاثر الموضوعه على
طاولته ليست له وانه أصلا لا يدخن ويكره التدخين بصفة
خاصة..

ومن موضوع التدخين بدأ نقاشهما ليستمرتا بتجاذب أطراف
الحديث بكل مرة يريا بعضهما..

بعدها أصبحا يتحدثان بشكل أطول ويتناقشا في كل مرة كل ما
يخطر ببالهما.. قبل أن يصيرا صديقان عاديان..

أخرجتها ديمة مرة أخرى من شرودها وهي تخمن

((تبددين حقا معجبة به مع انه لا يبدو من نوع الشباب المفضل
لك.. ولا يمتلك نفس درجة انفتاحنا.. يبدو معقد ومنغلق))

عقدت ديمة حاجبيها وهي ترى نظرات تائهة تحتل مقلي سارا
لأول مرة وهي تجيبها بصراحة

((لا أدري إذا كان ما أكنه إعجاب أو لا.. ولكن أنت تعرفين أن ضغط والذي عليّ الفترة الماضية جعلني أصاب بشكل مؤقت بإحدى أنواع اضطراب القلق كلما دخلت هذه الشركة.. كنت بلا إرادة مني أتفقد ساعتني كل دقيقتين وأحسب الوقت الذي يمر بي.. كنت أتوتر أيضا إذا تحدثت باستفاضة لئلا أزعج الآخرين.. وأتوتر إذا لذت بالصمت طويلاً لئلا يعتبروني مملّة.. لكن عندما خرجت مع راجي أول مرة دخلنا في نقاشٍ طويل ثم نظرت لساعتي.. وجدت ثلاث ساعات قد انقضت.. وقت طويل أذهلني أنني لم أشعر به.. هنا وقع شعرت بقلبي يقع بانجذاب لراجي.. وشعرت برغبة شديدة في أن أبقى معه أكثر.. فيه شيء مختلف عن كل شبان الذين عرفتهم سابقاً))

أحسّت سارا بنبضات قلبها تزداد أثناء حديثها إلى سرعة جعلتها تحس بالدوار..

لكن مع ذلك شددت وقفقتها وهي تتمتم تحية الوداع لديمّة بينما تحمل حقيبة كتفها الأنيقة لتسرع بخطواتها للمقهى وتلقه..

جلست على مقعد مقابله بمقهى الشركة وبقيا لدقائق صامتان ويحدقان في كوبي قهوتهم كعادتهما بالبداية..

كان راجي مأخوذ بأفكاره عنها كعادته..

هو لا يعيش بمحيط يسمح له بالاختلاط مع الكثير من الفتيات..

ومن جهة أخرى لم يسبق له من قبل وإن خطفت فتاة عقله وفكره مثلها..

سألها بابتسامة بسيطة ليستدعي انتباهها

((لم كنت أنت وصديقك تحدقان بي؟))

رفعت سارا حاجبيها وهي تجيب بتسلية عقب أن ارتشفت من كوبيها

((نحن الاثنان معجبتان بك.. لم؟ هل تمنع؟))

هز كتفيه وقد ازداد شق ابتسامته ليخرج لها لسانه بشقاوته التي لا تنتهي مهما كبر بالعمر رغم الجدية والوجوم الذي يلتصق بوجهه أمام من لا يعرفه حقا..

ضحكت سارا عليه وبدون أن تشعر ألقت بالمعلقة الصغيرة الموضوعه بجانب فنجان القهوة باتجاهه فالتقطها وهو يبتسم..

أخذت نفسا للحظة.. ثم وجدت نفسها تسأله عن شيء قديم
أزعجها به من أول لقاء بينهما

((وماذا عنك؟ لم تحدجني بهذه النظرات وكأنني لا أعجبك؟ ألا تعجبك ملابسني مثلا؟))

لوت فاها تسترسل وهي تقترب برأسها منه

((راجي الزم حدود ولا تفكر أنه يمكن أن اسمح لك بالتدخل
بي))

اسند ظهره على الكرسي وهز كتفيه دليل اللامبالاة ليجيبها بثقة
وهو يلوح بالمعلقة أمام وجهها

((لم تظنين هذا؟ هل سبق وان علقت على شيء يخصك من قبل يا سارا؟ وهل أساسا امالك أي سلطة عليك تمكنني من التدخل؟))

ضحكت ضحكة خافتة وساخرة وهي تخبره بتحدي يعجبها
الخوض به

((ولا إنسان يملك سلطة عليّ حتى والدي))

شيء بداخلها جعلها تشعر برغبة بالاسترسال عن نمط حياتها
وعالمها له

((هذه أنا.. أحب المكياج.. وأرتدي ثيابي على الموضة وأرقه عن نفسي.. وأخرج دائماً مع صديقتي وأغني وأفرح وأسهر في الأماكن التي تقدم الأرجيلة وحفلات الكاريوكي والحفلات الشرقية.. لا تهمني نظرة الناس إليّ أو تعليقاتهم.. وليس لدي مشكلة في شرب البيرة والرقص.. ولا أواجه المشاكل مع ما أرتديه إلا مع أقربائي الذين لا يتقبلون الأمر لأنهم يعيشون هنا.. أما والديّ الاثنان فقد عاشا بالخارج وتصبغا بعاداتهم.. كما وأصرأ والديّ على ذهابي أنا وأخي الأكبر على الدراسة لأخر سنة دراسية بمدرسة خاصة هناك))

كان متعجب منها وهي تسرد له أغلب الأمور المتعلقة لحياتها..

حتى وصلت للفظ البيرة ليجد نفسه ينفّر داخليا من هذه الكلمة فالخمر أم الخبائث ومفاسدها على الدين والبدن والعقل لا تخفى على ذي بصيرة..

لم يستطع أن يتحكم بخلو محياه من ملامح الانزعاج والصدمة بها..

سألها بتردد ما إذا كانت تترتد الملاهي الليلية دائما فأجابته بتلقائية وهي تهز كتفيها

((لم أحاول أي مرة أن أدخل إلى ملهى ليلي لأنه لا أعتقد أنه مناسب لعمرى لذلك أفضل المطاعم والمقاهي الشرقية فقط))

وجد الوضع أهون قليلا فهو لن يستطيع حتى أن يجلس مع شخص يشرب ولا يستطيع حتى مجاملته في ذلك بل كان سيكتفي بوعظه ونصحه وتذكيره بالله ويغادره..

لكن مهلا! عاد سؤال يراوده باستغراب ليسأل أيضا بتردد

((لحظة.. كم هو عمرك؟))

أخيرا سألها عن عمرها الذي بدا جاهلا له من البداية وهو يظنها غالبا موظفة لأن والدها جهز طاولة لها بمكتب ديمة مع

أنها لا تقوم بشيء في المكتب إلا بتصفح مجالات الموضة
معظم الوقت وتتسكع بممرات الشركة بما يتبقى من موعد
الدوام..

ابتسمت سارا بخبث وهي تخبره

((سأبلغ الثامنة عشر بعد عدة أشهر.. وسأقيم حفلة عيد ميلاد
ضخم وأنت بالتأكيد مدعو له))

فتح عيناه على اتساعهما كما جعلته الصدمة فاغر الفم دون أن
يستطيع النطق بجملة مفيدة وهو يهتف بارتباك

((ماذا؟ ماذا؟ لكن.. أنا ظننتك أنك حتى تكبريني بالعمر.. لقد
ظننتك موظفة.. هل..))

صمت قليلا وهو يتأملها بدقة أكثر فعلى ما يبدو أن مبالغتها
بوضع زينة وجهها وتعمدها اقتناء وارتداء ملابس ضيقة تظهر
مفاتها وشخصيتها البعيدة كل البعد عن براءة الفتيات بجيلها
جعلها تبدو أكبر من عمرها..

أما من جهتها بدت منزعة ولم يعجبها أبدا ظنه عنها أنها
بعمر أكبر من عمرها الحقيقي..

هتفت له متذمرة

((ما بك مصدوم إلى هذا الحد؟))

ما لبث إلا أن هز كتفيه وابتسم وهو ينظر إليها.. ثم شرد
بأفكاره تارة أخرى..

حتى مع صغر سنها ومقاربتها له بالعمر فسارا ليست تلك
البريئة التي تطمح إلى زوج وبيت كمعظم بنات محيطه الذي
عاش به..

ودائماً ما تصرح له بفخر عن أفكارها هذه ولا تخشى من نظرة المجتمع لفئة مستهتره مثلها..

مع انه هو الرجل.. وليس الرجل كالمرأة هنا ببلاده.. إلا أنه يخشى من نظرة الناس المحيطة له..

ولم يتعجب من طريقة تفكير فتاة عاشت طفولتها وهي تجوب كل أوروبا؟

لا يعرف ما يجذبه ليحافظ على صداقته بها وبذات الوقت لا يقبل على احدى أختيه اللتان تكبرانه حتى أن يصاحبين من هن على شاكلتها..

هل هو منافق لأنه يكمن لها في قلبه مشاعر إعجاب خارجة عن إرادته تجاهها ومشاعر أخرى احتقار لما هي عليه من تفكير وتصرفات؟

فهو كما يعرف واعتاد وتربى عليه من صغره أن الناس في التواصل الإنساني والاجتماعي لا يجتمعون في محيط واحد إلا حينما تجمعهم صفات مشتركة..

كما اعتاد سابقا ألا يصادق إلا من يرى فيه شيئاً من مبادئه وقيمه التي تربى عليها وممن يجد لديه بعضاً من ذاته..

=====
=====

بعد أن تأكدت إيمان من نوم ابنها عدنان التقطت قميص النوم الأسود القصير الثمين الذي اشترته اليوم خصيصاً له لترتيديه..

لقد طال الأمر ولم تعد تتحمل فبالرغم من أن احمد عاد للتحدث معها بشكل عادي بعد أخذها للمشفى بعد وقوعها ذلك اليوم إلا أنه لا زال يهجرها..

المعنى الأصح أنها هي من تهجره ولا تزال تنام بغرفة ابنها..

فالمفترض أنها هي من تخاصم وتتدلل ومن تنتظر قائمة مطولة
بالاعتذارات عن سبب غضبه عليها المبالغ به بتلك الليلة.. ليلة
شجارهم..

والآن كل ما تتلقاه منه فقط هدوء وجمود مقيت وبدون القيام
بأي مبادرة لمصالحتها..

صحيح أن ما فعلته هي ليس مقبولا ولكنه هو من أخطأ بحقها
أولا ودفعها لردة الفعل تلك..

أنهت إيمان زينتها بعد أن بالغت بها وبوضع عطرها المفضل
له ثم ارتدت الروب فوق القميص..

وما إن وصلت لجرة نومها أخذت عدة أنفاس قبل أن تفتح
باب الحجره بهدوء دون أن تطرقه ثم أغلقت الباب خلفها..

اقتربت إليه بخطوات مرتعشة وهي تسمع صوت تنفسه غير
المنتظم لتتأكد أنه ما زال يحاول النوم..

هي تعرف أن نومه كان سيء بالليالي السابقة وأصابه الأرق
حد أنه كان يستيقظ ويخرج من الغرفة كثيرا بعد منتصف
الليل..

أل هذه الدرجة وجد صعوبة بالنوم من دونها بجانبه ليلاً؟

جلست إيمان بجانبه على طرف الفراش وهي تطلق أنفاسها
ليفتح عينيه ويواجه بحر عينيه الأزرق..

حاولت أن تهمس باسمه ولكن مشاعرها من هذا البعد خنق
الكلمات في صدرها.. فأخذت تكتفي بالنظر في عينيه بعجز..

وهو يقابلها فقط بالبرود بينما عيونه مستمرة بتبادل النظرات
معها ولكن بعمقهما لا ترى شيئا إلا البرود تجاهها..

هل تراها أطالت البعد وزاد الجفاء بينهما؟

خلعت الروب وأبعدته عنها ليسقط أرضا ويظهر كتفها
المكشوف.. وبصوت مبجوح طلبت منه أن يبتعد لترقد بجانبه..

آخر ما توقعته أن يزيح مجالاً له ثم يلف نفسه ويعطيها ظهره..

أرادت الاعتراض وفتحت شفتاها المرتجتان إلا أنها لم تنطق
بشيء..

بتلقائية أضجعت بجانبه واحتوت جسده من الخلف وهي تشعر
بعاطفة جياشة وهو لا يزال يقابلها بالبرود بل وتمكن من إبعاد
نفسه عنها لتتزايد أنفاسها بقلق..

تبا له كيف يستطيع المقاومة هكذا بينما هي تموت شوقاً إليه؟
بل إن أوصالها بدأت بالارتعاش بمجرد أن لامسته؟

انهمرت دموعها فهمست بعتاب من بين شهقاتها بصوت مثير
للشفقة

((أنت لا تبدي إعجابك بأي شيء بي.. أسوأ شيء بالنسبة لي
كأمره هو أن تحيطني كلمات الإعجاب طول الوقت سواء
بجمالي وملايسي أو بتصرفاتي وعملي لكنها لا تأتي من
زوجي.. نحن النساء جميعاً نرغب في سماع كلمات الإعجاب
ممن نحب ونكتفي بهم عن العالم.. واستمرارك في تجاهلك لي
يجعلني أبدأ في احتقار ذاتي والتقليل منها))

اعتدل احمد من مضجعه ليلف ذراعيه حولها وقد أثرت كلماتها
به قليلاً فبدأت تبكي وتهتز بالنشيج تاركنا إياه يحضنها وهو
يدفن وجهها في صدره..

رفع يده تمسك بمؤخرة رأسها قبل أن تتحرك فوق رأسها ببطء
و بلطف ليسح شعرها كأنه يواسيها بشيء ليس له أي علاقة بما
تشعر به..

لكنه داخليا شعر بالحزن عليها..

ولكن ماذا عساه يفعل؟

هو بالفعل يتحامل على نفسه كثيرا..

ربما ظاهريا زواجه ناجح بكل المعايير.. لكنه ومهما واصل حياته الزوجية بشكل طبيعي إلا انه دائما ما يعيش في أعماقه خيالاته الخاصة به.. مع من أحبها في قلبه..

دائما ما يجد نفسه كثير السرحان والانفصال عن الحقيقة كأنه يريد أن يبقى أطول مدة ممكنة في أحلام اليقظة أو أحلام النوم..

لذلك فهو يعلم أنه لا يشعر ولن يشعر بالسعادة في زواجه..
مهما حصل عليها.. لا مع زوجته ولا مع طفله عدنان..

رغم أنه لا ينكر أن إيمان زوجة رائعة وتؤدي كل ما عليها تقريبا..

ولكنها لن تتمكن من اكتشاف الحزن في أعماقه سواء أن أظهره بالعلن أو في خلواته..

بينما كانت إيمان مستمرة بالبكاء بين أحضانها بكل الغضب والألم الذي جعلها قريبة من الهستيريا بدأ بكأؤها يخفت بالتدريج حتى توقفت عن البكاء..

لكنها لم تتحرك وبقي وجهها مخبأ في صدره وهي تكافح لتسيطر على شهقاتها..

أخيرا مدت يدها لتمسح الدموع عن وجهها وهي تتنهد بحسرة..

فأرجع احمد رأسها إلى الوراء ليهمس بهدوء لها

((هيا نامي هنا الآن.. لدينا عمل مبكر غدا أنا وأنت))

وأمأت رأسها موافقة وهي تستلقي بجانبه مع أنها لم تشعر بالسعادة وهي تعود للنوم بجانبه..

الجفاء والبرود كان مستمرا من جانبه فلم تستطع النوم طوال
الليلة وهي تفكر وتتقلب على جمر الأرق..

وعلى الرغم من أن احمد بدا وكأنه غرق فوراً بنوم سريع
بالبداية إلا أنه ولساعات طوال بعد منتصف الليل ظل تحت
وطأة الأرق لا يفكر بشيء عداها هي..

هي البعيدة عنه ومن وبات قلبه وعقله يجزمان على عدم
نسيانها أمد الدهر..

قام احمد من مضجعه بهدوء حتى لا تستيقظ التي بجانبه ولم
يكن يعرف أن النوم لم يزرها أبداً..

خرج للشرفة ليستنشق هواء الليل العليل فبالأمس لم ينام بعد
سماع صوتها لهيام قلبه..

لم يتجرأ أن يتحدث أو ينطق بهمس بعد أن وصل لرقم هاتفها
وأتصل بها وسمع صوتها..

فبعد أغلقت هيام سماعة هاتفها ظنا منها أنها مكالمة من عابث
ظنّت نغمات صوتها تتراقص على أوتار مسامعه..

وفي غفلة منه تسلّلت إلى أطراف قلبه لتعلن اشتياقه إليها الذي
كان بازدياد..

وبعدما تربعت صورتها في خيالها حاول أن يعود للنوم
ويغمض جفناه المرهقين.. على أمل أن يراها في أحلامه..

لقد توقفت دقائق الساعات منذ رأى صورتها بمخيلته في كل
ثانية تمر بدونها معه منذ أن التقى بها بذلك النهار فالمول
التجاري..

ما يزيد الأمر سوءاً.. هو أنه يعلم أنها لم تتزوج حتى الآن..

ربما هو داخليا يعلم جيداً أنها تنتظره كعهدها دوماً.. يعلم جيداً
أن حبه لها ما زال كما هو لم يتأثر ببعدهم..

لم يتمكن بالسابق أن يفعل شيء سوى أن يأمل لليالي أن يجمعه
الله بها..

لا يعرف كيف.. فقط يأمل أن يصحو في يوم ما ليجدها معه..
معه هي فقط..

=====
=====

لقد ضيع كارم وقتا بما فيه الكفاية فأغلق باب غرفته بالمفتاح ثم
تحرك ناحية الطاولة الصغيرة يختطف من فوقها هاتفه..

أجرى اتصالا من خلاله منتظرا إجابة جالا لعدة لحظات قبل أن
تجيب فيهاتف بجديبة لها

((مرحبا جالا.. هل أنت متفرغة؟))

هممت له بإيجاب فأخبرها أنه الآن واقف بشرفة حجرته
وطلب منها أن تخرج لشرفة حجرة نومها المقابلة لشرفته..

أطاعته جالا وشعور دافئ جميل تسلسل إلى قلبها عندما طلب
منها ذلك وهي تستعيد ذكريات الأيام الخوالي..

هم جاران منذ الأزل ومنزلهما متقابلان وتفصل بين شرفتيهما
مسافة قصيرة يستطيع الواحد منهما سماع ما يقوله الآخر
بوضوح ويسر وقد اعتادا منذ صغرها أن يقفا على الشرفة
منقابلين لبعضهما ويتحدثان عن كل شيء..

بقد شهدت هذه الشرفات حرفيا ذكريات جميلة ودافئة بينهما..

بالليل كانا يجدان متعة الاكتفاء بالتحديق بصمت في سكونه..

تارة يرقدان على الأرض وينظران لسماء المساء المظلمة
وللنجوم البراقة..

وتارة يستندان بمرفقيهما على سور الشرفة ويحدقان ببعضها
بابتسامة لي شعرا كأن الابتسامة صوت موسيقى عذب يصل
لمسامعهما بذبذبات رقيقة فتزيد الجو سحرا وجمالا من
حولهما..

عادت جالا من ذكرياتها للحاضر وهي واقفة بالشرفة تنتظر له
ومستمرة بالحديث معه على الهاتف بحديث عادي وروتيني..

بينما كان كارم أثناء حديثه معها وهو واقف بالشرفة ينظر
للسماء.. للأشجار حوله.. وقلمًا ينظر أمامه لها..

مما جعل جالا تتجهم بعد مدة أثناء الحديث وتلتمع عينيها
بالاستغراب والريبة فضلا عن نبرة صوته كلما توغل في
الحديث معها..

لوهلة وبينما هي لا زالت واقفة بالشرفة لم تشعر بنفس السعادة
كما الماضي بالرغم من أنهما لم يقفا بشرفتها هكذا كما الآن
منذ رحيله إلى روسيا..

تأكدت بأنه فعلا صار غريبا عنها.. ليس نفسه كارم الذي تعرفه
بطفولتها..

عم الصمت بينهما ولا تدري لم اقتربت أكثر من سور شرفة
منزلها لتحقق عن قرب بملامح وجهه الهادئة..

وكأنها تراه لأول مرة منذ سفره بتمعن..

لكن انحرف تفكيرها لتفكر بعقلها بأنه رغم غرابة كل
تصرفاتها إلا أنه قد ازداد وسامة..

ابتسمت بهدوء له واستمرت بالتحديق ولا شيء إلا التحديق
به.. فله وقع مؤثر جدا عليها.. له وقع لطيف خاص به هو
عليها..

قاطع تفكيرها وسرحانها وصول صوته لها ببعض التردد

((إذن.. فداء لن تخرج معنا كما اتفقنا سابقا؟))

حاولت جالا التقليل من تأثيرها الشديد به لتجيبه بهدوء

((نعم.. والدتها أو ربما أختها هي من منعتها من الخروج..
أختها خصيصا مزعة جدا.. لقد تزوجت أختها وتعيش الآن
مع زوجها بمدينة بعيدة عن عائلتها إلا أنها لا تزال تتسلط
وتتحكم بفداء وكأنها دميته الصغيرة.. تخيل أنها تتصل بأوقات
عشوائية كل يوم بأمها حتى تتأكد من أن فداء وأختيهما
الصغيرات بالبيت ولسنا بالخارج.. إنها بغیضة.. لو كانت هيام
مثلها لكنت قتلتها ببدي))

للحظات فكرت جالا بفداء فعندما تعمقت بمعرفتها شعرت
بالاختناق كلما تخيلت نفسها تعيش حياتها..

فبالنسبة لجالا هي قد مارست استقلالها بشكل تلقائي منذ
طفولتها وكان هذا هو الشكل الطبيعي لحياتها..

تهتم بكل ما يخصها دون تدخل من أحد.. تمارس الهوايات التي
تحبها وتخرج للنزهة وقتما تحب..

لم تأبه يوما لحق أمها من تصرفاتها.. ولا حتى لوالدها الذي
كان وجود بيت وبنات أخريات له ومسؤوليات ثقيلة جعله
متساهلا معها وأقل انتباها لتصرفاتها..

أناها صوت كارد بعد تفكير منه

((ربما عائلتها يحاولون حمايتها من وحوش هذا العالم))

شعرت بنغزة تؤلمها بعد ما قاله خاصة وأن كارم يعرف ما يجعله الكل عنها..

هل كل ما حصل معها كان لوالديها علاقة به؟

هي تعرف أنهما حاولا قدر الإمكان عدم التقصير تجاههم وهذا ما يعيدها لحقيقة أنها هي المسؤولة بما حدث لنفسها وصغر سنها ليس عذرا كافيا..

قالت جالا بصوتٍ جاهدت ليبدو متزن وهي تؤكد لنفسها أن كلامه عفوي ولا يرمي لشيءٍ آخر

((لا.. الأمر مختلف مع فداء.. فعائلتها تبالغ بشكل خانق بحمايتها والخوف عليها ووأدها من الحياة.. لطلما استغربت من أنها تُمنع من أبسط الأنشطة لأنها فقط أنثى.. وتبذل الكثير من التذلل والتمثيل والخدع السينمائية لإقناع عائلاتها للخروج لأي مكان.. وإذا وافقوا تفعله تحت الحراسة وتضل تبكي لي لضيق الوقت المخصص لها للخروج))

تتهدد كارم وهو يفكر بأن عليه مبدئيا أن يذكر لها السبب الذي يريد من أجله الانفصال ألا وهو فداء كما اتفق أن يقول لها ومن ثم فعلها والانفصال..

فيبدأ صوته بخشوشن وهو يحاول رغم جفاف حلقه أن يدخل للموضوع تدريجيا

((لا أرى خطأ بما يفعله.. حتى أنا تغيرت الكثير من أفكاري عما كانت عليه سابقا.. أرى الآن أن كونها أنثى يعني أنها بحاجة للحماية دوما.. لا أحبذ فكرة اختلاطها مع الكثير من الأشخاص أو استقلاليتها.. أفضل أن تبقى ببيتها مكرمة))

حديثه أشعرها بالصدمة.. كارم آخر شخص تتوقعه بهذا العالم أن يتحدث بهذا الشكل..

ترى هل أصبح غريبا عنها إلى حد أنها لا تعرف كيف أصبح يفكر؟

اللحظة صمتت قبل أن تقول بنبرة قوية

((لا كارم أنا لا أرى هذا.. هل تعرف ماذا؟ أنا دوما تضايقتني ازدواجية المجتمع فيما يتعلق باستقلال المرأة.. فهو يشجع استقلالها في النواحي التي تصب في مصلحته.. مثل إدارتها للبيت واضطلاعها بالأعمال المنزلية وحدها.. واعتمادها على نفسها في رعاية أهلها دون أي مساعدة أو شكوى.. تحمل هذه المسؤوليات اليومية درجة مهمة جداً من الاستقلالية لا يتمتع بها أغلب الرجال الذين يموتون جوعاً لو عاشوا وحدهم يومين وتحول بيوتهم إلى حظيرة فوضوية.. ولكن إذا رغبت المرأة في استكمال طريق استقلالها لآخره لتتحكم في حياتها ووظيفتها وأموالها ومصيرها والشكل الذي تريده لمستقبلها.. ينقلب الكل عليها ويطاردها بعبارات تُسِفِّه منها.. ويطالبونها بالبقاء في المنزل.. هل سفرك للخارج هذه السنوات جعل منك متخلفاً؟ ظننت أن العكس سيحدث لا..))

قاطعها بعنف فوراً بعد أن بدأ الأمر محنى لم يقصده

((جالا.. اصمتي.. لا اسمح لك بالتحدث معي بهذا الشكل))

كانت تعابيرها تحمل الصدمة لكنها شعرت أنها تريد أن تفرغ كل مكوناتها قلبها له.. وكل ما تشعره نحو تغييره اتجاهها..

فهتفت له بصوت مرتجف خائف ودموعها تتساقط رغماً عنها بحالة يرثى لها

((الشخص الذي أتحدث معه الآن ليس أنت كارم.. لم اشعر أنك بدأت بالتغير منذ سفرك؟ منذ عودتك وأنت تحاول جعلني أكرهك.. كأنك تريد دفعي للانفصال عنك؟))

حاله هو أيضاً لم يكن بالهين.. أغمض عينيه وشد عليهما..

رغم تصلب جسده كلياً لكن قلبه أخذ ينبض بسرعة..

لم يتوقع أن تبكي قبل حتى أن يفتحها بالموضوع لتزلزل كل ذرة فيه..

كان يجاهد كي لا يتأثر.. يقاوم مشاعره بأقسى الطرق..

عليه أن يفعل ما يراه لمصلحتها.. نعم مصحتها هما
الاثنتان..

فتح كارم عيناه ليهتف لها بعنف

((نعم جالا صحيح.. ظننت أنك غبية لتستوعبي حقيقة

محاواتي لدفعك أنتِ طلب الانفصال.. لكن على ما يبدو أنك
تدركين ذلك ولكنك تستغيني.. وتستغين نفسك.. جالا أنا وأنت
لسنا مناسبين.. أريد فسخ خطبتنا.. أنا أحب فداء صديقتك وأريد
خطبتها هي.. إلى اللقاء))

أغلق كارم الخط على وجهها فوراً وهو يخرج من أمام عينا
جالا بالحال من الشرفة ثم ألقى بهاتفه فوق الفراش زافراً بقوة..

بينما شحب وجه جالا وهي تحرق بصدمة أمامها كأنها لا تعي
ما قد حدث قبل قليل ليسقط الهاتف من يدها وهي تتمنى لو
تستطيع الصراخ بأعلى صوت بانهيـار ترج أرجاء البيت له..

بدخل حجرة كارم كان جالسا على سريره وهو يهز قدمه بتوتر
شديد..

تَوَّأ قد استخدم أسوأ طريقة وأسوأ أسلوب للانفصال عن
شخص ما.. نعم يدرك ذلك..

ولكن لا يهـمه.. لينفصل بأي طريقة عنها مهما كانت.. المهم أن
ينفصل الآن..

إذا لم ينفصل عنها الآن.. فسيكون الأمر أكثر صعوبة مستقبلاً..

ما فعله هو الأفضل له.. ولها.. وعدا ذلك سيظلمها بالزواج
منه..

لأنه لا يستطيع تقبل ما سبق وحدث لها..

لم يعد يدري شيء..

ربما هي مذنبه.. وربما هو ليس ذنبها..

لكن مهما بدا كشخص متفتح أكثر من كل شبان القرية من
جيله..

لكن عندما يتعلق الأمر بما حدث مع جالا فلا يمكنه..

من الأفضل لها أن تتزوج غيره.. من شخص لا يعرف عنها ما
لا يجب معرفته..

فكما يُقال.. حين تجد تفاحة سليمة وسط القمامة خذها من مكانها
وقم بغسلها وتنظيفها ثم أكلها..

إذا وجدت نفسك تثير للاشمئزاز من أكلها فلا تأكلها.. بل
ضعها في مكان نظيف لعل غيرك يمر فيأكلها عندما يراها
نظيفة غير أبه لماضيها أو مكان توأجدها سابقا..

=====
=====

بعد ثلاثة أشهر..

انتهى اجتماع احمد البسيط والذي كان بإحدى المطاعم مع
زملائه الأطباء فتبرع احمد ليدفع عن الجميع فاتورة الطعام
الفاخر الذي طلبوه..

فتح محفظته لتقع عيناه على صورة هيام..

كلما رأى صورتها أمامه حين يفتح المحفظة يدرك كم أشتاق لها وعيناه تحكي للصورة التي أمامه عن البُعد عنها وماذا صنع به..

نعم.. لقد جنّ حد وضع صورتها التي أخذها من محفظتها قبل ثلاث أشهر بالإضافة لرقم هاتفها الذي كان مكتوبا على ورقة بمحفظتها غير مباليا لأي شيء..

حتى إيمان والتي تكون قريبتها وتعرف شكلها لا يهمه إذا ما رأته الصورة مصادفة بمحفظته هو زوجها.. رغم أنه حريص على ألا يترك محفظته بلامبالاة..

حرك سبابته ببطء صعودا وطلوعا على الصورة وهو يكاد ينسى المكان الذي هو فيه ومن برفقته..

هيام أول حبه.. من صاحبها في شبابه.. في صبوته.. صفا لها وداده وهشت لها نفسه.. وكان قلبه خالياً من غيرها فتمكنت منه..

أين لزوجته الحالية من كل هذا وهي تزوجته وقلبه مشغول بحب أخرى؟

ما يسعده بالقادم هو أنه يستبشر شعشة اللقاء من جديد بهيام..

أخرج احمد النقود أخيرا ليدفع ثمن الطعام كما أعطى النادل البقشيش قبل أن يعيد محفظته لمكانها..

ينبوع أحاسيس متفرقة ومشتتة بداخله وهو يفكر بالقرار الحاسم الذي أتخذه وسيعمل على تنفيذه..

أخيرا رفع احمد وجهه بابتسامة مجاملة لزملائه الجالسين معه على نفس الطاولة يستمع لما تبقى من كلام بينهم.. ولكن بدون أي تركيز فعلي..

=====

بعد أن فسخ كارم خطبته بجالا وبالرغم من أن حالته النفسية كانت سيئة وقتها إلا أنه قد أوفى وعده لفاء وطلب منها أن تعطيه موعداً ليأتي مع والدته لزيارة بسيطة مبدئية..

فأخبرته أن والدها يريد أن يأتي وحيدا ليجلس معه قبل أن يتقدم بشكل رسمي ففعل وجاء وحيدا لرؤيته وجلب معه باقة ورود..

وليته لم فعل.. فقد كان والدها شديداً جداً وبدأ باستجوابه عن علاقته بابنته وكيف تعرف عليها وهل تجرأ وتحدث معها أو التقى فيها قبل مجيئه ومن هذه الأسئلة..

وعندما رفض كارم إجابته برعب مزدردا ريقه.. طلب والدها منها هي الحضور وبدأ باستجوابها عن علاقتها به..

ففتت فداء بخوف أي معرفة سابقة أكثر من مرحبا وصباح الخير خلال توصيله لصديقتها جالا..

تفهم كارم تصرفها ونفيها أمام والدها ولكنه كان مصدوماً بالموقف ككل..

والأسوأ أن والدها لم يتوقف عن الصراخ في وجهه وشتمه قبل طرده من المنزل..

فقد كان والدها قد رتب زواجها من ابن عمته العائد من احدى دول الخليج ورأى أن يتخلص بشكل نهائي وبأي طريقة من أي خاطب آخر يتقدم لها..

من جهة كارم وبعد ما حدث فقد تنفس الصعداء وتنهد بارتياح كان هم الدنيا انزاح من على عاتقه وهو يعود لروسيا عازب وحر من أي مسؤوليات أو ارتباطات..

صحيح أنه وحتى لو واقف والدها عليه كان سينفصل عنها هي
الأخرى قبل ذهابه..

لكنه ممتن أن الرفض جاء من والده.. بل أراد فعلا أن يقبل يد
والد فداء عندما رفضه بإصرار وبأشد الطرق إذلالا مؤكدا أنه
من المستحيل أن يزوج فداء من غير ابن عمته..

حتى عائلته وخصوصا والدته لم يفتح أحد منهم سيرة زواجه
من أخرى حتى لا يزيدوا من حزنه وهمّه عندما عرفوا بأنه تم
رفضه من قبل والد الفتاة التي حبها.. على حسب ظنهم..

وتابع كل من كارم وفداء حياتهما بسبل متقطعة.. بينما جالا
ظلت الوحيدة العالقة بما حدث قبل ثلاث أشهر..

فقد تركها وحيدة تهيم حبا بروحه.. ويقبله.. تركها تذوب عشقا
لكل حرف من حروف اسمه منذ الطفولة..

حتى بعد مرور هذه الأشهر الثلاث.. كانت حالة جالا كما لو
أنفصل عنها كارم بالأمس..

طوال الفترة الماضية راودتها ذكريات الماضي.. ذكرياتها معه
فقط تأخذها إلى عالم بعيد..

بعض منها كانت ذكريات رائعة وبعضها مؤلمة..

مهما جاهدت نفسها لتحاول نسيانه ونسيان ما بينهما.. يأتي
شيء ما ويذكرها بها.. فتعود للبكاء..

ثلاث أشهر ليست مدة كافية لنسيان ما حدث بينهما طوال سنين
حياتهما..

توجهت جالا نحو نافذة غرفتها ففتحتها دون تردد ثم أخرجت
وجهها لخارج النافذة ليصفعها هواء فصل الشتاء البارد..

لقد ضاقت بها الأرض وتريد الصراخ بمليء صوتها وفوادها..

كارم ذهب.. ذهب وأخذ قلبها معه.. وبذها به ذهب كل امل
لمستقبل مشرق لها..

حدقت بالطيور المهاجرة بهدوء وبعينين حزينتين.. فالشتاء حل
وحن وقت هجرتها..

بعد مدة رفعت عيناها تنظر للسماء.. كانت السحابات تتجمع
وبعضها ذات لون رمادي.. كأن السماء ستبكي معها ولحالتها..

وبالفعل مدة قصيرة بدأت السماء بالهطول فازداد الجو برودا
وبدأت الرياح الهائجة تهب فأغلقت النافذة حتى لا تتجمد من
البرد خاصة مع بدء سقوط بعض حبات البرد المتجمدة..

ابتسمت بسخرية وهي ترى كل شيء يتجمد في الشتاء إلا
العطر والخين والذكريات وبعض الأمنيات..

ويدون أي مقدمات خارت قواها لتقع أرضا كجثة هامدة لتبدأ
دموعها بالتساقط على خدها وارتجاف جسدها يزداد ويأبى أن
يفارقها..

دقائق مرت وبدأت تضحك قبل أن يتعالى صوت ضحكاتها
تدرجيا حتى انخرطت بنوبة بكاء حاد أطلقت فيها العنان لكل
ما بداخلها من مشاعر بالانطلاق..

كما اعتادت أن تبكي خلال الأشهر الثلاثة الماضية بكل يوم
تقريبا..

لقد تعبت.. تعبت.. تعبت من حمل همّ يهدّ جبال بالنسبة لها..

لا زالت يافعة جدا لتعرض لكل هذا..

لم فعل كارم بها هذا؟ تركها ورحل بدون أي سبب.. تكاد تقسم
أنه بلا سبب تركها..

منذ عودته من روسيا تغير فجاءة عليها وكرهها.. لدرجة أنها كانت موقنة بعودته إليها فورا بعدما أنفصل عنها على الهاتف ليخبرها أنها كانت مجرد مزحة بغيضة..

فما حدث ضرب من ضروب الجنون.. هي تعشق كارم وهو يبادلها هذا الشعور بكل تأكيد..

بالماضي كان ما إن تحتاجه وتهم أن تناديه حتى يفاجئها بقدمه جاثيا.. لا حاجة لها للكلام فنظرات عيناها كفيلا له لان يقرأها ويفهم ويترجم ما تريده..

قبل أن يغادر لروسيا كانت عينيه تلمع بعشقه لها بكل ما فيها.. على خلاف ما تراه منذ عودته بعينيه..

كانتا خالبتان نحوها إلا من الجفاء والبرود..

ما هو السر وراء تغير هذه العيون التي لطالما فتنت بهما؟

استمرت نوبة بكاء جالا لدقائق وما أن هدأت حتى أسقطت عينيهما للصورة الموجودة أرضا بقرب عمود السرير والتي استطاعت أخيرا بالأمس أن تلقىها أرضا بعد أن جعلتها بكل غل..

ربما لأنها أرادت أن يكون هو بنفسه موجودا أمامها بدلا من صورة لا تتطرق ولا تسمع..

تريده أمامها لتستنطقه بأشياء عديدة.. ألا تستحق تبريرا منه يخبرها لم وكيف وماذا حصل بحبيهما؟

ماذا فعلت ليترك لها لا شيء إلا ذكريات مميته وقاسية..

ذكريات تعتصر القلب ويلتهب من جمرها العمر.. ذكريات ليس فيها أحساس بل كل ما فيها يؤلم ويوجع ويقتل..

ذكريات مؤلمة بعد حب أندفن بين سراب خيانتته مع صديقتهما
الوحيدة ورحل إلى عالم آخر..

وأخيراً.. ذكريات.. تثير فيها الشجن..

سمعت صوت والدتها القادمة نحو غرفتها فسارعت برفع كفيها
لتمسح بهما وجهها وهي تقف وتحاول أن تعيد اتزان نفسها..

دخلت والدتها سميحة حجرة نومها لتجلس على السرير وترتبت
بكفها على الجانب تدعو جالا للجلوس بجانبها وكأنها تخبرها
أن تأتي لمكان أمنها وملجأها الوحيد حيث تكون بقربها..

نظرت جالا لوالدتها بصمت تخشى أن تكون سمعت نحيبها
الذي انتهى قبل ثوان خاصة أن آثار دموعها ما زالت موجودة
على محياها..

اقتربت جالا منها وجلست على السرير بجانبها وبدون أي تردد
تمددت متوسدة برأسها حضن والدتها لترفع سميحة كفها
ويتلقائية بدأت تغلل بأناملها وتلامس خصلات شعر جالا الناعم
البنّي بحنان..

أغمضت جالا عينيها وقد شعرت بأمان يلفها وحنان يغدق بها..

دقائق من الصمت استمرت قبل أن تنطلق من شفيتها تنهيدة
حارة شقت عنان صدرها.. فجاء صوت والدتها هادئاً دافئاً

((ألا يكفي حزنا على ما حدث يا جالا؟ لقد مر ثلاثة أشهر ولا
أرى أي تحسن بك.. لم يا ابنتي تفعلين هذا بنفسك؟ ألا
تستطيعين نسيانه والمضي بحياتك إلى هذه الدرجة؟ أنت ما
زالت صغيرة وسيأتيك نصيب أفضل منه))

ابتسمت جالا بألم فهل الأمر بهذه السهولة؟

ثم خرج صوتها متعباً مرهقاً بأنين متأوه

((لا يا أمي.. لا أستطيع.. حتى أبسط الأشياء عنه لا تغيب عن
بالي.. كم تمنيت لو أنها شيء ملموس أستطيع حرقه ورمي
رماده.. لكن للأسف ليس كل ما يتمناه المرء يدركه))

سمعت جالا صوت تنهيدة والدتها قبل أن تمسح على وجهها
هادرة بحنان

((نعم معك حق يا جالا.. فالذكريات لا يمكن أن تنسى أو
يمحيها العمر حتى ولو أحرقت قلوبنا.. سيبقى لها أثر يسكن
الألم بالقلوب.. لكن يمكننا أن نحاول أن نحرقها من خلال صنع
ذكريات أجمل منها نبيها من جديد))

تسللت دموعها الحارة من عينيها لتغرقها.. لتبتسم بألم للكلمات
والدتها ثم قال بصوت محتقن وقلب محترق

((عبث يا أمي.. كله عبث.. لا أحد يمكن أن يمحي أثر رمادها
وكانها لم تحرق.. مهما حاولت تحطيمها.. لن أقدر.. بات هدم
أثرها مستحيل وإعمارها مستحيل.. وأيضاً نسيانها أو تجاهلها
من ضروب المستحيلات))

اختنقت الكلمات في صوت سميحة وهي لم تعد تعرف ماذا ترد
على ابنتها..

لقد أخذت إجازة من عملها لتجالس جالا طوال الوقت حتى لا
تبقى وحيدة بالبيت..

ومع ذلك لا هي ولا غيرها قادرين على إخراجها من عزلتها
ترفض بإصرار..

بقيت جالا على جلستها هي وسميحة تمسد وجهها بحنان لدقائق
قبل أن تطلب منها أن تغسل وجهها ريثما تعد الحساء الساخن
لها ليذفئها..

وأمرت جالا بطاعة لها وغادرت لتغسل وجهه بينما سميحة
ذهبت للمطبخ..

ثم عادت جالا لحجرتها المظلمة الباردة واقتربت من سريرها
فانكأَتْ على وسادتها لعلها تستعيد بعضاً من عافيتها..

وعادت تتذكر كارم.. أحبته منذ نعومة صباها وكان فارس
أحلامها.. وهي متأكدة من أنه بادلها الحب.. لقد تمنته ودعت
الله منذ صغرها أن تتزوجه..

واستجاب الله لدعواها لتجده من تلقاء نفسه يخبرها أنه لا يود
الزواج من غيرها وعاهدها على ذلك.. بل وأذاع لعائلته
وعائلتها انه يريد الزواج بها بمجرد أن يبلغ الثامنة عشرة..

رغم سخط الجميع منه بسبب صغر سنه على هكذا قرار
مصيري وكبير إلا أنه لم يسمح لأحد أن يلح أمامه بأنها لن
تكون له..

كل طفولتها معه هي أجمل أيام عمرها وأحلاها..

معه كانت تنسى باقي البشر.. معه كانت تنسى كل هموم الدنيا..

هو وحده من كان يشعر بها وبفهمها من نظرة..

مهما تشاجرا بالماضي وافترقا كانا ما يلبثا حتى يشتاقا
لبعضهما متجاهلين أسباب الشجار.. ويعودان محبان لبعضهما
أكثر وأكثر..

خطبها عندما تخرج من مدرسته عندما كان بالثامنة عشر وهي
كانت في السابعة عشر من عمرها.. الآن هي في الثانية
والعشرين..

وكل ما بينهما كان هو خطبة خمس سنوات.. لم تلحق فيهم
حتى أن تتلقى منه حبا كافي أو نظماً منه بعد..

فسخ خطبته بها بدون أن يعطيها أي فرصة لتغير أو تعدل من
نفسها ما لا يعجبه بها..

هل كرهها حد انه لم يقدر أن يعطيها لعلاقته بها فرصة؟

الآن هي عاجزة عن كرهه.. أو نسيانه.. لا تستطيع عدّ صفة واحدة تكرهها فيه.. بل فيه كل ما تحب وترغب وتمنت بزواجها المستقبلي..

يا ليتها كان يملك صفة واحد تجعلها تكرهه..

بل كل ما تتمنى من صفات.. وكل من يعرفه يمتدح أخلاقه واجتهاده..

من المؤكد أن أي فتاة رأته كانت لتحسدها عليه..

بدأت عينيها تحتقن باللون الأحمر.. وهي تتذكر فداء.. الصديقة الخائنة..

بالسابق لم يكن يوجد لديها صديقات لأنها باختصار ترفض إقامة صداقات وتكره أن تكون اجتماعية.. كلما زاد عدد الأصدقاء.. زادت مشاكلهم..

هو كارم فقط كان كل صحبتها بهذه الدنيا وكان كافيها لها..

لكنها تعاملت مرة مع فداء بنشاط جماعي بالجامعة.. وبعدها بقيت فداء لاصقة ملتصقة بها لا تتركها مهما حاولت جالا ابعاها عنها.. فقبلت بالنهاية صداقتها بحجة أن صديقة واحدة لا تضر.. لكنها دفعت ثمن هذه الغلطة ثمينا..

الآن.. من سيأتيها غيره؟

من سيجعلها تعيش معه حياة أجمل من التي أمضتها مع كارم منذ طفولتها؟

بل لا أحد غيره يعرف ما حدث معها بالماضي.. فمن يمكنه تقبلها كما هي ويفهم وضعها..

فركت جبينها بيدها لتخفف من الصداع الذي كان يتضاعف مع مرور الوقت من التعب.. تعبت من التفكير.. والقهر هذّ ما تبقى من روحها..

تشعر أنها تمر بفترة اكتئاب.. ومؤكد أنه شديد..

تظن أنه بحاجة لعلاج نفسي.. فقد كرهت الحياة بألوانها.. وكرهت جميع البشر..

حد أنها بالبداية غابت عن جامعتها عدة أيام..

وعندما أجبرتها أمها على الذهاب بعدها.. كانت تذهب وعند أي محاضرة تحضرها تجلس باخر المقعد.. لتضع رأسها على طاولة المقعد وتبكي..

حتى قررت أنها ستتوقف عن الذهاب للجامعة كلياً وتنقطع عنها لفترة طويلة فأسقطت الترم الحالي كاملاً..

وقفت جالاً لتتأمل نفسها بالمرأة قليلاً فابتسمت ساخرة من مظهرها..

لقد أصبحت حرفياً عبارة عن مومياء.. نزل وزنها خلال الثلاثة أشهر هذه بما يزيد عن عشرين كيلو..

لدرجة أن من يراها يعرف انه هو سيب نحولها وأن البائسة جالاً ما تزال تحبه حتى بعد ما تركها لأجل صديقتها مع أنه لا يوجد سبب ليتركها من أجل فداء..

فيتحدثون عنها بين بعضهم بشفقة.. ويصلها كلامهم فيزيد همها.. حتى نحولها تدخل الناس به!

ماذا تفعل الآن بحياتها؟

تتمنى لو تدخل بغيبوبة لا تنهض منها إلا بعد سنين يتمكن عقلها فيها بالنسيان..

أقل من دقيقة مرت ولا تعرف كيف وجدت نفسها خارج باب منزلهم بحديقتهم..

يهطل المطر فوقها بغزارة لتشعر بنفسها تنهار أكثر في هذه اللحظة حيث الشتاء يغطيها بمعطفه والأمطار تجدها..

ومع ذلك لم تكن تفكر في برد ولا صقيع.. فقط هو من تفكر به..

أغمضت جالا عينيها لتستعيد ذكريات قديمة من مرحلة طفولتها..

كان دائما يخرج لشرفت غرفته وينده عليها ويطلب منها أن تتسلل من بيتها لترافقه للدكان في القرية لشراء بعض الحاجيات فتوافق سريعا بلهفة وتفعل كما طلب..

حتى بأيام الشتاء الماطرة كان لا يستغني عن طلب مرافقتها.. فتسير معه حتى طريق العودة ممسكين بأيادي بعضهما ويسيروا تحت المطر بابتسامه بلهاء وغيمه ماطرة تحلق فوقهم في الأفق فتتذبذب أمطار عشق الطفولة فوق رؤوسهم..

فتحت جالا عينيها زافرة بياس وهي تعود للواقع.. هل كل ما حدث معها حقيقي؟

لأنها إلى الآن لا تصدق أنه تركها بدون سبب وبعدها فوراً تقدم لخطة فداء..

وقتها شعرت بصعقة الم اخترقت منتصف صدرها ومخيلتها تعود لاستحضار صورة فداء برقتها..

أهذه هي! أهذه من كانت ستحتل مكانها! أهذه من كان سيختارها كارم لينزوجها ويهنأ معها!

بقيت جامدة بمكانها وهي تعيد كل ما فكرت به قبل قليل برأسها
مرارا وتكرار لا تمل من الشعور باليأس والحزن على ما
حدث..

أما بالمطبخ كانت سميحة تعد الحساء الساخن لجالا..
الأشهر الماضية لم تكن صعبة فقط على جالا بل وعليها أيضا..
فجالا منذ ذلك اليوم الذي نُبذت فيه من شخص لم تتمنى الحياة
ولم تتخيلها بدونه وهي لا تفعل شيئا إلا الاعتزال عن باقي
البشر بغرفتها والبكاء.. لا تأكل ولا تنام.. فقط تبكي وحيدة..
بالوضع العادي لو حدث هذا الأمر مع غير بنت من بناتها
لكانت أخبرتها أنه الخاسر الوحيد بتركها وسيعوضها الله
شخصا أفضل منه بكثير..
لكن جالا عنيدة و متمسكة بحزنها وكأن مأساة إنسانية حدثت
لها..

والكبيرة مهما نجحت بمجال عملها وحققت من طموحات لا
تزال مصرة على أن توقف حياتها العاطفية..
كم تتمنى سميحة من هيام ألا توقف حياتها أكثر من ذلك لأن ما
تستمر على فعله هو عقاب لنفسها قبل أن يكون عقاب لوالدها..
مسحت سميحة وجهها بكفيها بإنهاك وفكرة أن تضل جالا على
حزنها وحسرتها مثل هيام ترعبها وتنتهى أي ذرة قوى متبقية
بداخلها..

تكاد تموت من الكمد على ابنتيها الاثنتين فحظهما بالحب
والزواج لا يختلف أبدا عن حظها هي..

بل لربما حظها أفضل بمراحل كثيرة من بناتها..

حركت سميحة الحساء الموضوع على نار هادئة قبل أن تغطي فوقه وهي تعاود التفكير بالحاضر.. بحزن جالا.. لا أحد يتألم لألم جالا مثلها..

كيف لا وهي أمها.. كيف لا وهي ترى ابنتها العشرينية تذبل أمام عينيها ودائما ما تبكي عليها وعلى الحال الذي آلت عليه بعد أن فسخ كارم الخطبة معها..

تركت سميحة المطبخ حتى ينتهي الحساء واتجهت نحو نافذة المطبخ لتزيل الستار الرقيق وتتطلع للمطر بشرود لبعوض الوقت..

كانت الأمطار الغريزة فدعت الله بداخلها أن تكون أمطار خير..

لحظات حتى اتسعت عيناها وشهقت بقوة عقب أن مالت برأسها تنظر لحديقة المنزل فتري جالا جالسة تحت الشجرة وتطلع نحو السماء والمطر ينزل عليها من فوق وجزء منه يجري في الأرض من تحتها..

لم تتصور ابنتها يمكن أن تصل لهذا الجنون.. هل تريد الموت؟ ويقلب واجف اندفعت تلتقط معطفها وتلف حجابها فوق شعرها وتندفع بسرعة نحو الباب ليصفعها الصقيع بالخارج فيرتجف جسدها رغم المعطف الذي ترتديه من قوة الرياح..

أسرعت سميحة حتى وصلت لبنتها الجالسة على أرض غارقة بالماء والطين والمطر المنهمر بيلها..

انتبهت جالا لوالدتها القادمة وهي تقف قبالتها تصرخ بغضب مستنكرة

((هل جننت أم تريدين الانتحار؟))

كانت جالا كلها ترتجف لكنها قاومت لتقول بسخرية بشفتيها
الزرقاوين المرتجفتين بشدة

((أنا فقط أردت أن أتأمل الأمطار.. بماذا أخطأت أم..))

قاطعت سميحة كلمات جالا وهي تندفع لتمسك بيدها وتجربها
يعنف للبيت صارخة بجنون تكاد تبكي على حال ابنتها المثير
للشفقة بينما نغمم لها

((أيتها الحمقاء.. هل تريدين قتلي؟ لماذا تفعلين هذا بي؟ توقفي
عن تعذيب نفسك وتعذيبي))

أدخلتها سميحة للبيت وأغلقت الباب خلفها ثم تقدمت نحوها
لتهزها بقبضتيها وتأمرها بصياح أن تفوق على نفسها..

وجدت نفسها تضربها بقوة أكبر لتفقد جالا هنا تحكمها بدموعها
التي انزلت منها لتحاول بعدها بكفيها أن تبعد قبضة أمها عنها
لتشبه سميحة بقوة وهي تشعر بيدي جالا كالثلج..

همست جالا بارتجاف والماء يتساقط من خصلات شعرها على
وجهها وشفتيها فيختلط مع دموعها

((أمي أرجوك اهدئي أريد أن اذهب للنوم وأنا لا..))

لم تستطع سميحة ألا تخنق كلمات ابنتها وهي تدفعها لأحضانها
فتضمها بكل قوتها لتدفعها بعد أن خلعت معطفها كأنها تريد أن
تحميها من هذا العالم..

مرت لحظات عليهما استسلمت فيهم جالا لدفع حنان أمها
وهي تزداد بكاءً على ضعفها حتى شعرت سميحة بجالا تنرنح
بين أحضانها لتبتعد عنها وتلهع برعب عندما وجدتتها تزداد
ارتجافا..

سمعت همسا بطيء يخرج من بين أسنانها

((أمي.. اشعر بالبرد.. أكاد.. لا اشعر.. بأطرافي))

استسعت عينا سميحة من جديد قبل أن تهز رأسها بحنق وهي
تشدها لتستند عليها هادرة بعتاب

((هل رأيت ماذا فعلت بنفسك أيتها البلهاء؟ لنذهب لغرفتك))

استندت عليها جالا باستجابة وقد بدأت تشعر بغشاوة تحيط
بعينيها..

وصلت جالا بصعوبة إلى غرفتها فتحركت والدتها بها نحو
الأريكة..

فتحت جالا فإها لتطلب منها أن تتركها لكن عطسة قوية انطلقت
من فمها لتسقط أرضا وتلوها عطسة أخرى..

هزت سميحة رأسها بياس وغضب على تلك الغبية التي
التقطت الزكام ثم أنهضتها واقتربت تتحسس جبهتها المحمومة
التي جعلت قلبها يرتجف من أجلها لتهتف بهلع

((حرارتك مرتفعة.. سأشعل المدفأة وأحضر ثياباً جافة من
دولابك ريثماً تتخلصين من ثيابك المبتلة))

أومأت لها جالا طائعة فأخرجت أمها الثياب بسرعة وهتفت
بصرامة قبل أن تغادر الغرفة

((هيا يا جالا.. بدلي ثيابك فوراً))

خلعت جالا ثيابها المبتلة ثم جففت نفسها وارتدت أخرى جافة
لتنمدد فوراً على فراشها وهي تغمض عينيها بإرهاق لتغيب
عن الوعي..

بعد مرور ساعات..

شعر راجي بجالا بتململها بفراشها ليهمس بألم يبوخها وهو
يتحسس جبينها

((جالا أيتها البلهاء لم خرجت وهي تمطر دام أنك تعرفين أنك
تلتقطين المرض بسرعة؟))

بدأت عيني جالا ترفرف وهي تشعر بيد راجي يتحسس جبهتها
بعد أن انخفضت حرارتها بالكمادات الباردة..

فعاادت تهمس من بين هلوسات الحمى

((أين أمي؟))

مسح راجي على شعرها هادرا بعتب

((أمي لم ترتح لحظة واحدة وهي تحاول خفض حرارتك بشتى
الطرق وتدعو الله أن يشفيك.. ولم تتم إلا قبل قليلا من شدة
الإرهاق والقلق ككل مرة كان يمرض أحد فينا وتسهر لتداويه..
كما أنها تعبت لساعات من تنظيف سجاد الصلاة وغرتك من
الفوضى التي أحدثتها ثيابك المبللة والمطخة بالطين))

أغمضت جالا عينيها بألم ودمعة يتيمة تنزلق من عينيها ليقول
لها بألم لا يقل عنها

((انفضي عن نفسك غبار الانطواء واتقي ربك في أمنا..
اجلسي معها وبريها وتقربي لله في ميرتك فيها ليفرج همك ولا
تقطعي قلبها بحزنك وانعزلك بنفسك))

شهقت جالا وهي تراه يزيل الكمادات عنها ثم يرفعها لتعتدل
شبه جالسة على الفراش..

قام جالا يحضر الأدوية بعد أن كان وضع صينية الحساء
الساخن الذي أعاد تسخينه مرة أخرى بطلب من والدته جانبا..

أمرها راجي أن تشرب الدواء فاستجابت له بضعف وبعض
نسمات السكينة تغشاها بتواجد أخيها بجانبها بعد عودته من
الخارج..

هتف لها وهو يحرك كفه على ظهرها بلطف

((تأكدي يا جالا دام أنك منطوية على نفسك ستتهجين من سيء
لأسوء.. لكن ربما لو جلستي معنا نحن عائلتك وصبرتي
واحتسبت الأجر لأصلح الله أمورك بكل شيء.. تذكرني أن
الذي حقق لك أمنيتك وجعلكما تخطبان هو سبحانه الذي قادر
على جعلك تنسيه وتتخطين فسخ خطبتكما))

شردت وهي تنظر أمامها للحظات فعقد راجي حاجبيه بعجز
وهو يتأمل أخته التي لم تتخطى فسخ خطوبتها من كارم بعد..

لا يهون عليه رؤيتها تجلس تحت شجرة الأحزان مقيدة إلى
همومها وتنزف من الألم غير مدركة لهذه الحياة الرحبة
الفسحة بين يديها..

ومن دون أي مقدمات رفعت جالا وجهها له وهي تهدر
بأصرار

((أنا بحاجة طبيب نفسي يا راجي.. أرجوك أقتع والدتي.. أريد
دواء أو شيء آخر يخدرني ويغيبني عن الدنيا هذه بما فيها..
فأنا لم أخسر كارم فقط.. لقد خسرت نفسي.. خسرت ثقتي
بالمقربين وبالناس عموماً.. أرجوك))

أفكار متفاوتة طرقت ذهنها وهي تحاول استنتاج ردة فعله الآن
وهي تراه يشيح بوجهه بعيدا عنها زافرا بسأم من تكرارها
الطلب عليهم جميعا منذ عدة أيام إلا أن الجميع رفضوا حتى
مسائرتها بالأمر..

وصل صوته لها أخيرا بهدوء

((جالا.. انسي تماما موضوع الطبيب النفسي.. إذا احتجت شخصا لتتكلمي معه فأنا وكلنا موجودون من أجلك.. لكن لن نسمح لك أن تشربي أية حبوب مخدرة.. فكل من يدمن عليها أراه يصبح مجنون.. هل تريد أن تدمري مستقبلك بسبب حبوب تجعلك مدمنة؟ لم تصرين على كسر نفسك أكثر؟))

تنهيدة طويلة خرجت من بين شفاهها يائسة.. فلا أحد يستوعب ما تريد.. لتجد نفسها تنفعل تدريجيا ثم تهتف بهستيريا صارخة

((إذا ساعدني.. ما الحل؟ أريد أن أنساه.. أريد أن أنساه.. أنساه.. أريده أن يكون نسيا منسيا بحياتي.. حياتي توقفت عليه رغما عني.. حالي لا تسر صديق ولا عدو.. حالي النفسية ما زالت مدمرة.. الذي يده بالماء ليس كالذي يده بالنار))

بدأت تكي وبكاءها يزيد بحرقه قلب مقترح غاضب من حب لم يتركه بحاله وراحته يوما..

بينما تنهد راجي بإحباط وهو يذكر نفسه مرارا وتكرار بالحفاظ على هدوئه حتى لا يكرر ما حد آخر مرة معها والانهيار الذي أصابها مما استدعى تدخلا طبييا..

سمعها تردف بصوت مقهور

((لا اصدق انه تركني وهو الذي لم يكن يرى غيري.. أنا متأكدة أنني لن أجد مثله.. فيه كل الصفات التي أريدها برجل أحلامي.. وأنا بالمثل كنت له.. كارم شخص هادئ.. حنون..))

قاطعها بغضب واستيائه يزيد منها

((نعم.. نعم.. انه مثالي.. ولكن ماذا ستفيد هذه الصفات وهو لا يريدك؟ صدقيني بعد مدة ستلاحظين أن فيه الكثير من الصفات والعيوب التي غفلت عنها فيه من شدة حبك له.. وستحمدين الله على فسخ خطوبتكما))

ضيقك جالا عينيه وهي تنظر لراجي بغضب..

تكره عندما يأخذ دور الحكيم معها منذ انفصالها عن كارم وهو
يصغرها بسنتين ولم تراه واقع بالحب مثلها..

هتفت له بتفسير

((لكنه.. لطلما كان فتى أحلامي.. قلنتها لكم كثيرا من الاستحالة
أن أتزوج بغيره))

سخر منه وهو يفتعل الإشمزاز

((ألهذه الدرجة كانت أحلامك سخيطة؟))

ثم عبس وهو يصير لإكمال هذا الجدل بهدوء

((لقد مر ثلاث أشهر وحالتك لا تتحسن.. لم أنت تعيسة إلى هذا
الحد؟ هل تخشين بذهاب كارم أنه لن يأتي عوضا عنه شخص
آخر بذلك؟ لم تريدين كسب كل شيء.. نحن في الدنيا ولسنا في
جنان النعيم ولا يُشترط أن نحصل على كل ما نتمنى.. هل أنت
مقتنعة فعلا أنك لو تزوجت من كارم ستعيشين معه بثبات
ونبات؟ ألم تشكي لي سابقا بنفسك أنه منذ أن عاد من روسيا
وهو يتصرف ببرود معك ويختلق أي مشكلة لينفصل عنك؟ إذا
كيف تتصورين أن حياتك يمكن أن تكون سعيدة معه لو حدث
وأكمل الخطبة وتزوجته؟))

كتفت ذراعيها وأشاحت وجهها عنه بحق ليسألها مرة أخرى
بتلقائية ودون تلكؤ

((لم أنت خائفة من الزواج من غيره؟ لم تصرين أن تصبجي
نسخة ثانية مصغرة من هيام وتظنين أنه لا يمكنك أن تحبي
شخص آخر وستبقين وحيدة إن لم تتزوجيه؟))

ازدردت ريقها وهي تعيد رفع نظراتها له لتجيب بمرأوة
وهي تهز كتفيها بدون أن تحاول التلميح بأسبابها الحقيقية

((لا أدري.. لكن لا أستطيع الزواج إلا منه هو.. ربما أخشى
إذا تزوجت غيره ألا احبه.. كما أخشى ألا أتوافق معه))

ردّ عليها وهو يشير بكفيه

((لذا وجدت الخطبة.. يمكنك التعرف عليه من خلالها وإذا لم
يعجبك ببساطة افسخي الخطبة.. لا يهم.. اهم شيء أن يضع لك
قيمة وقدرة ويحفظ كرامتك.. لا أن يتركك بسهولة كما فعل كارم
ويخطب غيرك.. ومن من؟ من أعز صديقاتك تلك المُسمى
فداء.. النذل الخسيس سقط من نظري))

عادت جالا تشرد وهي تذكر ماذا فعل بها كارم وفداء ودموعها
توشك أن تسقط فعرف راجي وهو ينظر لها أنها ستعود للنحيب
من جديد وهو يريد لها أن تتخطى الأمر..

بغضب اندفع يهزها من كتفها وهو يهدر من بين أسنانه بعنف

((جالا.. لقد أراد أن يعقد القران بغيرك.. لذا لقد انتهى ما كان
بينكما.. احذري أن تفكري بعودته لك.. الغي كل وسائل
الاتصال بينكما لأنني أخاف عليك أن تتوهمي انه من الممكن أن
يعود لك يوما معتذرا))

لكتها أبعدت كفيه عنها وهي تصر على أن تعود لتتحسر على
كارم

((تخيل يا راجي.. لقد حاول أن يتقدم لخطب صديقتي فداء بعد
يوم واحد من فسخ خطبتنا.. وقد أخبرتني والدته بلسانها انه كان
على علاقة معها قبل شهر من فسخ خطوبتنا وأنه يريد لها هي لا
أنا لذا عليّ أن أتخطاه))

حرق راجي فيها بذهول قبل أن يقف من مكانها ويصرخ فيها
وهو يضرب سريرها بقدمه بجنون

((حسنا.. حسنا.. فهمنّ يا جالا.. الآن يكفي.. يكفي يا جالا
تعدنيا لنفسك.. اعرف أنك مجروحة.. لكن توقفي عن البكاء..

أن الأوان لتتخطي صدمتك.. من الصعب رؤيته مع غيرك..
لكن ليس أمامك إلا أن تتقبلي الواقع.. هذا ما حدث.. توقفي عن
تكرار نفس القصة والعيول.. أمني متعبة بسببك.. حتى حالة
عمي فيصل الصحية تأثرت بسبب ما حدث معك.. وكل هذا من
أجل ماذا؟ من أجل شخص لا يستحقك وباعك بالرخيص))

توقف عن ركل السرير بقدمه التي أصبح لا يشعر بها ليلته
وهو يقرب نفسه من وجهها ويعاود مسك كتفيها بقبضتيه هاتفا
بإقناع

((أنت في غاية الغباء.. فالمستقبل أمامك.. وربما يكتب الله لك
شخصا آخر غيره لتكتشفي أن انفصالك عنه كان خيرا لك..
كوني أذكى من هذا ولملمي شتات نفسك.. أنت تتحسرين على
انفصالكما.. لكن مستقبلا ستتحسرين على أيامك هذه التي
تضيعونها.. وستتحسرين على الوقت والصحة والشباب التي
ضيعتهم من أجله))

أشاحت جالا رأسها عنه وهي تهزه نافية بغير اقتناع وتعاود
التريديد بذهنها كيف تقتنع بكلامه وهو ابن العشرين بلا خبرة
وتجارب ولم يسبق له أن أحب مثلها ويجهل تفاصيل أخرى
عنها بالرغم من أن أخيها راجي أقرب شخص إليها من باقي
أفراد عائلتها..

كانت سميحة واقفة على الباب وقد استمعت لأخر حديثهم
فصباح جالا الهستيري قطع النوم عليها لتنهض فزعا إلى
غرفتها..

ألمها انفعال وغضب ابنها على أخته فدلقت للحجرة لينتبهها على
وجودها..

تقدمت سميحة لتجلس على السرير بجانب جالا ثم أمسكت كفيها
الأثنين وهي تهدر مباشرة وتتنظر لها

((ادعي يا حبيبتي أن تتخطيه .. قوليهما بيقين وتوكل وأمل بالله
كبير .. ربي ارحم بك من نفسك واحكم والطف بنا من أي أحد
على هذه الأرض .. فلا تيق على بأسك وجزعك))

نكست جالا رأسها وهي تعاود تراكم الدموع بعينيهما فنادت
سميحة جالا باسمها بهمس رقيق جعلها ترفع عينيهما لأمها
لتردف بإقناعها

((أنا دائما أو من بمقولة إن أحببت شخصا بشدة .. فاتركه
يرحل .. إن عاد فهو دائما كان لك .. وان لم يعد فانه لم يكن يوما
لك .. قد يعود كارم يوما لك وقد لا يعود أبدا .. لكن بما انه حاول
أن يخطب غيرك .. فلا تنتظريه))

ثم ضمتها عندها إلى صدرها قائلة بنبرة حنونة

((ما تعيشينه من وضع الآن أراه طبيعي لأنك أحببته لدرجة
المرض منذ صغرك .. واسترخصت نفسك وأنهيت كل
صلاحيات حياتك عند قدميه .. فرحل وترك لك المرض .. قومي
الآن عزيزتي وانفضي غبار وهم حبه عن حياتك .. وتأكدي أن
معظمنا إلا وعاش انتكاسة في حياته .. لكن الذكي من يتخطى
محنته ويخرج منها بأقل الخسائر .. أنت خسرت رجلا .. فلا
تخسري نفسك .. افتحي ذراعيك للحياة .. لأنها تحبك أكثر من
حبك له .. واثبتتي للكل أنك اقوى من أن يحطمك حب رجل))

بدا الإقناع يتسلل لوجه جالا وجسدها يسترخي فارتاحت سميحة
قليلا وقد سأمت تصرفات ابنتها بالشهور الثلاث الماضية ..

هل حقا تريد أن تجذب اهتمام من حولها بهذه الطريقة لتعبر
عن حزنها؟

لأنه مع الأسف .. كل ما تجذبه جالا من اهتمام ما هو إلا شفقة
واستهزاء بكيانها وشخصيتها التي جهدت وتعبت سميحة في
بنائها ..

رفعت جالا رأسها عن صدر والدتها لتقول بتردد

((أمي هل أخبرك شيئا بدون أن تغضبي؟))

هزأت سميحة رأسها بتوجس لتردف جالا

((أنا متأكدة بان كره كارم لي سحر.. أو عين.. تخيلي أن فداء
جاءتني بالمنام بالأيام السابقة تطلب مني ألا أهمل نفسي وان
اذهب لشيوخ ليقراً علي؟ مع أني لم احلم بها أبدا من قبل.. إذن لم
احلم بها الآن بل وتأتي لتتصحنني أيضا؟ ها.. لم؟ من المؤكد
لأنها السبب وقد عملت لي عمل أو سحر..))

تجمدت سميحة للحظات على جالا وهي تنظر لها ببلاهة
وبعينين متسعيتين تكاد تفقد عقلها..

لا يوجد لديها ما ترد عليها فيبدو أن نيران روح جالا لن تخمد
سريعا مهما فعلوا من أجلها..

خرج صوت راجي ساخرا ببرود وهو يزجرها

((جالا توقفي واصمتي.. كفاك ترهات وخز عيلات.. بدأت
تفقدن عقلك.. لا يهم ما هو سبب فراقكم.. ما حدث قد حدث
مهما كان السبب.. اعتبريه قد مات.. هل رأيت ميت يعود إلى
الحياة؟))

التفت سميحة لجالا بصرامة وهي تكرر عليها ما سبق
وأخبرتها لعل التكرار يقنعها

((من أول صدمة لك شعرت بفقدان ثقتك بالناس وبالعالم؟ هل
من المنطقي يا ابنتي وأنت فتاة في الثانية والعشرين أن تخسري
ثقتك بنفسك والناس أجمعين لأن شاباً متهوراً استبدلك
بصديقك؟ ألا تفكرين بأن الدنيا ستحمل لك مثل كل الناس
مشاكل وصددمات أخرى؟ فهل نتعامل مع كل مشكلة بيأس
وفقدان الثقة؟ هيا انسيه فقط.. الوقوف عند شخص معين
والدوران حول نقطة لن يتعب أحد غيرك.. اسأل الله العظيم أن

يصبرك ويربط على قلبك ويعينك في التخلص من هذا الهم
والحزن وأن يبده فرحًا ولكني عليك أن تكوني أقوى))

ثم ربت سميحة فوق رأسها وهي تجذبها إليها وتقبل جبينها
بحنان مردفه

((فكري بامتيازاتك.. كارم انسجم مع صديقتك لأنه من طينتها..
فلا تلومها ولا تلومي نفسك.. بل تصرفي بحكمة.. نحن على
ثقة بقدرتك على التماسك.. مشكلتك فقط هي الفراغ.. لم توقفت
عن الذهاب للجامعة وأسقطت الترم كاملاً؟ إياك التفكير بتأجيل
ترم آخر.. هل فهمتي؟ اشغلي نفسك بالذاكرة وركزي أكثر بما
يفيدك.. حينها صديقي لن تحني له حتى لو ذكروا اسمه بالخطأ
أمامك.. فقط توقفي عن تمضية أيامك بالحسرة والنحيب.. أن
الحياة لا تنتهي بخروج رجل من حياتنا.. لا توقفي عمرك كما
فعلت هيام بنفسها.. لا أدري أساساً كيف سمحت لك أن تتوقفي
عن الحضور للجامعة وتضيع فصل دراسي كامل عليك!))

تصوع راجي ليدخل الحديث مرة أخرى ساخرا

((مستقبلاً إذا تقدم للزواج منك طبيب آخر إياك أن توافق
عليه.. اكتشفت أن الأطباء فالهم سيء جداً وللغاية على بنات
عائلتنا.. سواء كان أنت أم هيام..))

وللحظة شعر فيها أنه ينقطع عن كل الدنيا ليعود بعدها في تلك
اللحظة بقسوة على صوت هيام الهازئ والذي قطع حديثهم
وهي تلقي السلام عليهم..

كانت هيام قد وقفت قبل لحظات عند عتبة الباب وبدت غاضبة
من حديثهم عنها وقصتها مع احمد فقالت بنبرة هجومية

((راجي لا تتدخل بي.. أنا لم أوقف حياتي لأجل أحد.. بالعكس
أرى نفسي ناجحة تماماً.. أتمنى أن تجتهد وتحقق نصف ما
حققته أنت واختك.. أنا فقط قررت أنني لن أتزوج أبداً.. وهذا
قراري الشخصي.. لا أحد له حق بالتدخل فيه))

ارتبك راجي من نظرات عيني هيام عليه ليغادر الحجرة فوراً
خجلاً بينما يتمم بكلمات قليلة أن الأمر ليس كما فهمت..

فزفرت هيام بضيق قبل أن تغادر الحجرة بغضب هي
الأخرى..

منذ ثلاث أشهر وهي تراقب جالاً.. فقط تراقبها.. تراقب كل
شيء يجري حولها دون أي محاولة للتدخل أو التغيير..

فكيف تساعدها وهي لم تساعد نفسها قبلاً؟

وكل ما حدث مع جالاً يجعل ذكريات ماضيها مع احمد تعاود
مهجمة ذاكرتها..

بالماضي أكدت هيام وأقسمت اغلظ الأيام على والدها بأنه لو لم
يوافق على زواجها من احمد فلن تنزوج غيره..

والدها قابل كلامها بالسخرية.. وحتى والدتها لم تحاول التدخل
لإقناعه لأن وضع وحالة احمد المادية والاجتماعية لم تشجعها..

والآن وبعد مرور كل هذه السنوات.. تتمنى فعلاً أن يكون
والديها قد اقتنعوا بجدية كلامها..

تتمنى الآن من والدها أن يبكي دماً على ضياع حياتها بسبب ما
فعله بها..

ولكن بماذا قد يفيدها ندمه الآن؟

زفرت بضيق.. كم تمنت لو أن احمد نادى على تركها..

فهي تكره فكرة أنها الخاسرة الوحيدة..

ألا يستحق احمد أن يشاركها القليل من التعاسة وهو من اخلف
وعده وبنى حياة جديدة وترك لها هذه الذكريات التي تعجز على
نسيانها ولا تزال تحتفظ بها عميقاً في مخيلتها..

الوعد الذي قطعه احمد ببداية شبابهم لم ينفذه..

وعده الذي أزهق قلبها له فشعرت بان الدنيا لا تكاد أن تساعها
من السعادة..

وعد انتظرته طويلا إلا انه لم يكتمل ما أن عقد قرانه على
أخرى..

فتحت باب حجرة نومها لتدخل الغرفة بإرهاق..

يكفيها الجهد التي تبذله أثناء عملها كأستاذة جامعية لتعود للبيت
وتسمع بصدفة كلام راجي وأمها عنها فيستلبسها المزاج النكدي
والذي سيسيطر عليها لمدة طويلة قيل أن تتخلص منه..

خلعت هيام ملابسها لتأخذ حماما دافئا منعشا ترخي فيه
عضلات جسدها المتعبة..

استرخت تحت المياه الحارة وهي تفكر بحياتها..

هي فعلا سعيدة بما حققته من إنجازات في حياتها على الصعيد
العلم فقلة من الفتيات من تستطيع أن تنجح بعد تعرضها لصدمة
عاطفية كبيرة كما حدث معها بعد زواج حبيبها قبل سبع سنين
من ابنة ابن عم والدها..

لكن.. زفرت هيام زفره حاره وهي تفكر..

احمد كان أول حب في حياتها.. استمر الحب بينهما لمدة أربع
سنين بالجامعة أحبته فيهم حبا جنونيا..

صحيح أن احمد عملي جداً وبارد إلى حد ما ولا يفكر
بعاطفته.. لكنها لم تشعر يوماً أنه غريب عنها..

كان بالنسبة لها الدنيا كلها.. كان بمثابة أخ وأب وحبيب..

وبعد تخرجها.. وانتظارها له لسنتين أخريات حتى يتخرج هو
بما أنه كان بكلية الطب ليتقدم لها تعرض للرفض من قبل
والدها لضعف مستواه المادي..

وربما لأن والدها لم يكن يريد أن يزوجها خارج العائلة كما
تمنت والدتها فزاد عناده..

لكن تخلي احمد عنها بسرعة بعد رفض أهلها له جعلها تشك
بمقدار حبه لها..

لماذا لم يتمسك بها أكثر ويضحى بالدنيا من أجلها؟

انزلت دمعة من عين هيام لتختلط بالماء المنهمر عليها وهي
تشهد الله داخلها أنها حاولت وبذلت اقصى جهدها لإقناع والدها
بالموافقة عليه..

ولكن الرفض كان جواب أبيها الوحيد بالرغم من قسمها الحاسم
أنها لن تنزوج غيره حتى آخر عمرها..

خرجت هيام من الحمام وهي ترتدي منزرها الأبيض ثم جفت
شعرها المبتل لتسمع طرقات الباب قبل أن تسمح لوالدتها
بالدخول..

دخلت سميحة ووضعت كوب حليب ساخن على طاولة الزينة
لعله يمددها بالحرارة بهذا اليوم البارد ثم اقتربت من هيام وهي
تقبل رأسها متممة لها بكلمات مفادها ألا تنزعج من كلامهم
فهم لم يقصدوا ما قالوا..

ثم أردفت برجاء داعية الله

((فليكرمك الله وليرزقك ابن الحلال الذي يرضيك يا عمري))

ظهر الامتعاض على وجه هيام.. لكن والدتها لم تهتم فاقتربت
منها بإصرار هادئة

((أخبرني والدك أن سعد تقدم لك مرة أخرى.. ما رأيك أن تعطيه فرصة للتعرف؟ يبدو أنه يريدك فعلا ومعجب بك))

أشاحت هيام برأسها عن والدتها هاتفه بحق

((أمي لا سعد ولا غيره.. أنا لن أغير رأيي بموضوع زواجي حتى رغم أنني أسير بخطى حثيثة نحو الثانية والثلاثين.. باختصار لأنني ما زلت متعلقة به حد الجنون كأن كل شيء حدث بالأمس ولا أتخيل نفسي متزوجة من غيره))

زفرت والدتها بشدة ونهضت لتجلس بكرسي مقابل لها قائلة

((حبيبك احمد تزوج من قريبتك الأمريكية بنت الدكتور عدنان.. حتى أنه أنجب طفلاً سماه على اسم والدها.. أصبح طبيبا ناجح وغني.. نساك يا هيام.. لقد زهد فيك يا حلوتي.. ومن زهد فيك فازهدي فيه ولا حاجة لك لتضلي متعلقة بحبه))

شق وجهها طرف ابتسامة سخرية وهي ترد

((من الذي زهد بي يا أمي؟ الذي حدث هو أنكم أنتم من رفضتموه.. ولم؟ لأنه كان شابا بمقتبل عمره ولا يليق بكم كفاية.. الآن ها هو قد نجح بعمله وها قد أصبح غنيا ليثبت أنكم أخطأتم خطأ فادحا حينما رفضتموه.. ثم أنا أخبرتكم سابقا أنني لن أتزوج غيره إذا رفضتموه ومع ذلك بقيتم على الرفض.. صحيح؟ إذن لا أدين لكم بشيء ولا تحاسبوني على قراراتي))

حاولت والدتها الرد عليها لكن قاطعتها هيام بحزم وهي تطلب منها الخروج حتى ترتدي ملابسها وتأخذ قسطا من الراحة بعد هذا اليوم المتعب..

فغادرت سميحة بقلة حيلة لتترك هيام شاردة بالمكالمة التي تلقتها اليوم والتي جعلتها حساسة بشكل أكبر عند ذكر اسم احمد قبل قليل..

وجدت هيام نفسها تذهب لهاتفها الملقى على السرير لتفتحه
وتقرأ الرسالة التي وصلتها اليوم بعد أن رفضت الرد على نفس
الرقم الذي سبق واتصل بها سابقا ولم يقل شيئا حينما فتحت
عليه الخط..

قرأت الرسالة مرة واثنين وثلاث.. كانت الرسالة باختصار من
احمد..

يخبرها فيها أنه حصل على رقمها ويعتذر لأنه اتصل بها ولم
يتكلم عندما أجابت عليه.. ويأمل منها أن ترد على اتصاله
ليتحدثا قليلا..

أغمضت عينيها ليسرح خيالها بعيدا..

فما بين الوهم والحقيقة تتراوح المشاعر تجاه الحب الأول..
فكرياتها مع حبها الأول احمد لن تمحوها الأيام ولا السنين فهي
ليست مجرد وهم ومشاعر طبيعية يمر بها الإنسان..

هل أخطأت بالماضي عندما رفضت أن تتزوجه بغير رضى
أهلها عندما طلب منها ذلك كحل أخير ليفرضا قرارهما
بالزواج على عائلتها؟

هزت هيام وجهها يمينا ويسارا متممة وهي تحدث نفسها
بإقناع

((لا.. لا تندمي يا هيام على الماضي.. ما فعلته هو الصحيح..
لا يمكنك الزواج من دون موافقة عائلتك.. فالأهل عندك لهم
منزلة كبيرة وخسارتهم لا تعوض... الأفضل أن تخسري
شخصاً واحداً من أن تخسري عائلة بأكبرها))

أردفت ودموعها تتساقط رغما عنها على وجنتيها

((حتى ولو كانت خسارته تعني خسارة الحب كله من حياتك))

لكن على الجانب الآخر..

لم الأهل يرفضوا أن يختار أبنائهم شريك حياتهم حتى ولو كان تحت المعايير التي يأملونها؟

فإذا كان الطرفين متفاهمين ويرون أنهما يمكنهما تأسيس حياة زوجية فالأولى تزويجهما..

حتى وإن لم تنجح حياتهما الزوجية أو انتهت بالفشل.. فالتجربة الفاشلة ليست نهاية الحياة بل نحتاج إلى التعقل وبعض من العاطفة..

تمتتم تحدث نفسها بخفوت

((سامحك الله يا أبي.. سامحك الله))

فهي تستطيع رؤية الحسرة والندم بعيني والدها كلما أتى احمد مع زوجته إلى القرية لزيارة عائلتها..

ترى هل سبق وفكر احمد بها سابقا وهو يأتي أكثر من مرة سنويا لنفس القرية التي تسكن بها؟

رسالته التي بعثها لها شوستها..

يا ترى ماذا يريد منها؟ هل من المناسب أن تتحدث إليه وهو قد أصبح زوجا لغيرها؟

شردت هيام لأخر اتصال أجرته مع احمد قبل سنوات..

كان قبل ساعات من عقد قرانه بإيمان.. سألته إذا كانت ستراه يوما ما..

لا تتذكر ماذا بالضبط أجابها لكن توجب عليها أن تسأله كيف وأين يمكنها الذهاب بمكان يجمعها حتى لو انتهى كل شيء بينهما..

أطلقت هيام نفسها من أعماق صدرها ثم أخذت ترتدي ملابس
أخرجتها من خزانها لتستلقي على سريرها..

لقد كانت متعبة.. كانت تشعر بالإرهاك.. وكأنها كانت تركض
لأميال وأميال..

ذكرياتها عن احمد متقلبة.. تارةً تضحكها مع كل المواقف
المضحكة التي حصلت بينهما وتارةً أخرى تبكيها..

أغمضت هيام عينيها لتمر لذهنها ذكريات قديمة..

قبل أربعة عشر سنة.. جامعة هيام..

كانت عينا هيام ترفرف وتكاد تموت من الشعور بالنعاس..

الأسابيع الماضية كان الجو متوترا بالمنزل خاصة بعد ذلك
اليوم الذي تشاجرت فيه مع والدتها..

ما زال يحدث بينهما بعض الخلافات والمشادات كل عدة أيام
وهذا يؤثر على دراستها..

لم تنم بالأمس وهي مازالت عالقة بأهداب الماضي تفكر
بمشاكل والديها وتفكر بدراستها..

تشعر أنها ستبقى حبيسة ثرثرة ومشاكل داخلية ولن تخرج
منها..

جفلت وفتحت عينيها على صديقتها مها التي تجلس بعنف على
الكرسي المقابل لها بالكافتيريا.. وهي تضع الشطائر التي
طلبها..

قدمت مها لها الشطيرة التي تحملها بيد وباليد الأخرى ترفع
شطيرتها وتأخذ قضمه كبيرة منها..

وضعت مها الشطيرة فوق المقعد الخشبي ونظرت لهيام بهدوء
والتي طال بها الوقت وهي تلتفت برأسها نحو شاب يقف على
زاوية الكافتيريا.... فضربت مها على الطاولة لتنبه هيام على
الشطيرة لتأخذها..

فعمدت هيام حاجبها بجديّة تسألها

((ماذا حدث معك يا مها؟ ومن ذاك الشاب الذي كان ينظر إليك
بغرابة؟))

شهقت مها ووضعت يدها على صدرها قائلة

((هل كان واضحاً أنه ينظر لي؟))

نظرت هيام للشاب الذي كان ينظر حول الآخرين.. ثم أعادت
نظرها لمها لترد بشكوك أجابها وهي تبدأ بالقضم من شطيرتها
((لا.. لكنه كان يحدق بك طوال وقوفك بانتظار الشطائر حتى
تجهز.. لا تعجبي نظراته))

أخذت مها نفساً عميقاً وزفرت بضجر.. ثم أراحت جسدها على
أخر الكرسي قائلة بتملل

((قصة طويلة سخيفة.. لا داعي أن أحكيها لك))

تحدثت هيام من زاوية فمها قائلة بامتعاض

((لا طبعاً أحكيها لي.. تعرفين أنني فضولية))

رفعت مها كفيها قائلة باستسلام

((حسناً كنت كعادتي.. أتجاهل حضور محاضرة الساعة
الواحدة بالرغم من تجاوزي العدد المسموح للغياب.. لكن كله

يهون لأجل أن البي نداء معدتي.. فوجبة الغذاء مهمة جدا لي
وجزء لا يتجزأ من حياتي اليومية وهو الشيء الوحيد الذي
يخفف عليّ متاعب المواصلات الصباحية وتحمل الاستماع
لشرح المُحاضرين المملين.. لذا ذهبت للكافتيريا هذه.. أووه))

ضربت هيام يدها لتدخل بالموضوع مباشر فأردفت

((حسنا.. حسنا.. المهم.. دفعت النقود للمُحاسب لأطلب ما أريد
تناوله.. أخذت فاتورة وعليها رقم دوري.. أردت أن أعطي
الفاتورة للرجل المعني ولكنها وقعت رغما عني.. وذاك الشاب
المقتول العضلات كان بجانبني عندما سقطت الورقة))

فتحت هيام علبة البطاطا لتبدأ الأكل وهي تههم بحماس لمها
تحثها لتكمل.. فاسترسلت مها

((عندها حاول كلينا النزول لالتقاطها.. فارتطمت رؤوسنا
ببعضها.. وتجمدنا لتبادل سحر النظرات بعيوننا بمشهد لا
يمكنني أن أصفه أبدا))

نقلت هيام عيانها لذاك الشاب الذي كان يهم المغادرة خارج
الكافتيريا..

الحقيقة انه عدا عن شكله الهجمي وملابسة الممزقة تبعنا
للموضة ومظهره الذي لا يشبه أي مظهر شخص محترم..
وعمره الذي يبدو أكبر من أن يكون طالب..

إلا انه يبدو وسيما وجذابا بعضلاته..

أعادت نظراتها لمها لتطلب منها أن تكمل فأردفت مها

((ثم اعتذرت منه.. ليخبرني أن اجلس على احدى الطاولات
وهو سيحضر طلبي إلى طاولتي.. فوافقت وشكرته ممتنة..
ذهبت لأجلس عند صديقاتي.. كانت دقائق حتى وصل لطاولتي
سلمني الطلب وطلب أن يجلس معي))

شبهت هيام بصدمة سائلة

((إياك أن تقولي إنك وافقت!!))

هزت مها كتفيها بندم قائلة

((رفضت بالبداية.. لكنه أخبرني أنه يريد أن يتحدث بموضوع خاص جدا وحساس فوافقت.. أخبرني أنني أشبهه بحبيبته السابقة التي توفيت بحادث سيارة.. أخبرني كيف كان يعاني لأشهر كثيرة من فقدانها حتى رأيته وذكرته بها وفتحت كل جروحه.. كما انه لاحظ أنني أتردد كل يوم هنا لأتناول طعامي مثلها تماما.. اغرب شيء أن رقم دوري على الفائورة هو نفس رقم تاريخ وفاتها.. والحقيقة تأثرت كثيرا.. التقينا عدة مرات هنا.. وكان دائما يطلب مني أن انتبه على نفسي.. فهو لن يتحمل أن يفقدني أنا الأخرى أيضا))

عادت هيام لفتح شطيرتها والبذاءة بتناولها وهي تقول بتوجس وتأثر شديد

((نعم.. أكلمي وماذا حدث الآن))

فتحت هي الأخرى العلبة لتبدأ بإخراج شطيرتها والتوى ثغرها بتأفف واضح وهي تُجيب

((كان الوضع من الممكن أن يستمر أكثر من ذلك حتى الآن لو أن رفيقتي لم تخبرني أن السيناريو نفسه قد تكرر معها ومع أخريات أيضا))

ابتسمت هيام بسخرية لكلام مها وهي تسمعها تردف

((النذل الخائن.. كنت أريد أن ابحث فوراً على عروض ملفتة لصالات الأفراح.. وكعكة الزفاف كنت سأجعلها على نفس شكل الطلب الذي طلبته واكتب عليها رقم الطلب.. لكن يبدو أنه لا يوجد حب.. الحب الوحيد هو للمطبخ فقط))

فضحكت هيام على كلامها بخفوت وهي تهز رأسها بياس من مها..

لكنه شعت عيناها بحب وهي تذكر شخص ما.. هو مختلف عن الكل..

ما أن أنهتا الفتاتان الطعام حتى مشيا سويا للخارج نحو محاضراتهما..

وبالطريق سألت مها هيام بفضول إذا كان وسبق أن أحببت..
فعضت هيام شفيتها بخجل وهي تهز رأسها إيجابا..

انصدمت مها فسألتها عن التفاصيل لتمط هيام شفيتها ثم تجيب

((حبنا بدء صدفة.. عندما سمعت شخص خلفي يطلبها مع
جبنة.. فدفعني فضولي لأخبر الرجل أمامي أني أريد وجبتي
مع الجبنة أيضا.. رد علي ب "تكرمي" وجهازها وأعطاه لي
بعد أن حاسبته.. ويمكن القول انه من لحظتها أصبحت حب
حياتي))

زفرت مها متذمر من سخريه لهيام.. لكان سرعان ما أزلت
ملاحها لتسأل بفضول كأنها تحقق معها

((هيام أنت لست مخطوبة صحيح؟ إذن هل أنت محجوزة..
يعني هل هناك أحد من عائلتك طلبك للزواج بعد الدراسة؟))

نفت هيام وهي تقول بمرح

((لا.. لدي عم وحيد ولديه ابن واحد وهو أخي بنفس الوقت..
ممم.. من جهة والدتي.. فأولاد خالي بسن والدي.. لدي أيضاً
أربع خالات.. أولاد خالتي الأولى جميعهم مرتبطون بعلاقات
حب.. أولاد خالتي الثانية يعيشون في الخارج وأنا لن أقبل إلا
ابن بلدي بفخر.. خالتي الثالثة كل أولادها ناصعين البياض
بأعين ملونة وشعر أشقر.. أولاد خالتي الرابعة لا يوجد عند أي
أحد منهم مقومات الزواج.. وللصراحة أنا أريد الزواج))

هزت مها رأسها بتفهم لتستردل هيام

((في الحقيقة أحب كل أقرباتي.. لكن الحكمة تقول إذا أحببت شخص وحرصت على بقاء علاقتك به بسلام فلا ترتبط به باي علاقة أخرى.. وقد أثمرت محاولات أمي وإقناعي بشكل مستمر أن أحذر من الارتباط أو إقراض المال لمن أحب حتى لا تنتهي علاقتي بأبشع صورة ممكنة.. لذا لن أتزوج من أقاربنا))

توقفت هيام قبل أن تستطرد

((حسنا مها لقد تأخرت.. سأسرع المشي لألحق محاضرتي.. إلى اللقاء))

وسلمت عليها بكفها وهي تبتعد بسرعة الخطى..

وعلى الجانب الآخر من الساحة كان احمد يسير نحو كليته ليراها صدفة..

فتوقف وعيناه تلحقها وهي تخطو طريقها بهرولة..

رغما عنه ابتسم بعفوية رغم أن هذا اليوم متعب من بدايته.. لكن.. هل هو يملك زمام العين.. أو زمام القلب؟

ما كان من احمد إلا أن يضع يديه بجيوب بنطاله ويتبعها بكل خطوة تخطوها دون تفكير وهو يسير بسرعة على سرعتها.. وبسريرة تامة..

كي لا ترى عينها ذلّ شاب بالكاد تعرفت وها هو يلاحقها بلهفة..

بنهاية الترم الأول..

وعند اقتراب هذا الترم الدراسي على الانتهاء بدأت التعاسة
تنتسلل لداخل احمد..

لا يدري من أين سيجد أي حجة ليراها بعد أن يتوقف عن اخذ
تلك المحاضرة اليتيمة الوحيدة معها..

الحقيقة انه لا يهتم بالمكان أو الزمان بل تكفيه رؤيتها من بعيد
ليشبع فضوله..

كان يسخر من إياد الذي لطالما تمنى أن ينهي دراسته بسرعة
حتى يُكون نفسه ويتزوج من التي ملكت قلبه..

لكنه الآن هو يفكر نفس الشيء.. ولكن.. يريد أن يطمن بانها
ما زالت متاحة له حتى يستعد..

فهما من نفس العمر.. بهذه اللحظة وجد نفسه يصارع ذلك الألم
المصاحب للرفض والعجز..

هل هو الآن يبدو سخي كمتيم مهووس؟ وما هي نظرتها عنه؟
يرى إعجاب طفيف بعينيها تجاهه إذا ما تلاقى عيونهما
صدفة..

توقف فجاءة عن الحركة ما أن رآها تدخل مبنى الكلية.. ذهبت
من أمام ناظره.. يريد أن يتركها ويذهب لمحاضراته التي تأخر
عليها.. ولكن..

ما أن يضعف ويشتاق لرؤيتها يود لو يتجاهل كل شيء ويذهب
أيما تذهب أو يكون بنفس المكان معها..

يتمنى لو يقدر أن يحدق بها قليلا من دون أن تنتبه فنتهمه
بالتحرش..

فرغم جرأتها وإقدامها معه.. إلا أنها تتمتع بشموخ أنثوي
رهيب..

نظره وحيدة ينظرها لها ويستطيع أن يعرف أن هيام فيصل
الدال له.. ويقسم على ذلك.. يشعر بإحساس مخيف لمستقبله..
ولكن مهما كانت ظروفه ومهما كان ما سيمر به.. فستكون له..
يمتلكه الغضب قليلا لانفلات مشاعره من بين تحكمه.. لكن لا
يخجل أن يعري مشاعره.. على الأقل أمام نفسه..

عند آخر يوم دراسي لهذا الفصل..

بعد أن خرج المُحاضر من القاعة التقطت هيام كتبها وحقيبتها
بيديها..

حركها قلبها بعمق الخجل والكبت وبلذة التقدم وجنونه لتتجرأ
وتنادي بحروف اسمه "احمد"

جفل احمد بعينين مفتوحتين على اتساعهما وتجمد.. لكن التفت
للواقفة خلفه على بعد خطوتين وتقبض على حقيبتها الصغيرة
بشدة كأنها متوترة..

سمعها تقول بصوت مرتبك

((أنا اسفه لتدخلي.. لكن.. لم.. لم شعرت أنك تلتنف للخلف حيث
اجلس بمقعدتي بغضب وبدون سبب لأكثر من مرة أثناء
المحاضرة))

حاول أن يتظاهر احمد بتدفئة كفيه المتجمدتين بهذا الصقيع وهم
على أعتاب سنة جديد..

كان شعوره من الداخل بمنتهى الغضب.. ليس بسبب صوتها
المرتفع أو تمتاتها المزعجة مع صديقتها مها.. فهو معتاد
عليهما منذ بداية الترم..

لكن مناداتها باسم آخر هو ما شبَّ النار بقلبه..

هل هو مجنون؟ هي وحتى الآن مجرد زميلة له.. لا يحق له حتى بالتفكير بها.. فلم يغار وكأنه تخصه وملكه؟

قال احمد بصوت مرتبك لا يقل عنها ارتباكاً وهو يشيح بنظره للغارق بنوم عميق على بعد عدة مقاعد من مقعد هيام بالصف الأخير

((لا.. لم اقصد شيئاً.. لكن كنت تتادين على أحدهم بصوت عال.. ولم أستطع التركيز بالمحاضرة.. لم اقصد شيئاً.. يا.. هيام))

شعر بضربات قلبه تزداد عند نطقه لاسمها.. يشعر بالغرابية حتى من جرأته بنطقه..

الصمت المرتبك خيم من جديد بينهما.. لتردف هيام أخيراً بابتسامة عفوية وهي تنظر للنائم

((أوه أنت تقصد طارق؟ ناديت عليه بصوت عال قليل لعله ينعض وينتبه أكثر ع المحاضرة بما أنها مهمة والأخيرة))

ثم قال له هيام بمشاغبة وابتسامة عريضة

((طارق يدرس معي بنفس التخصص وهو "الرياضيات" لذا أنا أعرفه.. يمكنك القول إن النوم في المحاضرات من أكثر المواقف التي يتعرض لها طارق.. عدا عن نومه الدائم داخل المدرجات.. احضر أحد الطلاب كاميرا تعمل بالنيجياتيف والتقط له صورة في أكثر من مناسبة لتوثيق عدد المرات التي نام فيها في محاضرة في أيام مختلفة.. حتى أن أستاذ المادة طلب من زملائه إيقاظه وبعد فشل محاولاتهم تحدث أستاذه في الميكروفون وناداه باسمه لإيقاظه في أكثر المواقف إضحاكاً))

عقد احمد حاجباه منزعاً من كونها تعرف الكثير عن هذا الطارق..

أكثر مما يجب عليها أن تعرف عن مجرد زميل..

فتحدث بحزم شديد كأن له سلطة عليها ليأمرها

((أتمنى أن لا تقتربي من طارق أو غيره وأن لا نتحدثي مع أي شخص بهذه الطريقة الغير رسمية.. يا هيام))

مجددا.. همس بأخر كلمة يونيرة خاصة.. ليشعل بروحها شيء غريب يتحرك جعلها متجمدة وتحقق به بعينين متسعان.. شعرت بفعل سرى في عروقتها..

ازدردت هيام ريقها لتسأله بابتسامة عفوية وهي تحاول سرقة حجج أكثر لتتقرب منه

((ما رأيك أن نتمشى قليلا بالساحة؟ لقد أنهينا هذه المحاضرة مبكرا))

صدم احمد من طلبها المفاجئ.. لكن هز رأسه موافقا..

لم يكن بعد ليضيع فرصة أنته على طبق من ذهب ليتقرب ويتعرف عليها أكثر..

وسارا سويا للخارج بهدوء وبمسافة تفصل بينهما.. شعر بارتجاف شديد يعتري أوصاله.. وهي كانت كذلك..

كان هناك شرارات بينهما تنقل رجفته لها فترجف هي أيضا.. كان ينظر هنا وهناك وهو يمشي من شدة الارتباك..

وجدته يرفع رأسه لشاب مر من أمامه يغمغم السلام له فيعبس الآخر بوجهه ويرد عليه السلام من دون أن ينظر له متابعا خطواته بعبوس..

كأنه كاره للصدفة التي جعلت طرقهما تتلاقى..

تعجبت هيام لكنها حاولت الصمت وعدم الثرثرة والتدخل بما لا يعينها حتى لو كانت عينها تفضح تفاجئها من تصرف ذاك الشاب..

لكن فشلت في الصمت لتسأله وهي تدير برأسها باتجاهه

((من ذاك الشاب؟ يبدو من مظهره انه دكتور.. صحيح؟))

ارتفعت عينا احمد بتهكم لها فمن المدة القصير التي تعرف عليها استطاع أن يفهم الكثير عن شخصيتها..

أهمها أنها فضولية وتحب معرفة كل شيء حتى لو لم يهمها الشخص الذي أمامها..

فعمد حاجبيه بتلقائية وقال بسخريه وهو يتذكر واحد من أطرف المواقف وأكثرها إخراجاً قد تعرض عليها في فترة حياته

((نعم دكتور.. واحضر عنده مادة مساق مهمة.. حصل بيننا

سوء تفاهم وهو إلى الآن يحقد ويرمي نظرات كره تجاهي

بالرغم من محاولاتي الحثيثة بالتقرب إليه من بداية الفصل..))

لمح تفاصيل الاستغراب ومن ثم ابتسامة مائله على شفيتها وهي تكتم ضحكتها.. تضحك حتى قبل أن تسمع قصته.. ليردف

((بومها كان يلبس بدلة قريية من بدلة إباد.. إباد شقيقي..

تعرفينه صحيح؟))

هزت رأسها إجابا خطرت على بالها عبير.. فقد زارتهم مرة

أخرى ببيتهم وقد اعتذرت هيام منها على آخر شجار حضرته

عبير بين والديها بما فيها تصرفاتها وتجاهلها لها..

فقد كانت متوترة من أجواء المنزل.. وقبلت عبير اعتذارها

بصدر رحب..

أعادت تركيزها لأحمد وهو يكمل

((ما حدث يومها أنه كان يلبس بدلة قريبة من بدلة إياد وكان يجلس على الدرج.. فظننته إياد وأردت أن أمازحه كما فعلت معي بإحدى المرات.. فاقتربت منه وأخذت دفتره وهربت بأقصى سرعتي.. حتى سمعت الذي يركض خلفي يصيح بـ "لص.. لص".. فتوقفت مصدوما.. ازدرت ريقى وأنا أستدير ببطء ومرتعب من النظر لمن خلفي.. كان هذا الدكتور هو من أخذت دفتره لا إياد.. حينها وكان القطة أكلت لساني.. لم أكن اعرف كيف سأشرح له ما حدث وكيف أفسر الأمر.. لكن بالنهاية.. انتهى الأمر على خير ما يرام.. مع انه ادعى انه الدفتر يحتوي أسئلة امتحانات المساق))

صمت قليلا وابتسامة تعلو محياها ليرد بعد ثواني معدودة

((على كل حال تحدث بعض المناوشات والمشاحنات بين الطلبة والدكاترة.. اذكر أن أحد أصدقائي اصطدم مع إحدى الفتيات القصيرات وحدثت بينهما مشاحنة وقام بشتها وأسمعها كلام قاسي قبل أن يدخل على القاعة ليتفاجأ أنها دكتورة (المادة))

ضحكت هيام بعمق سلب عقله وروحه.. تذكرت هي أيضا إحدى المواقف المحرجة الذي مر بها أحد زملائها بعد قيامه بمعاكسة إحدى الفتيات في الكلية بخفة ظل..

وتوجه لمحاضرة لئفاجئ أن الفتاة التي قام بمعاكستها هي نفسها معيدة المادة.. رغبة شجعتها لتتجرأ وتأخذ معه بالكلام أكثر.. فأخبرته القصة التي تذكرتها وأنهت حديثها قائلة

((لا أدري بماذا أخبرك.. لكن انتهى الأمر بينهما عندما دخلت القاعة وسألته عن اسمه وهي تضحك.. مجملا عليك أن تحذر من الفتيات القصيرات.. فمرة بامتحان إحدى المساقات.. كانت أمامي صديقتان يغشان من بعضهما.. وفجأة نظرت الفتاة الجالسة أمامهم لهما بغضب.. تأففت صديقتي وأخبرتها أن تستدير وتتنظر للأمام وبعد أن ينتهوا سيعطونها الأجوبة.. ثم

بــــــــــــــــوم.. وقفت تلك الفتاة الغاضبة من مقعدها لنجد
أن لا ورقة أسئلة أمامها أساسا.. لأنها هي مراقبة))

ما إن انتهت كلامها حتى غرق في ضحكه صاحبه.. لا يدري
إن كان يضحك على طريقته بالحديث أو على قصتها..

أما هي بادلته الضحك أكثر بينما هي غارقة به.. لأول مره
تشعر بأن الحب يتدفق كنهز عذب من روحها..

بينما هو كان يتغلغل بسحرها أكثر.. كلامها.. طريقة حديثها..
خفة دمها.. جمالها.. كله يجذبه لها..

بعد برهة من الزمن ومن المشي.. ابتسمت هيام بنعومة على
الحديث الذي دار بينهما فرفعت رأسها للسماء لتستقبل أشعة
الشمس اللطيفة..

النسمات الخفيفة تداعب خصلات شعرها المتناثر على كتفيها
بنعومة فتزيد سحرها عليه..

هذه الأشهر كانت صعبة عليها نفسيا بسبب مشاكل عائلتها التي
سببت لها ندبة عميقة من وقت حدوثها حتى الآن..

لكن ومع هذه اللحظات المسروقة التي تقضيها مع احمد تشعر
بها كدواء نادر الوجود وقوي المفعول على ندبتها لتمائل
للشفاء..

وهو أيضا كان بحاجة لتمضية مثل هكذا وقت ولو كان قصيرا
خاصة بعد اقتراب امتحانات نهاية الترم الدراسي لإضفاء مناخ
من البهجة والمرح إلى نفسه..

صمت الاثنین لمدة طالت.. توقفت قدماه عن المشي قليلا..

لم يدري تحديدا احمد بما يشعر.. ربما يشعر بتخبط في داخله..

فتوقفت هي الأخرى ما أن أحست به يقف خلفها بمكانه لتستدير
وتنظر إليه بارتباك..

بعد مدة صمت.. همس بهدوء وهو يطالع عينيها البينيتين

((لقد استمتعت بالحديث معك كثيرا يا هيام.. مع أننا لم نتحدث
كثيرا.. ربما اقل من ساعة))

صمت هادئ من طرف هيام.. رياه ما اللذّ حروف اسمها من
فمه.. لم ينطق اسمها إلا مرات محدودة جدا.. فهمست

((وانا أيضا استمتعت معك.. للأسف لا أظن أننا سنحظى بالترم
القادم بمحاضرة أخرى نأخذها معا))

عقد حاجبيه قانلا

((وهل من ضروري أن نأخذ محاضرة سويا لنرى بعضنا..
يمكننا أن نلتقي ليوم أو يومين بالأسبوع سويا باستراحة تتوافق
مع وقت كلينا))

من ثم أردف برقه متناهيه

((لقد اعتدت على لسانك الثرثار لا يتوقف عن الحديث خلفي
بشكل مزعج.. ولن أتحمّل أن افتقدك وبشكل مفاجئ))

لا تدري إذا كان يسخر منها أو يمتدحها.. لكن شعرت بالخجل
يطفو لوجهها لتخفض عينيها أرضا..

أبعدت خصلات غرتها المتناثرة عن جبينها وخديها لتضعها
خلف أذنيها..

لم تردف بكلمه.. مازالت صامته.. تميل للارتجاف قليلاً..
ليهدف اسمها مناديا من جديد.. فترتفع عينيها له لتهمس له

((ماذا؟))

بقت عينيه تنظر لها بهدوء.. ليقول بنبرة أمرة تكسوها بعض
الغضب

((حاولي أن تضعي حدود بينك وبين أي شاب آخر.. أو حتى
فتاة.. حتى صديقتك مها لا أحبها.. إنها جريئة بشكل كبير))

كادت عيني هيام تخرج من مكانها من الدهشة.. بل لم تستطع
تدقيق النظر من حالة التوهج الذي صدمت بها عينيها.. من
جهة انه يحفظ حتى اسم صديقتها المقربة التي ما تجلس بجانبها
دائما ووراءه.. ومن جهة أخرى أنه يتحدث لها وكأنهما مقربين
بالفعل.. ويعرفان بعضهما منذ وقت طويل..

عندما بقيت على حالها لا تجيب.. شعر هو بالمبالغة بكلامه
وبنبرته.. فتنحى بهدوء..

لكنها همست بهدوء مبالغ منها ورقة مصطنعة وكأنها تريد أن
تعيش دور الأنتى الحبيبة

((حسنا كما تريد.. فلتأمر يا حبيبي))

فجاءة فجلا الاثنين من الكلمة الأخيرة التي نطقتها.. حاولت أن
تفتح فاهها لتصحح سوء الفهم ولكن كانت عاجزة عن إخراج أي
حرف منها..

ابتسم رغما عنه وكان يريد أن يشير لكلمتها بخبت.. لكلمة شعر
بسببها بكمية كبيرة من السعادة وهو يتلقاها بوقت غير متوقع
أبدأ ومنها.. بالذات منها هي.. مع أنه شعر بإعجابها به الذي
يفضحها..

ولكن ما أن نظر إليها نظرات متفحصة حتى شفق عليها..
وجدها مطاطاه الرأس..

تشد على قبضتيها ووجها يكاد ينفجر حُمره من الخجل..

ترجع وبديهة منه حاول أن يتخطى الموضوع فقال بصوت
منخفض متردد لا يخلو من الارتباك وهو يشير للكتاب الذي
يحملة

((إذن.. حسنا.. سأذهب لمحاضرتي.. الآن إلى اللقاء.. على ما
اعتقد.. لقاءنا القادم سيكون بنفس يوم الامتحان النهائي لهذا
المساق))

هزت راسها موافقة بدون أن تنتظر إليهم ثم ودعته وهي تبتعد
عنه بأحراج مستسلم..

وما أن ذهب من أمام ناظريها.. حتى أكملت الطريق إلى
محاضرتها التالية بخجل وهي تمسك بأطراف فستانها الطويل
المحتشم بقوة وكأنه ما زال أمامها..

لعبت تهورها بداخلها الذي أوقعها الآن في الإحراج.. لم قالتها؟
بل كيف خرجت من فمها.. نعم كان نطقها لتلك الكلمة وتفاجئته
منه من ثم هرب كلاهما من هذا الموقف ضربا من جنون..
إذن.. كيف ستكون لقاءتهما التالية يا ترى؟

لطالما شعرت من أول نظرة له بمشاعر نحوه.. ومن بعد عدة
لقاءات فقط..

والآن وبعد الحديث هذا القصير الذي دار بينهما والغير عميق..
بدأت تشعر بالحب.. ولكن كجرعات متفاوتة..

لكنه يمتلك زمام قيود مشاعرها نحوه سابقا..

دموع جالا التي كانت في الثامنة من عمرها تسيل مدرارا وهي
تضرب بقدمها السرير..

الارتعاشات تتوالى على جسدها لكن لن يوقفها شيء عن الاستمرار بالضرب بقدمها رغم الألم الذي تشعر به مع كل ضربة..

تريد أن تعلن غضبها حتى ولو على حساب أذية نفسها..

وعلى إثر صراخها المستمر الذي تمقته والدتها صرخت عليها بصوت عالي حتى تتوقف..

فتهدج صوت جالا بالبكاء قائلة بصوت خافت جريح كطفلة بعمرها

((أريد الخروج لرؤية كارم.. انه ينتظرني خارجا.. أنا لم أكبر بعد))

ويتلوّحها غاضبة من يدها أمام وجه جالا قالت

((أخبرته أنك مريضة ولن تخرجي.. لا مزيد من اللعب خارجا مع الصبيان.. ولن تخرجي لبيت والدك لأنك تثيرين المزيد من المشاكل مع بناته.. اهتمي بدراستك فقط))

عادت جالا لتقف بدورها لتزيد من استفزاز أمها وهي تضع يديها على خصرها

((إذن سأطلب منه أن يساعدني بالدراسة.. أوه.. أيضا مراد اقترح علي المساعدة إذا احتجته بشيء ما في الدراسة..))

قالت سميحة بفقدان أعصاب

((يا إلهي يا جالا! سأفقد بسببك ما تبقى من ذرات عقلي.. لم أنت عنيدة هكذا! أخبرتك أنك كبرت على الاختلاط بالجنس الأخر))

خرجت سميحة غاضبة من غرفة ابنتها بينما أخذت أنفاس جالا تتسارع بغضب من نوع آخر..

=====
=====

مع نهاية الأسبوع التالي وفي الصباح الباكر بعيدا عن وجود أناس في أرجاء القرية رأى راجي أن الوقت حان ليسحب جالا من سريرها ويقوم معها بجولة تنزه حول مزرعة عمه فيصل والتي لا تبعد كثير عن بيتهم..

وقد أخير جالا أنها وطوال فترة عطلتها وابتعادها عن الجامعة ستمارس الرياضة بشكل يومي معه وسيجبرها على الالتزام بالمواعيد والأماكن التي تناسبه هو..

فلديه الكثير من الأمور التي عليه القيام بها وليس جالسا بلا أشغال بالبيت مثلها..

لطالما كان راجي شغوف بممارسة الرياضة وقد حمل أيام المدرسة عدة ألقاب سابقة وعلى مستوى محافظته حتى بالرغم من أن مظهره الخارجي لا يبرز عضلاته بشكل واضح..

الجو كان لا زال عبارة عن صعيق مدقع ولكن الأرض جافة وصلبة على الأقل لكونها لم تمطر لعدة أيام..

وصلا للبيت بعد ساعتين ليسرع كل منهما بأخذ حمام دافئ..

بعد ساعة خرج راجي من غرفته إلى المطبخ بعد أن أنهى حمامه وارتدى ملابسه..

أبهج قلبه رؤيتها بالمطبخ بعد أن سبقته لتتناول وجبة الفطور..

كانت تأكل بشراهة وتختار الصحي بعناية ملحوظة كما سبق ونبهها.. وضعها تحسن كثيرا بهذه الأيام القليلة..

جلس راجي بجانبها ينضم إليها على الأكل.. ثم قال مشيدا لها
وهو يمسح بكفه على ظهرها

((أحسنت يا جالا.. أول شيء عليك البدء منه هو التغذية
السليمة.. أكثرني من أكل الخضروات والفواكه خاصة التي
تحتوي على فيتامين جيم.. لا تستهيني بالتغذية السليمة فهي
مفتاح الصحة.. تجعل الجسم أكثر تحملاً للضغوطات الجسمية
والنفسية))

وأمت جالا رأسها لكلامه بلا تركيز وهي تتابع تناول طعامها
ليردف لها وهو يتناول بيده رغيف خبز ليبدأ الأكل

((يفضل أن نجري لك فحص أولاً لترى النقص الذي لديك
وخاصة مع نزول وزنك بشكل كبير الفترة الماضية.. ثم
تشتري الفيتامينات التي يصفها لك الطبيب لتداومي عليها))

وقبل أن يقطع راجي جزءاً آخر من الرغيب أمامه شهق
بخفوت وكأنه تذكر شيئاً للتو

((صحيح جالا قبل أن أنسى.. أخبرني والدك أنه إذا شعرتي مع
الوقت إن الضغط النفسي أكبر من طاقتك على التحمل أعلميه
وسيتوجه بك إلى طبيب أو عبادة صحة نفسية لتستشيري
الطبيب.. وسيقرر الطبيب هو إذا كنت بحاجة لأخذ دواء للتقليل
من الضغط النفسي الذي تشعرين به.. هناك أدوية توصف
لحالات معينة يمر فيها الإنسان بضغط عصبي ونفسي كبير
مثل حالات الوفاة أو حالات الخسارة الكبيرة أو الطلاق.. وتأخذ
لفترة معينة فقط تساعد الإنسان على تحمل وقع الصدمة في
الفرات الأولى من المصيبة وعند مرور الوقت يستغني
الشخص عن أخذها.. طبعا أنا متأكد أنك لن تعودي بحاجتها..
لكن أقولها تحسبا))

وأمت مرة ثانية له ولكن هذه المرة وهي تطلع إليه شاكرة
بامتنان.. ولمعة تفاؤل تظهر بعينيها..

ربما فعلا لا شيء يدوم على حاله وهي قررت أن تزرع الأمل
في قلبها وعقلها..

رفعت كفيها بتلقائية لتحيطا بوجنتي أخيها وقربت رأسها لتقبل
مقدمة رأسه بفخر لأنه اخوها فضمها راجي إليه بعناق أخوي
وهو يتمتم لها أنها ستكون بخير..

=====
=====

فك احمد حزام الأمان لينزل من سيارته التي أوقفها بإحدى
المواقف بعد أن سمح له رجلان من أمن الجامعة الدخول بدون
أن يسألاه عن هويته تبعا لشكله الخارجي الذي بدا فيه وكأنه
يعمل هنا..

خطى احمد بالطريق وهو يتأمل صرح هذه الجامعة العريقة
التي تُدرّس بها هيام لتعيده وتشدّه الذكرى إلى عالم يزدحم
بالصور والأصوات..

إلى ذكرياته لأيام الجامعة وأيام رفقته الذي افترق عن معظمهم
منذ نحو ما يقارب الثمانية سنوات..

استحضر لذاكرته أيام رفقته من ضحكات منطلقة وبسمات
منبعثة وأفراح تلامس شغاف القلب..

مر في ذهنه مواقف ومشاهد له معهم كلقطات سريعة من دعاية
لفيلم سينمائي فشعر بنفسه يحلّق معها بعيدا ليعانق لحظات من
الفرح والسرور والشوق لأيام حلوة مضت ولكنها لا تُنسى..

فهم لم يكونوا مجرد أناس مرّوا في حياته.. بل معظمهم تركوا
في داخله ذكريات تُحفر في صفحة الروح كالوشم لا تمحى..

جلس احمد على أحد مقاعد الساحة وأغمض عينيه لتشرق
ابتسامة دافئة وجهه عندما تسللت إلى عقله ذكرياته مع أعلى
إنسانة على قلبه تعرف عليها بالجامعة.. هيام..

أجمل أيامه التي أمضاها مع هيام حبه الأول والأخير والتي
تعرف عليها في أوائل أيام الدراسة بجامعة التي درس فيها..

خلال وقت قصير اكتشف أن هيام إنسانة من طراز خاص..

كان لسانها لا يكف عن الكلام.. فتاة مميزة تفيض سحرا أخذاً..
تزر بحبوية دافقة..

تلك الأيام جمعت بينهما صداقة بمحض الصدفة فتوطدت
وكأنها من سنوات عدة ثم أصبحت فيها كالعاشقين بل وأكثر من
ذلك قبل أن تجيء الأيام لتفترق بينهما..

فبأيامهما قيل سبع سنوات لم يكن قد تم طرح الهاتف المحمول
بالأسواق بعد ولم تكن هناك وسائل اتصال سهلة كما اليوم..

فأصبح كلاً منهما في طريق آخر.. ولم تعد حتى الصدفة
تجمعهما معاً.. حتى آخر مرة..

للعجب أنه كان لديه شعور قوي باطني منذ أول يوم رآها فيه
أن علاقتهما ستتطور مع الأيام وتصبح أكثر..

ومن يدري؟ ربما فعلاً قصتهم تنتهي بشكل جميل ولن يبقى
البُعد مصيرها جمالاً..

تنهد احمد ببعض الإحباط وهو يفتح عيناه..

عندما تخرجت هيام من الجامعة قبله بسنتين لأنها كنت تدرس
الرياضيات بعكسه هو كان يدرس الطب عاهدا بعضهم أنها
سنتنظره طوال السنتين حتى يتخرج هو الآخر أيضاً ثم يتقدم
لها ويتزوجها..

لكن بعد تخرجه كان غير مُستقر من الناحية الاقتصادية ولا
يملك شيئاً..

هيام أخبرته أنها قابلة بوضعه كيفما كان وأنها تستطيع أن تساعد ما دامت تعمل حتى يجدَ هو عملاً ويستقر وضعه..
وحتى إنها عرضت عليه العيش مع عائلته ومُشاركته عُرفته..

فأصّر على أهله أن يتقدم للزواج منها وحاربهم عندما رفضوا طلبه حتى وافقوا..

حتى أنه وبكل أنانية أخبر إياد أن يدعمه معنويًا وماديًا من مدخراته ويقنع والديهما بالرغم من أنه يكبره بأكثر من ثلاث سنوات..

لكن مالم يتوقعه هو أن يذهب بعدها مباشرة ويتقدم لهيام أكثر من عشر مرات خلال سنة واحدة بلا كلل أو ملل ومع ذلك يتم رفضه من قبل والدها لأسباب اجتماعية ومادية..

حتى أنه لم يستطع ألا يتهم هيام بخذلانه..

نعم.. رآها عاشقة متخاذلة..

لم تقف بوجه أهلها بشكل فعلي وتحارب من أجله ومن أجل حبهما ولم توافق على الهروب معه ليتزوجا ويضعها والدها تحت امر الواقع رغم دناءة ووضاعة هذا الاقتراح الذي اقترحه عليها..

فهو لن يطال سمعة أحد بسوء إلا سمعتها هي..

بالحقيقة هو لم يكن راضيا بالزواج من غيرها أبدا.. ولكن أباه وأمه أجبراه بكل ما للكلمة من معنى..

ولم يستطع احمد أن يفعل شيئا إلا الزواج من إيمان والرضوخ لمشينة أهله ولم يلتقيا الاثنان بعد ذلك على الإطلاق..

مع ذلك بقيت الذكريات تجمعهم بهيام بالمحبة ذاتها..

وكلما خطرت على باله ذكراها رنّ في أذنيه صوتها المبتهج
وهي تتنادي باسمه..

تنتال في ذاكرته صور كثيرة من تلك الأيام الجميلة.. البرينة..
السعيدة.. فتننشي روحه تماما كما في تلك الأيام..

سخرية القدر هي أن إيمان زوجته تعرف إليها أول مرة أثناء
وجوده بقرية هيام..

بل واكتشف فيما بعد أن لها صلة قرابة من هيام.. والدها هو
أبن عم والد هيام..

خرجت ضحكة سأخرة منه وهو يفكر ماذا كان سيحدث لو
عرفت إيمان أن سبب قدومه لقربتها لم يكن إلا لخطبة حبيبته
هيام..

إيمان أو "إيما" كما تحب أن تُدعى من قبل المقربين منها كانت
من أم عربية تحمل الجنسية الأمريكية..

وكانت وحيدة والديها قبل أن ينفصلا فيما بعد وتعيش هي مع
والدتها بأمريكا..

أنتظر والدها بفارغ الصبر انتهاء دراستها المدرسية هناك حتى
تعود إلى أرض الوطن ليصّر عليها فيما بعد أن تعيش معه وهو
يشجعها بأن الحياة هنا حتى لو كانت أقل رفاهية إلا أنها
ستعجبها.. حتى يستطيع أن يجد الشخص المناسب من أولاد
البلد ليزوجها منه.. وهي وافقت..

إيمان كانت صيد ثمين لكل شباب القرية.. ولم لا وهي جميلة
ورقيقة وابنة حسب ونسب وتحمل جنسية أمريكية؟

لن يكذب إن قال إنه في بداية الأمر صُدم من جراءة والدته وهي
تلمح لإيمان بأنها تريد لها زوجة له فمن المستحيل أن تقبل
برجل مثله وتترك من هم بمستواها..

لكنه صُعق من موافقة إيمان السريعة مع تورده وجنتيها وهي
تعطي امه رقم والدها..

حتى أنه لا يستطيع فهم كيف تقبل والد إيمان زواجه ابنته منه
بل إنه مدح وشيد به وبعائلته كثيرا وقال إنه محظوظ بشباب
مثله زوجا لأبنته..

وهي ابنته الوحيدة من بين ثلاث شبان أنجبهم من زوجته
الأخرى بعد انفصاله عن والدة إيمان.. وهي المدللة والبعيدة
عن عينه لا عن قلبه وكانت لها أعز مكانة عند والدها..

زفر احمد بيبأس وهو يتذكر وقتها كم تمنى من داخل أعماقه لو
كان والد إيمان هو والد هيام.. هل كانت ستختلف حياته
المستقبلية بشكل كلي؟

فالآن.. وحتى بعد مرور سبع سنوات على زواجه من إيمان..

وحتى بعد إنجابهما ابنتهما الوحيد عدنان أبن الست سنوات فلا
يشعر احمد بأنه يكن أي نوع من أنواع المحبة اتجاه إيمان..

يشعر بانها ما زالت غريبة بالنسبة عنه.. لربما هناك بعضا من
الود والعشرة بينهما.. لكن ليس حبا..

صدقا حاول كثيرا أن يحبها لكن عبث..

ربما المشكلة بأنه لا يتألف مع إيمان بالذات ولو كانت غيرها
لأختلف الأمر..

أو ربما السبب يعود كونه متمسك بكل الذكريات التي جمعتها
مع حبيبته هيام ولا يريد أن ينتزعها ودائما ما يقارن بشكل
مستمر ودائم بين إيمان وهيام..

لا يدري أين المشكلة بالضبط..

فايمان على العكس تماما من هيام..

إيمان هادئة جدا.. مملة جدا.. مثالية جدا.. لا تشاركه بنفس
الاهتمامات والأنشطة ولا بنفس روح الفكاهة التي يمتلكها..

فقط المقربين من احمد يستطيعون معرفة أن احمد هو رجل
يحب المرح والكوميديا الساخرة حتى ولو لم يكن يتمتع بها..

هو ليس جامد وبلا مشاعر كما يبدو بالخارج للأناس الذين
يعاملهم برسمية..

تنهد احمد بأسى مجددًا وأسند رأسه المتعب على كفيه
المضمومتين وهو لا زال يجلس على المقعد الخشبي..

تذكر آخر اتصال هاتفى كان قد أتصله على الهاتف الأرضي
لمنزل هيام وقد طلب منها وبكل حقارة ونذالة أن تهرب معه
ويتزوجا رغما عن والدها...

أو تياس من علاقتهما ويذهب كل واحد منهما بطريق ويتزوج
من الفتاة التي طلبتها أمه منه..

فرفضت هيام بلباء أن تمرغ رأس والدها بالتراب.. فما كان
منه إلا أن اغلق الهاتف وأعلن موافقته لأمه بأنه لن يهرب من
عقد القرآن من إيمان كما كان يهددها..

أسوء أيام عاشها عندما عرف بعد خطبته من إيمان أن أحوال
هيام سيئة جدا وتعرضت لازمات صحية بعد زواجه من غيرها
وتركها لها وقد شعر بالندم يأكله حيا..

صحيح أنه يذهب لنفس قرية هيام عندما يزور عائلة إيمان..

لكنه فقط عندما رآها صدفة تلك المرة بصورة حيّة عادت
ذكرياتهما فيدرك كم الحيرة التي يشعره بها..

خاصة بعد أن حصل على وسيلة اتصال بينهما وهو رقمها..

كما أنه التقى بصديقتها مها أيام الجامعة من خلال صديق
مشترك والتي أخبرته آخر ما سمعته من إخبارها.. فهي
الأخرى لا تلتقي بها إلا بين كل حين وآخر..

والآن ماذا عساه يفعل؟ هو لا يحب زوجته ويشعر بالندم لأنه
ترك هيام ولم يحارب أكثر لنيلها.. كما أنها هي نفسها لم
تتخطاه حتى الآن ولم تتزوج..

وهو حتى لو أكمل حياته بشكل عادي لكن هناك جزء بقي فيه
وفي لحبهما..

جزء سينتظرها هنا كعهده دوماً وما زال لم يتأثر ببعدهما..

فعلا هو يدرك كم أنه ظلم نفسه وحبيبته عندما وافق على طلب
أهله بتركها والزواج من غيرها..

الحمدلله أنه بالوقت الحالي تغير وضع احمد المادي للأفضل
وبشكل ملحوظ.. وربما يتمتع بمعايير أفضل من المعايير التي
رجى والد هيام أن تكون بزواج ابنته..

هز احمد رأسه وأفكار أخرى تدخل بعقله..

وجد نفسه يقف من مكانه ويغادر صرح الجامعة بعد أن قرر
أنه لن يذهب لمكتب هيام وسيأجل مفاجئته بلقائهما لوقت آخر..

بعد أن يفكر ويخطط ويحبط ما يجول بعقله جيدا..

=====
=====

نظر راجي للزاوية الخاصة في مكتبته وتحديدًا بالرف العلوي
لقطعة النادرة والتمينة والتي يعتبرها أعلى ما يملك..

ركنه الخاص في حياته الذي يلجأ إليه من فترة لأخرى ليعيده
إلى الماضي وبكل تفاصيله..

وفي أدراجة وصناديقه الخاصة كان يضع ألبومات صوره
وأدواته المدرسية..

أكثرها هي الهدايا التي كان يتلقاها وهو طفل في أعياد ميلاده
من والده نائر الذي ما زال يقطن بفرنسا..

اعتاد سابقا أن يذهب لفرنسا لزيارته لمدة معينة سنويا ولكن
الآن مضى زمن لم يزر والده أو يتحدث معه بشكل عميق أو
جيد..

أزاح راجي كرسية ليجلس عليه أمام منضدة دراسته ويتابع
مذاكرته فقد عاد إلى مقاعد الدراسة بالترم الجديد بعد أن أنهى
تدريبه بالشركة..

بالرغم من أن كل شيء فيه وبأسلوب غرفته يدل على التهور
واللامبالاة وأحلام مراهقة عالقة.. إلا أن لم يأخذ دراسته إلا
كشيء جدي جدا بحياته..

وبالرغم أيضًا من أنه أنهى التدريب لا يزال لا يعرف لماذا لم
يقطع صله بسارا حتى الآن..

فمن المفترض أنه لا يربطه بها أي شيء سوى تواجدهما بنفس
المكان..

قطع شروده رنين هاتفه الذي كان بلا شك منها..

يبدو الأمر كأنه سحر.. كلما جالت هي بخاطره يجدها تتصل
عليه وكل يوم بحجة مختلفة..

بجفاء مقتعل ردّ على هاتفه وهو يسألها بدون أي ترحيب ماذا
تريد..

فجاءه صوتها حانقا

((راجي لا تجنني.. صحيح أن يوم عيد ميلادي انتهى.. ولكن أخبرتك عن المشاكل التي حدثت ومنعتنا من حجز المكان بنفس يوم عيد ميلادي.. حتى أن والدي أعلمني اليوم أننا سنضطر لتأجيل الاحتفال حتى بعد أسبوع إضافي))

ارتفعت غصة الإحباط في حلقها حين لم تجد أي ردة فعل منه أو تآثر فسألته متوجسة

((راجي ستأتي لحفلة عيد ميلادي ولن تفوته.. صحيح؟))

مط راجي شفثيه بملل وهو يجيبها

((لا تقلقي يا سارا.. حتى لو كان عليّ مئة امتحان باليوم التالي وكان مستقبلي بأكمله متوقف على هذا اليوم فلن اهتم بشيء وسأحضر حفلة ميلادك.. هل أنت راضية الآن؟ حسنا إلى اللقاء))

ثم أغلق الهاتف بوجهها فورا..

استشاطت سارا غضبا وهي تركز على أسنانها وتكاد تحطم الهاتف من بين كفيها المطبقتان عليه.. كأنه يعتمد محاولة أن يبعد نفسه عن سحرها فلا يتأثر..

جاءها صوت ديمة التي دخلت مكتبها مستغربة من تعابير فسارا

((ما بك يا سارا؟ هل عاد ذلك المدعو تامر يزعجك؟ أنا اعتذر لم يكن عليّ أن أخبره بحماقة أنك تتواجدين معي بمعظم الأيام عندما سألني عنك))

انتبهت سارا لديمة لتجيبها بلامبالاة وهي تهز رأسها نافية

((لا.. لا مشكلة.. فقط تجاهلي اتصالاته حتى يتوقف.. أوف.. لا أدري على من أركز وكيف.. تامر أو راجي!))

فتحت ديمة احدى ملفاتها وهي تهدر سأخرة

((اتركي راجي جانبا.. لقد بدا صديقك السابق تامر حقا معجب بك.. منذ اللحظة الذي عرف اني ابقى متواجدة معك اغلب الوقت وهو يسألني بلهفة دائما عن احوالك وماذا تفعلين ومن تصادقين.. مستنكرا كيف هجرته بقلب بارد وبدون أن تلقي بالا له.. ومتعجبا بأنه لم يخطر على بالك ولو لبرهة لتسألني عنه وماذا يفعل بقلبه وكيف يعيش وينجو بنفسه في هذه الحياة من دونك))

بدت سارا ضجرة وهي تستمع لكلام ديمة لتقاطع كلامها
سأخرة بتعابير وجه جامدة

((ديمة.. إذا اتصل عليك مرة أخرى.. اخبريه أن يذهب إلى الحبشة.. فهناك ملك لا يظلم عنده أحد.. ولا تخبريني بعد ذلك عنه أي شيء))

ثم غادرت سارا المكان إلى الخارج لتقف عند أحد النوافذ
وتغمض عينيها بقوة..

كانت أنفاسها هادرة كلهيب تغادر حلقها وهناك نار مشتعلة تهدد
بإشعالها هي بلا هوادة..

ازدردت رقها بصعوبة ثم رفعت رأسها وأخذت نفسا قبل أن
تفتح عيناها ببطء عميق..

لقد طال الأمر كثيرا وعليه أن ينتهي فهي لم تعد تحتل إذلال
نفسها أكثر من أجل الظفر بكلمتين من جلاله السلطان راجي..

لكن لا بأس.. بليلة عيد ميلادها ستتغير حياته بدرجة كبير..

لمعت عيني سارا بخبث كما شقت وجهها مأكرة وهي تعيد
التفكير برأسها بما قررت فعله به..

هي متأكدة أن هذا الأحمق سيقع بفخها..

هو ليس كبقاى الشبان الذىن مروا بحياتها..

نعم وعلى عكس مظهره الجذاب إلا انه ما زال بريئا..

كما أن المفصوح واقع بحبها وبشكل واضح جدا لدرجة أن أي
اعمى يستطيع بسهولة أن يرى الحب والإعجاب الذي يكنه
لها..

وللغرابة هي أيضا تبادلته نفس الإعجاب.. ربما ومن أول مرة
وقعت عينها عليه.. مثله تماما..

بل تشعر كأنها قطعة حديد وهو مغناطيس قوي يجذبها بلا
إرادة أو قوة منها..

لا تدري تحديدا وبشكل دقيق ما الذي يجعله مختلفا..

بالتأكيد ليس وسامته وشكله الخارجي فطالما رأته العديد من
الشبان الأوسم منه ولم يحظوا بانتباهها كم فعل هو..

وهو ليس أيضا غنيا كفاية ليكون من نفس وضعها الاجتماعي..

الأمر متعلق بشخصيته.. بعفويته.. بقلبه.. قلب كالدرة النادرة
في زمن اغبر لم يعد يعترف بوجود هذه القلوب..

شبح ابتسامة ساخرة تظهر على وجهها من طريقة تفكيرها..

هي نفسها ليست كذلك وتظن بمن بمثله حمقى وساذجين..

لكن كونها لم يسبق لها وأن قابلت شابا كهذا بحياته يجعله
مختلف..

ولن تكون ابنة أبيها أن فقدت وجوده بحياتها.. سواء صديق..
أو.. زوج حتى إذا اضطرت لذلك.. المهم أن يكون بحياتها..

=====

=====

كانت جالا مضطجعة على أريكتها الكبيرة وهي تضع قدما على قدم بينما تتحدث على هاتفها المحمول مع احدى زميلاتها بمحاولة معرفة الأخبار الأخيرة وكل ما فاتها بفترة غيابها عن الجامعة..

بدت ملامحها مفترسة من شدة الغضب وهي تستمع من الطرف الأخر.. كأن بركان يغلي داخلها.. وما تسمعه لا يعجبها أبداً..

لم تتحمل جالا الاستماع أكثر لما تشدقت به فداء أمام الجميع مبررة فعلتها الشنيعة ومحاولة أن تبدو بصورة الملاك البريء..

لكنها تابعت الإصغاء لزميلتها التي تردف قائلة

((أخبرتنا فداء أيضا أن خطيبك تركك لأجلها ولكنها هي رفضته لأنها لا تقبل على نفسها الزواج من شخصا كان خطيب لك وحتى أنها قبلت الزواج من ابن عمته حتى تبعده عنها.. هل كلامها صحيح؟))

أشتعل غضب جالا وهي ترى أنها أصبحت مضغة في أفواه الجميع ومحور شفقة وتشفي من جهة.. ومحور التساؤلات والأقاويل من جهة أخرى..

وهذا الأمر عليه تأثير عليها أكثر وطنا مما تتحمل..

ولكن.. يكفي..

ولا مزيد من نظرات الشفقة التي يحدها بها كل من مكان يعرف بخطبتها لكارم..

كما أنها إذا استمرت بعزل نفسها عن الجميع سيتهمونها بالجنون وربما يرى البعض أنها مازالت تحب كارم ولا تطيق أن تراه مع أخرى..

وإن كان هذا صحيح فلن تسمح لاحد بالتفكير بها هكذا..

أسرعت جالا لتقول بثبات

((هل تعرفين ماذا؟ الأمر ليس كما يُشاع من قِبل فداء.. عدم وجودي لأرد على الإشاعات لا يعني أي شيء.. على العكس تماما.. أنا سعيدة والحمد لله أن خطيبي أنهى كل شيء بيننا بدون أن يدخلني بأي دوامات ما بعد الزواج.. حقا كان الأمر سيكون أسوء لو كان حدث ما حدث بعد زواجنا))

أغمضت جالا عينيها بآلم.. لم يكن ليخطر على بالها أن تتعرض لمثل تلك المكيدة..

وَمِنْ مَنْ؟ من إنسانة اعتبرتها صديقتها..

والمغيظ بالأمر هو ما تسمعه من الآخرين من تفهم أو تعاطف لفداء لأنه ليس ذنب فداء أنه أحبها هي..

كيف يمكنهم التعاطف مع تلك الأفعى؟

شدت جالا بقبضتها التي تمسك الهاتف.. الآن عليها أن تكون قوية..

فداء هي تلك الفتاة التي ما إن اعترف خطيب صديقتها بمشاعره تجاهها حتى سارعت بتقبلها بل وحته على قطع علاقته معها والإسراع بالارتباط بها.. هي لا تريد مثل هذه الصديقة بحياتها..

بنهاية الأمر وكما قال راجي لها.. كل ما حدث لمصلحتها.. ولو كان لديها بعض التبصر أو العقل فلن تحزن ولو لثانية عليه حتى لو كان من الصعب محو ماضيها.. وكل ما تشاركاه بطفولتهما..

بعد لحظات جاءها صوت زميلتها الفضولي

((غريب يا جالا كلامك.. اشعر من نبرة صوتك العاطفية أنك ما زلت تحبينه!))

عادت جالا تغمض عينيها بآلم..

أحيانا تجد نفسها لا تكره أحد بقدر كرها له..

أحيانا تشعر أنها ما زالت تحبه قليلا.. نعم.. ربما لا تزال تحبه قليلا.. وكل ما كان بينهما من ذكريات وكلام لن تنساه طالما بجسدها نبض..

لكن بالنهاية هو من اختار الرحيل.. وهي تعرف السبب..

نعم عرفت السبب بالنهاية وهذا ربما ما جعلها أكثر تقبلا لفكرة الانفصال خاصة بعد أن رأت أن من حق كارم الأفضل بحياته..

فقبل عدة أيام استطاعت اخذ رقمه والتواصل معه أثناء تواجده بروسيا بعد سفره..

صُدم كارم بالبداية عندما سمع صوتها.. ولكنه بتفهم أكمل المكالمة معها عندما طلبت منه أن يتحدثا حديثا أخيرا بينهما قبل أن تنتهي كل ما يريد بينهما..

وتفهمت ما فعله.. نوعا ما..

فليس من حق أحد إجباره على البقاء..

وعليها أن تدرك أن لا وجود لكارم بحياتها بعد الآن وأنها لا يجب أن تمتلك أي مشاعر كره أو حب تجاهه..

عادت جالا للواقع وهي تجيب زميلتها وعينيها تلمع بإصرار وثبات

((نعم أنت محقة.. بعض الشيء.. بالبداية لقد أحببته وارادته.. لكن هو تركني.. من المؤكد هناك أسباب لتركي.. فلا أحد يرحل من دون سبب.. بعدها خسرت.. أو ربما هو من

خسرني.. لكن أنا لن أخسر نفسي.. وبالتأكيد لا داعي أن أوقف
حياتي لأجله..))

=====
=====

قبل ثلاثة عشر سنة.. جامعة هيام..

دخل احمد وهيام بسنة جديدة وانتهى الترم الدراسي الأول لتبدأ
عطلة ما بين الفصلين القصير ويبدأ بعدها بداية الترم الثاني
وتمر أيام الدراسة سريعاً حتى يقبل الربيع ويقترّب الترم الثاني
على مشارف نهايته..

كانت هيام كعادتها منذ بداية هذا الترم تذهب لحديقة قريبة من
الجامعة للدراسة مع احمد..

كانت من أجمل حدائق المدينة والتي لا تتوقف عن تأملها
بانبهار واحد ابن هذه المدينة هو من دلها احمد عليها واعتادا
الاثنان لأيام كثيرة المجيء إلى تلك الحديقة الجميلة وأصبحا من
روادها الدائمين..

طبيعة موادهم مختلفة عن بعضهما اختلاف الشرق عن الغرب
ولكنهما كان يستمتعان بالدراسة معاً وهما بنفس المكان وعلى
نفس الطاولة الموجودة بالحديقة..

وفي ظهر أحد الأيام وقبيل الامتحانات كان الجو حاراً في
الحديقة..

وكانت هيام تشعر بالضجر والنعاس فاستلقت تحت ظلال أحد
الأشجار وهي تشعر بالنشوة وهي تستنشق عبير الزهور حولها
فأغمضت عينيها بسكينة وهي تسمع لتغريد الطيور..

لحظات قليلة وقد اقبل احمد لشجرتها وتحت أنظاره رآها
مستغرقة بنوم خفيف..

اتكأ على مرقبيه ينظر لها ويكل شبر من ملامحها وابتسامه
علت شفنيه وهو يحدق بعمق بوجهها الطولي كما تصرفاتها..

ل طالما كانت تمسكه متلبسا بكل مرة ينسى نفسه ويحدق بها
فتبتسم وتحمر وجنتيها خجلا..

لن ينكر بعد الآن هي جزء لا يتجزأ من حياته وكم يعشق
شعور النقاء التي يكتنفه وهو معها ويعشق المرح الذي تضيفه
على حياته وهو صاحب الشخصية الرتيبة الهادئة المملة..

يعشق نظرة البراءة وال عفوية التي ترسمها ملامحها.. والأكثر
يعشق مرحها و عنفوانها للحياة..

كان يود لو يبقى محدق بها للأبد لكن عوضا عن ذلك..

وقف وضرب جذع الشجر بعنف أجفلها لتفتح عينيها على
اتساعها وما أن أبصرته حتى نهضت وعدلت من طريقة
استلقائها..

رفعت هيام رأسها وهي تغمض احدى عينيها لتتظر إليهم
بتوجس..

لقد نحف قليلا عن قبل عدة أسابيع نظراً لكثرة التوتر والضغط
الذي يعتريه بأوقات الامتحانات..

هتفت تسأله بابتسامه هادئة

((لماذا تأخرت بالمجيء؟))

أشار لها احمد بيده لتلحقه وتجلس قربه على أحد المقاعد
الخشبية بالحديقة الموضوعه تحت مظلة كبيرة..

تنهد ثم قال بحزم وبصوت مسموع وهو يفرغ حقيبتة من كل
الكتب لتسقط على طاولة المقعد

((هيام لم يبقى شيء على الامتحانات أريد أن استغل كل ثانية بالدراسة.. وأنت أيضا كوني جدية أكثر واهتمي بدراستك..
درجاتك سيئة))

اقتربت منه متحصرة كفتاة صغيرة ثم أمالت راسها وهي تقول
لتستدرجه بشقاوة إعتادتها معه مع مرور الأيام

((بالعكس أنا أتوقع بمعدل أفضل هذا الترم.. والفضل لك..
لولاك لم أكن لأصل لهذه الدرجات السيئة بنظرك حتى.. فأنا
أرى أن توجيهاتك وأوامرك المزعجة أتت بثمارها.. أشعر أنك
والذي أو أستاذي الصارم لا حبيبي وصديقي المفضل))

سعيد جدا احمد لأن كليهما اعترف بحبه للأخر من دون كلام
وبعفوية يتعاملان مع بعضهما بملكية..

ابتسم احمد وهو يعتدل بجلوسه ويشير لها أن تأتي للجلوس
مقابله فتسير أمام عينيه الغارقة بحبه..

شد أطراف فستانها الوردي الطويل أوراق الشجر المنثور على
الأرض فانخفضت قليلاً لترفع أطراف فستانها لتزداد جمالا
أمامه..

وبالمقابل جلست بجانبه على بعد عدة أذرع.. نظرت إليه لتبتسم
بعذوبه له..

اعترفت رسميا لنفسها.. تعشقه.. تحبه.. تذوب ذوبان به.. تكن
له كل الحب العذري البريء..

قالت له وهي تبدو للذي تنظر باتجاهه لا تقاوم

((ألا يمكن أن نلعب التنس الآن.. وندرس بالمنزل.. أنا لا التق
بك كثيرا.. وإذا التقينا نتحدث قليلا لنتشغل عني بدراستك.. بت
اشفاق إليك حتى وأنت موجود))

لم يكن كعادته اليوم.. فقد كان جامدا يغلب عليه الصمت
والعزوف عن الحديث أكثر..

فترجع للوراء يمرر يده على شعره يبعثره ثم نهض وهو يبتسم
ولا يريد أبعاد عينيه عنها

((الجو حار جدا اليوم وليس مناسب للتنس.. ولا رغبة لي أو
لك فيما يبدو للدراسة.. أرجو أن تقبلي دعوتي للغداء في
المطعم القريب من هنا ثم نعود إلى الحديقة عصرا ريثما تخف
هذه الحرارة الشديدة.. ولن يكون لك وقتها عذرا لعدم
الدراسة))

أشرق وجه هيام وهي تتدارك نفسها بابتسامة واسعة رجت منها
لتقف بسرعة وبفرح..

فلم تجد سببا يدعوها لرفض دعوته.. فخرجا من الحديقة وسارا
يتمشيا إلى المطعم القريب..

أصبح احمد بالنسبة لهيام وبفترة قصيرة جدا كتؤامها..

تحب فيه كل شيء وتراه كاملا بالنسبة لها..

له تأثير إيجابي عليها.. وجوده بجانبها دائما ما يمدّها بحماس
يشعل روحها بتلقائية وبطاقة إيجابية تتسلل ببطء لها..

وأثناء تناولهما وجبة طعام خفيفة سألته بتلقائية بدون أن تنظر
إليهم

((لا كنت غاضب عندما وصلت الحديقة؟ هل حدث شيء ما
معك؟))

نظر الهيا باستياء وهو يتذكر ما حدث.. ثم قال وهو يضع
العصير على الطاولة بعنف

((لا لم يحدث شيء.. كنت غاضب من نفسي بسبب موقف غبي
ومخرج حدث لي صباحا.. نادرا ما أتعرض لموقف مثله.. لذا
لا أستطيع نسيانه وتجاهله بسرعة ويؤثر على يومي كاملا))

ثم أكمل وهو ينظر لهيام الذاهلة ما جعل قلبها يخفق بجنون

((لكن بفضل رؤيتك الآن وروحك المرحه.. اشعر بالتحسن.. لا
يجب أن علي التفكير مطولا بالتفاهات))

وما أن رأى ملامحها المستفسر لسماع ما حدث حتى ابتسم
بعفوية ليسترسل وهو يسخر من نفسه

((كما أخبرتك.. ليس شيئا جلا.. هو فقط موقف محرج جدا
حدث لي صباحا.. كنت في المختبر.. من المفترض أني كنت
أقوم بتجربة ما.. وكنت انتظر ردة الفعل التي ستظهر بنهاية
الأنبوب.. كان اللون من المفترض أن يكون "بربل" كما قال
الدكتور.. المشكلة أني لم أكن اعرف هذا اللون.. عندما تقدم
مني الدكتور ليرى نتائج تجربتي.. أخبرته بإحباط أني أعدته
أكثر من مرة وفي كل مرة يظهر لون بنفسجي بدل اللون
"البربل" الذي قلت عنه.. يكفي لحد الآن.. لا داعي لأخبرك
عن نظرة الدكتور.. سبق وأن حضرت عنده قبلا.. المصيبة
أنني كنت دائما ما اجلس في الصف الأول في المدرج في
مواجهته مباشرة.. حسنا.. يكفي.. لقد اكتفيت من استعادة هذا
القدر من الذكريات المحرجة))

أنهى كلامه وهو يغمض عينيه بإجراج لما حدث ويغطي وجهه
بباطن كفيه..

لكن هز رأسه بسرعة ليبعد الأفكار عن رأسه ويعود لوضعه
المريح..

لا باس.. فهو الآن يقضي أغلب أوقاتهم في المعمل.. أحيانا
لإجراء تجارب مختلفة..

وتواجههم في المعمل كثيراً يجعلهم عرضة للمواقف المحرجة..

بمحاولة يائسة من هيام للتخفيف عنه قالت

((لا بأس.. وأنا صباحا وخلال توجهي لحضور أولى محاضراتي وأنا متأخرة عن ميعادها.. توجهت سريعاً للعودة عبر السلالم.. ففقدت توازني وتدحرجت مما عرضني لسخرية زملائي الذكور خاصة منهم.. وها أنا نسيت الموقف ولم أكن سأذكره حتى حديثنا الآن))

ظهر الاستياء عليه.. لا تتوقف عن إيقاع نفسها بحماقتها.. وكأنها تحتاج لشيء آخر للفت الانتباه.. فقال حانقا

((يا إلهي هيام.. لماذا تتأخرين أساسا! إلا تستطيعين استخدام أي منبه بالبيت.. هل تعلمين ماذا؟ ليس لك أي حق بالاعتب على عيبر.. بل ومعها كل الحق بعد ذهابها معك صباحا.. لأنك ستأخرين نفسك وتأخرينها.. وأحسنت.. تبدعين كل مرة باختيار أفضل الطرق لجذب اهتمام من حولك.. خاصة الذكور))

غضبت هيام من كلامه فأخذت نفسا عميقا لتهدأ فتسيطر على نفسها من جديد..

ثم قالت وهي تنظر في عينيه وتقول بجديه وبعض من إحساس أنثى تتدلل يتسرب لنبرة صوتها وهي ترد عليه بحنق مماثل

((احمد.. توقف.. أخبرتك أنني وقعت.. كان عليك أن تطمئن على سلامتي بدلا من لومي.. ماذا إذا أصابني مكروه وقتها وكسرت قدمي مثلا؟ أساسا كان عقلي بالدراسة فعلا وكان ذهني مشغول ما بين الامتحانات النهائية قريبة وما بين آخر امتحانات منتصف الفصل))

بدا كأنه قد تذكر شيئا ما فرفع رأسه لها يسألها

((صحيح ذكرتني.. كيف كان اختبارك اليوم؟))

تشتغل حدقة عينيهما وهي تتذكر لتقول

((إذا كنت تظن أن صباحك سيء فلن تصدق ما تعرّضت أنا إليه اليوم.. عندما دخلت إلى قاعة الاختبار بعد المراجعة السريعة للمنهج قبلها بمدة.. تفاجأت بعد توزيع أوراق الامتحان علينا بأنّ الأسئلة مطابقة تمامًا لما راجعته قبل دخولي القاعة.. حرفيا مطابقة.. كان زميل لنا كان نبهنا أن نركز على هذه النقاط.. وكلامه كان صحيح.. كأنه هو من كتب الأسئلة))

اشتعل من أخصم قدميه حتى شعر رأسه عندما سمع كلمة "زميل" .. لكن أكمل بهدوء

((مذهل.. وكيف أبلّيت إذن بالامتحان؟))

أجابت بمرح وهي تضيق عينيهما

((لم أتمالك نفسي عندما رأيت الأسئلة.. حيث انتابتنى نوبة ضحك لدرجة أنّ جميع من في القاعة من طالبات ومشرفات أصبحن يضحكن أيضًا.. بسبب ضحكي غير المبرر بالنسبة لهنّ))

هزّ رأسها وهو يضحك وقال

((أنتِ حرفيا ميؤوس منك..))

ثم تنهد بإحباط وهو يطالعها بهدوء غريب

لوهلة بدا لها كأنه يراها مجنونة فأخذت تطالعه بتوجس عاقدة حاجبيها..

لكن مع ذلك استمر قلبها يقرع بعنف..

ستبذل جهودها لتجتهد أكثر كما يريد احمد..

ما يحفزها للدراسة والاجتهاد هو أن تنال أعجابه ورضاه أيضا.. قيل أن يكون لها..

أمها فعلا تهتم بها ودائما ما تحثها على الدراسة بكل لحظة في البيت.. ولكن الأمر ليس مجدي معها كما هو الآن..

أن تعلم أنها مهما ضاقت عليها الأرض بما رحبت فصدر من يهتم بها سيسعها للأبد..

تريد أن تشعر بنفسها عادت طفلة تركض نحو مصدر أمانها كما كانت بصغرها لا يزيد عمرها عن بضع سنوات وهي تركض لصدر أبيها..

فجاءة جفلت على وقوف احمد وهو يتجه إلى أصيص زرع كان يزين أحد جوانب المطعم حيث التقط زهرة منه ليعود إليها ويمنحها إياها برقة فالتقطتها بسعادة منه..

قربتها لأنفها لتشم شداها وهي تهتف بسعادة

((سأحتفظ بها.. أول شيء سأقوم به عندما أصل للبيت أن اخذ وريقاتها واضعها بين وريقات دفتر مذكراتي.. سأضعها بنفس الصفحة التي وضعت فيها صورتك وثبتها باللاصق))

صمت قليلا وهو يشرد في ملامحها السعيدة قبل أن يقول باستسلام وابتسامة متعجبة مستسلمة

((لا اصدق أنك رفضتي أن تعيدي صورتي الشخصية لي حتى تلصقها بدفتر مذكرات وردي سخي.. لا افهم ما الفائدة من وضع وريقات ورده ذابلة بدفتر))

ضحكت هيام ضحكة صغيرة قبل أن تقول بصوت مخفض

((هذه الوردة هي أول هدية من حبيبي.. وحتى احتفظ بها للأبد أريد أن أجفها بين صفحات الدفتر.. لا يهم.. أنسى ما قلت.. فلن تفهم أمور الفتيات.. منذ متى والذكور يابهون لمثل هذه الأشياء.. لكن يوما ما.. سأخبر الجميع بأن هناك رجل يدعى احمد يحبني وسيتزوجني ما أن ننهي كلانا دراستنا الجامعية..

وصورتك الشخصية ستكون إثبات.. سأسجنك لو حاولت
التهرب.. لقد علقت معي وانتهى أمرك))

أنهت كلامها بغمزة من عينيها..

هو يحب مرحها المتداخل بحديثها معه هو من بين الكل فأراد
أن يسايرها خاصة مع إحساسه بالاستمتاع وهو يحاورها..

لكن اكتست الجدية ملامحه وهو يقول لها

((بعيدا عن المزاح.. ادرسي بجدية هيام.. يجب أن تحظى
الدراسة بوقت وجزء كبير من وقتك واهتمامك))

ابتسمت هيام بشقاوة وهي تشير بإصبعها أمام وجهه هاتفة

((صدقني.. أقسم لك أنني طموحة.. واملك الكثير مما أريد
تحقيقه.. لكن المشكلة بعقلي.. يرفض أن يأخذ الدراسة على
محمل الجدية))

ابتسم بقسوة وهو يرد عليها ساخرا

((اعرف أن لديك طموح.. لكن للأسف ليس لديك دم.. وهذه
مشكلة كبيرة))

عقدت حاجبها قبل أن تقول وهي تغمزه مجددا تلك الغمزة التي
تضعفه أمامها

((احمد أنت أكثر من مثالي.. لا تقلق طالما أنت موجود معي
فلن أفقد العزم والهمة))

رفع حاجبها لها ودقات قلبه تتراقص بصخب ليتساءل بدهشة
وخبث

((الهدوء الدرجة أنا مهم لك؟))

رفعت أكتافها وهي تقول مبتسمة وان كانت نبرتها جدية
وحازمة

((إياك أن تغتر))

رمقها احمد بعدم تصديق وهو يضيق عينيه بشك قبل رفعه
لاحد حاجبيه وهو يتساءل ببطء متحدي وهو لم يتخيل نفسه بأن
قلبه يمكن أن يكون عاطفيا ولا بأي مرحلة من حياته

((ألا يحق لي أن اسمع مديح من محبوبتي))

ابتسمت وهي تقف لتغادر وتسبقه بخطواتها ابتساماً تملو شفيتها
لا يستطيع أن يراها..

هي تحبه وتعشقه ومن تستطيع ألا تفعل هذا وأمامها شاب فيه
كل ما يُحب ويُعشق.. نعم هي بالفعل بدأت تدمن لقيه كل يوم
وأخر..

طوال الأسبوع.. وطوال فترة الدوام الجامعي.. بدأت بالفعل
تنشر بنفسها واقعة بغرامه..

بدأت تعشقه لدرجة أنها تبكي كل ليلة وهي تتخيل أنها من
الممكن أن تتركه.. مجرد التخيل يجعلها مدمرة داخليا.. فما
بالحا إن حدث الأمر.. ربما ستموت..

يبدو الأمر مثيرا للضحك بشكل هستيري لمن يسمع.. لكنه ومنذ
دخل حياته أصبح الأمر هكذا.. فهو دخل حياتها بمرحلة هي
أشد ما كانت بحاجة لشخص مثله..

أسرع احمد بخطواته ليوازي مشيها قبل أن يقول بابتسامه وهو
ينظر لها

((ادرسى جيدا وأطمحي للدراسات العليا.. فأنا لن أقبل على
نفسى أن أتزوج مجرد معلمة))

ردت بحنق غاضب طفولي

((يا إلهي! هل أنت جاد؟ وهل مهنة معلمة لا تناسب مقامك يا
حضرة الدكتور))

هز كنفية وهو يجيب ببساطة

((لا أقلل من مهنة المعلمة.. لكن.. كل أصدقائي هكذا يخططون
أيضا.. وأنا لا ينقصني شيء عنهم حتى لا أتزوج من دكتورة..
لا أخبرك أن تعيدي اختبار الثانوية وأن تصبحي طبيبة.. لكن
فكري بجدية بالدراسات العليا.. ربما سترجعين إلى نفس
جامعتنا لتدرسي بها.. سيكون لك مكتب ولوحة مذهب موجودة
إلى جانب الباب باسم "دكتورة هيام".. ألن يكون الأمر
مثيرا؟))

تعرف أن مقصد كلامه أن يشجعها على الاجتهاد أكثر وأن
يعلي من سقف طموحها.. ولكن هل يمكنها أن تحقق هذا؟

تنهدت في سرها وعيائها تلمع كالنجوم وهي تتخيل نفسها في
يوم ما مُحاضرة وأساتذة جامعية في هذه الجامعة..

وستكون حرم الدكتور احمد.. وبيبطة بدء يتملكها شعور السعادة
والنشوى بالتفكير بالأمر..

مساء نفس اليوم..

تناولت هيام لقمة اقتطعتها من عجة البيض الموضوعه على
مائدة الطعام بصالة بيت جدتها..

كانت الوحيدة من تأكل من تاكل من الطعام الموضوع..

كانت شاردة لكن ظاهريا تدّعي أنها تستمع لما يقول والدها
الحائق هو وجدتها..

أمضيا الوقت كله وهما يتحدثان بالقديم والجديد.. ولا يوجد أي
تقدم بالموضوع..

تهنيدة فلنت منها بشرود قبل أن يخبرها والدها بأنه ينتظر ردها
لتقول

((أبي لقد مر أكثر من سنة على وفاة زوجتك.. الآن أخواتي
من زوجتك التي ماتت رحمها الله بحاجة لأم ترعاهم.. جدتي لا
تكفي وحدها للاهتمام بهن وكما ترى أمي ترفض فكرة العودة
إليك مهما تعرضت لضغوط من الجميع أو حتى مني.. لا أظن
أنها ستقبل الرجوع.. لذا فلتستسلم وحسب.. واستمع لكلام
جدتي.. لا تقلق علينا أنا وجمالا.. كنا نعيش مع أمي ونراك
ونحن بألف خير وسعادة.. ولن يضرنا بقاء الحال كما هو))

ابعد فيصل عينيه عن مراقبة ابنته حنقا من كلامها المبطن..

يدرك أنها تكنّ العتاب له.. تظن أنه كان يهتم ببيته الثاني أكثر
منهن..

لكن لن تفهم لمدى صعوبة التوفيق بين بيتان على الرجل..

بينما الجدة هزت رأسها وهي تفكر بحسم أنه حان الوقت لأن
تضع حدا لكل شيء ويجب عليها من الآن أن تبحث على
عروس لولدها ولن تنتظر أكثر كما يقول..

أصدرت الجدة تهنيدة طويلة منها لتضع هيام شوكتها جانبا
وهي ترى الجدة تحول أنظارها لها وهي تقول بضيق شديد

((على والدتك أن تحمد الله انه قرر العودة عليها بدلا من أن
يتزوج بنت بنوت.. لماذا تتعالى علينا وترفض بكل عنجهية؟
كان عليها أن تذهب لي بتألق تشكرني لأنه سأعيدها لعصمة
فيصل بدلا من أن ترفض وتعاملني بقسوة لأنني من زوجته من

غيرها بالماضي.. الزواج حصل وانتهى الأمر وتوفت زوجته..
عليها أن تحاول نسيان ما حصل ولا تأنبه بل تساعد بتربية
هؤلاء الأيتام بالكلام الطيب والمساندة الرقيقة ولها الأجر..
وهكذا يأمن جانبها على بناته اليتيمات كأى زوجة متفانية
(مخلصة)

ثم ضيقت الجدة عيناها وهي تردف من بين أسنانها

((لكن إذا أردت رأيي أساسا أنا لست مقتنعة تماما بفكرة
رجوعها لوالدك.. لا بل أنا الآن متأكدة بان والدك أحسن العمل
عندما طلق والدتك وعاش بسعادة مطلقة مع ابنة عمه))

بفورية ارتفع صوت فيصل باعتراض بينما ينتفض داخلها بقلب
كاره لذكريات بالماضي تقض مضجعه دوما

((أمي.. أنتِ اعلم الناس كيف كانت حياتي مع ابنة عمي..
كوني عشت معها حياة هادئة لا يعني أنني كنت سعيدا.. الأمر
يقاس فقط بمقدار قناعتك بحياتك.. لقد وجدت أن المرء لأي أن
يبذل النساء كلما رأى عيبا بواحدة.. وابنة عمي رحمها الله فعلا
كنت انوي أكثر من مرة طلاقها ولكن بعد ذلك كنت أسارع
للتراجع واستغفر الله.. لكن حياتنا لم تكن سعيدة تماما.. وحتى
أنها عرفت منعرجا لا يسر أحد.. فقد كانت امرأة غريبة
الطباع.. بين الحين والآخر تخرج علي بتصرفات لا أجد لها
تفسيرا.. هل نسيت ما أقدمت عليه يوم أنجبت ابنتي البكر قبل
سنوات.. لم تكلمني أربعين يوما لكي تنفذ طلب والدتها التي
أوصتها بذلك))

قاطعته هيام وقد علا الاستغراب وجهها

((ماذا؟ ولماذا كانت تهجرك بالكلام؟))

هز كتفيه وهو يجيب بهدوء

((لان هذا التصرف مثل ما أوحى لها عادة تجعل الزوج يحب زوجته أكثر ويقدرها.. لقد حاولت إقناعها بأنها عادات بالية لا تغني ولا تسمن من جوع.. لكنها أبنت وأعدت الكرة عندما أنجبت ابنتنا الثانية.. والأمر لم يتوقف عند هذا الحد فحسب.. فهي كانت تارة تهجر فراشي في أيام خاصة استجابة للعرف الذي يوجب على المرأة فعل ذلك لكي تمنح الزوج متنفسا من وجودها.. رغم أن هذا التصرف يتنافى مع الشرع.. تصرفات كثيرة لا يمكن حصرها في هذا المقام، فهي أقرب إلى الجنون من كونها عادات وتقاليد مثلما كانت تعتقد.. لذا لا تتصورني أنني كنت سعيدا جدا معها))

ردت الجدة بغم متبرم

((بني لا يجوز على الميت سوى الرحمة))

رفع فيصل أحد حاجبية قبل أن يقول بتلقائية

((أمي.. أنا فقط أحببت أن أذكرك بالنعيم الذي عشته سابقا معها.. آخر فترة كانت تحجب عني شعرها بوشاح أسود وقالت إنها لأكثر من مرة راودها في المنام شيخ يشع وجهه نورا.. هذا الأخير طالبها بذلك وهددها بدخول جهنم إن كشفت شعر رأسها أمامي.. أخبرتها أن الأحلام لا يمكن أن تكون طريقا يسير عليه المرء لكنها رفضت.. مما جعلني أنفر من رؤيتها بذلك الوشاح الذي عَنَم ملامح وجهها فأضحت في نظري كالوحش الكاسر.. فترة مضت علي كان يتسلل الشك إلى عقلي أنها ليست على ما يرام وقد تكون مصابة بمرض نفسي أو خلل عقلي))

زاد تبرم الجدة من فيصل تعرف بأنه حياته لم تكون سعيدة جدا..

أمعنت النظر لابنها وهي تخبره بصراحة

((لا تأخذ دور الضحية الآن بعد أن انتقلت لرحمة الله.. فأنت لم تكن الزوج المسكين الضحية.. قد كنت شاهدة على معاناة المسكينة معك.. كانت قد شرطت عليك أن تكمل دراستها حتى بعد زواجك منها وأنت وافقت.. لكن بعد الزواج أصبحت تجبرها على أن تغيب كثيرا حتى تأثر مستواها الدراسي بشكل ملحوظ.. ألم يخيرك والداها عندما زوجها لك أن تراعيها كطفلة نظرا لصغر سنها حينها؟ طلب منك أن تعاملها كما تعامل ابنتك هيام وتعتبرها أخت كبيرة لها.. أنت لم تكن تسمح لهيام أن تغيب عن دراستها بغير عذر بينما لا مشكلة لديك بأن ترغم ابنة عمك أن تغيب إلى حد أسبوعين حتى منعتها بالنهاية كليا من الدراسة))

شوح فيصل بيده في حركة نزقة مرهقة وهو يقول

((فعلت هذا حتى تهتم ببناتنا خاصة وقد أنجبتهن بشكل متتالي))

بنيرة ساخرة ردت الجدة عليه فورا

((الم تكن أنت من اصرَ عليها أن تحمل فورا بعد إنجاب خيبة أنتى في كل مرة.. غاضا النظر عن صغر سنها وجسدها الضعيف لتثبت لك أنها تأخذ هذا الزواج بمسؤولية؟ وأنت لم تفعل شيء لتثبت لها أنها مهمة لديك منذ أن تزوجتها.. كيف تريدها أن تتعامل معك وقد تزوجتك وأنت معدد وشديد الطبع؟ تريد فقط كلمة حاضر ونعم.. عدا عن كيفية التعامل مع إهانتك لها))

لكن فيصل ردّ بثبات

((كان عليها أن تتذكّر أن الحياة قد طُبعت على الابتلاء ومن الواجب عليها أن تهئّ لنفسها من البداية للتعايش مع هذه المتاعب بعدم المبالغة في المشاعر والمقارنة وتوقع الأفضل))

ابتسمت والدته بتعاطف ليس موجه له وهي تهمس لنفسها بحنق

((المسكينة توفت وهي حزينة ولم يسبق لها وان رأت يوم سعد معك.. كانت دائما تكتم كل ما بداخلها من أحزان.. حتى بعدما طلقت سميحة.. بقيت هي حذرة من كثرة المطالبة بما يشعرك يا فيصل بكونها عبئاً ثقيلاً عليك.. حتى أنها لم تكن تجرؤ على الكلام عن سميحة بسوء مهما حدث أمامك.. خوفاً من أن تكرهها وتبتعد عنها وتحن لسميحة))

طأطأت هيام راسها وهي تفكر بألم على كلام جدتها من جهة..

وحتى حزنا على زوجة ولدها المتوفاة من جهة أخرى..

فهيام وقتها كانت كبيرة كفاية لتعرف بأنه حتى زوجة والدتها لم تكن تعيش بتلك السعادة والراحة الظاهرة أمام الجميع..

فهي تزوجت من والدها فيصل بناءً على أمر من والدها ولم تقدر أن ترفض خاصة وقد أخبرها بأن فيصل بكل الحالات يريد زوجة أخرى لتنجب له ذكراً..

حينها كان فيصل لم يرزق من أمها بغيرها.. وفيما بعد عرفت أمها بحملها بجالاً..

رضخت ابنة عم والدها للأمر بعد أن اقتنعت من وجهة نظرها وبلا شك أنه لم يلجأ إلى الزواج منها إلا وقد أضمر تحقيق ما يجده من نقص في حياته مع سميحة..

لذا حتى تجذبه لها قامت بأحسن ما يمكنها من التجميل والطاعة وعدم المبالغة في الغيرة والشكوك من بيته الأول..

ودعت الله أن تحمل بولي عهده حتى تضمن تفضيله له.. لكن إرادة الله كانت ألا يرزق إلا بنات..

وبالرغم من حب والدها لكل بناته إلا أنه كان ناقماً قليلاً لأن ولا واحدة منهم جاءت ذكراً..

بنيرة مهزوزة تساءلت هيام وهي توجه كلامها لجدتها

((جدتي لما تصورييني حياتها مأساة؟ والدي أساسا كان يعيش
مع أخواتي ومعها بمستوى رفاهية أكثر من حياتنا أنا وجالا
وأمي))

عادت الجدة لتبرم فاها وهي تقول

((كل ما كنّ يعيشه من رفاهية هو خير والد أمهن قبل أن يكون
خير والدك.. صحيح يا فيصل؟))

ارتعشت يد هيام وهي تتحرك على المائدة بينما تقول بهمس
محشرج

((ومن ثم يا جدتي ما دخل أمي بكل مشاكلكم وهي كانت بعيدة
كل البعد عنكم كليا ولا تتدخل لا من قريب ولا من بعيد! مهما
فعلت أمي فلن تكون بنظرك غير أمراه أنانية وشريرة.. إن
العداوة بينكما من طرف واحد.. وهو طرفك))

أشاحت الجدة نظرها ليفصل وهي تخبره

((تربية سميحة تبارك الرحمن.. لسانها أطول منها.. إذا كنت
أنا جدتها ولا تحترمني وترد الجواب على كلامي.. فلا تذهل يا
فيصل بعد سنوات إذا رفعت صوتها عليك))

رفعت هيام حاجبها في تحفز وهي ترد باسترسال منفعل

((جدتي أنا أدافع عنها.. ولا أرد الجواب عليك))

تمتت الجدة بكلام غاضب تعلن عن سخطها من جواب
حفيدتها وكانت تود أن تفرغ كل ما بها من غضب على تعيسة
الحظ الجالسة بالرفة معها بوقت خطأ لا يناسب مزاجها
العكر..

لكن هزت رأسها تبعد تفكيرها عن التشتت..

وما أن أبصرت فيصل يحرك رأسه بيأس ليجلس على الكرسي
ويخلع نظارته ركزت بأفكارها على أن تعود للموضوع
الأساسي الذي نوت التحدث عنه مع فيصل..

عاد الصمت ليسود المكان وكل منهم شارده بنفس الموضوع
ولكن بروية مختلفة حسب منظوره الشخصي..

أغمض فيصل عينيه بضيق وهو يستعيد كلام أمه عن ابنة عمه
المتوفاة..

لم تزوجها هو أساسا؟ ألم يكن للإنجاب؟

فيعد ولادة هيام كانت سميحة تنجب مرة تلو المرة أطفالا إناث
وكلهن يمتن بعد الولادة بسويغات قليلة..

يعرف أنه أخل بوعده لعمه ومنعها من إكمال تعليمها وهذا لأنه
بعد الزواج منها طلق سميحة وأصبحت هي زوجته الوحيدة..

فصار الأمر أختلف لأنه يريد من زوجته الوحيدة أن تهتم به
وبأطفاله وببيته بدلا من دراستها.. لم يتزوجها ليأخذ دور أستاذ
خصوصي لها..

كان قد عاش مع سميحة لسنوات ولم يكن ينوي أن تسير
الأمور هكذا نحو الطلاق عندما نوى الزواج الثاني ولكن هذا
ما حصل.. فبالبداية اتفقوا على انفصال بدون طلاق..

ولا يدري ما الذي غيرها لتطلب فجاءة الطلاق.. وإن رفض
هو فالخلع..

حجة سميحة كانت بأن غيرتها شديدة ولا تستطيع أن تعيش مع
رجل مع امرأة ثانية خشية أن تخطئ على الثانية أو أن تقصر
في حق الزوج أو تسيء له جراء الغيرة..

لم يكن حينها يدري هل يطلقها بناءً على طلبها ولها آنذاك قرابة
الشهر في بيت أهلها أم يحسن لها ويصرف عليها وقد تركت
هيام عنده؟

مع العلم أنه لطالما كنّ لسميحة من المحبة والميل الشيء الكثير
وهي كذلك..

ومعاشرته معها قبل أحداث الفترة الأخيرة كانت بالمعروف فلم
يكن لعاناً ولا ضراباً ولا سباباً ولا بخيلاً..

العيب الذي يعترف به بأنه قد انشغل بعمله كطبيعته عن التواجد
المستمر لهم فانشغلت هي ولوحدها بتعليم وبتربية ابنتهم هيام..
وهو أيضاً كان قد وفرّ جميع متطلبات الحياة لهما..

ولكن ما تزال حجة سميحة عليه بأنها لا تراه دائماً وتحملت
مسئولية تربية هيام وحدها وبعد كل هذا الوفاء يتزوج عليها!

كان يشعر وكأنه بدوامة أفكار وذكريات حتى قطعه صراخ
طفولي مرح من راجي ذو السبعة أعوام المستمتع وهو يهرول
بشقاوة نحو جدته وهو يحمل لعبة طائرة يطيرها بيده لتلتقطه
الجدّة بيديها..

ورغم صعوبة حمله تبعاً لكبر سنه عن قبل إلا أنها حملته
ووضعته بحجرها بسعادة تغمرها والبهجة تظهر على محياها
بينما تدعوا له بتمنّات هامسة وهي تناغش وجنتيه تارة وتارة
تلعب بشعره..

مرت دقائق على الجدّة وهي تلاعب راجي أمام عينا فيصّل
الحاقدة على ما فعلته امه بالماضي وعلى طفل صغير بالكاد
تجاوز السبع سنوات وبلا ذنب له..

إلا أنه ابن زوجته السابقة وأخيه.. نتاج زواج اثنين تم بمساعدة
المقربين منه ليغدروا به..

قطعت الجدة تفكير فيصل وهي تسأله بجديّة وهي تنظر إليهم

((إذن ماذا قلت؟ لقد مرت سنة وسميحة ترفض العودة إليك؟
هل ستترهبين لأخر عمرك؟ وماذا عن بناتك؟ من سيعتني ويهتم
بهن؟ أنا لست حمل الاعتناء بأحد بعمرى هذا.. بل وبالأيام
الأخيرة تركت مسؤولية البنات لأميئة كاملة فقد تعبت.. وأياك
أن تلمني))

تابع فيصل بنظراته امه وهي تعود لتحنى رأسها باتجاه راجي
بحنان طغى عليها بنزايده..

تحادثه ببراءة.. بطريقة تمس القلب..

وبطريقة تجد للغضب طريقا بقلبه وهو يراها تعامل راجي كأنه
حفيدها الوحيد..

راجي يحظى منها بكل الحب على حساب بناته من كلتا
زوجتيه..

والديه قاما بالفعل بتسجيل اغلب أملاكهما لراجي لكونه الحفيد
الذكر الوحيد.. والابن الوحيد لأخيه الأصغر الذي يقطن منذ
زمن ولأن بفرنسا مع زوجته الفرنسية..

وبصرخة حانقة لا تناسب الجو الهادئ خرج الصوت عاليا من
فيصل وقد عادت لذاكرته غضب من الماضي

((غريب يا أمي.. لا يأتيك التعب إلا مع بناتي.. أما عند يتعلق
الأمر بحفيديك الوحيد ففداه الدنيا وما فيها.. صحيح؟))

ارتفعت نظرات الجدة نحو ابنه فيصل بذهول وهي تراقب
قسامات وجهه القاسية..

ترى فيهم الغضب.. الحقد.. العتاب.. وبتلقائية أحاطت براجي
بكلتا يديها وهي تشدد عليه كأنها تحميه من وحش مفترس..

ثم صرخة حنق خرجت منها بلا سيطرة وهي تهتف بفصيل
بغضب

((ابتعد من هنا.. والله بت أخشى على الولد أن يصيبه مكروه
من عينك عليه مع أنني لا أغفل يوم عن تحصينه بالدعاء
والمعوذات ودائما ما أوصي سميحة بفعل المثل عليه))

أحس الصغير راجي بالتوجس من عمه..

يعرف بإحساس الأطفال الذي لا يخيب كلما رأى عمه فيصل
أمامه بأنه لا يحبه ولا يستسيغ وجوده أبدا.. فلم يبادله أي شيء
من صغره..

نظرت الجدة لراجي المحقق بعمة بغير رضى لتقبل جبينه
فتسرق انتباهه قبل أن تهمس ل راجي بسخرية وبصوت
مسموح لمن بالغرفة

((والله لولا صلابة عقل والدك المسلوب من قبل الفرنسية..
والا لما سمحت له أن يطلق سميحة بل وأجبرته على ترك تلك
الفرنسية الساحرة العقيمة.. لو حدث هذا لكان لك عدة إخوة
ذكرور يؤازروك ويكونوا لك خير سند ومعين))

رفرف فيصل بعينه بلا تصديق وصوته يعلو

((أمي.. أنا حقا يصعب عليّ تصديقك.. هل أنت بالفعل
تعايريني لأنني لم أنجب إلا البنات؟ ألا تشعرين بالندم على
غدرك بي بالماضي؟))

ضحكت بسخرية وهي تشير بيدها الحرة حولها قائلة

((أي غدر تتهمني به يا ابني؟ أنت وافقت على طلاق سميحة
بك بعد إصرارها.. وكانت قد أنجبت ابنتك الثانية جالا بالفعل..
خشيت من أنها تخطط بعد طلاقها للزواج من آخر فتتخلى عن
بناتها ويفقدوا حنانها لهن.. أو تربيهن مع رجل غريب..
وبمصادفة عودة أخيك لأرض الوطن بعد سنوات بنفس هذا

الوقت.. كان الحل المثالي أن اجعل طليقتك واخاك يتزوجان..
ربما أنجبت منه أطفال سواء ذكور أو إناث.. المهم أن تربطه
بنا ليبقى هنا ويترك الغربية في الخارج وأفضل من أن يبقى بلا
ذرية لأخر حياته مع زوجة عقيمة.. فعلت هذا لمصلحة الكل
كبارا أو صغارا.. وكان على الكل أن يشكرني ويقدر حكمتي))

ومن ثم أردفت بما جلب الشحوب لوجه فيصل الذي اطرق
رأسه بعد فورة غضبه

((وفعلت هذا الأمر من أجل مصلحتك أنت خصيصا.. من أول
بنت رزقت بها من ابنة عمك أتاني شعور قوي لن يكون
نصيبك أن تحظى بمولود ذكر.. على ما يبدو أن العيب عيبك لا
عيب زوجاتك.. لذا اعتبر راجي سندك الوحيد عند الكبير
ولأخواته ولبنات عمه.. لو كنت ذكيا لبدأت الآن تفكر بزواج
راجي من إحدى بنات عمه.. توقف عن السخط وأبدأ بالتفكير
والتخطيط كأب حكيم))

خرجت من فيصل ضحكة صغيرة متخاذلة..

وباستهزاء حانق صفق بعصبية دون أن ينتبه على لمعة دموع
كانت تبدو في مقلتي هيام التي وعلى ما يبدو نسيا وجودها
وهي تسمع حديثهما وراجي الذي لا يفهم أي شيء ولكنه ما
زال يستشعر الجو المشحون بالمكان..

صوت فيصل ارتفع في تلك اللحظة وهو يقول بهدوء عميق

((كفى أمني.. أنت أول من أقنعتني بأن أتزوج على سميحة لأنها
لن تقدر على الإنجاب.. وأنت من ضغطت عليّ بالزواج من
ابنة عمي.. وعبد طلاقني من سميحة لم تترددي أن تزويجيها
لأخي.. لو كنت علمت بما تخططين له لم أكن لأطيعك منذ
البداية..))

يتذكر اليوم الذي عرف زواج سميحة بأخيه اشتعل غيرة
 واحتجاجا وتملكا..

كان يرى الأمر ضرب من ضروب الجنون.. نعم بالفعل كل
من حول مصابون بالجنون..

وخاصة من كانت امرأته يوماً..

لم يتوقع الجراءة التي امتلكتها لتتزوج من بعده.. ومن أخيه
تحديداً..

أي حقد كانت تكنه له لتصفعه تلك الصفعة..

أنا ذلك لو لم تصح له فرصة الذهاب للحج ليريح روحه المرهقة
المدمرة المهشمة.. لربما أصابته سكتة قلبية..

صحيح أنه هداً بعد طلاق سميحة وأخيه تائر السريع لكن ما
تزال هناك غصة بقلبه لا تذهب كلما رأى راجي..

ربما لأنه لم يحصر على مولود ذكر مثله.. أو ربما لأن راجي
نتاج زواجهم الذي سيذكره به لأخر حياته..

نظرت الجدة لراجي لتحمله وتضعه ليجلس بجانبها قبل أن
تتنفض واقفة وهي ترفع صوتها وتلوحه بإبهامها مقاطعتا
الهدوء الذي عمّ لبرهة من الزمن لترد عليه بنفس الاشتعال
والصراحة

((إياك يا فيصل أن تعود لاتهماتك السابقة لي.. هل تريد أن
أحلف على المصحب بأن الأمر لم يكن مخطط له؟ أنا طلبت
منك أن تتزوج بأخرى ولم أتوقع أن تطلب سميحة الطلاق
حينها وتوافق أنت عليه.. توقعت أن ثورتها ستهدأ بعد مدة كأي
امرأة أخرى ولم أكن اعرف أن نهاية الثورة ستكون الطلاق..
الظروف والنصيب هي وراء كل ما حدث.. وإياك الكذب وأن
تقول إنك كنت تنوي إرجاعها بعد أن تهدأ.. لأن هذا غير
صحيح.. لم تحل بعينيك إلا بعد زواجها من أخيك.. وبرأيي من
حقها أن ترى حياتها مثلك تمام))

أنهت الجدة كلامها وصدرها يعلو ويهبط وكأنهما بإحدى
جولات نزال عاصف..

نظر فيصل أمامه بشرود وهو لا يدري.. حقا لا يدري..

ربما هو فعلا لم يرد أراجعها وأراد إكمال حياته مع الزوجة
الجديدة..

أو ربما.. هو أراد أن يكمل حياته وبعد مرور الزمن أن يعود
لها..

وهي ستوافق على العودة بعد أن تفكر مليا..

فإن أنجح علاج هو علاج الزمن.. فالزمن كفيلاً بأن ترجع
لرشدتها.. وتحكم عقلها.. وتتحدث مع نفسها..

الزمن كفيلاً بإقناعها.. لن يستطيع أحد أن يقنعها بالرجوع لبيتها
لا هو ولا والدها ولا أهلها..

لذلك في البداية وعندما تزوج كان يريد أن يكون انفصال بدون
طلاق.. مع استمراره بالإفناق عليها وعلى ابنتيه هيام وجالا
واطمننانها بأن حقها لن ينقص..

ثم أرسل لها من أهلها وأقاربها الذي وقفوا معه بقراره على
امل آخر أن يكون مجموع هذه الجهود ومع مرور الزمن ستهز
موقفها وقناعتها وتجعلها تتراجع رويداً رويداً..

لكن بالنهاية طلبت الطلاق وهو لم يرَ خسارة بطلاقها خاصة
مع أماله بالحصول على الكثير البنين والبنات من زوجته
الأخرى..

ووالدته أخبرته حرفياً أنه إذا رأى المصلحة في زواجه من ابنة
عمه فعليه أن يقبل عرض عمه ويتزوج على بركة الله
وتوفيته..

أخبرته أن سميحة مصيرها أن ترجع له.. وإذا لم تعد فهي من
باعته لا العكس..

والآن تخبره أمه أن من حق سميحة الزواج والاتفات بحياتها
ببساطة!

قاطعها فيصل بثورة وهو يقف بدوره لينهي هجومهما.. مع أنه
يرغب أن يردّ الألم الذي شعر به لوالدته

((أمي أرجوك توقي عن الحديث.. لا أريد سماع المزيد.. لم
يكن عليّ من البداية إثارة هذا الموضوع القديم.. أنا مشغول
وأريد الرحيل.. هيا يا هيام حبيبتي اذهبي للمنزل وادرسى..
أشغلتك بلا داع))

بخجل همست هيام وقد ارتجف جسدها فتمسح دموعها وهي
تسمع نبرة الحنان بأخر كلمات والدها الموجهة إليها قبل أن
ترفع رأسها بابتسامة تزيين فيها وجهها له قائلة

((حسنا أبي.. رافقني للطريق لو سمحت))

عندها غمغم فيصل بخفوت

((أنا اعتذر حبيبتي لكن أنا مستعجل.. اذهبي للبيت مع راجي
وحنكما))

خطى بخطواته بسرعة لخارج الغرفة كي يتمكن من التقاط
أنفاسه بصعوبة إلا أن ضربة أصابت ساقه وجعلته يتوقف
لينظر للخلف إلى راجي الذي اقترب منه ليضرب لعبة الطائرة
على ساقه المستهدفة بإتقان يعير عن مشاعره تجاه عمه..

انحنى فيصل ليمسك الطائرة في نفس الوقت الذي رأى فيه
راجي بطوله الذي لا يتعدى طول ركبته وقد مد يده إليهم
بنظرات غاضبة مطالبا إياه دون كلام أن يعطيه الكرة..

لكن بلؤم حرك فيصل رأسه بالرفض وهو يرفع الطائرة الخفيفة
اعلى هامسا

((لن أعيدها لك.. ليس من المناسب أن تلهو ونحن نمر بهذه
الأوقات العصبية))

ثم ابتسم بكيد وهو يضع عقله بعقل الطفل الصغير أمامه..
والتفت ليغادر للخارج حاملا بطائرة راجي..

قبل اثني عشرة سنة

دفعت سميحة بصعوبة وبمساعدة ابنتها هيام الصندوق الكبير
الموضوع بركن زاوية المنزل الذي خصصته له..

فتحت سميحة الصندوق وهي تقول

((انظري يا هيام.. هنا أضع فيه كل شهادتك المدرسية أنت
وجالا وراجي.. وبعض الهدايا القيمة التي تلقيتموها))

تابعت هيام النظر للصندوق للحظات وهي ترى كيف تصبح
الذكريات حاضرة بين ناظريها..

أخرجت هيام ما في الصندوق وقلبت أيام طفولتها من خلال
أشئائها هي الأخرى الخاصة والحيممة.. بعدها قالت ببهجة

((أمي.. يجب أن تعطيني أنا كل ما بداخله بما أني البكر..
وبدوري سأورثه لأولادي ومن بعدهم أحفادي))

ابتسمت سميحة.. فهي بالتأكيد ستعطيهم لأولادها لتبقى
الذكريات تاريخاً موثقاً ليس فقط في الذاكرة وإنما في الوجدان
أيضاً..

فهمت لها وهي تهز رأسها بالإيجاب مبتسمة

((نعم.. وربما سأعطي لجالا محتويات الدولاب الموضوع
بالصالة.. فهو يضم العديد من القطع الفنية للقماش المزخرف
أيضاً.. وفيه الكثير من قطع القماش الفنية المطرزة بأبهى ألوان
الخيوط الحريرية التي كانت والدتي تطرزها في شبابها وقبل
زواجها وبقيت أنا من بين أخوتي محتفظة بهم حتى الآن منها))

ونبرة مازحة قالت هيام وهي تحتفظ بابتسامتها

((أعطي لراجي محتويات الرف العلوي منه.. فيه مجموعة من
نحاسيات الأواني المنزلية مثل الكاسات والملاعق.. سيحتاجهم
لزوجته))

لكن سميحة لم تتبادل معها الابتسامة وهي تشعر بغصة قلبها
عندما تفكر أنه من الممكن أن يتزوج راجي من إحدى بنات
فيصل حتى يضمنوا ألا تأتي غريبة عن العائلة وتشاركهم
بورثة وأملاك راجي المكتوبة باسمه..

تكاد تقسم أنها لن تسمح له أن يتزوج من بنات عمه.. وتعرف
كيف ستمحي هذه الفكرة محياً من أذهانهم..

ابتسمت سميحة أخيراً وهي تنظر لهيام قائلة

((لا لن أعطي راجي شيئاً منهم.. فجميعهم كانوا من ضمن
جهازي.. سأعطيهم لك أو لجالا بإذن الله يا حبيبتي.. بعد أن
أزوجكما أفضل شاب غريب عن العائلة يتقدم إليك ولأختك))

ضحكت هيام على كلام أمها وهي تبتسم بعفوية.. تفهم قصد
أمها..

لطالما أخبرتها أنها لن تزوجها لا هي ولا جالا من رجال العائلة..

فأما وأبيها كانا من عائلة واحدة من بعيد.. وعندما تزوج أبيها وقفت كل عائلتها وعائلته معه ضدها مدعين أن هذا حقه..

ومن وقتها وهي ترص الكلام بعقل هيام رصا أن الزواج من خارج عائلتها سيكون لمصلحتها..

حتى ما إذا حدثت مشاكل بينها وبين زوجها المستقبلي ستقف عائلتها كلها معها ضد الغريب..

والجميل بالأمر بالنسبة لهيام أن الفكرة تناسبها جدا..

ذهبت سميحة للصالة لتنظيف الدولاب بعد أن أخرجت محتويات الصندوق لتهويتهم..

تجد متعة كبيرة عندما تقوم بتنظيف وتلميع هذه الأواني النحاسية.. بينما هيام تستمر بغسل وتهوية قطع القماش المطرزة التي صنعتها والدتها..

وتتحسر لكونها لم تتعلم في صغرها فن التطريز حيث كانت والدتها تلح عليها لكي تتعلم هذا الفن إلا أنها كانت تكره الخياطة في تلك الفترة وكانت تكتفي بمراقبة والدتها التي كانت تبدع في رسم وحياسة وتطريز أشكال جميلة من الطبيعة..

الآن هي تدرس بالجامعة ومن ثم ستعمل وستتزوج ولن تملك وقت لتعلم أي هواية ومهارة في خضم الحياة..

عندما عادت للغرفة واقتربت للصندوق.. وقع نظرها فجأة على صندوق صغير مهدى من والدها لها.. ابتسمت وهي تخبئه بجيب سترتها.. فقد وجدت مكان آخر لتخبئه به.. وتعرف تحديدا متى ستخرجه ولمن ستعطيه..

بعد برهة قطعت الصمت المنتشر بالأجواء لتسأل أمها سؤال
مفاجئ بدون مقدمات

((أمي.. ما الذي أعجبك بابي لتوافقي على الزواج به؟))

وفجأة تحولت تعابير وجه أمها للسخرية وهي ترد عليها
بصوت أجش

((تقدم لي والدك.. وهو من أقاربي البعيدين.. اخترته بعناية
بسبب دينة وخلقها))

توقفت هيام عما تفعل وهي تومئ برأسها متفهمة.. بينما أردفت
والدتها من تلقاء نفسها

((حينها.. توقعت أن أريك هذا هو السعادة بعينها.. كان متدين
حازم عنيد جداً.. وصارم في تعامله وقوانينه وكنت أنا في
منتهى الطاعة والحب له.. منع عني أمور كثيرة ورضيت بها..
عندما أنجبتك كنت صغيرة بالعمر.. ولكن مع ذلك بذلت أقصى
جهدي لأتفرغ لك ولأسرتي الصغيرة التي أحببتها من قلبي..
حرصت على راحة والدك وسعادته من اهتمام بأناقتي وخلق
وبيتي.. وكان يبادلني الشيء ذاته إلا ما يغلب عليه طبعه من
صرامة وأوامر.. وحتى جدتك.. كنت أخدمها كما لم اخدم
أمي.. وأحضرها والدك بعد فترة علاجها بالمشفى عندي وقبلت
وقلت لنفسى ليس لديها إلا ولدين.. أحدهما بالغربية والثاني هو
زوجي ولا يوجد غيري لها وكنت أنا أطيعه فيها))

عادت سميحة تلقانيا بذاكرتها إلى ما حدث وقتها.. كانا
متزوجان ومتفاهمان..

لكن.. بعد أن أنجبت هيام.. لم تحمل إلا بمولودات إناث
يتوفاهن الله بعد سويعات قليلة من موعد الولادة..

وبأخر مرة وبدلاً من يواسيها فيصّل بمن فقدتها.. أخبرها انه
يريد الزواج مرة ثانية خاصة مع توفر الإمكانيات المادية..

وحتى بعد أن رفضت الموضوع بشدة لم يغير رأيه خاصة مع دعم والديه الشديد له..

وأن من سيتزوجها هي ابنة عمه وقد أعطى عمه كلمة ولن يتراجع فيها..

فحدثت الكثير من المشاكل بينهما..

أقاربها هم أقاربه وكلهم كانوا مع قراره.. أصبحت أصغر الأشياء تعني الكثير وتكون سببا في مشاكل يومية..

وبعد تراكم هذه المشاكل ورفضها القاطع للزواج الثاني حتى العلاقة الزوجية بينهما أصبحت بدون إحساس فنفر هو بالذات من المعاشرة..

استمر الوضع هكذا.. هو مصّر على الزواج وينال كل الدعم لقراره.. وهي لم تجد من يقف معها..

وبعد العديد من المشاكل وعدم قدرتهما على إدارة الوضع..

قام فيصل بشرح التفاصيل لأهلها وقراره النهائي وتفهموا التفاصيل بدون أي معارضة..

بالنهاية.. اتفق الجميع على انفصالهما مع عدم الطلاق للمحافظة على طفلتها هيام التي كلما ترى أبيها تطير به فرحا وتبكي له وتتشبث به وترفض العودة لها.. فيشغل قلبها عليها.. فهو يعلم أنها نقطة ضعفها..

والطفلة القادمة التي تحملها بأحشائها والذي علمت بوجودها متأخرا.. كل هذا اجبرها أن تنفصل عنه من دون طلاق.. وانتهى بهم الأمر منفصلين وكان هذا آخر ما دمر علاقتها مع فيصل.. ونسف عش الزوجية..

أعطى فيصل الشقة التي تعيش بها لها مع بقائها على ذمته..
وبنى لنفسه البيت الذي سيسكنه مع زوجته الجديدة قريباً من
بيئتهم..

موعد زواجه من ابنة عمه كان وبالصادفة بنفس موعد إنجابها
لجالا..

كانت تصرخ وتصارع لتخرج ابنتها من رحمها لرحم الحياة..
وبحمد الله كانت بكامل صحتها وعافيتها..

شعرت بغصة في حلقها منعته من الاسترسال.. لكنها أضافت
لهيام بصوت مهتر

((وبعد مرور سنين.. حكم والدك أنني لن أنجب أولاد ذكور بل
ولم اعد حتى قادرة على إنجاب أنثى بكامل صحتها بعدك..
وأنة قرر الزواج من ابنة عمه الغني.. بذلت جهدي لأمنع
زواجه ولكن لا فائدة))

التمعت عيني هيام بعاطفة جياشة.. لأول مرة تعيد سماع قصة
والديها من جهة أمها..

كررت هز رأسها بنفهم.. فالمشكلة بطبيعة عمل والدها كانت
تدفعه إلى أن يكون في انشغال دائم فلا يجد متسعاً من الوقت
حتى يتفرغ لهن ولحياته الاجتماعية..

وكان هذا احدى الأسباب الذي دفع والدتها لأخذ دورة بالأشعة
مكنتها بالعمل بالمشفى لسنوات حتى الآن..

شعرت هيام ببعض التردد وهي ترفع رأسها لتسألها

((أمي.. لم.. لم رفضتي أن تعودي لأبي عندما طلب منك بعدما
توفيت ابنة عمه؟ حتى لو انتهت مشاعرك تجاهه.. ولكن.. ألن
يكون أكثر راحة لك أن تكلمي حياتك مع رجل يقاسمك أمور
الحياة؟))

جاء ردة فعل أمها حاسما وقد عادت إليها مشاعر قوية
بالماضي.. خاصة وأنها لا تزال تشعر بالألم يستحضر لواقعها
الآن رغما عنها..

((من المستحيل أن أعود له.. ألم تتجاوزي الأمر يا هيام حتى
بعدما تزوج والدك للمرة الثالثة من امرأة تدعى أمينة؟ ما زالت
على كلامي.. لن أعود له ولو رمى نفسه بما تبقى من عمره
تحت قدمي.. والدك سبق وأن سقط من عيني وهزني هزة
عنيفة أيقظتني قبل سنين طويلة.. وما عدت أثق به إطلاقا..))
جفلت لقسوة أمها بالرد عليها فأغمضت عينيها بألم الدموع
تحرقتها رغما عنها..

بينما ندمت سميحة على ردة فعلها المبالغ بها بعدما رأت
ارتجاف عينيها لتتقرب أناملها وتمسح دموعها مردفه بصوت
متأثر وهادئ

((ردا على سؤالك.. فصحيح أن الحياة مع رجل ستكون أكثر
راحة وربما أكثر سعادة.. ولكن مع الرجل الصحيح.. ووالدك
لم يعد مناسباً لي الآن.. أنا بالكاد أجد وقتاً للاهتمام بكم أنتم
الثلاثة بعد عملي بالمشفى.. ولست قادرة على حمل عبء أربع
فتيات أخريات بسن هن بحاجة فيه للاهتمام الشديد.. أنا حقا لن
أستطيع تدبير أمور سبعة أبناء.. لا تتظري اللي هكذا يا هيام..
أنا لست أنانية.. بل أريد مصلحتي ومصلحتكم ومصلحتهن..
خاصة جالا وراجي لا أريد أن أقلل من اهتمامي بهم لصالح
غيرهم.. كذلك البنات هن يسحقن زوجة أب معطاءة وأفضل
منّي.. بالتأكيد أيضاً أنا لم أكن سأضحى بوظيفتي من أجله أو
من أجل بناته))

أكملت سميحة التفكير بسخرية فهي لو أخذت الأمور بواقعية
بعيدا عن العاطفة وتخيلت أنها قررت العودة لفبصل لتعيش
سويا مع البنات جمعيهن..

رغما عنها ستشعر بالألم وهي ترى له أطفال من صلبه هو
وأخرى غيرها.. بالضبط كما يؤلمه دائما رؤية راجي وهو
ابنها من رجل غيره..

أيضا العودة له تعني أنها ستضطر للتخلي عن عيش راجي
معها.. فهو ليس من محرم على بنات فيصل..

وهي لن تقدر أن تتخلى عن ابنها الوحيد المدلل لصالح جدته
خاصة وأنه ما زال صغيرا بسن السابعة..

لا تريد أن تتدخل جدته أكثر بتربيته والتأثير عليه..

كفة الخسارات أثقل بكثير من الكفة المعاكسة..

فجاءة جفلت سميحة على صوت هيام التي تناديها.. هزت
رأسها لها مستفسرا لتسترسل هيام بارتباك أكبر وهي تتجنب
التقاء الأعين

((أمي.. أقصد.. هل تكنين مشاعر لعمي نائر؟ أقصد..))

عادت لتشرذم بئائر شقيق فيصل.. كان ع النقيض منه تماما..

أجابت سميحة قبل أن تنتهد

((أنا ما زلت أجد نفسي ادفع الثمن غالياً لتلك النصائح التي
منحتني لقب مطلقة لثاني مرة.. لقد اعترف لي عمك بعظمة
لسانه بأنه نادم على الزواج مني وأنه ما زال يحتفظ بزوجته
الأولى على ذمته ولم يطلقها كما كذبت جدتك علي.. كرر على
مسامعي كثيرا أنه أخطأ حين تزوجني بناء على نصيحة
وضغوط والدته))

عقدت هيام حاجبها حانقة

((كان عليه هو أن يخبرك أنه لم يطلق زوجته))

تشرذ مجددا وهي تتذكر أيام زواجها من نائر.. ذكريات قديمة وشحيحة... وموجعة..

تعتبر نفسها أنها كانت هي الأخرى مشاركة بالأمر.. لقد أرادت الانتقام لنفسها من فيصل..

فقدان إحساسها بأنوثتها كان يقتلها ولا تدري كيف تشبعه فتحجبت بأنها بحاجة لمن يرعى بناتها لهذا قبلت بزواج منه ووطنت تحت ضغطهم..

فلكم أصبحت تغريها وتعجبها فكرة أنها مرغوبة.. تجعلها تشعر بالنشوى.. فسارعت بالزواج منه بدون تفكير..

لكن.. كانت هناك استفهامات عديدة أثقلت وأشغلت تفكيرها منذ بداية زواجها من نائر..

فقد كانت لديه رغبة ملفتة للنظر في إتمام الزواج سريعا.. إلا أنه لم يحاول الاقتراب منها أو ملاحظتها منذ زواجهما الأمر الذي أثار مخاوفها وبدد فرحتها بأول أيام زفافها فالأيام الذي من المفترض أن تكون من ضمن شهر العسل لم ينالها منها سوى النكد والهجر..

إصرارها على ألا تخرج بزواج آخر خاسرة أجبرها أن تحاول جذبه لها بالبداية حتى استطاعت بالنهاية أن تحظى معه ببضعة أيام كالمتزوجين لتحمل فيها مباشرة براجي..

فيما بعد اعترف لها انه ما زال متزوجا من زوجته ولم يتطلقا وزواجه الآن بها لم يزيده إلا حنيناً وشوقاً لزوجته..

وبعد ما لم يتردد في تطليقها بناءً على رغبته.. ليعود لحياته مع زوجته الفرنسية..

أخبرتها حماتها بأنها لم تكن إلا مجرد عصا لتأديب الفرنسية فقط حتى تنصاع لرغبتهم ولا تحرمه من الإنجاب أو تطلب الطلاق وتتركه بحال سبيله..

حتى أكدّ ثائر لوالدته أن الأمر ليس مجرد عدم رغبتها بل زوجته الفرنسية تعاني مشاكل للأنجاب ولا نية له بالتخلي عنها..

سألته هيام

((أكانت تجربة صعبة بالنسبة لك يا أمي؟ هل تلومين عمي أو تشعرين بأبي مشاعر كره تجاهه إلى الآن؟))

هزت سميحة كتفها وهي تقول بلا مبالاة حقيقية

((هو ظلمني ظلم كبير بلا شك! لكن.. أحيانا أفكر باني لو لم أتزوجه لم أكن سأرزق بأكبر هدية من رب العالمين.. أخيك راجي))

بالنهاية زواجها من ثائر لم يكن حراما أو عيب.. قد يبدو تفكيرا مرضيا..

لكنها فعلا خرجت من هذا الزواج براحة نفسية خاصة بعدما عرفت بحملها براجي وشعرت كأنها انتقمت أو بردت نار قلبها..

ليست اسفه للوضع النفسي الذي أصاب فيصل بعد زواجها من شقيقة..

فالقهر والألم وحتى طريقة التفكير التي شعر بها لدرجة تلف أعصابه لعدم قدرته على استيعاب أو تخيل زواجها.. هو نفسه ما شعرت به.. لكن هي عاشته لمرات أكثر وأكثر..

هزت سميحة رأسها تنفض أفكارها وهي تقف من مكانها لتتابع ما تفعله..

وبعد مرور وقت أخرجوا آخر ما بداخل الصندوق وهو فستان زفاف سميحة الموضوع بحقيبة شفافة لحفظه..

كانت سميحة لا تزال تحتفظ به إلى الآن وتعتبره قطعة نادرة
حيث تملؤه المطررات بلونها الأبيض والزهري..

لأن والد سميحة تبرع بان يهديها فستان زفافها بعد أن اختارت
هي تصميمه وقد احضر ثلاثة خياطين متخصصين في تفصيل
فساتين الزفاف من أجل أن يفصلوا لها الفستان بحسب
تصميمها..

وقد احتاج فستان زفافها إلى شهرين في الحياكة والتطريز
ليخرج بالشكل النهائي الذي ما زال عليه حتى الآن..

هيام لا تظن بأنها ستلبسه خاصة وأن تصميمه يختلف عن
تصاميم فساتين الزفاف بزمانهم هذا.. لكن ربما تستطيع أمها
إقناع جالا باردائه..

أغلقن الصندوق بعدما انتهين من إرجاع أغراضه.. فكما يقال..

نحن نحب الماضي لأنه ذهب ولو عاد لكرهناه..

فذكرياتنا جميلة لأنها أصبحت ذكريات ولو تحولت إلى واقع
لحقدنا عليها..

ربما ليست جميعها.. لكن على الأقل ينطبق على الكثير منها..

.

.

قبل عشر سنوات..

كانت هيام برفقة احمد بالجامعة يجيبون أبنيتها..

كانت قد طلبت منه أن يرافقها ل تستكمل أمور وأوراق مصدقة
تخرجها وهو لم يضيع على نفسه فرصة مشاركتها بالرغم من
انشغاله..

فدراستها هي تتطلب أربع سنوات على عكس احمد الذي ما زال له سنتان أخريات للتخرج..

تبعثرت مشاعر هيام وعجزت عن وصف ما بداخلها..

بالنسبة لهيام قد اقترب حصاد مشوار استمر أربع سنوات من الجهد والتعب والمعاناة والمثابرة..

أيام قليل حتى موعد تخرجها ليعانق الحلم حياتها ويتحول لواقع جميل..

وعلى الرغم من أنّ التخرّج فرحة لا توازيها فرحة إلا أنّها تشعر باختلاط مشاعرها كلما تتذكر قربه ما بين مشاعر الفرح والقلق والترقب والأمل بالغد والرغبة بالعمل المحفوفة بالكثير من التفاؤل..

وما بين مشاعر الحزن والحنين إلى ذكريات الدراسة والزملاء والأماكن التي علنت فيها ضحكاتها مع صديقاتها..

بالتأكيد أن لحظات الوداع لن تكون للمباني والجمادات بقدر ماهي للأشخاص الذين عاشت معهم طوال السنوات الماضية من عمرها..

وقضت معهم أزهى فترات العمر وكانت زميلة لهن في مقاعد الدراسة..

رفيقات دربها تعجز عن صياغة مشاعرها لهن.. لهن مكانة محفورة بالقلب..

فمن يقدر على نسيان صديقات قضت معهن من الوقت أكثر مما تمضي مع عائلتها..

قضت معهن وقتاً أكثر مما أمضته مع نفسها.. لكن هكذا هي دائماً لحظات السعادة تمر بسرعة..

لن تنسى كل زاوية من زوايا هذا الصرح الكبير..

لن تنسى احتساء القهوة في ساعات الصباح التي جلست فيها
تتسامر وتتبادل الضحكات..

سنتفقد كل المقاعد الذي جلست عليه لتلقي العلم.. سنتفقد
الصرح الذي احتواها بكل محبة عندما ضمها إليه خلال سنوات
الدراسة التي قضته فيه..

سنتفقد كل شيء جميلا كان أم سينا..

كل ذلك سيصبح مجرد ذكرى.. وأجمل ذكرى..

حتى المحاضرات اللاتي كانت بالنسبة لها ثقيلة ومملة.. اليوم
تشعر أنها كانت أخف من النسمة الندية..

لكن رغم كل شيء يبقى لكلّ مرحلة من مراحل العمر فرحتها..
والتخرّج فرحة كبيرة لأنها تعني النجاح وتحقيق هدف وحلم
منتظر..

((احمد لا تلتفت كثيرا وتحرك رأسك بين المباني.. تجنب هذه
الحركة حتى لا يعتقد من يرانا أننا مستجدان))

قالتها ممزحة له براحة من حركاته العفوية وهو يبحث على
مكان آخر مكان سيقصدونه لأنهاء الإجراءات.. ابتسم لها قائلا

((لا تقلق سأسل أحد المارة.. من يسأل لا يضيع))

مدت له يدها تمنعه من التقدم.. لتضيق عينيها هاتفة بجديه وهي
تبحث وتنتظر في وجوه الطلاب بالأرجاء

((أحذر.. هناك حمقى يستمتعون بإعطائنا اتجاهات خاطئة
للمباني.. دعني أنا اختار شخص يبدو عليه الجدية بمساعدتنا))

فحتي سابقا.. كانت هيام دائما ما تحاول الاستدلال بنفسها على
قاعات المحاضرات دون السؤال..

فهي ما تزال تتذكر أول المقابل التي واجهتها في بداية أيامها
بالجامعة من قبل بعض الطلبة القدامى..

عندما سألتهم عن مكان القاعة حيث قاموا بإرشادها إلى قاعة
مغايرة للقاعة المقصودة وتبعد مسافة طويلة استغرقت منها ربع
ساعة مشيا على الأقدام..

إلا أنها مضطرة الآن للاستفسار لأنها كانت على عجلة من
أمرها..

مرت فتيات من أمامها فتقدمت لهن وأخذت تسأل بحرج يملأ
وجهها فبدأت الفتيات يوجهنها المكان المطلوب..

وما أن تقدمت للأمام لحق بها أحمد يوازي خطواتها.. فقالت له
متبرمة تعلق بسطحية على أذية الفتيات

((لا افهم كيف تستطيع بعض الفتيات ارتداء هذا الكعب العالي
هنا.. أساسا شكله خاطئ جدا مع طريق اللباس.. ومتعب في
المشي))

رد عليها حانقا

((يا إلهي هيام! تتحدثين عنهن بسوء بدلا من أن تشكريهن
لأنهن دللنك على المبنى))

أزعجها دفاعه عن فتاة غيرها.. فالتفتت برأسها للأمام هاتفة له
وهي تمد حقيبتها تعطيه إياها

((أنا لم اتحدث عنهن بسوء أساسا.. امسك حقيبتني عني قليلا
إنها ثقيلة))

التقطها منها قائلا بشكل متعجب من ثقلها

((واو.. لم تجلبين معك حقيبة كبيرة))

هزت كتفها ثم ردت عليه بفقهة

((حتى أضع عفتي بأكمله هنا))

لوى شفتيه ليقول بلا مبالاة

((معدات الزينة والتجميل مثلا؟))

تتهدد من محاولات إزعاجه لها.. لتقول بهدوء مصطنع خافت
وهي تلتكزه بالأوراق التي بيدها غاضبة

((احمد.. كف عن المزاح.. أنا لا أبالغ بزينة وجهي.. أضع فقط
الكحل وواقى الشمس واحمر الشفاح واحمر الخدود وأيضا..))

قاطعها

((وماذا بقي لم تضعيه؟ أنا حقا أحب أن تضعي أي زينة على
وجهك.. اكتفي بواقى الشمس))

ابتسمت باستخفاف والسخرية تدل طريقها على بشرة وجهها
البيضاء..

وكانت ابتسامتها بعد لحظة غضبها كسهم حب يصيبه.. فابتسم
كأنه يسترجع حلاوة شعور

أن تخونه نظراته ونبضاته.. حينما يصورها له قلبه كأنها العالم
كله.. الجمال كله.. إن ابتسمت له تبسمت الدنيا في وجهه..

أشترى كأسان من عصير الليمون لكليهما ليشرباه أثناء
سيرهما.. وبدون مقدمات التفتت تنظر له قائلة بهدوء مماثل
لطبعه

((لماذا تظن أن دراسة الطب النفسي ستكون هي الدراسة
الأنسب لك؟))

أجاب بخفوت وتلفائية وهو يهز كتفيه

((اشعر أنى مهتم باستكشاف أعماق النفس البشرية وخصائصها النفسية.. لطالما تساءلت كثيرا في أسباب الاضطرابات النفسية التي قد تحدث للبشر وكانت تستهويني القراءة في أي منها))

أصابها نوبات فضوليه لا منتهية لأول مرة عن مجال دراسته لتخبره وهي ترتب شعرها الذي تنافرت خصل صغيرتها منه.. ولم تنتبه إلى نظراته على خصل شعرها الكستنائية التي تحاول أن تجعلها مرتبه

((هناك قريبتى التي أعرفها.. درست علم النفس.. هي تشخر حاليا وظيفة أخصائية نفسية تعليمية في إحدى المدارس.. وسبق أن عملت كأخصائية نفسية عصبية تأهل المرضى العقليين وتساعدهم على التكيف مع مرضهم..))

ابعد الكأس عن فمه ليقول بجديه

((هناك فرق بين الطب النفسي وعلم النفس... صحيح أن كلاً من الطبيب النفسي والمرشد النفسي لهما دورًا كبيرًا في مساعدة الأشخاص في أن يعيشوا بشكل أفضل.. لكن الفرق شاسع بينهما))

استرسلت تسأله

((حقا؟ وما الآفاق الوظيفية لعملك؟ وما خطتك للعمل بعد التخرج؟))

شرد وهو يفكر فيما بعد تخرجه.. تخرجه سيكون نقطة الانطلاق نحو باقي أحلامه طموحاته من عمل ودراسات عليا.. لذلك لطالما حرص على أن يكون مميزًا مُلمًا بتخصصه إلمامًا تامًا.. لأنّ مدى مهارته هي التي تحدد مستقبله كاملاً..

أجابها بتلقائية وهو يعاود النظر إليها

((عادة ما يعمل الأطباء النفسيين بشكل مستقل في عياداتهم الخاصة بعد التخرج.. ويعمل أيضاً الكثيرين منهم في

المستشفيات الحكومية والخاصة وعيادات الأمراض العقلية
وفى الجامعات أيضاً.. سأقضي معظم وقت عملي في التعامل
المباشر مع المرضى.. وباقي الوقت يكون عادة في وظائف
الاستشارة الطبية أو التدريس أو العمل الإدارة ربما..))

ازدرت ريقها نادمة ما أن بدأ يسرد عليها بشكل ممل.. فهبطت
معنوياتها الفضولية.. لتقاطع فوراً

((راتب الطبيب النفسي عالي.. صحيح؟))

نظر له بعدم فهم لتردف بمرح وهي تحاول إخفاء نظرات
عينها الشقيقتان

((لماذا أنت مستغرب؟ أنا فقط أحاول أن اضمن حياة هنيئة
ورفاهية عالية لأولادنا))

ضحك على جملتها لتبتسم بعفوية وهي تنظر أمامها وتستمر
بالمشي.. ولم ترى تلك العينين التي تلمع حبا لشقاوتها..

أنه يعيش معها آخر لحظاتهم معا هنا.. وبعدها ستأتي لحظات
الوداع..

ما أصعبها من لحظات.. ولكن هذه هي الحياة.. أفرح
وأحزان.. لقاء وفراق..

أنهت آخر أوراقها لتستلمها من الموظفة وتخرج من باب
المبنى..

جابت برأسها تبحث عنه بالأرجاء حتى وجدته متكئ على
البوابة وساعديه على صدره..

ساقيه مائله للأمام.. شارده بما أمامه وعينيه الزرقاوين تزدادان
لمعان مع أشعة الشمس الساقطة عليه..

أه من عينيه.. هما سر انجذابها له من أول مرة تراه..

قبل أن تبدأ شيئاً فشيء تقع بحب رجولته وشخصيته وكل جزء مما تبقى به..

من الاستحالة أن تنسى كل لحظات الحب والإعجاب التي كنتها له لأخر لحظة بحياتها..

وعلى وجهه ارتسمت ابتسامة ما أن لمحها وهو يرفع حاجبيه هاتفاً يتقدم لها

((إن أتممت أحر الإجراءات.. أنت الآن رسمياً متخرجة بغض النظر عن الأسبوعين الباقيين لحفل التخرج))

بإدلتها ابتسامة عفوية لتأسر قلبه وبنفس الوقت تنظر حولها وتتأمل الأماكن..

ليتها لا تخرج.. ستعيش الم الفراق من الآن.. فراق المكان.. الوجوه.. الأجواء..

كل شيء فيها مختلف.. مختلف تماماً.. كانت حياة أخرى تعلمت فيها..

فجامعتها كانت حضانها الدافئ طيلة أربع سنوات مضت.. نهلت منها الكثير والكثير..

أعطته انتباهها ما إن سمعته يردف بإحباط وهو يضع كفيه بجيوب سرواله الجينز

((وانا باقي لي سنتين لأتخرج))

هو بالفعل ما إن بدأ أول سنين دراسته حتى بدأ بعدّ الأيام والليالي التي تفصله عن فرحة التخرج..

بحيث يُصبح فيه مستعداً للتوجه إلى للعمل والتحول من مجرد شخص يعتمد في مصروفه على أهله إلى شخص منتج قادر

على العمل بكفاءة وتميّز.. ولكنه يشعر أن السنتين المتبقيتين
ستمران ببطيء شديد عليه من دون رؤيتها..

لكزته بأوراقها بعنف مصطنع هاتفية

((أنا سأبدأ مباشرة بدراسة الماجستير بعد تخرجي.. إذا حدثت
أموري كما أتمنى وأريد سأكملها بهذه الجامعة تحديدا.. ربما
هكذا أستطيع أن أبقى على تواصل معك.. ولو ليوم واحد ومع
اختلاف أوقات دوام كل منا))

ابتسم لها وهو يحاول ألا يقترب منها أمام الأعين الفضولية
ليخطفها ويدفنها بين ذراعيه بعناق عميق..

يذكر نفسه أن اللحظة هانت.. عدة سنوات حتى تخرجه..
وسيصبح حينها قادرا على طلبها من أبيها..

وستصبح ملكه.. حلاله.. حقه.. وسيعيشان معا ببيت دافئ
وسعادة أبدية.. فليصبر حتى هذه اللحظة..

رد عليها محافظا على ابتسامته

((إذن.. بما أننا انتهينا من الإجراءات مبكرا.. ما رأيك أن
نمضي يوما مميزا سويا.. أريده يوما لا ينسى.. كوداع.. وداع
غير أخير طبعاً))

وداع؟ أي وداع يليق به؟ أي وداع يليق بحلم جميل كالحلم به..
هكذا اللحظات الجميلة تمر بسرعة.. تلك هي سنة الحياة..
والذكرى الجميلة هي أجمل ما خبأته لها الأيام التي مضت من
عمرها..

أومأت له ليمشيا سويا..

وشفتيها ترسم شكل ابتسامة جميلة من فرط السعادة التي تشعر
بها..

وهو كان يسترق بعينه الزرقاوين كل فترة لينظر جانبا على تقاسيم محياها..

خرجا معا لإحدى أسواق المدينة..

سارا بالطريق تفصلهما عن بعضهما إنشآت قليلة مع ازدحام الشارع..

كل حين يمد يده بجانبها وأمام المارين بحركة ليمنع اصطدامها بأحدهم دون قصد.. كأب يحمي طفله..

أوقفت أنظارها على قبعة بيضاء جميلة..

وجدت نفسها تبتسم لها بدون قصد لتتأمل ناحية احمد وتخبره أن ينتظر قليلا هنا ريثما تشتريها..

لكنه عقد حاجبيه حانقا لها وهو يتقدمها ليدخل المحل التجاري..

شعرت بالحرج وهو يشتريها لها بماله غير آبه لاعتراضاتها المكررة.. وبخت نفسها بداخلها.. ما كان عليه أن تفكر بشرائها الآن..

لكن ابتسمت فيما بعد وهي تشعر بالسعادة تغمرها..

أعجبها أن تتلقى منه هدية.. وأن يهتم بإهدائها.. كل شيء منه تحتفظ به وتحافظ عليه جيدا..

بعد ذلك دعاها ليأكلا طبق حلويات بإحدى المطاعم المعروفة.. وهي وافقت وقلبا يخفق بسعادة راضية..

تعرف بأن الخروج معه من البداية ومن وراء ظهر عائلتها لا يجوز لا شرعا ولا عرفا.. خاصة وأن لا شيء رسمي بينهما..

لكن مقاومتها كانت أضعف من أن تمنعها لتعطي لنفسها حجة أنه عن قريب سيتزوجان فالتجاهل ضميرها وتأنيب عقلها..

سمعته يهتف لها

((الم أخبرك أنها ستعجبك؟))

نظرت إليه بعينها بإيجاب وهي تعاود الأكل بشوكتها من طبقها اللذيذ والشهي..

توقف احمد للحظة عن الأكل وهو ينظر لها عاقد الحاجبين
تبحث عن شيء في حقيبتها..

قالت له بصوت منفعل ما إن أخرجت من حقيبتها ساعة رجالية
فخمة موضوعة بغلاف ثمين..

((هذه الساعة القديمة أعطاها أبي لي قبل مدة طويلة وخبأتها
بصندوق.. وقيل سنتين أخذتها من الصندوق وخبأتها بدولابي..
وأريد أن أعطيها لك الآن))

عقد حاجبيه أكثر بعدم فهم خاصة وهي تمد الساعة بيده أمامه
وهو مستمر يرفض أن يأخذها من يديها.. فأردفت ببشاشة

((هذه الساعة اشتراها جدي لأبي عند زواجه الثاني.. وأخبره
أن يلبسها ومن ثم يعطيها لابنه عندما يصير شابا.. ولأن أبي لم
يرزق بمولود ذكر.. أخبرته جدي أن يعطيها لراجي عندما
يكبر.. فعضب من جدي وأعطاها لي وأخبرني أن أخبئها
لزوجي المستقبلي.. لذا لا أرى ضير من أن تأخذها مني من
الآن وتلبسها.. لم يبق كثيرا على تخرجك والتقدم لي..))

وعندما رأت وجهه المتجهم يزداد تجهما كأنه غير مقتنع
بكلامها.. أردفت هاتفة بسأم

((لقد أخبرتك كل تفاصيل عائلتي المعقدة مرارا.. فإياك أن
تقول إن الأمر ما زال يختلط عليك))

رفع نظره إلى عينيها لعله يجد فيها شيئا يجعله يستوعب أكثر
ما تطلب منه أن يأخذه منها..

ثم أخذ ينظر إلى الساعة وهو يتفحصها بيديه قائلاً لها بخفوت
((هيام.. هل أنت مجنونة؟ تبدو ساعة ثمينة جداً.. جداً.. كيف
تهديها لي بدون أي رباط رسمي بيننا؟ لا.. لا لن أخذها))
أجابت بتذمر وهي ترفع صوتها عليه تنسى واقع أنهما بمكان
عام

((احمد ما بك؟ وكأنك تشكك بأننا سنتزوج بالنهاية؟))

يعرف بأن أمر عدم زواجهما مستقبلاً أمر مستحيل.. من
المستحيل أن يفرط هو أو هي بالأخر..

ولكن مع ذلك لا يمكن أن يأخذ هكذا هدية ثمينة مادياً ومعنوياً
منها.. فرد لها الساعة وهو يقول بحزم وصرامة

((لا.. قلت لا يعني لا.. لن أخذها منك الآن.. ليس لي حق
بارتدائها قبل أن أطلبك رسمياً من أبيك على الأقل))

لم يبالي لتذمرها وتجهم وجهها وهو يتابع

((أزيلي هذه التعابير من وجهك وأكملي طبقك.. إنك تأكلين
كالعصافير))

عاد يأكل من طبقه ببرود يغیظها.. وكأنه لم يسبق وأن اشتد
بالكلام قبل ثوان..

نظرت لكوب الماء بجانبها ومن ثم نظرت إليهم بنظرات
شريعة.. تمننت أن تضرب الكوب برأسه..

اشتد غضبها فعادت تأكل من طبقها تفرع غضبها فيه..

بدأت تأكل حلواها بسرة وبشراهة قطعة وراء قطعة وبدون
أن تمضغ التي قبلها..

رفع نظراته لها يحدق إلى كيفية أكلها وهي تجلس بالكرسي
المقابل له على الطاولة وهو يرى فيها ممثلنا بشكل مضحك
ليقهقه وما أن سمعته حتى أعطته نظرات حانقة..

فاشدت فقهته عليها..

وبدلا من أن يزيد غضبها.. توقفت للحظة تتأمله.. كان يبدو
وسيما أكثر مما سبق وكان عليه وهو يضحك من قلبه..

لم تستطيع أن تكتم ضحكتها لتشاركه الضحكات الخافتة.. لكن
عضت شفتيها تكتم فيها ضحكتها ما أن وقعت عينيه بعينيها..

اعتدل بجلسته ليقول بصوت جذاب دافئ

((هيام.. حبيبتي.. لا أظن أنه من المناسب أخذ الساعة الآن
منك.. سأخذها منك بالوقت المناسب.. وإياك أن تفكري أن
تعطيها لراجي.. فقد أصبحت ملكي.. هل تفهمين؟ لن تصدقي
مقدار حمسي لألبس ساعة فخمة مثلها من حبيبتي الجميلة))

أومأت له برأسها وهي تحاول أن تخفف من الحمرة التي
انتشرت في وجهها والحرارة التي انتابتها..

=====
=====

بعد مرور مدة..

مسح مراد غرة شعره الكستنائي من على جبينه بينما يعضن
مرارا فوق شفتيه المكتنزتين واللتان تكتسبان لون ماء الكرز..

كان أزهر البشرة لكن الاحمرار طغى على وجنتيه الآن بهذا
الموقف العصيب..

وبنظرة ميتة حرك نظره إلى ساعة يده ليجدها تشير إلى الثانية
عشرة ظهرا..

نزع مراد عنه ربطة العُنق الخانقة واستند بظهره على الكرسي
يغمض عينيه بارهاق من صخب كل ما حوله..

ذاكرته تذهب لما قبل خطبتهما..

أخبرته سهر أنها كانت مخطوبة لشخص آخر قبل أن تُخطب
له..

أردفت له أنها اكتشفت وأيقنت بأن خطيبها ليس الشخص
المناسب لها بمنصف حفلة خطوبتهما فغادرتها ببساطة ليتم
إلغاء كل شيء..

فضحك هو ساخرا على كلامها ببساطة..

لكن قبل موعد حفل زفافه مع سهر.. بدأ يشعر فعلا بتردها..

ولا يدري لم خيل له أنها ستفعل به مثل ما فعلت بخطيبها
السابق..

فأخذ ما خبرته به سابقا بشكل جدي وبعيدا عن المزاح ليقول
لها بوضوح وراجيا منها أن تجيبه بصدق

((أنا لا أصوب مسدسا تجاهك يا سهر.. اعرف أن زواجنا
زواج مصلحة بين أبائنا ولكن إذا لم تقنعي بأنني زوج مناسب
لك أيضا أو إذا كانت لديك أي تحفظات أخرى أخبريني ودعينا
لا نكمل.. فالزواج تحديدا لا يتم بالإكراه.. أرجوك فكري جيدا
فهذا الوقت هو المناسب لإلغاء جميع الخطط إذا أردت التراجع
وليس بنفس موعد الاحتفال بالزفاف كما فعلت بخطيبك
السابق!))

عاد مراد للواقع من الذكرى التي استرجعها سابقا وراحت كلمة
موافقتها ترن في أذنيه لعدة لحظات وهي تؤكد عليه بتأكيد لا
يقبل الشك بأنها موافقة على كل شيء وتريد الإكمال معه وان
تصبح زوجته..

زادت عيناه الحمراءوان بسبب الغضب قتامة.. ماذا فعلت به
سهر اليوم؟

أخذت حقيبة ملابسها قبل ساعات بحجة تسليمها إلى الفندق
الذي سيقام فيه الحفل لكنها فرت هاربة وسافرت للخارج بلا
عودة..

اكتفت بترك رسالة تخبره فيها أنها وجدت هذه المرة بالفعل
الشخص المناسب لها والذي علمها معنى الحب الحقيقي وهربت
معه وتريد الزواج منه هو..

أرسلتها سهر بنفس اليوم الذي يصادف أن يكون هو اليوم الذي
سيقام به زفافهما مخلفة وراءها فضيحة كبيرة لعائلتهما خاصة
بعد كل هذه المباركات العلنية..

بدأ مراد يتنفس بغضب ووجهه يحمر أكثر بغضب مستعر..

أقسم بداخله أنه إذا ما رآها أمامه سيحول جسدها لأشلاء لأن لا
عذر أبدا لهروبها بنفس يوم الزفاف وتسببها بهذا الخزي والألم
لعائلتهما وكل من حولهما..

يعرف أن الزواج قرار مصيري لأي شخص..

وربما كانت سهر تخشى الارتباط خاصة بحالتهم وهو لا يوجد
بينهما أي مشاعر حب.. لكنه ليس دافع مقبول لما فعلته..

خاصة وأن والده محمذ بنفسه أحس تردد كلاهما وعدم حماسهما
فجمعهما سويا ليخبرهما الاثنتين معا بوضوح أن الخيار يعود
لهما أولا وأخيرا.. وإذا ما رفض أحدهما فلن يغضب أو يقسو
عليهما ولن يجبرهما على الزواج..

نعم لقد أكد والده أمامهما مرارا وتكرارا أنه سعيد بهذا الزواج
لما سيكون له مصالح كثيرة على الجميع ولكن بنفس الوقت هو
لا يجبر أحد عليه.. فأساس الزواج هو القبول..

لذا له الآن الحق وكل الحق أن يتميز غضبا عليها..

فهي منافقة ومخادعة.. خدعته وخانته عن سابق تصور وتصميم..

وبينما كان مراد سارحا بما يدور بعقله وصل له صوت صراخ والديه القابعان بغرفة أخرى أثناء نقاشهم..

ابتسامه سخريه شقت فاهه..

لا بد أن والدته سعيدة جدا لأن زواجه من سهر لن يتم فقد عارضته كثيرا ومن البداية..

لكن ومع ذلك تبدو والدته غاضبة لأن التوقيت المفاجئ لإلغاء الزفاف كان غير مقبول بما سيسبب للعائلة من إشاعات وفضائح..

رأى والدته تدلف لغرفته عقب أن فتحت الباب عليه بعنف لتخاطبه بنبرة غاضبة وبنفس الوقت شامتة لأنها أثبتت صحة كلامها عن سهر

((ببساطة يا مراد إن هناك بعض البنات المفلوتات والتي تريد الزواج فقط لتحصل على زوج غني ينفق عليها ويتركها تفعل ما تشاء.. وهذا ما كانت عليه سهر من البداية ولكنكم لم تصدقوني.. هل الجميع راضي الآن بعد أن هربت وتحديدا اليوم الذي ستقام فيه ليلة زفافكما؟))

ثم لفت جسدها للباب تصرخ بصوت أعلى حتى يصل لزوجها خارج الغرفة

((لن أسامحك أبدا يا محمد بما فعلته بأبني مراد.. لقد بليتته بتلك الفتاة الساقطة لأجل بعض المصالح والأعمال المشتركة بينك وبين والدها.. حتى عائلتها أناس ساقطين مثلها.. لم أر أي مسحة خزي أو شعور بالذنب أثناء اعتذارهم لنا عن فعلة

سهر.. لا بد أنهم معتادين على هذه الأفعال المخزية من
بناتهم))

أنهت روعة والدة مراد كلامها ثم تنفست بعنف وجلست على
أقرب أريكة بالغرفة لها وطريقة زمها لفمها تظهر إلى أي مدى
هي غاضبة..

تابعت تتمم حانقة لنفسها

((الحقيرة! لو أخبرتنا أنها لا تريد الزواج من مراد قبل الزفاف
بأسبوع واحد على الأقل لكان أقل وطئاً من افتعال هذه
الفضيحة بنفس يوم الزفاف ولم أكن سأغضب هكذا بل كنت
لأكون أسعد نساء الأرض.. ماذا سيقول عنا الأقارب عندما
تلغي الزفاف بنفس اليوم الذي كان مُقررًا أن يكون بدون أي
سبب؟))

أجفلها وصول صوت زوجها بنبرة ثابتة والذي كان واقفاً على
باب الغرفة وعلى ما يبدو سمع تتممها

((ومن قال إننا سنلغيه؟))

بصدمة نظرت روعة إليه وهي تسأله بصوت متقطع مرتبك

((مم.. ماذا؟ ماذا تقصد يا محمد؟ كيف سنقيم حفل زفاف بلا
عروس؟))

رفع محمد حاجبيه وهو ينظر بطرف عينه لنظرات مراد
المندهشة على جملته الأخيرة ليعاود التركيز بالنظر لزوجته
وهو يهم للجلوس بجانبها

((أقصد يا روعة ببساطة أن لا شيء سئل.. يمكننا أن نجلب
له عروسا أخرى بديلة سهر.. ما زلنا بالظهيرة والزفاف لن
يقام قبل عشر ساعات.. هناك وقت كافي لنجد عروس له غير
سهر))

شحبت ملامح روعة وبان الاضطراب على مراد الذي نظر
لوالدته وبادلته نظرة القلق..

بدأت الأفكار والمخاوف تختمر في رأس روعة لتنتفض
صارخة بخوف من فكرة زوجها وهي تضع يدها على صدرها

((هل جننت يا أبا مراد؟ هل ترى ما تقوله منطقي؟))

امتلاً صوت محمد بالصرامة وهو يشير بيده بما لا يقبل النقاش

((لا داعي لقول المزيد يا روعة.. لقد تعبنا بتجهيزات هذا
الزفاف ليكون مميزا.. وأهدرنا الكثير من الجهد والوقت
والمال.. وإلغائه سيكلفنا الكثير.. ليس فقط من الناحية المادية
بل من جهات أخرى.. كيف سيكون شكلي عندما أخبر
أصدقائي وأقاربي وكل الذين تم دعوتهم أن لا يحضروا قاعة
الزفاف وقد تم إلغاء كل شيء لأن العروس هربت؟))

بينما كان يتصاعد الغضب داخل مراد رغما عنه وهو يرى
والديه يخططان ويعبئان بحياته.. بان الرعب في عيني روعة
وهي ترى جديه ما ينوي زوجها القيام به لتتهف بفرح حقيقي

((لا.. لا يا محمد.. المال يأتي ويذهب.. وأنت لست واعي لما
تقوله وستتسبب بفضيحة أكبر من الفضيحة التي افتعلتها لنا
سهر.. فكر بروية يا محمد.. لقد تم توزيع كل دعوات الزفاف
لجميع وكل من في القرية يعلمون أن مراد الدال سيتزوج من
سهر.. إذا حضروا ورأوا فتاة غير سهر تزف إليه ستغدو
فضيحة أكبر بدرجات من فضيحة هروب عروسه بيوم زفافها
منه.. كما سيتساءل الجميع عن سبب استبدال العروس بأخر
اللحظات!))

قطب محمد حاجبيه ليهدر بتركيز

((لا تبالي.. فأنا لم أتحدث بالكثير من التفاصيل عن عائلة
زوجة ابني المستقبلية.. يمكننا أن نداري الأمر ونقول للجميع

أنا فسخرنا خطبة مراد وسهر ومن ثم خطبنا له فتاة أخرى
مباشرة ولضيق الوقت لم نستطع أن نعيد توزيع الدعوات
خاصة وأن الزفاف سيتم بنفس القاعة والوقت.. والمقربين مني
يمكنني شرح ما حدث لهم وسيتفهمون))

بعيون زائغة محتارة قالت روعة وهي تهز رأسها نافية
((والله لست مقتنعة بكلامك.. لا أصدق يا محمد أن رجلا بحكمتك
يمكن أن تخرج منه هكذا فكرة..))

عاد يلوح بيده بصرامة هاتفا

((لا يهمني مقدار اقتناعك! اليوم سيتزوج مراد وكلمتي هي من
سنمشي هنا))

ثم عاد ينظر لمراد الذي كان شاردا بعالم آخر كالعادة.. وكان
الأمر لا يخصه..

مرت لحظات حتى عاودت روعة سؤال زوجها بتدقيق وحرافية
وهي تحاول مسايرته

((حسنا يا محمد سنفعل كما ترغب.. ولكن من أين سنجد بهذه
السرعة وخلال عشر ساعات عروس تناسب معايير التي
أريدها بكنتي المستقبلية؟ وحتى لو أعجبتني بشكل مبدئي.. لأن
أكون بحاجة أيضا لفترة خطبة مناسبة لأتعرف عليها أكثر
وأؤكد من أنها الكنة المناسبة! لم تصغي لكلامي سابقا وخطبت
سهر له رغما عني وانظر ماذا حدث.. هل تريد أن تكرر
الخطأ ذاته مرة ثانية؟))

تقدمت روعة منه وهي تمسك ذراعيه متوسلة بصوت شبيه
باكي

((أرجوك يا عزيزي لا تنهز ودعنا نلغي الزفاف وننتهي..))

زفر محمد بضيق وهو يبعد كفيها عنه وقبل أن يتحرّك للخارج
هتف بإصرار أخير لا يقبل النقاش

((أخبرتكَ أن زفاف مراد اليوم سيتم حتى لو اضطرت أن
أبحث له عن عروس من الشارع))

فانتفضت روعة بسرعة وعادت تمسك ذراعه وبمحاولة أخيرة
لإيقافه عن قراره هدرت

((أرجوك يا محمد لا تهذي.. ماذا سأخبر أقاربي وصديقاتي
عندما يسألوني كيف تم استبدال العروس بأخر اللحظات وأنا
أساسا بالأمس كنت أتحدث عنها وعن زواجها بابني؟))

نظر محمد لزوجته روعة للحظات بتقاسيم جامدة..

ثم استدار للخلف لينظر للذي ما زال جالسا على كرسيه وعينيه
الواسعتين البندقيتين ذات التمازج الرهيب بين اللون العسلي
والأخضر ما تزال شاربتان بالنظر للأرض..

من الواضح من حركة يده التي يمررها بشعره الفاتح شديد
النعومة وجسده المتصلب أنه متوتر وغازب أيضا..

مع أنه ظن أن مراد سيكون سعيدا بهرب سهر منه خاصة وأنه
ضغط على ابنه ليوافق على هذا الزواج..

عاد يبعد كفي زوجته عنه ويضيق عينيه ليتقدم باتجاه مراد
وهو يحاول معرفة مكنونات قلبه فنادى بهدوء لا يخلو من
الصرامة على ابنه مراد ليحفل وينظر إليه بارتباك..

ومن دون أي إنذار انتفض محمّد صارخا بغضب على مراد

((مراد.. أنا ووالدتك نتناقش بمصير الزفاف وأنت جالس هنا
بلا أي اهتمام تاركنا لنا إيجاد حل للموضوع بأقل الطرق خزيا
وضررا.. أيها الأحمق.. ألا رأي لك هنا وكانك لست المعني
بالزفاف! عار عليك يا ولد.. والله لو حدث لي هذا الأمر

وفضّلت عروسي الهروب والبقاء عزباء على الزواج مني
لدفنت رأسي بالتراب خزيا))

جاهد نفسه إلا يبين ابتساماً سخرية كانت ستظهر على محياه..

سهر فضّلت أن تبقى عازبة؟ حسناً.. من الجيد إذن أنه لم
يخبرهم أنها هربت مع شخص آخر..

حينها والده سيقتله حتماً بسكين ماضيه ثم يدفنه بالتراب من شدة
الحزى والعار.. وسهر ستكمل حياتها بسعادة مع ذلك النذل..

المشكلة أن النذل الذي فضّلته عليه لتهرب معه هو المصور
المُعدم والذي كان من المفترض أن يصور حفل زفافهم..

حاول مراد لملمة الابتساماً من على وجهه ثم وقف من مكانه
ليذهب مقابل أبيه ويخبره بهدوء وهو يضع كفه على كتف والده

((أبي.. افعل ما تراه مناسب))

.

.

بعد مدة قصير.. ببيت فيصل..

هزت جالا قدمها بتوتر وعقلها شارد لا يتوقف عن التفكير منذ
أن أخبرها والدها بعرض الزواج الغريب من والد مراد..

عروسه هربت صباحاً والله أعلم ماذا رأت منه لتهرب..

ما يهم هو أنهم الآن بحاجة لفتاة أخرى بديلة عن سهر لتكون
زوجته ووالد مراد يفضل أن تكون زوجة ابنه المستقبلية من
داخل عائلة الدال..

زفرت جالا بضيق وهزت رأسها نافية..

لا.. لا تستطيع التركيز جيدا وتتخبط في حيرتها وإذا ما كانت ستوافق فلم يعد هناك شيء ثابت في محيطها..

كل ما كان بحياتها سابقا انقلب رأساً على عقب بعد أحداث الأشهر الأخيرة..

لم تعد تعرف نفسها جيدا ولا تزال أحيانا تظن أنها عالقة بعالم كارم..

وأحيانا أخرى تود الزواج من غيره حتى تتخلص من كلام الناس عنها..

وما قاله والدها تورا واقعي ومنطقي فهي بحاجة أن تتزوج من آخر إذا أرادت أن تنسى كارم وتتبرأ تماما منه وتمضي بحياتها..

ومراد فرصة لا تعوض وإذا استحسنت استخدام عقلها فلن ترفضه خاصة وأنها على معرفة به منذ طفولتها..

لكن المشكلة هو أنهم يريدون الزواج أن يتم اليوم..

وهي حتى ومع معرفتها بمراد سابقا أيام طفولتها أليست بحاجة أيضا أن تتعرف عليه أكثر؟

خاصة وهي لا تذكر شيئا عنه إلا البغض الذي كنته له بطفولتها والاستياء من طريقة تفكيره وأفعاله..

ثم بعيدا عن كل شيء هل هناك فتاة قادرة على تجهيز نفسها لحفل زفافها خلال ساعات؟

لا.. لا داعي لإن تهتم بهذه الأمور الثانوية.. تستطيع تجهيز نفسها بهذه الساعات ويمكنها التعرف على مراد أكثر بعد الزواج..

هزت جالا رأسها بتأكيد.. اهم شيء الآن أن تقبل الزواج من مراد..

كما يجب عليها أن تعرف كل المدعويين وأن تتأكد أن عائلة كارم تم دعوتهم!

ضاقت عينا فيصل الجالس بغرفة جلوس منزله مقابل جالا لوهلة وهو يحاول استنباط ما تفكر به ابنته وستار الغموض الذي غلف ملامحها..

تقدم بدوره ببطء نحوها متجاهلا تصلبها اللحظي الراض لما عرضه عليها..

عليها أن توافق على الزواج من مراد فهو لن يسمح لجالا أن تعتزل الزواج وتصير هيام ثانية..

لم تتعبه أي بنت من بناته كجالا..

فحتى هيام الذي تعانده بأمر زواجها منذ سنوات لا تملك هذا الكم الهائل الذي تتمتع به جالا من عناد..

قطع تركيزهما دخول أمينة زوجة فيصل التي تزوجها بعد ترملة والتي استحققت لقب الخالة الودودة كونها استطاعت أن تحظى ببعض القبول من قبل عائلة طليقته سميحة وخاصة جالا..

جالا التي لطالما أعلنت له بالعلن وبشكل مباشر كرها لأرملته وبناته منها..

انحنيت أمينة تقبل جالا بود وهي تضع كأسا الشاي أمامهما ثم رحبت بها فردت جالا عليها الترحيب بدون تركيز وهي تعاود الشرود وهز قدمها كما عادت كما حاولت التركيز بشيء ما..

جاءها صوت والدها سائلا بلامح حانقة من طول فترة تفكيرها

((هل توصلت إلى قرار يا جالا؟))

زمت جالا شفتيها وضيقت عينيها لترفع رأسها لوادها قائلة
بتصميم وهي تهز رأسها بإيجاب

((نعم أبي أنا موافقة))

كاد فيصل يصرخ فرحا بردها خاصة وأن آخر ما توقعه
موافقتها بدون أي الاعتراض على حرف مما قاله..

تمالك نفسه أمام أبنته وهو يقف فاتحا يديه يخبرها ببهجة

((إن تعالي عانقي والدك العجوز يا صغيرتي.. ومبارك عليك
مقدما.. أخيرا أتى هذا اليوم.. فدائما خفت أن أغادر هذه الدنيا
قبل أن أراك عروسًا وأطمئن عليك.. ليكون زواج الدهر وبالرفاه
والبنين))

قهقهت جالا على كلام والدها لترتمي في حضنه وقلبا ينقبض
وهي ترى هذه الفرحة الكبيرة التي سكنت قلب والدها بموافقتها
على الزواج..

مثل هذه اللحظات بين الأب والابنة لم تحدث سابقا..

وإذا سبق وحدثت فهي لا تذكرها لأنها حتما من اللحظات
النادرة بحياتها فشددت من ضم والدها..

لكان سرعان ما تقلصت ابتسامتها عندما بدأ شعور التوجس
والقلق يتسرب إلى داخلها من فكرة الزواج كلها كفكرة لا من
مراد خصيصا..

ابتعدت جالا عن والدها وهي ترفع رأسها إلى وجهه مغممه

((لا تقل هذا يا والدي أطل الله في عمرك))

ارتفعت ضحكة فيصل مجلجة وهو يخاطب ابنته

((انسي ما قلته وركزي بزواجك الليلة جعلك الله قررة عين
زوجك وأسعد به قلبك يا صغيرتي))

ابتسمت زوجة والدها أمينة وهي تسمح على ظهر جالا هادرة

((مبارك عليك يا جالا.. هيا الآن قومي وبملايسك هذه.. أماننا
جولة سريعة للتسوق لنشتري اهم ما ستحتاجينه بلباتك هذه قبل
أن نذهب للصالون النسائي))

شهقت جالا من كلام أمينة لتسارع النظر إلى أبيها بدهشة

((أبي هل تمازحني؟ ألن أخبر أمي أولا لتساعدني هي؟))

انتفض فيصل عليها قائلا بتحذير حاد

((لا إياك أن تقولي شيئا لها الآن.. لأنني متأكد من أن والدتك
ستلعب بعقلك لتغير رأيك.. أيضًا نحن لا نملك المزيد من
الوقت لأي حديث آخر بهذا الطرف الحرج.. اذهبي وتجهزي
مع أمينة.. أمك وهيام بعملهم وراجي بجامعة الآن.. بعد
ساعات سأتولى أنا مهمة أخبارهم.. فبالأساس كل عائلتنا
وأقاربنا كانت ستحضر زفاف مراد باستثناء أمك بسبب مشاكل
نساء تافهة مع والده مراد.. الآن اذهبي مع أمينة))

ازدردت جالا ريقها وشعرت بالرعب وهي ترى تورطها في
الأمر بشكل حقيقي..

كما لم تحب فكرة أن والدتها لن يكون لها رأي بموضوع
زواجها بل سترضخ للأمر الواقع..

تقدم فيصل من ابنته وأمسكها من كتفها ليمسح عليهما محاولا
تهديتها خائفا أن تتراجع عن موافقتها وقد بدأ التوتر يظهر على
تقاسيم محياها..

لحظات وشعرت جالا بزوجة أبيها تجرها للخارج للقيام بكل ما
يجب عليهن القيام به قبل حفل الزفاف الليلة..

بعد ساعة..

وقف محمد والد مراد عند عتبة باب حجرة ابنه كان الآخر
مستلقيا على سريره..

بالرغم من أن مراد كان طوال الوقت بحجرته وقد بدا خارجيا
ساكنا وهادئا لا يتدخل بما يحدث حوله وكأن لا علاقة له
بالأمر..

إلا أن والده يعرف أنه من الداخل يعيش بقمة توتره خاصة وأن
ساعات قليلة باقية على زواجه من فتاة أخرى غير التي كان
من المفترض الزواج بها..

همهم محمد وهو يذق باب حجرة مراد المفتوح ليحفل مراد على
وجود والده ويعتدل جالسا على سريره لتلمس قدميه الأرض..

تفحص محمد بنظراته ابنه ليبادله مراد هو الآخر النظرات..

وعندما يأس محمد من نطق مراد بأي كلمة أو سؤاله عن شيء
بينما يحرقه به بجمود بادر هو بالقول بينما يشبك كفيه وراء
ظهره

((مراد.. لقد خطبت لك فتاة مناسبة من والدها ووافقوا على كل شيء.. لذا وكما أخبرتك سيتم عقد القران والزفاف اليوم كما خططنا سابقا ولن يتغير أي شيء باستثناء العروس.. والاهم من ذلك كله هو أن الفتاة التي اخترتها زوجة لك تعيش معنا بنفس هذه القرية ومن نفس عائلتنا.. وتعرف عاداتنا وتقاليدينا جيدا))

هز مراد رأسه بالإيجاب لما يقول والده..

وبنفس الهدوء الذي يظهره وقد بدا غير مهتمًا أبدا بأي تفاصيل أخرى ليسأل أو يستفسر عنها..

فأردف والده محمد بعد لحظات وعينيه ما تزالان تتفحصان مراد

((من حسن الحظ أن بدلة زفاف سهر لا زالت بمكانها فأغلب الظن أن قياس فستان زفاف سهر سيكون ملائم لقياس العروس أيضا.. لذا الآن سأخبر عروسك أن تسرع وتذهب مع والدتها لنفس الصالون الذي كان من المفترض أن تذهب له سهر أيضا))

تنهد مراد وهو يعاود هز رأسه لوالده بالموافقة وكأنه يخبره "افعل ما تشاء بدون الحاجة لإعلامي بالمستجدات أو الأخذ برأيي بأي شيء.. كالعادة.. ومثل أي شيء أخر بحياته"

ثم وبتقاسيمه الخالية من المشاعر وبنبرة تحمل السخط والتهكم بين طياتها قال مراد وهو ينتصب واقفاً من على سريره

((حسنا.. جيد يا أبي.. الآن أنا أريد أن اغلق الباب على نفسي وأخذ قسطا من النوم ولا أريد رؤية أحد حتى ادخل قاعة الزفاف.. فقط تأكد من جعل أحد بعد الزفاف بعدة ساعات أن ينهضني حتى لا استغرق بنوم عميق للغد فيظنوا أنني هربت مع سهر))

مد مراد كفه يشير به لباب حجرته وهو يأمل من والده الخروج وتركه وحيدا بينما يده الأخرى ارتفعت ليمسد رأسه وقد بدأ يشعر بالصداع يغزوه وعيناه تزيغان ليغمضهما..

حذق محمد ببرود بكف مراد التي تشير للباب ثم رفع نظره لوجه مراد للحظات وهو يضيق عينيه..

لحظات وفتح مراد عيناه وانتبه على تحديق والده فعاد يبدا له النظرات وهو يعقد ذراعيه أمام صدره.. والهدوء التام يحيط بهما..

تتهاد أخيرا محمد وهو يعلن عن استسلامه ثم استدار ليهم بالخروج..

لكنه توقف مكانه وهو لا يزال يعطي ظهره لمراد عندما سمع صوته ينادي عليه بتردد..

همهم مراد بحرج وهو يمسخ بكفه مؤخرة رأسه ثم لوى فمه ليسأل ببطء وهو يعود للتهكم

((أه صحيح أبي.. بالمناسبة.. لا أقصد أن أبدو فضوليا بشكل كبير.. ولكن.. هل أستطيع معرفة اسم عروسي وزوجتي المستقبلية والتي من المفترض أني سأعيش معها لأخر عمري؟))

أجاب محمد بتلقائية وهو يستدير نحو مراد

((أسمها جالا))

حرك مراد رأسه مصدوما للأمام بعينين متسعيتين فارتسمت نصف ابتسامة انتصار على وجه والده وهو ينجح أخيرا بإخراجه من البرود واللامبالاة التي يتسلح بها ويظهرها..

خطى مراد بضع خطوات باتجاه والده بحاجبين معقودين قبل أن يسأله متلعثما وكأنه لم يسمع جيدا الاسم المذكور

((... من؟ من جالاً؟))

انفردت ابتساماً محمد أكثر وهو يرفع إحدى حاجبيه له بمكر
ويسأله بجفاء

((لم تعلق الصدمة وجهك هكذا؟ هل عندك مشكلة باسمها؟))

نظر مراد بارتباك إليه وهو يستوعب ما أوشك على التفوه به
ليهمهم بحرج وهو يشيح بوجهه جانباً عن والده..

عاد مراد ينظر له وهو ينفي برأسه سؤال والده.. ثم هز كتفه
وهو يردد بارتباك

((لا.. لا يا أبي.. أقصد.. بكل هذه القرية لا اعرف أي فتاة
تدعى جالاً إلا ابنة ابن عمك فيصل))

رد محمد وهو يهز رأسه ببساطة

((نعم.. إنها هي.. وهل عندك مشكلة بذلك؟))

تسارعت نبضات قلب مراد وافتقرت شفاهه بهم أن يتحدث قبل
أن يسمع شهقة عالية من والدته الواقعة عند الباب وهي تضع
يدها على صدرها بصدمة بعد أن سمعت اسم العروس وهي
تكاد لا تصدق..

دلقت لداخل الحجرة وهي تقف مقابلة لزوجها محمد تصرخ به
صوت هيبستيري

((هل خطبت له جالاً بنت سميحة؟ لا لا لا لا لا أخبرني أنك

تمازحني.. تعرف أنني لا أطيق سميحة ولا أطيق بنتيها.. لا
تفعل هذا بي يا محمد أرجوك.. هل هذه البنت التي قلت عنها قبل
قليل أنها تعرف عاداتنا وتقاليدينا؟))

لم يجب محمد زوجته بحرف وهو يتطلع بها بسأم وضجر..

بينما روعة بقيت تحدد بعد وبعدها المهترئين تتفحصه لعلها ترى علامات أن ما قاله غير جدي.. لكن لم تجد..

شعرت روعة بهلع من فكرة تخيل جالا ابنة سميحة كنة لها وزوجة لابنها الوحيد..

ابتلاها الله بمصيبة اسمها "سهر" ولأنها لم تصبر وسختت..
ها هي تبلي بمصيبة أكبر منها وهي.. جالا ابنة سميحة..

فاقتربت روعة من زوجها شاهقة مرة أخرى برعب وهي تتشبه به لتهتف من بين أنفاسها وهي تحاول أن تحايله ليتراجع

((أرجوك يا محمد الغي فكرة أن تخطب له جالا.. لحظة.. هل تعلم ماذا علينا أن نفعل؟ لننتظر سهر.. ربما تقرر العودة فما زال هناك وقت للزفاف.. بل لنبحث مع عائلة سهر عنها ونجدها.. لنبحث عنها جيدا.. سهر أهون بمئة مرة من بنت سميحة.. فلتعد سهر وسنسامحها على هروبها.. بل من المستحيل أن تكون سهر قد غادرت البلاد.. لا اصدق أنها الآن خارج البلاد بهذه السرعة))

أثناء ذلك كان مراد شاردا بعالمه وهو يرمش بعينه باستمرار..

ذهنه ينطلق إلى ذكريات مشوشة قديمة من طفولته وإلى مشاعر ما تزال قابضة للآن بداخله وقد تم إشعالها فجأة..

استحضر عقله ذكرى من هذه الذكريات..

عندما كان صغيرا جدا لا يتجاوز العاشرة من عمره..

كان هناك طفلان غيره أمامه.. أحدهما بنفس عمره.. خاتم بلاستيكي.. نظرات طفل عاشق لمعشوقته.. ووعده بأن يكون طوق أمانها وسندها حتى النهاية..

فوجد مراد نفسه يرفع بنظراته ببطء نحو والده مستفسرا بجمل غير مترابطة

((لكن.. ظننت أنها مخطوبة لابن جيرانهم.. ذاك الذي يدرس الطب بالخارج.. بروسيا.. يُدعى كارم.. أو اقصدي.. لا أدري.. ربما على الأقل تحدث كارم لوالدها قبل سفره.. أقل شيء هناك مشروع ارتباط بينهما.. صحيح؟))

بعمليه أجاب محمد مختصرا إجابته

((نعم.. ذلك المدعو كارم سبق وخطبها ومحكي بهما.. ولكن بمجرد أن عاد من روسيا هذا الصيف حتى جعلهم فيصل يفسخوا الخطبة لأنه لا يريد أن يزوج أيا من بناته من خارج العائلة))

فتح مراد عينيه على اتساعهما وهو يتابع التحديق بوالده.. شيء ما بداخله جعله يتقهقر بخفوت..

إذن هل كان جاهلا أن له الأولوية بها ولطوال حياته فقط لأنه يحمل نفس دمها وأسم عائلتها؟ كلاهما من عائلة الدال..

لكن عاد مراد للعبوس وهو يؤنب نفسه..

هل رجولته كانت ستسمح أن يأخذ فتاة من حبيبها خاصة وقد كان شاهدا على وقوعهما بالحب منذ الأزل وقبل أن يتذكر حتى متى وأين؟

جفل مراد ووالده على ضحكة تهكمية خافتة تخرج من والدته وهي تضع كفيها على خصرها وتهتف ساخرة بطريقة لا تتناسب مع عمرها أو مكانتها

((وهل تصدق حقا يا أبا مراد أن والدها هو من جعله يفسخ الخطبة من ابنته؟ جميع من في القرية يدركون كم كان ابن عمك مثلها على زواج ابنته من كارم حتى لا تبقى بلا زواج لأخر عمرها مثل شقيقتها الكبيرة.. ولكن الرفض والتراجع جاء من الشاب.. ولم قد يربط نفسه بفتاة عنيدة مثلها وهو يستطيع الزواج من إحدى الجميلات الروسيات هناك؟ لقد فسح كل ما

يربطه بها ونفذ بريشه.. والآن أنت تريد من ابني مراد وحيدي
المسكين أن يبنتلي بفتاة مثلها))

قالت روعة الجملة الأخيرة وهي تكاد تبكي حسرة بينما مراد
تقدم أكثر من والده ليمسك كتفيه بثبات..

وضع محمد عيناه بعيني مراد مباشرة ليبتلع الأخير ريقه قبل أن
يطلب منه قاتلا

((أبي.. أريد أن اطلب منك طلب.. هل يمكن.. اقصد.. أريد
رقم هاتفها إن كان ممكنا حتى اتحدث معها بالهاتف ببعض
الأمر التي بحاجة أن يتحدث بها أي اثنين مقبلين على
الزواج.. أنت تعلم..))

تعتمد مراد عدم نطقه اسمها وكأنه يشعر بأنه لا حق له بعد فيها
حتى بنطق اسمها قبل أن تصبح ملكه وبموافقتها..

مرت لحظات استمتع فيها محمد وهو يلعب بأعصاب ابنه وقد
استطاع فعلا إخراجة من حالة البرود واللامبالاة التي يدعيها
بما يثيره بداخله من مشاعر الآن..

ابتسم مراد بمكر وهو يحرك رأسه هادرا بسؤال

((ولم أنت بحاجة للحديث معها؟ الليلة زفافكما ويمكن أن تشبع
بها بعد الزفاف.. ما الحاجة لرقمها الآن؟))

بارتباك رافق صراع قلبه الملهوف وروحه الموجوعة قضم
مراد على طرف شفاهه بقوة كاد أن يذوق فيها طعم دمانه من
شدة التوتر وهو يشيح بوجهه من أمام أبيه قبل أن يجيبه بخفوت
هامس

((نعم.. نعم أعلم.. اقصد أريد أن أتأكد من نطقها بالموافقة
بلسانها.. أرجوك يا والدي.. أنا فعلا بحاجة لسؤالها))

لا يدري لم شعر محمد بالذنب يتسلسل إليه وهو يرى مشاعر ولده واضحة بعد أن أعلن خطبته لجالا الآن..

خاصة وأنه علم فور أن تحررت جالا من خطبة ابن جيرانهم قبل حتى أن يخطب مراد لسهر..

كان محمد يريد فعلا أنذاك أن يخطبها لابنه فهو لم يخف عليه ومنذ زمن الأعجاب المدفون الذي لطالما كنه مراد لها..

لكن وللأسف انتصرت مصلحة عمله على مصلحة قلب ولده ليخطب له ابنة شريكه سهر التي لطالما أظهر مراد نفورا من شخصيتها وعقلها الذي لا يتناسب معه..

وعلى ما يبدو أن هروبها بأخر اللحظات هي هدية من القدر وتصحيح لخطأ كبير كان على وشك ارتكابه..

وأخر ما يمكن فعله هو تفويت هذه الفرصة..

أنتبه محمد على زوجته روعة التي زفرت بضيق وبصوت عالي بعد أن رأته مراد لا يمانع إطلاقا على قرار والده وأن لا فرصة لها بمحاربتة بقرار خطبة جالا..

غادرت روعة الحجرة عقب أن ضربت بقدمها الأرض بعنف والغضب والحق يشتعلان بداخل قلبها..

لا تدري كيف ستمر الليلة اليوم على خير.. بل كل حياتها..

تجاهل محمد زوجته وهو يهز رأسه موافقا على طلب مراد ليبتهج قلبه وتشق ابتسامته وجهه..

لكنه ذلك لم يمنع محمد من إظهار غضبه الشديد تجاه طباعه السابقة التي لا يغيرها لذا وقبل أن يغادر تحدث ببرود موبخا مراد بقسوة

((حسنا.. وبينما أذهب أنا لوالدها لنتفق على المهر وكل أمور الرجال الأخرى.. تصرف أنت كعادتك بسلبية ولا تدخل بما يدور حولك حتى ولو كان هذا الأمر يتعلق كليا بك وبمصير حياتك.. هيا اذهب وأغرق بنومك))

لم يهتم مراد لأخر كلمات والده وهو يبتسم نصف ابتسامة بشرود وكأنه لا زال لا يصدق أي شيء..

ولن يصدق أي شيء إلا عندما ينتهي الأمر ويكون متواجد معها بمكان واحد لوحدهما..

همس لنفسه بعد خروج والده تماما وهو يجلس على سريره

((أي نوم قد يجافيني يا أبي الآن.. أي نوم!))

=====
=====

ليلا.. العاصمة..

بداخل إحدى الفلل الكبيرة والفخمة المُستأجرة والتي مع أجواء الاحتفال الحالية بداخلها فلا يصلح أن يطلق عليها غير نادٍ ليل..

رفع راجي عيناه لسارا وهو لا يدري ماذا يقول وكيف يتصرف وقد اختنق من كمية النفاق والسموم المنتشر حوله..

وكانه في مسرحية محبوكة على الجميع ولا يوجد شيء حقيقي..

حتى الفرح المشع وتلك الابتسامة الساحرة التي تزينها على محياها ليست بالحقيقة مُهداة له..

شعر بالسخف وهي يرى سارا الواقفة أمامه تمثل الشعور
بالحب ودور إنسانة متفاجئة بينما تأخذ الهدية التي يمسكها
بكفيه أمام أنظار صديقاتها اللواتي يتطلعون بلهفة عليهما..

الحقيقة أنه لا يزال يشعر بالخزي والغضب ووجهه من
الإحراج وقتها كاد لا يُفسر عندما أخبرته بشكل مباشر
وببساطة ألا يشتري لها هدية عيد ميلاد فقد اشترت هي واحدة
فخمة وباهظة الثمن وتتناسب مع ذوقها الفريد بالفعل.. وكل ما
عليه أن يفعله هو تقديمها لها الليلة..

عائلته بالفعل من أيسر العائلات ماديا بالقرية.. وهو بالذات
يُعتبر شاب فاحش الثراء بالنسبة لشخص بالعشرين من عمره
ولم يتخرج من الجامعة بعد..

خاصة وهو الوريث الذكر الوحيد لجديه اللذين كتبوا باسمه
الكثير من الممتلكات..

لكن ومع ذلك كله يرى نفسه الآن ينتمي لفئة أقل منها بكثير
عندما يقارن نفسه بثروة عائلتها فيشعر مع كل لحظة له تمر
عليه الآن معها بأنها تمزق كبريائه بل وتنسفه نسفا حتى ولو
أن كل تصرفاتها وأقوالها عفوية..

أخيرا جاهد راجي نفسه على الابتسامة قائلا من بين أسنانه
برقة وعضوية مصطنعتان كما توسلت منه أن يفعل أمام الجميع
عندما يسلمها الهدية

((افتحي عيد ميلادك يا سارا وكل عام وأنت بخير))

أكملت سارا إتقان دورها وهي تهم بكل نعمة أن تستلم من بين
كفيه تلك الهدية الكبيرة..

للحظات وزعت نظراتها لصديقاتها وأصدقائها من حولها
بغرور وتفخر ثم بدأت بفتحها..

كانت الهدية المغلفة عبارة عن صندوق الحظ والذي هو عبارة عن صندوق كبير يحتوي على أكبر عدد ممكن من الهدايا الصغيرة المخبأة بداخل قصاصات الورق..

تابعت سارا افتعال التأثر والإعجاب وهي تفتح الهدية التي جهزتها بنفسها متممة

((أوه راجي.. الهدية خطفت قلبي قبل أن أفتحها))

بدأت تختار مجموعة من الهدايا العشوائية من الصندوق والتي كانت عبارة عن عطر مميز باهظ الثمن.. إكسسورات فريدة.. أنواع تفضلها هي من الشكولاتة الفاخرة.. وهدايا أخرى لا تخيب ظن من يلتقطها..

حتى وصلت لهدية صغيرة أخرى مغلفة تتميز بصغر حجمها ومصنوعة من قماش المخمل الراقى ومغلفة بسحاب مطاط لحفظ ما بداخله من السقوط..

ضيق راجي عينيه متوجسا مما يمكن أن يحتويه الصندوق فهو يكتشف مثله مثل الحاضرين الآن محتوى تلك الهدية..

لحظات وفغر ثغره كالأبله حتى نسيه مفتوح هكذا لمدة عندما رآها تخرج العلبة المخملية خاتما صغير الحجم مميز بما يتناسب مع جودة وأناقة صنعه..

ارتدت سارا الخاتم بإصبعها فورا وهي تشهق بتفاجئ ودهشة مصطنعة وتضع يدها الأخرى على فمها..

نظرت سارا لراجي الذي بدا مصدوم أكثر من الجميع من حوله فحاولت أن تداري على الموضوع وهي تتقدم منه وتعانقه برقه ودلال الذي كان متجمداً ولا يشعر بشيء مما يحدث حوله

((أوه.. خاتم لطيف.. فعلا شكرا لك راجي.. ياللعجب إنه يناسب مقاسي تماما))

صفت لها صديقاتها من حولها وهن ينظرن للخاتم والهمسات
تتزايد ومنها الحاقدة والحاسدة والغيورة..

ومن الحضور من أستطاع الخاتم أن ينال إعجابهم ويثير
العجب والدهشة..

كانت هناك أيضًا الكثير من النظرات المحدقة براجي
والمتسائلة عن هويته وقد بدا غير مألوفٍ لأغلب من في
الحفل..

حاول راجي أن يعاود الحفاظ على تعابير وجهه وهو يدرك
داخليا أن كل ما يحدث لا يعجبه.. لا يعجبه إطلاقاً..

وندمه وشعوره بالذنب لحضور حفل كهذا يتزايدان..

سمع همهمات من سارا وهي تمدحه أمام صديقاتها وتحدث
عن وسامته.. عضلاته تحت ملابسه التي تبخسها حقه..

لو كان بموقفٍ آخر لابتسم بفخر ورجولية على كلامها.. لكن
الآن لا يفكر إلا بكسر عنق قليلة الحياء..

مرت دقائق حتى عاودت الموسيقى الصاخبة لإحدى الأغاني
الهابطة في الأجواء البدء.. ليبدأ أغلب الحضور القريبين من
عُمر سارا يرقصون مع الإيقاع بحركات مجنونة بفعل الكحول
فيذا كل شيء ماجن..

نعم.. لا يصدق بأن المشروبات الروحية كانت متواجدة بحفلة
عيد ميلادها..

طبعاً لم تخف سارا من إقامة هكذا حفل تحت غطاء أن الحفل
تم بفيلا مستأجرة وكل المدعوون من دائرة أصدقائها..

اتسعت عينا راجي جافلا من سارا التي تسحب من يده لساحة
الرقص بالوسط مع الباقي.. دفعها عنه محاولاً قدر الإمكان إلا
يثير الانتباه لهما بينما يهمس لها محذراً بنظرة مخيفة

((توقفي يا سارا أو سأقتلك.. لا اصدق أنني متواجد بهذا النوع
من الحفلات))

لم تأبه سارا من حركته العنيف عندما دفعها عنه وابتسمت له
بإغراء وهي تخبره بصوت يبعث على الدفيء والاسترخاء

((لماذا؟ ألا تعرف الرقص؟ أترك لي نفسك فقط))

رشقها بنظرات مشمئزة شبيها للتي يكنها بهذه اللحظة لنفسه
بسبب تواجده بهكذا مكان حيث تتم فيه ممارسات لا أخلاقية
مخالفة للدين والشريعة والعادات والتقاليد..

رمق سارا نظرة أخيرة وهو يراها تبدأ الرقص جاعلة من
نفسها موضع الأنظار وهي تتمايل بدون هدف..

كانت الإضاءة المنخفضة والألوان المتعاقبة من المصباح
الدائري المعلق حوله..

وزع راجي أنظاره على باقي الحضور وعلى فتيات يرقصن
بين أيادي شباب ممثلين بالانتشاء..

بدأت رائحة العرق للأجساد التي ترقص حوله تستحيل لرائحة
خانقة بعد أن طغت على روائح عطورهم النفائثة فشعر فعلا
باختناق من المكان لا يقل عن الاختناق بداخله..

شعر بمشاعره متضاربة ومتناقضة تجاهها هي..

الآن فعلا لا يستطيع تحديد مشاعره نحوها.. هناك شيئا
خاطئ.. بل كل شيء خاطئ..

الأمر الوحيد الصحيح هو أن يقطع علاقته وبشكل نهائي معها..

أما الآن.. ببساطة هو يريد الخروج من هنا..

أغمض عينيه وشد عليهما وهو يتابع الندم بداخله على حضوره
للحفلة

نظر للمكان حوله وبحث عن شرفة ليستنشق هواء نقيا لا يفكر
إلا بالهروب من هذه الأجواء المنفرة..

قبل أن يدخل للشرفة توقف مكانه يرى نفسه على إحدى المرايا
الضخمة الموضوعة على الحائط..

بدت هيئته عبارة عن فوضى.. شعره مبعثر وغير مرتب..
قميصه الأسود مفتوح أزراره بإهمال من الحرارة التي شعر
بها..

عيناه يحيط بهما الإرهاق الذي يغطي على سحرهما البني وهو
الذي لم يعتاد سابقا حتى بلبالي امتحاناته أن يسهر لهذا الوقت
المتأخر من الليل..

دلف للشرفة البعيدة عن الأصوات والجميع ليضربه هواء
الشتاء البارد فيشح براحة تتسلل إليه وبرودة الهواء النقي
بالخارج تلفحه وكأنه يصفعه صفعه قوية ليوقظه على نفسه..

أخفض رأسه يقرب أنفه من طرف قميصه..

هل فعلا رائحة الخمر هي ما تلتصق على ملابسه والذي طغى
على رائحة عطره النفاذ هو الآخر ففقد زكاؤه حتى من دون أن
يشربه مثلهم!

لا يريد الآن إلا أن يذهب للبيت ليغط في نوم عميق..

فقد خرج من منزله منذ الصباح ليساعد سارا بإعداد وتجهيز
آخر لمسات تجهيز حفلها وأن يسوق سيارتها بنفسه بعد أن
نهرها أن تقود سيارتها قبل أن تسحب رخصتها بشكل رسمي..

بالتأكيد لا يزال يغلق هاتفه ولن يفتحه خشية من أن يتصل عليه
عمه فيصل فيشبعه إهانات وتوبيخ لعدم حضوره حفل زفاف
قريبهم مراد..

خرجت منه ضحكة تهكم..

فعمه يظن أنه لن يحضر الزفاف تضامنا مع والدته وأخته
المتمتعتين عن الحضور بسبب العداوة مع والدة مراد..

لكن.. يا ليتة حضر حفل الزفاف بدلا من تفويته لأجل حفل عيد
ميلاد سارا التي أطاعها بكل شيء وتبعها كأحد القطعان
ليساعدتها في الإعداد فيه من الصباح ضاربا بعرض الحائط
تلك الهمسات المؤنبة التي تأتيه من داخل أعماق روحه خاصة
وأنه مهما تغابي فقد كان لديه فكرة أن الحفل سيكون فيه الكثير
من الرقص وسيكون مختلطا..

لكنه حقا لم يتخيل الأمر هكذا..

ظن أنه سيكون وسط حضور عدد محدود من أصدقائها لا كما
الآن وكأنه بملهى ليلي والحضور أغلبه من الشباب ومشروبات
روحية..

سارا.. تلك المدللة التي يجد نفسه بغير إرادة منه ينجذب منها..

عرف أنها الابنة المدللة الوحيدة لرجل هو أكبر شريك يمتلك
أسهما بالشركة التي سبق وتدرّب بها..

للهولة الأولى من ينظر إليها يعتقد بانها خالية البال والابتسامة
المرحة ترافقها دوما وكان الهموم والمشاكل لم تخلق لها..

لكن وبعد التقرب من روحها يعرف أن علتها تكمن في الفراغ
الرهيب الذي يمتلك روحها..

كم يتمنى لو أنه يستطيع الاقتراب منها من الداخل ومعرفة
سبب هذا الفراغ!

ربما هذا هو سبب انجذابه لها..

وبالرغم من أنه قرر فعلا أنه سيقطع علاقته معها إلا أنه عندما
يمعن النظر بها يشعر بشيء من الشفقة على حالها ولو كان أقل
من شعوره بالاحتقار تجاهها..

وجدت سارا أخيرا مكان راجي واقفا بالشرفة جالس هناك بعد
أن انتهت من رقصها المجنون وتفقدته حولها ولم تجده..

كانت متأكدة بانه لن يغادر العاصمة نحو بيته بقرية داخل مدينة
أخرى فهو ليس من محبي القيادة بالليل لساعات..

هتفت سارا وهي تشير بيدها للنادل الواقف بالزاوية أن يذهب
ويقدم لراجي الشراب ليهز رأسه مطيعا لها..

قرن اتكاء راجي برأسه ع كفه على زاوية الشرفة متنهدا قدوم
النادل نحوه وهو يقدم له المشروب فوق الصينية التي يحملها
بمهارة فهتف له راجي بقسوة مزجرا به

((أنا لا اشرب.. ابعده عني))

فأوما النادل له مطيعا ثم غادر..

مرت لحظات حتى جاء النادل مرة أخرى عنده وهو يمسك
كأس العصير بيده ويقدمه بابتسامة لراجي الذي التقطه منه
باستغراب عقب أن أخبره النادل

((هذا عصير فواكه مثلج طبيعي ولا يحتوي على أي نوع من
الكحوليات))

وذهب من فوره ومن دون أن يعطي أي فرصة لراجي بالرد أو
بالرفض..

تأمل راجي الكأس بعبوس وهو يقربه منه ليحاول شم رائحته..

ولأن رائحته ولونه بدا طبيعيان جدا هز كتفيه ووجد نفسه
يتجرعه مرة واحدة بغضب وبسرعة..

لقد كان مرهقا ومتعبا.. لم يأكل أو يشرب شيئا فعلي منذ
الصباح وقد تعب جدا بالمساعدة بإعداد الحفل..

بعد اقل من ربع ساعة دخلت سارا أخيرا الشرفة عنده بعد أن قادتھا خطواتھا بتلقائية..

التفت جانباً تنظر براجي وإحساسها بالذنب يتزايد..

هل ستندم كثير بالذي فعلت؟

انتبه راجي لوجودها وهو ينظر لها مضيقاً عينيه لتبتسم له بمعامية هادئة

((راجي توقف عن التصرف وكأنك بمأتم.. أنه عيد ميلادي الثامن عشر بالنسبة لي وهو علامة فارقة في حياتي.. ولطالما أردته أن يكون مميزاً بحق ولا ينسى أبداً! لذلك احتجت أن أقوم به في مكان غير معتاد هذه المرة لأضفي عليه ذكريات لا تنسى.. ما الذي لا يعجبك بالأمر؟ توقف عن العبوس يا راجي وقم بإطلاق العنان للمُراهق التمرد الذي بداخلك))

أجابها مندهشا من كلامها وبنفس الوقت يدلك جبهته بكفيه غير قادر على تجاهل الإحساس بالألم الذي بدأ يشعر به والدوار الذي يرافقه

((بالنسبة لفتاة ماذا يمكن أن يختلف معك عمر الثامنة عشر؟ لا تخبريني أنه بثقافتك هكذا ستصبحين راشدة بشكل رسمي من خلال منحك بعض الحقوق والمسؤوليات الجديدة ولهذا عليك الاحتفال بهذه المناسبة بهذه الطريقة للاحتفال بحرية جديدة؟))

لوت سارا فهمها بغير رضا وهي تحس بالرُخص بينما تسمع كلماته وتفهم ما يقصده..

لكن عقدت حاجبيها وهي تراه يبتلع ريقه ويرمش بعينه كثيرا وكأن الدوار الذي يشعر به يزيد..

قالت سارا بهدوء لتسترسله بالكلام أكثر وأكثر

((بالتأكيد يجب عليّ إقامة حفل كبير لا تجمع غبي مع عائلتي
يحضرون لي فيه قالب حلوى وأتمنى أمنية للعام الجديد قبل
إطفاء الشموع.. فأعياد الميلاد من أهم المناسبات الخاصة التي
تمر بالإنسان لذلك على أي شخص الاستمتاع بهذا اليوم مهما
كلف الأمر وعمل كل ما يلزم حتى تجعله يوماً مميزاً لا ينسى..
هذا اليوم لا يأتي سوى مرة واحدة في العام.. لكن عامة لا
تنزعج.. سأقيم حفلة عيد ميلاد ثانية لي وأدعوك مع بعض
الأصدقاء.. سأقوم بتعليق اللافتات والبالونات ومنتناول بعض
الكعك ونشاهد الأفلام... هل يعجبك هذا النوع من الحفلات؟))

أخذ راجي نفساً قويا وهو يتجاهل الدوار الذي يشعره ويتابع
الحديث بشكل عادي وهو يلاحظ ثقل بلسانه

((لطالما احتفلت بأعيادي ميلادي عن طريق قضاء بضع
ساعات هادئة في المنزل مع عائلتي وفتح الهدايا وتناول
الحلوى.. ولست مضطراً لتغيير أي شيء دام أن الأمر عمل
جيداً طوال العشرين عاما السابقين.. لو قضيتي يا سارا بعض
الوقت مع الناس الذين يحبونك واسترخيت لكان أفضل كليا من
هذا المجون))

وصل راجي حده من الاحتمال فاستقام من جلوسه بقوة جعل
الدوار يزيده عليه لدرجة أنه لم يستطع أن يرى جيدا سارا أمامه
وهو يعاني من زغلة بالرؤية رافقت شعوره بالصداع مع
بعض الغثيان والدوار..

شعر وكأن نار تسللت لداخل جوفه من هذا العصير المقرف
الذي شعر بطعمه الآن..

بلا شك كأس العصير كان يحوي كمية من الكحول..

ربما لم تسكره تماما ولم يكون مفعوله قوي كون أن هناك
إضافات والكمية قليلة..

إلا ولأنه لأول مرة بكل حياته يشرب الكحول كان طبيعيا
شعوره بهذا الكم الرهيب من انعدام التركيز والاتزان..

حاولت سارا بعد أن وجدته يترنح أن تسنده لفترة قبل أن يبعد
جسده عنها بقوة..

لكنها عاودت تتقدم لتمسك به وتحذُّ من حركته مستغلةً وهنه
وعدم توازنه..

عندما شعرت بأنه سيبعدها عنه اقتربت منه هامسة

((راجي حبيبي أهدا ريثما أنادي أحد رجال الأمن ليقودنا
لسيارتي))

وصلها صوته الثقيل من أثر السكر

((سارا لقد تأخر الوقت كثيرا.. أريد فقط الوصول لبيتي))

كانت قد زينت وجهها بابتسامة هي فقط من تعرف مغزاها..
لتقترب منه بطريقة حميمة ويدها تتحسس ذراعه هامسة

((راجي.. سنذهب لشقتي لذا اهدأ.. أرجوك))

راها تقترب واضعة شفتيها على جانب عنقه فتسلل الاشمزاز
لقسمات وجهه منها..

ومن نفسه هو أيضا وهو يسمح لها بذلك..

لكن الكحول وألم صداعه ووهنه جعله ساكن مستسلم لها..

حاول جزء منه أن يبعدها عنه بقبضتيه الضعيفتين حتى شعر
أن قواه تخور..

وبعدها لم يذكر شيء.. فقط وجهان لرجلين من الأمن.. وبعدها
غط بنوم عميق..

=====
=====
بعد منتصف الليل..

انتهى الزفاف الذي رفضت فيه جالا الظهور بأقل من هالة
السعادة العارمة والمفترض عرضها أمام الآخرين..

جريت جالا بالبداية أن ترتدي الفستان الأبيض الذي كان
مفصل خصيصا لسهر والذي لف جسدها بنعومة حتى وصل
إلى أسفل خصرها وبدأ يتسع الحرير وينساب حتى الأرض..

لكن ولأن الفستان كان يكشف أجزاء كثيرة من جسدها ولا وقت
لأي إضافات أو تعديلات خلعتة وارتدت فستان زفاف والدتها
والذي كان حتى أكثر ملائمة لقياسها..

بدلة والدتها كانت جميلة حتى ولو بدا تصميمها بنفس الوقت
قديم عن التصاميم الرائجة لهذا الوقت ولا يتناسب مع فخافة
ورقي الحفل من القاعة والزينة والبوفيه والذي كان كله على
ذوق العروس الأصلية..

شعر وقتها محمد والد مراد بالإحراج من فكرة أن سهر كانت
تنوى ارتداء فستان مكشوف لهذا الحد حتى ولو كانت الليلة هي
حفلة زفافها..

كما لم يعجبه موافقته على ما طلبته عائلة سهر بأن يكون
الزفاف بهذا الشكل..

فكان الحفل في الفندق الفخم قريب من الشكل الغربي على
الشرقي حتى يتماشى بما بشكل الزفاف الذي طلبوه..

ولم يكن يشابه الأفراح الشعبية المعتاد عليه بقريتهم في
مضمونها بشيء فلم يكن هناك جاهة وفنجان القهوة والتعليلة
وليلة الحنة..

ولا حتى الوليمة التي يعدها أهل العريس نهار الزفة ويقدم فيها الطعام للمدعوين ويكون المنسف هو طعام تلك الوليمة..

بنهاية الزفاف وأمام جناح الفندق سلم فيصل أبنته لعريسها مراد والذي بدا هو الآخر متوترا بشكل لا يقل عنها..

أما فيصل بدا بنظر جالا وكأنه لم يصدق أن يتخلى عنها بهذه السرعة لينتهي من عبئها فكان وجهها عابس كلما نظرت لوالدها..

وقبل أن تتقدم نحو مراد تفاجأت بوالدها يمسك كفها ويمسح عليه بأنامله قائلا بدفيء لها

((أعلم أنك مرتبكة وخانفة يا جالا لأن الأمور حدثت بسرعة وعلى نحو غير متوقع ولم تتجهزي جيدا لها.. لكن تأخير الزواج لا فائدة منه دام أن مراد رجل بمعنى الكلمة سيصونك ويكرمك.. لذا توكلي على الله وهنيئا بزواجك))

هزت جالا رأسها بلامحها الحزينة بموافقة لوالدها ولم تستطع أن تصيف شيئا..

كما لم تستطع أن تمنع الخوف والارتباك من التسرب إليها فابتلعت ريقها بتوتر..

بعد أن ربت فيصل على يد جالا ذهب مع أمينة وبناته عقب أن أخبر هيام أن تسرع هي ووالدتها بتوديعها للرجوع لبيتهم بسيارة هيام..

نظرت جالا ناحية والدتها وهيام التي ابتسمت بوجهها ابتسامة حنونة بمسحة ضيق لم تخلو من التعاسة..

اقتربت سميحة من ابنتها جالا تعانقها وهي تهدر بخفوت من بين دموعها

((لن أسامح والدك يا جالا لأخر حياتي.. بسببه أنا لم أجهزك
كما تحلم كل أم أن تجهز بنتها.. ولم تأتي كل خالاتك وأولادهن
لزفافك.. هل يرضيك هذا؟))

وعلى سيرة خالتها ظهر الضيق على هيام وهي تتذكر عبير
التي جاءت للزفاف وكانت ترسل لها نظرات باردة كلما تلاققت
أعينهما ولم تسلم عليها مع أن الواجب عليها هي أن تبدأ السلام
بما أنها جاءت بعدها..

الحقيقة أن عبير وبالرغم من صداقتهم العميقة بالماضي إلا
أنها ومنذ أن تزوجت من إياد شقيق احمد أصبحت تتجاهلها
تدريجيا حتى وصلت علاقتهما كما هي الآن.. كأنهما غريبان..

نكست جالا رأسها بخزي أمام والدتها فقالت هامسة وهي
تحاول التعويض على أمها ولو بشيء ضئيل

((لا بأس أُمي يمكنك تجهيزي بعد الزفاف بمدة وسنذهب
للتسوق على أكثر من مرة لنعوض كل هذه الأمور ونشتري
الكثير مما لا أزال أحتاجه.. فلا تحزني))

زعت سميحة بقهر كبير وبصوت منخفض حتى لا يسمع مراد
ووالديه الواقفين على بعد منهما

((وماذا عن راجي؟ هل يرضيك أن أخيك الوحيد لم يحضر
حفل زفافك الليلة؟ تعرفين أنه أخبرني صباحا أنه سينام عند
أحد أصدقائه الذي يعيش بالعاصمة وسيعود غدا.. ومنذ أن
تبعتك للصالون وأن أحاول التواصل معه على هاتفه المغلق
وبلا فائدة وأنا لا اعرف أرقام أصدقائه حتى أخبره أن زفاف
أحتك هو الليلة))

سمعت والدتها تشهق بألم فبكيت جالا مع بكاء أمها فتلطخت
وجنتيها المكتنزتين ببقايا الكحل..

لم ترَ يوماً أمها مقهورة هكذا وبتلك الحالة لتعض على شفتيها
وهي تقترب تأخذها وتشدها لأحضانها لتهددها وتمسح
دموعها بكفها هامسة بصعوبة

((أمي حبيبي لا تبكي أرجوك.. كل شيء سيكون على ما
يرام))

تقدمت هيام من أمها بحزن تربت على كتفها وتناول جالا
مندبلاً لتمسح الكحل من على وجهها عقب أن وبختها بلطف
((توقفي عن البكاء يا جالا.. اليوم هي ليلتك.. لا تفصحي نفسك
أمام العريس الليلة بهذا الوجه))

لكن أمها هزت رأسها وهي ما تزال مصرة على عتاب جالا
هادرة

((لم طاوعت والدك يا حبيبي وتزوجت هكذا؟ هل يرضيك
فكرة أن تكوني بديلة لعروس أخرى؟ هل أعجبك أن الاحتفال
بحفل زفافك تم على ذوق تلك الفتاة وأهلها هي؟ حتى البيت
الذي ستعيشين به سيكون أثاثه على ذوق تلك الفتاة.. لم أجبرتنا
يا جالا على هذا كله ورضخت لكلام والدك دون الرجوع إليّ؟
لم يا صغيرتي؟ لم؟))

فتحت سميحة حقيبتها لتلتقط مندبلاً تمسح فيه دموعها وهي
تستطرّد ممتمة بقهر

((لن أسامح والدك أبداً.. بسبب زواجك المفاجئ لم يتمكن أخيك
الوحيد من حضور حفل زفافك يا جالا))

لكن هيام ربتت على كتف والدتها سميحة وهي تطلب منها
برجاء

((أمي يكفي هذا.. منذ أن علمت وأنت تبكين وبدا أثار دموعك
ظاهراً للجميع.. لقد تزوجت جالا وانتهى الأمر.. أنظري كيف
أبكيته.. هيا أمي لنركب سيارتي ونغادر فوالدي أخبرني أن

نسرع بالذهاب مع باقي سيارتهم قبل أن يخلو الشارع بهذا الوقت من الليل وبهذا الجو البارد))

هزت سميحة رأسها توافق هيام فيكفيها عتابًا لجالا خاصة وأن الليلة هي ليلة عمرها ولا داعي أن تفسدها أكثر من هذا..

تقدمت سميحة لأخر مرة تعانقها وتودعها هي وهيام بوداع لم يخلُ من الدموع والتعاسة ثم غادرتا..

تنهدت جالا وهي ترى أمها وهيام يغادران أمامها لتمسحت دموعها بالمنديل وبواقي كحلثها الملطخة على وجنتيها وهي تفكر بوالدتها المسكينة والتي من اللحظة الذي عرفت بها بأنها ستتزوج هذه الليلة حتى لحقتها للصالون ولم تتوقف عن البكاء وعتابها بشدة وتوسلها أن تتراجع عن موافقتها..

كما أن جالا تعرف أيضا أن مراد بالذات بالرغم من حسن أخلاقه وسيرته واجتهاده لمشهود به إلا أنه آخر من ستود أمها أن تسمح له بالزواج منها بسبب العداوة القديمة التي تكنها لوالدته..

وبسببها الآن أمها سميحة ستضطر للأبد أن تقابل والدته وتخضع للأمر الواقع.. بسببها هي..

بل إن الصدق أنه أمها لطالما حرصت وأرادت ألا يتزوج أحد من أبنائها من داخل العائلة..

فقد جربت سابقا أن تتزوج من أبيها وعمها وهم أقارب وعند أول مشكلة بينهما يقف الجميع من أهلها وأهله مع الرجل..

شعرت جالا بالوقت الحالي والآن بالضعف ينغرس بروحها المشتتة ليزداد الآن شعورها بانها فاشلة.. غير مفيدة.. غير ناجحة.. والأكثر من ذلك.. بانها مخيبة للأمال لكل من يهتمون بأمرها من حولها..

حسنا.. هل فات الأوان على إبداء الندم أم لا؟ فلقد تورطت
وانتهى الأمر..

وعلى الجانب الآخر من المكان ومن البداية انفردت روعة
بأبنها بعد أن كانت تشعر بقمّة البغض والحنق من نظرات مراد
وتقاسيمه عندما كان ينظر لجالا طوال حفل الزفاف..

كل ما فيه الليلة بدا مختلفا كليا عن الشهرين السابقين أثناء
خطبته لسهر..

فسابقا بالشهرين الماضيين كان وجهه دائما مكفهرًا وثابتًا على
حال التعاسة..

واليوم حظي بشعورين متضادين تماما..

صباح اليوم كان شاحبا وبائسا وتعبسا ولا يشبه مراد أبنها الذي
تعرفه..

ومع مساء هذا اليوم تغيرت تقاسيم وجهه ليبدو مبتهجا ومشرقا
وراضيا ولا يشبه أيضا مراد أبنها الذي تعرفه..

والاختلاف الوحيد بين المزاجيين هو تبدل عروسه..

مع أن الاثنتين لا تناسبا شخصيته بسبب العناد والجموح
الممزوج بشخصيتهما..

كزت روعة على أسنانها بغیظ وهي تجر مراد باتجاهها بمجرد
أن رأت سميحة تتحدث هي وهيام مع جالا على الجانب لتهمس
وهي تقرب رأس مراد منها وتهمس بأذنه

((مراد يا ولد.. أنت لم تر نفسك كيف بدوت كالمدله بحبها أمام
أنظار كل من في القاعة.. لا اصدق أنك يمكن أن تنظر لفتاة
بحب كما نظرت لها!!))

همهم مراد بانز عاج وهو يشيح بعينيه بعيدا عن نظر والدته حتى لا يفضحانه أكثر..

ففغرت روعة فاهها بقلق ولم تعجبها إجابة ابنها الواضحة وغير المنطوقة بأنه يحبها.. وربما منذ زمن..

ابتلعت روعة ريقها ثم تحدثت تحذره وهي ترفع سبابتها أمام وجهه

((احذر.. احذر يا مراد أن تسمح لحبك لها أن يجعلك ضعيفا أمامها.. احذر من أن تسمح لأنوثتها أن تؤثر عليك فتمشي وراء مشورتها وكلمتها.. يُقال ادبح القط من أول يوم.. أول يوم هو من سيحدد إذا كنت سترتاح أو ستشقى العمر كله لذا ومن دون أن أخبرك أنت تعرف ما عليك القيام به.. تذكر هذا يا مراد بليلتك هذه.. أنت رجل من ظهر رجل.. لا تخيب ظني بك))

تجهم وجه مراد من كلام أمه فقال بانز عاج وهو يكتف ذراعيه أمام صدره ويرفع أحد حاجبيه معاتباً لها على ما تأمره

((أمي.. هل كنت ستجريين على أخباري نفس هذا الكلام لو كانت عروسي لا تزال هي سهر؟ أم أن أموال وأسم عائلتها وشراكة والدها مع والدي ستردعك حتى بالتفكير بأي فعل أو قول قد يتسبب بإزعاجها؟))

شبهت روعة بصدمة وهي تجحظ عينيها ويديها تمتد لتتشبث بمعطف مراد فوق بدلته الأنيقة والفخمة مزجره

((كيف تتحدث يا ولد هكذا عني.. ثم هل تستهين بجالا يا ولد؟ أنها أبنة سميحة.. لا أحد يعرفها بمقاري حتى ولو أنه لم يسبق أن اختلطت بها قبلا.. لكنها ليست هينة وكل من القرية يعرف طباعها المنفرة.. أنت بنفسك كنت شاهد على تصرفاتها

بالمراهقة والطفولة.. وكم مرة وبختها وأخبرت أبيها أن يمنح
ابنته عن اللعب مع صبيان القرية والاهتمام بسمعة العائلة بلا
فائدة.. والدها لم يقدر عليها فهل تظن أنك ستكون قادرا عليها؟
أه يا بني حظك التعيس من جعل والدك يتخذها زوجة لك))

أشاح مراد بوجهه بعيداً عن والدته بانزعاج..

فهو قد قرر بداخلها بأنه ومنذ الليلة سيبدأ صفحة جديدة مع جالا
بالحب والمودة وكأنه لا يعرفها سابقا بدون أي غل كنه لها
بالماضي أو انطباعاته السابقة عنها..

ولكن والدته بهذا الشكل لا تساعد..

هدر محمد لوالدته متهرباً

((أمي.. أرجوك توقفي.. لا بد أن جالا تعرف طبعي جيدا.. كما
أنها هادئة الآن ولم تعد تلك المراهقة المتمردة.. وستكون زوجة
مطبعة.. لا تهلكي همي.. أرجوك.. أرجوك يا أمي))

وقبل أن تترد روعة على ابنها وجدت زوجها محمد يربت على
كتفها لتلحقه بعد أن أنتبه لجالا تتقدم منهم وهي تمسك فستانها
الأبيض وفوقها العباة البنية التي غطتها بعد أن رحلت
عائلتها..

هتف محمد ببشاشة وهو يحرض مراد مازحا بابتسامة لطيفة
يوجهها نحوه هو وجالا

((هيا يا مراد.. سنرحل الآن وأنت اخطف يا مراد زوجتك
لجناحك بالفندق على الفور وفرًا من هنا ويكفي إضاعة
للوقت))

ثم التقط زوجته روعة من كفها ليغادرا..

ارتكزت نظرات جالا على حماتها الذي بدا الامتعاض عليها
وهي تغادر مع زوجها الفندق..

طوال الحفل ومنذ أن رأتها اليوم وهي تلاحظ أن حماتها روعة
تعاملها بلطف مصطنع وكأنها مجبرة على التعامل معها تحت
التهديد..

أو ربما لأجل مكانتها أمام الناس وخوفا من أنظارهم وكلامهم..

نكست جالا رأسها أرضا وهي تكز على أسنانها فهي لم تبدأ
فعلا أول يوم لها بعش الزوجية وعينها الآن تشتعلان بالحد
تجاهها..

كيف لا تحقد عليها بعد أن مسحت زينة وجهها بليفة الجلي أثناء
الزفة..

خاصة وأن تكلفة زينتها وتصفيقة شعرها بالصالون كانت
باهظة حتى ولو أنها لم تكن هي من دفعت قيمتها..

ولكنها شعرت بالقليل من البهجة بقلبيها عندما رأت نفسها تبدو
جميلة جدا بها.. قبل أن تقرر حماتها أن نفسدها..

صحيح أن الأجواء الليلية كانت بارد جدا وهم على أعتاب نهاية
السنة وهي لم ترقص إلا قليلا مجاملة للحضور لكنها شعرت
بالحرارة قليلا لتأتي حماتها روعة وتسدي لها معروفاً.. على
حد قولها آنذاك.. ولكن بدلاً من أن تمسح وجهها بنعومة كي لا
تُفسد زينتها.. قامت باستخدام ليفة الجلي ومسحت زينتها
ودمرتها تماماً..

ربما من المفترض وبظروف جالا الغير طبيعية والغير عادية
أن تكون زينتها آخر ما تهتم به ولكنها بالفعل كادت أن تكي لو
لم تتمالك نفسها حيث أن بسبب فعلة حماتها فقدت تركيزها
خلال الصور..

وتم إفساد مزاجها لباقي الحفل ومزاج أمها الذي تحسن قليلا
عندما رأتها فانتة أمام الجميع بالقاعة قبل أن تشهد على ما
فعلته حماتها بها..

صحيح أن روعة بعد الحفل استسمحت منها كثيراً أمام زوجها
وابنها لكنها ما زالت تظن أنها فعلت ذلك قصداً..

وعلى ما يبدو أن الكثير ينتظرها من حماتها بعد الزواج..

أمها لم تخطأ بكرهها الشديد لها..

جفنت جالا على صوت مراد المبتسم بينما يهتف لها وهو يلوح
لها أن تدخل الجناح

((هيا جالا ذهب الجميع فماذا تنتظرين؟))

دخلا الاثنان جناحهما بالفندق ثم أغلق مراد الباب خلفه وهو
يبتهد أخيراً براحة بعد أن غادرهم الجميع لوحدهما..

بينما جالا كانت تتقدم لمنتصف الجناح عندما سمعت صوت
إغلاق الباب وراها لتشعر بفكها يرتجف رغماً عنها..

وبحركة سريعة خلعت العباءة البنية التي تغطيها لترتمي العباءة
على الأريكة وتهدر له بدون أن تلتف وراها وهي تبحث عن
مكان دورة المياه بالجناح

((سأسبقك يا مراد وأخذ حماماً))

لكنها توقفت على نفس مكانها عندما أمرها مراد بصوت عالي

((انتظري قليلاً))

لحظات ووجدت نفسها تستدير نصف استدارة له للخلف لتقول
من بين شفثيها بتوتر وتردد

((م.. ماذا هناك؟))

حذق مراد بها بابتسامة دافئة وجذابة بينما يتقدم منها..

كان يحدق بوجهها وملامحها الساحرة الشرقية والمرسومة
بنعومة بعينيها البنيتان وبرسنتهما المميزة وحجمهما الذي حتى
بصغره بدا جذابًا له..

أنفها الدقيق الصغير بدا مشاكسا وشففتيها رقيقتين لم تحتاجا إلا
للون روج وردى وبسيط كالذي تضعه الآن لتظهر جاذبيتهما..

كل ما يتعلق بها يجذبه تماما..

أول مرة منذ زمن بعيد.. بعيد جدا يحدق بها بنفس هذا القرب
والتركيز..

ويحق له هذا الآن وقد أصبحت ملكه صاحبة الجمال الملكي..
مليقة.. مليكة..

هل هو مجنون ليراها بهذا الحد الكبير من الجمال حتى ومع
الإرهاق والتعب البادي على وجهها بخلاف أثار الكحل بسبب
بكاءها عند وداعها لأمها؟

كانت جالا تشعر من جراء تحديقه المستمر بها بأن قلبها
سيتوقف عن الخفقان بينما حدقتيها تهتزان وهما تقعان على
مراد الذي يقف أمامها ويسألها أخيرا يُنبهها على بلاهتها وهو
يحافظ على ابتسامته

((كيف ستدخليين دورة المياه وأنت ما تزالين ترتدين فستان
الزفاف النافس هذا؟ ثم ستحتاجين مساعدة لخلعه!))

فتحت جالا عينيها على اتساعهما وفغرت فاهها بغياها وكأنها لا
تستوعب ما يريد أن يخبرها به..

بل كأنها ما تزال لا تستوعب أنها الآن زوجته شرعا وقانونا..

رباه.. هل أصبحت متزوجة الآن؟ هكذا فجاءة؟

تنهد مراد بصير وابتسامته تتابع بث الدفء بداخله لعينيها
فاقترب منها أكثر غير آبه لشهقة اندهاشها وهو يتحسس
ملامحها بأنفه دون أن يلمسها..

شعر بجسدها يرتجف بلا قدرة على الحركة أو التوقف عن
الارتجاج نحوه فرفع كفه ليحرك أنامله على وجنتها بخفة
وبحركة دافئة جعلت القشعريرة تمر بجسدها وتنعكس عيناها
أرضا على الفور..

صارت تتنفس بعنف وبداخلها نفور جعلها تتمنى أن تتجراً
لتنفعه عنها بعيداً..

بصعوبة وبعد لحظات رفعت جالا وجهها له لترى نظرتة
الرجولية القوية والتي رغما عن نفورها منه تثير فيها غرائز
أنثوية لا تعترف بوجودها داخلها..

هي فعلا لا تتكر أن مراد بدا الليلة جذاب ومظهرة كان شديد
الأناقة..

حتى صوته اللبق الذي ما زال يدوي في أذنيها بحديثه المنمق
أمام المهنيين..

فبإدلتة التحديق بدون شعور منها وكأنها مأخوذة بسحر
اللحظة.. ترى عيناها تخترقان عمق عينيها وتعريانه..

حاولت جالا جاهدة أن تخدم توترها وقلقها أمامه خاصة وأنه ما
يزال يحافظ على ابتسامته بوجهه..

لم تدرك كم كان مراد مبهوراً بما يرى فيها وهو يحدق بوجهها
الشهي اللذيذ رغم إرهاق ملامحها المتعبة..

فهي لا زالت تحظى بفتنة لظالما امتلكتها عليه..

كان مراد فعلا لا يزال لا يصدق أن حلمه الرجولي القديم في
المرأة التي تملك قلبه أمامه الآن يتحقق..

وها هي أمامه بفستان الزفاف الأبيض الذي تلبسه..

الحقيقة أنه لم يجرؤ حتى بأحلامه أن يصل لهذا الحد..

أن يراها بفستان زفافها.. وترتديه من أجله هو..

رفع عينيه اللتان لا زالتا تشعان بنظرات الدفاء ليقول مازحا
بمنطقية

((استديري حتى أنزل السحاب لك من الخلف.. لن تستطيعي
الدخول بفستانك هذا هكذا لدورة المياه))

وبدون أن تستوعب جالا ما يفعله خلع عنها سترة بدلة الزفاف
لتنشعر وكأن قشعريرة باردة تسري في جسدها عندما امتدت
كف يديه ومررها لينزل بها ببطء على ذراعيها العاريتين..

تلاشت ابتسامة مراد وهو ينظر لنحافة ذراعها المقشعرتان
بوضوح..

فابتلع ريقه وابتعد كفه بتردد عنها خاصة عندما شعر بنفور منها
جاهدت ألا تظهره جراء لمساته لها فتوقف..

وفجأة مسك كتفها ليلف جسدها للخلف ويبدأ بفك رباط البدلة
لينزل سحاب الفستان ببطء ومع كل لحظة تمر عليه يشعر
بصدره يهيج بمشاعر هادرة.. وقلبه كالطبول داخل أضلعه..

ما إن شعرت به ينتهي من إنزال السحاب وبات جزء كبير من
ظهرها مكشوف له حتى مسكت الفستان بيديها من الأسفل
لترفعه ويسهل من هرولتها السريعة نحو غرفة النوم لتغلق
الباب خلفها هادرة بخرج من وراء الباب

((سأغيره بالداخل هنا.. شكرا لك))

تسمر مراد مكانه مندهشا وهو يراها تختفي فورا من أمامه..

مرر أنامله بشعره الفاتح وقد توقع أن الأمر سيطول وقته
وسيتطور للحظات أكثر عاطفية..

لكن سرعان ما ارتسمت تلك الابتسامة الدافئة من أعماق قلبه
على وجهه وهو يجلس على الأريكة شاردا بعقد قرانها الذي
تلاه حفل زفافه هو وجالا والذي انتهى قبل قليل..

نعم.. حفل زفافه هو.. وجالا..

بفقرة رقص العروسين كان كلاهما يتمايلان معا على أنغام
الموسيقى الهادئة وسط القاعة..

ابتسامته هذه كانت نفسها مرتسمة عليه أثناء رقصهما ولم
تفارقه طوال الوقت خاصة حينما تلقتي عيناه بعيني جالا
اللامعتين فتتورد خجلا وتكمل الرقص منكسة وجهها للأسفل..

هل لو تم إخباره سابقا أن تلك المراهقة الجامحة يمكنها أن
تتورد بهذا الشكل الخاطف للأنفاس كان سيصدق؟

عبس فجاءة عندما خطرت على باله فكرة أنه هذا التورد من
الممكن أن يكون رأها أحد غيره.. مثل كارم..

لكن سرعان ما هز رأسه برفض وهو يبعد عنه كل هذا
الأفكار.. ليس الآن.. وبهذه الليلة..

كما أن كل ما سبق لها مع كارم كان أخره أيام المراهقة وهي
لم تره منذ أكثر من خمس سنوات..

فكارم لم يأتي طوال هذه المدة للبلاد إلا لزيارة قصيرة كانت له
قبل فترة وتم فيها مسألة تحررها منه بشكل رسمي كما أخبره
والده..

بالنهاية هو ليس له علاقة بماضيها..

يخصه كل ما يتعلق بجالا بدءا منذ أول ليلة تكون على ذمته..
أي كل ما له فيها يبدأ من الليلة هذه فقط..

فك مراد ربطة عنقه بارهاق وخلع حذائه ليرتدي خفا منزليا
موضوع من قبل إدارة الفندق داخل خزانة الأحذية..

ثم قفز يستلقي على الأريكة بسعادة وهو يستعيد ذكريات الحفل
مرة أخرى..

لا ينكر أن عليه أن يكون مدينا لسهر لإجباره على أخذ
حصص رقص تعليمية عند مدرب مختص لنوع من أنواع
رقص الزفاف الهادئ لمدة شهر كامل..

ولم تتوقف سهر عن إزعاجه إلا بعد أن تأكدت احترامه
بالرقصة وإتقانه التام لها..

والا لم يكن سيحظى بهذه اللحظات التي لا تُنسى مع جالا..
لحظات خيالية عاشها وكأنه معها بعالم آخر..

تم بناء على أوامر سابقة من قبل سهر لإدارة الفندق بأن يتم
تشغيل موسيقى لاتينية بطيئة أثناء رقص العروسين البوليرو
على الرغم من أن العديد من الأغاني البطيئة الشائعة كان من
الممكن أن تكون مناسبة أيضًا..

حتى ولو لم تستطع جالا أن تواكبه بشكل ممتاز كسهر وبدت
كالبلهاء حد استغراب جميع النسوة بكونه أول عريس يتقن
الرقص أكثر من عروسه..

لكنه مراد بهذه اللحظات تناس كل شيء سواها هي.. فقد أراد
أن يعيش لحظته معها بانسيابية وجمال..

حيث تكون هي جالا فقط بعيدا عن قصة هروب سهر بصباح
هذا اليوم..

فمهما بدا صلبا ورافضا من داخله فكرة زواجه من سهر
بالسابق..

إلا أن هروبها اليوم وهو يوم زفافهما المُفترض كان بمثابة
كسر وإحراج له ولعائلته سببته لهم وعلى شكل ندبة ظن أنها
ستبقى معه وتلازمه لأخر حياته ولا يمكن لأثرها أن يتلاشى
مهما مر عليه من الزمن..

لكن.. من توقع أن حدوث مصيبة فوق رأسه يمكن لها أن تكون
خير له؟

ابعد عن عقله كل ما يتعلق بسهر الحقيرة وهو يزفر بوله
ويتذكر نهاية رقصته مع جالا عندما قرّبها منه أكثر ليهمس لها
بإثارة وعينية تتشعب بتفاصيل وجهها وخطها

((جالا.. هل وافقتِ على عرض الزواج بقناعة أم ماذا؟))

حينها همهمت بابتسامة وبتمنات لا يذكرها وهي تخفض
رأسها كما تفعل كلما رأته يختلس النظر إليه..

ليمسح بإحدى يديه على وجنتها برفق هادرا بوله غير آبه
لنظرات الجميع حوله

((ابتسامتك جميلة))

فعاد يتورد وجهها وكم عشق هذا التورد منها وهو لم يسبق
وظن أن الخجل يمكن أن يكون مرتبطا بها بأي شكل من
الأشكال..

جفل مراد فجاءة على صوت خروجها من الغرفة ففتح فمه
وقبل أن تخرج الكلمات منه كانت تهزول وهي تلبس روب
الحمام نحو دورة المياه وتعلق الباب ورائها بعنف بدون أن
تترك له أي مجال لحديث أو سؤال..

ما إن دخلت جالا دورة المياه حتى أقلت الباب ورأيتها.. خلعت روبها وهي تستعد لأخذ حمام وهي تزفر بضيق..

نظرت للمرأة الكبيرة فوق المغسلة.. لتحقق بشكلها المنعكس عليها وشفقتها ترتجفان بلا سبب..

لا تصدق أن اليوم ستنام بعيدا عن عائلتها وبيبتها وغرفتها مع رجل غريب..

الحقيقة أنه ليس غريبا تماما فهناك صلة قرابة بينهما فضلا على أنه يصادف وبدنا من هذه الليلة سيكون زوجها..

شعرت جالا بنفسها تنزل رأسها للأسفل ودموعها تنزلق فتكنم شهقاتها بكفيها حتى لا يسمعها مراد..

ثم ورغما عنها جثت على ركبتيها في محاولة للسيطرة على ارتعاش جسدها كلما تتذكر حقيقة أنها الآن متزوجة..

بمجرد أن انفردت معه بمكان واحد شعرت بنفسها تعيش بكابوس لا تعرف إذا كانت ستفيق منه في أية لحظة..

خائفة.. ومرتعبة من فكرة الزواج حتى ولو أنها أرادت أن تتزوج منه أو من أي شخص آخر..

فتحت جالا صنوبر الماء وأخذت تغسل وجهها من الدموع..

سكنت فجأة عندما سمعت صوت مراد من خلف الباب وهو يسألها بقلق بعد أن سمع صوتًا لم يكن متأكدًا انه يشبه البكاء

((جالا.. هل أنت بخير؟))

مسحت دموعها عقب أن حاولت أن تستجمع نفسها لتهمس بصوت متحرج

((نعم لا تقلق.. لكن ربما أتأخر بالداخل حتى أغسل شعري
جيدا من كل ما هو عالق به من إكسسوار ومنتجات تم وضعها
عليه))

ابتسم على كلامها المتذمر ثم رد بهدوء

((لا بأس جالا يمكنني انتظارك حتى تنتهي.. خذ وقتك بقدر ما
تستائين.. لكن توضئي قبل أن تخرجي حتى نصلي معا))

فردت عليه بهمس وهي ما تزال تحاول استعادة نفسها

((حسنا))

بعد ساعتان.. في مطبخ جناح الفندق..

سحبت جالا مفرشاً تفرشه فوق الطاولة ثم وضعت صينية
المحشي الساخن بعد أن سخنته لتعبق رائحته المطبخ كله
ويزيدها شهية وجوعاً لتبدأ بالأكل بشراهة..

فمنذ الصباح لم تضع شيئا بجوفها إذا استثنت لقمة واحدة من
قطعة الكعك الصغيرة التي أطعمها لها مراد بالحفل..

على الأقل عليها أن تكون ممتنة لحماتها لتجهيزها عدة أطباق
منزلية ووضعتها بالثلاجة من أجل اليوم والغد..

في البداية وبمجرد أن سمعته بطرق الباب عليها ويسألها إذا ما
كانت قد أنهت حمامها خرجت فوراً وبدون أن تنتظر إليه لغرفة
النوم وأغلقت الباب وراءها..

ليعتقد مراد حاجبيه ثم يدخل دورة المياه ليغتسل هو الآخر..

وبعد أن غيرت ملابسها ارتأت أن تبقى بالمطبخ طوال الوقت..

وها هي هنا بالفعل حتى لا تتلاقي مع مراد عندما ينهي حمامه
وتشاهده يقف أمامها نصف عاري..

فجاءت قطعت أفكارها وهي تجفل على مراد الذي وجدته قائفا
عند باب المطبخ يراقب طريقة أكلها وابتسامته مكر ترتسم على
وجهه وبعينيه ذات اللون البندقي اللتان تبرقان لها..

بدا وكأنه يكتّم بداخله ضحكة غريبة على شعرها المبلول
المنثور بفوضوية على كتفها وظهرها..

فلقد نشفت شعرها اللبّي وتركته كما هو فأصبح هكذا بالرغم
من أن الوضع طبيعي له أن يكون ناعم ورقيق..

احمر وجهها مخضباً فتجاهلته وهي تكمل طعامها بهدوء
وانزعاج من طريقة مراقبته لها ولما ترتديه..

كانت ترتدي منامة ثقيلة شتوية ذات أكمام وألوان معقدة داكنة
والتي تفتقر بشكلي كلي لطبيعة ألوان وملابس العروس أو
بالأنوثة ككل..

وهو لم يهتم فعليا بما تلبس وهو يفكر بأنه أمر أقل من عادي
ولا يحق له حتى الامتناع فيكفي أنها لم تتجهز كأبي عروس
كغيرها..

قهقه ضاحكاً على تعابير وجهها عندما وجدته يسحب طبقا
فارغا ثم يتجه نحوها ويجلس مقابلها على الطاولة ليشاركها
بالأكل معها..

زاد توترها ولكنها حاولت أن تبتلعه وعادت تأكل بنهم أمامه
وكانه لم يسبق لها وأن رأت طعاما أمامها..

بينما هو أخذ حبة من المحشي ووضعها على الطبق الذي أمامه
وبدأ بأكله شيئاً فشيئاً وبهدوء منافي لشراحتها وكل لحظة ينظر
لها خلسة باستمتاع بين كل لقمة وأخرى وإذا رآته متلبسا ينظر
لها ترمقه بتقطيبه خفيفة..

انزعجت وهي تسأل نفسها لم ينظر لها؟

أن كان يأمل منها أن ترتدي له منامة حريرية فهو يحلم.. لأن جوارحها كلها ترفض ذلك.. رغما عنها.. لتحمي نفسها..

من المستحيل أن ترتدي احدى المنامات الحريرية الفاضحة جدا التي اشترتها أمينة زوجة والدها أمينة لها اليوم لها..

أغمضت جالا عينيها وهي تبتلع ريقها.. من حسن حظها أنها وضعت بعضا من ملابسها البيئية العادية..

ساد الهدوء أرجاء المطبخ لمدة وهما يتناولان الطعام حتى قطعتة جالا هادرة عقب أن ابتلعت لقمته بقوة

((متى سنتتهي إقامتنا هنا بهذا الفندق؟ أخبرتني أمي أن اذهب معها لتشتري وتجهزي لي هي بنفسها ما احتاجه وينصني))

انعد أحد حاجبيه.. فسحب حبة محشي أخرى وهو يسألها

((ولم ستذهبين مع والدتك؟ ماذا افعل أنا؟))

هزت كتفها لتقول بتلقائية

((أنا بحاجة لأمرأه.. وبالتأكيد أنت لا تتوقع مني أن اصطحب والدتك بدلا عنها! بجانب أن أمك بدت فعلا تكرهني بشكل واضح))

شعر بالغضب يتصاعد له لكنه تمالك نفسه ليغمغم بضيق

((يا إلهي! نفس أسطوانات سهر تتكرر الآن ولكن على لسانك أنت! ألا يوجد بهذا العالم امرأة تشعر بأن والدها زوجها لا تكرها؟))

عرفت جالا أن سهر هي اسم تلك التي هربت اليوم..

فوالدته لم تكف عن التكرار منها أمام النسوة وحتى أمامها بلا
خجل بقصد إذلالها والتنقيص منها بأنها هي جالا جميلة ولكن
ليست بجمال وجاذبية سهر..

حاولت جالا أن تفتح فمها لتشكو له عن والدته لكنه قطع حديثه
هادرا

((يكفي هذا ليس موضوعنا.. كما أن كِسوتك من المفترض أن
تكون عليّ أنا زوجك.. وبسبب ظروف زواجنا سنشتريها بعد
الزواج فلا بأس.. وآه صحيح.. نسيت أن أخبرك أن والدي فتح
حساب بنكي لكي ووضع فيه مهر ك كاملا))

لم تجبه وتجاهلت كلامه ثم سحبت ملعقة ودستها بالأرز لتأكل
بسرعة أكبر ملعقة وراء ملعقة دون توقف..

رفع مراد حاجبية وود أن يخبرها بأن تتمهل أكثر..

شعر بالذنب لما قاله أمامها وربما بالغ برد فعله.. فما فعلته امه
ليس بقليل بحفل الزفاف..

ولكن ردة فعله المتسرفة والعنيفة كانت بسبب شدة ما تعرض
له من قبل سهر من كم الأوامر والتحريضات التي أصدرتها
ضد أمه وبأن عليه ألا يجبرها حتى بالتواجد مع والدته بنفس
المكان.. بحجة أنها تكرها..

تتهد مراد ليرد ف مباشرة بما يستدعي انتباهها

((طبعاً بمساء غدا سنأتي موعد طائرتنا لنسافر لسانتوريني
باليونان لنقضي شهر عسلنا.. أساساً سهر أصرت على اختيار
اليونان بالذات حتى تستمتع بالتسوق هناك خاصة أنها تتميز
بأسعارها المعقولة إلى حد كبير))

كان فمها مليئاً بالطعام حين رفعت رأسها تسأله بتفاجئ

((لا افهم هل سنغادر خارج البلاد؟ لم يخبرني أبي أبدا بشيء
من هذا القبيل))

لينظر إليها قائلاً بشقاوة قبل أن يمد يده ليتناول أمامه

((بالتأكيد سنغادر.. اشتريت منذ مدة تذكري الطائرة وتكاليف
كل شيء وسيكون مضيعة للمتعة والنقود إذا فوتناها))

سحبت جالا أخر حبة محشي من أمامه وقضمت أكثر من
نصفها داخل فمها ثم قالت وهي تتبلعها بعفوية همجية وتهز
كتفيها

((لا أدري.. لكن لم يسبق لي وأن سافرت بطائرة حتى))

تنهد بإيجاز وهو يقول بصراحة

((لأكون صادقا معك لم يسبق لي وأن سافرت لليونان تحديدا..
لكن سهر زارتها مع عائلتها أكثر من مرة.. وأقنعتني بها بكل
صدق.. يمكننا هناك أن تستمتع بالمعمار الجميل لليونان
باللونين الأزرق والأبيض والشواطئ الساحرة لليونان
والاستمتاع بوجبات السمك الشهية واللذيذة))

لم تركز على أي من كلامه إلا على اسم سهر.. سهر.. سهر..
سهر..

لقد أكد لها عندما سألته على الهاتف إذا كان هناك أمل بأن يعود
لها فأجابها فوراً وبلا تردد بل بنفي قاطع بأنه لن يكون فيه ذرة
رجولة لو عاد لفتاة تركته بليلة زفافهم..

وضعت جالا رأس البصل الأخضر بفمها وقضمته بعنف
وغضب وهي تقسم بداخلها أنها لو رائته يتواصل بأي وسيلة
اتصال مع تلك المدعوة سهر فستقطعه إربا..

لم تنتهي من فداء لتخرج لها سهر..

قُبيل أذان الفجر بقليل..

كانت جالا بغرفة النوم تنام على السرير الكبير لوحدها تتقلب فيه دون قدرة على النوم..

ما تزال لا تصدق كل شيء.. هي تنام بمكان غير بيتها.. مع رجل غريب بصفته زوجها..

زفرت جالا بضيق وهي ترى مستقبلها أمامها مبهما..

فقد تبدل كل شيء في حياتها وبفارق كبير منذ أن قررت أن تتهور وتتزوج بشكل سريع من شخص لا تعرفه جيدا وكيف ستتعامل بوضعها معه.. فهو لا يعرف كل شيء عنها مثل كارم..

صحيح أنه بعد أن انهيا صلى الاثنان ركعتان للزواج دخلت هي هذه الغرفة لوحدها وقبل هو أن ينام خارجا على الأريكة..

لكن بالتأكيد لن ينجح الأمر دائما بأن يناما بشكل منفصل..

اليوم استطاعت الهرب من مراد ولكن كيف ستتصرف بما تبقى من أيامها معه؟

مراد اقترب منها اليوم إلى حد خطير جدا بالنسبة لها..

ما تزال الشرارات الكهربائية جراء لمساته تسري في جسدها حتى وهو ينام عنها بعيدا ولأمتار.. حتى كارم لم يسبق وان اقترب منها هكذا..

شعرت بالراحة والبهجة عندما تذكرت كيف صلت معه جماعة وكيف أوقفها عندما حاولت مباشرة أن تفر من أمامه ثم مسكها من ذراعها لتتنفض بذعر كمن أصابها كهرباء انبعثت في

جسدها وهي تبعد كفه عن ذراعها هامسة له بجفاف والارتعاش
يتمكن منها وينتقل له بشكل لا أرادي

((أريد أن أنام الآن.. أنا مرهقة جدا.. أرجوك))

حينها أراحها كونه كان مراعيًا لها وهو يرد عليها بابتسامة
بدون أن يعتبر مراعاته خنوعًا وانعدام رجولة

((جالا لا بأس اعلم أن زواجنا لم يكن عاديا لذا أعذرك.. لك
كلّ ما تحتاجينه من وقت حتّى تهدئ وتسترخي ولا تخافي..))

وينفس الجناح لكن خارج غرفة النوم تحديدا بالصالة..

حيث الأجواء دافئة بخلاف الأجواء الصقيعية خارج الفندق..

تمدد مراد على الأريكة المريحة وهو يرمق السقف بشرود..

كان هناك بالزاوية إضاءة خافتة تنعكس عليه وتعطي المكان
أجواء أكثر هدوء عكس الصخب بداخله..

زفر بغیظ وهو يشد الغطاء الثقيل على جسده..

يجبر روحه على التفكير بمنطقية وواقعية بعيدا عن التعقيد في
هذا الزواج والتي تخبره بأنه ما زال مبكرا على فكرة اقترابه
منها..

ليس وكأنه تزوجها زواج ورق لا يرضي العقل لكن عليه
التمهل..

كل ما هما بحاجة إليه هو فترة الأسبوعان اللتان سبقضيانهما
بفترة غسلهما حتى يتألّفا أكثر على وجود بعضهما..

وبعدها يعرف كيف سيذيقها حبه.. وكيف سيبيدل كل كلمة
وحركة ولمسة وهمسة ترعرعت بداخله طيلة سنوات قديمة
لأجلها..

حتى ولو أنه بوقت من الأوقات دفنها بداخله.. ولكن زواجهما
سيجعل تلك البذور المدفونة تعود لتنبث من جديد ويستدعيها..

أتكأ مراد على جانبه وهو ينظر بابتسامة جانبية لباب غرفة
النوم التي تقع جالا بداخلها..

من كان يصدق أن جالا التي بدت اليوم بقمة الأنوثة والنعومة
هي نفسها تلك المراهقة الصبيانية الجامحة..

لقد أصبحت شابة جميلة تميل للاهتمام بملابسها وقوامها
وزينتها..

بعد أن كانت في طفولتها تميل إلى التشبه بالفتيان في الملابس
والحركات.. بل في تصفيف شعرها أيضا..

انطلقت ضحكة خافته منه وهو ما يزال يذكر كيف كانت
بطفولتها تلعب ألعاب الصبيان..

لا يزال يذكر تلك التفاصيل عنها..

تحب اللون الأزرق.. تعشق شخصية سبايدر مان.. تسخر من
الفتيات من جيلها ممن يحبن الباليه..

يتذكر أنه كان يُجن كلما يراها تلعب بالشارع مع أولاد الحي
كرة القدم والذين هم نفسهم زملاء دراسته بدلا من أن تلهو مع
دميتها في البيت لتطعمها وتلبسها كغيرها من الفتيات..

لمعت عيناه وهو يتذكر إعلانها المباشر بكرها له بصغرهما
أكثر من مرة لأنه كان دائما ما يفتن عنها لوالدها ويخبره أن
ابنته تحب الأولاد وتريد اللعب معهم وتحب الرجال
ومخالطتهم..

فيتطلع والدها له بقلة حيلة ثم يخبره أنها مسؤوليته وعليه ألا
يسمح لها بالخروج فهي ابنة عمه حتى ولو لم تكن من الدرجة
الأولى لكنها تحمل نفس أسم عائلته..

قال له والدها بصغره بأنه هو ووالدتها يأسوا منها فهي دائما ما تتحرك كثيرا ولا تجلس وتتعب مدرستها بعنادها ودائما ما تحاول لفت النظر لها..

لكنه كان ومنذ صغره عصبي ولا يقدر أن يجاريها بكل مرة خاصة مع تقلبها الشديد الذي تتمتع به.. تنور وتتفعل على أشياء تبدو تافهة له ولكنها تمثل لها أمرا جلا..

تنهد بتعب.. فهو أن كان فعلا عرف شيئا عن جالا فهو أنه بالرغم من أنها لا تسمع الكلام كثيرا.. لكنها تأتي بالحب..

ربما لهذا كانت تلاحق من صغرها ابن الجار الأحمق ذاك وتحاول دائما لفت نظره بوسائل شتى واقتناص الفرص لتتحدث معه ووضع مساحيق التجميل كالمهرجين أمامه..

فكارم كان يعرف كيف يحتويها..

اشتعل الغضب بداخله فجأة كغابات مشتعلة ليعتدل من مرقدته بعنف وهو يزفر بضيق..

ما يفعله خاطئ وعليه أن يتوقف ومنذ هذه الليلة بالتفكير بكل هذا..

فكل ما بينها وبين كارم هو طفولة غيبية مشتركة.. وفيما بعد كانا خاطبين بلا عقد.. كما كان هو مخطوب لسهر..

لا حق له محاسبتها على خطبتها منه..

وبلحظة وجد عينيه تمران على غرفة النوم المغلقة.. كان الهدوء شديد والظلام ينتشر حوله..

شعر بتوتر عميق داخله..

لقد أخبرها بأنه لا بأس بتأجيل الأمر فيما بعد والانتظار حتى تستعد لكنه أبدا لم يقصد أن يسمح لها أن تنام بمكان منفصل عنه..

الغبية.. سرعان ما أخذت كلامه بتأجيل الأمر ببهجة لتتلاشي من أمامه وترمي له هذا الغطاء بل وتغلق عليها بالمفتاح خلفها وكأنهما شخصين غريبين لا زوجين..

عقد حاجبيه وهو يقسم أنه بالليلة التالية ومهما حدث سينامان بغرفة نوم واحدة وعلى سرير واحد..

ثم دفن نفسه بعنف بالأريكة وهو يسحب الغطاء الثقيل ليدثر جسده كاملا..

=====
=====

اليوم التالي..

بوقت الظهيرة ذهبت تمارا والدة سهر لمقابلتها بأكمل أنافتها وزينتها كأي لقاء عادي بين أي صديقتين..

وكانه لم يحدث وأن هربت ابنتها أمس وقبل زفافها بقليل لتخفي بلا أثر مخلفة ورائها فضيحة سنتر غرد لها النسوة ولن تعتقها الألسن الراقية حولها لسنوات..

بالمرة الأولى عندما هربت من خطبة عماد تم تدارك الأمر.. لكن هذه المرة فهي تشك بذلك مع عائلة الدال..

ارتجلت تمارا من سيارتها بعد أن فتح سائقها الشخصي باب السيارة لها وخطت خطواتها على مهل ورقي وهي ترتدي كعابتها إحدى كعوبها الفخمة من إحدى الماركات المعروفة بالرغم من كبر سنها..

وما أن فتحت تمارا باب المقهى الراقى وخطت للداخل حتى
وقعت عينيها على ابنتها سهر الجالسة بمفردها على إحدى
كراسي طاولة موضوعه بزواوية المطعم..

فتحت تمارا عينيها على اتساعهما وهي تمد يدها على فمها
تشهق لا إراديا..

ثم ما لبثت برهة حتى أسرع لتتقدم لطاولة سهر بتساؤل
هامس مصدوم

((سهر.. لقد بحثت أنا والدك عنك كثيرا.. أين أمضيت ليلتك
بالأمس أيتها العروس الهاربة؟))

رفعت سهر رأسها لأعلى تحديق بوجه أمها بجمود.. وبلا أي
تعابير..

فبادلتها والدتها النظرات المدققة والمتفحصه لهيئتها..

كانت ابنتها بحالة مزرية.. محياها بدا مرهقا منهكاً.. عينيها
متعبتان..

ترتدي كل قطعة من منامة منزلية مختلفة عن الأخرى
كالمتشردين وبذوق لا يتناسب مع فخامة المكان الذي تجلس
فيه..

نظرت تمارا لقدمي بنتها لترها ترتدي خف بلاستيكي بشكل
كارثي..

أسبلت سهر أهدابها وهي تدلك ما بين حاجبيها بأصابعها
وتجيب بهمس مرهق

((تحدثين يا أمي وكأنك لست أنت من دفع النقود أمس لرأفت
مقابل ألا يتهور ويتزوجني ويتركني وحيدة ويهرب مني))

زفرت والدتها هي الأخرى بإرهاق مماثل لتنهار جالسة بالمقعد
المجاور لسهر..

بعد دقائق مرت عليهما بقيت سهر تتجاهل وجود والدتها شددت
كوب القهوة أمامها لترتشف آخره وبصوت مسموع بينما تكتم
والدتها غيظها وغضبها من طريقة شربها بهذه الطريقة
الغوغائية حتى أكثر من فكرة هربها بالأمس من يوم زفافها..

لكن سهر استمرت تحافظ على برودها أمام والدتها باستفزاز..
لتهتف تمارا وهي تركز على أسنانها

((أيتها الغبية بعدما نبذك ذلك الأحمق رأفت بناء على طلبي
فقدت إترك نهائيا.. تواصلت مع كل صديقاتك ولم تعرف
إداهن بمكانك.. أين كنت يا سهر! عليك أن تتوقفي عن هذه
الأفعال الرعناء فأنتِ شابة من عائلة محترم ولها اسمها))

خرجت من سهر ضحكة خافتة لتجيبها بسخرية مريرة

((ربما يا أمي لو كان تعاملك مع سها وعائلتها بالماضي تعامل
خالٍ من التحقير والتعالي على مستواهم الاجتماعي والمادي
لأخبرتك سها عند اتصالك أمس بها أنني بالفعل تسلمت لبيتها
وأنام بغرفتها وعلى سريرها رغما عنها.. تخيلي أنها فضلت
أن تتحمل وجودي وليلة كاملة ببيتها وبغرفتها وعلى سريرها
بينما تنام هي على الأرضية على أن تفوت فرصة التشفي بك
وأنت تبحثين عني بلا جدوة! للأسف يا أمي.. ما دمت تتعالين
على الكل بهذه الطريقة.. فلن تجد أحد عونا لك وقت الحاجة))

ثم كتمت سهر بصعوبة ما تبقى من ضحكتها حتى لا تغضب
أما أكثر.. لترد أمها تونبها بسلاسة

((اصمتي يا سهر.. أنا أفعل دائما ما هو لمصلحتك.. لا يمكنك
تكوين صداقات مع أي أحد.. عليك مرافقة الناجحين حتى تكون
فرص نجاحك أكبر.. كما عليك انتقاء أصدقائك بعناية.. رافقي

فقط من هم أكثر منك تميزا.. لتجدي نفسك تلقائيا منجرفة نحو
الأفضل))

أرادت سهر أن تكمل وصلة سخريتها على كل كلمة خرجت
من فم والدتها ولكنها تراجع لتشرذد كوب قهوتها الفارغ إلا
من بقايا القهوة..

حدقت والدتها بها مرة أخرى وبتمعن أدق..

وجه سهر يبدو بالفعل ذابلا ومرهقا جداً.. كأنه يكشف عن كل
خلية تتصارع الآن بداخلها..

لا شك أنها نادمة على الهرب من زفافها وترك مراد الدال
لغيرها وتبكي الآن خبيتها وخيبة اختياراتها.. لكن قوتها التي
تتخلل ملامحها ترفض فضحها..

تتهدد تمارا بضيق لتشرذد هي الأخرى أمامها للحظات قبل أن
تنتبه على صوت هاتفها فترفعه وتتنظر إلى شاشته بخواء قبل
أن تجيب بهدوء على صديقتها التي تعتذر لها على الخط بجرح
عن تأخرها فتنشغل كلتاها بالحديث..

بينما عقل سهر شارذ بأحداث بدأت مع حفل خطوبتها..

الحق يقال.. مراد لم يقصر نحو طلباتها أو طلبات أمها بأي
شيء..

وهي أيضا كانت تقوم بدورها بشكل طبيعي في حفل خطبتها..

حتى رأت رأفت بكاميرته لأول مرة بحياتها.. ووقعت بحبه من
النظرة الأولى بتلك اللحظة..

ماذا عساها تفعل؟ هي بالفعل أعجبت بمراد بالبداية..

لكن رأفت هو أول رجل منذ قدومها لهذه المدينة لفت انتباهها من
اللحظة الأولى التي رآته بها.. ليشغفها إعجابا.. ثم عشقا..

لا تعرف كيف.. كل شيء حدث بثوانٍ وبسرعة.. أسرع من أن
تستطيع مواكبته..

تذكرت آنذاك حفل خطوبتها لمراد قبل شهرين بنفس الفندق
الذي كان من المفترض أن يُقام زفافهما أيضا..

رأت هناك رأفت الذي كان يقوم بمهمة تصوير الحفل فطلبت
مقابلته بعد حفل الخطوبة مباشرة..

تبادلا أرقام بعضهما وتحدثت معه خلال فترة خطوبتها..

لكن عندما طلبت منه أن يتزوجا قبل أن تعقد قرانها بمراد أنهى
علاقته بها فوراً.. فاستمرت بخطوبتها المزعجة مع مراد..

لكنها أصرت على الشركة التي تعاقدت معها أن يكون رأفت
من ضمن طاقم التصوير لحفل زفافها أو تفسخ العقد معهم..

وهكذا قابلته مرة أخرى صباح يوم الزفاف واستطاعت إقناعه
بالزواج عقب أن يترك معداته وزملائه هنا.. والهرب معها قبل
موعد حفل زفافها الذي بُذل عليه الكثير ليكون أسطوريا
بساعات..

بعد أن أنهت والدتها مكالمتها..

خرج صوتها الساخط المتحسر ليخرجها من دوامة أفكارها
المربكة

((لم هربت يا سهر؟ ما الذي لم يعجبك بمراد لتتركه؟ مراد
وسيم ومتقف وابن رجل ذو مكانة اجتماعية ومادية ممتازة.. الم
تخبريني أنك أحببته أيضا؟))

هزت سهر كتفها وهي تقول ببساطة

((لا أدري يا أمي.. بالبداية قارنته مع عماد فكان مراد أفضل منه بأشواط كثيرة.. لقد وجدت أن مراد مناسب لي ولكني أظن أنني لم أحبه فعلا))

نظرت سهر إلى وجه أمها الشرس والتي كانت على وشك الافتراس بها..

فتسلل بعض الغضب إلى وجه سهر لتردف بلا مبالاة ظاهرة أكبر وهي تحاول شرح موقفها

((أمي.. أفهميني.. في البداية كان تفكيري مضطربا بسبب ما حدث معي بخطبتي السابقة مع عماد.. فكنت أريد شابا بسيط أحيى معه حياة بسيطة.. لكن وقبل فوات الأوان اكتشفت أن الحياة مع مراد ستكون بسيطة بشكل أكثر من أن يناسبني.. لذا أنا لست نادمة ع هروبي))

زفرت تمارا بضيق.. ثم قالت بنفاذ صبر

((لو هربت يا سهر مع شخص آخر أفضل من مراد أو على الأقل يوازيه بالميزات فأقسم أنني لم أكن لانتزع منك أنا ووالدك كما الآن.. لكن أنت بغبانك ضيعتي مراد من يدك لأجل شخص باعك بأرخص الأثمان))

رمقت سهر والدتها بضيق ثم أشاحت ببصرها عنها وكأنها لا ترغب بسماع المزيد عن نفس الموضوع..

لكن والدتها استرسلت بسخرية

((لحسن الحظ المغازلة كانت واضحة بينك وبين ذلك المصور الخسيس أثناء تصوير الفيديو التحضيري للزفاف.. وعندما تركتي لنا تلك الرسالة التي تخبرنا فيها أنك سترحلين وتزوجين من رجل آخر.. تنبأت بسهولة هوية الشاب الذي ستهربين معه واستطعت تدبير رقمه))

تتهددت تمارا ببؤس لتردف وكأنها لا تزال لا تصدق ما تتحدث
به

((تخيلي يا سهر! ما إن اتصلت به لأعرض عليه مبلغا زهيدا
مقابل ألا يتهور ويتزوجك.. وافق بسرعة حتى بدون أن يفاصل
بالمبلغ الذي عرضته عليه.. مع أنه يعرف تحديدا ابنة من
أنت.. ويعرف تماما كم تبلغ ثروة والدك!))

تمللت سهر من مقعدها وقد بدا أن كلام أمها شدها أخيرا..
لتبتلع ريقها..

كانت حدقتها تهتز عندما اقترب برأسها من أمها وهي تسألها
بتردد

((إذن.. وكم عرضتي عليه من النقود حتى يتركني؟))

أجابت تمارا ببساطة

((نفس المبلغ الذي دفعته ثمن هدية عيد ميلاد كلب صديقتك))

همست سهر بنبرة متهذجة ومقلتها تتلأل بالدموع السخية

((يا إلهي يا أمي.. لا أستطيع تصديق قسوتك..))

قاطعتها تمارا بجدية وبنبرة اعلى وغير مسموعة بنفس الوقت
لمن حولها حتى لا تجلب أي انتباه وحاجباها يعقدان

((أنا لست قاسية يا سهر.. لو كنت قاسية عليك فعلا لأخبرتك
بالتفصيل عن ردة فعله.. وبأن الفتى كان على استعداد أن يدفع
هو بنفسه المال لنا حتى نخلصه منك))

انزلقت دموع سهر بصمت.. لترد ونار الغضب تشب أكثر في
عينها

((أمي.. أنا قصدتك أنت يا أمي بالقسوة.. بما أنك عرفتي
بعلاقتي السرية معه إذن فمن المؤكد أنك تعرفين كل شيء

عنه.. تعرفين أن عائلته فقيرة وهو المعيل الوحيد لهم.. وعمله لا يكفي لسد شئنا من التزاماته.. لذلك هو يعمل كمصور بدوام جزئي.. وهو بحاجة لكل قرش ليعين امه المريضة وإخوته الصغار.. كان عليك أن تعرضي عليه مبلغا كبيرا مقابل تركي.. لم اعد أتحمل قسوتك وعدم إحساسك بالناس الأقل حظا بالحياة))

حظت عينا تمارا واتسعنا وهي تفغر فمها أمام سهر.. لحظات حتى استوعبت منظرها لتهز رأسها.. ثم تكز على أسنانها هامسة بغير تصديق على اتهام ابنتها

((أخر ما أتوقعه منك أن تحاضريني الآن.. لا أزلت لا أصدق أنك تركت مراد وهو الصيد الثمين لتستبدليه بمصور حفلات فاشل وحقير قبل على نفسه أن يتحدث ويهرب مع فتاة مرتبطة برجل غيره وتخونه معه!))

استندت تمارا بظهرها على الكرسي لتقول وهي تهز رأسها بيؤس

((ماذا سيقول عنا الناس؟ العروس وقعت في حب المصور من أول نظره وهربت معه من زفافها.. المرة السابقة عندما هربت من حفل خطوبتك بعماد تم تداري الأمر وانتهى بمحله.. أما الآن كل من يعرفنا أو لا يعرفنا عرف بهروبك أمس))

غضبت سهر من سيرة عماد لتقول بحنق وهي تصحح لوالدتها وهي ترفع سبابتها أمامها

((أنا لم اهرب يا أمي من عماد بالمرة الأولى بل غادرت الحفل أمامهم بلا خجل.. خطوبتي لعماد كانت كلها خاطئة.. في البداية لم يكن لدي مشكلة أنه يشرب فنحن نشرب بالمناسبات أيضا.. لكن أن يشرب حتى الثمالة في حفلنا ويتصرف كالمهرجين أمام جميع المدعوين هو ما أفقدني عقلي خلال الحفلة.. لا تغضبي علي يا أمي فأنا حاولت تمالك أعصابي إلى أن قام مع أصدقاءه بالفقر في مسبح الصالة.. صحيح أن أهله تدخلوا وحاولوا

إرضائي بجميع الطرق لكن لم أستطع أن أكمل.. عاهدت نفسي وقتها أنني لن أتزوج من شخص قد سبق له وشرب شرب قطرة لأنه لا ينقصني مدمنين فشلة.. حتى ربما ما أعجبنى بمراد بالبداية تدينه وشخصيته المترنة البعيدة عن العبث والتهور..))

قاطعتها تمارا وهي تقترب منها وتمسح أثار دموعها بمندليها الأبيض.. ومن ثم تمسك يدها بين كفيها هامسة

((حتى ولو يا سهر.. لم يكن يجدر بك أن تستسلمي وتتركهم مهما بدا الأمر لا يطاق.. سهر.. سألتني مرة لما مزقت جميع صور زفافي وأنا لم أجيبك.. الآن.. هل تريدان أن أخبرك السبب؟؟))

بقيت سهر تنظر لوالدتها بجمود لتجيب تمارا بدون أن تنتظر ردة فعل منها وبشكل متتالي وبدون توقف

((السبب باختصار لأنني كرهت حفل زفافي.. زينتي كانت قبيحة.. لم أكن أشبه نفسي.. والدك السكر قد تركني وحدي جالسة لمدة نصف ساعة وتركني أقضي وقتي في الحمام وهو يشرب زجاجة ويسكي كي يتقبل حقيقة أنه يُقدم على خطوة جدية كهذه في الثانية والعشرين من عمره.. أي بعمرك أنت.. لكن تقبلت الأمر وها أنا أمامك ما زلت متزوجة وأعيش مع والدك حياة مرفهة بماله.. ومهما بقي على بعض صفاته القديمة القميئة ولكنه على الأقل ناجح بعمله ويدير علينا الكثير من النقود))

سحبت سهر يدها بعنف من كفي والدتها وأشاحت برأسها عنها..

فهي أدري الناس بحياة أمها الغير مريحة والتعبية مهما كابرت والدتها وتظاهرت بالعكس..

ثم عاودت تمسك كوب قهوتها الفارغ والشروذ به بحسرة على نفاذه..

فزفرت تمارا بتوتر وعصية خارجة عن طبيعتها وبالكاد
تسيطر على أعصابها بهذا المكان العام عندما همست لنفسها
بتذمر

((بالفضيحة! احمدي الله أنه وجد عروس بديلة لك من داخل
عائلتهم والا لكانا تورطنا مع عائلة محمد الدال!))

هذا المرة شعرت سهر بالضيق لتقول بعنف وغضب وهي
تنظر لأمها وتلوح بكفها

((أمي.. أعيدي لهم الذهب الذي اشتروه لي وثمان كل قرش
دفعوه للفندق لحفل الخطوبة والزفاف.. وادفعوا لهم حتى ثمن
شهر عسل إضافي يقضيه مع عروسه.. وليس لهم عنا أي
شيء بعد ذلك))

كانت أمها تقلب عينيها للأعلى بسأم أثناء كلام سهر فهي
تتحدث وكأنها هي من ستدفع النقود.. لتتظر تمارا أخيرا لها
هادرة

((لا تقلقي يا حبيبتي.. لقد عرضنا عليهم كل هذا بالفعل..
وأخذوا الذهب منا والبسوه لعروس مراد.. ولكن لم يقبلوا أخذ
أي نقود مقابل أي شيء على ألا تريبيهم وجهك أنت يا سهر
لآخر العمر هذا إذا أردت أن يحتفظ السيد محمد الدال بشراسته
مع والدك))

رفعت تمارا كفها تمسد ما بين عينيها هاتفة وهل تلوح بيدها
لباب المقهى

((ستصل صديقتي الآن بأي لحظة.. لا أريد منها أن تراك بهذا
المنظر المخزي فتشبعك أسئلة عن ليلة أمس فضولا.. فأنت بعد
فعلتلك أمس أصبحت نجمة الأحاديث أيتها العروسة الهاربة..
هيا.. هيا اذهبي بسرعة للمنزل.. ولا تجعلي أحدا يلمحك.. هل
تفهمين؟))

هزت سهر رأسها بطاعة وهي تقود

((حسنا.. اتصلي على السائق ليقاني للمنزل وادفعي ثمن ما طلبته للنادل.. أنا مفلسة وبالكاد قبلت سها أن تعطيني منامتها هذه لأنام بها وثمان سيارة أجرة لهنأ))

شعرت تمارا بأن عقلها سينفجر وهي تهتف لسهر بعصبية

((أيتها الحمقاء.. كيف تدخلين إلى هنا وأنت مفلسة.. ماذا لو لم أراك؟ كيف كنت ستدبرين أمرك؟))

هزت كتفيها ببساطة لتقول

((اهدئي أمني.. صاحب المقهى يعرفك ويعرف أنني ابنتك.. كما أنني لا أستطيع احتساء قهوة من أي مكان فقط!))

وقبل أن تقف سهر مسكنتها والدتها من ذراعها لتقول أمره

((سهر عودي الآن إلى البيت وضعي بعض الأقنعة الطبيعية على وجهك.. بشرتك مجهدة ومتعبة جدا.. لا تستهيني بالاهتمام بنفسك فقط لأنك الآن صغيرة وجميلة.. العمر يمضي بسرعة وستكبرين.. وأنا لن اسمح لك أن تبقي عازبة لمدة أطول.. الأنثى تقل قيمتها مع مرور السنين..))

زفرت سهر بغیظ وهي تقف على قدميها لتقول بشراسة متدفقة
لأمها

((إذن أمني بالنظر لعمرک فأنتِ وكلامك تقريبا بلا قيمة.. إلى اللقاء))

تأوهات تمارا بقهر وهي ترفع يديها وتهمس لنفسها

((أيتها الغبية.. أنا متزوجة لذا لا يهم عمري))

ثم راقبت تمارا ابنتها وهي تخرج خارج المقهى وتجلس على الرصيف كأنها متشردة تنتظرها لتتصل على السائق ويأخذها حتى بدون اهتمام من أن يراها أحد يعرفها..

زفرت تمارا بضيق وهي تراها خالية من أي رقي سيق وأن دأبت طوال ترسخه بها طوال سنين تربيته لها..

=====
=====

أوقف احمد سيارته بإحدى المواقف القريبة من الجامعة..

لاحظ ارتعاش يديه بتوتر واضح مرخاه على المقود قبل أن ينزل من سيارته..

يتوق الآن للنوم الذي لم يناله أمس بعد أن فشل بإقناع عقله الذي يصر على التفكير بالهدوء والنوم..

لقد خطط بما سيقوله لها بشكل شخصي ولهذا اليوم كثيرا فلا يمكنه أن يتراجع الآن..

خاصة وأنه فكر بكل الاحتمالات التي يمكن أن تحدث بلقائه هذا معها..

فربما ترفض استقباله أساسا.. لكن هناك احتمال آخر أن تكون بداية لإحياء قصة حبهم من جديد.. لذا سيحاول..

اغلق باب سيارته بقوة ليفرغ فيها القليل من توتره ومن ثم اقلعها من أحد أزرار مفتاحه وتابع السير نحو مبنى الكلية الذي يتواجد فيه مكتبها..

بينما هيام المتواجدة بمكتبها كانت تشعر بالإرهاك كثيرا بعد أن قامت بترتيبه بعض الأوراق والملفات المكومة..

أمسكت بملف الأوراق الكبير لترميته على طاولتها إهمال فوق
كومة الملفات المتبقية ثم تنهدت بعمق وهي تضع يديها على
خصريها وتتنظر لكل هذه الفوضى..

الآن عليها أن تنهي كل العمل المتراكم عليها..

جمعت شعرها بخصلها المصبوغة باللون الكستنائي خلف
رقبتها ثم جلست على كرسيها لتأخذ أول ملف أمامها تنشغل
بالاطلاع عليه وأمامها كانت قهوتها موضوعة..

مررت عيناها البنيتان اللتان تتوسطان أهدابها الكثيفة والطويلة
على الملف تتفحصه أكثر قبل أن تغلقه وهي تعجز عن التركيز
أكثر..

شردت قليلا وهي تفكر بزفاف جالا أمس..

لا زالت لا تصدق أن جالا شقيقتها التي تصغرها بعشر سنوات
تزوجت..

من بعد اليوم لن تجد تشاجر معها.. ستخفي نصف روح
المنزل بذهابها..

تنهدت وهي تشعر بأنها تموت شوقا وافتقادا لها ومن الآن..

فجالا هي الأخت الشقيقة الوحيدة لها.. ومهما تشاجرا فستظل
قطعة من قلبها..

تغيرت لمعت عيني هيام وهي تفكر بأنه حتى ولو كان زفاف
جالا بدون أي استعداد مسبق من قبلهم لكنه كان جميلا جدا
وخاطفا للأنظار..

لم يكذبوا عندما قالوا إن يوم زفاف المرأة سيكون يوماً من
العمر..

بالنسبة لها هي هيام لا ينقصها شيء..

فهي إنسانة جامعية ولها وظيفة مرموقة وعلى قدر من الجمال
لكن شعرت قليلا بالأمس بوخيزات بقلبها وهي ترى أختها
الصغيرة تتزوج..

لم يكن في خاطرها أي شيء ضد جالا من حسد أو غيرة.. بل
على العكس كانت فرحة لها اشد الفرح..

ولكن الآن ومع تقدمها بالعمر ودخولها سن الثلاثين قبل سنتين
فأكثر ما يجرحها ويشعرها بالتعاسة هي نظرة الشفقة والعطف
التي تراها في أعين والدها والدتها..

هذا غير الكلام والهمسات والنظرات التي تتلقاها من الآخرين
فالمجتمع لا يرحم ويرى انه لا بد أن يكون بها عيب خلقي أو
نفسي..

وحتى عندما تظهر هيام في المناسبات ويُعجبين بها وبمظهرها
لا بد من أن يوجدن بها عيبا لعدم زواجها أولا فإذا انعدمت
الأسباب لديهن قالوا بأن هناك علة نفسية بها..

والآن سيزيد الأمر سوءً بعد زواج أختها التي تصغرها بعشر
سنوات..

مع أنها هي قررت بنفسها عدم الزواج وباقتناع..

صحيح أن عدم زواجها يبدو كعقاب لها أكثر أن يكون عقاب
لوالديها.. ولكن كيف عساها أن تعيش مع شخص آخر وهي لم
تشف أبداً من حب احمد؟

تتهدد هيام لتعود وتهمك نفسها بالملف الذي أمامها قبل أن
تجفل على طرقات الباب..

نظرت للباب ثم عادت عيناها للقراءة وهي تهتف للطارق بأن
يتفضل..

امتدت يد احمد نحو زر القميص العلوي ليفتحه وقد شعر
بالاختناق..

وما أن سمع صوتها تسمح له بالدخول حتى فتح الباب وهو
يحاول مسح كل معالم التوتر من محياه ثم هدر لها بصوت
دافئ وابتسامة ثقة تعلو محياه

((مرحبا يا زميلة دراستي القديمة))

جفلت هيام وتوقفت فجاءة عما تفعله..

لقد اخترق توا أذناها صوت لا يمكن أن تخطئه مهما مر عليها
من الزمن..

صوته لا يمكن إلا أن يقارن بعينيه الرخاميتين..

لطالما كانت نبرة صوته ذات تأثير عليها ويمس قلبها..

حركت هيام رأسها بصدمة باتجاه الطارق متسائلة كيف حدث
أن يكون أمامها الآن؟

وقفت من على كرسيها وحاجباها يرتفعان بصدمة وحدقتاها
تهتزتان بتوتر بينما تراه يقف عند الباب وهو على ما يبدو قد
ارتدى أفضل حلة لديه..

كان يرتدي بدلة فاخرة داكنة من قطعتين وقميص ابيض
حريري وربطة عنق سوداء منقطة بالأبيض.. بالفعل بدا وكأنه
بذل جهدا على مظهره الذي سيظهره أمامها..

تابع احمد الابتسام بشكل تلقائي وهو يبدو بقمة الوسامة بالذقن
الخفيفة التي تزين وجهه وقد تألفت عيناه الزرقاوين بالفضول
لما تفكر به عنه..

تقدم منها ثم جلس بكل وقاحة وهدوء مستنقر على مقعد
الاستقبال أمام طاولة مكتبها..

استمر الصمت بينهما فقط يتبادلان النظرات وكأن كل واحد لا
يصدق بوجود الآخر بشكل حقيقي أمامه للحظات بدت كأنها
ساعات وشريط الماضي يمر أمامهما..

قطع احمد الصمت قائلاً بهدوء وصوت أجش وهو ينظر
لوجهها الشاحب

((كيف حالك هيام؟ منذ سنين لم أراك))

تغيرت ملامحها لتحقق به وهي تهديه نظرة حارقة قبل أن
تهمس ببرود تسأله

((احمد.. ما الذي جلبك هنا؟))

تمعن بها قليلاً ثم ضحك بخفوت أثار حنقها قبل أن يحاول
التوقف وهو يعتذر عن ضحكه بغير موضعه هادراً

((أنا اسف.. لا أدري حقاً ما بال هذه الذكريات العشوائية تأتيني
الآن))

رمشت هيام بعينيها بسرعة لتسأل بلامبالاة مفتعلة

((احمد هل يمكن اعرف سبب هذه الزيارة المفاجئة؟ كيف
عرفت أساساً بأني ادرس هنا؟))

اطرق احمد بوجهه وهو ينظر أرضاً ليبتسم بحزن قائلاً

((هيام منذ أن افترقنا وأنا لا أغفل عنك.. صحيح أن عملي
ومشاغلي وحروبي بهذه الحياة تتسبني الماضي أحياناً.. لكن ما
أن امر بلحظة هدوء حتى أعود لأتذكر كل شيء كان بيننا))

رفع رأسه وهو يعاود النظر لعينيها البنيتين مردفاً

((أشتاق الماضي يا هيام.. أشتاق لأشياء من ماضينا.. ضحكك
التي أبعدتها الأقدار عني.. وأوقاتنا التي كنا فيها سعداء جداً..

وأشياء كثيرة يمكن أن تعود وربما لا تعود.. أمر عودتها عائد
لنا.. لقرارنا))

لقرارنا! وكان هيام فهمت ما مضمون زيارته هذه وبماذا
سيتحدث..

لكنها بقيت على ملامحها الجامدة لدقيقة.. حتى خرجت كلماتها
حاقدة

((الأقدار لم تفرقنا احمد.. أنت المتخاذل الذي تخليت عني ولم
تحارب لأجلي))

تغيرت ملامح احمد بشكل كلي وأراد أن يحتج على كلامها
لكنها قطعتة فورا بقوة وبعنف

((احمد أخبرني لم أتيت؟ ماذا تريد؟ لا أظن أن لديك أي حوائج
لقضائها هنا.. واي طلب لصداقة أو أي شيء آخر يمكن أن
يعيد صلتنا ببعض مرفوض))

رد احمد بغضب ظاهر على ملامح وجهه وهو لا يستطيع أن
يسمع اتهامها دون دفاع عن نفسه

((أنا لم أتخل عنك هيام.. ولم استسلم إلا بعد أن رأيت إصرار
والدك على رفضي..))

عندما رأى ملامح الاستنكار على وجهها أضاف

((في الحقيقة كنت اعتبر عدم مواجهتك لأهلك هو الخذلان
بعينيه.. كنت اعتبرها خيانة وتخلٍ من جانبك عن كل ما كان
بيننا))

هزت هيام رأسها يمينا ويسارا ترفض ما يقوله لتتصدى له
هادرة بواقعية وهي تطبق على أسنانها

((احمد.. هل يمكنك أن تكون منطقي ولو لمرة؟ لقد طلبت مني أن أوقع على عقد زواج المحكمة من دون علم أهلي لنضعهم تحت الأمر الواقع! مع أنني سبق وأخبرتكم ماذا حل بجارتي التي تزوجت رغما عن أهلها ثم تخلى عنها زوجها فيما بعد ولم تجد أهلها سنداً لها.. لا اصدق أنك حتى بعد مرور سبع سنين على افتراقنا ما زلت ترى أن هذا الحل هو صواب وأن التخلي والتخاذل كان من طرفي.. احمد لو فعلاً أحببتني لكنت خفت عليّ حتى من نفسك ولم تكن لتسمح لنفسك أن تتزوجني إلا مع رضا عائلتي الكامل وأمام الجميع.. لذلك أنا لست نادمة.. لأنه مهما كان الابتعاد عنك قاسي لكن لو فرطت في أهلي فلن تحترمني أبداً.. ولو مثلاً بالمستقبل وقعت مشكلة ما بيني وبينك فإلى من سألجأ؟))

أطبق احمد على أسنانه بضيق.. يعرف أنها محقة بكل حرف..

كيف كان سيرضي لها ما كان لن يرضه لأخته لو كان عنده واحدة!

بقي الصمت بينهم لدقائق قبل أن ينهض احمد من على كرسيه ويتقدم نحو النافذة الصغيرة بمكتبها الصغير يعرض وجهه لأشعة الشمس..

سمع صوت تنهداها قبل أن تهتف له

((أرجوك غادر مكنتي الآن.. ربما يحضر أحد الطلاب أو الأساتذة الآخرين ولن يكون لطيفاً وجودي بغرفة واحدة مع دكتور نفسي غريب كلياً عني فكما تعلم.. أنا أستاذة جامعية هنا ولا أريد أن اجلب أي أقاويل تافه عني يمكن أن تسبب مشاكل (بعلمي))

استدار لها وهو يبتسم لها هادراً ونظرات فخر تشع من عينيه ليقول

((أنا سعيد حقا بإنجازك.. لم أكن اعلم بانك ستسعين لتحصيل
مراتب علمية خاصة وأنت لم تكوني متشجعة أبدا لهذه الفكرة
سابقا بالجامعة))

ردت عليه هيام وهي تهز كتفيها

((نعم.. بما أنني قررت أنني لن أتزوج أبدا.. كانت فكرة
الدراسات العليا معقولة لي بدلا من الجلوس بالبيت وانتظار
دوري بالوظيفة الحكومية.. والحمد لله أنا أصبحت مُحاضرة
هنا))

اخذت ابتسامته بشكل تدريجي ثم قال بصوت ميث وهو يضيق
عينيه مستفسرا

((ولماذا قررت أن تبقي عزباء حتى الآن؟ أنتى ثلاثينية جميلة
وبوظيفة مرموقة.. لا بد أنك مطمع للكثيرين من الخُطاب.. ما
الذي يمنعك من الزواج؟))

كتفت هيام ذراعها أمام صدرها لترفع حاجبيها الأثنان وهي
تجيب بهدوء وببساطة

((إذا قررت أن أتزوج سأتزوج شخص أريده أنا.. لا شخص
يريدني هو))

صحيح ما قالت.. فهي لم تكن ستتزوج إلا من شخص يعجبها
أو تقدر على حبه..

ولأسفها الشديد لم تجد شخصا آخر تحبه بحياتها غير احمد..

أمعن احمد في هذه اللحظة النظر لعينيها وكأنه يبحث عن شيء
دفين بهما يخصه لتشبح برأسها عنه بارتباك وهي تضيف

((حسنا لا فائدة من حديثنا المتأخر هذا.. حديث كان يجب أن
تحدث به قبل سبع سنين ثم نغلقه نهائيا وتحديدا قبل زواجك
من قريبتى الأمريكية الفاتنة))

نظرت له عند آخر كلماته بلوم وقسوة عاشقة ليبعد ملامحه عن
عينها وهو يشعر بالخزي..

من نبرات صوتها كان اللوم واضحا وبشدة.. كم هو حقيير
ونذل..

من بين الجميع تزوج من امرأة تقربها وتحمل نفس أسم
عائلتها..

سامح الله والديه وخاصة والدته.. هما السبب!

ابتلع احمد ريقه وهو يعود ليجلس على كرسيه ويرفع قدما فوق
قدم..

عجزت هيام أن تغلق الحديث معه فداخلها الكثير من اللوم
والكره نحوه حد أن صدرها بهذه اللحظة بدأ يهتاج من الغل
والعتاب..

أكملت كلامها له باتهام

((كنت يا احمد بالكاد أكملت الخامسة والعشرين.. فحتى ولو
رفضت عائلتي أن أتزوجك.. لم استعجلت لهذا الحد الكبير
للزواج من غيري وتحديدًا من قريبي؟ هل تعلم شيئًا؟ لقد
شعرت أنك اتخذت من رفض أهلي لك عدة مرات حجة قوية
للانفصال عني والإسراع لخطبة إيما.. عندما تزوجت منها
ساعات حالي الصحية كثيرا.. سماع خطبتك من إيما وزواجكما
بعد خطبة استمرت لأقل من شهر كان بمثابة ضربة قاضية
بالنسبة لي))

شبهت رغا عنها وهي تحاول إغلاق جفניה لكن دموعها
خانتها وهي تظهر ضعفها فقالت بصوتٍ مختنقٍ حد الموت

((أرجوك غادر بسرعة مكتبي))

ولأنه كعادته مبدع في فن الهروب ما كان منه إلا أن استجاب لها وخرج مسرعا وبشكل غاضب من مكتبها متجها للخارج نحو سيارته يركبها ويضرب مقود السيارة بعنف..

يعلم انه لم ينبغي عليه القدوم ورؤيتها من البداية لكنه غريق بحبها بلا امل في النجاة ويشعر بالوحدة من دونها..

تسرع بالزواج من غيرها كسره هو قبل أن يكسرها..

وبالرغم من نجاحه على الصعيد المادي الذي كان أحد أسباب رفض والدها له إلا انه لم يستطع أن يحب غير هيام حتى زوجته..

هو مستمر في عشقها هي وحدها..

والآن مع قدومه اليوم هنا والتفائه بها لأول مرة بشكل شخصي منذ سبع سنوات فلا يظن أنه سيباعد أبدا..

حتى ذكرياتهم الجميلة عادت لذاكرته الآن خلال سيره في رحاب الجامعة ليكتشف أنها ما زالت على اللوح محفورة..

عندما اقترب احمد من كافيتريا تذكر رائحة الزعتر والشاي الذي كانا يتناولانه صباحا قبل أولى المحاضرات معا.. كانت تربطه معها علاقة عشق غريبة..

شغل سيارته وبدأ يسير بالطرق ليبدأ المطر بالهطول ورغما عنه تذكر أيضًا وكأنه ينقصه المزيد من ذكرياتهما أيام فصل الشتاء الصعبة التي عاشها معها بكل تفاصيلها اليومية..

أيام الجامعة والمواصلات التي كانت متعبة غالبا والانتظار الطويل على الطرقات..

كل هذه الصفات والتفاصيل لحظات جميلة لا تُمحي من ذاكرته..

وهو لا يريد لها أن تُمحي.. فكيف تطلب الآن منه أن يبتعد
وحسب عن حياتها؟

=====

داخل بيت سارا الكبير..

خرجت صوت همهمات راجي التي تعلن استيقاظه من النوم
وهو يشعر ببرودة تتسلل إلى أطرافه لينتبه انه ليس بفراشه
الداقي.. أو ببيته على الأقل..

حاول فتح عينيه متأوِّهاً لكنه سارع بإغلاقهما عندما تشوشت
الرؤية من أمامه وشعر بالألم من دخول أشعة الشمس القوية
عليهما..

حتى بالرغم من أن جسده النائم كان يتعرض لها طوال فترة
نومه التي امتدت لساعات طويلة حتى دخل لعصر اليوم
التالي..

مد راجي كفه لرأسه التي تكاد تنفجر وهو يحاول تذكر ما
أصابه إلا أنه لم ينل إلا ألم قاتل يضرب دماغه..

مرة أخرى حاول فتح عينيه بتشوش وعقله المصدوم يأخذ عدة
صور قبيحة من ليلة أمس أخذت تومض بشكل متتابع أمامه
حتى فتح عيناه تماما ورؤيته تتضح شيئا فشيئا..

رفع أنامله يدلك عينيه وهو ينهض بضيق من على فراشه
المفرد على الأرض بنية إغلاق الستائر السوداء ويمنع أشعة
الشمس من المرور عبر النافذة الكبيرة..

ما إن نظر خلال النافذة التي يريد غلق ستائرهما على الحي
المطل عليه حتى فتح عينيه على اتساعهما وبصمة وهو يمرر
نظراته حول طريق الحي يستكشفه..

بعنف استدار لينظر بالغرفة التي هو فيها وقد أستغرق الأمر
منه لحظات قبل أن يهمس بصمة

((تبا.. أين أنا؟))

أحاط نظراته بكل زاوية بالغرفة المتواجد فيها بجدرانها ذات
اللون الغامق وأثاثها المذهب..

لم يسبق له وإن رأى هذه الحجرة أو يتذكر أنه كان فيها يوما
بحياته..

عاد يهرع يستدير ينظر من خلال للنافذة..

أين هذا الحي؟ هل هو مخطوب؟ لكن.. لحظة..

ألا.. ألا يشبه حي سارا؟

نعم هذا هو حيها الذي وخاصة بالفترة الأخيرة كان هو بنفسه
من يوصلها بما أنها لا تحمل رخصة قيادة حقيقية..

بدأ راجي يلتفت يمينا وشمالا لا يعرف شيئا مما يدور من
حوله..

حتى لمح ملبسه المتكومة قرب الباب لينتبه على أنه تقريبا
عاري الجذع ولا يرتدي إلا سروال داخلي..

وعضلات صدره ظاهرة مع القليل من شعر صدره الباهت
عليه..

اقترب راجي من الباب يلبس ملبسه على عجلة حتى جفل
على صوت بكاء فتاة..

بدا وكأنه صوت سارا..

نفس الصوت الملتاع الذي كان يظهر بكوايبسه أثناء نومه ولكن بصوت أعلى..

ربما الصوت كان هو السبب بنهوضه من سباته الشتوي هذا وقد استمر نومه لساعات..

خطى راجي متقدما عتبة الباب لينظر لأخر الممر ورأى سارا متمددة فعلا بأخر الممر ومتكورة على نفسها وجسدها يهتز بأنين خافت..

كان فوقها غطاء رقيق لا يسترها جيدا فيظهر معظم جسدها منفجر الأثوثة..

لكن لم يلفته شيئا ولم يفكر إلا بالهلع الذي ظل من عينيه من منظرها..

حاول أن يتذكر ما حدث بليلة أمس تماما بلا فائدة..

أقترب منها وهو يخفض جسده لمستواها ثم مد كفيه بارتجاف شديد وببطء ليمسك كتفها ويهزها بعينيه ومتسانلا بلهفة قلقة وبعينيه اللتين تحترقان كالجمر

((سارا.. انهضي هيا.. لماذا تكيين؟ هل فعلت شيئا؟ ماذا حصل بالأمس؟))

سؤال بعد سؤال يسأله إياها كان صوته يرتفع أعلى وأعلى..

ثم شعر بغضب مكبوت وهو يراها لا تجيبه وتستمر بالبكاء مع أنه وعلى ما يبدو أن الغضب ليس من حقه لشيء يجعله قام بفعله..

مد أنامله المرتجفة ليرفع رأسها وينظر لعينيها المتورمتين من البكاء ووجهها الأحمر.. كأنها كانت تبكي من ساعات..

دفعت سارا كفه عنها وهي ترفع ذقنها بكبرياء وتحدي وتتنظر
إليه للحظات مرت عليه كساعات..

نظراتها كانت له باردة.. جليدية.. وكأنها تنتظر لجلادها..

نظراتها أربكته ودبت الرعب فيه ليجد نفسه يبتعد عنها وهو
يفغر شفتاه..

جاهد نفسه وحاول أن ينطق أي شيء يتوسلها فيه أن تخبره
ماذا حدث لكنها صاحت به فجأة

((ألا تعرف أيها الحقير؟ لقد سكرت حد الثمالة بالأمس
وانتهكت براءتي.. نعم.. لقد خسرت عذريتي بسببك!!))

هز راجي رأسه بنفي لا يصدق حرفا من كلامها..

من المستحيل أن يكون فعل ما تقوله!

خافت ملامح سارا وهي تراه يتحول بشكل سريع لردة فعل هي
آخر ما توقعته وهي تراه يصيح بغضب بعينيه الجاحظتين بينما
يمسك بكتفها بقوة

((كاذبة.. أنت كاذبة.. هيا قولي ماذا حدث؟ قولي الحقيقة.. فقط
الحقيقة))

تخلصت سارا من قبضته بعنف لتخبره بشراسة وكان الضعيفة
التي كانت تأن قبل ثوانٍ لا تمت لها بأي صلة

((مهما أنكرت يا راجي فهذا ما حدث وهذه هي الحقيقة.. لقد
كنت مغفلة وصدقتك كلامك بأنك من المستحيل أن تقرب
الخمير.. لكن ما حدث أنك شربت بنفسك كأسا ضخمة.. وعندما
حاولت أن أساعدك وأجعلك تقر بعنوان منزل ليوصلك السائق
لم تجيب.. وبدلا من أن ادعك تنام بالشارع تطوعت لأدعك تنام
بمنزلي ولم أكن أتصور وحشيتك.. أيها الحقير.. بمجرد أن
أغلقت الباب خلفنا تهجمت عليّ بوحشية.. دليل عذريتي لا

يزال على الفراش الموضوع بجانب فراشك الذي نمت عليه..
إذا كنت تريد التحقق من صحة كلامي فهيا اذهب وتأكد..
أذهب.. أذهب..))

كانت تصيح به بهستيريا وتشير برأسها ويدها نحو الغرفة التي
كان ينام بها على الفراش أرضا..

نظر لثورتها بصدمة ومستكرا ما تقوله.. لكنه صرخ بها
يستعيد رباطة جأشه

((حتى ولو افترضت أنني فعلت ذلك الأمر.. فمن المستحيل أن
أقوم بهذا رغما عنك.. يبدو أنك أغويتني لأفعل هذا.. أيتها
الغبية كيف سمحت لك نفسك بإغوائي؟ ألم تجدي أي أحمق
غيري لتغويه))

كان ينظر لها بنظرات قاتلة ومتهمة وكأنه هو الضحية لا هي
فتحولت ملامح وجهها إلى شكل مختلف كليا وبعيدا عن
الضعف والذي على ما يبدو كانت تدعيه ثم فقالت باستفزاز لا
يصلح لوضعها

((راجي أنت تعرف أنني بالذات لا احتاج لإغواء أحد.. أنا
أعذرک على انتهاكي ولن أتسبب بسجنك لأنه على ما يبدو أنك
فعلا لا تتذكر ما حدث بالأمس ولا تتذكر أي شيء من البارحة
وكانت هذه أول مرة تشرب فيها.. لكن كيف ستصلح غلظتك؟
هذا ما يهمني معرفته الآن))

عقد حاجبيه وهو يفكر بكلامها..

يصلح غلظته؟ ماذا تقصد؟ وكيف سيصلحه؟ هل تقصد أنها
تريده أن يتزوجها؟

احتدت نظراته تجاهها واشتعلت بغضب وبدأ يتمعن النظرات
بملابسها الرقيقة ليجدها ترتدي قميص أبيض مثير بحمالات
رفيعة تدلى إحداها على كتفها بينما شعرها الكثيف الطويل

المصبوغ باللون الأشقر مفرد بغوغائية وملتف حول وجهها
مما أكسبها المزيد من الإغراء..

أغلق راجي جفنيه لبرهة بغضب..

الأحمق بماذا يفكر وهو واقع بهكذا مصيبة!

مرت لحظات طويلة على راجي وجد نفسه يفتح عيناه ويبتسم
بسخرية وهو يحدجها بنظرات قاتلة متسانلا باشمزاز منها

((هل يمكن أن توضحي لي كيف قمت بانتهاكك بوحشية
ورغما عنك وبنفس الوقت فراشك الموضوع عليه دليل
عذريتك المزعومة موجود بجانب فراشي؟ فضلا عن عدم
وجود أي كدمات على بشرتك.. حتى ملابسك ليس فيها تمزق
واحد))

فتحت سارا فاهها بصدمة ولم تعد تعرف كيف ترد عليه شاعرة
بتخبط..

لكن ردت بخفوت متممة بأي شيء خطر على بالها ينجح بدعم
كذبتها

((دماء عذريتي على الفراش.. ربما لم تراها عندما استيقظت..
اذهب الآن وتأكد مما فعلته!))

زفر راجي بياس من إصرارها على إلصاق هذه التهمة عليه..

لكن تبدلت ملامح وجهه كاملة عندما قال بهدوء يحاول افتعاله
وهو ينظر لها

((اذهبي يا سارا وخذي حماما وألبسي شيئا وبعدها سنتحدث))

ثم انتصب واقفا من مكانه ونظراته الغاضبة لا تزال مسلطة
عليها لتخبره ببساطة

((حسننا سأغتسل بحمام غرفتي))

ثم أشارت بيدها على مكان حمام الضيوف بمنزلها مردفة
((هناك حمام آخر بحالة قررت أن تأخذ حماما أنت الآخر))

وقفت من مكانها هي الأخرى مبتعدة عنه..

دقائق وكان راجي واقفا تحت الماء الحار يفرك جسده بزيل
رائحة الخمر الكريهة العالقة به من الأمس..

وكم ود لو يستطيع البقاء لساعات وساعات أخرى تحته..

بعد أن خرج لم يجد غير ملبسه السابقة من صباح الأمس فلم
يجد أمامه إلا أن يرتديها مرة أخرى..

وكان رائحة الخمر تُصر على ألا تفارقه عقابا له..

وبعد أن أنهى ارتداء ملبسه جلس على إحدى الأرائك
الموجودة بالصالة وعينيه الميئتان مركزة على البلاط اللامع
أمامه بشروء بمحاولة استيعاب كل ما يدور حوله..

فعلى ما يبدو أن كأس العصير الذي شربها بالأمس كان يحوي
على الكثير من الكحول حد أنه جعله ينام أكثر من خمس عشرة
ساعة..

وبالنسبة لما تدعيه سارا فهو متأكد أنه لم يتهجم عليها كما
ادعت..

أساسا شكلها وتصرفاتها لا تشبه شكل وتصرفات الضحية..
حتى تلميحها له بموضوع الزواج يؤكد له أنها مكيدة وفخ
منها..

بل هو لم يقم بأي علاقة غير شرعية معها سواء برضاها أو
لا..

صحيح أنه لم يكن واعي ولكنه ليس ساذجا الى حد أن يصدق
ما تقوله ويكذب جسده..

فمن ينتشي خمرا ربما ينسى عنوان منزله لكن أن يصل حد ألا
يتذكر شيء عن أول علاقة يقوم بها بحياته؟

لكن رغما عنه بدأ قليل من الخوف يتسرب له من إمكانية أن
تكون بعض كلمات سارا صحيحة..

هل يمكن أن يخرج كل هذا من ابنة الثامنة عشر؟ بأي عالم
يعيشونه!

تنهد راجي بإرهاق وهو يدفن رأسه بكفيه..

بشأن الكحول فهو شرب العصير جاهلا لما يحتويه ولم يكن
ذلك بتفريط منه لذلك فهو معذور.. صحيح؟

ضحك بخفت.. من يخدع؟ هو مذنب.. مذنب كليا

كان يعرف أن بقاته بالحفل لنهابتها خاطئا وكان عليه من البداية
اجتياهم بمجرد أن عرف ورأى طبيعة الاحتفال بدلا البقاء
وإظهار الرضا بما يفعلونه.. فصحبة السوء لا تأتي إلا بالشر..

رفع راجي رأسه عندما شعر بها تدخل الصالة بعد أن أخذت
حماما دافئا ولبست إحدى مناماتها الأنثوية ذات اللون الوردى
وتضع منشفة على رأسها وتمسك بكل يد كوب قهوة..

وضعت سارا كوبا على الطاولة أمامه ثم جلست على الأريكة
المقابلة له وهي تضع قدما فوق قدم وترتشف من قهوتها
باستمتاع ونظراتها مسلطة عليه تراقبه..

نظر راجي لكوب القهوة أمامه وودّ فعلا ارتشاف القليل من
القهوة ولكنه كان يشعر بتعب شديد وجسده كأنه أهلك والألم
ينشر برقعته عليه..

رفع يده بمسد رأسه بعد أن شعر بصداع رأسه الذي يفتك به
يزداد وكأن خلايا مخه ستنفجر..

تبا لها.. لم يشعر بهذا إلا لان برؤيتها..

نظرت سارا له وقد بدا الألم عليه واضحا لها.. فسألته هادرة
برقة ذائبة

((لم لا ترتشف القهوة لتتنشط؟ أعددتها لك لعل مفعول الكحول
عليك.. هل تريد أن أحضر لك قرص دواء أيضا؟))

صوتها الناعم زاد من استفزازه فأرسل لها نظراته الحائقة
والغاضبة وحاجبيه معقودين لها وكأنها هي آخر شخص يود
رؤيته..

شعرت بالضيق منه.. فقررت معاندته وزيادة كمية استفزازه
له لتقول

((إذن.. هيا أخبرني.. إلى ماذا توصلت؟ كيف ستصلح
غطتاك؟))

هنا كان قد وصله حده بالتحمل.. فانتفض من مكانه بغضب..

لحظات ومسحة من الجزع والقلق ظهرت على محياه لم يستطع
إخفائهما وهو يتوسلها

((سارا.. أريحي عقلي الجزع أرجوك وأخبرني أني لم افعل لك
شيئا.. أخبريني هيا.. لا تبديني كضحية تعرضت للانتهاك))

بقيت سارا تنظر له بهدوء.. ثم أجابت ببرود وهي لا تبالي
بالقلق الظاهر عليه أبدا

((راجي.. كوني أبدا قوية كعادتي ولم أنهار لما حدث لي فهذا
لا يفي أنك دمرتني ودرمت مستقبلي.. والآن إذا قرر والدي
أن أتزوج من رجل من هذه البلاد لن أستطيع الزواج أبدا
بسببك!!))

مهما افتعلت الهدوء إلا انه لاحظ حلقها وكأنه يتشنج من الترقب.. كأنه بانتظار مدى تأثير ما ادعته عليه..

فرفر راجي بحنق ثم زاغت نظراته لها وهو يقول لها بصوت خافت وقاسي

((سارا.. بعد التفكير.. لقد توصلت أنك سبق وأقمت علاقة مع غيري وسلمته شرفك.. والآن تريدني أن تبليني أنا لأصلح غلطته هو))

بالرغم من أن هناك ابتسامة عابثة لاحت على جانب شفيتها ساخرة من كلامه وطريقة تفكيره الغير متوقعة إلا أنها لم تقدر أيضا أن تخفي عليه اختلاج تلك العضلة في جانب وجهها من التوتر والخوف داخلها مما سيفعله الآن..

اقترب راجي بخطى واثقة منها يجلس على نفس الأريكة الطويلة التي تجلس هي فيها مردفا بنظرات قاتلة

((لكن لا بأس.. سأفعل ما تتمنين وسأتزوجك طمعا في أجر ستر امرأة وأتمنى من أعماق قلبي أن ما سأفعله سيكون فرصة جديدة لك لبدء حياة نظيفة تلتزمين فيها بتعاليم دينك وتراعين تقاليد المجتمع الذي نعيش به))

مع كل ثانية تمر وهو بقربها يسمع دقات قلبها المرتعب فيشعر أن الندم والقلق والخوف الذي يعايشه هو يقل..

حتى أنه سمع صوت حلقها وهي تبلع ريقها بخوف فارتسمت ابتسامة واسعة على محياه جراء تلذذه بتوترها..

قرب رأسه منها فانكمشت ملامحها للحظة وهو يخبرها بصوت كالفحيح عقب أن جمد ملامح وجهه

((كما أخبرتك يا سارا.. أنا موافق أن أتزوجك.. أخبريني التفاصيل فيما بعد لكن جدي أولا طريقة لإقناع والدك أو شقيقك بالموافقة على زواج مدلتة الوحيدة من شاب لا يتجاوز العشرين من عمره ولا يملك وظيفة ولا يزال يأخذ مصروفه من أمه وأبيه وبعدها صدقيني سأتزوجك))

وعقب أن وقف من مكانها وتجاوزها نحو الباب للخارج وهو يتفحص من وجود محفظته داخل سرواله الجينز وصله سؤالها بارتباك

((إذا كنت متفرغا لتعقد قرانا غدا وننتهي من الأمر))

بالرغم من اندهاشه الشديد لما قالت إلا أنه كان لا يزال على نفس ابتسامته..

إذن تلك الصغيرة ابنة الثامنة عشر ليست هينة بل هي داهية.. وإذا كانت تتوقع أنه غرٌّ ساذج فهي مخطئة كليا..

على كل حال الأيام طويلة بينهما وليحقق أمنيتهما وليتزوجا غدا.. ويعرف بعدها كيف سيتصرف معها..

وصلها صوته هاتفًا بثبات حاول التسلح به

((حسنا.. فكري ثم أخبريني الليلة بالتفاصيل على الهاتف.. وسنتزوج بصباح الغد))

وأردف بلثم وهو يستدير لها ويرفع سبابته أمامها مهددا

((وليكن يعلمك.. ولا أي فرد من عائلتي سيعرف بزواجي منك لأن سبب زواجنا سينكشف وقتها.. ولن يكون شيئا أتشرف فيه أمام الجميع.. سيستمر لعدة أشهر وسأطلقك بعدها))

وقفت سارا والامتعاظ والغضب واضح عليها من كلامه.. أهانها كما لم يجروا أحد على إهانتها..

استمرت تحديق به وهي تراه يهرع بلبس حدائه الموضوع عند
الباب ثم يفتح الباب بعنف ليخرج.. فهتفت له بصوت عالي
مهتزة

((أنت تظلمني يا راجي.. وستندم لمعاملتي هكذا مع أي أنا
الضحية هنا))

مرت لحظة واحد ثم سمعت صوت الباب يُصفق من وراءه
فعاادت تسقط نفسها على الأريكة بقوة وهي تزفر بغضب وترفع
عينها الغارقة بدموعها للسقف وتفكر بقهر..

لم تكن تتصور يوماً أنها ستعجب بشاب إلى حد أن يضطرها
بأن تقوم بكل هذا..

بعد أن كان الصبيان بمدرسنها هم من يحفون لنظرة منها ليأتي
هذا الراجي ويعاملها هكذا..

لكن فليصبر حتى يتزوجها رسمياً وستعرف حينها كيف تجعله
يذوب بحبها.. ستقيده وتختم قلبه بصك عشقها إلى الأبد..

=====
=====

تجمعت سميحة وهيام وراجي حول مائدة العشاء والوجوم يسود
وجوههم جميعاً..

سميحة شاردة بلبلة زفاف جالا المشؤومة بالأمس..

جالا هي السبب بكسرتها القاسية ونفسها الذليلة الآن بقراراتها
الخاطئة فمنذ ليلة الأمس لم تمر ثانية على سميحة بدون أن
تشعر بغصة ندم أو غصة قهر أو غصة غضب..

بينما هيام كانت شاردة بأحمد وزيارته الصادمة لها بمكتبها
ولقائهم وجها لوجه الذي أعاد ذكريات سابقة لحب ملتهب
جمعهما..

عندما رآته شعرت بخفقات هاربة من قلبها الذي ظنت بانه
ضاع في خضم الحياة التي تعيشها..

كانت هيام تأكل من طعام العشاء أمامها بلا أي طعم أو
استساغة كطعم حياتها بدون حب..

غصة إحساسها بالشوق الآن بعد رؤيتها لأحمد قاتل.. سامحه
الله..

هل كان يجب عليه اليوم أن يأتي لها اليوم ببريقه الذي يحيط به
فيعمي بصيرتها؟

الأسوأ أنه عاود أخذ ما تبقى من قلبها بجنون له ثم تركها
وهرب كعادته بعد أن فتح لها جروحها..

أما راجي كان شاردا بالمصيبة التي وقع فيها وإذا ما كان فعلا
سينزوجها بالغد أو لا..

عاد بذاكرته للمرة الأولى التي رأى فيها سارا حيث جذبته
بمظهرها الخارجي وفتنتها وقوة شخصيتها حالما وقعت عيناه
عليها..

حتى بعد كل ما رأى منها ما تزال تخطف قلبه وكأنه لم يسبق
له وأن رأى أنثى غيرها على وجه الأرض.. وكان سارا عبارة
عن جمره مشتاقه للاشتعال في قلبه ألهيته..

قطع الصمت بينهم صوت راجي الجمهوري بخشونة

((أمي.. هل يمكن لك أن تسكبي لي المزيد من الحساء))

نظرت سميحة لأبنها راجي باقتضاب فبادلها النظرات بدون
تردد وكأنه يخبرها "ماذا تريد منه أن يفعل؟" وقد فهم سر
امتعاضها..

كان هادئ ومسيطر على غير عاداته عندما يتعلق الأمر بأخته
جالا أقرب إنسانة له..

أنفاس سميحة التي كانت هادئة ومنضبطة تسارعت ونظراتها
عليه نظرات مراقبة دقيقة وصامته وتقييمية..

راجي فاجئها بهذا الهدوء منذ أن أخبرته هي وهيام عن كل ما
حدث بليلة أمس وزفاف أخته الصادم حتى أنه لم يتفاعل
بالحديث معهم..

منذ أن دخل عتبة البيت وحتى الآن على مائدة الطعام ولا شيء
يبدو عليه أنه يبالي..

وكانه من الطبيعي أن تتزوج أخته بهذه الطريقة..

كان عقله مشغول بحادثة أخرى ولم يستوعب ما قد قالته له
بعد..

ترى ما لذي يدور في خلدك وهل هناك مصيبة أكبر من مصيبة
زواج جالا بالأمس؟ لم تعد سميحة تفهم أبنها..

لكن الغضب اشتعل بداخلها لتنهزه بوجوم وهي تضرب بيدها
على الطاولة لعلها تنتزع منه رد فعلا يشفي غليل قلبها على
الأقل

((راجي.. بعد كل هذه الساعات التي أخبرتك فيه كل ما فوته
وأنت حتى الآن لا تعطي أي ردة فعل ولا تهتم إلا بمليء
معدتك؟ يا ولد أختك تزوجت بالأمس من ابن إنسانة حقيرة
وأنت لم تحضر زفافها.. وكل هذا بسبب عمك فيصل.. كم
احتاج إلى ساعة حتى اخرج منك بردة فعل على ما حدث؟))

الحقيقة أن شعور راجي الحالي بلامبالاة ما هو إلا رد فعل على
كل ما تعرض له اليوم وفي الفترة الماضية..

ما ورط نفسه به هو أسوء بمئة مرة من تفويت زفاف أخته
فقابل نظرات والدته بنظرات مليئة بلمعة الغموض التي
أصبحت تراها كثيرا عليه في الفترة الأخيرة..

ثم رد بصوت خالٍ من الحياة والانفعال وهو يقوم من محله
ويسكب بنفسه الحساء لها ليزيد من استفزاز والدته

((أمي أنا بالفعل حزين على تفويت زفاف اختي ولكن ما باليد
حيلة.. من كان يظن أن هذا سيحدث عندما أقرر ولأول مرة
بحياتي أن أنام خارج بيتي.. بالتأكيد أنا لم أقصد أغلاق هاتفي..
لكن عدا ذلك فلا أرى أي مشكلة أخرى.. لكن لا تقلقي
سأعوض جالا عن كل ما فاتني من واجباتي كأخ للعروس))

جلس راجي مكانها ثم أردف عقب أن ملأ وعاءه بالحساء

((وبالنسبة لزوجها المفاجئ فلا أرى أي مشكلة به دام أن
جميعنا نعرف من هو مراد وأخلاقه.. ووالدته لا شأن لنا بها
فجالا تزوجت من مراد لا من أمه.. لذا أتمنى فعلا منك يا أمي
أن تتقبلي واقع ما حدث ولا تحاولي أن تفسدي زواجها الآن
بسبب كرهك لوالدة مراد.. ثم أن جالا من المستحيل أن تقدم
على شيء وهي غير راضية أو غير مقتنعة.. بل أنا سعيد جدا
أنها تجاوزت ذلك الحقيير كارم))

تنفست سميحة بعمق وهي تحاول ألا تُستنفر أكثر من كلام
راجي الذي ودت لو تكلمه بقوة..

ثم أجابت بهدوء وقور تتسلح به وهي تقول بخفوت لا يناسب
عواصف قلبها في هذه اللحظة

((من المهم يا راجي أن نختار العريس على أساس عائلته ففي
بلادنا الفتاة تتزوج الفتاة عائلة الزوج كلها لا من أبنهم فقط..
وأنا جربت زواجي من عمك فيصل.. ما إن قرر الزواج ثانية
حتى وقفت كل عائلته وعائلتي معه لأنه قريبي.. بينما لو
تزوجت من غريب فكنت سأجد جميع عائلتي وأقاربي وراء

ظهري ضدي.. لذا لم أرد من جالا أن تعاني مثلي وتلاقي نفس
المصير..))

ولم تكمل كلامها حتى كان راجي يقاطعها وهو يطبق على
أسنانه

((أمي مشكلتك هي زواج الأقارب لا سوء والده مراد.. أرجوك
فقط توقفي عن إسقاط حياتك الشخصية على حيات بناتك.. جالا
كانت مخطوبة لكارم وهو لا يقربنا وحتى اسم عائلته أصلها لا
ينتمي لقريبتنا وأنظري ماذا حدث لها بعد أن تركها لأجل
صديقتها.. ثم أنظري لهيام التي كانت تريد الزواج من شخص
غريب كليا عنا فخذلها ليتزوج قريبتنا الأخرى ويكسرها أكثر..
كل هذا وتظنين أن احدي بناتك لن تعاني بزواجها دام أن
زوجها لا يقربها!))

تقلصت عضلة في خد هيام وعيناها تشتعلان كانعكاس لهيب
نار الحطب فيهما..

في كل مرة يأتي باسمها مع اسم احمد يكون مثالا للخزي
ومصاحبا للخذل والكسر..

أغمضت هيام عيناها بقهر ثم فتحتهما وهي تنسحب بصمت من
المائدة وبلا أي كلمة..

لحظات وأنتبه راجي على خطئه وذلك الإحساس بالذنب يسيطر
على ملامحه خاصة وأنه يعرف أن أخته لا تزال تعاني من
حساسية ذكر موضوعها مع احمد بشكل يهينها..

نظرت له والدته بنظرة عتاب ثم قالت موبخه

((احتسي ما أمامك يا راجي واصمت.. هل أنت راضي الآن
بعدما سدبت نفس أختك عن الطعام.. وسددتي نفسي أيضا))

قالتها سميحة وهي تشيعه بعينها القاسيتين إلى أن اختفت من
أمامه هي الأخرى..

خرجت من راجي تنهيدة حارة وهو يدفن رأسه بين كفيه هامسا
بألم لنفسه بأنه لم يقصد.. ولكنه حقا مثقل بهوممه..

دقائق وانسحب إلى غرفته ليتمدد على سريره كأنه جثة هامدة
بلا حول ولا قوة وعينه شاخصتان في السقف..

لم يرد شيء إلا أن يغرق بسبات نوم عميق وكأنه لم يسبق له
وأن نام لساعات طويلة..

لكن وبدون إنذار شعر بغثيان يفتك به فمدّ أنامله المرتجفة فوق
بطنه المتشنجة..

تبا لهذا الغثيان الذي عاد يراوده..

الحقيقة أنه لم يستطع أن يذوق شيئا من طعام والدته إلا وكان
مصيره الطرد من معدته التي بدت وكأن ملايين الحرائق تتمدد
تشعل به فما كان منه إلا أن احتسى الكثير من الحساء الدافئ
لعله يسكت الجوع بداخله فهو لم يتناول شيئا منذ الأمس إلا عدة
أكواب قهوة كبيرة بمجرد خروجه من بيت سارا لعله يستعيد
وعيه وتركيزه..

همس من بين أسنانه

((تبا لك يا سارا.. تبا لك))

=====

=====

تنهد احمد بتعب عقب أن نزع نظاراته الطبية وهو يجلس وراء
مكتبه ويردف بعينيه اللتين تبرقان بحزن صادق قصته لمحسن
وهو صديق قديم له وشريكه بنصف العيادة التي يمتلكها ويعمل
بها ليث

((كان أهلها من احدى القرى..وكانوا على درجة من الرقي
المادي والاجتماعي.. بنت اكابر كما نقولها.. وضلت قصتنا

طوال فترة حياتي الجامعية.. أنهت دراستها قبلي بسنتين وبقيت
تنتظرنني طوال السنتين حتى أخرج.. وبعد تخرجي بسنة
أحضرت أمي لقربتها لخطبتها من أهلها وللأسف اعتذروا عن
الموافقة بالرغم من إصرارها على الزواج بي.. بقيت ولمدة
سنة كاملة أحاول التقدم لها ولكن كل ما أقابل به هو الرفض
القاطع من عائلتها.. كنت اتصل بها وكانت تبكي لي.. فطلبت
منها بعد يأس من موافقة عائلتها أن نتزوج بغير رضاهم
بالمحكمة فرفضت بشدة وقالت لي كلام قاسي جعلني أخالف
إرادة قلبي وأطلب الانفصال عنها وأوافق على الزواج من
زوجتي الحالية وهي على ذوق أمي التي أصرت علي أن
أتزوجها بسرعة فهي كما تعلمون عندها جنسية أمريكية ولا
تُعوض وعلّي ألا أضيعها من يدي))

قاطعته محسن بغضب متهور

((أخطئتم يا احمد.. أغلب الزيجات في هذا الزمن من هذا
النوع.. أنا متزوج من عشر سنين.. تزوجت بدون موافقة
أهلي.. تزوجت من يتيمة على عجل لأنني كنت خارج البلاد من
دون علم أهلي وقد تضايقوا جدا.. ولا ألومهم طبعاً.. اليوم
حياتي مرتاحة وأولادي من الطلاب المتفوقين وبصراحة
زواجنا بسيط جدا.. توثيق أوراق وبدون احتفال ولا أي من هذه
الأمور.. بخصوص زوجتي أصبحت بالنسبة لأهلي ابنتهم
الغالية وأنا الغريب.. كلهم في صفها ضدي.. تخيل؟))

ضحك احمد ضحكة خافتة بمرح هادرا

((إذن أنت تنصحيني للمرة الثانية لو تم رفضي بالزواج منها
فعلي أن أخطفها ونتزوج غير ابهين للعادات والتقاليد
والأهل؟))

تلاشت ابتسامة محسن فجاءة ليعقد حاجبه ناطقا

((لا.. لا أدري.. ربما الوضع كان مختلف كون أن الطرف
الرافض هو عائلتها لا عائلتك.. على كل حال أنا قصدت أنا

كنت أقول قبل قليل أنكم أخطئتم سابقا بالانفصال بسبب ضغط الأهل.. كنت اتحدث عن الماضي.. الآن ما شاء الله أنت زوج سعيد وأب محظوظ بابن وقرّة عين.. لذا لم يكن عليك أن تعاود التواصل معها بعد هذه السنين))

عقد احمد حاجبيه ليدافع عن نفسه محدثا

((لا يا محسن.. بعد أن تم رفضي من قبل أهلها كثيرا.. ورفض والديّ أنا أن يخطبها لي مرة أخرى للمرة العاشرة.. قطعت كل شيء بيننا حتى آخر مرة رأيتها فيها قبل عدة شهر صدفة))

الحقّ احمد كلامه وعيناه الحزبتان تزدادان بريقا بعيق الماضي

((أساسا والدها لم يكن يُصدق بوجود رجل مثلي بلا كرامة.. يتم رفضه باستمرار ويقابل الرفض بالإصرار بطلبها أكثر.. حينها ألحت أُمي عليّ بالزواج من غيرها بل وخطبت زوجتي الحالية بدون أن اعرف.. لذا لم أستطع إلا أن اطلب منها الانفصال من حبيبتي وأن نرضى بنصيبنا.. يوم زفافي من غيرها كنت أبكي بغزفتي وأتذكرها.. رضيت من خارجي بالنصيب وتزوجت وأنجبت ابني ولكن جرحي قلبي لم يندمل ((لأن))

عدّل احمد من جلسته وهو يطرق رأسه للأسفل ليخفي ملامح وتعابير محياه.. يفكر بعمق بالماضي..

مع كل سنة تمر يزداد عشقه لهيام.. لا يعلم كيف..

كلما كان يشعر بالممل والفراغ بحياته يذهب للمطاعم والمجمعات التجارية التي اعتاد سابقا أن يذهب لها مع هيام..

أحيانا يحب أن يقود سيارته خاصة في أوقات متأخرة من الليل وحده ويمر بسيارته بين شوارع الطريق الخالية..

خاصة الطرق التي اعتادا بالماضي المشي فيها..

كان يرتجل من سيارته ليجلس على احدى هذه الطرق مع ظلام الليل وضوء مصابيح الشارع الخافتة..

يبكيها ويحترق وحده ويعود للبيت لينهض مبكرا بالصباح يعمل كالآلة..

كلما أخذت السنين من عمره يزداد حبه لها مثل الحفرة كلما أخذت منها أكثر تكبر حجما..

كان حبه لها نقيا ويشهد الله أن حتى لم يحاول لمس يدها..

قاطع محسن شروده يحثه على الإكمال ليهدر احمد وهو يرفع رأسه له

((ماذا بعد؟ بعد عدة سنين من الفراق رغماً عني وعنهما وجدتها أمامي وأنا بأحد المحلات التجارية عندما كنت أتسوق وابتاع بعض مستلزمات البيت.. هي كما هي لم تتغير))

سأله ليث إذا كان قد التقى به مجددا بعد تلك الصدفة فأوماً بياس قاتلاً

((نعم.. بالأمس.. بمقر عملها.. لكن لم أطيل البقاء.. ولم تستطع هي أن تخفي لمعة الدموع الواقفة على باب عيونها))

أردف احمد بإصرار وميررا ما يدور بخاطر محسن من ملامحه المترددة

((اعرف أنني رب أسرة... وانا أتقي الله في أسرتي.. وزوجتي لم أحبها ولكني أحسنت عشرتها وقلبي يحب رغماً عني.. ما أقوله أمامكم فهذا لأنني رجال لا أقبل أن أبكي أمام غيري وأحكي له قصتي فمن يراني يخيل له أنني بارد وقاسي القلب لم أشعر يوماً بالحب ولكني عشته كما لم يحس به شاب من قبل.. إلى الآن لم ينعم الله عليّ بنسيانه وهي لم تنساني فهي لم تتزوج.. هي للان ما تزال أنسة))

حاول محسن أن يغير من ملامح وجهه وهو يسأل باستغراب
((لكن زوجتك أمريكية.. صحيح؟ تبعا لجنسيتها تستطيع رفع
قضية طلاق منك بسهولة لو تزوجت))

أعاد احمد رأسه للخلف بلامبالاة وهو يسند ظهره للكرسي
الجالس عليه ثم قال متحدثا عقب أن أخذ نفسا عميقا وهو
يغمض عينيه

((لا تقلق.. أم عدنان متعلقة جدا بكل ما يخص العائلة
وتماسكها.. أنا خائف قليلا من أن أجزنها وهذا ما جعلني أقوم
بتأجيل الموضوع قليلا.. فأنا انتظر ظروف مناسبة بشكل
أفضل.. لكن لا أستطيع أن أتحمل الانتظار أكثر خاصة أنني
أخشى أن انهض يوما لأجدها تذهب لغيري وتصبح ملك أخر
وأفقدنا للأبد..))

ثار ليث فورا وبغضب بعد أن فهم ما يرمي له محسن ليووجه
نظره نحو احمد قائلا

((لو كنت مكانك يا احمد لتزوجتها مع وجود زوجتي.. وإن
خيرتني زوجتي الحالية بين الزواج وبين طلاقها لاخترت
الطلاق.. يا أخي هل تترك إنسانة تركت نفسها بدون زواج كل
هذه السنوات ثم تتخلى عنها فقط حتى لا تجرح زوجتك الحالية!
أهذا يعقل؟ ثم إنك لا تفعل ما يخالف الشرع.. نصيحة مني لك
ولكل رجل بالعالم.. إياك أن تلقي قلبا احبك على الأرض
خاصة لو كانت إنسانة صالحة))

كانت المساعدة الممثلةة الخمسينية والتي تعمل بعبادة احمد
وليث النفسية تنوي الدخول لمكتب احمد..

وما أن همت أن تطرق الباب النصف مفتوح.. حتى أجبرها
فضولها أن تسترق السمع لكلامهم بهدوء..

استمعت لحديثهم من البداية حتى كلام ليث لتخرج عن طورها
فئسفنز لتدخل فجاءة إليهم وترمي إحدى الملفات بوقاحة على
الطاولة أمام نظرات الدهشة في عيونهم لفلعلتها الجريئة..

لكنها تجاهلت النظرات لتقول للبيث غير أبهة لشيء

((وما ذنب زوجته الأولى التي لم تعرف عن مغامراته السابقة؟
والحرام ليس معناه الزنا فقط.. التفكير في إنسانة غير زوجتك
حرام..))

التفتت لتتنظر لعيون احمد مسترسلة

((زوجتك المسكينة والتي تزوجتها بالحلال لم يجب عليها أن
تخضع لكل مغامراتك الطائشة بالماضي؟))

ثم لوفت فمها بتقزز ساخرة

((هذا لو قبلك أهل حبيبتك أو تقدمت لها من الأساس))

وقبل أن تخرج أمالت رأسها للبيث بابتسامة تضج بالكره كأنها
تبصق عليه آخر كلامها بغضب

((الحمد لله يا سيد ليث أنك لست بمكان الدكتور احمد.. الحمد
لله فعلا أنك لست بمكانه وأعان الله زوجاتكم لو تعيشون حياتكم
على هذا الأساس))

ثم خرجت بسرعة من المكتب.. فحتى ولو أنها ليست من النوع
الذي تستطيع كتم غيظه لنفسه ولكنها أيضا لا تريد تجاوز
حدودها أكثر فتطرد..

فمهما بلغت خبرتها ومهارتها بعملها لن يكون من الصعب
عليهم أن يتم استبدالها..

زفرت بضيق وهي تجهز حقيبتها للرحيل بعد أن انتهى دوام
عملها المتأخر..

لطالما كرهت تجمعات الرجال وأحاديثهم التافهة فهم لا يتحدثون بتجمعاتهم إلا عن النساء والزواج الثاني والخيانة وكل ما يساعد في خراب بيوتهم..

والأسوأ من ذلك.. من يحاولون أن يؤثروا على غيرهم من الرجال الذين يكونون مستقرين في حياتهم الزوجية..

فكرت أيضًا بأنها فعلا قد أحسنت اختيار زوجها...رجل مدتين غير اجتماعي وقليل الخلطة بالأصدقاء والزملاء وحتى الأقارب.. من البيت للعمل للمسجد..

وبالعودة لداخل مكتب احمد.. فلم يخفي ليث انز عاجه من مساعدة صديقه الخمسينية لكن احمد أشار له بعينيه برجاء أن يتغاضى عنها فهذا طبعها الدائم ولا يمكن تغييره..

زفر ليث وهو يعود لموضوع احمد الرئيسي ليردف بضيق

((احمد لا أنكر أن قصتك أحرزنتني حزنا شديدا منذ أول مرة قصصتها عليّ قبل هذه المرة.. أنا اعرف ما تعانيه.. اعرف معنى أن تراها في كل مكان.. ومعنى أن تتحدث مع غيرها على أنها هي.. لن أقول لك إلا شيئا واحدا.. أدعو الله أن يجمعك بها في حلاله وان يجعلها لك زوجه.. لا علاج للمحبين إلا النكاح.. وان لم تكن لتستطيع ذلك فلتتخيل أنها سحابة صيف جاءتك لتخفف عنك بعض الحر))

وقبل أن يقوم نظر لمحسن وهو يسترسل كلامه الموجه لأحمد

((أتمنى من أي أحد سمعك أن يكون رفيقا بك ولا يحكم عليك من بعيد.. فلا يعلم أحد غدا أين يكون وماذا يواجه))

نظر احمد للأمام قليلا قبل أن يقول باستنكار وبخفوت أمام محسن وليث الذي يهم بالمغادرة

((هل حبي لها جريمة.. أنا لم أعرف أن أحب زوجتي لتعوضني عن حبه.. وكما قررت مسبقا سأسعى أن أتقدم إلى

والدها بأقرب وقت بإذن الله.. لكن أنا بحاجة أن اخذ موافقتها
واتفق معها بالنفاصيل.. لن ارتاح أو اشعر بالراحة حتى أحاول
وابذل قصارى جهدي هذه المرة))

قال محسن لأحمد وهو يهم الآخر للقيام من كرسيه ليعود للبيت

((أعانك الله على النسيان وثبتك عليه أن شاء الله.. أنا لن أقول
لك أن تنسى بل سأقول تناسى.. لا تنسى أن تستخير وإن
رفضوك مرة أخرى.. عليك أن تعلم انه خير من عند الله وقد
ابعد عنك شر في هذا الزواج))

أوماً احمد رأسه بامتنان لكلام محسن وهو يراه يغادر المكان..
ثم يقف ليعد نفسه هو الآخر للرحيل بعد أن تأخر الوقت من
الليل..

ولكن قبلها وبما أن المكان خلا من الجميع.. فكر أن يتصل بها
قبلاً..

بعد دقائق.. منزل هيام..

أغلقت هيام الباب خلفها بعنف بعد أن أخذت حماما حار للمرة
الثانية منذ أن عادت بالرغم من صقيع الجو بالخارج واحتمالية
تعريض نفسها للمرض..

لكنها لا تبالي ولا تريد إلا أن تهدئ من نفسها ولا سبيل لإراحة
أعصابها إلا بحمامها الدافئ المعتاد..

ارتدت ملابسها وجففت شعرها وسرحته لتجلس على سريرها
بقوة تعبر عما تشعر به بداخلها..

ويدون إرادة وجدت أناملها تخترق شعرها لتبعثره وهي ترفرف
نفسا حادا ساخنا يحرق صدرها بوحشية..

ماذا تفعل وبداخلها نار لا تهدأ.. فجميع من حولها وخاصة
أقرب الناس عليها بأبون تفويت أي فرصة تمر دون تذكيرها
بحبها لأحمد وكرامتها التي أهدرها وهو يتزوج من قريبتها..

جفلت هيام على صوت رنين هاتفها لتهرع عليه وهي تنتظر
للرقم المجهول الذي يرن عليها..

نفس الرقم الذي كان يتصل عليها سابقا وإذا كانت بالبداية تشك
بأنه احمد فهي الآن متأكدة..

بأنامل مرتجفة ضغطت على زر الإجابة وهي تقرب الهاتف
من أذنها لتسأل بصوت متحشرج

((مرحبا.. من معي؟))

لحظات مرت ولم يُسمع منها إلا أصوات أنفاسهما وبنبرة عذبه
حتى احمد تفاجأ أنه يملكها

((كيف حالك يا هيام؟))

شعرت هيام بضربات قلبها تتعالى ويتعالى معها خوفها
وذعرها لسبب لا تعرف كيف تعبر عنه..

فحاولت أن تضم أطراف ثوبها الذي تلبسه أكثر وأكثر بقبضتها
لتقول بإصرار يحمل نفس المقدار من الارتباك

((من معي؟))

ابتسم احمد لها ابتسامة ساحرة يعرف تأثيرها عليه من خلف
الهاتف وكأنها أمامه قبل أن يرد بثقة

((لا اصدق أنك لم تتعرفي على صوتي!!))

جحظت عيني هيام واهتزت حدقتيها وأبعدت الهاتف عن أذنها
بكلا يديها المرتجفتين وهي تشعر أنها ملجومة..

أعادت الهاتف بقرب أذنها عندما سمعته يهتف باسمها مرة
أخرى..

ازدرت ريقها وهي تحاول أن تتمالك نفسها ثم همست بصوت
متذبذب

((استطعت معرفة طبيعة عملي ومكانه.. ولكن كيف حصلت
على رقم هاتفي؟!))

وصلها رده بصوته الأجلش

((من محفظتك عندما نسيته بالمقهى.. هيام أنا غارق
بالاشتياق.. لم أكن أتخيل أنني لن أستطيع أن أعيش من دونك..
أنا..))

استجمعت قواها لتقاطععه بحزم وشدة قبل أن تتحطم كل جدرانها
مع صدمتها بأنه هو من التقط محفظتها بذلك اليوم

((حسنا والآن بعد أن عرفت أنك أنت من أخذت المحفظة.. أو
بالأحرى من سرقت صورتي الشخصية الصغيرة ورقمي فأود
أن أقول لك بكل صراحة أنني وصلت لأخر مستويات الغضب
تجاهك.. وأتمنى أن تتوقف عن الاتصال بي حتى لا أقدم على
أي إجراء ضدك قد يؤذيك.. الآن وداعا وللأبد هذه المرة))

انتهت المكالمة بضيق وهي تشعر بكل جسدها يرتجف فقد
استهلكت كل ما بها من طاقة بداخلها لتفعل ما فعلته الآن وتبعده
عنه..

أيام دراستهم أيام التسعينات لم يكن الهاتف بمتداول اليد كالآن
بل ربما لم يكن الهاتف المحمول قد أُخترع بعد وربما كان
سيكون أفضل لها لو بقي الحال كم هو حتى الآن بعدم تواجد
أي وسيلة اتصال سهلة بين الناس..

شعرت هيام بغضب نائر من فكرة أنه هو من أعاد محفظتها
ذاك اليوم..

لحظات وكانت بابتسامة تشرّد لذاك اليوم قبل عدة أشهر بالمول
التجاري..

عندما كانت تهرع لنفس المكان الذي اصطدمت به بأحد
الأشخاص لعلها تجد محفظتها المفقودة..

وعندما لاحظ الموظف الذي استلم من احمد المحفظة هيام وهو
الذي يعرفها كعميلة منتظمة تأتي للمقهى الذي يعمل به ليسرع
لها وهو يعطيه محفظتها ويشرح لها ما حدث لترد ببهجة

((شكرا لك يا علي.. أنا حقا شاكرة لمعرفك.. يومي لم يفسد
بفضلك بل على العكس..))

وبينما هي غارقة بشكره كانت تفتح محفظتها لتتفقد ما قبل أن
تعقد حاجبها باستغراب وقد أوقفت كلامها لتربك الموظف الذي
سألها بتوتر

((هل فقدتي شيئا يا أنسة هيام؟ لم يلمس أحد محفظتك منذ
اللحظة الذي أعطانا إياها ذلك الرجل))

ألجمت عن الحديث للحظات مع توتر ملامحها.. قبل أن تهز
رأسها وهي تنفي ما يفكر به هاتفة بابتسامة

((لا.. لا بأس.. لم أفقد أي شيء فلا تقلق.. أنا شاكرة لك جدا))

لكنها عادت تفعل الابتسامة وهي تقول بنبرة عملية

((أكرر شكري لك.. عن أذنك يا علي.. أنا مضطرة للذهاب لقد
تأخرت))

ثم خرجت حينها من المقهى ومن المول التجاري شاردة
بالتفكير بدناءة ذلك الرجل المجهول..

وقتها فكرت أنه لو سرق نقودها لكان أفضل من سرقة
لصورتها الشخصية..

شتمته كثيرا وهي تفكر بأنه ألا يملك شقيقات يخشى أن يُرد
لهن ما فعله بها فأخذ صورة فتاة غريبة عنه ليس تصرفا
يصدر من شخص محترم يضع مخافة الله بين عينيه..

أسدلت جفنيها وضحكة خافتة تخرج منها بسخرية وهي تعود
للواقع..

لم يكن سيخطر على بالها أنه سيكون احمد..

ولم هذا الأحمق أخذ صورتها أساسا وبماذا ستفيدة؟

عند سماعها لصوت الرثة المخصصة لوصول رسالة أخرى
على هاتفها فتحت عينيها على وسعها..

جذبت الهاتف لتفتح الرسالة وتقرأ كلماتها وهي تمنع النظر
فيها

"هيام لا تلوميني على اشتياقي.. وماذا يمكنني أن أفعل في
بعدك إلا أن أشتاق ويزداد شوقي كل يوم.. وحتى مع كل نفس
يخرج مني أشعر بشوقي إليك يزيد حتى امتلأت بالشوق إليك..
عيناى فاضت بالشوق لرؤيتك.. أذناى فاضت بالشوق
لصوتك.. اشتياقك هو نوع من الإدمان.. تعاقبنا عليه الظروف
بالحرمان"

أثناء قراءتها كانت تشعر بمشاعر متضاربة من الغضب
والرفض وال.. البهجة..

يكفيها خداعا لنفسها.. إنها تشعر بالبهجة تنبع من أعماق قلبها..
وقبل أن يخف قلبها من سرعة دقاته وصلتها رسالة أخرى

"أرجوك يا هيام اقبلي مني دعوتي للغذاء للغد في إحدى أوقات فراغك بين المحاضرات.. بالساعة والمكان الذي سأرفقه برسالتي التالية"

ابتسمت بسخرية وهي تلقي بالهاتف بعيدا عنها وهي لا تريد حتى فتح الرسالة التالية..

ارتسم الاقتضاب على وجهها لتهمس لنفسها بضيق

((مغرور.. مغرور يا احمد.. تفكر وتقرر وتخطط وكأنني أعطيتك موافقتي.. وكأنني دميتها تحركها كيفما تشاء لو اقرار لي))

وبتوهان لاهث استبد بها وقد اكتسحت خلاياها قشعريرة استسلمت لها مشاعرها التائفة إليه بجنون لتردف همسا لنفسها ولكن برجاء متوسل وكأن احمد أمامها

((أرجوك.. ابتعد عني.. أرجوك لا تجذبني لك من جديد يا احمد.. والا لن نخرج بشيء إلا جرح كلينا من جديد.. أنت متزوج الآن.. ما الحاجة لك لتتواصل وتفتح عليّ المواجه؟ أنت متزوج.. لديك زوجة جميلة وابن... لماذا يا احمد.. لماذا؟))

وقفت بسرعة لتغلق باب غرفتها بالمفتاح تخاف أن يدخل عليها أحد فجاءة ثم استدارت لتستند بظهرها على الباب وهي تأن بصوت خافت وتضع كفيها على فاهها وتكبت ما بداخلها..

هل يا ترى كان احمد يشعر بالإحباط طوال فترة افتراقهما لذا أرسل لها احمد هاتان الرسالتين؟ وماذا عن الآن؟

هل ترفضه دعوته برسالة ترد عليه فيها أو تتجاهله وحسب؟

فمن المستحيل أن توافق على الالتقاء به حتى لو كان لمجرد لقاء عادي..

فذلك سيرضي غروره ويشعر بأنها لا تزال تحبه وتعيش على
ذكراه..

سخرت من نفسها وهي تفكر بانه سيشعر بالغرور أيضا إذا لم
يتلق ردا منها وسيظن أنها تخشى الضعف أمامه لذلك تتجنب
الرد..

مغرور كما عرفته دائما.. وأبداً..

يؤلّمها أن تتذكر كل مشاعرها التي أهدتها إياه ليحفظهم بين قلبه
وروحه.. لكنه عوضا عن ذلك أضاعهم ببساطة..

كيف يضيعهم وهم مشاعر نتجت عن كل سنوات حبها له
وأروع ذكرياتها معه قد سطرتها فيهم..

أغمضت عينيها بشدة وهي تخفض كفها لتضغط به على
صدرها..

نار.. نار تحرق صدرها كلما فكرت بأنه متزوج من غيرها..
تبا لهم جميعا..

تقدمت هيام بخطواتها نحو دولاها لتفتح إحدى أجزارها
وتبحث بداخله عن دفتر مذكراتها القديم أيام الجامعة وما إن
وجدته حتى مسكته بكفيها الاثنين..

كان الكتاب ممزق وبحالة يرثى لها فداهمت ذكريات بالماضي
أرهقتها وألمتها بشدة حتى أبكتها..

حد أنها مزقت قلبها لتمزق هيام بنفسها دفتر ذكرياتها وتنتثر
أوراقه بكل مكان في غرفتها..

لكن لا تدري فيما بعد ما الذي جعلها تلملم أوراق الدفتر لتعود
وتحتفظ بهم..

ما تزال هناك بضع الأوراق الفارغة لم تمزقها..

حتما ستدون وقريبا فيها كل ما تبقى من ذكرياتها المؤلمة معه
وإذا لم تكفيها هذه الوريقات فستأتي بكتب ومجلات لتكتب
عليها لعل الكتابة تحررها منه..

وبالنهاية سترسلها كلها لأحمد..

=====
=====

وقفت جالا في شرفة الفندق تملأ رئتيها بهواء الأجواء الباردة
لعلها تنتعش ويفتح شعورها نحو هذه الحياة فكفاها ما مرت
به..

تم إلغاء سفرهم لليونان بسبب مشاكل بجواز سفرها وبعض
الإجراءات التي كانت بحاجة للمزيد من الوقت فوعدها بأن
يعوضها بالسفر قريبا لأي مكان تريده..

لكن مبدئيا ليذهبا هذا الأسبوع كاملا للبحر حيث يمتاز باعتدال
مناخه ودفء شتائه وصفاء مياهه وهدوء أمواجه وهو أنسب
مكان قد يقضيان به وقتهما بهذا الجو البارد بهذا الوقت من
السنة..

شعوريا بداخلها هي لا تريد الذهاب معه لأي مكان ولا تتخيل
كيف سينفرد فيها لأخر حياتهما معها..

بدأت ترى زوجها كابوسا ستفيق منه في أية لحظة وقد أحست
فعلا بورطتها وهي تعجز عن إيجاد كلمات وأعدار لنفسها..

تمنت أن تزوج أي أحد بعد أن افترقت عن كارم لكن الآن لا
تريد إلا الحصول على الطلاق..

كم هي مجنونة تفكر بالطلاق ولم يمض على زواجها ثلاثة أيام!

لا يجب عليها التسرع وعليها أن تمنح مع مراد فرصة فربما يكون مختلفا..

فعلى الأقل مراد ليس بهذا السوء حتى ولو أنها الآن تتعامل معه كشخص غريب..

ولكن حتى لو أنها لم تعامل منذ سنوات طويلة لكن كلام الجميع ومدحهم عنه يوحي أنه شخص جيد والا ما كان ارتضاه والدها له زوجا لو رأى فيه ما يسوئه..

ربما ومع الوقت سنتعود عليه..

لكن لا تزال تذكر ما فعلته والدته باليوم التالي بعد ليلة زفافهما مباشرة..

انتقدت أمها أمامهم جميعا وذكرتها بسوء لأنها لم تزرها بالصباحية مع إحضار بعض الأطعمة كما جرت العادة أن تفعل والدة العروس..

هل تظن والدة مراد أن زواج ابنها كان طبيعيا لتطالب أمها بالالتزام بكل ما يخص التقاليد والعادات؟

إذا كانت تظن والدة مراد أنها فتاة سهلة فهي كليا مخطئة..

لم ترَ منها شيئا وستعرف جيدا كيف تعاملها بالتجاهل بمجرد أن تبدأ السكن ببيت مراد فوق بيت والديه بنفس البناية..

أتأها صوت حركة مراد ودخوله للحجرة فخرجت من الشرفة على صوت ضرب قبضة كفه على الحائط بغضب أفرعها لتسارع بالدفاع عن نفسها

((حسنا.. حسنا فهمت لا تغضب لن أخرج بملامتي هذه للخارج
هكذا مرة أخرى))

رأها مراد تسارع لاهية عنه بشيء آخر لا تريد مناقشته وهي
تغلق باب لشرفة ليبقى يحدق فيها بتمعن وغضب بينما يأخذ
لمحة عن مظهرها هذا التي خرجت فيه للشرفة..

صحيح انهم الآن بساعات الفجر ويخلو في هذا الوقت الشارع
من الناس تقريبا..

لكن غير مقبول له أن تخرج للشرفة بهذا المظهر حيث شعرها
البنّي المحلول وترتدي المنامة حمراء قطنية وملتصقة ببعض
حنايا جسدها..

أشعله الغضب وهو يتمعن النظر فيها أكثر ليدرك أن جالا
أصبحت شابة بمنتهى الجاذبية حتى وبعد خسارتها للكثير من
وزنها وهي الرشيقّة أساسا..

هي لم تعد تلك الصغيرة بملامحها الطفولية كما هو لم يعد
طفلا..

صدم صوتة عاليا وهو يخبرها بما لا يقبل النقاش

((هل تعلمين ماذا؟ لن انتظر حتى نعود لبيتنا.. بل من اليوم
سأخرج لنشتري قطعة قماش تستر شعرك وملابس تلائم
الحجاب.. ولن اسمح لك بالاعتراض.. لن اقبل من المرأة التي
تكون زوجتي أن تلبس هكذا وتبقى على حالها.. ألم تكوني
تذمرين لحاجتك لوالدتك لأجل شراء ما ينقصك وتحتاجينه؟
حسنا من الآن ضعي باعتبارك لن تشتري ملابس للخارج إلا
ما يلائم حجابك))

كانت تطوق خصرها بذراعيها وهي تنظر له وتضييق عينيها
وكأنها لا تصدق طريقة تحدّثه معها..

سارع مراد يضيف بغضب

((حتى ولو كانت سهر هي من تزوجتها لا أنتِ لكنك سأفعل معها مثلك تماما.. ورغم أنها أيضا لأن هذا ما كنا نتحدث عنه بفترة خطبتنا))

نظرت له جالا نظرات وكأنها لا تجد كلمة تعبر فيها لتقول ما تريد.. فخرجت منها ضحكة خافتة لتستفزه وهي تقول

((نعم معك حق.. وستان زفافها العاري التي كانت تنوي أن تلبسه بزفافها حتى عند دخول الرجال الصالة يؤكد صحة كلامك))

شد مراد على قبضته بقوة ورفرف بجفنيه سريعا وهو يستغفر بصوت مسموع قبل أن يهرع ويدلف للحمام دون كلمة ليبتعد عنها ويغلق الباب خلفه..

أسند مراد كفيه إلى الجدار البارد وهو يحاول ترك مهمة تهدئته إلى الماء البارد الجليدي الذي يغرق فيه وجهه بهذا الجو البارد..

طبعه دائما ما كان متناقض بإفراط ما بين الحلم الشديد.. والعصبية الشديدة..

ومعها فالغضب بداخله يتمكن منه إلى تلك الدرجة التي قد تحوله إلى كائن بدائي لا يعرف أساليب الحوار..

لدرجة جعله مذهولا من نفسه أولا وقبل أي شخص آخر..

يود لو يهدر بمكوناته العميقة ولكن عوضا عن ذلك لا يفعل إلا التحدث معها بهذه الطريقة..

والسبب باختصار لأنها لا تسمح له بأن يتقدم بأي خطوة تجاه علاقتهما منذ ليلة زفافهما قبل ثلاثة أيام..

خرج مراد من الحمام وارتندى ملابسه التي سبق وأعدّها ثم دلف للحجرة وعندما رآها ترتدي إزار الصلاة وتجلس

باسترخاء على الأريكة السوداء في حجرة نومهم الكبيرة وقد
عادت لفتح الشرفة ليدخل عليها الهواء البارد بينما تقرأ لكتاب
ما والشمس تبدأ بالشرق..

شعر بالراحة لاستجابتها له بدون أي عناد ليستدير موليا إياها
ظهره ومتقدما نحو السرير رافعا الغطاء بعنف ليضطجع
تحتة..

بينما جالا التي كانت تختلس النظر له وهو ينام عادت تخفض
أبصارها للكتاب..

كانت تقرأ الكلمات أمامها بدون تركيز وبهوء تام..

الغبي.. منذ فترة وهي تفكر بلبس الحجاب.. وسكنت الآن أمامه
بدون معارضة وبدون أن تبحث طويلا في تصرفها لأنها تريد
لبسه بالفعل..

لكن الآن بدأت تعيد النظر بلبسه بسبب أسلوبه..

مراد مثل والدها.. يأمرها بأسوأ أسلوب قد يستعمله شخص حد
أنه يجعلها تجبر نفسها على أن تفعل عكس ما يقوله تماما..

زفرت بخفوت وضيق.. هذه المرة لا داعي لأن تعاند.. فليس
كأنها ستجن وتجعل من مراد هدفا حتى لا تقيم لأجله شعائرها..

وعليها ألا تتعمد أهانته أو إظهار ضعفه حتى لو كان فعلا
مُستفز..

فقط مللت من العناد لمجرد العناد.. لتكتفي بالتجاهل..

ثم رفعت حاجبيها وهي تسحب نفسا طويلا تريد أن تملأ رئتيها
منه لتمنع نفسها من الانفعال..

عقب أقل من ساعة كانت جالا تنام على أريكتها ليقترب مراد
منها وأنامله المتوترة تقترب من إزار الصلاة ليحررها منها
لتنام براحة..

شعر بانتفاضة جسدها وكأنها بوعياها فابتسم بخفوت لها.. تشعر
به حتى وهي نائمة..

حملها بهدوء بين ذراعيه وهو يضمها إليه ثم وضعها على
السريير ووجد نفسه ينحني إليها بهدوء متوتر يطبع على أسفل
رقبتها قبله..

وبدون أي سابق إنذار كانت تفتح عينيها على قبلته وهي تعي
من نومها لتنتفض متراجعة بالخلف شاهقة برعب جعله يقفز
هو الآخر منصدما ومبتعدا للخلف..

=====
=====

قبل ظهيرة اليوم وبعد إتمام عقد القران غادر راجي المحكمة
وسارا تسير خلفه بخطى أقرب للهرولة لتلحقه..

كانت حانقة منه فلم يهديها سيادته ولا حتى نظرة واحدة في
المحكمة حتى وهو يردد عبارات الزواج خلف القاضي
الشرعي ببرود قاتل..

هتفت باسمه بصوت عالي ليتوقف وتستطيع اللحاق به بدون أن
تتعثر.. فكعبها العالي التي ترتديه كان بدرجة أعلى من الطول
المعتادة على ارتدائه..

رأته يستدير لها بنظراته الهادئة وتعابير وجهه التي لا تقراً..
كل شيء فيه كان جامدا..

تنهدت بإحباط وهي تنظر له وتمنت لو أنه كان أكثر ليونة
معها..

لكانت خططت لتجهيزات الخطوبة وعقد القران معا في المحكمة بشكل أفضل..

لكن لا بأس هذا أفضل من لا شيء فبالأمس قضت الليلة تتقلب على سريرها تبحث عن النوم ولا تجده كأنها كانت وسط النار وقد تعبت من انتظار هذه اللحظة وشعور بعدم الأمان يتسلل إليها ويخبرها أنه لن يتم كل شيء كما تريد..

وما جعلها تطمئن أنهما خرجا من المحكمة كزوج وزوجة وقد سبقهم أخيها وصديقه اللذان كانا شاهدان قبل أن يتجه نحو سيارته...

فبدأت ابتسامتها تشق طريقها على شفيتها فالواقع أنها ومنذ أن أعجبت به وتأكدت من أنها تعجبه وهي تحلم به كل ليلة..

بعد أن هتفت باسمه وبقيت محافظة على صمتها قاطع صوت راجي تفكيرها الهادئ وهو يسألها بينما يضع كفيها بجبي سرواله الجينز

((بماذا أخبرت أخيك ليقنع أن يأتي الآن بل ويدعي أنه أخذ توكيل من والدك ليكون وليك بالزواج؟))

هزت سارا كتفيها وهي تقول ببساطة بابتسامتها الحاذقة المستفزة له أشد استفزاز

((لا شيء.. فقط أخبرته أنني احبك وأبي بالتأكيد سيرفضك لأنك لست ثريا كفاية لذا زوجني إياه بدون علم أبي))

نظرات راجي كانت تنظر لها برخص أكثر من أي شيء آخر فزفرت بضيق وهي ترى أنها تلقت كفايتها من نظراته هذه ولو أنها تعلم أنها تستحقها..

كزت سارا على أسنانها بينما تهدر له وهي تكثف ذراعيها أمام صدرها

((لم أنت مستغرب وكان أخي ارتكب جريمة؟ كل ما في الأمر
أن أخي عاطفي ويحب أن تكتمل جميع قصص الحب بالزواج
ودائما ما يشجيني على أن أتزوج بمن يحب قلبي))

عقد راجي حاجبية بصدمة غير مصدق كمية البلاهة التي
يسمعها منها وهو يعيد تذكر شكل أختها ويتذكر ضخامته..

أختها هذا الذي كان شاهدا على زواجهما لم يكلف نفسه ليعن
النظر به هو من صار زوج أخته..

بل أكتفى بأن يلقي عليه التحية وهو يتكلم بالهاتف بانشغال مع
شخص آخر وكأنه يحضر عقد قران فتاة من الشارع لا أخته..

ربما لم يعرف اسمه إلا بلحظة عقد القران نفسها..

فكر راجي فقط لو أن إحدى أخته مثلا أردن أن يعلن فعله
سارا للزواج ممن يحين إلا أنه قطع تفكيره وهو يشعر بالغضب
والجنون الهستيرى والدم يتدفق لوجهه..

لكنه حاول تهدئة نفسه وهو يتنفس بعمق ثم أشار بوجهه لها أن
تمشي معه نحو سيارته..

ويدون أن يشعر وجد كفتها تستقر بكل أدب وشقاوة بين كفه
ليشعر وكأن كهرباء تمر بجسده..

بالعادة دائما ما ينفر من لمساتها ويزجرها إذا ما فكرت حتى
بالاقتراب..

لكن الآن سكن لها وقد أصبحت حلاله.. زواج صوري أو لا
فهي حلاله.. وزوجته بالشرع والقانون..

نظر إلى وجهها ليرى ابتسامتها على وجهها تتزايد ولا يعرف
لم بلحظتها شعر بالبهجة بقلبه ليبترسم هو الآخر..

ابتسامته كانت هادئة.. ولكن بها لهفه للقادم.. لا تقل عن لهفتها..

شهوره بالبهجة الآن وهو يخرج من أرض المحكمة الشرعية متناقض كليا عن شعوره سابقا أثناء قيادة سيارته بالطريق إليها وقد كان يشعر بقلبه مثقل بالغم..

حتى أنه كاد أن يجعد الأوراق التي تلزمه لإتمام زواجه من إنسانة لا يريدتها بعد أن فرضت عليه نفسها فرضا بشكل مريب بين يديه من شدة الغضب الذي كان يعصف بداخله..

العجيب بالأمر انه أدرك حقيقة الواقع المرير وهو أنه كان بإمكانه وبكل بساطة أن يتملص من أمر الزواج منها خاصة وقد تأكد من تمثيلها الرديء السيء أنه لم يفعل لها شيئا..

لكنه مع ذلك وافق بالنهاية على طلبها بالزواج منها..

ولكنها ليست الممثلة الفاشلة الوحيدة هنا.. فحتى هو كان يمتل على نفسه ويخدعها عندما قبض كفه وضربها بقوة ولعدة مرّات فوق المقود قبل أن ينزل من سيارته وهو ينقّس بها عن قهره الشديد وقلة حيلتها بإجباره على شيء لا يريده..

وكأنه لا يريد حتى أن يعترف بينه وبين نفسه أنه ذاهب معها للمحكمة بإرادته وليس مجبرا..

وبدون أي مقدمات سألتها باضطراب عقب أن ابتلع ريقه

((ألن تجن والدتك لأنها لن تقيم لابنتها الوحيدة التي أفسدتها بالدلال زافا يليق بها؟))

بقلة صبر أجابته من جديد على فضوله واستغرابه الشديد من عائلتها وتفكيرهم

((ولم ستحزن؟ أساسا أخي تزوج قبل عدة أشهر من الفتاة التي يحبها بحفل زفاف سريع ونسي أن يدعو والدي لرفاهه لأنه كان ببلد آخر ولم تنزعج والدتي أبدا))

كان يحاول كتم ضحكته بصعوبة عندما لكزته ليتوقف عن السخرية من عائلتها..

لكنه كان واقعا بمقارنات.. فوالدته لا تزال إلى الآن تبكي بسبب حفل زفاف جالا السريع الذي لم تُعطى فيه الفرصة لتجهز جالا كأبي عروس..

بينما والده سارا ربما اكتفت بإرسال باقة زهور عندما علمت بزواج ابنها الوحيد.. عالم مجنون..

وقبل أن يصل للسيارة أسرع سارا تتقدم أمامه لتفتح مقبض الباب..

حذق راجي بها من الخلف وبدت بغاية الرشاقة..

حتى وجسدها النحيف الذي يكاد يخنفي من أنظمتها الغذائية القاسية إلا أن أنوثتها تأتي الاختفاء..

لم يسبق له وأن رأى فتاة بهذا الرشاقة مع احتفاظها بكل مزاياها الأنثوية..

ابتلع راجي ريقه وهو يغمض عينيه.. لكن تبا.. حتى وهو مغمض العينين ترتم في مخيلته صورتها بكل تفاصيلها.. ولكن.. مهلا.. عقد حاجبيه وهو يفكر أنها هي الآن زوجته..

زواج صوري أو لا ولكنها زوجته..

هل ستيقى تقدم هذا العرض السخي لكل الرجال بهذا الشارع طوال فترة زواجهما؟

فتح مقبض بابيه هو الآخر ليستقل سيارته ويشغلها..

مبدئيا فعليه تجنب جدالها حتى يتخطى تأثير صدمتها وانفعاله
لكل الأحداث الأخيرة التي حدثت بحياته.. ثم سيرى ماذا
سيفعل..

بعد مدة وصل بسيارته أمام منزلها ليشير لها برأسه أن تنزل
من باب السيارة بينما تجلس هي بهدوء بجانبه دون أن تفعل
شيئا..

زينت شفقتها المكتنزتين المغربيتين بابتسامة وهي تهمس له
بتحشرج

((حسنا.. وبعد أن انزل.. ماذا سنفعل بعد ذلك؟))

نظر راجي إلى الطريق أمامه للحظات ومن ثم التفت لها ليقول
وهو يهز كتفيه ثم يقول بصوت جاهد أن يكون ثابت وهو
يخبرها بعيدا عن التعقيد وبعملية

((وماذا سنفعل؟ أخبرتك أنني سأطلقك بعد عدة أشهر وهكذا
سأعطيك فرصة جديدة لبناء حياتك بلا أي مشاكل.. ولن
يتعجب أي أحد من طلاقك بهذه السرعة.. لأنه الطلاق هو
نتيجة أي زواج يحدث بسرعة وبدون أخذ الوقت الكافي للتفكير
وأخذ مشورة الأهل فيه.. أنت حتى لا تعرفين أي شيء عن
عائلتي ولم تسألني عنها ولم أكتب لك إلا مهرا رمزيا..))

ابتسمت ساخرة منه.. هذا ما يحاول إقناع نفسه.. لكن من
يخدع؟

هي تعرف أنها تعجبه كما هو يعجبها ولن يُبعدها عن حياته
أبدا..

مدت كفها لتلمس باطن كفه وهي تسأله

((فقد ادخل بيتي فأنت زوجي الآن))

قال بصوت قوي وهو يشيح بنظره عنها ويدعي الشرود بالنظر
إلى الطريق

((لا شكرا..))

ابتسمت له وهي تخبره

((حسنا.. كما تريد.. هناك الكثير من الأيام القادم أساسا))

ثم فتحت السيارة وهي تخرج منها بابتسامة متحمسة للأيام
القادمة..

بينما أطلق راجي بهم أنفاسه القويّة الهادرة..

غاضب هو من نفسه أشدّ الغضب وقد خذل نفسه..

خذلها عندما سلم نفسه لرغباته وهو يعرف أن قرار زواجه لم
يكن صحيح..

صحيح هو منجذب إليها.. ربما بسبب مظهرها الخارجي
وغموضها.. ربما بسبب شيء ما بكاريزما شخصيتها..

لكن السؤال الذي يتردد بعقله الآن وبشكل شديد الوضوح من
جديد ويتردد صدها فيرتجّ بداخل روحه بشكل مخيف.. هل هو
واقع حبها؟

وحتى ولو كان يحبها.. هل هو قادر على أن يتقبلها بتفكيرها
وتصرفاتها وعاداتها؟ وهل ستتقبلها عائلته؟ هنا عاد يزفر
بإحباط..

=====

=====

نزلت هيام من سيارتها لتقطع المسافة منها إلى المطعم وهي
تحاول أن تهدئ من توترها..

توقفت أمام باب المطعم الذي طلبت منه التواجد فيه لتغمض
عينيه وتأخذ نفسا عميقا تفره ببطء قبل أن تضع يديها على
المقبض وتدفعه لتدلف للداخل وهي تشتم نفسها بعقلها..

تعرف بان ضميرها لن يتوقف عن تأنيبها على قبول دعوته..

أدارت عينيه تبحث عنه وتتنظر بأحاء المطعم الكبير ذي
الإضاءة الهادئة والديكور الحميم..

كان احمد يجلس في ركن بعيد في الحجرة فتقدمت له هيام
بتوتر وبخطى هادئة عقب أن مسحت بعينيه جميع المتواجدين
بالمطعم خشية وجود من قد يعرفها أو يعرف احمد..

وضعت يديها على ظهر المقعد المقابل ملقياً عليه التحية ليرد
لها وابتسامته في تزايد..

كانه لا يصدق انه يراها ويجلس معها بمكان واحد مجددا
ويلتقي بها كالأيام الخوالي..

ما أحلاها من مشاعر تنتابه عند لقائها الآن وما أرق تلك
الأحاسيس التي يشعر بها ولم يسبق وإن شعر بها إلا وهو
معه.. وما أصدق قلبه الآن مع زوجة قلبه..

حذق بعينيه بعمق وهو يطلب من النادل شرابا دافئا لكلاهما ثم
شكره قبل أن يذهب لإحضار طلباتهم..

مطّ احمد شفثيه وهو يقول بغير رضا لم تمنع من ظهور
ابتسامه ثقة على محياه

((مع أن المكان لا بأس به هنا.. إلا أنني تمنيت أن نتواجد بمكان
أفضل وأرقى.. ربما وأكثر خصوصية.. كنت أفضل الذهاب
ذاك لمطعم القريب من جامعتك التي تدرسين فيها..))

وكانه لا يريد تفويت أي فرصة ليظهر لها أن هذا الدكتور أمامها لا يقل شيئا عنها.. حتى بالمستوى المادي الذي رفضه والدها لأجله..

ظهرت بعينها القليل من الشراسة وهي تقاطعه بشدة ناهره إياه

((هل جننت؟ أنا لا أستطيع انه اذهب لمكان قريب من مقر عملي.. أخشى أن يتعرف عليّ أو عليك أحد))

استند احمد على كرسيه وعقد ذراعيه أمام صدره قائلا بمكابرة

((نحن بمكان عام ولا نقوم بجريمة.. اعتبريه لقاء أو تجمع لأصدقاء قدامي))

تصنعت الابتسامة وهي تقول من بين أسنانها

((احمد.. أخبرتك أنني لا أستطيع أن أكون صديقة مع شخص كان في السابق حبيبي.. ولا أريد أي صلة أو علاقة تربطني فيك.. وأريد أن يكون هنا لقائنا الأخير.. تحدث بما لم تستطع الحديث عنه أمس ولننهي كل شيء بيننا))

توقفت قليلا ثم فغرت شفقتها المرتعشتين وأردفت هامسة بصوت مرتجف وهي توشك على البكاء

((هيا أفصح عن كل ما بداخلك تجاهي ثم لنودع بعضنا ودعنا نتفق ألا نلتقي مرة أخرى لأنني لا أستطيع تحمل وجع إضافي.. ما زات لم أتشاف من غدرك بي قبل سبع سنوات))

تصلبت ملامح احمد وهو يرمقها بنظرة دهشة خاطها الغضب..

لا يصدق أنها مصرّة على أن تحمله ذنب انفصالهم وتتهمه اتهامات مبطنّة بكلامها عنه..

استعاد رباطة جأشه ليقول

((أصبحت خشنة الطباع هيام.. لا اصدق طريقة كلامك.. أين الفتاة الرقيقة التي لم يسبق لها وأن تخلت عن نعمتها ومرحها؟))

لاحظ هيام ترسم ابتسامة سخيفة على شفثتها.. ليسترسل سائلا ببرود

((الم تحصي عدد المرات التي طلبتك فيها للزواج من والدك؟ وبكل مرة يخبرني بشكل مباشر بأني لا الليق بكم بسبب وضع عائلتي المادي))

حركت هيام رأسها مبتعدةً عن ناظره بينما تغلي في أعماقها وحقدتها تجاه والدها يتحرك فيها..

حتى أن والدها أخبر احمد أنه لن يزوجها من خارج العائلة وأنه بالفعل قد تقدم شخصا آخر لها وافق عليه.. لكن مع ذلك لو أحبها فعلا فكان عليه أن يحارب لأجلها..

ردت عليه هيام بنبرة حادة تريد أن تفرغ فيها كل ما بجعبتها من كبت بقي لسنين طويلة والشعور بالخناجر المصوبة ناحية قلبها بطعم الخيانة والغدر كلما سمعت اسمه يقترن باسم إيمان

((إذا لماذا لم تحارب وتبذل جهدا أكبر لكسب رضا والدي؟ كان بإمكانك تأجيل الموضوع حتى تجد عمل بدوام كامل.. كنت سأنتظرك لآخر عمري حتى تُكون نفسك.. أي والد مكان والدي بالتاكيد لم يكن سيقبل بك بدون شقة أو عمل براتب جيد.. لكن أن تنفصل عني بهذه السهولة ومن ثم تقوم بخطبة فتاة غيري.. ومن هذه الفتاة؟ إيما قريبتني))

قناع من البرود تلبس ملامح احمد وهو يجيبها

((هذه القريبة قبلت بي كما أنا.. لم يطلب مني والدها أي ماديات فوق طاقتي.. مدح أخلاقي وأخلاق عائلتي بعد أن سأل عني ولم يعسر زواجنا.. أتعرفين أن أمي كانت تشك بخطب ما

أو مشكلة تخص إيمان! لم تصدق أن فتاة جميلة حاصلة على جنسية أمريكية تقبل بي بدون أي طلبات أو شروط تعجيزية))

حسنا لا ينكر انه كان ببداية زواجه منصدم من إيمان..

قدومه المتكرر لقرية هيام كان سبب بتعرف والدته على إيمان لتستطيع فيما بعد إرضاخه هي ووالده أن يتزوج بها..

ظن أنه لن يجد بزواجه التقليدي العقلاني من إيمان أي إيجابيات إلا بجنسيتها الأمريكية كما أنه سيستخدمها كمطبخ للجروح وبديل لينسى حبه لهيام..

بل الحقيقة أنه لم يتوقع أن ينجح زواجه بإيمان فقد تزوجها بدون أن يتعرف عليها جيدا..

ظنها ستكون شابة مدللة متأثرة بالفكر الغربي لكنه صدم فعلا منها بعد الزواج..

فإيمان كانت شرقية التفكير وإنسانة مجتهدة تضع بيتها في مقدمة أولوياتها.. بسيطة ومتفائلة.. اتكالية ولست متواكلة.. لكن مع ذلك كله لم تستطع جعله يحبها وينسى هيام..

جفل فجأة عند سمع ضحكة هيام الخافتة..

نظر لها.. فبادلته ابتسامة استهزاء وهي تقول له بسخرية لاذعة لم تمنع من ظهور ارتعاش بصوتها

((حسنا الحمد لله.. أنا سعيدة من أجلك.. أنا سعيدة أنك وجدة الامرأة المنشودة بحياتك.. أتمنى أن تحظى بحياة سعيدة مع زوجتك وطفلك.. الآن لا يوجد شيء لنتحدث به.. إلى اللقاء))

وبمجرد أن التقطت حقيبتها لتقف وجدته على الفور يتقدم منها مسرعا يمد يده أمامها يمنعها من الخروج ويطلب منها البقاء بشكل لفت انتباه الموجدين حوله..

ومنعا لمزيد من الانتباه حاولت أن تحافظ على هدوئها وهي
تعود لتجلس على كرسيها فيجلس هو الآخر..

لحظات وسألته هيام بملامح باهتة غريبة

((ماذا تريد مني يا احمد؟ ماذا؟ اتركني وشأني.. لماذا تريد أن
تعود لحياتي؟ وكيف تريد مني أن اسمح لك بالتحدث معي
واللقاء بي؟ بأي صفة؟))

((زوجة ثانية))

قالها بثقة وإصرار وعلى الفور لتتعد حاجبيها..

لحظات أخرى مرت عليهما لم يُسمع إلا صوت أنفاسهما
ليردف مكررا طلبه ومؤكدا لها

((أتمنى أن تعطي حينا فرصة أخرى وتقبلي بعرضي للزواج
منك.. أنا لم أحب زوجتي أبدا))

كان هذا هو طلب احمد لها بمنتهى البساطة.. أن تكون زوجة
ثانية له..

مما جعل هيام تفغر فمها مصدومة.. وكأنها لا تفهم ولا
تستوعب.. كل ما تدركه في تلك اللحظة هو أن مشاعرهما حاليا
كانت عبارة عن عاصفة هوجاء متناقضة الأحاسيس.. لكن
أغلبها كان عنيفا..

لكنها لا زالت لا تستوعب شيئا..

لن تنكر أنها شكت بأنه سيطلب منها ما طلبه بحال كان فعلا
جديا بأنه يريد لها بحياته..

بل إنها كانت قد فكرت بهذا الأمر كخيار وحيد أمامها للاجتماع
مع احمد كالماضي حتى وقبل أن تتوقع بأنه سيطلب منها
الزواج بالأصل..

لكنها الآن وقد غدا ما تمنته حقيقة.. توقف تفكيرها عند حد ما..

ماذا عن إيمان؟ أَلن يؤذي مشاعرها زواجهما؟ ما ذنب إيمان
بمرض العشق الذي ابتليت هي به قبل أربعة عشرة سنة عندما
رأت احمد لأول مرة بحياتها!

ما ذنب إيمان لتأتي هي هيام كدخيلة بينهما!

أو ربما إيمان هي دخيلة لا هي..

فايمان هي من تزوجت من عاشق لغيرها.. حتى ولو لم تكن
تعرف من قبل..

أجبرت هيام نفسها أن تتوقف عن دوامة التفكير هذه وهي ترفع
رأسها نحو احمد ورجفة تنتشر بانحاء جسدها..

لتنفوه بأي شيء يمكن أن يبعده عنها كمحاولة واهية

((صعب يا احمد أن يعود الحب كما كان بعد الفراق..
والأصعب أن نظلّ ننتظر عودته.. أكرر طلبي منك.. أرجوك
ابتعد عن حياتي وأنساني وأحب زوجتك.. حتى لو كان يعني
ذلك أن تكرهني))

كان عليها قول ذلك مهما لم تكن صادقة بمشاعرها.. لكن
جاءها الرد منه قاطعا

((مستحيل أن أستطيع ذلك.. صعب يا هيام أن تختار من تحب
لكن الأصعب أن تحاول كراهية من كنت تحب وتعشق
بجنون))

أنكس رأسه وهو يضيف بقهر

((فراقنا كان بمثابة جرح عميق لي.. بل جراح.. جراح ما
زال في قلبي تنزف.. جراح تعفنت من كثرة الدماء.. جراح

أطفأت رغبتى بالاستمرار في الحياة.. لا علاج لها إلا أن نعود
لبعضنا أرجوك.. أرجوك فكري مليا بعرضي))

حل الصمت بينهما لبضع لحظات قبل أن تقول هيام بصوت
متردد وهي تحدد ببحر عينيه الزرقاوين ما إن عاد ليرفع
وجهه وهي تبحث عن الحقيقة فيهما

((ألست سعيدا مع أيما؟ ألا تحبها حقا؟))

ظهرت التقطبية ملاً وجهه وهو يردّ بسرعة نافيا

((أبدا.. لم أحب إيما أبدا.. مهما بذلت جهدي وحاولت أن أحبها
ولكني لم أستطع.. لا ذنب لأيما.. بل على العكس.. إنها امرأة
تقليدية وربما مثالية عن واقعي.. لكني لم اشعر بالسعادة معها
أبدا.. بل لم أذق السعادة منذ أن افترقت عنك.. أيامي منذ
افترقنا كانت سوداء لا ترى الشمس يسكنها الصمت والعذاب
وتغمرها ظلمة الليل ولا تعرف معنى الألوان.. أيامي بعد
افترقنا كانت تحتضر وأمضيها كالأشباح من دونك يا هيام..
والآن وبعد رؤيتك وجهها لوجه ولفاننا هذا بالذات.. فاليأس
والصنّاع لن يتركانني إذا رفضت أن تكوني جزء من حياتي))
حركت هيام رأسها نافية.. تعرف أن ما يتمناه هما الأثنان لن
يحدث..

غامت عيناها بابتسامة حاملة وهي تقول

((لا يا احمد.. عائلتي سيرفضون زواجنا مرة أخرى وسيكون
رفضهم هذه المرة أشد.. فانت متزوج ومن قريبة أبي تحديدا..
لا أستطيع أن أظلم إيما وابنك.. لن أقبلك زوجا.. لن أقبل أن
تحزن زوجتك من أجلنا))

كانت حدقتي هيام تتحرك وهي تنظر بعينيه وبشكل مباشر
وتتابع القول بهدوء مصطنع وصوت متذبذب

((أنا لا أفكر فيك كزوج.. أنا راضية بحياتي.. هكذا عزباء
برغبتي.. ولأكون منصفة قليلاً أنا لم أنخدع فيك ولم تجرح
قلبي بخيانة مباشرة.. معك كل الحق.. لو لم يرفضك أبي لما
كنت ستفصل وتتزوج من غيري.. لذا لننسى كل شيء بيننا..
وداعاً))

تلاأت العبرات في حدقتها تأثراً فكفكت دمعاتها قبل أن تنهمر
مرددة في نفسها بنبرة عازمة أن ما فعلته هو الصواب..

فهي لا تريد أن تبني حياتها على حساب إنسانة أخرى..

ثم جذبت حقيبتها من على الطاولة وغادرت مسرعة تاركناً
احمد لوحده بوجوم..

جلب النادل الطلب بعد ربع ساعة من طلبه ليفاجئ بمغادرة
السيدة التي كانت جالسة أمامه..

لكن احمد طلب منه أن يضع ما احضره على الطاولة شاكرة
له..

ففعل النادل بينما كان احمد لا يزال شارداً أمامه..

لا يصدق أنها رفضت الفكرة ككل..

ليس لأنها لم تستطع مسامحته بل حتى لا تظلم زوجته.. ولم
سنظلمها؟

الواقع أن لا دخل بها بعلاقته مع إيمان..

هو لا يُشعر بنفسه مكتمل معها.. إيمان ليست هي الزوجة التي
يريدها والأمر ليس متعلقاً بالحب فقط..

هو ليس بحاجة أن تكون زوجته حامله للجنسية الأمريكية
وتمتلك وجه وجسد عارضات مشهورات..

هو بحاجة لإنسانة يستطيع المناقشة معها والتحاور.. يفهمها وتفهمه ومن نفس مستواه التعليمي..

فعلاقته هو وإيمان لا تفقد للحب وحسب بل إن هناك فجوة ثقافية موجودة بينهما تمنعه من أي يكتفي بها..

فحتى ولو كانت إيمان معلمة تعمل بإحدى المدارس الخاصة التي تسمح لها بالتدريس وتكفي بشهادتها الثانوية العامة للغتها الإنجليزية..

ولكن كلما تقدمت بهم السنوات وزادت مكانته هو العلمية والعملية كلما شعر بأن إيمان لم تعد تناسبه فهي منغمسة تماما بهموم البيت وأبنة والتنظيف والطبخ وغير مواكبة للعصر..

حاول عدة مرات التحدث معها حتى أنه جلب لها مجموعة من الكتب الثقافية..

لكنها لم تتغير أبدا لا بل على العكس تماما بقي حديثها محصورا ضمن مساحة البيت والمطبخ ومشاكل صديقاتها..

على عكس هيام التي وحتى مع اختلاف تخصصاتهم إلا أنه دائما ما كان متفاهما معها بالماضي..

مؤخرا رافقته زوجته إيمان إلى حفلة أقامها أحد زملائه بمناسبة افتتاحه عيادة..

هناك تسببت بإجراجه عدة مرات بسبب أحاديثها وطريقة نقاشها الهجومية على بقية السيدات..

كان من الواضح أنها تغار منهن حيث أن جميعهن من مستوى أزواجهم العلمي باستثناءها هي فلم تستطع أن تكبت غيرتها وتعليقاتها الاستفزازية فضحتها..

ولذلك اضطر احمد الانسحاب من الحفلة واختراع حجة واهية للمغادرة..

تلك الحادثة كانت القشة التي قصمت ظهر البعير فمنذ تلك الليلة
واحمد بالفعل يشعر بأن التفاهم بات معدوما بينهما..

فهي في وادي وهو ومجتمعه وأصدقائه في وادي آخر..

ومن المستحيل أن ينزل هو إلى مستوى تفكيرها فهذا لا يبدو
منطقيًا..

وعلى الرغم من أنه مد لها يده عدة مرات كي تصعد إلى
مستوى تفكيره إلا أنها لم تفعل.. بل أنها كانت على العكس
تحاول شده إلى الأسفل..

من الجيد أن ابنه الوحيد لم يتأثر بها وأنه يتشبه به دائما..

أحيانا يفكر بأن الطلاق هو الحل.. وهذا لا علاقة لهيام وحبه
القديم لها بهذا القرار..

هو فقد سأم فلماذا عليه أن يربط حياته بشخص لا يشبهه أبدا..

لكن أحيانا أخرى يفكر بأن في هذا ظلم لإيمان لذا سيحاول
جاهدا أن يجد سعادته بالزواج من هيام بدون أن يطلقها ويحفظ
كرامتها..

فهيام ليست حبه وحسب بل هو معها سيغدوان كشخصين
متناسقين ومتفاهمين فضلا عن كونهما عاشقين..

زفر احمد بيباس.. لقد دفع ثمن غلطة التخلي عن أحببها لسنين
طويلة.. ولقد تعب..

=====
=====

من المولم لها أن تقف أمام المرأة فلا تتعرّف على نفسها..

من المولم لها أن تنادي بصوت مرتفع فلا يصل صوتها..

أن تشعر بالظلم وتعجز عن الانتصار لنفسها وتبدأ بالتنازل عن أشياء تحتاج إليها باسم الحب..

هل تستطيع أن تُغضب عائلتها وتعصيمهم باسم الحب؟

لكن أليس من حقها أن تختار من تتزوج؟ أليست كبيرة كفاية لتختار من تريد أن تكمل حياتها معه؟

تعود هيام لتسأل نفسها..

هل تستطيع أن ترح امرأة أخرى باسم الحب؟ ماذا لو رفضت إيمان وتطلقت؟ هل ستكون الملامة بانفصال والديّ عدنان؟

السؤال الأهم الآن بالنسبة لها وقد عاد احمد لها..

هل ستقدر أن تعود وتفترق عنه؟ فالآن وبعد أن التقته وفتح جروحها ستكون حياتها أصعب.. أصعب كثير..

ستعود لحياتها الخالية الفارغة السوداء مجددا.. لتسودها الوحدة الفاتلة والصمت..

من دونه لا تعيش حياتها إلا كغريبة فيها حتى وهي وسط أهلها وأصدقائها..

شعرت بألم جاثم على أنقاض فؤادها وقد تمكن من تلبس جسدها.. تمتمت لنفسها بهم يقتلها

((تبا لك يا احمد.. لم عدت وتواصلت معي! لم! لم!))

ذكريات الماضي بدأت تشغلها وبشكل متزايد لتخنقها بالنهاية همومها وأحزانها..

فلم تجد إلا أن تفتح كفيها لتدفن رأسها بهما.. لا تريد شيئا إلا هو..

=====
=====
بعد مرور أسبوع..

اقترب مراد من حجرة نومهما بجناح بالفندق ليقف متمسرا عند عتبة الباب وهو يحرق بجالا بذهول ممزوج بالامتعااض أمام مظهرها وهي تقف أمام مراتها..

فبالرغم من أنها لم تكسب وزنا منذ ليلة زفافهما إلا أنه لا يعرف لم يراها كل لحظة تمر تزداد إغراء له حتى بمقوماتها وإمكانياتها المتواضعة..

ارتسمت على محياه شبح ابتسامه سخرية.. فبالرغم من أن جالا ليست الأجل..

لكنها بالنسبة له فهي كذلك.. وستبقى كذلك بلامح وجهها النقية وشديدة النعومة..

كانت ترتدي فستاناً طويلاً أسوداً يتناقض مع بياض بشرتها الصافية.. وفوقها سترة من الحيزز الأزرق..

كانت تحاول بتركيز أن تلتف الوشاح الذي يماثل السترة لونها حول رأسها ببطء وهدهوء وهي تمرر عينيها على وجهها لتتأكد من أنه قد غطى كل شعرها..

وكم بدت الآن بغاية اللطف له..

هل هي كذلك أم هو فقط تأثير الضغط الذي يشعر به منذ أن اختلى بها بمكان واحد ولم يحرز أي تقدم بعلاقته معها ولو تقدم طفيف..

حتى انهما لا ينامان على نفس السرير ولا نفس الحجرة..

جمد مراد ملامح وجهه ثم تنحنح يعلن عن دخوله الحجره
وينبهها على وجوده..

فالوضع بالنسبة لها على ما يبدو أنه لا يصح أن يكون هو
زوجها قليل نخوة لدرجة أن يدخل عليها حجره النوم بدون
استئذان..

بمجرد أن انتبهت جالا لوجوده حدقت بعينيها البندقيتين الهادئتين
والباردتين جدا حد أنها شعرت بقشعريرة تمر على طول
ظهرها..

هدر لها بفتور أمرا

((انتظريني حتى أخذ حماما دافئ قبل أن نخرج معا))

هزت له رأسها موافقة وهي تشعر بريية على ملامحه التي
باتت تعجز عن تفسيرها وبماذا يفكر بها..

وما أن أخذ مآزر الحمام ودخل حتى تنهدت براحة..

ثم بحزن تذكرت أكثر ما يؤرقها وهي تجلس على طرف
سريرها وتزيل الحجاب من على رأسها بعنف وقد سأمت من
محاولة لفه بطريقة مثالية لربع ساعة أمام المرأة المستطيلة
الضخمة..

لا تزال تذكر ما حدث قبل أسبوع عندما صرخ مراد عليها
بسبب خروجها للشرفة بمنامتها وبدون وشاح على رأسها..

وقتها حاولت تجاهله.. ثم ليست إسدال الصلاة لتجلس على
كرسيها وتقرأ كتابا ما لعله يهدئها..

وبدلا من أن تقرأ بتركيز لتهدأ بدأ الغل يتسرب إليها وهي تعود
بذاكرتها لموقف سابق لها هي ومراد عندما كانت طفلة لا
تتجاوز العاشرة من عمرها..

كانت خارجة للبقالة وهي ترتدي ملابس قطنية طفولية بشورت
لا يغطي إلا الركبتين وأعلى الساقين..

ومع خروجها صادفت مراد بالطريق ليُصعق من لبسها
ويغضب بشدة..

حد أنه أمسك بكفها بعنف وجرها كالدابة عنوة عنها لبيت
والدها لا بيت أمها ليطلع والدها على مظهرها الذي خرجت
منه..

ثم بدأ يشكي له بحمية وبوجه محمر باقي تصرفاتها فينظر
والدها لها بسخط..

وينالها نصيب من التوبيخ لساعات من أبيها وجدتها وجدها..
فلا عجب أن والدتها لظالما رددت عن شدة كرهها له ووالدته
وبأنه يحمل نفس جيناتها..

لا تدري وقتها قبل أسبوع كيف غطت بنوم عميق بعد سعي
الغضب الذي كانت تشعر به بداخلها من استحضار هذه
الذكرى..

ولا تدري كيف نامت بعمق مع تواجهه بنفس الحجرة معها..
فهي ظنت أن البدايات فقط هي ما ستشكل لها هاجسا مرعبا
يصعب تخطيه..

لكن وعلى ما يبدو فأيامها القادمة كلها ستقضيها بالانخراط في
بكاء مرير..

أنداك قبل أسبوع عندما كانت نائمة على الكرسي وهي تغط
بنوم عميق شعرت بأحدهم يخلع أسدال الصلاة من عليها..

فتحت عيناها بذعر لترى وجه مراد على مقربة منها وعيناه
ذات اللون البندي تحقان بها..

لم تستطع إلا أن تنتفض متراجعة للخلف بهلع وهي تصرخ به بشكل اذعره هو..

كان مراد وقتها ينظر لها بدهشة وهي كانت تعذر دهشته..

تصرفه عادي.. فهو زوجها.. لكنها وضعها هي وردة فعلها لم تكن عادية..

وقتها مرت دقائق وهما على نفس وضعهما يحدقان ببعضهما..

وبمجرد أن اقترب مراد منها ليسألها عن حالها ومسك ذراعها حتى انتفضت وهي تبعده عنها بعنف..

لمسته لها جعلتها تتخيل وضعها المستقبلي مع مراد وكل ما يجب عليها أن تتحمله من قربه لها وما سيفعلانه من أمور حميمة معا بحكم أنهم متزوجان.. لن تتحمل ذلك..

ومع محاولته الثانية بالاقتراب منها بصرامة وهو يمسك بقوة كتفها ويثبتته.. هاجمها شعور بالغثبان لتسرع باتجاه المرحاض..

وقتها شعرت بالامتعاض الذي كان يحس به مراد عندما رأى نفورها منه حد إخراجها كل ما بجوفها..

لكن للحق فقلقه عليها وخوفه من إصابتها بالبرد لم يكن أكبر من انزعاجه من نفورها منه ومن لمسائه..

ولكن ماذا تفعل؟ فأكثر ما تنفر منه في حياتها هو ملامسة الرجال وحتى لو بدو من الخارج بصورة حسنة..

فهي بنفسها شهدت على ارض الواقع من كان ينحدر من عائلة راقية يشهد الجميع بأخلاقها وفعل بها ما فعل..

لكن وليؤسها.. رغبت كثيرا بالزواج..

كثيرا جدا حتى من غير كارم رغبت بأن تتزوج..

إلا أنها وعلى ما يبدو لم تكن تتخيل أن الزواج سيكون الارتباط
برجل من شحم ولحم.. وسيكون له حقوق عليها..

عادت مجددا لقصص الماضي..

عادت تتمنى لو أن من تزوجته هو كارم لا مراد..

أو على الأقل.. إذا لم يكن كارم مقدر لها.. فيا ليت شخصا
يشبهه كان من نصيبها لا هذا الجلف الجاف مراد..

يبدو أنها أخطأت خطنا فادحًا عندما وافقت عليه..

صحيح أن مراد لم يخطأ لكنه لا يناسبها..

وهي وافقت على الزواج منه لأنها اکتفت بالاهتمام بالمظهر
الخارجي والمستوى المادي لتتفاخر بأنها حظيت بزواج أفضل
من كارم..

والآن ستضطر أن تعيش آخر عمرها معه.. هذا إذا استطاعت
أن تحافظ على زواجهما..

طريقة ومسار تفكيرها الذي تعيشه غريب جدا..

حيث أنها تريد أن تحافظ على زواجها من مراد وهي تمقت
ونظراتها لها.. بالرغم من أي شيء.. عليها أن تحافظ على
زواجها منه..

نعم يجب عليها ذلك..

صحيح أن ما مر معها في طفولتها كانت تجربة صعبة
ومؤلمة..

ولا يوجد ذكر تثق به بحياتها إلا راجي أخيها..

ولكن ما مضى انتهى..

الآن عليها أن تعتبر أخطاء طفولتها صفحة وبإمكانها تقليبها
للأبد وعدم العودة إليها إلا للاستفادة..

أخذت تردد لنفسها أن الأمر انتهى.. نعم انتهى ولن يعود..

الآن ليس بإمكان أي أحد كائنا من كان أن يمسخها بسوء.. لأنها
شابة عاقلة واعية تملك زمام أمرها..

زفرت جالا بحزن وهي تتمدد على سريرها..

لطالما تمننت أن تتزوج شخصا مثل كارم.. مهما كرهت ما فعله
بها..

إلا أنها وهي تتذكر طفولتها معه قبل أن يغدو شابا ويستعد
للسفر من أجل دراستها..

كان لا زال يحمل قلب طفل وبراءته.. يناسبها تماما فهي لا
زلت تحس بأنها طفلة تحتاج لأحد يلعب معها..

ربما تريد رجلا مثل كارم الأول لأنها عاشت كل حياتها تلعب
وحيدة وتمضي ليلها ونهارها وحيدة من دونه..

تريد شخصا يشاهد أفلاما معها.. يضحك معها.. يركب
أرجوحة معها.. يسمعها.. تراه منجذبا لها ويشعرها أنها امرأة
متميزة بالنسبة لها..

أما كارم الثاني كان نافرا منها.. وكأنها سلة قمامة..

فعندما توسلت له على الهاتف بعد سفره أن يوضح لها سبب كل
ما حدث وهل فعلا أحب صديقتها؟

أخبرها السبب بكل صراحة حتى مع ترده وارتباكها بالخوض
في الأمر..

أخبرها أنه لم يستطع أن يحمل نفسه فوق طاقتها ولا يريد
ظلمها معه..

جفلت جالا على صوت مراد وهو يخرج من الحمام شبه عاريا
لا يستره شيء إلا منشفة يلفها حول خصره..

لتبدأ موجات رعب تتلاطم سريعا على جسدها.. كم تمقت قيام
أحد الرجال بالكشف عن جسده إلى هذا الحد من السخاء..

حتى على التناز لا تتحمل منظر رجل يكشف شيء من
جسده..

عقد مراد حاجبية لمنظر جالا الذي زاد اشتعاله غضبا عندما
لاحظ توترها وخفض أنظارها أرضا بعيدا عنه وهي تعتصر
أناملها خجلا واضطرابا..

تقدم ناحية الدولار ليخرج منها ملابس ليرتديها من أجل
خروجها..

ثم ابتسم بسخرية على فكرة أنها حتى الآن لا تسمح له برؤية
أي شيء من مفاتها وبالمقابل فهي لا تقبل حتى أن تتجرا
بالنظر لجسده.. عادلة جدا..

بعد أن انتهى من ارتداء ملابسه.. التقط منشفة أخرى ليجفف
شعره الطويل المبلول.. ثم هدر بها مستهزئا

((لقد انتهيت من ارتداء ملابسي يمكنك رفع بصرك.. الحقيقة
لم يسبق لي وأن رأيت أو سمعت امرأة تخجل من النظر إلى
زوجها))

ضايقها كلامه بشدة واستهزائه..

لكنها رفعت بصرها إليه لتهمس له بصوت مرتعش رقيق وهي
تحاول تغيير دفة الحديث بينهم

((هيا بنا.. لقد انتهيت من ارتداء لباسك.. صباح اليوم جميل
ومشرق.. والنشرة الجوية أكدت أن الأمطار لن تهطل طوال

اليوم.. لذا لنخرج ونذهب لكل الأماكن التي خططنا لها
ولنستغل كل لحظة بهذا اليوم))

كان مراد ينظر إليها متفحفا وهو يمرر نظراته فوق ملامحها
باهتمام لعدة لحظات..

لم يركز بحديثها بقدر ما كان يركز على لغة جسدها..

فلأن ما زال جسدها يرتجف ويبدو كما من يرسل شرارات
نفور.. نفور منه هو..

وهذا ما يجعله يفقد عقله.. أكل هذا لأنها سبق وأن رأت جذعه
عار؟ وكأنهما ليسا متزوجان..

لكنه وكالعادة مرر الموقف وهو يعوز السبب لزواجه المفاجئ
والذي كان بلا أي مقدمات أو حتى فترة خطوبة للتعرف..

فهما توقفا تقريبا عن التعامل والحديث مع بعضهما منذ زمن
بعيد..

أنتبه لجالا وهي تتملل بجلستها وتنتظره ليرد..

فركز على النظر لعيونها بهدوء قبل أن يقول هامسا برقة

((هيا بنا.. سأنهي تجفيف شعري واضع قبعة حتى لا أخذ نزلة
برد ثم لنغادر معا))

دقائق وكان مراد بالطابق الأرضي للفندق ينتظر عند الاستقبال
جالا التي تأخرت على ما يبدو وهي تعيد وضع وشاحها..

نظر للدرج ليلمحها تنزل عليه ببطيء وهدوء وكأنها تُغيظه
برقتها.. فدقق بالنظر فيها.. بل وكاد يفغر فاهه لجمالها..

أما جالا ما إن انتهت من نزول الدرج حتى رفعت نظرها
لتبحث عنه.. وما أن أبصرته..

وجدته يحدق بها بعينيه اللتان انعكس الضوء عليهما.. فظهرا
بلونٍ فريدٍ..

لون عيناه أول شيء فيه يحوز على إعجابها.. وهي التي لا
تشعر بأي شيء يتعلق به إلا النفور.. كباقي ما تشعر به تجاه
أي رجل..

عيناه ساحرتان فهما تتغيران مع الانفعالات الشديدة له حتى ولو
كان تغيرا لحظياً وغير جذري..

لكنه عندما يشعر بالغضب الشديد تصبح عينيه أكثر كثافة وأشد
لمعاناً.. وأحياناً أكثر قتامة.. أو قد يصبح اللون أخفّ أو أفتح..

لكن فقط عندما يبدو مراد سعيدا جدا يصبح لونهما أكثر
إشراقاً..

هذه الملاحظة عن شكله هي الوحيدة التي تذكرها عن
طفولتهما..

مع أنها لا تنكر أن مراد متوحش الوسامة..

وربما أكثر وسامة من وسامة كارم الأرسنقراطية والذي يشبه
بها عارضي الأزياء ورجال المجالات..

ومع أن كل من رأى كارم معها بالسابق كان يدحجها بنظرات
مزعجة مفادها أن كارم كثير عليها..

ولكن ها هي الآن متزوجة بمن هو يفوقه بمراحل..

جفلت جالا عندما انتبهت أنها أطالت التحديق به وهي تقف
بقربه..

وهي التي لم يسبق لها وأن أطالت التحديق بهذه الجرأة بأي
شاب قبله.. فأخفضت بصرها عنه..

انتبهت له وهو يهتف بها

((ما بك؟ هيا بنا.. لنبدأ جولتنا ليومنا الأخير هنا.. هيا))

.

.

بعد منتصف الليل..

انتهت جولة آخر يوم لهما عند البحر..

كان يوما ممتعا واستمتعا بوقتتهما كثيرا..

مع أن جالا زارت البحر كثيرا مع والدتها.. لكنها لم تستمع
بقدر ما استمتعت هذا الأسبوع خارجا مع مراد..

ربما لأنه مراد له طريقته المختلفة بزيارة الأماكن وعدم البقاء
بأي مكان أكثر من عدة ساعات..

خرجت جالا ومراد تقريبا طوال أيام أسبوع العسل..

لكن بعد ما حدث بموقف الشرفة.. كان مراد يعاملها بتجاهل
ويرود.. يعبر بوضوح عن أخذ موقف منها وأنه ليس راضيا
أبدا عنها..

خاصة بموضوع نومهما بمكان مختلف حتى ولو لم يتحدث
بالأمر..

لكن هي من تستغل سكوته بالاستمرار والتجاهل دام أنه لم
يتحدث بشكل مباشر بعد..

لكن الغريب بالأمر.. أنهما بمجرد أن يحل الصباح ويخرجا
لأي مكان بالخارج ليتمتعا بوقت شهر عسلهما..

تنسى جالا نفورها منه.. تمشي وتضحك معه بشكل مبهج..

وكذلك الأمر بالنسبة له.. ينسى كل تجهمه وامتعاظه وكأنه لا يريد أن يفوت على نفسه الاستمتاع بهذه اللحظات ويصبح مراد آخر..

وكانه لا يتعامل مع تلك التي يكره ما تفعله به..

و بمجرد أن يعودا لـحجرة الفندق حتى يعودا لشخصيتهما السابقة..

وهكذا.. وكان وجودهما بمكان مغلق واختلاهما ببعضهما هي المشكلة.. ليعود البرود عليه وكأنه شخصا مختلف..

طوال الأسبوع هذا فعلا الكثير..

استمتعا برؤية المرجان وأنواع مختلفة متعددة من الحياة البحرية كالدلافين الودودة وسلاحف البحر التي تعيش وسط أسراب كثيفة من الأسماك الملونة النادرة..

علاوة على الكائنات البحرية الليلية كالسلطعون والكركن والقريديس والتي لا تظهر إلا ليلاً بحثاً عن غذائها..

مارسا بأفضل المواقع الغوص العميق حيث كان تتوفر فيه أجهزة غطس عالية الجودة إلى جانب وجود مدربين محترفين مهرة..

وبعيدا عن الغوص استطاعا أيضا التمتع بمشاهدة روائع البحر العميق المدهشة من خلال القيام برحلة بحرية على ظهر قوارب ذات أرضية زجاجية شفافة التي يُستطاع من خلالها رؤية الأحياء البحرية المتنوعة والنادرة..

زارا المحميات البحرية التي تحتوي على أنواع نادرة من الأسماك والكائنات البحرية النادرة..

زارا أيضا الأسواق التي تكتظ بالسلع العديدة والمتنوعة..

نزل مراد برفقة جالا من سيارة الإجارة التي أوصلتهما
للفندق..

وها قد حان الوقت ليمسح مراد تعابير السعادة والمرح من على
وجهه ليبدلها بالحنق بما أنهما الآن يقفان أمام باب جناح
غرفتهما بالفندق..

لكن وبدون أن تشعر جالا.. وجدت مراد يمسك كف يدها بقوة
أربكتها بينما يفتح باب جناحهم بالمفتاح ويدخلا من الباب..

بمجرد دخولهما سحب جالا يدها منه وهي تجلس على حافة
الفرش..

تراه يخلع معطفه ومن ثم يفك أزرار قميصه.. فأشاحت بوجهها
عنه وهي تغادر الحجرة..

ما إن لمحها مراد تخطو عتبة الغربية حتى ظهرت ملامح
التوتر والغضب على وجهه..

فناداها لتقف مكانها..

أخذت نفسا مرتجفا ثم استدارت له..

رفعت وجهها ببطء تنظر إليه لكن سرعان ما قامت بخفضه
مرة أخرى حين رآته ينظر لها بينما يزيل آخر قطعة ملابس
يرتديها فيظهر صدره العاري وجذعه القوي..

اقترب مراد منها ليزداد اضطراب أنفاسها وهي تشعر
بخطواته..

ما إن حاول أن يمد كفه تحت ذقنها ليرفع عينيها إليه حتى
انتفضت قبل أن تسمح له بلمسها مرة أخرى..

لم تكن مطمئنة له وماذا ينوي..

فغر مراد فمه من انتفاضتها..

لقد كانت بالخارج وقيل قليل مبتهجة تضحك معه وتمضي وقتنا رائعا..

لقد امضيا الأسبوع كاملا هكذا بالخارج يتصرفان بأريحية وكأنهما صديقان والسعادة لا تفارق محياهما..

لكن وما إن يدخل جناحهما بالفندق ويغلق الباب خلفهما لوحيدهما حتى يبدأ نفورها منه يظهر عليها فيجد نفسه لا يستطيع التعامل معها إلا بأسلوب بارد..

والغضب والامتعاض منها يزداد بداخله..

بالإضافة إلى أنها حتى الآن لم تسلمه نفسها وهذا ما يفقده عقله..

نعم هو دائما ما يكرر على نفسه أن زواجهما مر بسرعة وعليه أن يعطي لنفسه ونفسها المزيد من الوقت..

ولكنها لا تسمح بأي مقدمات لهما للتقارب وتتهرب حتى من فكرة النوم معه بنفس الحجرة طوال هذا الأسبوع..

لكن مع ذلك كله.. نفض كل هذه الأفكار من داخل رأسه ليقول لها برقة هامسا

((جالا.. أليس من المفترض أننا نحاول أن نعتاد على بعضنا؟ لم تنتفضين هكذا كلما لمستك؟ علينا أن نسمح لأنفسنا بالتقارب أكثر من هذا.. ومن اليوم لننام بنفس السرير.. موافقة؟))

ومع أنها لم تكن تنظر له.. ألا أن حدقتيها اهتزتا بتوتر.. فهزت رأسها بالإيجاب ببطء وخجل..

كلامه صحيح.. وتعرف أنها مخطئة.. هو يتركها تفعل ما يريحتها.. ولكن يكفيها استغلالا له..

لانت ملامح مراد أكثر وهو يرى توترها وشرودها..

اقترب منها والتقط كفها فسمحت له أن يجرها لتجلس بجانبه
على فراش السرير..

ولم يخف عليه الارتعاش الذي شعر به بمجرد أن لمس كفها..
فأردف لها بصوت رقيق حنون كما لو كان يحدث طفلة صغيرة
خائفة أمامه وهو

((جالا.. اهدئي.. لا شيء سيحدث!))

منحها بعض الوقت لتطرق رأسها أكثر ناظرة إلى الأرض
بصمت..

فمد يده لذقنها ليرفع وجهها الذي ظهر الخوف عليه بشكل
واضح..

ابتسم لها بارتباك ابتسامة مهدئة مردفا

((جالا صدقيني.. حتى ولو كنت زوجك لن المسك أبدا بدون
موافقتك.. لذا لا تقلقي))

مع أن جسدها كان لا زال يرتجف من قربيه إلا أنه ولسبب
تجهله شعرت بالراحة تتسرب إليها..

مررت طرف لسانها فوق شفثتها تحت أنظاره بأجفانه
المنخفضة التي تخفي ورائها اشتعال كل ما بداخله..

لحظات مرت عليهما وهما مستمرين بالنظر لبعضهما حتى
لاحظت جالا نظراته المشتعلة لها..

بدأت دقات قلبها تضرب بعنف وهي تراه يقترب بوجهه منها
بينما يغمض عينيه فيتلاشى أي أثر للراحة والسكينة بداخلها
وإزداد تنفسها بسرعة إثر هذا التقارب الخطير بينهما وما
تعاينيه فيه من استحضار ماضي قاسي ومخزي لها..

عرفت أنه يحاول أن يقبلها من ثغرها.. فكانت ردة فعلها أن وضعت يدها بشكل تلقائي على صدره لتدفعه عنها..

ثم وقفت لتبتعد من مكانها وهي تراه فاغر الفم ومصدوما لردة فعلها..

فعدت للوراء خطوة واحدة حتى التفتت وراها ما مجفلة عندما كادت أن تقع عندما اصطدمت بالطاولة خلفها لولا أن مد مراد ذراعه سريعا ليجذب خصرها نحوه..

ها هو مُصّر للتقارب منها بقرب خطير ولكنه وعلى عكس آخر شيء توقعته..

نظر لها مراد بابتسامته التي جاهد على أن تخرج محتوية لها لا مصطنعة ليقول لها بحدة لم يقصدها وهو يتركها ويبتعد عنها

((كما أخبرتك لن اقترب منك إلا عندما تكوني جاهزة.. فلا داعي لتلك الأفكار التي تتقاذف داخل رأسك.. لأنها تجعلني أرغب في دق عنقك))

قال آخر جملة بقهر داخله عجز أن يخفيه بالرغم من ابتسامته الذي لا زال يجبر نفسه على إبقائها على وجهه..

لكن بمجرد أن ابتعد أكثر.. وجدها تنتفض منه ثم تنحني لتلتقط إحدى المنامات الحربية التي اشتراها الاثنان سويا سابقا وركضت باتجاه الحمام..

كان يريد الصراخ فيها ويسألها ما إن كانت ستببت ليلتها هنا معه بنفس الحجرة أم ماذا.. لأنه لن يسمح بغير ذلك..

لقد قرر سابقا بين وبين نفسه أنه يمكن أن يصبر عليها لأشهر قبل أن يحدث شيء بينهما.. ليزيح قليلا من توترها وخجلها..

من كان يصدق أن جالا تلك التي لم تمتلك ذرة حياء سابقا.. يعاني الآن مع خجلها ونفورها منه؟

توجه إلى السرير ليدفن نفسه تحت الأغطية بعد أن أطفأ الأنوار..

دقائق وشعر بها وهي تخرج من الحمام بهدوء ثم تزفر براحه وقد ظنت بأنه غفى..

ابتلعت جالا ريقها وهي تستدير متوجهة لتقضي نومها خارج الحجرة.. لكن تسمرت بمكانها عندما وصلها صوته الحازم الحاد

((جــــــــــــــــالالا.. ستنامين هنا بجانبني على نفس السرير الليلية))

فركت يدها بتوتر وهي تهمس بصوت مرتجف وتستدير

((نعم هذا ما كنت أنوي فعله.. أساسا كنت أريد إحضار شيئا قبل أن اخلد بالنوم بجانبك على نفس السرير))

نظرت حولها عاجزة عن التفكير بكيفية التصرف.. لتفتح أخيرا باب الحجرة على اتساعه وكأنه تؤمن طريقا للهرب لها..

ثم سارت نحو الجهة الأخرى من السرير لتنام على ابعد نقطة منه..

مرت مدة طويلة من الليل حتى غفت بعد أن ظنت أنه نائم بعمق وبعد أن ظنت أن النوم سيأبي زيارتها الليلة..

كان نومها خفيف.. ولن يكون غير ذلك وهذه أول مرة تنام بوجود رجل لا تتقبل وجوده بنفس الحجرة وبهذا القرب..

ومراد لم يكن بأفضل حال منه. وهو يسمع صوت أنفاسها الغير منتظمة دليل على أن نومها لم يكن عميق..

يبدو أنها بالفعل لا ترتاح بالنوم قريبة منه..

شعر بخيوط من العرق ينساب على طول عموده الفقري.. كأن
هناك نيران تشتعل بداخله وتحرقه بسبب قربها منه الآن..

فأغمض عيناه وهو يحاول التهدئة من غضبه..

نعم هو ليس قديسا.. ولكنه لم يكن بكل هذا القرب من أي أنثى
بحياته.. حتى سهر كان كل ما بينهما خطبة بلا عقد قران..

لكن الآن.. الأمر لا يتعلق بمجرد قربه من أنثى.. الأمر
مختلف..

فهو لم يكن ليشعر ما يشعر به الآن لو لم تكن من تنام بجانبه
هي من أحبها قلبه..

زفر بأنفاسه الملتهية وهو يعتدل قليلا من مكانه وينظر
بابتسامته الحنونة المخصصة فقط لها..

يشعر كأنه مسلوب الإرادة أمامها تلك التي وقع صريعا في
محارب عشقها وفتنتها..

لكن فجأة عقد حاجبيه وهو يتعجب من حالها وهي نائمة..

ماذا دهى جسدها الآن ليتصبب عرقا وأنفاسها تزداد ثقلا؟
وكانها ترى بنومها كابوس ما..

بالليالي السابقة كان ينهض بعد منتصف الليل من مكانه
ويتفقد نومها بالحجرة التي تنام بها..

كان يبدو على محياها الراحة أثناء نومها..

إذن سبب ضيقها وكوابيسها الآن لأنها تنام بقربه؟

بانزعاج قرب كفه لها وببطء ليهزها ويجعلها تستيقظ من هذا
الكابوس المزعج التي تعيشه..

لكن فجاءة قست ملامحه وهو يبعد الغطاء عنه ويقوم منتفضا
من مكانه مغادرا الحجرة تاركا إياها تواجه كوابيسها لمدة
أطول عقابا لها..

كيف تتجراً بأن تكره قربه منها إلى هذا الحد!

=====
=====

همس احمد مودعا بصوت محشرج

((إذن وقبل أن أقول إلى اللقاء.. هل أرن على هاتفك غدا بنفس
الوقت؟))

وكان سؤاله أعادها للواقع الذي كانت غائبة عنه منذ ليالي هذا
الأسبوع..

تنهدت هيام بحزن وإحباط لتقول بصوت مداري متردد
ومنخفض وكأنه يعبر عن الذنب الذي تذكرته بعد أن تعمدت
نسيانه

((لا أدري.. ولكن لا أظن ذلك.. أرجوك لا تفهمني يا احمد
بشكل خاطئ.. أنا استمتعت بالحديث معك طوال الأيام الماضية
بالفعل.. ولكن لا أظن أن حديثنا هكذا صحيح.. لست مقتنعة
بدائرة الصداقة التي نتخذها عذرا لتتحدث بحريه هكذا.. حتى
أنت تتحدث معي وأنت خارج بيتك.. لأنك تعرف أن ما نقوم به
ليس صحيحا))

أتاها صوت تنفسه الحاد الذي أتبعه بسؤاله بصوت أجش خشن

((أنت ترفضين بشراسة حتى فتح موضوع طلب يدك..
ترفضين موضوع زواجنا رفضا قطعيا.. والآن لا تريديننا حتى
أن نكون أصدقاء؟ هيام من المستحيل أن أستطيع تركك..
خاصة بعد أن عدت لجنة حيك.. إذا استطعت تركها أول مرة..
فمن المستحيل أن أملك القوة لفعلها مرة أخرى.. بل ساموت أن
ابتعدت عنك.. أنا مستعد أن اجثوا راکعا لك لتصفحي عني..
ولكن أرجوك ابقی جزءا من حياتي.. زوجة.. صديقة.. أي
شيء.. المهم أن تبقى))

مع أن حديثه واعتذاره الذي لا يكف عن التوقف عن التكلم به
طوال الأيام السابقة يجعلها تبتهج..

إلا أنها شعرت بأنه يضغط عليه بدرجة كبيرة.. فردت عليها
بحدة وعصبية لم تتعمدها

((احمد.. أن الأمر فقط أنني لا أؤمن أن رجلا وامرأة أحيا
بعضهم بالسابق بجنون يمكنهما أن يكونا أصدقاء.. لا أؤمن
أساسا أن هناك صداقة بين رجل وامرأة.. لا ديني ولا مجتمعي
يسمح بصداقة رجل وامرأة.. وكذلك الأمر لا أستطيع أن ابني
معك بيت آخر على حساب بيتك الأول.. لذا..))

بقي ينتظرها لتكمل حديثها..

لكن الصمت بقي بينهما للحظات قبل أن تقطعه هيام وهي
تردف بصوت جاهدت على جعله ثابت

((احمد.. لست مرتاحة كثيرا بالتحدث هنا بمنزلي وقد حل
الظلام وحن وقت النوم.. ربما سأحدث على الهاتف معك غدا
بإحدى استراحتي بين محاضراتي.. لكن.. أنا لا أدري إذا كان
سيناسب مع وقت فراغك أنت.. فلا بد أن عمك طويل ومرهق
بعيادتك النفسية.. وأيضاً..))

قاطعها فوراً بلهفة وهو لا يصدق تساهلها ليهدر

((لا.. لا يهمني شيء.. اتصلي عليّ بأي وقت تريدينه..
وسأترك كل شيء بيدي وأحادثك.. فقط.. أرجوك لا تترددي
أبدأ بالاتصال.. أرجوك.. فلا بد أنني سأكون مشتاق إليك كما
يشتاق المدمن لجرعته))

ضحكت برقة من كلامه..

لا تصدق أن احمد هو نفسه الذي سبق وأن عرفته من يتحدث
بلهفة هكذا.. فردت عليه بدلال

((كفاك مبالغة.. أنا..))

لكنه قاطعها بما لا يقبل الشك

((أنا لا أبالغ.. هل عندك شك يا هيام قلبي؟))

وعندما شعرت بدقات قلبها تزيد من خفقاتها.. هتفت بسرعة

((حسنا.. إذن.. إلى اللقاء))

وبدون حتى أن تنتظر رده أغلقت الهاتف..

لحظات.. وتنفست بارتجاف وهي تغمض عينيها استمتاعا
بتراقص تلك الفراشات الصغيرة بسعادة داخل جنبات قلبها..

كم تود بالفعل أن تعبر بسهولة عن حبها واشتياقه له كما يفعل..
مع أنها تعلم أنه ومع كل ما يخبرها إياه إلا انه ما زال يضع
حواجز بينهما نظرا لطبيعة علاقتهما..

رباه.. كل هذه المشاعر التي بينهما ولا علاقة شرعية وعلنية
بينهما..

فكيف لو كانت هناك علاقة حالية؟ بل وكيف ولو كانت زوجته؟

تعرف أن وجود علاقة حب بينهما سواء كانت قديمة أو حالية
لا تعطيهما أي حق لها فيه..

لذا.. كم تتمني لو كانت هناك أي علاقة بينهما حاليا غير الحب القديم الذي كان.. فقط لتشعر أنه من حقها.. أنه ملكه..

لتهمس له هي الأخرى وبجراحة عن بمدى اشتياقها له بكل ثانية يغييبها عنها وتعيشها من كما لو كانت كالدهر كما يفعل..

لا تتمنى الآن إلا أن تلتقي بأحمد.. أو تبقى تحادثه كما الآن.. تتصل به كل ليلة..

الحديث معه هو كل ما تريد.. حديث لا ينتهي.. عن ماذا أحبوا بالماضي وما أزعجهم..

تريد أن تخبره عن أيامها كيف مرت بدونه.. وعن أملها في لقاءه واجتماعها به الذي لم تفقده رغم السنين والأيام..

كانت دائما تتخيل وتحلم بسيناريوهات كي تراه..

تارة تأتيها أمنية بأن تزور بيت أبن عم والدها عدنان.. والد إيمان لتتصادف بزيارة ابنته وصهرهم احمد لهم..

فتبقى تحديق به ويبهر عينيه الزرقاوين حتى تشبع بهما.. ولا تظن أبدا أنها ستفعل..

وتارة أخرى تتمنى أن تتعطل سيارتها.. فتستقل الحافلة وتراه فيها مصادفة وقد تعطلت سيارته هو الآخر رغم أن طرفهما بالعمل لا تتقاطع فتصعد هي وتجلس خلفه متظاهرة بانها لم تراه..

نعم.. كلها أفكار جنونية.. لو حدثت بالفعل لكانت مصيبة خاصة وأنه مشاعرها وأفكارها سابقا كانت أكثر تهيجا ولم تكن ستتحكم بها أبدا.. كما أنها كانت اقل نضجا وحكمة..

زفرت هيام بضيق.. هي تعرف جيدا أن كل هذا الأحلام خطأ بخطأ لكنها كانت تخفف عن نفسها من ذنب ما تشعر به وهي تكرر على مسامعها بداخل عقلها أن الأمر كله مجرد تخيلات..

تخيلات تتمنى أن تحدث بفعل القدر ومصادفة بدون تخطيط منها..

حتى لا تلوم نفسها أو يأكلها الذنب بأنها ما زالت تحتفظ بحبها لحبيبها لسابق الذي تزوج من غيرها..

غيرها؟ يا الله كم هي موجعة فكرة بأن هناك أخرى غيرها يعيش معها احمد..

كم هي محظوظة إيمان.. محظوظة بوجودها قربها.. محظوظة بكونها تستطيع التحدث معه متى شاءت..

نعم.. نعم.. تعرف بأن بأعراف مجتمع وعالم الفتيات من المخزي تعلق قلب الفتاة برجل امرأة أخرى..

ولكنه كان ملكها قبلا من إيمان.. بل تشعر أن إيمان هي من أخذت رجلها..

لوهلة قد يبدو هذا الكلام بمنتهى الغباء خاصة وأن إيمان لم تعرف أساسا بعلاقتهم..

ولكن حقا ليس بيدها التحكم ببقاء احمد بقلبيها من عدمه..

بل أغلب الظن أنها ستبقى تحبه حتى لو صار جداً لأولاد ابنه.. ابنه الذي يشبهه بكل تفاصيله..

ابنه الذي كان من المقترض أن يكون ابنهما.. ابن هيام واحمد..

يا ترى.. لماذا لم ينجبا غيره؟ فلا شيء ينقصهما الآن..

كما أنه قد مر ست سنوات على مولد بكرهم عدنان.. هل يمكن أن تكون هناك مشاكل بينهما؟

فيدون مبالغة شعرت من احمد بتوتر علاقتهم..

هل يمكن أن هناك طلاق قادم سيحدث بينهما؟ فلو طلق أيمن
سنحل كل مشكلتهما بشكل تام..

ليس تماما.. فيأمن ستبقى قريبتها وتحمل نفس اسم عائلتها..

ومن المعيب لها أن تتزوج من رجل هو طليق احدى قريباتها..

ولكن المشكلة على الأقل ستكون أخف وطنا بأضعاف مضاعفة
من مشكلة الزواج بأحمد بوضعه الحالي..

لحظات.. وجحظت عينيها على اتساعهما وهي تقوم مفزوعة
من استلقائها وتضع يدها على فمها الفاجر..

هل وصل بها الحال أن تتمنى طلاق امرأة تقربها ودمار عائلة
وتشتيت ابنهم فقط لأجل قصة حبها مع احمد؟

أغمضت عينيها وهي تستعيد من بنات أفكارها.. عليه إخراس
عقلها فما تفكر به خاطئ..

وجدت نفسها تهمس بألم بينها وبين حالها

((السلام على قلبك يا احمد.. والبركة في أيامكما معا يا إيما
واحمد.. والرحمة والعزاء لقلبي أنا))

وقفت هيام لتغلق إنارة الحجره ثم عادت لتستلقي على سريرها
وتضع الغطاء على نفسها تدفئ نفسها من البرد القارس..

لحظات مرت.. ودموعها التي تخبأها بداخلها أمام الجميع
تسكبها في وسادتها حتى تتوقف من تلقاء نفسها..

=====

=====

في اليوم التالي..

رفع راجي رأسه للسماء يستقبل رذاذ المطر الذي يصله رغم وقوفه في الشرفة وأسفل سقف يحميه نسبياً من المطر الذي ينهمر غزيراً ويغرق الشارع الذي خلا من المارة..

وقبل أن يغرق نفسه بالكامل من المطر نادته سارا ليدخل ففعل وهو يفرك كفيه ببعضهما قبل أن يقربهما من شفتيه الباردتين وهو ينفث فيهما بعض أنفاسه الدافئة..

أغلقت سارا باب الشرفة ورائه هادرة

((شكرا لإحضارك الحاجيات التي كنت بحاجة لشرائها ولم أستطع فعل ذلك بسبب المطر..))

وبشقاوة أردفت وهي ترفع حاجبيها له

((ولأنك أيضا لا تسمح لي بركوب السيارة مع اتقاني للقيادة))

الحقيقة لقد نخر البرد في جسده وهو في الخارج يشتري لها ما كانت تحتاجه من خضروات ومواد تموينية وبعض المستلزمات الشخصية..

لكن الغريب في الأمر أنه لم يهتم..

فبعد انقطاع عنها لمدة أسبوع كان طيلة الأيام والليالي الماضية يحارب شوقه إليها لرؤيتها أو حتى لمحة منها..

وبمجرد أن اتصلت عليه حتى سارع يلبسها قاطعا الطريق من قريته بمدينة أخرى إلى عاصمة حيث تسكن..

صحيح أنه لا زال لم يغفر لها ما كانت تنوي أن تفعله به..

لكن لا ينكر وبنفس الوقت أنه مع كل هذا ما زال هناك شيء بداخله لا يفهمه يجعله معجبا بها ويحب قربها منه..

انتبه على نفسه وشروده ليرد على كلامها وهو يجلس بقرب المدفئة

((نعم.. لا تقودي السيارة أبدا.. لو سمحتي يا سارا.. خذي
الرخصة أولا وبعد ذلك يمكنك القيادة كيفما تشائين))

ابتسمت على كلامه وهي تمد له طبق رقائق بطاطا ضخمة ثم
تجلس بقربه لتحتضن في حجرها طبقا آخر تأكل الرقائق منه..

أتاها صوت راجي الهادئ المتسائل عن شيء لطلالما أراد
الاستفسار منه

((سارا.. أنا لا افهم كيف تسمح عائلتك لك بالبقاء بمنزل ضخم
كهذا لوحدي.. بعيدا عن كونك فتاة.. أنت صغيرة وبلا خبرة..
كيف يمكن أن يتركوك وحيدة هنا بلا وصي عليك أو أقارب
مسؤولين عنك حتى.. أمك تقطن بالخارج والدك يسكن بمدينة
أخرى هنا..))

عقدت حاجبيها وقد فهمت ما يرمي له لتجيبه ببساطة

((لا تبالغ.. الأمر وليس كأنهم تخلوا عني.. فوالدي يتصل بي
كل فترة ليتأكد من دوامي المنتظم بشركته ويشجعني على إتمام
موضوع دخولي للجامعة.. كما أنه يظن أنني أعيش مع أخي
بنفس بيته هو وزوجته.. ولا يعرف أنني اسكن بمنزلنا القديم
هنا.. أخي تركني أعيش هنا ببيتنا وحيدة فقط من فترة.. والان
لا يتدخل بي بعد أن تزوجنا أنا وأنت من أجل خصوصيتنا..
يظننا نعيش سويا هنا))

أزعجت راجي فكرة أن أخيها الأحمق الغبي ضخم الجسد يظن
أنه يمكن أن يقبل على نفسه أن يتزوج فتاة ويعيش في بيتها
معها..

قال بحنق لسارا

((يا إلهي.. أخيك.. هذا.. لا أدري.. إنه شخص مستفزز.. لا
يتصرف كأخ.. ولا يمكن الاعتماد عليه.. ألا يعرفك والدك أبنة
جيذا؟ كيف يأت منك والدك عند أخ مثله؟))

ضحكت سارا بخفة وهي تهز كتفيها

((الحقيقة.. أن والذي فقد الأمل به.. فهو مصر على أن يصبح موسيقي مع أنه فاشل كلياً بالموسيقى بدلا من أن يرث أعمال والذي ويمشي على نفس منهجه.. وقريبا والذي سيفقد الأمل بي أنا أيضا.. حتى انه بدأ يركن كل أعماله لأبن شريكه.. فعلى ما يبدو أن ابن شريكه هذا هو من سيرث منصب والذي.. لكن الحقيقة لا يهمني كل هذا.. كل ما اهتم به أن احصل على الكثير من نقود والذي لأتمكن من العيش بنفس الرفاهية لأخر حياتي))
هز راجي رأسه من كلامها بموافقة.. حديثها منطقي لشخصها هي..

مرت دقائق عليهما..

أرجع راجي ظهره للخلف وهو شارذ بها.. لا يدري لم خطر على باله الآن.. ولكن لطالما أراد أن يقول لها هذا ففتح شفتاها قانلا وهو ينظر لها

((سارا.. أنت أجمل من أن تحتاجي لوضع الكثير من مستحضرات التجميل.. لا أدري ما حاجتك لوضعه بهذا الشكل المبالغ به.. أنا حقا لا أحب الشكل المصطنع الذي تضفيه مستحضرات التجميل على وجوه الفتيات.. أفضل الفتاة ذات الجمال الطبيعي البريء.. ولكن أنا..))

ابتسمت من كلامه لتقول له بغنج وهي تكزه من كتفه

((مممم.. إذا أنا جميلة بنظرك.. وماذا أيضا تحب.. أو لا تحب بي؟))

ابتسم لها بثقة وهو يكمل حديثه بنفس طريقتها المستفزة

((لا أحب عندما تبدين كلوحة مرسومة بمختلف الألوان.. وكأنك لا تتقين في جمالك.. أو أن ترغيبين في جذب انتباه الفتیان إليك بأي طريقة..))

ارتسم الحنق على وجهها فهو كعادته لا يخجل حتى من التحدث عنها بهذه الطريقة وكأنها فتاة رخيصة..

لكنها وكعادتها تجاهلت كلامه وهي التي لم تعرف للتجاهل معنى في حياتها قبل أن تتعرف عليه لتقول وهي تعاود رسم ابتسامة مغوية على وجهها

((إذا على الجانب الآخر.. أنت لا ترفض فكرة استخدام مستحضرات التجميل في حد ذاتها.. لكنك مثلاً تفضل أن يكون ذلك في أضييق الحدود وبألوان تقترب من ألوان الوجه الطبيعية.. صحيح؟ يمكنني إذا أردت ألا أضع أي مستحضرات تجميل إلا أمامك بالمنزل هنا.. لكن بالمقابل.. هل يمكنك تقدير هذه الخطوة مني؟))

لم تتخيل ولا بكل حياتها أنها يمكن أن تغير بنفسها لأجل شاب تريده حتى لو بدا ما يريد تغييره فيها لمصلحتها..

ولكنها الآن مضطرة أن تتسايير مع راجي إذا أرادت كسبه..

فجاءة لمح علبة السجائر على إحدى الطاولات الموجودة على الزاوية فسألها باهتمام وهو يعقد حاجبيه

((أنت لا زلتى تدخين؟))

نظرت لعلبه السجائر ثم قالت له بهدوء وعملية

((نعم.. جربت التدخين بصغري عدة مرات بدافع الفضول.. لكن منذ سنة بدأت التدخين وبشكل مستمر.. لا أدري.. ربما لا يجب عليّ تشجيع أحد على التدخين.. لكن يمكنك أن تجربه أحياناً.. غريب أنك لا تدخن.. بالعادة كل الشبان الذين اعرفهم سبق لهم وأن جربوا التدخين واستمروا على ذلك..))

بقي يحرق بها بدون أن يرد لتسأله وهي تحضر العلبه له مع الولاة بجانبها

((هل تريد أن تأخذ نفسا منه؟))

نظر لها بفتور ثم قال بهدوء وهو ينظر لعينيها

((لا.. لا أريد.. وأنت كذلك توقفي عن تدخينه.. وإلا سيكون
آخر نفس تأخذينه في حياتك))

قالها وهو يسحب منها علبة السجائر بضيق..

أما هي فظرت له بحق ثم قالت وهي تضربه بخفة على كتفها
((راجي قل ببساطة أن التدخين مضر.. لكان إياك أيها المتخلف
أن تقول إني لا يجب عليّ التدخين بالأخص لأني فتاة..))

لكنه قاطعها بسرعة بحرج

((الأمر ليس هكذا.. أنا أكره فكرة التدخين كلها.. توقفي عنه))

هزت كتفيها قائلا وهي تعاود النظر لعلبة السجائر التي يحملها
بكفه

((لا تبالغ.. انه ليس كالخمر.. التدخين مختلف.. لا أدري كيف
اعبر.. لكن ربما اقل سوء أو ذنب.. لا أدري))

أخذت العلبة منه ثم أخرجت سيجارة وقامت بإشعالها..

فحدق بانزعاج منها بالسيجارة وهو يراها بين شفتيها..

وما إن أخذت نفسها منها.. حتى سحب منها السيجارة من
شفتيها بعنف..

حدق بها قليلا ثم قربها ووضعها بين شفتيه.. وكأنه يتحسس
مكان شفتيه بشفتيها..

كأنه يغار عليها من هذه السيجارة.. لم قد يحق لها أن تقترب
من شفة من أصبحت زوجته وهو لا؟

ولأنها أول مرة يأخذ نفس سيجارة بكل حياته بعدها فوراً وبدأ
بالسعال بقوة حتى أصبحت نظراته حمراء وعروق جبهته
وعنقه ظاهرة جداً بشكل أخاف سارا عليه لتربت على ظهره
بهلع..

وما إن هدأ حتى قدمت له شربة ماء.. ثم صرخت به بخوف
حمل في نبرات صوتها الانفعال الذي أصابها عليه عندما
اختلفت

((راجي أيها الأحمق.. هل كدت فعلاً ستموت بسبب سيجارة؟
أنت حتى لا تعرف كيف تمسكها كرجل؟ أنا محرجة جداً وبشدة
نيابة عنك.. أدفن رأسك بالتراب يا راجي.. فعلاً لا يجب عليّ
أن أحكم على الشبان من مظهر عضلاتهما.. بلغت العشرين من
العمر ولم يسبق لك وأن حاولت شرب سيجارة؟ هل يمكن أن
يكون هذا معقول ومنطقي؟ هل تعتبر نفسك رجلاً؟))

نظر إليها راجي وهو يتنفس بعنف عقب أن انتهى من شرب
كأس الماء الذي أعطته إياه..

لحظات حتى ابعاد عيونه عنها باشمئزاز كما رمى السيجارة
عقب أن أطفأها في سلة المهملات التي بجانبه..

منذ متى أصبح شرب السجائر دليل على الرجولة؟

غضبت من نظرات الاشمئزاز التي رماها إياها بحنق لتنهره
بتبرم

((لا تنتظر لي هكذا.. ليس وكأني من أجبرتك على تذوقها.. أنا
اختلفت بها أول مرة مثلك.. ربما ليس بنفس خزيك وأنت لا
تعرف كيف تأخذ نفساً حتى.. لكن المرة الأولى هي سيئة فقط..
يمكنني..))

قاطعها فوراً وهو يهتف بكفه

((لا.. شكرا لك يا عزيزتي.. لا تفسديني أكثر من ذلك..
أمضيت عشرين سنة شابا مطيعا لعائلتي بالابتعاد عن رفاق
السوء.. لتأتي أنت وبظرف معرفة أشهر تجربيني لكل هذا مرة
واحدة.. كحول وسُكر ونوم خارج البيت وحجج كاذبة والزواج
من وراء ظهرهم.. هذا كثير عليّ وعليهم))

فهمت ما يقصده بموضوع زواجهما.. لكن.. وما دخلها هي؟

هو من تزوجها وكان موافقا على كل شيء.. فليغضب على
نفسه لأنه وافق على الزواج لا عليها هي..

اقتربت سارا منه وهي تركي رأسها على ذراعها لتهمس له
بدلال كان ولا زال لا يتجزأ من شخصيتها معه

((أنا لم أجبرك على الزواج مني إذا كان هذا ما تقصده.. بل
أنت من وافقت عليه.. بل كنت تريد ذلك بشدة.. فكفاك محاولة
أن تخدع نفسك.. ثم أنت لا تذكر شيئا مما حدث بليلة احتفال
عيد ميلادي.. ولا تذكر كيف كنت..))

دفعها عنه بخفة وهو يقول بينما يرفع إحدى حاجبيه بثقة

((اخوسي يا سارا.. أنا لست أحمق.. مهما كنت ثملا وقتها فأنا
متأكد أنني لم افعل شيئا.. وليكن بعلمك أنا تزوجتك لأنني فهمت
لعبتك وعرفت السبب الذي دفعك لفعلها.. ومع أنني لم أكن
مضطرا كما تفضلت.. إلا أنني وافقت حتى أستر عليك.. لا
لأنني رغبت فعلا بالزواج منك.. أساسا أنا لا اقبل على نفسي
بالزواج من فتاة سلمت نفسها لآخر.. أنا منقذك وعليك أن
تقدي ذلك))

بقرارة نفسه يعترف جزء كبير منه أنه أراد الاقتراب منها من
بداية الأيام التي رآها فيها.. لكنه لم يتخيل أن تؤول الأمور إلى
هذا الطريق..

قالت سارا وهي تصر على أسنانها وتفتعل ابتسامة أمام وجهه

((هل تعرف ماذا يا راجي؟ لن اسمع لك أبدا بأن تستفزني..
سأبقي هادئة.. وليكن بعلمك.. أنا لست رخيصة كما تعتقد..
وبيوم ما ستعرف أنك ظلمتني بكل مرة اهتمتني فيها أني نمت
مع آخر.. أنت من تهجمت علي.. وسيأتي هذا اليوم ولن
أسامحك بسهولة))

ثم هبت واقفة من مكانها وهي تسرع في مسح عبراتها
المتساقطة فوق وجنتيها سريعا ثم دلفت إلى غرفتها بخطوات
مرهقة بطيئة بينما يتابعها بعينه..

دقائق مرت ولا يدري ما الذي دفعه ليلحقها حتى حجرة نومها
التي لم تغلق بابها خلفها..

فدخل ل حجرتها وبدأ يتطلع لكل إنش بالحجرة وشعور غريب
يتسلل لداخله..

عندما أحس بنظراتها عليه.. تنحج بإحراج وهو يقول

((إذن.. سأغادر وأذهب لبيتي))

وما إن استدار حتى همست باسمه بتوتر تناديه لتتوقف خطواته
لكنه لم يلتفت إليها أو يجيبها بشيء لتنهض واقفة بسرعة قائلة
بصوت متحشرج

((ما زال المطر الهاطل غزيرا.. قدومك من بيتك لبيتي كان
خطيرا فما بالك بالعودة أيضا.. يمكنك أن تنام هنا))

تجمد جسده تماما ثم استدار لها وهو ينظر لها ويقف كتمثال
لعدة لحظات..

كانت سارا خلالهم تلوك شففتيها بتوتر في انتظار عاصفة
رفضه واتهامها بأنه ستحاول أن تغريه..

ما هذا الغباء.. هل هناك إغراء بين الزوجة والزوج؟ أم أن
علاقتهم فقط مختلفة؟

عندما لم يرد عليها واكتفى بالتحديق بها كتفت ذراعها أمام
صدرها قائلة

((حسنا أنت لا تريد العودة لمنزلك بهذا الجو وبنفس الوقت لا
تريد المبيت عندي.. افعل ما تشاء.. لا يهمني.. لقد قررت أنك
لن تعاملني كزوجة حتى ونحن متزوجين ولك كامل الحرية..
إذا سألني كما أنا وأكمل حياتي كعزباء وسأنتظر طلاقي متى
تريد.. إلى اللقاء))

تم تقدمت نحوه تدفع جسده الصلب بصعوبة للخارج كاد فيه أن
تخل بتوازنه ويقع أرضا..

أغلقت الباب خلفه وهي تعاود الاستلقاء على سريرها زافرة
بضيق بصوت عالي..

لقد أخطأت هذه المرة وهي تطمح لشيء لا تقدر على تحمل..
مذمتي تجهل إمكانياتها؟

هي ليست من النوع التي لها أي قدرة على الصبر وملاحقة
رجل لا يريد لها..

مهما أعجبها فلن تستمر بمسائرتة..

نعم مهما أعجبها راجي.. فلا يهم.. لقد استسلمت.. ولتتبع
قاعدتها التي لطالما آمنت بها بما يتعلق بالشبان..

يذهب فرد يأتي غزال.. وانتهى الأمر..

يكفيها ذلا بعد كل كلامه والذي كان يشير لها فيه بأنها
رخيصة.. حتى ولو كان ما يقوله صحيح.. ولكن هكذا هي
تربت..

لحظات واتسعت عيناها بذهول وصدمة حين عاد راجي
لغرفتها وهو يفتح الباب عليها ويقول لها بصوت بارد غير
مبالي كجليد يبعث البرودة في أعماقها

((اسمعيني جيدا يا سارا.. نعم أنا لا اعتبرك زوجتي.. لكن دام
أن اسمك على ذمتي.. فيجب عليك التصرف كزوجة لي.. هل
فهمتني؟ وسأبيت هنا اليوم فقط لأن الجو غير مناسب لأقود
سيارتي إلى بيتي بالقريبة))

ثم اغلق باب غرفتها خلفه بقوة جعلتها تجفل بخوف مكانها
وهي تنظر على إثره بعيون مذهولة منه..

حسنا.. يبدو أن راجي ليس صعبا ومنيعا كما توقعت.. لتتراجع
عن الاستسلام وتستمر بالعبث معه قليلا..

وبشقاوة خرجت من سريرها وابتساماة خبيثة لطيفة تشق وجهها
لتفتح باب غرفتها وتلحقه..

يبدو أنه سيببت الليلة هنا.. وتعرف كيف تجعله يحظى معها
بوقت مسلي..

لكن بداية.. عادت لتغير ثيابها إلى أحد الأثواب الواسعة
المريحة وليست خفها المنزلي لتشعر بالدفء أكثر حتى مع
وجود نظام تدفئة متطور بمنزلها..

غسلت وجهها من كل الزينة عليه.. معه حق لا داعي بالمبالغة
ووضعه وحتى وهي بمنزلها..

ثم ذهبت لحجرة المعيشة لتجده مستلقي على الأريكة المريحة
جداً أمام التلفاز ينظر إليه ويقلب القنوات وهو يرفع ساقيه على
طاولة صغيرة أمامه..

كان قد خلع سترته وأرخی أزرار قميصه.. ويديه زجاجة
مشروب غازي أخرجها من ثلاجتها حتى بدون إذن منها..

خرجت منها ضحكة خافتة فهوي يتصرف بارتياح وكأن البيت
بيته مع أن هذه ثاني مرة فقط يدخل إليه..

يبدو أن الوضع يعجبه ويتكيف معه أسرع مما تظن وتعتقد..

خطت سارا خطواتها بسرعة نحوه ليشهق مصعوقا وهو يجدها
تقفز مستلقية بجانبه معانقة إياه وهي تنتهد بمرح وتععض
عينها بسعادة..

حاول أن يبعدها عنه قليلا ولكنها كانت ملتصقة فيه.. فهتف
فيها بغضب

((ما الذي تفعلينه هنا؟))

بصوت مفعم بالحيوية وبتلقائية أجابته

((أريد أنا أنام بجانبك لأشعر بالدفء.. فكرت بأن نقضي باقي
الليلة بمشاهدة بعض البرامج التافهة والنوم والاستلقاء حتى
الغد.. النوم هو أفضل شيء يمكن فعله بمثل هذا الجو.. ما
رأيك؟))

تتهد وهو يحاول أن يبدو متضايقا وغير مرتاحا أكثر مما يشعر
به.. ثم سيطر على أعصابه بصعوبة وهو يخبرها

((سارا.. ألم أخبرك أنني لا أنظر لك كزوجة لي.. لذا لا يجب
أن تنامي بقربي هكذا))

أجابت ببرود وهي ترفع رأسها له مع حاجبيها باستغراب
واضح لمناقضاته

((حسنا لا بأس.. لا تعاملني كزوجة.. يمكنك معاملتي كصديقة
أو أخت أو جارة.. المهم لنتسكع معا أو فقط لنشاهد معا التلفاز
الآن))

حدق بها قليلا حتى فاجأته وهي تنتفض من مكانها تركض نحو
غرفتها لتعود بعد لحظات ومعها غطاء ثقيل وبعض الأطباق
التي تحوي المُسليات..

أعطته الأطباق وهي تأمره أن يستلقي بكامل جسده على
الأريكة لتغطيه بالغطاء الثقيل ثم تدفن نفسها بجانبه..

فضحك بخفوت منها وهو يحرك ذراعه بعيدا يحررها منها
ويبدأ بالأكل من الطبق أمامه..

لكنها بحنق طفولي تحركت لتجذب ذراعه وتضعها تحت رقبته
وهي تقترب منه أكثر دون أن تأبه لاعتراضاته وهي تدمم
بتهديد

((إياك أن تزيل ذراعك.. أنا بحاجة كوسادة لي.. إنها
ضرورية))

ثم وصلها سؤالها بينما عينيه على التلفاز

((أليس لديك غدا دوام لجامعتك؟))

امسك بخصلة من شعرها وأزاحها خلف أذنها بذراعه الأخرى
وهو يبتسم لها قائلاً وهو يشعر بأن الأريكة بالكاد تتسع لهما

((نعم لدي.. لكن يبدو أن الجو سيبقى ماطرا حتى الغد.. لذلك
لن أحضر وربما سأبقى هنا.. الحقيقة.. أنت ليس لديك تأثير
سيء عليّ وحسب.. بل ستدمرين مستقبلتي يا سارا))

قالها ساخرا وضحكة خافتة رجولية سحرتها تخرج منه ليخفق
قلبه بجنون..

شاركته الضحك وهي تدفن نفسها أكثر بين أحضانه لتتمتم
ببهجة

((لا أدري لما يكره البعض فكرة الزواج.. أنا اقصد بالنسبة لي
الآن.. الزواج مهم.. ومفيد.. خاصة بالشتاء.. سأحتاجك كثير
بأيام الشتاء هذه.. أنت كذب قطبي تعمل على أذقائي حتى لو لم
تكن بضخامته.. لكنك مثل الفرو.. دافئ بشكل لذيذ..))

خرجت ضحكة مجلجلة منه ومن داخل أعماق قلبه..

ومرت الساعات هكذا حتى دخل الليل ودخل كلاهما بنوم عميق
على الأريكة

الأريكة.. كانت سارا تحتضن رأسه وهو يحتضن خصرها
بكفيه وينامان بأمان بأحضان بعضهما دون أن يهتمان لأحد..
ولم يفعلوا أي شيء آخر سوى البقاء بأحضان بعضهما..

عند الفجر..

فتحت سارا عيناها على وجه راجي.. كانا ما زالنا نائمان على
نفس الأريكة..

شعرت بضربات قلبها تزداد وتتراقص وهي تتأمل ونفوس كل
إنش من محياة لدقائق بعينها الناعستين وتحت الأضواء
الخافتة..

وكم بدا لها وسيما الآن حتى ومع شعره المشعث من النوم التي
ما انتقصت منه شيء بل أضافت إليه مظهرا برياً..

اقتربت منه سارا أكثر لتمسك ذراعه وتمدها لتنام عليها وتنعم
بأحضانه أكثر..

لم يسمعها بالأمس أي كلام غزل ولم يقل لها أنه يحبها..
واستمر فقط بمشاهدة التلفاز والخوض بأحاديث عادية..

لكن نظرة واحدة منها لوجهه حتى ترى عيناه العاشقتان لها
بوله..

عيناه اللتان تشعراها أنها أجمل امرأة على وجه الأرض..

حد أنها أثارت فيها مشاعر مختلطة ومتناقضة تجاهه.. نعم..
بنظرها هي لا تبالغ حتى مع قصر مدة معرفتهما..

أحيانا لا نتجح اعتقاداتها عنه فهو نوع مختلف من الشبان الذين
اعتادت عليهم..

لذا لا تدري إذا كان هناك إناث بحياته سابقا أو لا..

لكنها الآن شبه متأكدة أنها أول أنثى بحياته أحبها.. ربما أحب قبلها ولكن بالتأكيد لم يحب كم يحبها هي الآن..

فهما حاول الإنكار والمكابرة والظهور بمظهر المتزن والثقليل والكاره للبيئة التي نشأت فيها وجاءت منها..

لكنه واقع تحت تأثيرها ومجذوب لها بشدة.. وهل يوجد رجل عقل لا ينجذب لها وهي بكل تلك الفتنة والسحر؟

شقت ابتسامة ثقة على وجهها وهي تؤكد على نفسها مدى روعتها بينما تراه يتململ مكانه ويستيقظ لإداء الصلاة..

مع ساعات الصباح الباكرة..

كانت سارا بغرفتها تستل من دولاب ملابسها ملابس مميزة لترتديها أمامه..

بعد ذلك توجهت إلى المطبخ وجلست على إحدى كراسي طاولة الطعام وهي تختلس النظر لراجي وتتابعه بينما يحضر فطورا سريعا..

يتحرك في المطبخ بكل خفة ولا يبدو أنه واجه أي صعوبة بمعرفة مكان أي شيء وكأنه جرب الطهي هنا لمرات كثيرة..

سألته بينما تتكأ برأسها الذي يكتنف ملامح وجهها الفاتن والمزين برقة تزيد من فتنة ملامحها الحادة على كفها وشعرها المصبوغ باللون الأشقر الطويل يفترش ظهرها..

((لن اذهب اليوم أنا أيضا لشركة أبي وسأتعطل بالأحوال الجوية السيئة.. أوه هل تعرف أنه لم يسبق لي وأن تناولت الطعام بالساعة السابعة صباحا هكذا.. خاصة بجو كئيب وبارد))

همهم لها راجي موافقا بابتسامه وهو يكمل عمله بالمطبخ..
وكانه لم يتوقع أنها قد تذهب لتدريبها بالشركة..

عندما لم تجد سارا منه أي إضافة على كلامها.. تابعت الحديث بنفس الابتسامه

((ربما هناك الكثير من النواقص بالمطبخ.. فأنا كما تعلم أتناول وجباتي كلها بالخارج ولا أتناول عشاءي أبدا.. هل أنت بحاجة لأي مساعدة بشيء هنا؟))

نظر لها حيث تجلس بابتسامه.. ثم عاد ينظر للمقالة الموضوعه على الفرن أمامه ليحبيب بصوت أجش خافت

((لا بأس تدبرت نفسي.. لقد كدت أنتهي))

كان الفطور عبارة عن بيضتين مسلوقتين وطبق بطاطا مقليه..
كما قام بصنع حساء خضراوات ساخن..

وضع الأطباق أمامها ثم باشر في التهام الطعام بعد أن كان يتصور جوعا بدون أن يتكلم..

فنظرت له سارا بحاجبين معقودين ثم قالت له مازحة بوجه مبهم الملامح

((بالأمس شربت زجاجة مشروب غازي تسببت في حصولك على سعرات حرارية تعادل ما يكتسبه الجسم طوال يوم كامل..
والآن تتناول بطاطا مقليه بشراهة.. كل هذه الأغذية ضارة سنقتل عضلاتك))

اقتربت بوجهها منه لتردف بينما ترفع حاجبيها

((ولن اسمح بهذا))

ضحكة بسماجة على كلامها.. ثم قال وهو يتابع الأكل

((فلتذهب عضلاتي إلى الجحيم.. أنا أتضور جوعا الآن.. وأنا متأكد أن الأمر كذلك بالنسبة لك.. لذا فلتذهب رشاقتك للجحيم أيضا إذا كانت ستجعلك جائعة))

التقطت سارا إحدى البيضتان لتضعها أمامها وهي تقول بجديه

((أنا جادة يا راجي.. هناك مجموعة من الأطعمة كالبطاطا التي تأكلها لها تأثير سلبي على بناء العضلات وينصح بالابتعاد عنها قبل وبعد التمارين الرياضية.. بل يفضل ألا تقترب منها نهائياً إذا كنت ترغب في الحفاظ على عضلاتك المثيرة))

سخر منها.. فتاة مدللة غبية متوفر لها كل شيء يعمل على راحتها.. فلا تحمل هما أكبر من هذا.. رد عليها

((أنا بالفعل ابذل مجهودا كبيرا لبناء عضلاتي.. لكن لا بأس ببعض الاستثناءات لبعض الأيام.. فلا تقلقي لأنه بالعادة طعامي صحي.. ولا أتناول إلا الأطعمة والوجبات الغذائية المتكاملة التي ينصح بها محترفو كمال الأجسام للحصول على جسم رياضي وعضلات قوية ومنذ مراهقتي.. لكن هذا ما استطعت إيجاده وصنعه من المواد الموجود عندك..))

ثم استرسل وهو يشير إلى الثلاجة بتحذير

((وحتى ثلاجتك لا تحوي إلا بعض المشروبات الغازي والماء.. بالإضافة لبعض الخضروات والفاكهة التي اشتريتها بالأمس.. هذا الوضع ليس صحيا أبدا.. عدم تناولك طعام كافي بشكل يومي ليس صحيا.. يبدو أنني سأكون مجبرا على المجيء هنا بشكل متكرر حتى أقوم بتزويد الثلاجة بما ستحتاجينه))

قالها بصوت يصطنع فيه الاستياء وكأنه حقا بداخله لا يتمنى أن يكمل حياتها هنا بهذا البيت معها..

فهزت سارا رأسها موافقة وهي تمسك ملعقتها

((حسنا هذا جيد.. فأنت أقول كلامي هذا لمصلحة عضلاتك))

ابتسم على شقاوتها وهو يقول منبها

((لا أدري ما سبب هوسك بالرشاقة التي تصل إلى هذا الحد..
ولا حتى تقليدك لنجمات السينما.. للحد الذي يجعلك تقبلين
وبشكل مبكر على سنك على حجز أماكنهن في عالم الأنوثة..
ولفت انتباه الشباب قد يدفع بعضهم إلى ارتداء ملابس ضيقة
للغاية أو قصيرة لا تتناسب مع عادات وتقاليد مجتمعنا الشرقي
المحافظ))

كان بالبداية يتحدث بمرح ولا يدري كيف اتخذ كلامه طريقا
ليصل إلى هذا المنحني بالتحدث عما يكرهه فيها ونبرة
ازدراء..

لكن كل مرة يحاول تجاهل كل ما فعلته سابقا.. وكيف ينسى
وهي لم تتراجع أو تتغير حتى..

قالت سارا التي أصبح عندها قابلية لتحمل إهانات هذا القديس
الذي أمامها بينما تنهي بيضتها وتقرب الحساء منها

((نعم.. نعم.. كما تريد.. أنا رخيصة حد أنني أتعمد لفت
الشباب.. كما تريد.. لقد أصبحت بلا مشاعر ولا اهتم بما
تدعوني إياه))

مد كفيه ليقول بصراحة وهو يعبس أمامها

((سارا أنا لا اقصد الانتقاد.. لكن هذا النوع من الملابس التي
ترتديها أراها مبتذلة للغاية وغير جذابة أبدا.. ومن يراك
سيأخذ انطباعا بأنك غير محترمة.. حتى ونحن بفصل الشتاء لا
ترتدين ملابس ثقيلة.. صدقيني حتى ولو انجذبت عيني في
البداية لك ولمفاتنك.. وحتى لمرافقتك لبعض الوقت.. ولكن لم
أتخيلك كزوجة لي أو بأي علاقة جدية تؤدي للارتباط

والزواج.. لأنني لا أتصور أن أصبح ديوثا وأسمح لفتاة تربطني
بها علاقة أن تكون بهذا الشكل المتحرر))

قلبت سارا عينيها بضجر ولا يعجبها أبدا ما تسمع منه.. فقالت
بسأم وهي تنظر لراجي

((يا إلهي يا راجي.. مشكانتك لا تعرف كم أنت محظوظ
بزواجك مني.. وكم أنا نعمة كبيرة بحياتك.. لو عرف والدي
بزواجنا وتقبلك كصهر له ستتغير حياتك بمئة وثمانين درجة..
وخاصة لو كنت تريد النجاح بوظيفتك مستقبلا بعد تخرجك
كمحامي بارز.. لذا توقف ولو مؤقتا عن إهانتني.. بالأمس وقبل
ساعات كنت تضحك بمرح معي.. لم تغيرت الآن؟ ماذا حدث
لك؟ هل النكد مرافق لك بالصباح فقط أم ماذا؟))

أشاح راجي بوجهه عنها.. هل تظن فعلا أنه نسي كل شيء؟
بل الآن تحديدا عاد يدور بعقله الصدمة التي اكتنفته بحفاتها
والتي كانت قبل عدة أيام..

كل ما كان فيها منفر ومثير للاشمزاز والعثيان بالنفس.. من
فتيات بلبس فاضح وشبان سكارى يلهثون من حولهم كذئاب
ضالة..

فصرخ بغضب عليها وهو ينظر لها

((ماذا تغير؟ لم يتغير شيئا.. هل تظنين أن نسيت حفلة عيد
ميلادك؟ ثم بعدها كيف أجبرتني على الزواج منك؟ لكن وبما
أنك الآن زوجتي فلن أسمح لك أن تتلمصي من الرقابة المشددة
والمكثفة التي سأضعها عليك.. قلبي عني متخلف وهمجي.. لا
يهمني.. لكن لن تغافليني ولا مرة لا لإقامة حفل كذلك الحفل
ولا للذهاب لحفلات تشبهها.. حيث يتواجد شبان فاسدين مدللين
أمثالك لا يحاسبهم أحد))

ثم استرسل وهو يخفف من درجة علو صوته وينظر بشكل مباشرة لعينيها كأنه يريد أن يصل لأعماقها

((إذا استمررت على هذا الطريق ستسقطين بهابوية.. ولن يكون هناك أحد موجود للدفاع عنك وحمايتك.. ولا حتى أخيك الثور))

آخر جملة خرجت منه بشكل متهمك وهو يتحدث عن أخيها باستخفاف..

فرفعت سارا نظرها لكلمات راجي التي قالها جاعلا إياها تغلي غيضا لتقول تنهره

((لا تدعو أخي بالثور))

ثم عبس وجه سارا له بتوتر وهي تراقب امتقاع وجهه وهو يقول بإصرار

((بل سأدعوه بذلك لأنه يستحق.. رجل مثله طول بعرض ولا يتصرف كأخ مسؤول عن شقيقته الصغيرة.. هل يعرف أن الخمور كانت تراق كالمياه بحفلتها التي دفع والده لها لإقامتها))

ضحكت بتهكم عليه لتقول متحدية

((أنت مسكين.. نعم يعلمون.. أساسا والدي وعائلتي معتادون على هذا النمط من الحفلات وإقامتها.. ولا تقلق علي.. لن يتجرأ ذئب ضال أن يترصدني بمكر والتواء عندما أزرر بوجهه عمن أكون ومن هو والدي.. وكان بإمكانني أن أخبر والدي بالذي فعلته بي.. ولكنني لم افعل وسامحتك.. وأنا نادمة على ذلك الآن))

أشاح بوجهه بضيق قائلا

((أنا لم افعل لك شيء ومتأكد من ذلك))

ابتسمت في وجهه ثم حاولت التظاهر بالوهن وهي تقول

((لا أنت لست متأكدا.. هذا واضح عليك.. بتلك الليلة.. لقد اقتربت مني رغما عني وعندما صفتك تحولت لوحش مغيب العقل والذهن وتهجمت علي.. ولم يكن هناك أحد متواجد معي ليدافع عني باستماته منك.. هذه الحقيقة وعليك تصديقها.. بدلا من التغافل عن تساؤلات عقلك التي تشكك فكرة أنني كاذبة.. وستفك تلك الغشاوة التي تعميك يوما ما ولو بشكل تدريجي لتعرف أن ما فعلته بي كان أسوء مما تخيله))

هل هو فعلا متأكد أنه لم يفعل شيء؟ الحقيقة أنه لم يكن بوعيه ولا يذكر الكثير..

لكن هناك شيء بداخله يؤكد عليه أنه لم يفعل شيئا..

بدأ يشعر بعقله سيقف من كثرة التكفير في تلك الليلة..

منذ تلك الليلة وهو لا يخرج أو يتحدث أو يبتسم كعادته.. ولا يظن أن شيئا قادر على إخراجه من تلك الشرنقة التي يحاوط نفسه بها إلا بحالة لو علم بحقيقة ما حدث تلك الليلة..

لقد كان متأكدا من براءته من اتهامات سارا.. لكن كلامها الآن..

لا يدري.. هو فعلا بات لا يدري شيء..

أحيانا تبدو ممثلة رديئة وكاذبة فاشلة وأحيانا يخشى صدقها..

والحقيرة تبتسم الآن أمامه بعد أن عرفت بأن شككته بنفسه..

لذا تصلبت ملامح راجي وهو يقول بشفتين جاهد ألا يظهر ارتجافهما

((توقفي.. أنا متأكد أنني لم افعل شيء))

استمر الصمت بالأجواء وكلاهما يحقق باتهام بالأخر..

رن هاتف راجي وكان أسم والدته ظاهرا لينهض ويستقبل
الاتصال قبل أن تزيغ عينيه ويهمهم بكلمات سريعة وهو يخطو
بخطوات متلاحقة بعيدا عنها..

دقائق وعاد راجي للمطبخ بينما يعيد هاتفه لجيب سرواله بعد
أن اقنع والدته بكذبة نومه عند صديقها الذي يصر أنه لا داعي
لأن يخبرهم اسمه أو يعطيهم رقم هاتفه..

زفر قبل أن يقول أمام وهو يشير لملابسه العملية التي يرتديها
بغير رضا

((هل سأبقى طوال اليوم بل وللغد بملابسي هذه؟ لم أتم جيدا
فيها بالليلة الماضي.. المشكلة أنني لم أتوقع أن أبيت فلم احضر
أي منامة قطنية أو غيارات أخرى.. لكن لا بأس فلا أتوقع أنني
سأبيت مجددا هنا))

لوت سارا فمها وهي تغمغم أمامه بمشاغبة

((كان علي أن اعمل حسابا لراحتك يا حبيبي.. حسنا لا بأس..
الأيام القادمة كثيرة))

=====
=====

صباحا.. بناية محمد الدال والد مراد المكونة من طابقين..

حيث يقطن مراد بالطابق الثاني فوق شقته..

فتح مراد عيناه على جالا النائمة مقابله على السرير..

بينهما كانت مسافة طويلة حيث ينام كلاهما على طرف السرير
من كل جهة..

تراقصت داخل عقل مراد الكثير من الأفكار..

اصرّ عليها أن تنام معه على نفس السرير حتى لو لم يحدث شيء بينهما ليتقارب منها.. لكن يبدو أن نومهما بنفس السرير لم يغير أي شيء بعلاقتهم..

لا يعرف من أين أو كيف يبدأ.. الأمر ليس مجرد شيء يكبله أو يقيده ويريد إنهاءه وحسب..

بل هو لا يريد ترك لها أي مجال لتبتعد عنه.. يريد أن يحاصرها بكل طريقة ممكنة.. يريد أن تسلّم حصونها له..

زفر بضيق شديد وهو يبعد الغطاء عنه ويعتدل من نومه جالسا.. ما زال يلوم نفسه لأنه بتلك الليلة الأخيرة لهما بأسبوع غسلهما لم يغم بأى يخطو نحوها..

حتى لو أشاحت وجهها عنه ودفعته من صدره عندما حاول تقيله.. لكن ولكونه الرجل بينهما لم يكن عليه الانسحاب هكذا معتذرا بتوتر..

اعتدل واقفا من مضجعه وقبل أن يدلف للحمام نظر لها وهدق بوجهها الذي بدا بقمة البراءة..

وكم ودّ أن يمد ذراعيها لها ويجذبها له محيطا خصرها بيديه ثم يغمرها بعناق عميق غير مكترثا لأي شيء آخر.. لعله يروي عشقه له من أول لحظة أحبها..

بعد دقائق خرج مراد من الحمام وهو يجفف شعره بالمنشفة بينما يختلس بعض النظرات خفية ناحية الفراش ليرى جالا لا تزال بنوم عميق..

أخرج ملابس ليرتديها للعمل وخرج من حجرة النوم بدون أن يصدر صوت أو ضجيج..

لحظات واستيقظت جالا على صوت طرق عالي فوق باب شقتهم..

حاولت النهوض لكنها انتبهت لمراد الذي بدا لها أنه قد استيقظ قبلها وهو يسرع باتجاه الباب ليفتحه..

نهضت جالا من على سريرها ثم بخطواتٍ هادئةٍ وبطيئةٍ نحو باب الحجرة التي تنام فيها.. لتفتحه مواربة له بشق بسيط فيصل إليها صوت روعة والدة مراد التي كانت بالصالة مع مراد تسأله باستغراب

((أين تردي ملابسك هذه وتتوي الخروج؟ للعمل؟ لقد ظننت أنك ستأخذ إجازة أطول))

رد عليها بهدوء وعملية

((أمي تعرفين أنني المسؤول عن كل شيء ولا أستطيع التغييب أبدا أكثر من ذلك))

هزت روعة رأسها لأبنها بغير اقتناع..

ثم حاولت التقدم نحو حجرة النوم وهي تحاول أن تطل برأسها لها..

لكن مراد حاول تدارك الأمر وهو يمسك والدته من ذراعها يحاول منعها من الدخول قائلا بإجراج

((أمي المعذرة.. لكن جالا ما تزال نائمة بالداخل لذا لا أظن..))

شعرت جالا بالخوف والرهبة من احتمالية دخول حمايتها عليها..

فهرولت فورا وعادت للاستلقاء على سريرها وإحكام وضع الغطاء فوقها..

سمعت أثناء ذلك روعة وهي ترد بسقط وعصبية وملامح الصرامة والاستنكار ترسم على وجهها

((ما تزال نائمة إلى الآن؟ وكنت تريد الخروج من العمل من دون أن تعد هي الفطور لك؟ لا عجب أنك مستعجل للعودة لعملك للخلاص من رؤية وجهها))

ادخل مراد نصف جسده من جزئية الباب المفتوح ليتأكد من نوم جالا وعدم سماعها صوت والدته ليغلق الباب بإحكام وهدوء..

ثم التفت إلى والدته الواقفة والمتخصرة.. ليقول لها معاتبا بصوت منخفض

((أرجوك أُمي تجاوزي قليلا عن ترفاتنا هذه الفترة.. ثم أن جالا ما تزال عروس ولا أريد إرهابها من الآن))

هدرت بها روعة بصوت عالي وصبرها يكاد ينفذ بطريقة استهجانية مشمئزة متمعدة

((أي عروس وقد مر ما يقارب العشر أيام على زواجك من ابنة سميحة.. لقد عدتم من البحر ليلة ما قبل الأمس ولم تنزل زوجتك المصونة لشقتي أبدا بل لم أر وجهها.. هل هذا مقبول؟))

تنهد مراد بقوة قائلا بعدها قال بتروي وهدوء وهو يرجو والدته الهدوء

((أنا اعتذر يا أُمي.. كنا متعبان بالأمس كثيرا.. فلم أستطع أن اطلب منها النزول عندك وعند والدي.. صدقيني سأنبه اليوم عليها أن تبدأ من الغد النزول عندك وتفقدك.. لكن مرري هذا اليوم فقط.. ربما ما تزال متعبة))

لوت روعة فمها فلا كلام أو أفعال ابنها تعجبها..

لكن للحظة طلت من عينيها نظرة لهفة وفضول..

لتمسك مراد من كفه وتسحبه نحو الأريكة ليجلس بجانبها لتسأله

((لم هي متعبة؟ متى حدث ما حدث بينكما؟))

ارتسم الامتعاض على تعابير مراد..

ندم جدا لأنه أخبر والدته بعد أن استدرجته وألحت عليه
بالسؤال أنه لم يحدث أي شيء بينهما عندما كان بالفندق بعد
حفل الزفاف..

وأنه فضل أن يؤجل الأمر لشهر العسل بعد أن يسترخيا..

تحولت فجأة ملامح مراد للصرامة وتغيرت نبرته التحذيرية
للجدية قائلا بما لا يقبل النقاش

((أمي لو سمحت لا تتدخلني أبدا.. هذه الأمور تتعلق
بخصوصياتنا أنا وجالا.. ولا أحد آخر له حق التدخل بيننا.. هل
هذا واضح يا أمي؟))

اتسعت عيني روعة بصدمة من صرامة أبنها وهو يحذرنا ألا
تدخل وشيء بداخلها جعلها تحقد على جالا أكثر بسبب هذا
بجانب أنها ابنة سميحة وأنها لم تكن اختيارها..

رسمت روعة ملامح حزن مصطنع على وجهها وهي تقول
بصوت عالي بينما تتجه نحو باب الشقة لتغادر

((إذن هيا انزل للأسفل يا ولد.. لنتناول الفطور مع والدك..
فكما تعلم من أول يوم زواج لي وحتى بعد أربع وعشرين سنة
لا اترك يوما دون أن انهض من نومي قيل والدك لأعد له
الفطور وأتمنى له التوفيق والسلامة بينما يغادر لعمله.. فهذا كل
ما تعلمه كل زوجة أصيلة مهتمة ببيتها وبزوجها.. ولكن ماذا
أقول عن بنت سميحة.. لم تعلمها أمها شيئا.. أه يا ابني الوحيد..
زواجك منها سيكون زواج ندامة))

وبينما تابعت روعة تتممة بعض عبارات التحسر والندامة على
زواج أبنها الوحيد من ابنة سميحة..

ارتفعت خيبة الأمل فوق وجه مراد من والدته المصرة على القيام بدورها هذا كحماة ومن أوائل أيام زواجه..

وبينما يغلق الباب وراءها.. توقف قليلا وكان يود أن يطلب منها أن تبعث الفطور لهما هنا لشقتهما حتى تتمكن جالا من تناول طعام الفطور أيضا معه..

لكنه خشي من جنون والدته عليه ما أن يخبرها فتجاهل ما يفكر به ليهتف لوالدته بهدوء

((حسنا أمي اسبقيني.. وسأوافيك أنا بالأسفل بعد قليل))

بينما ويدخل حجرة النوم.. وتحت الأغطية كانت جالا تشتعل غضب من حديث حماتها عنها وعن أمها بهذا الشكل..

وتأسفت لكونها لن تستطيع ترك العنان لهذا الغضب بوجه والدته مراد أو حتى النطق بكلمة واحدة من الكلمات التي تجول داخل رأسها لتخفف من اشتعال الغضب بداخلها..

لكن سرعان ما اختفى الغضب وهي تتذكر سؤال والدته عن ذلك الأمر..

كان صوتهما منخفضا ولم يصل لدرجة الهمس فسمعت بعضا من حديثهما..

يا ترى ماذا أجابها مراد؟

هي قالت لنفسها أنها تريد المحافظة على هذا الزواج وفعل كل ما سيتطلب منها للبقاء عليه لأخر حياتها وحتى لو جاءت على نفسها..

ولكن كل ما تفعله هو عكس ما قررته..

الزواج لن يكون عبارة عن العيش معه بنفس البيت وحسب..

لقد كانت مجنونة بتلفها على الزواج إلى حد أنها لم تستوعب
أن زوجها سيكون من لحم ودم.. وله مطالب وحقوق..

حقوق! اتسعت عينها وهي تتخيل صوراً معينة من تلك
الحقوق..

ثم من دونها كيف ستنجب أطفالاً لها..

زفرت جالاً بضيق وهي تنتظر للسقف فوقها..

عندها دخل مراد لـحجرة نومهما وقد بدا أنه أنهى لباسه ومستعد
للذهاب لـعمله..

بدأ يرش العطر على ياقة قميصه وهو يستفسر من جالاً بينما
ينظر من خلال المرأة التي أمامه لعينيها الناعستين الشاردتين

((صباح الخير.. هل استيقظتِ الآن؟))

أجابته جالاً بصوت أجش من النوم الذي لا زال فيها وهي ترفع
عينيها بتجهم له

((نعم))

تحدث مراد بخفوت بينما ينظر إليها ولجسدها المغطى بملاءة
السريـر الثقيلة

((توقعت أن أـمي ستحضر الفطور لنا لهذا.. ولكن يبدو أنه من
الأفضل أن ننزل معاً لتناول الفطور.. ما رأيك؟))

أجابته جالاً بـحدة

((لا شكراً.. لا أريد.. اذهب لوحدك))

ثم زفرت وهي تستوي جالسة على سريـرها وتعقد ذراعها
بضيق أمام صدرها بغضب..

راقبها مراد ميتسما على شكلها.. لا بد أنها سمعت جزءا من حديث والدت لهذا هي حانقة.. فضلا عما قالت والدته أمامه بصباحية زواجهما..

وما أن انتبهت جالا لابتسامته حدجته بنظرات امتعاض..

لمعت الشقاوة من عيني مراد بعد لحظات ليهتف بينما يقترب منها حتى جلس على طرف السرير

((أنا أفكر الآن لم عليّ تناول الفطور عند والدي بينما فطوري جاهز هنا وابتظرنني على السرير؟))

لم تستطع جالا مداراة ما يفعله مراد لكن نصفها العلوي كان يتراجع للخلف بينما يقترب منها مراد..

وعندما حاول أن يلتئم وجنتها الممتلئة بينما يلتمع الشغف من عينيه دفعته جالا بكل قوتها بعيدا عنها حد أنه وقع أرضا..

صُدْم مراد بينما يفرغ فاه من ردة فعلها العنيفة وكأنه رجل غريب حاول أن يتحرش بها..

أما جالا فاحترقت وجنتيها بالخجل من تصرفها فحاولت أن تدنو قليلا للأمام..

وبدلا من أن تعتذر بشدة من الفعل الذي صدمها قيل أن يصدمه.. قالت وهي تبرر فعلتها بغباء وتور

((مراد لقد استيقظت الآن من النوم.. ماذا تريد مني؟ لم اغسل وجهي حتى.. أنت مزعج جدا.. لا تكرر ها))

ثم أسرعت بالوقوف سريعا بارتباك لاحظته وهي تحاول لملمة أطراف الروب من حولها.. تلفتت قليلا حول نفسها بخوف ظهر جليا على وجهها.. تعرف أن آخر ما يحق لها هو أن تكون هي الغاضبة هنا بهذا الموقف..

لكن مع ذلك استمرت تدعي الغضب والامتعاض وكأنه هو
المخطئ بينما تخرج هي من الخرفة..

وما إن خطت قدمها عتبة الباب حتى سارعت تهرول نحو
الحمام..

وبينما ما يزال مراد جالسا على الأرض بنفس الصدمة من
دفعها له احمر وجهه بغضب حائق..

لا يستطيع تصديق ما فعلته.. أحيانا ترتجف وتختض من
قربه.. وأحيانا تصبح شرسة أمامه..

قبض مراد على كفه يمنع نفسه من اللحاق بها وإبراحها
أرضاً..

أن الأمر ليس مجرد خجل أو احتياج وقت للتعود.. هي لا
تتحمل أبداً قربه ولا تريد منه أن يحاول..

اعتدل واقفا باقتضاب..

كان يود بعد أن يتناول فطوره أن يحضر لها من عند مطبخ
والدنته فطورا آخر لسريرها.. لكنها لا تستحق أبداً.. أبداً..

لكن وقبل أن يغادر سمع صوت بكاءها وهي بداخل الحمام
بشكل أثار الريبة فيه..

لم قد تبكي؟ لأنه حاول أن يقبلها؟ لا يفهم شيء..

هي لا تريد أن يقترب منها أبداً؟ هل هذا حقا ما تريده؟

فكر كهذه جعلته عليه يشعر بالغضب أكثر من أي وقت سبق
تجاهها..

انفضت جالا على طرق مراد الحازم فوق باب الحمام لتشهق
بفرع وهي تنظر إلى دموعها التي انهمرت على خدها..

ليعود الطرق من جديد مصاحبا بصوت مراد الذي يهتف
باسمها

((جالا.. هل أنت بخير؟))

حاولت غسل وجهها لتمحي آثار دموعها وكم تمننت لو تمسح
معهم آثار ذكريات أليلة ودفنها..

عندما لم يسمع إجابتها.. قال مراد بصوت أعلى

((جالا.. أنا أكلمك))

أجابته بخفوت

((نعم.. أنا آسفة لم انتبه لصوتك.. سأخرج الآن))

جفت وجهها بالمنشفة.. وخرجت بعد لحظات..

كان ينتظرها بالصالة.. وما إن رأى وجهها المحمر اعرف أنها
كانت بالفعل تبيكي..

والسبب لأنه هو زوجها حاول تقبيلها.. زج على أسنانه بغضب
أمامها..

فتقدمت جالا منه ببطء وهي تزدرد ريقها وعيناها متسعتان
برهبة من الغضب الجلي بعينه..

رأته يلوح بيده وهو يقول بهدوء لا يخلوا من بعض التحذير
والصرامة

((جالا.. كل الخصوصيات التي بيننا.. عليك أن تقبئها بيننا..
إياك أن تخبري بها أحد.. لا أمي ولا أمك.. مفهوم؟))

وكان ذكر الموضوع هذا بالذات أمامها هو ما جعل الخوف
يتراقص داخل عينيها.. فزفر محاولا الهدوء عند ملاحظته..

يكره تصرفاتها حينما تتوافق أمامه وتهاجمه أحيانا بلا سبب
وشراسة.. ولكنه يكره أيضا الخوف الذي يراه فيها منه..

غاضب فعلا أنها لا تحب قربه وتنفر منه والآن تخشى منه
وتخافه.. الأمر جدي بالنسبة لها..

أراد أن يتحلى ببعض الرقة واللين.. ولكن عوضا عن ذلك
ولأنه تذكر ما حدث قبل قليل بحجرة النوم قال لها بوجه مبهم
الملامح وهو يرتدي معطفه

((سأذهب الآن.. هل تحتاجين لشيء؟))

زفرت جالا نفسا عميقا قبل أن تقول وهي تلعب بأناملها بتوتر

((مراد.. لا أدري.. لكن ربما سأزور أمي اليوم.. ربما
مساء..))

تطلع مراد إليها ببلاهة قبل أن يهتف بها

((لا افهم.. هل تطلبين مني طلبا أم تعطيني خبرا لما تودين
فعله؟))

شعرت جالا هنا بأنه لا توجد فائدة من عنادها معه فأجابته بنفاذ
صبر

((فقط أريد أن أزور والدتي.. لم أتحدث معها إلا مرتين على
الهاتف لأقل من دقيقة))

لمعت عينا مراد بلؤم وحقد وقد تذكر مجددا ما فعلته بحجرة
نومهما..

فوجد نفسه يقول بجمود بينما يلتقط هاتفه الذي كان قد وضعه
على المنضدة

((لا.. لا تذهبي لوالدتك أبدا من دوني.. ولست متفرغا هذه
الأيام لأي زيارة.. أنا بحاجة أن أعوض ما فاتني من عملي

بسبب زواجي وتحضيراتي له قبل أشهر.. أبقى هنا بالبيت
وجهزي الغذاء.. أريد غذاء حقيقي ومشبع.. لقد سئمت من
طعام الفنادق.. وأنا كما تعلمين لم أتزوج لأكل كل وجبات
طعامي عند أمي))

ثم خرج لعمله تاركا جالا تتابعه بنظرات وملامح يملؤها الكره
والغيظ لاحظته بعينها قبل أن تضرب الأرض بقدمها بنفاذ
صبر وقلة حيلة..

أيامها القادمة على ما يبدو ستكون مليئة بالسعادة والهناء.. كيف
ستتحمله؟

وماذا طلب أيضا منها؟ أن تعد الغذاء؟

بالسابق عندما كانت تجرب دخول المطبخ لتحضر القهوة لها..
تقلب المطبخ إلى ساحة معركة ضارية..

زفرت بحسرة وذاكرتها تأخذها للمحات كانت والدتها فيها
توبخها وهي تأمرها أن تتعلم الطهي..

فكانت ترفض عنادا وتخبر والدتها أن الأولى أن تعلم ابنتها
الكبيرة هيام..

وعندما تسألها أمها كيف ستعد الطعام لكارم عندما تتزوجه..
تجيبها ببساطة أنها ستتعلم بعد عقد قرانهم..

والآن ها هي تزوجت وبشكل مفاجئ من آخر.. فماذا ستفعل؟

المريح أن عليها بالنهاية أن تعد الطعام لفردين لذا لا حاجة لأن
تكون المائدة كبيرة وفخمة..

يمكنها صنع بعض الأطباق الخفيفة والصحية التي تعلمتها من
راجي..

هكذا هزت جالا رأسها برضى عما ستفعله..

=====

لقد قرر احمد بشكل فعلي محاولة طلب يد هيام..

يعترف انه لا يميل أبدا للتعدد وهو ليس منتشر بمحيطه حتى..

لا يعرف كثيرا عن الأمر ولم يفكر به من قبل..

توافقه مع إيمان أو إمكانية حبه لها شبه غير ممكنة.. لكن لا يمكنه أن يقول لإيمان "وداعا لست بحاجة لخدماتك بعد الآن فقد عادت حبيبتي لي" ..

الأمر لا يتم حسب ذلك وإيمان سترى قرار الطلاق فيه قمة الظلم لها وهو كذلك..

لذا أفضل شيء له هو أن يتزوج هيام مع الاحتفاظ بإيمان بنفس الوقت.. ويشهدُ الله أنه سيبدل أقصى جهده للعدل بينهما..

أهم شيء في الوقت الحالي هو أن اقنع هيام للتنازل قليلا والقبول به كزوجة ثانية..

فهي لا تزال تبادله مشاعر الحب ولن يُسعدّها أي شخص آخر مثله وكذلك الأمر بالنسبة له..

لكن يلزمه والاهم من ذلك بذل جهده لإقناع والدها.. بالسابق بقي لسنة كاملة يحاول طلب يدها وكان يلاقي الرفض منه..

وربما الآن ولكونه متزوج سيكون أمر إقناعه أصعب.. ولكنه لن يستسلم..

وليعطي لنفسه جرعة أمل.. هو الآن طبيب نفسي وله عيادة خاصة به وبشريكه..

مستواه المادي أفضل بأضعاف من السابق هو وعائلته..
ويستطيع أن يجعل هيام تعيش معه بمنزل بنفس مستوى
عائلتها..

وقبل كل شيء سيخبر أهله بقراره.. يلزمه فقط الحزم ليفعل كل
هذا..

بعد أن يتم أخبار وإقناع كل الأطراف وقراءة فاتحته بهيام..
سيقوم كآخر خطوة بإخبار إيمان بطريقة محببة..

يعود ويذكر نفسه انه إيمان لها عليه حق.. لا يجب أن ينكره أو
يجرده.. بغض النظر عن كل سلبياتها لقد قبلت به كما هو..

قبلت بمستواه المادي المتدني.. باعت ذهبها عندما احتاج نقود
بإحدى أزماته..

كانت تعمل خارج البيت وداخله.. كانت تنفق على البيت مثلها
مثلته ببداية زواجهما..

لا ينسى أن راتبها كمعلمة في بداية حياتهما الزوجية كان
يتجاوز راتبه كطبيب ما زال تحت قيد التدريب..

يعرف أن الرجل له حق القوامة على المنزل والقوامة في البيت
وراتب الزوجة من حقها كاملا..

خاصة وأنه تزوجها وهي موظفة ولم يشترط أو يصرح بأنه
يرفض عملها بعد زواجهم..

هو لا يقول إن راتب إيمان من حقها كذبا أو مجاملة بل يقول
إن هذا حقها فعلا..

لذا لطالما قدر رغبتها في أن تتفق على منزلهم الزوجي وابنهم
عن طيب خاطر منها بالرغم من كرهه في كثير من الأحيان
منها عليه..

بل وخاصة منذ تحسن وضعه المادي وهي تمنّ عليه كثيرا
بأنها ساعدته بمصروف البيت.. وهذا ما يمقته كثيرا..

فما دامت أنفقت مالها برضاها.. كان عليها أن تحافظ على
كرامته..

فمسؤولية بيت كامل كانت كبيرة على شاب بمتقبل حياته..
وحياة الزوجين يجب أن تكون بالصبر والمشاركة بالحياة
بلوها ومرها..

كما أنه بمجرد أن تحسن وضعه أصبح هو من يحضر
مستلزمات المنزل وابنه عدنان من تلقاء نفسه ويحاول
تعويضها على كل قرش دفعته..

كما أنه فعلا حاول قدر المستطاع أن تشاركه كل القرارات التي
اتخذها.. ويشاركها بقرارات وأوجه صرف ماله..

زفر بضيف وهو ينظر حوله ليرى نفسه بأنه لا زال واقفا
بسيارته أمام المطعم الذي اتفق فيه على أنني يلتقي صديقه
وشريكه بالعيادة ليث فيه كما اعتادا أن يلتقيا كل فترة..

نظم أفكاره قبل أن يخرج من سيارته ويمشي نحو المطعم
ويجلس على الطاولة المتواجد حولها ليث..

كان ليث سبقه وطلب الطعام لهما خاصة وهو يعرف ذوق
احمد وما يحب..

وبمجرد أن جلس احمد على الطاولة حتى ألقى السلام ورد
عليه ليث السلام مرحبا..

مد ليث ذراعه لأحمد يطلب منه المباشرة في الأكل..

لاحظ شرود احمد بعد أن مسك ملعقته بدون أن يأكل فضيق
ليث عينيه..

ثم ترك ما بيده وهو يسند ظهره على الكرسي مستفسرا

((احمد.. بما أنت شارد.. هيا أخبرني.. هيا بماذا تفكر))

قال احمد بتوتر وهو يتقدم برأسه للأمام بشكل مباشر ليلقي كل
ما يدور داخله من أفكار

((ليث.. نعم أنا متزوج من امرأة سالحة.. ونعم لدي ابن منها..
وحياتي الأسرية مستقرة والله الحمد وزوجتي إنسانة محترمة..
ومع العشرة أحببتها حب العشرة.. صحيح أننا لا نشترك في
أمر كثيرة فهي زوجة جيدة ولكني أفتقد روح الصداقة معها
وأشياء حسية أكثر منها مادية ولكني أقدرها وأحترمها ولم أفكر
في خيانتها في يوم من الأيام.. كما أتمتع بوضع اقتصادي
ومالي جيد كما تعرف جيدا.. وأيضا تعرف قصتي مع الأنسة
التي أحببتها من أيام جامعتي وعشت معها قصة حب لم تكتمل
بالزواج بسبب عدم رضا الأهل.. مع أننا حاولنا كثيراً وتعذبنا
كلينا ولكن هذا هو نصيبنا.. المهم الآن لقد وافقت أخيرا على
الزواج مني.. لكنني حريص على عدم ظلم زوجتي الأولى أو
هز استقرار أسرتي.. وأرغب بمساعدتك في الوسائل والطرق
التي تعينني على إقناع زوجتي وأهلي بفكرة زواجي من
حبيبتي.. ولا تقلق فاعتقادي بأن لدي إمكانية كافية بعون الله
على العدل بين الزوجتين..))

حذق ليث به ليقول بحدة وهو يترقب تحركات احمد

((لا يخف عليك يا احمد أن مشروعك رغم انه حلال لكن
أصبح أهون على بعض النساء أن يزنني زوجها ولا أن
يتزوج))

لم يكن احمد ينظر له بعينه وكأنه ما زال مشتتاً..

فحاول ليث أن يسترسل كلامه وأن يساعده مساعدة فعليه

((لا أدري تماماً.. لكن إن كانت زوجتك من النوع اللطيف
وليست من النوع الحاد العنيد العنيف.. فلمح لها بداية وأعرض
الأمر كما لو كان لغيرك.. وأكثر من طرقة لفترة من الزمن..
ثم فاتحها برغبتك.. وأن هذا ليس انتقاصاً لها ولا تقليلاً من
شأنها.. وإنما هو إعانة لامرأة غيرها على العفاف والستر..
فمن ستزوجها هي امرأة ثلاثينية وبعمرك صحيح؟ أخبرها أنها
ستظل عندك المحظية الأولى رفيقة الدرب أم ابنك.. إلى غير
ذلك من الكلام الطيب.. وبين لها أنه كان بمقدورك أن تتزوج
بدون علمها وأن تضعها أمام الأمر الواقع.. ولكنك لم ترض لها
هذا الأسلوب لمكانتها عندك وتقديرك لمشاعرها..))

بدا الارتياح ظاهراً على وجه احمد وهو يفكر بأن ليث فعلاً
جعل الأمر يبدو أقل صعوبة..

فهز احمد رأسه لليث موافقاً.. ثم ابتسم له وهو يلتقط الملعقة
لبداء تناول طعامه..

عصراً..

همست هيام باسمه بارهاق على الهاتف كأنها تشعر بضعف
وعدم قدرة على مجابهة قوة مشاعره الجياشة

((احمد))

لكن احمد كان يريد أن يطلق مشاعره المتحفظة وينزع وجهه
الوقور المراعي جانباً وهو يتحرر من شخصه الرزين الذي
يعرفه الجميع..

معها هي فقط يصبح شخصا آخر لا يعرفه سواها ليقول بصوت
أجش

((منذ أن تقابلنا يا هيام وبصدفة لا يصدقها أحد قبل فترة.. وأنا
أفكر فيك دائماً وأشعر بحبنا القديم.. تقربت منك لا لشيء سيء
في نفسي تجاهك.. ولكن لأن قلبي كان يقودني لك.. ولا أدري
لماذا.. أنت تعلمين..))

قاطعته هيام بصوته الذي لا زال مكتسباً بالألم

((نعم أنا اعلم هذا.. لذلك حاولت أن أصدق عني بلباقة.. احمد..
لست متأكدة من موافقتي بعد.. أنا أريدك أن تشعر بأن ظروفنا
الآن مختلفة..))

هذه المرة هو من قاطعها بعنف وخيبة أمل تتسلل لقلبه

((لا تحاولي يا هيام الرفض.. لأنني لن أياس وسأحاول كثيراً
إلى أن يرق قلبك على قلبي..))

زفرت هيام بتعب.. ثم قالت موضحة وبصوت ضعيف

((احمد أنا أيضاً أريدك.. لكنك لا تفهمني.. أنا لا أريد لبيتك
الخراب.. زوجتك من جهتي تقربني.. كما أنني أشك أنها لا
توافق على زواجك مني.. هذا الأمر سيجعل كلانا حائرين..
وأيضاً..))

وصلها ضحكة رجولية خافتة منه.. ليقول لها بصوت أجش

((طيبة قلبك لطالما كان شيء يجذبني فيك.. تفكرين بغيرك
وتنسين نفسك..))

زفرت هيام وهي تحاول تجاهل ضحكته هذه التي لطالما كان
لها تأثير عليها

((احمد أنا أتحدث بجديّة.. ربما ستطلق أيما لو عرفت بنيتك
بالزواج مني.. أنا متأكدة أنك لا تقصر أبداً معها أو مع ابنك..
وذلك بشهادتك.. وأيضاً عيبر أخبرتني بهذا بإحدى النواذر التي
التقيها بعد زواجها من شقيقك.. تخبرني أيضاً أن إيما دائماً ما
تمدحك كثيراً أمام الجميع))

لفت انتباهه أنها تعرف أخباره.. حتى ولو لم تكن متابعة بشكل
دائم عن ولا يعرف لم ألمه هذا.. فرد عليها بصوت قوي

((هيام أنا لن أتركك وأريدك حلالى.. أنتِ ملأت قلبي وعقلي
بقلبك الكبير وعقلك وحنانك.. وجودي بقربك يشعرني أحياناً
بانك أُمي وأحياناً طفلي وأحياناً صديقتي وحبيبتى.. لا أنكر
أنك جذبتي وفقتِ توقعاتي بمدى روعة ما حققته.. الآن أنا فقط
لا أعرف ماذا أفعل لكي أرضيك ولا أهدم بيتي.. لكن كما
سمعت أنا لم يسبق لي وان قصرت مع إيما حتى وأنا لا أحبها
فلم سأفعل الآن؟ لا تفكري بهذا الشكل أبداً))

ولا تدري لم ذهب ذاكرة هيام للماضي لتقول مبتسمة بشرود
بعيدا عن موضعهما

((كنت دائما ما تراني بالماضي متخاذلة بدراستي وسطحية
جدا.. هذا ما كنت تردده عليّ باستمرار وتوخي لأبذل جهدا
أكبر بالدراسة.. الآن أصبحت حنونة ومجتهدة فجاءة؟))

ضحك مرة أخرى بخفوت

((نعم صحيح.. لكنك أثبت لي العكس بعد أن أصبحتِ دكتورة
جامعية.. صدمتني فعلا باجتهادك.. أما عدا عن ذلك فلا
تؤمنيني.. بأول ترم لنا كنت دائما ما أجلس أمامك.. وسامحيني
لكن كثيرة النميمة وكثرة الهمس التي كنتي تخوضينها مع
صديقتك مها جعلتني أراك سطحية وتافهة.. خاصة عندما كنتما
ترسلان ملحوظات مكتوبة لبعضكما أثناء المحاضرة.. أو
عندما تتهامسن حول أحد الزملاء مع إطلاق ضحكات خبيثة
أثناء اختلاس النظر إليه.. كل هذه التصرفات الطفولية كانت

تثير أعصابي وتجعلني أنظر لك بنظرة سلبية.. فرأيتك تافهة
وسطحية ولا يشغل رأسك سوى النسيمة والحديث الخالي من
المضمون.. تعجبت كيف يمكن أن تكون عبير ابنة خالتك))

ثم ضحك مرة أخرى بصوت أعلى وهو يتذكر ذكرياتهما..
عقدت هيام حاجبها وبوجه مبتسم لتقول معاتبة

((احمد لقد كنت تظلمني سابقا بشدة.. مها من كانت تفعل كل
هذا ولأني أرافقها باستمرار يظن الجميع أنني مثلها.. لكن الآن
تغيرت.. أصبحت أكثر هدوء وبفرق كبير عن الماضي.. صار
الهدوء ملازم لشخصيتي))

همهم احمد بموافقة.. ثم قال بصوت دافئ أول مره تسمعه منه

((نعم.. لقد تغيرت.. لكن سواء هيام الحاضر أو هيام الماضي..
لا يهمني.. ما يهمني أنت نفسها كيفما تكوني.. لا أظن بأنه
يمكنني أن أعيش من دونك))

كانت دقائق قلب هيام تفرع بشكل أصم أذنيها بعد ما قاله عنها..

مرت لحظات على صمتها..

لتقول له هيام بعدما أخذت نفسا تحسم فيه قرارها وقد عادت
للحاضر من تلك الذكريات التي باتت تؤلمها أكثر مما يسعدها
استرجاعها

((إذن احمد.. تحدث مع إيمان وعائلتك بدون أن تقول لهم عن
هوية من ستزوجها.. إذا وافقوا سأفتح موضوع زواجنا مع
عائتي.. وإذا رفضوا فلننسى كل الأمر برمته.. لن أكون امرأة
ترغب في ترميم حياتها على حساب حياة أخرى.. مفهوم
كلامي يا احمد؟))

ظهر الضيق على عيني احمد وهو يستشعر بتردد هيام.. يخشى
تراجعها.. فتحدث بصوت غريب عليه

((هيام.. لا أرجوك.. لا تقلقي سأقوم بما عليّ القيام به.. لكن فعلا أتمنى..))

قاطعته هيام فورا وقبل أن يكمل كلامه

((احمد.. لنتحدث فيما بعد.. لدي محاضرة بعد قليل.. لا نتصل بي إلا عندما تخبر عائلتك وإيما.. إلى اللقاء))

وأغلقت الهاتف فورا وهي سعيدة فعلا لأنها التقت بأحمد وعادت الوصال به وتتحدث معه..

قلبيها يتراقص فرحا كلما رأت اسمه على شاشة هاتفها..

لكن من جهة أخرى.. ومهما حاولت.. لا تستطيع التحدث معه بدون أن تشعر بالضيق الشديد..

خاصة وهو زوج لأخرى.. تشعر بأنها خائنة.. لا يجب أن تشعر فقط.. بل هي فعلا خائنة..

لذا عليها حسم الأمر تماما ونهائيا.. وتتمنى من احمد فعلا أن يسرع بالموضوع..

التفتت بضيق تنظر لساعتها ثم زفرت باختناق.. وقفت من على كرسيها لتجهز بعض الأوراق وتضعها بمجلد تحتاجه لمحاضرتها الآن..

وهم واحد يدور بيالها.. الطرف الثالث بينها وبين احمد.. يجب أن تفكر بقربيتها إيمان جيدا.. هل تستطيع جرحها؟

من المؤلم أن تضطر إلى تغيير بعض مبادئها لتساير الحياة وأن تضطر يوماً إلى القيام بدور لا يناسبها أو أن تضع أجمل ما لديها تحت قدميها كي ترتفع عالياً وتصل إلى الحب..

من المؤلم حقا أن يداخلها إحساس بأنها من الممكن أن تسبب التّعاسة لإمراه مثلها..

وأنها ربما بعد زواجها من احمد ستكون عاجزة عن الإحساس
بشعور جميل يتصّحّم به قلبها نحوه..

احمد أخبرها انه غارق بحبها هو الآخر بل وأكثر منها وعليه
هي أن تنقّذه من غرقه..

لكن.. هي فقط تخشى أن تمّد يدها لانتشاله فيسحبها لإغراقها
معه بدلا من أن تنقّذه وتنقذ نفسها لتصل معه إلى بر الأمان..

=====
=====

وبساعات الصباح الباكرة أنهى مراد ارتداء ملابسه وهو ينظر
أمام مرآة حجرة النوم..

كالعادة وكما سبق من الأيام.. نام كل واحد منهما على طرف
السرير وبينهما مسافة كبيرة..

أحس بتململ جالا بالسرير وهي تفتح عيناها لتجدده واقفا يحدق
بها.. فشعرت بارتباك..

لكن مراد تجاهل ارتباكها هذا وهو يتقدم نحوها بهدوء وهو
يمرر عينيه عليها ببطء ويتفحص تفاصيلها مما جعلها تشيح
بعينيها المحمرتين قليلا من أثر النوم بعيدا وهي تزدرد ريقها..
رفعت يدها تفرك احدى عيناها بأناملها..

وباليد الأخرى ضمت ثوب نومها بقوة لاحظها مراد فزفر بحدة
وضيق..

كم يكره ارتباكها وخوفها كلما اقترب منها وشعرت به..

لقد وصل حده وفرغ صبره.. إلى متى ستبقى تشعر بالخوف أو
النفور هكذا منه؟

ولم أساسا تخاف وتنفّر منه؟ ماذا فعل لها؟

شعور مزري أن يخاف منه أحد بهذه الطريقة وينفر من
اقترابه..

فكيف عندما يكون هذا الشخص ما هو إلا زوجته التي تحبها
ويريد حبها؟

نفض مراد كل هذه الأفكار من رأسه وهو يهتف بها أمرا

((جالا.. من الآن وصاعدا أنهضي بنفس الوقت الذي أستيقظ
فيه من النوم وأعدي لي الفطور.. ويمكنك بعدها أن تعودني
للنوم إذا أردت))

أخذت جالا تبلبل شفثاها بلسانها تحت أنظار مراد..

ثم ازدردت ريقها مجددا لتخفف من جفاف حلقها وهي تهز
رأسها بضعف قبل محاولة الرد عليه ليخرج صوتها أجشا
مرتعشا

((حسنا))

لاحظ مراد تراخي ملامحها إلى حد ما.. فعاد يزفر بنفاذ
صبر..

ها هي تعود لتشعر بالخوف منه..

حيث تكتفي بالرد بالإشارة أو بصوت منخفض على غير
طبيعتها التي عرفها عنها وهو صغير وما زال يتذكرها..

وهو يريد أن يسمع صوتها عاليا..

لا يستوعب لم تتصرف هكذا بغير طبيعتها..

أنها مختلفة عما توقعه أن تكون بعد زواجهما..

بالواقع لم تكن لديه فكرة دقيقة كيف سيكونان معا بعد الزواج
لكنه لم يتوقع حياتهما هذه أبداً..

فهي تضل تتجنبه معظم الوقت وأحيانا قليلة تتعامل معه بوقاحة
وشراسة وكان من يتحدث معه ليس زوجها..

وهو صار يخشى النزول عند والدته لتناول الإفطار صباحا
فيسمع منها ما يشعره بالضيق عندما توبخه وتلقي على مسامعه
كلمات لاذعة لان زوجته لا تعد الفطور له وكأنه أعزب ولم
يتزوج بعد..

ولولا ذلك.. ولو كان الأمر عاندا له.. لما هان عليه أن ينهضها
من النوم خاصة وهو يراها أخيرا تنام بعمق ولفترات طويلة
حتى مع وجوده بنفس المكان معها بعد أن أطمئنت فعليا أنه لن
يفعل لها شيئا بغير رغبته..

غير مراد ملامح وجهه قليلا لتصبح ألين وهو يكمل كلامه
بتروي ويتحدث بشيء من الابتسامة

((أو ما رأيك يا جالا أن تغسلي وجهك الآن وتستعدي للنزول
معي عندي والدي والإفطار معا؟))

فجأة أصبحت ملامح جالا شرسة وهي تتسلح بالاستفزاز وترد
باقتضاب وبرود عليه

((لا.. لا أريد الإفطار والنزول عند والدتك.. شكرا لعرضك
السخي))

عقد مراد حاجبيه بندم على عرضه.. لكنه ابتعد عنها وهو
يخبرها أمرا بعد لحظات

((حسنا.. أنت حرة.. لا تتناول الإفطار برفقتنا.. لكن ابتداءً من
اليوم وبعد ساعتين أنزلي للطابق السفلي عند أمي وأنظري إذا

كانت تريد منك شيئاً أو أجلسي معها قليلاً وتحدثنا لبعض الوقت.. لا يعقل أن تكوني عديمة ذوق لدرجة أنك لم تر أمي منذ عودتنا))

أجابت جالا ببديهية وهي تستوي جالسة من نومها

((أساساً لم نعد من البحر إلى شقتنا هذه التي رأيتها أول مرة إلا منذ ثلاثة أيام.. وأنا ما زالت متعبة.. كما أنني أريد من الآن البدء بإعداد وجبة غذاء فعلية حتى لا توبخني مثل الأمس.. لا تقلق.. سأتصل على أمي وهي سترشدني كيفية عمل كل شيء على الهاتف))

زفر مراد بضيق فلا وقت أو رغبة لديه الآن لأي نقاش أو تحدي بهذا الصباح ليقول بصرامة

((لا داعي للاتصال على والدتك وإتباعها.. أساساً كيف ستعلمك الطهي على الهاتف؟ انزلي عند والدتي وتعلمي منها هي.. إنها طاهية ماهرة ولم أدق بحياتي طعاماً يضاهي شهية طعامها))

همت جالا بالرد إلا أنها أغمضت عيناها وهي تتراجع عما كانت تنوي التحدث عنه..

لكنها عادت لتقول بعناد فطري

((مراد والدتك لا تحبني أساساً.. اسمعها وهي تدعوني بابنة سميحة طوال الوقت..))

قاطعها مراد وهو يقول بتحذير وبعينيه اللتين تشتعلان عصبية

((جالا.. انزلي عندها وحسب.. لا أريد افتعال أي مشاكل))

عقدت جالا ذراعها أمام صدرها ما أن أنهى مراد حديثه.. وكم
ودت لو ترفض بقوة ما يقوله..

لكن عوضا عن ذلك تحكمت بنفسها لتكفي القول له باستهانة

((حسنا سأنزل عند والدتك لأعرف لم هي مصرة على زيارتي
لها؟ هل تريد أن تبارك لي على طريقته وتغدقني بالدلال بما
أني لا زالت عروسة.. أم ماذا؟))

رد مراد باقتضاب وهو يضيق عينيه

((أي عروس وقد مر ما يقارب العشر أيام على زواجك؟ ثم إن
هذا واجبك كزوجتي لا تفضل منك))

عقدت جالا حاجبها وهي تتنفس بغضب.. لتتهف عابسة الوجه

((لقد أقيت على مسامعي الآن نفس جملة والدتك بالضبط..
ينقصها بالنهاية فقط أن تقول يا "ابنة سميحة"))

وجد مراد جسده يشتعل غضباً واستفزازاً.. ورغبة.. رغبة بها
دون طاقة له على رده تراوده من نظرة واحدة إليها فقط..

فبعقد حاجبيه هو الآخر بينما عيناه لا تفارقانها.. ثم زمجر
بغضب أمامها وهو يجز فوق أسنانه هاتفاً

((أنت جالا الدال.. زوجة مراد الدال.. ولا أريد أن اسمع منك
"ابنة سميحة" أبدا))

وبالرغم من الخوف الذي كانت تشعر به الآن من أن يغضب أو
يتصرف بعصبية.. إلا أن العناد والتحدي التمتع بعينها لتهب
واقفة من على سريرها هاتفة بصوت عالي

((بل أريد أن أكون "ابنة سميحة" وأنا حرة كما قلت سابقا..
فأمك تضل تدعوني هكذا.. ويبدو أن الأمر يعجبني الأمر.. ولا
يهمني ما تريد أن تسمعه))

صمتت جالا عندما رأته يبدأ النظر لها بطريقة غريبة ومخيفة
استدعت الرعب إلى صدرها.. لم يكن مراد فارغ الطول
وضخم الجسد إلى حد كبير.. لكنه مقارنة لها هو كذلك..

خاصة في حين أن شقيقتها هيام تمتاز بطول متوسط القامة
كانت هي تقصرها.. وتنقصها أيضا بالمقابل وزنا أكثر..

فسارعت بالتحرك من أمامه هربا وذعرا..

لكنه امسك بذراعها بشكل غاضب بقبضته القوية وهو يعيدها
إليه..

رفع يده بقبض على ذقنها هاتفا بها بصوت نافذ جهوري وهو
يحذرها

((جالا إياك أن تتحديني.. فأنا أفقد أعصابي بسرعة ولست
صبورا كفاية لأتحملك أكثر))

شعرت جالا بخوف سرعان ما أصبح هلعا حين لف ذراعه
حول خصرها يجذبها إليه لترتطم بقوة بجسده وهي ترتجف..

رفعت جالا فورا عينيها الهلعة لتطالع عيناه فتراه يرسم ابتسامة
شرسة فوق شفقيه..

لحظات واقترب من وجهها حتى ارتطمت أنفاسه الساخنة
الحادة بصفحة وجهها.. لنفصل بينهما إنشآت صغيرة..

ثم همس لها مراد متهكما

((لم عدتي للخوف مني؟ منذ لحظات كنت جريئة وجامحة.. هيا
عودي للتسلح بالشجاعة يا زوجتي العزيزة))

حاولت جالا التملص من ذراعيه وهي ترفع قبضتها وتضرب صدره بها ليقبض بيد واحدة على ذراعيها الاثنتين..

شعرت وقتها بالهلع لأقصى حده وهي تتململ أمامه لكنها كانت مقيدة تماما..

وهو لم يأبه وهو يزيد من ضمه لها بقوة ويمسكها من خصرها بذراع.. ويتابع تقييد يديها بقبضته الأخرى..

للتشهيق بقوة وهي تصيح به بكلمات كثيرة أن يتركها..

كانت ردة فعلها بالصياح رد مبالغ فيه.. فأوقفت سيل كلماتها وسرعان ما كتمت شهقة أخرى تخرج منها خوفا من أن تزيد غضبه..

أو ربما خوفا من يتعجب خوفها الشديد من اقترابه.. خاصة بعد أن وعدت نفسها أن تتوقف عن النفور من اقترابه وإنجاح زواجها..

توقفت عن التملص بذعر من حصار جسده وبقيت ساكنه بين يديه لكن تتنفس بعنف..

لكن كل هذا الكلام النظري لم يستمر معها وهي تشحب رغما عنها بعد لحظات بينما بدأت الدموع تغرق وجهها.. ليزيد ارتجاف جسدها بشكل أقلق مراد عليها بشدة..

فنفضها ليحررها منه.. لتسقط جالا أرضا وهي تحبو بعيدا عنه وتتكمش على نفسها وتكتم بكائها الشديد..

شعر مراد بالضيق الحقيقي من تصرفه وأنب نفسه كثيرا بعقله..

كيف فقد صبره وطوره إلى هذا الحد الذي أزعجها..

ولكنه لم يكن ينوي فعل أي شيء..

لم يكن يريد أن يأخذها عنوة..

سمع صوت شهقاتها وكم ود الاقتراب منها وتهدئتها.. فنظر لها
وملامح وجهه لا تُفسر..

لم يكن يعرف ماذا يشعر نحوها أكثر.. الخوف والقلق عليها..
أم كره من فكرة أن كل هذه الثورة التي افتعلتها الآن لأنها لا
تتحمل لمسمة منه أو قربه حتى؟

فحاول ادعاء اللامبالاة وهو يقول لها جاهد ألا يخرج مهترا

((إياك أن تتحديني أو تعانديني لأجل العناد فقط))

ازدرد ريقه وهو يشعر بارتباك داخله..

لكنه سرعان ما خرج من حجرة النوم وهو يصفق الباب خلفه
بعنف وقوة جعلها ترتجف من مكانها..

=====
=====

كان والد احمد يذرع صالة بيته جيئة وذهابا بغير هدى..

ففرك احمد يده بتوتر وهو يشعر أن الحديث مع عائلته سيكون
أصعب مما ظن..

اقترب والده منه كأنه يريد أخيرا البدء بالتحدث معه وتوبيخه..
لكنه ابتلع كلامه مرة أخرى وهو يبتعد عنه لعله يرى ابعده من
أفكاره..

كان احمد يراقب كل خلجة تصدر عن والده.. حتى توقف عن
متابعته بعينيه عندما خرج والده للشرفة المتصلة بالصالة..

فأعاد احمد نظره لباقي أفراد عائلته.. والدته.. شقيقه الأكبر إباد
وزوجته عبير.. الذين طلب قدومهم لبيت والده..

استطاع احمد من النظر لوجه كل واحد فيهم أن يعرف ما
يجول بخاطرهم بعدما سمعوا قراره حد أنه يقرأ أفكار كل واحد
منهم ككتاب مفتوح أمامه..

لكن لا بأس فهو يعرف كيف سيدافع عما قرره بإصرار إذا ما
هُجم من أحدهم..

لقد أصبح رجل ثلاثيني ناضج ولم يعد احمد الشاب الذي سمح
لهم سابقا أن يتحكموا فيه..

هو فقط وببساطة ينتظر بادئة النقاش أن تكون منهم ليعرف
كيف يجيبهم..

بإمكانه الزواج ببساطة من هيام وبدون إخبارهم حتى.. ولكنه
يريد أن يذهب لطلب يدها من والدها بجاهة كبيرة لتشعر
بقيمتها عنده..

لذا هو مضطر لإخبارهم واصطحبهم معه..

وبعدها سيتزوج هيام وستكون شريكة حياته وزوجته
المستقبلية.. أو بالأصح نصف شريكه فيه بما انه متزوج
بالفعل..

خرج والده من الشرفة ليعلقها خلفه بحدة وهو يعاود ليدخل
الصالة عندهم..

سحب رؤوف الغالي كرسي من طاولة المائدة بعنف وجلس
عليه مقابلا للكرسي الذي يجلس عليه احمد..

نظر رؤوف باحتقان لابنه احمد ليندفع الآخر بسرعة قبل أن
يسمح لوالده بالاسترسال وهو يوزع أنظاره لكل من في المكان

((أتمنى وقيل كل شيء ولمن سيعلق الآن ألا يقسو علي.. لأنني
أحبها وأكثر مما قد يتخيل أحد.. قلبي بقي على حبها طوال تلك
السنين.. والآن أخاف من فقدانها أو أن يمتلكها غيري.. بقلبي

جرح لن يفهمه أحد.. عدا أنني اتخذت قرارى وانتهى الأمر..
بالنهاية أنا لست مراهق ولا أسعى لأخرى لمجرد العبث
وشكرا))

قال الكلمة الأخيرة بسخرية كبيرة وهو يستعد بعدها لاستقبال
تعنيفهم وتهجمهم المتوقع..

لكن رؤوف تنهد بانزعاج واليأس يظهر على وجهه من قبل أن
يتحدث حتى..

لكنه ومع ذلك وجه كلامه لأحمد محدثا إياه بحذر وهو يتعامل
باللين لعله يرجع عن قراره الذي اتخذ

((يا ابني أرجوك تمهل وفكر بروية.. أنت واقع بين أمرين..
الأمر الأول الحقيقة والثاني هو الوهم.. الحقيقة أنك تزوجت
ولديك طفل جميل بارك الله لك فيه.. والوهم أنك تحب امرأة
قابلتك مرارا الآن وبالماضى.. وربما قابلت غيرك وأنت لا
تعلم..))

تلبس احمد غضب مستعر من اتهامات والده المسيئة لهيام..

لكن رؤوف تابع وهو يحاول أن يكون مقتعا ولينا أكثر

((احمد ابني العزيز.. زوجتك امرأة عفيفة وهي أم ابنك لذلك
اجعل تفكيرك وحبك كله لها.. أما تلك الأنسة الشابة فلو أنك
تزوجتها بالماضى لربما طلقته لسبب أو لآخر.. لكن الشيطان
سوف يجملها لك يوم بعد يوم لأنها غريبة عنك.. لذلك أنت إما
أن تختار طريق الرحمن بنسيانها أو طريق الشيطان بحبها
ومقابلتها.. فإيهما تختار؟))

زفر احمد يريد أن يخفف من الغضب الذي اشتعل بداخله.. ثم
رد أخيرا بحنق

((والدي أنت لا تعرف علاقتنا.. أنا بحاجة لهيام.. اشعر بنقص
كبير في حياتي وإيمان لن تستطيع أبدا إشباع ما احتاجه

وينقصني.. صدقتي إيما لا تكفيني لوحدها كما أني لم أستطع حبها.. أنا غير سعيد في حياتي الزوجية وتعبتُ منها نفسياً.. فماذا أفعل؟ أنا لا اللوم إيما فالذنب ليس ذنبها.. ولكن تبين أني لا أتوافق معها في أي شيء.. لا في الطباع.. ولا الشخصية.. ولا القدرات.. ولا أسلوب الحياة.. فهي عكسي في كل شيء.. حتى لغة الحوار بيننا غير متوافرة.. ولا يوجد تجانس بيني وبينها.. لا فكري ولا ثقافي.. وحيي لهيام لم يكن سبب فشل زواجي بإيما))

صمت احمد للحظات قبل أن يقول مرتبكا ومدافعا عن مبالغته السابقة بعدم توافقه مع إيما

((لن أقول فشل.. لأنني بالفعل أريد إيما ولن أتخلي عنها مهما حدث بعد زواجي من هيام))

لم يكن يتوقع احمد أن يشعر بالدناءة وهو يقولها لكنه أردف وهو يشعر بالذنب تجاه إيما

((الغريب أنها منذ أن تزوجنا وهي تصرح بحبها لي كثيراً.. ربما لأنها تشعر أنها مُعَصِّرة معي لكونها لم تستطع جعلي أحبها.. لكن وأنا من جانبي لا أستطيع التعبير عن هذا الحب))

ارتسمت ملامح غضب على إياد.. وهو يتعجب من تفكير أخيه بعد كل هذه السنين..

تذكر المشاكل التي كان يشكوها احمد عن زوجته أمامهم بالفترة الماضية.. وكأنه كان يمهد للأمر سابقا..

قال إياد وهو يقترب من احمد ويديره من كتفيه نحوه

((أخي.. أتفهم شعورك وحاجتك أن تكون زوجتك صديقة ورفيقة تشاركك أحلامك وطموحاتك قبل أي شيء.. مع ذلك.. الم تتعرف عليها بالخطبة؟ أي أنك لم تفاجأ بطباعها وثقافتها واهتماماتها فانت قبلت بها وتزوجتها على هذا الحال فواجبك

الآن أن تشدها إليك وتجذبها إلى عالمك بدلا من الزواج من
غيرها))

قاطعه احمد مبررا وهو يحاول تهدئة نفسه من تفكير شقيقه
البعيد عنه

((لقد اكتشفتُ بعد الزواج أشياء لم أكتشفها أيام الخطوبة.. ثم أن
خطبتي كلها من إيما لم تتعد الشهر.. وأمضينا الشهر هذا ونحن
نخطط نتحدث عن أشياء مادية فقط تخص الزفاف وتأثيث
البيت.. لم نتعرف جديا على بعضنا.. وبعد الزواج أنت تعرف
جيدا كل ما فعلته لأنسجم معها وأحبها.. ولكن لا فائدة))

ارتفعت أنفاس إياد وهو يكمل حواراه

((يا احمد.. انظر للأمر من جوانب أخرى.. ابنك هو نتيجة
تربيتها وانغماسها في البيت والطبخ والتنظيف.. فلا تنقص من
تعبها وتقانيها فلو لا اهتمامها بشؤون البيت والأسرة لما
استطعت أن تركز أنت على عملك وتنجح.. احفظ المعروف
والعشرة وخذ بيدها لتحسن من ثقافتها.. احضر لها من يساعدها
في البيت وأطلب منها الاستقالة من عملها حتى تتفرغ أكثر
لنفسها.. أشعرها بفخرك بها وبإيمانك بقدراتها وشجعها.. لا
يكفي ما فعلته.. عليك أن تخلق لها فرصا وتوجهها وتدعمها
كما تريد))

توقف عن الكلام لبرهة قبل أن يعقد حاجبيه وهو يقول مؤبنا

((بالنهاية زوجتك متعلمة وحتى لو كان تعليمها لحد الثانوية
وهي تدرس بمدرسة خاصة.. إلا أنها لو لم تكن مثقفة ولديها
الكفاءة الكافية لم تكن المدرسة ستبقيها بعلمها.. كونها لا تفهم
بمجال تخصصك واهتماماتك لا يجعلها جاهلة..))

زفر احمد ببيأس وضيق وهو يغمض عينيه.. لا أحد استمع لما
قال أو فهم عليه..

هيام مجالها الجامعي بعيد كلياً عنه ولكنها تفهمه..

نظر احمد له وقبل أن يحاول فتح فمه ليتحدث.. قاطعه شقيقه
مرة أخرى

((احمد.. إن كنت تقصد ما كنت تقوله بالسابق عندما كنت تنتقد
فيها بالعلن أمامنا قبلاً وتشكو عن غيرتها من زميلاتك أو
زوجات أصدقائك.. فهذا سببه إحساس بالنقص والدونية أنت
زرعته فيها.. لو كنت تفتخر بها وتشعراها بذلك لرأيت غير
ذلك تماماً.. هل جربت أن تحضر لها شيئاً غير الكتب التي
تحبها وأنت تحاول أن تعرف ما يستهويها هي؟ هل حاولت قبلاً
أن تقرأ معها أو تهيب لها الجوز والظروف لتشجعها؟ صدقتي يا
احمد أنت تغيرت.. أصبحت تنظر لكل من أقل منك بدونية..
رفقاً بها ومن تواضع لله رفعه.. حبيبتيك الدكتورة والأستاذة
الجامعية لا تختلف كثيراً عن أم عدنان))

دخلت عيبر على حديثهما وهي تقول بينما تعقد ذراعيها أمام
صدرها وترفع حاجبا وهي تضيف بلوم

((أنا طيبة يا احمد.. وكما تعلم رأيت الكثير من صاحبات
مراكز عالية ومع ذلك كن فاشلات مع أزواجهن وتملاً التعاسة
بيوتهن.. أنت من تغار يا احمد من نساء أصدقائك لا إيما..
المسكينة بعد أن أمضت سبع سنوات تعمل وتساعدك
بالمصروف وتربي ابنك وتطهو وتهتم بالمنزل أصبحت الآن
تافهة وغير مثقفة؟ هل تعتقد أنك كنت لتنجح لو كانت زوجتك
من النوع المسرف الذي لا يهيمه إلا الملابس والسفر؟))

أضاف إياد على كلام زوجته وهو لا يزال يبذل جهده بجعل
أخيه يتراجع عن القرار المجنون الذي اتخذه شقيقه

((كل ما عليك فعله هو فقط أن تثنى جهود زوجتك وصبرها
على انشغالك.. كن الزوج الحنون.. أكثر الجلوس معها.. أكثر
من النقاش والحوار مع زوجتك حول شتى المواضيع
الاجتماعية والخاصة والدينية والعلمية وبهذه الطريقة سوف

تكسب منك الطباع التي أنت تريدها وسوف تلاحظ كل يوم أن طريقتها بالنقاش حول المواضيع قد اختلفت وبدأ تفكيرها يزداد تشابها بك.. علمها بحب وبود وابتعد عن التعالي والغرور))

أوما الأب رأسه موافقا كلام ابنه إياد ليسترسل ناصحا بجدية وهو يتهم احمد باحتقار

((ستكون يا ابني متكبر وجاحد وناكر للجميل إذا تركت زوجتك.. لا تجعلني أتمنى لك أن تكون من نصيبك تلك الأفعى السامة لتدمر كل ما جمعته في هذه السبع سنوات على ظهر هذه المرأة المسكينة.. من الآن وصاعدا لا تشك لنا يا احمد عن أي مشكلة من مشاكلك مع زوجتك ولا نريد الاستماع لك.. واجتماع الأمر كله بين يديك شئت أم أبيت.. حافظ على أسراركم الزوجية وتذكر كرامة زوجتك من كرامتك))

أغمض احمد عينيه بغیظ وهو لا يصدق اتهامات عائلته.. متى قال عن إيمان تافهة وغير متقفة..

هو لا يلوم إيمان.. لكنه فقط لا ينسجم معها..

لم لا يفهمون أن زواجه من هيام لا يعني تركه لإيمان؟

لم يدافعون بشراسة عن إيمان ولا يباليون بالمسكينة التي ضيعت عمرها في سبيل حبه؟

ولا يباليون بأبنهم المسكين الذي حُرِم من حبها بسبب كبريائهم وعناد والدها؟

أسوء ما في الأمر.. انهم هم لا يعرفون هيام عمق المعرفة مثله ليتهموها بهذا الشكل..

فهيام فتاة ناعمة رقيقة.. لا يمكن لها أن تفكر حتى مجرد تفكير بأن تؤذي أحد أو تخرب بيتا..

لا يصدق انه بسببه الآن يتم توجيه جميع أنواع الاتهامات لها..
إنهم لا يفهمون من هي هيام بالنسبة له..

يأمرونه بهدوء وبرود بالتماسك والابتعاد عنها وكأن الحب
والأمر كله بكيسة زر..

أخذ احمد نفسا عميق وتنهدهد بهدوء قبل أن يفتح عيونه ويقف
بشكل مفاجئ صارخا

((أخبرتكم جميعا أنني لن اهجر إيمان.. أنا متمسك بها.. أنا
لست ندلا لأقول لها بعد سنين زواجنا هذه "لقد اجتمعت مع
حبي أخيرا ولا حاجة لي بي بك بعد الآن وإلى اللقاء" .. أنا))

وفي أثناء هذا الحديث.. ابتعدت عبير بطواعية خطوات إلى
الخلف وهي تبتلع كلماتها في جوفها..

مع أن هناك الكثير بداخلها من الكلمات التي تود لو تصرخ فيها
بأحمد حتى تصل إلى المطلوب..

من بداية حديثه وهي تسمع ذاهلة بهدوء وتنتظر له وكأنها لا
تصدق.. يخبرهم خطته وقراره بمسألة الزواج من أخرى غير
إيمان..

لا يمكنها أن تعتبر إيمان صديقة مقربة منها..

بالنسبة لها هي زوجة أخ إياد وحسب كونهما لا يتلقيان كثيرا
حتى.. خاصة وهي التي تمشي بحياتها على مبدأ "علاقة
سطحية.. حياة صحية" ..

بل دائما ما كانت عبير رسمية حتى مع المقربين في حياتها
لتحاول تجنب المشاكل منذ أن تزوجت عبير من إياد بعد ثلاث
سنوات من زواج احمد الذي يصغر إياد..

لكن وبالرغم من علاقتها الغير وطيدة مع ايمان.. إلا أنها ومع عدد مواقف كانت تحدث بينهما استطاعت ايمان بطبيعتها وعفويتها أن تكسب ودها واحترامها ودعمها..

فايمان ساندتها وساعدتها بالكثير من المشاكل التي واجهتها عبير منذ زواجها من ايداد..

تساندها لتتقي شر حماتها وأقارب زوجها..

وحتى لا تقع بالكثير من الأخطاء التي وقعت بها ايمان من قبلها وببداية زواجها..

ايمان دائما ما تحاول أن تكسب حياتها بالتغافل وتمرير الكثير من المواقف التي تمر بها معهم..

لا تنضم لمجالس النساء الحافلة بالقليل والقال لتتجنب تعريض نفسها لمواقف مسيئة للآخرين..

وأفضل ما تفعله هو عدم التحدث بأمورها الخاصة والعائلية ولا تسمح لأي أحد بالخوض بها..

لا تعرف عبير الآن كيف تستطيع تلك المسكينة تحمل زوجها احمد وهو الذي لا يترك أي مشكله له اطلاقا دون أن يدخل والديه بتفاصيل حياتها الشخصية.. بل المصيبة أنها لا تعرف بماذا يخطط الآن..

هي فعلا من أجل ايمان حاولت عبير أن تخفف من علاقتها بهيام حتى لا تسألها هيام أو تطرق بالحديث عن احمد الذي كان حبيبها السابق..

لأنها شعرت أنها خيانة لإيمان بالتحدث مع حبيبة زوجها السابقة وذكره أمامها..

توقف الآن احمد عن الصياح والكلام.. فتقدمت عبير للطولة لتجلس بجانب حماها.. مقابل احمد..

يجب أن تدخل بالموضوع.. فحماها وزوجها يعنفان احمد بدون
مراعاة.. مهاجمته بهذه الطريقة لن يكسب بها أحد أي شيء إلا
إصراره وعناده على ما يريد..

فبدأت التحدث بروية وحيادية محاولة إلا تظهر عاطفتها
المنحازة لإيمان لتقول بابتسامة متوترة بعض الشيء بدون ذكر
أن هيام تكون ابنة خالتها أمامهم وحتى لو كان والدي احمد
على معرفة بذلك

((صدقني يا أبا عدنان الأفضل أن تلغي كل فكرة زواجك.. فلا
زوجتك مريضة ولا هي..))

قاطعها احمد بإصرار عقب أن زفر بسأم

((أنا المريض هنا.. مريض بمرض الحب.. اللبس الحب أحيانا
اقوى وأخطر من أكثر الأمراض الجسدية؟ أليس سببا كافي؟))

أغمضت عبير عينيها بشدة محاولة كبت غضبها وعدم انفلات
أعصابها لتقول بحدة وهي تجبر نفسها أن تصطنع الابتسامة
بينما تشد على قبضتيها الاثنتين وتنزلها تحت الطاولة حتى لا
تلکم بهما احمد

((أبا عدنان.. حتى لو رأيت كلامي قاسي لكن أنا لا أرى أملك
إلا سوى هذا الحل الذي قد لن تتقبله مني وهو أن تنساها وتبعد
عن طريقها لأنك بذلك قد تظلمها.. وهي لم تتزوج بعد فسوف
تتعلق بك أكثر وتضيع عليها فرص كثيرة في الزواج.. فهذا هو
أقل ما يمكن أن تفعله لأجلها إن كنت فعلاً تحبها وتتمني لها
الخير والسعادة))

أنهت عبير كلامها برضا وتقبل تام لما تقوله..

بينما كانت أم احمد تجلس على أريكة بعيدة موضوعة بشكل
منفرد باخر الصالة.. تكتف ذراعيها وتنصت باهتمام لنقاشهم
المهم..

عندما رأت أن عبير قد تستطيع أن تقنع احمد بالفعل عن العدول عن قراره وجدت نفسها ملزمة بالتدخل.. خاصة أن زوجها وابنها الأكبر يوافقون ويؤيدون ما تقوله عبير..

لقد شعرت بخطئها الفادح عندما أجبرت بالماضي احمد بالزواج من إيمان لمجرد جمالها وجنسيته الأمريكية..

ظنت أنه زواجه منها سيمكن ابنها من السفر خارجا ليلقي فرصة.. بل فرص ذهبية للارتقاء بوضعه الاجتماعي والمادي وتأمين فرصة معيشة كريمة ومرفهة له ولأولاده..

وها قد مرت السنوات.. وماذا استفاد ابنها من إيمان وهو حتى لم يغادر الوطن عندما حتى عندما أنجبت ابنها بالخارج هناك عند عائلة والدتها؟

الآن ومع مرور الوقت بدأت تندم على ذلك.. خاصة كلما رأت انطفاء وهج زرقاء عينيه..

أساسا هي تمننت كثيرا أن تزوجه مرة أخرى من حبيبته هيام لعله يغفر لها ذنبها.. لكن المشكلة كانت تكمن بخشيتها من طلب إيمان الطلاق..

لكن بما أن ابنها احمد يبدو واثقا أن إيمان لن تطلق ولن يخرب بيته الأول إذا فواجب عليها أن تشجعه على زواجه من هيام..

هكذا فقط يمكنها أن تصلحه خطئها بالماضي بما أنها السبب بزواجه..

صحيح أنها حتى الآن لا تنسى الإهانات التي تعرضوا لها من والد هيام عندما رفضهم بسبب حالهم المادي بغرور..

ولكن إيمان ليست أفضل.. بل هي متكبرة ومغرورة..

وربما سيكون زواج أحمد هو وحدة من قد يكسر شوكة إيمان أمامها..

خاصة وهي لا تمل من محاولة استعراض السعادة والمثالية بعائلتها هي واحمد وابنهما.. فهذه العائلة على ما يبدو ليست كما تقول..

لذا تقدمت نحوهم.. لتقول يهوت هادئ وهي تستدعي انتباه احمد الذي ينظر لها بحاجبين معقودين

((فارق كبير يا ابني بين الحب الحقيقي البريء المنزه من الأغراض وبين النزوات الدالة عدم الرضا بالواقع.. وجميعنا نعلم قصة حبك مع هيام والتي تدل على معدنك الطيب ومعدن هذه الفتاة أيضاً.. لذلك يا ابني.. الصدق أقصر الطريق نحو الحلول السليمة.. هذا الصدق الذي سيجنك اللوم والتفريع.. لذا أنا معك))

شعر احمد بالنشوة عند سماعه كلمات أمه فقال لها بفرح عقب أن قام من مكانه ليقبل رأسها

((أنت الوحيدة التي لن ولم تقس عليّ مهما حدث يا أمي.. فانا والله يا أمي لا أتحمل فراقها ابدأ ويعز عليّ أن أبكيها..))

ابتسمت والدة احمد بفرح وهي ترد عليه بينما تمسح على وجهه

((حاشا لله أن نقسو عليك.. ولن يقسو عليك إلا من قد قلبه من صخر.. فأنت لم تقل في كلامك ما يدينك أو يشينك أو يشين هيام.. فالقلوب بيد مقلبها يقلبها كيف يشاء.. ومقلب القلوب أيضاً هو الذي قسم الأرزاق وجعل الزواج رزق ونصيب.. ويشفقن أن أراك تحبها وتخشي فراقها رغم أنك بالفعل مفترق عنها))

حفظت عينا عبير جراء ما سمعته مع شهقة قوية خرجت منها بلا تحكم..

فهمتت وهي تتجه نحو احمد فيما يشبه الصراخ التي فشلت في
إخفائه وأكملت كأنها تشرح بغضب وتوبيخ لطفل صغير ما هو
الطريق الصائب الذي يجب عليه أن يسلكه

((لكن يا أبا عدنان لو فكرت في الأمر مليا ستجد أنه ليس
أمامك إلا أن تسلّم لله أمرك وتقع من الدنيا بما حصلت عليه
وترضي بقدرك.. وإذا كان يا احمد بايما عيبا جرب أن تنبهها
وتقومها.. قل لها ما رأيت فيها وأزعجك))

أنهت عبير كلامها وعينا والدة احمد مستمرة بالتحديق بوجهها..
قبل أن تحول نظرها لأحمد.. تطبطب على كتف ابنها لتسرق
انتباهه لها وهي تهدر

((أو يمكنك يا حبيبي أن تتزوج من هيام إذا سمحت لك
ظروفك.. لان البكاء وجرح القلب ليس هو الحل.. أنت تقول
إنك رجل يعز عليه أن يبكي والرجل أيضاً لا يقف مكتوف
الأيدي أمام رغبة شريفة.. إن كانت ظروفك وظروفها تسمح
لك بالزواج فلماذا التردد؟ إن كنت ترى يا بني في نفسك القدرة
المادية والنفسية على الزواج باثنتين مع اشتراط العدل فلماذا
لا؟ سأذهب معك مرة أخرى لبيتهم لنقتعها ونقع أهلها بالزواج
منك.. أعدك يا ولدي العزيز))

زفر إياد بتردد.. قبل أن يقول لأحمد بلامبالاة وصوت خافت
وهو يمسك كتفه

((أخي إذا كانت ظروفك تسمح بزواجك من هذه الفتاة ولن
يؤثر ذلك على زوجتك وأبنك.. فتوكل على الله.. أنا سأذهب
لبيتي مع عبير.. استودعكم الله))

ثم سحب إياد كف عبير التي كانت مستاءة من كلامه ليسحبها
للخارج فيما ترد عليه أمه وشبح ابتسامه تعلقوا فهاها

((بأمان الله يا بني))

والدة احمد لا تنكر مساعدة إيمان لابنها.. لكن إيمان ليست
سهلة كما يبدو عليها من الخارج..

ظننتها فتاة رقيقة.. لكنها بعد زواجها من احمد باننت على
حقيقتها..

فهي متكبرة ولا تحترمها أبداً وتكره كيف لا تستقبلها بشكل
مناسب عند زيارتها في بيتها..

ولا تجلس معها وتتشغل بشكل متعمد بالمطبخ حين قدومها أو
في عمل آخر..

=====
=====

وبعد يوماً طويلاً متعب ومرهق..

فتح مراد ليلاً باب شقته ليذلف ويغلق الباب من ورائه.. ما
حدث صباحاً معه ومع جلالاً أنهى صفاته الذهني وأفسد يوماً
كاملاً.. حتى أنه لم يركز بعمله المترام عليه..

والآن وبمجرد أن وصل لبناية والده مر على شقة والديه لإلقاء
التحية عليهما قبل النوم وقيل أن يصعد الدرج ليعود لشقته حتى
هبت أمه عليه بعواصف من كلام عتاب وتوبيخ لأنه زوجته لم
تشرفها اليوم..

استفزته والدته وهي تسأله هل مقام سيادة زوجته أكبر من أي
يسمح لها ألا تزور حماتها..

أم أنه فقط ليس رجلاً كاملاً بنظر زوجته لتسمع وتطيع أوامر..

حاول مراد أن يتحكم بأعصابه وهو يخبر والدته بأنه سيجعلها
تنزل عندها غذا صباحاً بكل تأكيد..

ثم غادر بسرعة شقة والديه قبل أن تكبر المشكلة أكثر من لا شيء..

وهو الآن لا يعرف بماذا سيتحدث مع جالا..

من جهة هو بحاجة أن يتحدث بشأن ما حدث صباحا ويتفاهم معها جيدا قبل أن يتراكم الأمر..

ومن جهة أخرى لا يفهم لم تصر على عنادها وإظهاره صاعرا أمام والديه..

وكل هذا يزيد من اتساع تلك الفجوة التي بينهما قبل أن يأخذا حتى فرصة للتقارب..

سمع مراد صوت الماء فعرف أن جالا تأخذ حماما.. فدلف المطبخ..

جلس أمام الطاولة وحيدا يتناول ملعقته ويباشر طعامه..

لقمتان وثلاث.. ثم أبعد الطعام عنه بحقن وهو يصب الشاي بكأس زجاجية ليرتشفه..

على ما يبدو أن إعداد الشاي هو الشيء الوحيد الذي تحسن فعله بجدارة..

بعد دقائق انتصب واقفا من مكانه نحو المغسلة بوجه مظلم بقوة وغضب..

يحمد الله أنها الآن ليست أمامه وإلا لكانت رأت ما لن يعجبها البتة..

كان أقل شيء سيأتي بها برأس محطم ولسان مقطوع..

فهل هذا الغذاء الشهى الحقيقي التي تشدقت بصنعه من الصباح الباكر وبسببه لم تنزل عند والدته؟

زفر بيأس وهو يغسل يديه..

هي بكل تأكيد لا تعرف القيام بأي شيء بالمطبخ حتى سلق البيض فما باله بوجبة غذاء معتبرة..

لكن لا بأس.. لا شيء مستحيل.. يمكنه الصبر عليها حتى تتعلم.. لا داعي أن يقلل من شأنها في التعلم وشأن مواهبها المدفونة من الآن..

أو ربما.. هل يخدع نفسه؟ سيكون الأمر أسهل أن يتعلم هو الطهي بدلا منها..

هذا بالطبع إذا أراد أن يتناول وجبات طعامه ببيته بدون أن يتعرض لأي محاول تسمم غذائي..

دلف لجرة نومه ليخلع قميصه قبل أن يتفاجأ بعد لحظات بجالا وهي تفتح مقبض باب الحمام الملحق بحجرة نومهما..

لتنفض من أمامه بذعر بمجرد أن رآته..

كانت ترتدي مازرها الطويل وفوقه منشفة كبيرة تحيط نفسها بها.. مع منشفة أخرى تضعها فوق رأسها.. و

قطرات المياه تتساقط على قدميها..

كان منظرها مضحكا جدا.. وشهيا.. شهيا جدا لدرجة انه خاف أن يفقد صوابه الآن أمامه..

ابتسم لها وهو يشعر بهذه اللحظة أنه يريد لها.. بل من أول لحظة صارت على ذمته وهو يريد احتضانها.. أن يدثرها بأحضانها.. أن يكون معها بعالم آخر.. وزمن آخر.. حتى ولو لم تكن تريده بالمقابل..

فتشجع مراد واقترب منها غير أبيه للشهقة المجفلة التي أطلقها وهي تتراجع للخلف وتراها يحاصرها مجددا كالصباح..

وللعجب.. أعجبه ارتعاشها..

فمد مراد أصابع كفه ليتلمس وجنتها التي لا يرى ما هو لونها
الحقيقي تحت إضاءة الحجر المعتمة..

شعر بنيران تشتعل بداخله ليصق جسدها به حتى شعرت
بأنفاسه الحارة على رقبتها..

ليهمس بصوت هادئ ما إن حاولت بارتباك أن تهتمهم بالرفض

((لا داعي للخجل.. نحن متزوجان.. متى ستدركين هذا الشيء؟
أرجوك تحرري من هذا الرعب الذي يستلبسك كلما اقتربت
منك.. على الأقل لهذه الليلة))

شعر وكأنه يعيش لحظة مسروقة من جوف القصص الخيالية
الجميلة فقد كان كل شيء مثالي.. من الجو المحيط بهما
ومظهرها هذا..

شعر بأنه يحقق حلم قديم كان مستحيلا من أيام الطفولة..

لكن جالا تطلعت إليه برعب لم يمنعهما هي هذا المرة من تأمل
ملامحه بحدقتها المهترتين..

شفته المكنزتان.. انفه المستقيم.. ذقنه الخفيفة.. فازردت
ريقها وهي تحاول دفعه بضعف..

لكن ما إن لمست كفيها عضلات صدره العاري حتى أبعدتهما
كالمسوعة فتسقط أرضا..

صمت مراد للحظات وهو ينظر لها.. كانت تحاول مجددا رفع
عينها له برعب.. برعب زاد من غيظه وتأجج النيران بداخله
أكثر..

لقد صبر بما فيه الكافية.. لقد نفذ صبره وقد منع نفسه عنها
طوال هذه الأيام التي مرت عليه كسنوات..

تقدم منها يلتهم شفتاها بقبلة عنيفة.. سرعان ما أصبحت رقيقة..
شهية الطعم..

أدرك فيها كم لا زال يدفن الحب تجاهها..

حتى ولو لم يتبادل الشعور.. كم ودة بلحظتها أن يبعتها عن
العالم أجمع فقط..

بينما وبهذه اللحظات كانت جالا تشوشها ذكريات تتخيلها من
الماضي فتزلق الدموع من مقلتيها الصغيرتين رغما عنها..
فتزيد أنفاسها المتسارعة وتكاد تطبق على صدرها المختنق..

وما أن اقترب منها عنوة ليلتهم شفتيها وهو يمسك ذراعها
حتى أصاب الهلع كل جزء منها فأصبح ارتجافها يفتك برأسها
إلى حد أن شعرت أنه يؤثر على وعيها..

ابعد وجهه عنها فهدأت ارتعاشاتها..

لكن انتفض مراد وقتها وهو يبعتها عنه وعيناه تشعان غضبا..
فانكشمت على نفسها تبكي بجزع..

صرّ على أسنانه وهو يقترب منها ويمسكها ويثبت رأسها بيديه
للتوقف عن البكاء..

ثم سرعان ما ترك رأسها ليهزها بتلك اللحظة من كنفها وهو
يهمس بصوت غريب ومشاعر كريمة

((ما بك؟ كل هذا لأنني قبلتك؟))

دفعته بضعف من صدره عنها وبارتجاف بوجهها المبلل
بالدموع وأهدابها المسبلة بخنوع وضعف..

فنظر لها بتأمل وهي تبعد وجهها عنه باشمئزاز.. قبل أن يوما
لها وهو يقول

((أن اغربي من أمامي لا أريد رؤية وجهك))

أسرعت بالخروج قبل أن يغير رأيه ببعض الترنح وخيالات
مرعبة تداهم عقلها بإصرار..

دلفت لجرة أخرى بالشقة وأغلقت الباب خلفها بينما هو يتابعها
بصمت وبعينين غامضتين قاتميتين..

بينما أنفاسه الهائجة تخرج بغضب وعنف.. يبدو أن الأيام
القادمة له معها لن تمضي على خير..

استلقت جالا بالحجرة الأخرى على فراش على الأرض
بجسدها في وضعية الجنين وهي تحتضن ركبتيها وتضمهما
إلى صدرها بقوة..

أما مراد فكان يغمض عيناه بغضب بينما يرمي بجسده فوق
السريير بعنف وهو يشعر بالهزيمة..

هزيمة ملاصقة له بشكل دائم في كل مرة يحاول التقرب منها..

تنفس باضطراب.. ليس هو أول من قبلها.. هل تغاضى عن كل
شيئا بينها وبين كارم إلى حد كبير؟

فتح مراد عيناه على ذكرى خطرت على باله ذكرى قديمة من
أيام الطفولة وقشعريرة مرت على طول جسده وهو يتذكرها..

عندما أقام جد جالا دعوة كبيرة لرجال القرية من جيران
وأقارب درجة أولى..

كان طفلا صغيرا وفتها.. وبينما كان هو ووالده متواجدا..
كان كارم ووالده أيضا مدعوان..

وعندما كان والد كارم يبحث عنه بالإرغاء.. اقترح فيصل والد
جالا أن يتطوع بالبحث عنه وربما يكون متواجد بالحديقة
الخلفية للمنزل..

ربما فضل والد جالا وقتها البحث بنفسه عنه لأنه اعتاد دائما
منه التواجد بحديقة المنزل للعب والانفراد بجالا وحيدان..

فيمهما يتعرضا الاثنان للضرب والتوبيخ من الجميع لا يتوقفا
عن الالتقاء ببعضهما..

ربما بالغ الكبار بالتغاضي وعدم منعما بصرامة اكبر من ذلك
لأنهما كانا صغارا..

يومها لا يدري ما الذي دفعه حينها ليرافق والد جالا بحثا عن
كارم بالحديقة.. ربما لأن كارم كان زميله بنفس الفصل..

ليجد فيصل وكما توقع طفلته المصونة جالا برفقة الأحقق كارم
واقفان بمفردهما تحت شجرة ضخمة..

إلا أن المختلف والمثير للجزع هذه المرة..

أنهما كانا يلعبا لعبة العروسين.. كطفلين منعدمين التربية
والحياء..

حيث شاهدا كل من فيصل ومراد كارم يقبل جالا بشقاوة تطبيقا
لما كان يراه على التلفاز..

حتى أن كارم بعدها واجه والد جالا بشجاعة طفولية وهو
يخبره أنها أصبحت زوجته وملكه الآن بعد أن البسها الخاتم
وقبلها ولا علاقة له بزوجته بعد الآن..

الجم مراد نفسه بصعوبة كي لا يحطم المكان من شدة غضبه
بعدما مرت الذكرى من أمامه..

هل جنّ إلى حد أنه يرغب الذهاب لروسيا الآن ليقتل كارم
ويخنقه حد الإجرام لما اقترفه بحق من تكون الآن زوجته
عندما كانوا أطفال لا يعوون شيئا بهذه الحياة!

ما يفقده عقله حقا أنها سمحت وهي طفلة لكارم بذلك..

بينما الآن وهي فتاة بالغة وزوجته شرعا وقانونا ترفض أن
يقترب منها بأي خطوة وإلا ترتجف خوفا منها ونفورا..

تسلل إلى عقله شكوك بشكل مفاجئة جعلته يود لو يفتك به..

هذا ما فعلاه وهما طفلان.. فماذا كان يفعلان معا عندما كبيرا
بفترة المراهقة وقيل سفر كارم؟

لم يكن هناك بينهما إلا قراءة فاتحة بدون عقد قران..

فكيف كان يتغاضى والد جالا الأحمق ولا يتصرف بحزم وشدة
تجاه استمرار علاقتهما ببعضهما؟

رباه.. فقط لو كان يعرف أنها ستكون زوجته لما سمح لكل
ذلك..

هو أساسا وبعد أن نضح قطع علاقته كليا بكارم لأنه لم يكن
يتحمل أن يكون صديقا لشاب مخطوب للفتاة الوحيدة التي
أحبها..

وهو لا يدري حتى لما أحبها.. وكل ذكرياته الطفولية معها
كانت عبارة عن صراخ عليها وشكوتها لوالدها ومحاولة التحكم
بها بدعوة أنها قريبتها..

لكن سرعان ما هز رأسه لنفسه نافيا وهو يرفض ما يحاول
التفكير به ويستغفر ربه..

لكن ومع كل هذه الأفكار والاتهامات التي تطولها بعقله إلا أنها
لم تُثَق قلبه من أن يبقى يبيض باسمها..

.

.

وعند قرابة الفجر..

شيء بداخله جعله يقف من مكانها ليقترّب من تلك الحجرة التي تتواجد بها جالا..

وقف أمام الباب وكفه تقترّب من المقبض بتردد ليفتحه بعد لحظات..

مع أنه كان لا يعرف إذا كان يجب عليه فتح الباب وهو يشعر بهذا الكم من الغضب والانفعال الذي ما زال يشعر به حتى بعد مرور ساعات على ما حدث أم لا..

تقدم للداخل ببطء.. يريد أن يطمئن عليها والتأكد من نومها..

فقد تذكر أنها ما تزال ترتدي المأزر ودخلت الحجرة التي لا تتواجد بها أي غطاء ثقيل لتندثر به بهذا الجو البارد.. ولا حتى مدفئة..

اقترّب من جالا النائمة أكثر ليشعر بالاضطراب والقلق على حالتها الغريبة..

كانت تأن وهي نائمة والضعف الشديد يسيطر على باقي جسدها..

قرب كفه من جبينها ليرى أن حرارتها مرتفعة.. فhezها مراد وهو يهتف بها

((جالا.. جالا.. هل أنت بخير؟))

كرر سؤاله أكثر من مرة وجالا على وضعها غائبة بعالم آخر..

لا تجيب ولا تعي بأي شيء إلا بمجرد مهممات..

سارع بحملها بين ذراعيه إلى حجرة نومهم والقلق يطل من عينيه..

شعر بالخوف الذي تعيشه بداخلها أثناء نومها فأحتضنها أثناء سيره وهو يغرسها بصدره بقلب نازف بينما يستقبل دمعته

الساخنة المنزلة من على خذها أثناء نومها وهي تتابع متممة
كلمات غير مفهومة..

همس بها بهمسات حنونة تهدئ من روعها بداخل حلمها..
وكانها مستيقظة تسمعه وتعي ما يقول..

ثم وضعها ببطء على سريرهم وهو يدثرها بعدة أغطية ثقيلة..

أسرع عمل كمادات باردة لتخفض حرارتها وبقي وحتى
ساعات الصباح الأولى وبعد أن صلّ الفجر ينام مستلقيا
بجانبيها..

كان مستلقيا فوق الأغطية بينما هي تتدثر تحتها.. وكأنه سيشعر
بالذنب لو التصق بها بهذا الشكل ري بغير إذننا مستغلا عدم
وعينا..

لكن هذا لم يمنعه من تأمل ملامحها وهو يتمنى أن يتغلغل إلى
روحها ويتشرب كل ذرة بها..

وعند موعد عمله.. ومع أنه كان بإمكانه ببساطة أن يأخذ إجازة
كونه هو المسؤول ولا يوجد رب عمل فوق رأسه يتحكم
بمواعيد عمله..

لكنه فضل أن يذهب للعمل.. لا من أجل العمل المتراكم عليه..

ولكن لأنه علم أنه لم يتغير شيء وهي لا تزال لا تفضل قربه..
فلا فائدة من تواجده بجانبها إلا الشعور بالحرج من رؤيتهما
لبعضهما..

ولم ينسَ قبل أن يغادر البيت أن يدخل على والدته وهو يخبرها
عن مرض جالا وقد بدا عليها الاقتناع وهي تراه يطلب من
مدبرة المنزل الذي تعمل ببيت والديه منذ أن كان صغيرا أن
تتفقد جالا كل ساعة وتعطيها قرصا مخفض للحرارة عندما
تستيقظ وتصنع حساء ساخنا لأجلها..

ظهرا..

فتحت جالا عيناها الناعستان باقتضاب..

كان المنبه الموضوع بجانبها مغلقا والساعة تشير إلى ما قبل الظهر..

وللعجب أنها ورغم حرارتها التي ارتفعت بالأمس إلا أنها استغرقت في نوم عميق لساعات لم تستيقظ منه إلا الآن..

تحسست حرارة جبينها بظاهر كفها لتجد نفسها أصبحت قد أصبحت أفضل..

تنهدت براحة وهي تنظر إلى الحجرة التي تنام بها..

السريير.. حاجياتها.. عالمها الجديد الذي لم تتكيف عليه بعد..

ثم عادت تستلقي على السريير..

ولأن كان هناك بعض الشعور بالدوران برأسها عاودت تعديل استلقائها وهي تحاول العودة للنوم حتى مع أخذها لكفائتها منه..

مر وقت عليها وهي مستمرة بالتقلب في فراشها وما حدث بالأمس بينها وبين مراد ما زال يشغل بالها..

سواء بصباح الأمس أو ليلته.. خاصة بليته..

فقد كانت ليلة الأمس بعد شجارها مع مراد طويلة وصعبة عليها واستنزفت فيها كل طاقتها قبل أن تنام وهي تعود بذاكرتها للماضي..

فلازمتها الكوابيس وساءت حالتها.. وحتى حرارة جسدها ارتفعت وكأن جسدها يعبر عن مشاكلها وصراعاتها الداخلية..

إطفاء زر الإنارة لتغزو الحجرة مظلمة.. تقاسيم شر وغضب تظهر عليه.. همس بفحيح مرعب.. مسك يدها وعصر ساعدها بين أصابعه بعنف.. قرب وجهه منها بطريقة تثير معدتها للغثيان.. تهديدات مستمرة ومتواصلة لتومئ صاغرة والذعر بداخلها يكاد يفترسها..

كل هذه الأحداث كانت من ضمن خيالاتها التي تذكرتها داخل عقلها وهي تشعر برجفة شديدة تحتاح جسدها بدون أن تستطيع حتى أن تصرخ..

بل إن هذه الخيالات زادت توحشا فور أن تخيلت ما كان مراد يريد منها عندما قبلها وهو يقترب منها بحميمية..

وقبل أن تهاجمها مجددا هذه الخيالات أخذت جالا نفسا عميقا وهي تحاول محيها من داخلها مؤقتها..

ثم أغضت عينيها بقوة وهي تحاول التحكم بنفسها وذعرها أكثر..

كيف سيستمر بها الحال مع مراد؟

بالأيام السابقة كان مراد يستيقظ من النوم باكرا جدا لتكون فرصة ملاقاتها له صباحا تكاد تكون منعدمة بما أنها لا تعد له حتى الفطور..

كما أنه يعود إلى البيت متأخرا فيقل ما تشعر به بتواجدها معه.. وكأنه يعرف بنفورها منه فيعطئها ما تريد من مساحة ويُعد..

لكن إلى متى سيبصر هو على هذا الوضع؟ وإلى متى ستتحمل هي هذا الضغط؟

فهي تشعر به أيضا بالصباح عندما يتحرك ويغادر الفراش..

وتشعر به عندما يقترب ناحيتها ويتأمل وجهها النائم قبل
خروجه من الحجرة..

على الأقل يجب أن تكون ممتنة له على إعطائها كل هذا الوقت
حتى تتعود عليه بدون أن يلمسها..

ولو أن تلك المدة كانت بلا نفع وبلا فائدة فلم يتغير شيئا.. لكن
الآن يجب أن تتمالك نفسها أكثر..

أمس كان تصرفه يناقض كلامه.. وكان قاسيا وعنيفا وهو
يدفعها أرضا بغضب مبالغ مع أنه وعدا مرارا أنه لن يقترب
منها دون موافقتها ولن ينزعج من رفضها..

لكن لن تنكر أنها شعرت به لمدة طويلة يضع كفه فوق رأسها
وهو يتلو عليها الرقية الشرعية وبعض من آيات القرآن الكريم
بصوته لتهبط السكينة على صدرها..

وبقي ملازما لها تماما قبل أن يتركها عند بدأ دوام عمله..
وتشك بأنه قد غفي له جفن..

هنا شعرت جالا فعلا بنفسها تكي بصمت.. خجلة من نفسها..
أنه ليس مخطئا.. هو مجرد رجل حديث الزوج مجتمع بزوجه
المحللة له بالدين والشرع في شقة واحد.. لكن المشكلة بزوجه
لا هو.. هي من لن تكون ردة فعلها متوقعة بالنسبة له.. هي
المدنبة وعليها أن تستفيق لنفسها.. تضع حدا لأنانيتها المفرطة
بينما يتعامل مراد معها بقمة تسامحه وصبره..

حتى مع غضبه المبالغ أحيانا.. وحتى ولو لم بصبر.. يبقى
محقا ومعه كل الحق.. فيعد أن تنازلت جلالتها لتشاركه نفس
الفراش.. لا تنام إلا على أبعد نقطة من طرف الفراش.. وأحيانا
تغطي جسدها بأكمله بالغطاء حتى قمة رأسها كأنها لا تستوعب
بعد فكرة أنها يجب أن تستلقي مع رجل على نفس فراش

السرير.. أو ربما حتى لا يتجرأ أن يطلب منها أي شيئاً أو يفكر بها كما لا تريد..

شعرت بغصة تملؤها.. يجب أن تتخلص من عقدها..

لأجلها هي.. حتى لا يشك مراد بها.. حتى تستطيع أن تحيا حياة زوجية بصورة طبيعية..

مر وقت على جالا وهي غارقة بدوامه تفكيرها وبعد عدم قدرتها على إغماض عينيها والعودة للنوم..

بدلت جهد جهيد لتنهض من مكانها وتدور بالشقة تشغل نفسها بأي شيء..

أخذت جولة بالمطبخ وهي تفكر بصنع الغذاء.. حاولت الاتصال على أمها ولكنها أجابت ببرود أنها بالعمل الآن وغير متفرغة للحديث معها قبل أن تغلق الهاتف بوجهها..

شعرت جالا بإحباط وحزن كبيرة يخيم عليها.. لكنها نهزت نفسها بغضب بعد ذلك وهي تهمس بصوت تخنقه العبرات

((أنتِ السبب بغضب أمك عليك فلا تدمري وتحملها حتى تهدأ وترضى عنك))

هي الآن تعيش أصعب مرحلة في حياتها وتلعن حماقاتها التي جعلتها تدخل زيجة فقد لأنها أرادت أن تتزوج بينما لا قلبها ولا عقلها جاهزان لخوض غمار هذه التجربة..

حتى أنها لم تُشفى من ماضيها.. وتشك بأنها قد تشفى منه..

قاطع أفكارها سماع رنين هاتفها الذي يعلو اسم شقيقته شاشته.. فردت جالا بفرح..

هي وهيام مختلفتان منذ زواجهما.. حتى أن هيام صارت مراعية وهادئة وحنونة معها..

تتصل عليها كل يوم بأوقات فراغها بعملها وتتفقد ما إذا كانت بحاجة لشيء.. كأنها تعوضها عن التباعد الذي كان بينهما سابقا..

كما أن جالا كانت بأمس الحاجة لحديثها مع شقيقتها لتمدها ببعض التماسك..

فحتى عيناها فقدتا بريق مشاكستهما وعناد ردودها بعد انفصالها عن كارم.. وفقدت أكثر منهما بعد زواجها من مراد..

استغرق الحديث بين الأختين لدقائق وهما تتحدثان بأحدث جانبية.. وأي مواضيع فارغة.. المهم أن يتوصلا مع بعضهما..

ومن بين الحديث طلبت جالا منها أن تعطيتها تعليمات وإرشادات لكيفية طهو وجبة ما لكن هيام ضحكت بخفوت هادئة

((تعليم الطهي لا يكون على الهاتف يا جالا.. يجب أن أكون فوق رأسك مباشرة حتى تتعلمي بشكل ممتاز.. وحتى لو لم أرى النتيجة النهائية.. ومهما أنكرت الأمر إلا أنني متأكدة أن طهوك بالأمس كان عبارة كارثة.. مراد تعيس الحظ حقا))

زفرت جالا بسأم وهي ترى أن شقيقتها محققة.. ولكن مراد يطالبها بوجبة غداء حقيقة وهي لا تريد أن تنزل عند حمايتها حتى لا تسمع ما لن يعجبها..

كما أنها لا تجرؤ على مناداة مديرة بيتها وفيه لتساعدتها بالطهي..

فغيرت جالا الموضوع وهي تسألها

((إذن كيف أُمي الآن؟ اتصلت عليها قبل قليل.. لكنها لم تبق معي على الخط وهي تتحجج بعملها))

ردت عليها هيام وهي تحاول ألا تقلقها

((ربما تكون فعلا مشغولة بالعمل الآن.. أنتظريها حتى تعود
للبيت على الأقل))

كانت جالا تود أن تقول لها أن المشكلة ليس بعملها بل أن أمها
أساسا لا تريد التحدث معها.. لكنها تنهدت ببؤس وهي تقول
مطالبة هيام بالصراحة

((إنها ما تزال غاضبة مني بعد زواجي.. أنا لست غيبية لأغفل
عن طريقة حديثها معي.. أو حتى تجاهلها لي.. هي حتى لم
تزرني ولا مرة ببيتي))

ردت عليها هيام وهي تحاول تخفيف جراحة لومها

((لا تلوميه.. هي لا تحب والدة مراد ومن المستحيل أن تزور
بيتها.. إذا كان من حقك أن تتزوجي ممن تشائين حتى ولو
كانت أمك غير موافقة فهي من حقها ألا تدخل بيتا لا تحب
صاحبته))

عندما استمر الصمت بينهما ودت هيام كثيرا لو تذهب عندها
وتعانقها لتخفف عنها وهي تشعر بالحزن الذي يخيم على جالا
من صوتها وأنفاسها الهادرة.. فأردفت بهدوء

((لقد كان زواجك مفاجئا جالا كما تعلمين.. لكن لا يهم فكل هذا
من الماضي.. المهم الآن كيف مراد معك؟))

ابتلعت جالا ريقها وهي تفكر بوضعها مراد.. فقالت بارتباك

((الحمد لله هو جيد.. لكن أمه مزعجة.. لكن لا بأس فأنا
متزوجة منه هو لا أمه.. كما أني لا أراها أبداً ولا أزورها لذا
الوضع جيد تقريبا))

ابتسمت هيام بخفة وهي تعدل من وضعية جلوسها وتفكر
بالصراع الذي ينتظر عائلة محمد الدال مع زوجته السليطة وجالا
العنيدة.. لتقول بخفوت

((لهذا أمي لم تكن تريدك أن تتزوجي من أبناها.. لكن كما قلنا
قبلا.. ما حدث قد حدث ولا يمكننا تغيير الوضع))

هزت جالا رأسها بلا حيلة.. فهي لا تنكر أنها تصرفت من دون
تفكير وتأتي بالموافقة على زواجها بهذه السرعة..

هل تشعر بالندم؟ لا تعلم..

مرت لحظات وبدا وكأن هناك شيئا خطرا على بال جالا
لتسارع سؤال هيام بلهفة وحذر

((دعيك مني.. الآن أخبريني ما أخبارك أنت؟ هل صدقت احمد
وأمرتيه بوضوح أن يبتعد عنك؟))

بدا سؤال جالا كأنه جاء بغتة على هيام فشعرت هيام بندم
طفيف لإخبار جالا بموضوع احمد..

مع أنها كانت بأمر الحاجة لاحد يعلم قصتها مع احمد لتتحدث
معه بالموضوع وتراجع خيارها وتحسم أمرها..

فأجابت هيام باختصار وهي تحاول التهرب من الموضوع
عقب أن تنحنت بارتباك

((نعم فعلت.. لا تقلقي))

وبفس الوقت ابتسمت هيام ابتسامة شجن زينت محياها وهي
تتظر لياقة الورد الموضوعه أمامها والتي احضرها احمد
لمكتبها صباحا..

مع أن عيادته بعيدة كلياً عن جامعتها.. إلا أنه لا يتردد صباحاً بالقيام لمكتبها وإحضار الهدايا وخاصة باقات الورد لعلمه بعشقها لها..

هذه الورد الخلاب التي يحضرها لها هي ما تفرح قلبها الذي يذوق معاناة وعذاب الفراق عن أحب ببساطة..

الحقيقة أن أحمد حتى لو أحضر لها وردة ذابلة ستكون عندها أفضل من باقات الورد التي تأتيها من غيره..

حتى من كل أفخم باقات الورد التي جاءت تهنئتنا باجتيازها الدرجات العلمية الفخرية وعند وظيفتها..

كانت بهذا اللحظات جالاً شاردة بحال هيام وقد نسيت نفسها.. ه

ي الآن تشعر كأنها هي الأخت الأكبر لهيام وتشعر بالقلق عليها وفي نفس الوقت ترغب بقتلها لأنها فتحت مجال لأحمد بالتواصل معها من الأساس..

لم تتغير مشاعر جالاً من الغضب والخوف والقلق على أختها لتضيف بقسوة ممزوجة بجدية

((إياك يا هيام التفكير بأحمد.. تزوجي من سعد.. على حد علمي فإنه ما زال ينتظر موافقتك ولم ييأس حتى الآن.. أنا لا أقصد التدخل أبداً بقرارك.. أنا لا أحاول أن أتعامل معك كما كنت تتعاملين معي وتتدخلين بقراراتي بشكلٍ مُبالغ فيه.. أنا فقط أنصحك دون الضغط أو التأثير على قرارك.. لا أحاول انتقادك يا هيام.. لكن إياك أن تبقي عاطفية جداً لهذا الحد))

ابتسمت هيام ابتسامة شاردة وهي تستمع لجالاً لتقول بصوت أجش

((هل تعلمين شيئاً يا جالاً؟ ربما السبب الذي جعلني أرفض الزواج من بعد أحمد.. هو أنني ببساطة لم أقابل من يخرجني من إضرابي عن الزواج هذا.. ربما لو دخل حياتي شخص مثل

مراد.. لنسيت فوراً احمد ولكنك أما لطفين ربما.. فمراد شاب ممتاز ولا يختلف عن كارم.. لكن سعد بالنسبة لي فهو شخص غير مناسب.. أنا لم أجد شخصاً أستطيع أن احبه مثل احمد أو شخصاً أستطيع تخيل نفسي معه زوجة لأخر عمري.. أنت محظوظة بوجود شخص مثل مراد بحياتك.. أنا لا أغار منك.. لا تفهميني يا جالا بشكل صحيح))

قالت آخر جملة بمزاح وهي تضحك بخفوت.. لكن جالا قلبت عينها سئماً لتقول متهكمة بسخرية

((ارحميني أرجوك يا هيام.. تتحدثين عن مراد وكأنه يحبني فعلاً ولم يكف عن مطالبتني بالارتباط به والتوسل إليّ حيناً والبقاء تحت قدمي أحياناً أخرى.. أساساً أنت تعرفين كيف كان زواجنا.. كان يريد أن يتزوج أي فتاة من الشارع حتى لا يتعرض للإحراج بعدما هربت خطيبته ليلة زفافهم.. نظراته لي أثناء الزفاف لا تعني أنه يحبني.. أغلب الظن أنه كان يصطنعها حتى تصل الأخبار لخطيبته الهاربة أنه سعيد مع التي أختارها زوجة له ولا يأبه لتركه إياه لتندم على ضياعها منه))

استدارت هيام نصف استدارة للخلف وهي تنظر للساعة الجدارية وترفع إحدى حاجبيها ساخرة من حديث جالا ونظرتها واستنتاجها للأمور.. لتقول مودعة

((حسناً يا جالا.. إلى اللقاء.. لدي محاضرة بعد قليل.. إذا رغيتي بالتحدث معي لا تترددي بإرسال رسالة لي على الهاتف وسأتصل بك حالما أجد وقتاً.. كوني بخير))

ودعت جالا شقيقها قبل أن تغلق الهاتف متتهدة..

لم تمضي ثوان حتى شتمت نفسها لأن الحديث أخذها قبل أن تسألها كيف تعد وجبة الغذاء التي نوت صنعها اليوم..

مسكت الهاتف مرة أخرى وهي تفكر بالاتصال على والدتها
فربما يرق قلبها وتعود للتحدث معها كالسابق وتنسى غضبها
وعتابها..

لكنها وبعد تفكير سريع قررت ألا تفعل..

.

.

عند حلول الليل..

سمعت جالا التي كانت مستلقية على سريرها تشاهد التلفاز
بجيرة النوم صوت إغلاق الشقة لتدرك عودة مراد من عمله..

ازدردت ريقها وهي تشعر بالخوف يدب فيها ليطير كل
التماسك والكلام الذي كانت تهم بفعله عندما يصل أدراج
الرياح..

لقد كانت حتى تخطط أن تكون هي البادئة معه حتى ينسى أي
غضب بداخله تجاهها..

رباه.. ليست أول مرة تختلي به وليست أول مرة يغضب منها
هكذا ويصرخ بها ويدفعها..

هما متزوجان منذ أيام.. لكنها لا تستطيع التحكم بنفسها بكل
مرة..

لحظات مرت عليها وهي تترقب بصمت دخوله الحجره
وسرعان ما أغلقت التلفاز وهي تستوي معتدلة بارتباك من
مكانها بمجرد دخول مراد عليها..

كان يحدق بها بابتسامة ودفء بعدما ألقى عليها السلام.. ثم خلع معطفه فوق هندامه الملتمزم والمعتاد..

بدا هادئا جدا وهو يفك أزرار قميصه وينظر لها بين كل حين..
آخر ما توقعته منه أن يتحلى بهذا الهدوء عند عودته..

خاصة بعد أن تحسنت حالتها ولم تعد تستوجب منه أي
مراعاة..

ما إن رآته يهم بخلع قميصه حتى أحنث رأسها خجلا تتجنب
النظر إليه وقد احمرت وجنتاها لرؤيته هكذا..

كان مرتاحا بشكل رهيب وهو يتجول في الحجرة عاري
الصدر يخرج ملابسه البيتيّة من دولابه..

الحقيقة أن مراد كان داخليا منتشي بخرجها هذا بل ويعجبه
ويستمتع به لأقصى حد.. ولم يكن مستعدا أبدا لإزالة هذا
الحرج عنها..

ازدرت جالا ريقها وهي تقف من على سريرها وتنسحب من
الحجرة ما إن هم ليخلع باقي ملابسه..

و بمجرد خروجها من الحجرة وابتعادها عنه أخذت نفسا عميقا..
و كأنها كانت تكتم أنفاسها في حضرته..

أخذ مراد حماما دافئا وارتنى الملابس التي أخرجها بعد ذلك
وبيما كانت هي بالمطبخ تسخن الغذاء الذي أعدته كان هو
يجفف شعره المبلل عندما دخلت جالا الحجرة..

لاحظ مراد ارتباكها وشرودها بشيء آخر فهمس يسألها وهو
ينظر نحوها باهتمام

((كيف حالك الآن؟ هل ذهب كل حرارة الأمس من عليك؟))

رفعت جالا وجهها تنطلع إلى وجهه بخفر وهي تتوقع عيوسه
وغضبه عند ذكره موضوع الأمس.. لكنها تفاجأت بلامحه
البشوشة..

ليزيد على ذلك رسم ابتسامته الدافئة المألوفة على محياه بمجرد
أن أجابته بصوت خافت وبه بعضا من البحة

((نعم أنا بخير.. لقد تأخرت كثيرا بالعودة الليلة يا مراد
وتوقعت أنك لن تعود للبيت))

أجابها برفق وجزء من غرة شعره الذي فقد ترتيبه ينزل على
جبهته

((أنا أعود للبيت بهذه الأوقات وربما أبكر أو أتأخر على
عودتي ساعتين أو ثلاثة على حسب متطلبات عملي المتغيرة..
وعلى حسب كمية الطلبات))

الحقيقة أن والده حثه على الاهتمام بزوجته أكثر والعودة أبكر
إلى شقته.. فهما ما زالا عريسين..

ولأنه لم يستطع أن يوضح الوضع الحالي الذي يعيشه مع
جالا.. حاول أن يتحجج بضغط العمل وأن جالا متفهمة لعمله
ومتفقة تماما معه..

عاد مراد ينظر لها فيالرغم من أنها تبدو بخير اليوم إلا أن
وجهها شاحب قليلا وهناك آثار تعب عليها من حمة الأمس..

اقترب منها وهو يمد كفه ليحتضن وجهها برفق يقيس حرارته
فارتعبت جالا قليلا وذكريات بالأفق تلوح أمامها..

كانت تريد دفعه بدون أن تتحكم بنفسها لكنها تماسكت فهو يقيس
حرارتها فقط.. فلا داعي للمبالغة..

كما أن ذعرها وخوفها من لمسائه إذا استمر سيجعله يتأكد من
فكرة أنها تنفر منه بشكل كلي.. وسيخلص منها فورا..

فما حاجته لأمره تنفر منه بحياته لا وتطبيقه؟

ابعد مراد كفه عنها متوجسا وهو يلاحظ أنها ليست في كامل تركيزها معه ليقول

((الحمد لله.. أنت الآن أفضل.. لكن إياك أن تلبسي أو تنامي بملابس رقيقة.. فالشقة هذه بطبيعتها كلها باردة إلا من الغرف التي يتم تشغيل المدفئة فيها لبعض الوقت.. هل تناولت طعامك جيدا اليوم؟))

هزت رأسها له.. مع أن الحقيقة أنها لم تستطع تناول طعامها اليوم جيدا..

بل ومنذ أن تزوجته وشهيتها بتضرر متزايد.. ستخفي عن قريب..

استلقت جالا بهذه الأثناء على سريرها ولقد أراحها أنه وصل للبيت مبتسما وبقمة هدوئه..

الحقيقة أنه مراد شاب غامض بالنسبة لها.. لا تظن بانها تعرفه أبدا..

ولا يمكنها أن تخمن دواخله التي يخفيها ببراعة.. لا تعرف منه إلا جانبه العملي..

لكن انقبض قلبها فجاءة لهذه الأفكار التي تراودها عندما سمعت صوته وهو يقتحم الحجرة بينما يمسك عدة أكياس

((ها أنا قادم مع عشاء لذيذ.. تعالي وشاركيني طعامي))

بحث مراد عن طاولة صغيرة بالحجرة بينما يتأمل ملامح وجهها المعترضة على ما لقبها إياه ليضحك بخشونة..

وبينما جالا كانت مندهشة وهي تراه يضع طاولة فوق ساقبها
المدثرتين تحت الغطاء.. فتح مراد الأكياس ليخرج منها الكباب
ليضعه فوق الطاولة..

ثم جلس على السرير قبالتها وتوسطهما الطاولة الصغيرة..
امتدت يده لتتناول إصبعاً من الكباب المشوي ليضعه على
رغيب خبز ويقمحه بفمها عنوة..

قالت بصعوبة وحنق بينما تمضغ الكباب داخل فمها

((لقد تعبت اليوم وأنا اعد الغذاء لك.. لم أحضرت طعاماً من
الخارج؟))

تنهد وهو يقول بملامح عبارة عن مزيج من الجدية والسخرية
((أظن أنه من الأفضل لك أن تتناول طعاماً صالح للأكل حتى
تتمتلي للشفاء بشكل أسرع))

بدا الاقتناع على جالا وهي تمضغ ما بفمها بصعوبة فاعتذلت
بجلستها بشكل مريح أكثر وهي تنظر للكباب الساخن أمامها
والخضار المطهوه ببراعة لتعرف أنها جائعة جداً..

فهي لم تدخل على معدتها منذ الصباح إلا الحساء الذي صنعه
مدبرة المنزل وفيه..

وحتى طعامها الغير صالح للأكل كما قال عنه مراد لم تذقه..

فتناولت إصبع كباب آخر لتضعه برغيف الخبز وتأكله بنهم
وتغمض عينيها وهي تتلذذ بكل لقمة تأكلها..

استند مراد بذقنه على قبضته المضمومة وهو يطبل النظر في
كل تفاصيلها ليبترسم من طريقة أكلها..

لم يسبق لها منذ يوم الفندق وأن رآها تأكل بهذه الشراهة
المحبة له..

خاصة وأنه قطع على نفسه وعدا أنه سيجعلها ممثلة بأقصر وقتا ممكن..

أو على الأقل سيملاً بعض الأماكن المرغوبة فيها الامتلاء..

فمال عليها هامسا حتى لامست أنفاسه عنقها

((كلي جيدا حتى تمتلئ خدودك المحمرة))

احمرت وجنتي جالا أكثر ليهبط صدرها مع كل نفس بقوة..

راقبته بعينين مترددتين بعد هذا التقارب وهو يملأ لها رغيفا بالكباب والسلطة.. ليأمرها بحنان مجددا

((هيا.. كُلي))

عندما انتبهت على تحديقها به انتشر اللون الأحمر على وجهها..

فتحننت بحرج وهي تسأله بحيرة بينما تأخذ كأس ماء من أمامها بأناملها شديدة الارتجاف

((وأنت ألن تأكل؟))

ابتسم بحنان وهو يراها تشرب ببطء شديد تأخذ كامل وقتها فيه..

فنظر في عمق عينيها اللتان تحدقان به وهي تشرب ليهز رأسه نافيا بهدوء بينما يبعد الطاوله التي تتوسطهما ليضعها على الأرض هادرا

((شبعتم بمجرد رؤيتك تأكلين))

ثم أقترب برأسه منها هامساً بثقل ونظرات براقه

((أنا جائع لشيء آخر))

وقبل أن تتراجع جالا كان يحيط أناملها بكفيه وهو يمسحهم
برفق بالمناديل المبللة التي كانت على الطاولة وهو لا يزال
ينظر بعينيهما بعمق..

بينما هي متجمدة مكانها تنظر له بذهول وتدقق النظر بملامح
وجهه..

ما إن انتهى من مسح كفيها حتى قربهما من ثغره يقبلهما
بنعومة..

لتدرك بأنه يحاول أن يعيد ما حدث بالأمس معهما.. وترى
بوضوح الرغبة بعينيه..

رغبة تجلب لها التوتر خوفا من اقتراب حتمي بينهما..

لكن وكما قررت.. لن تفرع.. مهما فعل بها فعليها أن تتقبل
وتتحامل على نفسها وتحاول بكل طاقتها أن تخدم قليلا من
توترها..

فهو زوجها.. عليها أن تعتاد لمساته.. هي لا تريد الطلاق.. لا
تريد الفضيحة..

خفضت جالا عيناها ليبتلع مراد ريقه بصعوبة وهو يدرك
توترها..

لتزحف يدها في غفلة منها لخصرها النحيف يحيطه بقبضتيه
بقوة وهو يقربها منها ويثبتها..

بينما هي خاضعة له تماما وتبتلع من رجفة جوفها بالرغم من
جزعها الشديد ونفورها الذي لم تستطع إخفائه كليا منه..

لكن مراد أمر نفسه بالصبر وتجاهل ما يزعجه حتى لا يخطئ
بردة فعله المتطرفة كالأمس..

لكن ملامسته لها الآن كافية لتثير مشاعره بشكل لا يطاق..

فيخفي تأوه من تأثره الرجولي بشق الأنفس.. وهو يهمس لها

((جالا أنا أريدك.. لا تخافي مني.. ثقي بي.. لن أؤذيك أبداً))

تنفست جالا بصعوبة.. وعند كلماته ذعرت كما لم تذعر
بقربه..

أنه يصرح رغبتها فيها بشكل مباشر..

مهما حاولت التماسك وإقناع نفسها بالتعامل.. ولكن عندما
تكون واقعة بالموقف تخنفي كل الشجاعة منها..

مدت ذراعيها رغما عنها لتمنع اقترابه أكثر وهي ترتجف
وتتخبط للإفلات منه..

حاولت النهوض ولكنه لم يسمح لها وهو يقترب أكثر..

نبرته أصبحت بح أكثر خشونة بينما يرفع وجهه ليتطلع إليها
بنظرة مشاعر تفيض بالحاجة والرغبة

((أرجوك مليكتي.. أنا أريدك بجنون.. أريد أن أتم زواجنا
الآن))

نعم مليكته.. فقد بدت كليلة زفافهما.. مليكة متوجة.. مليكته
هو..

يرديها أن تترك نفسها له.. لأن ما تخشى حصوله سيحصل..

لذا لم لا تسلم نفسها له رغبة؟

لن يؤذيها.. لن يخيفها.. فقط يريد أن يمتلكها.. وأن تستلم له
بعطش عاطفي متطلب..

اكتست قبضته خشونة أكثر وهو يقسو بمسكها.. لترتعب خاصة
وهي ترى عيناه تلتمعان بالرغبة والشغف..

ورغما عنها تذكر لمسات آخر له نفس النظرات فتبعث فيها
الاشمنزاز..

وقبل أن تستوعب قرّب فمه ليمتلك شفاهها غير آبه للجزع
الظاهر عليها ومشاعره ورغبته تجاهها تطغى على كل تفكير
عقلاني يحمله..

فصرخت بعذاب تعيشه وهي كارهة لكل هذا القرب بينهما بل
وشعرت برائحته تخنقها واجتياح لمساته اللحوحة تذكرها
بآخر..

انتفضت وهي تتحرر من أسر شفثيه وتضربه بذراعها بطريقة
هيسنبرية وقد تملكها الذعر وفقدت السيطرة والتحكم على نفسها
لتبعده عنها بكل قوتها.. وتهتف فيه بازدرء

((يكفي يا مراد.. حررني وابتعد عني))

لحظات من ابتعادها عنه حتى عاد لجالا رشدها وهي تنتبه له
وتتظر له بعينيها المشوشة بعض الشيء بسبب دموعها لذهوله
بينما ينظر لها بغير تصديق بعينين متسعيتين..

نفس نظراته بالأمس حينما دفعته عنه ليجن غاضبا عليها.. بل
الآن ترى بعينه نظرات حذرة أكثر وحزن وألم يسكنها من
رفضها له مجددا..

فتحت جالا عيناها على اتساعهما وهي تكتم أنفاسها عندما
وجدته يتحاشى النظر إلى وجهها لتدرك أنه مصدوم منها
بشدة.. أكثر من الأمس.. لقد خذلته وخيبت ظنه..

شهقت بألم وهي تنفجر ببيكاء مرير..

وضعت كفها على فهما وهي تغمض عينيها لتخفف من انزلاق
فيضانات دموعها فتشعر بلسعة حارقة من خلفها..

حدث ما خشيت منه وتسببت بإغضابه مثل الأمس.. لكن سرعان ما حاولت بلهفة أن تدافع عن نفسها وتتوسل منه بصوت يحمل الأنين وسط دموعها الغزيرة

((أنا أسفه يا مراد.. لا تغضب.. أنا لا زلت خائفة.. لا تظن أنني أنفر منك.. أنا لست كذلك.. أنا لا أنفر منك.. أرجوك سامحني ولا تغضب))

بينما مراد بدأ يتنفس بسرعة يكاد يلهث بدون أن يستطيع السيطرة..

وعينا تتسعان أكثر بذهول وهو لا يصدق كيف تنتفض أمامه ببشرة شاحبة خوفا من غضبه..

وكلماتها المتوسلة تخترقه كسهم قاتل..

وعندما لم تعد تشعر بأطرافها غامت الدنيا أمام عينيها وبدأ وعيها في الانحصار حتى ظنت أنها ستفقد لولا مراد الذي وجد نفسه بدون إرادة منه وفورا يضمها إلى صدره بقوة..

رغما شهقاتها إلا أنها استطاعت أن تهمس له بلوعة وهي تغمض عينيها بأحضانة

((أسفه يا مراد.. لم أقصد أن اصرخ عليك وأدفعك بعيدا عني.. ولم أقصد بالأمس ما فعلته.. أنا فقد لست مستعدة أبدا))

أنينها المذعور واليائس وهي ترتجف بين ذراعيه كان يؤدي قلبه.. فضمها أكثر وهو حيط بقبضتيه كفيها الاثنان المشتبكتان..

كانتا كفاها باردتان كالتلج.. فحملها بين يديه ليجلس مكانها ويضعها فوق أحضانة..

بينما هي ولأول مرة كانت مستكينة له لا ترفض اقترابه على عكس اللحظات السابقة..

ربما لأنها أمنت أنه لن يفعل شيئا لها بعد ردة فعلها..

دثرها جيدا وهو يهتف بها بتوتر وقد بدا أنه تخطى الصدمة قليلا

((لا تعذري يا جالا.. أنا المخطئ.. أتعجل كل مرة.. لا بأس يا مليكتي))

بينما هي بقيت تهذي بكلمات لا يدرك ما تعني إلا أنها كانت متوسلة وراجية منها له..

شتم نفسه بحق.. هل آذاها حتى قبل أن يبدأ وبدون أن ينتبه؟ هل كانت بحاجة لوقت أكثر لتتألف عليه..

هاجم الألم جسده والذنب لا يغتفر في قلبه.. هما لم يتحدثا إلا مكالمة هاتفية واحدة قبل الزفاف..

ولم يتقابلا قبلا لتعتاد على وجوده والقرب منه..

لذا هل ما يحدث من تصرفات منها تجاهه هو طبيعي ولكنه هو النذل والمتسرع بكل مرة ولا يفكر إلا برغباته؟

لم يطلب أحدا منه أنه يكون زاهدا ويحرم نفسه منها.. لكن كان عليه التمهّل حتى تعتاد عليه فأمامهما العمر كاملا ليفعلا ما يشاءان بعد ذلك..

لم استعجل هو؟

المشكلة أنه كلما يقرر بإصرار ألا يقترب منها ولا يطالب بحقه فيها حتى تظهر استعدادها يرمي كل ما قرره بعرض الحائط ويفعل العكس غير مسيطرا على نفسه..

هو لا يريد فعلا أن يضغط عليها أو يجبرها على شيئا.. لكنه بنفس الوقت لا يريد أن يوفّر أي جهد للوصول..

وكلما أعطاهما مساحة ووقت يراها تبتعد أكثر.. من يلومه وهي مليكته وحلم تحقق منذ الطفولة وهو لم يجرؤ حتى على تمنيتها له؟

قبل مراد طرف أذنها بينما بدت هي بعالم آخر ولا تشعر به..
ليهمس بصوت متهدج و غصة مريرة تحتكم صوته

((أنا اسف يا جالا.. حبيبتني لقد كنت أناني ومتسرع.. كان عليّ أن أقدر خجلك وتوترك كعروس أكثر ولا أفكر بأنانية وبنفسي فقط..))

أقرب منها أكثر وهو يمد كفه لوجهها ليمسح دمعها ويربت على وجنتيها بأسف..

ليردف بعد لحظات من بين أنفاسه المفتعلة المثارة بفعل عواطفه الجارفة بعشقه لها وهو يطمئننها بصوت هامس أجش

((أرجوكِ جالا توقفي عن البكاء.. أنتِ من عليكِ مسامحتي))

بقي يهمس لها بكلمات كثيرة حتى تهدأ وتسترخي بأحضانها..

لتستكين قليلا وهي مغيبة بعالم آخر.. ثم مد ذراعيه متسللين تحت جسدها..

احدى ذراعيه أسفل ساقيهما والأخرى تحت عنقها..

حملها بين ذراعيه برقة شديدة بجانب السرير لتتعم براحة أكثر على جانبها الأيمن..

ثم توجه ليفتح دولا ب ملابسه ويخرج كنزة صوفية له ويلبسها إياها فورا فوق ملابسها الثقيلة..

لم يسبق له وأن تجرأ حتى على فتح دولا ب ملابسها ورؤية محتواها بالرغم من أن الكثير من الملابس والمنامات الحرارية التي اشتروها سويا على ذوق احدى الموظفات موجودة فيه..

عاد يرفع جسدها ويعيده لأحضانه وكأنه مكانها الأصلي حيث
تنتهي..

يضمها إليه بقوة وهو يزرعها بين ضلوعه ثم يضع الغطاء
الثقيل فوقهما..

بينما هي كانت كما هي.. مغيبة بعالم آخر بعقلها.. تتشاهق
بالدموع.. وكفيها تسمك بأطراف ملابسه بقوة.. همساتها غير
مفهومة..

وأغلب الظن أنها لم تكن واعية بقربه وهي تنتفض بخفوت
بأحضانه وإلا لم سمحت أن تجلس بأحضانه بهذا القرب
الحميمي الشديد..

كانت تنتفض قليلا بأحضانه كل حين وشهقات عديدة تخرج من
فمها كل دقيقة تدل على نحيبها الذي كان يلازمها لدقائق
طويلة..

تخلت أنامله بين خصلات شعرها الرقيق ليهمس بأسى بينما
يتدفق الحنان من قلبه والشفقة عليها تغمر جسده

((أعطيك هذه المرة كلمتي.. لن اقترب منك أو أتعجل أي شيء
منك قبل أن تكوني موافقة تماما.. لكن اسمح لي يا مليكة ببعض
الوصال.. لا تعامليني كغريب.. أنا زوجك))

لحظات وبكاءها اختفى لتبقى شهقاتها المولمة التي تخز قلبه
ليدفن رأسها في صدره فيشتعل من حرارة أنفاسها التي تضرب
بشرته..

حتى غفى هو الآخر على وضعهما هذا براحة..

مر وقت عليهما لينهض مراد فجاءة من نومه الخفيف على
حركتها وهي تنتشله بتأوه رقيق خرج منها وهي ما تزال
بأحضانه..

بدا نومها هي الأخرى خفيفا ولا تنام بعمق.. فابتسم وهو يتأملها
وكانه لا يصدق أنها فعلا تنام بأحضانة..

رفع كفه ليبعد بأنامله خصلاتها البنية الشقية عن وجهه.
ويحتضن جانب وجهها برقة وهدوء ليمد بشرتها الباردة من
حرارة قبضته الدافئة وهو يهمس بحبها بخفوت..

أثار الدمع المتساقط على وجهها كان لا زال موجودا إلا أنها
بدت مرتاحة أثناء نومها وبسمة طفيفة ترسم على وجهها..
وكانها تحلم أحلاما سعيدة أخيرا بعد كوابيسها التي عانت منها..

كان مراد يريد أن يعود للنوم وذراعيه تلتفتان حولها قبل أن
يسمع أسما لرجل آخر يعرفه جيدا يخرج منها بلوعة أثناء
نومه..

لنتركه يتخبط بصدمة شديد فاقت كل الحدود وهو يبعتها عنه..

كان يتطلع لها بخطورة وأنفاسه تزداد قوة ووجهه يُظلم وقد
انقلب حاله مئة وثمانين درجة عما كان عليه قبل ثواني..

فما لبث إلا أن أخرج ملابس عمله من دولابه..

وعند حلول الفجر كان يخرج بسيارته بعيدا عن شقته بل وبعيدا
عن العمارة التي يقطن فيها..

فهو لن يتحمل البقاء بقربها بدون أن يفقد سيطرته على نفسه
ويقتلها..

=====
=====

بعد مرور عشرين يوم..

شعرت سارا بملل شديد في ظهيرة اليوم بعد ساعات من دوراتها بالأسواق التجارية مع صديقتها ديمة التي تكبرها عمرا وتشاركها نفس المكتب بشركة والدها..

وكان الأمر لم يكن متعبا كفاية لتجرها ديمة لمحل آخر بعد لتشتري هدية سخيفة لخطيبها..

تنهدت سارا بضجر وهي تنتظر لساعة يدها ثم خطت للأمام قليلا لتدخل للمطعم وتجلس على طاولة منعزلة ملاصقة ل احد الشبابيك بعد أن لم تستطع الجلوس بالخروج كما اعتادت لبرودة الجو..

وضعت مرفقيها على الطاولة التي أمامها بينما تدفن وجهها بين يديها بتعب..

لحظات وجلست ديمة مقابلها ووضعت أكياس المشتريات الخاصة بها على مقعد ثالث موضوع حول الطاولة بجانبهم.. لترفع سارا رأسها سائلة

((إن.. ماذا ستفعلين بنهاية الأسبوع القادم يا ديمة؟))

نظرت ديمة لها بحدة وهي تقرب رأسها للأمام هاتفه بفضول وبصوت رائق مبحوح

((سارا لا تغيري الموضوع الذي صدمتني به قبل قليل.. أنا لا أزال اصدق أنك تزوجته.. والديك سيجنأ لو عرفا بالأمر))

هزت سارا كتفها وهي تجيب ببساطة بينما تشير بكفها للنادل ليحضر سريعا ويتحرى طلبهما

((الحقيقة أن أخي أخبر أمي بالأمر بالفعل وهي تعلم الآن.. لكن أبي الوحيد الذي لا خبر له بالأمر.. ولا أريده أن يعلم شيئا لأنه سيسبب لي ولرأجي بعض المتاعب))

خرج صغير خافت من ديمة وهي تقول بتسلية

((إذن ماذا ستفعلين؟ فبالنهاية سيعلم والدك بزواجك.. لا شيء يبقى مخفيا للأبد))

غمغمت سارا طلبها للنادل لتقول ديمة طلبها هي الأخرى.. ثم أجابتها سارا

((ولم سأخفي الأمر للأبد عن والدي؟ بمجرد أن أمل من زواجي سأطلب الطلاق.. أنا فقط ما يزعجني أنني تعجلت نوعا ما بمسألة الزواج الرسمي.. ربما لو كان كل ما بيني وبين راجي ورقة عرفية لكان الأمر أسهل علي))

ضحكت ديمة بخفوت على كلام سارا.. لكن سارا عادت تهز كتفيها ببساطة..

هي تعرف نفسها جيدا أنها تحب الحرية والانطلاق لذلك لن تستطيع أن تبقى متزوجة لوقت طويل خاصة وأنها متزوجة من شخص مثل راجي..

نهايتهما ستكون حتما انفصال سريع حتى لو مرت سنوات على زواجهما وبعدها ستعود لحياة الحرية فهي لن تتحمل مسؤولياتها كزوجة أو أم والتي قد يطالبها منها..

ربما مستقبلا وبعد سنين طويلة سيختلف تفكيرها.. لكن حتما ليس الآن..

لحظات وكانا فنجانتي القهوة مقدما أمامهما حتى يتم إحضار وجبة الطعام لهما.. وعقب أن ارتشفت ديمة من فنجان قهوتها هدرت

((إذن أنت لا تنوين أن تتزوجي من شخص عربي بعد راجي ما دمتي لا تهتمين بعذريتك إلى هذا الحد.. أو ربما لا تفكرين بالزواج من أساسه.. إذن فأنا أرى مثلما قلت.. لقد تسرعت بزواجك منه وتنبئته رسميا بالمحكمة.. فماذا لو رفض أن يطلقك عندما تطلبين؟))

كانت أفكار سارا مشتتة وحائقة من عدة أشياء لكنها قالت بينما تقرب فجانها من فاها

((لولا أنني تأكدت من أنه لن يسمح لنفسه بالاقتراب مني أكثر دون رباط بيننا وإلا لما تزوجته.. ولا أظنه سيرفض لو طلبت من الطلاق.. فهو من النوع الذي لن يتمسك بشخص لا يريد.. عنده كبرياء وأحب هذا فيه))

قالت سارا آخر جملة وعينيها تلتمعان.. ليصلها سؤال ديمة المستفسر

((تحبين هذا فيه؟ إذن.. هل تعرفين أساسا شيء عنه عدا ذلك؟ فلا زلت إلى الآن لا استوعب فكرة زواجك من شخص تجهلين عنه الكثير؟ وكيف قبل أخاك الذي زوجك منه ببساطة ذلك))

قلبت سارا عينيها بسأم.. ما بالهم وبال أخيها..

فليجراً فادي حتى أن يتدخل بها لتسقطه قتيلاً..

أساسا لو كانت بالخارج لما أخبرته هو بزواجها حتى.. لكنها ردت بهدوء على ديمة

((الحقيقة أنه كان فضوليا وسأل عن راجي قليلاً.. سأل عن من يكون هو وعائلته وماذا يعمل والديه وأين يعيش.. أتضح أنه من عائلة غنية نوعاً ما.. نعم ربما ليس بمستواناً.. كما أنه يعيش ببيئة مختلفة عنا.. ولكنه غني))

هزت ديمة رأسها وهي تقول

((حسنًا هذا جيد.. وأفضل من كونه فقيراً حتى لا يكون طامعاً بمال والدك.. لكن لا تقولي لي أنك حزنتي لمعرفة ذلك وأن اللعبة والمغامرات التي نويتي الدخول بها لم تعد تعجبك بعد ذلك))

هزت سارا رأسها نافية

((لا يا ديمة الأمر ليس هكذا.. من ملابسه وسيارته أستطيع معرفة أنه من عائلة غنية.. لكن ما أعجبني به امر مختلف.. أنه ثقيل جدا ويُظهر اللامبالاة أمامي مع أنني متأكد أنه من الداخل معجب بي ومفتون تماما بشكلي.. اللعب يصبح ممتع مع شخص مثله.. شخص لا يقع بسهولة))

كانت ديمة تبتسم وهي تسمع بحماس منها لتقول لها بلهفة

((وكيف أقنعته أن يتزوجك.. أخبريني بالتفاصيل بدون أي اختصار.. أنا متحمسة لمعرفة تفاصيل لعبتك التي تلعبها..))

عادت سارا ترتشف من قهوتها وهي تقول بهدوء

((لا شيء فقط أريد أن أحظى بوقت سعيد.. سأخبرك فيما بعد يا ديمة.. الآن لا مزاج لي.. أصبحت فتاة مشغولة فكما تعلمين أن حياتي بعد الزواج بعيدة كليا عن الفراغ والملل))

مر عليهما دقائق.. وبينما كانت ديمة تفرغ بعض الأكياس وهي تعرض ما اشترته لخطيبها لسارا ريثما تحضر وجبة الطعام.. لفت نظر سارا مشغول يدوي من الخشب تمسكه ديمة بقبضتها..

فابتسمت سارا وهي تأخذه من ديمة وتقلبه بين يديها وهي تتفقد تفاصيله..

فراجي مولع بالمنحوتات الخشبية واليدوية لأن والدته تحب صنعها وقد صنعت بصباها الكثير منها بالرغم من أنه لم يجرب احترافها مثلها..

وبينما تسألها عن رأيها بالمشغول الخشبي.. وضعت سارا المشغول بحقيبتها تحت أنظار ديمة الحانقة لتهتف بها

((إنها لخطيبي.. لم سرقتيها مني؟))

إلا أن سارا لم تهتم بهتافها وهي تغلق حقيبتها جيدا لتقول
بلامبالاة

((أنا بحاجة لها.. ستفيدني أنا أكثر من إهدائك إياها لخطيبك
عديم الفائدة))

كتفت ديمة ذراعها أمام صدرها وهي تنظر لسارا بينما تضيق
عينها بامتعض لتقول لسارا عقب أن تنهدت بضيق

((الحقيقة يا ديمة أني أريد إعطائها لراجي.. أنا أفعل حاليا أي
شيء لأجعله ينجذب نحوي.. حتى أن راجي يستمتع بالمكوث
معي كثيرا لأنني اسمح له أن يفعل ما يشاء بمنزلي وأوفر سبل
الراحة له.. أكثر بكثير من البقاء بمنزل عائلته هو.. كما أنه
بات يفضل ممارسة هواياته الكثيرة عندي.. حتى أن مشاركته
السكن معي انعكس على حياته بشكل إيجابي.. فأصبح أكثر
سعادة))

بدأت ديمة مقتنعة وقد لانت ملامحها لتسمح لسارا بأخذ
المشغول الخشبي.. لتردف سارا ببؤس

((لكن لا تظني أني سعيدة جدا.. هناك بعض من هواياته
وعاداته يصعب عليّ تقبلها.. فهو عاشق للكتب ويقضي الكثير
من الوقت بين كتبه يقرأ هذا ويسافر مع ذلك ويرحل بخياله مع
آخر ليعود من رحلته على صوتي وأنا أخبره وأطالب بحقي في
قضاء بعض الوقت معه.. فهو لا يشعر بمتعة القراءة إلا في
الوقت الذي ارغب فيه الحديث معه.. كما أنه اعتاد على أن
يقرأ كتبه في الحوض المملوء بالماء الدافئ والصابون ويقضي
وقتاً طويلاً قد يصل إلى ساعات))

بدأت ديمة تشعر بمثل بؤس سارا لتقول

((أنتما حديثا العهد بالزواج حيث لم يمض على زواجكما شهر
واحد.. ومن الآن الخلافات والمشادات الكلامية البسيطة عرفت
طريقها إليكما))

فهزت سارا رأسها ببؤس موافقة..

فيسبب هوايته المقدسة يحرمها فرصة الحوار معه والتعرف
إليه أكثر..

حاولت الحديث معه أكثر من مرة حول ضرورة تأجيل هواياته
قليلاً لينزعج من الأمر وهي مضطرة أن تسايره حتى يضل
يزورها ببيتها..

عادت سارا تردف لديمة

((هذا كله بالإضافة إلى هوايته المفضلة الأخرى وهي الرسم
الذي يهواه بالرغم من أنه فاشل كلياً به.. كما ويهوى تحويل
منزلي إلى معرض لرسوماته وحبته في ذلك أنه لا يشعر
بالراحة إلا حين يرى جميع رسوماته أمام عينيه.. كل هذا
بسبب عقده أيام الطفولة لأن والدته لم تسمح له وهو صغير أن
يعلق رسوماته على حائط غرفته.. وأكره هذا جداً فهو يعطي
انطباعاً مبدئياً بأن منزلي يسكنه الأطفال.. أحيانا ورغماً عني
أقف حائرة مما يجب فعله والطريقة المثلى في التعامل مع
هواياته فأنا تزوجته لأستمتع معه لا لأجل هذا.. لا أستطيع تقبل
عرض رسوماته على جدران منزلي فأنا أحب الديكور كثيراً
وأحب أن أرى منزلي في أحسن صورة.. لكنني مضطرة أن
أسايره))

أنهت كلامها وهي تزفر بضيق حائرة.. لكن ديمة حاولت
دعماً هاتفة

((دعيه يفعل ما يشاء.. على الأقل حتى تجذبيه لك تماماً))

فهزت سارا مقتنعة رأسها..

إنها لا تكتفي بمسايرته بل وحتى تشجعه رغم أنه فاشل تماماً
بالرسم وتبدي إعجاباً مزيفاً حتى باتت كل منزلها مليئاً

برسمات عجيبة لا شكل محدد لها.. لكن لا بأس فلتبقى على
حالتها..

يكفيها رؤية لمعان وشرارة الحب بعينيه وهو يريها إبداعاته..
هكذا سنكسبه..

وبعد أن أمضي سارا وقتها مع ديمة وتناولت وجبة طعامها..
وذهبت ديمة بسيارتها لبيتها.. وصل سارا رنين هاتفها لتعرف
أن المتصل هو راجي لتلتقطه وترد عليه..

كان يعرف بخروجها بعد أن طلبت منه أن يقلها عند العودة
وهو وافق مرحبا..

كان يتحدث معها الآن على الهاتف بشبه لامبالاة.. إن كان
هناك شيء يزعجها أكثر منه..

فربما لأنه مهما قال ومهما فعل إلا أن هناك شيء بداخله يمنعه
من اعتبارها زوجة له وأن لا حق له تماما بالقلق عليها
والسؤال عن كل شيء تفعله..

فلمعت عيناها بتحدي وهي تعرف ماذا سيحدث الليلة..

بعد ساعة..

وقفت سارا عند إحدى المواقف تنتظر قدوم راجي حتى يحضر
ويوصلها للبيت..

تستمع جدا بتسليمه دور سائقها الشخصي لهذا هي لا تفكر
بالوقت الحالي بأخذ رخصة القيادة..

وراجي لا يمانع أبدا بل يلبئها بلهفة ولو أظهر البرود من
الخارج..

ابتسمت سارا بعبث فيبدو أن أغلب دفاعته تزعت أمامها..
فما إن يتلبس ثوب البرود والجمود حتى يخلعه بدون أن يدري
أمامها وتعامل بعفوية تامة معها..
فصار قل ما يظهر كرهه لها أو لتصرفاتها بالأيام السابقة..
توقف راجي بسيارته التي يقودها أمام المكان الذي كانت تقف
عنده..
وقبل أن يشير لها عن مكانه ضل يتأملها لفترة ينظر إليها
بأعين متربصة بها ويحدق بها ويتفصيلها..
ارتدت سارا السوار الذهبية الذي أهداها لها عندما ذهبت معه
تساعده بذوقها باختيار هدية بمناسبة توظيف أخته هيام..
كما ارتدت أيضا ملابس شتوية أنيقة كعادتها المطلقة وبكل
أنوثة تزينها بالعنفوان والقوة..
وحتى عندما أخرجت محفظتها لتخرج الهاتف من حقيبتها كانت
المحفظة أنيقة جداً..
لم تكن تحتاج أكثر من ذلك ليتضح عليها الدلال وصبغة المال
الذي تحب دائما أن تظهر به دائما..
كما اهتمت بأن أن تكون محتشمة كما طلب منها بلطف المرة
السابقة..
بل تعجب أنها لم تعترض أبدا وكأنه كانت تنتظر أن يطلب منها
لتنفذه.. وهذا ما يجعله يشعر بالارتباك نحوها..
بل كانت تشد بيدها نفس حقيبة اليد الفاخرة تلك التي امتدحها
أمامها عندما سألته عن رأيه فيها..
تريد من قلبه بعمق اهتمامها بأن ترضيه بعيدا عن شخصيتها
المستفزة المتمردة..

أشاح راجي بوجهه عنها فورا عندما انتبهت سارا له وهي
تمسك به متلبسا ينظر لها بينما تخطو نحوه فارتبك وهو يحاول
أن يزِيل ملامح افتتانه بها..

شعر بغضب من نفسه لفضوله الكبير تجاهها والذي دفعه
للتدقيق عليها..

لم يسبق له وطوال حياته العشرين عاما وأن نظر أو حدق
لأمراه كما فعل معها.. يود لو يقسم أمامها بذلك..

وما إن ركبت سارا حتى شغل سيارته ليسير بها..

وصله سؤالها بصوت متشبهت بأنوثة طاغية وهي تنوي
استمرار تأثيرها عليه الذي لاحظته

((إذن هل سنكمل اليوم تدريبي بكرة التنس؟))

نظر لها للحظة قبل أن يعاود النظر للأمام ببرود أثناء قيادته..
ومسحة غضب تكسو وجهه..

غاضب من كونه يتقبل منها أي تقرب بسهولة..

لأنه مهما كان مفتونا فيها وسعيدا بصداقتها وتقربه منها إلا أنه
لا يمكنها التقرب أكثر والتعمق بعلاقتهم بصورة تجعل الأمر
صعبا للخروج منها..

يعرف أن علاقتهم لن تدوم.. فلا هي تناسبه ولا هو يناسبها..

ولكنه الآن بات يشاركها الكثير من اهتماماته.. بل وطلبت منه
أن يعلمها لعبة التنس لتشاركه اللعب فيها ويستمتع كلاهما
بممارستها بعد أن أخلو صالة منزلها تماما لجعله مناسب
كملاعب التنس..

لتحولها بذلك إلى هواية مشتركة تجمع بينهما.. بعد أن عجزت
مشاركته القراءة والرسم..

إنها فعلا تحاول جاهدة أن تقترب منه.. وبالنسبة له فهو من
الداخل مبتهج..

ربما كونه لم يسبق وأن أحب أحد أصدقائه سواء بأيام الجامعة
أو المدرسة لعبة التنس ليمارسها معه..

وصله صوتها وهي تسترسل

((أنا سعيدة بدخولي عالمك الخاص.. كما أحب الاهتمام
بهوياتك لأن الهواية جزء من صاحبها.. وأتمنى أن تحاول أن
الأخر الدخول لعالمي))

شقت ابتسامة وجهه وهو يقول متهمكا قبل أن تضحك
باستخفاف لمزاحه

((كيف ادخل لعالمك؟ أشاركك التسوق لساعات وقياس الألبسة
مثلا؟))

وعندما وصل لمنزلها الفاره المناسب لمن هم بم في طبقتها..
توقف وهو ينتظر منها النزول..

نظرت له وهي تقترب من وجهه هامسة في أذنيه بعثت
مشاكس

((هيا أنزل معي اليوم أيضا.. لا تتحجج بدوامك بالغد لأني
أحفظ جدولك الجامعي))

عقد حاجبيه وهو يقول بغير اقتناع لطلبها حتى مع رغبته
بالنزول هو الآخر

((سارا توقفي عن عبتك.. أساسا لم أحضر معي ملابس من
البيت))

التمعت عينيها وهي تشير إلى الأكياس التي كانت بحوزتها
ووضعتها بالمقعد الخلفي وهي تقول له

((راجي لقد ذهبت للقسم الرجالي أثناء تسوقي))

ثم استدارت للخلف لتلتقط أحد الأكياس وتفتحها أمامه وتخرج منامة فاخرة رجالية قائلة

((لقد أخذت كافة الأمور بعين الاعتبار.. اشتريت لك هذه الملابس.. أنا متأكدة أنها قريبة من مقاسك.. لذا لا اعتقد أن هناك أي حجة لترفض النوم عندي))

وقبل أن يهم بالاعتراض اتسعت عيناه عندما أردفت وهي تحذره من الرفض وتشير بسبابتها أمام وجهه

((اشتريته وانتهى الأمر فلا تحاول أن ترفض حتى))

اشتعل مزيج من الغضب بداخلة لجرأتها بشراء منامة وملابس شديدة الخصوصية له..

الحقيقة أنه دائما ما يغضبه فكرة أنها تسمح له بالنوم عندها..

صحيح أنه زوجها.. لكن هناك شيء خاطئ بعلاقتهم لهذا لا يحب كل ما تفعله..

صحيح أنه مهما أنكر أمام نفسه بذلك إلا أنه يستمتع بمبادراتها هذه.. بل إن نشوى لذيدة تتسرب لداخله معها..

خاصة وهو الذي لم يسبق وأن فكرت أي فتاة بحياته سواء أختاه أو والدته أن تهتم بالتفاصيل التي تخصه وما يحتاج بدون أن يبادر هو بالسؤال..

وعلى ذوقها الأنثوي فجميل أن تتدخل لمسات أنثوية بطريقة لباسه.. مأكله.. حياته..

تتنحج راجي وهو يجيئها بقلعة حيلة مفتعلة

((حسنا يا سارا.. بما أنك اشتريتهم ولا ينفع إرجاعهم الآن..
سأقبلهم منك ولكن بشرط أن ادفع لك ثمنهم))

وقبل أن ترفض قاطعها بحدة وهو يرفع سبابته كما فعلت قبل
برهة وهو يشير بها أمام وجهها

((بل ستقبضين ثمنهم إذا أردت مني فعلا أن أقبلهم))

هزت له رأسها موافقة.. ليردف بينما يرفع إحدى حاجبيه

((لكن بالتأكيد قبولهم لا يعني أنني موافق على النوم.. كل مرة
أنام بيبتك اشعر بندم شديد.. إننا متزوجان لكن أنت تعرفين بأننا
سنتطلق قريبا))

نظرت له بملامح حانقة فهو يرفض حتى الآن الاعتراف أنه
يعجبه الأمر ويحب المكوث بمنزلها أكثر من منزل عائلته..

لكن ظهرت علامات اللامبالاة على سارا وهي تقول بإقناع

((راجي.. بغض النظر عن أن علاقتنا صورية أو لا.. لكن بيننا
رباط شرعي وقانوني ولا توجد مشكلة بأن نخلي بمكان
لوجدنا.. توقف عن التحدث بالأمر وكأننا نفعل شيئا خاطئا))

رأته يزدرد لعابه وهو يخفض راسه مثبتا عيناه للأسفل وقد
تسلح بالصمت.. دائما يتم الأمر هكذا..

ما إن تحاول عدة مرات أن تعرض عليه النوم بمنزلها حتى
يظهر رفض وسرعان ما تنهار كل دفاعاته ليوافق وبحجج
واهية..

فأغمض عيني.. لكن ما إن فتحهم حتى قال لها مصارحا

((هل تعرفين أن مشكلتي هو خشيتي أن أتسبب بضرر لك..
وجودي بمنزلك والنوم فيه لأيام متكررة.. وانتباه جيرانك على
ذلك.. أنا فعلا أخشى مما قدر يفكر به جيرانك.. أيضا..))

قلبت عينيها بسأم منه وهو يرفض تفهم طبيعة حياتها
وتفكيرها..

نظرت له وهي تمنحه ابتسامة بلهاء بينما تقول من بين أسنانها
((لا تقلق فأنا لا أعرف أحدا بهذا الحي ولا أحد يعرفني.. لذا
لن يجرؤ أحد على التدخل بي.. ولا يهمني بماذا سيفكرون بي..
بما أنني لا أقوم بأي خطأ))

شعر راجي بالغضب من تفكيرها المتهور ليقول بحزم وهو
يحاول أن يجعلها تعي لطبيعة المجتمع الذي تعيش حاليا بينه
((صحيح أن كلام الناس لا يقدم ولا يؤخر.. لكن يجب أن لا
تتهاوني بهذه الأمور.. سُمعة الفتاة أعلى ما تملك.. لا تجعلني
إقامتك ليضع سنين بالغرب تنسيك ذلك.. ولا يجب أن تضعي
نفسك موضع الشبهات هكذا ببساطة))

قالت سارا بنهكم وبملاح فاترة

((يا إلهي! راجي.. غدا سأخبر الجميع بالحي بيتا.. بيتا أنني
تزوجت وزوجي يعمل بعيدا عني.. ويأتي لزيارة عدة مرات
بكل أسبوع؟ هل أنت راضي الآن؟))

هزّ راجي رأسه منها يأسا قبل أن ينتهد ويلحقها عقب أن قام
باصطفاف سيارته..

فتحت سارا باب منزلها ليتبعها هو الآخر ووصله صوتها بينما
تُعطي الأكياس التي تمسكها

((خذهم يا راجي وضعهم داخل دولاب ملابسي.. لقد فرغت
جزءا منها لتضع أغراضك الشخصية.. وقيل أن تعود اجلب لي
حقيقتي الصغيرة.. ربما ستجدها عند الأجرار الملاصقة
للسرير))

عقد راجي حاجبيه وهو يأخذ الأكياس منها من فكرة أنها
جهزت كل شيء من أجل أن يبيت بمنزلها ثم دلف إلى غرفتها
بخطوات بطيئة..

لم يسبق وأن دخل غرفتها وتجول بها بحرية كما باقي أجزاء
منزلها..

كانت عيناه تمسحان أرجاء الحجرة بنفس البطء وبالتتابع على
كل إنش..

بدأ قلبه يعود إلى ذلك التخبط العجيب الذي يشعر به عندما يرى
أي شيء يخصها..

لفت نظره منضدة الزينة وقد تراصت فوقها أدوات التبرج بكل
أنواعها وبأكثر من ماركة لكل شيء.. بالإضافة إلى الكريكات
وقفاني عطور الموجودة بشكل مبالغ فيه..

علت شفتا راجي ابتسامة وهو يهز رأسه بئأس.. فمن النادر أن
تخرج بوجع عار من الزينة بل دائما ما تهتم بمظهرها بإسراف
وبجدية بالغة..

أخذ نفسا قبل أن يتوجه إلى خزانة صغيرة موضوعة إلى جوار
السريير..

فتش أدراجها بسرعة ولم يجد بها أو بالتي تقابلها في الجهة
الأخرى حقيبتها..

لتلقت انتباهه خزانة صغيرة أخرى تحت النافذة..

تقدم نحوها لعلها هي من تقصده سارا وفتح أول أدراجها
وأخرج كل ما بداخلها يفتش فيها..

أخرج عدة دفاتر حتى استطاع إيجاد الحقيبة.. وما إن هم أن
يعود الدفاتر للدرج حتى لفت الدفتر الكبير انتباهه..

رفع حاجباه بتعجب وهو يفتحه بتركيز رقيق وابتسامة
مشاكسة..

كان يحتوي بأول صفحاته على صورها ملصقة فيها وتحت كل
صورة كتبت أشعار وخواطر..

ثم جاء صوت سارا من ناحية الصالة ليشده من حالته تلك..
فسارع يغلغ الدقتر وهو يعيده مكانه وخرج بحقيبتها إليها..

=====
=====

تتهددت إيمان بضيق أثناء حديثها هي وزوجة والدها على
الهاتف..

بالفترة الأخيرة أصبحت حياتها غير معقولة..

لم تكن من النساء اللاتي يتحدثن عن أسرار بيوتهم أو مشاكلهم
الزوجية لأحد ولا تحب أبدا أن تفسد صورة العائلة المثالية التي
تظهرها للجميع..

لكن لم تجد إلا زوجة والدها لتحدثها عن الشرخ الذي يتزايد في
الفترة الأخيرة بينها وبين احمد خاصة وأن لها خلفية بعلاقتها
مع زوجها..

بالفترة الأخيرة بدأ احمد يتصيد لها دائما الأخطاء.. لا يحب
مشاركتها في كثير من الأمور ولا يهتم برأيها..

بل لا يحب المكوث معها في المنزل ولا يهتم بها مطلقا..

يتعمد أهانتها والتقليل من قدرها أمام الآخرين.. حتى أنه بدأ
العزوف عن ممارسة العلاقة الحميمة معها..

كلها علامات انه لم يعد يحبها.. لكن هل سبق وأحبها؟

صحيح كما قالت زوجة والدها أنها متخاذلة فالتذمر وحده غير كافٍ وعليها أن تبحث عن الأسباب التي دفعته بالهروب إلى خارج المنزل وتقوم بإجراء بعض التغييرات من أجل أن تعيد الروح لحياتهما الزوجية ولتجعل احمد وكما قالت زوجة والدها بجدية لها "يهرب إلى المنزل بدلاً من الهروب منه" .. ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟

يبدو أنها أخطأت حيال السكوت عن برود حياتهما العاطفية وتبلد مشاعره اتجاهها..

نعم تعترف بسيطرة الملل والروتين على العلاقة الزوجية منذ بداية زواجها بدلاً من أن تكون مفعمة بالحب والسعادة والعواطف..

لكن لماذا؟ وكيف حدث ذلك؟ ما الذي حدث لي يجعلها تفقد الأمل وتستسلم للروتين اليومي القاتل..

هل لأنها لم تشعر برومانسية هائلة بخطوبتهما القصيرة أساسا حتى تشعر بفارق كبير بعد الزواج وبروده الشديد؟

ولكن حتى مع ذلك.. كانت هناك أيام جميلة بينهما وكانت تشعر بالحب منتشرا بالأجواء..

صحيح أن عدم الجلوس في المنزل لأوقات طويلة هي عادة معظم الرجال ولكن الأمر قد تطور لدى احمد بالفترة الأخيرة والمنزل أصبح مجرد فندق له للنوم فقط..

وكأنه لم يعد يطبق الجلوس في المنزل ويتهرب من الجلوس معها في مكان واحد كما انه ينتهز يوم الإجازة ويقضيه بالكامل خارج المنزل مع أصدقائه ولا يعطيها أي جزء من وقته..

عادت من شرودها على صوت زوجة والدها وهي تأكد عليها كيف تتصرف مع احمد بنصائحها التقليدية

((لا تستقبلي يا إيما زوجك بوجه عابس لدى عودته.. انسي
وتناسي ل ما حدث بالسابق.. واستقبليه دائماً بابتسامة لطيفة
وفرح واسألبيه عن حاله وكان لا شيء بقلبك ضده.. أجلي طرح
الأسئلة والتحقيق معه.. فهو سيخبرك بنفسه وإن لم يخبرك بعد
فترة انتقي أنت الوقت المناسب لتحدثي معه بطريقة مناسبة
ولطيفة ولتستطيعي من خلالها معرفة كل ما تريدين.. أنت
محظوظة بزوجك يا ابنتي واحمد رجل رائع لكنه كبقية الرجال
بحاجة أن تعرفي كيف تعاملبيه))

كانت وتيرة تنفس إيمان عادية جدا وكأنها لا تتفاعل مع كلام
زوجة أبيها

لتردف الأخرى

((قومي يا إيما بإجراء بعض التغييرات على شكلك بين الحين
والآخر كتغيير تسريحة شعرك أو طريقة زينتك أو لباسك ولا
تجعليه يعتاد أن يراك بنفس الهيئة والملابس فرجال هذه الأيام
ينتهبون على هذه الأشياء وليسوا كجيل أبيك))

شبح ابتسامة سخرية مر على شفتي إيمان.. ليصل زوجة
والدها أنها ليست مقتنعة بفعل ما تقوله لها..

أو أنها تعيش تحت وطأة ضغط فكست نبرتها الحنان وهي
تردف لها تنصحها من قلبها

((أعلم يا إيما أن احمد مقصر معك ببعض الأشياء لكن لا أريد
أن أقف بصفك فيكون بمثابة تحريضك ضده.. فحتى لو أخطأ
هو بحقك عليك أن تنسي وتتحلمي حتى تسير المركبة))

افترشت تعابير وجع على ملامح إيمان وهي تغمض عينيها
لتنتهد بتعب.. وكأنها تحاول الهروب من كلام زوجة والدها..

شعرت بالصداع يستوطن رأسها من كلام زوجة أبيها السابق..
كلها أوامر.. أوامر.. أوامر.. أوامر لكيف تسعده وترضيه..
والإ فهي مقصرة..

لكن الواقع يقول إن ما تطبقه زوجة والدها لوالدها لن ينجح مع
كأحمد.. فهي بالفعل سبق وأن طبقت كل هذا الكلام..

ولكن عدم تقديره وتجاهله لكل ما تفعله جعله تياأس وتكف عن
محاولة بذل جهدها تجاهه..

عاد الصمت ليلى المكان وكان كلتاها مترددتان بالحديث..

وبصوت بالكاد ظهر بعد مرور دقائق غمغمت زوجة والدها
سائلة بتردد ببطء

((إيما صارحيني.. هل هناك أي مشاكل أكبر مما قلتي لي بينك
وبين احمد؟ لن أخبر والدك صدقيني))

زفرت مرة أخرى بضيق لتقول بصوت أجش وملامح غريبة
غير معتادة تظهر عليها قائلة

((تعبت يا خالتي.. تعبت ولم أعد أطيق احمد.. لم عليّ دائما أن
أشعره ودوماً أنه من أولوياتي وأن سعادته وراحته هي كل ما
أريد.. لطالما أشعرته أنني أقدر تعبته ولكن لم القّ منه التقدير
والمحبة والاهتمام بدوره.. لم عليّ دائما أن أعطي ولا أخذ..
لقد مللت.. مللت منه منذ مدة.. وبالفترة الأخيرة لم أعد أطيق
تحمله.. بل ومنذ أيام لا أطيق حتى أن ابتسم بوجهه أو أستقبله
عندما يعود من عمله))

كانت تشعر زوجة أبيها بتعاستها من نبرة صوتها وأنها تعاني..
فلم تملك إلا أن تنصحها بقلة حيلة

((إيما.. حبيبتي أفرغي عقلك وقلبك من كل هذه الأفكار وخذي
حذرك.. السنوات تمر على الزواج فيذبل بريقه وتقل جاذبيته..

ولكن حرمان زوجك من ابتسامتك وترحيبك له عند استقباله أو
توديعه تولمه وتبعده خطوات عنك))

تهتدت إيمان بقلّة حيلة هي هذه المرة وهي تشعر بدموع
متحجرة بعيونها لتقول بصوت هادئ

((حسنا سأحاول يا خالتي.. ولكن أرجوك لا تخيري ما دار
بحديثنا الآن أمام والدي مثل كل مرة.. لا أريده أن يعلم شيئا
كما أنني لا أخبر أُمي بشيء لأنني لا أريد أن أقلقها من أجل لا
شيء فهي مستعدة أن تأتي من الولايات المتحدة الأمريكية لهذا
لو ظننت بوجود خطب ما.. وأنت تعرفين أن لا مشكلة فعلية
بين وبين احمد.. هي فقط بعض المشاكل والأحاسيس المتعبة))

فردت عليها ببعض الحرج

((صديقي يا ابنتي أنا أحاول قدر الإمكان أنا لا أتحدث لوالدك
عن أي شيء بيننا.. لكنه دائما ما يسألني عن إخبارك ويصر
عليّ أن يعرف كل شيء ولا حيلة لدي لأكتم عنه.. لكن أعدك
أنني لن أخبره هذه المرة.. إن ما يحدث بينك وبين زوجك أمر
طبيعي بين كل الأزواج.. كما أن تدخل والدك سيصعب
الأمر))

هزت إيمان رأسها متفهمة.. وبينما كانت تسمع صوت فتح باب
المنزل وخطوات نحو حجرة النوم ثم باتجاه الحمام علمت قدوم
احمد لتقول مودعة

((حسنا يا خالتي أنا مضطرة الآن أن اذهب لأتابع دروس
عدنان قبل موعد نومه.. أسفه أشغلتنك كثيرا معي.. إلى اللقاء))

=====

=====

ليلا بحجرة معتمة الإضاءة بشكل كبير بجدران بيضاء وخطوط
حمراء ناعمة والدافئة على نقبض الجو بالخارج..

الفت سارا نظرة خفية على راجي النائم أرضا على فراش
موضوع بجانب سريرها الضخم وهي ترى ملامحه بوضوح
في الظلام..

شعرت بنفسها تجز على أسنانها فزفرت بضيق وبصوت
مسموع..

رغم الهدوء والسلام المنتشر بالحجرة كانت تشعر بها خانقة
لحد بعيد..

فدارت بنفسها لطرف السرير وهزت بكفها من فوق رأس
راجي الذي يغمض عينيه.. لتهمس بعصية وبصوت منخفض

((هل أنت مرتاح فعلا على الأرض؟ سينكسر ظهرك مثل
المررة السابقة.. سريري كبير.. يمكنك النوم فيه من دون أن
يضايق أحد منا الآخر))

لم يرد عليها بشيء حتى ظنت أنه لن يفعل.. فتقلبت بجسدها
بعيدا عن طرف السرير..

دقائق وسمعتة هامسا بينما يستمر بإغماض عينيه واضعا
ذراعه على جبينه

((سارا هل تعلمين أنني حتى الآن لا اصدق أنني أنام ببيتك بل
وبحجرة واحدة.. ما زلت أشعر أن الأمر غريب حتى مع نومي
هنا لمرات عديدة.. لا أدري حتى كيف طاو عتك وتزوجتك من
بداية الأمر))

بصوت متهمك قالت له

((من ماذا أنت خائف؟ زواجنا شرعي وقانوني.. لسنا مدينين
لأحد بشيء))

زفر بيأس منها وهو يفتح عينيه وينظر للسقف ليقول بحنق

((سارا.. كلامك يزيدني غضبا من نفسي قبل أن يكون منك..
لم لا نفهمين عليّ لوحده لأنني لا أدرى كيف اشرح لك
الوضع.. الأمر متعلق بالعادات والتقاليد الواجب والمفروض
علينا احترامها.. ظروف عائلتك المتحررة لا يشفع لك.. أنا
فعلا لا صدق أنني أكذب كلما أضطر للنوم عندك وأخبر أمي
أنني أنام عند صديق أرفض إخبارها باسمه))

سخرت منه بينما تعتدل من مرقدتها وتتنظر له من الأعلى

((أنت مضحك جدا.. لقد تعدى عمرك العشرين عاما ولا تزال
تأخذ موافقة أمك للمبيت خارج المنزل؟ ربما أتفهم هذا لو
كنت فتاة.. لكنك لست كذلك))

ابتسم بمرح على سخريتها ولم يلماها فهي ردة فعل أي شخص
قد يسمع منه ذلك..

بل أنه حتى بالسابق كان يعد قبول والدته نومه ببنت جديه
الموجود بنفس الحي مطلق الرفاهية له..

ليقول بهدوء دون أن يكلف نفسه رفع نظره نحو سارا أعلاها
((أخرسي.. أريد النوم))

بقيت مدة تضحك وتتحدث وتلقي نكات عليه..

تريد أن تتسامر معه للفجر ولكنها بالنهاية استسلمت لتجاهله
وغطت بنوم عميق..

وكم تمننت لو تتقدم منه ببطيء حتى تميل رأسها لتضعه على
كتفه وتتوسده..

وبينما ظل هو يتجاهل كلامها ولا يرد عليها حتى تمل وتنام..
بقي هو مستيقظا لا يعرف النوم..

أقل من ساعة ووقف من مكانه وهو ينظر لها وهي نائمة على السرير على جانبها وتعطيه ظهرها..

تقدم نحوها وهو يبتسم بمشاكسة.. اقترب من وجهها ليقبلها برقة على وجنتها الظاهرة قبلة عفوية وهو يكرر جملته المعتادة داخل رأسه..

"إنها زوجته شرعا وقانونا ولا بأس ببضع التجاوزات للحدود المختلفة عن السابق تبعا لهذا الرابط"

شعر بشرارات تصله من جسدها تجربه أن يرغب بأن يغرقها بالأحضان والقبل والى الجحيم بهذا الزواج السوري..

فخرجت منه ضحكة شاب مقتون بها خافته وهو يفكر ما الخطأ بذلك وهي زوجته شرعا بل هو متأكد أنها لن تمنع من الأساس بل هي من دائما تستدرجه وتحاول أن تغريه..

تنهد وهو يدثرها بالغطاء جيدا قبل أن يدفعه فضوله ليتسلل إلى نهاية الحجرة قرب النافذة ويجلس على الأرض قبل أن يسحب نفسيا عميقا وهو يفتح الدرج ليخرج دفتر مذكراتها..

أضاء المصباح بجانبه وهو يفتح الدفتر ليبدأ رحلة الإبحار من صورة إلى أخرى..

يمرر أصابعه فوق صورها على صفحات الدفتر.. شعر بلذة وهو يتجسس على أسرارها الممتعة..

أحس بالذنب للتعدي على خصوصياتها..

لكن ربما التحديق بصورها أخف ذنبا بالنسبة له من التحديق بها هي شخصيا بحرية..

=====
=====

أشرفت شمس يوم جديد ليفتح راجي عينيه بتعب فأعتدل ليجلس
وهو يتنأب بنعاس فهو لم ينم بشكل كافي لأنه أمضى الليلة
حتى وقت متأخر وهو يتأمل بصورها وهي صغيرة صورة..
صورة..

قام من مكانه ليقترّب أكثر لطرف السرير وينظر لتفاصيلها
ويتأملها وهي نائمة بعينيه الناعستان..

تأوه بخفوت هو يقترّب منها أكثر ويرى شعرها الطويل
المصبوغ باللون الأشقر يفترش السرير لتبدو أكثر فتنة وتألّق..
كان الغطاء بعيدا عنها وساقها مكشوفتان فتلاحقت أنفاسه..

كم يعجبه هذا الوضع مهما أنكار.. وكأنه فعلا يعيش دور
المتزوج من امرأة فاتنة تعجبه ويحبها..

وبنفس الوقت يريد الفرار والهرب من هنا قبل أن يتهور أكثر..
نهض وسار للحمام بخطوات متكاسلة..

وبينما كانت سارا نائمة شعرت بخطوات في الحجرة لتنهض
من نومها..

ثوان مرت حتى نظرت بلهفة للفراش على الأرض ولكنه كان
خاليا فعدت حاجباها..

سمعت صوت المياه داخل حمامها فعرفت أنه بالداخل..

بالعادة لو كان شخص آخر من استخدم الحمام الملحق بغرفتها
بدلا من الخاص بحجرة الضيوف لاشتعلت من الغضب لكنه
هو لا.. مسموح له..

يل يعجبها أخذه على الوضع والمكان بالفعل.. حتى انه حتى
أخذ الملابس والمنامة والمنشفة التي اشترتها أمس له..

بعد مدة خرج راجي من الحمام وكان يلف منشفةً صغيرة تحيط
خصره.. ما إن نظر إليها ليتحقق من نومها حتى أدرك
استيقاظها ونظراتها الجريئة له..

توسعت حدقاته من نظراتها المستمرة على جسده بلا خجل..

بل هو من شعر بالخجل من نظراتها على جسده ليستدير
بسرعة خارجا..

عاد بعد ثوان بوجه حائق وهو لا يجرأ على النظر إليها ليلتقط
بيده ملابسها التي ارتدائها وخرج من الحجرة بسرعة..

بينما هي كانت عابسة عاقدة الحاجبين تنظر ببلاهة له.. لا
تصدق تصرفه..

يجب أن يتباهى بجسده أمامه.. تنهدت بحرارة.. لا تنكر أنها لم
تتوقع أن يكون جسده وعضلاته رائعة وأكثر مما توقعت قبل
أن تراها عاريا بشكل واضح بالرغم من وسامته..

ولم لا يكون هكذا وهو يمارس الرياضة بأنواعها بشكل
مستمر..

لم تستطع سارا منع نفسها من التسلسل والتلصص قليلا عليه
فتوجهت لتقف على باب غرفتها لتجده جالسا على كرسي
بالصالة فوقفت متسمة وعيناها مثبتتان عليه..

لا يلبس إلا سرواله.. وجسده العلوي عار تماما.. شعره المبلل
القصير.. كان يبدو كرجل ليس له مثيل هنا.. خاصة مع أشعة
الشمس المتسللة من الستائر عليه..

لا تعرف ما الذي دهاها فجاءة لكنها كانت تريد أي دافع لتقترب
وتتحدث معه.. والأن..

ترغب في التحقق من مدى حقيقته وجوده وكيونته.. لكن ما أن
تذكرت كيف خجل من نظراتها الجريئة حتى هزت رأسها

لتنفض الفكرة عن راسها.. فلو أمسكها متلبسة تنظر له هكذا قد يدق عنقها ويتهما هذا الأحمق بالتحرش به..

خسارة فادحة أن تُحسب علاقتها به زواج حقيقي.. بل يبدو أنها ستطلق منه من دون أن يصحّ لها حتى لمسه..

ظلم وإجحاف كبير بحقها.. أليس زوجها شرعا وقانونا؟ أليس حلالها ولها حق فيه؟

ازدردت ريقها وعيناها مستمرتان بالتسكع المستمر على عضلات جسده التي تقسم أنها بدأت أكثر إثارة وجاذبية في هذه اللحظة عما رأته قبل برهة من الوقت..

لكن ورغما عنها تحركت إلى الداخل بحسرة وكأنها مسلوية الإرادة لتأخذ حماما باردا كبرودة الجو بالخارج..

ما إن سمع راجي المستلقي على سريره يشاهد التلغاز بيضة باب الحمام يُفتح حتى أعتدل بتلقائية من مكانه ليخرج بسرعة من الحجرة ويغلق الباب وراءه..

أغلق الباب ورائه وبقي واقفا يعطي ظهره للباب ويديه تجش نبض قلبه النابض بعنف..

كان قد لمحها وهي تخرج بجسد مكشوف مثير إلا من منشفة رقيقة تغطي جزء صغير منه.. كما استطاع انفه بثوانٍ أن يلتقط رائحة عطور جسدها ورغما عنه..

دقائق حتى انتهت سارا من ارتداء ملابسها.. جلست أمام منضدة الزينة وأمسكت بالمشط وبدأت بتمشيط شعرها بعد أن جففته من اللبل.. ثم ربطته بشريط أسود بخفة..

أمسكت بأحمر الشفاه وحددت شفتاها المكتنزتان بعناية..

حدقت قليلا بوجهها بالمرأة لتبتسم برضا وهي تعيد أحمر الشفاه مكانه..

سمعت راجي يسألها من خلف الباب

((هل أنهيت ارتداء ملابسك؟))

هممت له موافقة لتسمعه يسعل بافتعال وهو ينيها على دخوله
قائلا

((حسنا ذهبت للخارج بسرعة وأنهيت إعداد طعام الفطور))

هزت له رأسها.. وما أن خطت إلى الخارج حتى ضربتها
رائحة القهوة اللذيذة والفطائر الشهية.. وبتلقائية أسرع تجلس
وتحتسي كوب قهوتها.. معدة كما تحب تماما..

كان يحرق بها وعيناه تشاكسان وهما تتبعان حركة جسدها
بقميص منامتها.. لكن حاول أن يستجمع نفسه ليعيد أنظاره
عنها..

ما أن أنهى كلاهما الطعام حتى أطرق وهو مخفيا ابتسامته وهو
يقول بخفة

((لقد رأيت دفتر صورك وأشعارك أمس.. وفضولي دفعني
لأتصفحه عندما عجزت عن النوم))

تنحج قليلا عندما قضبت جبينها من كلامه ليسترسل بحرج

((لم يكن علي فعل ذلك.. لكن فضولي دفعني لأرى دفتر
بالأمس.. أشعر بالخجل من النفسي على التعدي على
خصوصياتك.. أنا حقا أسف))

هزت رأسها نافية وهي تقول له بصوت خافت

((أوه لا.. لا داعي للأسف.. أساسا لقد نسيت وجود هذا الدفتر
من سنين.. حتى من قبل أن أسافر من البلاد ومن ثم أعود.. لا
يوجد فيه إلا صوري أيام الدراسة وبعض الأشعار الغبية
المسروقة من كاتب شاعر مشهور نسيت اسمه))

أخفت سارا ضحكة رنانة توشك أن تفلت منها بينما تدير ظهرها وتقوم من مكانها نحو المطبخ وهي تحمل كوبها لتعبنا بالقهوة..

أغمضت عينيها وهي تضغط عليهما بشدة.. من الجيد أنه لم يعرف أن هذا الدفتر كتبه أحد أحيائها السابقين وأهداه لها..

كان عليها أن تتخلص منه.. لا تعلم لما احتفظت به حتى الآن..

والحمد لله لم يكتب بالدفتر سوى أشعار تحت صورها بدون أي كلام آخر.. ليست مستعدة الآن لتسمع الآن منه أي كلمات يصفها بالرخص..

فهو يصير أن يغفل أن هذه حياتها وما يراه أمر جلل بالنسبة لها أقل من عادي.. هذه هي بيتتها وهكذا تربت..

=====
=====

بالمطبخ لم تنتبه سارا وهي تمد يدها بالكأس لتضعه على الطاولة المرتفعة نسبيا فتقلته غير متعمدة قبل أن تصل به إلى سطح الطاولة فينسكب بقايا محتواه ويتراشق على نصفها العلوي..

بالرغم من خروج صرخة مدوية منها إلا أن الوضع لم يكن خطيرا لأن كمية القهوة الباقية بالكوب كانت قليلة وحرارتها منخفضة..

انتبه راجي على صوتها ليركض نحو المطبخ بسرعة وما إن رآها حتى جرها نحو الصنبور ليرش بعض المياه الباردة فوقها.. لحظات وقالت مهدئة

((لا بأس يا راجي أنا لا اشعر بالألم شديد.. لقد ذعرت قليلا من فكرة وقوع القهوة علي.. خفت أن تسبب لي أي تشوهات دائمة لي))

هز راجي لها رأسه وهو يشعر بالراحة خاصة وأنه لم ير الكثير من بقايا القهوة عالقة بملابسها ليقول

((ربما ستتسبب لك باحمرار طفيف.. سأخرج لأشتري لك دواء للحروق من الصيدلية المجاورة لبيتك.. تحملي قليلا))

عشر دقائق وكانت سارا بغرفتها تدهن المرهم الذي أحضره له فوق بشرتها المحمرة بعد أن خلعت منامها..

أتاها صوت راجي المتسائل خارج الحجرة

((هل انتهيت من وضعه؟ هل مسحته فوق كامل المناطق المحمرة؟ هل وضعته بطريقة صحيحة؟))

هتفت فيه من مكانها بحاجيين معقودين وبصوت عالي

((بدل من أن تمطرني بوابل من الأسئلة ادخل وتفقد ما إذا كنت وضعته بشكل صحيح))

تنهد وهو يدخل الحجرة بتكدر من الباب وهو يفتح شفتاه ولم يكذب ينطق بحرفين حتى وقف مكانه متمسرا وكان أحدا رمى عليه دلواً مملوء بالثلج من رؤيتها بعد أن خلعت قميص منامتها..

ازدرد راجي ريقه بصعوبة وهو يمرر نظراته المتسعة عليها وعيناها تستكشفتانها وتفترسانها بنظرات مختلفة ورغبة جامحة في دق عنقها تجتاح كيانه من كونها لا تمنع بالظهور أمامه هكذا..

كانت ترتدي تحت قميص منامتها الذي خلعته قميص ارق بحمالات رقيقة ذي لون نبيذي من الحرير..

وبدا مثير عليها بشدة يكشف عنها بسخاء إلى حد عجز أن
يغض بصره.. عنها هي زوجته..

رأها تأخذ جزء من المرهم بأصبعها وتعيد وضعه على ما
تحت عنقها لتلفت نظره أخيرا بشرتها المحمرة..

الحقيقة أن نظراته وقعت على كل شيء فيها من رأسها
لأخص قدميها بتدقيق بدون تذكر أنه يجب أن يدقق على مكان
وقوع القهوة..

انتبه لأناملها تمر ببطء على المنطقة المحمرة وهي تضع
المرهم عليها أمام عينيه وكأنها تمارس عليه تعذيبا قهريا..

فشعر بجسده يتوتر مضطربا ليقترب منها بخطى متناقلة حتى
جلس بقربها على سريرها..

ويدون إرادة منه وصل لأنفه رائحة جسدها الذي تغرقه
بالعطور والمرطبات ليتغلغل فيه..

كانت رائحته مغوية ونفاثة فتتخدر حواسه وتلتف حولها..

وبردة فعلٍ غريزية اقترب منها مغيبا أكثر ليستنشق رائحتها
بلهفة فيصبح الفراغ بينهما أقصر..

رفعت نظرها له لتبتسم بعد برهة باستخفاف وهي تلمح
اضطراب جسده لتمد الشاش له هادرة بصوت مثير

((هل يمكنك وضع الشاش فوقه؟))

التقط شاش منها بأنفاس المتسارعة ولهات متزايد وقواه التي
لطالما حاول ترويضها أمامها تخونه ليرتمي الشاش منه بدون
إدراك منه ومشاعره تتحول لعواصف من لهيب ظاهر بعينييه
العاصفتان بمشاعر قاتمة ليباغته شيء بداخله لا يعرفه..

ربما كان جوع غريزته يطالبه أن يستحيب لجسده بضراوة
فوجد نفسه يرفع خصلةً متدلّية على جانبها..

وبينما ما تزال خصلتها بين أنامله يميل إليها ويقرب رأسه لها
وعيناه تمعنان النظر فيها طالبا شفيتها ليلتهم رحيقها وهو
يغمض عينيه..

بادلته سارا القبلات وشعور لذيذ يجتاحها وكم ودت لحظتها لو
تستطيع الصراخ ملء شديها انتصارا أنها ستمتلكه أخيرا..

بل وقد أتاها بقدميه وبملاء إرادته.. بعد أن كانت قد شكت
برجولته بعد أن كانت تراه بنظرها طاغي الرجولة وحضوره
لا يمكن إنكاره بأي شكل من الأشكال عليها..

ولا تلام على هذا التفكير.. فلا يمكن لرجل أن يصمد أمام
مبادراتها وخاصة لو بينهما رابط شرعي..

بينما راجي كان يشعر أثناء تقبيلها بالخوف قليلا يقبلها بتخبط..

أول مرة يقبل بحياته وفي حضرة فتاة مفرطة الأنوثة تقبّع بين
ذراعيه لا تكاد تغادر أنفاسها ليسرقها هو منها..

ومع أنه في البداية لم يكن يريد إلا الاقتراب من شفيتها
وتذوقها بخفة.. ببطء وباستمتاع.. بدون أن ينوي أكثر من
ذلك..

إلا أنه لم يعي متى أصبح لا يستطيع السيطرة على نفسه لتصبح
قبلاته لها نهمة..

ترى هل هو يقتحم عذرية شفيتها كما تفعل هي الآن به؟

حاول أن يفيق قبل أن يتهور أكثر من ذلك.. ولكنها لم تساعده
وهو يشعر بأنفاسها الثقيلة ورائحة عطرها التي تنسفه فتابع
تقبيلها مغيبا ومتلذذا..

وبقوة جبارة وأنته استطاع أن يبعد شفثيه عنها لينظر لعينيها
ولهاثة يتسارع وكأنه كان يركض لساعات..

كانت قد أزالآ عدساتها الزرقاء المعتادة على وضعهما أغلب
الوقت ليغرق بسواد عينيها بعد أن بعينيها.. يسقط فيهما كأنه
يقع ببئر لا قرار له..

قال لها بهمس لاهث وتملك ناعم

((سارا.. أنا أريدك.. الآن))

بالرغم من أن عينا سارا توسعتا بصدمة من طلبه بعد أن كانت
قد بأسآ منه أن يقولها بشكل صريح..

إلا انه كان متفاجئا بطلبه أكثر منها.. لا يكاد يستوعب ما تلفظ
به للتو..

هل هو من كان يتحدث أم شخص آخر مثلبس به؟ ولكن ماذا
يفعل؟ إنه يحترق ولا يطيق صبرا على ترويض نفسه وجسده
ومنه أكثر من ذلك..

فهمس بتحشرج طلبه مرة أخرى لترد سارا عليه بنبرة رقيقة
راغبة

((افعل ما تريد))

وبينما تعطيه الضوء الأخضر كان يعرف أن عليه التراجع
ليطفو الذنب ويملاً صفحة وجهه بالكامل..

فهو كما قال وأكد لنفسه أنه لا يمكنه أن يبقى متزوجا بها إلى
النهاية..

إذن لا يصح له أن يستغلها هكذا وهو ينوي الانفصال عنها فيما
بعد..

يعرف الشيء صحيح الذي عليه فعله الآن.. ولكنه لم يفعل..

وبدلا من الانسحاب دفن وجهه بتجويف عنقها منتشي ومتسمرًا
هناك في مكانه للحظات..

وشفتاه تطبعان قبلاات رقيقة كفراشة حطت على عنقها..
فكتفيها.. صعودا لذقتها.. فوجنتيها.. وجبهتها بدون أن يترك
إنشا لم يقبله فيها..

التفت ذراعاها كالطوق حول رقبتة بدعوى صريحة ليتابع
ليعصف به جنون قاتل..

وعقب أن استلقيا كلاهما على السرير شعر بالخوف يتملكه..
وهو يعاود تكرار سؤال نفسه مرة أخرى..

ما الذي يفعله؟ هل سيسامح نفسه على أخذها واستغلالها حتى
ولو كانت مستسلمة له تماما وراغبة؟

لكن كل هذه الأسئلة ذهبت في خضم عراكه.. لتلتقي روحين
فتتصهرا لتتشكلا روحاً واحدة..

مر بعض الوقت عليهما فابتلع راجي ريقه بصعوبة وهو يشعر
بتصلبها بين ذراعيها ولكنه لا يقوى على النظر إلى عينيها..

ليصدم سارا بما تراه من تعابير وجهه..

فرفع رأسه وهو يبتعد عنها مرغما وهو يشعر بالبرود يجتاحه
ويستدير بجسده بعيدا عن مواجهتها..

يجاهد نفسه على التنفس ويشرد بعينه بعيدا وكأنه بحاجة للوقت
ليتأكد من أن ما يعيشه حقيقة..

كل ما حدث قبل قليل هو شيء يفوق قدرته على استيعابه..

اعتدلت سارا من مرقدها بشكل ثابت تنظر له بنظرات توحى
بهدهوء حزين هي تراه يجلس على حافة السرير..

والسؤال الذي يراودها الآن..

ما هي مشكلته ولم هو غاضب؟

ألا يجب عليه أن يكون سعيدا بعد أن عرف أنها لم تسلم نفسها
لشخص قبل زواجهما.. ولا حتى له هو..

بقيا على هذه الحال.. ولأنها لم تجد شيئا يصدر منه إلا
الصمت.. تحشرج صوتها وهي تهمس بألم ووجع

((ما الذي تفكر به؟))

التفت راجي لها ناظرا بنظرة سوداء حالكة وملامح وجهه
كانت معذبة وتتم بنفس الوقت عن الغضب والكراهية ليجمدها
كلها جاعلا إياها تهوي بعنف وهي تصطدم بنظرات اشمزازه
منها..

أسبلت جفناها ببطء أمام نظرات عينيه غير قادرة على
مواجهته..

تمتم راجي مطرق الرأس بوضع كلمات خافته لا معنى لها قبل
أن يختفي أمامها وراء باب الحمام ويتركها على السرير بهذه
الحالة وهو يتحرك في الحجرة بخطواتٍ عنيفة..

كتفت سارا ذراعاها بشدة ثم تلحفت بغطاء السرير جيدا وهي
ترمق السقف بدموع حبيسة..

تشعر بالخدلان منه وقد كسر قلبها بوحشية بدلا من يخلق فرحا
بالسماء من أنها كانت عكس ما ظن بها تماما..

خلال ساعة كان قد خرج من الحمام يرتدي كافة ثيابه ليبدأ
توضيب حقيبته بحركاتٍ عصبية وهو يستعد لمغادرة الحجرة..
بل المنزل كله..

بينما هي كانت تحرق به بصدمة شديدة.. لقد انتظرت منه على
الأقل كلمة واحدة يعتذر منها على تصرفه لا إن يتركها بهذه
الطريقة..

شعرت بنفسها تظهر قوة واهية وهي تسأله بصوت أجش
متذبذب

((إلى أين ستذهب؟))

توقف عن الحركة مكانه فجاءة عندما سمع صوتها وهو ما زال
منحني الظهر..

ساد الصمت لفترة قصيرة..

ليجيب بعدها بصوت متشنج وهو يوليها ظهره بدون أن يتنازل
لينظر لها

((سأعود للمنزل.. هل تريدني شيء؟))

عادت الدموع لعينيها.. لقد ظنت أنه سينظر لها بشكل مختلف
تماما..

لكن ها هو عاد ينظر لها كفتاة رخيصة لا تسوى شيء بل
وأكثر مما سبق..

قضى معها وقتا مؤقتا ويريد المغادرة ولم يبقَ له إلا أن يدفع
لها ثمن هذه الليلة..

وبينما تنزلق دموع على خدها بصمت تمكنت من القول
بصلابة

((أنا لا اسمح لك بمعاملتني بهذه الطريقة.. هل تفهم؟))

بقي جامداً بمكانه للحظات..

ثم استدار إليها ببطء وهو يأخذ وقته لينظر لها بعينه
المحتقنين.. بل بدتا قاتمتين.. تعبران عن غضبه وعجزه..
ليتكلم أخيراً بصوتٍ خافت

((هل يمكن أن تفسري لي ما حدث قيل قليل؟))

عقدت حاجبيها له..

هل هو غاضب منها ويحدهجها بهذه الشراسة لأنها لم تقترب ما
كان يظن أنها فعلت؟

هزت رأسها بعدم تصديق يائس وهي تنظر لعينيها قبل أن
تهمس ببطء

((ألا يجب عليك أن تكون سعيدا بعد اكتشافك الأمر؟ أنا لم
أخبرك قبلا وتحملت كلامك لأنني أردت ادخاره كمفاجئة لك
عندما نتم علاقتنا؟))

سكت ولم يرد عليها وهو ينظر لها بعينين متسعيتين غير
مصدق لما تقوله..

هل تظن أنه فعلا أنه سيكون سعيدا لكونها عذراء بعيدا عن كل
ما فعلته لتتزوج منه؟

هل حفاظها على عذريتها هو كل ما تظن أنه مهمم به فقط بعيدا
عن تصرفاتها؟

ثم ما لبثت مشيحاً بوجهه عنها بلامح غير مقروءة..

وبينما تنزلق من عينيها دمعة باقية خيرة صامتة رفعت سارا
أناملها لتمسحها بينما تهتف بقوة وصلابة

((أعرف بأن ليلة الزفاف تحتفظ بقدسية ما عندك.. لذا ظننت
بأنك ستحلق من الفرح عندما تعرف بأنني لم أمارس أي علاقة
سابقا ولا حتى معك أنت.. لنكون هذه المرة بمثابة أول تجربة
لممارسة الحب لكلانا و عوضا عن ليلة الزفاف التي لم تقام
لنا))

أوشك على التفوه بسبيل من الكلمات اللاذعة والساخرة من
منطق تفكيرها وهو يشعر بفرانٍ من المشاعر الغاضبة
يجتاحه..

إلا أنه تمكن بمهارة من كتم كلماته وهو يرد عليها مختصرا
بتهكم

((نعم صحيح هذه أول مرة نمارس فيها الحب.. أو لنقل بشكل
شرعي على الأقل))

كانت أنفاس سارا تعلقو بغير ثبات مما يقصده وكذا نظراتها له..
لقد فهمت أنه كان يقصد اتهاماتها المستمرة له سابقا بأنه اعتدى
عليها بوحشيه..

وجدته يقترب منها ممسكا بذقنها يرفع وجهها إليه ليقول بنبرة
خشنة بينما ينظر إلى عينيها

((لا تلومني على تهكمي.. ألسنت أنت من أكدَّ عليّ مرارا بأننا
فعلناها قبل الزواج؟))

زمت سارا شفاتها بقوة لتتكلم بعد لحظات ببرود وهي تبرر
لنفسها بوهن

((لقد كنت أخدعك.. وكنت تعرف أنني أخدعك بل واكتشفت
خدعتي بسهولة وقبلت الزواج مني وأنت تعلم الحقيقة لأنك
كنت راغبا بذلك))

هتف بها بعنف

((أخرسي))

ظهر الامتعاض على وجهها وهي تبعد كفها عن ذقنها بقوة..

وهي ترى في نظراته كان هناك اتهام لها بالإضافة إلى كره لا
يقبل الشك ألم قلبها..

ساد الصمت بينهما طويلاً حتى سمعته يقول بهدوء غريب

((صحيح أني كنت أحاول إظهار عدم تصديقي الكامل لك..
لكن كذبك عليّ واتهامك المستمر بي جعلني أشك بنفسي
كالمعتوه.. بل أمضيت الشهر الماضي وأنا لا أشعر أني أعيش
فعلا بسبب ذنبك المعلق برقبتي مثقلا بكاهلي.. لم أكن سأسمح
نفسى لو أنى أنتهتكَ فعلا.. السبب الوحيد الذي دفعني أن
أتزوجك وأن ابقى على زواجنا حتى الآن هو خشيتي من أن
تكوني صادقة ولو بنسبة واحد بالمئة وليس رغبتى وافتنانى بك
كما تظنين.. وحتى ولو فعلا كنت واقعا بغرامك.. نعم أنا فعلا
أحبك ولكنى بنفس الوقت أكرهك وأكره تصرفاتك.. ولا أظن
بأنى قادر على العيش مع فتاة لا أتقبلها كما هي ولا أستطيع
تغييرها.. لذلك لم أرد الاقتراب منك وبدء أى شيء بيننا حتى
لا أظلمك ولا أظلم نفسي))

ما زال إلى الآن لا يتقبل شيء قامت بفعله.. لم ينس بعد ما
حدث بحفلة ميلادها وكيف كانت..

وكيف أخذته لمنزلها وهو ثمل.. وكيف خدعته لتتزوج منه..

كان راجي يتنفس بجهد.. وهو مستمر بالتحديق بعينيها
ليسترسل

((أخبريني هل تريدین فعلا أن نبقي على هذا الزواج بشرط أن
تأخذيه على محمل الجدية وتستمرى به للأبد؟ لن يكون هناك
تراجع بحال شعرتى بالملل أو اكتشفت أن كل ما بيننا برمته
كان نزوة.. ولن يكون بوسعك البقاء كما أنت بشخصيتك
وتصرفاتك هذه))

كانت تنظر له بإمعان قبل أن تنزل برأسها للأسفل تُقاوم الرغبة
فى التقبيل التي هاجمتها لتغطي فمها براحة كفها وهي تكبها
بصعوبة مهرولة باتجاه الحمام مغلقة الباب وراءها ثم تنحني
عند المراض..

سمعت سارا صوت مقبض الباب يُفتح أثناء ذلك وشعرت
براجي يتقدم منها ويرفع خصلات شعرها عن وجهها بينما

يمرر بكفه على ظهرها برفق من اعلى إلى أسفل ليساعدها
على الاسترخاء..

ما أن أفرغت كل شيء بجوفها حتى تأوهت بضعف وهي
تمسح فمها بكفها تحاول إزالة أي آثار بامتعاظ ثم تبتعد جالسة
على الأرض وهي تغلق عيونها بالم..

جلب راجي منشفة موضوعة عند المغسلة ليبللها بالماء حتى
تصبح رطبة ويمسح وجه سارا بها..

عندما أنهى مسح وجهها وجد عيناه لا إراديا تنحدر إلى جسدها
بمنحنياته اللذيذة وخصرها النحيل..

كانت لا ترتدي إلا قميص منامته هو القطنية التي تصل
لفخذها..

ابتلع ريقه وهو يمسك نفسه بصعوبة عن لمسها ولمحات مما
حدث قبل قليل تلوح في رأسه..

وما أن انتهبت سارا على نظراته وهي ترفع رأسها حتى
انخفض راجي لها وهو يقترب منها ويمد ذراعيه ليحضنها
ويدفن وجهها في حنايا عنقه..

بقي على هذا الحال للحظات قبل أن يهتف باسمها بحنان..
فتجيبه بههمة.. ليهمس لها سائلا بنبرة رقيقة

((هل تشعرين الآن أنك بخير؟))

هزت رأسها له بالنفي ليسألها بعتاب مرح لا يعرف من أين
جلبه

((إذن.. ما كانت توقعاتك عن ممارسة الحب كما تدعيه بأول
مرة لك؟))

تراجعت للخلف تنظر له بصدمة مستنكرة لسؤاله المفاجئ بعد كل ما قاله بغضب فابتسم لها قاتلاً بصراحة وهو يهز كتفيه

((بالنسبة لي لا أدري.. فبعد أن توقعت بأنه سيكون التجربة الأفضل والأكثر إثارة.. أجده الآن أمرًا مبالغًا فيه))

هزت كتفاها هي الأخرى وهي تقول له بتردد

((لا أدري أنا أيضا.. كان الأمر محرّجًا.. وغريبًا.. لا أدري.. ربما الأمر كذلك نظراً لجهلنا بما نفعله كأول مرة لنا))

ضحك بخفوت على كلامها.. وقد بدت لأول مرة بريئة أمامه وتتصرف بما يناسب سنّها..

سمعها تردف مجددا هادئة

((المرّة الأولى ستكون محرّجة بالتأكيد.. حتى بالنسبة لك كرجل.. لذلك نعم.. المرّة الأولى مبالغ فيها.. لكن أظن أنه ينبغي علينا التعود على ذلك ثم التعرف على نفسنا بشكل أفضل قبل أن نتمكن من الاستمتاع بالأمر))

رفع إحدى حاجبيه لها سائلا

((وهل تعتقدين أن هناك مرّة أخرى بعد هذه المرّة؟))

نظرت لها بملامح مبهمّة.. هما أساسا لم يتما الأمر للنّهاية بعد أن ابتعد عنها مصدوما عندما اكتشف أنها عنراء.. لترد قائلة بغموض

((لم لا.. وربما ستكون بداية التزام جميل بقضاء الحياة معاً لنا نحن الاثنين))

تنهد بينما يشيح برأسه عنها هاتفا

((قضاء الحياة معاً؟ لا أتصور أنه يمكن لك تحمل فكرة الزواج والتزاماته طوال الحياة))

ارتسمت على طرف فمها ابتسامة وهي تقول بثقة وعينيها
تلمعان بالتحدي

((ومن يدري؟ عليك تجربتي.. ثم أي التزامات ونحن ما زلنا
بهذا العمر))

نظر لها راجي بعمق.. وكم ود لو يخبرها بالتردد الذي يشعر
به بداخله..

خائف من أي يكون بمثابة تحدي لها تريد فقط الفوز به..

أو مجرد نزوة عابرة بحياتها..

فهو يعرف بأنها ومنذ صغرها كانت لها علاقات سواء صداقة
أو غيرها مع شبان آخرين..

تنهد بضيق ثم وجد نفسه يحيط وجهها بكلتا يديه يقوم بتقبيل
وجهها وكم ود أن يهمس ما بين كل قبلة وأخرى بأنه يحبها
وربما حبه له هو السبب الوحيد الذي يدفعه أن يكمل بعد أن
تأكد براءته من اتهاماتها..

بينما هي كانت تشعر بقلبها يتراقص ويرفرف بين أضلعها
فرحا وسعادة فتغمض عينيها بنشوة مستمتعة بقبلاته..

لحظات ووجدت سارا نفسها تُرفع من قبّله وهو يحملها قريباً
من صدره ليدخلها للمغطس هادرا

((اخلعي ثيابك لتغتسلي الآن.. أنت بحاجة لأخذ حمام دافئ))

أومأت له وهي تراه يفتح الدش يعدل المياه ثم يذهب خارجا
مغلقا الباب من ورائه..

ففعلت ما قاله وبقيت لدقائق طويلة في الماء الدافئ ترخي
عضلاتها..

وبعد ساعة كانت تجلسُ بوداعة على سريرها متلحفة بالغطاء
بعد أن أزال راجي الملاءة القديمة ووضعها بسلة الغسيل
واستبدلها بأخرى مكانها..

كانت ترتدي ملابس قطنية رقيقة على جلدها تشعرها بالراحة..

مد راجي لها كوب حليب دافئ يساعدها في محاربة ذاك
العثيان الذي تملكها فرحبت معدتها التي أفرغت كل ما فيها به
لترفعه لشفتيها..

سمعته أثناء ذلك يسألها بينما يربت على ظهرها

((هل تشعرين بألم بمكان انسكاب القهوة عليك؟))

فهزت رأسها نافية لتقول مطمئنة

((لا تقلق لا اشعر بأي ألم.. كما أنني وضعت المرهم مرة
أخرى بعد الاستحمام لذا سأكون بخير))

ابتسم راجي لكلامها برقة ثم يتنهد وهو يترك كل الأفكار التي
يخوض بها برأسه للمستقبل..

=====
=====

جلست عبير جلستها الأنيقة المعتادة بصالة منزل إيمان ترتشف
من كوب قهوتها وهي تنتظر بتفحص إلى إيمان الجالسة أمامها..

أبدت إيمان بعض الارتباك والاستغراب لها ولكنها مع ذلك
أبقت ابتسامتها المهذبة مرتسمة على وجهها وهي تعاود
الترحيب بعبير مرة أخرى تنتظرها أن تبدأ بفتح الموضوع
الذي أتت من أجله..

فبالرغم من علاقتهما الطيبة إلا أنهما نادرا ما يزورا بعضهما بدون سبب أو لأجل شرب القهوة معا لذلك عرفت أن هناك موضوعا وسببا لزيارتها..

ردت عبير الابتسامة لإيمان وهي تضع كوب قهوتها على الطاولة أمامها وتعبث بخاتم زواجها بخنصرها..

ازدردت إيمان ريقها ثم تنفست بعمق وهي تحاول المبادرة بالموضوع الذي أتت من أجله..

عبير ليست من النوع الذي ينقل كلاما أو تمننت عليه..

خاصة وأن احمد أكد عليهم مرارا وتكرارا وبصرامة ألا تعلم إيمان بموضوع هيام قبل أن يكون هو مستعدا لكل شيء وهو من سيخبرها بالموضوع بنفسه..

كما طلب منها إياد بإصرار ألا تتدخل بالموضوع وأمتها على ذلك..

لكن وبعد تفكير عميق لأيام طويلة وجدت بأنه لا حرج عليها أن تخبر إيمان بما دار من كلام بينهم مع زوجها..

خاصة إذا ما اقتصر ما ستخبرها عنه على محل الحاجة وكان في إخبارها أهلا للمساعدة في الحل..

لذا ستتقل لها كل ما حدث من وراء ظهرها ولا قصد لها من ذلك إلا تحذرها من شر.. لا للتسلية والفتنة..

فعلى ما يبدو أن موضوع هيام سيأخذ وقتا أكبر حتى يقتنع حماتها بالقدم مع احمد لخطبتها..

وربما تقدر إيمان خلال هذا الوقت أن تعدل احمد عن قراره..

كانت عبير شاردة عندما جفلت لنداء إيمان المتكرر وهي تسألها

((عبير عزيزتي الغداء جاهز وقد وضعتة على السفرة قبل قدومك.. أنا مصرة أن تشاركينا غداء اليوم خاصة وأن احمد صار لا يدخل البيت إلا بوقت متأخر من الليل وحتى أيام الإجازة.. لذا ليس هناك حرج صدقيني))

حاولت عبير إخفاء توترها عند ذكر احمد.. فتكلفت بابتسامة أخرى وهي تشكرها بامتنان رافضة

((لا إيما شكرا مجددا.. كما أخبرتك تناولنا أنا وإياد فطورنا بوقت متأخر كعادتنا أيام الإجازة.. هو الآن بالخارج مع طفلي وزوجك))

كانت عبير مضطربة جدا وهي لا تعرف أن تكمل ما جاءت من أجله أم تتراجع وتجد طريقة أفضل لمساعدة إيما..

بالحقيقة لم تتوقع الأمر بهذه الصعوبة وهي الآن لا تعرف من أين وكيف تبدأ بالكلام.. بدا التوتر واضح عليها جدا..

فعمدت إيما حاجبيها وهي تنظر لارتباك عبير بعبوس لتقول بصوت أجش يفيض تساؤلا وقلقا صادقا على ما تنوي التحدث به

((هل أمورك بخير أنت وإياد؟ هل حدثت مشاكل مؤخرا مع العمّة أم إياد؟))

ظنت إيما أنها تعرف بما يدور بداخل عبير..

فبدأت بالكلام بشكل جاد ناصحة إيما

((عبير.. مهما فعلت العمّة ستبقى هي أم احمد وإياد.. فقط كل ما عليك هو أن تحدي من وجودها في حياتك.. غيري سياستك معها تماما الآن وفورا وابدئي بالانسحاب بالتدريج من قربها وجلساتها المؤذية.. عندما تبدأ بالحديث وتسالك عن مواضيع الخاصة وقصص أهلك لك الحق أن تخبريها بأنك لا تحبي أن

تخوضي بمواضيعك وأنه ليس لك الحق بالحديث عن أي أحد
من وراء ظهره))

اللحظة ظهر جليا على عبير الحزن عليها من جهلها بما يدور
حولها..

فأرخت أهدابها محاولة أن تتحلى ببعض الجمود والقوة لتتكلم
أخيرا وتخبرها نافية

((لا يا إيما.. الأمر يتعلق بك.. هناك ما أريد أن أخبرك إياه عن
احمد))

حدقت إيما فيها وبعض الدهشة تخفف من انفعالها.. ودقات
قلبها تنزايد بشكل شديد..

لتقول ببطء حذر وبعض الريبة تلمع بعينيها

((احمد؟ ماذا؟ ما به؟))

رأت عبير أن تدخل بالموضوع بشكل مباشرة ومختصر بدون
مقدمات

((لقد التقى مؤخرا بحبيبته السابقة أيام الجامعة والتي فشل
بالزواج منها سابقا.. وقد أخبرنا بأنه ما يزال يحبها وكان يريد
أقناع والديه لمرافقته بالتقدم لخطبتها وهو ما زال حتى الآن
يحاول إقناع والده ليرافقه عند طلب يدها وبمجرد أن يوافق
سيتزوج منها))

فغرت إيما فاهها وفتحت عينيها على اتساعها وهي تهز رأسها
بضعف لا تصدق ما تسمع وهي تضع كلتا يديها على صدرها
تحاول استيعاب ما يقال أمامها..

بدأت تنظر لملاح عبير وتحاول أن ترى ما يدل على أن
كلامها ليس إلا مزحة وهي تشعر بأنها في عالم آخر وتحاول

أن تقنع نفسها أنها ليست إلا بكابوس مزعج لا تستطيع الاستيقاظ منه..

سألته عبير فورا بقلق وهي تتقدم من مكانها لتستقر بجانبها

((هل أنت بخير؟))

راقبتها عبير وهي تطبق فكيتها ثم تغمغم بجرح يلمع في عينيها
وبصوت خافت

((أنا اصغي لك.. أكملني))

كانت تريد إيمان أن تعرف تفاصيل أكثر عن الذي تقوله بينما
كانت عبير فزعة قليلا من الشحوب وانخفاف لون وجه إيمان
بالإضافة إلى خفوت وانخفاض صوتها..

لكنها تماسكت وهي تسألها بقوة ويجرأة

((أخبريني إيما عما يحدث مؤخرا بحياتكما أنت واحمد؟ هل
سبق وأخبرك بفتاة أحبها من قبل أو بعد زواجك منه؟ أو ربما
سمعتي من أحد أفراد عائلته؟))

عندما لم تجيب إيمان عليها وهي متسمة بالتحديق بها..

مرت لحظات قبل أن تسألها عبير مبهوتة

((هل يمكن.. هل يمكن أنك تزوجت منه وأنت تعلمين بأنه
يحب غيرك وعلى علاقة بها؟))

قاطعتها إيمان فورا نافية وهي تجحظ عيناها بفرع

((لا.. مستحيل))

ابتلعت ريقها وهي تحاول أن تهدأ وهي تقول بصوت مرتجف

((علمت أنه كان يريد خطبت فتاة أحبها فقط بعد أن تزوجته
بعدة سنوات.. عرفتُ أنها كانت ابنة ابن عم والدي وتُدعى
هيام.. شجرة عائلتنا كبيرة ومعقدة.. أنت تعرفين أنني عشت
أغلب أيام عمري بالولايات المتحدة الأمريكية مع عائلة أُمي..
لم أكن أتى لبلدنا إلا زيارات قصيرة.. بالكاد كنت أتحدث مع
والدي وإخوتي منه وأعرف أخبارهم.. فكيف لي أن أعرف
أخبار باقي العائلة.. أم احمد فقط أخبرتني بلحظة كيد انه كان
يحب فتاة غيري وحاول الزواج منها لكن لم ينجح الأمر..
فتزوجني بدلا عنها))

لم تستطع إيمان أن تمنع دموعها من الهطول على خديها وهي
تشعر بهذه اللحظة وأمام عبير بأن أنوثتها مدمرة.. لتقول بحرقه
قلب أنثى موجوعة

((بالبداية أخبرتني أنها من نفس قريتي ولها نفس أسم عائلتي
وبعد ذلك أخبرتني هويتها.. لكن صدقيني هي كانت تحاول
أخباري بذلك فقط لتكذبي.. كانت تخبرني إنها نادمة لأنه
زوجها ظلموا احمد وزوجه مني وحرموه من حبيبته))

ويتردد رفعت نظراتها المخزية لتنتظر لعبير من بين دموعها
المحجرة

((كما أخبرتني أيضا أنها تكون ابنة خالتك))

أنهت إيمان كلامها وهي تعض على شفتيها السفلى تكاد
تدميها..

ثم وضعت رأسها بين يديها تكمل بكائها رغما عنها..

بينما عبير كانت تشعر بالارتباك أكثر مما سبق.. فهي لم تكن
تنوي أبدا أن تخبرها بصلتها بهيام وكم ألمها نظرت إيمان لها..

هل تظن أنها يمكن أن تساعد هيام بالزواج من احمد فقط
لمجرد أنها ابنة خالتها وتدمر بيت امرأة أخرى لا ذنب لها؟

تتهددت عبير وهي ترفع رأسها بإجبار تواجه إيمان وعندما
علت شهقات بكائها ذهبت عبير للمطبخ لتأتي لها بكأس ماء
لتشربه لعلها تهدأ قليلا..

وبعد مرور بعض الوقت سألتها باهتمام

((احمد لا يعرف أبدا بعلمك بموضوع هيام صحيح؟))

قالت إيمان بعينين قاتمتين

((نعم أخبرته أنني اعلم بالأمر بدون أن اذكر اسمها أمامه..
واعترف لي بأنها فتاة أحبها سابقا وتم رفضه من قبل والدها
بدون أن يقول شيئا آخر وبدون أن يعرف أنني على علم بكل
التفاصيل.. ثم أغلقنا الموضوع ببساطة.. ربما أثر علي
موضوع هيام قليلا بالبداية لا أنكر.. لكنه لم يكن محور حياتنا
حيث أنه مر على الأمر عدة سنوات..))

شردت إيمان قليلا وشهقات متتابعة تخرج منها بينما تمسح
دموعها بمنديل..

لقد ظننت أنها تعيش مع احمد حياة يسودها التفاهم ويظلها
الأمان..

باستثناء الفترة الأخيرة.. لم يؤثر عليها موضوع أنه كان سابقا
حاول خطبة فتاة قبل الزواج منها مع أنه كان يرفض بإصرار
أن يتحدث عن الأمر..

بل ورفض بإصرار شديد وبدا متضايقا من ذكر الأمر
وغازب من فكر السؤال عن مشاعره تجاهها..

لا تنكر أنها تكدرت من فكرة أنه أحب فتاة غيرها كثيرا
واضطر إلى تركها مرغما بسبب رفض عائلتها.. ولكن الأمر
فعلا لم يؤثر على حياتهما..

أكملا حياتهما كما هما.. ليس وكان حياتها كانت معه قبل أن تعرف بهذه الحقيقة مليئة بالشغف أو ما شابه ذلك..

تتهدد إيمان وهي تقول بخفوت لعبير وبعينين مليئتان بالحقد

((عندما تقدم احمد لخطبتي وقبل أن يوافق والدي عليه.. سأل عن احمد أمام أخوته وأقاربه ولم يبدي أي أحد اعتراضا عليه بل كلهم أجمعوا أنه شاب مجتهد وسيكون له مستقبل ماهر.. تخيلي حتى والد هيام لم يقل حرفا لوالدي بشأن احمد وأنه تقدم عشر مرات لخطبة ابنته قبل أن يخطبني فجاءة))

سألته عيبر بفضول وبصوت هادئ

((كيف تقدم لك احمد بعد أن رفضه والد هيام؟ هل كان ينتقم منها بالزواج من قريبتها؟))

هزت إيمان كتفيها وهي تقول

((لا أدري.. أول مرة رأيته فيها كان عند قمة التل.. كان هو متواجد مع والديه بقريتي.. كان يفود وكاد أن يصطدم بسيارته الأتية من الناحية المقابلة بي.. حدث الأمر فجأة وبغير وضوح بحيث أنني لم ألاحظ ما جرى تماماً.. وكاد يغمى عليّ عندما رأيت سيارته تمر بسرعة وزمور يزعق وإطارات تصدر صراخاً.. لكن والديه هدئاني وأوصلاني لبيتي وحرصت والدته أن تأخذ رقم أبي وطلباني بعدها له بمدة قصير جدا.. أبي كان يريد بلهفة أن أتزوج من أهل بلده لأضل هنا ورأى أن احمد شاب مميز وله مستقبل))

صمتت قليلا وهي تفكر هل يمكن ورغم أن الحكاية قد صارت قديمة بين هيام واحمد بعد أن تزوج هو منها وأنجب عدنان وانشغلا كلاهما بحياتيهما.. أن يكون ما زال هناك بعض الحب الذي ما زال راقدا بينهما.. وكامنا في قلبه؟

تعاطفت عينا عبير لما تقوله إيمان وهي تربت على كتفها
وكأنه تحاول أن تمدها ببعض القوة والتماسك..

لكن إيمان عادت تبكي رغما عنها بصمت لتقول عبير بصوت
مضطرب

((لكن ماذا فعلتي بعد ذلك؟ تجاهلت وتخاذلت عن حل الأمر بل
وأكملت حياتك بشكل عادي.. دون أن..))

شعرت إيمان بقلبها ينغزها وهي تذكر بألم كيف كانت ذلك
اليوم تشعر في حيرة ولا تعرف كيف تفتح معه الموضوع
بهدهوء.. ودون عصبية كي تصل إلى الجواب الذي يطمئنها
ويريح قلبها بأنه نسي من أحبها.. من خشيتها من ماضيه.. أو
البحث عما يطمئن هواجسها ويبدد مخاوفها من تجدد الحب
القديم الراقد في قلب احمد..

قاطعتها إيمان هادرة

((وماذا كان بوسعي أن افعل؟ قبل أن اعرف يا عبير مشاعر
زوجي نحو حبيبته القديمة.. كان عليّ أن اسأل نفسي عن
الأسباب التي تدفني لفتح هذه السيرة وماذا امل من الخوض
في تفاصيل حبه القديم.. لقد حاولت سؤال نفسي لماذا قد أريد
معرفة المزيد عنها؟ لو كنت أريد ذلك لأتعرف على احمد أكثر
والتقرب منه من خلال فهم مشاعره فهذا أمر مفهوم وربما
مقبول أيضا.. أما إصدار أحكامي على علاقته مع هيام سابقا
ومناقشته في أسباب إخفاقها أو أن اجل اطلب منه وعدًا بعدم
التفكير بحبه القديم فساكون مخطئة.. لأن هذا ليس من حقي..
كنت أرى الموضوع حساس جدًا بالنسبة له ولا يحتمل السخرية
أو الفضول))

استرسلت كلامها قائلة مطرقة برأسها أرضا.. وحديثها يثير
عواطفها ويحفز ذاكرتها ويزيد من خفقان قلبها

((لم يكن أمامي إلا أن أنسى أو أتناسى الأمر برمته.. لأني بالنسبة له أمثل الحاضر والمستقبل وهذا أقصى ما تتمناه المرأة من زوجها.. لم أكن أريد أن أخوض في الماضي لأن النتيجة حتما لن تكون في صالحه.. أو على الأقل هذا ما كنت أظنه.. أنه يرفض الخوض في تفاصيل علاقته القديمة بسبب إحساسه بعدم وجود ما يستوجب الخوض بالموضوع بعد أن انتهى كل شيء بينه وبينها.. لكن يبدو انه كان يريد أن يوقف هذا النقاش ويجنب نفسه أسئلة سأطرحها بعد ذلك))

ماذا كانت تنتظر إيمان منه أن يقول كي يدخل الطمأنينة إلى قلبها؟

الواقع أنها لم تكن تنتظر منه شيئاً مطمئناً يقوله لها مهما قال فسيكون على الأغلب ليس من القلب ولا يعنيه بحذافيره..

وربما يقول لها في النهاية أي كلام تريد أن تسمعه في حين أن عينيه وصوته يوحيان العكس بعكس ما يقول..

بالنهاية هي لا تريد أن تدخل في منافسة مع الحبيبة الأولى..

هي لا تريد أن تصطاد بالماء العكر وكل ما أرادته أن تبني مستقبلاً سعيداً وهانئاً مع هذا الرجل الذي تزوجته ويربطها به رابط مقدس لا يحل بسهولة..

بدون الدخول في صراعات مع امرأة ليس لها وجود ملموس في حياتها..

ظننت أن بالعشرة الحسنة والمودة والرحمة تستطيع أن يجعله ينسى الماضي..

لكن يبدو أن لا شيء فعلته استطاع أن ينسيه إياها..

أو على الأقل لا شيء جعله يقرر أن يتناسى حتى لا يهدم أساس العائلة التي تعبت في إنشائها معه..

زفرت بضيق وهي تمسد الصداق الذي داهمها الآن..

لا تدري ما شعورها الآن.. هل تشعر ببرود ثلجي.. أم تشعر بانها تريد الانهيار باكية حتى يُغشى عليها؟

مهما تفاوتت ردة فعلها بالتأكيد ستشعر الآن ولو لوهلة بأنها طُعنَت من الخلف.. من قبل احمد..

مرت لحظات حتى التمعت عيني إيمان بالقوة والتحدي..
للتنصب واقفة فجاءة وهي تقبض على يديها بشدة تقول
بإصرار

((لا يا عبير.. لا لن أكون أنا تلك الأصلية المضحية المخلصة
وفي نفس الوقت المغدور بها.. لن أوافق أبدا على زواجه بها
أو على طلاقنا.. تزوجني من اجل مالي وكل مشاكله معها
سابقا كانت بسبب المال.. الحقير.. يريد أن يتزوجها بلا خجل
ويطلب دعم أهله بجرأة أيضا؟ وأنا التي وقفت بجانبه في البداية
بضيق حاله حتى وصل لمكانته الآن))

رفعت عبير نظرها لها هاتفة بتأني

((أنا أوافق كلامك.. ولكن يجب ومن الآن أن نتحدثي معه
وتطلبي منه تفسيراً.. اسأليه عما إذا كان ما زال يحب حبيبته
القديمة بدون أن تخبريه أنك على علم بما يخطط له وليجيبك
بكل صراحة.. إنها ابنة خالتي ولكن صدقيني أنا مصدومة
مثلك.. لا اعرف كيف التقيا من جديد ليدفع لطلب زواجه))

عادت إيمان تجلس بعنف على الأريكة وهي تنتهد بقوة وتهز
رأسها نفيا ببطء وشبح ابتسامة تعلو فمها وهي تقول

((إذن هو قال انه سيتزوجك أمامكم جميعاً.. وأمه ماذا قالت يا
عبير؟ وافقت على طلبه بسرعة؟ وربما هي من شجعته من
البداية.. صحيح؟))

هزت عبير رأسها إيجاباً.. ثم قالت بلامبالاة

((لم اصدق كيف قامت بتحريضه عليك وتشجيعك على ما ينتويه.. مشكلة والدته أنها لا تعلم أنه عندما يكرم ابنها زوجته فهذا يدل على أصالة معدنهم وحسن تربيتهم))

بدأت الدموع المتتالية تعود لتهطل من عيني إيمان لتتذكر قبل يوم زواجها بعدة أيام..

عندما طلبت إيمان تغيير ديكور معين بشقتها الزوجية فوافق احمد بدون نقاش رغم محاولة امه الاعتراض لتتذمر الأخيرة مصطنعة المزاح وكلامها ابعد ما يكون عن المزاح

((ابني أصبح زوج الست حتى قبل الزفاف.. يا هنائي به))

فما كان من زوجة والدها إلا أن تضع يديها على كتف والدة احمد مبتسمة لها بوقار وهي تقول بشكل مهذب وتحاول لتلطيف الجو

((عندما يكرم ابنك إيما هذا لا يعني أنها ستخطفه منك.. فقدرك راسخ.. احتضنيها وستكون بنت لك.. حبه لإيما لا يعني أبدا نقص في محبته لك))

وقتها خجلت حماتها مما سمعت من كلام مبطن يحمل رسالة لوم لها لترد بسرعة مؤكدة كلامها وهي توجه حديثها لإيمان ((بالتأكيد يا أم أسامة.. وأنت يا إيما فعلا مثل ابنتي التي لم ارزق بها))

فما كان وقتها من إيمان إلا أن تقول بصوت أجش متأثر مبتسمة وهي تهز رأسها إيجابا..

وأنهو حوارهم بضحكة مرحة اشتركن بها كلهن..

الآن عندما تذكر هذا الكلام تسخر من نفسها..

بعد دقائق..

أغلقت إيمان الباب وراء عبيير ثم عادت تجلس بشرود على الأريكة..

لا تدري فيما أخطأت بحياتها ليحدث لها كل هذا لها..

هل أخطأت بأنها وافقت على الزواج بأحمد بسرعة قبل أن تتعرف جيدا عليه؟

لقد كانت فتاة يافعة بالثامنة عشر من عمرها عندما أنهت مدرستها بالولايات المتحدة الأمريكية وقررت العيش مع والدها والعودة للوطن.. الوطن الذي كان لها غربة في سنين حياتها..

كان يؤلمها فراق والدتها وزوج والدتها..

ولكن ما كان يخفف عليها أنها لن تذهب إلا لمكان آخر فيه نفس الأمان والدفء الذي عاشته هناك..

وبحضن والدها وإخوتها لن تشعر باي فرق..

كانت تعرف أن والدها يرغب بتزويجها لأول شخص مناسب.. لكنها لم تحب هذه الفكرة بعمرها هذا..

لكن والدها أقنعها بانها وكونها مسلمة ففرصها اقل بالزواج من شخص مسلم ويتحمل المسؤولية بالغرب..

لن يكون هناك شيء أفضل لها من الارتباط بابن بلدها..

أخبرها أن عمر الزواج للفتيات هنا يختلف وهذا هو الحال الذي هم عليه..

لكنها بقيت لا تستسيغ فكرة الزواج التقليدي وكانت ترفض الجلوس مع الخطاب للتعرف..

حتى ساقها القدر بعد سنة لرؤية احمد الذي أعجبها من الوهلة الأولى لن تتكرر..

صدمتها والدته بطلب يدها له من والدها فوافقت سريعا خاصة بعد كل ما عرفته عن احمد واجتهاده ونضاله..

وقعت بحبه من كلامهم فقط..

بداية زواجها من احمد كانت فقط تنتظر سماع صوت مفتاح لتفتح الباب له وتراه وتشبع اشتياقها له فهو يخرج صباحا للعمل قبل خروجها هي للعمل.. ويعود بعد عودتها بساعات..

كانت تقبله قبل النوم وقبل الخروج على أمل أن يردها لها بإحدى المرات..

تعلمت الطهي فقط من أجله.. كانت تطهو بكل حبها لتري ابتسامته وهو يأكل طعامها بسعادة..

كانت تتزين وتهتم بنفسها ضعف اهتمامها قبل الزواج حتى تسمع كلمة "جميلة" منه.. حتى ترى انبهاره بها..

بذلت جهودها لتوفير مصروف المنزل حتى لا تثقل على كاهله..

حتى راتبها معظمه كان يُصرف على البيت حتى يستطيع هو أن يدخر راتبه ليفتح عيادته الخاصة..

لطالما تمننت أن يدعوها إلى الخارج لوجبة غداء أو عشاء أو بمناسبة ذكرى يوم زواجهما..

لم تكن تريد إلا أن يرد لها ما تقوم به ويشعرها بالحب.. لكن لم يفعل.. وهي دائما تعذره وتفضل أن توفر المال لما هو اهم..

ظننت أن مشكلته في بداية زواجهم مع كلمة "احبك" والكلام واللحظات الرومانسية غالبا ما يأتي من شعوره بعدم الطمأنينة من علاقتهما..

فربما هو لا يفصح عن مشاعره وحبها تجاهها لأنه يعتبر أن الوقت لم يحن لذلك فزواجهم تم بسرعة..

وإنما أنه لا يعلم كيف يعبر عن مشاعره بسبب عدم ارتباطه بذاته وعدم اتصاله بمشاعره..

فالرجال عادة لا يملكون عادة البوح بمشاعره وهذا ما يجعل اعترافهم بالحبّ أمراً صعباً نوعاً ما على عكس النساء أمثالها اللاتي دائماً ما يجدون سهولة في التعبير عما تشعرن به..

لذلك لم تقلق إيمان أبداً من عدم تلقيها اعترافاً مباشراً بالحبّ منه..

فهذا لا يعني أنّ علاقتها فاشلة وإنّما أن عليها أن تقطع شوطاً كبيراً نحو جعله يعترف بحقيقة مشاعره..

وبالنهاية لم تجد أي بدا لخلق جوّاً من التوتر بينهم يؤدي إلى خلافات ومشاكل أكبر..

بل اقتنعت أن التعبير عن الحب يكون من خلال كل ما يقوم به من أجلها واجل عدنان..

بالنهاية الرجولة أفعال وليست أقوال..

لطالما شهدت معظم قصص الحب المليئة بالأشعار والأغاني والكلام العسول.. وعند أول محنة ومشكلة تظهر بأنها علاقة هشّة وغير صحيحة الأساس..

ركزت على أفعاله وتعامله معه.. كان يعاملها باحترام شديد.. ولا يجبرها على شيء لا تريده.. ويبذل جهده لان تعيش هي وعدنان حياة أفضل.. وهذا بنظرها كان أفضل حب..

لكن الآن صدمتها لا تصدق عندما علمت من عبير انه ينوي الزواج من هيام.. حبيبته القديمة..

والمشكلة انه اتخذ قراره من دون حتى أن يعود إليها أو يناقشها بالأمر.. أو حتى يخبرها.. كأنه قراره يخصه لوحده ولن يؤثر عليها وعلى ابنها..

لم تجد تصرفه هذا وخاصة أنه قد قررته منذ وقت إلا تصرفا يدل على جبنه ومدعاة للرجولة..

حتى ولو لم يتزوجها وهذا ما تظنه.. إلا أنه حاول تضليلها وجرحها جرح عميق تشك أن تستطيع أن تشفى منه..

هي الآن تشعر بقهر شديد هو السبب فيه.. هو زوجها.. احمد الذي أحبته ودعمته.. ساندته وكست سنين من عمرها وحياتها وقلبها وحُبها في خدمته وراحته..

انزلقت دموع صامته على خديّ إيمان وهي تتذكر تلك الليلة منذ أشهر والتي كانت سبب تغيير احمد عليها بشكل كامل..

يبدو أنه رأى بنهاره هيام صدفة لأول مرة منذ سنوات..

بتلك الليلة.. كان الوقت متأخرا لما بعد منتصف الليل..

كادت تموت وقتها من فرط القلق عليه فقد سألت سكرتيرته ووالدته وأخيه وكل شخص يحتمل أن يكون عنده في هذا الوقت ولكن لا فائدة..

لم يعرف أحد.. لم تصر كثير على الاتصال بهم وسؤالهم عنه.. ولم تطلب من أي أحد أن يبحث عنه أو يسأل خشية من أن تفلتهم بلا داعي..

حتى جفلت فجاءة بفتح باب الشقة..

همست باسمه عقب أن هرولت تجاهه.. وما إن رأته يدخل البيت ببرود ويستلقي على إحدى الأرائك حتى كتفت ذراعيها وهي تعقد حاجبيها وتهتف له بما يشبه الصريخ

((أين أنت يا دكتور؟ لماذا لم ترد على اتصالاتي أو تخبر أحد
عن مكانك ما دمت ستتأخر إلى هذا الحد؟))

بدا وكأنه لا يمتلك صبرا ولا يعرف معنى هذه الكلمة ليقول
بصوت محذر

((اصمتي.. صوتك عالي هل تريدني أن يسمح الحي بأكمله
حديثنا))

لكنها تابعت كلامها بغضب وهي تقترب منه وترفع درجة
صوتها أكثر

((لا لن اصمت.. لم يسبق لك من قبل وأن تأخرت.. أين كنت؟
منذ متى أصبحت غير مسؤول يا احمد! هل تظن لأنك رجل
يمكنك أن تسهر الليالي بالخارج وبدون إعطائنا أي علم مسبقا؟
هل نسيت أنك متزوج؟))

وقف مكانه وهو يشعر بغضب شديد فهي آخر من يريد رؤيته
الآن..

بدون أن يشعر دفعها بشكل قوي وبغضب عنه لتراجع عدة
خطوات قبل أن تقع على الكرسي خلفها ومن ثم على الأرض
على يدها..

صدم بذهول لما فعله من غير قصد منه.. بينما صدرت منها
شهقة ألم لتتظر له بغضب وحقد ودموع تتجمع بعينيها..

وبدون سابق إنذار وبنفس اللحظة نهضت من الأرض وخرجت
من الشقة لتصعد الدرج للشقة التي فوقهم الخاصة بإياد وعبير..

فهي تعلم أن إياد الليلة مناوب بالمشفى ولا ينام بالبيت..

كانت تصعد الدرج بسرعة غير عابئة لهمسات احمد الذي
أمرها بالنزول تجنباً للفضائح..

لكنها تجاهلت كلامه وتصرفت بمنتهى الغباء وهي تطرق باب شقة عبيير التي فتحت مفروعة لها وهي تحمل ابنتها الصغيرة خوفا من وجود خطبا ما..

لكنها أخبرتها أنها تريد النوم عندها وحسب..

وكانت بمنتهى الخجل من فعلتها أمام عبيير وكم تمننت لو عادت للنزول لمنزلها..

تصرفها كان تصرفا غيبيا وشاننا بشكل كبير ولا تعتب على احمد غضبها منها حتى بعد أن ترجمته وصالحته..

ولكن الغير مألوف انه حتى بعدما قبل اعتذارها وانتهى سوء فهمها كانت تشعر به بعيدا وبشكل كبير عنها..

لم تصدق كيف أن موقفا واحدا كهذا يمكن أن ينهي كل المشاعر بينهما.. لكنها الآن باتت متأكدة من كونه كان نفس اليوم الذي رأى فيه هيام.. وربما تحدث وبقي معها لوقت متأخر من الليل لهذا تأخر..

عادت بعقلها للحاضر.. الآن هي بحاجة لمواجهته.. بدون أن تنتظر ثانية أخرى..

هي بحاجة إلى البحث عن الإجابات الصادقة منه بل ومضاعفة الأسئلة..

=====
=====

نظر احمد لشقيقه إياد الذي بادلته نظرات وهو يحمل ابنته الصغير بأحضانة.. ليقول مبتسما بينما يقرص خد الصغيرة

((ما شاء الله.. لقد كبرت الأميرة الصغيرة التي تمتلك نفس عينا عمها الزرقاوين.. لطالما كان لون عينا عمها موضع حسد أبيها))

ظهرت التقطبية على وجه إياد وهو يقول برخامة وتجهم

((بل هي تشبه والدها تماما حتى بالرغم من اختلاف لون
العيون.. ثم ولم قد يغار والدها من شقيقها وهو الأوسم منه؟))

مدت الصغيرة لسانها لأحمد ليضحك كلاهما على براءتها..

ثم أكملوا طريقهم وصولاً لإحدى المطاعم بقرب الحديقة التي
كانت تلعب فيها الصغيرة وهما يراقبانها..

كان اليوم دافئا بشكل استثنائي بهذا الشهر الممطر البارد
والأخير قيل أن يدخل على أعتاب سنة جديدة..

جلسوا جميعا على احدى الطاولات وطلبنا بعض المشروبات
والوجبات خفيفة وما إن حضر الطعام حتى هموا بالأكل وهم
يلعبان الصغيرة..

مر وقت عليهما والصمت بينهما قبل أن ينظر إياد لأحمد
للحظة قبل أن يقول بصوت هادئ

((هل هناك أي جديد بموضوع صديقتك أيام الجامعة؟ ربما لم
أود التدخل بالسابق بالموضوع ولكن أنا فعلا مهتم بحالك يا
أخي))

شرد احمد قليلا قبل أن يقول متنهدا وبشكل قاطع لا تراجع أو
تشكيك فيه

((إذا كنت تريد التحدث معي لتقنعني بالتخلي عن قراري فلا
تحاول.. لأنني لم اعد ابن الرابعة والعشرين ومهما تعرضت
للضغط من جميع أفراد عائلتي فلن أتخلي عن أحبها مرة
أخرى.. وكما تعلم أنا لم اكفر.. أريد الزواج فقط.. أريد
الحلال.. ولن أظلم أحد))

أطلق إياد تنهيدة هو الآخر بينما يطلق بصره بالتحديق بالطريق
أمامه عبر النافذة الشفافية

((في الواقع أن أمر زواجك لا أحد يستطيع الاعتراض عليه وهو حقا.. لكن زوجتك بشهادتك زوجة جيدة لكذلك فقط تفتقد الصداقة معها وهو أمر طبيعي لأنك لا تحبها فعقلك وقلبك وكل جوارحك مع الأخرى.. فأنت تغلق قلبك على حبها ولم تحاول أن تصادقها أنت وإنما اكتفيت بأداء دور الزوج التقليدي..))

وضع احمد زجاجة العصير باقتضاب على الطاولة هادرا

((من الواضح أن عبير من تؤثر عليك بل وتأمرك بردي وتغيير أفكاره وكأني زوجها هي لا أم عدنان.. أخي أنا لست مثلك ولا أخضع لأحد خاصة لامرأة.. زواجي له أسبابه.. حتى العلاقة الحميمة بيني وبين زوجتي لا تسير على ما يرام ومن أشهر لم يحدث شيء بيننا وكل منا ينام بعيدا.. حتى ولو كنا ننام بنفس الحجرة وعلى نفس السرير..))

قال احمد آخر جملة بخفوت وخيبة أمل من نفسه لاضطراره أن يتحدث بموضوع خصوصي مثل هذا..

تتحنن إياك وهو يشير لأخيه بعينه لطفته بينما يقول له معاتبا

((أشبه الرجال فقط يا احمد من يفشون أسرارهم الزوجية أمام أحد.. بغض النظر كانت صحيحة أو كاذبة ومجرد حجة))

فهز احمد رأسه موافقا والخزي يتسلل لوجهه..

هو فقد كان يحاول الدفاع عن قراره باستماتة حد أنه أحيانا يتكلم بأمور لا يقصدها أو بدون أن ينتبه على نفسه.. فسمع شقيقه يردف

((لكن سأعطيك نصيحة.. وهذا كلامي أنا لا عبير.. إن الإنسان دائما ما يتبع الشيء حتى يدركه ويمله فيبحث عن شيء آخر.. هذا طبيعه.. فصدقني لو كنت تزوجت من تلك الدكتورة الجامعية من البداية.. لوجدت بها ما لن يعجبك وبحثت عن الأخرى وهكذا فالنساء كالسراب.. وفي هذه الدنيا مستحيل أن

تكتفي لدا عود نفسك عن القناعة وان تقنع بقدرك.. وأيضاً المقارنات بحكم عملك ومكانتك والناس حولك سيجعلونك تعتقد أنك أخذت اقل مما تستحق لكن كل شيء مكتوب))

لم يرد احمد على كلامه.. ليقول ببرود وهو يستند بظهره للكرسي ويعقد ذراعيه أمام صدره بترaxي

((إياد أنا الآن لا احتاج منك شيء.. بعد أن اخطب من أحبها قد احتاجك أنت وعبير لإقناع زوجتي بحالة ثارت علي.. هنا فقط سأتمنى أن تتفننوا بابتكار أساليب الإقناع كما تحاولون معي الآن))

هز إياد رأسه له هازناً

((إذن أنت قررت الزواج بتلك الصديقة وأيقظت في نفسك لهيب الحب والأشواق وقررت أن تجدد عواطفك معها وانتهى الأمر.. حسناً أنا معك.. لكن وعلى ما يبدو أنت الآن تفكر في الطريقة التي تقنع بها زوجتك بل وتطلبها منا.. بالنسبة لي ليس لدي طريقة لأنني لست أنت ولست زوجتك.. فزوجتك أنت أعلم بها وتعرف كيف تقنعها.. رغم أنه من كلامك فهي ربما تتور وترفض رفضاً تاماً بل وقد تطلب الطلاق إن أنت أصررت على موقفك المتعنت.. في هذه الحالة ستكون ربحت حبك وأرضيت قلبك وخسرت زوجتك وظلمت طفلك الذي يحتاج إليك كما يحتاج إلى أمه لينشأ نشأة سوية بعيداً عن الأمراض والعقد النفسية.. لا بد أن تعرف أن الثمن لن يكون هيناً لأن الزواج الثاني يحقق مصلحتك وحدك بشكل فردي لكنه لن يحقق لزوجتك أي مصلحة أو منفعة فكيف إذن يمكنك إقناعها؟))

كان ينظر احمد لإياد بملامح مبهمة طوال فترة حديثه.. فتابع إياد الحديث بهدوء مقتضب

((لا تنتظر لي هذه النظرات يا احمد.. كم أكره عندما تنتظر لي هكذا.. أنا لست مخطناً بكلامي.. فعجبا لك يا أخي.. تحبها ولم

تحارب لأجلها وتزوجت غيرها.. وبينما زوجتك نائمة وتظن أنها اسعدت زوجة تتبادل مع الأخرى الرسائل باستمرار.. تركتها سابقا ولا يوجد علاقة بينكما.. فلا يجوز لك مراسلتها والتواصل معها.. عش حياتك مع أم عدنان فما ذنبها أن تعيش مع رجل جل تفكيره في أخرى.. أنتما متزوجان منذ سبع سنوات.. ألم يحن الوقت لتفكرا بإنجاب طفل آخر؟))

تنفس احمد بعمق وهو يمسح وجهه بكفيه.. ثم يقول بعدها مبررا

((من يدري ربما كان فراقنا لسبب فيه خير لنا.. حتى اعلم قيمتها جيدا وماذا تعني لي بحياتي عندما أعود لها ولا أفرط بها مجددا.. فالعشق والحب يأتي مره واحده.. والمحب من المستحيل أن يفتن بغير من أحبها))

بعد أقل من ساعة عادا كليهما لشقته بنفس العمارة حيث الطابق الأول لأحمد والطابق الثاني لإياد..

وقريب من المنزل الذي يسكن والديهما فيه..

أغلق احمد باب شقته وراهه بعدما دلف للداخل.. وكعادته منذ فترة وبدون أن يلقي حتى التحية على زوجته وابنه دخل غرفته فورا واغلق الباب وراهه بإحكام..

فتح محفظته بابتسامة ظفر وانتصار وهو يخرج صورتها تلك التي خطفت قلبه ولا تفارق فكره..

لا يعتبر أخذ صورتها الشخصية بذلك اليوم عندما رآها بالمول التجاري خاطئ أو سرقة.. هو لم يسرقها لأن هذه الصورة من حقه.. ملكه هو..

لمعت عينيه ببريق شوق ولهفة وهو ينظر للصورة بإمعان..

قبل أن يفتح أحد أدراجة يخبئ صورتها بين الأوراق جيدا وكأنه وقع أخيرا على كنزهِ الضال وسيحميه بكل جهده..

ثم اغلق الدرج بمفتاحه المعلق بعلاقة مفاتيحه التي لا تفارقه..

يتصرف مع صورتها منذ امتلاكها بكل الاهتمام.. يصير نفسه به
ريثما يحين موعد حصوله عن صاحبيتها.. هيام قلبه..

بعد ساعة..

كانت إيمان تجلس على أريكة الصالة بوجه شاحب شاردة تفكر
وقد تجلت بعض أعراض الصدمة العاطفية عليها بل وربما
كلها وهي تنتظر خروج احمد من الحجرة لتتحدث معه..

رباه.. تشعر بالغضب والتهيج كلما تتذكر عندما زفت لها عبير
نية زواج احمد الدنيا تدور بها والشعور بالغرر والخيانة يلفها..

هي غارقة بحزن عميق وبأس فظيع بينما تنهاوى أمام عينيها
سنين حياتها الضائعة معه..

هي لا تشعر باي ذنب ولا تلقي اللائمة على نفسها..

حتى ولو كانت قد قصرت معه بالفترة الأخيرة.. لكنه ليس دافع
له للتفكير بالزواج؟

هو بالأساس لم يكن سيفكر بالزواج لولا عودة هيام لحياته.. هو
يريد أن يتزوج من هيام بالذات.. لا رغبة بالزواج.. وهناك
اختلاف بين الأمرين..

بمجرد خروجها ستتحدث معه بهدوء.. لن تنتظر أكثر وتعيش
أياما القلق والخوف..

عندما سمعت الباب يفتح وجدت احمد الخارج منها بعد أن بدل
ملابسه بمنامة مريحة يأمرها بخشونة بدون أي تحية أو مقدمة
وبدون أن ينظر لها وكأنه لا يريد أن يتعامل معها أبدا

((ضعي الغداء بسرعة أكاد أتضور جوعا))

للعجب أنها لم تستطع هي أيضا النظر إليه وهي تجيبه بصوت
متذبذب يوحي له بشكل واضح بوجود خطب ما بها

((سأسخن الغداء واضعه على المائدة انتظر خمس دقائق..))

اغتسل احمد وذهب للمطبخ ليجدها قد جهزت المائدة..

ناولته كوبا من الماء بعدما جلس ليلتقط منها الكوب ولم تنل منه
سوى نظرة مظلمة.. أخفضت إيمان نظرها أمامه بحقد..
الحقير!

هي من يحق لها الغضب والحقد لا هو الذي يريد أن يتزوج
فهو من حطم قلبها ويخونها بالتفكير بغيرها وربما وصل
بخيانتته لأمر أخرى..

خدعها بكل وقاحة وفضل عليها امرأة أخرى ومع ذلك يتناول
طعامها بلا أي ضمير أو إحساس بالذنب..

متأكدة هي حتى ولو مر على زواجهما سنين فلن تكون قادرة
على تجاهل أمر أنه كان ينوي أن يتزوج أمام الكل وهي آخر
من يعلم لتظهر بمظهر المغفلة أمامهم..

لم تستطع أن تبدأ الكلام معه أثناء أكله فوقفت لتبتعد عنه وهي
تغلق جفניה وتأخذ نفسا عميقا قبل أن تشهق بمرارة وحقد..

اندفعت إلى الحمام تغرق ببؤسها تحت شلال من المياه الباردة
لعلها تخدم حريق قلبها..

لا تريد أن يشهد أحد على ضعفها وحننها لذا لا مجال لها إلا
أن تترك لعيونها العنان والغرق بالدموع والأسى إلا هنا..

كانت المياه تغمرها فيغرق شعرها الأسود متوسط الطول
لينسدل كستارة كثيفة أمام عينيها..

شعرت بأنها حائرة.. خائفة.. بأنها في صحراء مجهولة وحيدة..
لقد خذلها شخص من المفترض أن يكون أقرب الناس إليها..

خرجت بعد ساعة من الحمام ترتدي مآرزاها وقد رأت أنها
استرخت وهي جاهز للمواجهة الآن مع احمد..

دلفت لغرفتها واستدارت بظهرها للباب قبل تعود للاتكاء عليه
وتهبط للأسفل بضعف تضم ساقها إليها وتبكي بعنف مهما
حاولت أن تكتم بكاءها وقد زال تأثير الاسترخاء المؤقت عليها
سريعا..

كان الحقد والكره يتصاعدان بداخلها تجاه احمد وأفكارها
السوداء تسيطر على حزنها وتلجمه..

وقفت نفسها على ضعفها.. عليها أن تتحلى بقوة أكبر فبعد
لحظات هناك مواجهة بانتظارها..

نسجت بعض الخطط وألفت سيناريوهات عديدة ستحدث الآن
بينهما عندما تواجهه..

خرجت من غرفتها ورأته يجلس بالصالة يشاهد التلفاز..

الآن هما وحدهما بالبيت فقد طلبت بعد مغادرة عبير من زوجة
والدها أن تبعث احدى إخوتها ليصطحب عدنان معه ليَقضي
نهاية الأسبوع عندهم..

بالتأكيد احمد لم يستغرب غياب ابنه أبدا.. فتفكيره مشغول
بأخرى..

ذاتاً هو لم يهتم بأمره يوماً.. يظن النقود كل شيء وستغني عن
دوره في حياة ولده..

حاولت إيمان أن تمحي أي انفعال على ملامحه بينما تجلس
بارتباك بجانبه تهدر بابتسامة متكلفة

((عدنان ليس هنا.. جاء خاله أسامة ليأخذه لبيت عند جديه))

همهم قيل أن ينظر بجمود لها هاتفًا

((نعم.. بالتأكيد يمكنه الذهاب متى شاء لبيت جده.. والد امه..

أما والدة أباه فلا حق لها فيه.. كم من مرة طلبت منك أن

تزوريها برفقته وأنت ترفضين متحججة بدراسته))

أسبلت إيمان جفناها وهي تحاول تماسك أعصابها ولا تريد

افتعال المزيد من المشاكل من لا شيء.. فردت بعد لحظات

بهدوء

((كنت ارفض عندما تطلبه أيام دوامه بالمدرسة.. أما الآن

فنحن في نهاية الأسبوع... ولو كانت أمك تحترمني ولا تريد

خلق مشاكل من العدم معي.. لما كنت قصرت معها.. هي سبب

ما آلت إليه بعلاقتنا))

صُدم بداية لا يعرف كيف يرد على إهانتها لوالدته..

نعم أهانتها وهي تتحدث عنها بدون أي مراعاة كوالدة زوجها

أو حتى لسنها الكبير..

ارتعدت ملامحه بغضب ليصرخ عليها كما لم يفعل قبلا وهو

يرفع سبابته بتحذير

((إيما اصمتي.. لقد تماديت كثيرا وأنا لا اسمح لك بالحديث عن

والدتي بهذا الشكل.. لن أتساهل بأي كلمة بحق أمي.. مفهوم؟))

كان يعرف أنه غاضب قبل وصوله للبيت فحديث إياد معه عن

زواجه أثار جنونه..

بينما انتفض جسد إيما على إثر صراخه.. لكنها تسمرت في

مكانها.. تبا له..

كل ما يفعله معها يسميه تساهل؟ يخبرها بذنبها بحق والدته..

ولا يكلف نفسه بالتحدث مع والدتها لتكف شرها عن زوجته..

زوجته والتي يصادف أن كرامتها من كرامته..

كانت تريد أن تخبره أنها أيضا لا تسمح لاحد بان يلقي عليها الأوامر أو يقلل من احترامها أو يؤنبها كطفلة مذنبه..

هي لم تتزوجه من المقام الأول لتسمح له بان يعنفها بهذا الشكل..

الآن لا قدرة لديها لاحتمال المزيد منه خاصة وقد عرفت سر غضبه..

لم يكن بسبب خروجها لبيت عبير بتلك الليلة.. بل بسبب أخرى فضلاها عليها وعلى ابنها..

لكنها تجاهلت كلامه وهي تزفر بهدوء وتعيد رأسها للخلف وتحاول تمالك أعصابها..

لا تريد صرف ذهنها عن الموضوع الأساسي مره أخرى..

حملت على حالها لتخفي أي تعابير ملفتة من على محياها وهي تسأله بهدوء بعد دقيقة

((كيف حالك يا احمد؟))

نظر لها باقتضاب.. ما بها تسأله عن حاله الآن فجأة بوسط مناقشتها المحتدة؟

لكنها بقيت هادئة وهي تردف

((ما بك مستغرب! أراك كل يوم ولكن نحن لا نتحدث بشكل مقارب مع بعضنا من مدة طويلة.. اشعر أنى لم اتحدث بخصوصية معك منذ سنين))

سحبت ساقها لتضعهما فوق ساقيه بحميمية.. ليلتفت إليها هاتفا
بامتعاض

((إلى ماذا تريدان أن تصلي؟ هل حدث شيء ما؟))

وضعت أناملها تتلمس بها جانب وجهه تحديق به بعمق.. وهي
تحاول أن تنسى ما سمعته اليوم من عبير..

خلال ثانية وفجأة تغير ما تنوي الحديث به.. هل ربما عليها
ألا تتحدث بالأمر؟

شيء بداخلها يقول من المستحيل أن يتزوج هيام حتى ولو كان
يريد ذلك.. والدليل هو تردده طوال هذه المدة..

وما دام لم يعترف لها بأنه ينوي الزواج.. فلا بد انه لم يتخذ
الأمر بكل جديه كما بالغت لها عبير..

لذا هل يمكن أن تكون عدم مواجهته الآن هو الأفضل لها؟ فهي
لا تريد أن تهدم بيتها.. ولن تتبعد عن الواقعية في طلبها..

فالأشهر الماضية كان يسودها شحنة مليئة بالتوتر والتباعد
بينهما.. وربما هذا وعلى الأغلب السبب بكون مشاعره
انجرفت بشكل أكبر نحو هيام وحنين للماضي..

لذا لا يجب أن تسمح لنزوة أو زلة قديم كهذه أن تدمر منزلها..

هي الامراة وهي المسؤولة عن الحفاظ على بيتها.. يجب أن
تتعامل معه بمحبة وحنان كي يشعر بحبها واهتمامها الذي
يعوضه عن كل إخفاقات الماضي..

يجب أن يعرف أنها دائما إلى جانبه لتخطي كل الأزمات..
وحتى العاطفية منها.. ما بينهم أكثر بكثير من حبه القديم..

ما بينهما عشرة وابن كليل أن يوطد علاقتها به أكثر.. يل يجعل
ما بينهم من المستحيل أن ينتهي..

فهمت له بلطف

((لقد جلس أسامة قليلا عندي وطلب مني أن أوصل سلامه لك.. لم تزر عائلتي منذ زمن.. لم لست مقربا من والدي أو أحد إخوتي؟))

بقي احمد يتطلع لها بهدوء ثم دار وجهه يعيد النظر للتلفاز وقد اختفى انتباهه لما تقول.. لكنه مهم لها

((اقصري الشر وتوقفي عن الحديث إذا كنت تقصدين أني متعالي على عائلتك..))

زفرت بضيق وهي توضح كلامها مقاطعة

((أنا لم اقل ذلك ولم اقصده.. لا أدري كيف فكرت هكذا إلا لو كنت فعلا تشعر بأنك تتحدث بتعال مع عائلتي.. كأنك أنسان درجة أول.. وكل من لا يملك لقب طبيب كمسمى وظيفي فهو إنسان درجة ثانية..))

زفر احمد بقوة قبل أن يقول بصوت عالي وهو يبعد ساقياها الموضوعين فوق ساقيه

((كل مرة أحاول أن اتحدث معك مثل البشر.. ولكن ليس هناك امل لك أن تعدل وتتوقفي أن بخ سمك بين كلماتك.. أن لم تعد الحياة تطاق مع شريك لا يستطيع التواصل معك أو مع اهلك يمكنك الطلاق والتزوج من آخر مناسب لك..))

عقدت حاجبيه بصدمه من ردة فعله.. مجنون.. هو جن بالفعل..

تصرفاته هذه كله من أجل حبيبته؟

لكنها تحكمت بنفسها وهي تعاود وضع ساقياها فوق ساقيه وتلمس وجهه بإغراء هامسة

((احمد أرجوك لا تغضب.. لم تتحدث معي بهذه الطريقة؟))

أغمض عينيه وهو يأخذ نفسها ليقول بهدوء

((اعتذر.. إذن ماذا تحدثت أنت وأسامة أيضا؟))

أجابته قائلة وهي تتحدث بطريقة مفضوحة القصد

((لا شيء مهم.. كنا نستعيد بعض الذكريات.. كان يتحدث عن تجربة قديمة له.. كان واقع بالحب مع فتاة كانت تسكن بجوار بيتنا.. حاول خطبتها لكنه وجد الرفض من الجميع لصغر سنه.. فهو لم ينهي دراسته حتى.. بالنهاية انفصلا الاثنان وهي تزوجت من غيره بالرغم من تعلقهما ببعضها..))

استطاعت أن تلمح تغير احدى عضلات وجهه بالرغم من انه كان لا يريد أن يظهر أي تعبير لما يسمعه منها..

حسنا لتكمل.. لقد نجحت بجذب انتباهه.. وتوتره الذي يحاول إخفاؤه خير دليل..

عليها فقط أن تكون محددة في طرح الموضوع..

تريد أن ترى مدى قبول هذا الموضوع على احمد..

لحظات وسألته بلطف وقد بدت جدية في السؤال بدون أن تبدي أي استهزاء.. أو مزاح.. أو حتى ابتسامة

((وماذا عنك؟ أنت كنتن بالسابق تحب فتاة ما.. هل كان الأمر سهلاً بالنسبة لك تركها؟ وهل تشعر بالحنين إلى الماضي؟))

عقد احمد حاجبيه بصدمة وهو يلتفت جانبا لينظر لها..

قلص عينيه وقد شك أنها علمت بالأمر بالرغم من تحليها بالهدوء وهي تتحدث معه..

هل يمكن أن أحد من عائلته أخبره بشيء؟ تشوش عليه الأمر لذا سألها بنبرة قوية

((عن ماذا تحدثين؟ تكلمي بصراحة وبمباشرة))

ظهرت رجفة بصوتها وهي تقول

((ما بك! لماذا غضبت لهذه الدرجة.. كنت اتحدث عن الماضي.. تحدث.. لا يحق لي أن أحاسبك لأنك أحببت بالماضي.. لم يسبق وأن أخبرتك قبلا.. لكن عندما كنت عند أُمي بالولايات دخلت بعلاقة حب.. كنت صغيرة.. وكان لي الكثير من الأصدقاء.. وأيضا..))

توقفت عن الحديث.. فهل حاولت أن تكحلها لتعميها؟

حاولت أن تواري الأمر بسرعة وهي تقول بسخرية

((ما بك تنتظر لي هكذا.. اشعر كأنك تريد أن تقتلني وتدفعني بمكاني.. كلها علاقات أصبحت من الماضي.. كنت مراة وبريئة ولكن كنت اعرف حدودي بالرغم من عيشي بمجتمع منحرف لدرجة مخيفة..))

تابع النظر لها بشكل أثار الخوف فيها فأردفت وهي تجاهد نفسها ألا تبكي

((احمد أرجوك توقف عن التحديق بي هكذا.. أنا لست فتاة فاسدة.. لقد عشت معي سبع سنين.. هل حاولت مرة أن أسئ لأسمك؟))

صرخ بها وهو يمسك كتفها بقسوة ويحفر أنامله بها

((وهل كنت سأقبل على نفسي الزواج من فتاة غير عفيفة أو حتى أبقيك على ذمتي لو حاولت حتى فعل مالا يناسب ديننا أو تقاليدنا.. لكن حديثك الآن يبين أنك تفقدين جزء من عقلك مع تقدمك بالعمر.. هل هذا كلام امرأة عاقلة وواعية تتحدث به لزوجها؟ هل تريني ديوثا لدرجة أن أتسامر معك ونتحدث عن مغامراتك وعلاقتك الغرامية السابقة؟))

وبينما كانت الدموع تتحجر بعيني إيمان كانت تود الصراخ به..

وهل الطبيعي أن تعرف هي أنه ما زال على تواصل مع حبيبته
القديمية وتبقى هادئة وطبيعية ويبقى عليها التعامل مع الأمر
بحكمة؟

سمعته يكمل صراخه بها

((والدك أخطأ خطأ عظيما بتركك مع والدتك.. كيف يأمن
بترك ابنته الوحيدة لوحدها مع أمها ببلد غربي وبين أناس
بعيدين كل البعد عن الدين والتقاليد.. ثم يسارع بتزويجها
بسرعة عند عودتها للبلاد لأي شخص ليستر على ابنته ويدفعها
للبقاء هنا))

هنا كان الحد الفاصل لتحملها.. يُخونها ويتحدث بفتاة لا يربطه
بها أي شيء والآن يشكك بها وبطريقة دنيئة جدا..

فصرخت بأعلى صوتها وهي تبعد أنامله عنها ودموعها تتساقط
من عينيها بلا قدرة على كبحها أكثر

((احمد توقف.. لا اسمح لك.. أنت تسيء لي ولأخلاق
ولوالدتي.. هل ترمي أو تتهمني بشيء من بعيد أو قريب؟ إذا
استمررت بكلامك سأذهب حالا لأبي ولن أعود لك.. لقد
تخطيت حدودك..))

ثم انكشيت على نفسها وهي تبكي بضعف وتغطي بكفيها
وجهها..

راقبها احمد وهو مستمر يقف بمكانه وقد ندم لتجاوز حدوده
وهو لا يصدق ما قاله.. فعلا تجاوز حدوده بشكل كبير..

هذه الأيام لا يدري ما به يغضب من أنفه الأسباب ولا يستطيع
التواصل مع زوجته فتفكيره منشغل طوال الوقت مع هيام..

لا يستطيع التفكير بشيء غيرها وهو ينتظر موافقة والديه
لخطبتها له..

إذا لم يحل الأمر سريعا سيخسر راحته وراحة أسرته..

لا ينكر أن إيمان وقفت معه وكافحا سويا فتحملها وتحملته بكل
ما في الحياة..

انعم الله عليهما بعد عدة سنوات من الصبر والعيش ببيت صغير
مجاور لبيت والديه بهذه الشقة الكبيرة نسبيا وقد أثنت الشقة
على ذوقها وكما أرادت..

وبنفس السنة تزوج شقيقه الأكبر وسكن بشقة عمّرها فوق
شقيقه..

حياتهما كانت جيدة كوان مرتاح.. لا ينكر!

رغم وجود مشاكل خفيفة بينهما وبعض سوء التفاهم البسيط
الذي كان يحدث أحيانا.. صبرت معه كثيرا..

ولكن هو أيضا دللها ووفر لها معيشة مريحة ولم يقصر من أي
جهة.. رغم ظروف حياته البسيطة ببداية الزواج..

دائما ما كانت ترفض مساعدة والدها حتى لا تشعره بأنه مقصر
بحقها..

وهو أيضا يقسم انه فضلها وفضل ابنه على نفسه..

كان يشعر بالكثير من الأحيان بها وبدون أن تتكلم ويحضر لها
ما تشتهي رغما أنها كانت تقابله بالغضب على إصرافه
واهتمامه بالتوافه وأنه غير مراع لحالتهم المادية البسيطة..

لا ينكر العشرة أبدا.. هو لا يكره إيمان أبدا وبالفعل عاش معها
أيام جميلة من العمر..

ولكن هو لم يقصر عليها بشيء ولم يجرحها بيوم من الأيام ولو بكلمة..

مهما تمر عليها فترات وتفقد أعصابها أو تذمر كأي زوجة ويخرج منها أي كلام جارح بدون أي قصد.. لم يكن يلومها.. أو يجرحها..

عذرها كونها تحملت مسؤوليات الزواج منذ التاسعة عشر من عمرها.. وكونها تعمل بخارج المنزل وداخله..

وتتحمل مسؤولية الاهتمام بأبنائها كاملة، بينما هو لاهث بالعمل والدراسة والتقدم بمستقبله..

لذلك كان يحاول دائما تعويضها هي وابنها بالنقود والمشتريات والهدايا..

بقي لدقائق ينظر لها بملامح مبهمة.. بلا أي تعابير.. حتى تحدث أخيرا بصوت متوسط النبرة

((عبير أخبرتك بموضوع تفكيرى بالزواج صحيح؟))

انخفضت وتيرة بكائها وهي تبعد كفاها وترفع رأسها لأحمد ولا تصدق انه يعترف لها بمنتهى البساطة..

لتهته بصوتٍ حاد خافت وهي تقترب منه تواجهه بعينونها

((بدون كثرة كلام يا احمد.. أنت الآن أمامك خياران إما أن تترك هذه المرأة وتعود إليّ وتبثني ما كنت تريد أن تبثه لها من حب وأشواق وتفتح معي صفحة جديدة من اجل طفلنا.. أو أن تتزوج من الأخرى.. وبعد ذلك أنا حرة في قراراتى.. حتى بالطلاق منك.. وتذكر ليس من حقك تبرير رغبتك في الارتباط بمن أحببتها بأنك لا تجد في بيتك الراحة أو باتهامي بما ليس في))

وبينما كان ينظر لها بإمعان وقيل أن يحاول التحدث أردفت
وهي تختصر عليه عناء الكلام

((صدقني لن يكون أمامك إلا أن تختار بيننا.. أنا أو هي.. عليك
أن تعرف جيدا أن الاحتفاظ بكتلتانا معا أمر صعب.. بل
مستحيل.. فاختر من الآن من ستبقي وبمن ستضحى.. راجع
نفسك وراجع المبررات التي تسوقها للزواج من حبك القديم
التي تحاول أن تخرب بيتك))

كانت نبرتها محذرة له.. وما لبثت أن ابتعدت عنه وهي تجلس
بأبعد نقطة عنه ومستمرة بالنظر له بشراسة..

تنهيدة طويلة خرجت مصاحبة لأهةٍ من أعماق قلبه فرفع راسه
إلى السقف وهو يحاول استعادة ولو القليل فقط من سيطرته
التي شعر الآن بتبعثرها بسبب معرفة إيمان..

لكن الحقيقة هي سهلت عليه الأمر لأنه وبكل الأحوال كان
سيضطر لتلك المواجهة عاجلا أو آجلا..

فقال بهدوء لها

((اعتذر لأنك لم تعلمي بالأمر مني.. ولكن بالنهاية وبكل
الأحوال كنتِ ستعلمين.. أنا لن أتخلى عن واحدة منكن.. وهذا
نهاية أي نقاش عقيم قد نحاول الدخول إليه الآن.. فقط إياك أن
تسببي بأي مشاكل لها أمام عائلتها.. أنها لا تستحق أي شيء
سيء.. لطالما كانت أكثر من حبيبة وصديقة عزيزة لي.. وإياك
أن تتهميها بخراب بيتي لأنها ابعدها ما تكون عن ذلك))

كان صمتها في تلك اللحظات دليل على إنهاكها هي الأخرى
من كل ما يدور بعقلها..

كانت عيناها تراقبانه بخوف ورجاء أثناء حديث..

حركت راسها باستسلام وهي تقول بهمسة خافتة ساخرة ما أن
أنهى ما قاله

((إذن أنت مُصّر على عدم الاختيار مع تأكيدي عليك أنك قد
نفقتني.. لا بد أن تحلو قريبتني في نظرك خاصة وهي كما
سمعت عنها أنسة مرحة وظريفة.. وربما من خلال تواصلكما
استطاعت أن تشعرك بالصدافة والطيبة الزائفة وبأنها لا تريد
أن تهدم بيتك..))

زفر احمد بضيق من اتهامها المتكرر ثم قال لها ببطء وببرة
فحيح

((أخبرتك أن تتوقفي عن الإساءة لها.. هي لم تخطئ بأي شيء
وأنا من لاحقتها بينما هي من كانت مستمرة في صدي.. إنها
بريئة مما تتهمينه إياها))

التحمت عيناها بعينيه وهي تشعر بتخبط يفتك بروحها من
كلامها..

يؤلّمها دفاعه عنها.. أشاحت وجهها عنه ليغطيها شعرها الأسود
بفوضوية لتهدر بصوت مرتجف

((بل هي كذلك وسأبقى أدعوها بذلك ولا يحق لأحد لومي..
لأنني يا احمد اشعر أنني التي هوجمت في عقر دارها..
أنا من بيتي يتهدم بسببها.. أنا من املك قدراً كبيراً من الوفاء
والرحمة تفقدتهما أي امرأة غيري قد تتزوج منها.. ولن تجد
عند هيام أو أخرى ما وجدته عندي من وفاء))

بقي ثابت بمكانه وتعابير غير مفهومة تظهر على محياه.. شعر
بحزنها وكان موقناً أنه فاق غضبه الآن..

حاول على مضض أن يقترب منها ليحتضنها ويهدئها وكان
آخر ما توقعه أن تستكين تحت ذراعيه وأن تكون هادئة بهذا
الشكل..

لكنها كانت أضعف من أن تقاوم وهي تشعر بكم هائل من
الانكسار وأنها على وشك انهيار حتمي..

تساؤل خافت خرج من بين شفاهها وقد امتلأ بالمها

((أنت لن تتزوج.. صحيح؟))

لم يرد.. كان يريد أن تهدأ.. فقط أن تهدأ.. مضت لحظات قليلة عليهما لا يُسمع إلا صوت شهقاتها قبل أن تنتفض وتبعده عنها لتكرر بشبه هيستيرية

((ابتعد عني.. الآن أرجوك اخرج.. لا أريد أن أرى وجهك))

ابتعد عنها ولكنه استمر بالنظر إليها بصلافة بدون أن يقوم بأي تصرف.. لتقول وهي تهز رأسها

((حسنا هذا بيتك لا تخرج.. أنا سأذهب لمنزل والدي لأرتاح وأفكر جيدا))

فتح فمه بنوي الحديث.. ولكن بنفس اللحظة قرر أن يعطيها الموافقة ويمتثل لطلبها ولتفعل ما تشعر بأنه راحة لها.. يكفيها ما تشعر به..

ثم ذهب إلى شرفة المنزل وتركها وحيدة.. وما أن غادر حتى أغلقت جفنيها لتدعو الله همسا لنفسها بانتهاء أجلها وهي تحاول أن تداري المزيد من الدموع المتشكلة في مقلتيها..

لكن بالنهاية استسلمت لتطلق دموعها وتحررها لتريح الغضب المتراكم بصدرها..

قبل أن تقوم من مكانها وتحزم حقيبة صغيرة لملابسها للمغادرة لمنزل والدها..

=====
=====

جلست جالا في السيارة بجانب راجي التي كان يقودها..

كل دقيقتين تعقد حاجبيها عابسة كلما تضبط راجي متلبسا وهو يلتفت لها بجانبه أثناء القيادة وينظر مبتسما كلما تعلقت عيناه بحجابها الذي لفته حول رأسها وكأنه يتأكد مما يراه..

ولكنها شعرت وكأنه يغيظها مع أنه أثنى كثيرا على مراد بأنه نجح خلال أيام بزواجهما فيما فشل هو به مع أخته..

لا يعرف أنها كانت إرادته منذ زمن..

قال راجي أخيرا بمرح

((إن سنشتاق لك يا جلجل.. ولكن أخبرني مراد ألا يكرر سفرتة الطويلة هذه مرة أخرى.. وإلا ما الفائدة المرجوة من زواجك إذا كنت ستقضين معنا أكثر من أسبوعين كل شهر))

قالت جالا تؤنبه بطفولية فقد اشتاقت له واحتاجت لوجود أخيها كسند لها حد الوجد بالفترة الأخيرة

((اسكت يا ررج.. لا تظن بأن الأسبوعان اللذان قضيتهما بالبيت معك ستجعلني أسامح تقصيرك بحقي.. لم تزرني أبدا ولم تحضر زفافي ولم تتصل بي وتطمئن عن حالي إلا عدة مرات.. أنا فعلا أريد أن اعرف ما يشغل عقلك عنا هذه الفترة))

ارتسمت على وجهه ابتسامة صغيرة معتذرة..

ثم مرت لحظات ليقول وهو يختلق عذرا بينما يتابع النظر أمامه وهو يقود السيارة

((لم جميع من في البيت يببالغ.. كل ما في الأمر أنني أصبحت أحب الدراسة ببيت صديقي في العاصمة.. فمنذ سفر عائلته يبقى وحيدا بمنزله.. الدراسة الجماعية تحمسنني للدراسة والإنجاز أكثر))

ثم أردف ليقول وهو يحاول تغيير الموضوع

((ما بهم الآن أني كنت أريد سؤالك ما إذا كنت تتوین تأجيل الفصل القادم أيضا بالجامعة أم لا.. لأنه إذا أردت تأجيله فعليك البدء بالإجراءات من الآن))

ردت جالا فورا مستنكرة الفكرة

((لا ولم قد استأنف فصلا إضافيا.. أريد التخرج والخلص من جامعتي من الآن.. وربما من الفصل القادم سأبدأ بإزالة ساعات دراسية مضاعفة لأنه ما زال أمامي الكثير حتى التخرج.. يجب أن أخرج قبلك.. لن أسمح لك بالتخرج معي أو قبلي وأنت تصغرني بسنتين))

سخر من كلامها ليلقي عليها نظرة شماتة قائلا

((لطالما نصحناك أن تقوي قلبك وتأخذي بكل فصل عدد ساعات محترم.. بدلا من الذهاب للجامعة كسياحة وسفر))

رشفته بنظرات مغتظة من تهكمه..

وبقي يسير بالطريق لدقائق حتى توقفت السيارة أمام عمارة والد مراد..

ترجل راجي وهو ينتظر نزول أخته التي بدت وكأنه تتردد في النزول.. وكأنه قد أوصلها لمكان مختلف لم يسبق وأنه رآته..

فتحرك راجي ليفتح باب السيارة من الجهة التي تجلس بها جالا متسائلا بعد أن اختفت ابتسامته

((ها قد وصلنا.. لماذا لا تنزلين؟ سأدخل معك أيضا وألقي تحية على زوجك وعمي محمد))

ترددت جالا في فتح فمها بعد أن فاجأها بما تريد لتقول وهي تهز رأسها نافية

((لا.. لا داعي للنزول معي.. أبي وأمي بنفسهم لم يزوراني
بعد الزواج.. لذا ليس عليك فعل ذلك))

قاطعا ترددها بصوت عاتب

((هذا لأن والدك بطبعه دائما مشغول وأمي لا تحبهم.. بينما أنا
فعلا لم أراهم منذ زواجك وجها لوجه.. أظن من الأفضل أن
ادخل لألقي تحية))

سارعت جالا بالنزول وهي تردد في نبيرة حادة

((ومنذ متى أصبحت تعرف بالواجب والأصول؟ إذا أردت
فادخل عندهم بالطابق الأول وألقي عليهم التحية وحدك.. لكن
أنا سأصعد فوراً إلى شقتي لأنني متعبة.. إلى اللقاء))

هز راجي رأسه بياس أثناء كلامها ليستسلم لما تريده هي وهو
يلوح لها مودعا.. ثم عاد يدخل لسيارته..

وما كان يهيم لتشغيلها حتى وصلته رسالة نصية من سارا تبعث
فيها أشواقها له..

ليأتي على ذهنه صورتها بقميص نومها المثير بالأمس..
زينتها.. عطرها..

هل تنتظره الآن بفارغ الصبر ليأتي عندها؟ هل تشتاقه حد
الموت؟

لأنها لا تغيب عن ذهنه لا هي ولا جسدها الغض.. حتى في
خضم انشغالاته بدراسته وعائلته..

=====
=====

دلفت روعة لحجرة الجلوس لتضع كأس شاي أمام مقعدها
وكأسا آخر أمام زوجها محمد ثم جلست على كرسيها تتابع

التصرف وكأن ولدها مراد غير موجود أبداً بينهما بدلا من أن تظهر عاطفة اشتياقها لابنها الذي كان يسفر يخص العمل لمدة أسبوعين ولم يعد إلا قبل ساعات..

طوال مدة جلوسهم حول المائدة كانت روعة كل عدة دقائق تنتظر لمراد بتجهم وبنظرات أخرى يعرفها جيدا..

توقف مراد عن ارتشاف الحساء الذي وضعه والده له بعد أن رفضت روعة أن تسكب له الحساء أو تضع أي طبق من أطباق الطعام أمامه..

أغمض عيناه للحظات وهو يحاول أن يسيطر على أعصابه قبل أن يفتحهما وينظر للأمام بفراغ متنهدا وقد سأم الحياة كلها..

لاحظ محمد نظرات ولده لينظر بامتعاض نحو روعة قائلا بتأنيب

((روعة.. ابنك لم يعد إلا قبل عدة ساعات من سفره ولم تريحه لثانية وأنت مستمرة باستجوابه.. وعندما لم يعجبك شيء من كلامه أو ما قام به قررت أن لا تجعله يشاركنا بتناول الطعام؟ بأي حق تفعلين هذا؟ أنه يجلس ببيت والده ويأكل من طعام البيت الذي تم شراؤه بنقود والده))

مع أن روعة اعتزمت في نفسها أنها لن تتحدث بكلمة وستبقى صامتا ومتجهمه إلا أنها وجدت نفسها ترد بحقد

((لا يا محمد.. إذا كنت أنت من اشتريت المكونات.. فأنا من بذل جهده لإعداد كل طعام الغداء على المائدة ولوحدي مع غياب وافية.. وبما أن كل ما على السفرة أنا أعدته بنفسى وأنا من تعبت بصنعه.. لي الحق بأن أسمح ولا أسمح لمن أريد بالأكل.. ولن يأكل أبنيك شيئا من طعامي قبل أني يتحدث معي مثل الخلق ويكون رجل حقيقي ويضع حدا لزوجته.. كيف سمح لها أن تبقى عند عائلتها لأسبوعين كاملين أثناء سفره؟ لم يمضي إلا قليل على زواجه))

استدار مراد ناحية أمه وهو يحاول أن يعيد قول وجهة نظره
برجاء لكن والده قاطعه قائلاً بصوت ثابت

((بماذا أخطأ يا روعة؟ ابنك اضطر للسفر قبل أسبوعين ولم
يعد إلا الآن والمسكينة زوجته طلبت أن تجلس عند عائلتها
طوال فترة سفره.. أين المشكلة؟))

حاولت روعة التحكم في صوتها حتى لا تظهر صدمتها من
أخذ زوجها وأبنها الموضوع بهذه البساطة

((كيف لا ترى مشكلة؟ إذا كانت عائلتها وأمها لا يهتمان بكلام
الناس وعاداتنا فأنا لست كذلك.. لم يمر على زواجها من مراد
إلا شهر واحد وقد أمضت نصفه ببيت أمها.. هل يعقل هذا؟
كان بإمكانها أن تزورهم زيارة نهائية بسيطة لعدة ساعات..
أما أن تجلس طوال سفر مراد لأسبوعين كاملين هناك وهي ما
زالت عروس فهذا غير مقبول.. كيف وافق أبنيك على طلبها..
من الآن أصبح زوج الست؟ أنا لا أشعر أنني حماة ولا أشعر
أنني أبني متزوج.. تخيل أنها لم تتصل عليّ ولا مرة منذ ذهابها
لبيت عائلتها كما أنها لم تتنازل لتدخل بيبي منذ زواجها.. هذه
هي تربية والدتها ولا أدري ماذا عليّ أن أقول أكثر.. ولم أتلق
أي اتصال واحد منها تسأل فيه حالي وصحتي.. هل اتصلت
عليك يا أبا مراد؟))

لاحظ مراد انقباض ملامح والده التي يعرفها كدليل على
انزعاج مكتوم..

ربما لم يهتم والده بتردد جلال لبيبتهم لأنه يعرف بأن زوجته لن
تتوانى عن أخذ دور الحماية المتسلطة عليها وإثارة المشاكل..

ولكنه بدا منزعجاً من فكرة أن جلال لا تشعرهم بأنها تعتبرهم
مثل عائلتها..

سمع والده يقول باقتضاب

((لا لم تفعل.. ولكن إذا كان هناك شخص مخطئ فهو أبنيك
الذي سافر فقط بعد نصف شهر من زواجه))

هنا زفر مراد بانزعاج وهو لا يريد التحدث عن الموضوع
أبدا.. لكن جاء صوت والدته الساخط

((يا إلهي.. سأصاب بنوبة قلبية من تلك الشابة ابنة سميحة.. بل
من كل عائلتها.. تخيل أن أباها أوصلها لباب منزلنا لتترجل
من سيارته ثم تصعد مباشرة لشقتها فوق بدون حتى أن تطرق
الباب علينا وتعطينا علم.. لولا صوت فتح باب العمارة
الخارجي لما شعرنا بوصولها حتى))

كان مراد يمسك لسانه أثناء حديث أمه.. لكنه لم يستطع أكثر
فقال راجيا

((أمي لا داعي حتى تبالغي بغضبك.. أرجوك))

ضرب محمد الطاولة بقبضة يده ضربة خفيفة وهو يوجه كلامه
لابنه

((هل ترى فعلا أن والدتك تبالغ بالأمر؟ حسنا دعك منا.. ولكن
ماذا عنك؟ ألم تشق زوجتك لك وأنت غائب عنها لأكثر من
أسبوعين؟ هل شبعت أساسا من رؤيتها أو حفظت وجهها بعد؟
ليست هناك لهفة بعيني أي منكما تجاه الآخر.. هل هذا طبيعي
بالنسبة لحديثي الزوج؟ لقد علمت زوجتك أنك وصلت البيت
منذ الصباح ومع ذلك لم تصل إلا الآن لتصعد لشقتها فوراً
بدون أن تطمئن على حالك أو تراك))

كان محمد يريد القول هل زواجهما السريع والمفاجئ له علاقة
بعلاقتهم الفاترة هذه..

بينما مراد شعر بالإحراج أمام والديه من زوجته تلك التي لا تكلف نفسها حتى التظاهر بالحب والاشتياق لزوجها.. فقال بصوت خافت ضعيف

((أبي كنا نتحدث على الهاتف بشكل يومي لعدة ساعات وكانت كافية لنا))

نظر محمد لابنه بنظرات توحى بالشك.. شك بصدقه بشأن تواصله مع زوجته طوال فترة سفره..

فلو كان الأمر كما يقول لماذا طلب منه صباحاً أن يتصل هو على جالا ويخبرها بوصول مراد..

ولما كان ردها كمن لا علم لها بأي شيء يخصه ولا حتى موعد قدومه من سفره..

بهذه اللحظات بدأ التردد الذي يلوح حول محمد يزداد وبدأ يأخذ كلام زوجته على محمل الجد..

هل هناك مشكلة بينه وبين جالا؟ بالتأكيد هناك مشكلة ولا تبدو أبداً بسيطة..

ارتأى محمد ألا يتدخل بينهما ما دام لم يفصح أي واحد منهما بما يدور بينهما من مشاكل..

قاطع تفكيره صوت مراد وهو ينتصب واقفاً من مكانه

((حسناً أمي.. أريد الصعود لارتاح بمنزلي.. هل تريدين شيء؟))

صرخت روعة بصدمة وهي تمسك ذراع مراد وتجلسه على كرسيه بعنف

((أين تريد الذهاب؟ هل لا تطيق الانتظار لرؤية ابنة سميحة لهذا الحد وهي ذاتها لم تكلف نفسها بالاطمئنان بك منذ قدومها؟

لن تصعد لمنزلك اليوم أبدا.. ولو كانت زوجتك تريدك أخبرها
أن تنزل للأسفل.. فهي كما تعلم ومنذ زواجكما لم تتكرم لتطأ
بقدمها بيتي.. ثم كيف ستصعد لشقتك بدون حتى أن تتفقد يارا
وتراها؟ أنها تبكي بغرقتها ومنهارة منذ قدومها هنا.. وأنت لم
تكلف نفسك بالتحدث معها))

زفر مراد بضيق يغمض عينيه وهو يتذكر ابنة خالته المدللة..

منذ أن دخل بقدمه شقة والديه وهو يحاول طرق باب غرفتها
والدخول إليها ليعرف ما حدث لكنها آبت فتح الباب واستمرت
بالبكاء هاتفة بأنها لا تريد رؤية أحد..

لا بد أنها افتعلت المزيد من المشاكل مع شقيقتها المتزوجة ميس
لتطردها الأخيرة من بيتها لتأتي هنا..

حاول أن ينسى ابنة خالته بشكل مؤقت لأنه لا تنقصه مشاكل
إضافية قبل أن يفتح عينيه بعد دقيقة ليقول بحدة مستنكرا لأمه

((عن ماذا تتحدثين يا أمي؟ كيف تريدني مني البقاء هنا طوال
اليوم وأنا لم اخلع ملابس بعد))

ردت ببساطة وهي تبعد نظرها عنه وتلوي فمها

((هناك العديد من مناماتك وملابسك لا تزال موجودة بغرقتك..
دبر أمورك بها لهذا اليوم))

خرج الكلام من فم مراد دون أن يراقبه ليقول ما يعرف أنه لن
يعجب والده

((وماذا عن عملي.. أريد أن ارتاح الآن لأذهب إليه مساء.. لا
تقولي لي اليوم إجازة رسمية.. فأنا أعمل بمكثبي وأفتحته متى
أشاء أنا وأصدقائي))

ارتفع صوت محمد وقد أدرك أخيرا ما يفكر فيه ابنه ليقول مؤنبا
إياه

((ليس مجددا يا مراد.. ألم نتفق أن لا نوبات مسائية لك بعد الزواج وأنت ما زلت عريس وزوجتك بحاجة لقضاء الوقت معك؟ إذن لم تقوم بعكس اتفاقنا وتعمل بشكل مضاعف؟ أنت عريس يا ابني.. عريس.. هل مللت بهذه السرعة؟))

نظر مراد إلى والده وهو يعلم جيدا أنه لن يتركه يخطو خارج البيت وأنه يقصد خاصة بعد تلك الليلة التي نامت جالا بأحضانة..

فعندما خرج ذلك اليوم عند الفجر.. وبقي بالعمل حتى منتصف الليل متذرعًا بأنه سيأخذ عمل إضافيا سيستمر طوال النوبة المسائية ثم يعود وينام بشقة والديه..

واستمر على هذا الحال لعدة أيام ببيت عند والديه ويتحجج أنه متعب من العمل لأكثر من خمسة عشر ساعة لا يستطيع الصعود لشقته..

حتى جاءت فرصة للسفر لأسبوعين ليسارع باغتنامها.. فقط كان مضطرا للابتعاد..

قاطعت روعة الصمت بينهم وشرودهم وهي تقول لائمة بحدة

((يا محمد انه يعمل فعلا بشكل مضاعف منذ زواجه.. لا يتصرف أبدا كعريس.. لأنه وببساطة يهرب من ابنة سميحة التي ابتلي فيها.. لا بد أنه لا يطيق النظر لها ولا لثانية.. أريت يا محمد؟ لقد كنت تقول إنه بعد الزواج لن يفارق منزل زوجته ولكن حدث العكس.. وأنت من فعلت هذا به.. لم تتعلم من تجربة سهر لتكررها مجددا.. صدقتني إذا لم أختار عروسه بنفسي فلن يُسعد ويوفق بزواجه أبداً))

افتعل مراد السعال وقتها وود لو يتفادى الجميع الحديث عن الموضوع من الأساس..

فهم لا يعرفون أنه كان في الحقيقة يريد أن يخلق أي مشكلة
ليبقى مسافرا لمدة أطول..

ربما لسنة أو عشر سنوات.. أو عشرين سنة.. نعم كان يريد
الابتعاد عنها قدر الإمكان حتى يستوعب ما حدث ليبتها..

فماذا يقول وهو الذي ظن أن تمنع جالا عروسه وحببية قلبه
عنه خجل عروس لم تأخذ كفايتها بالتعرف على عريسها قبل
الزفاف..

كان يعرف أنها لا تملك مشاعر له لذا كان يريد فرصه ليجعلها
تحبه.. فأراد أن يتقرب منها حتى تعتاد عليه..

شك للحظة بأنها ربما تكون مرغمة على الزواج منه من قبل
والدها فطلب أن يتواصل معها على الهاتف بنفس يوم زفافهما
ليتأكد بشكل تام أنها موافقة على الزواج منه وبكامل رغبتها..

هو وقتها لم يعدها بأن الحياة ستكون مثالية معه.. ولكن كئفه
سيكون مكانا لرأسها..

ابتنسامة ساخرة حلقت على شففتيه وهو يذكر كيف للحظة شعر
وقتها بأن لا جدوى من كل عالمه عندما سمعها تنطق بوله اسم
حببيها وخطبيها السابق أثناء نومها بتلك الليلة بأحضانه..

وقتها بكل ما للكلمة من معنى نسفت رجولته وروحه وحب
نسفا..

همستها المتهورة أطاحت بكل ذرة تعقل باقية في جسده..

لم يكن الأمر سهلا أبدا له كرجل شرقي ترعرع في بيئة مثل
بيئته أن يعرف بأن زوجته لا تزال واقعة بالحب بل وغارقة
حتى أذنيها في حب غيره لدرجة أن تحلم به وهي في أحضانه
هو..

وبالمقابل كانت الكوابيس تلازمها منذ زواجه بها.. ومع ذلك
وهو رغم كل شيء لا يزال عاشق لها..

وكل حبه الدفين الذي كنه لها منذ الطفولة أكتشف أنه لا زال
موجود ولم يقل ولو ذره..

يود فعلا أن يجعلها تحبه ويسعدها رغم معرفته التامة أن لا نية
لها بإعطائه فرصة والدليل عدم بذل أي شيء من طرفها من
أجله..

وهو لا يقصد بالتقارب فقط العلاقة الجسدية..

لكن هل يستطيع أن يجبرها أن تعطيه هذه الفرصة؟

خاصة وأنه عرف أنها فقط وباختصار سبب نفورها منه أنها لا
تطيق قرب ولمسات شخص لا تحبه لها..

هل كان غيبي بل ظالم لنفسه بالقبول من فتاة تحب غيره..

بل هل غيابه أوصل بها أنها بمجرد انفصالها عن تحب
سكنون يكون قد انتهى الحب بينهما؟

كيف بحق الله سيسطيع العيش مع إنسانة قلبها وروحها مع
غيره؟

بنهاية الحديث الذي دار بينهم قال محمد وهو يحسم الأمر ويتلقى
انتباه مراد الشارد

((مراد لن تخرج لعملك.. أنت صاحب العمل وتستطيع أخذ
إجازة متى ما أردت.. إذا كان هناك شيء عاجل سلمه
لأصدقائك ليتموه.. ومن الآن وصاعدا إياك أن تعمل بالفترات
المسائية.. الجو يزداد برودة والليل قصير.. فعندما تخرج
صباحا لا تعود إلا بعد الليل.. ومع النوبات المسائية الإضافية
أصبحت لا تعود قبل منتصف الليل.. كنت ارفض عمك ليلا

وأنت شاب عازب فما بالك وأنت الآن متزوج وستكون مسؤول
عن عائلة))

التقط مراد نبيرة الصرامة في صوت والده.. وكأنه يتحدث مع
طفله الصغير.. فقال له متذمرا بخفوت

((لم يكن الزواج من ضمن مخططاتي أبدا.. ألم أخبرك أن
تعطيني الشقة العلوية وأتخذها كمكتب لعملي مع أصدقائي بدلا
من أن نستأجر مكانا بعيد عن بيتي))

قاطعه محمد هذا المرأة قائلا بتعابير قاسية

((ولم قد اسمح بذلك؟ حتى لا تفارق مكتبك وتموت من إدمان
العمل؟ لا يا عزيزي لكل شيء حدود))

بقي الصمت يحيط بالأجواء.. حتى قالت روعة ببرود وهي
تسيطر على نفسها ألا تتفعل حينما تتحدث عن موضوع قديم لا
يغادرا يتعلق بدراسة مراد

((لو سمع ابنك كلامي وأكمل دراسة الهندسة لكان وضعه
أفضل من كل هذا.. لكنك كنت تشجعه على قراره بترك
الدراسة وفعل ما يحبه بحجة.. بزمني هذا كل صديقاتي
وجاراتي وأختي عندهن على الأقل ابن يعمل كطبيب أو
مهندس.. أما أنا فابني الوحيد لم يكمل دراسته وترك جامعتي..
هذا ما يحدث عندما لا يسمح ابنك كلام أمه التي لا تريد إلا
مصلحته))

عند ذكر هذا الموضوع زفر مراد بغضب وحاول أن يتحمل
مثل كل مرة.. فلا يمكن أن تفوت والدته أي فريضة قريبة أو
بعيدة لتذكره بماضيه الفاشل..

فقد تمننت والدته منذ صغرها أن تتزوج طبيبا أو مهندسا..

وحين لم يتحقق لها هذا الحلم وتزوجت والده الذي كان تاجرا
وفي بداية مشواره وحياته.. أصرت أن تحقق حلمها من خلاله
هو ابنها..

وبما أنه أبنها الوحيد فقد تم إجباره على تحمل مسؤولية تحقيق
حلم والدته.. وهو أن يصبح طبيبا أو مهندسا..

مع أنه ومنذ أن كان طالبًا متوسطًا كان يكره الرياضيات بشكل
خاص..

فما كان من أمه إلا أن استخدمت معه كل وسائل التقييم من
الصراخ والتعنيف.. وحتى الضرب..

حتى استطاعت بالنهاية أن تحقق ما تريده..

كان مجموع الطب بعيدا عنه.. ولكنه استطاع أن يحصل على
مجموع أهله لدخول كلية الهندسة..

فصارت تتفاخر امه روعة بابنها المهندس المستقبلي.. فيما
غرق هو في مواد كرهها ونظريات ومعادلات لا يفهمها ولا
يستسيغها..

وبطبيعة الحال تعثر في دراسته واجتاز بعض المواد بصعوبة..

فأخير امه بلحظة يأس أنه سيحول أوراقه لكلية الصحافة أو
المحاماة فميوله أدبيه..

وحينها وكأنه قد قام بإشعال النار في المنزل.. فقد انهارت
روعة.. رأت أنه يغتال حلمها مع سبق الإصرار..

وحرصت والده عليه ولم تستمع لتوسلاته..

فلم يجد بدأ من الانصياع إلى أمرها والاستمرار في الدراسة
التي لم يدري كيف سينتهيها ولا ماذا سيفعل بعدها..

وبعد أن اضطر أن يعيد بعض مسافات التخصص عدة مرات
لينجح أدرك بأنه لن يستطيع الاستمرار..

وقرر بشكل جدي أن يتوقف عن الدراسة وانسحب من جامعته
وبدأ عمله الحر..

بالتأكيد تم اكتشاف امر انسحابه من الجامعة بسرعة من قبل
والديه ولكن كان الأوان قد فات ليجبروه بالعودة..

بكت والدته وقتها وتوعدت وانفعلت حتى تم نقلها للمستشفى
ولكنها بالنهاية تقبلت الأمر مرغمة..

والده توقف عن غضبه منه عندما رآه ناجح بعمله ويكسب
مردودا جيدا بمقارنة مع زملائه الذين هم بنفس سنه ولم
يتخرجوا بعد..

كان محمد بهذه الأثناء يراقب امتقاع وجه زوجته بدقة ليقول أمرا
((لم أنت مصرة على استحضار الماضي؟ ما يكسبه ابنك بعمله
هو نفس ما يكسبه أي طبيب أو مهندس بعد خبرة سنين تقريبا..
بينما هو ما يزال بالثالثة والعشرين))

شق وجه مراد ابتسامة سخرية.. فحتى بيوم زفافه كان هناك
الكثير من المقارنات.. بين سهر وجالا.. وبينه وبين كارم..

خطيب جالا السابق سيكون طبيب.. بينما زوجها الحالي لم
يكمل جامعته ولكنه على الأقل صاحب دخل جيد..

هكذا كان الجميع بالزفاف مشغولين بالنميمة بين فقرات
الرقص..

الجميع بطبعهم يهتمون جدا بخلفتك الاجتماعية ووضعك
المالي..

لكن بالنهاية مهما فعلت فلن تعجب الجميع.. لذا هو ليس نادما
أبدا بما قام به وبما أصبح عليه وهو مقتنع فيه جدا..

صحيح انه بالفعل يحزن على حزن والدته وأنه لم يكن كما تريد
هي.. ولكن ليس من حقها أن تجبره أن يعيش كما تريد هي..

للأسف معظم التجارب السلبية مع والدته ناتجة عن اعتقادها
أنها تفعل ما فيه صالح له..

أو لتأثرها بثقافة المجتمع.. ولا يلفن أنظارها التأثير الذي قد
يكون مدمرًا على أبنها في بعض الأحيان..

وبينما كان مراد يقلب الحساء أمامه بمعلقته شاردا بأفكار جفل
على صوت والده الهادئ وهو يقول بجدية

((مراد بعيدا عن حديثنا هذا اذهب لابنة خالتك وأنظر ماذا
بها.. المسكينة لم تتوقف عن البكاء منذ مجيئها هنا.. أظن أن
هذه المرة فعلا حدثت مشكلة حقيقية بينها وبين شقيقتها ميس))

ضيق مراد عينيه وهو يحدق بوالده بينما يسترسل الآخر

((هيا اذهب وانظر لأمرها.. المسكينة يتيمة الوالدين وصغرى
خواتها ولم تكمل عامها العشرين بعد وبحاجة للرعاية وأختها
الكبيرة ميس بدلا من أن تكون حنونة عليها تهنئها بشكل قاسي
حتى وصل بها أن تطردها))

شك مراد أن يكون الأمر له علاقة بزواج ميس لتؤكد والدته
على ظنونه هادرة

((من الآن وصاعدا ستسكن يارا هنا حتى تتزوج ولن أسمح لها
بالعودة للسكن مع شقيقتها.. تخيل أن ميس كانت تلمح بشكل
غير مباشر أن يارا تحاول إغراء زوجها))

ظل مراد ينظر لوالدته طويلاً.. ثم قال في النهاية

((دعك أُمي من ميس فهي تعرف أكثر منا أن زوجها أنه لا يترك فتاةً من شره.. عندما تهذاً يارا أكثر سادخل وأرى ما بها.. وعليها كما قلتي أن تسكن عندنا.. لا أدري كيف تجدون بقاءها بمنزل فيه زوج شقيقتها الغريب عنها أفضل من بقاءها بمنزلنا حيث لا يوجد أحد آخر غيري أنا أخيها))

=====
=====

أغلقت زوجة والد إيمان الباب خلفها بهدوء وهي تشد خطواتها نحو إيمان الجالسة بسلام على فراش سريرها بحجرة نومها ببيت والدها..

أراحت زوجة والدها جسدها على أريكة مريحة بجانبها بعدما انتهت من الأعمال منزلية..

كانت إيمان قد قدمت هنا معللة أمام أبيها أنها فقط تريد الترويح عن نفسها بتمضية بعض الوقت معه هو وإختها..

ولكنها أخبرت وبكل صراحة زوجة والدها راما وأطلعتها على كل شيء..

ورغم رقة زوجة والدها إلا أنها لم تجزع كما توقعت عليها بل كانت هادئة للغاية..

مدت راما كفها تمسح على شعر إيمان الأسود الناعم قائلة وهي تخبرها بما يخفف عنها

((صدقيني يا إيما لن يفعلها زوجك لذا لم يكن عليك مغادرة المنزل.. ربما كان يشعر بالملل لذا بحث عن حبه القديم وقرر بدون تفكير الزواج منها.. إيما حبيبتني عليك ألا تنسي أن الرجل ما هو إلا طفل كبير يحتاج دائماً إلى الدلال والحب والاهتمام لكي تكونين في عقله وقلبه وتتجحين بجعله ينساها))

رفعت لها إيمان رأسها لها ببشرتها الباهتة ووجها المتعب
بهالاته السوداء لتقول بصوت متعب

((ومن هنا أنا اشعر بقمّة الظلم والقهر من احمد.. لم يجب عليّ
أن أكون دائماً المسؤولة الأولى عن الحفاظ على هذا الحب
وحمايته واستمراره؟ كيف ستستمر حياتنا من طرف واحد مهتم
بهذا الزواج وهو أنا.. المشكلة أنه لا يظن نفسه مقصر أبداً وله
كل الحق بزواجه بمجرد أنه لا يزال يحبها.. والمشكلة الأخرى
هي ماذا إذا بذلت أقصى جهدي ولم احصل في النهاية على قلبه
وعقله؟ لماذا أكون المذنبة بعدم حبه لي وعدم تمسكه بزواجنا؟
يشهد الله أنني بذلت أقصى جهدي معه.. أنا اعرف هناك جزء
كبير يقع على المرأة لإنجاح الزواج.. لكن أن لم يكن بذل
العطاء والجهد من الطرفين لن ينجح.. ولن نسعد.. ها أخبريني
ماذا أفعل إذا قرر بأنه لن ينساها أو يتوقف عن حبها.. هل
سأكون وقتها أنا الملامة لأنني لم أقدر على جعله ينساها؟))

شعرت زوجة والدها بالإحباط ولكنها عادت تقول لها

((اعرف يا حبيبتى.. ولكن لم تفترضين أنه لن يحاول إنجاح
زواجكم وسيصر على الزواج منها بحال رفضتي؟ حتى لو
صرح بنفسه بهذا.. ولكن عليك أن تغتلمي كل الفرص ولأخر
لحظة حتى لا تندمي فيما بعد لأنك لم تحاولي))

عادت إيمان تخفض رأسها وهي تهز رأسها موافقة

((سأفعل))

عادت زوجة أبيها تردد عليها

((كما أخبرتك أن الرجل ملول بطبعه فلكي يبقي على الحب
لابد من أن تكون المرأة دائماً متغيرة متوهجة متقدمة الأحاسيس
والمشاعر.. لمأحة وذكية تعرف كيف تجذبه نحوها بالحب تارة
والإعجاب تارة أخرى والتغيير تارة ثالثة.. أرتاح هنا بقدر ما

ترديدن ولكن حاولي العودة له بدون أن يطلب حتى.. حاولي
التفاهم معه بدون أن تعضبي أو تغيري من طبيعتك الأثوية..))

عادت إيمان تهز رأسها بموافقة لزوجته والدها بدون تركيز..
وهي تعرف أنه لا فائدة من النقاش أكثر معها..

لا ينفع معها أن تكون متنازلة أكثر وأن تكون بمثل شخصيتها
الضعيفة والمبادرة دائما.. فهذا لن ينفع الآن مع احمد..

كما تعبت من كونها كذلك طوال المدة الماضية..

الأيام القادمة ستكون متعبة لها.. لكن الأمر يستحق المحاولة..
فهذا بيتها الذي تعبت سنين ببنائه..

=====
=====

عند حلول الليل كانت جالا بفراشها تتقلب بدون أن يعرف النوم
لها طريقا..

ميدنيا وبعد تلك الليلة التي انهارت أمامه عندما حاول الاقتراب
منها وهي تمنعت أمامه لا تذكر شيئا حصل بعدها إلا أنه تعامل
معها بعدها بقمّة الحنان..

وباليوم التالي استيقظت على ذهابه لعمله حتى قبل مواعده
المعتاد..

وبعد عودته ليلا تناول طعامه عند والدته لتتصل حماتها بنفسها
تخبرها بشماتة بالغة أن مراد مرهق ولن يستطع الصعود لها
فنام عندها.. واستمر الوضع لعدة أيام لا يصعد فيها مراد
لشقتهم أبدأ إلا لدقائق معدودة لتغيير ملابسه وجل وقته
بالعمل..

حتى جاء بعدها ليعاملها بجمود وبدون أن يطبق النظر لوجهها وهو يحزم حقيبة سفر كبيرة لأن لديه سفرا يخص العمل لمدة أسبوعين وأعطاهها حرية النوم عند عائلتها إذا شاءت..

فطلبت منه أن تبيت طوال فترة سفره عند عائلتها ووافق لا نقاش.. لكنه لم يكلف نفسه بالاتصال بها طوال فترة سفره..

حتى بصباح اليوم هذا والده هو من أخبرها بعودة مراد ليرى إذا كان بالإمكان أن يوصلها أخيها راجي أو يأتي هو بنفسه لأخذها لان مراد متعب..

بفترة زواجها من مراد التي استمرت لشهر..

أول عشر أيام كانت عبارة عن عدة سنين بسبب التوتر والارتباك والضغط الذي عاشته وهي لا تستطيع تقبل مراد..

بينما لا تنكر ابدأ كمية الراحة النفسية التي شعرتها طوال فترة العشرين يوم بابتعاد مراد عنها.. حيث نسيت فيها من الأساس أنها متزوجة..

النوم بغرفتها جعلها تشعر بشعور عجيب بالأمان لتنام قريرة العين وراحة مرسومة على وجهها..

كما قضت الأيام مع والدتها التي رحبت بها بل وعادت تتعامل معها بحنان وكأنها لم يسبق وكانت مزعوجة منها..

مع أنها أيضا لم تهتم أن تسألها إلا أسئلة سطحية عن زواجها ومعاملة مراد وأمها مكثفية بذلك..

وبالرغم من ذلك ما تزال تشعر بشعور غريب ينتابها حول سفر مراد.. وكأنه قد تم جرح أنوثتها بابتعاده عنها وكأنه ينبذها وهما ما زال حديثا الزوج..

نعم هي سعيدة ومرتاحة ببعده وتجاهله لها بل تحمد الله أنه تركها وشأنها ولا يطالبها بشيء بهذه الأيام..

ولكن بنفس الوقت تبدو الفكرة مزعجة أنه فقد اهتمامه بها
ويتعامل كمن يهجر زوجته ولم يعد يريد منها أي شيء..

هل هي مجنونة بهذا التناقض الذي يحيا بداخلها تجاهه؟ وهل
فعلا فقد اهتمامه بها وبنوي إكمال حياته تجاهها هكذا..

لكن هل تستطيع لومه فعلا لو لم يعد يهتم بها؟

تتمنى ألا يكون قاصدا إذلالها وعقابها على تمنعها عنه عدة
مرات.. فهو من قال بنفسه سيعطيها وقتا..

فهل يعتقد أن تصرفاته هذه ستكون بمثابة عقاب لها؟ الحقيقة
أنها لا تراه عقاب فهي سعيدة بذلك..

لكن نعم يبدو كإذلال لها.. وخاصة أمام عائلتها وعائلته عندما
يعلمون أنه ومنذ زواجه لم يجلس مع عروسه بقدر ما تركها..
الصراحة أن الندم يأكلها بشكل كبير لأنها ظلمته بزواجها منه..

هو قال سيعطيها وقتا حتى تجد نفسها مستعدة ومتقبلة وهي
ستحاول ألا تظلمه أكثر حتى لو أجبرت نفسها من أجل
مسايرته بما يشاء..

سمعت جالا صوت شقتها يُفتح بخطوات مراد يدخل الشقة.. ولا
تدري لما وقتها شعرت بالغضب الشديد يعتمر بداخلها..

فها هو يدخل الشقة فقط الآن بعد حلول الليل.. لكن محت
الغضب من على وجهها وهي تشعر فجأة بخزي من تصرفها
عندما سعدت فورا لشقتها بدون سلام أو كلام لوالدي مراد..

ولكن مشكلتها بحماتها.. فقط لو لم تكن موجودة لتسمعها أي
كلام لقامت بواجبها تماما تجاه والد مراد فلطالما كان معها
متفهما ورائعا..

راحت تطرد كل هذه الأفكار المتناقضة والغير مفهومة أو المحددة من عقلها بمجرد اندفاع مراد نحو الحجرة وهو يضع مفاتيح سيارته والشقة على الخزانة الصغيرة الملاصقة للسرير بدون أن يفتح زر الإضاءة..

حاولت التلصص عليه ورؤيته من خلال ضوء المصباح الصغير الخافت لترى جذعه العاري بعد أن خلع قميصه..

انتفضت مرتعبة مكانها وهي تغمض عيناها بحركة علم مراد من خلالها أنها ما تزال مستيقظة.. لكنها عادت تفتحهما وترفع نظرها وهي تركز عيناها على وجهه..

كانت ملامحه مقتضبة وحاله بدا مزري.. ربما لأنه لم يرتح أو ينام منذ عودته من سفره اليوم..

سارعت تغمض عيناها مرة أخرى عندما نظر مراد لها للحظة وهو يراها متمددة على السرير فارتسم شبح ابتسامة على طرف ثغره من حماقتها..

لكنه سارع بمحبتها بتعاسة وهو يتذكر كيف لم تكلف نفسها أن تستقبله بشقة والديه بعد ابتعاده عنها لمدة أسبوعين..

هل كانت سعيدة لهذا الحد بفراقه؟ لهذا الحد لا تطيقه؟ ولم قد تفعل وقلبا مشغول بالتفكير بأخر..

فتح مراد دولاب ملابسه باقتضاب وهو يلتقط منامة قطنية مريحة ليلبسها..

ولكن وقبل أن يغلق باب الدولاب وقعت عيناه على النقود فوق إحدى الرفوف والتي أمرها أن تأخذها معها وتتصرف بهم أثناء مبيتها بمنزل عائلتها..

كانت النقود التي تركها كما هي في مكانها..

فتنفس مراد بغضب شديد وهو يغمض عينيه.. حركته المعتادة
كلما حاول تماسك أعصابه والسيطرة على غضبه..

حاول فعلا أن يتحكم ويكبت غضبه قدر الإمكان لكنه انفجر
بالنهاية صارخا فيها بما جعلها تنتفض من مكانها هلعة

((لماذا لم تأخذي النقود التي وضعتها لك قبل الذهاب لبيت
عائلتك؟))

ارتعبت من صراخه لتعتدل جالسة على السرير وهي تمد يدها
للحائط عند أزرار الإنارة لتفتحها عليهما..

تغيرت ملامح مراد وهو ينظر لها بشكل واضح وحقق بها من
أعلى رأسها إلى أخمص قدميها.. فمنذ أيام كثير لم يراها..

والآن وبعد هذه المدة على غيابها ومبيتها عند عائلتها.. بدت
وكان نفسياتها تعافت كثيرا..

وضاع أي أثر للهالات السوداء جراء الضغط النفسي والأرق
الذي كان على ما يبدو أنها تعيشه عنده..

وامتلأ جسدها بالصحة مرة أخرى.. وزاد وزنها قليلا..
وبالأماكن الصحيحة..

كانت ترتدي ملابس نوم رقيقة بعد أن دفأت الحجرة جيدا
وظنت ربما أنه لن يصعد فوق عندها..

رفع مراد رأسه وهو يعاود التحديق بوجهها وهو يراقب حركة
لسانها فوق شفتها..

كان يحدق بها بأجفان منخفضة تخفى ورائها اشتعال عيناه بينما
يراهها تبرر بتردد وارتباك بينما تخفض بصرها

((النقود؟ أنا.. لم أجد حاجة لأخذ النقود.. لذا لم أخذها))

نظر مراد لها شزرا بعدما نطقت به ليقول محاولا كبت غضبه
مجدد

((أيتها الغبية هل ذهبتى لبيت عائلتك وأنفقت من أموالهم على
نفسك؟ أنا زوجك وأنا المسؤول عن مصروفك.. ماذا ستقول
أمك عني الآن؟ سيظنون أنني مقصر في حقك ولا اعتبرك من
مسؤوليتي وأنا من طلبت منك أن تبقي عندهم لأسبوعين حتى
لا أتكلف بشيء يخصك.. فعلا لم يكن عليّ الموافقة ابداً
بالسماح لك بالمبيت عن عائلتك مثل ما قالت أمي))

كانت تستمع له وتمرد واضح يظهر بعينها اللتين تتطلعان له
بشكل تدريجي..

وكانها لا تزال تظن أنها لم تخطئ ليستشيط غضبه بقوة وبشكل
أكبر..

وهو الأحمق الذي قال لنفسه فلينسى كل شيء ويحاول بدء
صفحة جديدة ليكسب قلبها..

لكنها أفسدت كل شيء وهي تصر على جعله يقوم بما يجعلها
تكرهه وتمقته أكثر.. تلك الطفلة العنيدة..

استرسل كلامه بحديث خفي ملتوي فيها همجية لم يكن يتخيل
أن تكون متواجدة فيه لدرجة أن جعل الخوف يهاجم جسدها
وينخر فيه

((جالا أنتِ الآن بمنزلي وأنا الرجل هنا.. عدم وجود شيء بيننا
حتى الآن لا يعني أنني سأكون متساهلا معك.. إياك ثم إياك يا
جالا أن تجرئي على طلب شراء أي شيء من أي فرد من أفراد
عائلتك.. إياك المساس بسمعتي ومظهري أمامهم بأي تصرف
من تصرفات الهوجاء؟))

قالها ثم ارخى بنفسه فوق إطار الخزانة وبغضب مستمر على وجهه.. كان لا يدري إن كان يقصد بكلمة "سمعتي" أشياء أخرى لها..

لكن من داخله كان يعرف من هي جالا ويعرف تربيته..

بغض النظر عن التجاوزات التي كانت بينها وبين كارم بصغرها والذي يعزي الخطأ فيه على والديها..

إلا أنه يعرف أنها لن تقوم بأي شيء يمس شرفها.. وشرفه هو بعد أن تزوجته..

يعرف أنها حتى مع عنادها وتصرفاتها الهوجاء التي دائما ما تحب إظهارهم ورغبتها بأن تتجاوز بعض العادات فقط للعناد إلا أنها عند الخطوط الحمراء بالدين والمجتمع التي تعرفها جيدا لا تجرؤ على تخطيها..

مع ذلك فهذا لا يمنع رغبته بقتلها الآن فقط لأنه يدري أن حبها لأخر غيره والتفكير به مستمر بعد أن أصبحت زوجته..

وهذا ما يعتبره خيانة.. نعم خيانة..

هي زوجته هو الآن.. وأسوأ أنواع الخيانة خيانة الفكر والقلب لأنه لن يكون قادرا على ضبط الخائن متلبسا..

هل لا يحق له محاسبتها عليه فهي لا سلطة لها بأحلامها أثناء نومها ومشاعرها.. أم ماذا؟

عند هذه النقطة أستشيط غضبه أكثر ليخل عن وقفته المسترخية فوق إطار الخزانة ويتقدم منها بخطوات ثقيلة بطيئة..

لاحظت جالا فيها وهي تراقب تقدمه منها بخوف وتوتر وجهه المرهق بوضوح ظاهر فوق ملامحه..

حتى وقف أمامها ينحني فوقها هامسا بصرامة وحدة وكأن
يقصد أذيتها نفسيا لتشعر بكمية الأذى الذي تسببت فيه له وما
تزال تفعل

((هل فهمتي أيتها الغبية؟))

ارتعدت بشدة في داخلها من قربيه و غضبه.. إلا أنها كانت
مغتظة من صراخه عليها و غضبه المبالغ..

فلمعت عيناها بحنق وهي تقول له بصوت مرتجف ومقتضب

((حسنا لن أخذ أي فلس أو أطلب شيء من الآن وصاعدا إلا
منك.. أخبرني هذا باحترام من دون أن تسيء الأدب بحقي))

كانت عيناه تنظران ناحيتها وهو يضيق ما بين حاجبيه بحدة
وصرامة جعلت من شجاعتها وليدة غضبها تنتبخر فور رؤيتها
لنظراته..

شعر بغضبه يزيد أكثر وأكثر تجاهها.. والسبب هو مشاعره
المتخبطة بداخله والتي كانت تتحرك بعنف بسبب قربيه هذا
منها..

ويسبب هذا التأثير المسؤولة هي عليه زمجر بعنف كان سيفعله
بغض النظر عما قالت

((احفظي لسانك من تدعين هنا مسيء الأدب والاحترام أيتها
الغبية؟))

ومع صراخه هذا عليها بدأت الرهبة تكسوها منه.. لتجد نفسها
وبلا إرادة منها لتلتفت للخلف تبتعد عنه وهي تحاول أن الفرار
من الحجرة كلها..

إلا أنه انه كان أسرع منها وهو يتقدم ويغلق الباب وراءه ثم
يقف أمامها يسد طريقها فتصطدم بحائط بشري جعلها تشهق
بقوة..

ابتعدت عنه وهي ترفع نظرها له بعيون متسعة رعبا مما يفكر
بفعله..

حاولت التحرك من مكانها هربا منه مرة أخرى إلا إنه لم
يمهلها حتى الفرصة لخطو خطوة واحدة بل أحاط خصرها
بذراعه يجذبها بقسوة إلى الخلف لتصطدم بصدرة بقوة..

شهقت بجزع وهي ترتجف بين ذراعيه هادرة بقهر بينما يكبلها
بكفيه ودمعتين ثقيلتين تهبطان على وجنتيها..

صرخت به وهي تحاول التملص منه بلا فائدة

((لا تغضب مني.. ليس لك الحق بالغضب وأنت من تضل
تدعوني "بالغبية".. توقف.. ابتعد عني.. ابتعد))

أخفض مراد رأسه بجانب أذنها يهمس بفحيح صارم مخيف من
بين أنفاسه قائلا وهو يشدد من مسك خصرها بيدين متصلبتين

((أخرسي سأدعوك بما أشاء.. لا ترفعي صوتك.. ستسمعك
عائلتي من الأسفل))

توقفت عن حركتها وهي تتلع غصة مؤلمة ودموع أخرى
تتجمع من جديد في عينيها.. فأدارها بعدما استكانت بين ذراعيه
لمواجهته..

سارعت القول بصوت متحشرج تواجه عيناه بعينيها الغارقتين
بالدموع

((إذن اتركني وإلا سأتابع الصراخ وأفضحك أمام عائلتك))

هنا وصل حده بالغضب منها.. فتكلم بصوت غاضب بحشرجة
رجولية متحكمة

((أقول لك اخرسي وأنت تعقدين صفقة مقايضة بيننا؟ عندما
أمرك بشيء تنفذه بلا ولا أي كلمة.. هل تسمعين؟))

شعرت بقهر وهو يصبر على التحدث معها هكذا..

فلم تتمالك نفسها وهي ترفع وجهها إليه بحدة لترد عليه بما تراه
يليق به

((لا.. لن اسمع.. أنت الغبي.. الكلام من صفة المتكلم.. وأنت
من شتمني بالبداية.. كيف تريني أن أقبل شتائمك بدون أن
أثفوه بحرف؟))

كان يعرف نفسه مخطئ بنعت زوجته هكذا فتجاهل ما قالته..

لكنه عاد ينظر لها وبعينيه اللتين بدتا قاتماتان من قوة المشاعر
بدخله وتقحان الشرر عندما عادت تتلوى بين يديه

((نعم هذا ما أريده.. لأنني الرجل هنا وأنا المسؤول عنك كما
هو الأمر بالنسبة لأي زوجين عاديين.. أخبرتك ألا تظني أن
موافقتي بأن لا يحدث بيننا أي شيء حتى الآن يعني أن أتساهل
بقلة احترامك لي أكثر من ذلك))

عند ذكر الموضوع مرة أخرى.. وجد نفسه ينظر لها بإثارة
وعيناه الوقتان تنظران لجسدها بهذا الشكل الذي يراها به
لأول مره وهو بعد أن لاحظ أنها ترتدي قميص نوم خفيف
وضيق..

لا بد أنها ظنت أنه لن يصعد ل فوق.. فهذه الملابس تحرمها
عليه..

هنا عند هذه اللحظة شعر بالقميص وكأنه يستفز رجولته.. كيف
لا وهو يرى من أحبها بين يديه وغير قادر على نيلها..

ليس وكأنه من النوع الذي لا يستطيع التحكم بنفسه مهما كان
يعشق ويرى المرأة التي أمامه فاتنة..

ولكنه شعر انه يريد أن يعبث معها قليلا عقابا لها على كل ما
تفعله به..

ارتسم على فمه ابتسامة وهو يقترب منها بأنفاس هادئة.. ليشدد
من خشونة إمساكه بجسدها ويهمس بخفوت مشاغب

((جميل قميص النوم الذي ترتدينه يا مليكتي.. بل إنه بقمة
الخلاعة مقارنة بما ارتديته لي ليلة زفافنا))

هنا ارتعشت شفتا جالا بقوة وهي تهز رأسها برفض عنيف مما
تظن أنه يفكر بفعله..

لكنه تابع التحديق بها بجوع رهيب يظهره أمامها ويظهر رغبته
لالتهامها كلها بمشاعره المتأججة وهو لا يقاوم بينما يميل
لشفتيها هامسا بحرارة

((هل تشعرين ببرودة؟ لا تقلمي إذن فأنا موجود لهذا الغرض
وإلا ما فائدتي هنا؟))

لا تعرف كيف استطاعت بعينين لامعتين من دموع محبوسة لم
يطلق سراحها كسابقاتها أن تهنف بتعنت بينما تتهم ساخرة

((لم؟ هل أنت مدفاة؟))

هنا وعند سخريتها ابتعد مراد بشكل طفيف عنها ينظر لدموعها
العالقة بها والأخرى المنزقة على وجنتيها..

ركز نظره على عمق عينيها ورغم الدموع كانت عيناها
تنوسلانه برجاء بالرغم من التحدي والقوة المزيفة الظاهرة
عليها..

لكان سرعان ما ذهب منها إي أثر للسخرية تحاول جالا إظهاره
وهي تراه يترك خصرها ببطء ويظهر أنه مغيب بها..

عادت للخلف بقدميها ببطء لتراه يتقدم هو نحوها.. حتى لمست
ساقها السرير وأصبحت غير قادرة على التراجع أكثر لتشل
حركتها وهي تسقط جالسة على السرير..

ابتسم هنا مراد بخبائثة وهو يجد نفسه يقف أمامها لينحني فوقها
فتترجع هي إلى خلف حتى استلقت فوق ظهرها على فراش
السرير ليستلقي فوقها بدون أن يضع ثقله عليها..

وحين امتدت أنامله تعبت بمقدمة ثوبها بدأت ترتجف بعنف..

خاصة وهو ينظر لها بوجه متهمك عليها وكأن حالها
المضطربة وهلعها الظاهر عليها لم يعد يهزه ولو لثانية كما
السابق..

بل إنه همس متهمكا

((أين ذهبتي القوة التي تدعين بها يا زوجتي العزيزة؟ لا تكون
جبانة هكذا لم أبدا بفعل شيء بعد))

هزت جالا رأسها بعنف وهي تغمض عيناها بقوة وتشد عليهما
وكانها بعيدة عن الموقف الحالي.. وتعايش أمر آخر أصعب
بكثير..

كان شعرها يضرب وجهه فيتأوه مراد بصمت منتشي برائحته
فينسى كل شيء ليجد نفسه يغمض عينيه للحظات بعدها وهو
يشعر بنفسه في حلم غريب وهي الآن بين ذراعيه..

لوهلة أراد أن يرفع أنامله ويتتبع النبض الثائر بعنقه مختبرا
جنون الذي لا يزال يشعر به..

تلك العنيدة التي لا تتوقف عن إيذائه وإيذاء نفسها قبلا بكلماتها
وتصرفاتها وعنادها.. ثم عاد يفتحهما على صراخها الذي
يزداد..

لحظات وشعرت جالا بأنامله تتوقف عن لمسها مع بقائه
مستلقيا فوقها بشكل قريب لدرجة الاحتضان بدون أن يضع كل
ثقله فوقها..

فتحت إحدى عينيها وهي تحاول الهمس باسمه.. إلا أن نطق الحروف ضاع منها وهي تجد أمامها عيني بلون بندقي تواجهها بشروء..

بعيدا عن كل شيء استطاعت التحديق بهما بعمق.. كان فيهما تساؤل وقهر.. كانتا مليونتان بالألم..

وكان شكلها وتعثرها كان موجه له عكس ما رأت قبلا بحالة الجمود الذي أظهرها..

لكن مع ذلك وجدت نفسها وبكفيها تدفعه وتبعده عنها هاتفة بغضب

((أخبرت أن تباعد عني وإلا سيملاً صراخي المكان ولن يعجبك الأمر عندما يسمع والديك))

كان يريد الابتعاد عنها بعد أن اكتفى بمعاقبها على مسألة عدم أخذها للنقود..

لكنه وجد نفسه الآن يريد أن يتمادى بعقابها أكثر ما إن كررت تهديدها بفضحه..

ارتفعت ابتسامة شرسة فوق شفثيه وهو يرى عيناها تلخصان كل الخوف الذي تشعر به بالرغم من تهديدها له..

همس لها من بين أنفاسه ساخرا

((بيدو أنك مصرّة على التهديد وتعجزين عن الصمت باحترام كما أمرتك قبل قليل.. لكن لا بأس.. إذا كنت لا تعرفين كيفية الصمت إذن فاتركي لي مهمة تعليمك))

عندما عرفت جالا أنه يحاول أن يقبلها وهي تراه ينظر لشفتيها هكذا انتفضت مبتعدة بوجهها عنه للخلف سريعا..

لكنه لم يمهلهما الفرصة وهو يمسك ذراعه مثبطا إياهم
وبلحظات كان يطبق بشفتيه فوق شفثتها في قبلة يكتم صوتها..

كان يقبلها بقسوة لكن قبلاته بنفس الوقت كانت مستكشفة
ومتملكة..

شعر أثناء تقبيلها بقوة المشاعر المتناقضة بداخله تجاهها وهو
يودعها كل ما يشعر به نحوها من غضب على كل وقاحتها معه
التي جعلته يتصرف معها هكذا..

ألم يقل أمام نفسه بعد أن سمعها بأذنيه تنطق أسم رجل آخر
أثناء نومها بعد أن انهارت أمامه لمجرد اقترابه منها بأنه
سيشعر بالاشمئزاز من فكرة الاقتراب منها وهي لا تزال واقعة
بحب غيره؟

لكن كل هذا الأفكار ضاعت بينما يشعر بشيء غريب يدب فيه
عندما وقت بين يديه مرة أخرى ليقبلها هكذا..

بينما جالا لم تستطيع أن تعيش نفس مشاعر مراد وهي تحاول
إبعاده عنها بعنف بلا فائدة وهو يكبل جسدها بيديه ويمنعها
حتى من التحرك قيد أنملة..

كان يُحي أكبر كوابيسها سوءً وهو يفقد الباقي من عقله وشفثته
تستبيحان وجهها بنشوة..

ما إن شعرت جالا باستكانته وكأنه أخيرا فاق من هذا الجنون
دفعته عنها بقوة..

نظرت له بذهول إلى صدره يعلو ويهبط كما حالها.. تنتظر منه
أن يرفع عينيه له ليعتذر نادما كما المرات السابقة..

بل بهذه المرة كانت تنتظر أن يعتذر أكثر فهو لم يقبلها مرة بل
مرات كثيرة..

لكن مراد أشاح بوجهه عنها بارتباك وهو يبتعد عنها بصمت
أكثر..

وكانه لا يريد مواجهة عيناها اللتان ستكيران له الكثير من
الاتهامات..

فاعتدلت من استلقاءها وحاولت الوقوف ليسارع بمسكها ما إن
شعر بعدم توازنها..

وعندما تابعت النظر له بلوم هتف بارتباك بدون أن ينظر لها
((لا تتظري لي هكذا..))

بأول مرتين كان يتعمد تقبيلها وملامستها ليقترب منها.. لأنه
كان يظنها تشعر فقط بالخجل أمامه ولم تعتد بعد حتى على
فكرة زواجهما وبحاجة لمبادرة منه..

وبعد أن عرف أن سبب رفضها أنها لا تحبه وعد نفسه بأنه
سيحاول كسب قلبها حتى ترضخ له أو على الأقل تجد قبول
له..

فهو لن يكون معدوم الرجولة إلى حد أن يفعل شيئا رغما عنها
هي زوجته..

الآن نعم كان بإمكانه التحكم بنفسه ولكنه يريد فقط العبث معها
عقابا على ما فعله به وتقوله له..

لقد عاش عمره كله وعلى غرار من بسنه يرفض الوقوع في
الخطأ.. مهما تم تشجيعه من قبل أصدقائه وأقرانه إلا أنه فضل
أن يكون أمامهم مملا وفاشلا على القبول بفعل ما لا يراه
صحيحها..

لذا لن يكون اليوم حيوان لا يفكر إلا بشهواته ويخضع لرغبته
التي تسكنه ليقترب منها رغما عنها..

رأى جالا فجأة تنفض يده التي كانت تسند ثقلها عنها ليترك جسدها..

فتمشي بترنج جانبا متعثرة وهي تشعر بدوار يلفها.. فلم يكلف مراد نفسه إعادة مسكها تاركا إياها تعاني مر حالها كما تعاند وتزيد..

إلا أنها همست ما إن ابتعدت عنه بصوت متحشرج ودموع متجمعة يعيونها دون أن تدبر وجهها له متممة بخفوت وبصوت متقطع ضعيف بين شهقاتها

((الم تخبرني أنك لن تجبرني على شيء؟ لماذا نكثت بكلامك))

أخذ مراد نفسا طويلا ليقول مبررا بوهن

((لا تخافي لم أكن أحاول أن أتمم زواجنا.. كنت أعاقبك.. على قلة احترامك لي))

رفع نظره لها عندما سمع شهقاتها تخفت تدريجياً لتتحول لبقاء صامت تكتمه بقوة..

فابتلع ريقه بتوتر.. لكنه جاهد ألا يظهر شيء وهو يطفى زر الإنارة تاركا الضوء المصباح الخافت ليتهجه نحو السرير يرفع الغطاء عنه قائلا وهو يوجه كلامه لها بصوته الخشن من تأثره بها ولكن بنبرة حازمة

((هيا تعالي أريد النوم الآن))

وكأنه يتلاعب بها ويحاول استفزازها فأى نوم على نفس السرير معه بعدما فعل بها ذلك؟

كانت تريد الصراخ به ليغرب عن وجهها ولكنها توقفت بغتة ترتجف بعنف حين وجدته يزفر بحدة تتعالى أنفاسه هاتفا باسترسال

((أخبرتني لن أقترب منك.. ولكننا سنعود للنوم على نفس السرير.. لأننا سبق واتفقنا على أننا نريد الاعتياد على بعضنا أكثر.. صحيح؟))

أخفضت جالا رأسها للحظات ثم استدارت نصف استدارة له..

وعندما شعرت بحسن نيته وأنه فعلا لا يريد النكث باتفاقهم أكثر من ذلك تقدمت بخوف ظاهر لم تقدر على التحكم به نحو السرير من الجهة الأخرى المقابلة له..

لكن لم يمنعها ذلك من رشقه بنظرات توشي بخوفها من غدره وكأنه ذئب سيفترسها..

ببطء رفعت جالا الغطاء واستلقت على طرف السرير لتضع الغطاء فوقها بينما تتشبث بقبضتها به بقوة.. وكأنه سيحميها منه..

=====
=====

استمر الهدوء بالحجرة وشعرت جالا بأنفاس مراد المستلقي بجانبها تخنقها وتطبق على صدرها حد الموت..

انكمشت جالا على نفسها والدموع مهما انزلقت على خديها تتجمع دموع أخرى بعينيها فوجدت نفسها فجأة تعتلد من استلقائها لتقف وتخطو نحو المرأة تنظر لنفسها فيها رغم أنه لم يكن بالحجرة إضاءة ساطعة..

نظر لشعرها مشعثا وشفاهها متورمة بشكل طفيف من قبالاته..

وهناك الكثير من الدموع العالقة في رموشها بخلاف التي ما
زالت على خدها..

وقتها ما لبثت إلا ثواني لتبدأ بنوبة بكاء شديدة مجددا ولكن
بصوت خافت وكأنها رأت نفسها بالمرأة عبارة عن كائن قبيح..
وبسببه هو..

تراجعت لتخطو نحو زاوية الحجرة القريبة من طرف سريرها
لتجلس عندها وهي تدفن وجهها بين ذراعها وتضم نفسها
وكانها تحتضنها..

فقد عادت الآن لتذكر كل مالا تريد تذكره..

كان مراد يراقبها طوال الوقت فعقد حاجبيه وعبس عندما رآها
تجلس أرضا عند زاوية الحجرة وشعر بمشاعر متناقضة
بدخله لكن كان الغضب هو السائد عليها جميعا..

اعتدل شبه جالسا مكانه ثم أغمض عيناه مستندا برأسه فوق
حافة السرير وهو يقول بحزم

((جالا ارجعي للاستلقاء على فراشك.. ستمرضين وسيتكسر
ظهرك إذا بقيتي هكذا طول الليل))

لكن لم يتلقَ منها أي شيء سوى استمرارها بالبكاء..

شعر مراد بتغيير كل شيء حولهما.. حتى الهواء المحيط بهم
أصبح مثقلا بالأحاسيس الغاضبة والحاقدة وبدأت تدور الأفكار
بسوداوية داخل عقله كحال الليالي السابقة قبل وأثناء سفره
عندما يفكر برفضها الدائم له لأنها تضع حبها لكارم بينهما..

بهذه اللحظة لم يعرف مراد كيف استطاع السيطرة على غضبه
ولكنه كالعادة استمر بإغماض عينيه حتى يتمالك نفسه ثم
فتحهما مزجرا بوعيد

((جالا لا تجعليني أعيد كلامي.. لا تجلسي أرضا وعودي
لفراشك الآن))

ولكنه كان وكأنه يتكلم مع الحائط.. لذا اعتدل جالسا على
السريير وهو يصيح بها بعدما وجدها مصرة على عنادها
((بيدو أنه ليس هناك أمامي أي شيء إلا أن أعيد تربيتك من
جديد يا زوجتي العزيزة))

فقط هنا برقنا عيناها فجأة بتحدي لترفع رأسها نحوه وتحرك
شفاتها صارخة من بين دموعها
((بأحلامك يا زوجي العزيز أن اتربي.. والله لن اسمح لك ولا
لأحد بالعالم أن يربيني..))

رفع مراد حاجباه مذهولا ثم قال

((إذن تعترفين بنفسك أنك لم تتربي))

فغرت جالا فمها لا تعرف ماذا ترد على سخريته..

تريد أن ترد عليه بأي شيء فليس من عاداتها أن يتم السخرية
منها أو شتمها والسكوت..

لكنها فجأة وبدوامة تحديقه بها وجدت نفسها تنسى التفكير برد
سخريته له وتبدأ بالتفكير بما حدث قبل قليل بينهما..

وجدت نفسها تشعر بالألم يعترض معدتها لتنتفض للحمام تخرج
ما بجوفها..

عجز مراد عن التفكير أو الحديث وهو يراها تهرع للحمام
واكتفى بابتسامة سخرية مريرة لنفسه بعد لحظات طويلة..

بيدو أنها لا تتحمل وجوده معها بنفس المكان..

كلما يتذكر الشخص الذي تفكر به يشع بنيران حارقة..

فما كان منه إلا أن يغادر الحجرة قبل أن يحدث ما لا يحمد عقباه
كما يفعل كل مرة لا يتمالك غضبه..

بينما بهذه الأثناء خرجت جالا من الحمام وهي تجفف وجهها
بمنشفة قبل أن تعود للجلوس عند زاوية الحجرة وهي تحتضن
جسدها وتعود لوصلة بكائها.. وكأنها لا تجد الراحة أو المتعة
إلا بالبكاء..

بقي مراد جالسا على كرسيه يستمع لوصلة بكائها التي يظن أنه
يعرف سببها فتزيد حرقةه وكان داخله بحر هائج من الغضب
الأسود يكاد أن يترك له العنان فيغرقها فيه دون لحظة ندم
واحدة منه..

بعد أن مرت ساعة عليه لم يعد يسمع أي صوت أو همس من
الداخل فانتصب واقفا من جلسته المتيبسة ليعاود دخول
الحجرة..

كانت جالا لا تزال مكانها فأخذته الشفقة على نومها بهذا الحال
والوضع وتقدم منها وهو يمد أنامله بحذر نحو منابت شعرها
يداعبها برفق..

أنه فعلا لا يتحمل رؤيتها تتألم وكم ود لو يقترب منها ويحضنها
مثل تلك الليلة التي همس لها بقلقه وحبه وكشف لها عن حلمه
منذ الزمن المتمثل فيها وهو متأكد أنها لن تسمعه..

زفر مراد بضيق.. إلى متى سيبقيان هكذا؟

هل سيأجلان زواجهما الحقيقي لأجل غير مسمى؟

كلما يمنحها وقتا أكثر يشعر بعذاب متواصل أكبر.. ويتزايد
بعدها عنه..

ولكن لن يكون له حق فيها حتى ولو كانت زوجته إلا عندما
تقبل فيه فما كانت كرامته ولا كبرياؤه ولا رجولته يسمحون له
أن يضغظ أو يجبر امرأة لا تريده عليه مهما عشقها..

حمل مراد جالا بين يديه برفق ووضعها على السرير ثم دثرها
جيذا بالأغطية..

حقق بها قليلا قبل أن ينام مكانه ثم زفر بضيق وهو يشعر بأنه
ليس بحاجة إلا للهدوء والركيزة التي لا يعلم إن كان يمتلكها
ليستعين بها في مجابهة ما يشعر به من حزن.. وخيبة..
ومرارة..

استلقى مراد بجانبها على السرير وهو يتذكر تفاصيل ما قام به
متذرعًا بحجة أنه يريد معاقبتها..

لم يذق النوم طوال الليل بل ظل يتقلب حتى اعتدل من فراشه
عند صوت أذان الفجر الأول..

ليتحرك متجها إلى الحمام ويطلق رذاذ الماء البارد بهذه
الأجواء الصقيعية ليضرب وجهه المشتعل عله يسترخي قليلا..

بعد ساعتين..

مع بوادر الصباح فتحت جالا عيناها الناعستان عندما سمعت
بصوت حركة بأرجاء الحجرة ثم عادت تغلقهما..

انتبهت منذ الفجر أنها تنام على سريرها وبالحقيقة لم تهتم كثيرا
لفكرة أنه حملها وجعلها تنام بقربه..

فما فعله أفضل من أن يتكسر ظهرها وتموت من شدة البرد إذا
بقيت نائمة أرضًا..

عادت جالا تفتح إحدى عينيها وهي تسأله بصوتها الأجهش من
أثر النوم عندما رآته يقترب نحو منضدة الزينة يسرح شعره

((هل تريد أن أصنع لك الفطور؟ فقد طلبت مني أن اعد
الفطور لك من أيام طويلة وبعدها لم انهض من نومي على
وجودك بالمنزل))

نظر مراد لها بحدة ثم قال متجاهلا سؤالها

((سأتناول الفطور بالأسفل مع والدي.. انهضي وارتي ثيابك
ورافقيني للأسفل))

فتحت جالا هنا عينيها معا ثم قالت برفض

((لا شكرا.. سأكل فطوري هنا.. لا تقلق بشأنني))

زفر مراد بصوتٍ عالي ثم قال بنبرة قوية

((لا يهمني تناولك الطعام من احتضارك من الجوع.. ولكن
وفية التي تعمل عند أمي لن تأتي للبيت ربما لشهر بسبب عودة
ابنها المغترب.. لذا سيكون عليك أنتِ النزول ومساعدة أمي
طوال هذه المدة))

اعتدلت جالا من نومها وهي تتمتم لنفسها بينما تكتف ذراعيها
أمام صدرها بكره وغيظ

((يا إلهي.. وفية ذهبت فقلت لنفسك "ما الحاجة لإحضار بديلة
عنها وأنا متزوج ويمكنني جعل زوجتي خادمة عند والدي"..
تريد أن تستفيد من زواجك بي.. صحيح؟ فإذا كنت لا انفع أن
أكون جارية بالليل يمكنني التعويض عن الأمر بأن أكون خادمة
بالنهار))

فغر مراد فمه وفتح عيناه على اتساعهما وهو ينظر لها غير
مصدق لما تقوله..

هل فعلا تظنه يعتبرها "جارية" عندما يريد قربها ووصالها؟

هل تظنه يعتبرها "خادمة" لأنه يريد عائلته أن تحبها وتألف على وجودها؟

الهذا أيضا لا تسمح له بالاقتراب منها؟ لا يشعر بأنه قادر على أن يغفر لها تفكيرها هذا..

وبينما كان ينظر لها بوجه جامد تحول لون عينيه للون قاتم ثم وجد نفسه يبتسم لها بغل وهو يقول شامتا

((نعم أريدك أن تنزلي عند والدتي وتعلمي عندها خادمة نافعة طوال مدة غياب وفيه.. ولم تزوجتك إذن؟ فلا أظن أن هناك فائدة ترجو منك غير ذلك.. هل تفهمين؟))

اتسعت عينا جالا بصدمة وذهول من قوله صراحة لها ثم التمتعت عيناها بتمرد وكم ودت لو تصبح بوجهه وتزجره..

لكنها رأته يزفر نفسا عميقا وهو يمرر يده على وجهه ثم شعره مبعثرا إياه كأنه يحتوي كل أثار غضبه وعواطفه المستثيرة نحوها قبل قوله بهدوء بينما يمد يده لها

((هيا انهضي بسرعة.. ستنزلين معي.. هيا غيري ملابسك وانزلي معي))

دقائق وأنهت جالا ارتداء ملابسها لتنزل الدرج معه لبيت والديه وتقاسيم وجهها شديدة تظهر أنها ترافقه تحت التهديد بالسلاح..

قبل أن يفتح مراد مقبض باب شقة والديه همس بتهديد بالقرب من أذنها

((ابنة خالتي هنا وستبيت من الآن وصاعدا ببيتنا لأن هناك مشاكل بينها وبين أختها.. أنا لا اطلب منك صداقتها ولكن إياك وأن تزعجها أو تثير المشاكل معها فحالتها لا تتحمل أي قهر إضافي.. إنها يتيمة وتصغرك بعدة سنوات فاعتبريها أختك الصغيرة))

شعرت جالا أنها تريد البكاء بهذه اللحظة..

ألا يكفي أنها تترقب بخوف ما ستعرضه من سوء معاملة من قبل والده مراد بعد أن يذهب لعمله ويتركها عندها وحيدة..

والآن هناك ابنة خاله تشك بأنها حضرت بالعمد حتى تساعد خالتها روعة بتعذيبها..

وجدت جالا نفسها تغمغم بغضب

((ومن أين خرجت لي أبنة خالك هذه؟ هل تنقصني؟))

اتسعت حدقتنا مراد فوجد نفسه يدفعها للإمام عقب أن فتح الباب حتى كاد أن يختل توازنها وتقع..

إلا انه لم يهتم وهو يحذرهما هامسا

((إياك ثم إياك أن اسمع منها شكوى ضدك هي بالذات.. وقتها لا تلومي إلا نفسك))

التفتت جالا تنتظر له وهي تلوي فاها بغير اهتمام بينما ترمقه بغيظ..

بعد نصف ساعة..

تأخر مراد عن عمله صباحا فقط لأجل أن يشرف على جالا التي أمرها أن تعد الفطور عقب أن طلب من والدته أن تبقى مرتاحة وتترك مهمة إعداد الفطور من الآن وصاعدا لجالا..

بالطبع ساعدها مراد بالمطبخ بعيدا عن أنظار والدته ليتأكد من إعداد فطور لذيذ أو على الأقل مقبول وحتى لا يظهر بسواد الوجه أمام والديه..

بخلاف والده الذي ذهب لعمله قبل قليل بقي مراد ما زال
يتناول طعامه على مهل.. برفقة جالا ووالدته حول طاولة
الفطار..

تناولت جالا رغيف الخبز وقبل أن تضعه بفمها وصلها صوت
حماتها الحانق

((البيض ينقصه الملح))

سعل مراد وهو يقف من مكانه متبرعا بإحضار الملح لكن
والدته أجلسته قائلة بغیظ

((لن ينفع وضع الملح فوکه بعد أن انتهت زوجتك من صنعه..
كما أنها قد أفرطت في طهي رقائق البطاطا.. بالمرّة القادمة أنا
من سأقوم بكل شيء.. لا عجب أن والدك قام غاضبا لعمله
بدون أن يكمل تناول فطوره))

قاطعتها جالا بسرعة وهي تقول لروعة بلامح هادئة على غير
طبيعتها

((أنا بالحقیقة یا خالتي لم أقم بصنع البيض أو البطاطا.. بل
مراد من تبرع لإعدادهم حتى ننتهي بسرعة من صنع الفطور
ويلحق عمي عمله.. لو كنت أنا من أعددتهم لكن قمت بعمل
أفضل بكثير فأنا بارعة بصنع الوجبات الخفيفة.. لذلك یا مراد
لا تدخل مرة أخرى بعلمي بالمطبخ أو أي شيء آخر..))

تنحج مراد وهو ينظر لها بينما يضيق عيناه اللتان تخرجان
منهما شرارة وعيد لتسكت قبل أن يلصق المقلاة أمام بوجهها..
فسكنت جالا وهي تزرد ريقها بغير رضا..

تابع مراد أكله بدون أن يرفع نظره لوالدته التي كانت ترمقه
باحترار فهي لم تعطي وفيه إجازة لشهر كامل مدفوع الأجر
ليعمل ابنها عندها بدلا من ابنة سميحة..

عم الهدوء والصمت المشحون بينهم لدقائق قبل أن يقطعه مراد
سانلا والدته

((هل تناولت يارا شيئا بالأمس بعد أن صعدت أنا لشقتي فوق؟
لماذا لم تجربها على مشاركتنا الفطور الآن يا أمي؟))

أجابته والدته بهدوء وهي تمضغ طعامها

((لا تقلق سأتابعها اليوم وأتأكد من تناولها لجميع وجبات
طعامها.. وكذلك الأمر لزوجتك.. ساهتم بها هي الأخرى.. فهي
نحيلة جدا وبشكل غير جذاب وصحي.. سهر خطيبك السابقة
كان جسدها جذابا أكثر وأقل نحول))

أغمضت جالا عينيها بغیض وهي تترك رغيف الخبز من
يدها..

لقد بدأت حماتها الآن عملها بتحطيم صورتها داخله بجعله يرى
عيوبها مقابل محاسن غيرها وهي لم تلبث حتى ساعة على
دخولها لبيتها..

قال مراد مستنكرا كلام امه بعيدا عن موضوع المظهر
الخارجي

((أي اهتمام يا أمي بها.. هل أنا متزوج من طفلة؟ بل هي من
سنهتهم وتقوم بك.. صحيح يا جالا؟))

سأل مراد وهو ينظر لجالا يريد تأكید منها.. لكنها لم تجيبه
وبقيت تتناول طعامها بدن أن تنتظر له حتى..

فشعر بالغضب الشديد منها وكأنها تحاول تصغيره أمام والدته
بتجاهله..

كان يريد أن يصيح عليها لكنه جفل على صوت همس واهن
من قبل ابنة خالته القادمة نحوهم

((صباح الخيار جميعا))

رفعت جالا نظرها لها لترى ابنة الخالة هذه..

كان وجهها أسمرًا.. شاحبًا.. وتحت عينيها هالات سوداء بارزة
لدليل على عدم نومها وعلى بكاء استمر لساعات وأيام اقتادتها
لتبدو أكبر من عمرها الذي لا يتجاوز العشرين..

رأتها تتقدم تجاه مراد مبتسمة بضعف لتعانقه بقوة.. وتبعثر
شعره الناعم بأناملها هاتفة

((لقد اشتقت لك يا مراد.. أسفه لأنني لم اقبل طوال الأمس فتح
باب الحجرة لك وبقيت أحبس نفسي داخلها.. لكني كنت بحاجة
للاختلاء بنفسي))

كان مراد يبادلها العناق ويطبطن على ظهرها ليرد عليها
معاتبا

((لا بأس ولكن يا يارا إياك أن تغلقي الحجرة على نفسك من
الداخل مرة أخرى مهما كنت غاضبة أو حزينة.. مفهوم؟))

كانت جالا بالأثناء تعقد حاجبيها من منظرهما..

هل هذا هو الذي كان يخبرها أن تتحجب؟ هل الدين ينطبق
عليها وهو غير مشمول بأحكامه؟ مناقق كبير..

لكنها أخذت تتأمل ابنة خالته وسرعان ما زفرت بضيق
وبصوت منخفض..

فابنة خاله الناعمة هذه تبدو مزعجة.. ملابسها ضيقة جدا..

هنا تلقائيا وجدت جالا نفسها تنظر لملابسها وتتأمل بها وهي
تعدل ياقة قميصها لتجد أن لا مقارنة بين الملابس المحتشمة

والعادية التي ترتديها هي أمام مراد وهو زوجها بما ترتديه تلك
الناعمة أمام ابن خالتها..

التفكير بعلاقة ابنة الخالة ومراد جعل جالا تذهب بفكرها بعيدا
لذكريات تخصها مثيرة للاشمئزاز لها..

لكن سرعان ما هزت رأسها بعنف لتمحيها.. فالوقت الآن ابعدها
ما يكون مناسباً للتصرف كمجنونة غريبة مثيرة للشفقة..

رأت مراد يسحب كرسيها بجانبه لتجلس ياراً عليه.. ولكنها وقبل
أن تهتم بالجلوس تطلعت للسفرة باستغراب لتقول بينما تنتظر
لمراد

((لحظة.. دعني أصنع القهوة قبل أن أكل أي شيء فأنت تعرف
أني لا أحب الشاي على الفطور))

لكن مراد سحبها من ذراعها لتجلس عنوة على الكرسي وهو
يخبرها أن تجلس ثم توجه بنظره باقتضاب نحو جالا أمراً إياها

((جالا اذهب أنتِ وحضري القهوة لنا))

عقدت جالا حاجبها مرة أخرى وهي تستوعب أنه أمرها للثوب
أن تخدم ابنة خالتها..

صفتت به للحظات تنتظر أن يخبرها أنه كان يمازحها فهي
ليست خادمة هنا ولكن عندما أخفض بصره عنه يعاود إكمال
تناول طعامه عرفت أنه يقصد فعلاً أن تقوم لتخدمهم..

هنا ويبعدا عن تصرفاتها المعهودة حاولت فعلاً أن تنفذ أوامره
بهدهوء وآلية وبدون نقاش حتى لا يصرخ عليها أو يوبخها أمام
ابنة خالتها أو والدته..

فلتسايره بشكل مبدئي حتى ينتهي اليوم على خير ولتري فيما
بعد كيف عليها أن تتصرف..

بعد دقائق جهزت جالا القهوة وأحضرتها وأخر ما توقعته أن
يهدر بها مراد بمجرد رؤيتها متذمرا

((لماذا تأخرت القهوة كل هذا؟))

شعرت جالا بنفسها تغلي كبركان ثائر لا يهدأ بالرغم من أنها لم
تظهر شيئا من الخارج وهي تتجاهله متعمدة مما جعله يفتأ
منها فصرخ بها متعمدا أمامهم ردا على تجاهلها له

((عندما أطلب منك شيئا أريده موجود أمامي خلال لحظات..
مفهوم أم تريدين أن أجعلك تفهمين على طريقتي؟))

جن جنون جالا وهي تفتح عيناها على اتساعهما لا تصدق كيف
يصرخ عليها أمامهم..

هل يريد أن يظهر أمامهن بمنظر الرجل على حسابها؟

ثم أي طريقة هذه التي يريد من خلالها أن يجعلها تفهم؟

إلى هنا كان يكفي بالنسبة لها فقد تمادى ولن تتحمل أكثر أن
يعاملها فعلا كخادمة..

لكن قبل أن تنهز بأى شيء سمعت يارا تقول وهي تلتقط
غلاية القهوة وفجان لها بغنج ونبرة شماتة

((شكرا لك على القهوة يا زوجة أخي))

لوت جالا فاهها لها باستهزاء.. من الواضح جدا أنها تعتبره
كأخيها..

حمقاء.. لا يمكن لفتاة اعتبار أي ذكر بهذا الكون أخيها إلا لو
كان فعلا قد ولد من نفس رحم أمها أو شرب من لبنها..

وقبل أن تعود جالا لتجلس على كرسيتها التقت نظراتها مع يارا
التي كانت تبدو هادئة صلبة باردة الملامح لا تظهر أدنى تعبير
إلا شرارات تشع من عينيها تدل على الشراسة وموجهة
نحوها..

كأنها تعلن الحرب ضدها..

مما أثار استغراب جالا.. فهي لم يسبق لها وأن رأتها أو
تعاملت معها من قبل..

انتبهت جالا أيضاً لنظرات روعة نحوها وهي تنظر لها
بشماتة.. فشعرت بهذه اللحظة بالكره تجاههما..

لكنها سيطرت على ملامحها وهي تتجاهلهما وتعود للأكل
بوجوم..

عشر دقائق مرت قبل أن ينهض مراد منهياً طعامه وهو يغمغم
لجالا بصوت خافت

((جالا سأذهب الآن.. مهما تأمرك أمي أن تفعلي فلا ترددي إلا
"بحاضر" .. مفهوم؟))

ابتسمت جالا لمراد وهي تكظم غيضا بصعوبة لتقول من بين
أسنانها

((لا تفلق سأسمع كلام العمه))

وكان الموقف كان يسمح لاففعال مشكلة أخرى لتقول روعة
بعتاب مصطنع وهي توجه نظراتها نحو جالا

((كف عن قول "عمه" لي.. لم لا تدعيني بأمي؟ أم مقامك أكبر
من ذلك؟ إنها فعلا تزعجني عندما تناديني خالة يا مراد))

بأخر كلامها رفعت رأسها لمراد ليتدخل قائلاً بسرعة

((لا يا أمي هي لا تقصد ذلك.. دعتك "عمة" كنوع من الاحترام والتقدير.. لكن ستدعوك كما تحبين فلا تحزني))

ضيقت جالا عيناها وهي تنظر للخبث الظاهر بعيني روعة
فسارعت بالرد باعتراض

((لا يا مراد أنا معتادة أنا لا أقول "أمي" لأي امرأة إلا للتي
أنجبتني))

زفر مراد بضيق وهو يرى أنه على أعتاب شجار.. فحاول
تدارك الموقف.. أو بالأحرى حاول الهروب منه بالابتعاد عنهن
ليستعد للخروج للعمل..

لكن قبلا انتبه لجالا تقف من مكانها نحو الباب.. على ما يبدو
تريد الرجوع لشقتها فوق..

فصرخ مراد باسمها لتقف مكانها بدون أن تلتفت للوراء..

شعر مراد بالدماء المغلية تدفق لرأسه فقد كان واضحا معها
بأنه يريد أن تضل عند والدته طوال فترة خروجه ولا تبقى
منعزلة ببيتها فوق ولكنها تتجاهل ما أمره إياها وأمام والدته..

فوجد نفسه تلقائيا يقترب منها وما إن استدارت بكتفها له حتى
هتف لها بنبرة خشنة جافة

((أخبرت أن تبقي هنا ولا تصعدي للشقة.. ماذا ستفعلين فوق
وحيدة طوال اليوم؟ بقائك منعزلة عن البشر هكذا يجعلك تبدين
كغريبة الأطوار.. هل يعجبك هذا؟))

ازدردت جالا ريقها وهي تستمع له فنعم هي فعلا تكره البقاء وحيدة فوق بالشقة حيث لا وسيلة لتسلية نفسها إلا مشاهدة التلفاز وبعض البرامج التلفزيونية المكررة..

فحتى أنها لا تجد من تتصل عليه وهي تعرف أن أمها وهيام وراجي مشغولون.. لكن يبقى أفضل من البقاء مع والدته وتلقي على يدها تعذيبا نفسيا لا تقو على تحمله..

للحظة انتبهت جالا ليارا التي كانت تقف بالقرب منهما وتنظر لها بنظرات لا تفهمها.. احتقار.. تعالي.. أو ربما شماتة..

لكن عيناها بدتا ماكرتان وفيهما خبئاً لا يضاويه شيء.. يبدو أن ما ينتظرها من يارا لن يكون قليل..

سمعت روعة تقول بأسف مصطنع لمراد وهي تبتسم

((ما هذا يا مراد كيف تتحدث مع زوجتك العروس بهذا الشكل.. أنا لن ادعها تلمس شيء بالبيت.. ثم إن البيت يبرق نظافة.. صحيح أنني معتادة على تنظيفه وتعزيله بشكل أسبوعي مع وفية حتى لو كان نظيفا ولكن لا بأس يمكنني فعل ذلك لوحي فأنما ما لم أدخل بالخمسين ولا احتاج أي مساعدة))

للحظة اهتزت ملامح جالا غيظا من طريقة كلام والدة مراد.. ولكنها سيطرت على نفسها فورا حين هدر صوته بغضب وحزم

((أرجوك أُمي لا تعانديني.. أخبرتك هي من ستقوم بكل شيء.. فقط اكنفي بتعليمها الطهي لأنها لا تعرف أي شيء بأمور المطبخ))

رفعت روعة ستار ملامحها السابق وهي تبدي ذهولا مفرطا لتقول بشك

((ماذا؟ هل معقول ما يقوله ابني يا جالا؟ كيف يمكن أن تتجاوزي سن الثانية والعشرين بدون أن تحترف الطهي؟ هل

هكذا تربي والدتك سميحة بناتها وتعددهم للزواج؟ والله لو
رزقتي الله بابنة لم تكن ستصل الرابعة عشر إلا وأصبحت سيدة
بيت ممتازة من كل النواحي))

تتحنحت يارا بحرج وهي تلوي فمها وهي تتمنى ألا تكون
المقصودة أيضا بكلام خالتها فالمطبخ هو عدوها اللدود..

بل إن شفيقتها ميس سمحت لها سابقا بالمبيت عندها لأنها ظنت
أنها يمكن أن تجعلها خادمة وظاهية لأولادها ولكنها فيما بعد
استسلمت لقناعة أنها لا تصلح لشيء وهذا ما سهل عليها
بالنهاية أن تطردها من بيتها..

لكن جالا هنا لم تتحكم بانفعالها وهي تسمع والدة مراد تتحدث
عن والدتها بهذا الأسلوب والمقصد فاعترضت مبررة بدون أي
حذر

((اعذري والدتي يا خالة روعة فقد كانت تظن بأنني سأتزوج
من ابن جيراننا الدكتور كارم الذي كان يريد زوجة متعلمة لا
فقط مدبرة منزل.. فحرصت أمي حتى مع عملها ألا تجعلنا
نقوم بشيء وتتعبننا حتى نركز على دراستنا.. وإلا كيف
أصبحت أختي دكتورة وأستاذة جامعية؟))

صكت روعة على أسنانها بغيظ وهي تعرف مقصد جالا
بمعايرتها بأنها ستتخرج وتصبح جامعية بينما أختها بالفعل
حصلت على الدكتوراه وأصبحت أستاذة جامعية على النقيض
من ابنها الذي لم يكمل تعليمه..

لكن روعة عرفت كيف ترد عليها هادرة

((وماذا فيها يا حبيبتني جالا كان بإمكانك إكمال تعليمك باجتهد
وتحصيل علامات ممتازة وبنفس الوقت التعلم من أمك كل ما
يخص تدبير المنزل فهما لا يتعارضان مع بعضهما.. ولكن
وعلى ما يبدو بأنك لم تفعلي بأي شيء منهما.. أي أنك صفتي
بالنهاية لا امرأة جامعية ولا ربة منزل أصيلة.. لا تقولي لي

كيف عرفت مستواك الدراسي فوالدك قال لمراد بنفسه أنه ما زال أمامك الكثير للتخرج كما أعطى له خيار إكمال الدراسة بالجامعة له.. وانا..))

عقدت جالا حاجبها باستغراب شديد من كلام روعة..

لم تفهم ماذا ترمي لها وهي تقول إنها لن تصبح جامعية؟

هل تقصد أنها يمكن أن تحاول تحريض أبنها حتى لا يسمح لها بمتابعة جامعتها؟

وهل ما قالته عن والدها صحيح؟ من المستحيل أن تصدق بأن والدها قال ذلك لمراد..

ولكن لم لا؟ ألم يكن هو من دائما يردد على والدتها أنها تسمم أفكارهن بتحريضهن على إكمال دراستهن ولو على حساب تأخر زواجهما هي وهيام؟

بينما مراد كان واقفا بينهما بلا أي كلمة.. لم ينتبه لأي شيء من كلام جالا وأمه أو يسمع لشيء مما دار باستثناء كلمة واحدة إلا كلمة كارم..

أكثر إنسان يشعر بأنه يكن له الكره الى أنه يود الذهاب لروسيا وقتله..

ولكن العتب ليس عليه بل على زوجته التي تجرات على لفظ أسمه ببساطة من بين شفقتها..

هو لم يلمها على حيها المستمر له حتى الآن لأنه ليس بيدها ولكن لم ولن يكون من حقها أن تلفظ أسمه..

وجد مراد نفسه يرفع عينيه الشاردتين لجالا ويقترّب منها بتعابير مختلفة تماما عما كانت عليها ليثير الرعب قليلا فيها عندما وجدت وجهه قريب منها بلا أي فاصل وأنفاسه العالية تلفح وجهها..

كانت الغيرة والغضب قد تمكنت من مراد.. بدون ذرة شك
فيها.. فقط رجل يغار على زوجته بجنون فيحاول إيدانها ليقلل
من مقدار الألم الذي يشعر به..

فهتف بها بصوت صارم لا يقبل النقاش

((جالا توقي عن إثارة المشاكل.. رتبي طاولة الطعام ثم اذهب
لتري ماذا يوجد أمامك من عمل في البيت ولا تصعدي فوق إلا
عندما آتي..))

قالها ثم تقدم بعنف نحو الباب يفتح مقبضه لكنه لم يخرج منه
بل وقف أمامه للحظة ثم النفث ناحيتها يراقب شحوبها
وارتجافها بجمود يكمل محذرا لها بحدة وقسوة

((جالا.. من الآن وصاعدا كل الأعمال المنزلية عليك ولا أريد
من أمي أو ابنة خالتي أن تحرك أحدهما إصبعًا.. مفهوم؟))

خرج مراد كالعاصفة خارج الشقة ثم أغلق الباب وراءه بقوة
كادت أن تجعل الباب يقع..

استمر الصمت بين جالا ويارا ووالدة مراد للحظات والكل
بحالة دهشة من ردة فعل مراد المبالغ فيها..

كانت عينا جالا مليونتان بالصدمة والجمود لكن سرعان ما
حاولت رسم ابتسامة باهتة مرتجفة على وجهها حتى لا تمنح
ليارا أو حماتها فرصة استثارة أعصابها من جديد أو الشماتة
بها..

وكم ودت بهذه اللحظات أن تنهار أرضا من الطريقة المذلة
التي تعامل بها مراد معها أمامهن..

لوت يارا ثغرها وهي تنظر لها بلوم شيطاني لم تعرف أحدا
تميزا به كهذه الفتاة التي تراها اليوم لأول مرة وهي تحفز
خالنتها روعة ضدها

((كما سمعتي مراد يا خالتي روعة لقد قال لها أن تقول بكل أعمال البيت لوحدها لذا لا تتردى بطلب أي شيء منها واعتبريها كخادمة بالمنزل))

ثم أكملت يارا خطواتها وهي تسير نحو جالا تمر بجوارها وتدفع كتفها بكتف جالا بقوة آلمت كليهما بشدة متجاوزة إياها..

شهت جالا متألّمة وهي تضع كفها على كتفها تدلكه بينما نشوة الانتصار التي كانت تشعر بها يارا أنستها الألم الذي تسببت به لنفسها عندما فعلت ما فعلته متعمدة..

بهذه اللحظة شعرت جالا بالوقت يتوقف..

هذه هي المرة الأولى بحياتها التي ترى ابنة الخالة تلك المدعوة بيارا.. حتى بحفل الزفاف لا تتذكر أنها رأتها..

لم يسبق وأن تعاملت معها سابقا..

لذا فهي لم تخطئ بحقها سواء بعمد أو بغير عمد..

فما السبب الذي يدفعها للتصرف هكذا اتجاهها وأذيتها بدون أي سبب..

بدأ عقلها يستحضر سيناريوهات مرعبة لأبشع أنواع الانتقام منها الآن..

فعادت للحاضر وجزء أقل من الثانية كانت تتخلص من الشلل الذي تلبسها لتستدير للخلف تهول باتجاه يارا وتدفعها بقوة من الخلف دفعا تسقطها أرضا لعلها تطفئ نيران غيظها الملتهبة تجاهها..

لكن سرعان ما شهقت كل من جالا وروعة معا على حد سواء بصدمة مع صراخ يارا التي اختل توازنها جراء دفع جالا لها لتتقدم خطوات للأمام ويصطدم رأسها بطرف الباب قبل أن تتهاوى وتقع أرضا متأهة بوجع من قسوة الضربة..

سارعت روعة ترفع يارا من كتفها بجزع وهي تدلك مكان
الضربة على رأسها وتسألها بجزع

((كيف حالك؟ هل أنت بخير؟ ردي يا يارا.. ردي بأي شيء))

كانت يارا مغمضة العينين ودموعها تدفق من عينيها أنهارا
بسبب الألم الذي يجتاحها وهي لا تقو على الرد..

احتلت الصدمة ملامح جالا ممزوجة بالغضب وهي تهتف
مدافعة عن نفسها

((أنا أسفة لم أقصد ذلك.. لكنها هي من بدأت الأمر وقالت عني
أني خادمة))

رفعت روعة وجهها لجالا قائلة بصوت عاصف

((هل كدت أن تزهقين روح المسكينة فقط لأنها دعتك بالخادمة
أيتها المجنونة؟))

تجاهلت جالا صراخ روعة وهي تزدد ريقها ثم حاولت
الاقتراب من يارا خوفا من أن تكون تسببت لها بعاهة..

ولعلها تبدد أي بادرة مشاكل مستقبلية بينهما تلوح في الأفق لكن
سرعان ما نظرت روعة لها شزرا بنظرات شرسة تمنعها من
الاقتراب أكثر..

رابت روعة مكان ضربة رأس يارا وهي تنفخ فيها وتعاتبها
بينما تشد على أسنانها قائلة بنبرة مسموعة لجالا

((لم اقتربت من تلك المختلة؟ ألم أخبرك أنها مجنونة وتعض
الكلاب لو اقترب منها أحد؟ منذ صغرها كانت كذلك))

شعرت جالا بالغضب الشديد من الإهانات المتتابعة من والده
مراد..

فشعرت بعقلها متوقفاً تماماً عن التفكير ولا شيء فيه إلا
الخواء..

كما لو كانت قد ماتت كل مشاعرها في هذه اللحظة لتتمتم
لنفسها

((واو.. فجأة أشعر بأني لست نادمة على ضربها.. أبداً))

لكن قبل أن تستدير جالاً بجسدها للخلف وصلها صوت روعة
كفحيح الأفعى

((اعرفي مقامك أيتها الوقحة جيداً.. بدل أن تحمدي ربك أنك
متزوجة من رجل مثل ابني تتصرفين بجحود هكذا مع ابنة
خالته؟ وماذا أتوقع من تربية فتاة مثلك أمها مطلقة.. لم يستطيع
هي أو والدك أن يربياك أبداً.. ابني المسكين الذي ابتلي بك..
لولا هروب تلك الحقيبة سهر بيوم زفافه وإلا لم يكن ليتنازل
ويتزوج منك.. ألم تشعرني بأنك رخيصة وأنت بديلة عن فتاة
أخرى؟ لم نعطيك شيئاً بالزواج إلا كل ما كان ملك لعروسه
السابقة))

اغرورقت عينا جالاً بالعبرات وهي تتلقى أفضع إساءة بحياتها
والتي كانت موجهة لها ولوالدتها فكانت الكلمات المسيئة عليها
كالطعنات النافذة..

تابعت سماع روعة تستأنف إهانتها قائلة بصرامة كمن لها
الكلمة الأخيرة عليها

((الآن هيا اذهبي وقومي بأي شيء بالبيت بدلاً من الوقوف هنا
بلا أي فائدة.. أمسحي أرض المطبخ كاملة حتى لو كانت نظيفة
المهم ألا تجلسي بلا عمل هنا))

حاولت جالاً الرد عليها والدفاع عن نفسها فهي ليست ضعيفة
أبداً وليس من عادتها أن تسكت على من يؤذيها خاصة وكلمات
روعة كانت تضربها بأعمق أعماق فؤادها..

لكن بقيت العبارات حبيسة وشعرت بأن موقفها ضعيف عقب
أن تسببت ليارا إصابة قد تكون بليغة..

وبينما كانت روعة تنتظر لها هي ويارا التي نسيت الألم فجأة
وهي تصغي لإهانات خالتها لجالا بالرغم من الضربة التي
على رأسها بدت متورمة ولها أثر واضح على رأسها..

قالت روعة باستهزاء بارد

((هيا قلت لك اذهبي لعملك فأنت خادمة هنا.. ما بك تنظرين
لي هكذا؟ هل أزعجتك كلمة "خادمة"؟ إذن تعالي واضربي
رأسي مثل ما فعلتي بابنة أختي المسكينة.. هيا تعالي))

انزلقت عبرة حارقة من احدى الدموع المتحجرة بعيني جالا
لتعبر عما يجيش في صدرها..

إلا أنها سرعان ما وقفت تنظر لروعة بحالة من الجمود وبوجه
خالٍ من المشاعر قبل أن تتوجه بإنظارها ناحية يارا بحقد
فأشاحت الأخرى نظارتها جانبا..

عاودت جالا النظر لوالدة مراد قائلة بجمود مصطنع وبصوت
منهدج

((حسنا يا خالة روعة سأنظف طاولة السفرة والأطباق الآن))

ثم استدارت جالا للخلف ببرود وعدم اكتراث أظهرته بمشيتها
الرشيقة..

=====
=====

وضعت أمينة زوجة فيصل صينية الضيافة وفنجاني القهوة أمام
زوجها وضيفه الذي لم يسبق وأن رأته قبل..

بدا شابا ببداية الثلاثينات.. وسيم.. يرتدي حلة كحلية وقد خلع معطفه الشتوي ووضع بجانبه..

بدا واثقا مما هو قادم من أجله وبنفس الوقت لا يتوقع أن يناله بسهولة..

بينما زوجها فيصل بدا غاضبًا بحاجبيه المعقودين..

وكان هناك عاطفة أخرى مختلطة بغضبه فتقاسم وجهه الذي غزا العمر عليه بدا قاسية..

تمتم كل من احمد وفيصل كلمات الشكر لأمانة ثم انتظر فيصل خروجها من الحجرة وإغلاق الباب وراءها ليلتف فيصل ناحية احمد بتعابير مبهمه قائلا بصوت أمر وهو يشير بيده

((اشرب قهوتك يا بني))

استغرب احمد كلمة "بني" الخارجة من فيصل برفق.. لم يسبق وأن قالها سابقا له..

الآن هم متواجدان معا بنفس المكان ولكن بزمان مختلف..

فالمرة الأولى التي كانت قبل ثمانية سنوات يتذكرها جيدا حتى مع مرور كل هذ السنوات..

عندما أراد التقدم لهيام على سئة الإسلام.. وقتها كان ببداية حياته..

لم يكن لديه إلا لديه بيت صغير مستقل بجانب بيت والديه..

قال بهيام أن تخبر والدها بأنه سيحضر له فأخبرته..

لكن والدها طلب أن يفكر بالأمر.. وبعد يومين كلمه هاتفيا وطلب مقابلاته..

بعد أن قابله.. بقي أن يسأل عنه وعن عائلته..

لكن تبين معه فيما بعد أنه غير مهتم ولا يريد من داخله تزويجها له بالرغم من أنه بالبداية لم يصرح بذلك..

فاوّل أسبوع مرّ وقال إنّه كان مشغولاً.. وثاني أسبوع اعتذر وقال إنه لا يوجد عندهم نصيب..

ومهما فيما بعد أظهرت هيام تمسكها به ومهما تقدم لها هو مرة وراء مرة ولأكثر من سنة إلا إنه كان لا يلقى إلا الرفض منه..

قبل أن يتدخل جبروت الأهل ليوقف عثرة أمامهما ويفصلا ويتزوج من غيرها..

لكن الآن الوضع مختلف حتى لو كانت الظروف أصعب..

فوالدة احمد وقت وعدها لأبنيها بأنها ستقنع زوجها رؤوف بمسألة زواجه هو وهيام وبالفعل نجحت وقد أخبره والده بأنه موافق على ما يريد بل وسيقنع إيمان أيضا بأن تتقبل الأمر..

أخبر هيام بأنه سيأتي والدها بزيارة أولية.. لتعطيهِ خير وتحدث معه بالموضوع بشكل مبدئي..

وها هو الآن هنا ولا يبدو أن والد هيام سعيد لزيارته..

تطلع احمد ناحية القهوة قليلا ثم عاد ينظر لفیصل وهو يقول بصوت هادئ

((هيام سبق وأن فتحت الموضوع معك لذا لا داعي لأي مقدمات لا فائدة منها.. أنا جئت..))

خرج صوت فیصل الصادح بصرامة مقاطعا إياه

((أبنتي بالفعل قد تم طلب يدها من قبل شاب جيد ووافقتُ أنا عليه و بانتظار موافقتها هي.. كما أخبرتها أن تقطع تواصلها معك ولكن وعلى ما يبدو هي لم تفعل ذلك بل وأصرت أن تخبرك أن تأتي لمنزلي.. لذلك يا احمد رؤوف الغالي أرجو أن

تتذكر أنك بعد هذه الزيارة غير مرحب بك هنا أبدا.. اترك
أبنتي وشأنها ولا تحرضها لتبقى على رفضها لسعد.. أنه شاب
جيد وأنا متأكد بأنه سيسعدها))

تحفزت مشاعر احمد بغضب..

من سعد هذا؟ وهل يظن والدها بأنه فعلا يمكن أن يتخلى عنها
مرة أخرى ولرجل غيره؟

لم يتراجع احمد بل نظر إليه بكامل تركيز وبعيون مقدامة
ليتحدث بإصرار

((أتمنى منك يا عمي بان تفكر جيدا بقرارك هذا.. ولا تحاول
مجددا بأن تحرم ابنتك من الزواج من الشخص الذي تحبه
وإجبارها على شخص آخر لا يعجبها لأن إجبارها لن يكون
حل لأي شيء.. لا يوجد أسوء من أن ترتبط بشخص وعقلك
وقلبك مع آخر.. اسألني أنا.. لا تتخيل كم تمنيت طوال هذه
السنين العيش على ذكرها بدلا من ربط نفسي بامرأة أخرى..
حتى رسولنا الكريم امر بزواج المتحابين.. لا يحق لك يا عمي
أن تفرق بين اثنين يحبون بعض.. لا يجوز بأن تفرق بينهم
لأجل المنصب.. أو العادات.. أو التقاليد.. أو المال..))

شدد على آخر كلمة.. فبالمرّة الأولى تم رفضه لأنه أراد أن
يزوج هيام إحدى شباب عائلته وهو كان من عائلة غير عائلته..

ولكن السبب الأساسي لرفضه لأحمد أنه كان ببداية حياته ولم
يكن مستواه المادي هو المستوى المطلوب الذي يطمح أن يكون
عليه من سيتزوج واحدة من بناته..

قد تكون هذه الأسباب وجيهة لما تقدم من طلب الشارع للكفاءة
التي تحقق المصلحة للبننت ولكن كان على والدها أن يقدر
الظروف ويتصرف بما تقتضيه مصلحة أبنته ولا أن تحمله
العادات على ترك ذلك..

بملاح متباهية قال احمد مردفا بصوت قوي

((أنا لا أتباهي لكن أنا الآن صاحب مركز مرموق ومال على عكس ما كنت عليه بالماضي.. لذا لم تبقَ أي حجة لديك.. ومهما رفضت سأحارب من أجلها للنهائية.. أمي ستأتي للجلوس مع أمها ومكالمتها بموضوع خطبتنا.. ما رأيك بتحديد موعد؟))

انحنى فيصّل للأمام نحو احمد بشكل مبالغ به وهو يقول
بصوت هازئ

((لا يا احمد الأمر ليس سهلا كما تظن بل وأصعب من الماضي حتى لو أصبحت غنيا وطيبيا معروف.. إذا كان هناك احتمال أن أقبل بك بالماضي فهذا الاحتمال الآن ملغي.. فأنت متزوج ولديك ابن.. بل ويصادف أنك متزوج من ابنة ابن عمي عدنان.. أي أنت متزوج من ابنة عم هيام فكيف تتوقع أن أقبل تزويجك من ابنتي عليها؟ لو أنك انتظرت أكثر حتى يتحسن وضعك المادي والاجتماعي ثم أتيت لتطلبها بدلا من التسرع بالزواج من غيرها لاختلف الأمر.. أما الآن فهل هناك سبب واحد يجعلني أقبل بأن تتزوج يا احمد من ابنتي على ابنة عمها؟))

تطلع احمد لفیصل بحدقتين زرقاوين يجيشان بمشاعر متمازجة
فتلمعان من الغضب..

نعم هو أخطأ عندما تخلى عن حبه لها وتزوج من غيرها
بسرعة ظانا أن الزمن كفيل بجعله ينساها..

من جهة والديه اجبراه أن يتزوج من إيمان ومن جهة أخرى
هو كان يحاول الهروب لغيرها لأن والدها كان يتشدد أمامه
بأنه سيزوجها ممن هو أكفأ وأفضل منها..

لذا لم يكن يريد أن يكون مجرد بائس باقي على حبهها بينما
يراهها تتزوج من رجل آخر فسارع بالهروب لغيرها..

ببساطة لم يكن سيتحمل أن تتزوج قبله بمن هو أفضل منه..

وكم هو نادم على ذلك وهو يرى هذا الوفاء منها وهي ما تزال حتى الآن ترفض أي رجل غيره بهذا العالم..

هتف احمد بصوت اشدت نبراته من الغيظ يقول ردا عليه

((نعم يا عمي هناك سبب قوي يدفعك للقبول بي كزوج لابنتك..
إنه الحب.. الحب يا عمي.. عندما يحب الرجل امرأة فمن
المؤكد وجد فيها نصفه الأخر.. لا ذنب له ولا لها.. الحب لا
يعرف صغيرا ولا كبيرا.. الحب لا يعرف متزوج ولا أعزب..
الحب قدر يقع في قلب الإنسان))

صرخ به فيصل

((توقف عن قول هذه الترهات.. وماذا إذا وقعت امرأة متزوجة
بالحب مع آخر.. ماذا أقول لها؟ أقول لها الحب لا يعرف أي
فروق.. تطلقي من زوجك واهجري أولادك وأركضي وراء
قدرك ونصفك الآخر؟))

أشاح احمد وجهه بحنق وهو يقول بصوت واهن

((عمي الأمر مختلف كليا.. المرأة المتزوجة عليها أن تضحي
لأنها أم وهذه هي فطرتها وسيضيع أولادها بدونها.. أما أنا
رجل.. أقدر أن أتزوج أخرى من دون أن أهجر زوجتي
وابني.. ثم وها أنا أقولها أمامك أنا لا أذم زوجتي أمامك
فبالعكس هي جوهرة وربما أكون أحبها أيضا فهي غير مقصرة
معى ونعمة الزوجة.. لكن حتى مع ذلك أنا أستطيع الزواج من
هيام لأنى لم أحب أحدا كما أحببتها.. ثم إن المهم هو ألا أفرق
بينهما وأكون عادلا بكل شيء))

وبسخرية مريرة تابع احمد

((عمي أرجوك أنت بنفسك تزوجت من غير والدتها قبلا فلا
تُحرم علينا ما حللته على نفسك.. أما أن كل ما في الأمر أنك

تخشى من غضب أولاد أعمامك؟ فهل تفضل سعادتهم على
سعادة ابنتك بركك التي كنت السبب في حرمانها من الزواج
بالمرة الأولى ولمدة ثمانية سنوات؟))

نظر فيصل بغيظ لأحمد وهو يقول له بنبرة شديدة

((أنا وضعي مختلف كلياً.. فقد كنت أريد الولد الذكر.. لم أسمى
لخراب بيتي لأجل ترهات الحب.. ثم ومع ذلك ماذا حصلت من
زواجي الآخر؟ لم أحصل إلا على الإناث وأمها تزوجت من
غيري ورزقت بالذكر.. وبعدهما توفت زوجتي الثانية لم أستطع
ألا أتزوج بعدها لأحصل على زوجة ترعى بناتي.. صحيح أن
بناتي كلهن غاليات ولا أفرط بظفر واحدة منهن.. ولكني لا
أخفيك أنني نادم كثيراً على زواجي حتى بعد مرور عقدين على
ما حدث.. فما دمت كنت سأرزق ببنات بكل الأحوال لم يكن
علي الزواج مرة أخرى وبالتالي أجد نفسي لا أجد وقتاً كافي
لدي لهن ومقصر تجاههن خاصة هيام وشقيقتها))

ثم وجد فيصل نفسه يخفض من نبرته وهو يقول بنبرة لينة..
يريد أن يتحدث معه بصدق.. لمصلحته

((لأصارك يا أحمد إن ما تنوي عليه ليس هين وسهل.. لا
أقول لك هذا لأمنعك من الزواج بأبنتي أو خوفاً من بطش
وغضب أقاربي.. لكن كل ما في الأمر أنك أناني وتريد
الحصول على كل ما تريد ضاربا بكل شيء آخر عرض
الحائط وهذا لن يجعلك سعيداً.. إذا كان لك زوجة مراعية في
كل شيء كالجوهرة كما تحدثت قبل قليل عنها فمن اللوم الزواج
من غيرها يا أحمد.. وإذا فعلت فأنت كمن يركب قارباً خشبياً
إما يصل لبر الأمان أو تتعرضه عاصفة تدمر وبشكل تدريجي
القارب.. فلم المخاطرة بكل ما تملكه من أجل شيء أقل
أهمية؟))

بقي أحمد يحدق للحظات بفيصل وبعينين خاويتين.. لكن
سرعان ما عاد يقول له بصوت أجش

((يا عمي أقول لك أنا عاشق لابنتك ولا نستطيع أنا وهي العيش بعيدا عن بعضنا البعض وأنت تقول لي أمر قليل الأهمية؟ ما زلنا على حب بعضنا حتى بعد فراق دام أكثر من ثمانية سنوات.. يا عمي أنا أريدها بالحلال وهي موافقة على زواجها مني وسألبي كل شروطكم حتى ترضوا.. وبالنسبة لزوجتي.. أنا لا أدري عنها ولكنها سترضى بالنهاية.. حملها جنسية أمريكية أو معيشتها بالخارج لن يغير من الأمر شيئا))

تنهد فيصل بغضب وهو يقول له بامتعاض

((يا احمد حتى لو كان كلامك صحيح ولكن لا أستطيع الموافقة بدون رضى زوجتك أم عدنان.. لأنها تصادف أن تكون ابنة عم ابنتي كما أخبرتك وكما أنت مصر على تجاهل هذ الحقيقية.. فإذا تزوجت من هيام.. سيكون تصرف زوجتك إحدى خيارين.. الأول أن تقبل هيام وتعيش راضية معها وتعتبرها كأخت لها وتعديل أنت بينهما وهذا أصبح قليلا ما نسمع عنه.. وإما أن تطلب الطلاق وتصر عليه بدون أي تراجع.. وصدقتي مع الزمن ستحن لها خاصة إذا تزوجت غيرك.. والله يا احمد ستحرقك النار حيا إذا سمعت أنها تزوجت من بعدك رجلا آخر خاصة لو كنت تحبها كما تظن.. وربما حتى لو لم تحبها فما بينكما من عشرة سنين لن تكون هينة))

آخر جملة قالها فيصل بصوت متحرج.. وبينما كان نظر احمد منشئتاً أثناء إصغائه إلا أنه رفعه هاتفا بقوة يغديها الغضب بداخله

((كفى.. أرجوك عمي يكفي لا تكمل كلامك.. صدقتي أنا اعرف زوجتي جيدا من المستحيل أن تفرط ببيتها وتهدمه لأننا تعبنا بإنشائه بالرغم من كل شيء))

إلا أن فيصل هز رأسها وهو يقول له

((يا ابني حتى لو افترضنا أنها رفضت الطلاق وقيلت أن تعود لك.. هل تظن أنها ستبقى كما هي؟ هذا مستحيل.. سنتعير

وسيصبح البيت الحنون الذي كان يجمعكم كالنار.. ستختفي
الزوجة الحنونة الراضية.. وصدقني مهما كانت أحوالك في
بيتك الثاني ومهما كنت سعيدا فيه فستندم أنك كنت أحد أسباب
دمار بيتك الأول.. وحتى لو كانت زوجتك نعم الزوجة راضية
لدرجة أنها تتقي خيرها وشرها لأجل ابنها.. لكنها ستبني بينكما
جدارا سميكاً قد لا يظهر أمام الجميع لكنك ستشعر به.. لن تعود
تلك الزوجة التي تفتح لها يديك وتسمع همومك وذلك من
صدمتها فيك.. أؤكد لك مرة أخرى أنك ستحن إليها ومهما
فعلت معها ومهما راضيتها ستحس أنها تبعد عنك.. كيف
سيكون موقفك بعد كل هذا؟ ستشعر أنك خسرت زوجة كانت
نعم الزوجة كما قلت أنت قبل قليل))

التقط احمد دورق المياه من على الطاولة ليسكب كأس ماء بعد
أن شعر بجفاف حلقه الذي كان يمنعه من التركيز..

وبعد أن ارتوى قال بصوت واهن

((يا عمي أنت فقط لا تريد أن تقبلني كصهر لك وتريد أن تجد
الأعذار لتزوجها من غيري.. وهذا ما لن اسمح به إلا على
جثتي.. أرجوك توقف عن ثني بإيجاد هذه الأعذار وتوقف عن
احتمال أسوء الاحتمالات واقتراض ردود فعل زوجتي لأنني
أدرى بها منك))

قاطعها فيصلى وهو يحاول أن يجعله يدركه

((أقول هذا لأنه عليك بشكل إلزامي أن تفرض أسوء
الاحتمالات.. يا بني أنت مقدم على زواج سيؤثر على من
حولك جميعاً قبل أن يؤثر عليك.. فصدق ما أقوله ومن أجل
مصلحتك أنت ولو على حساب سعادة بنتي.. لأنك وحتى فيما
بعد ولو قررت أن تنفصل عن هيام فيسكون قد فات الأوان لك
ولزوجتك.. ومن جهة ابنك وقد اقترب من السابعة من عمره
فسيؤثر وربما يحقد عليك وعلى بيتك الثاني وقد يكره إخوته

أيضا.. نعم يا عزيزي فأنت لا تدري كيف ستكون هيام له
وماذا سيحدث معكما..))

لوهلة ظهر التردد في مقلي احمد وهو يحاول أن يوازن ما
بعقله إلا أنه قال بصوت هادئ

((مشكلتك يا عمي أنك لست واثق بحبنا أنا وهيام.. مشكلتك أنك
لا تعطينا فرصة.. ماذا إذا تزوجنا ونجح زواجنا وأكملنا حياتنا
بسعادة؟ ربما يكون زواجنا ناجح.. هيام ابنتك إنسانة فاضلة
وأنت والدها خير من يشهد.. لماذا تدمها بهذا الشكل أمامي؟
لأنك لا تجد أي خطأ بي الآن تريد أن تبدأ بها هي))

قاطعها فيصل بغضب وهو يهتف به بصوت عالي

((ابنتي معروفة أنها من أصل وبيت كريم.. ولكن هذا لا علاقة
له بأن أموركما كزوجين ستكون بخير ولن يحدث معكما
مشاكل.. فمهما كان الحب قويا قبل الزواج فهذا لا يعني
استمراره وبأنه سيبقى بنفس القوة ولن تتغير أي من
مشاعركما.. فمع المعاشرة ستختلف نظرة كل شخص للآخر..
فرما ابنتي لا تتوافق مع زوجتك.. حينها ستضطر أحدهما
للانسحاب حتى ينجح الأمر.. وأنت ستصبح بين نارين خاصة
عندما تتجرب من هيام أيضا.. فحينها سيكون الاثنان زوجاتك
والاثنين أمهات أولادك.. وإذا اخترت البقاء مع ابنتي والتخلي
عن إيما فوالله يا ابني هو ظلم شديد لها وسأتضايق من أجلها
وكأنها هي ابنتي.. أن تتزوج من غيرها وتجبرها أن تتكيف مع
من لا تقدر أن تحملها أو طلاقها.. فهو امر بمنتهى الدناءة
منك))

قال آخر جملة وهو يشدد على كل كلمة منها.. مما جعل احمد
يشعر بالإهانة ليهتف له بجفاء

((عمي لقد أخبرتك أنني سأسكن هيام ببيت لوحدها وبعيدا عن
أيمان.. لذا لا تقلق لن تنشب أي مشاكل بينهما ولن يختلطا
ببعضهما إذا أرادا حتى.. بالرغم من أن هذا القرار سيتعبنى

ويرهقني ويشتتني بين بيتين والكل سيراهن بأني لن أتحمل
ولكن لا بأس سأتحمل حتى لا يحدث أي مشاكل أو غيرة
بينهما))

خرج صوت فيصل حادا عاليا كأنه يصرخ عليه ليقاطع احمد
قائلا

((نعم أنا اعرف أنك تقول لنفسك أنك ستعدل ولن يصيب
زواجي من كلتاها ضرر.. ولكن إذا قامت أي زوجة بافتعال
أي مشكلة ففي هذه الحالة ليس لقصر منها لكن صدقي بسبب
الغيرة التي ستدب قلبها.. ستجعلها مختلفة ولن يلومها أحد.. لا
اعرف ما وراء الأبواب المغلقة وقد تملك زوجتك عيوب
وأخطاء ولكن لا أحد كامل.. نحن الرجال لسنا كاملين فكيف
نطلب من نساتنا ذلك.. أنت لا تدرك أن عاقبتك ستكون أحد
الحالات التي قلتها لك سابقا))

ثم أردف وهو يضع عيناه بعينا احمد

((صدقي المشكلة والعلة هي فيك.. نعم.. أنت تحتاج إلى تقويم
وتهذيب النفس.. اعمل لأخرتك واكتفي من ملذات الدنيا
وشهواتها من وافقت عليك واختارتك من بين الناس واترك
ابنتي وشأنها ولا تلاحقها كالكلب المسعور.. أنا متأكدة أنها
كانت ستوافق على سعد فهو أكثر شخص مناسب قد تقدم لها
لولا عودتك لحياتها.. ابتعد عنها ولا تفسد حياتها وحياة
زوجتك))

كان فيصل يتنفس بصعوبة.. أدرك انه للتو قام بشتم احمد
فأستغفر الله..

هو بالفعل لم يقصد لكن الغضب تلبسه.. فحاول أن يهدأ
للحظات ثم قال بصوت متأسف

((احمد لم اقصد ما قلته.. أكرر لك يا ابني أنا لا احرم ما حلله
الله.. ولا أريد أن أقف عائقا أمام سعادتك وسعادة بنتي

بالأخص.. فأنا بعد رؤيتي لها تذبل طوال هذه السنوات لا أندم
على شيء إلا كوني كنت سببا تعاستها.. لكن الآن فأنا أيضا لن
أستطيع أن أوافق على زواجها منك لأنك متزوج والوضع
مختلف عن قبل.. أرجوك لا تكن سببا بإقامة عداوة بين بنتي
(عم)

وقف احمد فورا من مكانه وهو يقول بنبرة مستنفرة

((عمي سأغادر الآن ولكن كن متأكد أنني سأعود.. لن استسلم
كما حدث بالماضي.. وصدقني لن تستطيع ابنتك أن تحب
غيري وأنا أيضا كذلك لن أكتفي بأي امرأة بدلا عنها))

وقف فيصل من مكانه وقبل أن يفتح طريقا لأحمد قال له بينما
يراه بشيح بوجهه عنه

((اذهب ولا أريد رؤيتك لأخر حياتي وحياتي ابنتك.. ابتعد
عنها واطلب منها أن تنسأك.. واتق الله في زوجتك واحمد الله
عليها وعسى أن تكرر هو شيئا وهو خيرا لكم.. اترك الماضي
وعش حياتك والمستقبل مع زوجتك لان ليس لها ذنب في
ماضيك.. قضاء وقدر من الله عز وجل ومكتوب فلا تهدم
حياتك بنفسك فتخسر كل شيء.. وداعا يا احمد))

=====
=====

جلس احمد في بيت عائلة زوجته..

فبعد أن خرج من بيت فيصل الدال والد هيام ذهب مباشرة لبيت
عدنان الدال والد إيمان الذي كان بنفس القرية ليصطحب
زوجته معه كما طلب منه والده رؤوف واقتعه بأنه سيوافق
على خطبة هيام كزوجة له إذا عرف كيف يحتوي إيمان
ويمنعها من طلب الطلاق..

لذا عليه أن يعرف كيف يضمن موافقة إيمان إذا أراد الزواج
مرة أخرى..

قضى الوقت مع عائلة إيمان والذي مر سريعا في محادثات
مختلفة..

وبعض العتاب لأحمد لتقصيره بزياراته لهم..

كان الجميع يتحدث ببهجة ومر الوقت سعيدا عليهم.. إلا على
إيمان..

التي بقيت طوال الجلسة متوترة مضطربة وتفرك كفيها معا
بينما تلتفت تارة لأحمد وتارة لوالدها وتجاهد نفسها على
الابتسام والضحك بين حين وآخر وهي تعاود النظر لهم..

تحاول أن تبدو قدر استطاعتها أن تبدو طبيعية وهي تتفاعل مع
أحمد بالرغم من صعوبة الأمر..

فكيف تنسى أنه نسي كل العشرة وتعب السنين الحلوة والمرة
بالحياة معها وحاول أن يتزوج من غيرها وبدون علمها..

كان الأمر صعبا عليها أن تكون واثقة من شخص تحبه وواثقة
أنه لن يأتي منه أي زلة.. ليصفعها مرة واحدة بجرح يابى
الشفاء..

لكن حاولت قدر الإمكان التحكم بنفسها.. خاصة أمام والدها..

فقد استغرب قليلا من مكوناتها لعدة أيام عندهم ولا يبدو أنه اقتنع
بحجة أنها مشتاقة لقضاء الوقت معهم..

حيث أنها بقيت عندهم حتى بعد بداية الأسبوع لتفوت على
نفسها يوما من عملها بالمدرسة التي تعمل بها ويوما على دوام
ابنها الدراسي..

هي فعلا سعيدة أن احمد جاء بنفسه لاصطحابها وهي التي
كانت تخطط العودة بنفسه وحتى بدون إخباره..

على الأقل شعرت بأنها مهمة بحياته ولا يستغني عنها.. كانت
حركة جميلة منه وعنيت لها الكثير..

لكنها بنفس الوقت منزعة وتشعر بالغيرة تكاد تفتك بها من
فكرة وجوده ببيتهم المتواجد بنفس القرية التي يقبع فيها بيت
هيام..

هل يا ترى فكر بهيام عندما جاء هنا إلى بيتها ليصحبها؟
مبدئيا ستكون هذه آخر مرة تسمح له بالمجيء لقريتها..

التفت احمد نحوها مبتسما بهدوء يخبرها بشكل تلقائي وكأن
علاقتهم عادية ولم يسبق وأن أخبرها بوجهها قب عدة أيام أنه
سيترج من غيرها

((إن تأخر الوقت يا عزيزتي إيما.. هل نذهب الآن؟))

حدقت إيما به قليلا وهي تتعجب من قوة تمثيله..

وسرعان ما ابتسمت له بارتجاف وهي تقول له بينما تومئ
رأسها بموافقة

((نعم حالا.. انتظر قليلا حتى أجهز ملابسي وملابس عدنان))

عارض والدها وإخوتها ذهابهم متذمرين بأن الوقت ما زال
مبكرا..

إلا أن احمد اعتذر بتهذيب بأنه لا يستطيع المكوث أكثر هو
وزوجته بسبب عملهم بالغد..

جلس احمد في سيارته وبينما ينتظر إيما أن تأتي بعدنان النائم
وتحزم حقبيتهما.. شعر قليلا بالرضا عنها.. بل شعر بالامتنان
تجاهها وحفظها لأسرار ومشاكل بيته حتى عن أهلها..

بل هي دائما ما تبحث عن تبريرات مقنعة تواجه بها عائلتها
اتهاماتهم له بالتقصير.. نعم أقل شيء أن يكون ممتن لها على
ذلك..

أخبره والده أن يتعامل مع الوضع بحكمة.. عليه أن يتحكم
بالأمور أكثر من الطرفين..

فبالوقت الذي لا يزال يريد المحاربة للحصول على حبه الأول
عليه أن يحافظ على منزله.. أن يحسن علاقته بإيمان أكثر..
وهذا ما سيفعله..

تذكر احمد كيف كانت علاقته مع زوجته إيمان في بدايتها عند
زواجهما..

صحيح لم يتكيفا ويعتادا على بعضهما بسرعة.. ولكن ما أن
انسجما بالزواج حتى بدأ كل منهما يهتم بالأشياء الصغيرة
للآخر..

كشراء الزهور وطهو الطعام لبعضهما والظهور في أحلى
مظهر أمام الآخر..

حتى لو أنه وقته لم يكن فعلا يشعر بأنه يحبها ولكن كان
مستمعا بهذا الشعور معها..

لذا فليحاول بهذه الأيام إعادة كل هذه التفاصيل ببداية زواجهما
مرة أخرى إلى الحياة بعد أن أنستهما إياها ضغوط الحياة
ومسئوليات الزواج..

سمع احمد رنين هاتفه فالتقطه وهو يرى اسم والده على شاشة
الهاتف..

فأجاب وهو يرفع زجاج سيارته بعد أن انتبه لسقوط بعض
حببات المطر المتفرقة من غيوم السماء المكفهرة بالغيوم
الرمادية المتلبدّة..

كان والده يريد أن يطمأن منه بأنه أعاد زوجته بلا أي مشاكل..
فأجاب احمد بالإيجاب..

بدأ والده يخبره كيف عليه التصرف بعد عودتها له فهمهم احمد
موافقا لكلام والده بلا تركيز ليسمعه يكمل بصوت حاد مستنكرا

((هل أنا والدك العجوز من يجب أن يعلمك هذا يا احمد وأنت
من جيل يبدع رجاله بالكلام المنمق لنساته؟ أعرف أن المرأة
مهما كبر سنها فهي تحتاج دائما منك أن تؤكد لها مشاعرك
الفياضة ومحبتك وامتنانك.. يمكنك فعل خطوات سهلة وبسيطة
والا تكلفك الكثير.. لكن جدواها ومكاسبها ستعود عليك بالقطع
بالراحة والحياة الهائلة وصدقني بالنهاية سأضمن لك أنها
ستوافق.. ووقتها فقط عندما اشعر أنك غير مقصر بحقها
يمكنني أن احضر أكبر جاهة لخطبة من تريد.. هل أنت معي يا
احمد؟))

بدأ المطر يتساقط بغزارة وتتراشق قطراته الغليظة فوق زجاج
السيارة بعنف..

كأنها حصى صغيرة تصدر صوتاً راعداً إثر ارتطامه به..
فشرد احمد ينظر لهم وهو يسمع والده يستأنف

تنهد احمد وهو يقول بصوت حاد

((أبي أنا فقط رجل لا اقبل أن تلوي أي امرأة ذراعي وتحاول
التحكم بي أو بما أريد.. وانا بالفعل شعرت بانى مقصر قليلا
اتجاه إيمان.. ولكن عليها أن تعلم بأن لا شيء يمكنها فعله
لتردعني أو تفكر بإبعادي عن هيام..))

قاطعه والده بنفس حدته

((اهدأ يا احمد ولا تفكر هكذا.. مهما تفعل بك زوجته اصبر
وتحملها.. فهي زوجتك.. تذكر كيف صبرت على ضيق
أخلاقك وعلى قلة ذات اليد.. كنت لا زلت متندربا ذا مرتب

ضعيف.. كانت تسكن معك بالبداية في بيت صغير ذي
حجرتين.. لظالما امتنعت عن أشياء كثيرة بسببك أو بسبب
ابنك.. هذا شيء لن تفهمه كثيرا لأنك لم تكن من الأزواج الذين
لا يثنيتهم مرض ابنه أو زوجته عن الخروج مع أصدقائه
للإستراحات أو حضور المباريات.. والآن بمجرد أن ألحقت
بها الأخرى سنتلقى منك الجحود والنكران؟ بينكما عشرة
طويلة.. هل سبع سنوات ونصف مدة قليلة يا احمد؟))

رد احمد بصوت منخفض

((لا يا أبي ليست كذلك))

انتبه احمد على إيمان تخرج من باب البيت وهي تحمل عدنان
بصعوبة وتغطيه بوشاح كبير فهمس لوالده بسرعة قبل أن يغلق
هاتفه

((أبي إلى اللقاء سنتحدث فيما بعد.. لقد خرجت إيمان وسعود
الآن للبيت))

فتح احمد باب السيارة ليخرج منه وقد لاحظ أن الأرض
تغمرها سيولٌ متدفقة تتراكم نحو مجاري المياه كي تتوارى
فيه..

اقترب من إيمان ليلتقط عدنان منها وسارع الدخول به للسيارة..

كان أسامة أخ إيمان يضع حقائبها بالمقعد الخلفي للسيارة فودعه
احمد شاكرًا له..

جلس احمد وراء مقبض السيارة وهو يضع ابنه بحجره..

كانت السيارة دافئة بعد أن رفع درجة حرارتها.. تأمل بصغيره
وهو يراه لا زال نائما بسلام بالرغم من حمله لمسافة ليست
قصيرة بهذا الجو من بيت جده نحو السيارة..

انحنى احمد قليلا يقبل جبهة طفله ويديه ويتأمل ملامحه التي
توضح الشبه الكبير بينما كل سنة يكبر بها..

يشبهه خاصة في لون عينيه الزرقاوين اللتين أخذهم منه هو
وإيمان.. لكن ملامحه قطعة صغيرة منه هو فقط..

وكانه انتبه أخيرا للجالسة بجانبه ليلتف لها قائلا بهدوء

((مرحبا بك ايما))

شعرت إيمان بهذه اللحظات أن مشاعرها أثرت.. فارتبكت
قليلا..

أكل هذا فقط لأنها اختلت به بمكان واحد ومن مجرد كلمة
واحدة نطقها لها بصوته العذب الرجولي؟

لكنها من ناحية أخرى شعرت بقليل من التوتر فقالت بصوت
واهن ضعيف وهي تسبل جفنيها

((أهلا))

لم تكن تعرف إيمان كيف تفسر ما تشعر به.. ربما سعيدة
بجانبه.. لكنها لا تشعر بالسعادة أو الطمأنينة المنشودة..

فتحت ثغرها تحاول التحدث فهناك الكثير بداخلها من أسئلة
وكلام وعتاب تريد الحديث عنه معه.. لكن الكلمات بدت ثقيلة
على لسانها..

وكانها عاجزة عن إخراج صوت منها.. ليبادر احمد الحديث
بهدوء وقد أدرك التردد الذي تشعر به

((هل تشعرين أنك أفضل الآن يا إيما؟))

رفعت عينيها له تتأمله للحظات.. ثم حركت راسها بإيجاب..

فهز احمد له رأسه الآخر متمتما

((جيد))

مرت دقائق وهم على هذا الحال داخل السيارة بدون أن يشغلها
بعد..

شعرا بالارتباك من بعضهما.. كما كان احمد عاجزا على
التخلص من هذا الموقف المرحج..

لكنه انتبه لابنه عدنان يتململ بأحضانته نتيجة ضيق المكان
الموضوع به بينه وبين مقود السيارة الذي كان يضايق حركته
أثناء نومه..

و بمجرد أن فتح عدنان عيناه ببطء على وجه والده كأول شيء
يراه.. حتى صرخ بصوت أجش من أثر النوم محيطا إياه
بذراعيه بفرح هاتفا

((أبي.. لقد اشتقت إليك جدا))

ضحك احمد بخفوت عليه وهو يعانقه هو الآخر ويضمه
لصدره.. فهذه أول مرة يراه أو يسمع صوته منذ عدة أيام..
حتى عندما دخل بيت جده كان نائما والآن فقط استيقظ..

لقد اشتاق له كثيرا وأكثر من اشتياق ابنه له.. فهمس له بالقرب
من أذنه

((وأنا اشتقت لك يا قرة عين أباك.. هل افتقدتني وسألت عني
كثيرا؟))

خفف عدنان من عناق والده وهو يتراجع لينظر بوجهه هادرا
بعتاب طفولي

((نعم أبي لقد اشتقت لك كثيرا وكنت اسأل أمي عنك كثيرا))

تنهد احمد تتهيدة حارة ملتبهة وهو يمسك يد طفله بحنو يهدر له
و كأنه يحدث شابا ناضج

((احبك يا بطلي الصغير.. هل أحسنت التصرف عند بيت
جدك؟))

أجاب الصغير بفخر وبهجة

((نعم))

ابتسم له احمد وهو يعيد تثبيت قبعته الصوفية على رأسه قائلا
((أنت لم تتناول معنا قبل قليل الغداء لأنك كنت نائم فما رأيك
أن تأكل وجبة صغيرة بمطعمك المفضل؟))

صرخ الصغير بفرحة موافقا فضحك احمد معه بخفوت بينما
كانت إيمان مبتسمة بحنان ومبتهجة هي الأخرى من منظر
احمد وهو يداعب طفلها ويغدقه بحنانه الخفي الذي لا يظهره
بالعادة..

وقد فكرت لحظتها بأنها مستعدة أن تحارب الجميع حتى احمد
نفسه لتبقي على تماسك عائلتها وتبقى كما هي.. من أجلها ومن
أجل صغيرها.. ومن أجل هذه اللحظات..

عليها أن تُعيد التفكير في أمر ترك احمد نهائيا الذي كان يخطر
أحيانا على بالها بالأيام السابقة عندما كانت تنام عند عائلتها..
وإبعاد ابنها الذي ما زال بحاجة لعطف أبيه وحنانه..

ابنها أيضا ما زال بحاجة للجمع بين شدة الأب وحزمه.. مع
رقة الأم وعاطفتها..

لن تسمح لأحد أن يفزق شمل أسرتها وتناثر جمعها..

فهي سبق وأن تربت بين والدين منفصلين.. أحبتهما الاثنین
وأحبت حياتها هنا وهناك تقريبا.. ولكن تمنّت كثيرا لو أن
الداها ما زال معا..

فما أبأس فكر أن يتبنم ابنها في حياة والديه أو تنتثر مشاعره
بين أرجاء أسرة ممزقة وببيت محطم وهو ما زال قائماً..

لكن الآن ومع مجيء احمد هنا وقدمه.. باتت متأكدة من أنه قد
تراجع كلياً عن فكرة زواجه.. خاصة بعد أن افتقرت عنه
لأيام..

لذا الآن جاء دورها لتحاول تحسين علاقتها به..

بالفترة الأخيرة لم يكونا يعيشان كمتزوجين.. لم يكونا يتحدثنا بما
فيه الكفاية..

لكن بدءاً من اليوم وكل يوم قادم عليهما أن يتحدثنا.. عليهما أن
يتحدثنا كل يوم..

صحيح أن مجرد نيته بالزواج من حبه القديم جعلها تمر بالآلام
نفسية عظيمة.. وجعلها تمر بتغيرات كبيرة لم تكن تتخيلها..

جعلها تشعر بأنه طعنها من الخلف وهي التي لطالما أحسنت
إليه..

وضع احمد ابنه ليستلقي متمددا بالمقعد الخلفي بلا إزعاج
ويدثره بالوشاح الخفيف بينما يشغل سيارته..

بينما بقيت إيمان التي تجلس بجانبه بالمقعد المجاور هادئة
طوال الطريق..

لديها خطط والكثير مما يدور برأسها حالياً ستقوم بها لأجل
بيتها وزوجها.. ولكن لن تتحدث معه الآن.. فليقد بحذر ويصل
للبيت أولاً..

=====
=====

عاد مراد مبكرا من عمله لا بسبب أوامر والده بأن لا يضغط نفسه بالعمل..

ولكن حتى يتأكد بنفسه من تنفيذ جالا لأوامره.. طريقته بالحديث عن نفسها وعنه أغضبتة جدا..

يعرف جيدا بداخله أنه لا يحق له إجبارها على خدمة والدته..

خاصة وأنه يعرف جيدا بأن والدته المهووسة بالنظافة تحب أن يتم غسل وتنظيف كل شيء ببيتها مرتين وثلاثة حتى وهو لا يحتاج لذلك..

لكن ما فعله بها جعله يشعر بالراحة ويخفف من كل المشاعر الغاضبة والممتعضة من تصرفاتها نحوه والتي يكتبها منذ مدة..

دخل مراد الشقة وهو يرفع وجهه بلهفة وعيناه تجولان في أرجاء الشقة بحثا عنها..

دخل المطبخ ليامحها تغسل يديها انتهاء من تنظيف المكان..

ارتسمت ملامح الغضب على وجهه قبل أن يسألها بصوت حاد متوتر

((ماذا كنت تفعلين؟))

بالرغم من أنها سمعت باب الشقة يُفتح إلا أنها جفلت على صوت مراد وهو يسألها بشكل مفاجئ فقد ظنت أن القادم والدته هي ويارا..

تطلعت جالا ببراءة نحو مراد.. بدا غاضب وهو ينظر بكل إنش فيها ويتأملها عاقد الحاجبين..

هل هو جاد؟ هي من عليها أن تكون غاضبة فقد جعلها خادمة وبشكل رسمي لوالدته وأبنة خالته مع أنها ليست مجبرة أبدا حتى على رؤيتهما..

تطلعت جالا عليه بكبرياء وحنق وهي تقول ببساطة

((انتهيت من عملي كخادمة هنا والآن وبعد انتهاء دوامي هل
تسمح لي بالصعود لشقتي؟))

كانت نيرتها مستهزئة.. لكنه لم يلفت نظره إلا مظهرها..

كانت ترتدي حول وسطها إزارا أكبر من حجمها.. أطراف
سروالها القطني مثني الأطراف وصولاً لركبتيها كما فعلت
بأكمام الملابس البيئية التي ترتديها..

شعرها مرفوع لمنتصف رأسها بعد أن جمعته.. كمجمل بدا
منظرها مضحكا..

ضيقت جالا عينيها عندما رأته يضحك بخفوت عليها وإمارات
الغضب ترسم على وجهها..

تريد أن تصرخ عليه بشراسة ولكن سرعان ما انتبهت لوضع
ملابسها التي تكشف الكثير عن جسدها..

فشهقت وهي تعيد إنزالهم للأسفل بوجنتين محمرتين..

تنتحج مراد وهو يشتمت نظره بعيدا وقد شعر بالكثير من
الذنب..

بدل أن يستمتع بمنظرها وحنقها اللذيذ كان عليه أن يعترف
بخطئه مجددا وأنه ليس من حقه إجبارها على أن تعمل عند
والدته.. مهما كان غاضبا منها..

رأها تمر من أمامه وهي تشيح بوجهها عنه تظهر لامبالاته
به.. وقيل أن تصل للباب أخذت شالها الطويل من عند الطاولة
لتلفه حول رأسها بشكل مرخي كيفما كان..

وما إن همت فتح الباب حتى جاءها صوته هاتفا وهو يشير لها
أن تداري شعرها الطويل الظاهر من خلف الشال والجزء
المكشوف من رقبتها..

تتهددت أمامه بسأم وهي تقلب عينيها للسقف بطريقة مستفزة له
قبل أن تعدل من الشال متممه

((شعري هو من يخرج لوحده))

رد مراد متهكما بامتعاض وبنفس نبرة صوتها وقد أعجبه أن
يعبث معها قليلا ويلطف كل ما بينهما

((إذا أعيدي إخفائه.. حتى ولو كانت عمارتنا ليست مكشوفة
للناس من الخارج.. لكن انتبهي أكثر.. إلا لو كنتِ ترندينه فقط
لأجل العادات أو الزينة))

نظرت له ببرود بدون أن تتحدث بشيء آخر..

لكن خلف هذا البرود كانت تخفي الكثير من المشاعر خلفه مثل
الغضب والغيظ..

لكنها قالت بالنهاية موضحة

((أنت تعرف أنني ارتديه لأنني أردت ذلك منذ زمن.. ارتديته
لديني لا لشيء آخر))

لم يحب هذه التعبيرات الجامدة التي كانت تنتظر له بها.. وكأنه
عاد معها إلى نقطة الصفر..

بغض النظر أنه لم يكن هناك بالأساس أي تقدم بعلاقتهم..

ولكن وقاحتها كانت أهون من جمودها وبرودها الظاهران..

استدارت جالا له لتغمغم قبل أن تفتح الباب بالمفتاح

((سأصعد لشقتي فوق.. إذا أردت أن تطلب مني شيء آخر للقيام به.. أرجوك تردد كثيرا قبل أن تطلبه))

وقبل أن تفتح مقبض الباب تجمدت حركة يدها مرة أخرى وهي تراه يُفتح من نفسه فابتعدت للخلف..

فتحت روعة الباب هي ويارا خلفها مع أصوات ضحكاتهم العالية..

ما أن انتبهت روعة لابنها وجالا بالقرب منها حتى عبست وهي تأمر جالا

((أذهبي وأحضري لنا الماء.. ألا تريين أننا متعبتان؟))

نظرت جالا لها بتردد.. ثم حولت أنظارها على يارا التي كانت تنظر لها بتعالٍ وغرور وهي تعقد ذراعيها أمام صدرها بعد أن رمت الأكياس التي بيدها أرضا..

كان الشاش الأبيض ملفوف على رأسها وعلى رقبتها..

رقبتها؟ هل من الأساس تم لمس رقبتها؟

شعرت جالا برجفة تسري بجسدها وهي ترى نظرات مراد الذي استهجن وجود الشاش الملفوف على رأس ورقبة يارا..

هرولت جالا هربا نحو المطبخ مذعورة وهي تفكر بردة فعله المتوقعة بعد أن يخبروه ماذا فعلت بأسلوبهم الخاص الذي سيتضمن الكثير من التلفيق بالأحداث والمبالغة..

سألهما مراد بدهشة

((يارا ماذا حصل لك.. وأمي أين كنتم من الأساس؟ لقد ظننتكم متواجدين هنا بالبيت))

أجابته روعة بامتعاض وضيق

((لقد ذهبنا للتسوق أنا ويارا وأخذنا الوقت ولم نشعر.. فلا
نفعل أي مشادات لأننا لم نتأخر.. كما أننا تناولنا غدائنا هناك
فلم أطهو شيئا اليوم.. جلبت وجبة من المطعم تكفي والدك فقط
وسيتناولها عند العودة.. لم أعمل حسابك فأنا لم أتوقع أنك
ستستمع لأبيك وتعود باكرا بالفعل.. لذا اطلب أي شيء جاهز
لك من أي مطعم قريب لنا))

اتسعت عيني مراد بدهشة.. ثم قال بنبرة باردة وهو يرشق
والدته بنظرة عتاب

((هل تركتما جالا وحيدة بالبيت بينما ذهبتما للخارج؟ هل كانت
تعمل منذ الصباح وحيدة؟ أنا أخبرتك يا أمي أنها لا تعرف
الطهو لذا غالبا هي لم تأكل شيء منذ فطور الصباح.. هل هذا
ما اتفقنا عليه يا أمي؟))

نظرت روعة له بغضب.. ثم ردت عليه بغضب

((ما ذنبي إذا كانت قد تجاوزت الثانية والعشرين ولا تعرف
الطهو.. فلنتناول أي شيء من الثلجة تسد فيه رمق جوعها..
أنا لست مجبرة أنا احضر لها أي طعام أو أي شيء لأنني
ببساطة لست أم تلك المدللة.. كما أنها نحيفة ويبدو أنها معتادة
على قلة الأكل وربما تعيش على الطاقة الشمسية))

كان مراد يرمق والدته بصدمة..

ألم تقل له منذ الصباح أنها ستهتم بها وتعاملها مثل يارا؟

يعرف أنها من الداخل لا تحبها ولكنها على الأقل كانت تدعي
عكس ذلك بالصباح.. ما الذي اختلف الآن؟

انزعجت روعة من نظرات ابنها فهتفت به بغضب

((لا تنتظر لي هكذا.. الثلجة مليئة بالفاكهة والخضرة والمطبخ
به كثير من المكونات.. ليس كأني تركتها بمكان خالي
ومهجور.. هل بدأ بالفعل قلبك يتقطع على ابنة سميحة من أول

يوم نزلت فيه عندي؟ أكل هذا لأني طلبت منها مساعدتي قليلا
بالبيت؟ لم يهن عليك أن تخدم زوجتك والدتك لتكسب برها
ورضاها))

كان مراد يتنفس بغضب ويقوة.. ذهب ليجلس على الأريكة
ليقول موشحا عن وجهه وقد شعرت روعة بغضبه منها

((أمي أنا لا يجب عليّ أن اكسب برك ورضاها على حسابها..
إذا كنت مصرة على إعطاء وفية إجازتها ومصرة على عدم
إحضار غيرها إذن اطلبي مني أنا أن أساعدك بالبيت.. خبيث
ظني بك فأنا لم أتوقع أن تجعلها تنظف البيت لساعات
وحدها))

زفرت يارا بنفاذ صبر وهزت رأسها وهي تقول بميوعة لخالتها

((ألم يكن هو صباحا من قال بلسانه ألا نحرك إصبعنا البيت..
هل ابنك مصاب بزهايمر مبكر؟))

هدر مراد بيارا صارخا جعلنا تنتفض بخوف من نبرته التي
صدمتها

((أخرسي))

هتفت روعة بها بصدمة

((كيف تحدث ابنة خالتك بهذا الشكل؟ هي لم تقل إلا الصدق..
ألم تطلب منها ألا تحرك شيئا؟ إذا لم يعجبك الأمر.. ألم نفسك
أنت))

عضت يارا على شفتها السفلى ودمدمت بقهر

((بيدو يا خالتي انه حزين على زوجته لدرجة أن الشاش
الأبيض الذي يلفني كالمومياء بسببها لم يلفت انتباهه أبدا ولم
يسألني حتى عنه.. هل تعرف أننا كنا عند الطبيب قبل أن نذهب
للتسوق؟))

عاد مراد ينظر للشاش ليعاود الاستغراب يسكن ملامحه ثم قال
بسخرية وهو يلوي ثغره بغير رضا

((نعم ما زال الفضول يركبني عن سر هذا الشاش الذي يلفك..
لكن طول لسانك معي أخبرني أنه بغض النظر عن أي شيء
حدث لك فأنت بخير))

سخرية مراد منها وعدم اتخاذه الموضوع بشكل جدي جعل
قصة طرد أختها لها وأهانتها تداهما فجاءة..

ثم سرعان ما كانت عيناها تدمع بحرقه وهي تحاول النظر بهما
لفوق لتمنع نفسها من البكاء..

شهقت يارا بصوت ضعيف وهي تحاول أن تظهر أمامه أنها
تمنع نفسها من البكاء وكأنها لا تريد جلب الانتباه لها كالعادة..

تنهد مراد منها بياس وكان لا أمل بتغيرها أبدا.. لكنه شعر
بالذنب لعدم مراعاته لها أكثر فاقترب منها ليعانقها..

لكنها دفعته بغضب عنها لتبدأ ببكاء فعلي وبصوت عالي وهي
تجلس أرضا وتدفن وجهها بكفيها..

كانت تيكي بشدة مما جعل مراد ينظر لوالدته وهو يعقد حاجبيه
يستفسر منها عما حدث..

أما جالا بالمطبخ تجلس على إحدى الكراسي بتوتر وقلبها يخفق
بصخب..

كما أيام طفولتها عندما تخطيء وتهرب لتختبئ من والدها
خشية وخوفا من توبيخ وعقابه..

وخاصة عندما تخطيء بشيء كبير تعرف مسبقا أن عقابه لن
يكون هينا..

عندما مثلا تضرب أخواتها الغير شقيقات أو تؤذيهن بشدة بلا سبب إلا لتزعج وتجرح والدها فيهن..

المختلف الآن أنه زوجها وليس والدها..

هل تزوجت هي للعيش بهذه الحياة التعيسة؟

هل ستكمل حياتها وكل يوم تشعر بالخوف والرعب من مراد كلما حاول لمسها والاقتراب منها..

أو كلما حرصته والدته عليها؟

خاصة وهي تعرف نفسها ليست من النوع الصبور على الأذى وسرعان ما ترده أضعاف..

ولكن هل تعود لبيت عائلتها وهي لا تزال عروس وبعد شهر واحد من زواجها به؟

لا لن تفعل.. فهذا ما تريده والدته مراد منها.. تريد إهانتها وجعلها خادمة لتدفعها الثمن على موافقتها الزواج من ابنها.. وتجعلها بنفسها تقرر المغادرة..

سمعت فجأة صوت صراخ مراد الخشن يناديها..

من نبرة صوته فقط عرفت أنهما أخبراه ما حدث مع الكثير من التحريف لتبدو مخطئة بشكل أكبر..

لكن عليها الخروج ومواجهته والدفاع عن نفسها.. حتى ولو كانت المخطئة الأكبر بالموضوع إلا أن يارا هي من بدأت ودفعتها لتفعل ما فعلت..

أغمضت جالا عيناها ثم ردت بصوت مرتجف

((قادمة))

بمجرد أن خرجت جالا لمواجهتهم حتى أجفل جسدها وهي تراه
ينظر لها بجنون وكأنه فاقد السيطرة على نفسه وهو يصرخ بها

((هل أنتِ من أوقعتِ ابنة خالتي هكذا؟ هل تريدان قتل
المسكينة))

فتحت جالا ثغرها ولم تستطع أن تتنطق بحرف وهي تراه
يقترب منها وعيناها تقدحان شررا..

تراجعت جالا للوراء خطوات حتى اصطدمت بالحائط من
خلفها..

ويأفل من ثانية هرعت وهي تصرخ رعبا وراء ظهر والدته
تحتمي بها منه..

تكره والدته بشدة لكن على الأقل لن يقترب منها مراد لو
احتمت خلفها..

حذق مراد بها بعينين شرستين وهو يتجه نحوها بخطوات
سريعة غاضبة خلف والدته ويمسكها بقوة من ذراعها يقربه
منه حتى كاد لا يفصل بينهما أي شيء ليزمجر بها صارخا

((لماذا أوقعتيها؟ أنا من أخطئت بحقك وقلت لك أن عملي هنا
لا هي.. حاسبيني أنا لا هي))

تلعثمت جالا وهي تحاول التحدث بصوت حاولت إظهار
الشجاعة والهدوء به إلا أنها لم تتنطق بشيء من خوفها من
صراخه ومن منظره الغاضب..

توترت روعة من الموقف وقد ندمت لأنها أخبرت مراد ما
حدث وهي ترى رعب جالا وهي تتحامي بها منه..

مع أنها قالت ما حدث حرفيا بدون الزيادة التي كانت تريد يارا
أضافتها كبا.. إلا أنها غفلت عن جزء إهانة يارا لجالا متعمدة..

حاولت روعة أن تبعد أبنها عن جالا إلا أن مراد جذب جالا من
يدها خلفه بخطوات سريعة حادة غاضبة نحو الباب..

فتح مراد الباب وخرج منه وهو مستمر بجذب جالا خلفه
ونظرات يارا الشامتة نحوها تحولت فجأة للاستغراب وهي
تتنظر لخالتها..

بلعت روعة ريقها بقلق وحاولت أن تنادي على مراد ليتوقف

((مراد إلى أين تذهب؟ نعم زوجتك أخطأت ولكن لا داعي لكل
هذا الغضب))

إلا أنه تجاهل نداء والدته له وهو يصعد الدرج للأعلى نحو
شققته بخطوات سريعة غاضبة ومستمر بجذب جالا خلفه كالشاة
الهاربة وهي مستسلمة لجره إياها.. غير أنه لتعثرها بخطواتها
وأنها كادت تقع أكثر مرة..

سمعت روعة باب شقة ابنها يُغلق بقوة فنظرت بضيق ليارا
قائلة

((أنا قلقة وأخشى أن يؤذيها مراد فتبليه وتتسبب لنا بالمشاكل..
فعند الغضب هو لا يرى شيء أمامه))

هزت يارا كتفاها ببساطة هادئة

((لا تقلقي يا خالتي.. لن يفعل شيء أنه ليس متهور لهذا الحد..
كما أنه لم يسبق وأن رأته يضرب أحدا.. لكن ربما سيؤذيها
قليلا.. لا تتبأسي فعلى الأقل غدا سننزل وتخدمك بخنوع دون
أن تعترض))

بعد ربع ساعة.. بشقة مراد..

استلقى مراد على سريره شبه جالسا وهو يضع جالا بحجره
ويحضنها..

يحتوي بكاءها المؤلم والشديد بين ذراعيه بينما تدفن رأسها
بأحضانه وأنامل إحدى يديها تمسك بقميصه بتثبث..

مد مراد يده لرأسها يمسده بحنان ويلامس شعر رأسها ملاحظاً
كيف تسكن بأحضانه بدون أن تبدي أي نفور أو امتناع عنه كما
تفعل بالعادة..

بل على العكس إحدى ذراعيها تلتف حوله بشدة بينما هي
مستمرة بتفريغ دموعها على صدره..

فكان وكأن عناقها له يمس أوتارا خفية في أعماقه بل ويثير
رغشة لذيدة تجعله يتشبث بها بذراعيه هو الآخر أكثر..

كان مدركا مدى عمق تأثيره بها حتى وهو يخفي كل مشاعره
بداخله.. كأنه بحلم لم يسبق وأن حلم به حتى..

خرجت شهقة من بين دموعها ليهمس مراد لها بخشونة بينما
يميل رأسه ليضع جبينه فوق جبينها

((حسنا والآن هل يمكن أن تخبريني لم لا زلت تبكين؟))

خفتت من بكائها قليلا لتقول بكلام متقطع بحنق لمراد من بين
دموعها

((لقد تجرأت.. ابنة خالتك.. على نعتي بخادمة.. لأنك سمحت
لها.. بذلك.. من البداية))

كانت تشهق بالكلمات وجسدها يختصها بر عشة فمسك يدها
المتشبثة بقميصه يحتضنها بقبضته هامسا بابتسامه تعلق شفثيه
على طفوليتها

((أنت مليكتي.. ولن أسمح لأحد بأن بعد الآن أن يسيء لك.. لا
أنا ولا حتى يارا وسأتأكد من محاسبتى لها فيما بعد جيدا))

مع أن كلماته هدنتها إلا أنها أجهشت ببكاء حار وهي تتمتم
بضعف وتتشبث به أكثر وكأنها تستجديه

((إذن ألسن غاضب منى لأنى أذيتها بشدة على رأسها؟))

ترك مرد يدها ليرفع وجهها بأطراف أنامله يخاطبها بقلق
حقيقي واهتمام بينما هي ما تزال تغلق عينيه بقوة بمحاولة أن
توقف دموعها عن التساقط

((نعم أنا حزين لأنك فعلت هذا.. تحكمني بغضبك مرة أخرى يا
جالا.. صحيح أنها أهانتك بالبداية ولكن مرة أخرى لا تردي
عليها أبدا.. أنا أعرف يارا أنها مدللة وتحب استفزاز الآخرين
ولكن مع ذلك ولأجلك أنت لا تتصرفي بهذا الشكل.. تجاهليها
فقط وعندما أعود أخبريني بالتفصيل ماذا فعلت لك كما فعلت
الآن وسأتصرف معها لاحقا.. صدقيني مهما تخبرني هي أو
أمي بأي شيء فلن أقوم بأي تصرف قبل أن اصعد لشقتنا
وأستمع منك أنت عمّا حدث فعلا.. هل أنت راضية الآن يا جالا
وهل ستطيعيني؟))

هزت له رأسها كفتاة مطيعة ودموعها تنزلق على وجنتيها
بصمت فطيطب على وجهها وهو يمسح دموعها بأنامله..

ابتسم أمامها بمحاولة منه أن تعديها ابتسامته لتبتسم هي
الأخرى.. وابتسمت له بخجل..

لكنها بعد ذلك قامت بإبعاد ذراعيه المحيطتان بها لتقوم من
حجره مما جعله يزم شفثيه شاعرا بغضب طفولي تجاهها
لابتعادها عنه بهكذا لحظات حميمة بينهما..

ذهبت جالا للحمام وغسلت وجهها الملتخ بالدموع جيدا ثم
جففته..

وعادت لتقف أمامه ثم سألته بنعومة وهي تحاول أن تتمسكن
وتحظى بشفتيه

((إذن لن تجبرني على النزول عند الدتك مرة أخرى؟))

سألت من هنا وسرعان ما ارتسمت ملامح غضب عليه وتبدل
حاله بشكل كلي قائلا لها بصرامة وكأن الحنون الذي كان عليه
قبل دقائق لم يعد موجود

((ولماذا لا تريد أن تزوريها؟ حتى تبقي هنا وحيدة منغلقة
على نفسك؟ إذا استمررت بانزوائك ستعدين فعلا كغريبة
الأطوار.. سأطلب من والدتي ألا تجعلك تعملين شيء عندها..
ولكن عليك زيارتها يوما.. اختلطي معها ومع يارا.. أنا أقول
هذا الكلام من أجلك أنت))

صاحت به بدهشة بعد أن لم تتوقع رفضه

((لا تقل من أجلي.. قل أن لا شخصية لك أمام الدتك ولا
تستطيع رفض طلب لها لذا ستجبرني على النزول عندها حتى
لا تغضب عليك))

نظر إليها مراد زافرا بقوة.. ثم عاد بجسده للخلف يتكئ على
ظهر السرير مغمض العينين بينما يمرر أنامل يده بين خصلات
شعره الفاتح..

فتح مراد عيناه ليقول وهو يضغط على أسنانه بعصبية حاول
السيطرة عليها

((لا بل ستنزلين عندها.. لماذا؟ لأنني قلت هذا.. وهذا آخر كلامي.. الآن ابتعدي من أمام وجهي.. أريد أن اغتسل ثم أنام مبكرا لأنني متعب))

بعد ساعتين كان مراد يرفع دثار السرير يستعد للنوم..

أساسا عليه أن يستغل عودته مبكرا من العمل بالنوم مبكرا ولساعات طويلة معوضا الأيام السابقة التي لم يذق فيه طعما للنوم..

وضع الغطاء فوقه يدير نفسه وقيل أن يغلق عيناه أختلس النظر للمشردة الجالسة على الأرض بالركن عند زاوية الحجرة بعناد وإصرار شديد..

كانت منكمشة على نفسها تلف ذراعيها حول جسدها..

عقد حاجبيه ظانا أنها لربما تبكي بخفوت بينما تدفن وجهها..

قال بصوت حاد مناقض لقلبه الذي لان وضعف لمجرد فكرة أنها ستبقى جالسة فوق على الأرض لمدة طويلة

((لقد أطفأت الأنوار.. توقفي عن الأضراب الذي تقومين بها وأصعدي للسرير ونامي.. هيا))

لم ترفع رأسها ولم ترد عليه فقد قررت أنها ستبقى هكذا ما دام يصبر على إجبارها على النزول عند والدته..

مر اليوم عليها كأسوأ أيام حياتها.. لأن حمايتها المصونة لم تترك عمل بالبيت إلا وقد طلبت منها أن تقوم به..

لم يستكين جسدها للراحة ولا حتى ثانية واحدة وهي تدور في دوامة الأعمال طيلة اليوم هذا..

الأمر أصعب مما يبدو خاصة وقد كانت تلاهث لتنتهي بسرعة
قبل عودة والدته مراد هي وابنة أختها من الخارج حتى لا
تتعرض للمزيد من التوبيخ منها كما حذرتها قبل خروجها..

كما أنها لم تستطع أن تقول لمراد ماذا قالت والدته لها عن أمها
لأنها شعرت بالأحراج من الكلام به..

سمعت مراد يزمجر بقوة وقد انتهت قدرته على تحمل تجاهلها
البارد

((هي تعالي ونامي.. لقد مللت منك))

رفعت رأسها تهذر بغضب وحنق من بين دموعها

((ما دمت مُصِرّ على نزولي بشكل يومي عند والدتك فلا تحلم
أن أنام غير هنا عند هذه الزاوية لأخر أيام حياتنا.. أو حتى
تتوقف عن إجباري على النزول))

تنهد مراد بسأم منها بصوت عالي.. تلك الحمقاء مصرة على
الجلوس أرضاً متجاهلة برودة حجرة نومهم التي كان جوها
كالصقيع فطوال اليوم لم يدخلها أحد أو يشغل بها المدفئة..

همس لها بحدة وقد بدء صبره بالنفاد فعلا هذه المرة

((ستمريضين لو بقيتي هكذا لساعات أخرى.. اصغي لكلامي يا
محترمة وتوقفي عن العناد فقط لهذه المرة))

ومجددا.. لم تصدر جالا أي حركة وبقيت مكانها وعلى
وضعيتها متجاهلة حديثه لها..

قال لها بلامبالاة مصطنعة وهو قبل أن يغلق عينيه

((حسنا أبقى مكانك ولن اهتم.. تصبحين على خير))

إلا أنه لم ينام حتى تأكد من سكون حركتها دليل على غرقها
بنوم عميق ليُتجه نحوها..

حملها برفق بذار عيه ثم وضعها السرير ودثرها بغطاء ثقيل..

عاد يستلقي راقدا مكانه على السرير وهو يحدق بها لدقائق كان فيها ساكنا وواجما ثم دفن نفسه بوسادته وهو يغمض عينيه فيشعر بمشاعره تنفلت منه ما بين غضب وكره وعشق تجاهها..

كم ود لو يفتح عيناها ويدق عنقها..

لم هي مصرة على عدم تحمل أي فرصة أو محاولة منه للاقتراب منها؟

عند هذه الأفكار شعر بأنه يكرهها ويكره حبه لها..

خاصة عندما تتصرف كعادتها وتتكلم بكلامها له الذي يكون كالسم.. وتؤذيه بكلماتها..

الحقيقة أنها دوما ما أدته ومنذ أن كانت طفلة ثم مراهقة لا تتحمل المسؤولية..

ومع هذا كله فالخوف دائما يطل من خلف ضلوعه ما إن يحدث لها ما يؤذيها..

=====
=====

بعد مرور شهر..

طوال الشهر المنصرم لم يكن يمر يوم على احمد إلا وقد بدأت خيوط علاقته تتشند مع هيام إلى حد يصعب الاستغناء فيه عن بعضهما حيث يشعر كل واحد منهما بأنه مكمل للآخر..

خاصة من جهته.. لن يستطيع الابتعاد عنها بعدما عاد لحياتها وعادت هي لحياته..

حتى قررت فجأة وبالأيام السابقة أن تقطع علاقتها به لأسباب عديدة..

وصله صوت هيام الواهن المتذمر الأجش على الهاتف

((من معي؟ احمد صحيح؟))

لم تتلقَ أي رد منه فهو كان يعرف بأنه بمجرد أن يرد عليها ستوبخه وتغلق الهاتف لعيه وتحرمه من نفسها..

وربما تضطر إلى تغيير رقم هاتفها كما فعلت سابقا.. سمعها تسترسل بصوت شبه باكي

((احمد لماذا تفعل هذا معي؟ أخبرك والدي بوضوح أنه غير موافق على زواجنا.. فلماذا أنت مصر على استئناف علاقتنا؟))

رد عليها بصوت معاتب

((ألم نعد بعضنا أننا سنحارب لأجل أن نكون سويا حتى النهاية؟ لماذا إذن تنسحبين هكذا؟ بالمرّة الأولى نعم أنا من تركتك وتوقفت عن المحاربة لنيلك وتزوجت من غيرك.. لكن الآن أنت من تتهربين وتبتعدين عني))

تنهدت بحرقة قبل أن تتكلم من بين دموعها

((احمد لقد كنت واضحة معك.. إذا رفضت زواجك أن تتزوج مني فأنا لن أتابع الأمر معك.. لا أريد أن اهدم بيتكم.. كل من اعرفهم يمتلكون رقمي القديم لذا كان صعبا عليّ الاستغناء عنه لكن مع ذلك فعلت وبدلته برقم جديد حتى ابتعد عنك ولا تجد طريقة للوصول لي.. لذلك أرجوك ارتكبي بحالي ولا تضطرنني أن أغيره مرة أخرى.. أرجوك توقف عن الاقتراب مني.. تعرف أنني ضعيفة أمام حبك))

رد عليها عقب أن تنهدت بحزن

((مهما قمتي بتغيير رقمك سأعرف كيف احصل عليه مرة
أخرى من أحد من زملاء عملك أو المقربين منك من
أصدقائك.. ثم لو كنت فعلا لا تريدني مني أن أتواصل معك يا
هيام لكنني قدمتي شكوة على صاحب الرقم الذي يتصل بك
باستمرار ويزعجك بمكالماته.. صحيح؟))

شبهت هيام وهي تغمض عيناها.. حاولت أخذ نفس قبل أن
تسترسل

((من المستحيل أن أقدم شكوة ضدك.. لا يهون عليّ فعل ذلك..
يا نفسي))

أجابها بنفس النبوة الحارقة

((وأنا أيضا لا يهون عليّ إيدائك بشيء.. يا نفسي))

سمعها تقول بصوتٍ يائس

((احمد.. اشعر انه وبالفترة الأخير التي تقابلنا فيها حبي لك
ازداد أضعاف مضاعفة.. لكن مع ذلك لا يصح ما فعله))

سكت قليلا.. ثم قال بعد دقيقة

((ولم بنظرك هذا هو الصحيح؟ حتى توافقي على خطبة ذلك
المعتوه الذي يدعى سعد؟ هيام لن اسمح لك أن تكوني لغيري
أبدا.. هل فهمتي؟))

هما الاثنان وطوال الشهر الماضي يكاد لا يمرُ عليهما يومٌ إلا
ويتكلما معاً أو يبوح كل واحدٍ منهما لنفسه وفي أغلب الأحيان
يتجاوز ذلك منتصف الليل..

فرفضت هيام سعد بإصرار وتشك بعد ذلك الرفض أن يتجرأ
لطلب يدها مرة أخرى.. لكن مع ذلك حاولت بتخاذل أن تبتعد
عن احمد وطلبت من إلا يتواصل معه وحاولت تغيير رقمها..

وصلها صوت احمد

((هيام لا اشعر أنني أستطيع أن اکتفي فقط بحدیثنا البسيط هذا..
ولکن هذا لا یعنی أنني أشعر بنقص من ناحيتك أو أنني لدي نيّة
سيئة لا سمح الله.. بل على العکس تمامًا أريد الحرص على
صونك.. أريدك زوجة بييتي.. ملک لي.. علاقتي مع إيما
تتحسن كثيرًا.. لو فقط توافقين أستطيع مواجهة والدك مرة
أخرى وإقناعه.. أما عن إيما فصدقيني ستتقبل مرغمة الأمر..
ستتألم بالبداية فقط ولكن فيما بعد ستتقبله))

انتظر لدقائق ردها ولكنه لم يصل إلا صوت أنفاسها.. لنقول
بالنهاية

((احمد إلى اللقاء))

=====
=====

من جهة إيمان لم تتواني بفعل شيء طوال الشهر الماضي..
كانت كل ليلة تقوم لتتنطح بين يدي الله وتدعوه أن ينزع من
قلبها هذا الإحساس وهذا الوجد الذي زرعه احمد فيها
ويساعدها أن تسامح مع ما نواه بحقها.. ويخرج تلك التي لا
زال يحبها من عقله للأبد وان يسخر قلبه وعقله لها وحدها..
فلا داعي أن تهدم حياتها فقط لمجرد نية نواها ولم يفعلها..
هي متأكدة وواثقة أنه لن يفعلها.. لذا فلتنسى وتسامحه.. وتبذل
جهدها على جعله يحبها..
لن تترك بيتها وتهدم حياتها مجددا ولن تضيع ابنها فقط لأجل
امرأة أخرى..

تحتاج قليلا من الصبر وكثير من حُسن المعاملة وستعود
الأمر إلى ما كانت عليه من وُد..

قررت أن تكون إيجابية وتكتب في ورقة إيجابيات احمد وكل
ذكرياتهما الجميلة..

فاحمد يحترمها.. يقوم بواجباته الحياتية.. لم يكن خاننا ولم يكن
صاحب علاقات نسائية..

حاولت خلال الشهر الماضي أن تكون صديقة له.. لا فقط
زوجة تمتلكه..

وللحق أصبح احمد أفضل معها مما سبق بالرغم من أنها تشعر
بأنه ليس معها كاملاً.. كأنه بجسده دون عقله كاملاً..

أحياناً تتمنى لو أنها تستطيع أن تجعل احمد يبوح على صدرها
بما يتمناه وبما يحزنه لتخفف عنه لتدخل الفرح والسرور عليه..

فهي لا تزال ترى بزرقاويه لمحة حزن عميقة.. وكأنه لا يزال
يفكر بها.. تلك الحقيرة..

لكنها لا تشك بانه ما زال يتحدث معها أو يراها.. وإذا ما
راودها شك توظفه للاحتفاظ.. وليس للامتلاك..

فهي تريد حفظ الحياة الزوجية بينهما لا محاصرتها وتمديرها..

لا تريد أن تساعد ما حصل على تدمير الحب بينهما بسوء
تصرفها مهما كانت مجروحة منه..

لو فقط يعلم أو يتخيل احمد كم تألمت عندما سمعت منه بلسانه
انه قرر الزواج منها..

كم لحظتها اعتصر قلبها حزناً.. وكيف انهمرت دموعها ليلة
فراقه مبيتها أيام ببيت والدها وهي تظن أن كل شيء بينهما
سينتهي بسبب أخرى..

=====
=====

مع أولى بوادر طلوع الشمس بحجرة النوم نهضت جالا على صوت المنبه لترفع رأسها عن الوسادة وهي تشعر بثقل شديد وألم يكاد يقتك بها..

فيالأمس حرفيا لم تأخذ أي قسط من الراحة بين الصباح وعودة مراد من عمله..

قامت بترتيب حجرة ضيوف والدة مراد من تنظيف وتلميع ونقل أثاث كل إنش بالحجرة ولوحدها.. بالرغم من أن الحجرة كانت تشع من النظافة من قبل أن تلمسها حتى..

كانت مجبرة وطوال الشهر الفائت أن تقضي وطوال فترة النهار عند والدة مراد ولا تعود لشقتها بالطابق العلوي إلا آخر النهار مع عودة زوجها من عمله..

فتجد نفسها ليلا عند محاولتها النوم منهكة وتتقلب فيه مرات ومرات حتى يغلبها النوم..

وبعد ذلك يستنكر والد مراد لم لا تحب مجالسة زوجته بالصباح ورفقتها.. مع أن السبب ببساطة واضح وضوح الشمس..

تجاهلت جالا الألم الذي تشعر به ينهش عظمها وهي تنهض ببطء من الفراش..

دقائق وخرجت من الحمام بعد اغتسالها لتنتبه لمراد الذي يقف أمام المرأة يعدل من ياقة قميصه..

ظهرت اللمهة على وجهها وهي تسارع خطاها نحوه تهديه ابتسامة رقيقة بينما تمد يدها لتعدل من ربطة عنقه جيدا وتهمس له بصوت مرح أجش

((دعني أساعدك بوضع ربطة عنقك))

ما يجعلها قادرة على تحمل معاملة والدة مراد لها وخبائة ابنة خالته.. هو مراد نفسه..

هو ما يجعلها تريد المحافظة على زواجها منه لا خوفها من
كلام الناس إذا ما طلبت الطلاق..

يكفي أنه ولشهر كامل لم يفكر حتى بالاقتراب منها أو مطالبه
حقه فيه رغم أنها حانقة عليه لأنه للآن يجبرها على النزول
لبيت والدته..

ابتسم مراد بركة وثقة لمنظرها وهي تحاول جاهدة تعديل ربطة
عنقه..

ليس بالضرورة أن يفعل أشياء كبيرة لينال ودها ورضاها.. بل
إن الأشياء الصغيرة المتتالية تحدث فرقا وتغييرا كبيرا لها..
وها هي النتيجة تتضح أمامه وهو يرى كيف أصبحت تألفه
وتعتاد عليه..

أصبحت تنام بنفس موعد نومه.. وتنهض بنفس موعد نهوضه..
تساعده باختيار ملابسه صباحا.. وتتلف لتضع لمستها الخاصة
بما يتعلق به..

لقد نجح بجعلها تكن الود له وأدرك ما تحتاجه لتشعر بأنها
محبوبة ومدعومة من قبله ليفعله له ولن يهدأ قبل أن يجعلها
تغرق في بحار هواه بصدق وبشغف كحالها تماما..

سيجعلها قادرة على الاستجابة له.. بكل المشاعر التي يريد
من حب.. ثقة.. تقبل.. إعجاب.. رغبة.. قوة.. بشوق..

انتبه مراد وهي ترفع نفسها برشاقة على مشد قدميها وهي
تعدل ربطة عنقها كعادتها بكل مرة..

رغما عنه ابتسم ليقترب منها يهمس لها بحرارة وأنامله تلامس
وجنتها بمجرد أن انتهت من تعديلها

((تبدلين يا مليكتي فاتنة حتى وبعد استيقاظك من النوم))

توردت وجنتا جالا بخجل من كلامه..

لا تعرف سبب تغيره الملحوظ عليها إلا أنها تحب مراد الجديد بشكل لا يوصف يجعلها لا تتمنى من الدنيا شيئا أكثر من ذلك..

أنه يعاملها كطفلة المدللة برقة وبدون أن يظهر أي رغبة مبطنة وراء أفعاله..

أخبرها بوضوح أن تنسى أنه زوجها وله حقوق عليها وأن تعتبره فقط صديق يريد التقرب منها ليعرفها وتعرفه أكثر..

وقد نجح بذلك.. وكم هو جميل أن تمتلك شابا مثله كصديق لها..

إذا ما حاولت التحدث معه بأي موضوع معه يصغي لها فورا..

فإذا كان يقرأ صحيفة يتركها.. وإذا كان يشاهد التلفاز يغلغه.. ليعيرها فورا كل انتباهه..

يتأملها بحب وتركيز وينصت لها بحب.. وهو مستمتع لحديثها باستعمال عينيها كوسيلة لاتصالهما..

حتى أنه سجل على ورقة عيد ميلادها والمناسبات المهمة لها حتى لا ينساها بما أنه ليس جيدا مع الأرقام والتواريخ..

ودائما ما يكتب ملحوظات يمتدحها فيها على المرأة قبل خروجه أو بأي مكان سهل أن تراه..

بدأت تشعر به وتجده يتسلل إليها ببطء.. وكأنه يمتلكها بتمهل..

فباتت تخضع له أغلب الأحيان رغما عنها وتخجل من أن تتمرد أمامه أو تعاند ما يطلبه منها..

كل ليلة بأن يُرقبها بصوته العذب.. لأنه يعتقد بأنها كانت جميلة وفاتنة جدا ليلة زفافهما إلى حد أنها أصيبت بعين أو حسد جعلها ترتعب من فكرة العلاقة الزوجية..

لكن بعيدا عن المزاح فهي صارت لا تشعر بالراحة في النوم بدون أن يرقبها كما يفعل كل ليلة بأيات قرآنية عطرة..

صحيح أنه لحد الآن علاقتها أحرزت تقدم طفيف وبطيء بالنسبة لزوجين.. ولكنها لم تتخيل أن يحدث هذا التقدم من الأساس..

نعم يتعمد لمسها أحيانا بيده برقة عندما تقترب منه أو تتحدث إليه وهي تنزعج من اقترابه بهذا الشكل ولكنها تتحمل من أجله..

قالت جالا له مبتسمة برقة بمجرد أن شعرت به يهيم بالمغادرة ((انتظر لحظة حتى اعد لك عصيرك المفضل قبل خروجك))

سارت جالا فورا نحو المطبخ قبل أن ينعدم توازن خطواتها لتصطدم بالطولة الموضوعية بالصالة فتشبهق بعنف..

كادت أن تقع أرضا لولا ذراع مراد التي التفت حولها سريعا ليجذبها نحوه ويمنعها من السقوط..

ازدردت ريقها وصدرها يتنفس بقوة..

رفعت بصرها للأعلى تتنبه لمراد الممسك بها وهو يحذرنا بلهفة وقلق

((انتبه يا جالا.. ماذا حصل لك؟))

تمللت بين ذراعيه وهي تحاول الابتعاد عنه قائلة بارتباك

((لا أدري.. فقدت توازني.. لكن أنا بخير))

لاحظ مراد علامات الإرهاق البادية فوق وجهها فأحس بالضيق والشفقة عليه وهو يعرف أن والدته هي السبب وهي تتعبها بعمل المنزل فتعود بعد كل نهار يوم متلهفة لتستلقي فوق

الفراش وتغرق في نوم لا تفيق منه سوى صباحا استعداد ليوم شاق آخر عند والدته..

فضلا عن وزنها الذي لم يتغير.. فأمه لا تهتم أن تطلب من جالا تناول الغذاء معها هي ويارا..

وكرامة هذه الحمقاء تأتي أن تنضم لهما بدون دعوة..

وهو لا يستطيع مشاركتها إلا وجبة الفطور والعشاء.. ولا يعتقد أن هاتين الوجبتين كافيتان لهما..

هل هذا الذي وعد نفسه بأنه سيجعلها تكسب الكثير ممن الكيلوغرامات خلال مدة قصيرة؟

همس مراد لها بقلق وبنبرة معتذرة

((أنا اسف بشأن أمي.. سأحدث مع أبي ليطلب من وفيه العودة أو إحضار غيرها لخدمة أمي.. أو على الأقل أن يطلب من يارا أن تساعدك بعمل البيت.. وقتها أمي ستنتع بأنه لا داعي لإعادة تنظيف أي شيء نظيف من الأساس وستقلل من هوسها بالنظافة))

هزت رأسها له وهي تومئ بضعف وترمقه ببعض نظرات العتاب لأنه يجبرها النزول عند والدته طوال النهار وهو يعرف أن والدته لا ترحمها..

نزلا بعد دقائق لتناول الفطور بشقة والديه..

وقبل أن يخرج مراد من بوابة البناية التفت لها يقبل جبينها ويعانقها بقوة لا يسمح لها أن تبدي أي اعتراض كما لا تزال تفعل أحيانا..

نعم يضمها كل يوم على الأقل مرتين لعله يضع تأثير عميق وقوي لديها..

ثم قال لها هامسا

((إلى اللقاء يا مليكتي.. سأشتاق لك.. أبقى قوية ولا تجعلي تلك
الفرذة الصغيرة يارا تزعجك))

أخفضت جالا نظرها للأسفل وتوردت وجنتاه خجلا وهي
تودعه..

فها هو كما اعتادت منه قبل خروجه لعمله.. ينظر لها بحب
هادرا بأنه سيشتاق لها..

فقبل أو بعد عمله أول شيء يقوم به هو أن يجدها ويضمها
وقبل أي شيء..

ولا يناديها عندما يكونا لوحدهما إلا "مليكة" .. مليكة؟

تتعرف أنها كانت تظن بالبداية أنه يدعوها بمليكة لأنه ينسى
اسمها الغير شائع.. أو ربما يخطئ به ببساطة..

استدارت جالا لتعاود دخول شقة والديه وهي تتنهد ببأس
وتخاذل..

أنها تنتظر عودته من عمله قبل حتى أن يخرج مع أنه لم يعد
كالسابق يتأخر بعمله.. وإذا ما اضطر لذلك يتصل بنفسه بها
ليخبرها..

اجمل ما في الأمر أنه صار يجلب لها زهورا عند عودته من
للبيت أو أي هدية خاصة أخرى كعطر أو قطعة ملابس ذات
مظهر لطيف..

أما عند عتبة الباب كانت يارا تنتظرها وهي تحرق بها بحقد..

هي أبداً غير راضية عن مراد الذي صار لا يتردد بإظهار
رفقه لزوجه أمامهم ويجعلهم يروون مدى حبه واحترامه لها
حيث يكون منتبها لها أكثر منهم..

بل أحيانا عندما تغادر زوجته المصونة المكان للمطبخ أو
لحجرة أخرى لإحضار ما يطلبه منها احدى والديه يتعمد
اللاحاق بها.. وكأنهما يفر معها لخلوة رومانسية هادئة..

تسمرت جالا مكانها وهي تنتظر لها لتقول يارا لها بغیظ وهي
تخسر ذراعيها

((لم تأخرتِ يا ابنة سميحة؟ كل هذا توديع لحبيب القلب؟))

نظرت جالا بحقد متبادل ليارا..

أكل هذا الكره من يارا تجاهها لأنها فقط تحب مراد؟ نعم هي
متأكدة أن تلك المعتوهة هائمة بحب مراد وتظنها خطفته منها..

هل تتخيل يارا أنها لو بقيت تعاملها هي وخالتها بهذا الأسلوب
ستطلب الطلاق وتتخلى عن مراد لتتركه لها؟

أكثر ما يثير استفزاز جالا هي عندما تنادي هذه القردة مراد بـ
"أخي" ..

تظن أنها لو ادعت أنها ترى مثل شقيقها فهي لن تشك بنواياها
تجاه مراد؟

لقد جربت فداء من قبل والآن هي تعرف كيف تكون حذرة من
كل النساء حول رجلها..

وبالتأكيد ستتصرف مستقبلا ما يلزمها لئلا تمنع يارا من الاقتراب
منه..

تنهدت جالا ببعض الراحة وهي تفكر أن ما يطمئننها أنها متأكدة
من أن مراد لا ينظر ليارا إلا كأخت فعلا بل فقط كقردة
صغيرة كما قال لها توا..

صرخت يارا بها بصوت عالي وهي تلوح بكفها بإزعاج

((أين شردت يا ابنة سميحة؟ أنا اتحدث معك.. خالتي تخبرك
أن تبدأ عملك بالتنظيف))

وبابتسامة شريرة استرسلت يارا وهي تسحب جالا من ذراعها
للداخل

((هل تعرفين من أين عليك البدء؟ من الصالة.. عليك القيام
بتنظيف أرضها بالمعقم والمعطر ومسح المرايا.. قومي أيضا
برش معطر الجو فيها.. الحقيقة كنت معتادة ببيت شقيقتي على
إشعال البخور أو رش المسك في زوايا المنزل.. ربما سأذهب
الآن للسوق الآن مع خالتي لأشتري بعض البخور))

آخر كلام يارا كان تساؤلًا تسألُه على نفسها متحيرة بصوت
منخفض وهي تشرد بالتفكير وتضع أصبعها على ذقنها تفكر..

عادت يارا ترفع نظرها لجالا مردفه أوامرها

((حسنًا لنرى فيما بعض.. المهم عليك أيضا تنظيف المطبخ
بغسل الأواني التي استعملناها الآن للفطور جيدًا وتجفيفها.. بعد
ذلك قومي بمسح الرّخام باللمع جيدًا ومسح طاولة المطبخ
والفرن.. استخدمتي قطعة من الإسفنج أو القماش النّظيف لإزالة
البقع بالإضافة إلى تنظيف الأرض.. أجمعي الثّغابيات ولكن لا
تخرجيها خارج المنزل حتى لا يجن مراد فينا مثل آخر مرة
عندما رآك تخرجين لرميها بنفس موعد قدمه للعمل))

عندما وجدت جالا متجمدة مكانها تستمع لها بدون إظهار أي
تعايير..

قطعت يارا المسافة الفاصلة بينهما لتقول بنفاذ صبر صارخة

((هيا يا ابنة سميحة تحركي بسرعة.. أتوقع منك أن تنتهي كل
هذا بساعتين.. حتى أخبرك ما عليك القيام به فيما بعد))

ثم تركت جالا مكانها وهي تغادر المكان بنفس مشيتها المعتادة
المتبخترة..

ما أمرتها يارا أن تفعل هو نفس ما تأمرها كل يوم خلال الشهر
الماضي..

هذا غير سماعها للهمزات عليها من قبلها هي وخالتها..

لكنها الآن بالذات شعرت بالقهر.. فهي قوية ولم يسبق وأن
سكتت عن ظلمها سابقا لذا سكوتها عما تفعله بها يارا وخالتها
يجعلها تجن من نفسها..

تعرف بأن مراد شخصيته ضعيفة أمام والدته لذا حاولت اللجوء
لوالده لتشكي له ما تفعله زوجته بها..

إلا أنه ضحك ومازحها القول بأن زوجته لا تعتمد ذلك وهي
فقط تريدها سيده منزل ممتازة..

ثم تابع القول مازحا بأن والدها كان محققا بشأنها وأنها مدللة
عنيده وبجاجة للحزم والصرامة بالمعاملة..

كادت جالا وقتها أن تنفجر من البكاء عندما سمعت ما قاله
والده عنها لهم.. لم يبق لها أي قدر وقيمة أمام عائلة زوجها..

الآن هي لا تستغرب جرأة والده مراد هي ويارا بمعاملتها بهذا
الشكل كخادمة..

والده مراد نفسها ومنذ سنين ولأنها لا تقدر على هوسها
بالنظافة وتنظيف كل شيء ببيتها لوحدها طلبت المجيء عاملة
لتساعدها..

الآن كيف تتوقع منها أن تقوم لوحدها بكل هذه الأعمال وهي
بنفسها كانت تساعد وفيه؟

تنهدت جالا بحرقة وهي تتوجه نحو ما طلبت يارا منها القيام به
متحسرة..

لقد كانت مدللة عند والدتها التي كانت لا تسمح لها بأن تتعب نفسها بشيء..

لا عجب أن والدتها كانت رافضة فكرة زواجها من مراد.. فهي تعرف أمه جيدا..

هنا ورغمنا عن جالا بدأت تتذكر كارم ووالدته.. مع أنها تحاول قدر الإمكان مسح كارم نهائيا من حياتها..

ولكنها تذكرت كيف بإحدى المرات مازحتها والدته وهي تخبرها بأنها لن تستمر بتدليلها بعد زواجها من كارم كأمرها.. بل ستكون حماة متسلطة معها..

وقتها انتفض كارم على والدته يخبرها أنه بمجرد أن يتزوج من جالا سيجعلها ملكة متوجة فهو لم يتزوجها للخدمة والطهي..

وإذا لم تتقن الطهي ولزم الأمر سيطهو هو بنفسه أو يعتمد على اكل المطاعم الجاهز المهم أن تقبل الزواج منه..

كان جديا بكلامه لدرجة إن والدته استهجنت كلامه هاتفة بأنها فقط تمزح ولا يمكن أن تكون جدية..

طبعاً هذا كان كارم قبل سفره للخارج لروسيا.. عندما كان يحبها..

كانت شخصية كارم قوية ومانعة مع الجميع إلا معها..

معها هي فقط وأمامها كان رقيقاً وضعيفاً لأبعد الحدود..

كان مهوساً بها وهائماً بعشقتها.. لو أنه لم يتغير معها وتزوجته كان من المستحيل أن يسمح لأحد حتى لوأبيه بإساءة معاملتها ظلماً بهذا الأسلوب..

ولكن كما قال راجي.. ما الفائدة من كل هذا الحب وقد تركها بالنهاية؟

=====
=====
بدأ الليل يسدل ستائره في منزل سارا الفاره الكبير في
العاصمة..

خرج راجي من حجرة المعيشة التي كان متواجد فيها لساعات
ثم دلف بهدوء لحجرة نوم سارا والتي أصبحت حجرة نومهما
كلما ينام عندها.. أي اغلب أيام الأسبوع..

كانت الحجرة سابحة في الظلام إلا من ضوء ضعيف أتى من
ناحية النافذة المفتوحة على مصراعها..

خلع راجي سترته وهو يلقي نظرة على سارا الواقفة أمامها
تنظر من خلالها وتستقبل النسمات الخفيفة التي تتلاعب
بخصلات شعرها الأشقر والستائر الشفافة..

كانت سارا ترتدي منزرا ثقيلًا يغطي جسدها وما تلبس تحته..

بالتأكيد لدى راجي فكرة جدية عما تلبس تحته وقد فهم طريقتهما
بالحوار معه عندما يغضب من تصرفاتها مهما كان الموضوع
جادا..

نظر راجي لها وهو يلقي بسترته على الأريكة ويجلس عليها..

ثم أعاد رأسه للخلف وهو يلتقط أنفاسه وينظر للسقف بهدوء
يشرد به..

التفتت سارا للخلف برأسها تنظر له بجفاء..

ثم استدارت بحذر لتقترب منه ببطء لتقف أمامه تنحني قليلا
ليحيط شعرها الطويل الذي جمعها بعقدة على يمينها على
وجهه وهي تقول له بصوت متحشرج

((زوجي العزيز.. أخيرا قررت أن تخرج نفسك من العزلة
وتأتي هنا؟))

التقط راجي أنفاسه بصعوبة وهو ينظر لها بحدة

((ابتعدي عني يا سارا أريد النوم الآن))

هزت كتفاها بلامبالاة ظاهرة وهي تستدير وتوليه ظهرها بينما
تبتسم بمكر وهي تعرف أنه لن يقاوم البقاء غاضبا منها..

أشعلت إضاءة الحجرة وفكت عقدة شعرها ليتطاير أمامه..

سمعته يزفر حانقا من تصرفها وما تحاول فعله.. لكنها لم تهتم
وهي تتحرر من مئزرها الثقيل بأريحية شديدة وبلا خجل..

فألخجل أبعد ما يكون أن تتحلى به بعد كل ما حدث بينهما..

كانت ترتدي تحته ذلك القميص الأسود بحمالاته الرفيعة
المفصل على جسدها بإثارة والذي أفقده عقله بإحدى الليالي..

تحركت سارا نحو سريرها لتخلد للنوم فتحركت إحدى حمالة
الثوب عن كتفها لتسقط على ذراعها أمام أنظاره فلم تهتم أن
تعيدها..

كان راجي يحذق بها غير قادر عن الإشاحة عنها رغما عنه
حتى رآها تخلد للنوم وتغطي نفسها..

وبالرغم من أن سارا لم تكن تنظر لها إلا أن شعرت أن
نظراتها تخترقه وهي تسمعه كيف يتنفس بقوة ويندفع لأخذ
حمام ثلجي هاربا منها..

لم يهتم أن الجو بالخارج قارس البرودة.. فالببيت من الداخل
دافئ جدا.. كما أن المياه الباردة هي وحدها من ستفيده بإخماد
ما قامت سارا بإشعاله..

بعد دقائق كان راجي يتقلب في فراش سرير سارا الضخم..
الذي أصبح سريرهما أيضا معا فبالأساس هو يتسع لأكثر من
شخص..

لاحظ أن عطر سارا التي كانت تضعه الآن وهي بجانبه لم يكن
عطرها المعتاد فهي ليست معتادة على وضع العطور الخفيفة
أو اللطيفة..

لكن هذا العطر الجديد الذي تضعه الآن بالتحديد كان كثيرا
جدا.. لحد أنه يمنعه من النوم..

التفت للجانب يراها نائمة والغطاء منكشف عنها قليلا فمد
ذراعه ليغطيها ليعاود الانتباه لذلك القميص الذي كشفته له قبل
نومها.. حتى في نومها تحب أن تكون أنيقة ومثيرة..

شتمها بسر.. الليلة لا يبدو أنه سينام إلا بعد ساعات طويلة
يتقلب فيها وربما سيستمر التقلبات للفجر وهو يمضيها مسهد
بالتفكير بهذا القميص وبعطرها الجديد الذي تضعه والتخليبات
التي سيستحضرها لعقله عن لياليهم السابقة ومفاتها..

انتبه لها راجي متوجسا عندما تحركت بجسدها لتنام على
جانباها لتتقلص المسافة بينهما وتلاشى..

لحظات ورآها تلقي بذراعها البيض على صدره لتتغلل شيئا
بشيء بأحضانها.. حتى وضعت رأسها على صدره..

تسلل غسل شعرها المعطر بالياسمين الفواح له أكثر ليلفح
وجهه حتى بات يتنفسه..

الحقيقة أن مستحضراتها تحتل جميع الرفوف الحمام حتى أنه
يجد صعوبة في البحث عن غسله الخاص من بينهم..

هنا وجد يده تتحرك لإراديا لتمسك احدى خصلات شعرها
الحرير الطويل المصبوغ باللون الأشقر ليقربه لأنفه..

لكن لحظات وترك شعرها كالمسوح ويعطيها ظهره وهو يعاود
شتمها بسره..

يجب أن ينام باكرا لينهض غدا باكرا لأجل امتحانه.. تلك
الشفقة!

لا تزال تتعمد إغرائه وتدعي النوم..

هو متأكد أنها متيقظة من أنفاسها الغير منتظمة وعيونها اللامعة
في ظلام الحجرة..

ولم قد تنام باكرا؟ لا شيء فوق عاتقها لتقلق عليه..

فهي تذهب لتدريبتها بشركة والدها متى ما أرادت..

لا جامعة تذهب لها لتقلق عليها.. ولا امتحانات نهائية تستعد لها
هذه الأيام..

نهض راجي بعنف حانقا منها وهو يعتدل جالسا ويبعدها عنه
بعنف فسمع تأوها من حركته..

لم يهتم وبدأ يتنفس بعمق ليشنت هذه الأفكار ويبعدها عنه..

لكن الظلام هذا من حوله لا يساعده على ذلك.. وعطرها
المثير.. وقميص نومها الذي ترتديه الآن..

مد كفيه ليمسح حبات العرق المتألثة من على وجهه والتي
سبب وجودها في هذا البرد القارص هو استلقاء سارا بجانبه لا
التدفئة التي تعمل بشكل تلقائي بكل أرجاء منزلها..

قبل أن يغادر راجي السرير مسكت سارا بذراعه بقوة.. وهي
تقول له بصوت أجش تحاول من خلاله ادعاء النوم

((راجي.. إلى أين تذهب؟))

أغمض راجي عينيه وهو يزدرد ريقه بصعوبة..

الآن ستبدأ باستعمال طرقها العذبة باستدراجه ليضعف أمامه وهي تدرك أنه غير محصن أمامها.. وهنا المشكلة..

مهما ادعى عكس ذلك وخدع نفسه.. إلا أنه ضعيف أمامها ويعترف بداخله بذلك..

لكنه سحب ذراعه بعنف من بين يديها ليغادر الحجرة إلى الصالة..

اليوم عرف بزلة لسانها أنها ذهبت بليلة رأس السنة مع صديقاتها لاحتفال أقيم بهذه المناسبة.. والذي كان مشابهاً لذلك الاحتفال الذي أقامته..

شعر بأنه يشتعل غضبا منها لذهابها لتلك الأماكن..

هو في التواصل الإنساني والاجتماعي لا يجتمع مع أحد في محيط واحد إلا حينما تجمع به صفات مشتركة..

فهو بطبعه لا يمكن أن يصادق إلا من يرى فيه شيئاً من مبادئه وقيمه ولا يمكن أن يقترب إلا ممن يجد لديه بعضاً من نواته..

في حين يهرب كثيراً من المخالفين له في الحياة وحتى إن تواصل معهم

فذلك التواصل يبقى في الحدود الضيقة التي تمكنه من إنجاز أعماله واحتياجاته العامة..

كان هذا الأمر أمر مسلم به في محيطه.. لذا هو الآن لا يستطيع استيعاب نفسه وفجأة متزوج من سارا.. وهي من محيط وعالم وتفكير مختلف كلياً عنه..

أن يطال الاختلاف الفكري والقيمي العلاقة الزوجية فذلك من أصعب ما يمكن أن يقابله المرء في الحياة..

فمن السهل أن تقبل اختلافات الآخرين في حين من الصعب
تقبل اختلافات الشريكين..

كيف الآن السبيل له هو وسارا تقاسم جميع تفاصيل الحياة
لتأسيس حياة مشتركة؟

كيف يمكن لها معه كشريكين التحول إلى والدين لطفل واحد؟

ألم يقررا أن ينجحا فعلا بهذا الزواج إلى آخر العمر؟

إذن من المفترض به ومن الآن أن يفكر بالمستقبل الخاص
بهما؟

لأنه يشعر أن الاهتمام بهذه الأشياء المهمة هي فقط من طرفه..

شعر بذراعي سارا تحيطه من الخلف بينما هو جالس.. فهمس
لها بصوت فاتر

((سارا توقفي عن ذلك أرجوك.. خلافتنا ليس خلافا جسديا..
تعرفين جيدا سبب غضبي ولن أتجاهل الأمر حتى ولو نجحت
بجعلني أنام معك.. ألا رصيدي لي معك إلا جسديك؟ لماذا تظنين
دائما أن العلاقة الجسدية حل لكل شيء))

أرخت ذراعيها حوله قبل أن تسحبهما وتجلس بهدوء أمامه
وهي تضع قدما على قدم وتتنظر له بتعالي ونظراتها تخترقه..

لا ينقص إلا أن يقول عنها بنت ليل تحاول إغوائه..

لطالما كانت ساكنة أمام الشباب حتى ولو كانت بطبعها تحب
لُفتَ الانتباه..

لأنها باختصار لديها يقين أنها تستحق أن يُسعى إليها لا
العكس..

فما تفعله الآن هو قمة الأذلال لنفسها.. لكن لا يهم.. راجي ما
زال يعجبها ولتتخلى عن كرامتها قليلا لأجله..

تحدثت سارا أخيرا بصوت بارد

((ما الذي عليّ أن افعل حتى تسامحني لذهابي لتلك الحفلة؟))

لاحظ أنها تتحدث بجدية بعيدا عن الأجراء.. بقميص نومها هذا الذي لا تزال تلبسه..

سمعها تتابع القول

((لم أنت غاضب لهذه الدرجة؟ طوال اليوم وأنت عابس هكذا وترفض النظر لي.. كل ما في الأمر أنني كنت أحاول البحث عن أفكار غير تقليدية للاحتفال بليلة رأس السنة بدلا من البقاء في المنزل))

استنكارها لردة فعلها جلب لشفتيه ابتسامة متهمكة وهو يقول

((ألم تجد أنشطة احتفالية مرحة تضيي جوا من السعادة والبهجة عليك عند استقبال العام الجديد غير الذهاب للاحتفال أصدقائك المختلط والذي لن يخلو من الكثير من المحظورات؟ لا يهمني من أين قدمتي والأمور المعتادة عليها.. لكن ألم تنفق على أن تتصرفي بما يناسب تقاليد مجتمعي الذي أعيش به وديني منذ اللحظة التي اتفقنا فيها أن زواجنا سيبقى للأبد؟))

رمشت سارا بعينيهما ببطء ثم ابتسمت ببراءة مفتعلة وهي تقول بخفوت

((نعم حسنا لقد أخطأت.. وأنت أيضا أخطأت بعدم موافقتك أن تبقي معي بليلة رأس السنة للاحتفال معي))

رمقها راجي بغیض حتى لم يجد بعينيهما أي نظرة اعتذار أو ندم.. ثم رفع أصبعه أمامها وهو يقول بتحذير

((سارا هذا ليس مبررا كافي للذهاب للاحتفال.. ثم أنا كنت مشغول بليلة رأس السنة أحتفل فيها مع كتيبي وامتحاناتي.. والتي لا زلت أمتحن بها إلى الآن))

ثم زفر بضيق ملحوظ منها.. لكنها استرسلت تميل عليه لتقول
بحنو

((حسنا اعتذرت لذهابي للحفلة وانتهى الأمر.. الآن أنت يجب
عليك تعويضي بدلا من تفويتك الاحتفال بليلة رأس السنة معي
حتى ولو اقتربنا من منتصف الشهر.. أريد تعويض منك بليلة
لا تنسى))

كان الغضب ما يزال يشتعل بداخله نحوها..

أنانيها وعدم مبالاتها بأمور مهمة له كانت تغدي هذه النار.. لم
يشعر بالفعل أنها صادقة ولكن كلماتها الراجعة له جعلته يتهدد
بعمق.. ليلين وهو يسألها بينما يهز كتفيه

((كيف تريدن تلك الليلة التي لا تنسى؟ ماذا تريدن؟ إعداد
طبق كبير من الفشار وقضاء الليلة في مشاهدة فيلمك المفضل..
ثم نتسامر ونرقص مثلا؟))

ادعت التفكير وهي تترك مكانها وتقرب منه لتجلس على قدميه
وكانه مكانها حيث تنتمي لتقول بصوت متحرج

((لا أدري.. ربما..))

هز رأسه ليقول بصوت محايد بدون أن يبدي أي إثارة وحماس
بوجهها

((حسنا بمجرد أن أنهى امتحاناتي.. صدقيني بنفس الليلة
سنقضيهما نحنفل معا نعوض ليلة رأس السنة التي فوتها معك
بسبب امتحاناتي اللعينة))

بقيت جالسة على قدميه.. وعندما حاول أن يخفض نظره..
قربت أناملها من ذقنه لترفعه لينظر لها.. فتأملها بعينيه..

شيئا فشيئا وجد نفسه يمعن النظر بلون عينيها الحقيقي ويضيع
فيهما.. بدتا عيناها كاستان سوداوان..

فسأل نفسه "كيف تعَيّر لون عينيها؟"

نعم يعرف أنها تضع عدسات لاصقة وبألوان متغيرة أحيانا..
لكن مع ذلك بدتا ساحرتان..

همس لها بملامح مغيبة فيها

((أشعر أحيانا بأن لون ملابسك يغير لون عينيك.. وكأنك
تمتلكين أدوات سحرية يمكنك استخدامها لتغيير لون عينك
وجعلها أكثر وضوحاً..))

ابتسمت وهي تحببه بينما تميل برأسها وتتأمل حدقتيه

((حقاً؟))

ضيق راجي عنيه لها فقربت رأسها له بينما تقول بصوت مرح
وأنفاسها تلمح وجهه

((شكراً على هذه المجاملة))

ابتسامتها له بتلك الطريقة الجميلة.. وجهها يبدو كالبرد..
كالقرص الدائري ينبير المكان حوله..

وربما وضعهم الآن يعطي طابع للرومانسية لو رأهم أي أحد..

وجد راجي نفسه يحدق بها من وجهها وينخفض نظره على
جسدها نزولاً للأسفل وهو يركز بتلك الأماكن من جسدها والتي
ستؤرقه أكثر وتحرمه من النوم الآن لو فكره بالعودة له..

خاصة وهي الآن بين يديه.. على حجره وتحضنه بذراعيها
خلف رقبتيه..

=====
=====

بعينين تملؤهما العاطفة ابتسامة عذبة ترسم على وجهها
همست إيمان له أمره

((احمد قل أنك تحبني))

نظر لها لحمد صامتا للحظات.. لكنها لم تنتظر رده وهي
تخفض رأسها في عنقه تعلمه بملكيته.. فيسقط شعرها على
ملامح وجهه..

همس احمد وهو يطبع قبلةً على كتفها القريب من ثغره

((أحبك يا إيما))

كادت ضربات قلبها المتسارعة تقضي على قلبها الجريح
الملتاع عندما نطقها..

كمثل كل مرة يقولها له طوال هذا الشهر..

وكم ودت أن تأمره أيضا أن يقول مع كل لمسة لمس بها
جسدها ومع كل قبلة قبلها إياها لها أنه يحبها هي فقط.. هي
فقط..

كم تمننت لو أخبرها "أنه بعد زواجه منها لم ينظر لغيرها ولم
يخنها ولو بأفكاره.. أنه لم يشعر وهي بين يديها بامرأة غيرها
ولم يرد سواها أن تكون مكانها.."

بهذه اللحظات ارتعش جسد إيما بتشتت عاطفي رهيب وهي
تتذكر كل الأحداث السابقة..

تتذكر أنه هو رجلها كان يتحدث ويواعد أخرى بغير علمها..

شعر احمد بما تفكر به فوجد نفسه يهمس في أذنها بكلمات
استرخاء كما تشتت روحها..

وما إن استكانت فوقه حتى أحاطها بذراعيه ليقلب جسدها على
جانبيه.. ليتقابلا بوجههما مرة أخرى..

كانت عيناها مزمومتان بشدة ترفض فتحهما.. تتنفس بعنف
وهي تحاول جاهدة ألا تبكي..

فغمغم احمد وهو يستنشق رائحتها الأنثوية

((إيما أنا احبك))

يسمعها ما تريد وما تحتاج.. يغرقتها بما تريد من عاطفة مشبعة
بالاحتواء بما تحتاجه من حب مغمور بالدفع..

وقبلاته تتبعثر على وجهها بنعومة ورقة.. لتنسى..

قبلها قبلة طويلة شغوفة جعلتها تنسى رغماً عنها كل مخاوفها
وكل الحقائق التي تعرفها.. لتفقد نفسها بين ذراعيه..

فيغرقا في موجة مجنونة من المشاعر المشحونة..

لم تستسلم لما يفعله بجسدها بل شاركته وهي تبادلته كل شيء..
تقبله بشغف.. تمطره بكلمات عاطفية تلهب أحاسيسه رغماً
عنه.. تعلمه فنون الحب التي تحملها بقلبها له وتظهره إيها..

عندما كان من الممكن أن تفقده تلك الأيام قبل شهر.. اكتشفت
كم تحبه وتشعر بالأمان والاحتواء عنده بالرغم من تقصيره
أحياناً معهما هي وابنها..

طالت ليلتهما وهما على هذا الحال من الشغف وكأنهما بعالم
آخر.. على الأقل من جهتها..

لكنها ومع كل هذا القرب وجسدها الملتصق به إلا أنها شعرت
بشيء عازل بينهما..

شعرت بوجود الكثير من الحواجز.. كأنهما قريبين وبعيدين
على حد سواء..

هنا مع هذه الأفكار شعرت بحرارة تغزو جسدها فجأة فتبدأ
المخاوف بداخلها تكبر وتتضخم..

خشيت أن تنظر له فيكتشف مخاوفها هذه.. والتي لا شك بأنه يعرفها فهو جزء منها..

فهو بالرغم من تحسنه معها بشكل ملحوظ إلا أنه لم يعطيها أي أمان أو وعود للمستقبل..

بدأت إيمان التنفس بصوت عالي لتجد نفسها ترمي وجهه بقبلاتها العنيفة.. مما أثار استغراب احمد ليهمس لها باسمها..

ولكنها لم تسمعه وتابعت تقبيله قبلا تحمل كل ما بداخلها له..

قبل أن يجفل كلاهما على صوت وصول رسالة لهاتف احمد.. فهمس لها بصوت أجش وهو يبعتها عنه قليلا برقة

((سأرى الرسالة فقط))

فتح احمد هاتفه ليقرأ ما على شاشته بعيدا عن عينا إيمان التي أسبلتهما..

قرأ احمد محتوى الرسالة بملامح مبهمة.. ليرد عليها فورا بكلمات مختصره قبل أن يغلق هاتفه ويعاود الاقتراب من إيمان..

وقبل أن ترفع إيمان أنظارها له لاحظت شيء غريب لن يعرفه إلا من يحفظ تقاسيم احمد..

تأملته بحيرة وتلك المخاوف تعاودها إلا أن الأفكار تشتت واحمد يقوم هذه المرة بالمبادرة..

بعد دقائق كانت إيمان ترفع الغطاء الأبيض ليوارى جسدها الغض بينما يرفع احمد شفتيه يلثم بها جبهتها قبل أن يحملها برقة..

فتتشبث إيمان به أكثر وكلها رضى عما حدث بينهما.. سامحة له بأن يقودها ليتوجه بها إلى الحمام..

امتدت يد احمد تفتح صنوبر المياه الساخنة الساقطة في حوض
الاستحمام ليضعها أحمد برفق بداخله..

إلا أن إيمان أبت أن تحرره من قيد ذراعيها وهي تهمس له
((لا تخرج وابقَ معي))

كانت تنظر له بعينيها المهترتين بينما عقلها بمكان آخر.. فقهقه
احمد ثم أوما لها موافقاً وهو ينحني معها..

بعد دقائق خرجت إيمان من الحمام تسبقه وهي تلف منشفة
حولها..

ملامح وتقاسيم وجهها كانت مختلفة تماماً عما كانت عليه
سابقاً..

دخلت تنظر لجرة نومها بإمعان.. وينظرات تائهة على
سريرهما الذي جمعها قبل قليل بلحظات حب..

ثم على المنضدة الصغيرة الملاصقة للسرير حيث هاتفه لا زال
فوقها لتقترب..

بخطوات فاقدة الصبر فتحت إيمان هاتفه..

لحظات وكانت عيناها تتسع بصدمة وعدم تصديق مما تقرأه
وتراه..

بقي جسدها متيبسا حتى قاطع صوت احمد الساخط الهدوء
السائد بالحجرة هادرا

((إيما ماذا تفعلين بهاتفى؟))

استدارت بعنف نحوه تنظر له بعينين شرستين.. لتصرخ به
بقوة

((أيها الحقير ألا زلت تتحدث معها؟))

كانت تنتفض.. تنتفس بقوة ووجها شاحب وكأنها رأت شبح
الموت بعينيها..

بحركة بطيئة مالت بوجهها تنتظر لسريرهما.. حيث شهد أكثر
لحظاتها حميمية وأكثر قدسية..

لنشد على هاتفه بقيضتها وتستدير نحوه تقذف الهاتف بكل قوتها
عليه وكأنها تشير بسكينه متوجهة لقلبه..

وكم تمنت لو كانت سكينه فعلا لتضغط بنصلها الحاد على قلبه
حتى تدميه..

تأوه احمد بألم من مكان الضربة وهو يضع كفه مكان
الضربة..

سمعها تصيح به بهستيرية وهي تهز رأسها نافية وشعرها
يتمايل مع الهز

((لا أصدق أنك عدت لتخونني وتتحدث معها.. لا اصدق))

حاول احمد أن يقترب منها ويحضنها بقوة إلا أنها كانت تصرخ
بها غير واعية على نفسها أن يبتعد عنها ولا يلمسها..

بقيت تضربه مكان الضربة فتألم مبتعدا..

=====
=====

في نهاية هذا اليوم وبعد العشاء دلفت جالا لشقتها أخيراً مطأطأة
الرأس كطفلة هزيلة بانسة ليس لها علاقة بالحياة من قريب أو
بعيد ثم أغلقت الباب خلفها متنهدة بياس..

مراد سيتأخر اليوم بالعودة كما أخبرها قبل قليل على الهاتف..
وهي مرهقة جدا..

لا تريد شيئا كالنوم بهذه اللحظة.. لذا يبدو أنها ستغرق في نوم
عميق ولن تراه عند عودته..

تحررت جالا من ملابسها الفضفاضة التي ترتديها لتواري
نقص وزنها الواضح والذي يرفض أن يزداد منذ أشهر.. ليجعل
منها مجرد طيف هزيل يحتفظ بجمال حزين بوجه طفولي..

هل هي نفس الفتاة التي كانت بالسابق مصممة على الحياة ولو
حتى في مكان لا يتسع إلا موطئ قدمها؟ إذن ماذا حدث معها؟

لكن وعلى الأقل.. سرعان ما سيأتي مراد وسنغدو مشرقة قليلا
ووردية معه..

يمكنها تحمل والدته وابنة خالته فقط من أجله.. على كل حال
هي واحدة من مئات الزوجات ببلادها اللاتي يعانين ويتجرعن
الظلم والقسوة في الصمت..

ولا ضير أن تستمر على هذا الحال بدون شكوى عن حياتها
المريرة من أجل هذه السعادة الطفيفة التي تشعرها مع مراد..

منذ أن أدركت أن كارم انتهى كليا من حياتها وهي لا تشعر مع
أحد مثل ما تشعر به إلا مع مراد مؤخرا..

حيث يسمعها ما تريد وما تحتاج.. يغرقها بما تريد من كلام
وتصرفات مشبعين بالاحتواء ومغمورين بالدفء..

وكلما تتعمق بمعرفة مراد أكثر تتعجب عن الصورة
والشخصية التي كانت تتصوره عنه..

فمزاجه ليس عصبيا طوال الوقت.. بل على العكس هو منفتح
ومراع وحنون وله قدرة على التواصل معها..

تفسير ما حصل بطفولتهما أنها كانت عبارة عن جنينة شقية
بصغرها بينما هو كان واعي وعقله أكبر من عمره..

ولكن نظرات يارا له فعلا لا تحتل.. تصرفاتها ودلالها المائع
وطريقة لباسها أمامه أيضا غير مقبولة..

عليها أن تخبره أن يتصرف ويقوم بأي شيء يمنع من بقاء
الأمر على وضعه فهي تغار عليه منها ولا تتحمل..

ويارا ليست صغيرة بل شابة ناضجة.. ستدخل بالعشرين قريبا
وليس هناك فارق عمر كبير بينها هي وبين تلك الملتصقة..

لا تريد تكرر قصة فداء معها مرة أخرى.. لا تريد أن تأمن
لقرب فتاة من رجلها مرة أخرى مهما كانت تثق بكلاهما..

هي فعلا بدأت تتصرف وتشعر مع مراد كأنثى تغار على
رجلها..

رفعت جالا غطاء السرير لتستلقي عليه وتدثر نفسها جيدا قبل
أن تضع رأسها على الوسادة وهي تفكر بحياتها مع مراد..

هل سيستمر زواجها به طويلاً؟ خاصة وهي تعيش معه حياة
مهدة فوالدته ويارا يسعون بسعادة شيطانية مخيفة لتدمير
حياتها معه..

مع أنها لا تفهم لم يفعلون ذلك؟ هل لأنها بنظرهم لا ترقى لأن
تكون زوجة مناسبة لمراد أم لأن والدته تريد تزويجه ليارا؟

أم أنه فقط إحساس مريض متقشي فيهما ويريدون إشباعه بغض
النظر عن الخراب الذي سيحل بها..

كما أن السبب الثاني الذي يهدد حياتها مع مراد والأهم هو تمنعها عنه الغير مبرر من وجهة نظره..

دائما ما تذكر نفسها أن عليها ألا تدع تجربتها المريرة مع ذلك الوحش الحقير أن ينتصر بتدمير حياتها الحالية..

ولكن ما بيدها حيلة.. تتمنى لو يعرف أحدا ما بداخلها ويتفهم دون أن يكن لها حكم مسبق كما فعل غيره..

تنفست بعمق ويأس.. فبعد أن تعتاد لوقت طويل على التعامل مع أحزانك بمفردك لن تعرف بعدها كيف تتشاركها مع أحدهم مهما حاولت..

إذا وضعت نفسها مكان مراد تشعر بالحزن عليه فهو يستحق زوجة أفضل منها.. فتاة نظيفة لم يدنسها رجل قبله وينتهكها ويقتات على روحها..

جَمَع المال وتحصيل مصروفات الزواج.. دفع المهر والهدايا.. تأسيس بيت الزوجية وإنفاق الأموال عليه وتهينته وإمداده بكل ما يحتاج.. ثم أحلام وأمانى بسعادة زوجية لا يُعكر صفوها شيء مع التي سيتزوجها..

ليصطدم بالنهاية بهروب عروسه بنفس يوم زفافهم.. ويضطر أن يتزوجها هي بدلا عن تلك العروس الهاربة..

ويتعرض لصدمة أخرى منها بموقفها ورعبها مما ظلَّ يحلم به ويمنى نفسه بالاستمتاع بما أحلَّ الله بينه لأسباب لا يعلمها إلا مَنْ منعه إياه.. أي هي..

لذلك ألا يستحق مراد منها بذل المزيد من الجهد وتحمل الألم النفسي لمواجهة الأمر بصورة أكثر شجاعة.. وقد تحمّل هو لأجلها وصبر على الحال بعد أن ضاعت أيام زواجهما الأولى وتحمل آلامه وأبقاها حبيسة في نفسه من أجلها هي؟

كان عقل جالا شاردا بهذه التساؤلات قبل أن تتزاحم بها صوراً
من ماضي بعيد يأبى مفارقتها من لمسات قذرة.. أسى وشعورا
من الأشمئزاز من نفسها.. ل

م يكن لها ذنب بها.. كما لم يكن لمراد ذنب بجعل يدي غيره
تغثال ملكية جسدها وروحها..

بدون شعور من جالا انزلقت دموعها على وجنتيها.. حتى
صارت الدموع بكاء محترقا يقتل روحها.. اهتز جسدها أثر
بكاءها الصامت.. حتى شعرت بثقل جفنيها وغرقت بنوم
عميق..

بعد ساعتين..

وصل مراد وفتح الباب ليدخل شقته.. وجد نفسه وقيل أن يخلع
ملابسه يتجه نحو غرفته والى السرير ليرى إذا ما كانت
زوجته ما تزال مستيقظة..

اقترب من الفراش مستلقيا فوقه بهدوء ليعلم من تنفسها المنتظم
أنها مستغرقة بنوم عميق..

ابتسم بحنان وهو يمد يده ليلامس خصلات شعرها البنية
المتداخلة قليلاً بخصلات عسلية ليتنهد بصوت خفيف..

لحظات ووجد نفسه يسحب خصلاتها بالقرب منه ليستنشق
رائحتها الممزوجة برائحة منعشة..

شينا فشيء بدأ يقترب بوجهه من وجهها ببطء حتى امتزجت
أنفاسه بأنفاسها يلثم وجنتها.. بخفة.. ببطء..

يغمض عيناه مستمتعا بدفئها وهي تذيبه بنعومتها لثوانٍ شعر
بها..

وقبلاته صارت تتبعثر على وجهها بنعومة ورقة.. بتفهم وحنان
وكانها مستيقظة.. بحب تجاهها قبل أن يكون رغبة..

حتى شعر بها تتململ بوهن في نومها ليتجمد مكانه للحظة
بعينين متسعيتين خوفا من استيقاظها..

وما إن عاد جسدها يستكين بمكانه وتأكد من أنها عادت لنومها
حتى تنهد براحة..

أشبع نظره من محياها الجميل.. حتى عبس فجأة عندما انتبه
لأثار تلك الدموع فوق وجنتيها..

ليبدأ الأسف يلتمع بعينيهِ وإحساس بالذنب تجاهها يتلاعب
بمشاعره.. كان متضايقًا وحزينًا عليها وقلبه بل كل شيء
بداخله يرتجف رافة بها..

مرر مراد أنامله فوق وجنتها الملتساء برقة ليزيح بقايا
دموعها.. وهو يعدها داخل نفسه بأنه سيحاول وضع حد
للأمر..

حتى ولو غضبت والدته عليه قليلا.. ولكنه لن يطيعها على
حسابها.. يمكنها أن يتحمل تدخل والدته بحياته هو وتحكمها به
هو.. لكن لا ليس هي..

استلقى مراد جيدا فوق السرير ليلف ذراعه حول جسد جالا
يجذبها برقة إليه..

ثم وضح كفه تحت مؤخرة رأسها ليضعه على كتفه دافنا وجهها
في تجويف عنقه..

سمعها تهمهم بضعف.. فهبطت يده الأخرى تمسد ظهرها ببطء
وهدوء إلى أن التفت حولها شيئاً فشيئاً تحاوطها ليضمها نحو
صدره بتشدد أكبر..

فيستكين جسدها بين أحضانه وكأنه أحست به وارتاحت له..

كبرياء رجولته لن يسمح له بنيلها أو الاقتراب أبداً لكنه لا
يستطع أن يقاوم أو يفوت أي فرصة لضمها..

لحظات وأغض عيناه يستسلم هو الآخر للنوم بينما يريح ذقنه
فوق رأسها ينعم بقربها.. وهو ما يزال يرتدي ملابس عمله..

لترتسم بسعادة ومتعة ابتسامة صغيرة على شفثيه أثناء نومه..
كانت ابتسامة قانعة.. فقد كان الوضع أكثر من مرضي له..

في اليوم التالي.. صباحاً..

وكالعادة كان الجميع متجمع حول مائدة الفطور..

هرعت جالا مسرعة لإعداد ما طلبته منها روعة من أطباق
الطعام على الفطور.. وما إن أنهت كل شيء حتى تقدمت منها
يارا لتهم بمساعدتها في ترتيب المائدة على مرأى من مراد
ووالده..

سحب مراد بابتسامته الدافئة كرسي لجالا لتجلس إلى جانبه
لتبادل الابتسامة له..

تراه كيف يلتقط وعاء فارغ ليملاه لها بما تحب من أصناف
الطعام..

فقد استطاع خلال فترة قصيرة معرفة ما تحب وتكره.. ولا زال على وعده بأن يجعلها تكسب وزنا أكثر أثناء فترة زواجهما..

فشكرته جالا بركة وهي تبدأ بالتناول من طبقها بصمت وهدوء..

طالعتهما يارا بنظرات مشتتة بالحدق..

كان مراد ومنذ صغرها هو من يفعل لها كل ذلك.. كان الإنسان الوحيد بحياتها الذي يهتم بها ويراعها..

والآن جاءت زوجته هذه لتسرق منها كل اهتمامه وحنانه.. حتى أنه بات لا يكثرث بوجودها هنا..

ضيقت يارا عيناها وهي تتمنى قلب الطاولة بطعامها على عصفير الحب هذان أمامها..

لكنها تمالكت نفسها وهي تدس لقمة كبيرة بفمها تمضغها بعصبية..

قاطع محمد والد مراد الهدوء وهو يسعل.. ليهتف أمرا

((جالا احضري لي يا ابنتي كأس ماء لو سمحتي..))

وقفت جالا وهي تقول بينما تتجه للمطبخ بلهفة

((حالا عمي سأحضر دورق ماء كبير.. لحظات))

تذمرت روعة وهي تتمتم شاكية

((دائما أخبرها ألا تنسى إحضار دورق ماء كبير على أي مائدة تضعها.. ولكنها تتعمد ألا تسمع الكلام.. أو ربما هذه هي طبيعتها.. مهملة بالفطرة))

ضيق مراد عيناه بحقن من كلام والدته عن جالا.. فحذجته
روعة بعينها هادرة وهي ترفع إصبعها محذرة

((إياك أن تحاول أن تدافع عنها حتى.. لا أصدق كيف تمكنت
خلال شهرين من سلب لب عقلك والتحكم بك..))

زفر مراد بياس وقبل حتى أن يحاول أن يرد اتسعت عيناه
بذهول لمرأى يارا وهي تقف من مكانها وتضع الكثير من
الصلصة الحارة على رقائق البطاطا في طبق جالا..

سحب مراد منها الطبق وهو يردعها مزمجرا وعيناها تحملان
أشد شرارات التهديد والغضب عليها

((يارا.. توقي))

إلا أنها لم تأبه به وهي تخرج له لسانها غير نادمة على ما
فعلت..

عادت جالا من المطبخ لتضع دورق المياه أمام والد مراد
وتعود لمكانها..

نظرت باستغراب لطبق مراد الموضوع أمامها بدلا من طبقها
وهي ترفع أحد حاجبيها.. فالتفتت له متسائلة

((لم بدلت أطباقنا؟))

مد مراد يده ليلهدف كأس الماء من يد والده الذي نظر له متذمرا
من وقاحته وشرب كأس الماء الكبير فورا ومرة واحدة بعد أن
اتضح على معالم وجهه الاحمرار..

لم يتوقع أن يشتعل فمه من الصلصلة الحارة لهذه الدرجة..

أعاد مراد تعبئة الكأس مرة أخرى وهو يناوله لوالده متمتما
باعتذار.. ثم التفت لجالا قائلا

((أسف حبيبيتي.. كنت أتضور جوعا وكانت رقائق البطاطا
موجودة أكثر بطبقك..))

افتعلت روعة السعال لكلمة "حبيبيتي" التي خرجت من مراد..
فكيف يجرؤ أن يتكلم بحميمية مع زوجته وهناك صغار حولهم
بالطولة.. وكانت تقصد بالصغار ابنة أختها "يارا"..

لكن جالا لم تهتم وهي تبتسم له ابتسامتها التي لطالما كانت ولا
تزال تسحره لتقول له بركة

((بالهناء والشفاء حبيبي.. كل ما أعدته هو لأجلك))

عقدت يارا حاجبيها بغضب لتهمس بأذن خالتها الجالسة بجانبها
وهي تقترب منها

((كيف تتحملين رؤية جبهما هكذا؟ أنجبته وقمتي بتربيته طوال
ثلاثة وعشرين عاما لتأتي ابنة سميحة وتسرقه منك خلال
شهرين.. أنا من جهتي أشعر بالانزعاج ولا أستطيع تحمل
الأمر أكثر.. حتى أنه يمتدح الطعام الذي تشارك بصنعه وكأنها
شيف محترفة.. وكأنها من صنعته لوحدها وبدون مساعدتك))

انتبه مراد لهمسات يارا فزفر بصوت عالي وهو يرشقها
بنظرات غاضبة..

ثم قال بضيق موجهها كلامه لها

((لطالما عرفناك يا يارا تستيقظين من نومك بوقت متأخر.. ما
الذي تغير عليك؟))

تعضن جبين يارا وهي تنظر له..

نعم هي تحب الاستيقاظ متأخرا.. لكنها اضطرت هذه الأيام أن
تغير مواعيدها وخاصة مواعيد النوم والاستيقاظ..

لأن عليها الإشراف مبكرا على جالا والتأكد من قيامها بكل الأعمال المنزلية المطلوبة منها بدون أي تخاذل أو أخذ أي راحة بينهم..

حتى ولو كان يعني الاستيقاظ على الساعة السابعة صباحا كل يوم..

تنازلت يارا أخيرا لترد عليه بعد دقيقة من التحديق بوجهه بنبرة مترفعة

((وما دخلك أنت؟ هل تقصد أنك لا تريد مني أن أشارككم طعام الفطور؟ هل يزعج ذلك زوجتك؟ ما رأيك أن أغادر المكان كله حتى ترضى عنك))

أنهت كلماتها ثم نظرت فورا وبمسكنة لعمها وهي ترفرف بأهدابها بكل براءة تمنع نفسها من البكاء..

ولكن مراد قال أمرا إياها بغضب متجاهلا إهانتها

((يارا من الآن فصاعدا كل شيء بالبيت عليك أن تتقاسميه مع جالا بالنصف.. ما زلت صغيرة على أن تتمتعى بكل هذا الكسل.. أنت لا تفعلين شيئا بحياتك.. لا دراسة ولا عمل..))

رفعت يارا عينيها له وشرارات الغضب تطلقها نحوه.. لنقول له بصوت عالي وهي تقف من على كرسيها

((يبدو أن بقائي هنا بمنزل خالتي لا فقط مشاركتي طعام الفطور معكم يزعج زوجتك.. لقد تغيرت معي منذ تزوجت من تلك الساحرة.. لماذا طلبت مني البقاء هنا بإصرار وألا أعود لمنزل أختي إذا كان الأمر كذلك؟ أخبرني لماذا؟ لأنك تريد مني أن أصبح خادمة لزوجتك؟ لا تحلم فهذا لن يحدث.. أفضل أن أعيش مع أختي التي تكرهني وترفض وجودي على العيش بذل هنا.. أنا ذاهبة حتى أحزم حقائبتي ولن أسمح لأحد أن يستقوي عليّ لأني يتيمة))

تركت طاولة الطعام ونهضت.. بينما اتسعت عينا روعة بهلع
من كلام يارا التي قالته قبل أن تتوجه مسرعة لغرفتها وهي
تفتعل البكاء..

التفتت روعة تنظر لمراد شزرا ثم قالت لزوجها محمد من بين
أسنانها بينما يتلون وجهها بالغضب قبل أن تلحق بيارا

((هل صدقتني بأن زوجة ابنك ليست قليلة؟ تضل تضايق يارا
حتى تعود لبيت أختها ولا تبقى هنا.. وتريد جعلها خادمة لها..
هل أحضرنا ابنة أختي هنا لأجعلها خادمة بينما زوجته تتدلل
علينا؟))

جز مراد على أسنانه غضبا من هذه التمثيلية الرديئة من قبلهما
ومن ردة فعلهن المبالغ بها قبل أن يهرول لاحقا بهم.. ليترك
المكان غارق بهدوء عاصف بين جالا ووالده محمد الذي كان
ينظر بغضب لها وكأنها هي المخطئة الكبيرة هنا..

حتى قطعت جالا الهدوء وهي تتحدث بنبرة قريبة من البكاء
لوالد مراد ملفته له وهي تتلمس منه بعض العدل

((عمي أنا أعرف أنني اسكن في بيت العائلة.. لكن كلُّ له شقة
مستقلة.. وزوجتك تريد مني أن أنظف لها وأقوم بالكثير من
الأعمال لوحدي بدون أن تساعدني هي أو يارا.. بالأمس طلبت
مني مسح الدرج.. وليس دوري فقط.. ولكنها تريد مني مسح
درج البيت كله بالدورين الكاملين مع المدخل.. أخبرت شقيقتي
بالأمر وقد عرضت بأن تأتي بمن يمسح الدرج وتدفع له..
ولكن زوجتك تريد مني أن أقوم أنا بمسحه ولا يساعدني أحد
بذلك.. فهل يرضيك هذا الظلم؟ هل اتفق معك أبي قبل الزواج
على هذا الأمر؟ لأن مراد يجبرني النزول عند والدته))

انبسطت جفون محمد وبدت ملامحه القاسية على وجهه.. وكأنه
يكن لها حكما مسبق تبعا لكلام زوجته عنها..

لم تعجبه نيرتها الجريئة بالحديث معها.. وكلامها الذي بدا مهاجما له هو وروعة..

شعر باهانة شديدة عندما أخبرته بأن أختها ستحضر من يقوم بمسح الدرج بأجرة..

رد محمد عليها بهدوء وصرامة

((جالا أنت تعرفين أنك مثل ابنتي.. لكن بالنسبة لعلاقتك معنا وخاصة والدة مراد.. فنصيحتي هي إياك أن تخسري زوجك بسبب سوء تصرفك مع أمه.. ومهما كان ما حدث فهذه والدته ولا يمكن أن يخلى عنها.. فلا بد أن تتعاملتي بذكاء ولا تخسري الطرفين.. أنا لم أزوجك لأبني لأجعلك خادمة هنا.. ولم أطلب من مراد أن يجبرك على النزول وزيارتنا هنا بشكل يومي.. لا دخل لي بعلاقتك مع مراد وما يطلبه منك.. حاولي أن تجلسي معه في حوار هادئ وتفهميه أن تنظيف البيت كاملا ليس من اختصاصك وأنك مسؤولة عن بيتك فقط إذا كان يجبرك.. لكن ما أراه هو عكس ذلك فهو يريدك أن تجلسي بدلال جاعلا ابنة خالته هي من تخدمك))

تنفست جالا بغضب.. لقد قال مراد بوضوح أنه يريد تقاسم عمل البيت بينها وبين يارا ولم يقل لي يارا أن تخدمها..

لماذا يصبر والده على تزييف الكلام! لكنها تجاهلت الأمر وهي تتمتم بحنق

((نعم يجبرني ابنك على النزول هنا.. لأن زوجتك هي من تخبره وهو لا يستطيع أن يقول لها لا.. أريد نصيحة منك.. ماذا أفعل معها؟ أرجو أن توجه كلمة لمراد.. لأنه يعتقد أنني لو لم أفعل ما تريده أمه فإنه عاق لها؟))

زفر محمد بامتعاض ليقول بغير رضا عن كلامها

((ولم لا تريدين النزول هنا عندنا؟ ما الخطأ بطلب زوجتي من ابناها أن يقول لزوجته أن تزور والديه بانتظام.. فنحن لم ننجب ابنا الوحيد ليتزوج من امرأة تتخذ أسلوب القطيعة والمجافاة والتضاد مع والديه؟ حتى ولو لم تكن والدته جيدة معك.. لا يحق لك الاستمرار بقطيعة عائلته أبدا.. حتى ولو لم تكوني ملزمة بذلك))

كلام والده صحيح.. ولكن ماذا تفعل أكثر؟

هي لم تخطط لأن تقاطع والدته قبلا ولكنها تخشى منها ومن كلامها وأسلوبها الشيء معها وكأنها فعلا عبدة لها..

كما أنها تشعر بظلم من كونها ملزمة بالتواصل مع أمه..

مضت الدموع المقهورة في مقلتيها بينما تهمس لوالد مراد ودعمة هائجة تنزلق على وجنتها

((عمي حسنا لا مشكلة بقضاء الوقت مع هنا بدلا من البقاء وحيدة فوق.. ولكن هل أنا ملزمة أيضا بخدمة والدته؟ مع العلم أيضا أنني لا أجد وقت لتنظيف شقتي حتى نظرا لإجباري بالبقاء هنا طوال الوقت))

زفر محمد بضيق.. لا يحب دموع النساء وينزعج منها..

بل أن رؤيته لها تزيده غضبا ظنا منه أنها سلاح المرأة لتخدع الرجل والفوز بما تريده..

قال محمد باقتضاب وهو يكرر كلامه

((جالا ابنتي.. لا تحاولي أن تدخلني في عناد مع والدة مراد.. فهو بالتأكيد لا يريد أن يخسرك ولا يريد أن يعصي أمه أو يتركها.. ابني يريد أن يرضي الجميع فساعديه وكوني عونًا له.. وحسبني علاقتك مع والدته وأعطها حقها من الاحترام والتقدير.. لو اعتبرتها مثل والدتك فأكاد أقسم لك أنها ستعالمك أفضل من الجميع.. أنا اعرف زوجتي جيدا))

صمتت جالا للحظات قبل أن تهز رأسها نافية

((من الصعب أن أعاملها مثل أمي وهي ترفض معاملتي كبناتها
مثل يارا.. أمي كانت تدليني ولم تقل بحقي أي كلمة جارحة
تؤذي.. أمي لا يهون عليها نزول دمعي على خدي مثلها))

ثم أردفت بضيق وهي تمسح دموعها بأناملها لتقول وقد رأت
أن لا فائدة من كتمة للكلمات والدة مراد الجارحة

((هل تعرف يا عمي أن زوجتك تشاجرت معي سابقا ووجهت
كلامًا جارحًا لي؟ قالت إني ابنة مطلقه وكأنها إهانة.. لكن لم
أردّ عليها.. بالرغم من أن الكلام الذي وجهته لي ولأمي جارح
جدا تفاديا لحدوث المشاكل))

زفر محمد مرة أخرى.. ليقول بعد لحظات

((جالا.. لا أريد سماع ما قالته هي أو ما قلته أنت ولا أريد
حتى التأكد من صدق ما تقولينه حتى.. إنس الماضي ولا
تخبري أيا من والديك بهذا الحديث.. وإياك أن تقابل السيئة
بالسيئة.. قابلي السيئة بالحسنة واطلبي الأجر والتوفيق والسداد
من الله تعالى))

تنهدت جالا.. ثم قالت بثبات ظاهري وهي ترى أنه لا فائدة من
الشكوى له أكثر.. فهذه هي ثاني مرة تشكو له من زوجته بلا
فائدة

((إذن أنا لا أريد أن أنزل عندها أبدا فأنا أحس أن كرامتي
أهينت وكرامة والدتي وليس هناك ما يجبرني للنزول))

مسح محمد وجهه وقد سأم من عنادها.. يرى ردودها كلها جوابًا
لكلامه وعدم احترام تجاه رجل بمقام والدها.. فقال موجها
حديثه له

((ما تقولينه يا جالا غير مقبول فوالدة زوجك وحسن التعامل معها مطلوب شرعا لكونها أكبر سنا يا جالا.. ولأنها صاحبة فضل فهي والدة زوجك وجدة أطفالك المستقبليين.. كما أن احترامك لها وصبرك عليها لون من حسن المعاشرة لزوجك.. فاهتمتي بها واحتلمي منها واعتذري لها ولا تعامليها معاملة الند.. احتملي منها ما كنت ستحتملينه من والدتك ووالدك))

حاولت جالا التحدث إلا أن محمد ضرب كفه بالأخرى متحوقلا فقالت له جالا غاضبة

((لا أريد التحمل سأخبر مراد..))

قاطعها محمد مغمما

((موضوعك يا جالا يحتاج إلى حكمة وروية.. ثم من المفترض حينما تَحْدُثُ خلافات بينك وبين روعة ألا يكون الضحيةُ في ذلك مراد.. فأنتِ زوجته وعلى الزوجة المطيعة ومهما رأت من المضايقات ألا تخبرِ زوجها حتى لا يضيق صدره ويتكدر وخاصة فيما يتعلّق بأمه.. فهي لها حقٌّ عظيمٌ عليه وهو يحتاج إلى مَنْ يُعِينه على برها وليس العكس مهما كان الحال ومهما صدر منها.. مفهوم يا ابنتي؟ لذا اسمع كلام زوجك ودومي على النزول هنا وأطبع كلام والدته..))

لم تستجب جالا له ولا حتى بحركة بسيطة موافقة لكلامه وهي تتنفس بغضب..

زوجته وابنه أختها يتبلين عليها صراحة ومع ذلك هي غير قادرة على الدفاع عن نفسها..

أنها تكتم كل ما أرادت الحديث عنه بداخلها.. فكل ما يهتم به هو عائلته..

فهو أيضاً لا يعتبرها هي كابنة.. بل يارا من يعتبرها كذلك..

هل أجمع الجميع على حب يارا ونبذها؟ هل يخططون لجعلها زوجة لمراد مثلا؟

هل هذا فعلا ما يحاولون فعله؟ عند هذه الفكرة شعنت عيناها ببعض السخط..

أنزعج محمد عندما رأى تعابير وجهها وصمتها اللذان دلا على عدم رضاها عن كلامه وعدم نيتها بإطاعته..

أراد الحديث لكنه انتبه على خروج مراد من حجرة يارا.. بعد أن أقنعها هو وأمه بالبقاء هنا وعدم حزم حقائبها فهو لم يقصد ما ظنته..

بالطبع تحمل منها بعض الكلمات المؤذية بحق جالا وتحمل دلالتها الذي بات يسأم منه فجأة.. ولكنه نجح بالنهاية بإقناعها بالبقاء..

لمس مراد بكفه كنف جالا وهو يقول لها بصوت هادئ

((جالا أرجوك أصعدي فوق ولا تنزلي هنا اليوم.. أريد الحديث مع أبي قبل أن أذهب للعمل))

نظرت جالا لمراد بحيرة.. هل سيدافع عنها؟ فهو يعرف جيدا على من الحق..

مرت لحظات ثم أومأت له بطاعة وهي تشعر بقليل من الراحة والثقة تجاه مراد..

حدق بها مراد وهو يراها تخطو نحو الخارج.. ليسحب كرسيها ويجلس عليه بقرب والده..

سارع محمد يقول لأبنة بصوت صارم قبل أن يسمح له بالحديث

((مراد أنت تحب زوجتك وهي تحبك والله الحمد.. هذا شيء يفرحني كوالد لك أنك سعيد أخيرا بزواجك.. غير أن زوجتك

عنيذة بعض الشيء وحساسة لكل كلمة.. ولا تريد أن تدخل
لبينتنا لأجل مشاكل بسيطة بينها وبين والدتك وبحجج واهية..
قالتها صراحة لي بأنها غير ملزمة بالنزول هنا.. ما رأيك بهذا
الكلام يا مراد؟ خاصة بالمستقبل سترها بنفسك كيف كل يوم
وأخر ستهرع للذهاب لزيارة أمها كثيراً))

ثم أردف له أمرا

((أخبر زوجتك بوضوح بأنها عليها أن تحترم أمك لتحملها
على رأسك.. أخبرها أن أقرب الأبواب إلى قلب الرجل هو
أمه))

صمت مراد للحظات ثم رد يوضح لوالده برجاء مستتر بين
نبرات صوته

((أبي أنا بالفعل لا اسمع كلامها واطلب منها أن تزور أمي
لأنني أخشى عليها من الوحدة.. وأريد منها أن تكون اجتماعية
وتختلط مع الناس أكثر.. كما أريد أن أنمي مشاعر الخير بين
جالا وأمي وألا أنقل إحساس ما اسمع من الكلمات والمشاعر..
لكن أريد أن يكون علاجي للخلافات بمنتهى الحكمة والعدل
واللطف.. وذلك لأن ملزم ببر أمي وبعدم ظلم زوجتي بل حسن
معاشرتها.. وأما بالنسبة لمسألة المقارنة بين برها لأمها
ومعاملتها لأمي.. فأرجو يا أبي ألا تطرق للموضوع.. لا وجه
للمقارنة وأنا لا يمكن أن اغضب لو قامت ببر والدتها.. لكن
كيف أطلب منها أن تضل تصير وتصبر على معاملة أمي
السنية هي ويارا إذا لم تجد مني أو من أمي التقدير والاعتراف
بمعاناتها وهي تنفذ كل ما تطلبه منها بشكل حرفي))

قرب محمد رأسه من مراد ثائرا وهو يزمجر بغضب

((وماذا تطلب منها والدتك أن تنفذ؟ هل كل هذا الضيق لأنها
تساعد أمك قليلا؟ أخبرتك أن وفية لن تستطيع القدوم هنا
لانشغالها بعودة ابنها المغترب.. كما أن أمك ترفض إحضار
أي عاملة أخرى بدلا عنها قد لا تصلح أن تكون موضع ثقة

بيننا.. ألا يمكن لزوجتك أن تمد يد المساعدة قليلا؟ أم تريد منها أن تجلس وتقعد قدما على قدم لتخدمنا ابنة خالتك؟ هل أحضرناها هنا للخدمة؟))

تنفس مراد بعمق ليهيئ نفسه قبل أن يقول بحزم

((لا الأمر ليس كذلك.. بل إن جالا تعمل منذ الصباح وحتى قدومي للبيت وحيدة.. كما أن أمي أراها بنفسها تطلب منها القيام بترتيب وتنظيف الكثير من الأمور النظيفة من الأساس.. ليس ذنب جالا أن تعيد تنظيف الأشياء فقط لأن أمي مهووسة بالنظافة.. فلتعاملها مثل يارا.. يارا لا تلمس شيء في البيت))

كان محمد يحدق بمراد بعينين متسعيتين وتعابير غير راضية قبل أن يرمش بضيق وهو يسأل ابنه بمزيج من الاستخفاف والسخرية

((مراد وما أدراك بكل هذه التفاصيل وأنت تكون مشغول بعملك أغلب اليوم؟ هل زوجتك هي من تخبرك بكل هذا؟ وأنت تصدقها فورا؟ إنها تحرضك علينا.. ليست هينة أبدا.. يبدو أن أمك لم تخطئ بشأنها من البداية))

نظر له مراد للحظات بلا أي تعابير.. ثم أزاح نظره عنه وهو يشمر أكمام قميصه القاتم الذي يعكس التورد الطاعي على وجهه ليقول بعدها

((أبي.. هل تتوقع لو أنني تزوجت من سهر كانت ستجرؤ أمي على معاملتها هكذا؟ هل كنت ستسمح لأمي بمعاملة ابن صديقك بهذا الشكل؟))

وقبل أن يتفوه محمد بحرف نفص مرد بأنامله مقدمة شعره في رغبة لكبح غضبه وهو يقول بانفعال

((أبي لا أريد أن اجعل مجرد مشكلة في نظافة المنزل مادة وسببا للخلاف.. ثم هل فعلا منزلنا يحتاج لنظافة يوميا؟ هل كل يوم يجب أن يُغسل السجاد؟ هل كل يوم..))

قاطعه صوت والده يهتف به بصرامة

((بل قل يا مراد منذ متى نحن الرجال نتدخل بأمور النساء؟ لا ينفصني ألا أن أقوم بصنع جدولا لتقسيم أمور تنظيف البيت بينهن.. لطالما كانت يارا تزورنا وتبيت عندنا بالأيام ولم يسبق وأن حصلت أي مشكلة قبل زواجك أنت.. لذا الخطأ من عند زوجتك أنت.. والله أني اشعر بالخجل من التحدث والتدخل بمشاكل النساء وعلى من يكون عليها الدور.. المرأة يجب أن تهتم بنظافة وترتيب أي بيت تجلس فيه لساعات ولا تنتظر من أحد أن يخبرها بهذا وحتى لو كان ليس من واجباتها.. أخبر زوجتك أن على المرأة التي لا تريد خراب بيتها التنازل عن بعض الحقوق ولا تضل تقول إنها ليست مجبرة بهذا وليست ملزمة بذلك.. فمن الصعب جداً حل الخلاف إذا تشبّث كل من الطرفين بجميع حقوقه))

أنهى محمد كلامه وهو يشعر فعلا بالغضب من الخوض بهذه الأمور..

فلطالما ومنذ أن تزوج وكانت زوجته تخدم والدته.. وبالرغم من قسوة امه عليها أو على بناتها نفسهن إلا أنه لم تشنكي واحدة منهن..

لكنه ضيق عيناه عندما سمع مراد يتمم حانقا

((معك حق.. ترفع الأم على عرش مقدس ومنزه عن الشك أو النقد.. فلا يأتيها الباطل من قبل ولا من بعد.. ولا يمكن أن يصدر عنها زلل.. خاصة إن كان ضحيتها المباشرة هي أبنائها أو زوجاتهم.. لكن خمن ماذا؟ الخبرة والتاريخ وأحداث الحياة تكشف لنا غير ذلك يا أبي))

فغر محمد فاهه فاهها بصدمة ليقول ذاهلا

((هل جننت يا ولد؟ هل حرضتك زوجتك ضدنا لهذا الحد؟
اخرس يا مراد.. تتحدث عن الأمهات وكأن والدتك نموذج عن
النماذج الشاذة أو العنيفة من الأمهات اللواتي يقتلن أبنائهن أو
يلقين بهم إلى الشوارع أو يبعنهم بثمن بخس))

رد مراد عليه فورا

((أنا واضح بكلامي.. أنا اقصد وأتحدث عن قبضة أمي التي
دائما ما تحاول أن تمسك بتلابيب حياتي بطريقة قد تحول
مسارها من الشرق إلى الغرب.. بسلطاتها من ابتزاز عاطفي أو
تهديد معنوي.. أو خلق أمراض نفسية بي حتى))

فرت الدماء من وجه محمد.. شعر للحظات أنه فاقد للنطق من
هول ما سمع..

فلطالما كان مراد مستسلما كليا له هو وروعة ولم يجراً قبلا
على المعارضة أو التذمر.. فوجد نفسه يتمتم بغضب

((اخرس يا ولد هذه أمك))

اخذ مراد يكمل تمتمته بكلمات متلاحقة بحنق وهو يشرع
بالوقوف من مكانه

((نعم اعرف أن دنياي تشكلت بفضل أمي.. لكن آثار أفعالها لم
تحولني دوماً للأفضل.. لا اعرف لم أمي مصرة حتى على
التدخل بحياتي مع زوجتي وطريقة التصرف معها))

عينا محمد كانتا تمشطان وجه مراد بتمهل قبل أن يقول من بين
أسنانه هادرا

((والله إن الأمر فعلا كما تقول وتخمن والدتك.. إنها زوجتك
هي من تحرضك))

اتسعت عينا مراد.. أخذ لحظات يستوعب إصرار والده على
هذه الفكرة قبل أن يقول بوضوح وجدية

((لا يا أبي أرجوك افهمني.. خذ يا أبي قصتك مثال.. فهذا أنت
ستدخل قريبا في عقدك السادس وما زلت تعاني من تأثير
مباشر من فعل قامت به أمك تجاهك قبل عقود.. أتذكر حين
كنت طفلا واقترح عليك أحد أطباء العيون إجراءً طبيًا يحسن
من وضع عينيك ويجعلك قادرا على الاستغناء عن النظارة..
إلا أن جدتي رأت في محاولة تصحيح تلك المشكلة اعتراضا ما
على إرادة الله.. فعشت عبدًا لمشكلة طبية كان يمكن أن تحل
ببساطة لولا إصرار أمك على إعلاء أهمية اتباع خرافات))

خرجت من فم محمد مهممات وكأنه لا يفهم مقصد أبنه.. لكن
مراد أضاف بمزيد من الجدية

((أبي هذا ما قصدته.. حتى ولو كان عليّ بر والدتي ولكن هذا
لا يعني أن تدخل بكل خصوصياتي وقراراتي وتتحكم بي دائما
وزوجتي.. كما أنني لا أحب أساليبها من ابتزاز عاطفي أو تهديد
معنوي من عدة فصائل تتبعها معي.. أنا لا أريد أن أميل لجهة
زوجتي.. ولكن أمي تحاول أن تخرب حياتي مع زوجتي فقط
لأنها تكره أمها.. أرجوك.. سأطلب من جالا النزول عندها..
ولكن لا أريد من أمي التسلط عليها هي أو يارا.. وخاصة يارا
فهي تأخذ سلطتها من أمي))

ابتلع محمد ريقه بصعوبة وعقله يذهب به لأفكار أخرى.. لقد
تغير مراد كثيرا منذ زواجه..

تمتم بعد دقائق بهدوء ظاهري وهو يشير بيده نحو الباب

((مراد.. اذهب لعملك.. هيا اذهب.. لقد كدرتم جميعا عليّ
يومي بهذا الشجار الصباحي))

=====
=====

أمضت إيمان ليلة أمس بطولها في البكاء بعد صراخها ودفعها
لأحمد الذي تجاهلها وهو يأخذ ملابسه من الدولاب ويذهب
لحجرة أخرى مغلقا الباب على نفسه بالمفتاح..

ولأن يرفض الخروج.. حتى لعمله..

بصعوبة شديدة استطاعت إيمان لملمة نفسها لتوقظ ابنها من
نومه وتجهزه لمدرسته..

ولم تستطع الذهاب لعملها هي.. لا تدري ما رقم هذا اليوم الذي
تعيبه بغير عذر عن عملها.. ستطردها المدرسة قريباً..

كانت إيمان بهذه اللحظات جالسة على أريكتها منكمشة على
نفسها تحضنها منذ خروج ابنها لمدرسته..

المسكين كان فزعا طوال الصباح وهو يرى امه تعده وتساعده
في ارتداء ملابسه وهي تبكي بدون قدرة على التوقف..

ولكن ماذا تفعل؟ فهي الأخرى تشعر بنفسها تنهار كطفلة
صغيرة تائهة..

لا شيء أمامها تفعله إلا البكاء بعنف.. بحرقة.. بالأم.. وكأنها
تبكي عمرها بأكمله..

المشكلة بانها جُرحت وفقدت ثقتها بأحمد وبجبه لها منذ عرفت
بقرار زواجه.. شيء بداخلها تغير تجاهه.. بعد أن كانت ثقتها
به كبيرة تحطمت..

وعندما قررت العودة له.. تظاهرت بأنها سامحته.. ولم تخبر
أي فردا من عائلتها عما تواجهه مع احمد وادعت المرض حتى
لا يستفسروا عن سر شحوب وجهها..

تناست تخطيبه للزواج من غيرها لأجل ألا تهدم بيتها ومن
أجل عائلتها الصغيرة..

حاولت طوال الشهر الماضي أن تبذل أقصى جهدها لأن تكون
كما يريد هو..

فلم خذلها باستمرار علاقته مع ابنة عمها؟ والتي لقد كانت
بوضوح تطلب منه برسالة أن يبتعد عنها ويتوقف عن ملاحقتها
وبث أشواقه لها برسائله..

الحقيرة لو كنت فعلا لا تريد تواصله معها لكنت اتخذت
إجراءات قانونية ضده بدون أن تتمكن بهذا الأسلوب وهي
راغبة به..

والآن ماذا تفعل بحياتها وقد أتضح أن فكرة الزواج لم تذهب
من عقل زوجها ومن المستحيل أن تترك كل ما بنته بهذه
السنين معه لامرأة أخرى؟

وبنفس الوقت من المستحيل أن تسمح لأخرى بمشاركتها فيه..
ربما تموت قبل أن تكون قادرة على ذلك..

ولكن حتى ولو لم يتزوج فكيف ستعيش معه أيامها؟ هل ستكون
قادرة على تجاوز الأمر؟ لأنها لا تظن أنها قادرة على التجاهل
أكثر.. خاصة ما حدث في الأمس..

لقد فقدت سعادتها الداخلية وانتهى الأمر.. فقدت الهدوء
والاستقرار الذي كان يملأ نفسها بالسكينة..

فقدت الشعور بالأمان وببساطة انهارت ارض الثقة التي كانت
تقف شامخة عليها..

حتى تغيره وتحسنه معها وكلامه الحنون وكلمات الحب التي
أعذقها عليها في الشهر الماضي لم تعد تصدقها أو تفرح بها
عندما تتذكرها..

بل على العكس أصبحت بلا معنى لها وتذكرها بما لا تستطيع
نسيانه..

لو لم يكن أحمد طيباً معها وحنوناً وكريمًا وناجحًا.. لكانت تركته منذ أول تصرف أساء فيه لها لترتاح من الألم والعذاب الذي تعيشه..

ولكن حسناته تشفع له وحبها لأبنه ويقائه بعائلة متماسكة ووالدين غير منفصلين يجعلها تداري عن جرحها وتبدو طبيعية..

لكن إلى متى هي قادرة على التحمل؟

كل ذنبها أنها كانت كغيرها من الفتيات الحالمات اللاتي يأملن أن يصرن زوجات لأزواج يغدقن عليهن بالحب والحنان وأن يعشن في كنف أزواجهن ويؤسسن بيتاً على أساس المودة والحب..

والداها انفصلا وهي بسن صغيرة وأرادت تعويض الأمر بزواجها.. ولكن يبدو أن الأمر لن ينجح..

جفلت إيمان على صوت مقبض الباب يُفتح ليخرج أحمد من الحجرة.. وبدا أنه أفاق من نومه للتو..

كيف استطاع النوم بعدما كشفت محادثاته ورسائله التي تدل على خيانتها؟

ظننت أن عدم خروجه لعمله يعني أنه يقاسي ويعاني ما تعانيه بالضبط جراء ما حدث بليلة أمس..

خرج أحمد من الحمام وهو يجفف وجهه بالمنشفة ثم تقدم من الصالة وجلس على إحدى الأرائك المقابلة لها تحت أنظار عينيها المحمرتين من شدة البكاء..

شعرت بطاقة مشحونة بالمكان رغم هدوء الأجواء بينهما..

قطعت إيمان الصمت بسؤال حاد ونظرات مشمزة نحوه

((بما أنك لا تزال واقعا بحب تلك الحقيرة فعلا ومنذ سنوات لا تستطيع نسيانها.. فأخبرني لم رضخت لواليك وتزوجتني؟ كنت صغيرا بالعمر فلم استعجلت في الزواج وحتى قبل أن يتزوج شقيقك الكبير؟ لماذا لم تنتظر أكثر حتى تصبح بالمستوى المادي والاجتماعي المطلوب لعائلتها؟))

تضايق احمد لنعتها هيام بالحقيرة.. فأخذ نفساً عميقاً يحني كتفيه بتعب قبل أن يهمس بآلم وصدق

((لا أدري.. أنا حقا نادم على الزواج منك والتخلي عنها.. لكن المشكلة هي أنك لا تعي على نفسك إلا بعد أن تتورط بالأمر أكثر.. وقتها لم أستطع مجاراة طلبات والدها وتخيلت أنها ستتخلي عني بكل الأحوال عند أول خاطب مناسب يتقدم لها.. فقلت في نفسي بياس من محاولة إقناع والدها.. لم لا احفظ كرامتي وأكن أنا البادئ بالزواج من غيرها ونسيانها.. نعم تفكيرى كان خاطئاً وغبى.. لكن لم أكن ناضجا كفاية))

أغمضت إيمان عينيها بآلم.. إذن كان يطالب والد هيام على تخفيض طلبات الزواج من مهر وشبكة ومؤخر وقائمة وخلافه.. وعندما رفض والدها..

تزوجها هي.. تزوجها لأنه رأى بها تلك الأجنبية التي ستعيش حياتها وتتزوج منه بلا تعقيد حتى ولو كانت من أصول عربية.. فتمت له بوجع

((عندما أعجبتُ أمك بي وطلبت يدي.. اقتنعت ووافقت بسرعة.. حسناً أفهم هذا تماماً.. رأيت أنه حتى ولو كنا بنات عم.. ولكن كوني احمل جنسية أمريكية وسبق وعشت أنا وأبي هناك وتطبعنا من بعض عاداتهم على عكس والد هيام.. فلن أكفك إلا خاتماً ذهبياً في الخطوبة.. ثم سأقاسمك كل تكاليف الزواج والحياة بعد ذلك))

شعر احمد أمام نفسه أنه رجل حقير فهي محقة.. بعض
النشيء.. لأن تفكيره لم يكن هكذا تماما..

لأنه إلى جانب ذلك تعرض فعلا لضغوط من والديه ليقبل
بالزواج بها..

ازدرت إيمان ريقها قبل أن تقول له بصوت مرتجف

((تزوجتني لأنني احمل جنسية أمريكية ولأنك تستطيع الزواج
مني بدون أن تتكلف الكثير صحيح؟ إذا كان عليّ أن أتعامل
بمعقد زواجنا على هذا الأساس.. هل تعرف كيف؟ أولها كان
علينا صياغة عقد يضاف إلى عقد الزواج ويوثق في المحكمة..
نضع فيه شرط منع التعدد مع شروط جزائية ضخمة لو
خالفتها.. ما بك تعيب هكذا؟ أنا فقط أعتقد أن الوقت قد حان
لنناقش منظومة الزواج التي بيننا وتحيط بنا كدائرة مغلقة لا
نستطيع كسرها لنؤسس لمنظومة علاقات أفضل.. أكثر إنسانية
ومناسبة.. فقد اكتشفت أن الزواج في البلاد العربية ظالم..))
قاطعها احمد بشراسة وقد رأى أن ما بينهما بدأ يتخذ مجرى
ومسارا آخر

((نعم الزواج بالوطن العربي ظالم فعلا.. هذه حقيقة لا تنكر..
أخرج من كليتي وأخرج إلى سوق العمل لأكافح سنواتٍ طويلة
حتى أؤسس نفسي مادياً.. اشتري شقة ملكي.. وحين أقدم على
الزواج يطالبني أهل العروس بطلباتٍ خرافية.. مهر مبالغ فيه
وشبكة ذهبية غالية ومؤخر صداق كبير.. بجانب تكاليف فرش
الشقة وحفل الزفاف..))

توسعت عينيها بذهول من كلامه.. بقيت للحظات لا تستطيع
الرد عليه حتى انتفضت به صارخة

((هل تعتقد أن تضحيتك في الزواج أكبر مني؟ هل تعتقد أني
كنت مدللة ولم أتكلف شيئاً في الزواج بل وجلست مثل الملكات
طوال فترة زواجي منك؟ الحقيقة يا احمد أن الأمور مختلفة..

منذ قدمت للبلاد وأنا أعيبُ أني سأعيش بمجتمع ضاغط يمارس عليّ ابتزازًا عاطفيًا وحصارًا نفسيًا أقطع منك بكثير.. وتكلفة الزواج ستكون عليّ أعلى مئة مرة مما تدفعه.. الزواج هنا مشروع خطر في حياة المرأة.. فيمجرد عقد القران نصبح أسيرات لتصور مجتمعي غيبي بأننا مطالبات بالتضحية علي طول الخط لنحتفظ بالرجل الذي تزوجناه.. فأتكفل بأعمال البيت كاملة ورعاية طفلي.. بجانب رعايتك أنت الذي تربيته مدللًا لا يجيد العناية بنفسه ويعجز عن غسل قميص أو قلي بيضة ويرى أن مشاركته في أعمال المنزل انتفاص لرجولته.. في نفس الوقت اعمل خارجا وأنفق أغلب دخلي في مصروفات البيت وابلخ على نفسي بأبسط المتطلبات الشخصية لأضمن استقرار أسرتي))

حقد فيها احمد بلامح جامدة وهو يستقيم من ظهره المنحني..
ي

ها قد عادت من جديد لتتمنن عليه مثل ما تفعل منذ بداية زواجهما..

رد بعد لحظات وهو يخبرها ببساطة وبصوت هادئ

((لأن العلاقات يفترض أن تسعدنا وتساندنا في الحياة لا أن تضغط علينا.. ولأنك ترين أن الزواج وخاصة من رجل مثلي ظلم لك.. فلم لا تطلقين مني وتعودين لبيت والدك معززة مكرمة وسعيدة رائقة البال؟))

هدرت مضطربة وعيناها تتحداه لتقول بترفع

((هل تظن أني متمسكة بزواجنا بهذا الشكل رغم الضغط الشديد لأنني احبك؟ أيه الأحمق لقد أخرجتك من قلبي فور أن صارحتني بحبك لغيري.. أنا كنت سأبقى معك لأنني لا أريد أن أكون الخاسرة الوحيدة هنا.. أنت ستخسر لو طلقنتي القليل من أموالك.. لكن أنا سأخسر ما هو أكثر.. سأعرض للكثير من الخسائر النفسية والمعنوية والاجتماعية.. سأحمل وصمة

"المطلقة" التي سيحملني إياه الجميع لو فشلت زيجتنا.. بجانب
حرماتي من ابني لو تزوجت مجدداً ما يضطرنني للرهبنة
الاختيارية بينما ستبدأ أنت مع هيام حياة جديدة دون مشكلات
محاطين بعشر أولاد يكللون بحكم الأفلاطوني))

أكملت إيمان كلامها بحنق وهي تتابع النظر له بكرة

((ألا يعجبك كلامي احمدم؟ هذا ما أراه منطقياً من وجهة
نظري.. فأنا لم أتزوجك فقيراً وأسانداً واضحياً بكل شيء
لسنوات حتى تنجح وتصبح أثري ثم فجأة تطلقني أو تتزوج من
غيري وتشاركني بأموالك التي شاركتك أنا بصناعتها.. في
الغرب يقتسم الزوجان أموالهما عند الطلاق إلا لو وقعا عقداً
بالعكس.. أنا أيضاً شريكك فيه وكلانا بذل جهد من أجل هذه
الأسرة.. أنا اعمل داخل البيت وأنت بالخارج.. لي حق
براتبك.. هذا ما أراه))

أنهت كلامها لتتنهد بتعب وبقوة وهي تبدأ بزرف دموعها
متمتمة لنفسها بسخرية تخفي خلفها الكثير من القهر

((لو كنت اعمل خادمة عندك هذه طوال السبع سنين لكنت الآن
خرجت من هذا الزواج بثروة صغيرة.. فكيف تريد الآن أن
تطلقني بمؤخر زهيد وتتزوج من حبيبتيك بعد كل هذا؟))

عقد احمد حاجبيه بينما يستمع لها.. فنظر إليها باضطراب
ليقول أخيراً

((أنا فعلاً لا افهم ما تريدني الوصول إليه؟ نعم تحملتني في
بداية حياتي ولكن لا يعني أن لك فضلاً علي.. كل ما وصلته
من مكانه اجتماعية أو مادية كانت بفضلني جهودي أنا.. هل
مشكلتك أنني أريد الزواج بعدما أصبحت أغني؟ هل يعني ذلك
لو كنت فقيراً لم تكوني لتغضبي من زواجي؟))

جزت على أسنانها بغضب.. فهو لا يشعر بالخيانة والغدر
بداخلها وانهايار الدنيا أمامها بسبب ما ينوي فعله..

شعرت بسحابة كثيفة من الهم أمامها.. شعرت بالرغبة بالكفاء
أكثر.. فهمست له مستنكرة

((ولم تتزوج من الأساس يا احمد؟ سواء أصبحت غني أو بقيت
على وضعك السابق.. لقد تزوجت مني وانتهى الأمر.. حتى
ولو كان زواجنا ينقصه بعض الأشياء.. ولكن هذا هو الزواج..
يبني على التضحية والتحمل ليستمر.. كما أني لا أستطيع ألا
أبدي استغرابي منك.. كيف تؤكد شعورك بالراحة والاستقرار
معني وبنفس الوقت تريد الزواج من غيري؟))

تنهد بيأس وهو يمسح وجهه بكفيه.. ليقول بعد دقائق

((أنا سأتزوج لسبب قوي بنظري ولا يهمني اقتناعك أو وجهة
نظرك به.. صحيح أني وجدت أن إخبارك قبل زواجي أفضل
وأجدى من إخفاء الأمر خاصة لأنني لم أقدم على أمر غير
شرعي.. ولهذا كنت أحاول أن أكون جيدا معك طوال الشهر
الماضي حتى لا تشعري بتغيري معك بحالة زواجي))

لكنها قاطعته مردفه بصوت مبجوح ونبرة مشروخة بحد سكين

((نعم أعلم أن ما تقوم به أمر مشروع.. إلا أنه من الطبيعي ألا
أقبله على زوجي لأن أول ما سيصيبني إذا فعلتها شعور
بالخجل والخوف من نظرة المجتمع لي.. سأشعر بالنقص في
تلك اللحظة لأنني سأشعر بأنني مرفوضة أو غير مقبولة من
زوجي.. وكأني سلعة يشتريها ويبيعها وقتما يشاء.. مهما كانت
الاختلافات بين النساء من تعليم أو وظيفة أو أي شيء سيشعرون
بنفس الشيء بمكاني))

أجابها احمد بوهن وهو يشيح بوجهه عنها يرفض المواجهة

((لا.. زواجي لا يعني أنك ناقصة.. حاولي أن تُعَدلي من
صورة نفسك ولا تجعلي زواجي دليلاً على إخفاقك في حياتك
أو سهماً يُصوب تجاهك بالنقص أو السوء.. أعرف أنك بالنهاية
أنثى وعاطفتك جياشة لكنني فعلا لا أريد الابتعاد عنك.. تحكمي

بنفسك أكثر ولا تكوني تلك الزوجة المملكة.. وحتى لو تزوجت من غيرك لا تدعي ولا تجعلي كلام الناس ونظراتهم المستفزة سببًا لاتخاذ قرار فيه ضياغ بيتنا ونشرد أبننا..))

قاطعته بعينين مليئتين بالدموع

((لن يتشرد ابني إلا لو تزوجت أنت.. أن ما تفعله أنت لا ما أقرره أنا كرد فعل هو ما سيهدم بيتنا ويضيعه))

تنهد احمد قبل أن يرد عليها بعينين شاردين وهو يعقد كفيه

((ولم قد يهدم مستقبلنا؟ أخبرتك إيما.. الأمر متعلق بي ليس بك أنت.. أنا من ينقصني شيء لا أنت.. توقفي عن التفكير بهذا الأسلوب))

لكنها ردت عليه وهي تهز رأسها

((نعم أنت محق انه متعلق بك أنت.. فعندما أعطي أقصى ما لدي لشخص ما ومع ذلك أكون غير كافية بالنسبة له.. فهذا معناه أنني أعطي للشخص الخطأ))

ثم أردفت بعينين مشتعلتين

((لكن يا احمد لو فكرت بالزواج منها سأعلن الحرب عليك بشراسة.. لن تتحمل الأمر))

كانت تشد على كلماتها.. نعم هي أنثى عاطفتها جياشة كما قال.. نعم هي تحب التملك ولا تريد أحدا أن يشاركها فيه..

ما ذنبها إن تركت والدها وأمها وإخوتها وهرولت معه لان سنت الحياة تطلب هذا؟

لكن ماذا فعل هو؟ اخذ بيدها وركلها للوراء من اجل أنثى أخرى..

لم يحتويها كما احتوته.. لم يصنها كما صانته.. لم يغيرها
بالاهتمام كما فعلت له..

كل ما أرادته عيش حياة هادئة دون تدخل أخرى يبقي فيها
بالقلب غصة للأبد..

لو تجرأ وفعلها لن يحزر ما ستفعله به.. ففي رأسها تدور ليل
نهار أفكارٍ شريرة..

وفي روحها قدّ عشعشت مشاعر لم تكن تعرفها من قبل..

نعم هي تستطيع الكره والاحتقار والسخط والجفاء والخوف
أيضاً..

وقفت إيمان أخيراً من مكانها وهي تنظر له ببطء بعينين
محمرتين ووجه مكفهر لتصرخ به

((أخرج من بيتي.. أنت مطرود من هنا حتى يُرد لك عقلك
وتعرف ما أنت موثك على خسارته من أجل حب تافه))

=====
=====

بعد مرور أسبوع..

استيقظت عبير من نومها وهي تشعر بالفراغ بالجانب الآخر
بسريرها..

نهضت ببطء من الفراش وليست إسدال الصلاة فوق رأسها..

فثقيق زوجها الحبيب يبيت عندهم منذ أسبوع بعد أن طردته زوجته من بيته وإياد يصر عليه البقاء عندهم حتى يتصالح معها مؤكداً بأنه لا يوجد أي حرج من بقاءه..

الحق يقال.. أن احمد يخرج لعمله باكرا ويأتي فقط عند موعد النوم بنفس موعد عودة إياد وينام بحجرة الضيوف الغير منفصلة عن البيت..

ولكن مع ذلك بالنسبة لعبير كامرأة متزوجة فهي لا تأخذ راحتها بوجود شخص من غير محارمها بمنزلها..

حتى الحجاب لا تستطيع خلعه قبل مغادرة احمد بيتهم خشية أي موقف غير محسوب..

بحثت عن إياد بأرجاء المنزل بحذر مع أنها تعرف أن احمد لن يغادر حجرة الضيوف صباحاً أو يتجول بأرجاء المنزل قبل أن ينيه بخروجه..

استمعت عبير إلى صوت صادر من ناحية المطبخ..

فاقتربت تقف على عتبة الباب تراقب إياد وهو يرفع ركوة القهوة التي وضع فيها الماء بعد غليانها عن النار..

أضاف إياد السكر والقهوة عليها وهو يحركها جيداً.. ثم عاد وضعها فوق نار خفيفة الحرارة وهو مستمر بتحريكها حتى تغلي مجدداً..

كان يصنعها بهدوء وبدون أن ينتبه على وجودها قبل أن تتغلغل
بين إشاراته السمعية نبرتها الناعسة المتذمرة

((هل تصنع القهوة لشقيقك بنفسك؟ ألا يستطيع أن يشربها بعمله
أم يجب علينا نحن أن نخدمه؟))

ارتسمت على وجه إياد تعابير البلاهة الساخرة وهو يرد عليها
بمزاح بصوته الأجنش من أثر النوم

((وما دخلك أنت؟ شقيقي الصغير وأريده أن يتدل عليّ))

لم تحد عبير عينها عن إياد بلوم بسبب ظروف شقيقه المعقدة
وهي تهدر به ساخرة

((إياد ضع ملح بالقهوة بدلا من السكر واطهر انزعاجك وأنت
تقدمها له حتى يعرف انه لم يعد مرحب به هنا بعد الآن ويخجل
من نفسه.. كن جافا بالحديث معه أيضا.. لا أريده أن ينام الليلة
هنا.. ألم تكن تخبرني ألا اترك أي بقايا طعام أمام عتبة المنزل
لقطط وكلاب الشوارع حتى لا يعتادوا على الأمر فيترددوا هنا
كثيرا؟ وكذلك الأمر ينطبق على شقيقك.. كلما رحبت به
وخدمته جيدا سيعتاد على الأمر ويفضل البقاء هنا أكثر))

قدم إياد رأسه نحوها وعيناه تكدان تخرجان من محجريهما وهو
يهتف بها مزمجا بتوبيخ هامس

((عبير اخفضي صوتك وأخرجي من هنا.. أنا اصنع القهوة لأحمد بنفسي ولم اطلب منك أن تخدميه بأي شيء.. فلا تبدئي التذمر.. لست رائق أبدا لك بهذا الصباح))

عاد إياد يلتفت للقهوة أمامه وهو يحركها قهرا أن يرفع الركوة عن النار وينتظر عشر ثوانٍ حتى تنزل القهوة غير المذابة إلى قعر الركوة ثم يصبها في كوبين كبيرين.. لتقاطع عبير عليه الأمر مجددا وهي تقول

((وحتى ولو أني لا أحرك إصبعي لخدمته بأي شيء.. ولكن الأمر لا يزال غير مقبول لي أبدا.. إلى متى سيبقى شقيقك عندنا؟ لقد مللت ولا أشعر بالخصوصية))

أغمض إياد عينيه متأففا حالما سمع هتافات زوجته المتذمرة فعرف أن الأمر سينقلب لوصله نكد لاستمرار مبيت احمد عندهم..

قال إياد لزوجته وهو يحمل الكوبين بكلتا يديه

((لا تتبلي عليه.. أنه يخرج للعمل منذ الصباح ولا يعود لبيتنا إلا بوقت متأخر من الليل.. وتلك المرة التي اضطرت فيها لأخذ نوبة ليلية ذهب فيها ليناام عند والدي متحججا أمامهما بحجج واهية لم يقنعنا بها ولكنه مع ذلك بقي حتى وهو لا يريد منهما أن يعرفا بخلافه مع زوجته.. فأرجوك تحملي الأمر عدة أيام أخريات حتى يتصالح مع زوجته يا عبير))

تخصرت عبير وهي تسأله بجديه مضيقه عينيها

((وماذا لو استمر الأمر أكثر من عدة أيام؟ هل سأكون وقتها مضطرة لتحمل شقيقك كل هذه المدة؟))

هز إباد رأسه بيبأس.. بالتأكيد هو يعرف أن عبير لا تطيق احمد خاصة بعد ما قرر فعله في زوجته ولهذا هي مستمرة بمهاجمته بلا أي سبب..

لكن سرعان ما ارتسمت ابتسامه طفيفة على شفثيه وهو يقول لها بصوت هادئ مساير

((عبير حبيبتي.. ما رأيك أن تذهب لزيارة مع طفلتنا لبيت والدك لعدة أيام.. ألم تشنكي قبل أيام من أنانيتي بعدم سماحي لك بالنوم عندهم؟ إذن استغلي هذه الفرصة التي لن تتكرر لك ونامي عندهم بقدر ما تشائين من الوقت.. واتركيني اخدم شقيقي واقف بجانبه كما يجب بمحتنه))

فكرت عبير للحظات وهي تخفض بصرها.. لنقول بعدها بعدم اقتناع وتردد

((حسنا يا إياد.. كما تريد.. من الأفضل أن أبيت عند أمي هذه الأيام.. وسأبقى هناك ولن أعود حتى يغادر شقيقك الملتصق من بيتنا ولا يعود له أبدا إلا كضيف خفيف.. لأنني مللت من الأمر.. فأكد من عدم جعل الأمر يطول أكثر))

هز لها إياد رأسه باقتضاب ولكن قبل أن يستدير مغادرا هتفت عبر باسمه ليتوقف ناظرا إليها بصمت متسائل ينتظر أن تقول ماذا تريد.. لتقول بخشونة من بين شفيتها محذرة

((ونصيحة مني يا إياد انتبه لي أنا زوجتك وطفلتنا ولا تهتم بمشاكل شقيقك على حسابنا.. فعلى ما يبدو وقريبا سيتزوج مرة أخرى لتصبح له زوجتين لا هم لهن إلا دلالة.. وأنت بسببه ستبقى بدون أي زوجة واحدة.. وحينها لن ينفعك وقتها شقيقك أبدا.. لذا احذر.. فأنا لي طاقة محددة))

شعر إياد بانزعاج من كلامها ليقلب عينيه بسأم من حوله وهو يراها تغادر من أمامه.. لكنه توقف للحظة ليشرذ بالفراغ مفكرا بجدية..

وإحساسه يخبره أن القادم سيكون أسوأ بكثير.. على شقيقه لا عليه هو.. فتنهد وهو يمشي نحو حجرة الضيوف..

بعد دقائق..

مد إياد يده نحو احمد بكوب القهوة يقدمها له قبل أن يجلس على
احدى الأرائك العربية قبالبته مسترخيا وهو يرتشف من كوبه
هو..

كان احمد بشعره المُبعثر وملابسه البيتية المُرِيحة يهم بأخذ
رشفة من كوب قهونه قبل أن يقول بصوت ثابت

((اليوم لن أبيت هنا.. سأعود لبيتي.. أعطيت أم عدنان وقتنا
كافيا حتى تهدأ.. لم ترَ وجهي طوال هاذ الأسبوع مع أني أبيت
بشقتك التي تعلقو شقتنا.. لكن اليوم سأعود.. مللت من حياة
التشرد هذه))

كانت جملة احمد الأخيرة ساخرة.. وخارجة من رجل أكتفى من
مسايرة المرأة التي يتحدث عنها وقد نفذ صبره..
لا يهمه محقة أو لا.. سيفعل ما يريد وعلينا تقبله..

ظهر بعض التوتر على إياد وهو يعتدل من جلسته متحنحًا قبل
أن يسأله بإحراج وبنبرة منخفضة

((هل سمعت ما قالت زوجتي قبل قليل؟ صدقني لم تقصد ما
سمعت.. هي حانقة عليك لسبب واحد وهو موضوع ابنة خالتها
الدكتورة..))

بتر إباد كلماته وكان صوته ينخفض أكثر وأكثر بشكل تدريجي
وقد فضل الصمت بالنهاية..

فعلى ما يبدو انه احمد سمع نذمر عبير ولا شيء يمكن قوله
يستطيع تصليح وتجميل الموقف.. فعاد يرتشف من كوب
قهوته..

مرت دقائق عليهما.. نظر إباد بنهايتها لشقيقه الذي كان يحدث
في الفراغ بنظرات جادة عميقة بينما فنجان قهوة في يده
يتأرجح وكأنه يشاركه التفكير..

قبل أن يعيد أنظاره لكوب قهوته أمامه ليرتشف منها القليل.. ثم
يرفع نظره لأحمد عندما كسر الصمت هاتفا بصوت متحشرج
(إباد))

تطلع إباد له بفضول ينتظره أن يكمل كلامه.. لكن احمد سكت
وهو يعاود ارتشاف قهوته ببرود غير معتاد منه..

ليقول أخيرا بنفس الصوت المتحشرج

((لم يرَ الجميع أنني مذنب؟ نعم أنا الآن متزوج ولكني ما أزال
أحب هيام.. فهل أنا مخطئ بقرار زواجي منها؟ ماذا افعل..
هيام أول أنثى بحياتي وحيي الأول.. ظلمتها وظلمت نفسي
وظلمت إيمان بافترافي عنها وتسرعني بالزواج من غيرها..
ولكن..))

فتح إياد ثغره بنوي مبادلته الحديث أو البوح بأي شيء لكنه
خذلته الكلمات ليغلقه ويبقى على هدوءه.. فيعود الصمت الثقيل
ليعم بينهما.. قبل أن يكسره احمد مرة أخرى هاتفاً

((ها أنا متزوج منذ سبع سنوات ولكني لا اشعر بالحب
والسعادة التي سبق وعشناها مع هيام.. زوجتي تغضب بسرعة
ومملة ولا تستطيع مجارة تفكيري أو فهمي.. لا تحترم أمنًا
وبكل مشكلة تحدث تضع الحق على عائلتي.. لو كانت هيام
مكانها لكانت احترمتهم وعزتهم وسائرهم لأجلي.. هيام تفهمني
وتسعدني ولا أظن بأني سأجد من أحب مثلها))

كان إياد يصغي له بتركيز وبكل كلمة تخرج من شفثيه.. فتابع
احمد كلامه بصدق موجع

((إياد.. أنا أنسان تعبت بحياتي ودراستي حتى أكون أنسان
ناجح علميا وعمليا كحالي الآن.. ولكن ومع ذلك فما فائدة كل
ما حققته ونجحت به وأنا لا اشعر بالسعادة ببيني.. لا اشعر
بالسعادة الكافية مع زوجتي لأنه لا يوجد فيها كل ما افتقده مع
هيام))

رباه.. أسواط الندم ما أقساها عندما تضرب العقل بعد فوات
الأوان.. وها هو يوقف حياته ويقصر بحق زوجته وابنه لأنه
عقله غائب وما زال هائم بعشق هيام قلبه..

أردف احمد بوجع مستنكر

((ما دمت قادرا على فتح بيتين لم لا أتزوج مرة أخرى من هيام؟ سأكون مع زوجتي وبنفس الوقت استعيد سعادتي الماضية التي سبق وأن تذوقت من نعيمها.. ونعيش نحن الثلاثة بسعادة.. حتى زوجتي ستشعر بتحسن الوضع بيننا.. فطوال بقائي معها يكون تفكيري مشغول بهيام.. لكن عندما أتزوج من هيام سأتمكن من التركيز بحياتي معها ومع عدنان بالأيام التي أكون فيها عندها.. أكون معها مركز نصف الأسبوع أفضل بكثير من لا شيء.. زوجي من هيام سيسعدنا جميعا..))

كان ما يقوله احمد بقمة السخافة تماما بالنسبة لإياد لكنه شعر بأن نظرات شقيقه الحائرة تخترقه ليس لأنه يبحث عنده عن حل لكل التعقيد الذي يعايشه..

لكن لأنه ينتظر منه أي دعم يساعده بتخفيف العذاب الذي يواجهه.. ولو بكلمة..

هز إياد رأسه وهو يقول بصوت هادئ

((دائماً ندفع الثمن بعدما يقع الفأس بالرأس ولا نعرف قيمة من نحب إلا عندما نبدله بآخر.. ولا نعرف الندم إلا بعد أن نعرض أنفسنا للعواصف التي تغير كل شيء كان جميلاً.. وهذا هو حالك))

ثم استرسل كلامه وهو يعاود التحدث برأيه الذي لا زال متشبهاً فيه حتى ما تعاطفه أكثر بحب احمد الغارق فيه بعمق

((لذلك حدث ما حدث وندمت عليه يا احمد.. والآن ليس لك إلا أن تعيد حساباتك من جديد وتفكر وتستشير قبل أن ترتكب خطئاً فادحاً أكبر من افتراقك عن حبها.. أعاود نصحك الآن

بأنه إذا لم توافق أم عدنان وتشبثت برفضها ولم تستطع إقناعها
أن ترضى بما كتبه الله لك.. لأنه ليس ذنبها أنك تسرعت
بقرارك))

شقت ابتسامة طفيفة وجه احمد وهو يقول له باستخفاف

((لأنك تزوجت ممن يحبها قلبك وحصلت عليها فأنت لا تشعر
بما اشعر به.. الجميع يأمرني ويتوقع مني أن أغير مشاعري
بكيسة زر وألا أعطي لحبي لهيام فرصة أخرى.. ولكن بنهاية
اليوم أنا وحدي من أتجرع ذكريات حبيبيتي الأولى.. حلاوتها يا
إياد لا تعادله أية بهجة.. لا زلت احن لها.. أحن لذكرياتي
معها.. أحبها.. أعشقها.. رغما عني.. مهما حاولت أن أنساها
وابعدھا عن قلبي إلا أن ذكرها في قلبي إلى الآن.. حبي لها..
لهيام.. ليس مجرد حب.. بل عشق وغرام.. وهيام.. حب
أبدي.. لذي الاستعداد ادفع كل ما أملك وأبيع منزلي وكل ما
تصل إليه يدي في سبيل أن أتزوجها))

عقد إياد حاجبيه وهو يعتدل بجلسته يتساءل بنظرات مستفهمة

((لم أفهم ماذا تقصد يا احمد؟ أي بيع هذا.. هل كلامك
مجازي؟))

أراح احمد ظهره للخلف ليجلس باسترخاء هذه المرة قائلا
ببساطة لا تتماشى مع بساطة ما ينوي فعله

((لا أدري.. لكن شعرت بأني أظلم أم ابني قليلا فهي تزوجتني وأنا لا املك شيء.. صحيح أن كل ما وصلت له اليوم بفضل الله ثم بفضلني والذي ثم اجتهادي أنا ولا أحد آخر.. ولكن مع ذلك أشعر بأني مدين لها بالقليل كونها صبرت عليّ وشاركت بالقليل بمصروف البيت من راتبها الشخصي.. لذا وحتى لا أكون ظالم لها سأسجل البيت كاملا باسمها.. مع انه لا يوجد شيء يجبرني على فعل هذا.. أستطيع الزواج حتى بدون أن أخبرها.. ولكن سأفعل هذا حتى أتزوج من هيام وضميري مرتاح بأني لا أظلم زوجتي))

شعر إياد بأن قرار شقيقه متسرع وعاطفي بعيد كل البعد عن التعقل.. فحاول تنبيهه هادرا بصوت جدي

((ولكن.. لكن يا احمد لا تكن متسرعاً.. كل ما تملكه الآن هو هذه الشقة ونصف العيادة التي تعمل بها.. إذا فرطت بها بهذه السهولة فأظن بأنك ستندم لاحقا.. جدا.. أنا لا أتوقع بأن كل ما أنفقته زوجتك من راتبها على البيت طوال هذه السنين يمكن أن يساوي حتى نصف مبلغ شقتك.. أنت وحدك من دفعت أقساطها من راتبك..))

أعاد احمد مسك كوبه وارتشاف آخر ما تبقي من القهوة التعيسة التي صنعها له إياد والبعيدة كل البعد عن طعم قهوته المعتادة.. ليقول بحياء

((اهدأ يا إباد.. نعم اعلم أنه ثم بنائها كلها من راتبي على عكس شقتك التي دفعت فيها أنت وعبير من راتبكما مناصفة.. ولكن مع ذلك سأسجلها باسم أم عدنان حتى لا اشعر أنني ظلمتها.. سنكون هذه الشقة بدلا من كل ما دفعته من رابتها الشخصي.. وبدلا من السنين التي قضتها معي.. وبعد أن أسجل الشقة باسمها سأخبرها بين البقاء على ذمتي بعد أن أتزوج هيام أو الطلاق.. وهكذا سأؤكد بأني أوفيتها حقها وزيادة))

وإخليا.. كان احمد يعرف جيدا بأن الطلاق سيكون أبعد خيارا لإيمان.. فقد تحملته ببداية حياتها وبالتأكيد لن تفرط به الآن بعد أن أصبح ناجحا.. ولن تفرط باستقرار أسرتهما..

بل ربا يزيد احترامها ومعزتها له بعد أن يسجل الشقة باسمها وتتقبل زواجه من هيام بشكل أفضل..

رفع احمد نظرها عندما جائه سؤال شقيقه المباغت

((إن.. والدي وافق لطلبك وأخبرك انه مستعد بأي لحظة لطلب من تحبها.. فلم التأخير حتى الآن؟ يبدو أنك لا تريد الزواج من دون رضا أم عدنان حتى ولو قلت خلاف ذلك.. هل تنتظر موافقتها؟))

عقد احمد حاجبيه للحظات.. ليقول بعدها بصوت أجش

((لا الحقيقة.. الموضوع ليس هكذا.. لكن هيام نفسها لا تريد.. حاولت معها تكرارا ومرارا حتى تنزوجني.. لكن لا فائدة.. وكانني أكلم جدار أو إنسانة تحيا بدون قلب.. لكن لا تقلق أنها ما

تزال تبادلني نفس قوة وعنف المشاعر.. لم تستطع تخطيني
بعد.. لذا ستقتنع بالنهاية ووقتها لن يعيق شيء زواجنا.. حتى
والدها..))

هز إباد رأسه بموافقة.. وكأنه لم يتوقع غير ذلك ليبرر هادرا
قبل أن يسأل بجديه

((من الطبيعي ألا توافق.. فأم عدنان تكون باعتبار ابنة عمها..
ولكني أشعر بأنها لن توافق أبدا.. لا أريد إحباطك.. ولكنها الآن
هي أصبحت دكتور جامعية لا تقل عنك شيئا.. فلم قد تتنازل
وتصبح زوجة لك؟ ثم أرجوك يا احمد إذا كنت تتواصل معها
حاول أن تتوقف عن ذلك.. ثم ربما هناك رجل آخر بحياتها
وهذا هو سبب رفضها.. ربما يكون أفضل منك فبالنهاية ما
الذي سيجبرها أن تكون زوجة ثانية إذا كان هناك خيار آخر
أفضل متاح لها))

قاطعته احمد بحدة وهو يفتح ونار من الغيرة الفورية تلسعه

((لا.. لا يوجد أحد بحياتها أنا متأكد.. لو فعلت وتزوجت من
غيري.. أظن بأني سأنهار.. وابكي لتنهار بقية كبرياء
رجولتي.. لكن لن يحدث هذا.. لا يمكن أن اسمح بذلك.. يجب
أن اعرف كيف أقتنعها بزواجنا حتى لو اضطررت أن اللاحقها
لسنوات))

ثم استرسل كلامه بصوت متخم بالمشاعر

((سأقيم ليلة زفافنا بأفخم صالات البلاد.. وسألبى وأنفذ كل شروطها.. لكن تعود للومي بالاستعجال بالزواج من غيرها عندما رفضني والدها.. وكأنها ترغب بان أبقى أعزبا طوال عمري.. لتتزوج قبلي وتجعلني انهار بشكل حقيقي عندما أراها تتزوج بقريب لها غني كما يحب ويشاء أبيها وأن أعيش أنا على أطلالها.. فزواجي المبكر من ابنة عمها بعد انفصالنا أصابها في مقتل.. فهي كانت تتوقع بوضعي المادي آنذاك لن أجد من تقبل به من مستوى عالي.. فاذا بي أتزوج من أجمل وأفضل وأصغر منها.. وتقربها أيضا.. وربما هذا ما جعلها تشعر بالضيق وتجد صعوبة بالقبول بي الآن))

تتهدد إبياد ببياس قبل أن يكون بصوت منخفض

((الحق عليك فعلا لم يكن عليك الزواج سريعا من غيرها))

إلا أن احمد زفر بضيق وهو يشير بكفيه هاتفا بصدق وضيق وهو يدافع عن نفسه

((إبياد الأمر ليس كذلك وحسب.. ولكن والدها أهان والدينا وقال لهم بأنه سيزوجها لشباب من عائلتها أفضل مني.. لذلك عندما رأته والديتي زوجتي الحالية طلبت يدها لأجلي.. وفعلا وافقت علي.. مع أنني كنت أظن بأن زواجنا لن يحدث أبدا وسيخبر والد هيام والدها بأنني أنا نفسي هو حبيب ابنته السابق ومن حاول لسنة كاملة أن يخطبها منه بلا جدوى.. لكن أمي سامحة الله هي من أجبرتني وضغطت علي للزواج بزوجتي الحالية وأبي اقتنع بكلامها.. وإلا صدقني لم أكن لأفعلها وأتزوج من

غيرها.. بل لن يصيبو قلبي للارتباط بغيرها.. لكن أمنا رفضت
إلا أن تزوجني ومن قريبتها ردا لإهانة والدها.. وعبثا حاولت
إثراء أمي عن عدم إجباري على الزواج من غيرها لكنها
هددتني بمقاطعتي إذ أنا أصررت على موقفي))

سكت قليلا احمد وهو يشرد بعيدا بعينين حزينتين عاتبتين..
الحقيقة وسامح الله والدته فهي السبب..

ما فعلته والدته كان له سبب رئيسي بالإضافة للأسباب الأخرى
الوضع الحالي..

صحيح أنها اعترفت فيما بعد بفداحة خطئها عندما أجبرته
بالزواج من امرأة لا يريدتها مهما بدت مثالية.. لذلك وعدته
كثيرا بأنها ستساعده للزواج من هيام حتى تكفر عن خطئها
أمامه..

بنفس الوقت..

وعلى الجهة الأخرى من المنزل بحجرة نوم عبير..

فتحت إيمان الخط عليها هاتفة باسمها لترد عير بتعابير جدية
وهي تضيق من عينها

((إيما بدون أي مقدمات أريد أن أسألك سؤال.. ماذا تظنين أنك
فاعلة؟ هل تظنين أيتها النبيهة أنك عندما تطردين زوجك من
البيت لأسبوع سيتعلم درسه وسيعود متوسلا الغفران منك؟ يا
غبية أنت بهذا التصرف تساعدينه على اللعب بذيله كما يشاء..
بل وحتى يأخذ راحته بالتحدث مع أي فتاة يريد بلا أي حسيب
أو رقيب.. تصرفي بحزم وافعلي أي شيء لحسم الأمر عوضا
عن هذا التصرف الغبي.. وكفي عن إضرابك عن الذهاب
لعملك.. إلى اللقاء الآن وسأتحدث معك فيما بعد.. فهو وإيد ما
زالا بالخارج.. كما أنني أريد التجهز للذهاب لعملي..))

=====
=====

كان احمد يقود سيارته نحو جامعة هيام والأفكار المختلفة بعقله
تقوده.. قبل أن يركن سيارته بإحدى الأماكن المخصصة
للاصطفاف ثم يترجل منها..

مشى خطواته نحو مكتبها.. فهو يعرف جدول مُحاضراتها
وأوقات فراغها جيدا بالرغم من أنه لم يزر مكان عملها إلا عدة
مرات..

لا لشيء إلا خوفا على سمعتها وتجنبيا للأقويل.. ولكن أحيانا
يستسلم لاشتياقه كهذه المرة..

كان باب مكتبها مفتوحا وكانت تجلس على كرسي أمام طاولتها
منهمكة بالكتابة على أوراق كثيرة أمامها وبنفس الوقت تتصفح
كتابا ضخما..

ابتسم احمد لرؤيتها وهو يرفع هاتفه ليتصل عليها وابتسامة
مستمعة تشق وجهه..

وكما توقع رآها تمد أناملها لهاتفها تغلقه بدون أن تنتبه على
المتصل بخضم انشغالها..

مرت لحظات والابتسامة تزداد اتساعا على وجهه بينما هو
مستمر بمراقبتها..

حتى انتبهت هيام له وهو يتأملها ليشحب وجهها..

مسكت هيام قلبها بقبضتها تسأله بصوت واهن وبصدمة وهي
تقف من مكانها

((احمد.. ماذا تفعل هنا؟))

ماذا يفعل هنا تاركا أعماله ومصالحه وزوجة وبيت يكاد أن
يهدم فوق رأسها؟

هذا ما فكر به بسخرية وهو يتقدم منها بثقة جالسا على احدى
الكراسي أمام طاولتها بأريحية..

عقدت هيام حاجبيها وهي تهرع نحو باب المكتب تغلقه بالمفتاح
قبل أن تجلس بعبوس على الكرسي المقابل له هاتفة بينما تكثف
ذراعيها أمامه

((احمد هذه آخر مرة تزورني هنا.. سنثير الأقاويل من حولي
وسيطنون بي السوء))

كانت هيام تبدو أمامه هائجة كرياح الشتاء المجحفة بالخارج..
ونبرتها كانت عصبية بعيدة عن الهدوء والرزانة التي اكتسبها
صوتها بعد هذه السنين..

ضيقت هيام عيناها وهي تجد نفسها تقريبا قادرة على قراءة
أفكاره والتنبؤ بسبب مجيئه.. فبدأت بهز ساقتها تظهر له ضيقها
بقومها..

أغمض احمد عيناها قليلا ليستنشق رائحة عطرها..

بعد أن أغلقت الباب عليهما وحدهما بحجرة مكتبها الصغيرة
وجلسها بالقرب منه وعلى بعد مسافة صغيرة باتت رائحة
عطرها نفاذة أكثر..

مع أن رائحة العطر التي تضعه حاليا مختلف كلياً عن عطورها
التي كانت تضعها أيام الجامعة إلا أن عطرها رحل به لماضي
جميل..

لذكريات عيقة.. وكم اشتاق لذكرياته معها..

حتى انه لم يعد يتذكر كيف كانت حياته قبل أن يلتقيها وكيف
أمضى هذه السنين بعيدا عنها..

لكنه عقد حاجباه بحق لفكرة أنه يمكن لأي شخص شم رائحة
عطرها الزكية ولو بمسافة بعيدة نسبيا..

جن جنونه وهو يفكر بكم رجل مرت من أمامهم وهي تضع
هذه العطر لتهيح شهواتهم بعطرها فينظروا لها..

كم ود بهذه اللحظة قتل كل من يحمل كلمة "ذكر" ببطاقة هويته
في هذه الجامعة التي تُدرس فيها وتعطي محاضراتها يوميا أمام
مئات الطلاب..

وجد احمد نفسه يهمس بخشونة لها أمرا

((لا تضعي العطر مجددا))

أخفضت هيام بصرها بتردد وهي تزدد ريقها.. هو آخر من
يحق له أن يأمرها..

ولكن كلامه صحيح لم يكن عليها اليوم أن تفرط برش العطر
على نفسها..

شعر احمد بقليل من الارتباك.. لم يكن عليه أن يتحدث بهذه
الخشونة معها..

على الأقل ليس الآن.. ليس قبل أن تصبح امرأته.. وقتها فقط
لن يكتفي بذلك..

بل سيدفنها بأضلاعه.. ويحفظها بينهم بعيدا عن الجميع لبرويها
بحبه.. ويحميها بأنفاسه المتأهية من أي شيء قد يؤذيها..

لا يدري كيف تذكر بهذه اللحظة أولى سنوات أيام الجامعة..

عندما أخذوا سويا احدى المتطلبات الجامعية الإجبارية مع
اختلاف تخصصاتهما..

بإحدى المرات ولظروفها الخاصة تغيبت أسبوعا كاملا..

وعندما جاءت بالأسبوع الذي بعده ودخلت المحاضرة متأخرة
وبدأ المُحاضر بالشرح.. همس لها "هل غيرتي عطرك؟"
فتجمدت حرقيا..

لكنها هزت رأسها بمعنى نعم ليقول لها بتذمر "أنا أحب ذلك العطر فلا تغيريه مرة أخرى" وفعلا لم تغيره أبدا بعدها..

الأحمق.. لا يعرف كيف سكت عن الأمر بتصرف ينافي الرجولة والقوامة والمسئولية التي ميز الله بها الرجال وخصهم بها..

بل وطلب منها الاستمرار على وضع عطرها المفضل له بالخارج وأنشغل باله فقط بنوعه..

اعتدل احمد من مكانه على كرسيه واقفا ليخطو ببطء نحو النافذة.. ينظر للخارج من خلال زجاجها الغير واضح من الضباب المتكاثف والمتشكل عليها بفعل تباين درجات حرارة الحجرة والخارج..

بينما كانت هيام ما تزال على جلستها.. هادئة لا تنبس ببنت شفه ولا تعاود سؤاله عن سبب قدمه.. تفكر بأنه بالفترة الأخيرة لم يكن يتصل عليها كثيرا كعادته..

فهل يعاني أو يواجه أي ظروف أخرى؟

تعرف أنها لن تستقبل اتصالاته بل وربما ستوبخه وتهدهد بتغير رقمها لو اتصل بها لأن هذا الشيء الصحيح الذي عليها فعله..

إلا أنها ستعلم وتتأكد أنه مازال يتذكرها ولا تغيب عن باله كما هو أيضا لا يغيب عن بالها..

وهي لا تريده أن يغيب.. تريده أن يبقيها شيئا مهما بحياته حتى ولو ذكرى.. لكن ذكرى يرفض تخطيها..

رفع احمد كفه مبتسما ليرسم بأنامله على زجاج النافذة اسم هيام داخل قلب كبير..

هل تعرف انه بسببها لا يزال يقوم بالكثير من الأمور الطفولية التي تعلمها منها وبات عادة له لا إراديا؟

هو على عتبات الثالثة والثلاثين من عمره ولا يزال يكتب
اسمها على زجاج النافذة وهي مضببه بسبب الأمطار بفصل
الشتاء..

كما كانت هي تفعل وتكتب اسمه على زجاج نوافذ أي قاعد
تأخذ بها محاضراتها أيام الجامعة قبل سنوات بفصل الشتاء..

لدرجة أنه إذا رأى أي زجاج مضبب مكتوب عليه اسمه
"احمد" بإحدى قاعات كليتها يعرف تلقائيا من التي كتبت عليه..

همس احمد لها بصوت دافئ أجش بنفس وضعيته

((لنا ذكريات كثيرة بأيام الشتاء سويا يا هيام))

انتصبت هيام من مكانها واقفة تنظر له من الخلف..

الحقيقة أن لهما الكثير من الذكريات بأيام الشتاء والصيف..
ذكرياتها معا من المستحيل أن تنساها..

بأيام الصيف.. عندما تكون بالحديقة القريبة من جامعتها تدرس
فيها وفجأة تجد من يضع كتاب فوقها ليقبها من أشعة الشمس..

أو عندما يصر على ابتياع الثلجات لها دائما متظاهرا بأن
البائع يتذكرها ويوصيه بإعطائه لها..

استدار احمد للخلف ليراها واقفة مكانها شاردة ببصرها.. فتنهد
بألم للوجع الذي رآه في عينيها وقد بدت غارقة في ذكرياتها..

تحرك من مكانه نحو مكتبها بفضول يتطلع إلى الكتب
والأوراق فوق طاولتها..

فرغ حاجبيه بدهشة قبل أن يقول محاولا تطيف الجو بينهما
وهو يحمل كتابها الضخم بيده

((إذن هذا الكتاب هو احدى المساقات التي تدرسيها الآن؟ مع أنني لم ادرس ولا اعرف الكثير عن تخصصك.. لكنني أذكر اسم هذا الكتاب جيدا..))

رفعت عيناها له بتساؤل ليكمل بابتسامة مرحة

((كان هذا الأمر ببداية أيام معرفتي بك وقيل أن نتعمق بصداقتنا أكثر.. كنا متواجدين بنفس المكتبة مع أن طلاب الطب مخصص لهم طابق خاص فيها.. لكنني كنت أفضل أن أتواجد بالمكتبة بالقرب من مكان مذاكرتك.. بالأساس قليلا ما كنت تترادين المكتبة.. كنت تدرسين من هذا الكتاب وتحلين بعض مسائله.. وعندما عجزت عن حل مسألة صرخت شاتمة إياه وبعثرت شعرك بدون أن تشعرني))

أخفضت بصرها وهي تضحك بخفوت فتمتزج ضحكتها بضحكته الخشنة لتقول له بينما تعود للجلوس مكانها

((لقد كانت ذكرى محرجة.. لا أتخيل بأني أتذكرها الآن وأضحك عليها.. فقد ضحك كل من في المكتبة وصرخ عليّ المراقب على تصرفي هذا..))

الحقيقة وقتها ومع أنها لم تكن صديقة له بعد.. إلا انه التفت لها وتقدم منها وهو يقول لها ألا تستسلم وستقدر على تجاوز ما تستصعبه..

فشعرت بالسعادة الشديدة لأنها صرخت كالحمقاء فتصرفها جلب لها انتباهه مع ابتسامة واثقة داعمة لها رافقت وهج عيناها الزرقاوان..

لحظات وعبست هيام وهي تهتف به بتذمر طفولي سلب منه دقائق قلبه

((يا إلهي احمد ما الذي ذكرك بهذا.. أنا لست هكذا فأنت لم تراني أتصرف بهذا الشكل غير تلك المرة.. لكن شقيقتي

الصغرى كانت لها عادة أن تيعثر شعرها وتصرخ كلما عجزت
عن حل واجباتها.. فربما تأثرت بها بدون أن اشعر))

مط احمد شفقيه بتساؤل وهو يقول لها

((جالا صحيح؟ تلك الطفلة الشقية))

عادت تضحك وهي تقول له

((لم تعد طفلة.. لقد تجاوزت الثانية والشعرين من عمرها))

ابتسم لها احمد مندهشا.. الأيام فعلا تمر بسرعة..

يتذكر عندما أحضرت هيام شقيقتها الصغرى للجامعة بإحدى
المرات..

كانت فعلا شقية جدا ومتذمرة لا تخجل أبدا بالنسبة لطفلة
صغيرة أمام غرباء.. تركض وتلعب ولا توفر شيئا من
طاقاتها..

حتى أنها سقطت أمامه فحملها وطبب عليها وحاول أن ينظف
ملابسها بالتراب لكنها دفعته بشراسة أثناء بكائها.. وقتها كان
مذهولا من ردة فعلها الغريبة..

لكن صراخ هيام عليها بغضب مناديه باسم دلالها "جلجل" سلب
عقله..

كان نهما لمعرفة أي شيء عن هيام وكل من لهم علاقة بها..
ومعرفة اسم دلال شقيقتها الصغيرة كان الطف شيئا بالحياة
بالنسبة له وقتها..

عاد احمد يجلس مكانها.. ويستدرجها بالكلام والحديث.. لدقائق
ظلا يتحدثان ويسترجعان ذكرياتهما قبل سنوات مضت..

كانت عندما تتحدث براقبها احمد بعينيه وعقله يأخذه كما يأخذها للحظات السعادة التي عاشها سويا بالسابق وكان اشتياق قلبيهما لبعضهما يؤكد ذلك الرابط الخفي بينهما..

وجد نفسه يتحدث بعشوائية عن ذكريات مبعثره لهما..

ذكرها ضاحكا بإحدى المرات عندما كانت تقف في الصف الخاص لطلب وجبة طعام بالكافتيريا.. وتقف بصف الرجال بالخطأ ولم تكن منتبهة..

وهو وسحبها من حقيبتها ووضعها في صف السيدات.. لقد دهشت من شدة غبائها.. لكن تراقص قلبها بسعادة أيضا وقتها..

شاركته هيام الضحك على نفسها.. وهي تتابع للاستسلام لحديثه وتبادله إياه..

وقد أخبرت نفسها بأن بعض الحديث مع صديق قديم أيام جامعتها لن يضر..

ربما هو ليس فقط صديق قديم.. بل حبيب قديم أيضا.. القديم والوحيد بحياتها..

علاقتها معه كانت تقريبا سرية..

استمرت بها طوال سنوات جامعتها حتى مع معرفتها بان والداها سيغضبان وستخيب ظنونهما لو عرفا بأنها على علاقة صداقة قوية بإحدى زملائها الشبان..

فهما وضعا ثقتهما بها للذهاب للجامعة من اجل الدراسة لا من اجل تضييع جهد تربيتها طوال الثمانية عشر سنة السابقة..

لكنها فعلت وبررت لنفسها بخيبة أمل أنهما لم يتجاوزا الحدود.. لم يسبق وأن لمس يدها.. لم يختلي بها بأي مكان لوحدهما..

لم تكن هناك هواتف نقالة بأيامهم أيام التسعينات..

بل تتذكر بإحدى المرات أنها قد أنهت دوامها الجامعي وكانت
الأمطار غزيرة..

وأثناء طريقها للبيت لاحظت بأن أحدا يتبعها حتى وصلت
للبيت.. نعم لقد كان هو..

فبالرغم من المسافة الطويلة بين بيتها وجامعتها.. وبالرغم من
أن بيته يقبع بالمدينة وهي تسكن بإحدى القرى البعيدة كليا
عنه.. وبالرغم من الأجواء الممطر العاصفة والخطرة
للتجوال.. إلا أنه استقل نفس حافلتها بدون أن يجعلها تنتبه
ولحق بها حتى وصلت للبيت..

تكفه الأمر الكثير من المخاطرة بهذا الجو والكثير من الوقت
الذي هو بأمس الحاجة له كطالب طب والكثير من النقود
بالنسبة لوضعهم المادي المتدني..

لكنه مع ذلك لحقها وبذل جهدا حتى لا تتمكن من معرفة الأمر
وملاحظته..

ولولا أنها صعدت الدرج ونظرت من النافذة لتراه عاندا أدرجه
لم تكن ستعرف بأنه هو من يلاحقها.. استنتجت بأن كان يريد
أن يوصلها فيقي خلفها وتبعها وبعدها تأكد من أنها وصلت
المنزل بأمان ذهب..

قاطع تفكيرها صوته وهو يقول له

((ما رأيك بعد انتهاء عمك أن نخرج لنتناول طعام الغداء
سويا؟ أريد أن أستغل هذه الأوقات مع فتاتي يا هيام قلبي قبل
أن تعود لجنونك وجفائك معي.. لطالما حلمت بقضاء بعض
الوقت الممتع منذ أول مرة رأيتك بها بعد كل هذه السنوات..))

ثم أردف لها هامسا

((يجب أن تعرفي يا هيام أن ابتعادك عن حياتي يجعلني اشعر
بالكثير من النقص.. لأنك وحدك فقط من يدرك حجم الفراغ

الذي أحدثته في غيابك.. والذي لو اجتمع الخلق فلن يسد أحد
منه وخز إبره..))

كان يريد إكمال حديثه لكن رأى ملامحها تتخضب بحمرة
البكاء وهي تغالب دموعها التي بدأت تتساقط..

لقد استسلمت لدموعها رغما عنها وهي تشعر بكل خلية فيها
تنتدق وجع قاتل بحبه وذكرياتهما القديمة..

همست له بصوت واهن أن يخرج ويتركها وحيدة..

فلم يجد أمامه إلا أن يهز رأسه ببطء وهو ينفذ أوامرها..

فتح الباب المغلق ليخرج منه.. وبالرغم من كل شيء ودموعها
التي كانت تحرقه إلا أن نبضات قلبه شعرت بالسعادة..

وقد عرف أنه ما زال له هو وحبه تأثير كبير عليها.. وأنها عن
قريب سترفع راية الاستسلام لتتزوج حبهما بالزواج..

=====
=====

أغلق مراد باب شقة والديه بإحباط ثم صعد الدرج نحو شقته..

طوال الأسبوع الماضي تأكد بأنه لا يحبها فقط بل ويشعر بها
تبدأ في الميل نحوه..

وبدلا من أن يشعر بالراحة لهذا الأمر ها هو يشعر بالكدر من
المشاكل التي حدثت بين جالا وعائلته المكونة من والديه ويارا
مؤخرا قبل أسبوع..

خاصة أنه من وقتها قررت جالا بأنها لن تنزل أو تدخل شقة
والديه أبدا..

وهو ويكل صراحة لم يستطع إقناعها أبدا ولم ينجح بمسايرتها
بالعكس خاصة وهو يعرف بان يارا ووالدته لا يعاملونها جيدا..

لذا وطوال الأسبوع الماضي كان يتم شحنه من قبلهم ضد
جالا.. بخلاف الكثير من الشكاوى الأخرى عنها..

أنها لا تحترم من هم أكبر منها.. وجريئة في كلامها وأسلوبها..
ولا تتقبل النقد أو المناقشة..

هذا غير سقوطه من أعينهم على حد قولهم لأنه لا يستطيع
إجبار زوجته على إطاعته.. ليظهر بنظرهم بمظهر ضعيف
الشخصية الذي تتحكم به زوجته..

بغض النظر عن الأمر.. كل شخص لديه عيوب ومميزات..
لكن جالا بالرغم من أنها طيبة.. إلا أنها صريحة.. وجريئة..
وعصبية.. وليست ذكية..

هو من أسبوع وحتى الآن لم يتخذ أي خطوة تجاه إصلاح
الموضوع مبقيا الأمر على حاله.. لكنه يريد أن يغيره
لأفضل..

حتى ولو أن علاقتها معه كزوجين في تحسن مستمر هذه الأيام
إلا أنه يريد أن تكون علاقتها بوالديه أفضل كي لا تحدث
مشاكل مستقبلية هو في غنى عنها..

أفضل شيء أنه يحاول وبشكل يومي أن يجلس معها ليلا جلسة
حميمية يمتدحها بما فيها.. ثم يطالبها بأن تنصحه إذا رأت منه
نقصا في علاقته معها أو مع الآخرين..

دخل مراد شقته منتهدا وقبل أن يغلق الباب خلفه جرت جالا
نحوه من المطبخ بسعادة بأول لحظة انتبهت لوصوله للبيت
محيطة عنقه بذراعيها..

وجد نفسه يبتسم لفكرة أنها هي من صارت تبدأ بالمبادرة.. بل
ومن تعانقه الآن وبهذه القوة والحنان..

فأحتضنها بقوة هو الآخر يكتف يديها بذراعيه يرفعها حتى
صارت قدميها لا تلامسان الأرض.. واضعا جبينه على
جبينها.. يحدق بفتنتها بابتسامة دافئة..

خجلت جالا من نظراته فاحمرت وجنتاها وهي تحاول النزول
للأرض وتبعده عنها ثم تساعده على التخلص من معطفه ونزع
ربطة عنقه وهو يقف بالصالة بنفس وقفته..

بدون خشية من فكرة الاحتكاك به لتغمغم له ببهجة

((من الجيد أنك عدت قبل نومي لأنني أريد أن أكون مستيقظة
عندما تقرأ عليّ بصوتك العذب.. ولو عدت أبكر لكنا صلينا
معا.. لكن لا بأس))

ابتسم لها.. فهو يواظب دائما على تذكيرها بكثرة ذكر الله في
البيت والمحافظة على الأذكار الشرعية وأذكار الصباح
والمساء..

لعل السكينة تدخل قلبها وتنفض هاجس خوفها من فكرة العلاقة
الزوجية..

سمعها تردف مازحة

((أقرأ عليّ على وجه الخصوص آيات الرقية من العين.. فربما
يكون سبب كل ما نتعرض له مشاكل بداية زواجنا هو أصابت
بالعين))

ضحك بخفوت على كلامها وهو يرفع حاجبيه ليهدر لها مازحا
هو الآخر

((صحيح أنك كنت فاتنة بحق ليلة زفافنا.. لكن مشكلتنا ليست
إصابتك بالعين بل أنك جبانة كبيرة))

كان مراد يستمر بمشاكساته لها وضحكاته معها واستفزازها بلا قصد وهو ينعنها دائما بأنها جبانة كلما وجد بعينها اعتذارًا بسبب تمنعها عنه..

وكما تود فعلا وترغب هي وكل ذرة بكيانها أن تستسلم له وتزيحه.. ولو على حساب نفسها..

اعترضت جالا بنعومة له

((أنا لست جبانة))

إلا أن مراد عاندها مبتسما

((بل أجبن فتاة رأيتها بحياتي.. شهرين كاملين يا مفترية والى الآن لا تقدم ملحوظ بعلاقتنا))

عادت تضحك بخفوت على كلامه إلا أنها شعرت بداخلها بالألم عليه لا عليها..

قالت جالا قبل أن تستدير للخلف نحو المطبخ

((لم تعلمني مسبقا على الهاتف أي ساعة ستكون هنا بالضبط ولكن لا بأس غير ثيابك ريثما أسخن لك الطعام))

لكن مراد أحاط بخصرها النحيل من الخلف وهو يقربها منه يستنشق عطرها

((شكرا يا مليكتي لكني تناولت العشاء بالفعل.. يارا أغلقت الباب بالمفتاح رافضة أن اخرج بدون أن أتناول العشاء معهم))

اشتعلت عينا وقلب جالا غيرة فور ذكر مراد ليارا لتحرك جسدها عنه وتبتعد عن أسر يديه..

تلك الملتصقة التي دائما ما تحاول نيل اهتمامه وأخذه منها..

عندما رأت ارتفاع ابتسامه عابثة إلى زاوية ثغر مراد شعرت
بزيادة اشتعال تلك النيران الغاضبة بداخلها..

مراد يدرك غيرتها عليه من ابنة خالته وما زال يسمح لها
بالحوم حوله والتواجد بالقرب منه..

وهذا يجعله حانقة عليه هو قبل يارا..

هتفت جالا وهي تجز على أسنانها بقوة

((ألا تلاحظ بأن ابنة خالتك تلك تحوم حولك دائما؟ ألم تقل لي
بأنك ستضع لها حد؟ أنا زوجتك لا التصق بك كما تفعل))

ازدادت ابتسامه مراد العابثة وهو يُسكتُ خافقه الذي يتراقص
بداخله كلما أظهرت جالا بوادر الغيرة وتملك له..

كما يجب عليه أن يشكر يارا على اهتمامها المبالغ به بعد
تزوجه بل إنه يدفعها للاهتمام به أكثر حتى يستمتع بغيره جالا
عليه..

هو تفاجئ بأن جالا لا تعرف بأنه يارا أخته بالرضاعة.. فهو
بعمر شقيقتها الثانية ورضع من خالته قبل وفاتها..

بنات خالتهما الثلاثة هن أخوات له.. ولكن بالتأكيد لن يخبر جالا
قبل أن ينتقم منها قليلا ويرد لها القليل من العذاب الذي دائما ما
يشعر به بسببها وبسبب حبها لذلك المغترب بروسيا..

صمت مراد وهو يحرق بذهول بها.. يرفع أنامله فوق شفيتها
الشهيتين ليقول لها بنظرات مستفزة

((ابنة خالتي أنا ملتصقة؟ لا اسمح لك بالحديث عنها بهذا الشكل
واتهامها بالباطل.. هي لا تراني ولا تعاملني إلا كأخ كبير لها..
أنت تتوهمين))

فكرة أنه بالتأكيد يدرك اهتمام يارا وطمعها به ومع ذلك يخبرها أنها متوهمة زادت من اشتعال الغضب فيها أكثر وأكثر..

هل هو من النوع الذي يحب أن تحوم حوله النساء ليرضي اعترازه الذكوري؟

وجدت جالا نفسها تبعد أنامله عنها صارخة به بغضب وعدائية شديدة

((بل هي حقيرة ملتصقة ولن أتوقف عن نعتها بذلك.. لأنها واقعة بحبك ويبدو أنها تحاول هي وأمك لفت انتباهك لها.. لا يا مراد.. أنت لست أحمق لتجهل الأمر بل تحاول ادعاء العكس لأنك مستمتع باهتمامها بك))

أنهت حديثها وهي تدفعه عنها تنوي الذهاب بعيدا عنه لتشيق عاليا بقوة حين جذبها من خصرها إليه بقوة لترتطم بجسده الصلب بقوة مرة أخرى..

نظرت له بعينين متسعيتين وهي تضع يدها فوق صدره كحائل بينهم..

رأته يقرب رأسه منها فتراجعت برأسها إلى الخلف وهي تتطلع إليه بوجل..

وضع مراد كفه خلف عنقها بوقوف تراجعها عنه ليجذبها إليه فلا تبقى أي مسافة بينهما ليشعر كلاهما بأنفاس الآخر تلفحه..

كانت ابتسامه مراد العابثة قد اختفت من وجهه وعيناه تلتهمان شفقتها..

ليقول بعد ذلك بتهديد خشن

((هل هناك زوجة عاقلة تنعت زوجها الحبيب بالغبي والأحمق وتصر على إهانة قريبتة والتبلي عليها؟ لكن لا بأس فأنا اعرف كيف أوديك))

قال آخر جملة بمشاكسة شديدة.. فشعرت جالا بحرارة منبعثة
منه إليها..

شعرت بتوتر مصحوب بالعواصف العاطفية التي تفيضها
عينياه وهي تلتهم شفتاها وكان التأديب سيكون من خلالهما..

شعرت جالا برجفة.. ليأتيها نفس الرعب والخيالات الخائفة
للأنفاس.. التي تتكرر معها مع أي تقارب حميمي بينها وبين
مراد..

ولو أنه كان يتناقص مرة بعد مرة.. خاصة بعد كل هذا التآلف
بينهما..

همس مراد بالقرب من أذنها بحرارة

((لا تتلملي واثبتي.. لا تحلمي أن تفلتي بدون عقاب))

وبجزء أقل من الثانية كان يلتقط شفتاها بقبلة غير عابئ
بهمماتها الضعيفة كان صاحبها تعب من كتبها طوال هذه
المدّة..

لم يكن يخطط مراد للأمر بل حدث هكذا فجاءة.. وجد نفسه لا
يريد أن يكتفي بهذه القبلة..

وكان مخزون الصبر لديه نفذ وتغلّبت رغبته في وصلها على
أي شيء آخر..

حبه لها.. رانحتها.. قربها أصبح هاجسه وعذابه..

نومها بجانبه ليلا بينما يتقلب هو على جمر بسبب مطالبة جسده
أن يصهرها به..

كل هذا جعله يتعمق بقبلته لها ليعوض حرمانه منها.. لنيل
استجابتها لعله أخيرا وبعد زواج شهرين يمتلكها..

لم تكن تمناع تقبيله إياها خاصة وأن أنفاسه المتسارعة ونظراته
التائفة تحاوطها بضراوة..

لكنه فاجئها بلهفته هذه ولم تقدر على مجاراته.. كما أنها لم
تألف بعد إلا قبلاته الرقيقة..

فأغمضت عينيها وهي تجبر نفسها على الاسترخاء كليا بين
ذراعيه.. وكادت أن تتجح لولا إحدى الذكريات الكريهة ظهرت
أمامها..

حاولت جالا التملص وأبعاده عنها لكنها لم تستطع تحريكه قيد
أنملة.. توقيته كان خاطئ..

ولمساته التي أصبحت أكثر جراءة وهو يمد يده لمقدمة منامتها
أصابتها بالهلع..

لا تريده أن يصل لهذا الحد.. ما تزال الفكرة ترعيبها.. ليست
مستعدة له ويلزمها الكثير قبل أن تكون كذلك..

هي لم تعد تنفر من لمسات مراد كليا.. ولكنها وعلى ما يبدو لم
تتخلص بالكامل من هاجس الخوف والرعب الذي يستبد بها
كلما فكرت بفكرة اجتياحه لها..

خاصة وهي تشعر بهذه اللحظة بلهفته لامتلاكها وبشغفه
الجنوني لإتمام زفافهما المتأخر..

وكان هناك حريق بداخله يشعله.. يشعله ويحثه على امتلاكها
ويفقد سيطرته وهو يغرقه فيها.. مما أثار خوفها ورعبها أكثر
وأكثر..

وما إن أفلت شفتاها وهو يهم لحملها لجرة نومهما حتى دفعته
عنها بقوة وخرجت منها صرخة صغيرة إعلانا عن رفضها
له..

انتفض مراد مبتعدا عنها وهو يسمعها تصرخ به بهتاف
مرتعش

((لا يا مراد توقف.. أرجوك.. ليس الآن))

نظر لها مراد بعينين جاحظتين وبوجه محتقن.. كانت أنفاسه
متسارعة بجنون.. شعر بيديها كأنهما تكويانه وهما تبعدانه
عنه..

ماذا بعد؟ ألا تكفيها كل هذه المدة؟ لماذا لا تزال باقية على
رفضها؟

خافت جالا من تقاسيم وجهه فتمتمت بصوت مهزوز

((مراد ألم تعدني أنك ستنتظرنني حتى أشعر بأني مستعدة ولن
تستبق أكثر؟))

قاطعها مراد بقوة وهو يظن رفضها بسبب مشاعرها التي
تحاربها

((لا يا مليكتي أنا لن أجبرك.. لكنني أريد أن أثبت أمراتي حبي
واشتيأقي لها.. وظننت بأنك بدأت تكنين مشاعر نحوي
وستستسلمين لي ذلك الاستسلام الذي أموت شوقا لأراه وأنا
أسحب استجابتك لي حتى أهلك بنيران هذا الشوق))

فتحت ثغرها تعجز عن النطق عندما رأت نظراته الخائبة من
رفضها له مجددا.. هو محق..

هي تعرف أن من عادته الهدوء والتروي والحكمة في أفعاله
قبل قراراته..

لكن استمرارها على التمتع بلا أي توضيح أو شرح يفقد فيه كل
ذرة حكمة أو هدوء امتلكها يوما..

وأى رجل غيره لم يكن سيتحمل ما تفعله عندما يقترب منه..
وسیظن أنه نفور منه..

مع أنه لو علم أكثر عن ماضيها.. وقذارة ما حدث.. لكان هو
من نفر منها.. لا العكس..

ولتنتقد الموقف هدرت تخلق عذرا بصوت مرتجف وهي
تخفض عيناها للأرض من فرط التوتر التي شعرت به

((أنا لم ابتعد بلا سبب.. لم أقصد ذلك.. أعني))

كان ينظر لها بعينين مظلمتين يحثها على التحدث.. وهو موقن
بشكل كلي بأن لا شيء يمكن أن يبرر نفورها منه إلا شيء
واحد..

سمعها تردف بنفس وضعها السابق عقب أن ازدردت ريقها

((أنا لذي عذر شرعي.. لذلك طلبت منك الابتعاد))

عاد يفتح عيناه على اتساعها.. لا يبدو وكأنها تمزح مزحة
سخيفة..

عقد حاجبيه.. إنها تتكلم بجدية.. تتعمد الكذب عليه..

ألم تقل قبل قليل له أنه لو أبكر لكان صل بها؟ قولها بصراحة
أنها لا تريد قربه بعد أهون عليها من أن تستخف بعقله وتكذب
عليه..

جائه صوتها المرتعش من جديد قائلة بما يشبه الهمس

((مراد أغلق الباب خلفك وهيا بنا للداخل))

كذبتها هذه شعر بها استنفاز لرجولته لتخرج منه رجل بدائي
بداخله لم يسبق وأن عرفه.. ولا هم له إلا امتلاكها.. ويعنف..

اقترب مراد منها بطالعها بنظرات حارقة قائلا بتهكم ونيران
أحشائه المستعرة تحرقه

((لماذا تكذبن عليّ؟ لماذا لا تريدين قربي؟ هيا أجب وياك
والكذب))

ابتعدت جالا عنه برعب وقد أكتشف كذبتها فتمتت أسمه
بخفوت..

ترى نظراته عبارة عن أحاسيس وحشية راغبة بعقابها عقاب
حقيقي لا مجرد مشاكسة..

تابع مراد حدجها بغضب مقررًا أنه لن يرضخ لرفضها مجدداً..
عليها أن تتحدث معه..

عليهما أن يتناقشا.. لماذا ترفض لمساته؟

هل لأنها تزال واقعة بحب ذلك المغترب بروسيا وترى في
امتناعها عنه وفاء له؟

وجد مراد نفسه وبلا إرادة يتقدم منها أكثر ويباغتها بمسك
كتفيتها بقبضتيه بقوة أمتها وهو يلهث أنفاسه بإنهاك قبل أن تنبثق
كلماته صارخا في وجه جالا الواهن باحتدام

((إذا كنتِ لا زلت واقعة بحب كارم لماذا لم تحاربي لتبقي معه
ولا تنفصلا؟ لماذا وافقتِ على زواجك بي؟ اتصلتِ قبل زفافنا
عليك لأتأكد من أنك موافقة على كل شيء بدون أي ضغط.. ألم
أفعل؟ أخبريني بماذا تفكرين؟ هل تتوين البقاء عزراء حتى
تطلبني الطلاق مني فيما بعد وتتزوجينه ليكون هو أول من
يلمسك؟ هل هذا ما تفكرين به؟ هيا أنطقي))

بالكاد تماسك ومنع نفسه أن يندفع بإفراغ ما تبقى من جام
غضبه وقهره عليها إلا أنه توقف عندما سمع صوت ارتطام
قوي من خلفه..

رأى جالا شاحبة كالأموات تفغر فاهها وهي تنظر بعينين
جاحظتين أمامها..

ظهر الاستغراب على مراد ليدير رأسه ببطء للخلف..

ليرى والدته التي لا تقل عنهما صدمة واقفة على عتبة باب
شقتهم الذي لم يغلقه بوجه شاحب يحاكي الموتى كما لم يراه
قبلا..

وقد بدا أنها سمعت كل شيء.. لا يُفترض بها معرفته أبدا..

بعد ربع ساعة..

أغلقت يارا الباب وهي تعاود الجلوس بجانب خالتها..

سابقاً كانت تشعر بالحنق عندما خرج مراد من شقة والديه
ليصعد لشقته فوق فهي تراه كل يوم يدخل بيت والديه بعد عمله
ليجلس قليلا قبل أن يخرج متذرعاً بتأخر الوقت وهو في
الحقيقة لا يطيق الصبر للصعود لبيته لرؤية زوجته..

لذا كانت تريد الليلة هذه أن تصعد عنده لقضاء بعض الوقت
معها..

لتغيب جالا قليلا وتعكر عليها وقتها الضيق والوحيد مع
زوجها..

متأكدة من أنها من المستحيل أن تتجرأ على طرد ابنة خالة
زوجها..

فجلبت طبق طعام معها كحجة للصعود فوق وعند نهاية الدرج
الواصل لشقة مراد انتبهت لباب الشقة المفتوح..

كان صوتهما مسموع.. سمعت جالا تشتمها وتنعتها بالملتبسة..
فشعرت بغضب شديد وعاودت النزول للأسفل عند خالتها
تشكي لها إساءة زوجة ابنها لها..

فصعدت روعة برفقة يارا مجددا ل فوق وهي تنوي بالفعل إثارة
مشكلة كبيرة لجالا لأنها شتمت يارا..

ولكنهما تجمدتا عند نهاية الدرج وآخر ما توقعته كلياً أن يسمعا
ما سمعاه.. كان الأمر صادماً للجميع..

لدرجة أن يارا أوقعت طبق الطعام الزجاجي المغلف الذي
كانت لا تزال تمسكه طوال الوقت من يدها..

وها هم الآن هي وخالتها ومراد في إحدى غرف شقة مراد
يغلقون الباب خلفهم..

رفعت يارا نظرها لمراد عندما سمعته يتمتم شاتماً وهو يدور
في الحجره كالأسد الهائج.. قبل أن يتوقف أمامها ويهتف بها
بحرج وبنفس الوقت بوجه جدي لا يمزح

((يارا أخرجي من هنا.. أريد أن أتحدث مع أمي بأمر خاصة
جدا.. أمور خاصة بالمتزوجين))

عقدت يارا حاجبيها هادرة بصوت منخفض حانق

((لماذا أخرج؟ أريد أن اعرف كل ستتحدثون به؟ وإلا سأعتبر
أنكم تعدوني غريبة عنكم ولست فرداً من العائلة))

نطقت يارا آخر جملة بنزق وهي تضع يديها على خصرها..
ف

التفت روعة نحوها تنهرها بعينيها قبل أن تقف من مكانها
وشدها من ذراعها بحدة حتى تقف هي الأخرى..

جرتها روعة نحو الباب مزجره بها بغضب

((أخبرك مراد أن تخرجي من هنا لذا أطيعه بدون أن تنطقي
أي حرف لا فائدة منك.. هيا أخرجي))

نظرت لها يارا وهي تضغط فوق شفيتها بإحراج.. ثم قالت
بهمس

((حسنا يا خالتي))

اتجهت يارا ناحية الباب بخطوات رشيقة وبكبرياء تتبعها أعين
مراد وروعة حتى فتحت الباب وخرجت منه مختفية عن
أنظارهما..

لكنها لم تغادر الشقة بل وضعت إحدى أذنيها على الباب بخفة
تسترق السمع على حديثهما وفضولها يزداد..

وصلها صوت مراد هاتفا بنبرة قاسية وهو يحاول تفسير.. ما
يستطيع تفسيره

((أمي أرجوك لا تسيئي الظن ولا تعطي أي حكم مسبق بأي
شيء قبل أن أخبرك ما حدث بالتفصيل..))

ازدرد مراد ريقه وهو يخفض بصره ليتحدث بارتباك بما لا
يجب أن يتحدث به.. ولكنه مجبر على ذلك.. حتى لا تظن
والدته الأسوء به أو بجالا

((بالبداية وبعد ليلة زفافنا أنا وجالا توجهنا إلى الفندق وكنتي
متواجدة هناك معنا صحيح؟))

هزت روعة رأسها وهي ترد على كلامه حاثة إياه على
الإكمال

((صحيح.. وبعد ذلك؟))

فاستطرد مراد وهو يشيح بنظره عنها أكثر

((ثم ليلتها سهرنا قليلا وقضينا بعض الوقت بالحديث.. لكن..
ولكوني كنت متعبًا وقتها.. لم أرد أن افعل شيئا.. فنمنا ليلتها..
وباليوم الثاني كنا نحاول حل مشكلة جواز سفرها.. ثم التفكير
بمكان آخر داخل البلاد لنقضي به شهر عسلنا.. وبكل تلك
الأوقات كنت أنا لا اقترب منها إلا للأحضان.. وأيضا..))

ثم تنهد مراد للحظات وهو يحاول إكمال حديثه دون التحدث
بالتفصيل بحقيقة كل شيء قدر الإمكان..

لن تتفهم والدته صبره على زوجته أو رعبها بل ستنهره وتعتبر
تأخر الأمر بينهما قلة رجولة منه..

استحثته روعة مرة أخرى للإكمال بنفاد صبر وهي مستمرة
بفتح عينيها بتركيز نحوه

((ثم ماذا؟))

ازرد مراد ريقه وصفحة وجهه ثابتة لا تظهر إلا الثبات
بخلاف حدقتيه المهترتين.. ليردف

((حاولت الدخول بها.. كنت أشعر بالكثير من الانسجام واللهفة
لتلك اللحظات.. ورأيت بها استجابة.. لكن عندما أهم بالأمر
تبدأ هي في الارتباك.. بالبداية لم أعطي لارتباكها اهتمام..
لأنني كنت كذلك مرتبكاً نوعاً ما))

انعقد حاجبي روعة لكلام ابنها.. لكن كل شيء قاله حتى الآن
طبيعي..

فهو وعلى خلاف الكثير من الشبان بجيلة خجول ولم يكن لديه
أي علاقة غرامية سابقة حتى بأيام المراهقة..

وكانت ترى كيف كان بأيام خطبته مع سهر يحسب ألف حساب
في كل مرة يلتقي بها كما يضل مرتبكا أمامها.. حرفيا لا خبرة
لديه بالنساء..

عندما التقت عيناها بعيني مراد المرتيكتين هزت له رأسها تحته
على الإكمال..

فجلس مراد مكانه.. ليكمل بصوت أكثر هدوء

((كنت دائما أحاول أن أبدا الأمر ببعض الملاحظة.. لكنها كانت
ترتبك.. ومرة أغمي عليها فتوقفت على الفور.. بكل مرة
أحاول فيها أن تتم الأمر ألاحظ الخوف والارتباك يسيطر
عليها.. لذلك أتوقف وأحاول تهدئتها وضماها لصدري.. وهكذا
بقي حالنا طوال الشهرين الماضيين))

وعندما انتبه مراد على وجه والدته التي بقيت تنظر له بلا أي
تعابير تظهرها على تقاسيم وجهها القاسية.. قال بارتباك

((أمي بماذا تفكرين؟ هل تظنين أنني عاجز مثلا؟ أخبرتك أنني
حاولت بالفعل أكثر من مرة.. حتى أنني تضايقت منها مرة
وابتعدت أنا عنها.. وكنت أتعهد أن أقسي قلبي معها حتى مع
تقطعه ألما عليها..))

ساد الصمت للحظة من جانب والدته.. نظر مراد لها بتردد
وهو يراها تزم شفيتها مفكرة.. لتقول أخيراً بهدوء وببطء
وعيناها تشعان ريبة

((الموضوع متعلق بها هي لا أنت.. لماذا وافقت ابنة سميحة
على الزواج ما دامت تخاف من الأمر إلى هذا الحد؟ لماذا لم
تجلس بيت والدتها أفضل لها من هذا الخوف الذي تعيشه معك؟
ثم جلسات الفتيات يتحدثون بأمور أنا كأمره متزوجة أخلج من
الحديث عنها.. فهل فعلا هي خائفة كما تدعي؟ أم ماذا؟))

اهتزت حدقتا مراد للحظة.. ثم هز كتفاه لأمه وبقي صامتا..

لا يريد أن يفصح لأمه بأن زوجته ما تزال واقعة بحب خطيبها
السابق لذا تجد إقامة علاقة زوجية معه صعبة جدا..

لن يتحمل الشعور بالخزي إذا ما عرفت امه أنه كرجل متمسك
بفتاة يدرك أنها واقعة بالحب مع غيره فقال مراد

((أمي لا تلومها.. فقد كانت بيننا مشاكل بأول شهر من
زواجنا.. لهذا كانت ترتبك من الأمر.. الشهر الفائت فعلت ما
بوسعي.. لقد تحدثت معها بالأمر.. وكانت تبكي لي لأنها فعلا
كانت تريد أن ترضيني لكن خوفها ليس بيدها.. لا أريد أن
اضغط عليها.. لا يهمني كلام الناس سأعطيها مهلة بقدر ما
تريد.. لكن أرجوك لا تتحدثي بالأمر أمام والدي أو أي أحد
آخر.. حسنا؟))

أظلمت عينا روعة على الفور لتقول بنبرة غامضة

((حتى ولو.. أتفهم حاجة بعض الفتيات لوقت حتى تستعد
للأمر.. لكن شهرين يا مراد ليست مدة قليلة بل طويلة جداً..
عذرها غير مقبول أبداً.. إذا كان خوف فهل ترضى أن تأتيها
بالقوة؟ أنت قدمت تنازلات كثيرة وهي لا تزال ترفض ذلك؟))

توسعتا عينا مراد بدهشة من كلام والدته وهي تردف له
بصوت متجهم

((إلا إذا كان هناك سبب آخر لم تبديه لك))

عقدت روعة حاجبيها وعينيها تلتمعان بالشر وبيطء..

رمى مراد والدته نظرات قلقة.. حائرة.. للحظة قبل أن تتصاعد
أمارات الفهم لما تقصده فوق وجهه فيشتعل بتعابير مرعبة لمن
يراهها..

حاول أخذ نفس عميق قبل أن يفتح فمه.. لكن وكأن لسانه انعقد
فيفقده القدرة على النطق..

بقي فمه فاغرا لفترة قبل أن يقول أخيرا بصوت فاتر

((أمي أنت سمعتي كلامي عن كارم صحيح؟ أرجوك انسي كل كلمة قلتها عنه.. إنه خطيبها السابق وانتهى كل ما بينهما.. لم أكن أعي ما أقوله.. لن أحاسبها على ما مضى))

صرخت به روعة بشراسة وبعينين مشتعلتين بالغضب

((أبيها الأحمق ألم تفهم بعد لم ترفضك؟ لأنها باختصار ليست عذراء وتخاف أن تكشفها وتفضحها.. فرطت بشرفها مع ذلك المدعو كارم.. ألم تتساءل قبلا ما الذي دفع كارم لفسخ خطبته بها بعد كل هذه السنوات؟ أخبرتك أنت والذك أنه هو من فسخ خطبته بها لا والدها كما كان يدعي.. لكنكما لم تصدقاني.. لذا بالتأكيد وحتى لو مر سنوات على زواجكما لن تسمح لك بالاقتراب منها حتى لا تُكشَف))

شعر مراد مع اتهامات والدته بإحساس خاطف منه بالغضب.. وإدراك مذهول منه لإمكانية صحة ما تقوله..

هل يمكن أنه أن تفرط بنفسها من أجله؟ هل حقا كارم هو من فسخ الخطبة؟ ولهذا السبب؟

ما قالت والدته أقوى من أن يقدر على تحمله وهو ينظر بنظراته المصعوقة لوجهها المتألم عليه..

كان هناك ألم في عينيها عليه سرعان ما اختفي شيئاً فشيئاً قبل أن يحل بدلا عنه إحساس بالحقد والكراهة تجاه جالا والرغبة في الانتقام منها..

شعره بجميع أوصاله متجمدة.. لكنه انتفض واقفا يهمس بشحوب وعدم وعي وقد تغلبت عليه مشاعر متعددة لا يدرك كيفية السيطرة عليها

((جالا.. أين هي؟ أريد رؤيتها الآن))

بهذه اللحظة كانت الوحوش المعرودة بداخله بنفلة لجامها فيشعر بأنه قد يسحق أي شيء تطاله يده..

لكنه حاول ضبط نفسه قدر الإمكان حتى لا يدخل في حالة
غضب هستيرية..

رفع رأسه المُحمر والمتعرق ينظر للباب..

صدره يعلو ويهبط.. الاحمرار يطغو على وجهه بشكل رهيب..

ليصرخ باسمها وبقوة من فرط غضبه فيصل الصوت للحجرة
التي تقع بها ((جــــــــــــــــــــــــــــــــــــ))

شبهت يارا بمكانها ثم ابتعدت من خلف الباب لتتأخر المكان كله
بل وتنزل للطابق السفلي قبل أن يفتحه مراد وهي ترى أن
الأمر بدأ يتخذ مجرا آخر جديا.. ومخيفا..

نفس الوقت.. حجرة النوم..

كانت خفقات قلب جالا تزداد بخوفٍ لا إرادي عندما سمعت
مراد ينادي عليها باسمها بصوت صدح عاليا بأرجاء الشقة
بأكملها..

اعتدلت جالا واقفة من مكانها لتتجه للصالة حيث هم
متواجدين..

الثلاثة سيكونون عليها وضدها.. كيف ستقدر على مواجهتهم
وحيدة لا تملك أحداً تحتمي به؟ حتى مراد لا تشعر بأنه سيكون
معاها..

شعرت بأنها لن تمتلك أي جراءة لتحقق أو تنتظر بعيونهم..

فيقتب واقفة بجانب المدخل الذي يؤدي إلى الصالة بتوتر
ورعب..

صدق اسمها عاليا مرة أخرى من قبل مراد يناديها..

ابتلعت ريقها ثم بانصياح استجابت له لتقف مقابلة.. مع إبقاء مسافة بينهما..

سمعت صوت والدته تهتف بشر لها

((هيا أخبرينا أيتها الفاجرة إلى أي حد وصل الأمر بينك وبين خطيبك السابق ذلك المدعو كارم؟))

نظرت جالا بصدمة نحو لمراد..

ملاح محياه وحشية.. وجنتاه حمران وكانه كان في خضم معركة ما..

تكدست غصّة قاسية في حلقها لتعبث بأوتارها الصوتية مانعة إياها من الاستفسار عما تقصده والدّة مراد بوضوح..

لكن ما علاقة كارم؟ لماذا تحدث عنه مراد قبل قليل ولماذا تتحدث الآن عنه والدته؟

بدا الأمر خطيرا لها أن يُذكر اسم خطيبها السابق على مسامعها من قبل زوجها ووالدتها.. القادم لا يُبشر لها أبدا..

تحركت جالا خطوتين لتقف قبالة والدّة مراد التي كانت ترمقها بنظرات خطيرة متوعدة وهي تأمرها لاهثة من بين أسنانها بغضب

((أجب هيا أيتها الفاجرة))

ردت جالا على روعة بصدمة زاعقة

((هل جننت يا عمة روعة؟ ماذا تقصدين بكلامك؟ كيف تتهميني بفعل أي شيء مخزي مع كارم))

لم يعجب مراد رؤية جالا تصرخ على والدته بمكابرة على
خطئها بدلا من الشعور بالعار والخزي..

فضلا عن نطقها اسم ذلك الفاجر صراحة من بين شفيتها.. ففقد
أي ذرة تعقل متيقية فيه..

تهجم مراد عليها يمسك خصلات من شعرها بعنف مفاجئ
جعلها تشهق وهي تحاول إرجاع رأسها للخلف وهي ترفع
نظرها إليه برعب..

همس لها من بين أسنانه بصوتٍ مخيف وهو يرمقها باشمزاز

((اخرسي ولا ترفعي صوتك عليّ أمي))

تسمرت جالا تماماً وهي تنظر إليه مذعورة لا تكاد تشعر
بطرف من أوصالها..

فهنفت روعة لها هي الأخرى باشمزاز

((لا أصدق كيف لا تزال زوجتك تتمتع بهذه الجراءة.. أمثالها
يجب عليهن الصمت ودس أنوفهم في التراب))

حركت جالا نظرها لروعة وصدرها يرتفع صعودا وهبوطا
وهي تراها تعيد سؤالها بصوت جنوني

((لماذا فسختما خطبتكما وتزوجت بعده بأبني هكذا بسرعة؟ هيا
أجيب))

لم تنطق جالا بينت شفه بل ظلت متمسرة بوضعها..

لا تصدق أي شيء مما تحدث..

بعد لحظات وجدت نفسها تنفض من مكانها شاهقة ببكاء وهي
تصرخ بمراد بجنون

((ماذا تفعل يا مراد؟ اتركني.. أرجوك أتركني))

كانت بعجز تحاول فك أنامله عن شعرها.. مما جعله يدفعها
صارخاً بها بكل قوته بدون أن يتمالك نفسه حتى سقطت أرضاً
بألم لتبدأ دموعها بالانزلاق على وجنتيها..

تحدثت روعة بصوت منخفض ومسموع وهي تمسد رأسها
بأناملها بإنهاك وتغمض عينيها

((أحدى جاراتي قالت لي انه كان يوصلك لبيتك بسيارته دائماً
أي انه كان يختلي بك طوال الطريق.. صحيح؟))

أجابت روعة على نفسها بدون أن تفتح عيناها وهي تحرك
رأسها الشاحب يمينا يسارا بنفي

((رباه.. كنت مخبطة عندما أخبرت نفسي أن أتجاهل الأمر
واعتبره مجرد تبلي عليك وحسب))

صدمت جالاً لاتهامات روعة..

هل تقصد صراحة بأن تتهمها بأنها ليست عذراء؟ وبأن كارم
هو من أفقدها عذريتها؟

المضحك بالأمر أنها فعلاً لا تعرف ما إذا كان شرفها أهدر أم
لا..

فهي حتى بعد كل هذه السنين ليست لها جرأة أو الخبرة أو
المعرفة للذهاب إلى طبيبة لتخبرها ما إذا لا زالت عذراء أو
لا..

حتى ولو أن لا شيء منه حدث بإرادتها.. فقد كانت صغيرة ولا
قدرة لها على الدفاع عن نفسها..

لكن ما جعلها لا تهتم بالأمر كثيراً هو غلب ظنها بأنه لم يتمادى
معها لأن لا قدرة لطفلة صغيرة على تحمل علاقة كاملة بدون
أن تتأذى بشدة أو بدون أن يلاحظ أحداً من عائلتها..

وجدت جالا نفسها تنهض واقفة وهي تصرخ بجنونٍ هستيري
ممتزج ببيكائها تصرخ على والدته مراد بقهر وبحديث منقطع

((أنا لست كما تقولين.. أقسم لكما أنني لم أفرط بشرفي.. كل ما
في الأمر.. أنا كنت خائفة من إتمام الأمر.. فقط.. لا أصدقك
كيف تتهميني هكذا وبهذه الصراحة بدون أن تمتلكي أي دليل
على كلامك بأنني فرطت بشرفي بنفسي؟))

ضاققت عينا روعة وهي تنظر إليها بطريقةٍ غريبة.. ثم ومضت
كلتا عينيها بحقد وهي تصرخ بها متهمكة

((وماذا كنت تتوقعين أن أقول لك عندما أعرف بأنك ترفضين
أن يتم الأمر؟ كنت تريدين أن أقول لأبني "هدئ من روعك ولا
تصرخ على زوجتك".. ثم أعد لك كأس ليمون وأططب على
ظهركِ هادرة بـ"أن لا شيء يستحق غضبك.. اعتبريها نزوة
وانتهت وهو الخاسر لأنه تركك".. أيتها الحقيرة أحمد الله أن
ابني لم يقتلك الآن))

بدأت شهادات جالا تزداد بهستيرية من كلام وسخرية روعة
الجارحة..

إنها تتهمها وتتحدث بالأمر على اعتبار أنها فرطت بشرفها
وكانها رأتها بنفسها..

أكل هذا لأنها أبدت ولمدة طويلة خوفها من العلاقة الزوجية؟
في هذه اللحظة وبدون أن تنتظر لمراد شعرت بأنها تكرهه..
تكرهه بجنون..

وكل خلاياها ترتجف بكرهه هو.. هو الذي يلتزم الصمت..

حاولت جالا أن تتحدث دفاعا عن نفسها وقتل والدته لاتهامها
لها لكنها كتبت كل هذا بصعوبة شديدة..

صرخت روعة بها بعنفٍ مرعب

((توقفي عن الكذب وقولي الحقيقة.. لقد سمحت له بتدنيسك..
لقد فرطت بشرفك.. لهذا تركك.. صحيح؟ ذلك الولد الفاسق))

فغرت جالا مرة أخرى شفتيها لتحاول النطق..

تحاول فتح شفتها الناعمتان والحادتين لتخرج الكلمات منهما..
لكنها عجزت..

مهما كرهت كارم سابقا لعدم وفائه لها إلا أنها لا تستطيع
لومه.. بل هو كان منقذها..

ولا يحق لوالدة مراد قذفها بشرفها بدون أي دليل.. وكان قذف
الأعراض والمحصنات بهذه السهولة..

أخيرا فتحت فمها لتصرخ بهيستيرية تدافع عن كارم وعنهما

((توقفي.. توقفي.. إياك أن تقولي عن كارم بالذات هذا الكلام..
حتى مع كل ما فعله بي إلا أنه لا يستحق أن تتهميه هكذا
بسيبي.. كارم أشرف من أي يقوم بهذا الفعل.. كيف تتهمينا
نحن الاثنين هكذا بدون أي دليل..))

عند نقطة دفاع جالا عن نفسها وكارم فقدت روعة آخر ما تبقى
من ذرات عقلها.. فهي من دون شيء تكرهها..

وجدت نفسها بدون سابق أي تنبيه تتهجم عليها وتدفعها لتأقيها
أرضها وتبدأ بضربها على كتفها بغل..

ظهرت ملامح الاستنكار على مراد وهو يرى جالا ملقاة على
الأرض تصد بذراعيها ضربات والدته على كتفها والتي لم
تنفك عن شتمها ولم تكف عن إطلاق ألفاظ دنيئة صراحة عليها
وهي تطعن في شرفها وتتهمها بأنها مارست الرذيلة معه..

أغمض مراد عينيه بشدة يتمنى لو أنه ما يعايشه الآن فقط
كابوس..

قبل أن يفتحهما ويقطع سيول شتائم والدته وهو يقف أمامها
مباشرة فاصلاً بينها وبين جالا الملقاة على الأرض يبعدها عنه
هاتفاً

((أمي.. أرجوك.. توقف))

ابتعدت روعة وهي تلهث بإنهاك عنها.. لترفع جالا وجهها في
ذهول والدموع تنهمر على خديها..

شفتاها ترتجفان وبعض خصلات شعرها البني المشعث انسلت
من رباط عقدة شعرها..

امتثلت روعة لطلب ابنها لتغمغم وهي تلهث أنفاسها وتخطو
نحو الباب.. تنتظر بكره ومقت إلى جالا التي تشهق باكية

((لقد سلبك شرفك ومرغ سمعتك وسمعة والدك بالتراب
وتدافعين عنه أيتها الفاجرة؟))

ثم توقفت للحظة لتظلم عيناها بشدة.. لتتساءل بخفوت وارتباك
بعد لحظات من التفكير وهي تعاود الاقتراب من جالا
وبحاجبين معقودين

((لحظة.. هل.. هل كان والدك يعرف بالأمر؟ هل.. هل هو من
اقنع زوجي بأن يخطبك مراد ليئلييه هو بك ويصلح غلطة
غيره؟))

كانت تريد جالا التكلم لكنها توقف وهي تكتم كلماتها بصعوبة..
وللحظة وجهت أنظارها لمراد.. الذي كان وجهه شارد
باشمئزاز..

وحتى بعدها بلحظات لم يرد عليها مراد بل لم يستطع النظر في
وجهها من الأساس من شدة مشاعره العنيفة الكارهة تجاهها لها
في الوقت الحالي..

تنفست جالا بعنف وشهقة تخرج منها وهي تراقب ملامح
الغضب الجنوني الذي طفا على صفحة وجهة مراد بعد ما دار
من حديث بينهم..

لكنها التفتت لروعة عندما سمعتها تصرخ بها

((أجيب هيا.. هل كان والدك يعرف بالأمر كله؟ هل كان
يعرف بالأمر.. هيا أجيب!))

فغرت جالا فمها بدون أن تنطق بحرف مجددا..

سحبته روعة من معصمها بكل قوة جسدها غير مبالية بأناملها
التي كانت تعصر معصم جالا عصباً وهي تقول لها صارخة
بصوتٍ شرس ومرتعش

((أنا لا أريدك هنا أبدا.. هيا عودي لبيت أهلك.. هيااااا))

حاولت جالا إبعادها عنها حتى سمعت مراد يهتف بصوت
عالي وفاتر

((أمي اتركيها))

تجمدت روعة مكانها.. لتستدير نحو مراد وهي تنظر له..

للحظات.. ثم التفتت حول جالا ترمقها بنظرات اشمنزاز..

فتنهز رأسها بإيجاب قبل أن تترك معصمها وتدفعها بعيدا عنها
لنتراجع جالا عنها مترنحة وهي تكاد تقع أرضا..

خرجت روعة من الشقة كاملة تعود لبيتها بالأسفل تاركتا
الصمت يعم بين جالا ومراد وحيدين بالشقة..

لكن مراد شعر بعدها بدقائق بقدم صداع له كعمود فولاذي
يقسم رأسه لقسمين.. فهمس لجالا لاهاثا وهو يغمض عينيه

((جالا.. اخرجي من هنا.. اخرجي من بيتي.. الآن وحالا))

اتسعت عينا جالا بذهول من كلامه وهي تراه يغادر المكان نحو
الشرفة..

هزت رأسها محاولة أن تستوعب كل الأحداث التي حدثت قبل
قليل..

لتقف بثبات وهي تتجه بإصرار نحو غرفتها والرؤية تنتشوش
أمام عينيها بفعل دموعها التي أبت أن تتوقف..

أحست بالاختناق.. شعرت بالقهر يتشعشع في كل حنايا جسدها
مع إحساس مفعم بالذل..

كانت مجبورة قبلا أن تنصاع لهم.. ولكن ليس بعد الآن.. ولن
يدوم هذا الذل طويلاً.. ستغادر المكان كاملا ولن تهون نفسها
عليها أكثر..

هكذا همست لنفسها.. وهي تؤكد لنفسها أنها لن ترضى أكثر
من ذلك لنفسها حتى لا تموت قهرا..

أخرجت وشاحا ثقيلًا وكبيرًا لتغطي به شعرها.. لترتدي معطفا
طويلا يصل لقدمها فوق منامتها ووضعت بعض النقود بجيبها..

بينما مراد الذي شعر بأطرافه تكاد أن تتشنج وصدرة يعلو
ويهبط مطالبًا له بهواء نظيف وخطى نحو الشرفة..

سمع بعد دقائق وقع أقدامها المندفعة للخارج ولكنه لم يهتم..
عقله لم يكن معه ولم يستطع التركيز بأي شيء..

فيقي بشرفته متمسرا فيها ولم يخرج حتى مع بدء رياح الشتاء
الباردة بضربه..

كان واقفا بوجه شاحب يتنفس بعنف ويتأمل الظلام من حوله..

عيناها تنجرفان نحو عمق الظلام حيث تختفي ملامح كل ما
أمامه..

عندما طرد جالا لم يعرف تحديدا ماذا كان يقصد.. ربما قصد
أن تبقى على الدرج بالخارج.. أو تنزل لشقة والديه..

أي مكان آخر ارحم عليها من هنا حيث يتواجد..

لكن آخر ما خطر على باله أنها يمكن أن تخرج من العمارة
كلها لتستقل سيارة أجرة لوحدها بهذا الوقت.. وبهذا الجو..

كان لا يصدق أي شيء مما حدث أو قيل قبل قليل..

هل يمكن فعلا أن تفرط جالا فعلا بشرفها؟ لم يكن بينها وبين
كارم أي عقد قران حتى.. لذا لو فعلتها فهي زانية بنظر الدين
والمجتمع..

لكنه لا يزال يصدق أنها يمكن فعلا أن تفعلها..

ولا يصدق أنه يمكن لذلك الحقيق أن يسلب الفتاة التي ادعى
وتغنى بحبها طوال هذه السنين أعلى ما تملك.. ثم يتركها
ببساطة لتواجه المجتمع.. ألم يستطع أن يتزوجها ولو مؤقتا
وزواج صوري ليصلح غلطته؟ هل هانت عليه فعلا لهذا الحد؟

نعم هو استهجن من تركهما لبعضهما.. لكنه لم يهتم عندما
جاءته فرصة الارتباط بمن احبها قلبه بالتفكير بأي شيء آخر..

قال له والده انهما افترقا قبلها بعدة أشهر.. كما أضاف أن والد
جالا كان كاره لفكرة ارتباطهما ورفضه بالنهاية..

وجالا أكدت لها بنفسه أنها موافقة عليه.. لذا افترض أن كل
شيء بينهما انتهى ولا يحق له السؤال عن علاقة سابقة لزوجته
لأنه هو بالفعل كان مرتبطا بغيرها وافترقا..

لكنها استخفت به وخذعته ولم ترى بزواجها منه إلا لتصحيح
غلطتها سابقا..

نعم هو الآن الزوج المخدوع والمجروح بكرامته ورجولته..

ضرب مراد الجدار بقدمه بغضب..

كرامته منسوفة لا مجردة وهو يعرف بأن هناك حقير قد
تعدى على عرض من تكون زوجته ولو قبل زواجهما..

تعدى؟ أو ربما هي الرخيصة من سلمته إياها باسم الحب.. لو
لمح كارم مجرد لمح عند قدومه فسيقوم بقتله..

لقد كان كارم سابقا صديق طفولته.. ليس صديقه المقرب أو
المفضل..

لكنه كان صديقا له.. حتى قرر هو أن يبتعد عنه..

ما الدوافع الذي جعلته يقرر ذلك؟

أو ما الذي جعله يخفي كرهه نحو كارم ليصبح لا يطيق التواجد
معه بنفس المكان ويغار من كل مقارنات تعقد بينهما من قبل
أي شخص؟

السبب هو أن الفتاة الوحيدة التي أحبها لم تكن تراه بسببه..
بسببه هو..

هكذا تحول كارم من صديق الطفولة إلى شخص غريب بالنسبة
له لا شيء بينهما إلا السلام وبعض المجاملات في الأعياد
والمناسبات..

بعد نصف ساعة..

تقدمت هيام نحو باب منزلهم عاقدة الحاجبين وهي تسمع
طرقات عنيفة عليه.. أثار استغرابها هوية الزائر بهذا الوقت..

فراجي نائم الليلة عند صديقه في العاصمة والذي لا يحفظ اسمه
فيعطيهم كل مرة اسما مختلفًا له عند سؤالهم عنه..

لكنها فتحت الباب بدهشة ما إن هتف الطارق باسمه..

حاولت هيام بعينين متسعيتين أن تهمس باسم جالا أن تتوقف..

إلا أن جالا دخلت بوقعات غاضبة وبدون أن تتبين ملامح
وجهها لشقيقتها إلى غرفتها..

كانت والدتها بالمطبخ تعد وجبة خفيفة متأخرة عندما خرجت
منه وهي تسأل هيام باستغراب

((من القادم؟ هل هو راجي؟))

تنهدت هيام ثم هزت رأسها بياس قائلة

((لا أومي.. أنها جالا.. دخلت بغضب نحو غرفتها وبدون أن
تقول كلمة لي.. يبدو أن مراد أوصلها وكالعادة ذهب بدون أن
يدخل إلى بيتنا ويلقي التحية.. أنه يسمح لها بالمجيء هنا
وزيارتنا على مضض فجالا أخبرتني بأنه لا يحب ولا يريدنا
أن تزورنا باستمرار بسبب مضايقات والدته))

ظهرت بعض الدهشة على سميحة وهي تقول بتفكير

((هل جلبها هنا فعلا لأجل زيارتنا ولتبيت لليوم التالي؟ لكن
لماذا لم يحضرها بوقت أبكر.. إنها التاسعة ليلا.. أخشى يا هيام
أن هناك شجار كبير حصل بينهما بسبب الحرباء والدته))

تغيرت ملامح هيام للقلق قليلا..

شد انتباهها لجالا وهي تراها تخرج من غرفتها لتدخل الحمام
مرتدية منزرها..

لكنها عادت تالتفت نحو أمها

((لا أظن ذلك يا أمي.. لعله خير.. لا تقلقي.. سأذهب لأشعل
مسخن المياه لتلك الحمقاء حتى لا تستحم بماء بارد وتصيبها
نزلة برد.. وعندما تنهي حمامها ستخبرنا إذا ما حدث أي شيء
آخر مقلق))

بعد عشر دقائق..

وقفت جالا تحت المياه الفاترة..

كانت درجة حرارة الماء محتملة ولكنها لم تتناسب مع الجو
بالخارج الذي جاءت منه..

صاحت بها هيام أن تخرج وتنتظر عشر دقائق حتى تسخن
المياه قبل أن تأخذ حمامها..

لكنها لم تجبها بشيء وبقيت بالداخل بعناد تخلع منظرها..

كان جسدها يرتعش.. لا تدري إذا كانت ترتعش بسبب تدني
درجة الحرارة أو لأن روحها كانت تحتضر وقلبها يتمزق..
كانت تريد أن تأخذ الآن حماما وقبل كل شيء حتى تستطيع
إكمال وصلة بكائها.. لتسيل دموعها دون تحفظ أو خجل أو
حواجز..

كل ما حدث معها قبل ساعة أفقدها أمامهم كرامتها وعفوانها..
نعم ليس من الطبيعي أن تتمنع زوجة عن زوجها لمدة شهرين..
لكنه هو بنفسه قال إنه لا يمانع إعطائها وقتا حتى تتأقلم على
الأمر..

ربما أثار استغرابه الأمر منها وقتنا طويلا لكنها بالفعل كانت
تحاول أن تريحه وتفعل ما يريد.. لكن الأمر ليس سهلا.. وحتى

لو عرفوا خزيها وكل ما تعرضت له بالسابق فلن يفهموا ما
تشعر به نحو نفسها.. وجسدها..

جلست جالا على حوض الاستحمام.. تمسك رأسها بين يديها..
وذكريات بائسة مخزية تتجمع فيه وتتكالب عليها لتنهش بها كل
ما تبقي منها من مشاعر أو خلجات أو أنوثة..

كانت دموعها تجري أنهارا.. بدأت تنتحب ببؤس خانقة من
كوابيسها التي تعاد أمامها الآن ببطء والذكريات تتقاذف.. لكنها
كتمت صوتها بيديها بقوة.. فهي بدورة المياه واي صرخة
تخرج منها سيصدح صداها وتسمح أختها أو والدتها الصوت..

=====
=====

أخذت روعة تسير داخل أرجاء غرفتها وهي تحيط خصرها
بكفي يدها..

تفكر في الخطوة الثانية التي يجب عليها فعلها بعد أن اكتشفت
أنه قد تم غشهم من قبل والد جالا..

كان زوجها محمد يشاهد التلفاز بحجرة المعيشة ولا يدري عن
المصيبة أي شيء وكأنه بعالم آخر ولا يبدو أنه سمع بالعراك
الذي حصل ببيت ابنه فوق..

تابعت روعة الدوران في أرجاء الحجرة قبل أن تلمح احدى
صور مراد مع جالا بيوم زفافهم موضوعة على المنضدة
الملاصقة لسريرها..

ضيقت عينها بغضب وهي تركز بالصورة وتتنفس بقوة لاهثة
بينما تقترب منها..

مدت أنامل يدها لتحمل الصورة للحظات وهي مستمرة بتأملها
بمقت قبل أن ترميها أرضا وتتحطم إلى قطع صغيرة..

هتفت بتوعد ونبرة قوية

((لن أكون روعة إذا بقيتي زوجة لأبني الوحيد يا ابنة سميحة))

لحظات بعدها وكانت روعة تتوجه نحو الهاتف الأرضي لبيتهم
تطلب فيه رقم والد جالا..

وكم تمننت بهذه اللحظة لو امتلكت رقم هاتف بيت والدتها..

فغيظها من أمها يفوق والدها بكثير..

.

.

بنفس الوقت.. في بيت فيصل الدال..

تناهى إلى سمع لينا كبرى بناته من زوجته المتوفاة صوت
رنين الهاتف الموجود بحجرة الجلوس..

كانت قد أنهت قبل دقائق مكالمة لها مع إحدى صديقاتها..

فشهقت كمن داهمها الخطر لتهرول سريعا عائدة أدرجها
للحجرة ظنا منها أنها صديقتها ورفعت سماعة الهاتف..

وقبل أن تنطق بشيء وصلها صوت عدائي شرس أقرب
للصراخ

((سيد فيصل والد جالا معي؟))

للحظات عم الصمت بينهما..

كانت النبيرة غاضبة مما جعل عقلها يتوقف عن العمل ففغرت
فاها عاجزة عن إخراج صوتها..

سمعت روعة تهتف لها بصوتها اللاهث والمرعب من عدم
الرد

((أهلا سيد فيصل هل تسمعي؟ أنا زوجة محمد وأم مراد))

دق قلب ليña فجأة بدقات متسارعة ولم تعلم السبب إلا أنها
شعرت بأن ما ستقوله روعة سيكون مرعبا..

جاهدت ليña نفسها لتتطرق بتردد

((نـ.. نعم.. أقصد لا.. لا.. أنا ابنته ليña.. أهلا بك خالة روعة..
كيف حالك؟ هل حدث أي شيء يثير القلق لجالا؟))

بالرغم من آخر سؤال لها كان تفقد أحوال جالا إلا أنها داخليا
كانت تعرف ومن نبيرة روعة الغاضبة أن جالا هي من تسببت
لأحد بمشكلة تثير القلق لا العكس..

أمرتها روعة ببرود ظاهري بالرغم من صوت تنفسها القوي
من الغضب

((أريد والدك.. أريد التحدث معه.. الآن))

أخر كلمة قالتها بصراخ مفاجئ مرتفع النبيرة بعد أن عجزت
عن كبح غضبها..

لدرجة أن ليña اضطرت أن تبعد الهاتف عن أذنها حتى لا تتأذى
أذنها..

سرعان ما أعادته إلى أذنها لتقول بصوت مرتبك

((حسنا.. حسنا.. لكن ماذا أخبره؟))

أغمضت روعة عينيها وبدأت تكز على أسنانها وهي لا
تستطيع التحكم بأعصابها من بطينة الاستيعاب التي تتحدث
معا..

فتحت عيناها لتقول بغیظ شديد وبصوت بطيء ومتقطع وكأنها
تتحدث مع طفلة صغيرة لا تفهم

((قلت.. أريد.. التحدث.. لوالدك.. فيصل.. شخصيا.. عن ابنته
المصونة جالا.. هيا.. الآن))

بهذه الأثناء قدم فيصل والذي كان قد سمع الهاتف يرن لتجفل
لينا ويشحب وجهها ما إن انتبهت لقومه..

أشار لها فيصل الواقف على عتبة الباب بعيدا عن ابنته بيده
بحركة مفادها "من يتصل بك هي هذا الوقت؟"

أبعدت لينا الهاتف عنها تخفضه للأسفل وتكتم سماعه الهاتف
براحة يدها وهي تهمس لوالدها

((إنها صديقتي يا أبي))

هز فيصل رأسه لها بإيجاب قبل أن يرفع سبابته منبها إياها
بصوت منخفض

((حسنا ولكن لا تأخذي راحتك بالحديث معها في هذا الوقت
متأخر))

هزت لينا رأسها له طائعة وما إن غادر الحجرة انتظرت حتى
لم تعد تسمع وقع أقدامه لتتنهد براحة..

أخفضت بصرها للهاتف بيدها..

ارتبكت قليلا وهي تهز رأسها لا تعرف ماذا تفعل..

أخذت نفسا عميقا تستجمع فيه نفسها قبل أن تعاود رفع سماعه الهاتف لأذنها قائلة بصوت متماسك ومنخفض خشية أن يسمعه أحد

((نعم يا خالة روعة أنا معك.. والدي نائم ولا أستطيع إيقاظه من النوم.. أخبريني ماذا فعلت جالا وأنا سأخبره بالصباح))

لينا لها معرفة بجالا وتصرفاتها الخرقاء أكثر من أخواتها الثلاثة الأصغر منها سنا مينا ورينا ودينا..

ربما لقرب عمرها من جالا فهي تصغرها بسنة..

كما كان من نصيبها الكثير من الأذى من جالا بطفولتهما..

الخالة روعة زوجة العم محمد ولو أنها كانت غريبة عن عائلة الدال ولكنها كانت تحب أمها وتحبهن هي وأخواتها على عكس جالا وهيام وأمهما..

لكن الآن بدت إنسانة مختلفة لا ترى من تتكلم معه..

بدت بقمة غضبها فعرفت لينا بأن جالا افتعلت مصيبة كبيرة ومختلفة..

وخشية على قلب وصحة والدها الضعيف ارتأت أن تعرف هي ما المشكلة التي افتعلتها جالا أولا قبل أن تخبرها لوالدها بعد أن تحاول إعادة صياغتها بطريقة أخرى تكون أقل وقعا ومصيبة عليه وبدون أن تؤثر على صحته..

قالت لها روعة ساخطة

((أقول لك يا لينا إنه أمر عاجل وأنا بحاجة للحديث مع والدك فتتجججين بنومه.. ألا تستطيعين جعله يستيقظ؟))

إلا أن لينا ردت عليها بإصرار وصرامة

((لا.. لا أستطيع.. أخبريني أنا أولا ثم سأخبره فيما بعد))

وببساطة وبدون مقدمات قالت روعة

((حسنا كما تريدین.. سأخبرك ماذا فعلت أختك الفاجرة الآن
لكن أريد منك إيصال كل كلمة أقولها لوالدك حرفيا.. فأنا لن
أسمح لها بأن تمضي الليلة هنا.. أريد من والدك أن يأتي حالا
لأخذها))

عند نطق كلمة "فاجرة" شعرت لينا بشيء يبث قشعريرة باردة
بأطرافها..

ثنت بداخلها على نفسها لقرارها بتلقي المكالمة ومبادلة خالة
روعة الحديث بدلا من والدها فيبدو أن الأمر أخطر بخطير من
مشاكل سطحية تحدث بكل منزل وبين أي حماة وكنة..

فهي لم تذمر من عناد جالا أو جرأتها أو قلة أدبها أو عدم
احترامها للأكبر سنا..

بل نعتتها بما يمس شرفها وسمعتها.. أي شرف وسمعة العائلة
كلها..

ابتلعت لينا ريقها بصعوبة لتقول بصوت متذبذب

((خالة روعيني أرجوك أخبريني ماذا حدث وسأقول لأبي
فورا))

هزت روعة رأسها بتوعد لتقول لها خلال أقل من دقيقة عبر
الهاتف كل الكلام المفجع

((أختك الفاجرة يا لينا ليست عذراء.. لو كانت تزوجت من
شخص غريب لكان فضحها من بداية أول ليلة من زفافهما ولو
أمتنعت عنه لأخذها بالقوة.. بل لبث الجميع السموم فيه ليفقد
عقله ويدفنها حية.. لأنها زانية.. هل تسمعين ماذا أقول؟ أختك
زانية.. وهل تعرفين مع من زنت؟ مع خطيبها السابق كارم..
الآن عرفت ما كان يثير فضولي سابقا عن سبب تركه إياها..
فبعد أن سلبها شرفها ترك تلك القمامة لأبني.. أخبرني والدك

أني لن أسمح لتلك القمامة بأن تبيت أو تنام هنا الليلة.. أبني
سيطلقها الآن وعلى الفور لان ما بني على باطل فلن يكتب الله
له الاستمرار.. سنجعله يطلقها بدون أي ضجة أو بدون أن
يعرف أحد بالقوية حقيقة أختك الفاجرة فقط لأن الله أمرنا
بالستر وعلينا أن نطيعه فيما أمرنا به))

ثم أغلقت روعة الهاتف في وجه ليلى التي خرجت من شفتيها
شهقة وكأنها استوعبت أخيرا ماذا قالت الأخرى قبل أن تغلق
الهاتف..

رفعت ليلى بعد لحظات يدها على صدرها بذهول لا تصدق ما
سمعته لتتمتم من بين شفتيها

((مستحيل.. لا أصدق.. مستحيل))

مدت يدها التي تمسك الهاتف لتضعه على قاعدته ومن شدة
ارتجاف حركة يدها لم يوضع بمكانه الصحيح بدقة..

ثم جلست ليلى على الأريكة بجانبها لتحنى رأسها تحيطه بيديها
وهي تفكر بأن تعتبر نفسها لم تسمع شيئا مما قيل..

لتذهب للنوم ولا داعي لأن يعرف والدها أو أي أحد آخر أي
شيء..

فمن يدري.. ربما يُحل الموضوع أو تطلق بدون أن يتطرق
أحد بهذه التفاصيل لوالدها..

لكن أي ستر بالضبط تتحدث عن الخالة روعة بعد ما فضحتها
الآن أمامها؟

أما روعة بعدما أغلقت الهاتف بغل جلست على أقرب كرسي..

الآن سيأتي والد تلك الفاجرة ويأخذها من هنا بلا رجعة..

ولكن.. حتى بعد ما فعلته شعرت بأن نيران غضبها المشتعل لم
تخمد أو تقل على الأقل..

شعرت بأن عليها أن تتصرف هي بالأمر كله فمراد خيب ظنها
من ردة فعله الباردة..

لو كان رجلا آخر مكانه لكان جن جنونه وقتلها بأرضها بل لم
يكن سيتحمل الانتظار لشهرين قبل أن يكتشف هذه الحقيقة..

في الدور الثاني..

كان ما يزال مراد بالشرفه بمكانه.. شارد ببوس بلا شيء..

تذكر مشاهد ولحظات من ليلة حفلة زفافه بالوحيدة التي أحبها
قلبه والتي كانت عبارة عن حلم جميل..

بفستان جالا الأبيض.. الزغاريد هنا وهناك.. التهنئة من كل
حذب وصوب.. دق طبول الفرحة.. تراقص الحضور ابتهاجا..

وقتها ظن بأن الأحلام الوردية ستبدأ في خط سطورها له مع
جالا بعش هاني..

حتى ما حدث قبل قليل ليكون بمثابة مفاجأة من العيار الثقيل
له..

بمثابة شيء يعبث بعقله وفكره ليجبره أن يدفن حبه لها حيا..

نعم حيا لأن حبه لها من المستحيل أن يموت..

المهم أن نهاية هذا الحلم الجميل هو كابوس مزعج..

والآن ماذا سيفعل؟

فوالدته تعرف بالأمر أيضا وربما الآن تتحدث بشأن ما حدث
لوالده وما هي إلا مسألة دقائق قبل أن يصعد والده عنده وينفجر
بوجهه..

من المستحيل أن يسمحوا لهذا الزواج بأن يتم أو يبقى..

وحتى لو لم يسمحوا هل كان سيبقى على زواجه منها بعد ما
سمعه عنها؟

هو لم يكن يفكر بكامل قواه وتركيزه لذا دخل كلام والدته بعقله
لكن ما إن حاول الرجوع لجالا لإثبات صحة كلام والدته أو
نفيه لم تدافع عن نفسها بقوة..

هي حتى لم تنفي أمر كارم؟ بل بعدما كف لسانه عن الكلام
وقامت نظرات اللوم بمهامها انفجرت جالا دفاعا عن نفسها
بكلمات واهية ضعيفة..

إذا هي مذنبه.. ومع من؟

مع غريمه الذي لا يستطيع حتى تخيل ما أول ما فكر به عندما
سمع بارتباطه هو بمن سلبها أغلى ما تملك..

بل هل فكر سابقا ماذا كان رأي كارم عندما عرف بأن من كان
صديقا له تزوج من خطيبته السابقة لأنه كان واقع بالحب معها
بالبداية؟

زفر مراد بضيق وهو يضرب بقوة سور الشرفة المصنوع من
معدن متين لتدمي يده بفعل بعض الخدوش التي أصابته من قوة
الضربة..

وماذا يهمه بماذا قد يفكر به كارم عندما علما بزفافهما؟

هما تركها بعضهما بارادتهما بدون أن يكون له أي علاقة
بالأمر وقبل فترة من علمه بالموضوع من الأساس..

وكرجل من حقه المحاربة من أجل من أحبها يوما وعدم تضيع
فرصة أتاحت له بل ويحارب الجميع للحصول عليها ما دام لم
يخطئ بحق أحدهم..

لكن هي لم فعلت هذا؟ لم غدرت به؟

هل كان دافعها الوحيد للزواج منه فقد لتستر على نفسها بعدما
تركها ذاك النذل واقعة بهذه المصيبة ومن ثم طلب الطلاق منه؟

لهذا لم تكن ترضى بقربه أو لمساته؟ لأن لا نية لها بإكمال
زواجها معه؟

والآن ليعد لموضوعه الرئيسي وهو ماذا سيحدث تاليا؟

لأن جالا من نفس عائلته وما يسمها يمسهم فبالتأكيد والده
سيحرص على تطليقه منها بدون أي فضيحة أسرية لن تستطيع
تحملها أي من عائلتيهما..

وهكذا ينتهي حلم ظن أن سيبقى حلما وقبل حتى أن يبدأ..

ويشك بأنه قد يستطيع تخطيها وقد أوشكت بيوم أن تصبح له
للأبد..

لكن لو لم تطلق منه فهل سيكون قادرا على أن يثق بها
ويحترمها كزوجة تخاف الله وتتقيه فيه وهي لم تخافه بأفعالها
هي؟

هو عاش معها لأكثر من شهرين ولم يرَ منها أي سوء أو
تخطي لخطوط حمراء..

لم تقطع فرضا من الصلاة.. بل وأخبرته بأنها كانت سابقا تنوي
التحجب حتى قبل أن يأمرها بلبسه..

لربما تابت لربها..

لكنه خدعته بالفعل.. استخفت به.. كان بالنسبة لها عبارة عن
أداة للستر..

بل هو حتى لن يكون قادرا على أن ينتفض أمام والديه ويرفض
طلاقها لو طلبوا لأنها وببساطة هي نفسها لا تريد البقاء
متزوجة منه..

أما لو كانت تريد البقاء على زواجهما..

فبكل حقيقة هو لا يعرف ماذا كان سيفعل..

تحرك مراد نحو الداخل بعد أن لم يعد يشعر بأطرافه من شدة
البرد حوله بالشرفة..

لحظات وكان مراد يلتقط مفتاح سيارته ويخرج من شقته..

سمعت روعة صوت وقع أقدامه القوية وهو ينزل من الدرج
مهرولا فخطت سريعا نحو باب شقتها لتراه وهو ينزل الدرج
فتهدف به

((مراد إلى أين تذهب؟ هي من يجب عليها المغادرة من هنا لا
أنت؟ مراد اسمعني))

إلا أنها لم تسمع أي رد منه بل تشك بأنه قد أصغى لحرف منها
وهو مستمر بالهرولة للخارج..

تمت روعة شاتمة قبل أن تصعد هي الدرج بنفسها وبخطوات
كبيرة مسرعة لا تتناسب مع عمرها لشقة مراد..

بحثت روعة عن جالا بعينها ثم زعقت بصوتها عليها لتفرغ
غضبها وتكمل وصلة ضربها لها..

إلا أنها صدمت عندما لم تجدها بالشقة من الأساس..

=====
=====

في العاصمة..

كان الليلة راجي برفقة سارا يصنع معها ذكرياتهما المفضلة
للعام السابق..

منذ أول يوم رآها وحتى هذا اليوم يقدر بأقل من سنة..

ولكن كمية الأحداث والموقف بينهما كانت أكثر بكثير لتكون
محصورة بطول المدة.. أهمها زواجهما..

اليوم أنهى راجي أخرى امتحان له وهذه الليلة لا توجد أي
مذاكرة تشغله عنها..

أمامها ليلة جميلة سويا ليحتفل بها عوضا عن ليلة رأس السنة
التي أضاهاها كما وعدها سابقا..

بداية شاهدا فلما مضحا..

ليمضيا بعدها معظم الليلة بتبادل الحديث ووضع معاً خطط
العام الجديد..

صنعا قائمة قصيرة من الأسئلة عن أحداث العام الماضي حيث
تم كتابة كل سؤال في ورقة ووضعها في علبه زجاجية..

وبشكل متبادل انتقى كل واحد فيهما ورقة ليجيبا عن السؤال
بداخلها..

كانت أسئلة خفيفة هي ما تم طرحها..

فمعرفة الأشياء الصغيرة عن الآخر هي التي تشكل الفرق..

هي التي تغذي وتقوي أي علاقة بين اثنين..

وحبهما كمن في التفاصيل الصغيرة اليومية التي تولد بينهما كل
يوم..

كالعناق.. القبلات.. مشاهدة الأفلام سويا.. التنزه بدءًا في يد..

أنهيا حديثهما وكل واحد فيهما يحدث الآخر عن الأشياء التي حققها مما أعطى لكلاهما شعوراً بالفخر والسعادة أمام الآخر..

حاولت سارا تسليته وإضحاكه وإمضاء وقت مليء بالفكاهة وهي تتقمص أداء احدى المغنيات في آخر أغنياتها..

كما حاولت منذ الصباح صنع طهو أكلة رائعة ووصفة حلوى جديدة..

لكنها فشلت.. وقبل أن تطلب أي شيء آخر جاهز..

أعد راجي ما يأكلانه بمجرد عودته..

مد راجي يده لها يدعوها لتجلس على الكرسي المقابل له حول الطاولة..

ابتسمت سارا له تلك الابتسامة الفاتنة وهي تعقد يداها تحت ذقنها المرتكي عليهما..

هدرت له بصوت وهي ترمقه بنظرات ساحرة

((أنت طاهٍ ماهر يا راجي))

ابتسم لها راجي باعتزاز ثم دمدم بخفوت

((لم أصنع شيئاً.. لا تبالغي))

وبالفعل لم يكن قد صنع شيئاً..

فقط القليل من الجبن والعسل.. عجة بيض ذات رائحة شهية..

بالإضافة إلى خبز قام بتحميمه بنفسه على النار..

أما الكويان الكبيران من مشروب الشوكولاتة الساخنة فقد
نجحت سارا بإعدادهما كما زينتهما بالمارشملو والكريمة
المخفوقة..

وطبق التحلية كان فوندو الشوكولاتة مع بعض الفواكه المقدمة
معه..

بادلها راجي الابتسامة وهو يقطع بشوكته قطعة من العجة
ليطعمها إياها..

ازدادت ابتسامته اتساعاً وهو يراها تمضغها بفرح..

مكوئها معها لعدة أيام كل أسبوع يجعله مبتهجاً.. بل كطفل
مدل..

لا يدري إذا ما كانت سارا قد توقعت بأنها ستصبح مدلته ومن
ستحظى بالدلال والراحة والاهتمام بمجرد زواجها منه..

لأنه إذا كان هذا ما ظنته فما حدث أنه هو من يتقبل منها لا
العكس..

بعمره وطريقة تفكيره قد تبدو فكرة الزواج مرعبة فليس من
السهل على من في سنه أن يتقبل مسؤولية كبيرة وجديدة كزوج
وأب دفعةً واحدةً..

ولكن زواجه من سارا لا يشبه الزواج الطبيعي المتعارف به
هنا بل وكأنهما عشيقان لا زوجان..

فلا مسؤوليات ولا أي التزامات..

إلا عندما يحاول أحياناً أن يفرض نفسه عليها ويأمرها وينهيها
فتراه متسلطاً وصارماً..

كانت عقارب الساعة تقارب الثانية عشر فقال لسارا بغموض
وهو يقف من مكانه ويمد يده لها لتتضم له

((هيا بنا يا سارا.. احضري مفرقات الورق الملون وبمجرد أن تتعدى عقارب الساعة منتصف الليل سنطلقها من الشرفة.. أو لا.. لنصعد إلى سطح المنزل حتى لا نلفت الانتباه لنا بشكل كبير))

اتسعت عينا سارا بشفاوة وهي تقفز له وتحيط ذراعيها كلياً هادرة

((حسنا.. هيا أحملني إلى السطح إذن وأسرع فقد تبقى دقائق على منتصف الليل))

قربها راجي أكثر محكما ذراعيه حولها هادراً بحرارة ((حسنا يا فاتنتي))

وفوق المنزل وعند السطح مغلق الأنوار كانت سارا تشعل بعض الشموع حولها هي وراجي..

وحولهم بالونات بألوان زاهية وعلى رأسيهما قبعة مدون عليها كلمات احتفالية..

وقف كلاهما معا فوق الكرسي وكان يحمل راجي بيده ساعة رقمية تبدأ العد لكم بقي على منتصف الليل..

التفت جانبا لسارا وهي تعطي له عود فيه قطع المارشملو مدون على كل قطعة بألوان الطعام رقم من أول عشرة أرقام..

ثم قالت له بحماس

((عندما يتبقى لمنتصف الليل عشر ثواني سنعد بشكل تنازلي ومع كل رقم ننطقها تناول معي قطعة المارشملو الذي تحمل نفس الرقم.. وعند الساعة الثانية عشر بالضبط سنقفز من على الكراسي صارخين بجو الاحتفال.. حسناً؟))

ضحك بخفوت لها وهو يغمغم

((تريدين منا القفز؟ حسنا وليكن.. ولكن توقعي أن يستاء
جيرانك المجاورين لك من قفزنا وصراخنا.. لقد حذرتك))

لكن سارا هزت كتفيها بلا اهتمام.. آخر ما تهتم به هو حفظ
حقوق الجيران..

دقائق.. وبدأ العد التنازلي.. من رقم عشرة..

وعند آخر رقم نطقاه وهما يقفزان ويصرخان من على الكرسي
رفعت سارا كاميرا بولارويد الفورية لتلتقط صورة لهما..

كانت هذه الصورة واحدة من أجمل الصور التي تم التقاطها
لهما معًا.. ربما لما رافق هذه الصورة من جو من البهجة
والمرح..

لم تنس أيضا فرقة البالونات من حولها المليئة بقصاصات
الورق الملون لينها هذه الليلة الممزوجة بضحكاتهم الصاخبة..

اقتربت سارا منه تدمدم بدلال وهي تلامس خصلات شعر
رأسه بأناملها

((كانت ليلة جميلة.. ولكني لا أريد النوم الآن.. لنلعب لعبة
الكنز المفقود))

ثم لثمت ذقنه قبل أن تنقل شفتاها للأسفل برقة ونعومة على خط
ترقوته فوق ملابسه الخفيفة التي يلبسها تحت معطفه المفتوح
مبتسمة لصوت أنفاسه المتسارعة وذراعيه اللتين اشتدتا حولها
بينما يهدر هامسا لها بخشونة مشاكسا

((لم اللعب هذه اللعبة بطفولتي لألعبها الآن))

كانت ترتدي سارا منديلا ملونا بألوان تتماشى مع لون ملابسه
كعصاة لرأسها حيث تربطه بطريقة لطيفة لإضافة مظهر
جذاب لها ولبقاء شعرها الطويل الطائش بعيدًا عن وجهها
خاصة مع رياح الشتاء العاتية من حولها..

فاعتزضت لراجي بنعومة وهي تحرر المنديل من على شعرها
لتمده له هادرة

((حتى ولو لنلعبها.. المنديل هو الكنز.. سأخبئه بمكان ما
بالمنزل وأتحداك إذا وجدته أن أفعل لك أي طلب تريده..
ولأساعدك سأترك لك علامات ورقية في أنحاء متفرقة من
المنزل تشير إلى مكان الكنز))

ضيق راجي عيناه على كلام سارا قبل أن تلمعا بنيتيه بعمقهما
بشقاوة.. كركوة قهوة قديمة..

بينما تمرر سارا أناملها على طول رقبتة ليهمس لها بصوت
مبحوح مشاكس

((العلامات الورقية ليست كافية لأجده بسهولة.. أريد منك قبل
علامات أوضح))

رفعت سارا نظرها له تهتف بحرارة

((حسنا إذا لم تجدها بسرعة فيمكنك البحث في مكان آخر مثل
أسفل الأريكة الكبيرة التي ننام عليها بالعادة))

ابتسم لها راجي بشقاوة ليرفع جسدها بذراعيها بقوة وقيل أن
يهتم باعتراضها الواهن الضاحك كان قد نزل الدرج كله لداخل
البيت مجددا قيل أن يضعها فوق السرير..

وما هي إلا لحظات وكان كل منهما يفقد نفسه بذراع الأخر
يسمح لروحه أن تُخلق إلى أعالي السماء..

=====
=====

أشرقت شمس يوم جديد فنهض احمد من نومه ثم خرج من
الحجرة الأخرى المقابلة لحجرة نومه بمنزله..

في ليلة الأمس فتح باب بيته بدون أي اهتمام لشيء آخر وما إن حرك المقبض لدخوله حتى لمح إيمان تخرج من المطبخ تنفقد القادم من خارج البيت..

رمقته بنظرات غاضبة لكن غامضة ووجه عبوس قبل أن تعود للداخل لتكمل ما كانت تفعله..

ففهم أنها تريده أن يدخل ولن تحاول افتعال أي مشاكل أو مشادات وسيتفاهمان بوقت آخر مناسب أكثر..

في الوقت الحالي دلف للمطبخ ليرى طاولة الطعام خالية من أي أطباق معدة له ليتناولها على الفطور قبل عمله..

فتح الثلاجة ليرى ما إذا أمكن إيجاد ما يمكن إعداده ولكنها كانت شبه خالية..

زفر بضيق شديد.. فالיום عنده جلسات كثير وسيكون حافلا.. ولا ينقصه أي شيء ليعكر عليه مزاجه حقا..

هو منذ أسبوع لم يدخل البيت لذا كان عليها هي إعلامه بمستلزمات وحاجيات البيت.. المهمة..

اقترب من مغسلة المطبخ ليغسل وجهه مرة أخرى ثم بحركات عنيفة غاضبة زفر بحنق وهو يغلق رذاذ الماء ويندفع نحو للخارج..

دلف لجرة النوم ليلتقط شيئا ليرتديه قبل أن يذهب لعمله في هذا اليوم ببؤس..

بالكاد يطيق نفسه.. ألا يكفي كآبة طقس هذا الأسبوع الشتائي الذي يختزل أشعة الشمس الدافئة بصقيع ينخر العظام..

ورغم التدفئة إلا أن جسده وطوال نومه بجرة أخرى غير جرة نومه أمس كان غير محميا من البرد الذي تسلل له من

تحت الأبواب وشق النافذة أعلى الحائط والذي وعلى ما يبدو تم
كسر جزء منه حديثاً..

هذا غير ألام رقبتة واعوجاج ظهره من النوم على الأريكة التي
مع كبرها فلا تتسع له كاملاً..

أنتبه بعد لحظات على إيمان تدلف الحجرة بعد أن اغتسلت هي
الأخرى..

كان يرتدي ملابسه ببطء زماً شفتيه بحق قبل أن يفاجئها
بسؤاله الغليظ

((أليس هناك فطور اليوم؟))

لم تجبه إيمان وهي تنفض دثار السرير وتستلقى على فراشها
الدافئ لتعاود تلتحف تحت أغطيته..

لقد سبق وأن اهتمت به طوال سنين زواجهما وبأخر شهر بذلت
أقصى جهدها لحصول على رضاه..

لكن ماذا جنت من ذلك؟

لذا قررت إتباع أسلوب التجاهل والتقليل من احترامه بمعاملتها
معه من الآن وصاعداً..

عم الصمت بينهما.. ليعقد بعدها احمد حاجبيه سائلاً

((ألن تذهب لعملك الآن؟))

كان تقرير أكثر منه تساؤل.. وعندما لم تجبه أكمل لبس
القميص وهو يغمغم ساخراً

((إذا كنتِ تريدين التوقف عن العمل فصدقيني سأكون مسروراً
أكثر منك.. على الأقل سأخلص من منك عليّ بأموال راتبك
الذي لا يتجاوز ربع راتبتي الذي أصرفه عليكم.. ولكن لا
تنتطعي عن المدرسة والطلاب فجأة بهذا الشكل.. بل تابعي

التدريس فيها حتى يجدوا بديل عنك.. لا لشيء إلا لمصلحة
الطلاب))

ولم يجد ردا منها.. فاحتقن وجهه من تجاهلها ليشرح بنظره
عنها بغضب وهو يلتقط حُلة له بلونٍ كريمي هامسا

((إذا اعتقدت أن تصرفاتك هذه قد تجعلني أغير رأيي بشأن
زواجي الآخر فأنتِ مخطئةٌ جدا.. لذا شغلي عقلك وأهتمي
بأبنك وما عليك القيام به يا إيما.. هذا إذا أردت من زواجنا أن
يبقى قائما))

هنا عندما أمرها وجدت نفسها تعتدل جالسة من مرقدها وهي
تنظر لها بعينيها الفاترتين لتقول بصوت مقتضب

((إن الزواج يا احمد هو رباط مقدس يجمع الرجل والمرأة على
السراء والضراء.. لذا أنا وأنت تترتب علينا مسؤوليات
مشتركة في تربية ابننا لا أنا وحدي.. يا دكتور..))

كان يتأكد احمد من كون قميصه الأبيض الذي أختاره نظيفا
ومكويا..

ارتدي احمد قميصه المزركش باللون الأرجواني الفاتح مع نمط
مقلم دقيق جعل حلته مهندمة أكثر.. بعيدا عن البهجة التي قد
تنقص من مظهره..

ثم هدر بها بنفس درجة السخرية التي كان عليها كلامه السابق

((الزواج رباط مقدس؟ ماذا تقصدين؟ وهل في حال قررت
الزواج من هيام سأدنس زواجنا أنا وأنت؟ هل من الأفضل أن
ازني حتى أحافظ على قدسية زواجنا؟))

شدت إيمان على أسنانها لتصرخ به

((توقف عن التلاعب بالكلام.. هل الدنيا ابيض أو اسود بالنسبة
لك فقط؟ إلا يوجد أمامك إلا خيارين أن تتزوج أو تزني؟ ألا

يمكنك يا احمد أن تحفظ نفسك.. اعتبر نفسك أنك ما زلت فقيرا
ولا ترقى بعد لمستواهم المادي والاجتماعي كما الماضي وهم
لا زالوا على قرارهم برفضك بالزواج منها.. ماذا كنت ستفعل
وقتها؟ هل كنت ستزني معها وهي ستوفك ببساطة؟ هل هي
رخيصة لهذه الدرجة؟))

شعر احمد بمشاعر عنيفة تثير فيه وتكاد تتفجر من داخل
عروقه فصاح بها

((اخربي.. لا اسمح لك بالتحدث عنها هكذا فهي ستصبح
زوجتي.. مثلك مثلها لا ينقص من حقوقها شيء عنك.. ما بك
يا إيمان؟ لقد جننت بالفعل.. لا أصدق أن هذه هي أنت.. لماذا
تكرهينها أنها ابنة عمك.. هل مشكلتك أنني أريد الزواج منها
هي؟))

فتحت إيمان عيناها على اتساعهما..

هو السبب الذي جعلها حالها تصل إلى ما آلت عليه الآن..
فلماذا هو مندهش بهذا الشكل؟

ثم الآن يتذكر أنها ابنة عمها؟ أين كانت صلة القرابة عندما
كانت مستمرة بالتواصل مع زوج ابنة عمها..

بل وما يغيظها أن غاضب عليها لأجلها..

منذ أن عادت تلك الحقيبة لحياته وهو يتحول من ذلك الرجل
الهادئ الحكيم الرصين في حل المشكلات واستيعاب الأمور
إلى ذلك العصبي الغضوب فيحول دائما البيت عند أي مشكلة
إلى جمر نار..

يعبس في وجهها لأجل أية خطأ ترتكبه أو نسيان أو غفلة
فتعيش معه في حالة ارتياكيه حساسة بنيسة تخشى من أي خلل
وترتعد من صرخاته التي تعلقو في جنبات البيت بالتهديد
والوعيد..

لكن لن تسمح له بالتمادي أكثر وقد حان دورها هي أن تغضب عليه وتحول حياته لجحيم..

صرخت ايمان به بعنف

((لا هيام ولا غيرها أيها الأحمق.. معي مشكلة بأي واحدة قد تختارها زوجة.. ولماذا تتزوج من الأصل؟))

تجاهله شتيمتها له..

وسرعان ما قذف ربطة عنقه التي التقطها أرضا بعد أن شعر بعدم ضرورة ارتدائها الآن..

سمعها تسترسل كلامها بصوت متذبذب ومتخبط

((لا امدح نفسي يا احمد ولكن لا ينقصني شيء.. أنا جميلة وليفة وطاهية ماهرة.. وأنجبت لك عدنان.. ولم أنقص في حقك شيئاً.. فلماذا تتزوج؟ أينقصك شيء؟ هيا أجنبي.. أنا كنت احبك من أعماق قلبي.. لا أستطيع أن أرى ما تفعله بي إلا "فراغه عين" وغدر وخيانة منك.. كيف تحبها هي بدلا مني وأنا زوجتك.. ماذا فعلت بك لتحبها هي وتكرهني أنا.. لماذا لم تستطع أن تحبني؟))

لم يجب على كلامها وقد شعر بنبرة ألم وانعدام ثقة على عكس ما تتسلح به بما يخص هذا الموضوع..

ولأنه لم يرد أن يكون قاسيا معها وهو يخبرها أن رأيه لم يتغير فيها..

قال لها بصوت هادئ أخيرا يقاطع الصمت بينهما الذي ضل بعد أن الفت كلماتها

((لا أنكر ذلك.. وردا على سؤالك فربما ينقصك شيء.. وربما لا.. أياً كان السبب.. فلست ملزما بإعطائك سببا على ما سأقوم بفعله ما دمت قادراً وعادلاً.. وأنا أخبرتك مرارا بأني لا

أكرهك.. بل أحبك.. ولكن حب مختلف.. ليس نفس ذلك الحب
الذي أكنه لها.. ولن أظلمك))

ابتسمت بتهكم على حديثه.. كم هو بارع وقد جعل نفسه الطرف
المظلوم بينهم..

وسرعان ما اجتاحتها تلك الرجفة التي تعصف بها من وقت إلى
آخر وتجعلها تشعر بالضعف..

بل وتسبب لها الإنهاك وكأنها تقاتل حتى نفسها بلا أي هوادة
تتهكها..

وجدت نفسها تسند رأسها للوسائد خلفها لتتأوه بقوة هامسة وهي
تنظر للسقف

((يا أحمد.. أرجوك لا تدمر عائلتنا بعد هذه السنوات))

زفر احمد ببأس لإصرارها كصلابة الحجر فخرج من الحجرة
كلها..

شعرت إيمان بالإهانة من تجاهله لها وكأنها لا شيء..

فقامت من مضطجعتها بعنف وهي تلحق به بخطوات قوية
صارخة

((لست وحدك يا احمد من سأم الأمر.. أنا أيضا مللت يا دكتور
من النقاش.. بدأت اشعر بالسأم من الحياة معك أيضا كما
تفعل.. لكن بالنهاية نقاشنا لن ينتهي على الأرجح.. كل زوجة
بهذا العالم لها معايير مختلفة.. صحيح أن هناك بعض السيدات
اللواتي يمكنهن تقبل هذا الوضع.. ولكن أنا لا يمكن أن أقبل
به.. لا يمكن أن أتقبل وجودها.. كنت اعرف أنني لست حبيك
الوحيد وقبلت لكن لن أكون قادرة على تقبلها في حياتي.. لماذا
تجبرني على ما لا أطيقه؟))

لم يهتم بالرد عليها وهو يرتدي جواربه بينما يجلس على كرسي استعداداً للخروج بأسرع ما يمكن من البيت قبل أن يفسد مزاجه كلياً..

وبهذه اللحظة قررت إيمان بأنها واقعة بأخر ما يمكن أن تتسلح به لتهده وتؤثر على قراره..

وقفت إيمان مكانها قائلة له بصوت فاتر

((أنا أعرف انه بالنهاية لا يحق لي منعك.. لكن إذا فعلاً فعلتها يا احمد ستطلقني أولاً.. لأنني لا يمكن أن أعيش مع زوجي وأنا أشعر أن هناك واحدة أخرى تشاركني فيه))

فجاءه رفع احمد وجه لها.. لتركز عينيها بعينه بتصميم وقوة ظاهرية..

لاحظت تقلص بعضلة فكه من كلماتها وعقدة صغيرة داهمت الحد الفاصل بين حاجبيه..

رأته ينظر لها على هذا الحال للحظات.. لتهدأ بعدها ملامحه تماماً وهدوء غريب يتسرب بملامحه..

التقطت وتشربت عيناها ملامح هدوئه الأشبه بسحر خاص به هو وحده من يمتلكه..

زاد ثبات وجهها وهي ترفع رقبتها بنفس هدوئه الغريب على الرغم من نفسها المتسارع وعيناها المشتعلتان حتى ولو لم يكن بنفس قدرته على استعادة الهدوء لملامحه بظرف ثانيه..

حرك احمد شفاته أخيراً هادراً

((إيما أنا لن أجبرك على شيء.. لك مطلق الاختيار بالبقاء أو لا.. بالنهاية لو بقيت.. كل زوجة ستحصل على حقوقها الجسدية والمالية.. لن أظلم واحدة منك.. ولكن لو أردت عكس فلك ذلك))

فَرّ الدم من وجهها.. وكم شعرت بهذه اللحظة بأنه ينظر إليها
كسلعة مؤقتة لا يهتم بوجودها من رحيلها..

فهو يستطيع أن يلقى بديلا عنها..

لم تستطيع أن كرجل متطبع بطبع الخسة وقلة الوفاء..

يخبرها ببساطة أنه لن يهتم بطلاقها لو أرادت ذلك.. وبنفس
الوقت يلاحق الأخرى كالكلب المسعور لتقبل فيه..

وهي التي ظنت أن مقامها عنده دائما محفوظ..

هتفت ايمان بصوت متألم

((المشكلة ليست مشكلة الحقوق كما سبق وأخبرتكم مئة مرة..
المشكلة هي بإحساسي أن زوجي يجب أن يكون لي أنا بمفردتي
وآلا تشاركني فيه أي إنسانة أخرى مهما كان السبب.. صدقتي
سأطلق منك لو قمت بفعلها يا احمد.. أنا لا أمزح))

هز احمد رأسه موافقا ليقول ببساطة

((حسنا فهمت وأعرف أنك لا تمزحين.. في النهاية هذا
قرارك.. من جهتي أتمنى ولو بأخر لحظة أن تتراجعني عن هذا
الموقف المتعسف لأنني لا أريد أن يؤثر الأمر على مستقبل
ابني.. لكن بالتأكيد يمكنك فعل ما تريدينه لكن أنتِ المسؤولة
عن تثنييت عدنان بيننا))

ابتلعت ريقها وهي تنتظر له..

لحظات ثم ابتسمت له بعدها وهي تقول مبررة بصوت خافت

((ليس وكأنه سيتعرض للتشرد.. لا طبعاً.. فأنا سأتولى تربيته..
فتربيته أنا له وأنا بمفردتي ستكون أفضل مما لو تربي ووالده
بعيد أو مشغول عنه.. بكل الأحوال كنت ستأتي لزيارته مرتين

أو ثلاثة أسبوعيا.. وسيكون هذا هو الحال ونحن مطلقان.. كما أنه.. لن يمنع أن أتزوج بأخر لو أردت))

قالت آخر جملة متعمدة أن تثير غيرته عليه.. حتى يعرف جدية قرارها بالطلاق وتبعيته..

إلا أنه صدمها وهو يقول بنفس البساطة وقد عرف ما تحاول إثارته فيه

((كما أخبرتك إيما سابقا.. كلانا له مطلق الحرية بما يريد فعله.. أنا سأتزوج رغما عنك وعن الجميع ممن أحببتها من البداية.. وأنت إذا أردت الطلاق فلك ذلك.. وإذا أردت الزواج بعدها فلك أيضا ذلك.. فقط تنازلي عن حضانة عدنان لي قبل أن تتزوجي))

حفظت عيناها وهي تصرخ بوجهه

((هل أنت مجنون؟ كيف تريد مني أن أتخلى عن ابني؟ لن استحق لقب أم إذا فعلت ذلك ولن أستطيع النظر لوجهي أو وجه ابني لو تخيلت عنه لأخرى))

تخلى عن الهدوء وهو يصرخ بوجهها عاقد الحاجبان

((إذن لا تطلقني.. أخبرتك أنني متمسك بك ولن أطلقك.. سأتزوجها وأسوي بينكما.. ولن افعل أي شيء يمس كرامتك أو يؤذيك))

أشاحت بوجهها عنه ما إن بدأت عيناها تلمع بالدموع بداخلها لتقول له قبل أن تعض شفتها السفلية

((أفضل أن تقتلي على أن تجلب لي شريكة بك))

زفر احمد بضيق وهو يقول

((إذن سأطلقك.. هذا أفضل من أن اقتتلك.. وإذا أردت أن تحتفظي بحضانة ابنك لا تنزوجي وربيه جيدا.. ولا تقلقي.. سأحفظ لك كل حقوقك المالية.. سأعطيك المؤخر كامل مع أنك أنت من تطلبين الطلاق وأنا لم أقصر بحقك بشيء))

التفت برأسها تنظر له غير أبهة للدمعات التي بدأت بالانزلاق على وجهها

((نعم عليك أنت أن تطلقني لأنني لن أخلعك.. فأني عدلي في أن أخسر كل ما أملك لأخرج من علاقة تستطيع التملص منها بكلمة واحدة دون أن يخسر شيئاً؟ ناهيك بسنوات الجري في المحاكم وأتعاب المحامين حتى يصدر الحكم.. كما أنني اشعر بالظلم بمجرد الطلاق فما بالك أن أخسر حقوقي أيضاً؟ والذي لم يطلب منك مؤخر بقيمة كبيرة ظنا منه أنه يشتري رجلا.. نعم لم يكلفك زواجك مني أي شيء))

تجهم وجهه قليلا وهو يرد عليها لكنه رد عليها قائلا

((حسنا.. كنت أفكر بالأمر منذ مدة وسأخبرك به.. سواء قررت الطلاق أو لا.. سأكتب لك هذا الشقة الضخمة كلها باسمك.. تعرفين أن هذه الشقة التهمت جزءا كبير من راتبي الشهري لمدة سبع سنوات بل وأكثر.. ومع ذلك سأكتبها لك عن طيب خاطر مني كلها باسمك.. وسأستأجر شقة أخرى أصغر حجما لهيام.. شقتك ستكون أفضل وأكبر من شقتها))

داعب ثغرها شبح ابتسام قيل أن تغفر شفتاها المرتعشتان ومن بين الدموع المناسبة على وجنتيها الشاحبتين لتقول له

((نعم وأنت بعدها ستعيش سعيدا مع تلك الحقيير التي تحاول سرقتك مني.. صدقني لو تزوجتها ورأتك تموت أمامها فلن تحاول حتى أن تساعدك ماديا.. على عكسي أنا التي كنت ودية لك وقاسمتك الحياة بلوها ومرها.. ألا تستغرب لم قبلت الزواج بك؟ ببساطة لقد وافقت على الزواج منك فقط لأجل النقود ومكانتك.. لم يسبق لها وأن حرمت نفسها لأجل زوج أو

ابن عكسي أنا من أفنيت سنين من شبابي وصحتي لهذه العائلة
وعملت بالداخل والخارج وكل راتبي كان لأجل أن نبني حياة
مع بعضنا وبالنهاية تريد مني أن أرى كل تعبى ذهب لأخرى
وتمن عليّ أنك لم تعطيتها شقتي لتسكن بها وأسكن أنا
بالإجار؟))

صرخت إيمان به بكل الجنون الذي انفجر بداخلها في لحظة
واحدة وهي تتهجم عليه وتضرب صدره بقبضتيها

((ثم هل أنت واعي لما تخيرني به؟ تقول لي الزواج مرة ثانية
أو الطلاق؟ بعد أكثر من سبع سنوات ونصف نفسيا وجسديا
وماديا وأتحمل فقرك بعد أن كنت مدللة ببيت عائلتي وأتحمل
سوء تصرفاتك أنت وعائلتك لتأتي تلك الحقيرة وتتنعم بكل هذا
بدون لا مسؤوليات أو أقساط بيت أو سيارة؟ هل كنت طوال
هذه السنين مربية وخادمة لك فقط؟))

أمسك احمد بكففيها وهو يدفعها بقوة عنه حتى ارتطمت بالجدار
البعيد عنها فأغمضت عيناها متأوهة..

إلا أنه لم يهتم بعد أن وصل تلك المرحلة من الغضب..

كل ما تهتم به هو نقوده وأملاكه التي ستشاركها بها أخرى..
على عكس هيام..

تريده هو كيفما كان.. فقط تريده هو.. لنفسه وشخصه..

بل ورفضت الزواج من بعده حتى وقد كان لا أمل بزواجها منه
قبلا..

تنفس احمد بقوة قبل أن يصرخ بوجه إيمان الجالسة على
الأرض ببؤس تبكي

((إيما المسكينة.. هل فعلا كنت أسوء التصرف معك أنا
وعائلتي قبلا؟ كم أنت ناكرة فعلا.. أخبريني ماذا تريدين الآن

لأكفر عن تقصيري وعذابي السابق بحقك؟ لأنني سأتزوج بكل
((الحالات))

تطلعت له وهي تهز رأسها وتهمس باختناق غير مستوعبة
وهي تسمعه يردف

((لا أصدق أنني كنت أعيش مع وحش لا اعرف عنه طيلة هذه
السنين.. فجاءة أصبحت بي كل هذه السلبيات فقط لأنني أردت
الزواج من إنسانة لا ذنب لي أو لها سابقا بالافتراق إلا ظروفنا
الصعبة.. اعقلي ولا تخربي بيتك بنفسك..))

اتسعت حدقتها وبهنت ملامحها..

الآن هي الشخصية الشريرة بالقصة؟

إلا أنه أكمل القول وهو يذلف لغرفته ويحزم ملابسه داخل
حقيبة متوسطة الحجم

((سأذهب لأجلس عند والدي ولن اهتم بمراعاة مشاعرك أكثر
من هذا حتى يتم زواجي.. يجب أن يعرفوا بمعاناتي معك
والجحيم الذي أعيشه))

دفنت إيمان وجهها بكفي يديها..

لا ينقصها الآن إلا أن يهينها أمام أحد آخر حتى وتخرج منه
كلمات التقليل والإهانة والانتقاص عنها..

شعرت بهذه اللحظات أنها لا يمكن أن تكرهه أكثر..

لكن.. قريبا منهما.. في حجرة طفلها الصغيرة..

كان الباب مفتوح قليلا..

وكان هناك من راقب شجارهم وتابعه للنهاية ككل مرة تحصل
بينما مشاجرة لم يغفل عنها أيضا..

لكن اليوم يبدو أنه أتيح له مشهد لن يُمحي من ذاكرته أبداً..

خاصة وهو يرى والداه غاضبان ويتشاجران بصوت عالٍ..
اتهامات من كل طرف.. ناهيك عن الضرب والصراخ..

خاصة وهما أهم شخصيتان في حياته الصغيرة ليراها تهتز
بهذه الصورة..

الشجار المستمر بين أبيه وأمه والتوتر الدائم في البيت كانا
كافيان ليؤثرا سلبا على حالته النفسية ويشعر بعدم الأمان وعدم
الاستقرار..

=====
=====

ليلة عصبية مرت على جالا أمضتها بطولها في البكاء عقب أن
أغلقت الباب جيدا على نفسها..

والدتها قررت اخذ إجازة من عملها لتبقى معها بعد أن رات أن
حالتها لا تُسر أبداً..

لا بد أنها إحدى نوبات البكاء والجنون والعناد التي ستلبسها..

أما هيام قررت التأخر عن عملها بالجمعة حتى تطمئن عليها..

عند الصباح أخيراً فتحت الباب لتدلف هيام غرفتها..

ارتجفت جالا الممددة على سرير بين ذراعي شقيقتها وهي
تعود لتبكي فأخذت هيام بتهدئتها وهي تمسد بكفها فوق شعرها
البنّي الذي استطال قليلاً..

انتبهت هيام أن عينا جالا المجهدّة والمرهقة والتي تظهر أسفلها
هالات سوداء دليل على عدم نومها جيدا منذ الأمس بسبب
بكاءها..

فتمتمت لها بحنان متدفق من أعماق ثنايا قلبها

((أهدئي يا حبيبتي.. كل شيء سيكون بخير.. أخبريني فقد ماذا حصل بينك وبين والدته مراد مجددا؟ يبدو أن المشادة هذه المرة كانت كبيرة بينكما))

بعد مرور دقائق على هذا الوضع..

وبملاح جالا المتجمدة الكثبية مثل الجو بالخارج وبنبرة جافة خرجت من بين شفيتها قالت جالا مباشرة بدون أي مقدمات

((أسوء شيء في الحياة يا هيام هو الارتباط بوحيد أمه.. لأن والدته ستصبح منافسة لزوجته وستتدخل في كل تفاصيل حياتها لأنها ستعتبرها قد أخذت قطعة من قلبها.. وستحاول جاهدة أديتها))

ضحكت هيام بخفوت على كلامها واستنتاجها الطفولي الذي بدا غيبا رغم منطقيته..

ردت عليها هيام بهدوء

((لا نستطيع أن نعمم على كل الحالات يا جالا.. هل يعني نقول لكل الفتيات ألا يرتبطوا بشاب وحيد لأمه؟ الأمر فقط أن احتمال نسبة وجود مشاكل أو تحديات في الارتباط به ستكون أكثر من الارتباط بشاب له إخوة وأخوات))

وجدت جالا نفسها تستذكر كل الأحداث التي حصلت لها منذ زواجها من مراد مع والدته وابنة خالتها..

لتعتدل تلقائيا من نومها وترفع جذعها لتدفن نفسها في حضن هيام وكأنه طفلة صغيرة..

بدأ جسد جالا يهتز وهي تعود للبكاء أكثر من السابق بعد أن ظننت أن مخزون دموعها نفذ..

كانت الصدمة تعتلي هيام وهي تراها كيف تغرز نفسها أكثر بأحضانها وتتشبث بها بقوة.. وكأنها كانت بحاجة لهذا منذ زمن..

حاولت هيام أن تبعد وجه جالا المدفون بأحضانها قليلا لتري ملامحها وتسألها الصراحة معها..

لكن جالا رفضت بمقاومة قوية وهي تغمغم من بين بكانها

((هيام أنتِ لا تعلمين وليس لديك أي فكرة كم أعاني من المشاكل مع عائلة مراد منذ زواجي.. إضافة إلى التعب وترسب المواقف الكثيرة في نفسي بسببهم))

كانت جالا تغرز نفسها أكثر وأكثر بها وصوت بكانها يعلو بمجرد أن عادت لتذكر موقف الأمس ليعاود جرحها النزيف..

كم تود لو تحصل على الطلاق من مراد وتنسى ما حصل ليلة أمس والاتهامات التي كالوها لها وتدفعها هي وذكريات أخرى بعيدا في أعماق مكان بعقلها حتى لا تعود أي ذكرى بها قادرة على تنغيص حياتها بالمستقبل..

بقيت هيام تربت على ظهرها برفق..

وما إن خف بكأؤها حتى حاولت إبعادها عنها بركة وبشكل تدريجي..

ثم وضعت راحة كفها على وجنتها تسمح بأناملها دموع جالا تهدر بها وهي تحاول أن تجلي حنجرتها

((ألم تحاولي إخبار مراد بشيء مما يحدث؟ ألم تقولي لي سابقا على الهاتف أنه أصبح معك أفضل بكثير.. صحيح؟))

تهدت جالا بتعب..

هي لا تخبرها إلا أمور سطحية بل بالأساس لا تخبر أي أحد
الأمر التي تجري معها..

والآن ذكرها لمراد جعل عقل جالا يكرر عليها موقفه في
الأمس ليندفع الغضب إليها ودقات قلبها تصرخ ألما ومهانه
وإذلالا..

ارتسمت ملامح جليدية على جالا لكنها قالت بحيادية

((مراد غالبا ما يكون معي إذا اشتكيت له مما يكيذونه لي ولكنه
في الأونة الأخيرة وعند غضبه مني أصبح يرمي التهم عليّ
بأنني أنا المخطئة في حقهم.. وأنا متأكدة أنه في قرارة نفسه
يعلم أنني مغلوب على أمري معهم.. لكنه من كثرة زهم عليّه
وخوفه من نظرتهم له بدأ يميل لهم.. وبالأمس وقف بصف
والدته تماما وصدقها))

أغمضت جالا عينيها وهي تفرغ المزيد من الدموع لتقول من
بين بينها

((كلتا أمي وأمه ليست على وفاق ولكن أمي لا تفتعل أي
مشاكل مع مراد بعكسها هي.. دائما أغلب المشاكل تكون بسبب
أهل الزوج والأم خاصة.. ولم يسبق لي وأنا سمعت رجل
متزوج يتحدث عن مشاكل تقع من أهل الزوجة))

عادت هيام تضحك بخفوت على كلامها مما جعل جالا تزمجر
بها غاضبة

((هيام اسكتي.. لا تضحكي))

توقفت هيام عن ضحكها لكنها بقيت مبتسمة لها وهي تطبع قبلة
على جبينها هادرة لها بصوت حنون وجدي وهي تمرر أناملها
بخصل شعرها الناعمة

((بيدو أن والدته مراد تراك بمثابة تهديد تريد أن تأتي لتجني
ثمرة وشقاء تعبها بأبنها لسنوات طوال.. وكأنه يستحيل على

مراد أن يكون متوازناً في بر بأمه وأهله جميعاً والقيام بحق زوجته.. أنا..))

قطع حديثهما دخول سميحة وهي تضع طاولة صغيرة أمام سرير جالا وفوقها صينية الفطور..

تعرف جيدا عناد ابنتها عندما تغضب أو تحزن فتصر على الدخول بإضراب عن الطعام..

فإذا لم تحضر الطعام إليها وتطعمها بنفسها فلن تكلف جالا نفسها القيام بذلك..

أعدت لها سميحة الكثير من الأصناف المغذية والتي تحبها مثل البيض المسلوق.. قطع جبن المقطعة إلى مكعبات متساوية.. قشطة ومربى.. زيتون اخضر.. لبن.. خيار وطماطم مقطعة إلى شرائح..

ثم وضعت أمامها الخبز المحمص لنقول لها بصوت أمر

((هيا يا جالا تناولي طعامك.. ثم أخبريني على مهل ماذا حدث.. فلا تبدو زيارتك لنا الآن زيارة عادية.. تركتك بالأمس تنامين على راحتك ولم ألح على سؤالك لكن لن اصبر أكثر.. وبعدها ستعودين اليوم لبيت زوجك))

كفكت جالا دموعها وهي تعتدل جالسة القرفصاء على سريرها..

تتهددت قبل أن تشد قبضتيها بقوة وهي تقول بتصميم عكس نظرها المتردد والمنخفض للأرض بينما هناك دموع جديدة تتدحرج من عينيها

((أمي.. لا أريد العودة.. أنا أريده أن يطلقني))

رفعت جالا نظرها وكل ما فيها يخنق ضلوعها وهي ترفع
نظرها لتحقق في عيني أمها المفتوحتين على اتساعهما بذعر
وذهل..

شعرت بالقليل من الخوف من نظرات والدتها وهي لم تتوقع أن
الأمر سيكون صعبا كما يبدو الآن..

سمعت والدتها تنهرها بحاجبين معقودين بعد أن استوعبت ما
تقوله

((هل جننت؟ أي طلاق هذا بعد شهرين من الزواج فقط.. وما
سبب حضرتك؟))

أشاحت جالا بوجهها عن أمها متممة

((لقد مللت من الحياة هناك.. والدة مراد جعلتني أكره نفسي
وحياتي))

بقيت سميحة تحدد بها بصدمة وهي تركز على كل أنش منها..
وجهها الذي بدا ذابلا وحزينا رغم جمال محياه..

جسدها وقوامها النحيل الذي تغطية بأكوام من الملابس الشتوية
الدافئة أغلبها من ملابسها القديمة التي لا تزال موجودة بدولاب
ملابسها بهذه الحجرة..

بالرغم من أن ابنتها حاولت إخراج كلماتها السابقة بثبات إلا أن
شفتها المرتجفتان فضحتاه..

التفتت هيام لأمها وهي تقول بهدوء محاولة التقليل من الجو
المشحون وتبديد تلك الغيمة القائمة التي تحلق فوق رؤوسهن

((أمي تعرفين أن العيش مع حماة صعب سواء كانت طيبة أو
لا.. أساسا امرأتين اثنتين في بيت واحد تعني بداية الشر
وانعدام الخصوصية.. فكل واحدة سترغب بإثبات رأيها.. لكن

ما يهون الأمر عند جالا أنها تعيش بشقتها المستقلة بالدور
العلوي..))

عقدت جالا ذراعيها أمام صدرها وهي تقول بحنق لهيام
مقاطعة

((ما الفائدة من العيش ببيت مستقل وابنها يجبرني على زيارتها
كل يوم؟))

نظرت هيام ببأس لجالا لكنها عاودت الالتفات نحو أمها
تستطرد

((بحالة جالا يا أمي فأبنتك عصبية وضعيفة البنية ولا تحب أن
تعمل كثيرا.. والنساء الكبيرات يردن عملا وحركة ونفسا
طويل..))

زمرجت جالا بغضب

((إذا لماذا لا تطلب من ابنة أختها أن تعمل مثلي بدلا من تتأمر
عليّ هي الأخرى؟ ليس لديك أي فكرة عندما تدعو جاراتها
وصديقاتها هنا.. أنا الوحيدة حينها المجبرة على ضيافتهم جميعا
وترتيب البيت من بعد ذهابهم))

نظرت هيام لجالا بصمت بعينيها وهي تحملها لوماً وعتاباً
لتقول لها بصوت هادئ ورفق

((جالا أنت أيضا عدوانية بعض الشيء.. عاملتها مثل أمك
وستلاحظين تغير بها.. لست مجبرة ولكن سيكون من اللطيف
نزولك لشقتهم في بعض الأحيان.. تناولتي طعام الغداء أيضا..
حسّ مراد أيضا على زيارة أمه حتى لا تشعر أنك أخذتية
منها.. ببداية أيام زواجك كنت ترفضين النزول لشقتها
وزيارتها وهذا ليس تصرفا لطيفا منك.. يمكنك حل الموضوع
يا جالا بدون أن تتخذي أسلوب القطيعة والمجافة والتضاد مع
أمه.. ولو عاملتها من البداية بلطف وحنان فلن تجدي لديها أية

حساسية أو نقمة أو حالة من العداة.. حتى ولو كان هناك عداوة
بينها وبين امننا.. لكن لو اتقيتِ الله فيها ستضعك فوق رأسها..
فقط يجب أن تتم الأمور بالتدريج وبكثير من النوايا الحسنة
وبكثير من الدقة في التعامل))

لوت سميحة شفتاها بغير رضا وهي تنظر لهيام نظرات
تفحصيه..

ونفس النظرات الغير راضية كان جالا ترمقها لهيام قبل أن
تقلب عيناها بسأم وتهتف بانزعاج لها

((لا يا هيام.. ليس دائما من تتقي الله فيمن تشبهه والدة مراد
تعيش حياة سعيدة.. هناك نساء مريضات مهما فعلتي خيرا فلن
يتغير أي شيء معها.. ثم أنا لا أرى مراد ألا عدة ساعات طوال
أيام عمله الذي يبقى فيه أكثر من عشر ساعات.. ولا يدخل
بيتي إلا بعد مكوثه عدة ساعات أخريات عند والدته..))

وقبل أن تسمح بأي مجال لاسترسال الكلام بهذا الموضوع فكت
عقدة ذراعيها وهي تقول بصوت حاد ونظرات شرسة مصممة
لأمها

((أمي بعيدا عن أي شيء أريد أن أتطلق وحسب.. من
المستحيل أن أعود لهم أبدا.. ولا تسأليني عن السبب.. فقط
اطلبي منه أن يطلقني))

اتسعت عينا سميحة بعدم تصديق من تكرار جالا لكلمة الطلاق
بهذا..

فهرتها بنبرة شديدة العنف وهي تقترب منها صارخة

((أيتها المجنونة اصمتي فليس هناك أي طلاق سيحدث.. هل
تعرفين ما هو الطلاق أو مدى صعوبته لتنفوهي به كل دقيقة
بهذا الشكل؟ لن يحدث أي طلاق.. هل تفهمين؟))

حزم والدتها وشدتها بهذا الموضوع جعل جالا تهرب بعينها
من تحديق نظراتها المخيف وهي تحذرهما..

لقد توقعت أن طلب طلاقها سيكون أسهل قليلا لكون أمها تكره
والدة مراد ولم تكن راضية عن زواجها به..

تفاجأت جالا بيد والدتها التي أمسكت ذقنها لتعيد وجهها إليها
وهي تستطرد بقوة

((أنتِ ترفضين أن تقولي لي ما المشكلة التي حصلت بينكما
مؤخرا.. لكن هذا لا يهم.. أنا لن اسمح لك بالطلاق.. أنتِ
واقفتِ بنفسك على الزواج من مراد لذا عليك تحمل هذا القرار
لآخر العمر.. لا تهمني هذه المشاكل.. صحيح أنني من البداية لم
أكن موافقة على زواجك من مراد ابن تلك الأفعى ولكني لن
أوافق أكثر على حملك لقب مطلقة في هذا العمر الصغير
ويدون أي سبب مقنع))

صوت والدتها ونبرتها الشديدة جعلها تتنفس في عمق في
محاولة للسيطرة على نفسها..

ثم تطلعت لأمها تسألها بصوت مهتز

((ولم لا يا أمي؟ أخبرتك أنني لست مرتاحة بزواجي.. ألم
تختاري أنتِ أيضا الطلاق من والدي عندما أردتِ ذلك رغم
اعتراض الجميع؟))

أرادت سميحة أن تنفجر بها على قلة عقلها وهي تتحدث عن
امرين مختلفين تماما..

لكنها تمالكت أعصابها وهي تقول بغیظ من بين أسنانها

((يا غبية والدك تزوج لهذا طلبت الطلاق.. لم اطلبه من أجل
مشاكل بسيطة تحدث بين أي كنة وحماة.. ثم ألم تكونين على
معرفة بطبيعة والدة مراد وكرهها لي ولكن من قبل؟ أليس هذا

مراد الذي تزوجته من وراء ظهري متجاهلة رأيي؟ إذن تحملي
نتيجة اختيارك))

نظرت جالا لأمها بذهول مستهجن قبل أن تصرخ بقوة بحجة
واهنة وهي تشعر أنها تريد البكاء مجددا

((والدي هو من نصحتني أن أتزوج منه وأني لن أجد أفضل
منه.. والدي هو السبب بزواجي منه.. لوميه هو لا أنا))

تمتتمت سميحة لها بغضب

((إذن دع والدك ينفعل))

وقبل أن تعود جالا للبقاء عادت هيام تمسد على ظهرها وهي
تحاول مواساتها

((جالا لا تغضبي منا.. أمني تريد مصلحتك.. ثم أنت من البداية
كنتي مخطئة مثلها.. من أول يوم قدمتي فيه للمنزل وأنت
تتخذين موقفا عدوانيا ضدها عندما امتنعت عن زيارتها أو حتى
اللقاء السلام عليها..))

لم تسمح جالا لهيام أن تكمل وهي تفجر كل ما بجعبتها مما
تكبته لوالدتها بصوت عالي

((أمي هل تعرفين لماذا لم ادخل بيتها أو اتحدث معها من أول
يوم وصلت فيه عندهم؟ لأنها وبعد مرور ليلة زفافنا عندما كنا
بالفندق حدثت مشكلة بيننا.. كانت مشكلة سطحية لكنها
ضخمتها كثيرا.. والسبب هو عدم مجيئكم أنتم عائلتي
بصباحتي كعروس لجلب الفطور لي.. وقتها يا أمي تذكرت
كلامك عن شخصيتها السيئة والصعبة.. وقررت ومن أول يوم
اسكن فيه بمنزلي عندهم أني لن التقي بها أبدا حتى أتجنب أي
مشكلة قد تختلقها معي من لا شيء))

عقدت سميحة حاجباها بذهول وهي تقول مستنكرة تكاد لا
تصدق مقدار الغيظ الذي تشعر به تجاه تلك الروعة

((فطور؟ أي فطور هذا وهي تعرف كيف كانت ظروف
زواجك المفاجئ وتعرف أنني لم أكن راضية عنه من البداية؟
من قد يهتم بهذه العادات مع هذه الظروف))

وأما جالا برأسها تهزه موافقة لراي أمها قبل أن تخفضه
ببإس متعب مكملة

((أمي أنت تعرفين أنني لست سهلة ولم أكن سأسمح أن يتم
استغلالي بحيث أكون شبه خادمة عندها.. ثم يتطور الأمر
لأكون خادمة لابنة أختها ورفيقاتها وجاراتها.. لكن مراد كان
يجبرني.. ووالده كان يرى ما تفعله زوجته بي امر طبيعية بل
ومن حقها فولدته كانت تفعل نفس الشيء لها.. هذا غير
استشهادها المستمر بأمثلة لزوجات أبناء جاراتها لتقارنهم
بي..))

ثم سكنت جالا ولم تكمل بالرغم من استمرارها بالشعور
بالغضب من كل حياتها معهم..

فهي لم تكن سابقة وقيل زواجها تعرف شيئا عن قصص
استعباد واستغلال النساء في البيت الزوجية الذي تلجأ لها
حماتها..

فحتى هي بالبداية لم تصدق عندما كانت تسمع جارات حماتها
يتحدثون في جلساتهم عندها عن أسباب طلاق نساء يعرفونهم
بسبب عدم رضا أخ الزوج أو أخت الزوجة عن خدمة الزوجة
عند عائلة الزوج الموقرة..

لم تصدق كيف أنه في بعض البيوت تعتبر الزوجة خادمة في
البيت وليست شخصية مستقلة لها إحرامها ومكانتها..

وسمعت مرة منهم عن إحدى الزوجات أنها تعرضت للضرب
والإهانة والسبب تأخرها عن غسل وكي ملابس شقيق الزوج..

عادت جالا من شرودها على صوت أمها التي وقفت من مكانها وهي تشد ذراعها هاتفة بها

((حسنا جالا كما قلت سابقا أنت قوية وتستطيعين الدفاع عن نفسك.. أما الآن إذا كنتي لا تريدين تناول فطورك فيها فحي.. لن تبقي عني لدقيقك واحدة أخرى.. عندما يقرر مراد أن يتزوج وقتها تعالي هنا وسأطلقك منه.. أما الآن حلي مشاكلك بنفسك ولا تطلبي منه أن يجلبك هنا عند كل مشكلة بسيطة تحدث بينكما.. أخبري والدك عن معاملة والدة مراد معك وليتصرف كما يريد.. أما أنا فلست مجبرة أن أذل نفسي أو أتدخل.. لهذا لم أكن أريد زواجك منه ولكن بما أنك تزوجته فتصرفي من نفسك وتصرفي بحكمة وإياك التفكير بالطلاق.. فأى زواج على الكرة الأرضية مليء بالمشاكل ولو كل شخص فكر بالطلاق عند أول مشكلة فلن يبق هناك بيت عامر.. حضري حقيبة ملابسك لتعودي.. وهيام ستوصلك بسيارتها قبل أن تذهب لعمليها))

نظرت سميحة لهيام لتهاز الأخرى رأسها موافقة قبل أن تنتهد لتقف من على السرير قبل أن تتوقف الاثنتين مكانهما عندما همست جالا من بين دموعها

((لن أعود يا أمي أبدا لهم مهما قلتي لي.. ثم أني من الأساس لم احضر أية ملابس معي.. جئت هنا بمنامة النوم التي كنت البسها..))

نظرت كل من هيام وسميحة بصدمة لجالا..

بدا الآن وبهذه اللحظة أن المشكلة تلك التي تتحدث عنها أكبر مما توقعن..

ضيق هيام عيناها وهي تتذكر أن جالا فعلا دخلت البيت
بالأمس بدون أن تحمل بيديها أي حقيبة مع أنها كانت تنوي
المبيت..

وقبل أن تهتف سميحة باستفسار عن أي شيء سمعت صوت
الهاتف يرن صوته صادحا بالمكان..

خفقة من قلب جالا هربت وهي تبتلع ريقها من هذا الاتصال
المفاجئ الذي تشعر بخ عند سماع صوت رنين الهاتف..

اعتدلت سميحة جيدا بوقفها وهي ترمق جالا بنظرة بنارية
مشوشة لكلامها المثير للاستغراب عن قدومها هنا بدون
إحضار حاجياتها..

ثم ذهب لصالاة لترفع سماعة الهاتف وترفع سماعة الهاتف..

بارتجاف عادت عينا جالا تهتز مع تشعب الإحساس بالخوف
بداخلها وهي ترى هيام تلحق أمها وتجلس بجانبها بينما سميحة
تغمغم على الهاتف

((مرحبا.. من معي؟))

هنا وبتعب منهك باكي شعرت جالا بقدامها بالكاد تحملانها
لتخر قواها فتقع جالسة على السرير..

أما عند سميحة فتسارعت أنفاسها وهي تسمع من الجهة
الأخرى صوت يهتف بها بغيظ ساخر

((من معك؟ هاتف منزل والد جالا فجاءة أصبح مغلق ولم
أستطع أن أتواصل معه.. لذا اضطررت أن ابحث عن رقم
بيتك لأسألك هل ابنتك بالبيت أم تتسكع بأماكن أخرى؟))

رفرفت سميحة بعينها وهي لا تصدق من معها على الخط
لتجيب بتساؤل

((روعة؟ هل هذه أنت؟))

بالرغم من صوت روعة كان ساخرا إلا أن حالها لم يكن جيدا
بل كانت ما تزال تغلي كمرجل غضب حائق..

لكنها أرادت التأكد من وجود جالا ببيت والديها وأنها لم تذهب
لمكان آخر فزوجها لا يعرف بكل ما حصل..

قالت روعة من بين أسنانها

((أجيب على سؤالي الواضح.. هل ابنتك الفاجرة متواجدة
عندك بالبيت؟))

خوف وقلق رهيب ارتسم على سميحة وهي تسمع ما تقوله عن
جالا..

لتقول بصوت مرتبك ومصدوم

((.. فاجرة؟ كيف تتجربنين على قول هذا عن ابنتي أيتها
الحقيرة؟ وماذا فعلت لها لتضايقيها قبل أن ترسلها هنا؟))

ابتسامة ساخرة ارتسمت على شفاه روعة وهي تتابع صدمة
سميحة أكثر هاتفة

((أرسلتها؟ بل تقصدين أن ابنتك جاءت لبيتك لوحدها ومن تلقاء
نفسها.. أنا طلبت والدها أن يأتي بنفسه لاستلامها لأنني خفت
عليها فهي فتاة في النهاية في حين أنها لم تخف على نفسها.. أم
أن الأمر أنها معتادة دائما على الخروج بوقت متأخر بالليل
وحيدة؟ هل هكذا تربين بنتيك؟))

ازردت سميحة ريقها بصوت واضح..

ابنتها جالا خرجت من عندهم الى هنا وحيدة بوقت متأخر وفي
هذا الجو؟

إنها تخاف على راجي خروجه في الليل فما بالها بابنتها؟

لكن لماذا قد تخرج وتعرض نفسها لخطر استقلال سيارة أجرة
في وقت متأخر؟

ماذا فعلت لها تلك الأفعى لتضطرها لفعل ذلك وتصل بها إلى
هذا الحد؟

كانت سميحة منصعة بما تسمعه الآن حتى ظهر جليبا على
كلامها التي ازداد ارتباكا وهي تتساءل بارتجاف وتتأكد مما
سمعته

((ماذا؟ هل وصلت ابنتي البيت من عندكم لوحدها؟ ألم يقر مراد
بإيصالها؟))

شبهت روعة فجأة من كلام سميحة قبل أن تتعالى ضحكة
ساخرة كانت وقعتها على سميحة موجهة..

قالت روعة متهمكة

((كلما ظننت أن ابنتك لا يمكن أن تكون أسوء من هذا تأتي بما
يثبت لي أنني مخطئة.. هل قالت تلك الكاذبة لك أن مراد من
أوصلها؟ لكن وبكل صراحة أنا لست مذهولة أبدا.. لقد زنت
ابنتك بدون أن يرف لها جفن فهل سيصعب عليها الكذب الآن؟
مراد ابني طفش من البيت بعد ما عرف انه تم خداعه وتزوجه
من فتاة غير عذراء تم تدنيسها من قبل غيره.. فكيف سيوصلها
لبيبتكم؟))

كلمات روعة السابقة المهيبة عن جالا نجحت بهز سميحة
والتأثير على كيانها.. فشعرت وكأنها قطعة زجاج تحطمت
لشظايا عديدة..

بينما هيام كانت جاحظة العينين وهي تضع كفها بصدمة وعدم
تصديق على فمها جراء الكلام الذي سمعته وهي تضع أذنها
بالقرب من سماعة الهاتف التي تمسكها والدتها..

تحركت هيام من مكانها لتتنظر نحو حجرة جالا فتراها جالسة على سريرها تبكي بصمت مغمضة العينين وهي تضع كفيها على أذنيها ترفض أن تسمع أي كلمة من الخارج..

وهذا الشيء أرب هيام وذهب فكرها ليتجه بمنحدر آخر..

قالت سميحة على الهاتف بارتباك شديد وتلعثم والدم ينسحب من وجهها

((..م.. ماذا تقولين؟ أخوسي ك.. كيف لك أن تتجرني على قول ذلك عن ابنتي؟ كيف تقولين عنها زانية! أيتها الأفعى فليقطع لسانك قبل نطقها مرة أخرى))

أكملت روعة كلامها بشماتة وإصرار مستفز بدون أن تهتم بصدمة سميحة

((بل ابنتك زانية.. واجعلها تخبرك بكل الخزي الذي فعلته مع خطيبها السابق كارم.. بحالة لم تعرفي السبب وراء تركه لها فهذا هو.. طبعاً لأنها تحمل نفس اسم عائلة زوجي وابني سأستر عليها أنا ومراد.. وبمجرد أن يصل مرد للبيت سأجعله يطلقها وستصلها ورقتها وبعدها لا أريد أن يتعارض طريقها مع طريق ابني إلى نهاية العمر.. ساعديني بهذا إذا أردت فعلاً منا أن تستر عليها.. ابنتك يوم قررت أن تفرط بأغلى ما تملك ضاربة شرف والدها وعائلتها عرض الحائط أنهت حياتها بنفسها))

ثم أغلقت روعة الهاتف فوراً بعد أن بصقت كل ما يجيش بصدرها من فمها..

لتنترك أسئلة وكلمات ومشاعر خوف وإنكار بدون أي توضيح في ذهن سميحة المتشنج والتي لا تزال تمسك سماعة الهاتف بيدها المتجمدة بعد إغلاق الأخرى الهاتف عليها..

وما إن وعت على صوت هيام المصدوم تنحنحت وهي تحاول
سحب نفس عميقا لكنه تحول بشكل فجائي إلى سعال متتابع
شعرت بان روحها ستز هق منه..

فزعت هيام بصوت مرعوب وهي تربت على ظهر والدتها
حتى أخذت أنفاسها تتباطأ بشكل تدريجي مع حركة هيام
لظهرها..

شعرت سميحة بضعف شديد إثر ما سمعته بل شعرت بخنق
أنفاسها..

إلا أن هذا لم يمنعها من أن تقف بسرعة من مكانها..

ترنحت بشكل بسيط عند وقفها لكنها تابعت السير نحو حجرة
جالا ودموعها تنهمر بلا قدرة على التحكم بها..

صرخت بجالا وهي تمسكها تبعد يديها عن أذنيها

((جالا!!!!!! انظر واسمعي لي يا ابنتي))

اهتاجت أعصاب جالا لصراخ والدتها باسمها بهذا الشكل
خاصة بعد مكالمتها التي عرفت فحوى حديثها وصاحبها
بمجرد رنين الهاتف..

بيبطة فتحت جالا عيناها الغارقتان بأنهار من الدموع قبل أن
ترفع رأسها لأمها وهي تراها تسألها من بين دموعها هي
الأخرى وعيناها تتحدثان عن وجع مؤلم

((أخبريني عن حقيقة المشكلة التي حصلت وعن سبب مجيئك
هنا.. ماذا حدث بينك وبين حمائك؟ لماذا تتهمك تلك الأفعى
بشرفك وتقول إنك زانية؟ أخبريني أنها كاذبة.. هيا قولي إنها
كاذبة))

شعرت جالا بكلام أمه كالصاعقة على رأسها..

شحب وجهها شحوبًا يحاكي الموت وهي تردد هامسة

((زانية؟!))

أل هذا الحد من السهل على والدته مراد قذفها بشرفها وبدون أي دليل؟

ألم تكفي بقول تلك الكلمة أمام مراد والآن تعيد قولها أمام والدتها؟

جاهدت جالا لتتغلب على صدمتها هاتفة بنفي وهي تهز رأسها رافضة هذه الصفة لها بإطلاق

((لا أمي.. لا.. أنها كاذبة))

كلمة "لا" هذه البسيطة كانت بمثابة وميض راحة لسميحة..

الآن فقط تشعر أن جزء من روحها المسلوبة رد إليها مع هذه الكلمة وتأكيد ابنتها لكذب روعة..

فأخذت نفيسا عميقا قبل أن تزفره ببطء..

وكانها الآن تذكرت أن تتنفس.. وكانها الآن فقط يحق لها أن تتنفس وتعيش..

ولأنها شعرت بأن قدماها ما عادتتا قادرتان على حملها عادت لتجلس على السرير بجانب جالا..

تنظر لها بتركيز وهي تعود لسؤالها بشفتيها اللتين لا تزالان ترتجفان بلا إرادة منها

((إذن لماذا؟! لماذا تتهمك بهذا اتهامات مخزية؟ كيف تجرأت على ذلك؟!))

تثق بلا حدود بها وتربيتها لها..

إلا أن هناك الكثير من التساؤلات المقلقة التي فتح عليها باب الاستغراب اتهامات روعة قبل قليل..

مسحت سميحة بنظراتها القلقة صفحة وجه جالا المتشنج لتقول بهدوء وهي تحاول التحلي به وهي تسألها عن شيء ظنت أنها لن تحتاج لجلب سيرته بعد الآن

((جالا صارحيني.. لماذا تركك سابقا كارم يا جالا؟ لقد حزنتي عليه حزنا شديدا كدت فيه أن تفقدي نفسك؟ أنا أثق فيك يا ابنتي ولكن هل هناك شيء لا اعرفه عن كارم؟ ما الذي جلب سيرته لتلك الأفعى؟))

لم ترد أن تجعل أسئلتها لابنتها تبدو اتهامات بهذا الشكل..

ولكن ماذا تفعل؟ افتراء روعة لم يبق بها أي ذرة عقل لتفكر به وهي تربط كلامها بالكثير من الأمور التي اختلطت عليها..

فعدت سميحة تتوسلها

((أرجوك يا ابنتي أخبريني لماذا تقولي عنك حماتك كل هذا الكلام؟ كل الدلائل وأحداث فسخ خطوبتك مع كارم المفاجئة تربكني الآن.. أنا أثق بك.. أثق بتربيتي لك.. فهيا أخبري أمك ولا تفجعي قلبها أكثر من ذلك يا حبيبتني))

تألمت جالا لنظرات وكلام والدتها المتوجعة..

فهزت رأسها نافية وهي تقول ودموعها تنزل منها بصمت

((أمي لا.. اقسم لك لم أخطئ مع كارم.. والدة مراد تتهمني وحتى بدون أي دليل تملكه.. أنها كاذبة.. ولن أسامحها أبدا على كذبها وقذفها لي.. لن أسامحها))

عدت والدتها تستفسر وهي لا تزال لا تفهم بعض الأمور التي قالتها حماتها

((لكنها تقول إنك أخطأت معه لذلك تركك بشكل مفاجئ بعد أن سلبك ما أراد.. لماذا تفتري عليك؟ هل تفتري عليك هكذا بدون سبب فقط لأنها تكرهك))

عادت جالا تنفي وهي تقول بإحساس بوجع الظلم

((أمي أنها كاذبة.. أنا فقط كنت خائفة من أن نتم الأمر.. ومراد كان يقول لي انه يمكنه الانتظار عليّ بقدر ما أشاء حتى نعتاد على بعضنا.. مراد لم يمانع الانتظار.. أحيانا كان يحاول وصالي ويفقد نفسه ويغضب ويصرخ عليّ عندما أبدي خوفاً لكنه سرعان ما يعتذر ويخبرني انه يمكنه الانتظار.. عندما سمعت والدته عن طريق الخطأ انه لم يحصل شيء بيننا منذ شهرين أقامت الدنيا علينا.. وصرخت بوجهي وعفقتني وضربتني وكانت تحاول طردي من البيت..))

فتحت سميحة عيناها وهي تتطلع لجالا باستغراب قبل أن تكون مستفهمة بتلثم

((لحظة.. لم أفهم.. أنت.. لم يدخل عليك مراد حتى الآن؟ لكن.. لكن كيف قالت والدته إنك غير عذراء.. بل.. بل.. كلامها غير منطقي.. فزفافك أنت ومراد كان قبل شهرين والآن عرفوا.. أعني كيف عرفت أنك زانية ولست عذراء؟))

كانت نظرات سميحة مشتتة وكذا كلامها وأفكارها..

عادت تنظر لجالا بعيون مركزة وهي تسألها بحيرة والاستغراب يبدو جلياً على وجهها

((جالا هيا أخبريني كيف قالت تلك المختلة إنك لست عذراء وابنها من الأساس لم يدخل عليك؟ لقد ظننت.. لقد..))

عادت سميحة تشررد وهي تفكر بينها وبين نفسها بأن ما فهمته قبل دقائق من كلام روعة هو أن العلاقة الزوجية بين مراد

وجالا تسير على خير ما يرام وان ليلة دخلتهم تمت بدون أي مشاكل أيضا..

ومن ثم سمعت أو رأيت شيئا يثبت لها أن جالا زنت مع كارم..
لكن بعد كلام جالا هذا فالأمر صار مربكا جدا..

أظلمت ملامح هيام لتجد نفسها تقترب من جالا وترفع يديها
تمسك كتفيها تسألها بصوت حازم

((جالا ركزي معي.. أريد أن افهم))

طغت الحيرة على صفحة وجه جالا وفغرت شفقاها باستغراب
من ردة فعل هيام قبل أن تهز رأسها مجيبة بصوت ضعيف

((نعم هيام))

ضيقت هيام عيناها وهي تتابع

((إذا لم بمسك مراد طوال فترة زواجكما التي امتدت لشهرين..
كيف عرفت حماتك إنك لستِ عذراء؟ هل ذهبت بك لطبيبة
نسائية مثلا؟))

عند ذكر الطبيبة هلعت جالا.. هي نفسها لا تعرف إذا ما كانت
عذراء أو لا..

لكنها وعلى الفور وبدون تفكير أجابت شقيقتها بثورة

((لا.. أبدا.. فجأة قالتها لي ولا اعرف من أين أحضرت هذا
الكلام.. ولا اعرف ما دخل كارم بالموضوع من الأساس..
صاحت على مراد وأخبرته أن يطلقني لأنني فاجرة وزانية..
ومراد صدقها بكل بساطة.. بل هو من سبقها وفتح موضوع
كارم قبلها.. صرخ عليّ واتهمني تهم غير صحيحة عني وعن
كارم.. لقد صدمني مراد أكثر من امه يا هيام.. أنا..))

أشارت سميحة بكفها أمرة بحزم وعقلها قد وصل إلى النتيجة
التي تظن أنها الحقيقة

((يكفي لقد فهمت كل شيء))

نظرت سميحة لهيام التي كانت تنتظر لها مسبقا نفس النظرات
وهي تهز رأسها بإشارة تخبرها عن صحة ما تظنه الآن..

فتنهدت سميحة وهي تشعر بمعرفتها هذا الأمر قد لفتح قلبها
بسكينة ظنت أنها ستفقد لها للأبد..

وقفت سميحة من مكانها لتجلب منديلا تمسح فيه وجهها الملطخ
بالدموع وتقول

((يكفي يا بنات.. ومراد مشترك مع امه أيضا.. لقد وضح
الأمر تماما لي.. لكن الخطأ ليس خطأه بل هو خطأ والدكم..
هو من زوج ابنته لأول شاب وجده أمامه ليخلص من همها..
وكانه أكتفى وتعب من تربيته وهو لم يسبق له وأن حمل همها
من الأساس))

قطبت جالا حاجباها وهي تحاول فهم ما ترميه والدتها وما سر
نظرات أمها وهيام المتبادلة لبعضهما وإلى ماذا ترميان..

شاهدت والدتها تقترب منها تهذر باسمها وهي تربت على
وجنتها مما زاد من ارتباك جالا واستغرابها قبل أن تقول
سميحة بابتسامه ملتويه

((توقفي يا جالا.. أنتِ ابنتي القوية.. أنتِ مظلومة وكل ذنبك
فقط إنك ابتليت بأناس لا يخافون الله.. هم يعرفون إنك
مظلومة.. لكنهم يدارون عجز ابنهم لذلك اضطروا لصنع تلك
المسرحية..))

أبعدت جالا وجهها عن يد أمها فجأة وعيناها تتوسعان بغير
فهم..

ثم عادت لعقد حاببيها بل ازداد حاجبيها عقدة..

ابنهم العاجز؟ مسرحية؟ بحق الله ماذا فهمت أمها وهيام من كلامها؟

سارعت جالا تهتف بهم بصوت عالي تصحح ما فهموه

((أمي من العاجز؟ لقد فهمت بشكل خاطئ علي))

لكن هيام قاطعتها فورا

((بل أنت لا تفهمين شيئا يا جالا ولا زلت جاهلة بتلك الأمور..
أمي ستحل الأمر فقط اهدئي واغسلي وجهك من هذه الدموع..
أنا سأجهز للذهاب لعملي))

خرجت سميحة من الحجرة نحو الصلاة ولسانها يلهج بالحمد
لله..

فكلام تلك الأفعى جعلها تعيش لدقائق بوضع أشبه بالكابوس..

ولكن تعرف الآن كيف ستفضحها جيدا هي وابنها العاجز..

بينما زفرت جالا بقهر.. بل بعجز وهي ترى والدتها ذاهبة لتتقدم
نحو الهاتف وتعاود الاتصال بروعة..

الآن لن تستطيع الشرح أكثر أو الحديث.. فموقفها هي نفسه
ضعيف..

حاولت أن تغالب تلك الدموع الجديدة التي بدأت الترقق
بعينيها وهي تحاول أن تمنعهن عن الانهمار..

وتصارع لتتمسك بما تبقى لها من قوة..

في بيت روعة..

كانت روعة تحاول بتشتت شغل نفسها بالعمل في المنزل
وتنظيف كل شيء للتخلص من التوتر الذي تعيشه..

حتى أنها استعانت بعاملتين شابتين من القرية لمساعدتها بنفض
البيت كله..

من جهة هي لا تعرف كيف ستخبر زوجها عن المصيبة التي
حدثت..

فهي مخطئة بتصرفها من تلقاء نفسها ببعض الأمور دون
الرجوع له..

ومن جهة أخرى.. مراد حتى الآن لا تعرف له مكان ولا
تعرف كيف تتواصل معه..

عليه أن يعود بسرعة لتنتهي الموضوع بسرعة..

خرجت روعة من شرودها المشتت وهي تسمع صوت احدى
العاملات تهتف بها وهي تمسك سماعة الهاتف

((هناك سيده تُدعى سميحة تريد التحدث معك حالا يا مدام))

عقدت روعة حاجبها للفتاة التي أمامها والتي تجرأت على الرد
على هاتفهم الأَرْضِي حتى بدون الرجوع لها..

لكن أسم سميحة أثار كل انتباهها عن أي شيء آخر..

فمكالمتها الآن هي آخر ما تتوقعه..

فلو كانت مكانها لكانت قطعت كل أسلاك الهواتف بالبيت
ودفنت رأسها بالتراب خوفا من العار التي أحدثته ابنتها
بحقهم..

وبعينين مشتعلتين كانت روعة ترمق العاملة قبل أن تنتزع منها الهاتف بعنف وترد عليه مشيحه ببصرها عنها وهي تقول بصوت متذمر

((لماذا تتصلين بي؟ أخبرتك انه بمجرد عودة مراد ستصل ورقة ابنتك لبيتكم..))

قاطعتها سميحة وهي تسألها بصوت غامض

((بدون أي مقدمات يا روعة.. هل يمكن أن تخبريني كيف عرفت أن ابنتي ليست عذراء بدون الذهاب للطبيبة أو حتى أن يحدث شيء بينهما؟ أو.. أو السؤال الأهم هنا هو.. لماذا لم يحدث شيء بينهما حتى الآن؟))

تقلصت أنامل روعة الممسكة بالهاتف وهي تحاول أن تفرغ كل التوتر والخوف الذي لا تستطيع تفسير سببه لنفسها مع هذا السؤال المباغت..

فهي الآن عرفت أن مراد لم يدخل على ابنتها..

ازدردت روعة ريقها وهي تقول بصوت غاضب مفتعل

((ببساطة لأنها كانت خائفة فأجل الأمر لوقت آخر تكون هي مرتاحة فيه أكثر.. ولكن ابنتك استمرت على رفضها لمدة شهرين.. كما أنني لست بحاجة لطبيبة لتثبيت عدم عذريتها.. فما الذي قد يدفع فتاة أن تمتنع عن زوجها شهرين كاملين غير هذا السبب؟))

تساءلت سميحة باستفزاز وبصوت بدا مختلفا كثيرا عن تلك التي تحدثت بها معها قبل دقائق

((حقا؟ عجيب كلامك.. من الطبيعي جدا أن تخاف البنت من أمر كهذا ولكن ليس من الطبيعي لولدك أن ينتظر كل تلك المدة..))

ازدادت عقدة حاجبي روعة من كلماتها فتحدثت بغير رضا

((وهل أنتِ منز عجة لأنه لم يجبر ابنتك بالقوة عندما امتنعت عنه أول مرة؟ الخطأ من ابنتك.. كلنا تزوجنا وأجبرنا أنفسنا بأول يوم.. لو كانت فعلا تحب زوجها لكانت سلمته نفسها بدون أن تشد جسدها بل تسترخي تماما..))

ثم تنفست بتوتر قبل أن تردف بصوت مهتز

((أقل شيء أن تفعله ابنتك المصونة هو أن تسجد لله سجدة شكر على مراد.. صبر وسكت عن الأمر لمدة شهرين وهي ممتنعة عنه.. لن اقسم لك.. لكن لو دارت حول العالم كله فلن تجد رجلا يتحمل كل هذا الفترة إلا لو كان به مشكلة))

باستمع لوت سميحة فمها وهي تقول متسائلة بصوت بطيء مستفز

((ولماذا أنتِ متأكدة لهذا الحد بأنه لا توجد مشكلة بأبنتك ولا حق عليه؟))

زفرت روعة قبل أن تقول وهي تلوي فمها بينما تضع يدها الأخرى التي لا تمسك الهاتف على خصرها بحركة اعتادت عليها عند هذا النوع من المواقف

((ومن قال لا يوجد به مشكلة؟ بل المشكلة منه وكل الحق عليه لا على ابنتك الفاسدة.. فقد كان عليه من البداية وعندما فكرت أن تمنع عنه أن يصفعها على وجهها صفتين لتتعدل.. وإذا لم يفد معها الأمر كان عليه أن يرميها ببيتكم ويتخلص منها.. كان عليه أن يتخاشن معها.. ما أردى من المربوط إلا المنفلت..))

وقبل أن تستطرد صممت روعة وقد تقلصت ملامح وجهها الذي أصبح فجأة شاحباً..

فغرت روعة شفتاها وللحظة عجزت عن نطق أي حرف قبل أن تقول بتلعثم وبصوت مرتجف وأنفاسها تتسارع بقوة فترفع

يدها الأخرى لتساند مسكها لسماعة الهاتف والذي صار فجأة
ثقيلاً

((لحظة.. لحظة.. لحظة.. لم افهم قصدك؟ أي مشكلة بأبني قد
تكون؟ أي نوع من الحقوق على ابني تقصدين؟ أنا لا اسمح لك
أبدا))

خرجت آخر جملة من روعة قوية و متمسكة بكل قوتها من حتى
التفكير بما تلمح به سميحة..

إلا أن سميحة أصدرت ضحكة خافتة وساخرة متشمته من
الحالة التي تسبب بها لها وإن كان كل ما بداخلها يحترق ويتألم
على الحال التي وضعت فيها ابنتها..

قالت سميحة متشفية بصوتها الشامت

((لم يسبق لي وأن رأيت شابًا حنونًا مثل ابنك.. ما شاء الله..))

ثم ضيقت عيناها اللتان أظلمتا فجأة وهي تردف بجدية

((كل البنات تخاف من هذه الليلة لأن بطبعهن الرقة والضعف
لكن الرجل هو القوي وتصرفه السريع هو الذي يحل
الموضوع.. هو الذي يقدر أن يسيطر على الموقف بسرعة..
خوفها من الأمر ليس عذرا كافيا له حتى لا يتم الأمر..
ولشهرين كاملين))

ارتجف جسد روعة لتزدرد ريقها بصعوبة..

لكن ما لبثت ثوانٍ حتى صرخت بصوت غاضب وصل لعنان
السماء

((ماذا تقصدين أيتها الحقيرة؟ ولدي سيد الرجال ولا اسمح لك
بالتحدث عنه بهذا الشكل))

ردت سميحة تصرخ هي الأخرى عليها بحنق وعيناها تشتعل
غضباً

((بل أنتِ الحقيرة التي كنتِ تعرفين بعجز ابنك ومع ذلك
زوجتيه.. لم تحاولي مرة بل مرتين أن تفعلي ذلك.. الآن فقط
عرفت السر وراء تلك العروس الهاربة والذي يجهله كل من
في القرية.. وأنا التي كنت أقول ما الذي قد يدفع فتاة أن تهرب
بنفس يوم زفافها وتسيء لسمعتها وسمعة عائلتها وتجلب
الأقاول والإشاعات والكلام الكاذب لنفسها إلا إذا كان ما
ينتظرها بزواجها من ابنك أسوء بكثير من كل ذلك.. فالرجل يا
روعة لا يكفيه أن يكون عريض الكتفين ومفتول العضلات
لنقول عن رجل))

ارتجفت روعة رعباً قبل أن تسألها بتوجس وبصوت متلعثم
(م؟ ماذا تقصدين يا سميحة؟ ما دخل تلك العروس الهاربة؟)

تنهدت سميحة بسأم قبل أن تقول بهدوء

((والله لا أريد أن اتبلى ولا أضع شيء بذمتي.. ولكن شاب
رائع مثل ابنك بكل تلك المواصفات تهرب منه عروسه الأولى
وبلبلة زواجه.. والثانية تبقى متزوجة به لشهرين كاملين بدون
أن يدخل عليها؟ هل هذا طبيعي؟ لا والأدهى من ذلك والدته
تعرض عليّ أن يطلق ابنتي بهدوء بدون أن تصنع أي جلبة..))

رفعت روعة راحة يدها لتضعها على فمها وبدون أن تشعر
كانت دموع مريرة تنزلق من عينيها بصمت..

لا تصدقها كيف تتحدث عن أبنها الوحيد بهذا الوضع المهين..

وقبل أن تبعد روعة يدها لترد عليها توقفت وهي تفتح عيناها
باتساع على إثر سماع حركة من خلفها..

لتلتفت صارخة للفتاتين اللتين لا تزالان واقفتان عند الباب
يسترقان السمع لمكالمتها على الهاتف وهن يتظاهرن بمسح
الغبار

((ماذا تفعلن هنا؟ لا أريدكن بالبيت.. اذهبن وايقظن يارا
لتعطيكن أجرة هذا اليوم واخرجن من بيتي.. هيا))

كانت تلعن نفسها مرارا لأنها أعطت وفية إجازة طوال هذا
المدة لتضطر لإحضار أخريات لا ترغبهن بديلا عنها..
وقبل أن تراهن يغادرن عادت تضع السماعه على أذنها تتحدث
بشراسة

((أيتها الحقيرة.. لا اسمح لك بقول ذلك عن ابني.. لا اسمح
لك.. لا اسمح لك أبدا.. ابني سيد الرجال.. ابني أنا سيد
الرجال.. ابنتك هي الفاسدة.. هي التي رفضت أن تسمح له أن
يلمسها أو يقترب منها لأنها لم تكن عذراء ولأنها خافت من
الفضيحة.. خافت أن نكتشف أنها قد أخطأت خطأ فادحا لا
يغفر مع خطيبتها السابق))

قالت سميحة باستخفاف

((حسنا.. حسنا.. إذن رافقيني إلى طبيبة نسائية ولنجعلها تكشف
على ابنتي وثبتت صحة كلامي))

اشتعلت النيران الغاضبة بعيني روعة أكثر وهي تقول من بين
أسنانها

((حسنا أنا موافقة.. المهم أني في النهاية سأطلقها من ابني لأنه
لا يستحق مثل هذا الفاجرة))

تنهدت سميحه وهي تغمض عينيها قبل أن تقول

((إذن سأرسل لك العنوان لتأتي للمكان حالا وتسمعي بأذنيك ما
إذا كانت ابنتي التي رببتها بنفسى عفيفة أو لا))

شق شبح ابتسامة سخريه فم روعه وهي تقول لها باستهزاء

((لا يا سمحه يا حبيبيتي.. وهل أنا ابنة الأمس لتخدعيني
وتذهبي بي لطبيبه قد تكونين انفتحتِ معها مسبقا أن تقول ما
تريدين سماعه؟ بالطبع لا.. بل أنا من سأجلب قابله أثق فيها أنا
لفحصها.. وبمنزلي أنا.. سأبعث لها لتأتي الآن وانتظر قدومك
أنتِ وابنتك بأسرع وقت ممكن))

فردت عليها سمحه بغيط

((نعم؟ وما بضمن لي أن تكون تلك القابله ليست كاذبه ولم
تتفقي أنتِ معها مسبقا أن تقول ما تريدن أنتِ سماعه؟ أنا لن
أتي عندك وسأعرف كيف اثبت كذبك وأجعلك تندمين على
افترائك على ابنتي العفيفه))

للحظات توقفت سمحه عن الكلام وهي تغمض عينيها وعقلها
يفكر قبل أن تفتحهما وتقول ببطء بصوت خافت قبل أن تغلق
عليها الهاتف وهي تنوي الذهاب لها حالا

((حسنا.. لا بأس.. بل جيد.. جيدا جدا.. إذا انتظريني حتى أتي
أنا وابنتي لمنزلك.. مسافه الطريق فقط))

بعد مرور ساعه.. المشفى الذي تعمل فيه سمحه..

خلال ساعه وبمجرد دخول سمحه وجالا إلى حجره طبيبه
أمراض نساء وانتظارهما احدى الطبيبات والتي تكون زميله
مقربه لوالدها حتى تحضر..

شعرت جالا فيها بأنها أشبه بالحشره..

لقد فوجئت من الأساس قدومها هنا بعد أن أخبرتها والدتها أنها
ستصحبها إلى طبيبة تعرفها بالمشفى الذي تعمل فيه بقسم فنيين
الأشعة..

همست سميحة باسم جالا لتهز الأخرى رأسها بتوتر وهي تبتلع
ريقها بصعوبة..

قالت سميحة مردفه بصوت منخفض

((بالبداية علينا يا جالا اخذ شهادة من هنا تثبت إنك عذراء ومن
ثم سندهب لبيت تلك الأفعى وندع القابلة التي ستحضرها تكشف
عليك مرة أخرى.. وإن كانت قد انفقت معها مسبقا أن تقول إنك
غير عفيفة فسيكون مسبقا معنا شهادة تثبت عكس ذلك.. وبعدها
أعدك بأنني سأطلقك وأبعدك عن هذه العائلة القذرة.. أعرف إنك
متوترة الآن ولكن عليك فعل ذلك حتى تثبتين لهم بطلان
اتهاماتهم وقذفهم لك بالإضافة إلى عجز ابنهم))

لم ترد عليها جالا بل عادت تهز رأسها طاعة لأمها بتوتر
وخوف..

ثقة أمها العمياء بها وبكونها لم يسبق وأن دُنست من قبل رجل
تحرق قلبها..

نظرت سميحة لعينيها الدامعتين المحمرتين كجمر حارق من
دموعها التي لا تنضب فتهدت عليها بألم قبل أن تتركها وتغادر
الحجرة بمجرد حضور الطبيبة أروى..

أغلقت الطبيبة أروى الباب خلفها قبل أن تطلب من جالا
الاستلقاء فوق سرير أشبه بطاولة..

شحب وجه جالا لطلب الطبيبة وكان ما تقوله غير متوقع أبدا..

فوقفت جالا من كرسيها لتتحرك ناحية السرير ببطء..

ما إن وقع نظر أروى على مظهرها أشفقت عليها بشدة بل
تمزق قلبها على مظهرها..

حاولت تهدئتها هادرة

((ألن تتوقفي عن البكاء يا ابنتي؟ أخبرتني أمك قصتك وما
دمت متأكدة من عفئك فلا يجب أن تخشي من هذا الكشف.. هيا
تحرري من ملابسك وأجلسي فوق السرير..))

وعندما لاحظت التردد الشديد المكسو بكل إنش من ملاح
محيها سألتها

((هل أنتِ موافقة على هذا الكشف يا ابنتي؟ إذا كنت ترفضين
فلن أقوم به))

ردت جالا عليها قائلة وقد خرج صوتها باكي منها و هي
تتحرك باتجاه السرير وتجلس بتعب على طرفه

((لا.. لا أريد أن اخضع له..))

وأضافت جالا بتردد

((لو سمحت.. أنا أرجوك أخبري أُمي أنني لا أريد أن اخضع
لأي شيء))

نظرت الطبيبة لها بتوجس قبل أن تتمم لها بموافقة..

فبصفة عامة.. إجبار أي مريض أو فتاة في أي مكان على
توقيع كشف طبي يرفضه المريض لا يعتبر من الأصول الطبية
المتعارف عليها كم أن أخلاقيات مهنة الطب تحتم عليهم أخذ
موافقته سواء شفويا أو كتابيا..

خرجت الطبيبة من الحجرة لتتحدث مع والدتها هي والطبيبة
ندی كانت تقف معها لعدة دقائق قبل أن تتابع مشيها بممر
المشفى..

هطلت دموع جالا وهي تنكس رأسها وتفرك يديها باضطراب
عند دخول والدتها للحجرة هي والطبيبة الأخرى المصدومة مما
سبق وسمعته من الدكتورة أروى..

أغلقت الدكتورة ندى الباب خلفهم وهي تسمع جالا تتمتم بخوف
بصوت خافت متذبذب لو والدتها وبقلب يكاد يوثب من صدرها

((أمي أنا أخبرتها أنني لا أريد))

توسعت عينا سميحة قبل أن تقول لها بقهر وبصوت حاد وكأنها
تؤنبها

((ولماذا لا تريدین؟ ما دمت واثقة من عفتك فلا يوجد أي شيء
مقلق بالأمر.. لا أستطيع أن اجعل تلك القابلة التي ستحضرها
روعة أن تكشف عليك قبل أن احمل دليلا آخر يؤكد براءةك
من اتهاماتها.. لأنني أشك كثيرا بأن روعة ستجبرها على الكذب
وقول ما تريده.. أنها تريد اتهامك بالفجر حتى توارى عجز
ابنها وعدم قدرته على فعل أي شيء خلال شهرين))

لم تلوّ سميحة من جالا أي شيء إلا تقلص ملامحها وهي
تتمسك بالرفض وعدم الخضوع لمطلب أمها..

فعادت سميحة تهتف باسمها مرة أخرى بنفاذ صبر لتهدر ابنتها
بحدة

((أمي لقد أخبرتك بكل وضوح انه ليس عاجز.. بل أنا من كنت
اشعر بالخوف من الأمر طوال الشهرين فقرر هو أن يراعي عيني
ويبتظر حتى أكون جاهزة.. أقسم لك يا أمي لم أكن أتصور
بأننا لو تأخرنا بإتمام الأمر فقد تعرف والدته ويجن جنونها حد
أن تتهمني بدون أي دليل ويصدقها ابنا بهذه السهولة))

توسعت عينا سميحة وهي تسمع رفض ابنتها بل ودفاعها
الشرس عن ابن تلك التي أتهمتها بشرفها..

فغرت سميحة فمها للحظات قبل أن تلتف للدكتورة ندى التي
كان انعدام الرضا يظهر على وجهها وهي تجلس على كرسيها
وراء الطاولة لتقول لها طالبة منها بعض الدعم

((أرجوك دكتورة تدخلني وأقنعي ابنتي.. إنها عنيدة مع أن ما
أريد فعله هو لمصلحتها))

الحقيقة أن ندى كانت مصدومة من فعل سميحة لا العكس..

فأخذت ندى نفسا عميقا قبل أن تقول برفق موجها كلامها لجالا

((ما رأيك يا عزيزتي أن أذهب بك لإحدى غرف الاستراحة
لنتتظري بها ريثما اتحدث مع والدتك بموضوع مهم..))

هزت جالا رأسها نافية ونظرها للأسفل قبل أن تقول بصوت
خافت وهي تعتدل واقفة من على السرير

((لا أريد الانتظار.. سأعود للبيت قبل أمي.. الآن))

نظرت سميحة لندی بتوجس قبل أن تلتف نحو جالا قائلة بحق
تنهاها عن المغادرة

((لن نأخذ وقتا.. سأحدث معها قليلا فانتظريني ولا ترجعي
للبيت وحيدة))

إلا أن جالا تابعت خطاها خارج الحجره وكأنها لا تسمع
شيء..

وقبل أن تخرج من المشفى رأت الدكتورة أروى تتقدم منها
وتتحدث قليلا معها..

بينما زفرت سميحة بئأس منها وهي تجلس على الكرسي
الموضوع أمام الطاولة لتسمع تساؤل ندى عن حديثهم الذي
سمعتة توا

((لم افهم القصة جيدا.. ولكن يا سميحة هل يمكن أن تخبريني لماذا تريدان أن يتم الكشف عليها.. لأنه يبدو وكأنه تم إحضار ابنتك هنا رغما عنها وبالإكراه؟))

لم تأخذ سميحة وقتا للرد ولكن إجابتها كانت مترددة

((دكتورة ندى.. أنا فعلا بحاجة لهذا الفحص أن يتم من أجل مصلحتها حتى ولو كانت لا تريد ذلك.. عليها أن تقوم به))

ظهر انعكاس تجريم في عينا ندى وخيبة امل تجاه سميحة..

فأخذت ندى نفسا قبل أن تجيب بتريث

((للأسف ورغم أن فحص العذرية يُعد شكل أساسي من أشكال العنف الجنسي لا يقل خطورة عن الختان وغيره.. تعرض ابنتك يا سميحة لهذا الفحص مهين جدا لأنه ببساطة انتهاك لحرمة المرأة وتكريسه للعقلية الذكورية في المجتمع.. لقد صدمتني مع إنني صرت لا استغرب أبدا هكذا طلب من أي شخص يقع ضحية هكذا عادات بالية مهما بلغ مستواه الثقافي أو التعليمي))

تسارعت أنفاس سميحة وهي تستشعر الإهانة من كلام ندى لترد فورا عليها

((لا يا دكتورة.. صدقيني أنا أثق بأبنتي جدا ومن عفتها.. لكن أريده لأثبت ذلك لغيرها))

إلا أن ندى بثبات وبملامح حازمة أجابتها

((أنا اسف ولكن يمنع إجراء هذا الفحص لكونه خطوة مهينة للمرأة وأمر يحط من كرامتها وهو شكل من أشكال الانتهاك.. إلا لبعض الحالات كالأعتداءات الجنسية والاعتصاب أو الحوادث.. وكون أن أي إجراء طبي يستوجب وجود داعي صحي يبرّره.. فطلب الخاطب إثبات عفة خطيبته أو طلب

الأثنى إثبات عدم خوضها تجارب من خلال هذا الفحص ليس له أي داعي من الناحية الطبية..))

ولتسد الطريق أمها استرسلت

((وهذا الكلام ليس من عندي.. بل لقد تم وقف إجراء هذا الفحص فعلاً إلا بأمر من المحكمة أو من خلال تحويل من القاضي للطبيب الشرعي.. لأنه وكما سبق وأخبرتكم يسبب أضرار اجتماعية ونفسية وينتهك جسد المرأة عبر ممارسات ثبت طبيياً أنها غير صحية وتؤدي إلى نتائج وخيمة على صحة جسم المرأة لا سيما وأن الكثيرات يخضن الاختبار مُكرهات فيشكل صدمة نفسية لهن))

وقع الكلام على سميحة وكأنها دلو ماء ساخن أحرقتها..

شعرت بأنها تحتضر وتحتاج لقطرات ماء تطفئ ظمئها فوقفت من مكانها بتوتر وهي تسكب الماء من الشاف لكوب فارغ قبل أن تشربه..

بينما شعرت ندى بأنها كانت حادة قليلاً بحديثها..

فتنهدت قبل أن تقول بصوت هادئ وبوضوح وهي ترى سميحة تعود للجلوس مكانها

((صدقيني يا عزيزتي أنه هذا الكشف ليس له أي أساس علمي أو طبي ولا أدري عن سبب بعض عائلات المطالبة بهكذا أمر.. فبعيداً عن بشاعة هذه الفحوص وعدم أخلاقيتها.. فإن ربط بين الغشاء لا يمت للواقع بصلة.. أن وجود غشاء لدى الفتاة من عدمه لا يدل على أنها لم تخض أي تجربة.. وهناك فعلاً جهل بمجتمعاتنا في التفرقة بين الفتيات الفاقدات للغشاء الناتج عن الممارسة وبين وجود أنواع مختلفة من الغشاء أو عدم وجوده من الأساس لدى بعض الفتيات اللاتي يولدن من دونه في بعض الحالات.. كما يمكن للفتاة أن تفقد عذريتها بسبب عارض كوثبة أو بانتهاك لا دخل لها فيه أو غير ذلك..

وفي الحالة هذه لا يجوز للمجتمع ظلمها ولا اتهامها بالسوء..
ولا يجوز لزوجها أن يتهمها بالشر.. ووجهة النظر الطبية
المقبولة على نطاق واسع تقرّ بأن اختبارات العذرية لا قيمة لها
ولا فائدة مرجوة منها))

بهذه اللحظات كانت سميحة تعيش حالة من التوتر الكبير
والعصبية الشديدة التي تكتنف أعصابها..

فشعرت بنفسها غير قادرة على التحدث أو الشرح..

انتبهت ندى لتقاسيمها فلانت ملامحها وهي تقول برفق

((ابنتك وباختصار رفضت أن تقوم به لأنها رأته عبارة عن
إهانة ليس من السهل تقبلها.. مثلها مثل الأغلبية من الفتيات
تجاه هكذا نوع من الفحوص ولسن مجبرات للانصياع خوفا من
التقاليد الاجتماعية العقيمة التي لا تستند إلى علم أو دين))

وبتساؤل آخر متوجس وهي تضيق من عينيها تساءلت ندى

((أخبريني يا سميحة.. هل كان هذا طلب خطيبتها منها أن تقوم
بالأمر قبل أن يتزوجها؟ لأنه لو طلب هذا فصدقيني.. افتتاح
الحياة الزوجية بهذه الطريقة لا تساعد على قيام علاقة صحية
سليمة مبنية على الثقة والمحبة والتفهم.. كما أنه لا يمكن تجاهل
إمكانية حصول مضاعفات كبيرة نتيجة الإصرار على هذه
الاختبارات مثل حالات انتحار أو جرائم قتل بذريعة الشرف
وغيرها.. هذا الأجراء الذي يطلبه البعض أمثاله قبل الزواج
من فتاة هو بمثابة إجراء مهين ومدمر بحق المرأة والعائلة
والمجتمع))

سمعت ندى سميحة تتحدث بقلة حيلة وهي تمنع التواصل
البصري بينهما

((ماذا افعل يا ندى؟ من الصعب إنقاذ من أتعامل معهم من
عائلة زوجها))

كانت تتفهم ندى ما هو صراع مع عقلية المجتمع حين انه يحتاج لرؤية ووقت طويل وجيلا برؤية مختلفة للمرأة ولجسدها..

لكنها هزت رأسها نافية لها وهي تقول

((الشرف لا يقاس بالشواهد الطبية بل إخضاع المرأة لهذا الفحص اتهام صريح لها بفساد الأخلاق.. لا يتناسب هذا مع الشرع والدين الذي حصن النساء وحرّم قذفهن.. ولا يجوز لخطيبها أن يطلب منها أن تذهب للطبيب ليتأكد من بكرة عروسه لأن ذلك من سوء الظن ومن تتبع عورات الناس.. مجتمعنا أشرف وأنظف وأغبر وأنبل من أن تُعامل فيه البنات والأخوات هذه المعاملة المهينة.. وكما أخبرتك أن هذه الشهادات لا تعطى إلا في حالات التعرض للاغتصاب أو التورط في أعمال إجرامية.. لأن هذه الشهادة فيها إفشاء لسر المهنة..))

مسحت سميحة وجهها تحت نظرات الدكتورة ندى.. وكم شعرت بنظراتها المتوجسة أنها مصوبة كأسهم نحوها لأنها كانت تنوي أن ترتكب خطأ فادحا..

لتقول بصوت متوتر

((الأمر ليس كما تعتقدن.. ابنتي ليست مقبلة على الزواج بل هي متزوجة فعلا.. الحكاية باختصار.. أن ابنتي متزوجة منذ شهرين من أحد أقاربنا.. وحتى الآن لم يحصل بينهما أي شيء.. لم أكن أعرف ذلك.. لأتفاجأ اليوم صباحا باتصال من والدة زوجها تقول بأنه لم يحدث أي شيء بينهما لأن ابنتي كانت تتمنع عنه لأنها بلا شك أخطأت مع خطيبها السابق. كما هددت بفضح ابنتي وبأنها ستطلب من ابنها أن يطلقها.. ما اعتقده هو أن ابنها هو العاجز لذلك تجرأت والدته على تلفيق هكذا تهمة خطيرة لها.. مبدئيا أريد ورقة تثبت أنها بريئة من هذه التهم))

عقدت ندى حاجبيها قائلة

((إذا كان هذا هو السبب فيمكن أن نجري لها هذا الفحص هنا إذا أردت.. سبق وقلت به بسبب أمر قضائي.. ثم أرسلنا نتائج الفحص للمحكمة ولم نسلّمها للعائلة.. أعني أن ابنتك يمكنها أن تطلب ذلك لأنه تم اتهامها بالفعل وعليها أن تسعى إلى رد تهمة عنها..))

ساد صمت ثقيل بينهما.. استطاعت فيه ندى سماع صوت أنفاس سميحة..

قبل أن تنظر لها بتصميم قائلة

((بغض النظر عن أي شيء.. أنا بحاجة أن أقنعها أن عليها تفعل ذلك.. هل تعلمين أن والدته زوجها لم تتصل بي وحسب بل اتصلت ببيت والدها وأخبرتهم بهذه التفاصيل.. والد ابنتي اتصل بي قبل ذهابي إلى المشفى ليستفسر عن كلام حمايتها.. والله أعلم من أخبرت أيضا بالقريبة غيرنا.. أنا متأكدة أنها تفعل ذلك ليس لأنها تكرهها وحسب لكن أيضا لتداري عن ابنها العاجز.. تخشى أن يعرف الجميع انه لم يلمس زوجته حتى بعد شهرين كاملين من زواجه به))

مر ومضات أمام ندى من كلام جالا أمامها وتذكرت كيف كانت تدافع عن زوجها.. لتقول ندى بتوجس

((هل أنت متأكدة فعلا يا سميحة انه عاجز أم هو مجرد ظن؟ سمعت ابنتك تؤكد أنها هي من كانت خائفة وهو لم يمانع انتظارها.. هل تلومينه لكونه مراعيًا؟))

ثم أردفت بتوضيح

((هناك حالات يتم فيها كشف العذرية بحالة العنة.. التي تعني عدم قدرة الزوج القيام بالواجبات الزوجية مما يكون أحد أسباب الزوجة رفع دعوى طلاق))

ابتلعت سميحة ريقها من منطقية كلام ندى وإمكانية أن يكون
كلامها صحيحا وأنها تسيء الظن بمراد كما تفعل روعة
بجالا..

لكنها عادت تنتظر بعينها قائلة

((الأمر ليس فقط هذا.. فحتى ولو لم يكن عاجزا كما أتوقع..
لكن والدته قامت بدم واتهام ابنتي.. بل وقامت بتلفيق قصة
عليها وذكرت تفاصيل أخرى أنها فرطت بشرفها مع خطيبها
السابق وأن هذا ما دفعه لتركها وبطريقة مفاجئة.. وهذا هو
السبب الحقيقي الذي يدفعني إلى الإصرار عليها بأن تقوم بهذا
الكشف.. هل نستطيع إثبات براءتها مما نُسب إليها من خلال
إجراء فحص العذرية؟))

هزت ندى رأسها قائلة

((نعم تستطيعين فعل ذلك.. ولكن.. بدلا من ذلك لم لا تقومين
بتقديم شكوى ضد والدته بم اتهامها به؟))

عقدت سميحة حاجبيها مستفسرة

((ماذا؟ كيف؟))

أجابت ندى بتلقائية

((تستطيع أي امرأة إقامة دعوى الافتراء وتقديم شكوى الذم
والقدح والتحقير والمطالبة بالإساءة والضرر البالغين بحالة تم
اتهامها من قبل أحد بلا دليل))

شردت سميحة بالتفكير قليلا قبل أن تجفل على سؤال ندى
المهتم

((أخبريني بدابة.. هل طلب زوجها والدته هذا الفحص لها؟))

أجابت سميحة

((نعم فعلوا ذلك بل وانهم جلبوا قابلة لبيبتهم وكان من المفترض أن اذهب لهم الآن لتكشف عليها.. فوالدة زوجها ترى بأنها لو لم تحضر هي قابلة بنفسها فمعنى هذا صدق قصتها الملفقة عنها))

ضيقت ندى عينيها وهي تقول

((هل تعرفين بأنه لو تم إجبارها على خوض هذا الاختبار رغما عنها من قبل عائلة زوجها فيمكنها طلب التفريق بالمحكمة بسبب اتهام الزوج لها بالزنية.. فهذا الفحص سيتسبب بشرخ لحياتها معه))

تتهدد سميحة وهي تشعر بالندم.. ندم على موقفها الضعيف عندما عرفت بزواج ابنتها من مراد..

كان عليها أن تمنع زواجهما فهي لم تعرف متأخرة كثيرا بل عرفت حتى قبل الزفاف بساعات..

لكنها اكتفت بالكاء أمامها والحسرة وعتابها على موافقتها عوضا من أن تتخذ موقف حازم وتهدد بدق عنقها لو بقيت على موافقتها..

ماذا ستفعل الآن؟ فسمعة ابنتها تلوثت بالفعل بسبب تلك الأفعى..

لا بد أن روعة الآن تتصل بكل بيت تعرفه في القرية من الأقارب والجيران لتخبرهم عن قصتها المختلفة عن جالا مع كارم..

والآن حتى لو تطلقت جالا منهم وأثبتت زيف كلامهم..

إلا أن فرصها مستقبلا بزواج آخر أفضل ستكون قليلة..

وأه حسرتاه على ابنتها الصغيرة.. ستطلق بعد زواج استمر
لشهرين وما زالت ببداية عشريناتها ومن بسنها لم يتزوج
بعد..

رفعت سميحة رأسها لندى لتقول بطلس

((والدة زوجها امرأة حقيرة.. وزوجها نفسه خابت ظنوني به..
بالبداية صدمني بكونه ضعيف جدا ولا يعرف كيف يوازن بين
زوجته وعائلته.. لكن لم أتوقع أنه أيضا سهل الانقياد ولا يثق
بزوجته ويصدق كلام والدته التي تشكك بعفتها.. أنه لا يصلح
أن يكون زوج لأستأمنه على ابنتي.. كما أنني لم اعد أثق بهم
كعائلة لأبقي ابنتي عندهم.. ألن تفعلني نفس الشيء لو كنتي
مكاني؟ تخيلي أنهم اتهموها بالزنا بدون أي دليل لديهم..
سأطلب منه أن يطلق ابنتي.. واليوم قبل غدا.. وإذا لم يفعل
سأرفع عليه قضية بالمحكمة بتهمة قذف الأعراس))

هزت ندى رأسها موافقة لكلام سميحة.. ثم سألتها سميحة
بصوت هادئ ونظرة الحزن الخالصة تطل من عينيها المحملة
بالمرارة

((هل تعرفين بأني كنت انوي بعد الخروج من هنا جلبها لبيت
حماها لتخضع مرة ثانية لكشف آخر من قبل قابلة ستحضرها
والدة زوجها))

ظهرت الصدمة المخالطة للغضب على وجه ندى وهي تستنكر
ما تنوي فعله من بين أسنانها

((ماذا؟ هل كنت تتوين فعلا يا سميحة إخضاع ابنتك للفحص
هنا ومن ثم إحضارها لبيت حماها لتخضع لفحص آخر من قبل
القابلة؟ يا إلهي))

شدت سميحة على قبضتيها تحت الطاولة لتقول بندم

((نعم أعرف.. لكن الآن فكل ما أريده هو أن أطلقها لأحميها
من هكذا عائلة زوج.. وإذا تجرأ أحد فيهم على الخوض في
سمعتها أو عفتها فلن أتهاون بالأمر وسأشكو عليهم))

استمر الصمت بينهما للحظات.. لتبتسم ندى وهي تحاول تغيير
مجرى الموضوع لتتساءل بفضول

((إن هل هناك أي إجابة منك لياسر على طلبه؟ منذ أشهر
وهو ينتظر ردا منك))

تخضبت وجنتي سميحة بالخمرة إلا أنها فتحت عينها بغیظ
وهي ترد بسرعة متهورة مرحة

((وما الذي جلب سيرة ياسر لكلامنا يا ندى؟ هناك الكثير من
المشاكل التي أخوضها بسبب أولادي.. بمجرد أن يعود من
سفره بعد شهر أو أكثر سأفكر بالأمر مرة أخرى))

=====
=====

كان فيصل جالسا على احدى مساند حجرة الجلوس شاردا النظر
للفراغ أمامه بصمت..

كان وجهه المحمر غاضباً..

عندما استيقظ صباحا من نومه ولاحظ أن سلك الهاتف
الأرضي غير موصول بالقابس الكهربائي شك بأن لنا هي من
فعلت ذلك..

لذا وبمجرد أن رآها حتى نادها ليُحقق معها بالمكالمة التي
كانت تتحدث فيها بالاسم..

من المتصل؟ وهل كانت المكالمة موجهة له هو؟ ولماذا لم
تعطيه هو ليرد؟

وبالرغم من مراوغتها وارتباكها في بداية الأمر.. إلا أنها
وتحت وطأة الضغط منه قالت فحوى مكالمة أمس مع روعة..

كانت تتحدث بتوتر واضطراب بينما يستمع فيصل من ابنته
ووجه يزداد شحوبا..

لا يعرف كيف لم يصل به الأمر أن يُصاب بسكتة قلبية تقضي
فيه على حياته..

ولا يعرف كيف استطاع أن يتمالك نفسه ليحرك يده ويتصل
على سميحة..

كان بحاجة أن يعرف أن كان لديها أي فكرة عن المصيبة قبل
أن يذهب لبيت ابن عمه محمد والد مراد..

يعترف أن ما أخبرته به سميحة أراحه وأنقذه من موت محتم
كان الخزي والعار سيتسببان له فيه..

أخبرته عن اتهامات والدته مراد لأبنته وأنها لهذا السبب ذهبت
للمشفى هي وجالا..

أخبرته عن طلب والدته مراد بإحضار جالا لها ببيتها لتطلب من
قابلة الكشف عليها..

أخبرته عن ظنها بأن المشكلة بابنهم هم لذا قالوا ما قالوه عن
ابنته..

باختصار جالا ابنته وهو يعرف أنها طفلة الوحيدة المدللة
والعنيدة..

لكن ما زرع الشك بجدارة بقلبه وروحه هو إتيان والدته مراد
بسيرة كارم..

مما جعله يتذكر أيضا أيام عودة كارم من روسيا لهننا عندما
كان لا يزال مخطوبا لابنته..

فهو ومع أنه حذر جالا بأن لا تختلي مع كارم حتى ولو كان
خطيبها لعدم وجود عقد قران بينهما إلا أنها لم تكن تصغي
إليه..

مع أنه كان دائما ما يصرخ عليها كلما عرف أنه هو من قام
بإيصالها لجامعتها..

يتذكر أيضا بصغرها وعندما كان يراها تمشي دائما مع كارم
اللعين..

كان أحيانا يتجاهل الأمر لأنهما كانا صغارا ولكيلا يضحك
الموضوع لأنها تصير عنيدة أكثر عندما يمنعها من شيء تفعله
في الخفاء..

لكن في الأيام اللاحقة أصبح ينتبه على كارم ينتظرها في
الطريق ويتحدث معها كثيرا على شرفة منازلهما المتقابلة..

لذا الآن كيف يستطيع انه يقنع نفسه هو لا الآخرين فقط بأن
ابنته من المستحيل أن تكون قد أخطأت بحق نفسها وبحق
عائلتها؟

وجد إلزاما عليه أن يطلب من زوجته أمينة أن تذهب بها إلى
منزل والده مراد بمجرد عودة جالا..

جفل فيصل على صوت صغرى بناته وهي تخبره أنها كانت
تقف وتنتظر من خلال الشباك ورأت جالا عائدة فهتف لها

((الآن أجري والحقي بها وأجليبها هنا.. أريد رؤيتها والتحدث
معا))

انتبه لقدوم أمينه وهي ترتدي ملابس الخروج بعد أن أنهت
وتجهزت للخروج ليهتف بها هي الأخرى

((الآن ستأخذين جالا من يدها وتذهبين بها إلى بيت محمد الدال..
سلميتها لوالدة مراد ودعيها تجلب من تشاء من قابلات للتأكد من
عفة ابنتي.. وبعدها لكل حادث حديث بيننا وبينهم))

سمع موافقة زوجته ليهز رأسه بدون تعقيب وهو شاردا..

بعد أن يثبت لتلك التي تجرأت على التحدث على سمعة ابنته
وبعد أن يثبت صدق كلام سميحة بأن ابنها هو العاجز سيطلق
جالا فوراً من مراد..

كان عليه أن يكون أكثر حكمة وأن يفكر مئة مرة قبل أن يزوج
ابنته لشاب هربت عروسه بنفس يوم زفافه..

فهي لو لم ترّ منهم ما يضرها ما كانت هربت وخاطرت
بسمعتها وسمعة عائلتها..

بعد عدة دقائق كانت جالا تقف أمام والدها بعد أن أخبرها
وبدون أي مقدمات أن تذهب الآن مع زوجته لوالدة مراد حتى
تقوم بالكشف عليها من قبل قابلة تجلبها لتثبت زيف ادعائهم
بحقها..

رمشت جالا بعينيها وهي ترى نظرات أبيها وزوجته العميقة
الموجهة إليها وهم ينتظرون منها أن تعلن الموافقة والطاعة..

لكن وبالمقابل اكتسى وجهها الشاحب بالخوف قبل أن تحاول
التحلي بثقة وشجاعة مزيفة وهي تقول بينما تستحضر ذاكرتها
كل ما أخبرتها به الدكتورة أروى عندما رأتها بعدما خرجت
من تلك الحجرة وتركت أمها فيها

((أبي.. لا أريد الذهاب عندها.. وإذا تجرأت والدة مراد
واتهمتني مرة أخرى أي اتهامات باطلة فسأخذ إجراء قانوني
ضدها.. لقد عدت للتو من المشفى وأخبرتني الطبيبة أنه من
حقي ألا يجبرني أحد على شيء لا أريده.. مهما كان من يطلبه
وبمقتضى نص قانوني))

توتر الجو فور نطق جالا بتلك الكلمات لتتجه عيني فيصل
وزوجته إليها بصدمة وذهول..

لكن جالا لم تحيد حدقتنا عيناها المهترتان عن عيني والدها الذي
بادلها إياها بحزم قبل أن يدوي صوته المستنكر عاليا رافضا

((من هذا الذي يقول إنه لا يحق لنا؟ نحن نعيش في وسط
محافظ.. ولا تهمني تلك الجهات الحقوقية اللعينة التي لا يهمها
إلا إفساد الأسر ونشر الرذيلة))

شحبت جالا برعب حقيقي وتقلصت معدتها بوجع لا يطاق من
كلام والدها..

تطلعت إلى أمينه التي بدت متوترة وخائفة..

لكنها تقدمت منها تهدر بها برجاء قائلة

((أنا امرأة يا جالا ومن أكثر الراضين لكلامك.. بل عليك الآن
الذهاب هناك ومن دون أن يطلب والد ويكل ثقة أمام والدته مراد
وتطلبي منها أن تحضر أي قابلة تريدها لتكشف عليك.. فهذا
الكشف سيكون باعتباره شهادة عفتك أمامهم.. يحز في نفسي
كثير أن اسمع منك هذا الكلام رغم أن الأمر سيحميك من
شكوك زوجك وعائلته وتكهنات الناس من حولنا.. بل وستبعث
الفخر لدى عائلتك التي نجحت في تربيته تربية صحيحة))

نظرت جالا لوالدها لتهدر به برجاء

((أبي يؤلمني جدا صمتك على ما قالته والدته مراد وخضوعك
لطلبها رغم أنني اعرف أنك متأكد من كذبها عني))

زمجر والدها بها بصوت عالي

((ومن قال لك بأني سأسكت لما قالته عنك وعن سمعتك؟
أعرف جيدا كيف سأحاسبها على ما قالته وعلى خداعهم

وجعلي أزوجك من ابنهم.. ولكن عليك أن تثبتي لهم أولاً كذب ادعائهم..))

ثم أردف هاتفاً

((هيا يا جالا لم التردد؟ ارتباكك وخوفك هذا يجعلني أظنه نابع من كون كلام والدته مراد صحيح وأنتك تخشين القيام بالأمر خوفاً من الفضيحة ومن أن يتم كشف أمرك.. أنا أعلم يا ابنتي مدى بشاعة الطلب لكن لإصراحك أعاني من شك يقتلني..))
كانت جالا فعلاً لا تصدق ما تسمعه..

ألا يكفيها ما قالته والدته مراد وما قامت بنعتها إياه من أبشع الألفاظ التي يمكن أن تسمعها فتاة لتقول لوالدتها أن تريد أن تكشف عليها أيضاً حتى تثبت أن ما قالته عنها وعن كارم خاطئ..

رفعت عينها المنهكتان لوالدها وهو يقول حازماً ببعض الرفق
((هيا يا جالا أذهبي الآن مع أمينة عندها.. لا تجعليني أشكك بأبنتي الحبيبة))

وكم بهذه اللحظة كرهت جالا جسدها وكونها أنثى..

ولم تجد أي بد للتواصل في الاعتراض أكثر وهي ترى أن والدها يشتد غضبه كلما تمسكت برفضها..

بل لربما سيعتبر موقف رفضها على أنها وقعت بالخطيئة..

وهنا وجدت نفسها مكرهة تهز رأسها موافقة بعد أن سقطت في فخ الابتزاز من قبله..

فقد شعرت بأنها ستخذه لو رفضت وستهين كرامته وتعصي أوامره وتلطخ سمعته.. فوافقت..

وكم أحرق قلبها وألمه كون والدها وبرغم أنه قد يكون هناك شكوك بداخله نحوها إلا أن أحر ما يتوقعه ألا ترفع رأسه بعد هذا الكشف..

بعد ساعة..

كان والدها متعبا نفسيا حد أنه لم يستطع إيصالها لبيت محمد الدال فذهبت جالا برفقة أمينة..

وبالطريق أخذت أمينة نفسا عميقا قبل أن تحاول تهدئة ذلك الغضب والخوف المتشبه بصدر جالا والظاهر لها لتقول لها بصوت هادئ تحاول بث الطمأنينة من خلاله لها

((جالا يا ابنتي لا تحزني.. ما دمت واثقة من نفسك فلن يهملك الأمر))

وعندما دقت أمينة باب بيت روعة فتحت لها روعة بوجه ممتنع..

كان البيت خاليا من أي أحد إلا منها هي والقابلة التي طلبت إحضارها..

لم تكن يارا متواجدة معهم فكان أغلب الظن لجالا أنها ما تزال نائمة فلا يوجد شيء يستدعيها لتستيقظ بالصباح كاستعبادها والإشراف على ما تقوم به كما كانت تفعل بها بالسابق..

طلبت القابلة من جالا الدخول لإحدى الغرف لتدخل هي عقبها وتغلق الباب خلفهما..

بينما جلست روعة بارتباك على إحدى المقاعد.. تلوك شفتها بتوتر..

انتبهت لأمنية زوجة والد جالا تلتفت وتتنظر ناحيتها ببطء
وبعينين غامضتين غير مقروئيتين فأزداد توترها..

أخفضت روعة بصرها أرضا وكم تمننت بهذه اللحظة أن تكون
جالا فعلا غير عذراء كما قالت..

لم تتصور أنها يمكن أن تتمنى هكذا شيء لأي ابنة أناس..

ولكنها هنا فعلا تتمنى أن يكون كلامها صحيح.. لأن ما سينولها
لو تبين انه العكس لن يكون هينا أبدا من توبيخ أو تفرير
الجميع وخاصة من زوجها.. وربما أكثر..

رباه كم شعرت روعة بأنها وبهذه اللحظة نادمة.. بل وأشد الندم
على ما فعلت وتريد التوبة إلى الله..

عرفت كم كانت مخطئة عندما أتهمتها ولفقت عليها قصة بدون
أن يكون لها أي دليل..

خاصة وقد قذفتها تصريرا لا فقط تعريضا أو لمزا..

بقيت روعة على هذا الحال وكل ثانية تمر عليها كسنة..

بينما بداخل الحجرة طلبت القابلة من جالا أن تتحرر من
ملابسها وتستلقي على السرير..

كانت تتعامل القابلة مع هذا النوع من الفحوص كأمر روتيني
اعتيادي..

وكانها معتادة على هذا النوع من الكشوفات الذي لا يتجاوز
ثمنه بضع قطع نقدية ويتم تحت مسمى كشف نساء عادي..

وكم شعرت جالا بأنه يترافق مع حالتها من نظرة دونية لها
كالسيطرة على جسدها والتشكك بنمط حياتها..

ومن كثرة المقارنات التي كانت تعقدها روعة ويارا عليها هي
وخطيبة مراد السابقة سهر..

لم تستطع جالا هنا أن تمنع نفسها بهذه اللحظة أن تقوم بمقارنة
بينهما..

لأنه وعلى ما يبدو أن تطبيق هذا أمر يكاد يقتصر عليها وعلى
أمثالها..

فهل كانت والدة مراد ستجرؤ على طلب إجراء هذا الفحص من
ابنة شريك زوجها سهر لو كانت هي من تزوجت مراد؟

هل كانت ستجرؤ على هذا الطلب لو كانت زوجة مراد ابنة
إحدى العشائر الكبيرة أو شقيقة أحد الزعماء أو الوجهاء؟

كل هذه المشاعر المتخبطة كانت تنطوي بوجدان جالا.. مما
جعلها تنزف دموعها بعينيها المتألمتين لتنزلق على وجنتيها..

لكنها لم تعد تريد أن يتغلغل جسدها الذل أكثر ويغترف من
روحها المقهورة..

فوجدت جالا نفسها تهمس من بين شهقاتها الخافتة للقابلة بعد أن
ذهب قرار موافقتها أدراج الرياح

((أشعر بأني لا أريد القيام بهذا الفحص))

نظرت القابلة بتجهم لجالا ودموعها قبل أن تتقدم منها وتحاول
تهدئة بكائها قائلة

((يا ابنتي كل الأهالي من حقهم أن يطمئنوا على بناتهم))

كانت تهدئها وتقعنها بأن المسألة بسيطة وأنها لن تتوجع..

لم تستطع فهم أن ألم جالا الحقيقي كان يكمن في وقوفها أمامها
دون إرادتها لتفحص أكثر الأشياء خصوصية بالنسبة لها كفتاة..

بل وشعرت بالرعب من ردة فعل القابلة حيث أنها لم تبد أي رد
فعل على اعتراضها الواهن على الإطلاق والذي كان مختلفة
تماما عن الطبيبة بالمشفى..

الحقيقة أنها وطوال الطريق كانت تكذب نفسها.. وتوقعت بأنه
ما ستطلبه منها أمينة أو روعة هو لإخافتها فقط..

ولكن ها هو كل شيء يتم بالفعل..

وها هي تنفذ ما تطلبه منها وتفعل وتبدأ بالتححرر من ملابسها
وتجلس على السرير..

لكنها تجمدت بعد ذلك ولم تعد تسمع أي شيء مما تأمرها به
القابلة بعد ذلك..

حيث أنها لم تستطع الارتخاء حتى أن القابلة كادت أن تفقد
صوابها من شدة تصلب جسدها الذي بدا رافضاً تماماً..

وبعد عدة دقائق من المعافرة ومحاولات لبث الاطمئنان بها
نجحت في الأمر وهي ترى تراخي جسد جالا قليلاً..

ولكنه لم يكن كافياً ليمنعها من الشعور بألم..

على الأقل لم يكن بشدة إحساس الإهانة الذي كان يعترئها وهي
بين إنسانة غريبة تعبت بجسدها لا لشيء إلا لتثبت زيف ادعاء
والدة زوجها..

لم تعرف جالا أن تصف ما تعاشها الآن بهذه التجربة..

لم تكن تصرخ ولكن عينيها لم تتوقف عن ذرف الدموع..

شعرت بأنها ستموت من قهرها بل ستنهار وستصعد روحها
منهكة إلى السماء..

بعد انتهاء الفحص الذي استمر لحوالي نصف الساعة نتيجة
ارتباك وخوف جالا الشديدين..

أوضحت القابلة لجالا أنها لا تزال عذراء..

لكن وللغرابية لم تشعر جالا بأي راحة بعد أن ذهبت أكبر
مخاوفها بأن لا تكون كذلك..

انتبهت جالا كيف تحولت القابلة في معاملتها لها.. فقبل الكشف
كانت تتحدث معها بجفاء وقسوة..

والآن تتعامل معها بقمة الحنو والتعاطف بعد أن اتضح لها أنها
مستقيمة بحسب العرف السائد..

ثم رأتها تخرج من الحجرة بعد أن فتحت مقبض الباب لتهتف

((زوجة ابنك يا سيده روعة مثل الفل))

شحب وجه روعة وهي تسحب القابلة من يدها وتوصيها بأن لا
يعرف أحد بأي تفاصيل تخص هذا الأمر..

لا يمكن لأحد أن يعرف بأن زوجة ابنها لا تزال عذراء حتى
بعد شهرين من زواجها بابنها..

ارتدت جالا ملابسها وخرجت من الحجرة وهي لا تعي أي أحد
حولها..

إلا القرار الوحيد الذي اتخذته..

وهو بأنها لا يمكنها أن تستمر بهذا الزواج.. بل بقائها به يعني
أنها تتساهل في حق نفسها..

خاصة وأنه تولد لديها شعورا بالطعن بعفتها لا تظن أنها
ستستطيع أن تتجاوزه أو تتقبله بسهولة..

شعرت جالا بأعصابها تنقلت منها..

فالكشف الذي مرت به قبل قليل تسبب لها بألم إضافي لها بل
وحاكي الفعل الأصلي الذي سبق وتعرضت له بطفولتها..
جعلها تعيش وتعيد نفس التجربة والصدمة والإيذاء..

ويبدو أن الأيام القادمة سينتظرها فيها الكثير من القلق
والاكتئاب وتوتر ما بعد الصدمة..

بينما كان فيصل ببيته متوترا وهو يهز ساقيه بعصبية..

كان يجلس على احدى الأرائك في منزله الأرضي ويفقد كل
دقيقة ليتأكد من أي مكالمة من زوجته..

ما إن رن هاتفه حتى أجاب عليه بسرعة وبلهفة يسمع أمينة
تخبره برد القابلة لتنفجر أساريه فخرا بأبنته التي ندم لشكها بها
فقط لأن إحداهن اختلقت عليها بعض الأكاذيب..

لكن سرعان ما التمعت عينيه بذنب يشعره تجاه جالا فما حدث
للتوا سيتسبب بشرخ كبير بعلاقته معها..

بالأساس هناك شرخ بعلاقتهما وما حدث سيزيده..

بينما وبمجرد أن اقتربت جالا التي كانت تمشي مع أمينة من
حيهم تجاهلت طلبها بالدخول لبيت والدها لتسرع راكضة نحو
منزلها والدتها هي..

دخلت للمنزل من الباب لتلاحظ أن والدتها لم تصل بعد..

فحمدت الله لأنها شعرت بانها تريد الاختلاء بنفسها..

تحتاج فرصة لتنفيس عن مكنونات صدرها بعد أن بسطت كفها
تغطي فاهها ليحتوي شهقاتها المقهورة..

كانت تبكي حزنها وقهرها بحرقه.. تنوح وترثي نفسها..

ولأنها لم تكن تعرف عن أي مكان متاح لها لتذهب له حتى
تتلقى أي دعم نفسي هي بأمس الحاجة له.. قررت بأن عليها
فقط أن تتحاشي تذكر الأمر من الآن وصاعدا..

دلفت لغرفتها لتدفن وجهها بالوسادة وهي تحاول كتم شهقاتها..

وصوتها عبارة عن موجات من العذاب اللاسع..

مر دقائق على حالها..

وما إن حاولت أن ترفع رأسها حتى شعرت بخدر ووهن في
جسدها وغشاوة تغلف عيناها فما كان منها إلا أن أغلقتهما
وغرقت في نوم عميق..

=====
=====

استيقظت جالا النائمة بغرقتها صباح اليوم باكرا وبالرغم من
أنها ظنت لن تستيقظ أبدا بعد ما تعرضت له في الأمس من
انتهاك..

أبعدت عنها الغطاء وشعور يباغتها أنه لا يوجد سبب مقنع
للاستيقاظ واستقبال اليوم المقبل عليها فكل ما تشعر به في هذه
اللحظات هو الفقد وخيبة الأمل..

كأنها أصبحت مختلفة على ما كانت عليه بدون أن تعرف كيف
تقرّر أو تتعامل مع حياتها بعد الآن..

وبعد ما حدث الأمس تذكرت كل شيء سبق وحدث معها..

لماذا كان عليها أن تفقد مراد الآن بخيبة أمل شبيهة بالتي
تعرضت لها مع كارم ولو باختلاف ما حدث؟

الآن هي مضطرة ومجددا أن تتعايش مع نوبات الهلع التي
ستبدأ وتضل لفترة كما تعودت أن تمر بها بكل مرة يصيبها
شيء مشابه لما عايشته بالأمس من أرق.. فزع.. خوف..
جرح.. وشرخ في شخصيتها..

لم تتعافى هي حتى مما أصابها بالماضي حتى تفكر بالتعافي
مما حدث لها حالياً..

لكن وكما هي معتادة على الفعل بكل مرة.. فلتجنب التفكير به
وحسب فعلها أن تكون أقوى..

صحيح هي لن تستطيع نسيان تفاصيل ذلك الكشف..

ولا تظن أنها ستصل لقدرة على مسامحة كل من له علاقة
بجعلها تعيش وتشعر بمرارة ما مرت به من احتقارها لجسدها
الذي يحدث أنها لا تملك القدرة على عدم تسييره رهن مزاج
تقاليد مهينة..

لكن على الأقل حالة الجمود التي تتلبسها الآن تفي بالغرض..

وكما أخبرت عائلتها سنترك مراد وتطلق منه فلا يمكنها تحمل
العيش معه بعد شعور الإساءة التي تعرضت له خاصة وأنه
كان سبب رئيسي به وفي تعرضها لضغوط نفسية واجتماعية
دفعتها إلى الموافقة على إجراء الفحص من قبل تلك القابلة..

ألا يكفي تصديقه لكلام والدته بلا أي دليل وجعلها ضحية
الاتهامات بسقوطها بالرذيلة؟

اعتدلت جالا واقفة من على سريرها بإرهاق نحو الحمام لتغسل
وجهها وأسنانها..

في نفس الوقت.. المطبخ..

وقف راجي في المطبخ بعد القهوة ويدندن إحدى الألحان
بصوت سعيد وهو يحرك كتفه ببلاهة مع انغامه..

محاو لا أن ينشر بعض البهجة بهذا البيت الكئيب ورافضا
دخول أي موجات حزن عليه حتى بعد معرفته بأن جالا ستطلق
قريبا..

ولم تحتاج أن تحزن للطلاق؟

هي ما زالت صغيرة وما زال مقتبل العمر أمامها..

كما انه كان مع عمه فيصل بالأمس عندما طلب والد مراد حتى
يحاسبه على فعلة زوجته..

والتقريع الذي ناله محمد الدال من عمه فيصل أبرد كل غضبه
تجاه مراد وعائلته..

التقطت سميحة فنجان قهوتها من ولدها بابتسامة حانية وهي
تلاحظ حالته السعيدة..

هدر لها راجي عقب أن جلس على الكرسي الذي بجانبها
يرتشف من فنجانه بعبث ومرح

((أمي لا اعرف ما الداعي للمماطلة.. وافقي عليه.. انه رجل
جيد.. لا تقلقي بشأن أختاي أعدك أني سأهتم بهما.. أريد أن
أفرح بك..))

شعرت بالألم على ذكر راجي أخته.. فهي غير راضية عن
حياة كلتاهما وما تتعرضان له..

لكن جاهدت سميحة نفسها حتى تخرج ضحكة خافتة حزينة
منها قبل أن تزم شفتاها بحلق لراجي هاتفة

((نعم تريد أن تفرح بي بعد أن صرت بنهاية أربعينات عمري؟
أي فرح هذا وجالا ستطلق من زوجها قريبا وتعود للبيت بعد
شهرين زواج فقط.. كيف تريد أن أتناسى ذلك وأتزوج؟))

ابتسم راجي وهو ينظر لوالدته يقول بابتسامة دافئة وبجدية

((أمي لا تضحكي فأنا جاد.. لقد سبق وأن طالبك عمي فيصل
قبل سنوات أن تعودى على ذمته عندما توفت زوجته
ورفضت.. وبعده جاءك عدد من الخطاب ورفضتهم بحجة
تربيتنا ورعايتنا مع أنهم كانوا موافقين على أن نبقى معك بنفس
البيت.. لكن الآن كبرنا ولا حجة لك لرفض ياسر))

عقدت سميحة حاجبها بغیظ قائلة

((لا تجلب لي سيرة عمك لقد انتهى كل ما بيننا منذ عقدين من
الزمن ومن ثم رجوعي له كان يعني أن اترك عملي والذي هو
متعتي من أجل أن أستطيع اللحاق على رعايتكم أنتم وبناته..
لقد كرسيت كل اهتمامي بكم أنت وأختاك ولا أحد فيكم سعيد في
حياته.. فما بالك لو قسمتُ اهتمامي بينكم أنتم وبنات عمك؟ ثم
إن جدتك الحبيبة كانت ستأخذك مني لتربيك هي لأنك غير
محرر على بنات عمك فيصل.. وأن لن استعني عنك أنت ولدي
الحبيب))

ضحك راجي بخفوت وخيلاء لكونه الولد المفضل بالعائلة..
فأردفت سميحة بجديّة

((كما أنى سبق وأن وجدت صعوبة بفكرة الزواج لمرّة ثالثة
وتقييد نفسي بعد أن اعتدت على الحرية.. لذلك رفضت
الزواج))

غمغم راجي

((وياسر؟ ألن تشعري لو تزوجته بالتقييد؟ متى سيعود من
سفره؟))

نفت سميحة بتلقائية

((لا بالتأكيد ياسر مختلف.. عاش معظم حياته بالخارج.. بعد
طلاقه منذ سنوات طويلة عاد هنا.. يسافر بشكل سنوي للخارج

لزيرة أولاده وأحفاده ومن ثم يعود.. ربما سيعود بعد شهر
ونصف))

هم راجي أن يتحدث لكنهما جفلا على دخول جالا للمطبخ
والتي كانت ما تزال ترتدي منامة نومها الطفولية..

انتبه راجي على وجه أخته المتعب وعيناها الذابلتان واللتان
فقدتا بريقهما الضئيل حيث يحيط بهما السواد واحمرار
الأجفان.. فتبدو كمن يعيش أيامه في البكاء والنواح المستمر..

سدت جالا عيناها بإنهاك وهي تجلس على نفس الطاولة
وتهمس بصوت خافت متذمر ونظراتها بعيدة عن عيونهم

((أين فجانني أنا؟ ألم تحسبوا حسابي؟))

حاولت التصرف بطبيعية رغم خجلها من عائلتها خاصة وهي
تجلس مع راجي حيث أنهما بالفترة الأخيرة لم يكونا يتواصلان
بشكل مستمر..

هي فعليا جاهلة بالأفكار التي قد تجول برأسه بعد أن عرف كل
ما حصل معها وأنها فشلت بحياتها الزوجية بعد شهرين فقط..

بالرغم من تأكيد راجي لها انه لا يريد أن تحزن.. وبأنه كان
شاهدا على اخذ والدها انتقامها من عائلة زوجها لما فعلوه بها..

وإخباره لها ألا تخجل من طلب طلاقها فهو قرار يحتاج إلى
شجاعة كبيرة لا تقدر عليها الكثيرات.. خاصة مع استحالة
الحياة بينها وبين مراد بعدما فعلوه بها..

إلا انها عجزت أن تقلل من شعورها هذا نحوه..

خمن راجي ما تفكر به أخته فوجد نفسه يلقي عليها نظراته
المعتادة متسائلا بمشاكسة وهو يحاول أن يلطف الأجواء
بينهما

((ألا تملين من النوم؟ طيلة الوقت نائمة))

زمت جالا شفتاها له بغيظ قبل أن تنتبه على كوب قهوتها
الضخم المُعد لها كما تحب لتعتدل واقفة وتخطو نحوه..

جاءهما سؤال أمهما

((جالا لماذا لم تذهب لجامعتك أنتِ وراجي الآن حتى تقومي
بإجراءات العودة لها من أجل الترم الثاني؟ لقد أنهى الطلاب
امتحانات هاذ الترم وبعد أيام سينتهي الموظفون والإداريون
دوامهم.. يجب أن تتعجلي))

تنهدت جالا قبل أن تقول بارتباك وهي تعود جالسة لتضع
كوبها أمامها فوق الطاولة

((أمي أنا متعبة جدا.. يبدو أنني سأكون بحاجة لتأجيل الترم
الثاني أيضا.. قريبا سأحصل على الطلاق من مراد ولا أشعر
أنني سأكون قادرة على التركيز بدراستي.. ما زلت مصدومة
من كل شيء يحدث حولي..))

سارعت سميحة بنهرها وهي تقاطع كلماتها

((جالا يجب أن تكوني سعيدة بطلاقك لأنك تخلصت من تلك
العائلة.. أما فكرة تأجيل ترم دراسي فإنسي ذلك.. لن اسمح لك
بتأجيل ترم آخر كلما أصبت بصدمة.. فذلك جنون.. ستذهبين
غدا لإكمال إجراءات تسجيلك للترم ولن يكون هناك أي تأجيل
وإلا والله يا جالا سأضرب عنقك بضربة ستكون هي السبب
الفعلي في إصابتك بصدمة حقيقية.. هل تفهمين؟))

هزت جالا رأسها لكلام والدتها بطاعة.. ثم ما لبثت تتساءل
بخوف

((هل أخبر والد مراد والذي متى سأحصل على طلاقي؟))

هزت سميحة رأسها هاتفة

((لا أدري لكن لا تقلني ستتخلصين قريبا من الحياة مع تلك
الأفعى ومن ابنها العاجز عن إتمام زواجه بك))

شبكت جالا ذراعها وهي تزفر بيأس ثم قالت بغضب من عدم
قدرة عائلتها على استيعاب كلامها مهما كررته

((أمي توقفي عن قول "عاجز" عن مراد.. أخبرتك أنه ليس
كذلك.. فيه الكثير من الصفات السيئة التي أكرهها.. لكن العجز
ليس من ضمنها.. إياك أن تقولي هذا الكلام أمام أحد))

زمت سميحة شفتها قائلة

((لا تقلني لست كوالدته.. لم اقل لأحد إلا والدك..))

صمت سميحة ثم عادت بعد لحظات تتساءل مرة أخرى وهي
تتدخل بالتفاصيل التي ترفض جالا التحدث عنها

((هل أنت متأكدة يا جالا أنه ليس كذلك أم هذا ما أقنعتك به
مراد؟ لربما بداخله هو يشعر بأنه ليس سلبياً حتى وإن كان
يقول خلاف ذلك.. حتى وإن كان لا يعترف.. ولكن إن أعظم
دليل على أنه يعرف حقيقة نفسه هي مسألة سماحه لأمه
بتعذيبك ببيتها والتعامل معك بعدم احترام.. أعني انه يريد أن
يفعل مشكلات أخرى حتى يُشعر من يتعامل معك على أنك
إنسانة سيئة وغير سوية وسبب المشاكل.. كل ذلك من باب
التغطية على المشكلة الحقيقية وهي عجزه))

قلبت جالا عيناها بغضب قبل أن تزفر بضيق وهي تنتصب
واقفة من مكانها وتغادر المكان بدون أن ترد على أي كلمة..

=====

=====

في نفس الوقت.. بيت فيصل..

كان فيصل جالسا مع ابنته هيام في حجرة الجلوس لوحدهما
يرتشفا قهوتهما الصباحية قبل أن يباغتها فيصل بسؤاله

((هيام أنتِ لا تتواصلين مع احمد.. صحيح؟))

لوهلة تذكرت هيام محادثتها مع احمد ليلا في الأمس..

أخبرها احمد قليلا عن شجار حدث بينه وبين زوجته بدون أن
يدخل بالتفاصيل..

لكنه بدا غاضبا ويانسا من كل حياته الزوجية..

حد أنها تفاجأت به عندما أخبرها بأنه سيبدأ من الآن وصاعدا
المبيت والنوم عند والديه فيبته بات لا يُطاق ولا يُحتمل..

هتف فيصل باسم ابنته مرة أخرى لتنتبه هيام له.. ثم تحببه
بحنق

((نعم أبي صحيح.. أنا بالأساس كنت واضحة معه أنني لن اقبل
أن أتزوج منه إذا لم توافق زوجته على زواجه مني))

نظر فيصل لابنته لبعض الوقت.. قبل أن يعاود ارتشاف قهوته
بهدهوء شديد..

ثم رفع نظره لابنته يرشقها بتفحص قبل أن يقول بتهكم

((ولا أظن أنها ستوافق أبدا.. لذلك ابتعدي عنه وأريحي بالنا..
ولو كنتي ذكية لكنك على الأقل طلبت التعرف على سعد قبل
أن ترفضيه هكذا وتضيعيه منك))

امتقع وجه هيام قبل أن تقول ببثبات

((أبي لقد حاولت قبلا التعرف كثيرا على الخطاب الذين
يتقدمون لي.. لكن مهما كنت أحاول أن أحبهم أو أتقبلهم إلا أنني
كنت أفضل بذلك.. لم ولن أجد رجل يشعرني بما شعرته تجاهه

احمد.. لذلك سأبقى عزباء لنهاية عمري.. فيا أن أتزوج من
احمد أو لن أتزوج أبدا!))

ابتسم فيصل لابنته التي لم تعد كلماتها هذه تؤثر عليه قبل أن
يقول بلا مبالاة وواقعية

((صحيح أي كنت معارضا لبقائك هكذا بلا زواج.. ولكن الآن
أجد أن تبقي عزباء أفضل من تفسدي علاقتي مع أولاد عمي..
لذلك لك مطلق الحرية بقرار إضرابك عن الزواج.. بالنهاية لا
أحد خاسر بالموضوع غيرك))

تنفست هيام بغضب وضيق من كلام والدها.. لكن سرعان ما
حاولت تغيير الموضوع وهي تسأله

((إذن أبي.. ما الخطوة القادمة بموضوع جالا ومراد؟))

رفع فيصل حاجباه وهو يجيب بنبره واثقه متحكمة بالخيوط

((وماذا سيحصل؟ لقد تحدثت بالأمس مع والده مجد وأطحت
بكرامته أرضا على الذي فعلته زوجته هي وابنها بجالا.. كان
مخرج جدا أمامي بما فعلوه من وراء ظهره وبما كان يجهله
عن ابنه.. ولم يكن أمامه إلا أن يتجرع كلماتي بكل ذل مخرسا
الغضب بداخله..))

هزت هيام رأسها برضا.. قبل أن تعاود التساؤل بعملية

((حسنا جيد.. لقد انتقمت لجالا منهم.. إذا وماذا بعد ذلك؟))

هز كتفيه يرد سؤالها بسؤال آخر مستفسر

((أي بعد؟ ماذا تقصدين؟))

أجابته وهي تعقد حاجبيها

((أقصد أنه بالتأكيد لن تبقِ ابنتك عند مراد بعد أن تجرؤا
وتحدثوا بما يمس سمعتها.. بل لن تقدر أن تأمنهم عليها
مجددا..))

ضيق فيصل عينيه وهو يسألها مقاطعًا بغموض

((إلى ماذا تلمحين؟))

تنهدت هيام من مراوغة أبيها قبل أن تتحدث معه بوضوح

((لا ألمح إلى شيء لكن أنت قلت بأنك ستطلقها وهي بالفعل
تنتظر ورقة طلاقها))

سألها مرة أخرى بنفس الغموض

((ولماذا أنت مستعجلة إلى هذا الحد لطلاق أختك؟))

أجابته بلهفة توضح كلامها

((أبي.. لا أقصد.. ولكن ما فعلوه بها أثبت أنهم لا يستحقون أن
تبقى جالا زوجة لأبنهم))

قال فيصل متذمرا

((تتحدثين كأننا تفضلنا عليهم بقبولنا عرضهم بأن يتزوج مراد
من تلك العنيدة.. مع أن أختك ليست حتى مرضية الوالدين
لأقول إنه دعائنا السبب بزواجها من شاب مثل مراد))

قالت هيام بصوت حاد

((نعم مراد.. وما فائدة وسامته أو مستواه المادي هو وأباه.. أو
أي شيء آخر فيه وهو غير قادر على.. استغفر الله العظيم..
والله الواحد لا يعرف ماذا يقول..))

بترت كلامها وهي تزفر بحنق وتشيح بوجهها مغمضة
العينين..

إلا أن فيصل انعقد حاجباه وهو يجيئها بنبرة عميقة

((وما أدراك بهذا الأمر؟ معنى أن شقيقتك عذراء حتى الآن
يحتمل عدة خياراتك ولا يعني أن الخطأ منه.. أمك هي من
أخرجت تلك الشائعة عليه.. لا تتبلوا عليه))

بالرغم من أن فيصل كان يلمح كثيرا متشمنا بكلامه مع والد
مراد بان ابنه كذلك إلا انه بقرارة نفسه كان يستبعد هذا
الشيء..

قالت هيام مدافعة بغضب من بين أسنانها

((أبي.. أمي آخر من تريد أن تطلق ابنتها بعد زواج لم يستمر
إلا لشهرين.. ولكن بعد الذي فعلوه جعلها تعطي جالا كلمة بأنها
ستطلقها منهم فورا.. لأنهم أناس لا يخافون الله))

استفرت هيام والدها ليقول بصوت عالي وغازب جعلها
تتنفض قليلا

((ولماذا أنتِ واختك والمصونة وأمك مستعجلات لهذا الحد
على الطلاق؟ هل تريدين أن تصبح أختك بلا رجل مثلكما؟
والله لست راضي عن شيء فيكم جميعكم حتى ذلك الساقط
راجي))

لم يؤثر كلام فيصل على هيام أبدا وهي المعتادة على سماعه
منه كثيرا..

بل قلبت عينيها بضجر ثم ابتسمت بتصنع وهي تتساءل أمام
والدها متعمدة ضربه بموجع عند ذكر راجي

((أبي وما دخل راجي بالموضوع؟ أنت لا تفوت أي فرصة
لإهانته بسبب أو بدونه.. ولا اعرف لماذا.. فهو محبوب جدا
من قبل الجميع إلا أنت.. تتمناه أن يكون زوجا لإحدى بناتك
الأخريات وبنفس الوقت تكرهه وتكن حقا تجاهه))

قاطع فيصل كلماتها وهو يقول بصوته المتسلط وأنفاسه الهادرة
بثورة

((وكيف ما دخله؟ كل مرة اسأل عنه يكون غير متواجد هنا..
وما فائدة إنجابه ما دام لن يعينكم عندما تحتاجونه))

أجابته هيام وهي تلتقط فنجان قهوتها من أمامها

((أنه الآن بالبيت.. لكن هناك صديق مقرب منه يقبع في
العاصمة سافرت عائلته للخارج لذا ينام عنده عدة أيام
بالأسبوع.. أخبرتك ذلك سابقا يا أبي وها أنا أكرر كلامي))

أجابها فيصل بنفس الغضب والهدوء السابق الذي احتله يتلاشى
من على ملامحه تماما

((نعم؟ لقد أخبرتموني انه "سينام عنده فقط لليلة واحدة"
وصرخت بكم "أنها ستكون أول وآخر ليلة ينام فيها خارج
البيت لأنه ليس لدي أولاد صغاليك يسهرن خارج البيت"..
والآن تقولين لي ببساطة انه معتاد على النوم هناك كثيرا؟ ما
أسم هذا الصديق؟ وما اسم عائلته؟ من هم والديه وماذا يعملان
وأين يقطن منزله بالضبط في العاصمة؟))

هزت هيام كتفها قائلة بتهكم

((أبي ما أدراني أنا.. ليس لدي أي نية بمصاهرتهم))

زفر فيصل بضيق قبل أن يهز رأسه بيبأس وهو يقول بغير
رضا

((والله لا شيء يعجبني فيه الآن.. بالسابق وبصغره كنت
حريص على أن يحفظ القرآن.. وكنت أتابعه بل وأراقب كل
تصرفاته حتى انتهاء المرحلة الثانوية.. أتأكد من أدائه الصلاة..
وانتظامه في دراسته.. ومن يصادق.. لم أشتد له هذا الاختراع
الجديد والمسمى "الهاتف النقال" خوفاً عليه من أي انحراف..
لكن مرحلته الجامعية هي المرحلة الفاصلة.. فقد أدركت فيها

صعوبة بل استحالة السير بنفس النظام لذا سمحت له بأن يقتني الهاتف.. لكن يجب علي أن أتابعه أكثر.. لن اسمح له ينحرف أكثر من ذلك..))

كان فيصل ينهي كلامه بتوعد وغل.. فتمتتمت هيام متهكمة ((نعم أبي صحيح كلامك.. كنت تتابع راجي أكثر منا نحن بناتك جميعنا وكأنه ابن لك))

جز فيصل على أسنانه قبل أن يقول بإصرار

((بمجرد أن انتهى من مشكلة أختك العنيدة سأبدأ متابعة أخيك.. فأخيك فعلا تغير.. منذ دخوله الجامعة وقد أصبح له رقة من الأصدقاء والله اعلم إن كان هناك أيضا صديقات.. فلا يجب على ذلك الأحمق أن يظن بلوغه سن العشرين يعني أن لا سلطة لي عليه.. بل سأبقى أنا المسؤول عنه ولي سلطة عليه حتى أكبر من والده الذي لا يقل همالة عنه وهو يقيم هناك بفرنسا بدون أن يبالي بوالديه أو ابنه الوحيد))

بالرغم كل شيء شعرت هيام بالقليل من الألم بسبب الفجوة النفسية التي بينه وبين راجي.. فجوة لا تقل أبدا بل هي في ازدياد..

رفعت نظرها له عندما سمعته يقول بهدوء وبصوت حكيم

((بالنسبة لجالا يا هيام.. فأنا والدها والأدرى بمصلحتها.. زوجة محمد أقسمت أنها لم تتحدث عن سمعة جالا أمام أي أحد باستثناء لي وأمك.. ومحمد بنفسه اعتذر صاغرا أمامي كثيرا عن تصرف زوجته وابنه لذا أرى بانه لا داعي للإسراع بالطلاق.. لنترك الطرفين منفصلين لمدة.. ونعطيهم مجالا للهدوء وإعادة التفكير وبعد ذلك لكل حادث حديث.. وإذا كانت هناك مشكلة في مراد لنعطيه الفرصة ليعالج نفسه..))

قالت هيام بتردد ونبرة خافتة

((أبي لا أدري.. ولكن لا أتوقع أن جالا ستوافق.. آخر ما يمكن أن تقبله هو أن تعود..))

قطعها والدها بصوت حازم وناقر

((وبماذا يهمني ما تريده سموها؟ لقد وافقت بلسانها على الزواج من مراد وعليها تحمل هذا القرار.. هل تظن أن الزواج لعبة وعند أول مشكلة سنطلقها؟ أنا والدها ولا أريد أي شيء إلا مصلحتها.. ثم هل تظنين بعد طلاقها ستجد شبان عزاب على الباب ينتظرون تحررها حتى يتقدموا لها؟))

تتهدد هيام بضياح وهي تلوح بيدها بعجز

((لا أدري.. فليكتب الله لها الخير))

=====
=====

ازدردت يارا ريقها وهي تسأل مراد والارتباك يستقر على ملامح وجهها

((مراد لماذا أنت صامت؟ قل أي شيء؟))

كان مراد عاقد الحاجبين يجلس على حافة الأريكة بينما تجلس يارا مستقرة على الأريكة بجانبه بعد أن قصت عليه كل ما حدث بالأمس في غيابه..

أخبرته أنها ادعت النوم ولكنها بالحقيقة كانت تراقب وتسمع كل ما حدث من خلف الباب الموارب..

وكم شعر مراد بالغضب ينهش قلبه وهو يصغي لها تقص عليه كل ما حدث..

قلبه وكل ما فيه كان يرتجف غضبا وأما على زوجته..

ما فعلته والدته لم يؤذي جالا وحسب بل أذاه هو..

فإحضار قابلة من أجل الكشف عليها وبدون حتى أن تخبره كان كأنها طعنته في ظهره..

حتى ولو كانت جالا مخطئة فلم يمكن يحق لأمه فعل ما فعلته..
لقد صغرت من نفسها ومنه هو..

لم يرد مراد على يارا وهو يتابع التفكير..

والدته ليست المخطئة الوحيدة.. بل هو أيضا.. وأكثر منها..

فهو من صدق أمه وبدون أي دليل..

وماذا صدق؟ صدق كلام يمسه أعلى ما تملك زوجته التي لا ذنب لها إلا أنها متزوجة من شخص لا يثق بها..

فالأصل في التعامل بين الزوجين الثقة لا الشك والريبة..

كان من الواجب عليه أن يقطع شكّه وسوسة الشيطان له تجاهها بدفعه والتخلص منه بما يعلمه عن جالا وخاصة طوال عيشها معه من صلاح وعفة..

بحق الله كانت زوجته لمدة شهرين كاملين!

والآن بعد أن جثم الشك والريبة في قلبه فهل سيقدر ألا يتسبب لحياته مع جالا أي انحراف عن سبيل السكن والمودة والرحمة إلى جحيم الظنون والهواجس والمتاعب؟

هذا بالطبع إذا ما كان ما حدث لن يؤدي إلى الانفصال..

شعر بإحساس مؤلم بالعجز والخجل وضالة الشأن لكونه سمح بأن يتم اتهام زوجته بشرفها من قبل والدته..

هو من سمح لأمه أن تتماذى باتهامها لسمعتها ثم ضربها وطردها من البيت أمامه وهو يقف مكتوف اليدين..

لأنه وباختصار صدق للحظة كل كلمة قالتها أمه بحقها..

ولكن.. ولكن أليست هي من دفعته لهذا الظن السيء؟

بحق الله! لقد سمعها تهمس بوله وهي بأحضانها أسمى رجل غيره
يعرف كم أحببتها..

يعرف أنه القلب ليس بيدها ويعرف أنه تزوجها وهو يعرف
سابقا بحبها لغيره..

ولكن هي قبلت الزواج به بموافقتها..

لذا ألا يتعين أن يكون قلبها حكراً عليه هو ويكون غايةً أملها
في الرجال؟

ألا يعني بقاء تعلق قلبها بحب غيره يُنافي مقصدَ الزواج؟
فهو زوجها.. هو فقط من يحق لها التفكير به ومنحه كل
مشاعرها..

لكن.. بالنهاية.. عليه أن يتغاضى وبرجولة مكسورة وقلب
موجوع عن مناجاتها باسم كارم وهي بأحضانها..

فجالا لم يسبق لها وإن نطقت باسمه غير تلك المرة..

مما يعني أنها فعلا تقاوم شعورها بحب غيره ولا تستسلم له بل
تأخذ نفسها بالحزم وتجاهدها..

ولا يجب عليه لومها على الخطرات واللّمات لأنها ليست من
كسبها والميل القلبي لا تُحاسب عليه..

مشكلته الحالية معها..

هو معرفتها بأنها لا تحبه.. وربما سبب نفورها من لمساته هو
عدم استطاعتها حبه أبداً..

يؤلمه المستوى الذي انحدر هو بقلبه..

رفعت يارا نظرها لحجرة نوم خالتها روعة عندما سمعت
مقبض الباب يُفتح..

رأت خالتها تخرج من الحجرة بخطى مترددة نحو مراد الشارد
بتفكيره..

أخفضت روعة نظرها أمام مراد وهي تبعد يديه عن رأسه
لتحيط وجهه بكفيها متسائلة بقلق وبصوت مرتجف

((أين كنت يا ابني الحبيب طوال الليلين الماضيتين؟))

جفل مراد الشارد على صوت والدته لينتبه على كفيها فينفض
رأسه عنهما وهو يرتد للخلف كالمسوع ليتكلم من بين أسنانه

((ولم يهملك يا أمي أن تعرفي مكاني؟ على الأقل كنت بعيدا
عذك كفاية حتى لا أفسد خطتك بجلب قابلة لتتأكد من شرف
زوجتي))

رددت روعة بحزن وبصوت ممزوج بالبكاء

((لقد وبخني والدك أمس بعد أن عاد من عند والدها وكسر
بخاطري وهجرني طوال الليلة فلا تأتي أنت الآخر ضدي يا
مراد لتلوم وتعاتب..))

تقلصت ملامح مراد بألم ثم هتف بسخرية مشبعة بوجه

((ولماذا قد أعاتب أو ألوم يا أمي إذا كنت أنا نفسي وبمجرد أن
سمعت اتهاماتك لجالا صدقتها.. وفورا وبدون أي دليل.. لقد
صدقت الكلام على زوجتي لأنني رجل مريض يحمل أفكارا
سامة))

أخفضت روعة نظرها للأسفل خجلا من خطئها ثم ما لبثت أن
حاربت ذاتها لتعاود رفعه له وببيرة لم تستطع إخفاء ندمها فيها
هتفت

((نعم أخطئنا يا مراد بحقها ولكن هل هناك زوجة صالحة تمنع نفسها عن زوجة لمدة شهرين؟))

لم يجيبها مراد لتجلس روعة بجانبه على نفس الأريكة الطويلة التي تتسع لأكثر من شخص..

قالت روعة وعيناها تغرق بالدموع

((أنا فعلا أخطأت بحقها وبمجرد أن تعود لبيتنا سأعتذر لها على اتهامي الخاطئ بحقها ولكن أهم شيء ألا تحزن أو تغضب أنت أو أبوك مني.. فأنا نادمة بحق))

اعتدلت يارا من مكانها واقفة لتستقر جالسة على نفس الأريكة بجانب خالتها تربت على كتفيها موسية بإشفاق وهي تقول بهدوء

((لا تقسي على نفسك يا خالتي فهي المخطئة لا نحن.. من تمتنع عن زوجها بدون سبب تترك لأي أحد حرية تخمين السبب الحقيقي وراء ذلك))

نظر مراد بعينه الجامدتين نحو يارا ليقول وهو ينهرها بشراسة

((إياك أن تتحدثي عن زوجتي بشيء.. هل تظنين أنني نسيت كل ما كنتي سابقا تفعلينه بها يا يارا؟ بمجرد أن يهدأ بالي سأحاسبك على كل شيء.. وإياك من الآن وصاعدا التدخل بها.. مفهوم؟))

كانت يارا تريد الرد عليه بوقاحة إلا أنها تراجعته وهي تراه ينظر لها بنظرة كمن تلبسه الشيطان بينما يردف لها صارخا بغضب مشتعل وعنف

((اغربي الآن من أمام وجهي فأنا لا أطيق رؤيتك أبدا))

نظرت يارا له بحقد وهي تجز أسنانها قبل أن تشيد برأسها
بكبرياء عنه وتقف مبتعدة نحو غرفتها تغلق الباب خلفها بغل..

التفت مراد برأسه نحو أمه التي سرعان ما نكست رأسها إلى
أسفل خزيا وخجلا منه ليقول لها بصوت عالي

((لا ينقص يا أمي الآن إلا أن تسمح لي يارا أن تمرغ شرف
زوجتي في التراب))

توسعت عينا روعة وهي تنظر لمراد بتعجب..

حاولت التحدث لمرات عديدة لمراد الذي كان يتنفس بقوة من
الغضب الذي يشتعل بداخله مدافعة عن نفسها إلا أنها أثرت
الصمت بدون أن تتحدث وتكتفي بدموعها المنزلة من عينيها
بصمت حتى تحولت دموعها بشكل تدريجي لشهقات باكية
بحرقة وعجز..

نظر مراد بجمود لوالدته وهو يشاهدها تبكي فما كان منه إلا أن
زفر بضيق..

في موقف كهذا كان ليضمها إليه إلا أنه في هذه اللحظة لم
يشعر إلا برغبته في الابتعاد عنها..

مرت لحظات ووجد مراد عابس الوجه نفسه يرفع ذراعه بتردد
يلفها حول أمه يضمها لصدره فتستجيب له دافئة نفسها به..

استرسلت روعة بكاء الندم لأنها كانت السبب في تعرض
زوجها وابنها للإهانة من والد جالا..

مر بعض الوقت عليهما وروعة مستمرة ببكائها الذي لم يتوقف
منذ توبيخ زوجها لها بالأمس فشد مراد من ضمه لها لترفع
يديها تلتقط كفه وتحبسها بينهما كأنها تستمد منه بعض القوة..

هدأت روعة قليلا فابتعدت عن ابنها وهي تمسح دموعها ليحفظا
كلاهما على صوت محمد وهو يفتح باب بيته بالمفتاح قبل أن
ينتبه محمد على عودة ابنه المختفي..

أغلق محمد الباب خلفه ثم قال زاعقا بصوت خشن

((أخيرا شرفت يا مراد وأكرمتنا بهذه الزيارة بعد غياب ليلتين؟
على الأقل افتح هاتفك لنسأل على صحتك))

حدق مراد بوالده الذي لم يلقي عليهم حتى تحية السلام بينما
يرشقه هو ووالدته بحمم غيظه..

رد مراد عليه بتوتر وهو ينتصب واقفاً من مكانه

((مرحبا أبي.. أبي أنا.. أنا اعتذر لقد كنت متضايقا.. وفضلت
أن أنام بإحدى الفنادق لبعض الوقت قبل أن أعود))

تمتم والده بسخرية قصدها

((لولا معرفتي بحقيقة شرك وإلا لقلت إنك كنت تنام في
أحضان إحدى الغانيات))

توسعت حدقتا مراد ذات اللون لبندقي بعد سماعه لجملة والده
التي كان لها وقع يرتج له عنفوان رجولته فيشعر بالمهانة..

غمغمت والدته روعة بنبرة لائمة لزوجها

((لا تتحدث عن ابني هكذا يا محمد.. هو سيد الرجال وأي..))

بترت روعة كلماتها وهي تغمض عينيها بهلع عندما ضرب محمد
بكفه فوق الطاولة التي وقف عنها وذاكرته تستحضر كل
التقريع الذي ناله أمس من ابن عمه فيصل حيث اتهم ابنها
بانعدام الرجولة..

صرخ محمد محذرا بجنون وبغضب مكبوت

((أنتِ بالذاتِ أخرسي لا أريد سماع صوتك))

تمتعت روعة وقد دمعت عيناها من جديد

((أخبرتكَ أنني أسفه على ما فعلته بها بغير قصد مني))

توسعت عينا مجد وانتفخ صدره بغضب وهو ينظر لزوجته
بذهول من بساطة كلامها وكارثية تفكيرها..

هل تظن أن ما فعلته بسيط لهذه الدرجة؟

لو أنها كادت أن تكسر وعاء زجاجيا حينها سيكون هذا
الاعتذار مجديا..

لكنها كادت أن تدمر حياة فتاة كاملة بهذا الاتهام الذي خرج من
فاهها ببساطة شديدة بناء على تخمينات واهنة..

هتف مجد لها بصوت جهوري

((وماذا أفعل بأسفك يا زوجتي العزيزة؟ ألا تعلمين أن الخوض
في أعراض بنات الناس عظيم وإن انتهاكها جرم كبير؟ ثم هل
تظنين أنني انتهيت منك بالأمس ولن أعود للتحدث معك بالأمر
مجددا؟ ما فعلته أمر شنيع.. والله ورب السموات والأرض لو
إني عرفت أنك قد خضتي بعرض ابنة فيصل لأحد آخر بجانب
أفراد عائلتها لكنت طلقتك..))

تقلصت ملامح روعة بهلع من كلام زوجها وبدلا من أن يخمد
حالتها البائس من غضبه زاد..

فوجد نفسه يرشقها بجمر نظراته الحادة بينما يردف بنفس
الغضب السابق بل أقرب إلى الجنون

((هل تعرفين أنه من يتهم مسلم بالفاحشة ولم تكن له بيينة في
ذلك وهي أربعة شهود فقد ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب وهي

الغذف؟ هل تعرفين بأن الله رتب عليه عقوبة في الدنيا قبل
الأخرة؟ هل تحبين أن أطبق عليك هذه العقوبة؟))

كانت شحنات غضب وصراخ محمد يهز البناية كاملة حتى أن
يارا فتحت الباب قليلاً تظهر جزء من رأسها تراقب الوضع
بجزع..

زمر محمد بصوت جنوني وهو يقترب من زوجته فيرتجف
جسدها له

((هل تفهمين؟ هيا أجيب!))

كانت هذه هي أول مرة يلعنهما بحياتهما معا.. وخاصة مع
معرفة بأن لعن المؤمن وردت فيه الكثير من الأحاديث الشريفة
التي تنهى عنه..

لكن لم تجبه روعة وهي متمسرة مكانها لا تنطق بحرف تكتفي
بالسكوت وهي تجلس مكانها وتتكس رأسها..

فبعد زواج امتد أكثر من خمس وعشرين سنة باتت تفهم طبع
زوجها جيداً..

الصمت يولد الصمت أحياناً.. لذا كانت دائماً وكما فعلت
بالأمس تلجأ للصمت بغضبها لتحاول تهدئة أي جدال ساخن
معه..

فهي تعرف أن زوجها لا يحب رد أي امرأة على انتقاداته أو
الدفاع عن نفسها بالكلام..

لكن محمد وبهذه اللحظة لم يكن يستطيع تحمل صمتها الذي
تمارسه في هذا الموقف..

وكانه شعر بأن صمتها هنا دليلاً على عدم رضاها عن رجولته
أو فحولته..

فلو كانت زوجته المصونة تهتم لأمره لما فعلت ما فعلته من وراء ظهره وكأنها سيدة القرار والفعل هنا بيتيه..

كان يريد لها أن ترد عليه وتبرر حتى ينتفض ويثور بها.. حتى يستطيع إخراج ما تبقى من غضب وقهر مكبوتان في داخله على فعلتها..

كان من الممكن ألا يتم كشف مسألة ابنه وعدم إتمام زواجه على زوجته لأحد وحلها فيما بينهم..

ولكن بسبب فعلتها تم فضح ابنه فضيحة مدوية وأمام من؟ أمام عائلة زوجته..

لقد كسرت بصورة خادشه لكبرياء رجولته فوجد نفسه يزمجر مرة أخرى

((أخبريني بماذا كنتي تفكرين وأنت تخالقين قصة من عقلك على ابنة عائلتنا؟ أم لأنك من خارج العائلة لا تهتمين لسمعة بناتنا حتى ولو كانت زوجة ابنك أيتها اللعينة؟))

كانت هذه هي ثاني مرة بلغنا بحياتها..

فوجدت روعة نفسها بدون أن تعيي على نفسها تصرخ به بعناد بعيد جدا عن شخصيتها في التعامل معه وهي تفرغ جزءا مما نكتمه بداخله

((أخطئنا واعتذرنا.. والآن لماذا لا تلومها هي على امتناعها عن زوجها لمدة شهرين.. ألا تستحق اللعن على ذلك؟))

فغر محمد فاه قليلا من صراخها عليه لكن ما لبثت أن تقدم منها لتطلق روعة أهة من حنجرتها حينما قبض على مرفقها وجذبها بخشونة لتقف من مكانه وتقرب نحوه..

ضغط بقوة بقبضته عليها قم قال باحتدام

((تختلقين قصصا عن شرف جالا وتحدثين مع عائلتها
وتخططين لطلاقها من وراء ظهري والآن ترفعين صوتك
عليّ؟ هل ما عدت رجلا بنظرك يا امرأة؟ أجيبيني؟))

غضبه الشديد هنا جعله ودون تردد يرفع يده عاليا يهيم أن
يصفعها بقوة لتغمض روعة عينيها شاهقة برعب وهي تشيح
برأسها بعيدا عنه ولا قدرة لها على الابتعاد لتحمي نفسها بسبب
يده التي تقبض على مرفقها..

بقيت روعة على حالها لعدة لحظات بدون أن تشعر بشيء مما
جعلها تفتح عيناها باستغراب وخوف لتشاهد ذراع محمد لا تزال
عالقة فوق بفعل يد مراد الذي وجد نفسه يقترب منهم أكثر
قابضا على ذراع والده يكبلها من رسغه بقوة..

كان مراد ينظر لوالده بدهشة حقيقية وهو لا يصدق أن والده
فعلا يرفع يده ولأول مرة في حياته على أمه..

التفت رأس محمد لينظر ببلاهة وبعينين متسعيتين ذهولا واستنكارا
ليد مراد التي تكبل ذراعه بقوة..

وسرعان ما احتل الغضب وجهه وهو يحول نظره لمراد
وينفذ يده عنه لتتراخي يد مراد قبل أن يفلتها..

أفلت محمد مرفق روعة بيده الأخرى يبعدها عنه بغلظة.. وهو
يركز النظر على مراد الذي ما زال على دهشته مما كان والده
ينوي فعله..

صرخ به محمد بحدة وغضب مستعر

((هل تريد يا ولد أن تستعرض عليّ فحولة لا تملكها؟ أين أنت
من كل هذا؟ زوجتك التي ما تزال بكرا إلى الآن؟))

وضعت روعة يدها على ثغرها مصعوقة ببهوت وهي لا
تصدق ما يحدث الآن بينما كانت عينا يارا الواقفة بمكانها

تتخبطان وهي ترى زوج خالتها يقول بينما يدفع مراد للخلف
بقوة كاد معها أن يرتطم بالحائط خلفه

((كيف توقفتي بهذا الشكل؟ ما رأيك أيها العاق أن تطاول عليّ
بالضرب والألفاظ النابية؟ فهذا ما ينقص ولد عاق معدوم
الرجولة مثلك))

إذا كان محمد غاضب من زوجته مرة فهو غاضب من ابنه مليون
مرة..

غاضب منه وعليه وهو يرى سمعة ابنه ورجله الوحيد تُهدر
بينما يُطعن في رجولته..

بل لم تذق عينه طعم النوم ليلة الأمس وهو يتذكر كل كلمة قالها
ابن عمه فيصل بحق رجولة ابنه..

عند هذه الأفكار عاد محمد إلى شعلته الهائجة بجبروته..

نظراته التي تحوم حول وجه ابنه الذي ينظر له بثبات جعلته
يقوم بصفع ابنه بغل كاد أن يلقيه على الأرض لولا قوة
وصلابة جسد مراد..

شبهت روعة وعيناها تتوسعان بذهول وقد بدأت دقات قلبها
تتزايد بانفعال وهي ترى المشهد أمامها بدون قدرة منها على
التدخل حتى لا تتفجر براكين غضب زوجها أكثر من ذلك..

كانت غير قادرة قدرة على استيعاب واقعية ما يحدث وهي
ترى خيط الدماء يسيل من فم مراد فتبدأ المزيد من الدموع
بالتدفق من عينيها مجددا..

كان أنفاس محمد تخرج لاهثة بينما قلبه يعلو بصخب صم أذنيه
وهو نفسه لا يصدق أنه بالفعل قام بصفع ابنه هكذا بينما يرى
مراد يقرب أنامله المرتجفة من خط الدماء ليتأكد من نزيف فمه
فعلا..

وحتى يبعد الندم الذي بدأ يتسلل إلى وجهه عاد يتذكر كيف كان فيصل بالأمس من بين حديثه وكلامه يحاوطه باستفسارات مهينة ومسيئة حول رجولة ابنه بشكل مقصود..

وهو يقف مستمعاً له بملامح مسودة خزيا وصغرا بلا قدرة أو حيلة للدفاع عنه..

لو انتشر الخبر إلى أناس أكثر بالقرية عن رجولة ابنه فهل سيكون قادرا على تقبل نظرات الناس المستهجنة والمصدومة والشامته والمتشفية.. أو حتى المشفقة؟

طالع محمد ابنه بنظرات حارقة متمنياً أن يهشم رأسه وهو يهتف به ساخرا بالأم وبانكسار أخفاه بقسوة

((هل تعرف بأن والدها كان يريد تطليقها منك؟ وهل تعرف ما هو السبب بجانب أن والدتك مرغت شرف ابنته بالتراب؟ السبب الآخر ببساطة لأن زوج ابنته عاجز.. عاجز ولا يستطيع أن يعف زوجته ويسعدها.. أخبرني بالله عليك كيف تريدني أن أشعر وأنا غير قادر عن الرد أمامه لأنني انبي بعجزه أرتضى لنفسه هذا الذل والمهانة))

توسعتا عينا مراد لكلام والده وهو يشعر بالكثير من المشاعر المتناقضة والمختلطة لكن الشعور بالمهانة والانكسار هو من تغلب عليها وهو يشعر بكلمات والده تحطم كيانه بقوة..

صمت مراد للحظة بلهث أنفاسه المضطربة غضباً وحقداً على والد جالا فهتف يزار لغضب قلبه ووجع رجولته

((فليجراً ابن عمك على قولها أمامي لأعرف جيداً كيف أرد على كلامه.. علاقتي بزوجتي هو شيء يخصني أنا وهي فقط ولا حق له أن يختلق أي افتراض عني أو عن سبب عدم إتمامنا زواجنا حتى الآن..))

أغمضت روعة عينيها بأسى على حال ابنها والكلام الذي
تسمعه بحقه..

هي السبب.. لو لم تجرؤ على فضح جالا واتهامها لما طال
ابنها هذا الكلام بعد أن يكتشفوا عذريتها..

زمر محمد بأبنة بعصية

((إذا هي أخبرني أنا ودعك منه.. ما الذي قد يمنع ثور مثلك
مكتمل الفحولة وعاشق لم يسبق وأن حلم بالزواج من فتاة
لطالما أحبها من أن يكمل ليلة الزفاف فيها؟ أجيني))

شعر مراد بسهم موجع لرجولته يصيب.. بل وجع مميت يزلزل
كيانه..

أحس بالذل والقهر لما يلمح به والده عنه باستماته..

وكم تمنى بهذه اللحظة قتل والد جالا ثأراً لرجولته التي تم
سحقها بدم بارد ولكل ما قاله عنه أمام والده ليغضب بهذا
الشكل عليه ومنه..

هل هذا ما يظنه أباه ووالد جالا عنه؟ لأنه لو كان هذا ما يقصده
والده فألف رحمة ومغفرة على كرامته وعزته اللتان تلفظان
أنفاسهما الأخيرة بنظرات جميع من حوله..

أعاد مراد التحدث بإصرار بالرغم من صوته المضطرب
ووجهه الذي يتضرج الاحمرار

((أنا شعرت بأن زوجتي ليست مستعدة بعد ومرتعبة جدا من
الأمر بسبب ظروف زواجنا المفاجئ فارتأيت أن ننم الأمر
بتمهل وبشكل تدريجي بعد أن نعطي أنفسنا فرصة للتعرف
على بعضنا واكتشاف كل واحد للآخر.. العلاقة الزوجية لا
تخص أحد غيري أنا وجالا.. وحتى والدها ليس له حق بالتدخل
بعلاقتنا أو التحدث عني بهذا الشكل المهين.. أتفهم انه غاضب
مما قالته والدتي عن جالا ولكن لا حق له أن يتهمني بتهم

باطلة.. هل كان يريدني أن اخذ زوجتي بالقوة حتى يقول عني رجل؟ كل ما أردته هو أن ابدأ مع زوجتي بالمودة والرحمة..))

أغمضت روعة عيناها وجسدها ينتفض ذعراً ورعباً بينما
دموعها تتساب على وجهها وكأن ليس لها منتهى..

صاح محمد على ابنه غاضباً

((أيتها النذل هل جلبت الكلام عن رجولتك لنا ولك وسمحت
لوالد زوجتك بأن يهيننا فقط بحجة خوف زوجتك فتبدو أمامه
كشيء حقير تترفع أسوء النساء من النظر إليه))

كان محمد يتحدث وكأنما يبصق على وجهه..

رفع له مراد عينان متسعتان بمرارة وهو يسمع والده يواصل
بقوة امتزجت بقهرة من الكلام الذي قاله ابن عمه على مراد..
وعلى هوانه على نفسه

((أنا لا افهم بالمودة ولا الرحمة.. كل ما افهمه أنك بدوت
معدوم الرجولة أمام والد زوجتك.. وربما أمامها هي الآخر..
ولم يكن عليك أن تسمح لأي شيء أن يمس رجولتك لتتهاوى
هكذا.. ولكن ماذا علي أن أقول أكثر؟ هل علي أنا أعلمك
الرجولة أنا؟))

أفلت محمد زمام غضبه هنا ليجد يديه المتخبطتين تفكان الحزام
الجلدي الذي يزم بنطاله ليحرره بطريقة خشنة..

شبهت روعة وهي تتقدم بخطوات جريئة نحو زوجها تحاول
فيها أن تبعده عن مراد مهدئة إياه وهي تراه يطوي الحزام من
بين يديه..

إلا أنه دفعها عنه بحدة عنه هاتفا محذرا

((أقسم بالله لو تدخلت الآن فأنت طالق يا روعة))

كان يرشقها أثناء كلماته بنظرات شرسة لتتكمش على نفسها..

ثم عاد بنظره للأمام لمراد وهو يراه يحدق به بجمود وبلا خوف..

ليرفع كفه الممسكة بالحزام الجلدي المطوي فوق رأسه متأهباً للهجوم عليها وهو يقول من بين أنفاسه الغاضبة

((أنا الآن سأعلمك كيف تكون رجلا لا تجلب لنفسك أي كلام يمس رجولتك ويمزقها))

للحظة شعر محمد قليلا بالتردد وهو يمسك الحزام قبل أن تعاوده نظرات فيصل المستنكرة والساخرة والشامته لأبنة الوحيد تحاوطه من جميع الجهات فيستعر غضبا..

وما لبث ذلك الحزام إلى أن ارتفع أكثر ليهبط بكل قسوة بضربة جانبية على ذراع مراد..

أغمض مراد عيناه عند أول جلدة تلقاها بثبات بدون أن يحاول حماية جسده أو الدفاع عنه..

لكن بداخله كان يشعر بالقهر ينهش أعماق روحه وهو غير قادر على الدفاع عن فحولته أمام والده أو والد جالا..

وحتى ولو أن جالا لم تدافع عن أو توضح الأمر فلا يملك أن يلومها..

فهي فتاة ولن تكون قادرة على وضع الحق عليها..

وهو يعرف جيدا أن الحق ليس على أي أحد منهما فهو من وافق على إعطائها مساحة كما تريد برغم غضبه من الأمر أحيانا..

ثم إنه إذا كان يملك لوم أحد فهي أمه.. هي السبب بكشف امر شديد الخصوصية كهذا..

ركل محمد ابنه بقدمه ليقوعها أرضا لأن الأخير لم يمنعه أو يدافع
عن نفسه حتى لا يغضبه أكثر..

ضرب محمد مرة أخرى بالحزام على جسد ابنه بضربات متتابة
فوق صدره وكتفه..

لم يكن يشعر بنفسه وهو ينهال عليه بالجلدات..

توقف محمد قائلا من بين لهاته

((اتضح انه كان يجب ألا نلوم زوجتك على عدم احترامها لك
وعدم طاعتها لأمك.. وكيف ستحترمك وأنت مقصر بحقوقها
الزوجية؟ لا عجب أن تكره فكرة أنها متزوجة من رجل لا
يشعرها بحقها كأنتي.. لا اهتمام لا جلوس ولا حوارات.. لا بد
أن بها حرقة شديدة وهي تفرط بشبابها وعزتها وغفتها معك..
هل زوجناك فقط لأجل أن نقول ابننا تزوج؟؟))

كلمات والده لامست جرحا بليغا في رجولته فتشجج جسده بقهر
وهو يشعر بالظلم..

يشعر بالأم مخلوط بوجع رجولته.. فعصر كفيه بتوحش وكأنه
يقاوم نفسه حتى لا يحطم شيء ما..

وحتى لا يظهر غضبه لوالده فيظن انه يعترض على شيء
منه..

بينما كان والده محمد يتمادى بكلامه متعمدا أن يمس لمعاد
أعلى ما يعترض به الرجل الشرقي ويعتبره سلاح التفوق النوعي
ضد المرأة.. فحولته..

يتذكر محمد أول أيام زواج ابنه.. كان يشعر بشيء غريب
بزواجه..

لم يلاحظ أن ابنه مهتم بجالا كما يهتم العروسان ببعضهما بل
كان دائما ما يكون منشغلا بعمله..

لم يكن يراه يجلس بشقته معها كثيراً.. بل كان أحياناً يتعمد الخروج للعمل والسفر ومحاولة الانشغال عنها بأي شيء..

هنا رفع محمد رأسه للأعلى يتنفس بقوة كأسد يكتم زئيراً هدر في أعماقه وتشبعت به عروقه وظهر في احمرار وجهه وانتفاخ أوداجه..

وما إن اخفض نظره للأسفل لمراد الذي كانت أنفاسه متسارعة لاهثة..

وبالرغم من الرأفة والرفق والتمهل الذي كان يطالبه قلبه على وحيدته إلا انه تابع إفراغ غضبه عليه ليضربه بالحزام ضربة أخيرة قاسية..

لانت ملامح وجه محمد قليلاً وأحس بعاطفته الأبوية تجبره أن يلقى الحزام أرضاً ويغادر المنزل كله مبتعداً من هنا مسلوب الأنفاس وقد استحالت عيناه الفاتحتان إلى لون أغمق من شدة عنفه وغضبه..

تجاوز محمد زوجته مغادراً الشقة بخطوات عاصفة.. تاركاً مراد وراءه ملقياً على الأرض..

كسبر النفس محمر الوجه.. مثقلاً بالإحساس بالعجز والهوان لا شيء يقدر أن يخفف عنه إحساسه بالذل والانكسار..

وما إن اغلق الباب خلفه بعنف اهتز له جميع أركان الشقة حتى تقدمت روعة التي كانت تبكي صارخةً بألم نحو مراد تهبط أرضاً وتحضنه بذراعيه..

فتحت يارا التي ما زالت مكانها واقفة عند الباب عيونها بصعوبة.. لتُحدق بمراد وخالتها وكأنها تشاركهما الألمهما..

لم يكن هناك أي نزيف بجسد مراد بل تحول كل مكان تم جلده فيه إلى كتلة زرقاء..

كانت كل جلدة تنهال على مراد تحس بها روعة وكأنها لسعة
الأم تحرق جسدها..

ولا تعرف حتّى الآن كيف احتملت هذا الألم..

لكن بعد كل هذا العنف المتواصل لم يكن باستطاعتها سوى
الدعاء للتخلص من الآلام التي تسكن جسدها ولدها..

كانت الدموع تنهمر على وجهها بأسى لتمسك مندبليها وتمسح
الدموع عن خديها متممة بكلمات غير مسموعة وغير واضحة
لمن يسمعها وهي تهز رأسها نافية

((كل هذا حدث بسببها.. أنا أكرهها.. أكرهها بشدة..))

لم يرفع مراد المخفض نظره الخاوي للأرض..

كان العرق يتصبب منه وغرة شعره الرطبة ملتصقة بجبينه..

وأفاسه العنيفة تخرج ساخنه ملتهبية محترقة كبركان خامد
يوشك على الانفجار مدمراً كل ما حوله بالرغم من البرود
الظاهر عليه بالنسبة لشخص كان يُجلد بقوة قبل دقائق..

وقع نظر مراد على أمه وحالها الذي يرثى له..

أشفق عليها متأكداً من أن ما ناله من ضرب وجلد أمام أنظارها
أذاها هي أكثر منه..

فنتهد بصوت عالٍ مستنزف تماماً ليهدر بأمه برقة

((أمي لا تقلقي أنا بخير.. أريد أن اغتسل فقط))

وبمشقة حاول مراد الاستقامة وهو يضغط على شفته السفلية
المكتنزة حتى كاد يدميها..

مشى خطواته وهو يشعر بالخواء يزحف ببطء لداخله..

علت شهقات روعة ودموعها تزداد غزارة لتخفي وجهها بين
كفيها..

كانت تبكي بمرارة وهي ترثي ابنها لحظة مشاهدتها لانكساره
وتعايشها للحظة ألمه بدون أن تقدر على التخفيف عليه..

وحتى لو كان عاجزا بالفعل.. فهل هذا الأمر بيده؟

من بيده الحق سلب الإنسان الإحساس بالكرامة وتسلمه
لإحساس مؤلم بالهوان والعجز لضالة الشأن بسبب شيء ليس
بيده؟

خرجت يارا من غرفتها متقدمة نحوهم لتواسي خالتها وهي
تمسد ظهرها..

=====
=====

بعد مرور أربعة أسابيع..

كانت إيمان بإحدى مدن الألعاب الترفيهية المغلقة برفقة ابنها
الصغير عدنان..

لقد قررت أن تتجاهل احمد ومببته عند والديه طوال هذا الشهر
خارج البيت..

وبالرغم من إصرارها على هذا التجاهل إلا أنها بنفس الوقت
يرعبها استمرار الوقت على هذا المنوال..

جلست إيمان على إحدى المقاعد تنظر ببهجة حزينة لابنها الذي
يلعب بفرح واستمتاع شديدين..

لقد مر وقت كبير منذ أن تمتعت بوقتها مع ابنها..

سعيدة هي جدا بالوقت الذي تخصصه للعب معه وللغناء
والحركة وللقصص وللضحك..

خاصة وأنها بعطلة ما بين الفصلين ولا يوجد أي عمل يشغلها مع زيادة وقت فراغها.. لا عمل أو زوج يشغلانها عنه..

لذا عليها أن تبذل جهدا بأن تكون مصدرا للسعادة بالنسبة لصغيرها عدنان..

كما أنها لا تريد أن تجعل حرصها الشديد على مصلحة صغيرها بالدراسة يدفعها لتكون مجرد سجان ينظم مواعيد النوم والذاكرة أو مُدرسة تستذكر له الدروس..

فهي.. ووالده كما يُفترض.. عليهما أن يكونا المصدر الأول للمتعة والحب والسعادة له.. والمصدر الوحيد للحب غير المشروط له..

لكن اللافت بالأمر لها هنا.. أن عدد الكبار يفوق صغار السن بالملاهي هنا..

فهل يعوّضون عن طفولة مفقودة؟

أم أنه فعلا في كل منا طفل يختبئ في الزوايا الأكثر صدقا وبراءة في أرواحنا؟

جفلت إيمان على صوت ابنها يتقدم منها صارخا ببهجة وهو يمسك بكف إحدى النساء

((أمي.. هذ هي معلمتي بالمدرسة))

نظرت إيمان للمعلمة التي كانت تتقدم منها بابتسامة محبة لتبادلها الابتسامة وهي تمد كفها مصافحة إياها ومعرفة بنفسها بدهشة

((أوه فعلا.. مرحبا بك.. أنا إيمان.. والدة عدنان))

هزت المعلمة رأسها بسعادة قائلة وهي تمد يدها للمصافحة

((مرحبا بك يا سيدة إيمان))

حملت إيمان صغيرها بذراعيها بصعوبة لتلثم وجنتيه وهي
تسأل معلمته بينما تحدق بحدقتي ابنها الزرقاوين المثيلة لعينيهما
هي واحمد

((هل ابني الحبيب طالب مجتهد عندك؟))

ابتسمت المعلمة لها وهي تقول ضاحكة بخفوت

((نعم هذا الشقي كذلك))

نظر عدنان الصغير لأمه فخر قبل أن يقول بتبرم طفولي جعلها
تكتم ضحكتها عليه بصعوبة

((كانت معلمتي قبل قليل تلعب مع ابنتها بلعبة السفينة قبل أن
تأتي هنا عند الكرات الملونة.. فلماذا لا تشاركيني اللعب أيضا
بها مرة أخرى؟))

هزت إيمان رأسها وهي تنزله أرضا بعد أن أتعبها ثقله

((لا أستطيع ذلك يا عدنان لقد شعرت بالدوران أثناء لعبها..
اللعب مع أصدقائك يا حبيبي وأنا سأشاهدك مع معلمتك هنا))

هز عدنان رأسه طائعا لوالدته بإحباط سرعان ما تحول لسعادة
وهو يركض بسعادة عائدا باتجاه المكان المحاط بعدد كبير
بالكرات الملونة الصغيرة ليكمل لهوه مع أطفال آخرين..

بينما هزت المعلمة رأسها موافقة لدعوة إيمان للجلوس معها..

عادت إيمان تجلس على المقعد مع معلمة طفلها يحتسيان شرابا
دافئا وهما تتبادلان بعض الأحاديث النسائية ويتعرفان على
بعضهما وينفس القوت تراقبان الصغار الوقت قبل أن تقول
المعلمة بابتسامة محبة وهي تنظر لإيمان

((ما شاء الله لقد تغيرت حالة عدنان النفسية جدا.. لم يسبق وأن
رأته سعيدا بالفصل مثل الآن))

وافقتها إيمان قائلة

((نعم معك حق.. إذا كنت أنا الكبيرة وبمجرد أن لعبت قليلا بإحدى اللعب الجريئة بالنسبة لي شعرت بسعادة عظيمة فكيف هو؟ إنها لذة لمن يركب إحدى الألعاب هنا ويكون معلقا كأنه هارب من ثقل جاذبية الأرض والأرجح مما يثقل كاهله من مسؤوليات.. وتخلع روحه التعب وتجعل الأدرينالين يخلق به في متاهات السعادة..))

قالت إيمان بقية كلامها بصوت أجش وصادق قبل أن تسمع المعلمة تشاركها الكلام

((نعم.. معك حق.. هذه الألعاب تسعد الكبار خاصة أكثر.. تعيد إليهم اللذة ذاتها التي شعروا بها وهي أصغر عمرا.. فيسترجعون طعم الطفولة ويفرحون بها.. بالنسبة لي لم أعبأ أيا من هذه الألعاب بطفولتي.. كانت اللعابي التي أعبأها منضبطة بعض الشيء.. لذا فالآن لا أتردد أن أشارك أطفالتي الأمر وكأني أعوض عن طفولتي))

ابتسمت إيمان لكلام المعلمة وشعرت بالسعادة لأنها التقت وتحدثت معها لتشاركها بعض أفكارها..

فيبدو أن الكبار يلعبون براحة في مدن الملاهي لأنه مسموح لهم اللعب فيها بينما الحياة العادية لا تهبهم هذه الميزة..

مر بعض الوقت عليهن بدون أن يتبادلن الحديث وهما مستمرتان بمراقبة الصغار قبل أن تنظر المعلمة لإيمان بتردد..

فتسألها ببعض الارتباك

((كيف حالك ابنك هذه الأيام؟))

شعرت إيمان ببعض التوجس من سؤال المعلمة مما جعلها تفك ذراعاها المعقودتان أمام صدرها..

ثم قالت بابتسامة مضطربة وملامحها تتغير للغموض

((جيد جدا.. لكن لماذا؟))

تهتدت المعلمة قبل أن تقول بحذر وهي تبعد نظرها بعيدا تسرد
موقفا سابقا ببطء

((لقد عنيت كمعلمة بفصل عدنان لهذا الترم الدراسي فقط..
وقبل نهاية الترم والامتحانات النهائية.. طلبت المشرفة التعليمية
مني أن تحضر لي إحدى الحصص حتى تقييم مستواي وترى
طريقة شرحي.. وبالفعل بدأت الحصّة والمشرفة كانت تجلس
معنا بداخل الفصل.. وفي منتصف الشرح طلبت من عدنان أن
يقف ليجيب على سؤال طرحته.. ولكن ما أن وقف رفض
الإجابة حتى تنبهنا أنه حزين ومكتئب.. سألته عن السبب فبدأ
بالبكاء الشديد))

عندها أنخفض صوت المعلمة بحسرة واضحة وهي تكمل

((بعدها.. صرت أنا والمشرفة نحاول فهم السبب وتهديته..
وأخرجناه من الفصل وتوجهنا به إلى المشرفة الاجتماعية
وحضرت المديرية وبعض المدرسات.. وبعد أن قل بكاءه نظر
نحوي بنظرة حزينة وقال لي يرجوني ألا أتزوج من أبيه..))

رفرفت أيمان عيناها وهي ترفع حاجباها وكأن جملة المعلمة
الأخيرة تسللت إلى تلافيف دماغها لتسبب بصدمة جعلتها تفرغ
فاها بتلعثم

((م.. ماذا؟ أبيه؟ يقصد زوجي أنا..))

أخفضت المعلمة صوتها أكثر وهي تعقد أناملها ببعضهما تكمل
بإحراج موقف لم تنساه طوال حياتها

((وقتها التفت الجميع نحوي باستغراب وأصبحت أدافع عن
نفسي أمامهم بلا وعي أو فهم.. لكن بعد ذلك فهمنا منه أن

اسمي أنا مشابه لأسم امرأة سوف يتزوجها والده وأن هذا الأمر
له أثر نفسي كبير بداخله.. أنا اسمي أيضا هيام..))

للحظات مرت اللحظات على إيمان كالدقائق وهي تنظر بعينين
متسعيتين وثغر فارغ للمعلمة..

بدا وجهها أيضا ناصع البياض وشديد الشحوب..

الآن بالذات وهي عالقة وموضوعه بهذا الحوار مع معلمة ابنها
تريد أن تلوم احمد على كل الأيام التي رق قلبه لها للحد الذي لم
تستطع فيها تخيله بهذه القسوة..

هي وابنها يوضعان بهكذا موقف بسببه.. بسبب ما ينوي ذبحه
بفعله..

عجزت إيمان بهذه اللحظة أن ينطق لسانها بحرف بعجز لم
تستشعره سابقا في كل حياتها..

عجز جعلها تومئ برأسها تستوعب ما قد قالت المعلمة مجددا
قبل أن ترسم ابتسامة غريبة متذبذبة على شفثيها مغمغمه

((نعم فهمت عليك.. لكن لا تقلقي كنا نمر أنا وزوجي بوقت
عصيب.. لكن تم حل كل شيء.. وانا انتبه على ابني جيدا.. لقد
عاد مرح وشقي مثل السابق كما ترين..))

هنا اشتعلت بإيمان مشاعر الغيرة القاتلة والمدمرة فيها..

وليست أي غيرة.. بل الغيرة التي تحفظ بها كرامتها وكبريائها
الذي جرح..

لا تفكر بهذه اللحظة في الحفاظ على رجلها الذي أهان جلالها
ودنس قدسيته بقدر ما تفكر في تدميره والقضاء على غروره
الذكوري..

نظرت المعلمة بفرح لإيمان وهي تقول لها وكأنها صديقة قديمة
لها تهتم لأمرها بشكل كبير

((فعلا تراجع عن الأمر؟ أنا حقا فرحة لعائلتك.. أتمنى أن
يحفظكم الله لبعضكم))

هزت إيمان رأسها بامتنان للمعلمة وهي ترسم ابتسامة بلهاء لها
قبل أن تسرع وتشيح برأسها بعيدا عنها..

كانت المعلمة فعلا سعيدة لها بدون أن تدقق بالنظر بعيونها..

ربما لأن هذا ما أرادت تصديقه وتمنته لإمراه لا تعرفها..

بينما أخفضت إيمان بنظرها أرضا مدركة بأن لا أحد يستطيع
تخيل ما تعانيه بالفعل وتمر به..

لو نظر أحد لنظراتها المنخفضة بتمعن لأيقن أنها نظرات أنثى
انكسر قلبها وانطفأت روحها..

لكن سرعان ما التمعت عينيها ببريق الأمل وهي تشد على
كفيها المقبوضتين..

لا.. هي لم تهزم بعد.. مثلها لا يُهزم.. هي فقط أرهقت هما
لكنها لم ولن تهزم..

نعم الهمة قد أرهقتها.. والحزن قد قطع فؤادها وشد عليها.. فبقيت
على كتفانها الوجع حد أنها قد اتخذت الغزلة ملجأ وسكناً لها
طوال الشهر الماضي..

وكان الخوف الذي أصابها وأحتلها بهذا الشهر من قدر مجهول
استهلك طاقتها وعدمها على المقاومة..

لكنها قد اكتفت وجعا في قلبها غير قادرة على البوح به أو
التخلص من عبئه..

ستتورد على احمد.. سُدخل أبيها بالموضوع كله وستكسره كما
كسرها..

ولن تسمح له أن يطفئ بريقها أكثر بل ستعلو أمامه بشموخ..

بعد ساعتين..

توجهت إيمان بعد خروجها من مدينة الألعاب إلى بيت حميها
الاثنتين..

صغيرها كان نائما بعمق بإحدى غرف منزل جديده بعدما أنهك
باللعب لساعات طويلة..

جلست إيمان على إحدى الكراسي وجلس والديّ احمد مقابلها..

تعرف أن احمد الآن بعمله ولن يعود بهذا الوقت..

جلست إيمان وظهرها منحنى للأسفل قليلا خشية النظر بعينهما
وكانها طالبة مخطئة تنتظر عقابها..

فهي لم تراهما أو تزرهما برفقة ابنها منذ مدة طويلة..

كما أن نظرات من يحدقان بغير رضا بها بتعابير محياهما
القاسيان لم تكن تساعد أبدا..

وبصوت لم يتكهن ما يحمله من معاني همست

((تعرفان لماذا جئت هنا.. صحيح؟))

وبنبرة خائبة غمغم والد احمد قبل أن يزفر بضيق

((نعم.. نعم.. كما تعلمين دافع زوجك لفعل ما ينوي فعله.. بل بشكل عام دافع أي رجل بالعالم مكانه.. فالذوابع التي يمكن أن تؤدي إلى التفكير في هذا الأمر لا تأتي من فراغ يا إيما))

فتحت إيما فمها بصدمة وحفظت عيناها بذهول وهي تصغي لحماها رؤوف يتابع كلامه وهو يلوح بسبابته أمام عينيها وبصوت

((كنت ومن البداية أقف بصفك أنت يا إيما ضد ابني.. تجاهلت رغباته فقط لأجلك.. لأصدم بتصرفاتك هذه! لقد خيبتني ظني بشكل هائل.. تتركين زوجك لما يزيد عن شهر بدون أن تسألني عليه! هل هذه تصرفات امرأة عاقلة وصالحة! ألا يوجد لزوجك أي رغبات أو احتياجات؟ كنا سابقا نلومه عندما يشكونا عن علاقتكما الزوجية التي آلت للفتور لأن هكذا أمور شديدة الخصوصية بين الزوجين يجب أن تبقى بينهما.. لكن يبدو أننا كنا مخطئين.. الآن بالذات أصبحت لا ألومه أبدا على إصراره على الزواج من صديقتة من أيام الجامعة.. تلك ابنة عمك))

تابعت إيما النظر لحماها بفاه مفتوح وقد سقط فكها السفلي غير مصدقة لما يتهمها الآن..

هل هي الآن الزوجة المهملة لزوجها المسكين والتي لا يحق لها أن تلومه على تفكيره بغيرها بسبب أفعالها؟

بغض النظر عن أي شيء..

لكن اتهامها بهذا الشكل المهول وتصويرها بانها على قدر كبير من الفتور من قبلهم كما قال احمد بلسانه لهم وأنها لا تراعي حاجته ولا تهتم به وبعلاقتهم الزوجية فهذا طعنها بالصميم..

لم يكن للبرود العاطفي مكان بينهم منذ زواجهم إلا بالأشهر الأخيرة..

بل كان هناك شهر بينهم مليء بالشغف عندما ظننت فيه انه
استبعد فكرة الزواج نهائياً..

تلك الأشهر الماضية قلبت حياتها ليتشكل هذا البرود كحاجز
بينها وبين احمد يمنع استمرار علاقتهما على نحو يحقق
السكينة والألفة..

والده يظلمها بشدة.. فابنه هو المسؤول الأكبر عما حدث بالفترة
الأخيرة..

أليس هو الرجل وهو من عليه أن يكون المبادر؟

هو من ابتعد عنها فجأة فكيف تستطيع أن تطلب منه أن يقربها
فجأة؟

سمعت إيمان والدة احمد تتنهد بسأم عندما لاحظت أن وجه
إيمان يزداد شحوباً لتتحدث بصوت هادئ وحازم

((الرجل يا إيما بطبعه ملول يحب التجديد ويبحث عنه في كل
مكان وفي أي وقت مهما كان عمره.. لذا فإن حبه بعد الزواج
مهدد بأن يقل بل قد يتلاشى نهائياً مع الوقت إذا لم يجد من
زوجته ما يدعم هذا الحب ويحافظ عليه من الضياع.. لذا أنتِ
المسؤولة لو ضاع منك احمد))

كانت والدته تتحدث وهي تلوح بيديها ببعض الغضب..

لكن.. لا! ليس مجدداً! المزيد والمزيد من الأوامر والنصائح
والإرشادات وكيف تحافظ على زوجها أكثر وأكثر..

لقد مللت وتعبت.. حتى لو شعلت أناملها العشرة له فلن يفيد هذا
بشيء ما دام احمد بنفسه لن يفعل إلا ما يريد..

لذا الآن فلا يلومئها أحد للطريقة التي ستتبعها مع احمد من الآن
وصاعدا..

حتى والداه.. فهي ليست أبدا نادمة على تجاهل فكرة أنها
متزوجة طوال الشهر الماضي..

لقد كان يستحق أن يعيش طواله كرجل مشرد..

خاصة والدته بالتأكيد لا تملك قوة وطاقة تبعا لعمرها أن تخدم
ابنها المفضل والحبيب وتعد له الطعام ما لذ وطاب..

لم يتلقوا إجابة من إيمان طوال التي كانت أنفاسها تهدر بقوة
وعيناها تتحدثان بالكثير..

لترد بعد مدة بجمود تام وهي تقول بصوت قاطع

((عمي.. كل ما بيننا أصبح مهددا منذ اليوم الذي رأى ابنك فيه
ابنة عمي بعد تلك السنين.. باعترافه هو نفسه قال هذا.. ثم لماذا
يجب علي أن أكون دائماً المسؤولة الأولى عن الحفاظ على هذا
الحب وحمانيته واستمراره فقط؟ أنا مستعدة ا افعل أي شيء
ليستمر زواجنا ولكن اطلب منه أن يفعل هو المثل..))

أغمضت إيمان عيناها قبل أن تفتحهما وترفع رأسها ببطء لتنتبه
والدة احمد لمرئ تلك الدموع التي تغشي عيناها..

وشفتاها اللتان أخذتا بالارتعاش كما لو كانت تقاوم الانفجار
بعاصفة من البكاء وهي تتابع القول

((اطلبوا من احمد أن يترك تلك التي أشمئز من القول عنها ابنة
عمي))

زواجها من أحمد كان حافلاً بالمتاعب والصعوبات وبصعوبة
لكنها تمكنت من التأقلم بالحياة معه..

ومؤخرا تقبلت أنها زوجة لرجل لا يحبها ويحب امرأة غيرها..

ربما تعترف أنها وبعد كل ما فعله بها توقف عن حبه.. نعم هي الآن لا تشعر بذرة حب تجاهه..

ولكن ومع ذلك ما زال حبه لامرأة غيرها بينما هي زوجته يسحق بحق أنوثتها دون أدنى رحمة..

خاصة مع إصراره بالزواج منها..

سمعت حماها رؤوف يقول بصوت بارد.. وقاسي

((انه واقع صريع بحبها.. لا تلوميه على ذلك فالقلب ليس عليه سلطان.. لكن هذا لا يعني انه لا يحبك أيضا.. لكن..))

تجمدت إيمان مكانها وهي تحدق بحدقتها الزرقاوين به بدون أن تبدي أي ردة فعل قبل أن يخرج صوتها بارد مثله تماماً وهي تقاطع تلعثمه

((عمي.. انه لا يحبني بما فيه الكفاية لأن تفكيره في ابنة عمي يغطي على حبه لي.. اجبره ألا يستسلم لتلك الرغبة ويتردد حبها من قلبه لتصبح مجرد ذكريات ويستريح من عاطفته تجاهها.. أنا زوجته وحلاله من يجب عليه أن يصدقني بكل تلك العواطف.. أنا أعطيته عمري ونفسي واختياري.. انه يعرف بحبي له وكل ما عمله بوسعي لإسعاده.. من يستشرف إلى ما ليس بيده يصاب بالجوع الكاذب))

تنهد حماها بتعب ليقول بصراحة مؤلمة وقاسية عليها

((لن اكذب عليك.. عليك أن تعرفي وبكل صراحة انه من البداية كان يود الزواج بها.. لم يكن يريد فتاة غيرها.. لكن والد ابنة عمك تعنت معنا مما جعلنا نجبره ليتزوجك.. لكن ومن البداية هو عارض الزواج بك لان قلبه كان معلقا بغيرك.. وما زال إلى الآن))

اشتعلت عينها بالغضب لذكر حب زوجها وعشقه لغيرها أمامها ببساطة.. فهتفت بشراسة

((لا يهمني.. لكنه لن يتزوج غيري.. ولا تلومني على تجاهله طوال الشهر الفائت فأنا لم اتركه يبتعد عني إلا بعد أن أخبرني بوضوح انه سيفعلها رغما عني.. عليه أن يعلم أنني لن اسمح له بذلك))

عقد رؤوف حاجباه بشدة وعبوس ليقول

((حتى ولو.. لم يكن عليك تجاهله وعدم الاهتمام أو السؤال عنه كأنه لا زال عازب))

صكت على أسنانها وهي تقول بوضوح وإصرار

((لقد سبق وأن فعلت اقصى ما أقدر عليه ولكن لا فائدة.. بقي يستمر بلقائها والتحدث معها بلا توقف))

انتبهت والدة احمد على ظلال قهر وغيظ كنتها المكتوم يظهر على ملامحها المتشنجة رغم محافظتها على قوتها من الخارج..
ورغما عنها شعرت بالشفقة عليها..

صحيح أنها سبق وفرحت لقرار ابنها بزواجه لأن علاقتها بإيمان ليست جيدة بتاتا..

لكن الآن ورغما عنها شعرت بالشفقة والحزن عليها..

لا بد أن الأمر له شديد الوقع على قلبها..

تستطيع تفهمها والحزن عليها أكثر من زوجها رؤوف وتتصور الأزيمة النفسية التي تمر بها..

فشعرت والدة احمد بأنها فعلا وبشكل صادق تتمنى من ابنها أن يتراجع عن قراره..

فمهما كانت لا تحب زوجته وندمت على تزويج ولدها لها إلا
أنها ليس لطيفا رؤيتها تتأذى بهذا الشكل..

وجدت والدة احمد نفسها تبادر القول لإيما بلهجة لائمة.. لكن
برفق وبلطف

((إيما يا ابنتي الحبيبة.. عليك أن تدركي أن رجال هذه الأيام
يكون الواحد فيهم عبارة عن طفل كبير يحتاج دائماً إلى الدلال
والحب والاهتمام.. انظري إلى زوجة إباد كيف تهتم بزوجها
وتراعيه وها هو كالخاتم في إصبعها.. بماذا تتقصين عنها؟))

أجابتها إيما بنبرة ساخطة وهي تتحدث بواقعية ولا مبالاة

((انقص عنها أن احمد ليس مثل إباد.. إباد من المستحيل أن
يجرح زوجته ويتصرف بأنانية مثل احمد.. لا تقارني بينهما))

قاطعتهما رؤوف وهو يقول بإصرار وبنبرة عالية وهو يعاود
لومها بشكل متكرر

((كما أخبرتك سابقاً يا إيما.. لم يكن عليك إهماله أو التغيير
تجاهه.. أو زيادة أو نقص الرعاية بصورة تدعوه للسير قدماً
في طريقه.. كان عليك أن تكوني حيادية وطبيعية في علاقتك
معه))

ظهر قليل من الضيق على وجه رؤوف قبل أن يقول بوجه
ممتنع وهو يلوح بيده متابعاً

((إيما.. احمد لا يشكو أو يعيب عليك خلقاً أو شكلاً.. لكن..
اعتبريه على سبيل المثال يجمع نية إعفاف فتاة تقدم بها
السن..))

بلهفة هزت والدة احمد رأسها وهي تقول مؤيدة لكلام زوجها

((نعم صحيح.. ابنة عمك تلك بنفس عمر احمد.. أي أنها
ستدخل هذه السنة بسن الثالثة والثلاثين من عمرها.. هل
ستحبين أن تكبر ابنة عمك وحيدة بلا رجل يحميها؟))

ردت إيمان فوراً عليهم بشراسة وقد سأمت من كل الأعدار
التي يعطيهاها لأبنهم بشكل مستمر ومُصِر

((إذا كان هذا هو سبب زواجه منها.. فمن هنا أريد أن امسك
ذقته وأناشده بمساعدة الشباب المتعسرة أحوالهم والمبادرة
بتزويجهم بقرينتنا.. هكذا ينفق ماله فيما يعم على المجتمع
بالفائدة ويقلص عدد الفتيات والشباب العزاب على حد سواء..
وبنفس الوقت يبقى معي وينفق عليّ ما تبقى من ماله الذي
ازدحم في محفظته.. فانا أولى من غيري..))

دارت عينا رؤوف بسأم وصبره ينفذ من هذه المحادثة التي
بدأت تتخذ منحى مزرياً وقد أرقهه هذا الجدل العقيم وأتعبه..

كان ابنه محقاً بان الحديث مع زوجته عقيم..

فالمرأة التي أمامه عنيدة وعندها جواب لكل سؤال..

هتف رؤوف قائلاً

((لا حول ولا قوة إلا بالله.. لماذا يا ابنتي تتحدثين معنا من
الأساس؟ اذهبي لزوجك وأقنعيه هو بوجهة نظرك.. هل
سننزع مثلاً لو تراجع عن قراره))

آخر جملتين قالهما بصوت غاضب ونبرة منفعلة عقب أن ألقى
بجهاز التحكم عن بعد المخصص للتلفاز صوب الحائط..

اتسعت عينا إيمان وهي تنتظر للهجته ولما فعله..

ومن دون أي سابق إنذار وجدت نفسها تدفن رأسها بين كفيها
بعد أن صرخ بوجهها وكأنه كتلة جبروت..

فعاد رؤوف يتنهد بحوقلة وتعب..

بينما زوجته وقفت من مكانها نحو إيمان تطبطب عليها وتحاول
التخفيف عنها إلا أن إيمان ردت عليها وهي ترفع راسها من
بين كفيها تقول بصورة واقعية بلغة الغيرة ولهجة تهديد متعمدة
بأن تبدو لهجتها قاسية وحادة تُنبئ بالوعيد

((إذا تزوج ابنك يا عمة فأنا سأخلعه بالمعنى الحرفي للكلمة..
وكلامي هذا ليس مجرد تهديد نظري.. بعدها لا تكبوا أمامي
وتخبروني أنني أحرمكم من حفيدكم.. وليهنأ ابنكم من تلك التي
يدعوها حبه الأول))

عقد رؤوف حاجباه وهو يقول

((هل أنتِ واعية لم تهددنا به؟ هل هذه طريقة تتكلمين بها مع
من يكبرك عمرًا؟))

تحدثت زوجته معها تطلب منه

((اهدأ يا رؤوف اهدأ.. أنها غاضبة ولا تقصد ما تقوله وغير
ملامة عليه))

تم توجهت بحديثها لإيمان قائلة وهي تحاول تهدئتها بمنطقتيها
هي البعيدة عن منطقية إيمان

((إيمان لا داعي لذكر الطلاق أو التهديد به حتى ولو تزوجها
احمد فعلا وحتى لو هي كانت حبه الأولى.. لكن أنتِ هي
الزوجة الأولى.. أنتِ تحظين بمميزات لأحمد تكاد لا توجد في
غيرك.. أنتِ أول من قبل وتزوج.. وصدقيني الحب يختلف عن
المعاشرة.. عندما يتزوجها لن تملك كل مجدك.. وعليها طريق
طويل مليء بالصعاب لتستكشف مجاهيل ابني.. صحيح أنها
أحبته منذ زمن ولكنه زوج جديد لها.. وللأسف لن يتسنى لها
ذلك كل يوم وإنما كل يومين.. هل علمت مقدار ما تتقدمينه عن
ابنة عمك المسكينة؟))

كنت عينا إيمان ترفرف بغير تصديق قبل أن تصرخ بحماتها
بثورة واشمئزاز

((يا إلهي يا عمّة.. لقد جعلتي ابنك وكأنه ملك ووالي أو سلطان
بحديثك هذا.. أي مجد هذا؟ من هو هذا الأحمد؟ إنسان.. انه
إنسان مثلي تماما.. وأنا أيضا كامرأة إنسان ولي نفس
المشاعر.. إذا كانت هيام تحب أن تشارك زوجي مع أخريات..
دعها تمضي بالزواج من أعزب ولتزوج من ثلاث نساء
غيرها.. أما أنا فلا ذنب لي بهم))

ردت حماتها بوجه متجهم

((يا إيما الزواج كله نصيب.. ابنة عمك يبدو أنه مقدر لها أن
تنزوح من احمد.. لكن سبحان الله كان نصيبها أن تنزوجه وهو
متزوج لا أعزب))

قالت إيمان بشراسة وهي تنظر بحدقتها الزرقاوين نحو والدة
زوجها

((هل تريدينه أن يذهب ليتزوج من كان يخونني معها ثم تقولين
لي قسمة ونصيب؟ هل تعلمين ماذا يخطر ببالي الآن؟ أن
أمزقها إربا.. إربا وأقول عقب موتها قسمة ونصيب))

ازدردت والدة احمد ريقها لتقول وكأنها لم تلتقط إلا شيء واحد
من كلامها

((زواجه منها ليس خيانة لك..))

أصرت إيمان بغضب على رأيها

((بل بنظري أنا خيانة.. حبه لغيري أنا زوجته هي خيانة
بالنسبة لي))

ظهر الامتقاع على وجه كل من رؤوف وزوجته بدون أن
ينطق كلاهما بحرف قبل أن تهدأ أنفاس إيمان اللاهئة قليلا
وهي تقول بتمني ورجاء

((هل يمكن أن تعاملاني الآن كابنة لكما.. أعني أنا اطلب منكما
أن لا توافقا على الذهاب معه لخطبتها.. ولا تذهبوا لحفل زفافه
إذا أقامه وادعو أقاربكم أن لا يذهبا لزفافه أيضا.. هكذا تثبتاني
لي أنكما فعلا تعتبراني مثل ابنة لكما))

زاد الامتقاع من على محياهما أكثر..

قبل أن تتحول كليا ملامح والدة احمد لاستنكار شديد هاتفة
بتعجب

((ما هذا الذي تقولينه؟ مهما أحببناك يا إيما فيالتأكيد لن تكوني
عندنا بمرتبة اعلى من ابنتنا.. ثم إني وعدت احمد أن أسانده بكل
خطوة وأساعده للزواج بمن يحب.. لأننا أنا ووالده كنا جزء من
السبب الذي اجبره لترك الفتاة الوحيدة التي أرادها.. لذا اقل
تكفير عن ذنبنا طوال تلك السنين هو أن نسانده الآن))

كانت رؤوف موافقا لكلام زوجته ولكنه قال بنبرة محايدة

((الأمر ليس كذلك يا إيما.. أنت فعلا مثل ابنتي.. لكن احمد
اتخذ قراره وبكل الحالات سيتزوج.. وبما انه سيتزوج بكل
الحالات فأريد منه ألا يظلمك ولو بمتقال ذرة.. وسأفعل ما
بوسعي لأتأكد من انه لن يظلمك باي شيء بل ويكرمك بشكل
أفضل منها.. لذا تعاوني معي جيدا.. لا تستسلمي لغيرتك
الفطرية وادركي أن ما سيفعله احمد في صالحك أنت
وستستفيدين منه.. وهذا أمرٌ يحتاج منك لتأمل.. ألم تقولي قبل
قليل بأن هو من يفتعل المشاكل معك؟ إذن صدقيني بعد زواجه
من غيرك وحصوله على ما يريد ستقل عصبيته ويعود هادئا
معك كما كان..))

توقف قليلا عندما أنتبه على تحول ملامحها.. لكنه أردف بجديّة

((لماذا تنظرين لي هكذا؟ وما يدريك! لعل بزواجه من أخرى وحسن تعاملك معه يتضح له فضلك وكمال عقلك فيزداد حبا لك.. هل أنت سعيدة الآن بحياتك معه على هذا المنوال؟ إذن لماذا لا تسمحين له ومن تلقاء نفسك أن يتزوج؟ صدقيني سيرها منك بقدر العالم.. وبعد أن يحصل على من أحبها سيعود كما كان بالسابق معك بل وربما أفضل.. سيقدر على إسعادك وسيكون عقله معك أثناء تواجده عندك))

كانت إيمان تنتظر لحماها بغير استيعاب لما يقوله.. لتتطرق بعد حديثه بنظرة مستغربة ونبرة جافة

((لا أفهمك يا عم.. هل تعني.. أني إذا كنتُ غير مرتاحة بحياتي الآن مع احمد بسبب ما يقوم به.. فعليّ إذن أن اسمح له بالزواج؟ هل هكذا سأصبح مرتاحة؟ حتى لو تغير وعاد كالسابق بل وأفضل.. فهل سأكون هكذا مرتاحة؟ حتى ولو أسعدني.. فهل سأكون سعيدة لفكرة أن هناك امرأة أخرى هي سبب هذه السعادة؟ هل سأكون هكذا أفضل؟))

وباستفزاز هز رؤوف رأسها موافقا لها

((نعم.. فلو لم يتزوجا سيزداد حبه لها اشتعالاً وتوغلا واستغرافاً.. ثم إن عليك أن تعرفي أن الحب بين الزوجين عليك أن يكون فيه تنازلات كثيرة..))

بدأت دموعها المنزلة تتحرر من محبستها وهي تقف من مكانها قائلة بصوت أشج

((الحب فيه تضحيات ولكنه لا يعرف التنازلات.. فعندما يقدم أحد الطرفين تنازلات بصفة مستمرة فهو يلغي وجوده في حياة الطرف الآخر ويتحول الشعور من حب إلى سيطرة وتملك.. أخبر ولدك الحبيب إن ترك النفس لما تهوى يفسدها وقد تصل لمرحلة يصعب معها الفطام))

ثم خطت نحو باب الخروج وقبل أن تمسك بمقبضه استدارت
برأسها للخلف لتقول

((ابنك يرتكب الكثير من الأمور التي أجدها تؤلمني إيلاًماً
شديداً فأسكت عنها ولكن سكوتي هذا عنه يجعله يتمادى في
إساعته لي.. لكن الآن لقد حسمت امري.. أريد الطلاق..
سأذهب لبيتي وأحزم حقيبة ملابسي للذهاب عند عائلتي وأطلب
من احمد أن يبعث لي ورقة طلاقي.. أما عدنان فهو ابنكم وأنتم
أولى به لذا سأدعه يبقي هنا وتولوا رعايته من الآن
وصاعداً..))

وقف من رؤوف معتدلاً من جلسته وهو يقول بوجه عابس
((استهدي بالله يا إيماً.. لطالما عهدتك عاقلة!))

بينما ضربت زوجته كفها على صدرها وهي تقول بغضب
وسخط

((أين تريدن ترك ابنك هنا؟ لن استقبله ببיתי.. نحن الاثنتين
كبيران في السن وولدك شقي جداً لن أستطيع أن أقدر عليه
أبداً))

إلا أن إيماً تجاهلت كلامهما تماماً وهي تخرج بلامبالاة وتغلق
الباب خلفها بعنف..

=====
=====

عند روعة كانت الجارات ببيتها في وقت ما بعد الظهيرة
ينسجمن معاً حول فنجانٍ طازج من القهوة للثرثرة بينهن..

ففنجان القهوة لطالما كان بالنسبة لروعة حالة من الجمال
النفسي وفرض اجتماعي ومزاج مشترك لها مع الجيرة
والصديقات لتداول قضايا الحياة وهموم الحياة التي لا تنتهي..

بدأت لذة رشفات القهوة الساخنة من القهوة العربية من فنانين
بيت روعة وعبق نشوة أجواء طقس اليوم اللطيف الخالي من
الأمطار..

لاحظت الجارات أن روعة صارت تبدو حزينة ومتغيرة
للأسوء بالفترة الأخيرة وتهمل نفسها ليزداد وزنها مؤخرًا..

وكان هناك مشاكل كثير وصعبة تواجهها مع زوجها أو أبنها
وكنتها..

حتى أنها أصبحت لا تذهب للقاء الجارات..

وهو اليوم الذي يحدث فيه تجمع يعقد بينهن ويكون كل يوم عند
واحدة منهن..

لكن روعة تكتفي بلقائهن عندما يكون اليوم هو دورها..

بل وسابقا كان التنافس حاضرا عند روعة وبقوة على تقديم
أفضل أو اني تقديم وصواني تحتوي أفخم الحلويات وأفخم
المأكولات والمعجنات وأفضل العصائر والمقبلات..

لكن مؤخرًا بدأت تكتفي بالقهوة والشاي عند حضورهن..

وكان تفكير جاراتها صحيحًا..

فهي وطوال فترة مخاصمة زوجها لها وتخيب ظن ابنها بها
وبعد الكلام الذي يصلها عن ابنها أصبحت كالأموات وحياتها
عبارة عن جحيم..

فلم يعد لها أي مزاج حتى للطهي..

تمضي يومها ووقتها كاملا بالتنظيف والتعزيل فقط لتخفف من
حزنها وكآبتها..

فبيتها كل ما به جميل.. روعة في التصميم.. وأثاث جديد..
سيراميك.. تحف فاخرة.. لذا بالنسبة لها لا يوجد أفضل من
تنظيفه وتلميعه..

جفلت روعة على سؤال احدى الجارات الفضولي والذي يحمل
ورائه الكثير من النوايا السيئة

((إن روعة حبيبتني.. أين هي كنتك؟ لماذا لا تشاركنا الجلوس
مؤخرا؟))

ارتبكت روعة لكنها أجابت فوراً

((إنها بزيارة قصيرة لبيت عائلتها))

تنحنت الجارة قبل أن تقول

((المرّة الماضية قلتي أنها متعبة ومريضة.. واليوم هي بزيارة
لعائلتها.. غريب أمرها..))

وافقتها الأمر جارة أخرى هادرة بتعجب مصطنع

((نعم فعلاً أمرها غريب.. كما أنني لم أراها تخرج اليوم من
البيت.. فقط زوجك وابنك من خرجا صباحاً لعمليهما.. متى
ذهبت هي لبيت عائلتها؟))

ارتبكت روعة أكثر لتنقذ يارا الموقف وهي تقول بعدم احترام
وبنبرة حادة

((ما الذي تقصدينه يا خالة؟ هل تقصدين أن خالتي كاذبة؟ ثم
هل ترافقين بيتنا طوال اليوم حتى تعرفي من خرج ومن دخل
عندنا؟ بالتأكد زوجة مراد خرجت بوقت لم تلاحظيه.. واليوم
ستعود أيضاً.. وربما لن تريها عندما تعود..))

لهجة يارا القريبة من الصراخ أزعزت روعة فهي تثير بهذا
الانفعال الشكوك لهم..

فقال روعة من بين أسنانها لها أمرة و غاضبة بينما تقترب
منها

((يارا اصمتي))

دافعت الجارة عن نفسها بمسكنة

((لماذا غضبتي بهذا الشكل يا يارا.. أنا لم اقصد.. لكن ظننت
أنها فقط تتحجج حتى لا ترانا.. أحيانا أظن أنها تكرهنا.. شهر
كامل لم تتنازل عن تلقي السلام علينا حتى))

ثم سارعت تقول بخبث عقب أن ارتشفت من قهوتها

((روعة حبيبتي هل تظنين أننا نصدق تلك الإشاعة المنتشرة
عن ابنك بكل القرية؟ هذا مستحيل))

فتحت روعة عيناها على اتساعهما..

تعرف بأن امر ابنها منتشر بينهم ولكن هذه أول مرة تتحدث
واحدة منهم في الموضوع صراحة أمامها..

ازدردت روعة ريقها وتابعت جلسة جاراتها وصديقاتها بتوتر
وعدت الثواني حتى يرحلن..

وما إن حان وقت رحيلهن حتى غادرن جماعة و بقيت جارة
واحدة منهن جالسة بمكانها..

ومع أنها منذ بداية الجلسة كانت تلتزم الصمت إلا إنها وجدت
نفسها تقول بخبث لا يقل عن خبث الباقيات

((روعة أريد الرحيل الآن ولكن أرثيت أن أبقى قليلا لأهدأك
قليلا لأنك بدوت مرتبكة طوال الوقت خاصة بعد حديثهن عن
ابنك الوحيد))

نظرت روعة لها بحدقتين مهترتين وهي تسمعها تتابع بشماتة

((لا تؤاخذيني.. ولكنني بدأت أشك بصحة الإشاعة المنتشرة عن ابنك الوحيد.. ولا أظن بأن زوجته ستعود له.. لأن كثيراً من النساء عند الزواج تريد الأولاد وعفة أكثر مما تريد من المال بل لا يهمنها المال عند هذه الأمور))

صرخت فيها روعة بهلع

((ماذا؟ ما الذي تقصدين؟ كيف تجربين؟))

التقطت الجارة حقيبتها وهي تهم بالخروج من البيت قبل أن تطردها روعة بمهانة وهي تقول بابتسامة لا تحرم نفسها من لذة الشماتة بروعة مُدعية النصيحة

((أنا أتحدث بواقعية يا روعة.. أخبري ابنك أن يتعالج وان لا يسمح لكبريائه أن يمنعه حتى من الاعتراف بالمشكلة وطلب العلاج وكان العجز ليس مرض كأى مرض.. أو كأنه من العيب أن يلتمس الرجل العلاج لدى أهل العلاج.. لماذا يعتبرون أغلب الرجال العجز الجنسي عار يخجلون الاعتراف به فيطوي عجزه حسرة وألماً ويعاني وجعل زوجته تعاني معه؟))

مسكت يارا كتف الجارة وهي تجرّها للخارج على سمع خالتها تقول صارخة ودموعها تنهمر من عينيها

((أخرجي من بيتي.. اخرجيبيبيبيبي.. لا أريد من قدمك أن تخطو هنا مرة أخرى))

وعند أقرب مقعد أمامها جلست روعة وهي تدفن وجهها بكفيها..

لا تتحمل أي كلمة على حبيبها ورجلها..

يارا تقول لها أن العالمتان هما من نشرا تلك الإشاعة عن ابنها..

ولكنها تظن بل ومتأكدة من أنها سميحة هي من نشرت الخبر..

فلا يوجد أي مخلوق بالقرية يعرف بهذا الموضوع إلا هي..

ثم حتى ولو كانت هذه الإشاعات صحيحة فلا يجوز أو يحق لأحد نشرها فهو بلاء من الله وهو قدر محتوم من الله..

رباه.. حتى لو طلق مراد ابنة سميحة فكيف سيقضي بقية حياته؟

لن ترضى امرأة بالزواج منه إذا سمعت هذه الإشاعات..

هزت روعة رأسها نافية وهي تبعد هذه الأفكار السامة والسخيفة عن عقلها..

عليها فقط أن تُسرع بعودة جالا للبيت قبل أن تتسبب بفضيحة فعلية..

وتلك السميحة.. الحقيرة.. كيف تجرأت على نشر هذا الخبر عن ابنها؟

وكيف تجرأت ابنتها أن تقول عن الذي حصل بينهما لأمها؟

فالأصل أن كلا من الزوجين يجب عليه أن يحفظ أسرار العلاقة الزوجية بينه وبين الآخر ولا يفشي ذلك..

لقد هتكت سر ابنها.. وفضحته بما لا يحق لها أن تقول..

ما فعلته تجاه ابنها يخالف داعي الحياء وعفة الخلق وسلامة الطبع..

زاد نحيب روعة عاليا..

إذا كانت هي تتألم هكذا بمجرد سماع تلك الإشاعات.. فكيف بأبنها؟

لا بد أنه يتألم أكثر منها لأنه ليس من السهل على رجل أن
يطعن في رجولته خاصة في مجتمعاتنا الشرقية التي تربط ما
بين الرجولة والفحولة..

اللعة على سميحة وعلى ابنتها.. هما السبب بنشر تلك الإشاعة
عن ابنها الوحيد..

=====
=====

كانت إيمان في حجرة نومها تفرغ دولابها من أغلب ملابسها
وتضعها بداخل حقيبة سفر ضخمة وفي داخلها إصرار كبير
على العودة لبيت أبيها..

هو وزوجته الآن يسفر للخارج ومع ذلك ستغادر منزلها وتبقى
في البيت مع إخوتها ريثما يعود والدها..

سمعت إيمان صوت باب منزلها الذي تركته مفتوحا يُطرق
وصوت عبير يصلها سائلة

((إيما.. هل أنتِ بالداخل؟))

شبهقت إيمان بالبكاء قبل أن ترفع أناملها تزيل دموعها المنهمرة
فوق وجنتيها لتقول سامحة لها بالدخول

((نعم يا عبير ادخلي))

جلست إيمان على سريرها وهي تدفن راسها بين كفيها بينما
تسمع خطوات عبير تقترب من حجرة نومها ببطء..

سألت عبير بتوجس وتردد وهي تشير بإحدى يديها لخارج
الحجرة

((إيما.. لقد كان باب منزلك مفتوحا على وسعه وسمعت صوت
بكانك.. هل أنت بخير؟))

لم تقل إيمان أي شيء..

وبينما تنتظر حولها انتبهت أن إيمان ترتدي معطفا شتويا وكأنها
تهم للخروج بعد أن قامت بإفراغ دولا بها من الملابس لتضعها
داخل هذه الحقيبة..

عقدت عبير حاجبيها باستغراب وهي تسألها

((إيما لماذا تبكين والى أين أنت ذاهبة؟))

رفعت إيمان راسها ببطء وهي تغمغم بنبرة حملت بين طياتها
براكين غضب بالرغم من أن صوتها لا زال يحمل رعدة بكاء

((سأذهب لبيت أبي الآن.. لا أستطيع التحمل أكثر.. لقد طفح
الكيل))

فغرت عبير فاهها للحظات بتعجب لكلام إيمان قبل أن تفهم
مقصدها فتجد الغضب يتسلل إلى داخلها بشدة هي الأخرى من
شقيق زوجها احمد..

بدأت عبير تدور حول الحجرة بقوة..

ومع أن زوجها نبه عليها ألا تتدخل بين احمد وزوجته أبدا إلا
أنها وجدت نفسها بدون قدرة على تحمل الكتم أكثر تقول وهي
تتوقف مكانها في صوت ثابت

((هل تعرفين شيئا يا إيما؟ لو كنت مكانك وقال إباد لي أو حتى
لمح مجرد تلميح بأنه يحب غبري فلن أبقى عنده ولو لثانية
وسأطلق فوراً.. لم أكن لأنتظر كل هذا الوقت.. كرامتي فوق
كل شيء.. لا ألومك على ما تفكرين بفعله))

شقت ابتسامة وجهها بسخرية قبل أن تقول بصوت متألم

((هذا لأذك يا عبير متأكدة من أن إباد من المستحيل أن يحب أو ينظر لغيرك أو يتحمل فراقك.. لكن وضعي أنا مختلف تماما.. أعني.. ليس من السهل أن اترك بيتي هذا ومن كان زوجي بعد كل هذه السنوات.. ألين يكون صعبا عليّ أن أرى غيري تتمتع بكل ما كان لي؟ لقد كنت مع احمد بلطى خطوة يخطوها للنجاح.. والآن عليّ أن اتركه لغيري))

تمتعت عبير من بين أسنانها بصوت خافت حاد

((الحقير.. بمجرد أن أصبح وضعه المادي أفضل تذكر حبيبته))

أردفت إيمان بنوع من الهدوء الغريب وبنبرات ممتمة بينما تشرذ زرقاوها المتعبتان

((إنها الحرية المالية يا عبير.. بمجرد أن يكتفي الرجل لا يلقي بالألإ إلى الأعباء المالية التي تترتب على أي شيء سيقوم به))

قالت إيمان آخر جملة قبل أن تنفجر بالبكاء وتعاود دفن وجهها بكفيها لفكرة خسارة من كان زوجها طوال هذه السنين لأخرى..

نعم توقفت عن حبه وهو لم يستخسر أي مجهود ليثبت لها حبه لغيرها ولو على حساب فقدانها..

لكن هل هناك أفسى من ظلم من كانت تعتبره زوجها غير مدرِكٍ لكيفية العذاب الذي لا ينجلي حتى بالليل ليجعل من حالها كنانة مسكينة لا تعلم كيف توارى دموعها أمام مرأى الجميع..

لم يسبق وأن تخيلت بأنها ستبكي بهذا الشكل المهين أمام أي مخلوق لما تتعرض له من إذلال..

خاصة وهي من حرصت دوما على إظهار صورتها كصورة امرأة تعيش حياة مثالية..

تتهددت عبير بلوعة على التي تبكي أمامها وهي تقترب منها
لتجلس بجانبها تحضنُها بقوة بينما إيمان لا تستطيع التوقف عن
البكاء..

حتى قالت من بين دموعها

((أحياناً الزواج من رجل فقير نعمة.. لم أتصور أنني قد أتمنى
ولو للحظة أن يبقى وضع احمد المادي كما هو.. هكذا لم أكن
سأخسره أبدا))

لم تتغير ملامح عبير المشفقة عليها وهي تعقد حاجبها قائلة
بهدوء

((صدقيني لا علاقة كبيرة بينهما.. هناك الكثير من الأغنياء
الأوفياء للعشرة مع زوجته ومن سلمته نفسها وحياتها.. أما من
يريد أن يفعل مثل احمد.. فلن يستطيع أي أحد أن يمنعه.. لن
يشكل الوضع المادي له أي مشكلة.. ثم أنتِ لست مجبرة أبداً أن
تعيشي حياة سيئة ومعدومة مع رجلك حتى تضمني أنه لن يفكر
بالزواج بغيرك))

رفعت إيمان نظرها لعبير بنظرات معبرة لترد لها

((إيما عليك تركه لبعض الوقت فعلا ومرة أخرى حتى يعطيك
قراره الأخير.. لا تشعر به بتعلقك به ولا تشعر به بالحاجة له..
ربما عندما تتبعدين عنه سيعيد التفكير بفقدانك من دون أي
ضغوط بما أنك ومن الداخل لا تريدين الطلاق منه))

أشاحت إيمان بوجهها وهي تهز رأسها قائلة بتردد وبصوت
واهن

((نعم أنتِ محقة.. ولكنني أخشى من قراره.. فأحياناً البعد
جفاء.. أخشى أن يكون البعد ليس خيار صحيح خاصة انه غير
مدروس.. أخاف ألا يهدأ احمد بابتعادي بل يزداد غضبا ويقوم

بردة فعل عكسي.. خاصة وأنه ما زال عندي امل بأنه لن يرتبط بها))

نظرت عبير لها بغير فهم قبل أن تقول

((إذن.. ماذا تريدان الآن أن تفعلني؟))

ازدردت إيمان ريقها وهي لا تعرف كيف تخرج أو تقول وتشرح فوضى عقلها

((لا أعرف يا عبير.. لا أريد أن افترق عن احمد ولكن لا أريده أن يكون لغيري.. خائفة من قراري قليلا.. ولكن أنا عازمة بالفعل على المغادرة بل وبداخلي رغبة كبيرة بأن اكسره كما كسرتني))

نظرت إيمان لعبير للحظات ثم أشاحت بوجهها ليعم الصمت بينهما لعدة دقائق..

رفعت فيه إيمان رأسها ونظرها لتتأمل الحجرة من حولها..

هل يمكن أن تكون هذه هي آخر مرة ستكون فيها بهذه الشقة؟

هذه الشقة ضمتها هي و احمد وابنها ووارثهما تحت سقفها ولها ذكرة ثابتة حيث أنها حفظت بجدرانها ضحكاتهم ودموعهم في وقت واحد..

بالرغم من أنها ليست البيت الأول الذي سكنته مع احمد إلا أنها متعلقة بهذه الشقة كبيت لها أكثر من أي مكان..

فهذه الشقة الواسعة والفاخرة هي حلمها بالسكن فيها منذ أن تزوجت احمد..

بل هي من أصرت على احمد أن يبذل جهده لشراء أو بناء شقة مثلها من البداية..

فقد بدا الأمر لها مزعجا أن تسكن مع زوجها بمكان يقل عن
المكان الذي اعتادت أن تسكن به سواء عند والدها أو والدتها..

والآن وبعد مرور كل تلك الأيام التي عاشتها هنا أصبحت هذه
الشقة وكل شيء يخصها عبارة عن ذكرياتٍ عالقة في أعرق
مكان من ذاكرتها وخاطرها..

لا تعرف فعلا ما إذا كان ستعود هنا مرة أخرى أو لا..

ولكن سيبقى حنينها حاضرا هنا ولن يغادر أصقاع الذاكرة..

اعتدلت إيمان واقفة تمسح بأناملها دموعها الساقطة وهي تعاود
إدخال آخر قطع من ملابسه لتغلق حقيبتها جيدا..

وبينما تغرورق عيناها الزرقاوان بالدموع نظرت لعبير تخبرها

((الآن سأفود سيارتي لبيت أبي.. لن اسكت عن الأمر أكثر من
ذلك ولن أتحمّل أي ذل.. وإذا فعلا لم يحل والدي الأمر
فسأطلب الطلاق بلا عودة..))

هزت عبير لها رأسها ببطء قبل أن تنتسح عيناها وكأن هناك
شيء تذكرته لتقول متسائلة بتجهم

((وعدنان؟ ألن يذهب معك))

مدت إيمان كفها تمسح دموع أخرى المنزلة بقرب ثغرها وهي
تهز رأسها نافية وتقول

((لا لن أستطيع.. والدي الآن ليس بالبيت وربما سأجلس هناك
مدة طويلة.. أخشى أن امر بأزمة نفسية أخرى تجعلني في حالة
عصبية جداً ولا أريده أن يكون متواجدا معي حتى لا تتأثر
نفسيته هو الآخر بسببي))

لانت نظرات عبير بضيق وهي تنتبه كيف غالبت نبرة
الانكسار التي تسكن صوتها..

ففظرت لها بحزن وهي تومئ برأسها مجددا موافقة لها بينما
تسمعها تستطرد وهي تضع حقيبة السفر أرضا

((كما أن مدرسته ستبدأ بعد عدة أيام.. أما عملي فحقا لا أدري
ماذا افعل به.. لا أريد أن اخسره ولكن غياباتي بالترم الماضي
تجاوزت العدد المسموح ويبدو أنني إذا لم اتركه فسيطر دونني
منه بنفسهم.. لكن.. على الأقل سيكون من اللطيف أن يهتم احمد
بابنه قليلا ويعرف هو ووالديه مقدار تعبي.. بل وربما عندما
تعرف الأنسة هيام أن هناك ولد ينتظر منها الاهتمام والعناية به
عندما تتزوج من احمد ستراجع من تلقاء نفسها عن الأمر
كله..))

شعرت عبير بالغضب لوهلة عند ذكر هيام مع احمد.. تشعر
أنها بهذه اللحظة بالذات تكره كلاهما..

وخاصة هيام.. لماذا قد تفسد علاقة قائمة من أجل القليل من
المشاعر التافهة التي تجتاحها من حين لآخر طالما أنها تعلم أنه
لم يعد ملكها؟

ما الذي قد تجنيه من كسر قلب فتاة لترضي رغبتها؟

خرجت كل من عبير وإيمان من الشقة وبدون أن تغلقها إيمان
بالمفتاح جرت الحقيبة خلفها أمام نظرات الأخرى..

سارت إيمان نحو سيارتها بوجه خالي من التعبير.. يظهر
الهدوء في كل تحركاتها كما لو لم تكن منذ قليل تذرف الدموع
وبحال ينفطر له نياط القلب وهي تصرخ تنعى حالها بذل أمام
إنسانة غيرها..

وكرهها تجاه احمد يزداد بسبب كل ما مرت وشعرت به
يزداد..

=====
=====

حاولت سارا التحرر من ذراعي راجي بنعومة ولكنه لم يفلتها
لتهمس له بدلال كقطة ودیعة

((لماذا كذبت على أختك وقلت إنك الآن في الجامعة حتى
تذهب وحيدة من دونك؟))

تسللت ذراع راجي حول خصرها ليجذبها إليه أكثر هامسا
بمشاكسة

((منذ عرفتك وأصبح الكذب هو أسلوب حياة أعيشه مع عائلتي
بعد أن كنت لا أكره شيء مثله.. ثم ما ذنبي إذا مرت العطلة
الشتوية بهذه السرعة بدون أن أشبع منك؟ لا تقلقي لن يضر
غيابي عن أول أسبوع بالجامعة شيء))

ضحكت بشقاوة وبفخر من فكرة انه لا يقاومها أبدا..

بينما راجي فهو لا يكذب إذا اعترف بأنه يواجه مشكلة ترهقه
كثيرًا..

وهي أن سارا مُسيطرة على كل تفكيره عندما يكون مبتعدا
عنها.. فلا تمرُّ دقيقةً إلا ويفكر فيها..

حاول الذهاب لدوامه الجامعي في أول يوم إلا أنه وبمجرد أن
يفتح أي كتاب يجده يفكره فيها ويتخيلها.. بخيالات أبعد ما
تكون عن الأدب..

ومؤخرا وعندما ابتعد عنها بسبب مشاكل جالا لأكثر من أسبوع
ازدادت حدة هذه الأفكار..

تفكيره بسارا لا ينحصر في جانب محدد بل إنه يفكر في كل
شيء يتعلق به وبحياته المستقبلية معها..

وإن كانت أغلب أفكاره تدور حول طريقة حديثها وابتسامتها
وتصرُّفاتها..

لا يعرف إذا كان يتحجج أو لا ولكن يفكر بجديفة أن ينتقل
للعيش معها وبكل بساطة..

خاصة في وقت اختباره حتى يتمكن من المذاكرة كما كان قبل
ذلك..

سمعتها تقول وهي تضع جيبيها على جيبيها بنعومة وتحقق به
بعينين يفيض منهما السحر والفتنة فيشعر أن قلبه يكاد ينفجر
من حبها

((بداية السنة الدراسية الجديدة سأذهب للخارج لأبدأ دراستي
لذلك دعنا نشبع من بعضنا الآن..))

عقد راجي حاجبيه بتجهم.. سفر! للخارج!

كما أنها تقول قرارها هذا فقط لتحيطه علما لا لأخذ رأيه أبدا..

أليسا متزوجان ويجب على كل قرارتهما أن تكون مشتركة أم
أنها لا تأخذ زواجهما بهذه الجدية كما سبق وأتفق معها؟

ويخضم كل هذه الأفكار التي دارت رأسه خلال ثانيتان جفل
منها وهي تلتقط بمبادرة شفقتيه بقبلة ناعمة..

كان يهم بالاعتراض لكنها أوغلت أناملها الناعمة بين حنايا
أنامله بينما تجذبه إلى السرير ليسقط كلاهما على فراشه
فيستجيب لقبلتها لتأوه فينسى أي شيء آخر..

ازداد فيها شغفا ولهفة حين شعر بها تدس أناملها الرقيقة داخل
خصلات شعره من الخلف..

فيرسمها في قلبه خوفا من فراقها.. فمن يعشق شمساً يتألم
لحظة الغروب..

وبلحظات.. انتزعت سارا قميص منامته منه لترميها بعيدا بينما
يخلصها هو من ذاك القميص الشتوي الثقيل الذي تلبسه..

بقي كل منهما يبادل عاطفته للأخر حتى غاب العالم من حولهما
بدون أن يقاطعهما شيء داخل شرفة شعفهما..

وكانهما عقل وقلب وروح واحدة في جسدين..

وكانها عالم يسكن بداخله.. يضيع بها ولها وإليها.. ليجن بها
أكثر..

بعد ساعة تمللم راجي من نومه على صوت رنين هاتفه..

وبعين نصف مفتوحة ألتقط هاتفه موبخا نفسه على نسيانه
مفتوحًا فهو معتاد عند قدومه لسارا أغلاقه معظم الوقت..

أنتبه راجي لاسم عمه ففتح كلتا عيناه بسرعة..

تنحج قليلا يحاول أن يعدل صوته قبل أن يفتح الخط مجيبا بلا
أي مقدمات وبارتباك

((عمي لدي محاضرة بعد قليل.. هل تريد أي شيء؟))

كان صوت راجي أجشًا من أثر النوم فبدا واضحا كذبه..

سمع عمه فيصل على الجانب الآخر يتمتم مستغفراً بغضب قبل
أن يقول محذرا

((انتظر يا راجي قليلا أن يهدأ بالي قليلا ثم والله لن أتركك قبل
أن اعرف ابن من هذا الذي أصبحت فجاءة ملتصقا به بل
وتتشارك معه السكن كأنك متشرد لا أهل لك..))

جلس راجي من مرقدته معتدلا على السرير والضيق يحفر
ملامح وجهه من كلام عمه ليقول باقتضاب

((عمي أنا اعتذر لكن لا وقت لدي.. هل هناك أي شيء مهم
تريد قوله؟))

وصله صراخ عمه عاليا وهو يقول له بغیظ

((أي جامعة الآن وقد اقترب أذان المغرب أيها الصعلوك
المتشرد؟))

أغمض راجي عيناه للحظة وهو يرفع كفا يدك رأسه بإرهاق..

لقد نسي كل شيء يتعلق بالوقت في حياته..

لكن لوهلة شقت ابتسامته وجهه وهو ينظر للنائمة بجانبه..

لقد كانت قبل قليل امرأة بحق وفاتنة بكل ما تحمله الكلمة من
معنى..

هل كان عمه يريد أن يترك تلك المشتعلة بحرارة لذينة ويذهب
لجامعته في هذا الطقس الثلجي؟

سمع راجي صوت عمه على الهاتف يسأله بامتعاض

((هل أنت معي يا ولد؟))

زفر راجي بحنق واحتقن وجهه.. لا مزاج له للتحمل الآن..

عاد يقرب الهاتف له مجيبا بتذمر

((نعم.. نعم.. عمي أنا هنا))

أنتظر راجي منه أن يدخل بالموضوع فوراً.. ليصل له سؤاله

((هل تحدثت مع أختك بشأن عودتها لمراد؟ فقد أخبرني والده
بأنه يريد أن تعود هذا الأسبوع.. وأنا وافقت فوراً فلا داعي
لأي تأخير آخر))

فغر راجي شفاته للحظات.. قبل أن يقول وهو يهز كتفيه

((أبي.. أنا لا أدري.. لكنني مع أمي تقريبا بعدم عودتها له.. لقد
تكلموا على شرف جالا ببساطة.. كيف ستأمنهم عليها مجدداً
لتعود؟))

قال فيصل بغضب

((كان مجرد شك وسوء تفاهم وتم حله فوراً فلا تكبير الأمور مثل النساء.. ثم أن الأمر بدأ الأمر بيننا وانتهى بيننا ولم يتحدث أي مخلوق على شرف أختك فلماذا تستمر بالغضب مع أنه بالمقابل كل من بالقريبة يتحدثون على رجولة مراد.. فأمك المصونة لم تبق أي أحد دون أن تخبرهم عما حدث مع أنني وضحت لكم أنني وبخت والده نيابة عن كل عائلته وأرجعت لكم حق جالا.. فما الداعي لفضح الشاب؟))

وبصوت غير ثابت غمغم راجي بينما يتكئ بظهره للخلف ويمرر أنامله بخصلات شعره يبعثه

((أنا متأكدة أن أمي لم تقل لاحد.. لا أدري من نشر الخبر.. ولكن بعيداً عن هذا الأمر.. ممم.. ربما تكون هناك مشكلة به؟))

أغمض فيصل عيناه ثم فتحهما وهو يقول بصوت حائق

((لا تقلق على أختك.. على الأغلب ليس هناك أي شيء به.. ربما توترت وخجلت وأيضاً.. حتى لو افترضنا أن هناك مشكلة.. لكن جالا زوجته وعليها أن تكون حريصة على استمرار الحياة بينهما.. نحن لسنا متأكدين من شيء.. وكلام والده عنه غامض وغير مؤكد بكل صراحة.. لكن دع جالا تعود ثم لنرى أين سنصل الأمور.. هو زوجها وعليها أن تقدم له العون والتشجيع والدعم النفسي وتقنعه بالذهاب للطبيب وإقناعه أيضاً أن حالته من المؤكد إن شاء الله سيجد لها علاجاً.. وإذا لم يستجب وقتها فلها حق بالطلاق.. لكن لا طلاق بدون أن تحاول))

و بمنطقية أردف

((أختك لا تسمع إلا منك أنت.. أقنعا ألا تفكر بالطلاق إلا بعد أن تكون قد استنفذت كل الحلول والاختيارات المتاحة..))

شعر راجي بالشفقة الشديدة على مراد قبل أن يشعرها على
جالا.. لا يدري صحة ما يُشاع عنه إذا كان صحيحا أو لا..

ولكن جالا أكدت له أنه لا خطب به أبدا وأن كل ما في الأمر
أنهما الاثنان قررا تأجيله حتى يتعرفا على بعضهما..

وبغض النظر عن أي شيء إلا أنه لأمر مثير للشفقة فعلا أن
يتحدث أي شخص عن مثل هذه الأمور الخاصة بمراد..

لو كان مكانه لأنتحر فعلا..

ازدرد راجي ريقه وهو يقول متتهدا

((حسنا سأفعل.. لا تقلق هي الآن بجامعتها وسأتحدث معها
لاحقا))

أغلق راجي هاتفه وهو مستمر بالشفقة على مراد قبل أن يهز
رأسه بئأس..

عاد ينتهد مرة أخرى قبل أن ينظر للتي تنام بجانبه.. فيبعد عنها
الدثار رغم تشبثها به ثم يميل عليها ليلائمها قبل أن يعاود النوم
بسعادة بجانبها..

=====
=====

كانت إيمان في غرفتها في بيت أبيها بعد أن قالت لإختها أن
هناك مشكلة بينها وبين احمد ولكنها لن تتحدث في الأمر إلا
بعد عودة أبيهم من سفره عقب أن أغلقت الباب عليها بالمفتاح..

استلقت تحت دثار سريرها بكآبة..

ورغم أنها لم تفعل اليوم أي مجهود عملي يذكر.. إلا أنها
شعرت نفسها مزدحمة..

مزدهمة بالكثير من الذكريات وبالتفاصيل وبمعركة قلبها
وعقلها وكرامتها بدون نهاية..

رغم كل الصمت والهدوء الذي زحف إليها من الخارج إلا أن
هناك ضجيجًا ووجعًا بداخلها يحاول ابتلاعها..

رن هاتفها للمرة الألف وكان اسم حماتها يظهر على شاشته..

شعرت بأن سماع رنين هاتفها مع معرفتها بهوية المتصل
ينهكها..

وبين خيار جعل هاتفها على الوضع الصامت أو الإجابة عليه..
قررت أن تضغط زر الإجابة هادئة بجمود

((نعم يا عمّة.. هل حدث أي شيء لعذنان؟))

قالت حماتها بصوت غاضب

((وهل لو كنتي فعلا تهتمين به كنتي ستتركينه هنا عندي؟))

لم تجبها إيمان بشيء فزاد غضبها لتقول وهي تحاول
استفزازها لتخرج عن البرود

((أنا أيقنت أن الدوافع التي يمكن أن تؤدي إلى التفكير في هذا
الأمر للرجال لا يأتي من فراغ يا إيمان))

لم تفلح حماتها بجعلها تنفعل وهي تراها تجيب بنفس النبرة
الثابتة الميئة

((بحالة ابنك يا عمّة فهو بسبب أهواءه دون وجود دوافع حقيقة
لذلك.. لو أنني أنقص عليه بأي شيء.. لكنك سمحت له بهدوء
وبدون أي لوم أن يتزوج بعد أن يطلقني.. لكن لا يوجد بي أي
خطأ يستحق ما يفعله.. لذلك.. لا بأس فليتزوج وأنا سأحصل
على الطلاق.. لكن إذا لم تريدي حدوث ذلك إذن أقنعيه بأن

يتراجع.. هو أيضا مقصر تجاهي بالكثير من الحاجات ومع ذلك لم أتذمر))

ولأنه حماتها ملئت من القول لها أنه يريد أن يتزوج من هيام لأنه واقع بغرامها حد المرض لا بسبب تقصير منها..

قالت وهي غير أبهة بجرحها

((هل أنت معدومة الأمومة؟ كيف تركتني ابنك لي؟ بصعوبة تمكنت من جعل ابنك يعود لنومه قبل قليل.. أخبريني هل عبير هي من حرصتك لفعل هذا؟ لا تردي عليها لأنها تحاول أن تخرب بيتك.. النساء بارعات بخراب بيوت بعضهن))

تنهدت قليلا وهي تحاول الهدوء قبل أن تسترسل برفق

((لم يعد احمد حتى الآن.. اعقلي يا إيما وعودي لبيتك بسرعة ولك كلمتي أي لن أقول له حرف بشأن مغادرتك وتركك ابنك هنا.. ما رأيك؟))

أنهت كلامها وما لبثت ثوان حتى سمعت صوت انقطاع الخط لتعرف أن إيمان أغلقت الهاتف بوجهها..

خرجت والدة احمد من الحجرة التي ينام فيه عدنان الصغير للصلاة بعد أن أغلقت الباب خلفها..

خرجت للصلاة حيث يجلس كل من زوجها وابنها الأكبر إياد والأصغر احمد الذي كان يجول الصلاة ذهابا وإيابا ككتلة بركان محموم..

توقف احمد مكانه ما أن انتبه لقدم والدته لينظر لها بتوجس وهو يضيق عينيه..

تنهدت والدة احمد ثم قالت بإحباط ويأس

((لقد رفضت العودة وهي مصرة جدا على الطلاق وتمسكة به بحالة زواجك يا احمد.. وربما والدها يعلم بالأمر الآن بعد أن أخبرته.. لا أدري كيف سيتصرف))

بقي احمد ينظر لوالدته وهو يتنفس بغضب.. أسقط نظره لوالده الجالس فرد رؤوف على نظرات ابنه قائلا ببرود

((لا تأبه يا احمد بالأمر فانت لست بحاجة إلى أن تقنعها أكثر.. فإنها بلا شك لن ترضى.. وحتى لو أخبرت والدها.. لا يهم.. فأنت أيضا لست بحاجة إلى مناقشة أهلها لأنهم لن يرضوا أن تجلب أخرى لابنتهم.. ولن يرضوا أن يُشاع عنهم أنهم وافقوا لك على الزواج.. اكتفى أن ترضيها بشيء من المال أو تجديد الأثاث وما شاكل ذلك))

هز احمد رأسه ببطء بموافقة لكلام والده وعينه شاردتان بالتفكير..

ثم تنهد وهو يجلس مقابلا لوالده هادرا بهدوء بينما يتكى برأسه فوق كفه

((سأفعل أبي.. أساسا أنا قررت أن اكتب الشقة باسمها سواء طلقتها أو لا.. وهكذا سأسكت أي خوف يقع بداخلي من أن أكون قد ظلمتها.. ثم سأبدأ حياتي الأخرى بضمير مرتاح))

قاطعته والده بقوة وبحاجبين معقودتان

((هل أنت مجنون يا احمد؟ الشقة؟ هل تعرف أن شقتك أنت وإياد تساوي ثروة صغيرة؟ كيف يمكن أن تتخلي عنها كلها لزوجتك؟ بأي حق أو عرف أو قانون أو شرع ستفعل هذا؟))

كان يتحدث باستنكار وغضب شديدين على حماقة ابنه وطيبة قلبه من وجهة نظره..

استدار ينظر ليكره إياد ليشاركه الحديث عن شقيقه المجنون إلا أن إياد هز كتفيه ببساطة وهو يقول بعفوية

((أبي لقد سبق وأن قلت له انه من الجنون أن يكتب اسم الشقة كاملة باسم زوجته خاصة وانه أنهى دفع ثمنها قبل مدة قليلة.. أنا سجلت نصف شقتي باسم عبير لأنها ساعدتني بتسديد ثمنها.. أما احمد فهو وحدة من تكفل بتسديد ثمنها.. أم عدنان لا تتقاضي من مدرستها راتب يكفي لسد أكثر من احتياجات البيت حتى))

زفر احمد قبل أن يقول وهو يشير بيده لوالده

((توقفوا أنا لست غيبا لهذا الحد.. أبي أنت لا تعرف كم أصبحت أتقاضى من عيادتي النفسية.. أنا أتقاضى شهريا أكثر بكثير من إيراد وحالي في تقدم مستمر للأفضل.. وسأستطيع شراء شقة بنفس مواصفات شقتي الحالية بل وأفخم منها خلال أقل من سنتين))

نظر له والده بتوجس طفيف وهو يسمع منه.. فأردف احمد متتهدا وهو ينظر برأسه للأعلى قائلا بصوت متحشرج

((أبي أنا لا أريد أن اسمح لأي شيء حتى ولو كانت شقتي بأن تقف بيننا.. كل ما أريده هو أن أعيش أجمل لحظات حياتي مع حبيبة الماضي))

ثم أخفض رأسه ليردف بينما يكتف ذراعيها ويرفع حاجبيه

((إيما فعلا مصدومة من تصرفي إلا أنني أريد إفهامها أنني لا أكرهها ولها الخيار بالبقاء معي أو الطلاق.. مع أنني بكل صدق أتمنى أن تبقى معي لأجل ابنتنا الوحيد.. أبي.. أنا فعلا لا أكره إيما.. بل أحبها.. ولكن حب عشرة وحب تعود.. ليس كحبي لهيام.. لكنه يبقى حب))

نظر له والدها وهو يقول بحنو

((أنا بالبداية رفضت يا احمد فكرة زواجك لأنني لم أرد أن يتهدم بيتك ولكن الآن غيرت كل كلامي وتبدلت أفكارى..

سأكون معك فأنت لا تقوم بأي شيء خاطئ.. ثم لا خطأ بكلامك يا احمد.. بإمكانك أن تحب زوجتك وتحب من ستكون زوجتك في المستقبل أيضاً.. لكن وأهم شيء هو إياك أن نخطئ وتتسرع في طلاق أم ابنك حتى ولو أصرت عليه.. مهما طلبته منك فلا تستجب لها في أمر الطلاق.. بل هل الطلاق تجربة حتى تطاوعها في ذلك؟ المرأة في غالب الأمر تعارض هذا لكن مع الوقت سترضى.. استخر وتأن ولا تستعجل وشاور.. وصديقتك تلك التي ستخطبها لا تأخذها تجربة ثم ترميها.. بل خذها عن قناعة وعن نية الاستمرار ولا تورط بنات الناس معك..))

رفع احمد حاجبيها تعجبا وهو يتقدم بجذعه للأمام يفك ذراعيه ثم يهتف مستكرا كلام أبيه

((ماذا يا أبي؟ هل تمزح؟ وهل يمكن أن تظن أنني أريد أن أتزوج من هيام لأنها حلم قديم وبمجرد أن أتزوجها وأمتلكها سأطلقها وكأنها نزوة عابرة؟ أنا أريدها لأخر عمري كشمس في سماء حياتي ونور يغطي على حزني لفراقها..))

كان رؤوف ينظر لابنه وهو يتحدث عنها وكيف ذكرها تهزه من داخله كرجل عاشق لها..

هناك امرأة لا يستطيع الرجل أن ينساها لأنها اختياره الأول.. بل ويعتقد أنها أفضل امرأة في العالم..

فكل رجل لديه صورة لامرأة ترتسم في خياله وتظل عالقة بذهنه ولا يستطيع أحد أن يمحوها ولو خير بعد أعوام بالعودة لها لفعل ذلك..

وقد تكون لا تحمل مواصفات زوجته ولا تكون مثالية أو جميلة مثلها.. لكن قلبه هو من اختارها ومن الصعب محوها من ذاكرته..

فقال لأحمد هادرا بهدوء ورضا

((أنت فعلا واقع بحبها بالإضافة إلى إنك جدي بالحفاظ على زواجك من أم ابنتك وتلك الصديقة لذا لا أملك إلا أن أكون معك بكل خطوة..))

ابتسم له احمد بود وبعينان بارقتان ليقول بتناول وهو يعقد كفيه ببعضهما

((شكرا لك يا والدي.. حفظك الله لي.. لم يتبق الآن إلا أن اقنع هيام بالزواج مني ولا تقلق أستطيع فعل ذلك وقريبا.. المهم أنك بالذات معي..))

وقف احمد ليقترب من والده.. ليقول بينما يجلس بجانبه ويعانق كفه بيديه متجاهلا مخاوف والده الطفيفة

((لقد أصبح كلامك يا أبي معي يريحني جدا شكرا لدعمك المستمر لي.. مؤخرا ومن شدة الكره الذي أتعرض له وخاصة من النساء شعرت أنني ارتكب جريمة.. لكن كلامك فعلا يؤكد لي أنني أخطو على الطريق صحيح..))

ويرفق نظر له رؤوف وهو يقول

((يا ولدي العزيز ستسمع آراء أغلب النساء مخالفة لآراء أغلب الرجال لأنهن يفكرن في زوجتك أم ابنتك.. لا فيك أنت.. لذا لا تهتم.. وكل أدرى بمصلحة نفسه وقدرته))

باقتناع وبابتسامة ثقة تشق يمين محياه هز احمد رأسه

((فعلا صحيح يا أبي))

تبدلت ملامح رؤوف للجدية وهو يرفع سبابته محذرا

((احمد.. أنا أكرر مرة أخرى.. إذا بقيت أم ابنتك معك فوطن نفسك على الصبر عليها مهما أساءت إليها.. واحتمل ما يحصل منها حتى تهدأ العاصفة وتفهم غيرتها وقدر الضغوط الاجتماعية والمجتمعية الواقعة عليها..))

ترك احمد كفه وهو يقول بينما يهز كفه

((هذا إذا وافقت على عدم طلب الطلاق))

أشار رؤوف بكفه مؤكدا

((لا تقلق.. فقط كلف بعض النساء الصالحات بنصحها
وتهدئتها.. ولكن الأهم هو الصبر على أقوالها وأفعالها مهما
تصرفت ولا تتعامل معها بردة الفعل.. وتعمد أن تصلها بابنها..
وللحقيقة أنا سعيد أنها لم تأخذ ابنها وذلك حتى تشتاق له وتعود
بقرار الطلاق..))

قال إياد بخفوت بينما يقطع حبة فاكهة من أمامه له

((هل فكرت فيما لو تم هذا الزواج وحصلت زوجتك على
الطلاق مستقبلا؟ ماذا سيكون مصير ابنك؟ تذكر بأن زوجتك
وابنك الاثنان وعلى حد سواء يملكون الجنسية الأمريكية.. فماذا
لو ذهبت زوجتك للولايات المتحدة؟ هل سيعيش عدنان معك في
بلدنا هنا أم هناك مع والدته؟ هل سيتعلم عادات بلدنا ولغتنا
ولهجتنا أم عادات بلد وبلهجة والدته؟ هل سيدرس في مدارسنا
أم بمدارس الغرب؟ في كل الأحوال سيصعب عليك جدا أو
على والدته رؤيته باستمرار.. إذا عاش معك سيحرم من أمه إلا
بالزيارات والعكس صحيح))

توسعت عينا احمد وهو يقول له بقوة

((لا افهم بالقوانين.. لكن من المستحيل أن اسمح له بالذهاب مع
والدته بحالة قررت السفر.. إذا تزوجت أو سافرت للخارج
فانتسى حضانة عدنان ولن تراه إلا بالزيارات.. فهل هيام
تستحق كل هذا العناء من تفكيك الأسرة وتشنيت الأبناء؟ هل
لهذه الدرجة أنت محتاج لأن تكون زوجتك؟))

اضطربت حركة حذقتا والد احمد يتشكك بكلامه الذي قاله قبل
قليل وهو يعاود يسترجع سبب رفضه بالبداية زواج احمد..

وجد رؤوف نفسه يمسك كتف احمد لدير له الآخر وجهه
فيخبره بكل جديده وحيطة

((أحك محق يا احمد.. أعرف أنني معك بأي قرار ستتخذه..
لكن جنسية زوجتك هي مشكلة بحد ذاتها والسبب الرئيسي
لرفضى سابقا..))

قاطععه احمد فوراً بعبوس

((أبي هل أنت جاد بسؤالك؟ كيف تراجعته فوراً عن كلامك
فور ذكر جنسية زوجتي.. أبي لا تدع كلام إياد يؤثر عليك.. أنا
أحب هيام بل وكلمات حب بسيطة لم ولن تحتضنها أسطر في
هذا الكون.. وإذا لم أتزوجها فأنا أخشى أن أتعدى معها حدود
الله.. زواجي منها لن يثبت لا أسرتي ولا أبنى.. بل كنتك
المصونة من ستفعل هذا لو قررت الطلاق))

قال إياد معاندا له وهو يترك الفاكهة من يده

((حسنا.. ولكن لا تنسى أن مسؤولية تماسك الأسرة واستقرارها
أيضا من مسؤولياتك وليست زوجتك هي فقط من يجب عليها
التضحية))

أدار احمد رأسه نحو إياد بحركة عنيف وهو ينظر له بغضب
وأنفاسه في صدره تغلي كبركان ثائر لا شيء يمكن إيقافه إلا
قذفه لشقيقه الأكبر خارج المكان كله..

وماذا يفعل أساسا هنا؟

قال احمد من بين أسنانه له

((أتمنى أن تخرج يا إياد من هنا.. من يؤثر عليك ويعلمك هذا
الكلام؟ هل هي عيبير؟ لا أصدق كم أنت خاضع لزوجتك
عكسي أنني لا أقبل أن اخضع لأحد وحتى لو كانت هيام نفسها..
زوجتك تفكيرها دائما بينات جنسها وإخراج الرجل من دائرة
الحق..))

ازدرد إياد ريقه وهو يستمع لأحمد يتحدث معه بعنف.. عدل
من جلسته وهو يقول متحنحًا

((لا تغضب يا احمد.. كل ما أريد قوله لك هو أنه من المؤسف
أن تتزوج من غيرها فقط بعد سبع سنوات يا أخي.. لا تغضب
من كلامي يا احمد ولكن لديك شيء من الأنانية وحب
الامتلاك.. تريد أن تمتلك زوجتك وتريد منها أن ترضى
بقرارك.. وتريد حبيبتك ولست مستعدا للتخلي عنها أبدًا..
باختصار تريد امتلاك كل ما تطاله يدك.. والحقيقة هي أن
الحياة لا تمشي على هذه الوتيرة.. وإذا أرادت زوجتك الطلاق
فهي ليست من تهدم البيت.. فما ترضاه امرأة لا ترضاه امرأة
أخرى.. ليس من باب الاعتراض على شيء ولكن نفسيها قد
تكون لا تتحمل ولا تتقبل وجود شريكة في زوجها فلا تلمها))

حق احمد لدقيقة بعيني إياد بدون أن ينطلق ببنت شفاه مما جعل
إياد يتوتر وهو يتململ مكانه..

فهم إياد بالوقوف ليغادر المكان بعد أن عرف انه إذا بقي هنا
فأخيه سيرتكب به جنائية..

إلا أن احمد استوقفه قائلاً بجمود

((هذا لأنك يا إياد تزوجت بمن أحببتها.. لكن لو أجبرت على
امرأة أخرى لكان وضعك مثلي.. أخبرني بالحقيقة.. تخيل أن
عبير ليست هي زوجتك.. كيف ستكون نظرتك للأمور؟))

اهتزت حدقتا إياد السوداوان باضطراب وهو لا يجد ما يرد به
عليه..

عبير؟ لا يتخيل أي امرأة بالعالم زوجة له غير عبير..

يحبها بحنانها وقسوتها.. باندفاعها وبأسها.. ويتمنى.. أن تبقى
كما هي..

قال إياد عقب أن تنهد بعمق

((لا أدري يا أخي.. لكن أصادف كثيراً مشكلة أن يتزوج الرجل من امرأة غير التي كان يرغب بالزواج منها.. ومن وجهة نظري.. لا يوجد حب قبل الزواج.. فالحب الحقيقي بعد الزواج.. أعني أنا لا أعرف فعلاً..))

ثم أشاح بعينه بعيداً وهو يكمل بنفس النبرة الهادئة

((احمد بنيت بيتك مع زوجتك لأكثر من سبع سنوات ونصف.. فلماذا تهدمه لتبني بيتاً جديداً؟ والله أعلم هل سيصمد أم لا؟ فأليس أولى لك الحفاظ على بناءك القديم الذي عرفته وعرفك وعشت فيه والمثابرة على ترميمه وإصلاحه أولاً بأول؟ لا تنس أن البيت القديم بحوي وبأوي فلذة كنبك وابنك البريء والذي سيحرم من اجتماع والديه معاً؟ أخي.. لن نتطيق السماء على الأرض من أجل زواجك.. لكن لو كان التراجع عن قرارك فيه خيراً لك ولأبنك.. فما المانع من التراجع؟ وإذا اكتشفت أنه قرار خاطئ.. هل تستمر بالإمعان فيه والمكابرة؟))

رأى احمد شقيقه يغادر البيت أمام أنظاره..

لحظات وكان هتاف صغيره يعلوا بينما يندفع لأحضانه بسعادة معانقا إياه بحب..

منذ شهر لم يراه بشكل جيد.. كان الصغير يشد بضمه أكثر ليشعر بالمزيد من الأمان وبأنه محصن نفسياً وأنه محبوب من غير شروط من قبل والده..

كان هذا الحزن بمثابة تهدئة أعصاب لكلاهما بعد يوم طويل مرهق..

بقي عدنان بحضن والده لعدة دقائق بينما غادر رؤوف المكان..

ابعد احمد عدنان عنه قليلاً وقيل وجنته ليصله صوت والدته المتعجب

((خذ يا احمد ابنيك لقد استيقظ من نومه الآن واذهب سويا
لشقتكما.. ولا تدخل عتبة بيتي إلا بعد حل مشاكلك))

توسعت عينا احمد وكأنه عاد يتذكر مشكلة وجود ابنه فقال
لوالدته متذمرا

((أمي أرجوك دعينا ننام هنا.. لدي غدا دوام باكر فأين تريدان
مني ترك عدنان؟ أمي أرجوك تحمليه عدة أيام فمدرسته
اقتربت ثم ألم تكوني تشتكين لي سابقا أن إيما لا تجعله يزورك
دائما؟))

زفرت والدته وهي تقول برتابة

((نعم هو حفيدي المفضل وكنت دائما ما اطلب زيارته لي..
لساعتين بالكثير لا طوال اليوم.. أنا كبيرة بالسن يا احمد ولا
أستطيع اللحاق وراه دائما.. اذهب يا ابني لمنزلك أرجوك..
تريد النوم أنا وأباك))

ظهرت علامات الوجوم على وجه احمد وكأنه أخذ على خاطره
من كلام والدته..

حمل صغيره وغادر منزل والديه نحو شقته وبعد أن اغتسل
وغير ملابسه طلب من ولده أن يفعل نفس الشيء..

نظر له الصغير بحيرة هادرا

((أبي.. متى ستعود أمي لأنني معتاد أن تختار هي لي منامة
النوم))

تنهد احمد بملل قبل أن يخرج له منامة عشوائية من دولابه

((ألم تقضي يا حبيبي شهر مع أمك؟ هذه المرة دوري.. لنجرب
أن نعيش لوحدا كشباب معا.. سيكون أمرا ممتعا))

لوهلة توقف عدنان عن الشعور بالحزن..

بدا امر العيش مع والده فقط بعيدا عن أوامر امه الصارمة
ممتعا من كلام احمد..

لكنه عقد حاجبيه بطفولية حائقة وهو يقول بينما يشير إلى
ملابسه

((أبي ولكن.. كل من البنطال والقميص من منامتين مختلفتين))

رد عليه احمد بحزم بينما يرفع غطاء سريره

((عدنان كف عن التذمر.. كلها ملابس.. أهم شيء أن تدفئ
جسدك))

زم عدنان شففته بطفولية.. لكنه عاد يسأل والده

((أبي هل يمكن أن أنام عندك؟))

زفر احمد بضيق ليقول

((عدنان أنت كبير بما فيه الكفاية لتنام وحيدا.. ثم ألم تعودك
أمك منذ وقت على النوم بعيدا عنا؟ ما الذي تغير الآن؟))

أخفض الصغير رأسه وكان على وشك البكاء..

ضعف احمد أمام نظراته ليجد نفسه يقول له مستسلما

((حسنا لننام سويا الليلة.. اذهب للاغتسال الآن))

لمعت عينا عدنان بسعادة وهو يقول مطيعا بحماس قبل أن
يركض نحو الحمام

((حسنا أبي حالا))

تتهد احمد بتعب لكن سرعان ما ظهر الارتياح بملامح وهو
يكتب رسالة لهيام

"لم يسبق وأن رأيت ابني الصغير.. صحيح؟ سأحضر عدنان
غدا لعملي ثم سنغادر باكرا.. ما رأيك بعدها أن نخرج بموعد
نحن الثلاثة؟"

=====
=====

كان مراد يتجول في إحدى مراكز التسوق بالطابق الأول..
جلس أمام طاولة إحدى المقاهي يحتسي من كوب القهوة الذي
كان يمسكه بيد ويمسك هاتفه النقال بيده الأخرى يتحدث من
خلاله..

علت أنفاس مراد فجأة رغم ملامحه المتجمدة هادرا بصوت
منخفض على الهاتف

((أخبرني يا أسامة ما الذي سمعته عني بالضبط))

وصله صوت أسامة بمداهنة

((أخبرتكم يا مراد كل ما قد سمعته من أمي قبلا.. لكن لا تقلق..
لقد أوقفتمهم أمي عند حدهم.. ليس هناك شيئا آخر لأقوله لك))

كان هناك شيء بداخل مراد يرتجف من الغضب..

لكنه حافظ على هدوء نبرته ونظراته الثابتة للأمام وهو يقول

((مؤخرا وبعد أن ساءت سمعتي كرجل كنت أخطط للانتقال

للعيش في العاصمة.. ولكن لا أتوقع انه سيكون مجديا بعد
الآن.. لذا علي التفكير بالهجرة للمكسيك بشكل جدي.. أو ربما
 لليابان فلطالما أحببت لغتهم وثقافتهم وحضارتهم.. والإقامة

بأريافهم تحديدا سيكون لطيفا ومنعشا))

كان حديث مراد أقرب للتهكم تعبيرا عن تدهور الحالة النفسية
والبائسة التي يعيشها بعدما انتشرت تلك الإشاعات عنه..

سامح الله والدته على ما قامت بفعله وتسبب له بهذا..

أكمل أسامة كلامه بظرافة وهو يقول

((على حد علمي وعلى الرغم من أن اللغة الإنكليزية جزء من
التعليم الإلزامي في اليابان إلا أن في معظم الحالات لا يتحدث
اليابانيون اللغة الإنكليزية بالشكل الذي تتوقعه.. وعادة ما
ستتخضع قدرات الأشخاص في التحدث باللغة الإنكليزية كلما
ابتعدت عن المدن والوجهات السياحية الرئيسية فغالبية سكان
المناطق الريفية والبعيدة عن صخب المدن هم كبار السن.. لذا
ابدأ من الآن بتعلم اللغة اليابانية))

أنهى أسامة كلامه بضحكة خافتة..

إلا أن مراد لم يبادل الضحك وهو يعود بظهره للخلف جالسا
على المقعد..

صمت قليلا قبل أن يقول بشروء مرير

((لا تقلق سأفعل))

تنهد أسامة وهو يرى مراد يعود لصمته التائه على الهاتف..
فسأله

((مراد.. كن صادق معي.. ما سبب خروج هذه الإشاعة عنك
من الأساس؟ ثم هل زوجتك حاليا بمنزلكما الزوجي؟))

للحظة فغر مراد فمه يعجز عن التحدث.. لكنه رد بصوت
هادئ بعد مدة

((أسامة.. هذه خصوصيات ولا أحب التحدث عنها.. كل ما أريد أن اعرفه.. هو من أول من أطلق هذه الإشاعة عني؟))

والدته أكدت أن سميحة والدة جالا هي من فعلت..

ويارا وافقتها الكلام بالإضافة إلى شكها في العاملتان اللتان أحضرتهما والدته وسمعا محادثتها عنه..

لا يدري فعلا من نشر هذه الإشاعات عنه..

ولكن لو كانت والدة سميحة هي فعلا من فعلت فهو لن يستطيع لومها..

ولن يلوم جالا لعدم دفاعها عنه مع معرفتها جيدا بأنه لا يعاني من أي خطب ما وأنه انتظر كل هذا الوقت فقط لأجلها..

لا يعرف فعليا ما هي الخطوة القادمة في علاقته بجالا فوالده حتى الآن يرفض التحدث مع أي أحد بالبيت باستثناء يارا وكلام سطحي فقط..

ولكن ما هو متأكد منه هو أنه لن يسمح لها أن تبتعد عنه أو أن يفرقهما أحد..

ليس الآن.. ليس الآن وبعد أن أصبحت زوجته وبعد أن نشأ امل بداخله بشأن علاقتهما..

فكل الكلمات صغيره جداً أمام المعنى العميق الذي يكنه لجالا من حب..

سمع أسامة يقول برتابة بعد صمت قصير

((أخبرتكم يا مراد لا أدري.. الفترة الماضي وبكل يوم كانت تأتي جارة مختلفة عند أمني لتسألها عن حقيقة الإشاعة عن ابن أختها..))

وضع مراد قهوته على الطاولة قبل أن يقول متأوها لأسامة
بتعبير يحمل طبيعة أحاسيسه

((مؤخرا صرت لا أعود للمنزل إلا بعد منتصف الليل ومثلثا
حتى لا أشعر بالخزي إذا ما رأني أحد من الجيران.. صرت
منطويا حتى مع زملائي بالعمل.. لا أحد منهم يسكن قريبا من
قريتي ولكن أضل موسوسا ما إذا كانوا على علم بالكلامي الذي
يُقال عني ويدعون عكس ذلك.. كل كلمة أو حرف تُقال من
قبلهم أشعر أنها بطريقة ما عني أو موجهة لي.. لا أعرف كيف
سامارس حياتي بشكل اعتيادي كما الماضي بدون أن اتعب
نفسي بهذه الأفكار وبدون أن أشعر أن تلك الأقاويل تمس كياني
ونفسي))

تنهد أسامة وهو يقول له بينما يستشعر ألمه

((إذا كنت أنا يا مراد تعبت نفسيا من الإشارة لي كابن عم وابن
خالة وصديق مقرب لك.. فما بالي بك؟ من المؤكد أن الأمر
صعب عليك جدا.. لا تنزعج لو أخبرتك أنني صرت أخرج
حتى من معرفتي بك.. وأن أهل زوجتك عرفوا أن زوج ابنتهم
عاجز وأخذوها منه لأنه يرفض العلاج))

كان أسامة يتحدث بصوت هادئ فبدا كلامه جدي.. فقال مراد
مغمغا بسخرية خائبة مريرة

((أوه فعلا؟))

رد أسامة

((نعم أنا كذلك))

قال مراد بينما يقف من مكانه ويضع ثمن الحساب على الطاولة
قبل أن يغادر المقهى المتواجد فيه

((حسنا.. إذن يا أسامة.. سأحاول قدر الإمكان أن ابتعد عنك
حتى لا أسبب لك الإحراج))

أسبل أسامة أهدايه لعدة ثوان تسرب فيها الندم بداخله.. لقد قصد
حرفيا أن يمازحه بنبرة جدية..

ولأن رد مراد كان جامد سارع يعتذر هادرا

((مراد أنا امزح معك.. أنت تعرف هذا؟ صحيح؟))

سار مراد بممرات المركز التجاري يطالع ما بداخل المحال
التجارية من الخارج فقد جاء هنا ليشتري بدلة رسمية جديدة
لإحدى اجتماعات عمله..

رد على أسامة هادرا بصوت رتيب

((أرجوك يا أسامة الأمر لا يتحمل مزاحا))

زفر أسامة بانزعاج على ضيق مراد منه قبل أن يقول

((مراد لطالما كنت عبارة عن صخرة بلا مشاعر ظاهرة ومن
النادر ما أراك تتأثر من شيء.. فلماذا تحسست الآن من
مزحتي؟ مراد أنا اسف أرجوك لا تغضب.. أنا امزح وأنت
تعرف ذلك جيدا))

ابتسم مراد وهو يرى إحدى المسنين يجلس بالخارج بسأم وملل
بانتظار زوجته أن تنتهي من جولة تسوقها..

وعلى ما يبدو أنه قرر أن يتصفح الجريدة فرما تنتهي زوجته
من التسوق قبل أن يصل إلى الكلمات المتقاطعة..

حز بباله لو كانت الآن جالا معه وتشاركه ذوقها في شراء بدلة
له..

بالسابق كان والدته تشعر بسعادة غامرة عندما تتسوق برفقة
والده لشراء مستلزمات المنزل..

لكن بعد ذلك بدأت ترفض فكرة التسوق برفقته بحجة أنه يجد
إحراجا في التسوق معها وكذلك حالة العجلة التي يتصف بها

أثناء التسوق وعدم قدرته على الصبر أثناء اختيارها للبضائع المختلفة داخل المحلات ورغبتها في التجول على مهل والتدقيق في الاختيار بين نوعية المشتريات وسعرها..

خاصة وأن امه تقول في أحياناً كثيرة أنها تذهب إلى السوق ليس للتسوق ولكن لشعورها بالملل من طول البقاء في المنزل..

لكن بالنسبة له.. فلن يمانع مرافقة جالا في أي جولة تسوق ويقدر ما تشاء..

بل هو مستعد أن يصبح خبيراً في الموضة النسائية والعمود لمشاركتها بالاختيار..

تتهجد مراد قبل أن يعود لأسامة قائلاً له بلطف

((لا عليك يا أسامة.. الأمر ليس خطأك.. بل خطأ أمي ويارا في المقام الأول.. ولكن بالنهاية.. لن أستطيع أن أفعل شيء لهن.. ليس أمامي إلا أن أتحمّل تبعيات أفعالهم..))

سمع أسامة يقول له براحة ظاهرة

((الحمد لله أن يارا ليست أختي.. نعم هي ابنة خالتي وعلى عيني ورأسي ولكن أنا فعلاً لا أطيقها هي بالذات من بين أخواتها.. على كل حال.. أنت بالخارج ولا أريد أن أطيل عليك الحديث على الهاتف.. فقط توقف عن لوم نفسك أو لوم والدتك.. فبرأيي المخطئ الكبير هي خطيبتك السريعة.. لو كنت مكانك لم أكن سأهدأ قبل أن أجد تلك العروس الهاربة وأقطعها إرباً انتقاماً للفضيحة التي افتعلتها لك.. هروبا هو من جعل الناس تصدق الإشاعات التي خرجت مؤخرًا عليك))

ولأن ابن الحلال عند ذكره يبان.. فتح مراد عيناه على اتساعهما طوال حديث أسامة وهو يراها أمامه..

اقترب أكثر ليدخل المتجر المتواجدة هي بداخله..

كانت تمسك بكفيها عدة أكياس تسوق بينما تحادث البائع الشاب بشيء ما فتضحك أمامه بشكل مرتفع وعالي..

تضحك على طبيعتها بحيث تفتح فمها واسعاً وتترك الأصوات تخرج على سجيبتها من دون مراقبة أو محاولة للسيطرة عليها..

كعادة شخصيتها الصاخبة التي لا تمانع جذب الانتباه أبداً..

وصله صوت أسامة المتسائل لينتبه على أنه ما يزال على الخط معه

((مراد هل أنت معي؟ مع من أتحدث أنا؟))

هدر مراد له متمتماً من بين أسنانه ونظرات عينيه تركزان فقط على سهر بشراسة

((أنا.. أنا أمام الفتاة المسؤولة بشكل فعلي عن مأساتي..))

سأل أسامة بتوجس

((ماذا؟ من تقصد يا مراد؟))

بدأ مراد يتنفس بشدة وعيناه مشتعلتان بوحشية تتطاير شراراتها بتركيز عليها أكثر بينما يقول وهو ما يزال يحمل الهاتف ويضعه على أذنه قائلها يوضح له

((اقصد من اختارت أن تهرب من ارتباطنا بنفس يوم زفافنا وتجلب الأقاويل لي ولعائلتي قبل أن تجلبها لنفسها.. أسامة أرجوك داوم على زيارتي أثناء مكوثي بالسجن خاصة وأن عائلتي بلا أي شك ستتبرأ مني لما سأفعله الآن))

وصله رد أسامة المستهجن

((ماذا؟ هل تهذي؟ أيها الأحمق ماذا تقصد؟ ماذا تريد أن

تتهور؟ أين أنت الآن؟))

ودعه مراد بجمود وعيناه مغبيتان عن كل شيء إلا تلك التي أمامه

((إلى اللقاء))

أبعد الهاتف عنه قبل أن يغلقه متجاهلا تحذيرات أسامة..

فزع أسامة من إغلاق مراد الخط على وجهه فأخر كلماته كانت مثيرة للذعر..

يعرف أن مراد ليس من طبيعه التسرع أو عدم ضبط الذات ولكنه بالفترة الأخيرة أصبح مختلفا فخشي منه أن يقدم على شيء قد يندم عليه..

بينما خطى مراد نحو الأمام ليصبح قريبا منها..

نظر إليها للحظات طويلة قبل أن يقول بغضب أعمى بينما يضغط على أسنانه حتى لا يخرج صوته عاليا وحاد ويجفلها

((مرحبا يا سهر))

استدارت سهر باستغراب لجانبا للصوت المُنادي عليها قبل أن تُصدم لمرأى الشاب الذي يُناظرها بشراسة..

بهت محياها وهي تراه يقف بصلاية أمامها وعيناه ذات اللون البندي بدتا كبركان على وشك الانفجار..

فغرت ثغرها تبحث عن صوتها تريد الرد عليه لكن الكلمات لم تسعفا..

رأت ابتسامة انتصار شرسة تشق محياها بثقة وكأنه أخيرا ظفر برؤيتها..

مما دفعها لتبتسم بارتعاش وخوف له قائلة أخيرا بتلعثم وسعادة مفتعلة

((مم.. مراد.. يا إلهي.. مراد.. كيف حالك؟ لقد.. لقد..))

وبينما تراه يتقدم منها ببطء شديد سقطت الأكياس من يديها
المرتعتين لترجع بساقيها للخلف مجبرة نفسها على الابتسامة
برغم حالة الرعب والارتعاش التي تعيشها الآن لتقول ببلاهة
متابعة التلعثم

((مراد.. أنا.. مم.. مراد.. لقد.. أزدت وسامة..))

لم يعرف البائع الشاب الذي تتحدث معه ماذا يفعل في هكذا
موقف فتركهما ليذهب بعيدا ويتحدث مع زبائن آخرين..

اتسعت ابتسامة مراد بوحشية فلا أحد سيجمها منه الآن بينما
يقترّب هو منها أكثر قاتلا

((لقد أكد والديك لنا أنك في خارج البلاد.. فماذا تفعلين هنا أيتها
العروس الهاربة؟))

كانت سهر تعود خطوة للخلف مع كل خطوة يخطوها مراد
إليها..

وما إن اصطدم ظهرها بالحائط حتى جفلت بهلع..

لكنها استجمعت شجاعته عقب أن ازدردت ريقها لتقول بثبات
أظهر زيفه رعشة صوتها

((صحيح.. نعم كلامهم صحيح.. أنا فعلا ذهبت للخارج..
ولكني عدت.. لا أحد يعرف أنني عدت من الخارج.. صدقني))

بقي مراد يقترّب منها حتى صار لا يفصل بينهما إلا عدة
خطوات ليقول مستنكرا بسخرية أمام حدقتنا عيناها المهترزتان
بصوت كفحيح أفعى يكاد يصم أذناها من قوة نبراته

((لماذا تبتعدين؟ أريد أن نتحدث قليلا.. لن افعل بك أي شيء..
أريد أن نتحدث ونتعاتب على ما فعلتية بي كشخصين
متحضرين))

عادت سهر تزرد ريقها وهي ترى عيناها تقدحان شررا..
فيعد أن صار لا يفصل بينهما الكثير أدركت مقدار ضالتها
أمامه حتى مع ارتدائها لكعب عالٍ..

شعرت سهر بوخزات من خوف أكبر تطرق جميع جسدها قبل
أن تقول بصوت خافت عقب أن أخذت نفسا مرتجف وهي
تفعل الابتسامة مجددا

((أوه؟ هل هذا فقط ما تريده؟ إذن لنتحدث هنا وهكذا.. عن ماذا
تريد التحدث بالضبط؟))

رد مراد بغل وعيناها تبرقان بشراسة وحقد

((لا شيء محدد أريد الحديث عنه.. فقط كما قلت لك سابقا
بعض العتاب القليل اللطيف.. بشأن مسألة هربك بنفس يوم
زفافنا))

هتفت سهر فورا وهي تغمض عيناها بانفعال

((حسنا.. حسنا.. أخطو أمامي وسأتبعك))

تنهد مراد قبل أن يقول لسهر بملامح قوية وهو يبتعد عنها
ويشير برأسه لها للأمام هادرا

((لا يا سهر.. تقدمي أنتِ أمامي ولنسير سويا))

ازدردت ريقها وهي تقول بينما تهز رأسها بخوف مطيعة

((حسنا.. حسنا افتح لي المجال إذن))

فور أن ختمت سهر كلامها وتقدمت منه حتى قفزت راکضة
نفر هاربة من أمامه وهي تصرخ بصوت عالي طالبة النجدة

((سارارق.. سارارارارق.. يا عالم يا ناس هناك سارق
بلاحقني))

اقتراب مراد منها في وسط متجر أمام الناس بالعلن كان من
الأساس ملفتا للنظر لكل من حولهم..

أما مشهد ركض سهر وخلفها مراد الذي مد يده لحقيبتها
وانتزعها منها في محاولة منه لإيقافها عن الهرب منه فبدا
أسوء موقف ممكن أن يقع به رجل..

عندما وجدت سهر الطريق أمامها مسدود بنفس المتجر الضخم
اضطرت أن تستدير للخلف لترى مراد خلفها يمسك حقيبتها
التي سحبها منها..

اندفع عدد من الناس القلائل الذين كانوا موجودين بالمحل
التجاري..

فتاة بوجه شاحب تركض بذعر وهي تصرخ أن هناك لص
خلفها وقد ضبطوا اللص يسرق حقيبتها أمام أنظارهم بكل جراءة
ليس مشهدا هينا قد يحدث كل يوم..

رفع مراد رأسه لكل من حوله وقد فهم ما تعنيه نظرات الأعين
الحانقة التي تنتظر له بشراسة فأسقط حقيبتها أرضا لتسحبها
سهر فورا من الأرض وتعيد ارتدائها بانفعال بينما تناظره
بشماتة..

قال مراد بصوته المشبع بالقلق من ظنونهم هاتفا يدافع عن
نفسه بانفعال وهو يشير بيديه

((لا تنتظروا لي بهذا الشكل.. إنها كاذبة.. أنا اعرفها وهي
تعرفني.. كانت تحاول الهرب مني ولكني لست سارقا))

نظر لسهر بقلق يرتجي منها قول الحقيقة إلا أنها فوراً تصنعت
البكاء وهي تقول بضعف مصطنع

((كاذب.. انه سارق وكاذب.. لا اعرفه أرجوكم ابعده.. انه
يحاول سرقتي..))

أقترب رجل كبير بالعمر من مراد يمسكه من تلايبب قميصه
وهو يهزه بفضاظة قائلاً بقصد محاولة إخافته بصراخه ليعوض
قصر طول قامته بالنسبة لمراد

((يا قليل النخوة والدين ألا تخجل من محاولة سرقة فتاة ضعيفة
بوضوح النهار؟))

نظر مراد بطرف عينه لسهر وانتبه لشبح ابتسامة الانتصار
والشماتة التي رسمتها على محياها..

فحاول السيطرة على نفسه وهو يبعد كفي الرجل المسن
وينفضه عنه قائلاً باحترام

((مهلا.. مهلا.. أنا.. أنا.. زوجها.. انتظر سأظهر لك
هويتي..))

خرجت همهمات استغراب من الشاهدين وابتعد الرجل المسن
عن مراد..

ببطء أخرج مراد محفظته من جيب بنطاله ليفتحها أمام أنظار
المتفرجين الذين بدأت نظراتهم الآن متوجسة..

ويلمح البصر كان مراد بخفة يركض بعيداً عنهم هارباً..

شأتما نفسه لان في هروبه تأكيد باتهام سهر له بأنه لص حاول
سرقة حقيبتها..

لكنه حمد الله انه بوضح نهار يوم عمل رسمي ولا يوجد عدد كبير من الناس يتسوقون بهذا الوقت وإلا لكان واقعا بورطة حقيقية لو تجمع حشد جمهوري..

بينما بالمحل التجاري كانت سهر عاقدة الحاجبين تهتف بتذمر بينما تضع يد واحدة على خصرها وأخرى تشير به باتجاه الطريق الذي سلكه مراد هاربا

((ماذا تفعلون؟ هي اقبضوا عليه أيها الحمقى.. الحقوا ذلك السارق وأرسلوه للسجن.. من الخطر علي أن يبقى حر طليق))

غادر الناس المتجمهرين من حولها بلا اهتمام فيالنهاية لم يسرق منها أي شيء وانتهت الحادثة على خير..

بينما نظر الرجل المسن لها بغير رضا نادما على محاولة مساعدتها بسبب فضاضتها معه..

فزفرت سهر بضيق وهي تقلب عيناها بسأم قبل أن تمشي برتابة نحو أكياس التسوق التي ابتاعتها لتعاود التقاطها وهي تسير باتجاه معاكس لاتجاه هرب مراد..

اقتربت من إحدى المصاعد لتضغط الزر فيفتح المصعد أمامها بعد لحظات..

دخلت سهر المصعد بينما خرج منه عدة أشخاص ليبقى شخص واحد فيه..

وقفت سهر بثقة على الرغم من اهتزاز كعبها بسبب ركضها قبل قليل وهي ترتديه..

وبينما ترسم ابتسامة لطيفة على محياها التفتت تنظر للشباب بجانبها للحظات قبل أن تعاود النظر أمامها..

بدا الشاب غريبا للأطوار ومثيرا للريبة يضع كفيه بجيبَي بنطاله..

يرتدي ملابس باللون الأسود كأنه يخلق درعا لا يمكن اختراقه
بسهولة بمزيج من البرود والغموض ويغطي شعره بقبعة
كنزته..

بالإضافة إلى أنه يلبس نظارة سوداء قاتمة بينما يلف وشاح
شثائي خفيف موضوع حول معظم وجهه يلثمه لا فقط رقبتة..

شعرت سهر ببعض الريبة بدون أن تنحسر ابتسامتها قبل أن
تعقد حاجبها وهي تبتلع ريقها وتعاود الالتفاف ببطء له..
وذاكرتها السميقة تقول إنها نفس ملابس مراد التي لا تذكرها
جيذا لأنها لم تنتبه على شيء به قبل دقائق إلا عيناه ذات اللون
البنديقي المشتعل غضبا..

وبينما يبدأ جسدها بالتشنج تساءلت بصوت راجي من الله ألا
يكون ظنها صحيح

((المعذرة لكن هل يمكنك أن تزيل الوشاح عنك قليلا لتتبين
ملامحك لي؟))

اكتفى الشاب برفع أنامل كفه ليزيح النظارة عنه قليلا ليظهر لها
عينان ذات اللون البنديقي لها لتتأكد أنه مراد فما كان منها إلا أن
تراجعت للخلف صارخة بصوت عالي بينما يُفتح المصعد
عليهما

((النجدددددددد))

.

.

بعد ربع ساعة..

جلست سهر ببهجة على نفس الطاولة مع مراد الذي كان يبادلها
النظر لكن باشمنزاز وهو مستمر بوضع كفيه بجيوب بنطاله..

قالت سهر بينما تميل رأسها بنعومة لمراد

((مراد خطيبي السابق الوسيم صاحب العينين البندقيتين..
وبغض النظر عن كل شيء سابق فأنت لا يمكنك تخيل كم
اشتقت لك))

أوماً مراد برأسه لها براتية وهو لا يكلف نفسه حتى إخفاء
ملامح الضيق من رؤيتها وساقاه تهتران تحت الطاولة بعصبية
بالغة.. ليرد بفتور

((لطالما أردت الانتقام مما فعلتبه بي.. ولكن الآن فلا أريد شيئاً
بقدر الابتعاد عنك وعدم رؤيتك مجدداً.. كم أتمنى أن أرمي
بكل ما يتعلق بك بعيداً عن كل شيء حولي يا أيتها العروس
الهاربة))

عقدت سهر حاجباها بحزن مصطنع ثم زفت شفاتها لتقول
بدلال

((لم أكن أعرف أنك حقود هكذا يا مراد مثل الجمل.. أنسى يا
رجل.. نحن أبناء اليوم))

أخرج مراد كفاه من جيوب بنطاله وهو يضرب بهما الطاولة
فيفزعها ويلفت نظر من حوله..

فعلى الرغم من برود المراد الذي يتسم به وعرفته به خلال مدة
خطبتها القصيرة إلا أنها تعرف أنه عند الغضب دمه يفور
ويهوج بسرعة إلى حدّ الرعب..

هتف بها بعصبية جعلت جسدها ينتفض متراجعا

((ألا يجب عليّ أن أكون حقوداً فعلاً؟ هل تظنين هروبك بنفس
يوم زفافنا كان شيئاً هيناً لهذه الدرجة؟ بالوقت الذي كنت
تركضين فيه من متجر لآخر للتسوق.. أنا وللآن ما زلت أعاني
بسبب فعلتك يا سهر.. لقد دمرت سمعتي.. الحقيقة أنت لا تباليين
بسمعتك وربما لم تدغ عائلتك الكثير من أقاربكم.. ولكن هنا

فقربتنا صغيرة ولا أسهل من إطلاق الشائعات على أي شخص.. أين العدل بتركي أعاني من كل هذا بينما أنت تحظين بحياة سعيدة بحياتك؟))

شهقت سهر باصطناع وهي تضرب على صدرها مستنكرة

((مراد إياك أن تظن أن احىي حياتي بسعادة.. لا تغرك ابتسامتي العريضة الملازمة لوجهي فأنا أحاول أن أخفي بها الألمي.. لا تغرك سعادتني فأنا كلي أحزان.. أنا من الأشخاص الذين يكونون من خارجهم شيء ومن داخلهم شيء آخر.. ثم أنت لم يمكنك تصور كم أني نادمة على تركي إياك.. نادمة ندم لا يمكن وصفه))

كان مراد يريد أن يرد عليها إلا أن مجيء النادل الذي سأل عن طلبهم قاطعه..

طلب مراد كأس ماء بينما فتحت سهر القائمة ببطء وهي تسترسل مع النادل وتساله عن بعض الأصناف المعروضة على القائمة..

زفر مراد بضيق على طريقة حديثها مع النادل ولم يغب عنه ملاحظة تعبير وجهها وهي تنتظر له وخاصة حركة بؤبؤ عيناها عندما اتسعت وغيّرت نبرة حديثها لأخرى ناعمة بمجرد مجيء النادل..

وبينما ينحني النادل قليلا لها تميل هي مشدودة له بانتباهها له وهي تنصت باهتمام لكلامه لتلتقي عيناها طوال الوقت بينما تلعب بشعرها حيث تلف خصله منه حول أناملها..

حتى أنها ابتسمت له ابتسامة عريضة وهي تلقي عليه دعابة..

كل هذا كان خلال الدقيقتين التي استغرقتها في الحديث معه..

بينما أكتفى النادل برد ابتسامة متكلفة لها التزاما بشروط عمله هنا لتقول له بنعومة متسائلة

((شكرا لك يا..))

رد النادل بعفوية

((اسمي علي يا مدام..))

ازدادت ابتسامه سهر وهي تصحح له بكل سرور

((انسه.. انسه سهر.. علي.. أنت جديد هنا صحيح؟ لأني زبونه قديمه هنا ولم يسبق وأن رأيتك سابقا))

ظهر ضيق أشد على مراد من طريقة مغازلتها الخسيسه للنادل..

إمعانها بالنادل بهذا الشكل الفاضح وإحاحها في النظر أثار اشمئزاه خاصة وهي تكاد تلتهم ملامح وجهه بعيونها..

لم يكن يعرف بماذا يفكر بين عدم الاكتراث لها لأنها ما عادت تخصه أو يربطه بها شيء..

وبين إبداء الضيق والاشمئزاز لتصرفاتها ونظراتها وكل ما فيه..

سمعها تقول بينما تراقب وتسرح بمشيه النادل وتسترق النظر له ما إن أوماً النادل لها ثم استدار عائدا للخلف

((هل تعرف ماذا يا مراد.. لاحظت مؤخرا بأن المقاهي والمطاعم تتعمد وضع شبان بأعين ملونه سواء للخدمة أو عند طاولة الحساب بما أن اغلب عملاء ورواد هذه الأماكن هن الفتيات.. تفكير ذكي منهم))

عقد مراد حاجبيه متمتما

((لم يسبق وأن لاحظت هذا من قبل))

للحظة تخيل مراد كيف كانت تتصرف مع الجنس الآخر عندما كانت خطيبته..

هل كانت تستهلك الكثير من وقتها في مجاملة وإغداق الصفات الجميلة بأي شاب يعجبها؟

هل كانت توابتها جرأة لتعبر عن رغبتها وحبها بأسلوبها الخاص لأي شاب تنظر له بسطحية أو بإجاب عابر؟

للحقيقة هي لم تكن تظهر كل هذا بفترة خطبتهما القصيرة..

ليس وكأن نظراته السابقة لسهر هي نظرة ممزوجة بالاحترام والعمق ولكن لم يتخيلها بهذا الشكل خاصة وأنها الآن أخذت حرية أكبر بالتصرف كما يحلو لها أمامه بعد فك ارتباطهما..

وجد مراد نفسه يقارن مقارنة سريعة بينها وبين جالا فقد كان ملازما لجالا بفترة أسبوع عسله عندما كانا يخرجان سويا طوال اليوم..

الحياء والخجل كانا أساس رقة جالا بعيدا عن شخصيتها العنيدة وهي تتعامل مع أي أحد أثناء خروجها من الجنس الآخر وكيف كانت تبعد عن كل ما يخدش الحياء..

يكاد الآن لا يصدق أنه وبعد معاشرة جالا لأشهر كزوجين استطاع أن يصدق ولو لبرهة كلام والدته وهي تخوض بعرضها بدون أن يمنعه..

لقد كان وغدا حقيرا أن تجرأ حتى بمجرد التفكير بأنها قد تفرط بشرفها مع أي شخص آخر..

هل هناك أي شيء يمكن أن يفعله ليشفع خطأه عندها؟

قاطع تفكيره سؤال سهر وهي تجلس جلسة مرخية

((دعك من حديثنا هذا إذن يا صاحب العينان البندقيتان
وأخبرني كيف هو حالك؟ لقد قالت أُمِّي لك أنك تزوجت من
غيري بنفس يوم زفافنا.. صحيح؟ لكن لماذا؟ من الأساس أنت
صغير بالعمر.. أقصد بدلا من أن تنتهز الفرصة لإنقاذ نفسك
من جحيم الزوج بليت نفسك بزواج آخر))

أجابها مراد وهو يهز كتفيه

((لا أدري.. حدث ما حدث))

قالت سهر باستغراب

((كان والدك يريدك أن تتزوجني لأجل أعمال والدينا
المشتركة.. ولكن بما أنني لم أعد متاحة فلماذا زوجك من
غيري؟ هل الفكرة بانه يريدك أن تتزوج وبغض النظر من
ستكون زوجتك؟ هل يخاف أن يفوتك قطار الزواج مثلا؟ لأنه
وعلى حسب علمي فلقب أعزب ليس قاسيا على الشاب عندما
يتأخر عن الزواج))

زفر مراد ليقول بينما يقف

((سهر كفاك سخرية.. لقد جننت لأبحث بالمتاجر عن خُلة
رسمية مختلفة ثم الرحيل.. وأردت الجلوس معك هنا فقط حتى
أخبرك بالمشاعر البائسة التي سببتها لي.. إلى اللقاء الآن))

وقفت سهر معه لتقول له بينما تحاول إيقافه بإمساك ذراعه

((لحظة.. لحظة..))

ابعد مراد ذراعه عنها قبل أن تلمسها قائلا بتحذير

((لا تلمسيني..))

ابتسمت بينما تقول باعتذار

((حسنا.. أنا أسفه.. ولكن دعني على الأقل أصحح خطئي.. دع
فراقنا ينتهي بشكل أفضل.. اسمح لي أن أشتري لك حُلة أنيقة
وفخمة وعلى حسابي))

بعد ربع ساعة..

كانا الاثنان في إحدى المتاجر التي تتبع حُلل وملابس رجالية..

وفجأة اقتربت سهر صارخة من المرأة التي تقوم باستقبال
الزيائن أمام المتجر وهي تعانقها هاتفة

((لولو كيف حالك يا حبيبتي؟ اشتقت لك..))

استمرت سهر تتحدث معها بسعادة بصوت يثير الجلبة حولها
ليقترب منها مراد متمتما بحرج

((سهر لا تخرجيني بمحرك المبالغ فيه..))

لوت سهر ثغرها بعبوس مصطنع قائلة

((هل أصبحت الآن لا أعجبك يا صاحب العينين البندقيتين؟))

قال مراد من بين أسنانه بغضب

((لا يا سهر.. لكن أنا فقط أكره عندما تتبالغ أي امرأة في
تعبيرها عن الفرحه وتأخذ في الضحك بصوت مرتفع والقفز
هنا وهناك))

كان مراد يقولها بضيق حقيقي..

فمرحها الزائد والمفاجئ من جانبها والمبالغة في رد الفعل على أمور قد تكون بسيطة يسبب الإحراج له بينما يقف في مكان عام..

ولا يستطيع تفسير هذا التصرف منها إلا برغبتها الدائمة في لفت الانتباه..

من المستحيل أن يتقبل مراد هكذا تصرف من أي فتاة من عائلته..

رباه.. هل هذه هي من كان سيتزوجها؟

لماذا لم تظهر نفسها بشكل حقيقي أيام الخطبة؟

بل لماذا لم يكلف نفسه في التعرف على المرأة التي كانت لتكون زوجته؟

تتهددت سهر وهي تقول مغيرة الموضوع بصوت هادئ فخور

((لم أخبرك سابقا.. ولكن بإحدى المرات طردتني أُمي من المنزل.. ولم تقبل إحدى صديقاتي أنا أنام عندهن إلا بدفع أجار المبيت.. فاضطرت أن اعمل.. واحزر أين عملت؟ عملت هنا.. وقد تعلمت كيف اختار حُلة مناسبة لأي رجل.. ثق بي.. بل عليك الذهاب للتسوق مع أحد مثلي عند ذهابك لشراء الملابس فمن الصعب أن تكون رأيا متكاملأ عن مظهرك بمجرد النظر في المرأة.. كذلك ليس كل ما يبدو ممتازأ على أحد المشاهير أو عارضي الأزياء في الصور سيبدو بالضرورة جيذاً عليك.. وبما أني صاحبة ذوق رفيع ولي اهتمام بأحدث صيحات الموضة.. فأنت محظوظ))

جلست سهر تختار له حُلل مناسبة له بينما يجرب مراد لبسهم..

وبينما كان مراد يخلع آخر حُلة جربها بحجرة تغيير الملابس تقدمت سهر من لولو تسألها بصوت منخفض

((لولو هل صورتني مع هذا الشب كما طلبت منك؟ هل حرصت على أن تكون صوري بقربه وكأننا حبيبان؟))

هزت لولو رأسها بإيجاب بينما تقول متسائلة بصوت منخفض

((بيدو غني فهل ستحاولين ابتزازة؟ هل طردتك والدتك مجددا؟))

هزت سهر رأسها نافية وهي تقول بينما تضيق عينيها

((لا يا غبية انه خطيبي السابق.. يبدو أنه إلى الآن لا زال حانقا على هربي في يوم زفافنا.. أخشى أن يعود وينتقم مني مجددا فقلبه لم يصفى ناحيتي وخاصة انه يعرف أنني لم أغير البلاد.. أنا بحاجة لأمسك عليه ممسكا بحالة قرر العودة والانتقام مني.. مع انه تزوج من غيري بنفس ليلة زواجنا المفترضة))

تحمست لولو لخطة سهر الدفاعية لتصحها هادرة

((سهر ابعتي هذه الصور لزوجته.. قد تجن لو رأتهم.. وحينها ستراقبه وتشك به أكثر وهو سيخشى من ظنونها وسيحاول من تلقاء نفسه أن يتجنبك))

عقدت سهر حاجباها مستنكرة

((ولكن ماذا لو طلبت الطلاق وماذا لو عرف أنني من أرسلتها؟ سيقطنني بلا شك.. انه بالكاد يمنع نفسه من الفتك بي الآن))

شجعتها لولو قائلة

((لن يعرف صدقيني ولن تطلب زوجته الطلاق من أجل سبب كصورة كهذه))

شردت سهر بتفكيرها وهي تفكر بما تخبره إياها صديقتها لتسمع مراد يقول عقب أن خرج من حجرة تغيير الملابس

((إذن سأشتري جميع الخلل التي اخترتهم لي))

صفتت سهر بكفيها وهي تقول ببهجة

((أترى؟ ذوقي في الملابس لا يُعلى عليه.. لولو كلهم على حسابي هدية لصاحب العينان البندقيتان))

قال مراد بفتور و غضب مكتوب بينما يخرج بطاقة ائتمانية

((سهر ابتعدي من أمامي فأنا لا ينقصني غيرك أن يدفع ثمن ملابسي))

زمرت لولو بسهر بينما تأخذ البطاقة منه باحترام وعملية

((سهر كُف عن إغضاب السيد.. يبدو غنيا ولا نريد خسارته كعميل جديد هنا.. هات من فضلك بطاقة ائتمانك يا سيد))

وبينما تسحب لولو النقود منها قالت بابتسامة لمراد

((بما أنك صديق للأنسة سهر سأعطيك خصم 13% على مجمع ثمن مشترياتك.. شرفت متجرنا))

=====
=====

تتهدت جالا بتعب بينما تجلس على إحدى المقاعد بإحدى ساحات الحرم الجامعي الشبه فارغة..

قامت قليل من زميلاتها بتهنأتها بزواجها ولا تدري كيف عرفن فهي ليست اجتماعية أبدا هنا في الجامعة..

كما أن أكثر من نصف طلاب دفعتها تخرجوا الترم الماضي..

هل يا ترى لو تطلقت فستعرف زميلاتها أيضا؟

ستكون في موقف لا تُحسد عليها لو عرفوا أنها ستطلق بعد عدة أشهر من زواجها..

والدها وراجي أخبرها أن تأخذ وقتها قبل أن تعود لمراد.. لكن من المحال أن تفعل هذا..

فبعيدا عن معاملة والدة مراد ويارا السيئة لها..

لكن هل اتهام مراد ووالدته لها والخوض بشرفها شيء هين؟

لكنها حمدت الله أن والدتها معها بشكل كلي.. هكذا تضمن أنها لن تعود أبدا له..

جفلت جالا على تقدم فتاة من بعيد لها..

أمعنت النظر لها قليلا قبل أن تصدم بأن هذه الفتاة هي.. فداء؟

هي لم ترى فداء منذ بداية هذا الترم فلماذا الآن تقترب مبتسمة بخجل منها؟

رأت فداء تجلس على نفس المقعد الطويل هادئة

((مرحبا يا جالا.. كيف حالك؟))

ردت جالا بجمود ونبرة حادة

((أهلا يا فداء))

تفهمت فداء غضب جالا وهي تشعر بخجل كبير منها..

فهن في الماضي كنا صديقات..

لسن صديقات مقربات ولكن على الأقل هي كانت أقرب صديقة لها قبل أن فعلت ما فعلته ويفترقا..

لا تستطيع فداء لومها على ذلك وهي التي سرقت منها خطيبها.. ليست سرقة بالمعنى الحرفي..

فكارم بنفسه هو من تقرب لا العكس.. هي فقط استجابت له..

لكنها لم تتخيل يوماً أنها ستكون قادرة على فعل هذا ولكن كارم كان من النوع الذي يصعب مقاومته..

فعندما عرّفها جالا على كارم ونظرت إلى عينيه ظننت أنه الرجل الذي كانت تبحث عنه وظننت بأنه يشعر نفس الشيء تجاهها ولم تستطع مقاومة انجذابها له..

قاطعت جالا الصمت بينهما وهي تقول ببرود وبنظرات مجردة من أي مودة

((ماذا تريدان يا فداء؟))

عادت فداء تبتسم وهي تقول

((لقد فكرت يا جالا بما أنك تزوجت وأنا حُطبت من قريبي وكارم رحل ولم يعد هناك رجل يفرق بيننا فلماذا لا نعود صديقات كالسابق؟ أنا أكره فعلا أن أجعل أي صديقة أن تبقى غاضبة مني لمدة طويلة))

نظرت جالا لها باستخفاف.. هل هي جادة حقاً؟

أردفت فداء بلطف

((إذن هل يمكن أن تقولي لي أين منزلك الزوجي بالضبط حتى آتي لزيارتك وتهنأتك بزواجك الذي لم أعلم عنه إلا مؤخراً.. هل غدا مناسب لأزورك مع هدية متواضعة؟))

ردت جالا ببرود

((لا لست متفرغة في الغد))

ابتهجت فداء من تفاعل جالا معها لتعاود السؤال

((إذن متى تتفرغين حتى أزورك؟))

كتفت جالا ذراعها أمام بينما تقول بصوت حاد

((لن أكون متفرغة لا في الغد ولا في أيّ وقت آخر))

عقدت فداء حاجباها بحزن شديد بينما تسمع جالا تردف

((اسمعيني جيّداً يا فداء.. أنتِ ليس مرغوب فيك بمنزلي..
ولست غيبية لأدعك تزورين منزلي وتخطفين رجلي للمرة
الثانية... مفهوم أيتها السارقة؟))

لم تصدق جالا ما قالته..

لكنها قررت أن تنسى حقيقة أنها ستطلق قريباً وهي تتعامل
معها على أساس أنها متزوجة من رجل تحبه..

ترقرقت الدموع بفداء وهي تقول مدافعة عن نفسها بحجة واهنة

((لست أنا من سرقتك بل هو من تقرب مني.. لوميه هو لا أنا))

ردت عليها جالا فوراً بصوت منفعل

((حسناً سألومه أول.. لكن بعدها سألومك أنتِ.. ألم تكوني
صديقتي وبمثابة أخت لي؟ عرّفك على كارم حينها لا لتفرحي
لي أو لتشاطريني أوقات السعيدة.. ولكن حتى يوصلك معي من
الجامعة بدلا من استقلالك المواصلات السيئة والمزرية.. لكنك
غدرت بي.. هل تظنين ما حصل لي كان بسيطا بعد معرفتي
في بداية الأمر أن كارم فسخ خطبته بي ليحاول خطبتك أنتِ
بعدها بأيام؟ لقد عشت باكتئاب كان ليتمد لسنين طويلة لو لم
تحصل لي مشاكل ومصائب وألام أخرى أنستني ألم فقدانه.. لقد
اثبت لي يا فداء بعدما خننتي صحة قراري السابق بأن لا أثق
بأحد أو أصادقه.. والى الآن أريد الحصول على علاج نفسي
طويل لأتجاوز فعلتك أيتها الخائنة..))

وبينما بدأت فداء بالبكاء بصامت وهي لا ترى نفسها تستحق
هذه المعاملة فهي لست فتاة سيئة وكل ما فعلته أنها تعاونت مع
خطيب صديقتها ليفسخ خطبتهما ويتزوجها هي..

أردفت جالا بصوت متألم

((أذهبي من هنا فأنا لست مستعدة أبدا أن أراك مرة أخرى
وأتذكر كل ما حدث بالماضي بسببك))

قالت فداء بصوت منقطع من بين دموعها

((جالا.. أنا لست فتاة.. سيئة.. أخطأت التصرف معك ولكنني
تعلمتُ الدرس جيداً بعد أن تخلى عن كارم فورا بمجرد أن رأى
صرامة وحزم أبي وعائلي وكانني ورطة وقع بها ولم يصدق
كيف سيخرج منها.. حتى أنه طلب من عائلته قبل سفره ألا
يختلط أحد منهم بي أو أن يسمحوا لي بأن أقرب منهم لأنه
يريد أن ينسى كل شيء يخص علاقاته العاطفية هنا.. أتضح انه
كان يصبر على الارتباط بي حتى يجد سببا مقنعا لعائلته لفسخ
خطبته بك.. أي أنه بكل الأحوال كان يريد أن يفك أي ارتباط
بينكما.. لذا لم أتصور أن تظلي حاقدة علي حتى بعدما
تزوجت))

صمتت فداء بدون أن تذكر لجالا كيف تم معاملتها بالترم
الماضي الذي قامت هي بتأجيله ولم تحضر فيه للجامعة..

فبعد أن حصلت جالا على نظرات الشفقة والقليل من الشماتة
كفتاة تم الغدر بها من قبل خطيبها وصديقتها الوحيدة العزيزة..

كان من نصيبها هي نظرات الاشمزاز من الباقي.. فكان من
الواضح أنّ لا أحد يريد التقرب منها..

حتى الفتيات العازبات كن ينظر لها وكأنها مصابة بمرض
معدٍ..

فبدا إكمال الترم عليها شاقا ولولا عدم موافقة أختها وعائلتها
وإلا لكانت أسقطت هي الأخرى الترم..

وقفت فداء من مكانها وهي تمسك كتابها بكفيها الاثنتين قائلة
وهي تنتظر أرضا

((أنا جنئت عندك فقد لبيتسنى لي أن أعتذر لك.. والآن أن أمل فقط أن يأتي يوما وتسامحيني على الذي فعلته بها.. وأيضا.. أنا فعلا لم أكن أريد قبول عرض كارم لكن هو قال لي أنك لن تنأسفي كثيرا بل أنك جذابة وستجدين رجلا سريعا آخر.. وكان كلامه صحيح والدليل أنك تزوجت فوراً بعد أشهر قليلة جدا من انفصاله عنك))

وقفت جالا هي الأخرى من مجلسها وهي تقول بصرامة

((لاحظت أنه ليس هناك أي مساقات مشتركة بيننا.. لذا أتمنى فعلا ألا نرى بعضنا بعد الآن وأن تتفاديني قدر المستطاع.. كما أنني سامحتك ولكني مسامحتي لا تعني أنني سأعود صديقة لك.. فأخشى أن يعجبك زوجي أيضا وترينه هو الرجل المنشود لك أيضا..))

ويدون أي كلمة وداع أدارت جالا ظهرها لها وهي تمشي بعيدا عنها..

فكل صديق خائن يخلق لنفسه ألف عذر وعذر ليقنع نفسه بأنه فعل الصوب..

لكن بالنهاية ليس هناك كلمة قادرة على وصف خيانة من تعتبره صديق..

لا تستحق حتى مناقشتها في الأمر..

عقلها أقيح من أن تعرف أن العلاقات الإنسانية أعمق مما تتصور..

والألم الذي يصيب أحدا بسبب أحد آخر يرتد عليه حتى لو كان دون قصد..

فداء لم تعطيتها حق الصداقة.. وكل حديثها ناقص..

حتى لو كان كارم من طلب قريبا فقد وجب عليها مناقشة
الموضوع معها بدلا من إقامة علاقة عاطفية معه من وراء
ظهرها ومعاملتها كمغفلة..

قد تغضب وترفض أن تصدق فداء وتقاطعها..

ولكن وجب عليها إخبارها بان كارم يتقرب منها لا أن تبادلها
الخيانة..

وبهذه اللحظات جالت بعض المشاهد القديمة لها مع كارم
أمامها..

وقتها بالفعل شكت بهل كونه سبق وأحبها فعلا؟ هل فكر
بمشاعرها بعدما يفعل بها ما فعله؟

لقد عاهدت نفسها ألا تذرف الدموع مجددا لأجل كارم بعدما
جفت دموعها المخصصة له سابقا..

لكنها فعلا تشعر بأنها تكرهه.. تكرهه..

ومهما فعل بها بمراد أو والدته فذلك ليس مبررا لها لتتبنى أن
تكون متزوجة منه هو بدلا من مراد..

صحيح هو كان له جزء كبير من حياتها وكان سندها سابقا
بأكثر موقف مريع قد تعرضت له سابقا..

ولكن الفضل الذي تكنه له بذاك الأمر لا دخل له في هذا..

=====
=====

بعد مرور أسبوع..

كان أسامة يجلس بإحدى المطاعم عند الزاوية..

يعرف قريبته هيام كونها تُدرس بنفس جامعتة بغض النظر أنها تُدرس في كلية مختلفة عن كليته التي يدرس بها..

وبالأمس أخبره أحد أصدقائه الذي تقوم هيام بتدريسه أنه رآها مع رجل لا يعرف هويته وبرفقة ابن أخته الصغير عدنان في هذا المطعم..

أخبره بأنه رآهم هنا أكثر من مرة بما أنه من الرواد الدائمين لهذا المطعم ويطلب دائما منه..

وأضاف أنها لم تنتبه عليه ولكن تأكد مرة بعد مرة أن ذلك الصغير هو ابن أخته ففقد زار بيت أسامة كثيرا ورأى عدنان عندهم بأكثر من مرة..

واليوم هو بنفسه جاء هناك متخفيا لهنأ ليجلس بمكان بعيد ليتأكد من ظنونه..

فأخته إيما ترفض التحدث بمشكلتها مع زوجها إلا بعد عودة والدهم من سفره.. ولكنها أكدت أنها مشاكل بسيطة لا تثير أي قلق..

لكن الآن سيعرف طبيعة هذه المشاكل..

وبعد انتظار ساعتين بالمطعم اتسعت عينا أسامة على دخول هيام برفقة صهره احمد وهي تنتظر وتضحك له بخفوت بينما يزيح لها كرسيأ لتجلس عليه..

لم يكن معهم هذه المرة عدنان كما أحضروه في المرات السابقة كما قال له صديقه..

لم يجد أسامة أن يفعل إلا أن يهرع للخارج من الباب الخلفي بوجه مسود من الغضب وكان شياطين الجن والأنس تسابقه..

كان عليه الخروج قبل أن يتهور بفعل أي شيء..

كيف تعرف هيام صهره احمد؟ وهل هي سبب مشاكل أخته مع زوجها؟

بل كيف تعرفت على احمد وهو غريب كلياً عن العائلة؟

اشتدت كف أسامة المقبوضة وهو يهرول نحو سيارته عائداً لبيتهم ليتفاهم مع أخته ويجبرها أن تصارحه بما تمر به..

.

.

في المطعم.. نفس الوقت..

جلست هيام على كرسي مقابل احمد الجالس معها على نفس الطاولة وهي تشعر بسعادة عارمة..

لم تختار هي من عشقه ولكن القدر هو من قادها لأحمد لتجن بعشقه وتغرق بحبه..

أحمد بالنسبة لها هو العالم كله.. وليس لها أي سلطان على قلبها فالحب إحساس صافي عذب يصيب سهمه القلب على حين غرة دون أن يستأذن أو يقرع الباب منذراً بالدخول..

وأجمل ما في الأمر أنه لا زال يبادلها الحب وكأنه لم يسبق له وان وقع بحب أمراه غيرها.. بالرغم من أنه متزوج..

فالسنوات السابقة مضت عليها وهي تظن كلياً بأنه نسي حبهما وطوى صفحاته.. وكأنها مجرد محطة بحياته مر وانتهى منها تماماً خاصة أنه رزق بطفل من زوجته..

وضعت هيام المنديل الأبيض المخصص للمائدة على حجرها بدون أن تفرده كاملاً بينما تسمع سؤال احمد لها

((لماذا تلتفين هنا وهناك؟ هل تخشين أن يراك أحداً هنا؟))

وبينما ترفع هيام الملعقة لتتناول من الحساء المقدم لها بطبق
مسطح هدرت بإحباط وعتاب عفوي رقيق

((أنت تعرف أنى لا أحبذ لقاءك بأي مطعم قريب من جامعتي
خشية أن يرانا أحد طلابي أو زملائي.. لكنني وافقت على هذا
المطعم بالذات لأن فيه اللعاب جانبية أستطيع من خلالها تشجيع
عدنان أن يتناول الطبق أمامه قبل أن يلعب فيها.. لكنك لم
تحضره اليوم للأسف))

قالتها هيام بصدق فقد أحببت عدنان جدا..

شقي قليلا لكنه ولد ذكي ومهذب بالرغم من صغر عمره..

خطف قلبها وهي تراه يعرف كيف يتحلى بالأداب خاصة أمام
الطعام وهو يراعي مثلا عدم وقوع فتات الخبز في الزبد عندما
كان يدهنه..

أو كيف كان ينتظر الشاي حتى يبرد مع حرصه على عدم
إحداث صوت أثناء شربه..

ضحك احمد بخفوت عليها بينما يلف قطعة الخضار الوريقة
الطويلة بالشوكة من طبق السلطة أمامه ليقول لها متأسفاً بمرح

((أعتذر منك.. لكن ظروف عملي لا تتحمل أن أخذه معي..
كنت طوال الأسبوع أعود من عملي لبيت والدي من أجل
اصطحابه للفانك هنا.. لكنه نام اليوم بعد عودته من مدرسته
منهكا وعلى الفور.. عدنان أحبك جدا وأنا متأكد بأنه سيغضب
كثيرا عندما يعرف بأني ذهبت لأراكي من دونه.. فقد لاحظت
أنه يشعر بالدفء برفقتنا ويقل حزنه وبكائه))

انتبهت هيام على انه يقصد بعد صغيره عن والدته وقد وافقته
الرأي..

فعلى الرغم من الفرح الذي كان يرتسم على وجه عدنان عند
لعبه بالألعاب هنا.. إلا أنها استطاعت أن تقرأ في عينيه الحزن
والفقد..

سألت هيام بشفقة متسائلة

((هل والدته ترفض العودة إلى الآن؟))

أجابها احمد بفتور عند استذكار أيمان وتمردها على قراره

((نعم ترفض وتغلق هاتفها بشكل مستمر.. مع أنني أساسًا لا
أريد التحدث معها إلا من أجل الصغير الذي يصر على
التواصل معها..))

نظرت هيام بعبوس له قبل أن تنتهد وتقول بدهشة وحزن جدي

((يا إلهي كم هي قاسية وهي تدخل ابنها بمشاكلكما.. لو رزقني
الله بولد ذكي مثله لما فرطت به أبدا ولا دقيقة.. بل حتى وإن
تطلب الأمر لكنت تركت وظيفتي بالجامعة بأكملها من أجله
وحتى يتسنى لي الاعتناء به بدون أن أنقص عليه شيء.. فكيف
تحملت إيما البقاء بعيدة عنه طوال أسبوع كامل؟))

نظر احمد لها قليلا يتأملها وابتسامه تتلاعب فوق شفثيه

((هذا لأنك رقيقة يا هيام.. أما هي.. آه منها.. دعينا فقط نتوقف
عن التحدث عنها.. سيرتها تجعلني أشعر بالضيق))

زفر احمد بامتعااض وهو يتلملم مكانه قبل أن يقول آخر
جملة..

فلا ينقصه إلا أن يتحدث عن إيمان بهذا الوقت القليل الذي يرى
فيه هيام..

واقفته هيام كلامه قائلة

((نعم دعنا لا نتحدث على الأمر))

بعد دقائق من الصمت رفعت هيام رأسها ونظرت لملاح احمد
غير المقروءة..

فتنحنت قبل أن تسأل بمحاولة منها ألا ينغلق أمامها

((إذن كيف هو عملك؟ طوال الأسبوع الماضي أراك تعود من
عيادتك مع ابتسامة واسعة وكأنك عدت لتوك من نزهة لطيفة))

رفع احمد نظراته لها وهو يضحك بخفوت لها لتقول وهي
تبتسم له وتشير بكلمات يديها بدهشة

((لا أمزح يا احمد.. فشخصيًا أنا أكره حتى الإنصات إلى
مشاكل شقيقتي وشكاويها مع عائلة زوجها ولكني أجبر نفسي
على ذلك حتى لا تكتم ما تعانيه داخل صدرها فيزيد ألمها
النفسية.. لذا حقا لا أفهم كيف تحمل الاستماع إلى كل تلك
المآسي والألام الداخلية والتعامل معها دون أن تتأذى شخصيًا
وتضطرب؟))

عاد احمد بمكانه لظهر الكرسي قبل أن يهز كتفيه ويقول بعملية
مبسطة

((لا تقلقي يا هيام القلب فجزء من تدريبنا أن نشعر بالمرضى
دون أن نتورط في حالته.. أي نضع قدم بداخل نفسه لنشعر به
وقدم خارجها حتى نستطيع أن ننقذه.. كما أنه إذا تعلم الطبيب
النفسى بشكل جيد على يد أطباء أكفاء.. يمكنه فصل نفسه عن
مرضاه حتى لا يتأثر بهم.. ويساعدني على ذلك الطبيب النفسى
المشرف الذي أتحدث معه عند الشعور بتأثير سلبي لأحد
المرضى علي.. ويمكنني الحديث مع زملائي الأطباء أيضًا
لمساعدتي والنقاش حول الأمر))

كانت هيام تهز رأسها وهي تنظر له بانبهار..

لتقول عندما انتهى من حديثه مبررة سؤالها

((فقط أحببت السؤال عن الأمر وأن أعرف أحوال عمك
أكثر.. فأنت لا تتحدث أمامي عنه كثيرا))

أزال احمد كيس الشاي من الكوب بعد الضغط عليه بالملعقة
على أحد جوانب الكوب ووضعه بالطبق الإضافي الذي جاء
معه.. ليقول عقب أن ارتشف منه

((وأنت كيف هي أمور جامعتك؟))

اتسعت ابتسامتها وهي تجيب

((بخير.. نحن ببداية أيام الترم الثاني وأنا أحاول فيها بعيدا عن
التدريس أن أمد يد العون والمساعدة لمن هو بحاجة.. كما
أحاول أن أكون مسؤولة عن تشكيل لجان مختصة داخل
الجامعات تسهل من عملية تسجيل مواد الطلبة الجدد في
الجامعات وإرشادهم للمرافق العديدة داخل الحرم الجامعي وإلى
أماكن المحاضرات لأكون سبب في تعزيز الثقة لديهم
ومعاملتهم بما يستحقونه من ترحيب وتشجيع))

كان ينظر لها بتمعن أثناء حديثها هو الآخر بينما يشيد على
عملها قائلاً

((عمل مميز أتمنى لك التوفيق.. أتمنى لو كان عندنا أمثالك
عندما كنا طلاب.. لقد عانينا كثيرا ببداية حياتنا الجامعية من
تعدد مقالب الآخرين وجعلنا فريسة لأهوائهم وتعليقاتهم الساخرة
كطلاب مستجدين))

ضحكت هيام بصوت أنثوي خلاب جعله يفقد اتزانة ليهتف فيها
بعقل مأخوذ لماضيها

((هل تذكرين أيامنا؟))

هزت رأسها له ثم قالت بصوت مشتاق

((وهل يمكن أن أنسى؟))

تتهدد هيام لهذه الأيام الجميلة التي جمعتها سويا..

ثم قالت بصوت متحشرج

((احمد حبي يدفعني أن ارغب بتملكك كلك لي وحدي.. ولكن ضميري يمنعني أن أطلب منك تطليق زوجتك.. صدقني ليست هناك رغبة بداخلي أكبر من أن أجتمع معك تحت سقف واحد.. ولكن بنفس الوقت لا أريد أن أكون سبب بهدم بيتك.. أعرف جيدا أنه سيؤلمني أن أكون مع نصفك فقط.. لكن حزني وأساي على فراقك سابقا كان بمثابة تجربة قاسية ومريرة تمر عليّ لذا أن أحصل على نصفك أهون عليّ من فقدانك كاملا.. ولا أريد إلا أن أطلب منك جعل إيما تدرك هذا الكلام جيدا.. أخبرها أنني لا أريد شرا بها أو بعائلتها))

ابتلعت هيام ريقها بصعوبة وأشاحت عنه بمجرد أن أنهت لكلامها..

وبينما قلبه يتراقص فرحا على تمسكها به واستعدادها للتنازل عن نصف حقها به في سبيل الحصول عليه..

قال احمد وقد تملكته الإرادة ونحت الإصرار وجهه

((هيام.. أنا كأحمد أخبرك أنني الآن أتمتع بقوة تجعلني أقف أمام بطش إيما لأبلغها بكل قوة أنني مقبل على الزواج منك أنت.. أنا قد وصلت معها إلى ما بعد المرحلة الأخيرة من إعطاء الفرص.. صراعاتنا الزوجية المستمرة والإهمال من طرفها استنفذ كل قواي.. أصبحنا غير قادرين على إكمال الحياة التي حولتها إيما إلى حلبة صراع فقط لتثبت أنها على صواب.. صدقيني في البداية حاولت بناء علاقة لطيفة معها واقناعها بعلاقتنا أنا وأنت بنفس الوقت.. إلا أنها ترفض الأمر نهائيا ونظرتها لي مليئة بالاتهامات.. والآن تصر على الطلاق..))

قاطعته هيام وهي تهز رأسها يأسا من ابنة عمها

((إيما مخطئة.. لقد نسبت أن كسب قلب الرجل أهم بكثير من كسب المواقف ضده..))

تنهد احمد وهو يقول متفقا معها

((نعم لذلك قررت منذ البداية الوقوف والجهر أمامها وأمام المجتمع بحبك.. وبأن سعادتي المنشودة معك أنت فقط.. وما تتقصني هي موافقتك التي أن أوانها بعد كل هذه الأشهر))

أخذت هيام تحديق بعينيهِ الزرقاوين الهانجتين قبل أن تنتحج قائلة لتمحي أي شعور عارم بالذنب بداخلها

((الحقيقة.. ولأكون صريحة معك يا احمد.. أنا أخبرتك سابقا أنني لن اقبل الزواج إلا بموافقة زوجتك فأنا ضد أن تتزوج من أخرى إذا لم تكن زوجتك مقصرة.. ولكن بما أنها كذلك وتتصرف بهذا الشكل.. أقصد.. أعني حتى لو تزوجت من عشرة غيرها فلا عتب عليك.. لذا نعم.. أنا موافقة كما سبق وقلت قبل قليل.. بمثل حالة إيما هي تستحق ذلك.. ولكن.. سنبقى موافقة أبي هي المشكلة.. فوالدينا أنا وإيما أبناء عم))

زفر احمد بضيق للحقيقة التي تقولها.. لكنها مال نحوها وهو يخبرها بجديّة راجيا منها

((هيام لا تقلقي يا قلبي.. اهم شيء أن توافقي أنت.. أما والدك فعندما يرى تمسكنا نحن الاثنين ببعضنا لن يكون أمامه إلا الموافقة.. لكن أريدك أن تتمسكي بي كما سأتمسك بك.. لقد تخليت عنك في المرة الأولى قبل سنوات.. لكن لن أفعلها مرة أخرى فلا تتخلي عني هذه المرة.. أرجوك يا هيام.. فليس كل المحبين أمثالنا قد ينالوا فرصة ثانية.. لذا دعينا نننزهها))

همست له هيام من قلبها وهي تعده بصدق

((حسنا احمد.. أعدك بذلك سأحارب من أجلنا حتى النهاية))

راحة أثلجت صدره أن يرى بأن التمسك بعلاقتهما من
الطرفين.. فقال لها مبتسما بمشاكسة بعد أن تنهد براحة وسعادة
لقرب تحقيق أمنيتهما

((يا إلهي يا هيام.. أكاد لا اصدق انه تطلب مني الأمر عدة
أشهر لموافقتك))

ابتسمت لها هيام بدلال وهي تقول له

((ألا استحق هذا منك؟))

مال لها أكثر لها فوق الطاولة ورائحة عطرها ممزوجة برائحة
الباسمين بفعل الغسول الذي تضعه على شعرها تتغلغل أكثر
لها..

حيث بدأ بربط هذه الرائحة بها فيعطيه إحساسًا آخر بالاشتياق
إليها عندما لا تكون برفقته..

قال احمد لها بصوت متحشرج

((بالطبع تستحقين وأكثر من هذا يا هيام قلبي.. إذن أخيري
والدك أني قادم غدا عندكم قبل أن آتي مرة أخرى مع عائلتي))

نظرت له بعمق نظراتها وقلدها يخفق بجنون من أجله هو دون
غيره..

تتعجب كيف لا يزال يكون له ذلك التأثير عليها بعد مضي تلك
السنوات؟

لتنهد له بصدق تأثرها

((كم اعشق عندما تستخدم معي بتلك السلاسة والشوق كلمات
تخاطبيني بها دون غيري من الناس))

ابتسم احمد لها لكن قطع صوت رنين هاتف هيام لحظاتها
لتسارع بإغلاقه وقلبه على الطاولة فسألها باستغراب

((لم أغلقتِ الهاتف؟))

أجابته مبتسمة بحب

((من الأساس عندما نكون معاً أنا اغلق الهاتف))

قال وهو يرفع احدى حاجبيه

((على الأقل انظري من المتحدث))

هزت رأسها بينما تنظر له بشفاوة لتقول

((حسنا سأرى.. ولو كانت مكالمة مهمة فسأختصر وقت

المكالمة قدر الإمكان))

رفعت الهاتف وأنظارها تتعلق ببهجة على ساعة يده التي بات

لا يخلعه أبداً بعد أن أهدتها له مرة أخرى..

تلك الساعة العتيقة والتي قدمتها له أيام الجامعة إلا أنه رفض

أخذها إلا بعد خطبتهما رسمياً..

لكن ها هو أخذها بالنهاية حتى بعد تلك السنوات.. ولا يمانع

ارتدائها بشكل دائم..

وبالرغم من أنها قديمة جداً إلا أن ذات مظهر فاخر وأنيق

وتضفي مظهراً جمالياً على ملبسه..

لم تلمسها طوال تلك السنوات إلا لتحفر أسميهما عليها قبل عدة

أيام..

والآن حين ينظر إليها عند رغبته لمعرفة الوقت سينتكرها..

=====
=====

كانت إيمان مستلقية على سريرها تستعد للنوم..

بالأساس هي لا تفعل شيئاً طوال اليوم إلا الاستلقاء..

فجأة اكتشفت أنها لم تعد إنسانة محبة للحياة.. بل امرأة فارغة..

ثقيلة أغلب الوقت بسبب قوَعَتِها التي اختبأت فيها لتحيلها لأخرى لا تعرفها ولا تشبهها بل دخيلة عليها..

وجهها ذابل وحزين.. سأمت كل شيء وخاصة أن الأمور سنزداد سوءاً كلما مرَّ عليها وقت..

إلا أنها مصرة على ألا تفسد عطلة والدها وزوجته ولا تخبرهما بشيء إلا بعد عودته..

إخوتها احترموا قرارها بعدم الحديث عما تمر عليه قبل قدوم والدها..

لكنهم حاولوا تحسين مزاجها خاصة مع انعكاس معانيتها الظاهرة عليها..

إلا أنها لم تستطع الاندماج معهم..

بل وجدت أن الاحتفاظ بالصمت أفضل لأن الكلام عن أي شيء بات مثيراً للخيبة..

قلبيها مفجوع على ابتعاد صغيرها ولكنها لم تعلن الأمر أمامهم حتى لا يحضروه لها..

تتهدد بيبأس.. فما أصعب أن يتحقق حلمها بإنشاء عائلة لتتلاقى بالنهاية خيبات وحسرات على هذا الحلم الخاوي..

لم يسبق وأن تخيلت أنه قد يموت أحمد في عيناها..

وهذا ما علمها بالمستقبل سواء بتعاملها مع أحمد أو غيره بأن لا تهب أحداً كل ما لديها ولا تُسرف في مشاعرها في أن واحد أو دُفعةً واحدة..

جفلت إيمان على اقتحام أخيها لغرفتها بعد أن فتح الباب فجأة بدون استئذان لتعتدل جالسة على سريرها وهي تقول باستغراب

((أسامة؟ هل جئت الآن للبيت؟ لماذا تأخرت؟))

تقدم منها أخيها الغاضب وهو يخبرها بدون أي مقدمات ما سمعه من صديقه برؤيته لأحمد وابنهما مع هيام لأكثر من مرة في إحدى المطاعم القريبة من الجامعة..

أخبرها كيف حاول التأكد من الأمر ليذهب للمكان ويتأكد من الأمر بنفسه..

بعدها بلحظات كانت إيمان تضيق عيناها والغضب يعصف بدخلها بينما تقول له امرأة ببرود ظاهري

((أسامة لن اشرح لك أي شيء.. انتظر فقط قدوم أبي ولنذعه هو يتصرف كما يرى.. لكن إياك أن تدخل فتفسد الأمور بتهورك وتسرعك.. هل فهمت؟))

ليلاً..

دخلت هيام غرفتها بعد أن أخذت حماما دافئا وهي ترتدي منزرها وتلف منشفة حول شعرها لتجففه..

كانت تغني بصوت عذب إحدى أغانيها المفضلة بينما تضع بعض مرطبات ما قبل النوم على وجهها وجسدها..

تعطي نفسها الوقت اللازم للاستعداد من الغد..

فأحمد سيأتي لبيت والدها وهي ستكون موجودة معه..

ومعا لن يستطيع والدها الرفض مهما تمنع في البداية..

وكل ما فكرت بأن حلمها بعيد المنال بأن تصبح ملك احمد قد يغدو حقيقة يتسرب الدفء لقلبها فيتراقص فرحاً..

لكن.. هل يجب عليها غدا أن تأخذ إجازة من عملها؟

لأنه يجب أن تمنح نفسها وقتاً كافياً للاستعداد قبل الموعد سواءً كان ذلك بالاستحمام وارتداء ملابسها أو تصفيف شعرها ووضع الزينة..

فهي لا تريد وضع نفسها موقف الاستعجال لكيلا تشعر بالتوتر والاضطراب منذ بدايته..

وبينما كان هيام تقف أمام المرأة تدرّب على الحديث أمام والدها حتى لا ترتبك غدا ويرتبط لسانها جفلت على صوت رنين هاتفها..

عقدت حاجباها وهي ترى رقما غريباً يظهر على الشاشة..

بعد ثواني وجدت نفسها تجيب بنبرة هادئة فضولية

((مرحباً.. من معي؟))

أحترق أذنيها صوت بنبرة لاذعة

((زوجة حبيبك يا عيوني))

ازدردت هيام ريقها بينما تشعر بموجة توتر تجتاحها..

لكنها وبسرعة ثلجية أخفت ما يجيش بصدرها متظاهرة بالهدوء قائلة بعد لحظات من عدم القدرة على إخراج صوتها

((إيما.. كيف حصلت على رقمي؟))

كان الغضب الجنوني واضح على تقاسيم وجه أيمن لمن يراها..

ومع سؤال هيام وجدت براكين غضب آخر يعصف في صدرها
لتنهدم كل حصون الهدوء الذي كانت ترجو أن تحافظ عليه
خلال محادثتها مع هيام..

فصرخت إيمان بسخرية عنيفة

((أيتها الحقيرة هل هذا ما يهكم؟ احمدي الله أني اتصلت على
رقمك هذا لا رقم أحد أفراد عائلتك.. أغيب عدة أيام عن بيتي
فأجرك تحاولين سرقة كل ما تطاله يدك.. ألم تكنتي بزوجي
وتريديين الآن سرقة ابني منه لتكوني امه هو؟))

كانت هيام تريد الرد عليها ببرود.. لكن ورغما عنها تسلس الألم
بنبرتها وهي تقول متسائلة بدهشة

((ماذا تقولين؟ إيما أرجوك توقفي..))

كانت هيام بأخر الجملة ترجوها.. بما لا تعلم تحديدا..

أردفت إيمان كلامها بنبرة لاهثة هازئة.. وحادة

((تخلي يا ابنة عمي ماهية شعورك إن كنتي متزوجة وخاض
زوجك ووالد ابنتك عاطفية علاقة عاطفية مع إحداهن؟ ضعي
نفسك مكان زوجته واسألي نفسك لما تقومين بشيء جارح لهذا
الحد لشتيت شمل عائلة بريئة؟ فلفظ هادمة للبيوت تم اختراعه
لسبب.. هل تفهمين؟ أنا من أرجوك ألا تجعليري أفكر بأذيتك..
صدقيني وقتها لن أرحمك))

رفرفت عينا هيام وكلام إيمان كان كآلة سحيقة تشق قلبها لتقول
بامتعاض وبصوت متحشرج

((إيما أرجوك توقفي عن هذه الاتهامات.. أنا لا أحاول هدم أي
بيت هنا))

سكت إيمان على أسنانها من شدة غيظها منها.. فهي تحاول هدم
بيتها بالفعل..

لو كان احمد يريد الزواج بشكل عام لما لامتها لأنه لو لم يتزوجها لتزوج غيرها..

لكن احمد يريد بها هي.. هي هيام بالذات ولا يريد غيرها.. فكيف لا تلومها؟

لو صدته بقوة لألغى فكرة الزواج كلها من رأسها.. لكنها لم تفعل..

وبنفس اللهجة الشرسة قالت إيمان بنبرة سخرية كاذبة

((إياك أن تظني أن احمد يمكنه تركي أنا زوجته الوحيدة من أجلك.. فأنت ثاني الخيارات له وعليك تقبل هذا.. اغربي يا هيام عن حياتنا.. ومستقبلا إياك أن تكوني السبب في تحطيم قلب أي شخص.. أي ابحتي عن الحب الذي تودين وتستحقين الحصول عليه في علاقة عاطفية صحية لها مستقبل.. أعني مع آخر عازب.. بدلا من القفز من احمد لرجل آخر متزوج لتلعبى بعقله مثل ما فعلتي مع احمد.. حتى لا تتسببي في جرح كبير في قلوب أطفال الحبيب الصغار.. وخاصة إذا كانت زوجته سيدة قليلة الحيلة.. عكسي أنا))

آخر كلمة قالتها إيمان بعينين تبرقين وحشية.. كلبوة شرسة..

لوهلة صمتت كلتاها قبل أن تخرج مقلتي هيام ويظهر الألم على صفحة وجهها..

ليخونها صوتها ويخرج همساً ضعيفا عكس ما كانت تريد وهي تحاول التحلي بالقسوة أثناء ردها عليها باستنكار

((ماذا؟ كيف تجروني على التحدث معي هكذا؟ احمد رجل بالغ يستطيع تدبير شؤونه وليس طفلا لتلعب امرأة بعقله))

طفح الكيل بإيمان لتجد كلام هيام يثير أسوء خصالها.. لا لن تتحمل أن يتخذها احمد زوجة له..

ولن تتحمل أن تطلق منه ويعيش ابنها منفصل عن والديه كل واحد منهما بقارة مختلفة كما حدث معها..

بل وأساء عندما يجد نفسه واقعا بين والدين كارهين لبعضهما..

وبكل الغضب بداخلها هدرت إيمان بفحيح قوي محذرة

((هيام.. اعلمي أننا نعيش في زمن عنيف.. لذا إن حدثت وعلمت أنك ما زلت على تواصل بزوجي بأي طريقة فقد تكون حياتك في خطر.. فهل أنت مستعدة للمخاطرة بحياتك؟ هل أنت مستعدة للانكشاف أمام كل من تعرفينه بحقيقتك وأنت تحاولين هدم بيت ابنة عمك وسرقة زوجها؟ لأنه اعلمي أري لن أتردد بفضحك عاجلاً أم أجلاً بين كل من في القرية وبين كل طلابك وزملائك بالجامعة.. إذا لم تكوني كذلك فأبتعد عن زوجي فوراً.. وبمجرد عودة أبي من سفره سأجعل احمد يأتي لبيتنا بنفسه ليطلب السماح مني على ما فعله بي.. وأنا سأقبله.. لذا أخرجي من الصورة بكرامتك))

بصعوبة ازدردت هيام ريقها ترطب حلقها الذي جف عليها تتمكن من إخراج ذلك الكلام العالق بداخلها ليجعلها عاجزة عن الرد على إيمان كما يجب وكما تريد منذ بداية المحادثة..

فكلمات إيمان المتهورة صدمتها لتتنفض بدورها غاضبة وقد فقدت التحكم بنفسها لتقول صارخة

((إيما أنا لا أسمح لك بتهديدي.. أنا لا شأن لي.. أطلبني من احمد أن يبتعد عني ويتوقف عن الحديث معي.. لا شيء آخر عندي ولا تتجرئي بأن تتصلي هنا وإهانتني بهذا الشكل.. فمشكلتك مع زوجك وليست معي))

اتسعت عينا إيمان بصدمة من جرأتها بالرد عليها..

أين تلك الوديعه المسكينه التي كانت تحدثها منذ بداية المحادثة؟

كانت هذه إشارة لها لتقوم إيمان بتوجيه أسهمها السامة نحوها وتخرج كل ما تكنمه من كره وحقد داخلها تجاهها لتقول بدهشة

((ماذا؟ هل تتحديني؟ هل ترفضين الابتعاد عنه وتقولينها لي وبكل صراحة؟))

وبهذه المحادثة التي حصلت بين المرأتين أكملت إيمان بحديث لم تترك فيها أي شتيمة إلا وشتمتها وألقته أمام هيام..

لم تترك دعوة لم تدعوها عليها..

لم تدخر بقلبها أي كلمة كره وحقد لم تنزلها على مسامعها..

جعلتها تكره نفسها وتكره اليوم الذي اختارت فيه أن توافق على أن تتواصل بأحمد..

جعلتها تكره فكرة الزواج من احمد أو الزواج كله بشكل عام..

وبعد أن أفرغت إيمان ما بجعبتها من أحقاد وكره تجاه هيام أخير أبعدت سماعة الهاتف عن أذنها لتغلقه..

قبل أن تنهار على ركبتيها وتبدأ البكاء والنحيب والصراخ بصوت يقطع نياط القلب..

كأنها بخروج صوت بكانها من حنجرتها ستطهر جسدها من أي أحزان وأحقاد باقية فيها..

وعلى نفس الخط كانت هيام تمسك السماعات وأوصالها ترتجف بشدة بدون أن تملك قدرة على تحريك عضو فيها من بداية أول كلمة إهانة تخرجها إيمان عليها..

بل كانت متسمة كلياً كالصنم بمكانها جراء سماع الإهانات التي كانت تشبعها بها..

حتى فمها لم تستطع أن تفتحه لتدافع عن نفسها ببنت شفاه..

وما أن أنهت إيمان كلامها بوصلة بكاء ونحيب حتى استطاعت
أن تحرك سماعات الهاتف وتبعدها عن أذنيها لتعلق الهاتف
وتبدأ هي الأخرى ببكاء حاد تخرج فيه كل التوتر والحزن
والضغوطات والخوف التي عاشتها باخر فترة..

بكت هي الأخرى بحرقة حتى أفرغت نفسها من كل كم
المشاعر التي عانتها..

كان يجب عليها أن تفعلها وتبكي كل ما تشعر به حتى لا تراكم
المشاعر عليها أكثر..

ولأنها تعرف جيدا أن الفترة القادمة ستأتي لها بأحاسيس محزنة
جديدة..

وبعد مرور وقت لا بأس به وجدت هيام نفسها تجبر نفسها على
الاعتدال من مكانها واقفة لتمسك هاتفها مجددا..

تضغط أزراره لتتصل على احمد وبراكين غضب تشتعل
بداخلها.. غضب جديد عليها..

رفعت الهاتف على أذنها في انتظار إجابة أحمد..

فتح احمد الخط عليها لتهمس باسمه عبر غمامة من دموعها
المنزلة على ملامح وجهها التي كانت تصطرع من الغضب
والحدق

((احمد))

وصلها صوته المستغرب المتوجس

((نعم هيام؟ هل حدث أي شيء؟))

وبكل الغضب الذي يكمن بداخلها قالت من بين دموعها
المتساقطة

((عليك أن تنسى موضوع زواجي بك تماما.. هل تفهم؟ أنا وأنت انتهينا للأبد.. وإياك ثم إياك أن تحاول الاتصال بي؟))

سألها بلهفة وبصوت مستهجن

((ماذا هيام ما بك؟ هل أنت جادة في مزاحك هذا؟))

صرخت به بغضب هائفة

((وهل ترى أي بمزاج جيد للمزاح؟ سأغير الآن رقمي وإياك أن تحصل عليه مرة أخرى.. هل تفهم؟))

حاول أن يتحلى بالصبر والهدوء وهو يسألها

((لحظة.. لحظة.. أخبريني ماذا حصل؟))

مسحت هيام وجهها بوهن بينما تعانق عيناها جفناها بإنهاك لتقول

((زوجتك العزيزة اتصلت بي الآن وأهاننتني بقسوة.. هل تعرف ماذا قالت لي؟ يا إلهي.. فقط دعني وشأني))

كان صوتها غاضبا ومتوعدا وهو يرد عليها

((هيام أمهليني القليل من الوقت وسأجعلها..))

تنفست هيام بعمق قبل أن تقاطعه فورا بصوت فاتر ثم تعلق الهاتف بوجهه

((لا أريد منك أن تفعل شيئا.. فقط إلى اللقاء يا احمد وإنساني))

شد احمد على أسنانه وهو لا يصدق أن كل تلك الأشهر التي أمضاها بإقناع هيام ذهبت أدراج الرياح بسبب مكالمة واحدة من إيمان..

وجد نفسه وبدون أي شعور يطلب رقم إيمان ليصله ردها وقد
ظهرت بنبرتها رجفة من إثر البكاء والنحيب

((نعم يا احمد ماذا تريد))

زمرج بها بغضب

((أخيرا تنازلت سيادتك وفتحت خطك؟ ولينتك قمت بفتحه
للاطمئنان على ابنك الذي رميته.. بل قمت بذلك لتتخطي
بأخلاقك أمام غيرك))

ابتسمت بتهكم وهي تقول له بحقد

((واو.. ليست قليلة أبدا ولم يكن عليّ أن أستخف بها.. لم تمر
دقيقة كاملة حتى اتصلت بحضرتك لتشكوني لك؟))

تنهد احمد وهو يحاول التحكم بغضبه قبل أن يقول أمرا

((الآن سنتصلين بها يا إيما وتعتذرين عن سوء تصرفك.. الآن
أو ستدفعين ثمن إفسادك علاقتي بها غاليا.. ولن ينفكك الندم
حينها))

أبعدت إيمان الهاتف عن أذنها وعيناها تتحجران بقوة ومقلتاها
تتسعان بشدة وكأنها تلفظ أنفاسها الأخيرة..

بالفعل تكاد لا تصدق ما تسمعه يأمرها..

ولا قدرة لها على الحديث أمام كمية هذا الغرور والتعجرف
أمامها قبل أن تعبر عن دهشتها به بصدمة وتعجب شديدا
ويصوت ساخط

((وأنا التي ظننت أن وجهك سيذوب خجلا عندما تعرف بأن
لدي علم مسبق بكل مواعيدك الغرامية مع حبيبة القلب طوال
الأسبوع الماضي برفقة ابني أراك الآن بهذا التبرجح أمامي
وتطلب أن اعتذر لها؟ أنا فعلا عاجزة عن الحديث الآن.. لكن

لا بأس أنتظر يا احمد عودة أبي وقتها سأؤكد من أن أطلب
منه أن يتصرف معك جيدا.. لن أقول وداعا بل إلى اللقاء يا
دكتور حتى وقتها))

=====
=====

كانت جالا تجلس بغرفتها المظلمة إلا من ضوء إنارة خافت
تحقق بجمود بلا شيء..

تشعر حاليا بأنها تعيش حياة بائسة.. كل ما فيها بائس.. هي
بائسة..

حتى أنها متأكدة أنها مريضة بمرض الغيرة منذ صغرها منها
وما زال موجودا بها إلى الآن..

الغيرة الشديدة من كل أحد والتي تنتابها لدرجة الشعور باليأس
والعجز النفسي..

بداية من غيرتها من أختها لينا القريبة من عمرها لأنها أجمل
ومتفوقة أكثر منها..

مع أن والدتها دائما ما تخبرها أنه لا توجد امرأة ليست جميلة
فكل أنثى جميلة بأنوثتها وجميلة بما وهبها الله من صفات
يميزها بها عن غيرها..

ولكن الأمر ليس سهلا لتقنع نفسها به..

حتى هي تغار من قصص الحب الناجحة ومن أي اثنين
يمسكون يد بعضهما بالسوق أو الأماكن العامة..

ربما لأنها تتمنى أن تكون مثلهم لدرجة اليأس.. لدرجة الشعور
بالحزن والكآبة..

جاءتها الفرصة لتكون من بينهم مرتين.. الأولى فشلت مع كارم
وعليها أن تتوقف عن لومه لتركها..

والثانية مع مراد.. والذي لم تستطع أن تتفاهم معه أو مع عائلته
لتتشدت المشاكل بينهما وتتصاعد لتصل لرغبتها بالانفصال عنه..

كانت جالا تمسك بيدها صور لمراد يقف بقرب فتاة يزعم من
أرسل الصور لها أنها خطيبته السابقة التي ما يزال يحبها..

المندوب كان مكلفا بإرسال الطرد الذي يحمل الصور لبيتها
الزوجي لتستلمها بنفسها..

وعندما أخبرته حماتها أنها في بيت عائلتها ذهب لبيتها
وأعطاه الطرد عقب أن وقعت له..

وكان المرسل مصر أن تستلم الطرد بنفسها..

تنهدت جالا بتعب..

لماذا يصبر عليها أبيها وأخيها العودة لمراد ومراد نفسه بدأ
يبحث عن غيرها ليكمل حياته معها؟

هي كانت بالنسبة له فقط وسيلة لتجنب كلام الناس بعد هروب
عروسه..

وللغرابية ومع أنها تصر على عدم العودة له إلا أنه يراودها
شعور بالاشتياق لحياتها معه وينشب هذا الشعور بين أوصالها
وروحها..

كان هناك شيء بداخلها يبحث بالأرجاء عن آثار مراد بأي
مكان..

يبدو أنه بفترة قصيرة أوقعها به وتسلل إلى القليل من أعماقها..

فهي ورغما عنها اعتادت على وجوده بحياتها وعلى ترقب خطواته عندما يدخل الشقة.. أو عندما يسترق النظر لها..

على كل حال..

كل ما بينها وبين مراد انتهى للأبد..

ولتكون واقعية.. لم تنزعج من فكرة أن مراد ليس حزينا أبداً على فراقها..

وعلى ماذا بالضبط تريده أن يحزن؟

ماذا فعلت لتجعله يفقدها؟

حتى حقوقه الشرعية كانت عاجزة عن إعطائها له..

مع أنها فعلاً كانت تريد إنجاح زواجها منه..

لكن.. هل هي ظالمة لمراد بموافقته على عرض زواجه وبمنحه بقايا ما تركه آخر؟

بمنحه جسداً مدنساً كان خاضعاً لغرائز آخر؟

بروح مستهلكة من قبل آخر؟

فما ذنب مراد أن يتزوج من فتاة مثلها قام آخر خلف وراءه بها كماً هائلاً من الخدوش والأعطاب والعاهات.. والتي يصعب بتر جذورها من الأعماق؟

كان جسدها النحيل ووجهها الحزين يعكسان الهموم التي ضاق بها صدرها لتتزوج كل تلك المشاهد والذكريات شديدة الإيلام التي لا تزال تنكأ على جراحها التي لم تلتئم من طفولتها المظلم أمامها وبداخل رأسها..

هم شبهه يُخيم على حياتها ويؤرق ليلها ويكدر نهارها جاعلا
من حياتها سلسلة من عذابات لا تنتهي وأيامها رحلة من أحزان
لا تختفي..

وهنا.. ورغما عنها تعود لماضي لا تريد تذكره.. لماضي لم
تظهر منه..

ماضي اسود مليء بالخضوع والامتهان.. والانتهاك..

عمرو الذي لم يكن ابن خالتها الذي يكبرها بعشرين عاما
وحسب.. بل كان الوالد الذي تفتقده بحياتها.. والأخ الكبير
الحامي لها..

والذي أصبح فيما بعد وقبل أن تبلغ جالا الثامنة من عمرها قاتل
طفولتها..

طفولتها التي لفظت أنفاسها الأخيرة على يده بعد أن بلغ منتهى
الخسة والجبن والبشاعة والانحطاط الأخلاقي..

كانت زهرة بريئة حتى حاول منعدم الضمير أن يحصل على
رحيقها قبل الأوان وبدون وجه حق..

وها هي بسببه تعاني معاناة امتدت لسنوات طويلة.. بل ما يزيد
حجم أزمته ليس أن عمرو كان قريبا منها ومصدر الحماية
والأمن وحسب..

بل أنه بالإضافة لذلك لم يعاقب العقاب الرادع حتى الآن..

بل ما زال أمام الجميع صاحب وموضع الاحترام وقُدوة للجميع
بمكانته وعمله..

كل من حولها يجهلون أنه غاصب ومغتصب..

يجهلون أنه سبق وقام بتلويث جسدها بقذارته.. سبق وسرق
امنها وعرضها.. سبق وسلبها الكثير من اللمسات عنوة وقهرا..

بالبداية تذكر أنها كانت هي من بين جميع أبناء الأقارب من كانت تحظى باهتمامه الأكبر ومن لها مكانة خاصة لديه لتكون موضع حسد جميع أقاربها..

حتى موضع حسد وغيره شقيقته الصغرى عبير..

لذلك كانت تتلفه للإجازات والعطل الرسمية التي يستغلها الجميع للتجمع ببيت العائلة ومن ضمنهم أمها..

فتذهب بلهفة برفقة أمها وإختها عند بيت جدها فقط لرؤيته وقضاء الوقت معه..

لكن سرعان ما بدأت تشعر ليلا بتلك الأيام عندهم بخيالات على باب الحجره التي تنام فيها وعندما تفتح الباب لا تجد أحداً..

فاعتادت على الخيالات ولم تعد تهتم بها..

لكنها بدأت تلاحظ جراً مزاح عمرو ولمساته يصل لمستوى حميمي لكأنه يقوم بكسر أي خجل بينهما.. كلمسه لبعض الأماكن غير اللانقة بها.. واسماعها الكلام الفاجش الذي يتفوه به أمامها..

كعندما أخبرها أن رقيتها طويلة كما يحب تماماً أو عندما يقرب أنفه منها ليشم رائحة شعرها..

وكون دولاب ملابسها هو مكانه المفضل للاختباء عندما يلعب معها لعبة الاختباء..

ورويدا.. رويدا بدأ يتريص بها في كل وقت وحين.. تارة بالنظرات وأخرى بتلميحَات للبالغين وأخرى باللمس..

حتى استيقظت يوماً على يد تنهش في جسدها..

فما كان منها إلا أن تفتح عينها بفرع وترتد للخلف بقوة لتبتعد إلى نهاية فراش سريرها وكل جزء من جسدها ينتفض..

وقتها شعرت بالهلع.. بل شعرت بنبضات قلبها كادت أن تتوقف
وقد تحالف ذعرها مع وجود هذا الغريب الذي حاول اقتحام
فراشها..

لكنها بقيت متسمرة بمكانها بدون قدرة منها على الحركة
وعيناها تتعلقان بذاك الغريب رغم الظلام حولها..

الابتسامة الصغيرة التي شفت وجهه خلال الظلام كانت كفيلا
لتصعقها بأنها ابتسامة عمرو ابن خالتها الذي كان يرمقها
بجنون وشهوة..

والتي أصبحت فيما بعد أكثر ابتسامة كريهة تمقتها..

بعد تلك الليلة بدأ بالانفراد بها وراح يحاول لمس جسدها
الصغير عدة مرات..

وهي وبكل واقعية لم تكن تعي ماذا يفعل بها كطفلة لم تبلغ
الثامنة من عمرها بل كانت وقتها تشق الصدمة الطريق إليها
لتنشل أطرافها وتخرس لسانها وهي تراه مجرد كابوس مرعب
سينتهي قريبا..

فالأمر الذي سبق وتعرضت له هي تجربة عنف تفوق إدراكها
وفهمها وهي تراه يرغب في تعرية جزء من جسدها في ظلام
يكاد يبتلعها طامعا بلمسات مريضة..

لكنها ومنذ أول مرة فعلها بها حتى بدأت تعامله بكره..

وبأغلب المرات كانت تخرج كل ما في جوفها بعدما ينتهي..

بل صار قربه منها كافٍ لتتهيج معدتها..

وما يكون منها بعدها إلا البكاء بالحمام تحت المياه المندفعة
على رأسها وهي تدعك جسدها بقوة من أثاره بمجرد أن ينتهي
منها..

حتى كبرت قليلا أكثر..

ومع تحذيرات أمها المستمرة لها ولهيام بأنهن كفتيات لا يجب عليهن أن يسمحن لأي شخص غريب كان أو قريب بالاقتراب منهن أو لمسهن..

صارت أوعى وأدرك لما يحدث فتوجه الكره له علنا أمام الجميع وتبعده عنها بعنف وبعذوانية وتمرد وكره فتثير استيائهم لسوء أدبها وقلة احترامها مع ابن خالتها الأكبر سنا..

باتت تفضل البقاء عند والدها وأخواتها الاتي تكرههن عن زيارة مكان يتواجد فيه عمرو..

فعالج الأمر بأن بدأ هو يزور منزلها أكثر..

وكان ينتظر أن يتفرد بها ليعانقها عنوة غير أبها لصوتها المتشنج أو توسلاتها المعذبة..

كانت تظهر النفور على وجهها بينما تغمض عيناها بقوة عندما تراه ويتشنج جسدها ويرتجف وهي تسأله لماذا يفعل بها هي هذا..

فيقرر لها إشباعه لرغباته المكبوتة بها بأن يقول لها بصوته المقيت بأنه يعشقها ويحبها هي دون عن الكل..

كان يجيء لمنزلها بحجة أن شقيقته الصغرى عبير تتوق لرؤية هيام وقضاء العطلة معها والتي ما إن تراها هيام حتى تجن فرحا بزيارتها وتصطحبها بلهفة لغرفتها..

لم تكن تعرف جالا ماذا تفعل خاصة وأن هيام كانت تحذرهما بشدة من أن تجرؤ على الدخول لغرفتها وإزعاجهم من جهة..

ومن جهة أخرى والدتها وراجي كلُّ بنام يغرفته فتبقى هي وحيدة بلا أي أمان من دخول عمرو الذي يفرش فراشا بالصالة عندهم..

لم يكن أمامها إذا ما أصابتها نوبة من الذعر والخوف من دخوله لغرفتها إلا أن تجلس بتلك الليالي في ركن المطبخ وتسند رأسها إلى الثلاجة لتبكي لأن المطبخ بجانب حجرة هيام ولن يجرؤ عمرو على دخوله بدون أن يتم سماع وقع خطواته وما يفعل بداخله..

ركن المطبخ بالنسبة لها مشابه جدا لزاوية حجرة نومها بمنزلها الزوجي مع ومراد..

أمها سميحة كانت قريبة منها ولم تغفل عن دورها الفعال في تربية بناتها والتقرب إليهن في وقتٍ أشد ما تكون الفتاة فيه ضعيفة وقلقة من كل ما حولها..

لكن تردها وخزيها وخوفها وخجلها من خضوعها له بالبداية كان أكبر من أن تبوح وتقص لها بهكذا شيء حرج لأمرها ولا حتى بصورة أخف ومحسنة عن الواقع الفعلي المرير الذي حدث..

ليبقى سرا بداخلها لا يحمله أحد..

كما لم يعلموا عما تقاسيه من عذابات متنوعة بسببه..

حيث كانت تحيا بين أهلها ويقرب والدتها وإخوتها.. أي قُرب جسدي وبعد نفسي كبعد المشرقين..

تحرص بها أكثر من عشرة مرات على مدار ست سنوات.. لكنه على الأقل حافظ وأبقى لها بعذريتها وكان كل تلامسه خارجي..

هل أمها ملامة؟ مع أنها ما كانت لتتركها مع أي شخص آخر لولا علمها بمدى ودرجة تدين عمرو واحترامه واتزان سلوكه؟ هزت جالا رأسها بعنف لتتلاشى كل هذا المشاهد من أمامها..

لكن وبدون أن تشعر أحاطت بذراعيها ورجليها في وضعية
الجنين لتغط بغفوة تشاهد فيها إحدى كوابيسها..

عندما كانت بالرابعة عشرة من عمرها وزارها عمرو ببيتهم..
بقيت طوال اليوم بغرفتها تغلق الباب خلفها حتى ملت وخرجت
لحديقة منزلهم لتجلس بحجرة موجودة تحت بيت درجهم لبعض
الوقت..

وما إن وقفت لتهم للخروج وتستدير من مكانها حتى انتبهت
على وجود عمرو خلفها يرمقها بشهوانية نهمة..

فرح لمرآه وحاولت الهروب من براثنه لكنه عرف كيف
يحاطها ويحاصرها..

وتلقائيا ارتعد جسدها رعبا واشمئززا من عدوانه الغاشم
عليها..

إلا أنها أجبرت نفسها على التحرك من مكانها وأن تتحلى بقوة
تحكم جبارة لتركله بعيدا عنها حتى لا يفكر بمحاولة أن
يدنسها..

إلا أنه كان أقوى وأضخم منها ليمنعها..

أحاط بوجهها بقوة ويهتف بفحيح غاضب

((جالا يا حبيبتى اشتقت لك.. أنا محروم منك منذ زمن بعيد))

بينما هي تحاول تستمر بدفعه وعباراتها لا تتوقف من عينيها
وهي تسمع لهمساته المهتاجة برعب شديد..

تخشى الصراخ بصوت أعلى فيتقدم أحد ويراهما بهذا المنظر
ولا يفهم الحقيقة..

تسمعه يردد بهذيان وباستمتاع مريض وهو يرفع كفه ليمسح
صدغها من العبارات

((احبك .. أعشقتك .. هائم بك))

لتسطيع أخيرا أن تدفعه عنها وتحاول الفكاك بتحريك جسدها
بعيدًا عنه بعنف ..

فيغمض عمروا عيناه بمحاولة ضبط انفعالاته عليها فعنفها
وقوتها المتزايدة عما كانت عليه بطفولتها تستقره ..

لكنه يعود لمسكها وأخذها عنوة بين ذراعيه وكفيه يضغطان
على ظهرها بقوة كي لا تنفلت منه ..

يقترّب بوجهه من بشرتها بينما أنفاسه الساخنة القذرة تلفحها
لتشعر بذعر أكبر وتصرخ بكل قوتها ..

قبل أن تسمع بأحد يركل عمرو بكل قوته ويدفعه بعيدا عنها
لعدة مرات دون أن توقفه صرخاته ..

كانت تغمض عيناها ففتحتهما بذعر لتري كارم ..

كان الفرق بين كارم وعمرو تسعة عشر عاما ..

لكن قوة كارم الذي كان مرافقا آنذاك تغلبت عليه بفعل غضبه
وحميته بينما كان عمرو أضعف بفعل بالرعب من يتم اكتشافه
والألم نتيجة الضربات المتتالية التي تلقاها ..

عاد كارم بغضب مستعر يركله بقوة في وجهه وهو يكرر
الأمر عدة مرات حتى شوّهه ..

كان كارم يشتمه ويلعنه صارخا به ومتوجعا من محاولته أن
يعتدي على فئاته فيشعر بالسهم النارية تغزو جسده ..

هدده كارم بأنه سيبليغ عنه ويسجنه فما كان من عمرو إلا أن
ينتفض من مكانه برعب ويغادر المكان كله هاربا بسيارته
بسرعة قصوى ..

بعدها لم تخط قدم عمرو أرض قريتها كلها ..

وقتها أحتضنها كارم بألم وهو يهددها بها ويرجوها أن تهدأ
وأنها ستكون بخير..

لتجد نفسها بعدها تحدثه بكل شيء فعله عمرو لها فما كان به
إلا أنه أكد عليها أنه سيتزوجها وحينها لن يجروا أحد على فعل
شيء لها ما دام هو بجانبها..

وكل يوم عن يوم بعدها كان يفعل لها ما يجعلها تشعر بالأمان
معه وخاصة بعد أن أصبح أكثر حمية لها..
حتى عودته من سفره..

وقتها كانت نظرة كارم التي رمقها بها بعد عودته من روسيا
مختلفة كلياً وهذا على ما يبدو سبب رفضه أن يكون هناك أي
تواصل بينهما طيلة سفره..

نظراته لها عند عودته كانت وكأنه يدينها لسماحها لعمرو
بتدنيس وتلويت طهارة جسدها ونقاء طفولتها..

وكانه يلومها لأنها سمحت له أن يجعلها دمية لرغباته القذرة..
وكانه يدينها لخضعها وخنوعها.. يدينها لأنها لم تجرؤ على
التمرد..

عندما سألته عن سبب توقفه عن حبها.. وإذا كان حبه لفاء له
علاقة؟

إلا أنه بسط الأمر هاتفا بأنه اقترب من فداء حتى يستطيع
الابتعاد عنها..

ما حدث معها بطفولتها كان بمثابة خناجر مسننة تشق صدره
فتجعل منه روح ميتة..

لذا هل هناك شيء قادر على جعل ألمها النفسي يتضاعف أكثر
من أن منقذها وجه اللوم لها باعتبارها هي المذنب الحقيقي؟

هي حاولت في بقائها مع مراد تحت سقف حجرة واحد وأثناء
اقترابه منها أن تسعده وتتحمّل على نفسها لأجله ولأجل إنجاز
زواجهما..

لكن ورغما عنها كانت تشعر بالأرض تهتز من تحنها
والماضي يعود ليظهر أمامها فتلتاع معدتها ويختنق صدرها
بينما تحبس أنفاسها لتشعر بالنفور منه..

لم يكن بيدها إلا أن تخذل مراد..

فما حدث سابقا سبب لها صدمة.. جعلها تكره نفسها..

جعلها لا ترى العلاقة الجسدية مقرونة بالسعادة ولا متبوعة بها
فكيف لا تشعر بالخوف الشديد من ممارستها لها بعدما تزوجت
من مراد في إطار رسمي وشرعي وحتى لو أحبته؟

كيف لا تصبح العلاقة مرتبطة معها بالخوف الشديد وبدائتها لها
لم تأتِ بطريقة طبيعية وسليمة؟

عدا ما خلف لديه من شعور بالذنب لأنها لم تتمكن من الدفاع
عن نفسها..

فهي تشعر بأن كل مَنْ يقترب منها يقترب فقط ليستمتع بها..

لم تستطع أبدا تبرير الأمر لمراد أو كشف ماضيها المخزي..

فكارم.. كان دائما مصغيا لها بأي وقت ترغب الحديث فيه مع
أحدهم..

فتشبثت به كأنه قشة لتنجو من بحار التيه عندما التفتت حولها
ولم تجد لها ناصرًا ولا معينًا فهو الوحيد من استطاع اختراقها
من بين الجميع..

كانت تربطها بكارم علاقة حب قوية وكانت تثق بأنه محب ومتفاهم.. وسيكون بعد زواجها منه مسؤول عن تعافياها من آثار اعتداء طفولتها ليعبر بها وبالعلاقتها إلى بر النجاة..

لكنه وللأسف أتضح أنه وقبل سفره اكتشف أنه لم يتفهم الأمر ولم يستوعبه ولم يتقبله..

بل آثار الأمر لديه الحذر والغضب منها مع مرحلة من الشكوك تجاهها على الرغم من أنها غير مذنبه..

فإذا كان منقذها وأقرب إنسان منها لم يتقبل الأمر.. فكيف قد تجرؤ على فتح الموضوع أمام مراد؟

فقد كانت تظن أن الذي يحبها سيحبها حتى وهي غارقة بظلامها وممتلئة بالندوب النفسية..

سيحبها حتى وهي عاجزة عن حب نفسها..

لكن من بعد كارم اكتشفت أنه لا أحد قد يخاطر ويدخل نفسه في هكذا علاقة..

هي لاقت ما لم يتحمله أحد غيرها ولم تخن مخيرة فيما تتعرض له..

كانت جالا تتلملم في نومها وتئن بوجع بين هذيانها.. جسدها يتصبب عرقا بينما تتمتم باسم..

كما فعلت تلك الليلة بأحضان مراد بينما دموعها تجري أنهارا على خديها وهي تذكر هذه الحادثة بالذات بتلك الليلة..

تعرف أنها تشاهد كابوسا وحسب وأن كل هذه هلوسات.. لكنها مستمرة بالارتجاف خوفا أثناء نومها..

وأنيها يرتفع قبل أن ينتهي بشكل تدريجي لتبقى فقط شهقات..

ولحظات حتى هبت من نومها تنتفض جالسة بوجه شاحب
يحاكي الموتى وأنفاس متسارعة وعيناها ترتعشان فتزلق
المزيد من الدموع منها بغير وعي..

كانت تتأوه بينما تمد يدها وتمسد قدميها وهي تحاول تدليك
أناملها حتى يخف تشنجها بينما تشهق ببيكاء مرير..

توقفت عن تمسيدها لكنها عادت لئان أنين الرضيع الجائع
وتنوح نواح النكلى..

فما كان منها إلا أن ترفع يدها لتكمه فمها وتمنع نفسها من
إصدار أي صوت عالي حتى لا يسمعها أحد..

لا رغبة لها حاليا في الحياة لكنها تعلم أن لها ربًا كريمًا قادرًا
على كل شيء.

أخيرا اعتدلت واقفة من مكانها لتخطو نحو سريرها وتنام
عليه..

وبعد دقائق سكنت لتغط في سبات عميق..

=====

ليلا..

جلست يارا على نفس الأريكة بجانب زوج خالتها الذي كان
يشاهد التلفاز بضجر..

وضعت يارا طلاء أظافرها الوردي على ذراع الأريكة
العريض وأخرجت فرشاة الطلاء بعد أن فتحته لتبدأ بطلاء
أظافر يديها..

التف محمد نحو ليارا يسألها طالبًا منها بلطف

((بارا عزيزتي هل يمكن أن تحضري لي عشاءً خفيفاً فأنا أكاد أتضور جوعاً؟))

أسبلت يارا أهدابها وهي ترد عليه بمزيج من الجدية والتلاعب بدون أن تكلف نفسها بالنظر له بأدب

((لا.. لا يمكن يا عمي.. ثم إذا كنت ترفض التحدث إلى خالتي ومراد فلا تتحدث معي أنا الأخرى وخاصمني أيضاً))

ومن حيث لا تدري وقبل أن تكمل يارا حديثها وجدت يدا تشد شعرها بعنف من فوق تجبرها أن تقف من مكانها وهي تحاول بأناملها صارخة أن تفك شعرها من قبضة خالتها..

لكن آبت روعة أن تفلت شعرها وهي تصيح بها

((يا قليلة الأدب كيف تتحدثين بلا أي احترام مع زوجي؟ تعرفين بأني حضرت له العشاء والشاي كما يحب فلماذا لم تحضريه له هنا عندما طلبه منك؟))

استطاعت يارا أبعاد أنامل خالتها عن شعرها أخيراً..

لنتقدم نحو الأمام وتستدير لها وهي تحاول عبثاً السيطرة على أعصابها بينما تضرب الأرض بقوة بإحدى قدميها..

هتفت يارا بقهر وغضب مكبوت يتصاعد من ملامحها

((خالتي أنت تؤلميني بشدة سيتساقط شعري كله بسببك.. أرجوك اتركيني بحالي.. لأكثر من شهر وأنتِ تصيبين كل غضبك وحنفك بي.. لقد اكتفيت يا خالتي روعة.. إذا استمررت على هذا الحالي سأهج من البيت كله))

أخذت يارا طلائها وذهبت فوراً لغرفتها..

تتنح محمد بصوت خافت قائلاً بحرج وهو يحدث زوجته لأول مرة منذ آخر مشكلة حدثت بمنزلهم قبل شهر

((اتركيها يا روعة وإياك أن تحزنيها.. إنها مسكينة))

لانت ملامح روعة قليلا وهي تنظر إليه بعتاب جميل وضعف..

زمت شفتاها بينما تجلس على الأريكة بجانب زوجها وتمد كفها
المرتجفة ببطء تلامس كفه..

ولأنه لم يحاول دفعها أو نهرها اقتربت أكثر لتمسك كفه وتحيط
بها بكفيها الاثنين..

ثم قالت بدلال يناسب سننها وهي تحاول أن تستدعي شففته
عليها واشتياقه لها

((لا أريد.. سأشد شعرها وأكسر رأسها أيضا.. فهي تعرف أنك
منذ شهر كامل لا تتناول طعامك بشكل جيد ومنتظم هنا.. وعند
أول مرة تطلب منها شيء ترفض إحضاره لك متكاسلة))

ركز محمد بعيني زوجته وهو يرشقها بنظرات متجهمة وفكه
يتحرك بغضب مكتوم لا يستطيع التقليل منه على الموقف الذي
وضعه فيه مع ابن عمه فيصل..

بينما هي كانت تتقبل كل شيء منه بصدر رحب بل وتعد كل
يوم وجباته المفضلة على أمل أن يلين ويتراجع بموقفه تجاهها
طالباً منها إحضار الطعام أمامه إعلاناً عن انتهاء عقوبته لهم..

فمنذ شهر وكان محمد لا يدخل بيته نعظم النهار من الأساس
ويتناول كل وجبات طعامه بالخارج..

وإذا وصل للبيت يدلف لغرفته فورا رافضا أن يسمح لزوجته
أن تنام بجانبه.. بل يرفض التحدث بشكل نهائي لها أو لمراد..

ولكن أما أن له أن يلين؟

هي تعلم بأنه مهما علت وتيرة الحب والعشق بين أي اثنين
فلا بد وأن يعترض بعض الخلاف والحزن طريقهما كموجة
عابرة تعتلي حياتهما..

ولطالما أجادت التعامل مع مثل هذه المواقف بأفضل وأقصر
الطرق..

وستتجاوزها الآن مهما بدا أن زوجها غاضب منها ولن يقبل أن
يغفر لها خطأها الكبير..

فمن داخلها هي لا تندم على فعلتها أبدا إلا بسبب ما ألحقته من
أذى لأبنها وزوجها فقط..

ولأنها تعرف أنها بموقف لا يقبل التبرير يجب عليها توضيح
الصورة بشكل حسن دون أن تشعره باستهانتها بالموقف..

عليها أن تدعه يستشعر عدم تعمدها ما فعلت وأنها لم تقصد أن
تأذي كرامته أو طبيعته الذكورية أو المساس بكرامته..

ابتسمت روعة بتوتر لمجد الذي أشاح وجهه عنها للأمام..

ثم وقفت من مكانها وهي تسحبه من كفه ليقف من مكانه أيضا
وهي تقول له بابتسامة

((ما رأيك يا عزيزي لو تقوم بنفسك للمطبخ لتناول عشاء فخم
فيه كل الأطباق المفضلة عندك؟))

استسلم محمد لطلبها بحق ظاهري لها وهو يقوم من مكانه
ويتحرك بجانبها نحو السفرة الفخمة التي أعدتها..

مما جعل روعة تنظر له ببهجة وهي ترى انهما في طريق
إنهاء الخصام والهجر..

لم يكن محمد يريد أن يمرر الأمر بهذه السهولة ولكنه ولأنه تعب أيضا من مجافاة زوجته وابنه شعر بأنه يريد أن ينهي هذا الخصام..

فما يقوم به بمثابة عقاب له أكثر من عقاب لهما..

تنهد بتعب هادرا وهو يزيج كرسيها ليجلس حول طاولة الطعام

((حسنا لا بأس))

شرح محمد بتناول الطعام قبل أن ينتبه على روعة ترفع يدها نحو فمه تلقمه وهي تبتسم له برقة..

فتح محمد لها فمه عابسا وهو يتناول من بين أناملها..

أنار وجه روعة وهي تسرع في إعداد لقمة طعام أخرى له قبل أن يأمرها بهمس عاقد الحاجبين

((فقط ناوليني قدح الشاي يا روعة.. أستطيع تناول الطعام لوحدي))

ناولته روعة القدح فورا قائلة بصوت منخفض رقيق

((تفضل قدح الشاي يا عزيزي))

تناول القدح منها بعبوس وغضب ظاهري لكنها لم تصاب بالإحباط.. فهو يخاصمها منذ أكثر مما يزيد عن شهر..

لذا بالطبع هي لا تنتظر أن تعود المياه إلى مجاريها فوراً..

لا بد أن محمد يحتاج إلى فترة يتأكد فيها من قرار الصلح.. لذا عليه أن تدعه وتتعامل معه بهدوء وحنن..

بعد دقائق دخل مراد من العمل ليدخل شقة والديه الذي عاد يقيم فيه بشكل مؤقت..

أخذ حماما دافئا وأرتدى ملابس بيئية مريحة.. وما إن دلف
لمكان تواجد والديه حتى أوقف خطواته ليفاجئ بوالده ووالدته
يجلسان على نفس طاولة الطعام..

فغر مراد فاه للحظات قبل أن يزدرد ريقه ما أن استدار والده
نصف استدارة أثناء جلوسه ينتبه لدخوله..

نكس مراد رأسه بتردد وقبل أن يهم بالخروج من المكان حتى
لا يتسبب بإغضاب والده الذي بدا رائقا أخيرا..

خاصة وأنه قد سبق ونبهه بأنه لا يريد أن يرى وجهه أبدا..

استدار مراد بنوي الخروج فعلا قبل أن يتوقف مكانه ساكنا
على صوت والده الحازم يأمره

((مراد.. اجلس معنا وتناول عشاءك))

أطاعه مراد وجلس قبالة وهو ينظر لوالده هامسا

((كيف حالك أبي؟))

لم يهتم محمد بالإجابة على ابنه وتجاهله..

فنكس مراد وجهه ناظرا لطبق الطعام أمامه وهو يتنهد
بإحباط..

شعر انه فاقد للشهية بالرغم من شعوره بالجوع وبالرغم من أن
والدته كانت قد صنعت كل ما يحب من طعام هو الآخر..

رفع مراد ملعقته يبدأ الأكل من صحن السلطة أمامه وهو يدفن
أنظاره فيه..

لا يتحمل البقاء بشقته وحيدا بعد رحيل جالا وقد اعتاد على
وجودها.. وحتى هاتفها ما زال مغلقا حتى اليوم..

والآن.. بشقة والديه الواسعة بدأ يشعر بها تضيق عليه وتخنقه بسبب بقاء والده غاضبا عليهم..

كأنه كل من يحبهم بهذه الحياة يلفظونه بقسوة من عالمهم بسبب أخطائه..

حرك مراد رأسه بحذر يديره نحو والده يختلس النظر له فيرى ملامحه العابسة كما هي..

أنهى مراد طبق السلطة أمامه وشعر بالحيرة ماذا يفعل بعد..

كان يهجم بالوقوف معتدلا من مكانه قبل أن يرفع رأسه وتتقابل عينيه ذات اللون البندقي بعيني والده الصارمتين فشعر وكأنه تعرض لصعق كهربائي من عينيه..

هنا وجد نفسه يسأله والده بوهن وبصوت متعب

((أبي.. هل ما زلت غاضب مني بنفس الدرجة؟))

لانت عينا محمد قليلا وهو ينظر لمراد عند هذا السؤال..

ابنه.. ابنه الوحيد وفلذة كبده وقطعة فؤاده ونعمة ربه عليه.. كيف يمكن أن يبقى والد غاضبا على ابنه مهما فعل؟

كيف وهو كلما نظر إلى محياه استبشر فيه الخير ورأى فيه أمله المشرق ومستقبله الواعد؟

ما فعله به المرة الأخيرة لم يكن يقصد إيذائه بل كان من باب قهره وحزنه عليه.. فكل أب يحرص على أن يكون ابنه أعلم منه وأفضل..

قد يحنو عليه تارة ويقسو عليه تارة أخرى إنما هو لمصلحته ولأنه يحب الخير له..

كان محمد يريد أن يربت على ظهر ولده عندما قال له هو الآخر بصوت مرهق من الجفاء

((أنت ولدي وبالتأكيد لن يهون عليّ أن أبقى غاضب منك كل هذه الفترة))

ابتسم مراد ثم وقف من مكانه ليخطو ويجلس على الكرسي بجانبه..

مسك مراد يد والده ليقبلها ويقبل رأسه..

نظر محمد لابنه بحنان ثم التف بوجهه للجهة الأخرى نحو زوجته التي تتلمس منه فقط الرضا.. قبل أن يفرد ذراعيه ويضمهما ناحيته فيستقبلا عناقه بعمق..

ابنه فلذة كبده هو وزوجته وجزء منهما..

لو يعرف مراد أنه برغم كل شيء.. فهو ووالدته يكتان له حبا لا يقدر بثمن..

لأنه نابعٌ من العطف والحنان والفترة الكبيرة التي أودعها الله فيهما تجاهه..

بعد دقائق كان كل من مراد ومحمد يتناولان الطعام بنهم وبصمت بعد أن فُتحت شهية الاثنين..

قطع محمد الصمت وهو يقول لابنه يعلمه

((مراد.. تحدثت مع فيصل اليوم مجددا.. وأخبرته كما قالت أمك سابقا بأن ابنته المدللة هي من كانت تتمنع عنك وجعلته يدرك فداحة خطئها.. ثم قلت له إذا لم يكن يريد أن تعود ابنته لك فليعلمني بصراحة حتى أجعلك ترسل لها ورقة طلاقها.. لكنه سارع خائفا يخبرني بأن أجعلك تحضرها غدا من بيت والدتها بسيارتك.. لذا قل لي.. هل ما زالت تريد جالا زوجة لك؟))

عقد مراد حاجبيه.. هل يمزح والده؟ فهو لم ولن يريد أي فتاة غيرها أن تكون زوجته.. ولا يأمل إلا أن تتاح له الفرصة ليكفر عن خطئه تجاهها عندما ظن فيها ما ظنه..

قال مراد لوالده بكل جدية وصراحة

((أبي نعم بالتأكيد لا أريد أي فتاة غيرها زوجة لي.. ولكن لماذا قلت له أنها امتنعت عني.. أنا أخبرتك سابقا أنني كنت موافقا على أن تنتظر كلانا لفترة؟ أبي أرجوك تفهمني.. لا أريد أن أكرر عليك أن هذا الأمر خاص بنا ولا يحق لأحد آخر أن يتدخل به.. صدقتي كل شيء كان يسير على خير ما يرام قبل أن تتدخل والدتي ووالدتها بالأمر ويفسدا كل شيء))

نظر محمد لمراد بعينيه النارييتين المشتعلتين وقد عاد له غضبه السابق منه.. ومن الكلام الذي انتشر بالقريّة عنه بسبب والده جالا.. على حد ظنه..

ليصرخ به بعصبية

((أيها الأحمق والدتك لم تكن ستقول ما قالته لو أن زوجتك لم تمتنع عنك من البداية.. ثم أمك لم تخبر أحدا بالأمر إلا لعائلة زوجتك.. بينما والدة زوجتك المصونة لم تترك بيّنا إلا وفضحتك واختلقت إشاعات عنك.. كيف تنسى ما فعلته والدتها بك؟ أنا ووالدتك متأكدان أنها هي من نشرته))

بدأ محمد يتنفس بغضب وبقوة وهو يستطرد كلامه

((لقد اشترطت على فيصل بأننا سنقبل أن تعود ابنته لنا بالرغم من أنها مدللة لا تصلح أن تكون زوجة بشرط ألا ترى والدتها أو تزورها إلا بالمناسبات.. حتى لا تخرب بيتها مرة أخرى))

زفر مراد حنفا من والده الذي جعل الأمور تزيد تعقيدا وهو يدفن وجهه بكلتا كفيه مغمغا بئأس

((يا إلهي.. ما هذه الحياة البائسة التي أعيشها.. تبا لكل شيء))

ابتسمت روعة وهي تشيد على كلام زوجها هاتفة

((أحسنت يا أبا مراد.. والدتها من البداية هي أساس البلاء والمشاكل.. كان علينا من البداية أن نمنعها أن تتواصل مع والدتها التي تحرضها على خراب بيتها))

هز محمد رأسه لزوجته التي بدأ يوافقها الرأي ثم قال لمراد أمرا بنبرة قوية وهو يشير بيده

((مراد.. بما أنه لا يوجد أي شيء بكما أنتما الاثنيين.. إذن كن صارم وأنهى الأمر عندما تعود لك.. إذا طارح كل زوج زوجته بهذا الأمر فلن ننتهي.. أمك في البداية كانت مرتعبة كأي عروس بسنها وقالت لي لنعش مثل الإخوان أو أعدني لبيت أبي.. لكن أمورنا مشت على خير ما يرام لأنني لم أطعها.. هل فهمت ما هو سبب عتابي عليك؟ أنك المسؤول بشكل أكبر عن الأمر))

شعر مراد بالخزي من والده.. هل يظن أن ليس رجلا كفاية ليعرف كيف يجعل زوجته تستلم حبا له؟

كيف يخبره أن المشكلة والعائق بينهما هو عدم مبادلتها إياه الحب مما يجعلها تجد صعوبة بتسليم نفسها له..

بينما وضعت روعة يداها على خاصرتها بينما تقول بصوت مبهج وهي تنتظر أمام مراد

((أعرف عن ابن شخص ما كان متزوج من فتاة حالتها مثل حال زوجتك يا مراد.. صبر على زوجته عشرة أشهر ومن ثم طلقها.. علينا أن نخبر ابنة سميحة أن تحذر من الأمر إذا أرادت ألا يصبح مصيرها مثل تلك التي تطلقت.. فلا يوجد أي شيء مخيف بالموضوع))

عقد مراد حاجبيه لكلام والدته.. وكم تمنى لو يصرخ بهما بصوت مزلزل ليتوقفا عن الحديث وكل تدخلهما به..

إلا أنه لف وجهه بنفس التعبير السابقة نحو والده الذي قال

((إذن يا مراد كما قلنا لك.. غدا ستصطحب زوجتك وستتم الأمر ولا تمسك نفسك عنها وأكمل.. قوي قلبك ولا تأخذك العاطفة.. بعد ذلك فحتى هي سترتاح أيضا.. وإلا سأزوجك من أخرى تطيعك وتتجب لك.. حتى لا يتجرأ أحد على الإساءة أو التشكيك بك مرة أخرى))

كان مراد ينظر ببلاهة لوالديه.. يشعر بأن الأيام القادمة ستجلب له المزيد من التعقيد..

وقف من مكانه معتدلا يصيح بغضب

((أبي وأمي أرجوكما توقفا بت اشمئز من تدخلاتكما بي.. هل أنتما غافلان عن حقيقة أننا تزوجنا بدون أي مقدمات أو فترة تعارف؟ نحن فقط كنا نريد أن نؤجل الأمر..))

صاح والده عليه بنفس نبرة الغضب يقاطعه

((يكفي.. لم يضر بها أحد لتتزوجك بنفس اليوم بدون أي خطبة قبلها.. ها أنا ذا تزوجت من والدتك بدون أي خطبة مسبقه))

ساندت روعة زوجها قائلة

((صحيح كنت خجولة جدا ولم تكن هناك خطبة أو فترة لاعتاد على والدك.. ومع ذلك أحببت والدك جدا لأنه أحسن لي.. وها أنا اخدم وأحسن إليه أيضا مع أن والدك أيضا شخصيته أصعب من شخصيتك بكثير.. ابنة سميحة تلك من المفترض أنها لو متزوجة من وحش أن تكون قد تأقلمت معه بعد هذه الأشهر))

ثم غمغمت بغضب بصوت منخفض وهي تغمض عينيها

((يا إلهي من ابنة سميحة تلك.. لقد تم إفسادها من كثرة الدلال.. كان يفترض بها الآن أن تكون حامل بحفيدي الأول..))

هز مراد رأسه بياس من والديه.. يعرف بأن جالا لا تحبه..

ولكن يحبها.. يعشق كل ما فيها..

وانتبه على ارتباها وسعادتها معه بالفترة الأخيرة قبل أن يتم
زلزلة علاقتهما من قبل الجميع..

كانت جالا معه سعيدة ومرتاحة وتتقبل كل تصرفات وتسلط
والدته ويارا عليه فقط من أجله..

وكان مكتفيا بأن تحب البقاء معه بدون أن تحبه.. ولكن..

المهم أنه يعرف بأن عليه ألا يسمح لوالديه بالتحكم في حياته
أكثر من ذلك إذا كان لا يريد خسارتها..

غادر المكان والغضب ظاهر على وجهه مما أثار استياء
والديه..

وضعت روعة كفها على كتف زوجها بينما تقول له

((والله لو تشعر ابنة سميحة بأن مراد زاهد بها سترجع له كخط
مستقيم.. فقد بقيت طوال الشهر الماضي عند عائلتها تدلل علينا
لأنها كانت ضامنة لمراد.. أما لو سبق واتصل بها ليخبرها أن
ورقتها ستصلها كنا سنرى كيف ستأتي ركضاً له..))

فهز محمد رأسه موافقاً لكلام زوجته مرة أخرى وهو يشرود
بالنظر أمامه..

=====
=====

دخلت سميحة على حجرة ابنتها جالا التي كانت تجلس على
سريرها تلعب بأناملها بتوتر مخفضة نظرها بينما تتحدث مع
راجي الواقف مقابلها بملامح متجهمة وكأنه يحقق معها..

فسألت سميحة بتوجس وهي تتقدم نحوهم سائلة بينما توزع
نظرها لكلاهما

((عن ماذا تتحدث يا راجي معها؟ هل هناك شيء؟))

رفعت جالا رأسها لأمها هاتفة بعفوية

((أمي.. أبي أخبره أن يقنعني أن أعود غدا لمنزل مراد.. وأنا
لا أريد ذلك..))

زفر راجي بضيق وهو يمسح وجهه.. قبل أن يقول بهدوء وهو
يقف على نفس وقفته

((جالا.. قبل كل شيء صارحيني.. أنا لا أريد التدخل بشيء
خاص بينك وبين زوجك.. لكن لماذا لم يحدث شيء بينك وبين
مراد حتى الآن؟ ما المشكلة التي حصلت؟ هل قال مراد لك أنه
لا يريدك مثلا؟ وما الذي دفع والدته أن تطاول عليك بالكلام؟
هل اختلقت الأمر عليك هكذا بلا سبب؟ لقد جاء والد مراد عند
عمي فيصل وقال الكثير من الأشياء ضدك والتي لا أظن أنها
قد تخرج منك.. أشعر أنني لا افهم شيئا من الفوضى التي
تحدث))

أغمضت جالا عيناها ولا رغبة لديها في الغوص في معمعة
التفسيرات والدموع.. فقالت متتهدة

((كما أخبرتكم سابقا.. ليس هناك أي مشكلة بأحد منا.. فقط
أردنا التعرف على بعضنا قليلا قبل أن نتم الأمر لذا لم يحصل
أي شيء بيننا حتى الآن))

سألها راجي متوجسا بسرعة وهو يضيق عينيه

((وفكرة من كانت؟ فكرتك أم فكرة مراد؟))

ازدردت جالا ريقها وهي تفتح عيناها تناظر راجي..

نظرت له كما كانت حادة بطريقة أربكتها بل أخافتها.. لأول مرة
أحد من عائلتها يسألها عن التفاصيل بجديّة وإصرار..

فقد سلّموا سابقاً أن سبب عدم حدوث شيء حتى كان من مراد..
وهي اكتفت بأن تؤكد ببهوت أن لا عيب بكلاهما..

لكن.. شعرت جالاً بهذه اللحظة بقلة ثقة وهي تستشعر مقدار
وفداحة ذنبها بتمنعها سابقاً عن زوجها وكأنها لم تعي سابقاً لهذا
الأمر جيداً..

قررت بهذه اللحظات أن تتحدث بكل صراحة حتى يزيلوا أنامل
الاتهام تجاه مراد بشكل أكيد.. فهي تدين له بذلك..

قالت جالاً لهما بعد مرور لحظات طويلة

((الحقيقة أن الخطأ مني.. أنا منذ البداية.. ورغمًا عنّي.. لم
أترك مراد يأخذ حقّه الشرعي.. لقد كنت مرعوبة وخائفة.. هو
هدأ من روعي وتعامل معي جيداً.. لكن المسألة أصبحت
بالنسبة لي مستحيلة.. بل أصبحت أخاف كلما اقترب مني..
مراد كان طيباً وحنوناً ويعاملني جيداً..))

تتهدّت جالاً ثم أكملت مبررة بوهن

((أمي أنت تعرفين أنّ زواجي أنا ومراد كان تقليدياً بحثاً وبدون
حب وهو فقط يقرب لي من بعيد.. صحيح أننا كنا في صغرنا
نلتقي ولكن عند بلوغنا لم نر بعضنا وانقطعنا لفترة طويلة.. لو
لم تهرب عروسه لما فكر في الزواج مني.. أعرف أن الزواج
كان برضانا ولم يجبرنا أحد عليه ولكن لم تكن هناك حتى
خطبة فيما بيننا لنتعرف فيها على بعضنا أو نتخلّلها بعض
الاتصالات والزيارات على الأقل..))

نظرات والدتها وراجي المتفحصه لها أربكتها أكثر..

سألها راجي بصوت أخافها قليل

((لا تغيري الموضوع وقولي لنا ماذا بعد))

هزت جالا كتفاها ببساطة وهي تقول

((لا شيء.. من كثرة خوفي وهلعي مراد لم يعد يلح عليّ في شيء وأخبرني أن نعطي لفسنا وقتنا أكبر حتى نتعرف.. أعرف أنني كنت مخطئاً بالبداية.. قليلاً.. لم أستطع أن أمنحه السعادة التي يستحقها برغم أنه فعل كل شيء ممكن مثل الورد والهدايا.. لكن))

وقبل أن تستطرد جالا كلامها رفع راجي ذراعه يهوي بكف قبضته الغاضبة على خدها..

فدوى صوت صفعته تهز أرجاء الحجرة بل هزت جالا مكانها.. مما جعل والدته تشهق بفرع..

هتف راجي بغضب اعمى دون أن يمهل جالا أو أمه الفرصة ليفيقا من تلك الصدمة

((لقد صدق والد مراد عندما قال إنك من كنت تتمنعين عنه بلا سبب.. أيتها المدللة الغبية ألم تتزوجه بكامل أراذك؟ إذن لما كنتِ طوال تلك الأشهر تتمنعين عليه؟ كل هذا بسبب دلال أمي الزائد لك فعلا كما قالوا..))

جالا التي كانت لا تزال تفرغ فاهها بغير استيعاب وضعت أناملها على وجهها بذهول وهي بالكاد تسيطر على نفسها من ألا تفقد وعيها..

عم الصمت بالحجرة لا يسمع إلا صوت تنفس راجي الغاضب.. فالتمعت عينا جالا بالدموع وتراجعت بجلستها على السرير للخلف مختنقة بعبراتها وهي لا تزال تنتظر لراجي..

فما كان من سميحة التي كانت أعينها متسعة بصدمة إلا أن تهتف بذعر مستكرة

((كيف تجرؤ على صفع أختك يا ولد؟))

صرخ راجي بحدة وهو يقول بينما يرفع ذراعه مرة أخرى
يريد أن ينهال عليها بصفعة أخرى

((وسأصفعها مجددا يا أمي لأنك لم تعرفي كيف تقومين بتربية
ابنتك المدللة..))

سارعت سميحة تقبض بقوة بذراعه تمنعه عنها..

تتظر له بذهول لا تصدق أن هذا الذي أمامها هو راجي الذي لم
يسبق وأن أذى جالا حتى بكلمة أو مزحة..

بينما بدأت عبارات جالا بالتساقط أكثر وهي تشعر بإحساس
القهر والضعف والعجز..

بأنه حتى لو صفعها مرة أخرى لن تكون قادرة على الدفاع عن
نفسها أمام تصرف أخيها العنيف والمخيف..

فراجي يلعب كمال الأجسام وجسده ضخم بالنسبة لها مع فرق
كبير في الطول والوزن..

سمعته يصرخ أمام امه مستنكرا

((هل برأيك ما فعلته ابنتك شيء قليل بحق مراد؟ ابتعدا من
أمامي))

شحب وجه سميحة بسبب قلة احترام ولدها أمامها فنهزته هاتفه

((أخرس يا ولد.. أنت تتحدث مع أمك))

جذب راجي ذراعه من كف والدته التي تراجعت بذهول من
تصرفه..

ثم عاد يصرخ أمامها بانفعال وغضب يصر عليه

((نعم أمي التي فضحت زوج ابنتها وقالت للجميع أنه عاجز
بدلاً من تربية ابنتها))

تراجعت سميحة للخلف أكثر بذهول أكبر لتسارع مدافعة عن
نفسها بقوة

((اقسم لك أنني لم أخرج الأمر خارج عائلتنا أو الطبيبة))

نظر راجي لها للحظات قبل أن يهتف بها بأسى

((إذا لم تكوني أنت يا أمي فمن إذا؟ كيف لم يتحدث أي شخص
بالسوء عن سمعة جالا بينما حدث عكس ذلك لمراد؟))

عادت سميحة تدافع عن نفسها وهي تهتف به بصوت عالي

((وما أدراني أنا من أخرج ذلك الكلام؟ ربما تكون القابلة التي
أحضرتها والدة مراد.. ثم هل تكذبني يا ولد؟))

قال راجي بغضب لا يزال مستعر بداخله

((لا يا أمي لا افعل.. لكنك متساهلة جدا مع ابنتك.. هل تريد
أن تفضحنا؟ هي المخطئة ومع ذلك نصر على عدم عودتها
له؟))

نفث والدته الكلام قاتلة بإصرار

((هي تريد الطلاق لسوء معاملة عائلة مراد معها ولاتهامهم
بشرفها أيها الغبي.. أليس سبباً كافياً؟))

نظر راجي لوالدته طويلاً بصمت.. قبل أن يقول بقسوة
وبازدراء وهو يرفع إحدى حاجبيه

((من حقهم أن يعاملوا ابنتك هكذا.. لو كنت مكان مراد لطلقتها
بنفس اليوم وتزوجت من غيرها.. ثم هل تعرفين أن والد مراد
قال بأنه يريد أيضاً تزويج ابنه من أي فتاة غيرها؟ بالتأكيد لا
أنا ولا عمي فيصل نرى خطأ بكلامه.. فمراد رجل يريد

الاستقرار وإنجاب الأطفال مثله منك غيره ولا يريد تضييع
عمره جريا خلفها هي وعائلتها.. وخاصة أمها السعيدة بأبنتها
المصونة وبأفعالها.. إذا لم تقدرى لا أنت ولا عمي عليها
فدعيني أنا أعيد تربيتها))

استفز راجي والدته كفاية ليجعلها تصل إلى حافة تماسكها..

مما جعلها تفتح فمها تقول له بغضب وبصرامة بينما تشير
بسبابتها نحو الخارج

((أخرس ثم أخرج من هنا.. أخرج.. واذهب للعيش مع صديقك
ذاك الذي يعيش في العاصمة لأنه غير مرحب بك هنا بعد
الآن.. ولو تجرأت على مد يدك مرة أخرى على أختك
سأكسر ها لك.. هل تفهم؟))

قال راجي بسخرية قاسية اخفى فيها إحساسه بالندم من انفعاله
الشديد وما أقدم عليه وهو يهز رأسه

((حسنا أمي.. سأذهب من هنا))

نظرت سميحة لجالا بمجرد خروج ابنها وبعينيها تردد وخوف
وحيرة.. سألتها سميحة بارتباك

((أخبريني يا جالا يا ابنتي.. لم قد تتمنعين عن زوجك لأشهر؟
وبدون أي سبب؟ لا يعيبك شيء فلم فعلت ذلك؟))

رفعت جالا عيناها الغارقتين بالدموع لأمها وهي تقترب منها
تدفن نفسها بأحضانها تحتمي من أي شيء آخر..

فتضمها والدتها بقوة فهي لطالما كانت الصدر الذي تحتمي به..

كانت جالا ترى كارم رجلها النبيل قبل أن يتخلى عنها فلم تعد
ترى بأي رجل بالعالم الخير إلا بأخيها..

والآن تعلن بشكل رسمي داخل نفسها أنها تكره كل رجال العالم.. حرفيا..

مرت دقائق وكان راجي يغلق حقيبته التي وضع فيها ملابسه وأغراضه الشخصية ليحملها على ظهره..

أخذ أغراض أكثر له من أي مرة سابقة فهو لن يعود للمنزل لفترة طويلة..

وبخطوات مقهورة اتجه إلى المنضدة الخشبية بجانب الباب يتلقت مفاتيح سيارته..

سار نحو باب منزلهم وقيل أن يمسك مقبض الباب ليخرج سمع جالا تهتف باسمه وهي ترشقه من الخلف بنظرات حارقة

((راجي.. توقف))

توقف راجي مكانه بدون أن يستدير لها..

صرخت جالا به بكل ألمها وخيبة أملها كرهها الذي تولد بها بتلك اللحظات تجاه أخيها

((أنا أكرهك.. من الآن وصاعدا أنسى أن لك أخت تدعى جالا إلى نهاية العمر.. أكرهك.. أكرهك جدا))

استدار راجي للخلف نصف استدارة وهو ينظر لها بوجه جامد إلا من حدقتيه المهترتين..

فتعلقت عينيه بأثر صفتها على خدها.. وكم تمنى لهذه اللحظة أن تكسر يده كما قالت أمه قبل قليل قبل أن يهزمه الغضب ويحركه تجاه أخته التي تكبره بسنتين..

حتى لو أخطأت هل يحق له أن يفعل ما فعله؟

لكنه عاد ينظر أمامه وبتهالك مسك مقبض الباب وهو يفتحه
بقوة منكسا رأسه للأسفل وقد ظهر الم عميق بعينه ليخرج من
البيت ويفتح باب سيارته..

=====
=====

بصباح اليوم الآخر وقبل أن يفتح احمد باب سيارته ليخرج منها
ويتحرك نحو عيادته.. استوقفه صوت هاتفه الذي أضاء باسم
زوجته..

بفتح الخط عليه قانلا بجفاء وقد وصل لذروة حنقه منها

((صباح الخير يا إيما))

وصله صوتها بنبرة مستفزة

((أهلا.. أردت إخبارك أن والدي سيعود الليلة.. لذا كن مستعدا
غدا للقاءه.. مؤكد سيطلبك))

بصوت تمازج به الحنق مع الغضب والغموض قال احمد

((أنتِ مصرّة على هدم كل ما بيننا.. صحيح يا إيما؟))

تنهدت قبل أن تجيبه بصوت لامبالي بشكل ظاهري

((يا دكتور لقد هُدم وانتهى الأمر.. فعلى ماذا أحافظ؟ بالواقع
لقد اكتشفت بالفترة الأخيرة أنني أستطيع أن أعيش بدونك.. فما
المهم بالحفاظ على الصورة الخارجية لعائلة هشّة وضعيفة من
الداخل؟ كل ما في الأمر أنني أريد أن أنصحك وأمنحك فرصة
أخيرة حتى لا تندم على ترك جوهرة غالية مثلي.. لأنني لن
أسامحك بعدها أبدا ولن أعود لك ولو قبلت الأيادي والأقدام..))

قالت كلامها بواقعية وصراحة.. مع أنها تعرف بقرارة نفسها
بأنه فقط لو يخبرها بتراجعها عن الأمر فستعود له حالا وفورا..

صحيح لن تسامح ولن تنسى الألم الفظيع التي تسببه لها.. لكنه
كله يهون من أجل ألا تهدم حياتها وتخسر أي شيء..

حتى لو عني ذلك اضطرارها أن تبقى مع زوج تبادله الكره..

وصلها صوته المتنمر

((ماذا يا إيما؟ هل هذا كلامك أم كلام المخلصون والمخلصات
الذي لم يخلقوا بإسداء النصائح المهلكة لك من ترك المنزل
وطلب الطلاق؟))

استطرد كلامه وهو يستعر غضبا

((زيدي على كل هذا إنك ألقيت بأبنك ولم تسألني عليه حتى
الآن.. من أي شيء صنع قلبك أيتها المتحجرة؟ لا اصدق أن
هناك إنسانة مثلك لا تمتلك أي ذرة أمومة أو مسؤولية لترمي
ابنها بدون أن تسأل عليه طوال هذه المدة..))

تنهيدة طويلة خرجت من بين شفقتنا إيمان وبابتسامة خائبة كانت
لتكون صفة له لو رآها قالت له

((أولا لا حاجة لأي مخلوق أن يسدي لي أي نصيحة.. مجرد
تذكر سيئاتك وما فعلته بي كفيلا بتحريكي لاتخاذ قراري هذا..
ولا اسمح لك بتوجيه الاتهامات لي بدون وجه حق.. خاصة
وان هذا الابن نفسه هو ابنك هو سبب كاف لك حتى لا تدمر
عائلتنا.. حالتي الصحية والنفسية لم تكن تسمح لي بأخذ ابني
معي لذا تركته عندك.. لقد تركته بعهدتك وعهدة والدتك..))

قال متهمكا ومستخفا بكلامها

((لا إذا كان الأمر هكذا فسامحيني على ظلمي وسوء ظني
بك..))

فتحت إيمان عيناها على اتساعهما وهي تطلق شرار حقد إليه..

قالت مشددة على كلماتها التي خرجت من بين أسنانها وقد بدأت
الدموع تجري على وجنتيها

((ابني أنا عند والده والذي يصادف انه ابنه أيضا.. لم أتخلى
عنه ولم انبذه بل يفترض أنني تركته بأيدي أمينه عندما تركته
عندك.. أنت نفسك عندما تختار أن تتركنا لأجل أخرى
وتتركني أربي ابني لوحدي لن تعتبر ما تفعله تخلي ونبذ
وهجران تجاه ابنك.. فلماذا الكيل بميزانين؟ لماذا التناقض؟ هل
تحب أن أخبره أنك تخليت عنه ولا تهتم بشأنه عندما تتزوج من
تلك التي تحاول سلبك منا؟))

زفر احمد بحنق على كلامها وهو يغلق الهاتف على وجهها ثم
يغلقه كليا متجاهلا المكالمات المهمة التي قد يتلقاها لهذا اليوم..
كم ود لو تكون أمامه ليفتك بها لكنه مع ذلك حاول تهدئة نفسه..
وهو يعاود يتذكر كلام والده.. بأنه لا يكره إيما.. هو يكره فقط
جوانب متعددة فيها..

فالأفضل له أن يصبر على ثورتها وألا يطلقها بل يحاول
الإصلاح معها ما استطاع فطلاقه لها سبب له بخسارة المال
والوقت وسيحرمه من ابنه..

عليه وحسب أن يتركها عند عائلتها لتراجع نفسها.. وعليه أيضا
ألا يرد على اتصالاتها..

حتى تحترق وتعرف مصدر الخطأ.. لتعيش بحالة خوف من
نوابه وخطوته القادمة بزواجهما.. بغض النظر لو كانت فعلا
تريد الطلاق أو لا..

=====
=====

قدمت ليينا فنجان القهوة لوالدها بينما تجلس على الأريكة
بجانبه..

رفع فيصل فنجان قهوته الصباحية يرتشف منها ببطء بينما يطالع بطارف عينيه ملامح ابنته..

وعندما ظهر الاستغراب على ملامح لينا من نظرات والدها..
قال لها بصراحة

((لينا يا حبيبتى أخبريني وللمرة الأخيرة.. هل يزعجك زواج أختك مينا التي تصغرك قبلك؟ أخبريني وسنؤخر حفل زفافها حتى تتزوجي أنت ولو رفض خاطبها أو فكر بالاعتراض فسألغي زواجه منها))

سارعت لينا تنفي بلهفة ما يقوله والدها بصوتها وكفيها

((لا يا أبي ماذا تقول؟ حتى ولو كنت الكبيرة فالزواج نصيب وليس من العدل أن تفسد زواج مينا لأجلي.. ثم ألم تتزوج جالا قبل هيام مع أنها تكبرها بعشرة سنوات؟ فما الذي تغير بتفكيرك؟))

قال فيصل بمنطقية

((هناك اختلاف كبير بينك وبين هيام يا لينا.. هيام هي من تصر على عدم الزواج وأنا بالتأكيد لن أوقف بنصيب باقي بناتي لأجلها.. على كل حال لقد كنت أتمنى أن تكون مينا من نصيب راجي.. ولكن كما قلتى فكل شيء بالدنيا قسمة ونصيب.. وربما نصيبه يكون مع أختيك الصغيرتين دينا أو تينا إذا لم تكن مينا))

زمت لينا شفتاها بحق طفولي وهي تنتظر بغضب لوالدها بدون أن ينتبه عليها..

لماذا ينكر والدها دائما زواج راجي وفي كل مرة مقترنا بأخواتها الثلاث الأخريات ويستثنيها هي من بينهن؟

ما الذي ينقصها لتكون هي زوجة لابن عمها الوحيد؟ أكل هذا لأنها تكبر راجي بسنة واحدة؟

لكنها محت هذا التذمر من على وجهها وهي تنتبه على والدها الذي بدا وكأنه يحمل هموم العالم وغارق بهم.. فسألته بحنان

((أبي لماذا أنت حزين ومهموم إلى هذا الحد؟ ألم تقول إن زوج جالا سيأتي لاصطحابها اليوم وسينتهي الأمر؟ هل هناك شيء آخر يثير قلقك؟))

تنهد فيصل بتعب وهو يضع الفئجان أمامه قائلاً بصدق

((وهل تظنين أن بعودة جالا لزوجها ستحل كل المشاكل؟ لقد اتضح بالنهاية وعلى لسانها أنها هي من كانت تتمتع عنه.. هذا من جهة.. ومن جهة أخرى والدتها أصلحها الله اختلقت إشاعات جارحة لرجولة مراد في أرجاء القرية.. وعائلة مراد تشك بذلك.. تخيلي أن ابن عمي اشترط عليّ حتى يتراجع ابنه عن أمر طلاقها هو ألا أسمح لها أن تتواصل معنا ومع أمها خاصة إلا بالمناسبات!!))

تابع فيصل برمي ثقل همه على ابنته الوحيدة التي تسمع له وكأنها يطالبها بالمواساة على أختها وفي نفس الوقت يسألها المشورة

((تخيلي أنه قال لي أنه سيعيد جالا لمراد إذا أردت ذلك.. ولكنه وبكل الحالات سيزوج ابنه من امرأة أخرى حتى يعيد له كرامته.. بالنهاية أنا وافقت على كلامه وقلت له أن يعيد جالا لمراد وبعد ذلك فلكل حادث حديث حتى لا أتسبب بطلاقها بهذا السن.. هل أخطأت؟))

عقدت ليña حاجبها هاتفة باستنكار

((هل أنت منزعج لأنه سيتزوج من غيرها؟ وماذا فيها فأنت تزوجت يا أبي من غير أمها أيضاً.. لم التناقض؟))

نظر فيصل لها باستهجان قبل أن يقول لها بجدية

((ليس تناقضا يا لينا.. ليس تناقضا.. جالا ابنتي وكرامتها من كرامتي.. ولكن.. ربه.. لم يمضي على زواجهما إلا عدة أشهر.. ماذا سيقول الناس عندما يعرفون أنه تزوج من غيرها فقط بعد أربعة أشهر من زواجهما؟ سيقولون بلا شك أن هناك عيبا بها وأنها أذنبت بشيء.. لن ترحمها ألسن الناس.. ووقتها لن أسامح ابن عمي أو ابنه لو فعلا هذا بابنتي.. لا أصدق أنه ما يزال حاقدا عليّ وعلى تقريعي الذي أسمعتة إياه قبل مدة عن ابنه.. لم أقصد أن أتشتت أو أعيب على مراد.. أنا قلت له فقد ما سمعته من الناس ومن سميحة.. لكن لم يكن عليه أن يأخذ ذنب ابنتي بي.. صدقيني لو زوج ابنه من أخرى على جالا كما قال لي فلن أمر له الأمر أبدا))

ضيقت لينا نظراتها نحو والدها لترمقه باستنكار قائلة

((أبي ماذا تقصد بأنك لن تمرر الأمر له؟ لا تفكر بافتعال أي مشكلة.. ولو تزوج مراد فهو حقه لأن ابنتك باختصار ترفض إعطائه حقوقه الشرعية.. هل هناك سبب أقوى من هذا للزواج؟))

عاد يستهجن فيصل كلامها بصوت عالي

((وماذا تريدان يا لينا أن يتحدث من في القرية عن بنتي بعد أن يتزوج مراد.. هل تريدان أن يستفسروا عن عيبها الذي جعل مراد يتزوج بعد أشهر فقط من حفل زفافهما؟ لن يقول أحد انه زوجها مجروح من كلام الناس عنه ويريد أن يثبت لهم رجولته بل سيلومونها هي..))

تنهدت لينا قبل أن تقول بتهكم من بين طيات كلامها وهي ترفع فنجان قهوتها ترتشف منه

((أبي لا تقلق.. وماذا قد يقولوا؟ كل من في القرية يعرفون أن عروس مراد هربت بنفس يوم الزفاف لذلك أضطر مراد أن يختار أي بديلة عنها بشكل سريع حتى لا يلغى زفافه.. لذلك لن يقولوا إلا إن جالا لم تكن اختياره ولم تكن على نوقه من

البداية.. بل مجرد بديلة تزوجها وبعد زفافه بدأ يبحث بشكل
جدي ومتأنى على مهله عن أخرى تعجبه لتكون زوجة أخرى
له..))

هتف فيصل بتعجب

((ماذا؟))

هزت ليلى رأسها مؤكدة

((نعم أبي هكذا سيفكر الكل ولن يظن أحدا السوء بجالا بل
ستحظى بشقة الجميع.. المهم أنه لن تتأذى أي من سمعتها أو
سمعتك))

قالت ليلى كلماتها هذه بسخرية وهي ترفع أنامل كفها على
رقبتها تتحسس الأثر الذي لا يزال باقيا عليها للآن..

لمعت عيناها بحقد على ذكرى لا تزال تذكرها بطولتها..

عندما أخذت جالا الفم بملقعة حديد وألقته على رقبتها ويدها
مدعية أنها لم تتعمد ذلًا..

كما لا تزال تذكر القلادة الذهبية التي نزعها جالا من رقبتها
وألقتها بالبئر..

كانت القلادة مهداة من أمها التي فقدتها منذ صغرها..

أيضا من الصعب أن تنسى كل مرة ضربتها بشراسة بدون
سبب..

والدها كما هو.. يعرف جالا جيدا لكنه دائما ما يدعي أنه يجهل
تصرفاتها وأفعالها حتى يريح باله ولا يشغله نفسه بحل
مشكلتهما..

كان يقول بنفسه انه محيط بكل شيء يجري حوله ولكنه لا
يتدخل بمزاجه..

وبكل مرة تشكيها له يخبرها أنها الفتاة العاقلة وأن عليها أن تتحمل الأذى وتصفح وتنسى ولا تظل تشكي له عنها..

وهناك الكثير والكثير من المواقف ولكنها لا تريد التذكر والتوجع أكثر..

والآن وكأنه حانت فرصة تصفية الحساب عن كل ما بدر من جالا تجاهها..

فهي بهذه اللحظة لا تريد إلا أن تقول إن هذا جزء كل ما فعلته بها.. بل وتستحق المزيد.. وليست نادمة على ذلك..

صحيح أن علاقة لينا مع أختيها الغير شقيقتان وخاصة جالا رسمية جداً..

لكن وبكل لحظة يذكر فيها أسم جالا يعود شريط الماضي كله أمامها..

حتى لو أصبحت جالا فيما بعد تتحدث معها باحترام وحب مصطنعان وتحاول صداقتها إلا أنها لا تستطيع تصديقها..

=====

وقف مراد بالضبط أمام بيت والدة جالا وهو يشعر بقلبه يخفق باضطراب قوي.. بل يتبعثر داخله بلا قدرة له على تهدئته..

كانت رياح هذا اليوم ناعمة تهب عليه لتبعثر مقدمة شعره الفاتح عن جبينه..

كما تقوم بتحريك الأزهار والأعشاب في حديقة المنزل وتجعل أغصان أشجار الزيتون تتمايل..

تتهدد مراد قبل أن يهيم بتوتر لرفع يده نحو جرس المنزل..

لكنه وقبل أن يفعل ذلك ألتفت بجسده للخلف على صوت فيصل والد جالا الذي كانت يهتف قائلا بينما يتقدم نحوه بخُطى موزونة

((لقد رأيت سيارتك تمر من شرفتي وقدمت حالا هنا))

ابتسم مراد له بتهذيب وبداخله ينوي بالفعل أن ينسى كل ما قد سبق وقيل أو حدث بينهم..

خاصة ما قاله فيصل لوالده عنه..

ثم قال مراد له بهدوء وهو يمرر أنامله على رأسه لعله يستطيع أن يجعل إحساسه المتشائم الذي يشعر به يتلاشى

((أهلا بك يا عم.. هل جالا جاهزة؟ لو أن خط هاتفها مفتوح لكنت اتصلت بها قبل أن آتي لهناء.. لكن..))

تتهدد فيصل بحيرة فراحي لم يرد له أي خبر عن موافقة جالا.. لكنه هز رأسه بينما يخاطبه وهو يضغط على جرس المنزل

((نعم.. فقط انتظر قليلا لأخبرها أن تأتي))

فُتح باب المنزل بقوة لتظهر سميحة وهي تضع حول رأسها وشاحا مرتخي غطت به شعرها بشكل سريع..

رشقت الاثنان أمامها بنظرات متجهمة وهي تقول

((فيصل.. مراد))

فغر مراد فاهه بنوي سؤال حماته عن حالها بهدوء ولطف.. ونيته فعلا أن يطوي كل خلافات الماضي وحتى الإساءات التي تم توجيهها له بصفحات النسيان..

لكن قاطعه فيصل الذي تحدث بصوت قوي

((لا تريد الدخول.. فقط أخبرني ابنتك أن تحزم أغراضها فوراً
فزوجها يريد أن يأخذها الآن))

راحت سميحة ترشق مراد بحقد للحظات مما جعله يشيح نظره
عنها بتوتر.. قبل أن تهدر ببغض وصلابة ليفصل

((لقد سبق وأخبرتكم أنها تريد الطلاق ولا تريد العودة له.. هل
هناك كلمة بهذه الجملة يصعب عليك فهمها؟ جالا لا تريد من
زوجها هذا الذي يقف هنا أي شيء إلا ورقة طلاقها التي تأخر
بها))

لم يقدر مراد على لوم والدة جالا على تعاملها معه بهذه الطريقة
الحادثة..

ولكن مع ذلك.. فهي الأخرى أدته عندما نشرت على حسب
ظنه تلك الإشاعات عنه..

فلماذا لا يضعون كل هذا خلف ظهورهم ويبدؤون من جديد؟

صاح فيصل الذي بدأ الغضب يتصاعد له بعصبية ليقول بينما
يرفع يده ليدفع الباب بعيداً حتى يستطيع دخول البيت بقوة

((أي طلاق هذا الذي تريده مدلتك العنيدة؟ على جثتي أن اسمح
لها بأن تطلق))

اتسعت عينا مراد بصدمة على طريقة فيصل الهمجية بالدخول
للمنزل بينما شهقت سميحة بفزع وهي تقول له باستنكار غير
مصدقة تصرفه

((إلى أين تسمح لنفسك بالدخول بهذا الشكل؟))

لم يأبه فيصل لأي شيء وهو يتحرك نحو حجرة جالا يصيح
باسمها بصوت عالي

((جالا!!!!!!))

فتحت جالا باب غرفتها ثم تراجعت للخلف تقف مقابل والدها
بثبات ظاهر وهي تكنف ذراعيها أمام صدرها بينما ترشفه
بنظرات حادة وهي تقول بصوت منخفض يكتم غضبا شديدا
(نعم أبي))

تطلع فيصل لها مزجرا

((لست بحاجة لأن تحزمي أي شيء من ملابسك.. هيا أذهبي
مع زوجك الآن هكذا))

وعندما بقيت جالا على وقفها بدون أن تبدي أي شيء إلا أن
تشيح بوجهها عنه وكأنها ترفض ما يقوله ولا رغبة لديها بأن
تدخل بجدال معه..

عاد يهتف بها والدها بخشونة

((هيا بسرعة.. ألا تسمعين؟))

عادت جالا تنتظر له وهي ترشفه بعناد وإصرار وهي تقول له

((لا أريد يا أبي أن أعود له.. أنا مصرة على طلب الطلاق..
فهذه حياتي أنا ولا أحد يملك أن يفرض عليّ أمراً لا أرغبه))

لم يستطع فيصل أن يمنع نفسه من الصراخ في وجهها بانفعال

((حياتك أنت؟ من علمك هذه الترهات؟ هل تظنين نفسك ما
زلتي مراهقة؟ كفي عن عنادك ودلالك.. فأنت امرأة متزوجة
الآن))

فكت جالا ذراعيها وهي تنتهد بمرارة لتهمس له باختناق
وعيناها تترقرق بالدموع من صراخ أبيها عليها وإمكانية مراد
بالخارج سماع محادثتهما

((ألا ترى يا أبي بوضوح أنني تعبت بحياتي معه؟ أخبر مراد
بالخارج أنني لا أريد العودة له.. أساسا يُفترض أن تكون

مشاعري وصلته بعدما فعله بي هو وأمه.. لذا لا تحاول يا أبي
أن تفرضه عليّ))

قيّد والدها معصمها بعصبية وزمجر بتهديد خشن وهو يقرب
وجهه منها

((قلت لك ستعودين له.. الآن ورغما عنك.. هيا البسي أي
شيء فوق ملابسك ورافقيه الآن ولا تدعيه ينتظر سيادتك
أكثر.. لا أريدك أن تبقى هنا ولا لأي دقيقة إضافية))

والدها يرفضها.. الكل يرفضها فيما يبدو.. يريدون إرجاعها
لمراد حتى مع رفضها الأمر بصراحة..

لا يستوعبون أنها أصبحت تكرهه ولا تريد العيش معه بل لا
تطيق حتى التفكير بالرجوع عنده والعودة لمخالطة والدته أو
يارا..

عندما شدد والدها قيده لمعصمها تأوهت جالا ببيكاء وهي تدفن
عينها بكفها الآخر ولكن ذلك لم يؤثر بغضب وإصرار والدها
قيّد أنملة..

بل جعله يتركها بقوة وهو يفتح دواب ملابسها ليخرج منه
معطفا طويلا منه وشاحا أسود ثم يرميهم على سريرها يأمرها
بحزم شديد

((هيا البسيهم واذهبي للخارج لزوجك))

شبهت جالا بينما تمسح دموعها وترتدي المعطف فوق ملابسها
البيتيّة ثم تضع الوشاح حولها بإهمال أمام أعين والدها الغاضبة
ووالدتها المشفقة عليها والحانقة على فيصل..

وعندما خرج فيصل من غرفتها استدار للخلف يراها واقفة
بمكانها ونظرها مرتخي للأسفل وكأنها عادت لعنادها ترفض
الخروج..

فعاد الغضب يشتعل بعينه وهو يعود لغرفتها يسحبها من
معصمها ويضغط عليها بقوة لئلا يوجع وقهر بينما يقول لها

((جالا طلاقك بالنسبة لي سيمثل وصمة عار.. بل سيحط من
قدري ويمرغ أنفي في التراب أمام من حولي لو تطلقت بعد
عدة أشهر من زواجك.. فانسى حصوله تماما.. هل تفهمين؟))

تجاهلت جالا الرد عليه وهي تحاول أن تحرر معصمها من
قبضته دون أن تقدر..

أوقفها والدها بقسوة ونظراته الحادة يوجهها لها وهو يهمس لها
بهسيس وتهديد

((والله يا جالا إذا لم تذهبي الآن معه سأضربك أمامه دون أن
يرف لي جفن وأنا الذي لم يسبق وأن لمست احدى بناتي طوال
حياتي.. هل ستحيين أن تجري نفسك لتعرضي للإهانة
أمامه؟))

انكشيت جالا على نفسها لتبكي بصوت عالٍ قليلا من كلامه..
فزفر فيصل وهو يهتف بضيق مكررا

((كفي عن البكاء.. لا تبكي))

عصت جالا شفتها السفلى وأغمضت عيناها بأسى مستسلمة له
لتهز رأسها وتطيعه مغممه بكاء

((حسنا))

نظرت سميحة إليها ولدموعها التي تسيل على خديها بينما ترى
فيصل يجبر ابنتها بعنف فشعرت بأنها تريد أن تكلم فيصل
بوجهه..

ولكنها كانت تعرف بأنها لن تقدر عليه.. وخاصة أن راجي
الذي خيب ظننها فيه ليس هنا ليوافقه عند حده ويمنعه من إجبار
جالا..

فأغمضت عيناها وهي تشعر بعجز ثم فتحتهما وهي لا تجد
أمامها إلا أن تقول وهي تقترب منهما باقتضاب متممة من بين
أسنان مطبقة

((كيف تسمح لابنتك أن تعود لعائلة زوجها الذين تحدثوا عن
شرفها بسوء بهذه البساطة؟))

تشدق فيصل لسميحة بتهكم وهو يقول لها بنظرات شرسة

((قلنا انه كان سوء تفاهم وانتهى.. لماذا تكبرون الموضوع
هكذا؟ ثم ألا تعرفين أن ابنتك هي السبب بتفكيرهم هذا وسوء
ظنهم بها؟))

شدد فيصل على معصم جالا الذي يمسكه بقوة بينما يقول

((اذهبي هيا يا جالا لن أكرر كلامي.. لا طلاق عندي.. هل
تفهمين؟ وإذا لم تعلمك والدتك كيف تحترمين زوجك وتطيعينه
وتلزمين بيتك فدعي زوجك يعلمك ويعيد تربيته))

قال جملة الأخيرة بصوت عالي وهو يجرها من معصمها نحو
باب المنزل الذي لا يزال يقف عنده مراد..

مراد الظاهر على وجهه ضيق شديد بينما عيناها شاردتان
بالأمام كان يتكى على الباب وساعديه على صدره بينما ساقاه
مائلة للأمام..

وما إن سمع صوت فيصل العالي يصرخ على جالا حتى شعر
بخلاياه تنتفض.. وكأن هناك لهيب يسعر بداخله..

فرفع رأسه وهو يعتدل بوقفته فتبرق عيناها بشوق لرؤية جالا
أخيرا بعد أكثر من شهر من ابتعادها عنه..

لكن وكم ألمه وأهتز قلبه وجعا عليها وهو يراها تبكي بوهن..

لكم أراد أن يتخلى عن وقوفه هنا وبروده ويضمها ليتأسف عن كل شيء أخطأ به هو أو عائلتها بحقها..

كل ما فيه كان يهوي بينما صدره يئنّ ألماً.. لكن عقله فجأة ابتدا بالاحتجاج..

ألا يجب عليه أن يمنع أن يتم إهانتها بهذا الشكل حتى ولو كان من يقوم بذلك هو والدها؟

وقف فيصل أمامه عند الباب وجالا التي سحبها من معصمها ليهتف لها وهو يلقي عليها نظرة تشع شرراً بهدوء لا يخلو من الصرامة أمام مراد

((لو تجرأت يا جالا وجئت هنا لبيتي أو بيت والدتك فلن أتردد بكسر قدميك.. هل تفهمين؟ عليك أن تطيعي زوجك وتلزمي بيته.. أجيبي هل تفهمين؟))

كان يتعمد فيصل إلقاء كلماته عليها أمام مراد الذي نكس نظره للأسفل وهو يشد على كفه المقبوض ويحاول بصعوبة شديدة لجم انفعاله حتى لا يعقد الأمور أكثر..

لحظات ثم رفع مراد نظره ليمسك معصم جالا بعد أن نزعها من فيصل بهدوء رغم نظراته التي تكاد أن تفتك به..

وللعجب لم تمنع جالا مسكه لها وهي ترضخ له ببساطة بعد أن كسرها والدها أمامه بهذه الطريقة المهينة وبمنتهى الذل الهوان..

وكم كرهت أبيها بهذا الموقف.. كرها يضاف لكره سابق كانت تكنه له..

وكانها كتلة لا تحمل بداخلها إلا الكره لكل شخص ولكل شيء..

سمع مراد فيصل يوجه له الكلام

((إياك أن تأبه أو ترد على كلامها عن الطلاق يا مراد مهما طلبته.. أنت زوجها وأنا أتق بك وأترك لك مسؤوليتها كاملة))

أمسك مراد نفسه عن الغضب وعدم انفلات أعصابه والذي بدا وشيكا لو سمعه يؤدي أو يهين زوجته مرة أخرى وهو يهز رأسه له..

ثم استدار للخلف يخطو نحو سيارته بسرعة وغضب لا زال يسكنه من كلام عمه فيصل وهو يمسك جالا من معصمها التحيل فتسير خلفه ونظرها منخفض للأسفل وهي لا تزال تذرف الدموع على وجنتي وجهها المحمر..

فتح مراد باب سيارته الأمامي لجالا إلا أنها وبعناد تجاهلته وهي تفتح الباب الخلفي وتجلس بالداخل وهي تغطي وجهها بكفيها وتتحب بصوت مكتوم..

تنهد مراد بألم وكم تمنى لو يجلس بجانبها ليمسح دموعها التي تغمر وجهها بشكل مؤلم..

أغلق باب سيارته وهو يسير حولها ليركب بمقعده خلف المقود..

بقي نحيب جالا المرتعش مستمرا طوال الطريق کنار مستعرة تنهش بقلبه..

ألمه بشدة أن يراها بهذا الضعف فقلبه لم ولن يرضى أن يشهد عليها هذا الهوان..

ركن مراد سيارته أمام منزله ما أن وصل لتفتح جالا فورا الباب وتنزل منها مسرعة نحو الشقة..

هتف مراد لها بصوت عالي

((انتظري.. فالمفتاح معي))

توقفت مكانها لتستدير للخلف وتخطو نحوه لتأخذ المفتاح منه بعنف بينما تعود لتتحرك سريعا نحو شقتها بالطابق الثاني من هذه البناية وكأنها تهرب من مواجهته أو مواجهة أحد من عائلته..

بعد دقائق دلف مراد لشقته من خلال الباب الذي كان مفتوحا من الأساس وهو يتطلع بنظرة لحجرة نومهما..

كان صوت بكاء جالا عاليا.. لا بد أن عيناها الآن متورمتان من كمية الدموع التي ذرفتها اليوم فقط..

اتجه نحو الحجرة ورفع قبضته ليطرق الباب إلا أن توقف وهو يشعر بقليل من التوتر..

لا يريد أن يدخل لها ويضغط عليها.. يريد أن تهدأ قبل أن يتحدث بأي شيء..

ولا بد أنها ستستصعب أن تجعله يراها بهذا الشكل..

رن هاتف مراد فأخفض يده وهو يخرج هاتفه من جيبه يجيب عليه ليصله صوت والده

((سمعت وقع أقدام على الدرج.. لقد وصلتما صحيح؟))

أجابه مراد ببرود

((نعم أبي وصلنا))

فسارع والده يخاطبه بحزم

((مراد.. تعلم كيف لا تعطي للنساء وجه.. كل ما شعرت أنك تريدها وحالك واقف عليها ستزيد في التمتع والعناد.. إياك أن تقول لي الآن أنها تريد المزيد من الوقت.. كل هذا دلال وكلام فارغ.. ثم هل زوجناك طفلة صاحبة خمس سنوات لتربيتها

ونحن لا ندري؟ هل اقسام لك أن العمر ليس لعبة حتى يضيع
بهذه التوافه؟))

قاطعه مراد بغضب

((أبي مهلا توقف.. على رسلك بالكلام حتى استوعب ما
تقوله))

رفض والده التوقف وهو يصرخ به قائلاً بإصرار

((مراد أريد منك الآن أن تخبرها الآن أن تكون زوجة وتعود
لك أو تطلقها فوراً وتبحث عن سعادتك بلا أي تضییع للوقت..
وحكاية أنها لم تعتاد بعد عليك فقد اكتفيت ولا أريد سماع
المزيد منها.. جعلنا منها حكاية ألف ليلة وليلة..))

استشاط مراد غضبا من والده فصرخ به وهو يفرغ كل
المشاعر السلبية التي مر بها قبل قليل به

((أبي أنا حقا لا أعرف بماذا كنت تفكر وأنت تتصل بي.. هذا
أمر خاص بي وبزوجتي فلا تدخل به لا أنت ولا أُمي لأنني لن
أسكت بعد الآن))

لقد قضى فترة طويلة من الإرهاق والعذاب النفسي والمعنوي
بما فيه الكفاية..

سواء من الآخرين من حوله أو من والده الذي بقي يعامله بفتور
وقسوة..

كانه هو ابنه الوحيد انتهى كرجل بالنسبة له وأن قيمته نقصت
عنده كثيرا كزوج عاجز عن تلبية احتياجات زوجته.. بالنسبة
له..

وهو ليس مستعدا ليعود ويمر بكل هذا مجددا أمامهم..

فأغلق مراد الهاتف على أبيه فوراً وهو يرميه على الأريكة بعنف شديد..

بينما كان محمد يفتح عيناه على اتساعهما لا يصدق تصرف ابنه..

فمن المستحيل أن يجروُ مراد ولده الذي يعرفه على الصراخ بوجهه بعدم احترام أو إغلاق الهاتف عليه بهذه الطريقة..

وجد نفسه بغضب وبأسلوب تهكمي يهتف بزوجته التي تقف أمامه وتنتظر له بوجوم

((أنجبتِ يا روعة فعلاً.. هل سمعتي ما قاله ابنك لي؟ هل بعد كل ما سمعته يقوله ستيقين على إصرارك بتزويجه مرة أخرى؟ لن أقسم بالله لكني متأكد أن العيب منه هو لا من ابنة فيصل))

سارعت روعة تدافع عن ابنها بخوف

((لا تقول عنه ذلك.. ربما تحججت ابنة سميحة أمامه مرة أخرى.. كان عليه تطليقها والتزوج من أخرى))

إلا أن محمد صرخ بغضب مستعر وهو يرمي ما تظاله يده على الطاولة الموضوعه أمامه

((اغربي من أمام وجهي حالاً.. يبدو أنني سأعود لهجر البيت كله بلا رجعة.. وأنتِ الأخرى بدلا من البحث عن زوجة أخرى لابنك علميه كيف يكون رجلا مع زوجته الحالية.. ليتني زوجته فتاة من الشارع ولم أزوجه ابنة فيصل))

قالت روعة منبرمة بصوت منخفض وهي تبتعد عنه ببطء خوفا من ردة فعله

((ألم أخبرك يا محمد من البداية ألا تزوجها له.. لكن كالعادة تتجاهل كلامي وبعد ذلك تأتي متنمرا تشكو من النتيجة وسوء اختيارك مثل ما حدث مع سهر تماماً))

كلام روعة جعل غضب زوجها محمد يزيد ليصرخ بها بصوت
أعلى

((أخرسي واغربي من أمام وجهي.. لم أعيد أطيق رؤيتك أو
رؤية ابنك.. فلتذهبوا جميعا للجحيم))

بينما كان مراد بالأعلى يجلس بتوتر وهو يهز قدمه.. فبكاءها
ونحيبها المستمر يمزق نياط قلبه..

تنهد وهو يقوم من مكانه ليحاول أن يفتح عليها الباب بحذر
شديد إلا أنه صدم من كونها أغلقتة عليها بالمفتاح..

فوجد نفسه يسألها بصوت حنون وهامس

((جالا حبيبتي هل أنت بخير؟))

كانت جالا بالداخل تستلقي على سريها منكمشة على نفسها
وتدفن وجهها في الوسادة..

تشعر بالقهر الشديد ويتملكها الحزن والتعب الشديدين هذه المرة
ورأسها مليء بالأفكار الحزينة والسيئة..

لم يلقَ مراد منها أي ردا..

فلم يجد ما يفعله إلا أن يتعد عن الحجرة متنهدًا بيأس ويتركها
على راحتها فهو لا يريد أي شيء إلا أن يطمئن عليها..

صحيح أنه كان يفكر طوال المدة الماضية يفكر كيف تعود
لحياته..

ولكن أبدًا لم يرد أن تعود له رغما عنها بهذه الطريقة المهينة..

=====
=====

انخفضت عينا احمد مع انخفاض جسده وهو يجلس على الأريكة بوجه قائم بعد أن طلب منه عمه..

لحظات ورفع نظره لوالد إيمان والذي قال له مرحبا

((أهلا بك يا احمد شرفتنا.. مضى وقت طويل على آخر لك في بيتي))

شعر احمد بالقليل من التوتر وهو يحدق قليلا بهذا الرجل أمامه.. عدنان الدال.. والد زوجته إيمان..

رجل إذا تكلمت معه تعرف بأنه شخص يمتلك صفة الاحترام والتقدير..

له هيبة نابعه من الوقار الذي يتحلى به..

من صدق حديثه وقلة مزاحه واحترامه للغير مهما كان مستواه العلمي أو المادي أو منصبه..

رجل غامض ويعرف كيف يفرض نفسه بالهدوء بعيدا عن الصوت المرتفع والتصادم مع الأشخاص حول آرائهم..

صاحب فكر منطقي ولا يستعجل بحكمه على الآخرين.. ويتميز بنظرته الثاقبة..

ذا شخصية قوية وحديثه هادفاً ويقول كلمته في مكانها الصحيح..

ليس من النوع المتردد في كلامه..

واثق في نفسه له آراؤه الخاصة وقادر على تغيير أخطاء من حوله ولو بنظرة لأن هيبته النظر تفعل الكثير..

تحدث احمد بارتباك ظهر على وجهه بعيدا عن نبرته التي بدت ثابتة وهو يقول بعد أن عجز كيف يبدأ بعد لحظات هدوء وصمت بينهما

((عمي أنا كنت رافض كلياً خروج ابنتك من بيتي بدون إذني
والقاء ابنتها بإهمال بغض النظر عن خلافتنا.. كما أنني سبق
وأخبرتها بأنني فعلاً لا أتمنى الطلاق.. فأنا أحبها وأريد لابنتي
أن ينشأ بين والديه حوله))

بالرغم من البرود الثلجي الذي كان يظهر على وجه إيمان
الجالسة على أريكة منفردة موضوعة بوسط كل من أريكتي
احمد والدتها..

إلا أن كلمات احمد التي استفزتها كانت بمثابة شيء أطلق حمم
نارية لتسري بعروقها وتفجر بركان غضبها بهذه اللحظة..

فاندفعت بالرد فوراً على احمد بفظاظة وغضب وبدون أن
تحسب كلامها

((بالتأكيد سأغادر البيت.. فهل هناك زوجة ترضى على زوجها
أن يتكلم ويحدث امرأة أخرى يحبها ويعيش معها جو
الرومانسية ويعطيها كل اهتمامه ووقته كأنه مراهق؟ ثم يعود
لزوجته ليخبرها عن مدى حبه لها؟ هل تتمتع بكامل قواك
العقلية أم تمازحني وحسب يا احمد؟ أنت لا تحبني.. فالحب
ليس كلمة تقال.. الحب أفعال ومواقف تؤيد الكلام))

أنهت كلامها لتستطرد بسؤال له يحمل كل اليأس والتعب
والإرهاق بداخلها.. وكأنه عتاب لشخص لا جدوى من عتابه

((لماذا لا تستطيع أن تكون رجل صاحب مسؤولية تبادلني
الإحساس وتحفظني كما حفظتك؟))

تجاهل احمد إيمان وهو يرفض أن يكلف نفسه النظر إليها..

تعجب أيضاً من سكوت والدتها على طريقتها وأسلوبها بالتحدث
معه لكنه لم ينبس ببنت شفة وهو يجهل إلى أي أحد وصلته
إيمان بالتحدث عن مشكلتهما لوالدها..

فعاد يركز النظر بوجه والد زوجته.. حماه عدنان الدال.. من سمت أيمان أبنهما على اسمه..

المضحك بالأمر أن اسم أبنه كان بداية الخلافات بين زوجته وأمه التي أرادت أن يسميه رؤوف على اسم والده..

لكنه بنهاية المطاف قرر أن يجعل إيمان أن تختار اسم ابنه وتسميه على اسم والدها كانتقام صغير من والديه لأنهما من ضغطا عليه للزواج منها..

فقد كان لا يزال يعيش على جراح الماضي وفراقه عن حبيبته ولم يهتم بعيش دور الأبوة مع ولده أو حتى اختيار اسمه..

سمع والدها عدنان يقول بهدوء

((إيما معها حق يا احمد.. هل قليل عليها أن ترى زوجها يتواصل مع حبيبة الماضي بل ويخطط الزواج منها؟))

تنح احمد وقد شعر بالتوتر أضعاف السابق..

لكنه أدرك أنها لم تخبر والدها بهوية الفتاة التي يريد تزوجها..

وبالتأكيد لن تقول من هي حتى لا تثير أية مشاكل قد تعقد الأمور وخاصة أن لها نية بالعودة له..

قال احمد بهدوء هو الآخر حاول التحلي به

((أعترف يا عم أني كنت مخطئ بالحديث معها ولقائنا بدون أي رباط شرعي بيننا.. لكن حدث ما حدث وانتهى الأمر.. القصة هي أني فعلا أحبها وأريدها زوجة في الحلال.. هل أخطأت بذلك؟))

قال جملمته الأخيرة بمثابة رجاء لوالدها أن يضع نفسه مكانه..

تنهد عدنان والد إيمان قبل أن يقول بصوت حازم وتعابير غير راضية

((احمد أنا رأيت وعاشت بنفسي حالات كثيرة لرجال فعلوا ما
ترغب به وفشلوا.. أما الذين نجحوا فيه فهم قلة قليلة.. وهم
ليسوا القاعده.. بل هم من نجحوا وأصبحوا شواذ عنها.. دقق
حولك بمن تعرفهم وستجد أن كلامي صحيح.. أنا رجل مسلم..
وهيئات.. هيئات أن أحرم ما أحل الله.. أو أحل ما حرم الله..
لكن عندما أقف هذا الموقف فأنا أرحم الرجل قبل أن أرحم
المرأة.. لأنه هو من سيحاسب على إهماله تجاه إحدى زوجاته
أو اتجاه أبنائه وهو من يأثم.. وردة فعل ابنتي وغيرها هي أمر
فطري لا أحد يستطيع نكرانه.. بل الأحمق هو من يستنكر أمر
فطري على البشر.. لذا انسى ما تفكر بفعله))

هل خاب ظن احمد من كلام حماه؟ نعم قليلا..

لكنه هل هو متفاجئ.. حتما لا..

فهي ابنته وبالتأكيد سيحور كل كلامه ليكون لصالحها وصالح
سعادتها هي..

نطق احمد بصوت أجش

((عمي أنا اعتذر لقول هذا.. لكنني أحبها فعلا كما لم أحب أحد
غيرها.. وكلامك.. أنا أعني أن الحب الحقيقي لا ينسأه الإنسان
مهما تغيرت الظروف ومهما شاءت لهم الأقدار أن يرتبطا أو
ينفصلا ولكن يظل هذا الحب متبادل في وجدان الطرفين..
وكلانا من دون الآخر جسد بلا روح.. لذا ليس سهلا أن افعل
ما تقوله وكأني آله))

لم يكمل احمد حديثه فاستشعر عدنان عدم استساغة احمد لكلامه
السابق.. فقال بتلقائية

((استمع لي يا احمد.. أنا لا أقول هذا الكلام تحيزا لان إيما
ابنتي.. ولكن يجب على الرجل الذي يُقدّم على الزواج مرة
أخرى أن يكون على دراية تامة بكافة المتطلبات التي تحكم
حياته الجديدة.. وعليه أن يراعي حقوق زوجاته والعدل في

معاملة الأبناء.. كما يجب عليه عدم المقارنة بين الزوجات
وعدم المجاهرة في تفضيل زوجة على أخرى.. أنت لم تتزوج
الأخرى بعد ومع ذلك لم تفوت أي مناسبة سواء أمام الآن أو
أمام ابنتي لتعبر عن تفضيلك وحبك للأخرى عليها.. لذا أن
أخبرك بنفسي أنك بالذات لا تصلح لهذا للموضوع.. فأنتسى ما
تفكر في الإقدام عليه))

غضب احمد بشدة من كلامه.. يتحدث وكأنه مكانه أو كأنه
أدرى به عن نفسه..

كل هذا لأجل عيون غاليتة إيمان..

أسدلت إيمان جفناها حتى لا تبدأ دموعها بالسيل على خديها..

ثم مالت برأسها تنظر لوالدها ولمعة قهر تبرق من حدقتها
بينما تقول بإصرار

((أبي أنت لا تفهمني أنا أرفض قطعاً أن اسمح لأحمد أن
يتزوج.. لا يهمني أن يعدل أو لا.. كل ما يهمني هو أنني
تزوجت رجل وبنيت حياتي معه.. وليس عليّ أن أتحمّل زوجته
وتحمل مشاكلهما.. لست مضطرة أن أقبله كنصف رجل لي
يترك ابنه عندي أرعاه بدون أن يهتم لتعبي وشقاى..))

ثم التفتت للأمام وهي تشرّد بنظراتها تسترسل وهي تقصد أن
تُسمع احمد

((اقسم لك يا أبي أنني اشعر بأنه لو فعلها احمد فلن أطلب
الطلاق بل سأرتكب جريمة قتل بحقه وبحق تلك المرأة.. نحن
نبني البيت ونرهبق ونتعب ونسهر ليهدم هو شقاء سنين بقرار
متهور.. لا تهمني قصة حيهم المبتذلة.. لكن أنا لن أتحمّل البعد
عنه ولن البس رداء المرأة الصبورة.. إذا كان فراقها يقتله
ويجعل جسد بلا روح.. فماذا عن الأحاسيس القاتلة والأمراض
المستعصية التي ستصيبني جراء زواجه؟))

نظر احمد بشراسة لإيمان أثناء حديثها باستهانة وهو يشد على أسنانه وقد كره تملكها فيه..

بينما نظر عدنان لأبنته بحنان يسمح بكفه على ظهرها ثم يحنى ويقبل رأسها..

بعدها رفع رأسه لأحمد ينظر له وهو يمسك بكف ابنته وكأنه يقول لها أنه دائما إلى جانبها

((احمد إذا كان لا سبيل لك لوصول من تحبها بسبب قدر أو أي شيء أخر.. فعليك إذن أن تشعر نفسك باليأس منه.. فالنفس متى يئست من الشيء استراحت منه ولم تلتفت إليه.. أو على عقلك أن يدرك بأن تعلق القلب بما لا مطمع في حصوله نوع من الجنون))

وصوله لهيام مستحيل؟ وعلى أي أساس يحكم بهذا؟

فقط لو لم يكن متزوجها من ابنته لما كان الأمر بهذه الصعوبة..

وباستفزاز أكبر لأحمد أضاف عدنان

((ثم ما اعلمه هو أنك لو أحببت فتاة فعلا فلم تكن ستنزوج غيرها))

رد عليه احمد وهو ينظر له بزرقاويه الجليديتين

((تقول هذا الكلام ببساطة لأنك لا تعرف الظروف أو الضغوط التي تعرضت لها))

حدق به عدنان بهدوء ليرد بعد لحظات له

((إذا كان ما حصل ضد إرادتك سأقول لك أمرا يا احمد.. لا دخل لابنتي بماضيك الذي عشته.. لا ذنب لها حتى تعاملها ببرود لأن من أحببتها لم تكن هي نصيبك.. ابنتي لا تستحق منها أن تخونها أو تستغيبها أو تجعلها تدفع ثمن أخطائك في

الماضي.. حتى لو اضطررت أن تحرق نفسك لأجلها فأفعل
وأحبها.. نعم عليك أن تقسو على نفسك إن اضطررت حتى لا
تجرح غيرك.. هكذا يتصرف الرجال..))

أحاط احمد ملامحه بحيرة وترقب وهو يمرر كل كلمة من
كلماته بعقله..

بينما استطرد عدنان كلامه بمنطقه الذي جعله يتحدث بثقة

((احمد.. أنت إنسان طبيعي جداً وواضح مع نفسك تماماً حيث
تعرف ما بداخلك وتعرف ماذا تريد وتعي حاضرك وقيمته
جيداً.. كل ما في الأمر أنك فقدت تلك التي أحببتها لأسباب
قدرية وظروف خارجة عن إرادتك جعلك تشعر بتأنيب
الضمير.. وتري في تفكيرك فيها نوع من التعويض عن
الحرمان الذي قدر بفراقها.. ربما ترى في قرارة نفسك أنه لو
عاد بك الزمن إلى الوراء لما تركتها ولتمسكت بها مهما كان ما
ستواجهه.. وذلك أمر طبيعي فنحن لا نحلم بما نملكه لأننا في
الواقع نملكه ولا نحتاج للحلم به))

لم يجبه احمد بل تسمر ينظر له باستغراب.. وهو يتهدأ أمامه
بنفاذ صبر..

ما إن أنهى عدنان كلامه هز احمد رأسه له وعيناه المغلولتان
من واقعه ومستقبل الأمور الذي ستؤول إليه حاله تشردان بعيدا
عن النظر له..

ترجع عدنان للخلف يريح ظهره على الأريكة بينما يضع ساقا
فوق أخرى قائلاً يقوم بتحليل مشاعره وهو الذي لم يعرفها إلا
قبل وقت قليل

((ما يحدث لك يا احمد هو نوع من الحنين للماضي وكلنا نحن
للماضي ونذكره.. لكنه بين الحين والآخر يلح علينا بقوة فنخاله
أقوى من الحاضر.. حتى مع الذكريات السيئة.. فما بالك
بالذكرى الحلوة التي تثير في النفس الشجن الجميل؟))

الحقيقة أن عدنان كان يتحدث بصدق مع حب له مضي.. أو
ربما ندم على التفريط فيه وتركه يضيع من يده..

لكنه ندمه كان ندما عاقلا لا يأخذه من حاضره ليغرقه في
الماضي كله..

فهوي شخص عاقل متزن يعرف أن لكل شيء حدود..

فالماضي رغم جماله مضي وانقضي ويصعب استرجاعه..
والحاضر أولي بالاهتمام والحياة..

تململ احمد بمكانه قليلا يود إعلامه برغبته بالرحيل بينما ينظر
لساعته التي أعطتها له هيام..

فيرى حرف اسمها يحرق كيانه بحقيقة أنها تقريبا ضاعت منه..

لكنه رفع رأسه فجأة بصدمة عندما سمع عدنان يباغته القول
ببساطة

((احمد لم تخبرك إيما قبلًا.. ولكنها حامل في الشهر الثالث))

لوهلة نظر احمد لإيمان التي كانت نظرتها تلمع بالانتصار
ويدها موضوعة على بطنها..

ثم عاد ينظر لوالدها عدنان بصدمة يقول وهو لا يستوعب ما
قد سمعه

((حامل؟))

لا يدري لم رأى ابتسامة إيمان له شامتة وهي تستدعي انتباهه
وهي تسأله باستفزاز

((نعم أنا حامل.. ألسنت سعيدًا بهذا الخبر؟))

استهلك احمد قوة كبيرة حتى يتمالك نفسه وهو يقول لها ببرود

((كيف لا أكون سعيدا وربي سيرزقني قريبا بطفل آخر يملأ
علينا حياتنا))

ابتسم عدنان بينما يقول بصوت دافئ وسعيد

((معك حق يا احمد فهذا الطفل جاء بوقته المناسب.. لقد كبر
صغيركم وحان الوقت لتجلبوا له المزيد من الأخوة))

قست ملامح إيمان فجاءة هي تقول

((أبي مهلا لا تستعجل بالحديث فاحمد لم يقل بعد أنه ألغى فكرة
زواجه من حبيبته السابقة التي عاد للتواصل معها))

عقد عدنان حاجبيه مستنكرا

((وكيف لم يلغيها.. وبماذا كنا نتحدث لساعة؟ احمد هيا طمأنها
وأكد على كلامي أمامها فابنتي لن تعود قبل أن تشعر بالأمان
المطلق معك))

رد احمد فوراً عليه بجفاء يؤكد لهما

((وهل بقي كلام بعدك يا عمي؟ فبرغم كل شيء أنا ألغيت فكرة
الزواج تماما قبل أن أتى لهننا))

نظر عدنان بطرف عينه لابنته بينما يقول لها

((هل سمعتي يا إيما العزيزة؟))

برقت عينا إيمان بتحد وانتصار مجددا بينما تقول بابتسامة
خارجة من قلبها

((نعم يا أبي سمعت))

وقف احمد من مكانه معتدلا بثبات بينما يقول بعملية

((إذن هيا بنا.. أحزمي حقيبتك ولنعد للبيت))

تعجب عدنان منه وهو يقول

((كيف ستخرج يا احمد من بيتي ونحن لم نقم بواجب الضيافة حتى؟ لن تتحركا من هنا قبل أن تتناول معنا طعام الغداء.. زوجتي تعد الآن وليمة كبيرة على شرف اصطلاح الأمور بينكما))

تنهد احمد قبل أن يقول له بفتور

((لا يا عمي أرجوك.. ابننا يكاد يجن على رؤية والدته ولن يتحمل دقيقة أخرى من البعد))

هز عدنان رأسه متفهما وهو يخفض رأسه

((إذا كان الأمر هكذا فلا بأس.. ولكن أنت مدين بزيارة أخرى لنا))

وقفت إيمان من مكانها بينما تقول لأحمد ببرود

((انزل يا احمد وسأتابعك أنا بعد ذلك))

فهز احمد رأسه موافقا بينما يلقي تحية السلام ويغادر المنزل..

وعلى عتبة الباب بينما يرتدي احمد حدائه وقبل أن يخرج من المنزل سمع زوجته تقول لأبيها

((أبي سأعود مع احمد بسيارته.. أرجوك اطلب من أسامة بمجرد عودته من جامعته أن يقود سيارتي ويعيدها لي.. من الضروري أن يعيدها لي الليلة فأنا سأعود للتدريس بالمدرسة من الغد.. فهم لن يصبروا علي أكثر كما تعلم))

صدمها والدها برده

((لن يقود أسامة أي سيارة لمنزلك الزوجي.. ستعودين مع زوجك لبيتك بسيارته.. لأن سيارتك من الآن وصاعدا أصبحت ملك أسامة))

خرج صوت إيمان مستنكرًا بشدة

((أبي ماذا تقول.. هل أنت جاد؟ تلك سيارة الأحلام التي حلمت بها ورجوتك منذ نزول تصميمها بالسوق أن تحضرها لي.. أبي كيف تريد استرجاعها مني الآن؟))

كان صوت والدها حاسما بينما يقول

((يكفي كلاما.. أنا من أحضرتها لك وأنا من سأسترجعها منك.. وأخر كلامي هو أن هذا السيارة ستعطينها لأسامة وستصير ملكه))

وبصوت نينا بالبكاء قالت إيمان بعدم رضا

((أبي هل تقصد معاقبة على شيء ما؟ لقد كتبت السيارة باسمي فكيف تصير ملكا لأسامة هكذا))

ارتفعت نبرة صوت عدنان وهو غير واعي لقرب احمد وسماعه لكل حوارهم من البداية

((نعم كتبتها باسمك وستبقى باسمك ولكنها من اليوم وصاعدا سنصبح تحت تصرف أسامة.. وأنتِ اطلبي من زوجك أن يحضر لك سيارة أخرى بنقوده.. لقد كان يخطط بشكل جدي للزواج من غيرك إذن فهو يملك مبلغا محترما وراتبه لن يعجز على شراء سيارة لك لو طلبتي منه))

انفعلت هي الأخرى وهي تجيب أبيها

((احمد لم يشتري مثل هذه السيارة الفاخرة له فكيف تريده أن يشتريها لي؟ هل تعاقبني لأنني أريد العودة له؟ حسنا لن اذهب

وسأقي هنا.. لكن لن استغني عن سيارتي.. لم أتهدى بها إلا
منذ عدة أشهر فكيف تريد أن تأخذها مني وتعطيها لأسامة؟))

أنهى والدها الجدل وهو يقول بما لا يقبل النقاش

((لن أكرر كلامي.. هذه السيارة من الآن وصاعدا ستصبح
تحت تصرف أسامة.. وأنتِ زوجك أصبح غني وقادر أن
يجعلك تعيشين بمستوى رفاهية أكبر من السابق فحل مشكلتك
عنده لا عندي..))

توحشت عينا احمد الذي غادر المكان لا يريد سماع المزيد
وبدون أن يغلق الباب وراء حتى لا يصدر أي ضجيج يدل على
وجوده..

وهو لا يظن انه سبق ونال هذا الحد من الذل والهوان من قبل
أي أحد سابقا..

انتظر إيمان لدقائق حتى تخرج له وتركب بجانبه..

وبالطريق للمنزل بقيا الاثنان صامتان ولا رغبة لأحدهما
بالحديث..

أو على الأقل كانت إيمان تنتظر منه أي مبادرة بالكلام لتفرغ
كل ما بجعبتها من كلمات إلا أن احمد لم يعطيها الفرصة
ببروده وصمته..

عند وصولهما للمنزل وقبل أن يصل ابنهما من مدرسته قالت
إيمان وهي تدلف لـحجرة نومهما

((فليكن بعلمك يا احمد بأنك لن تنام معي هنا الليلة))

رفرف احمد بجفنيه بصدمة وصوته كان يعبر عن غيظه وهو
يسألها بغير فهم

((عفوا؟ لا افهم ما ترمين له))

تجهمت ملامحها وهي تقول بتوتر متجنبة ملامحه المرعبة التي
ظهرت على محياها..

لتقول بينما تستنزه رغم تمنيتها أن يتوسلها البقاء بالرغم من
حقيقة كرها الكلي لقربه

((أقول خذ ملابسك للخارج فبالأكيد أنت لا تتوقع مني بعد
عودتي لك أن أعود لأعيش معك حياة طبيعية مثل السابق..))

شرارات غضب خرجت من زرقاوي احمد لم تخطئها إيمان
وهي تراه يتحرك نحوها بحذر مكرر سؤاله

((أنا لا أزال لا افهم ما تقولينه))

قالت له بصلافة وثبات وهي تكتف ذراعاها أمام صدرها

((سواء خرجت أنت من حجرة نومنا أو أنا فلا يهم لكن لن
اسمح لك أن تنام معي بنفس السرير.. فأنا كما ترى إنسانة
حساسة تم الغدر بها.. ولي مشاعر وكبرياء يرفض أن يتقبلك
كزوج لي بعد خيانتك وقهرك السابق لي.. لذا لا تحلم بان أعود
زوجة لك بكل ما للكلمة من معنى من دون أن يمر بعض
الوقت وقبل أن تبذل جهدا مضنيا حتى اقتنع بك كزوج مجددا))

تبادل كل منهما نظرات نارية.. بينما يلقي عليها احمد عدة
تساؤلات بنبرة تهكمية قاسية

((هل أنت جادة بكلامك؟ إذن لم عدتي لي إذا كانت سيادتك لم
تسامحني بعد وتفرضين أمامي طريقا طويلا للمسامحة؟))

أشاحت ببصرها بعيدا عنه وهي تجيبه ببرود وصدق

((عدت ببساطة من اجل ابني ومن أجلي منزلي وحياتي التي لا
أريد خسارتها.. ثم لماذا أنت غاضب من قراري هذا؟ هل تذكر

ذلك الشهر الذي قررت أن أتغاضى ببلاهة وغباء فيه عن
حياتك وعاملتك كملك على قلبي ونفسي.. ماذا جنيت بعده إلا
قلة القيمة واستمرارك بالتواصل معها؟ الآن قررت بأنه لن
ينفع التعامل الحسن معك.. بل يجب عليّ أن استخدم هذا
الأسلوب حتى تتعدل وتجعلني اصدق مدى ندمك على ما فعلته
(بي)

رشقها احمد بنظرات قاتلة وعيناه تجلدانها.. بل تتوعداها بينما
يقول وهو يهز رأسه ببطء

((حسنا يا إيما.. كما تريد))

غادر احمد الحجرة كلها بدون أن يأخذ شيء لتغيظه وهي تقول
بيروود وبصوت عالي

((اغلق الباب خلفك جيدا))

جلس احمد على الأريكة يهز ساق بعصبية.. بينما كان هناك
ذهول اكتنف ملامحه الحادة وهو يهز رأسه بالرفض وعيناه
مرخيتان للأسفل..

يرفض كل ما يحدث ويتساءل عن الخطوة القادمة بحياته؟ ماذا
بعد؟

فهيام ترفض التحدث معه وحذرتة من أن يتصل بها مجددا..
وموقف والد زوجته الصلب عقد الأمور أكثر..

كان يعرف بأنه من المستحيل أن يوافق على زواجه ولكن لقاؤه
اليوم جعل الأمور تبدو أصعب..

إذن هل باء كل شيء بالفشل؟ بل وخسارة ما كان يملكه سابقا؟

هل هذه هي النهاية بعودته لزوجته يجر ثياب الفشل والخيبة
بعد أن خسر حبه بدون حتى قدرة على أن تعود المياه لمجاريها
بينه وبين إيما..

بماذا أخطأ حتى لا ينال من أحبها كزوجة؟ هل كان الأمر
بسبب سوء تخطيط وتدبير منه وحماقته؟

لينتهي بأن يخسر كلتاها ونهاية قصته معهن؟

=====
=====

كانت هيام تغلق باب مكتبها بالجامعة بالمفتاح عندما وصلتها
رسالة على هاتفها..

فتحتة وهي تقرأ مضمون الرسالة وقلبيها يكاد يقف من سرعة
دقاته.. كانت الرسالة من إيمان

"هذا المرة فعلا لا تدعي أي أمل يكبر بداخلك بشأن علاقتك
بأحمد.. أنا حامل.. اخرجي من حياتنا للأبد وإياك أن تستجيب
لأي إغراءات بالعودة للحديث مع احمد"

لوهلة شعرت هيام بنغزة تذيب صدرها فتفترق شفاتها لدقائق
وهي جامدة بوقفها تنظر بصدمة لهاتفها..

وما إن شعرت بالدموع تلسع عيناها حتى سارعت بإعادة فتح
باب مكتبها والدخول إليه وإغلاقه بالمفتاح..

استندت بظهرها على الباب بينما قدماها تهويان فتتخضض بشكل
تدرجي حتى تجلس على الأرض..

رفعت قدميها لصدرها لتخفي وجهها بين ركبتيها التي أحاطتها
بذراعيها ليبدأ جسدها بهتزاز..

لماذا هي مصدومة لهذا الحد؟ فاحمد لم يسبق وقال لها إن
علاقته مقطوعة بإيمان بل لم يسبق وقال بأنه يرغب بتطليقها..

ولكن ما زال الأمر يؤلمها.. خاصة وكون أن هذا الطفل قد
يزيد من ارتباط إيمان بأحمد فيجعل تهديدها بفراقه لو تزوج
منها أمرا أكثر صعوبة على احمد من قبل..

احمد.. لماذا فعل هذا بها؟

لماذا عاد لحياتها وأعاد ذكرياتهما التي ما زالت تنبض بالحياة؟

لماذا عاد ليحيي بها تلك المشاعر التي لا تنساها من الأساس
ومحفورة بأعماقها..

الآن كيف ستمضي بحياتها وحنين للماضي قد اشدت بها؟

ما أتعتس هذه اللحظات التي تعيشها وهي ترضخ للظروف..
ومهما تحاول عيناها الآن كبت ودياناً من الدموع فلن تتخلص
من لوعة قلبها المكلموم..

ظنت بأنه عندما جمعها القدر به سيكون نهاية لكل أوقاتها
العصيبة بالسابق..

هي حقا الآن تتمنى الموت على أن تفترق عنه ولكن ما بيدها
حيلة إلا الرضوخ والصمت..

ستبقى أسيرة للشوق والحنين اللذان يرسمان أوجع صورة من
صور عذابها بالحب والهوى..

=====
=====

بصباح اليوم الباكر..

أنهت جالا حمامها الدافئ وارتدت ملابسها لتستعد للذهاب
لجامعتها..

فتحت باب حجرة النوم والذي كانت تغلقه منذ أمس عليها..

زمت شفتاها بغيظ وهي تلقي نظرات حارقة على جسد مراد المتوسد أريكة الصالة براحة تامة بالرغم من أنها بالكاد تنتسح له..

حتى أنه كان يضع ذراعه اليمنى خلف رأسه كوسادة لعدم وجود وسائد بالصالة تصلح لوضع الرأس فوقها بدون إصابته بكسر في الرقبة..

بينما ذراعه الأخرى كانت متدنية بإهمال على الأرض..

لم تهتم جالا له وهي تدنو من الثلاثة لتفتحها وتبحث فيها عن أي شيء تأكله قبل ذهابها للجامعة..

تململ مراد مكانه على صوت حركتها والجلبة التي قامت بها وهي تجوب المكان بالصالة هنا وبالمطبخ هناك..

فتح مراد عيناه ذات اللون البندقي الناعستين بشكل تدريجي قبل أن يهياً له بوجودها بالقرب منه ومرور طيفها..

لكنه سارع بفتح عينيه على اتساعهما مذهولاً..

ثم اعتدل من مرقده بفزع وهو يدرك أنها بالفعل خرجت من الحجرة التي أغلقت بالأمس الباب عليها..

همّ بالنهوض من مكانه ليقترب منها بلهفة تراجعت على إثرها متفاجئة من استيقاظه فجأة وبتوتر رغم كل حنقها إلى الخلف عدة خطوات..

كان ينظر لها وكأنه مدهوش من مظهرها وتغير حالها بعد أن ظن أنها ستعتزل حجرة نومهما بالداخل لأشهر ولن تقبل الخروج منها أو تسمح له بالدخول..

كان يتفحصها بإعجاب ممزوج باشتياق وكل ما فيه كان ينفض بدون أن يُظهره لها..

لم يُظهر لها إلا اهتزاز حدقتنا عيناها اللتان تهتزان لهفة وشوقا لها..

سألها بصوت أجش من أثر النوم وهو يقرب أنامله من ذراعها ليمسكها بخفة

((جالا.. هل استيقظت؟ كيف حالك الآن؟))

مدت جالا يدها تبعد أنامله عنها بارتباك ملحوظ..

هل يظن أنها لا تعرف بصوره مع خطيبته السابقة سهر؟

إذا كانت مجرد بديلة له عن تلك العروس الهاربة فلماذا أُصر على أن تعود للبيت معه؟

لإهانتها وحتى يسمح لأمه وليارا بأن يقوموا بإهانتها؟

ولكن لا بأس.. تعرف جيدا كيف ستتعامل معه هو ووالدته ويارا من الآن وصاعداً..

لن تكون لقمة سائغة لهم من بعد الآن..

غمغمت جالا له وهي تظهر نفورها منه بشكل لا يصدق

((نعم بالتأكيد لن أبقى نائمة بالداخل ليومين كاملين مثلا))

للحظة سكتت وهي تراه يقف قبالتها يتأملها بنظراته القوية رغم نعاسه..

فابتعدت جالا قلباً تواجه عيناها التي لم تكن تعي كما كانتا هائمتان بها..

ازدردت ريقها وهي تتابع تأمله بتوتر..

كان يرتدي سروالا قطنيا أبيضاً وبلوزة بيّته خفيفة بالرغم من برود الجو قليلا بالصالة..

كانت بلوزته تحدد تفاصيل صدره العريض وتظهر عضلاته
تحتها..

لوهلة شعرت هي الأخرى انه مختلف.. فأول مرة تقريبا تنهض
هي قبله وتراه بمظهره الناعس هذا..

فرغم أنها ترى مراد صاحب شخصية عصبية وحازمة
وهادئة..

إلا أنه وسامته طاغية وذوقه جذاب حتى عند استيقاظه من
النوم..

حتى أنه بدأ الآن أقل حزما وغموضا.. وبوجه بشوش على
عكس ما توقعت أن يكون عليه بعد عودتها إليه..

سارت جالا توظف نفسها من غفوة تأملاتها وهي تهمس له
بسخط مكتوم

((بالواقع لقد كنت ابحت عن أي شيء يؤكل هنا قبل الذهاب
لجامعتي))

رفع حاجبيه بدهشة وهو يتذكر أن الترم الجديد بدأ بالفعل وكان
يجب عليها التسجيل فيه وإنزال الباقي من ساعات تخصصها
حتى تتخرج بدون أي تأخير لأكثر من ذلك كما أخبرته سابقا
بأيام وفاقهم القليلة في فترة حياتهما الزوجية..

فقال مراد معتذرا لها

((أوه أنا اسف بشأن هذا فأنا لم أكن أجلس هنا غالبا بالفترة
الماضية ولم أكن أحضر أي شيء من مستلزمات المطبخ.. لكن
انتظري لأبحت عن بعض المعلبات التي تصلح للفظور أو..))

بدأ بهم بالبحث بين خزائن المطبخ قبل أن يردعه ما قالته عن
مواصلة بحثه ليستدير إليها يسمعها تُعلمه ببرود

((لا داعي.. سأنزل لأتناول الفطور ببيت والدتك.. ستكون قد جهزته الآن لوالدك ليتناوله قبل الذهاب لعمله))

ابتسم مراد بدهشة وفورا لكلامها وهو يكاد لا يصدق ما تسمع..

هل هي نفسها من تريد النزول لبيت والديه ومشاركتهم الطعام؟

هل حان الوقت الآن لبداية حياة وردية يعيشها معها بعيدا عن كل ما حدث بالماضي سابقا بينهما؟

رد عليها بصوت مليء بالبهجة

((حقا؟ أنا.. أنا فعلا سعيد لما تقولينه.. سيكون من الرائع أن نتناول الطعام معا كعائلة واحدة سعيدة))

ارتسمت ابتسامة ساخرة على شفتي جالا بينما ترد على حلمه السخيف

((أنا سأنزل للأسفل فقط من أجل الطعام.. لأنه لا يوجد أي طعام هنا))

رد مراد بعثت وهو يشاكسها

((أعرف أنك اشتقت لوالدتي وليارا خاصة وأنتك تكادين لا تطيقين الانتظار لرؤيتهم.. سأرتدي ملابس عملي وألحقك فوراً))

مطت جالا شفاتها بضيق على مزاحه الثقيل وكانت تريد الرد عليه بحدة إلا أنه سارع الدخول للداخل ليأخذ حماما سريعا ويرتدي ملابس العمل..

فانتظرته قليلا حتى ينتهي وينزلا سويا.. فلا ينقصها أن تنفرد بنفس المكان مع امه وليارا..

لكن عليه النزول للأسفل لتريهما أنها لم تكسر بعد ولن ينجحوا بفعل ذلك..

بعد أقل من نصف ساعة..

انفرد مراد بالمطبخ مع والدته بينما تقول له بامتعاض وغضب

((والدك غادر اليوم بدون أن يتحدث معي أو يتناول فطوره
وذلك بسببك أنت يا مراد وابنة سميحة.. والآن تدخلها بيبي
وتحذرنى من أن أتفوه أمامها بأي شيء بضايقها؟))

أنهت روعة كلامها باختناق واقتضاب..

فقرب مراد رأسها لصدره يعانقها فتستند عليه بينما تسمع يقول
لها

((أمي أنا لم أقل أي شيء قبل قليل إلا أن تحاولي أن تعامليني
مثل يارا على الأقل ولا تثيري أي مشاكل معها.. لقد ظلمتها
كثيرا بالماضي بعيدا عن اتهامك لها.. ولا أريد المزيد من
المشاكل))

هزت رأسها وهي ما تزال على وضعيتها لتقول له بلوم

((قلت لك أي أسفه فلماذا تصر على تذكيري بالأمر كثيرا؟
أساسا أنا ما زلت مصرة على انه هناك شيء مثير للريبة فيها
وسبب لابتعادها الغير مبرر سابقا عنك))

تنهد مراد بقلة حيلة.. وهل يستطيع أن يخبر أمه أن ابتعاد جالا
ليس غير مبررا..

بل كل ما في الأمر أنها فقط لا تستطيع أن تحبه وما زال قلبها
معلقا بأخر؟

لكنه تجاهل تلك الغصة وهو يضغط على ظهره والدته بذراعيه
ويقربها منه أكثر بينما يقول له بصوت مترجي

((أرجوك يا أمي لا أريد شيئا بقدر أنا أبقى متزوجا بها.. فلا
تحاولي إبعادي عنها))

قالت له روعة بصوت حزين وحانق عليه

((أنت تحبها أكثر مني أنا أمك التي أنجبتك))

ابتسم مراد على تفكير امه الغير ناضج قبل أن يقول لها بجدية

((أمي إن هذه المفاضلة لا تصح.. لا يصح أن تقارني بين حبي
لزوجتي وحبي لك.. أمي أنت جنتي في الأرض.. أما جالا

فزوجتي ووجودها هو مصدر سعادتي.. لذا أرجوك لا تكرهها
وتحطمي سعادتي معها.. دعيني أعيش معها بخصوصية كاملة
كما كانت حياتك..))

تخضبت وجنتاها بخجل من تفكيرها الذي أظهرته أمامه لكنها
سارعت الاعتراض متمته وهي تقاطع آخر حديثه

((هل تظن فعلا أن حياتي كانت منفصلة عن عائلة والدك؟))

أجابه بعفوية وهو يبعد رأسها قليلا عنه وينظر لها

((لا أعرف بالضبط كيف كانت مع والدتي أبي ولكن دعيني
أعيش مع جالا كما تمنيت أن تكون حياتك أنت))

ابتعدت روعة عنه وهي تتنهد بتعب وتهز رأسها تعده بذلك
راجية سعادته فقط..

بعد دقائق وحول سفرة الطعام كانت جالا تأخذ الشاي من روعة
متمتمة بالشكر فتقبل روعة منها الامتنان على عكس عينا كل
منهما اللتان تظهران الكثير من الحقد والكراهة للأخرى على كل
ما حدث قبلا..

لكن فضل الجميع ومنعا لحدوث المزيد من المشاكل أن
يستمرروا بهذه التمثيلية الرديئة وادعاء المسامحة والحب أمام
الباقيين..

خرجت يارا من غرفتها لتجلس معهم ملقية تحية الصباح
عليهم..

لم تكن تتناول وجبة الفطور سابقا لأنها تكون بوقت مبكر..

ولكنها استيقظت من نومها على صوت دخول جالا للبيت
فنهضت فوراً من مكانها تنوي مشاركتهم الفطور..

فوجود جالا هنا مرتبط بحدوث المشاكل وهي لن تفوت أمور
كهذه..

لقد مللت الحياة الساكنة الفاترة التي كانت تعيشها هنا بعيداً عن
إثارة وتشويق افتعال المشادات والشجارات..

بقي الصمت سيد الموقف بينهم جميعاً..

وكانت نظرات جالا نظرات ساهمة مثقلة بهمومها ومشتتة
الفكر..

هل والدته هي من شجعته ليلتقي بسهر وربما يعود لها؟

لماذا إذا أصروا على عودتها مذلولة لهم إذا كانوا يريدون عودة
سهر له؟

ربما لم يطلبوا عودتها.. لكن والدها هو من ترجاهم لتعود
زوجة لمراد..

تنهدت جالا ببؤس وهي تفكر بأنها لن تكون سهلة أبدا من الآن
وصاعدا..

بل وإذا حاول أحد من هذه العائلة الإساءة لها سترد له الإساءة
بعشرة أمثالها..

راقبت يارا خلجات جالا بتمعن قبل أن تقول بصوت لا يخلو
من تلك نبرة المستفزة

((نورتي البيت يا جالا.. لقد طال غيابك.. بالنسبة لي فأنا فعلا
افتقدت وجودك.. لكن لا أدري إذا ما كانت خالتي روعة أيضا
افتقدتك أم لا))

قالتها ثم نظرت لخالتها بابتسامة خبيثة لكن روعة أحبطتها
وهي تنتظر لها بحدة تأمرها أن تصمت..

فيما تتحنج مراد مكانه وهو يرشقها بنظرات نارية متوعدة
لتزفر يارا بضيق قبل أن تعود للنظر في طبق طعامها..

لكن جالا قالت لها بينما تبتسم ابتسامة مصطنعة بشكل واضح

((طبعاً اشتقت لها))

ثم قالت بقلّة احترام وهي تنتظر للطعام بعدم رضا

((لكن فطور اليوم محبب جداً بالنسبة لإنسانة لم تدخل معدتها
أي لقمة منذ صباح الأمس))

أغمض مراد عيناه بيبأس لكلام جالاً فهو لا ينقصه أي مشادات
كلامية بهذا الصباح..

بينما وجه والدته كان ممتعضاً وعيناها غاضبتان من كلام
زوجته المصون..

حاول تهدئة الوضع بالحديث عن أي شيء آخر إلا أن والدته
سارعت القول

((لو نزلت سيادتك بوقت مبكر لهنّا وساعدت بصنعه لكننا الآن
نجلس حول سفرة أكبر وألذ من هذه الأطباق.. صحيح؟))

رفعت جالاً حاجباها بتعجب وصرحت بوقاحة بينما تعيد بعض
خصلات شعرها للخلف بغرور

((أنا الآن ساكون امرأة مشغولة.. لدي دوام جامعي يومي ولن
أكون متفرغة للقيام بأي نوع من أنواع الأعمال المنزلية حتى

بمنزلي.. بل لربما سأضطر وللأسف أن أتناول جميع وجبات
طعامي هنا..))

قاطعتها يارا التي كانت شاردة بعالم آخر وهي تسألها
باستغراب

((لحظة.. لحظة.. أزيلى الوشاح عن رقبتك قليلا وابعدي
شعرك.. هل هذا قرط جديد؟))

قطبت جالا حاجباها باستغراب..

فأبعدت الوشاح الذي كانت ستلبسه فوق شعرها عند خروجها
ومسكت قرطها بينما تقول

((نعم وماذا فيها؟ أحب أن البس قرط جديد في كل حين))

التفت مراد ينظر لقرط جالا قبل أن يقول بلطف هادئ مفسرا
لتساؤل يارا الغير ضروري

((لقد كُسر القرط القديم بغير قصد منها.. وكنت أنوي أن
أشتري واحدا جديدا لها أو أرى إذا ما كان يمكن إصلاح ذلك
القرط لكن جاءت تلك الأحداث وأيضا..))

كان يقصد بالأحداث تلك المشكلة الكبيرة التي حدثت ولكنه بتر
كلماته فهو لا يريد تذكر الأمر حتى.. لقد أخطأ الجميع..
وخاصة هو..

إلا أن جالا هزت رأسها ببساطة وهي تقول وتدعم كلامه

((نعم لقد كُسر فيعته قبل مدة قصيرة واشتريت بسعره هذا
القرط الذي ألبسه الآن.. هل من غير المسموح لي أن ارتدي
قرطاً غير القرط الذهبي الذي أعطاه مراد لي بيوم زفافنا مع
باقي المجوهرات الذهبية؟))

صرخ الجميع بها بصوت مستهجن عالي واحد

((مــــــــــــــــــــــا إذا؟))

حاولت جالا التظاهر بالبراعة بينما تقول ببساطة وبصوت
منخفض

((القرط لا يمكن إصلاحه.. لقد كُسر ولن يعود كما كان أبداً..
إذا لم أبعه لكنت تخلصت منه حتى مع ما يساويه من قيمته لأنه
ذهب.. فلماذا الاستغراب؟))

أنهت كلامها وهي تمط شفيتها باستهزاء حاولت عدم إظهاره..

ليصرخ مراد بها بصوت عنيف خشن أمامهم جميعاً

((هل أنت جادة؟ ألم أقل لك مرارا إنني سأشتري لك بنفسني
غيره أي قرط تشائينه ولكن لا تباعي ذلك القرط لأنه هدية من
جدتي وأوصت أبي أن يعطيه لزوجتي))

صُدمت لكلامه.. فمراد لم يسبق وأن أخبرها عن أهمية هذا
القرط أو أنه مُهدى من جدته..

هو فقط قال لها ألا تبيعه وتحفظ به كذكرى لأنه هو من
أحضره لها..

انتفض مراد غضبا عليها وهو يمسك كتفها بخشونة صارخاً

((لا يهم أن يعود كما كان.. لكن احتفظي به.. فقط خبئيه
كذكرى))

ملامح وجه مراد بدت عصبية وجعلت من ملامح جالا تنكمش
بخوف لا إرادي جاهدت على إخفائه وهي تهز كتفها تبعد يده
عنها..

ثم انتصبت واقفة بتوتر يشويه لمحة من الخوف وهي تقرر
الذهاب الآن لجامعتها قبل أن تندلع مشكلة كبيرة كما ينبأ قلبها
المنقبض بقلب غير مرتاح البتة..

لكن ألفت يارا على مسامعها بتحقير

((لم أر بحياتي كلها إنسانة جشعة مثلك تحب المال لهذه الدرجة
وتبيع شيئاً غالياً تم إهدائه لها من قبل عائلة زوجها))

كلام يارا الموجه لها جعل من كل الغضب السابق لما فعلوه بها
يعود ليعصف بروحها.. ولم تكن ستغادر قبل أن ترد على
كلامها..

أجابتها جالا بعناد هي تشد على أسنانها

((لو كان هدفي من بيعه المال لما كنت بعته على الحال
وبأرخص الأثمان خاصة وكوني لا افهم بالبيع والشراء أبدا..))

وبدلا من دفع التهمة عنها.. جعلت الأمور أسوء والغضب
يتصاعد..

ضربت روعة الطاولة فجأة بيدها وهي تقول بحدة لجالا وكأنها
تبصق الكلمات

((أنتِ إنسانة حقيرة))

انتفضت جالا بقوة وهي تتراجع للخلف بخوف مستشعرة فداحة
خطأها.. لكن عاد وجهها يمتقع من نعت روعة لها بـ "الحقيرة"
لتقول بخفوت وهي تدافع عن نفسها

((أعرف كيف أرد عليك ولكن أفضل أن احترم نفسي..))

وقفت يارا من مكانها لتكون على نفس مستوى جالا بينما
تصرخ عليها باندفاع

((لا هيا ردي علينا.. لا تكلمي شيئا بصدرك.. هيا قولي))

خُطف اللون من وجه جالا وتركه مكانه الشحوب وهي تتأمل
الموقف حولها وغضبهم عليها.. فقالت بينما تهتم بالخروج

((حسنا يبدو أن وجودي أصبح غير مرحب به هنا.. لذا أفضل
أن أقوم الآن وأذهب لبيت أمي لإحضار كتبتي وأغراض
الدراسية لألحق بجامعة.. إلى اللقاء جميعا هنا))

لم تكن تريد يارا إنهاء الأمور على خير.. فسارعت تستفز جالا
قائلة

((نعم أيتها العبقريّة اذهبي للجامعة.. ماذا قلتي لي تخصصك
سابقاً؟ فنون جميلة؟ أي قسم بالضبط تدرسين بالتخصص؟
الرقص مثلاً؟ هل تريدين أن تصبجي راقصة موهوبة؟))

ولأنه كان يسهل استفزازها توقفت جالا مكانها تستدير ليارا
متخصرة بينما تقول وهي تشد على كلماتها

((ليس لك أي علاقة بماذا أدرس.. ثم هل تريدين مثلاً أن اترك
جامعتي مثل ابن خالتك ليعجبك أمري؟))

أطلقت روعة شرارات غاضبة ومحدرة من عينيها وهي
تتساءل

((ما الذي تقصدينه بالحديث عن ابني بهذه الطريقة؟))

شبح ابتسامة خافتة خرج من جالا تقصد فيها استفزازهم بينما
تقول باستخفاف قبل أن تهتم بالمغادرة

((لا أبدا.. لا أقصد شيء))

هل مثلاً تقارن بينه وبين ذلك الحقيّر بروسيا والذي سيعود
قريباً حاملاً لشهادة الطب؟

هذا كان ما يفكر به مراد تزامناً مع جملتها السابقة..

ولم يعرف من أين يجلب ماء باردا ويسكبها عليه لتغسل لروحه
ويستكين غليانها..

إنها تصرح ببساطة أنه لا يعجبها كخطيبها السابق..

صرخ مراد من مكانه وغضب مستعر بداخله

((جالااااا))

التفت جالا للخلف وهي تنظر إليه بتساؤل وريبة بينما تسأله
بقلة ثقة وصوت مرتجف وهي تستشعر بعاصفة هوجاء تلوح
في الأفق

((ماذا تريد؟))

وقف مراد من مكانه ليستدير للخلف لها.. اقترب منها ببطء
حتى باتت أنفاسه تلمحها..

وقال لها بتعابير منغلقة وغموض

((لا أظن أنك بحاجة للذهاب لها.. لا اليوم ولا أي يوم آخر))

معت عيناها بالتحذير رغم اهتزازهما وهي تنظر له مقطبة
حاجبها..

لكنها حاولت الهروب من عينيه النافذتين فيما بعد وهي تسأله
بعناد رافضة أن تدع خوفها وقلقها منه واللذان بدأ يطرقان
جنبات قلبها بالظهور على وجهها

((ماذا تقصد؟))

أجابها مراد ببساطة بفحيح أنفاسه

((أقصد أنني لا أريدك أن تكلمي تعليمك الجامعي..))

عادت تقطب حاجباها باستنكار لما يقوله وهي ترفع نظرها له
باستهجان..

ثم صرخت به فورا بحنق وجنون وهي تطالعه بتحد

((ماذا؟ هل أنت مجنون؟ كيف تريد منعي؟))

أمسك مراد بمعصمها ضاغطا عليها بقوة بينما يهتف بها
بشراسة ووحشية من بين أسنانه

((من تدعين المجنون هنا؟))

انسابت دموعها بدون أن تشعر من مسكه القوي لمعصمها..

فشعرت بالاختناق بينما تناظره بذهول وعدم تصديق..

تعرف أن مراد هادئ معظم الوقت ولكنه عصبي.. هو قلما
يغضب وخاصة منها..

لكن الغضب بنظراته الآن كان مخيفاً.. ولم يسبق وأن أظهره
أمامها سابقاً إلا مرات معدودة..

شعرت بها يضغط بيده على معصمها بقوة جعلها تنئن متألمة
وهو يهتف سائلاً بحدة

((هل نسيت أنك تتحدثين مع زوجك؟ كيف تتجرئين على
التناول عليّ والصراخ بوجهي؟))

دموعها المناسبة ونظرات كرها لها جعلت صدره يتحرك
بعنف..

سرعان ما أراحها ودفعها عنه بعنف بينما يعود للجلوس على
كرسيه حول سفرة الطعام بينما يقول هاتفاً بتحذير قوي أخافها
بدون أن ينظر لها

((إياك أن تحاولي حتى الخروج من هنا.. لا ذهاب للجامعة لك
بعد اليوم))

سمعها من خلفه تصرخ به

((هل تظن نفسك ستكون قادرا على منعي من الذهاب
لجامعتي؟))

ابتسامة مريرة هازئة شقت فمه بينما يقول لها متهمًا

((إذا لم أكن قادرا على ذلك فمن سيكون قادرا؟ أساسا والدك أيضا وبليلة زفافنا أعطاني كل الحرية بأن لا اسمح لك بالدراسة.. قال لي وقتها أنك كنتي تؤجلين فصلا دراسيا ولي الخيار بعدها بعودتك للدراسة أو لا))

سكنت.. بل فغرت شفيتها ولم تعرف ماذا تقول..

تراجعت للخلف بخطوات متعثرة.. ووجمت على حديثه..

لكنها لا تصدق كيف قال والدها له ذلك..

أكان متحمسا لهذا الحد بأن يتخلص منها ولأي شاب وحتى لو لم يكن يريد إعطائها أبسط حرياتنا وحقوقها؟

والآن كيف لا يهددها مراد بحرمانها من إكمال تعليمها ووالدها نفسه هو من سمح له وأعطاه الصلاحية لهذا؟

بل من أعطى والدها نفسه حق التحكم بتعليمها؟

دراستها هي الوحيدة التي يجب عليها أخذ قرار إكمالها أو لا..

تقدمت منه لتقف بجانبه بينما لا زال جالسا يتناول من طبق طعامه أمامه وكان لا شيء يحدث من حوله

((أنا من أدرس لا والدي فلا يهمني ما قاله لك.. أنت أخذتني وأنت تعلم أنني أدرس ولم تقل لي سابقا أنك لا تريدني أن أكمل

دراستي فليس لك أي حق بمنعي الآن.. لو كنت اعرف بأنك
ستحاول منعي عن دراستي من المستحيل أن أوافق على
الزواج بك.. الآن سأذهب قبل أن تفوتني أول محاضراتي.. إلى
اللقاء))

وقبل أن تهم بالذهاب كانت يده تضرب الطاولة بعنف و غضب
فتقلب الأطباق على بعضها ويقع بعضها أرضا ليشهق
الجميع..

ابتعدت جالا بفزع خطوات للخلف وقد تلطخت ملابسها ببعض
بقع الطعام..

بينما وقع معظم الحساء على بنطال مراد الذي هم بالوقوف
والاقتراب منها لئباغتها ويقبض على معصمها جاذبا إياها له..

رفعت جالا نظرها برعب له وبحدقتين مهترتين وهي تراه
ينظر لها بنظرات حادة..

ثم قال ببطء وجدية شديدة لها

((إذا تجرأت على الخروج من هنا فسأقدم على شيء لن
يسرك.. هل تفهمين؟))

نظرت له بحرقه.. وكأنها ما عادت تستطيع منع دموع القهر
والانكسار والهزيمة من انزلاقها خارج عينيها..

فسارعت تنفض يده التي بدأت تتراخي حول معصمها عنها ثم
هرعت إلى الخارج تصعد لشقتها فوق بدون حتى أن تصفح
الباب خلفها..

نظر مراد على إثرها وقلبه يختلج داخل صدره بقوه..

شعر على والدتها تديره لها من كتفه قائلة له بفخر وهي تربت
على صدره

((أحسننت يا بني.. أخيرا تخليت عن ضعفك أمامها وتصرفت
كرجل))

قطب مراد حاجباه لكلام والدته التي ارتبكت وسارعت تصح
كلامها متلعثمة

((لا.. لا.. لا أقصد أنك لم تكن تتصرف كالرجال معها سابقا..
ما قصدته هو أنك لم تكن تعرف كيفية التعامل معها.. ولكن
الآن بدأت تمشي نحو الطريق الصحيح.. لن تصدق كم أنا
فخورة بك لما فعلته معها قبل قليل.. الآن أنت فعلا ابني وابن
أبيك يا مراد))

سارعت يارا تدخل على الخط وهي تقول بينما ترمي المزيد
من الوقود والحطب فوق النار

((كان عليك فعل هذا من البداية.. فأنت لم تكمل دراستك بكلية
الهندسة لذا لا يجب على زوجتك أن تكون جامعية.. الزواج
المبني على اختلاف درجة التحصيل العلمي بين الزوجين

وخاصة عندما تكون الزوجة متعلمة والزوج غير متعلم هو
فأشل وسيكون هناك فجوة فكرية كبيرة بينكما.. لا يجب على
زوجتك أن تحمل شهادة علمية أعلى منك.. وإلا ستذلك في يوم
من الأيام بشهادتها.. ولن تكون معها الرجل صاحب الكلمة
المسموعة في البيت.. وأسوء ما في الأمر..))

كان مراد ينظر لها بنظرات زائغة من منطقتها الأحمق قبل أن
يسكتها صارخا بها

((يارا أكرسي.. قلبي مليء منك ومن أفعالك.. لذا تجنبيني قدر
الإمكان.. أقول كلامي هذا لصالحك))

انفضت يارا من مكانها خائفة من ردة فعله لتبتعد عنه وتغادر
بغضب المكان كله..

سألته والدته باستغراب وهي تراه يغادر المكان

((إلى أين ستذهب؟))

أجابها مراد قبل أن يغلق الباب خلفه بعنف

((لأغير بنطالي الذي اتسخ قبل الذهاب لعلمي))

صعد مراد الدرج نحو شقته والتي كان بابها مفتوح..

فدخل الشقة متوتّر الملامح يجول بنظره المضطرب بأرجاء
الشقة يبحث عنها..

كان متألماً جداً من الداخل ومشاعره مضطربة..

لا يعرف كيف فقد صبره ولكنها أستفزته بشكل كبير..

لقد أمضى شهراً كاملاً يعيش خوف فقدانها بعد خطأه الفادح
بحقها لكن الآن لا يشعر إلا برغبته في قتلها ثم اعتصارها بين
ذراعيه بعناق يكسر فيه أضلاعها..

وقف على عتبة باب حجرة النوم يسمعها تتحدث على الهاتف
مع والدتها..

كانت تجلس القرفصاء فوق سريرها ودموعها تجري على
خديها أنهاراً بينما تسمع والدتها تسألها بقلق على الهاتف

((هل حدث لك أي شيء يا جالا؟ هيا تحدثني أنت تخفيني))

شهقت جالاً بالأم وعادت دموعها تنهمر بقوة لتقول من بينها

((مراد منعني الآن من الذهاب لجامعتي وقال بانه لا يريد مني
أن أكمل دراستي.. هل تصدقين ذلك يا أمي؟))

كانت شهقاتها تزداد أكثر وأكثر وهي تسمع ضحكة هازئة
تخرج من والدتها مقهورة عليها بينما تقول

((وهل توقعت أن يفعلوا لك شيء آخر أقل سوءً من هذا بعد
عودتك لهم؟ وبالتأكيد والدته هي من سممت أفكاره ودفعته
ليتخذ هكذا قرار.. الآن لا أدري ماذا أقول لك.. أجلي هذا
الفصل مجدداً وأكمل دراستك بعد أن تجدي طريقة وأسلوب
لإقناعه لإكمال دراستك))

تنهدت جالاً بألم وهي تقول بصوتها الباكي

((لا لن أأجل أي فصل آخر.. يكفي تأجيل للفصول.. أريد
التخرج.. ستتخرج كل دفعتي قريباً باستثنائي أنا.. ثم ماذا ولو
لم يفتنع؟ هل سأترك حينها جامعتي وأودعها للأبد؟ لم يبق لي
ألا القليل للتخرج.. تخيلي أن احرم منها بعد كل هذه الوقت
والجهد الذي أمضيته في الجامعة؟ تعالى هنا وأخبريه يا أن
يسمح لي أن أذهب لها أو سيطلقني فوراً.. فلن أتنازل عن
دراستي))

تنهدت والدتها قبل أن تقول لها ببأس

((تتطلقين؟ حتى يقولوا ابنة فيصل وسميحة تطلقت لأنك فضلت
تعليمها على زوجها وبيتها؟ ثم هل تظنين أن والدك سيسمح لك
بالطلاق بحجة أن زوجك لا يريدك أن تكلمي تعليمك؟))

توقفت جالا عن البكاء ومسحت بكفها دموعها وهي تقول
بنظرات متحدية

((لا يهمني كلام أبي أو كلام أي أحد آخر عني.. ألم أخبرك بعد
أن أبي سبق وقال له أنه له حق أن يجعلني اترك جامعتي بدلا
من أن يؤكد عليه أن يبذل جهده من أجل سعادتي؟ لو كنت
أعرف أنه سيكون هكذا معي لما وافقت أبدا على الزواج منه
ولكنت ربما متزوجة الآن من أحدا آخر لم يكن لسلبني أبسط
حقوقتي))

بدأ تنفس مراد الذي كان لا يزال واقفا على الباب منذ بداية
محادثتها يزداد غضبا وعنفا..

نفورها المستمر منه حتى وهم بأفضل حالاتهم وندمها الشديد
على الزواج منه يقتلانه ببطء..

هل كان هو المسؤول عن عدم شعورها بالأمان معه؟ لكن..
تبا.. تبا لكل شيء..

منذ أن داهمت جالا حياته لم تقلب موازينه فقط بل وانتشلتها
كلها منه..

لكن هل هذا ما تتمناه؟ أن تتزوج من شخص غيره؟ هل تقصد
ذلك الموجود بروسيا؟

ما قالتة الآن كان وكأنها استلنت خنجرا تغمدته داخل جسده كما سبق وأن فعلت به كلماتها المسمومة قبل هذه المرة..

بالسابق ولأنه كان يراها هي وكرام معا انسحب من حياة كل منهما وقطع كل صلة أو صداقة تربطه بهما بهدوء..

لأنه لم يكن سيسمح لنفسه بأن ينتزع فتاة لا تحبه من آخر يخصها وتخصه..

لكن الآن وقد أصبح حلم طفولته ومراهقته وصباه واقعا..

وبعد أن أصبحت زوجته.. حلاله.. ملكه.. فسيدفن أي رجل يفكر فيها.. بل سيدفنها هي لو فكرت بأن تصبح ملك أحد غيره..

رأها تعاود البكاء عند سماع والدتها تهدر لها

((جالا.. لنعد بذاكرتنا للبدائية.. ألم ابكي أمامك في يوم زفافك وطلبت منك ألا توافقني على الزواج من ابن تلك الأفعى ومع ذلك تجاهلت كلامي وأصررت على الزواج غير عابئة بقهري فقط لأجل أن تتزوجي؟ إذا كان قرارك فتحلمي مسؤوليته))

زفرت جالا قبل أن تقول بإصرار

((والدي.. والدي هو من أقتعني..))

استنكرت أمها كلامها وهي تخاطبها بالمنطق و غضب منها
بالماضي يعود ليستحضرها

((لم يكن سيجبرك والدك ولا أحد آخر على الزواج منه لو أنك
لم تقولي إنك موافقة.. تعرفين أن والدته تكرهني وتكرهكن إذا
لماذا وافقتِ على الزواج منه؟ هل أصابك الجنون وقتها؟ ألا
تعرفين بأن الفتاة عندما تتزوج فهي تتزوج من عائلة زوجها
كاملة لا منه وحيداً؟ وإذا لم تكن عائلته وخاصة أمه راضية
على زواجك من ابنها فصدقيني لن تهنيئ أبداً بل ستهدم حياتك
وسعادتك في سبيل التخلص منك مهما كان يحبك زوجك.. فما
بالك بحالتك أنت.. تزوجك فقط كبديلة عن تلك العروس
الهاربة))

قالت جالا بقهـر

((أمي أرجوك توقفي عن لومي.. أنا بالبداية قلت لنفسي بعد أن
تقدم والده لطلب يدي على قلبي قبل لساني الموافقة عليه.. لم لا
وهناك صلة قرابة بيننا وهو مثال الشاب الذي تتمناه كل فتاة؟
أخلاق ونقود وشهامة ورجولة.. مع أنني كنت لا أحبه منذ
الصغر عندما كان يزعجني بكل ما يفعله.. لكن لم أكن أتصور
أن الأمور ستؤول إلى ما ألت عليه.. الآن أنا نادمة جداً.. نادمة
على الزواج من مراد.. نادمة لأنني تزوجت منه.. وصدقيني لقد
كرهت كل فكرة الزواج.. أريده فقط أن يطلقني))

كلمة أخرى.. وأخرى يسمعا قولها تكون بمثابة طعنة حادة
تصل إلى وتين قلبه..

بعد أن لم يحلم حتى بالزواج منها تريد منه أن يطلقها؟
وطواعية؟

صحيح أن كرامته تأبى عليه أن يبقها على ذمته وقلبها لآخر..

وأنها بأقصى الخيارات ستكون له جسد بدون روح وقلب..

لكن هي تزوجته بمليء إرادتها وعليها أن تتوقف عن حلمها
بتطبيقها..

ظهر الإحباط والخيبة على جالا وهي تسمع والدتها تقول بشكل
نهائي

((جالا.. حلي مشاكلك بنفسك.. من الآن وصاعدا ليست لي
علاقة بأي شيء يتعلق بزواجك.. لو أنك من البداية سمعتي
كلامي ورفضتي مراد ما كان حدث ما حدث.. لم تأبهي بي
عندما تزوجتني فلم سأفعل الآن؟))

أغلقت سميحة والتي كانت ملاذها الأخير الهاتف عليها فدفنت
جالا وجهها بين كفيها بحزن شديد..

كانت تعرف أنها تخوض مغامرة غير مضمونة العواقب في
الارتباط بمراد.. ولكنها فعلت.. للأسف..

لكن سرعان ما شهقت متفاجئة تبعد كفيها عن وجهها وهي
تسمع صوت خطوات تسير نحوها..

رفعت نظرها للمرأة الكبيرة أمامها وعيناها تتسعان بذعر
لرؤية مراد خلفها..

اعتدلت من مكانها واقفة وهي تستدير للخلف بخوف له..

كان يقف مكانه كالجدار الصامت قيل أن يتقدم منها وهي ترى
كيف تزداد عيناها للتوحش بينما يهتف باسمها عاليا لتنتفض
مكانها وهي تطالعه بقلق وخوف..

حرك نظره لشفيتها الرقيقتان.. فتهدجت أنفاسه محاولا إخماد
تلك الرغبة الحارقة التي تشتعل في أحشائه ملحة عليه أن
يعاقب ما نطقت به شفّتها..

ويشبع في ذات الوقت توفه منها بعد كل هذا البعد عنها..

سارع الاقتراب منها قبل أن تهرب منه ليقبض على معصمها
جاذبا إياها له مكتسحا إياها بقبلة لا تقل وحشية عن عينيه..

كان يعتصر شفتيها يمتص رحيقهما وهو يحتويها بين ذراعيه
غير أبه لمقاومتها وضرباتها الضعيفة له..

كانت قبلة شهية ولاذعة المذاق..

لم يفصلها عنها إلا بعد أن أختق كلاهما وطالبت رثتهما
الهواء..

فابتعد مراد عنها محاولا النقاط أنفاسه الثائرة ودقات قلبه تكاد
تصم أذنيه وكله رضا على حمل شفتاها المنتفختان علامة
مليكته لهما..

كانت جالا تتنفس وتلهث بعنف وهي تنظر له بنظرات سوداء
تحولت للشراسة..

استمر مراد باللهاث وهو يقرب رأسه منها بينما يقول لها
بصوت أصابه التخمة بعد نهله لرحيق شفتاها

((أنا زوجك الآن.. وأنت ملكي كما أنا ملكك أيضا.. فياك أن
تندمي على زواجك مني.. هل تفهمين؟))

لا يدري ما إذا كان قد قالها بإصرار واستماتة قوية بدون أي
يظهر بحة ترجي في صوته بأن تقر بتلك الحقيقة ولا تنفيها أم
لا..

لكن عيناه كانت تلمعان بحزن ورجاء خالص..

لم يندم على ما قام به قبل ثوانٍ بل كان عليه فعله منذ البداية
وقد قارب صبره عليها على النفاذ..

بل هذه القبلة هي أقل ما يمكنه فعله حتى لا يفقد سيطرته على
نفسه والتي تهدده بالانفلات بأي لحظة..

عادت جالا ترفع بصرها إليه فقراً نظرات الارتباك المترقصة
في عينيها لتفاجئه بالقول وهي تمسح ثغرها وكأنها تحاول مسح
أثار قبيلته

((ابتعد عني.. لا أسمح لك أن تلمسني وتقترب مني.. أنت
تعرف أنني كنت أريد الطلاق ولم أعد لك إلا رغماً عني..))

سكنت تستجمع شجاعته وتبحث عن كلماتها لترد بـرجاء

((والدي لا يريدني أن أتطلق منك.. لذا أرجوك طلقني من
نفسك دون الرجوع إليه بعد مدة قصيرة.. فلا يمكن للحياة بيننا
الاستمرار..))

اتسعت عينا مراد بدهشة يطالع وجهها عند طلبها الطلاق منه
بهذا الشكل الصريح..

فكّر على أسنانه محاولاً ألا يفقد السيطرة على نفسه بينما
يسمعها تتابع

((لا يوجد أي حب أو ود بيننا.. كيف تريد منا أن نبقي
متزوجان؟))

لقد اكتشفت بشكل أكيد أنها لا تقدر أن تبقى زوجته.. فهي لا
تستطيع إعطاءه حقوقه بل لن تستطيع أن تعطيها لأي أحد
أخر..

كما أن والداه لا يحبانها ولا يترددان بجعل حياتها جحيماً معه..
وهو لا يستطيع أن يجعلهما يقفان عند حدّهما..

فضلاً عن أنها لا تستطيع أن تنسى كل ما فعله بها بالسابق..

والآن يريد حرمانها من أبسط حقوقها في طلب الطلاق؟

هز مراد رأسه بابتسامة باهتة ومريرة يسألها

((هل تريدني مني أن أطلقك بعد مدة قصيرة من الآن؟))

ردت جالاً دون تردد

((نعم أريد الطلاق منك.. وحتى موعد الطلاق فلا أريد أي تواصل بيننا مهما كان نوعه.. أي أننا سنعيش كأخوين فترة من الزمن ثم نتطلق))

وعلى عكس كل توقعاتها نظر مراد لها بحاجبين مرفوعين وفجأة انفجر ضاحكا أمامها بضحكة لا روح فيها ولا معنى..

ضحكة جافة وساخرة لا تحمل أي بريق أمل أو بهجة..

لا يعرف إذا ما كانت ساخرة على طلبها السخيف أو الحال الذي يعيشه معها؟

لكن اشتدت نظراته حدة بعد أن توقف ضحكه وهو يسألها

((نعيش كأخوين؟ وكيف كنا بالسابق نعيش معا؟ ألم تكن نعيش طوال الأشهر الماضية كالأخوين؟))

سكنها الخوف وأرعبتها نظراته غم من أنها لم تكن متأكدة مما يريد فعله.. فسألته بتوجس عقب أن ازدردت ريقها

((ماذا ستفعل؟))

أمسك مراد بعضدها بقوة وقربها إليه قائلا لها وفحيح أنفاسه يضرب جانب وجهها

((الحقيقة أنه لا تعجبني هذه الاتفاقية.. ولا أظن أنني سأكون قادرا على الالتزام بها بعد الآن.. وربما أريد تجاوزها.. الآن))

رغم خفوت نبرته أثناء حديثه إلا أنها بدت حادة كالصراخ المبحوح مما جعل الخوف يدب في أوصالها بشكل أكبر..

ازدردت جالا ريقها مرة أخرى بينما تقول متيقنة بصوت مرتجف وهي تهز رأسها يميناً وشمالاً

((لا لن تفعل شيئاً بي))

احتقن وجه مراد غضباً.. بل وبهذه اللحظة شعر بكبريائه ينفذ..

فلوى شفتاه بابتسامة ساخرة وعيناه تلتمعان بينما يتراجع بخطواته إلى الخلف قليلاً ليُتاح له رؤيتها كلها..

كانت جالا تدرك مفاد هذه النظرات جيداً وخاصة عندما تخرج من رجل يمرر نظراته ببطء فوق حنايا جسدها..

قال مراد لها بتسلية

((وما الذي قد يمنعني؟ فأنت كما تعرفين زوجتي شرعا
وقانونا))

بعصبية ونزق ردت عليه

((لقد قلت سابقا لي أنك من المستحيل أن تأخذي رغما عني فلا
تتراجع عن كلامك الآن))

كانت تحتاجه بما قاله فعلا لها.. فأخذت أنفاسه تزداد وحشيةً
وغضباً..

ليغير الموضوع وهو يسألها بانفعال بينما كل خليه في جسده
تتحفز

((ألم تقولي لي بنفسك أنه لم يرغمك أحد على الزواج بي؟ ألم
اتصل بنفسي على هاتفك قبل حفل زفافنا لأتأكد من أنك موافقة
على زواجنا؟))

نكست رأسها للحظات قبل أن ترفعه وتواجه نيران الغضب
المشتعلة في عينيه لتجيبه بوهن

((نعم.. ولكن لم أكن أعرف أنني لن أستطيع تقبلك.. صدقني لم
أعرف))

أغمض مراد عيناه وهو يشعر بأحشائه ما تزال تحترق بلا
توقف.. بل شعر بها تنصهر وتذوب بداخله..

فتح عيناه بعد لحظات ليقول لها مستكرا بغضب

((لماذا؟ لماذا لا تستطيعين تقبلي وتسليمي نفسك بعد مرور كل هذه الأشهر.. ألا تستطيعين فعل هذا إلا بعد أن تحبيني؟))

علت ملامحه نظرة إجرامية وجهه بينما أطلقت عيناه اللتان بدتا أكثر قتامة وظلمة شرارات مخيفة..

فحث خطاه الغاضبة نحوها حتى صار لا يفصل بينهما شيء مجدداً وهو يقول لها والشياطين تحوم حول رأسه

((هل تعلمين ماذا؟ أنا لا يهمني أي شيء ولا أرى أمامي إلا أنني ما عدت قادرا على الصبر أكثر.. لذا اعتذر منك على إخلالي بكلمتي ووعدتي السابق.. ولكنني أعدك أنني سأبذل جهدي وسأحرص على أن تكون راضية بعد ما يحدث حتى لا تحزني من إتمام الأمر))

فزعت جالا لكلماته وقربه وتسلل برد الخوف والتوتر إلى جسدها..

ازدرت ريقها بصعوبة منعته وجمدتها من الصراخ عليه ودفعه بعيدا عنها..

رأته يتطلع إلى ملامحها بجرأة شديدة وهو يبتسم ابتسامة شرسة ذنبه..

أقتربت أنامله منها ورغما نفورها منه امتدت لتتلاعب
بخصلات شعرها المتمردة تبعدها عن وجهها خلف وجهها..

أشاحت جالا وجهها بعيدًا عنه بنفور لكنه لم يأبه لها وهو
يستأنف كلامه بصوت أجش

((جالا حتى ولو لم تكوني تحبيني.. أعطيني فرصة وسأريك
كيف سأسحب استجابتك.. ورغما عنك.. ولن تكوني إلا راضية
كل الرضا))

بقي وجهها المشيح عنه مكانه وهي تأخذ نفسا مرتجفًا تقول له
بصوت متذبذب رافض

((أرجوك.. مراد.. توقف.. أتوسل إليك))

أوجعه توسلها له بأن لا يقربها.. لكن بعد لحظات انكمشت
ملامحه باشمنزاز ليقول لها بخشونة

((لقد قررت الدخول للعبتك.. لن انتظر أكثر ولا مزيد من طلب
الوقت للاعتياد على بعضنا.. هل فهمتي؟ ليس هناك أي نية لي
للتراجع الآن.. ولا يوجد لديك خيار آخر إلا الاستسلام لي يا
مليكتي))

عند كلماته هذه نظرت له بصدمة قاطبة الحاجبين.. أي لعبة
يقصدها؟

وسرعان ما بدأت تدفعه عنها بثورة بينما تصيح به بغضب
وجنون قبل أن يفعل ما يقوله لها

((لا.. لا أريد.. ابتعد عني.. مراد ابتعد))

أمسك مراد ذراعيها بخشونة ثم لوى أحدهما بقوة خلف ظهرها
ليقرب جسدها إليه أكثر ويصبح ظهرها ملاصقا لصدره..

حاولت جالا التملص منه بيأس هادرة

((أرجوك.. أرجوك.. أتوسل إليك يا مراد اتركني))

لماذا لا يفهم حتى بعد كل هذه الأشهر أنها لا يمكن أن تكون له
أنثى؟ لا له ولا لأحد آخر..

لأن المشكلة بها هي.. لكن متى سيفهم؟ متى؟

عاد يشعر بتوسلاتها ألا يقربها بجرح ينحر قلبه..

فأطلت من عينيه اللتان لم تراهما نظرات متوسلة بينما يقول لها

((بل أنا من أرجوك يا جالا.. اقتليني.. ولكن لا تبعديني عنك..

انصهري بداخلي.. لا مزيد من الابتعاد وجفاء أنوثتك مقابل

عطائي.. لن اسمح لك بالابتعاد.. أبدا))

عشقها من بين الجميع.. وأختارها قلبه دون الآخرين وأدخلها
دنياه.. فألا يمكنها أن ترحم قلبه العاشق المسكين؟

لو تدعه فقط يعلمها كيف يكون العشق.. وكيف يخفق القلب
للشوق..

يريدها أن تعرف كيف تشتاق لروحه وكيف تنادي على قلبه
وكيف تعيش لحظات شوق لحبه صادق..
يريدها أن تعيش معه ما لم تعشه مع أحد غيره..

أما جالا فكانت وكأنها لا تسمع له بينما تحاول التملص من بين
يديه ودفعه عنها..

إلا إنها لم تقدر على رفع ثقل جسده عنها قيد أنملة..

فاستمرت تصيح عليه بقهر

((ابتعد عني.. لن اسمح لك بلمسي.. ابتعد))

استمرارها بالصراخ عليه بأن يتبعد عنها أفقده ما تبقى من
عقله..

جعلته ومن دون أي إرادة منه يعيد جلب سيرة قديمة..

لم يتحدثنا بكل صراحة وشفافية المرة الأخيرة عنه..

فكيف تتوقع منه أن يعلق سيرته بلا عودة؟

أفلمت قبضته إياها بينما يدفعها لتقع على السرير الموجود
بجانبيها..

استدارت جالا تنظر له من بين دموعها عقب أن وقعت على
السرير وهي تتراجع للخلف زاحفة بينما تسمعه يسألها

((قولي لي.. هل ما زلت تنتظرين عودة كارم لك مرة أخرى
لك؟))

فغرت فاها لذكر كارم واهتزت حدقتيها..

لماذا يجلب سيرته مجددا؟ هل سمعها تذكره قبل قليل مع أمها
على الهاتف؟

لكنها لم تقل شيء سيء له.. بدأ هذيانه بسيرة كارم تتعدى
قابليتها للتحمل..

فهل يقصد هذا المجنون أن يعاود الشك فيها عقب أن تأكد من عفتها؟

انتبهت جالا كيف يتقدم منها مراد لتراجع أكثر للخلف بتعثر فوق السرير..

كان ينظر لها بعيون تنفت نيرانا غاضبة ومجروحة بينما يقول لها

((كيف تتجرتين على قولها لي صراحة قبل قليل؟ كيف تريدني مني أن اقبل عدم رغبتك بإعطائي حقوقي ولمدة طويلة؟ أنا لن أتنازل عن حقي بك كاملا للأبد.. هل تفهمين؟))

هجم عليها يمكسها من كتفيها يهزها بعنف وعينه تقدحان شررا.. كأنها تحرقه نارا وتتركه رمادا.. صرخ عليها

((أنتِ ما تزالين واقعة بحب كارم؟ صحيح؟ هيا أجيب؟ هل أنتِ وفية له إلى حد عدم رغبتك بتسليم جسدك لأحد آخر غيره ولو كان زوجك؟))

بُهِت وجه جالا للكلامه.. ألهذا جلب سيرة كارم بأول احتدام حصل بينهما وشك فيها؟

أبظن أنها لا تزال تحبه؟ لكن لماذا؟ فقط لأنها سبق وخطبت
منها ولمدة طويلة؟

لكنها قررت سابقا بأن كارم ومهما بلغت عظم وضخامة
المشاعر التي كانت تكنه له.. إلا أن كل هذا أصبح لا شيء
بالنسبة لها..

نعم ستحفظ له جميله ودفاعه عنه سابقا للأبد.. إلا أن عليها أن
تمضي بحياتها ببساطة..

وبعد زواجها من مراد فهي لم تجلب ما يسيء له إلا ببعض
التفكير والأمنيات حوله..

وذكرياتها السابقة معه والتي لا تستطيع التحكم بها ولا حق له
أن يلومه عليها لأنها لم تظهرها له وهو لا يعرف بها..

أغمضت عينيها تهمس بار تجاف لهذيانه

((أرجوك مراد اهدأ ولا تصرخ بهذا الجنون.. باب الحجرة
والشقة لا يزالان مفتوحان.. قد تسمعنا أمك أو يارا))

لكنه لم يهتم وهو يقولها لها ساخرا بقسوة

((لا تقلق لن يصلهن إلا صراخا بكلمات غير مفهومة.. دعهم
يظنون أنني أدبك والزمك حدودك.. أو ربما يعتقدن أنني أخيرا
قررت أخذ حقوقي منك))

حاولت إبعاده عنها إلا أن ازداد تشبثا بها..

فسألته بتوسل لا تملك معه سوى دموعها

((لماذا تفعل هذا بي؟))

أجابها بسؤال وهو يصرخ عليها

((بل لماذا تفعلين أنتِ هذا بي؟ لماذا وافقتِ على الزواج مني
إذا كانت تلك هي الحقيقة؟ لماذا لم تنتظري حتى يعود لك
وتحلان مشاكلكما معا.. بدل إدخالني بالمشاكل التي بينكما.. ما
ذنبى أنا لأكون طرفا ثالثا بينكما؟ ما ذنبى لأدخل لعبتك القذرة..
لا اتهامك بشيء أخطأت به معه.. بل أتهمك بما تخططين للقيام
به مستقبلا بطلبك الطلاق بعد امتناعك عني))

لا تلومه أبدا في هذا الجنون الذي يتحدث به.. فامتناعها غير
مبرر..

لكنه يظلمها باتهامه إنها تريد الطلاق منه لأنها تنتظر عودة
كارم لها ولا تريد جعل آخر يلمسها غيره..

حركت جالا رأسها نافية وهي تغمغم له

((أنتِ مجنون.. إنك تهذي بأمور غير منطقية.. مراد أرجوك..
ابتعد عني.. أنا فقط لا أصلح لأكون أنتى.. أعرف أنني أظلمك
بامتناعي عنك ولكنك ظلمتني أيضا بما فعلته بي سابقا وما
زلت تفعله بي.. والديك يظلماني ويحولان حياتي معك لجحيم

ومن قبل المشكلة الأخيرة.. أرجوك طلقني فنحن لا نصلح
لبعضنا.. دعنا نفترق للأبد وننهي هذه المهزلة))

لا زالت مصرة على الطلاق؟ إذن هي عندها أمل في الزواج
من غيره بعد طلاقها منه..

لكن.. جالا لن تكون لغيره.. ولن يأخذها أحد بعده..

مهما حدث وسيحدث.. لن تكون لأي رجل من بعده..

بكل الجراح والألام والعذاب الذي تسببت بها له لن تكون
لغيره..

ستبادله الحب وستكويها نيران حبه لها كما تفعل بها وبصرعه
حبه لها وقلبه لها..

اكتست ملامحه وحشية بدائية بينما يسألها بجمود

((مهزلة؟ زواجنا نحن مهزلة؟ وتريدين الطلاق بهذه الشدة؟ هل
تصرين على الحفاظ على نفسك لتكوني فقط لمالك القلب
وتقنعيه بالزواج منك بعد طلاقنا؟))

اتسعت عيناها جزعة تنعته قائلة

((أنت مجنون))

يحبها بل يعشقها هذه الأنثى التي بين يديه.. لكنه طفح الكيل معه.. صرخ ملء صوته بها

((بل أبله.. كنت أبلها لأنني لم اعرف أنك ومنذ أول يوم بحياتنا الزوجية تنوين الحصول على الطلاق.. كنتي تخططين للزواج مني من أجل الانتقام منه وبعدهما تتشفين فيه تحصلين على الطلاق وتزوجينه عندما يعود لك نادما وذليلا..))

صدم مراد نفسه أكثر منها لطريقة تفكيره وصراحة كلماته ودواخله.. سمعها تعترض بكره له

((لقد كانت عودتي لك من البداية خطأ كبيرا.. كفى عن اختلاق المزيد من القصص السخيفة عني.. هل تراني غانية أم ماذا؟))

لكنه هز رأسه وهو يقول لها

((لا بأس.. سأتوقف.. ولكن وعلى الأقل وقبل حصولك على الطلاق.. أعطيني حقوقي.. اعتبريها مقابلا بسيطا بدلا من إدخالني بلعبتكما الفذرة.. وبعد أن أنالك كلك يمكنني أن أطلقك.. لن يكون مقبولا بحق رجولتي أمام آخر أن يتزوجك عذراء بعد أن تتحري من زواجك بي.. أم تخشين أن تقل فرصة زواجك إذا لم تتيق بنتا؟))

عقدت حاجبيها وهي تصرخ به باشمئزاز ساخر تنكمش على
نفسها ثم تحضنها

((حقيير.. من البداية هدفك أن تنالني بقذارة.. إذن لن تحررني
من هذا الزواج ومن البقاء مع شخص مثلك إلا هكذا؟))

بهتت ملامحه تماما وهو يلتقط ما تقوله هادرا بقسوة يقصد
إيذائها

((لا أدري بالحقيقة.. ربما اقبل بعدها أن أرميك له وربما لا..
لكن المهم هو أن اخذ حقي من هذه الصفقة ولا اخرج خالي
الوفاض))

ثوان وابتعد عنها وهو يشرع في فك أزرار قميصه تحت
أنظارها الباهتة لتصرخ به برعب

((أرجوك مراد.. أنا لن أتحمل.. لا تفعل هذا بي.. سأموت لو
فعلتها))

سخر من كلامها وهو يرفع حاجبيها

((هل ستموتين حقا لو فعلتها؟ إذن اقبلي بشرف الموت على
يدي))

ثم عاد يتقدم منها فوق السرير يقول لها مبتسما بسخريته
المريرة وعينه تشعان نيران الغضب..

ويأكل من ثانية باغتها في القبض على كاحلها ليجذبها له
ويعلوها فتصبح كلها تحت جسده..

ثبت يداها الاثنان المرفوعتان فوق رأسها بقبضته القوية وهو
يرشقها بنظرات مخيفة..

انتفض جسده إثارة كما دفعته رغبة جامحة بداخله في أخذها
رغما عنها ووشم سائر جسدها بملكيتها حتى يكسر روحها كما
تفعل بروحه وقلبه..

قرب فاه من ثغرها ليقنتصه بجنون ووحشية وأسنانه تدمي
شفقتها..

يده الأخرى كانت تستببح جسدها غير أبيه لمحاولاتها العنيفة
الهيستيرية بالابتعاد عنه..

تركت قبضته يديها ليبدأ بتمزيق ملابسها وقد فقد السيطرة على
نفسه كلياً..

دفن وجهه في حنايا عنقها لتنتفض رعباً أكثر وأكثر وهي
تضرب صدره بيديها اللتين تحررتا لكي يتركها لكن بلا فائدة..

استمر مراد بما يقوم به حتى بدأ صوت نحيبها ونشيجها يعلو
أكثر ويخترق أذنيه فيصمهما لتعي نفسه المغيبة على تمتتها

التي كانت تخرجها من فمها بصوت ميت مصاحبة لشهقات
منتالية باسمه

((مراد.. أرجوك ابتعد.. أرجوك))

توقفت حركته بشكل تدريجي وعاد للخلف قليلا لينظر لها
بنظرات مذعورة وكل جسده يرتعش غير مصدقا أنه كان قبل
لحظات يجثو فوقها ويحاول بتصميم نيل أنوثتها وبهذه الطريقة
فقط انتقاما لكبريائه الجريح منه وليروي ظمأ حبه لها..

كان مصعوقا ولا يصدق ما كان يحاول فعله..

ابتعد عنها فورا وصدرة يتحرك هبوطا ونزولا بعنف وهو
يراها مغمضة العينين تبكي بهيسترية بينما تتمم بكرة

((أنا أكرهك.. أنا أكرهك يا مراد))

انقبض صدره.. وملامحه المتوردة التي كانت تنبض بحيوية
شابة بدت فجأة شاحبة ولونها باهت يحاكي الموتى..

وكأنه قد كبر عدة سنين فوق عمره..

وجد نفسه يصرخ عليها هو الآخر بجنون

((لا تتخيلين كم أبادلك الكره أنا الأخر أيضا.. أنت.. أنت.. أنت
تحوليني لإنسان آخر لا اعرفه))

قال كلماته الأخيرة لها باشمئزاز واضح ثم ابتعد عنها وخرج
من الحجرة نحو الصلاة..

بقي بالصلاة لدقائق طويلة يجيئها ذهابا وإياها كالتائه..

لا يصدق أنه كان سيفعلها..

لا.. لا.. من المستحيل أن يفعلها بها.. حتى ولو لم تصرخ عليه
لم يكن ليفعلها..

لقد كاد يرتكب شيئا كان ليندم عليه طوال حياته..

دائما ما كان يمني نفسه بالصبر.. ودائما ما يقدم تنازلات
وينحني للعاصفة ولا يقف مع جالا في العناد أو يقابلها..

يعرف أحيانا أنها تكون عاطفية ولا ترى الأمور بنظرة عميقة
ولا بعيدة وإنما تنظر إلى الأمور في الواقع الذي أمامها..

كان عليه أن يكتفي بعقابها بدون أن يتمادى..

ألا يكفيها أنها متزوجة منه هو وقد خسرها كارم؟

لا يجب عليه أن يستهين بسطوة كارم على مشاعرها أو على جزء من مشاعرها فقد كان خطيبها وحببيها لفترة طويلة..

لكن لماذا لا يعرف كيف يتصرف بذكاء؟

ببساطة لأنه رجل شرقي دمائه حارة ومتزوج من امرأة تكن مشاعر لغيره وترفض أن تدعه يمتلكها بل وتطلب الآن منه الطلاق..

تنهد مراد بتعب شديد وهو يذفن وجهه بكفيه..

لا يزال لا يصدق حياته الحالية..

لم يكن زير نساء ولا شايبا وقحا يلاحق الفتيات مثل معظم الشباب..

حتى وبأيام مراهقته كان يئأ بنفسه عن المغامرات النسائية..

وقد ظن بأنه وبعد كل صبر هذه السنوات قد منّ الله عليه
بالزواج ممن أحبها..

ليتعرض لصدمة أنها تنفر منه بشكل لا يصدق وترفضه مهما
بذل جهدا من أجلها..

سمع نحيب جالا من داخل حجرة نومهما ينخفض فعاد يدلف
للداخل..

رأها لا تزال مستلقية تسند رأسها بكفها التي تضعها فوق
السريير..

تقدم منها وأمسك معصمها هامسا

((جالا))

صرخت وهي تنفض يده عنها

((ابتعد عني.. لقد حاولت نبلي رغما عني.. وإذا كنت تشكك
بعلاقتي سابقا مع كارم بسبب كلام أمك السابق أو..))

قاطعها وهو يقول بإصرار بينما يمسك معصمها بقوة ويرفع
ذقنها ليرى عيناها الحمر اوان تحملقان به بحقد

((اخرسي.. أنا لم أشكك بك.. وندمت على ما حدث بالسابق..
لكن مشكلتي معك الآن هي بالمشاعر.. أنت تأملين الزواج منه
بعد طلاقك مني.. صحيح؟))

قاطعته بعنف نافية ومدافعة عن نفسها

((اقسم لك أنني لا انتظر الزواج من أحد ولم اتفق مع أحد
لأتطلق منك..))

نظر لها بعينين جامدتين قائلاً ببرود

((ممتاز.. إذن لا داعي للطلاق.. ولا مزيد من الحديث عن أي
رجل آخر أبدا.. وطلاق فأنا لن أطلق.. من الآن وصاعدا
سأقوم بأخذ كل ملابسي وانتقل لحجرة أخرى في الشقة.. ليس
لعدم مقدرتي على أخذك ونيلك رغماً عنك.. بل لأن نفسي
عافتك.. هل تسمعين؟ نفسي هي من عافتك.. افهمي هذا جيداً..
لأننا سنعيش لأخر عمرنا هكذا.. لكت ستبقين بجانبتي
وزوجتي))

كان يتحدث معها بإصرار بينما بقيت جالاً تنتظر له بكرة
للحظات طويلة..

ثم نكست رأسها لتبدأ البكاء بينما تحاول فك معصمها من أسر
أنامله وهو يرفض بقوة ذلك..

جلس بجانبها يراها تبكي لدقائق طويلة إلى أن اكتفت وشعرت
بالجمود..

فوجد نفسه من دون سابق إنذار يرفع ذراعيه حولها ويضمها له
غير أبها لتمنعها العنيف عنه..

شدد من عناقه القاسي لها وهو يدفنها بأضلعه بينما يحكم قيده
حولها..

وبنفس القوة يرفع يداً ويمدها خلف رأسها ليدس وجهها بحنايا
عنقه بينما يسمح له أن تعود لمتابعة بكائها وبؤسها..

بقي جالسا على هذه الوضعية معها لدقائق أخرى محتفظا بها
في أحضانها رغم تصلب جسدها الذي لا يزال يرفضه..

بينما كانت أنامله تسرح بين خصلات شعرها البني الرقيق
والذي استطلال قليلا..

ما إن خفت شهقاتها وصوت بكائها حتى قال لها

((اغتسلي وغيري ملابسك.. سأذهب لعملي وأوصلك
لجامعتك))

غمغمت وهي ما تزال تخبأ رأسها في حنايا عنقه

((قلت لي أني لن اذهب لجامعتي بعد الآن))

تنهد بتعب قبل أن يقول لها بصوت هادئ

((وقلت الآن اغتسلي وغيري ملابسك حتى أوصلك في طريقي
لجامعتك))

همست له بوهن وهي لا تصدق منطقية ما يقوله.. فكيف
ستخرج من المنزل بحالها السيء سواء من الخارج أو الداخل

((أنا متعبة))

بنفس نبرته الهادئة وبحزم أكثر قال لها

((يكفي أعداؤا.. الآن ستخرجين ولن انتظري أكثر))

عاندته وهي تبعد رأسها قليلا عنه

((كيف سأذهب لها بحالتي هذه ثم لقد فاتتني أول محاضرة))

مد أنامله ليمسح آثار عباراتها هادرا

((بقي هناك محاضرات أخرى.. لذا ارتدي ملابسك وسنخرج
معا.. كم مرة عليّ أن أعيد كلامي))

افلتها ببطء وقام من موضعه ليتجه نحو دولا ب ملايسه بينما
رفعت جالا أناملها لفمها تلمس شفيتها ولا تعرف كيف يمكنها
إخفاء هذه الأثار بينما تهمس له

((حسنا))

بعد ساعة..

نزل مراد بخطوات قوية مسموع الدرج ثم توجه لسيارته دون
أن يمر على شقة أمه بينما تنزل جالا خلفه الدرج بخطوات
هادئة ومتزنة..

وعند نهاية الدرج التقت عينا كل من جالا وبارا التي كانت
تنظر من نافذة الشقة وتراقب نزولهما..

فلم تحرم جالا نفسها من متعة رشقها بنظرات وشبح ابتسامه
انتصار تداعب ثغرها بينما تعدل حمل حقيبتها..

استدارت يارا للخلف تنفث أنفاسها بغضب وهي تسير
بخطواتها متجهة نحو خالتها المتواجدة بالمطبخ تقول لها
ساخطة

((هل تعرفين شيئاً يا خالتي؟ لقد رأيت الكثير من الخراف
المتزوجين في حياتي.. ولكن لم يسبق وأن رأيت خاروفا مثل
ابنك مراد.. قامت زوجته بإهانته وإهانة رجولته أمامنا وبدلاً
من أن يتصرف معها كرجل ويضع حداً لها ولتصرفاتها
وكلامها.. يخنع ويخضع لها بهذا الشكل المخزي.. بل ويوصلها
لجامعتها بنفسها.. وكأن المواصلات العامة ليست من مقام
جلالتها))

=====
=====

تقدمت الطيبية تعتذر من إيمان

((أنا اعتذر منك جداً يا مدام إيمان))

بدا سخيفاً أن تعتذر الطيبية منها بشكل جدي وكأنها فعلاً فقدت
وخسرت حملها..

عم الصمت بينهما ثم فتحت إيمان شففتها الجافتين لتقول بينما
هي مستمرة بوضع كفها فوق بطنها

((أشعر بأني أرغب بإجراء فحص الحمل مرة أخرى في مكان
أخر))

استدارت الطبيبة تنظر لها بشفقة وهي تجلس مكانها بلا حركة
وهناك ألم شديد ظاهر بعينيها الشاردتين بضياح..

تنهدت الطبيبة ثم قالت لها بصوت مواسي

((مدام إيما.. على حسب آخر موعد تواصل جسدي لك مع
زوجك وبالرجوع لحساب مواعيد العادة الشهرية.. فلو حدث
أي حمل فسيكون بشهره الثالث.. ونظرة واحدة لبطنك
المسطحة كعارضه أزياء رشيقة قامت بتعريض نفسها للتجويع
عدة أيام قبل عرضها المهم الذي سنشارك فيه.. من المستحيل
أن تكوني حامل))

بدت أخر كلمات قالتها الطبيبة ساخرة أكثر من كونها مواسية
فعضت على شفتيها بندم..

لكن لم يكن ساخرا أكثر من طلب إيما البائس بالكشف على
نفسها في مكان آخر..

تنهدت إيما بتعب وهي تنظر لراحة يدها الموضوعه فوق
بطنها..

وكم تمنت لو كانت تستطيع إطلاق العنان لدموعها.. ولكن
عقلها مستسلم لشعور الخواء الذي تملكها..

كان هناك خواء مروّع في ذهنها.. ليس افتقارا للمشاعر.. بل شيءٌ آخر مُختلف.. خاوي بشكل تام..

تقدّمت منها الطبيبة أكثر تضع يدها على كتفها تقول لها بشفقة وحزن على حالها

((افهم يا مدام مدى خيبتك بعدم وجود أي حمل.. ولكن لا يوجد أي خطأ بالكشف الذي قمت به.. أنتِ بالفعل لست حامل.. ولكن لا داعي للحزن فأنتِ لم تدخلي بعد عامك الثامن والعشرين وما زال العمر أمامك أنتِ وزوجك لإنجاب المزيد من الأطفال))

الحقيقة أن إيمان كانت تشعر بالدوران والغثيان بالفترة الماضية.. مما جعلها تظن بشكل غير معقول وبشكل غير واقعي أنها حامل..

تجاهلت رشاقة جسدها ومعدتها المسطحة المشدودة كعارضة الأزياء..

تجاهلت أيضا حيضها وقد سمعت قبلا أن قدومه طبيعي ببداية أول ثلاث أشهر عند بعض النساء..

وبالبداية قامت بإجراء اختبار الحمل المنزلي.. وبالعجب.. وعلى عكس ما توقعت كانت حامل فعلا كما كانت تتمنى..

وسارعت تزف هذا الخبر السعيد أنها حامل أمام عائلتها..

ووالدها بدوره علم احمد وأخيره أمامها وكم بدت سعيدة وهي تنتشى بنظراتها بأحمد عندما علم بحملها..

لكن الآن فلا يوجد شيء يعبر عن كم تبدو أمام نفسها مثيرة للشفقة..

سمعت الطبيبة تقول لها بينما ترتب أدواتها

((لقد كنتي تقومين بإجراء الكثير من الفحوص من السنة
الماضية حتى تحملي مرة أخرى.. وكل الفحوصات كانت تشير
إلى عدم وجود أي عيب فيكي.. لذا لا تقلقي يا مدام إيمان.. أنت
سليمة تماما ومسالمة حملك هي فقط بمشيئة الله))

تنهدت إيمان بتعب مجددا وهي تقوم من مكانها وبحركات
متعبة ترتدي حقيبتها بينما تسألها بياس شديد وبصوت ميت
((إذن لماذا لم يحدث أي حمل بالسنوات الماضي؟ ابني أصبح
في السابعة من عمره..))

ابتسمت لها الطبيبة بحنية وهي تقول لها تدعوها للتفاؤل بينما
تهز رأسها
((كل شيء سيحدث بمشيئة الله يا عزيزتي))

=====
=====

تنهدت هيام بتعب وهي تقف مكانها وتجمع أوراقها استعداد
لانتهاؤ يوم دوامها الطويل..
سمعت صوت طرقات الباب لترفع نظرها لدخول أحد زملائها
بالكلية والذي سألها بهدوء وهو يتقدم منها
((دكتورة هيام إذن أنت لم تغادري بعد؟))

التفت هيام حول مكتبها هادرة وهي تحمل حقيبتها وأوراقها
تستعد للرحيل قائلة

((لقد أخذني الوقت.. ولكني لا أستطيع البقاء هنا أكثر فقد
تأخرت على العودة لبيتي))

ظهر على وجهه أمارات التوجس وهو يصدح بطلب صريح
مباشر أكثر منه كسؤال

((إذا هل ستتنازلين عن الشكوى بحق المعيد راند؟))

بدأت هيام وبشكل سريع تنحت تعابير وجهها بقساوة الصخر
وهي ترد عليه بصلاية

((بالتأكيد لا.. أنت أيضا تعرف أنها ليست شكوى.. كل ما في
الأمر أنه طلب مني أن اشهد وشهدت وانتهى الأمر ولن أترجع
أبدا))

نظر لها وهو يحاول بكل جهده أن يطفى غضبه من مثاليتها
الزائدة والمغیظة قبل أن يزيد وهو الذي جاء ليتحدث معها
محادثة سريعة متعقلة ليقول

((تلك الفتاة كانت تحاول إغراء راند سابقا وحاولت التبلي
عليه.. وأنتِ تقفين معها ضده؟))

عقدت هيام حاجبيها وهي تجيبه بلامح قاسية لا لين فيها

((دكتور أنا ليس لي أي علاقة بالإشاعات المنقولة أو أي أمور
أخرى قد لا اعرف مدى صحتها.. كل ما يهمني هو أن اشهد
بما حصل أمام عيناى.. نحن نتحدث عن مسألة اعتدائه عليها
وحتى لو كان لديها سابقا مشاكل معه فهذا لا يخوله لفعل ما
فعله..))

بدأ وهج الغضب يتضح على ملامحه فقام بتأجيجه وهو يقول
بنبرة عالية أقرب للصراخ وهو يشير بيديه بدعم ما يقوله

((إذا كنت شاهدة فلا بد أنك رأيت كيف خالفت تلك الطالبة التي
اشتكت عليه قوانين الجامعة وكانت تستحق التوبيخ منه..
صحيح؟))

ظهر العناد على عينيها وهي ترد عليه بينما تعقد ساعديها أمام
صدرها

((نعم صحيح لقد رأيت كل شيء.. ذلك المعيد المدعو رائد كان يراقب معي بالقاعة وطلبنا نحن الاثنين من جميع الطلاب عدم فتح أوراق الامتحان إلا بعد إنهاء توزيع الأوراق على الجميع.. وتلك الطالبة خالفت أوامرنا وفتحت الورقة وبدأت بكتابة اسمها.. وكنت سأتصرف معها وقتها قبل أن أراه يتقدم أمامي ويقوم بشتمها ثم ينهال بباقي الشتائم على باقي الطلبة بأسلوب مبتذل.. هو لم يكتفِ بتوبيخها بل وضربها على رأسها بمجموعة كبيرة من الأوراق التي كان يحملها في يده كما قام بدفعها من كنفها))

صرخ فيها مستنكرا

((وما دخلك إذا كانت الفتاة نفسها أو أي أحد من الطلاب لم يتدخل بالأمر؟ لم تكن ستشتكي على رائد إلا بعد أن حرصت عليها))

أجابه هيام باستهجان

((كيف تريد مني أراه يقوم بمثل هذا التصرف أمامي بدون أن أتدخل بالأمر؟ بالطبع كان عليّ أن أشتكي عليه لتبأشر الجامعة بالتحقيق في الحادثة والوقوف على ملابساتها وأن تتخذ إجراءاتها القانونية بحق اعتدائه على الطالبة.. الآن بما أن الطالبة نفسها اشتكت عليه فقد خرج الأمر من يدي وأصبحت مجرد شاهدة))

ثم اقتربت هيام من مكانها نحوه وهي تستطرد كلامها بنفس التعابير السابقة

((وربما عن قريب سأشتكي عليه هو وعائلته الكريمة التي تدخلت في الموضوع.. وكان كل حديثهم معي بالتهديد والوعيد والشتم باللفاظ نابية جدا.. لا أدري إذا ما كانوا يظنون أنهم قادرين على الاستمرار في مسلسل تهديداتهم وشتائمهم لي دون أن يتم إيقاف وردع أي أحدا منهم؟ لأنني لست سهلة أبدا.. لا

أصدق أنهم تبلوا على سمعة المسكينة لمجرد أن قامت بالشكوى
ضد ما فعله بها))

همس لها وهو لا يصدق مجابتهها له بهذا الشكل وهو الذي
يعلوها مكانة بالكلية وأقدمية وعمرا

((هذا لأنك يا أنسة هيام تدخلت بشؤون غيرك وتسببت له
بضرر.. شكواك أنتِ دوننا عن الكل بعد أن رفض أي طالب أن
يشهد عنه أفسد على رائد كل شيء وقلب حياته رأساً على
عقب.. ما زال شابا يافعا ببداية عمره وقد قمت بالتسبب بضرر
كبير له بفعلتك يا دكتور))

توبيخه وكلامها لم يزحزح شيئاً من صلابتها وعنادها وهي
تقول دون أن تخشى أحداً أو شيئاً

((أنا لن أراجع عن أي شيء ولن أغير أياً من أقوالي.. وسأقف
بجانب تلك الطالبة للنهائية.. وقريبا سأشتكي عليه لتعرضي
للتهديد والتوعد والشتم بألفاظ بذينة من قبل أشخاص من
طرفه))

ضيق عينيه وهو يعي ما تقصده.. فتنهد بيأس قبل أن يقول لها
بتهديد صريح وتوعد

((لكن عليك أن تكوني حذرة أكثر من هذا يا أنسة هيام.. قد
تتعرضين لأذى من قبل عائلته بالحرم الجامعي.. وأخبرني أباه
أن أقوم بتبليغك أنه يعرف كيف ينقذ ابنه من كل هذه الفوضى
بدون أن يتعرض لأي أذى فلا تخسري نفسك مقابل لا
شيء..))

لم تظهر هيام أي شيء على ملامحها قد تدل على تأثرها
بتهديده.. ليسترسل

((للمرة الأخيرة أقول لك أنتِ لن تقدرى على عائلة رائد.. لذا
اهتمي بنفسك جيدا.. فرائد وعائلته لهم اتصالات ووساطات

كثيرة داخل وخارج الجامعة وعائلته قادرة على ضرك ولن يستطيع أحد أن يقف ضدهم.. فأحذر أن تنتهي الأمور إلى ما قد يساء فهمها فتؤدي إلى مشاكل لك قد لا تحمد عقباها))

ابتسمت هيام بسخرية على كلامه.. بالتاكيد هي تعرف عن عائلة رائد.. فهو كشاب فاشل لم يكن لصبح معيد لولاهم..

لكنها لم تهتم وهي ترد صفة تهديده بصفة ثقنها وهي تقول
بتحدٍ من بين أسنانها

((دكتور.. ليس لعائلة رائد أي حق شرعي أو قانوني أو عشائري أو حتى جامعي بان يتعرضوا لي بشيء.. وأخبر والده بأنه لو فكر بفعل أي شيء لي فسأطلب من رئيس الجامعة نفسه أن يتدخل لإنهاء المشكلة.. فالجامعة مكان للعلم وبناء الأجيال وليست مكان للتهديد والوعيد وتشكيل العصابات.. وأخبر رائد لو كان يريد أن يصبح أستاذ جامعي ذو مكانة مرموقة هنا فعليه أن ينسى التهديد والوعيد والشتائم كأسلوب يتخذه مع الآخرين))

أنهت هيام حديثها وهي تظهر الاشمزاز من الرجل المحترم أمامها والذي كانت تحسبه رجل صاحب مبدأ..

فلم يجد أمامه إلا أن يغادر مكتبها ممتعضا.. لتخرج هي الأخرى حجرة مكتبها بعده بعدة دقائق..

=====
=====

كانت جالا تجلس على سريرها تشعر بألم بعد هذا اليوم المرهق وهي تمسك بيديها صور مراد وسهر التي تلقتها سابقا..

لقد ذهبت لبيتها لإحضار كتبها وأغراضها قبل الذهاب لجامعتها ولم تنس إحضار هذه الصور خوفا من أن يراها أحد عند دخوله لغرفتها بمنزل والدتها..

الحقيقة أنها جاءت هنا مع مراد ودخلت هذه الشقة وداخلها
تنوي وبكل جوارحها الانتقام منهم جميعا مما فعلوه سابقا بها..

لكن.. ما دام مراد يصير كليا على عدم الطلاق رغم وجودك
بداخله عنها هي وكارم..

فمعناها أن عودتها له ليست مثلا بسبب ترجي والدها لهم بأن
يعيدوها ولا يرجعوها له مطلقا..

ولكن لماذا يلتقي بخطيبته السابقة إذا لم يكن هناك نية له
بالتخلص منها؟

أغمضت جالا عينيها بتعب ثم تنهدت وهي تخبيء الصور جيدا
بإحدى جواريرها وتُعد نفسها لتغرق بنوم عميق بعد أذان
العشاء بمدة قصيرة..

بعد ساعات..

عاد مراد من عمله وفتح باب شفته ودلف للدخل..

خطى ببطء نحو حجرة النوم يستشعر سكونها التام..

اقترب من جالا التي كانت مستلقية على سريرها ليعرف أنها
نائمة..

تأمل بهدوء ملامحها البريئة الواهنة أثناء نومها..

منذ وأن تزوجها وهي تنام مبكرا ولساعات طويلة جدا بالنسبة
للإنسان الطبيعي..

لكنها لا تنام بالنهار حتى لا تنتابها الكوابيس على حد قولها..

شعر بسخونة جسده فمد يده لجبينه يتحسسه.. كأنه محموم..
محموم بها..

زفر بضيق ثم خطى نحو الحمام الموجود بالخارج ليأخذ حماما
باردا مع يقينه بأنه ولا مئة حمام بارد قادر على إخماد الحريق
بداخله..

بعد أن أنهاه ارتدى ملابسه وكان ما يزال يرتجف بردا..
فالشئاء لم ينتهي بعد..

عاد لغرفتها يراها ما تزال نائمة بسكينة وسلام لا تشعر
بوصوله..

بدت وكأنها تحلم بأحلام وردية سعيدة..

هل يمكن أنها تحلم الآن بذلك الساقط؟ نعم هو كذلك إذا تجرأ
أن يظهر بأحلام زوجة رجل آخر..

لكن لم لا تفعل فهي أحلام ولا يمكنها التحكم بها؟

هكذا فكر وابتسامة مريرة ترتسم على وجهه بغضب..

فكرة بأن زوجته قد تحلم برجل غيره يجعل المشاعر بداخله
كلها تتحول إلى غضب..

غضب عارم وحقه يزداد اشتعالا فيستعر بداخل عروقه..

انحنى برأسه فوق بشرتها الناعمة ينظر لها بعمق..

يحرك نظره ليركز فوق رقبتها الطويلة الفاتنة.. كم يتوق ليقبلها
بجوع ونهم..

بارتجاف قرب كفه لرقبتها الفاتنة.. كأنها يريد أن يخنقها وهي
نائمة..

لكنه كورها وهو يشد على قبضته حتى شعر بأن عضلاته قد تتمزق..

أنه يريد لها هي أن تتمزق لا العكس.. لعل الألم الذي بداخله يتحرر..

فأي شيء يتعلق بها يجعل منه وحش لم يدري بوجوده بداخله..
وكم يصيبه بالذعر والخوف الضعف الذي يعتريه بكل ما يتعلق بها..

هز رأسه لينفض كل الجنون الذي بداخله..

أنه يشعر بأن كل يعتريه يتراكم فيه.. يتراكم حد أن مهمة تربيته خاصة ومع مرور الأيام ستزداد صعوبة..

أعاد نظراته إلى الغارقة بنوم عميق أمامه وعلى سريره..

نعم هي الآن على سريرهما.. وبحجرة نومهما..

ولكنه يصادف وأنه أخبرها ومنذ اليوم سينامان بشكل منفصل
وسمضيان حياتهما لأخرها على هذا النحو..

لكن المهم.. المهم أنه لن يكون هناك أي طلاق..

فهو لن يسمح لها أن تكون وطنًا لرجل غيره بعد أن تزوجها..

كما لن يكون وطنًا لغيرها..

فهي أنثى من ذلك النوع الذي لا يمكن أن يُحب بعدها أبدًا..
وكانها بحياته جاءت لتأتي لتكون الأخيرة..

اعتدل من انحنائه ليندفع خارج الحجرة ويدلف الحجرة التي
أصبحت له من الآن وصاعداً وهو يشعر بياس حائق من الذي
يعيشه..

استيقظت إيمان من نومها فجأة على صوت احمد وهو يفتح
الباب ويدلف للداخل في تمام الساعة التاسعة مساء كما كان
يفعل بالأيام السابقة..

لا تدري هل كان بالعمل الذي يتأخر فيه غالبا لهذه الساعة.. أم
أنه يتسكع هنا وهناك مفضلا عدم العودة للمنزل إلا للنوم وكأنه
فندق.. مثل أيام سابقة قضاها هكذا..

عدلت من وضعية استلقائها على الأريكة هي وطفلها عدنان
الذي كان مستلقيا في نومه ومنكورا على نفسه بأحضانها أمام
التلفاز حيث كانا يشاهدان البرنامج الكرتوني المفضل لديه..

علق احمد مفاتيحه قبل أن يغلق التلفاز حتى لا يضطجع صوت
التلفاز العالي منام ابنه الصغير فيستيقظ هو الآخر..

قامت إيمان بتعديل وضع الدثار جيدا فوق جسد ابنها وهي تقول
بصوت أجش من أثر النوم وبعينين ناعستين لأحمد الذي توقف
على عتب باب الغرفة التي ينام بها ليسمعها

((ذهبت اليوم لطبيبة نسائية بعد عودتي من العمل.. من
الأساس.. أعني.. كنت أشك بموضوع حملي.. فأنا أجريت
الاختبار مرة واحدة.. وفي المنزل.. وأيضا..))

قطب احمد حاجبيه وهو يركز بالنظر فيها وملامح وجهه مبهمة
وهي تستدير له بينما باقية على جلوسها على الأريكة..

حثها على المتابعة هادرا

((وماذا أيضا؟))

نكست وجهها للأسفل لتقول بخيبة بينما تمسك يدها أنامل يدها
الأخرى

((اكتشفت أنني لست حامل))

دار احمد وجهه نحو الجدار ليقول ممازحا بيأس

((غريب.. كنت تضيعين راحة يدك على بطنك وكأنك حامل
بالفعل وتشعرين بالطفل بداخلك.. بل وقلتي أنك حامل بالشهر
الثالث.. ثم إذا قمتي بإجرائه منزليا كيف عرفتني عمره؟))

باغتته بسؤال والجديّة تعلق ملامح وجهها الصافي

((هل أنت سعيد لأنني لست حامل؟))

اخرج احمد نفسا طويلا ثم عقد حاجبيه مفكرا ليرد بجديّة زانفة

((الواقع أنا لا أدري ما هي حقيقة شعوري بحملك.. ربما..
صديقني لا أعرف))

قالها ثم دلف للحجرة التي بدأ النوم فيها.. لتقوم من مكانها
وتلاحقه وتقف عند الباب..

تطالعه بينما يخلع ملابسه.. حتى فك أزرار قميصه الذي وقبل
أن يخلعه نظر لها سائلا وهو يطم شفتاه

((لماذا تقفين هنا؟))

سألها ثم ابعد وجهه عن مرمى نظراتها غير قادرا على منع
نفسه من إطلاق ضحكة خافتة..

ضيقت عيناها وهي تسأله بهدوء مفتعل

((لماذا تضحك؟))

هز كتفيه وهو يخرج احدى مناماته البيئية من أحد الدواليب
الصغيرة التابعة للحجرة بينما يقول

((لا.. لا شيء.. ولكن الآن وبما أنه ليس هناك أي حمل.. إذن هل تريدين التوسل لي لأعود وأنام بجانبك في حجرة نومنا؟))

كانت عينا إيمان بهذه اللحظة تطلق شرارات غاضبة وهي تنتظر له..

تدرك انه فعلا لا يبالي أبدا بفكرة إنجاب طفل آخر..

ولولا أنها لا تريد تنبيهه بأنه مر بالفعل ست سنوات على عدم إنجابها لطفل آخر بعد عدنان وإلا لصرخت بوجهه إزاء هذا الأمر..

وبينما يجلس احمد على فراش ارضي ويضع الدثار فوقه قال لها بجدية

((إيما وبكل صراحة.. حملك لم يكن سبب انفصال هيام عني.. بل مكالمتك السابقة معها وأسلوبك وتهديداتك السابقة لها بأسلوب شوارعي هو السبب في قرارها بعدم الحديث معي))

قالها ثم وضع رأسها على وسادته ورفع الدثار ليغطي جسده ويدفنه جيدا وهو يستعد للنوم ممتعضا وابتسامة السخرية تُزال من وجهه..

لا يكاد يصدق أنه الأحوال آلت لما هي عليها الآن..

المشكلة هي أنه حتى بعد خسارته لهيام فلا يشعر بأن لديه أي رغبة بمحاولة إصلاح كل الدمار الذي حل بمنزله وبعلاقته بزوجته..

لأنه لا يراها إلا سببًا لفقدانه للمرأة التي أحبها..

بينما رفعت إيمان حاجبيها وهي تعود بعينيها وتنتظر له بشرارات لاهبة..

قبل أن تحرك زاوية فمها بسخريه ثم تغادر غرفته وتصفق
الباب خلفها بعنف شديد يعبر عن غلها وكرها تجاهه..

بعد ساعة..

كانت إيمان تطالع السقف بشرود وهي راقدة فوق سرير حجرة
النوم..

تململ ابنها عدنان من مكانه والذي كان مستلقيا بجانبها يرفرف
بعينه ويصدر همهمات لتنتبه إيمان عليه وتجذبه لأحضانها
بابتسامة حنونة..

سمعته يغمغم

((أمي لقد اشتقت لك جدا أثناء رحيلك))

ابتسمت إيمان وهي تنغمر أكثر وتتمتع بأحضان صغيرها..

منذ عودتها له وهو دائما ما يخبرها عن كم الاشتياق الذي عاناه
وهي بعيدة عنه..

فالحضن بالنسبة لصغيرها يعني له أنه موجود وبين يدي من
يحب..

يسعدها أنه دائما ما يشعر معها بالأمان وكأنها درع حمايته
وسترة واقية له من رصاص الألم وصقيع الحياة..

تمتمت إيمان له وهي تغمض عيناها

((حبيبي وأنا اشتقت لك أيضا))

قال عدنان ببراءة طفولية

((أريد أن أنام كل يوم هنا.. هل يمكنني ذلك؟ أنا سعيد أنك
توقفتِ على إجباري على الاعتياد على النوم وحيدا بغرفتي))

ضحكت بخفوت مرهق بينما تقول مازحة

((نعم حبيبي.. لقد طردت والدك من هنا فقط لأجل أن أدعك
تنام بجاني بدلا منه))

اعترض عدنان بطفولية

((ولكنني أريد النوم بينكما أنتما الاثنين))

كان صوته متحشرجا فأحضان والدته أعطته دفنا وشبعا
واحتواء وأملا.. بينما كان والده عند غياب امه يمثل له القوة
والشجاعة والحماس والإصرار..

وفي كل من أحضانها كان يشعر بالقبول.. والاهتمام..
والحب.. والرضا..

حركت إيمان أناملها تمسح آثار دموعها بينما تجيبه وهي تقبل
رأسه

((بالمرات المقبلة يا حبيبي))

وبدون أن تشعر عادت تلمع عيناها بدموع خفية لتغمضهما..

تقاوم كل شيء وهي تستمد من صغيرها الفرحة والبهجة
والطاقة المتجددة في أوردة نفسها وشرابين روحها..

تستمد منه الأمل.. العزاء.. الطبطبة.. وترياق لمحاربة هموم
لياليها وسموم أيامها..

=====
=====

في حجرة مراد..

كان مراد ما يزال يلهث مكانه بعنف يحمل مشاعره الجياشة
بقلبه عندما بدأ الوجوم يتسلل لملامح وجهه..

ينظر حوله بضيق كأسد أسير وهو يشعر باختناق شديد يجعل
من قلبه يعتصر ألما لبعدها المحبب هكذا..

وكأنها أبعدته فجاءة عن مصدر الهواء..

بكل مرة تتركه خلفها مشدوها مشتغلا يتأكله الألم والإحباط
داخل تجويف سحيق بداخل صدره..

تقبلبه لها يرحل به لجنة على الأرض وما إن يبتعد عنها
متحاملا على نفسه أن يكتفي بهذا القدر..

على الأقل للآن.. حتى يتسلل شعور عارم بفراغ ملبد بغيوم
رمادية لنفسه وروحه..

ما إن تفصل قبلتهما حتى يبدأ المخدر الذي يكتنف ألمه لبعدها
الجسدي والمعنوي عنه يتلاشى رويدا.. رويدا..

لقد بدأ يكره قربها فقط بسبب هذا الدقائق المحببة التي يعيشها
بعدها تقطع عليها لذة ومتعة البقاء أكثر بجنتها..

وأسوء ما في الأمر أنه متأكد أنها بدأت تتفاعل معه.. بدأت
تشعر بعاطفته..

فلماذا إصرارها على الابتعاد مستمر؟

لماذا تحرم نفسها قبل أن تحرمه الأمر؟

ارتفعت يده لتمسّد عضلة قلبه وهو يغمض عيناه..

رغبته فيها تصنع خُفرا في روحه.. بل تصنع جروحا..

فتح مراد عيناه تزامنا مع طرقات عنيفة عالية لباب الشقة..

اعتدل واقفا من مكانها يخطو نحو الباب وهو يهدر بصوت
متحشرج

((أنا قادم))

أطلت يارا عليها عندما فتح الباب وهي تقول مؤكدة بتكرار
وبعينين تشتعلان تشفيا

((خالتي تريدك الآن أن تنزل عندها.. الآن يا مراد.. الآن))

بعد دقائق..

كانت علامات الوجوم تحتل تقاسيم مراد وهو يخفض بصره
لكف والدته الممدود أمامه بما تعرض عليه..

رفع مراد نظره لوجه والدته ثم سألها باستنكار شديد بعينه
الغائرتين وصوته الذي كان يظهر جيدا رفضه لما تريده أن
يفعل

((ما هذا يا أمي؟))

أغمضت روعة عينها تنفس بهدوء.. ثم فتحتها تنظر لابنها
بتركيز وهي تشرح له وكأنه فعلا لا يعي ما تقصده

((مراد ركز معي.. أعطها هذا المنوم ثم أتم الأمر معها.. لقد نجحت هذه الطريقة مع الكثير من الأزواج.. اهم شيء ألا تقول لها أنك وضعت لها هذا المنوم بالشراب وإلا ستبقى متيقظة ولن ينفع معها أي مخدر بالعالم مهما كانت قوة مفعوله..))

أنهت روعة كلامها لينظر لها مراد بذهول وعدم تصديق مما تطلبه منه كما لو كانت كلماتها سقطت كدلو ماء بارد فوقه..

كيف عرفت بطبيعة علاقته مع زوجته؟

ولماذا تتدخل من الأساس مع أنه طلب منها ومن والده ألا يتدخلوا بحياته الزوجية أبدا من أي ناحية؟

ما أن افترقنا شفتا مراد ليتكلم معترضا حتى انتفضت روعة صارخة تمسك باقتنا قميصه بعنف تهزه

((اخرس.. اخرس.. اخرس.. لو انتظر الأشخاص الطبيعيين لشهرين لانقلبت حياتهم اكتباب وضيقة صدر فكيف بحالتك وأنت ما تزال تنتظر لما يقارب السنة؟))

بقي مراد ثابت مكانه ولكنه أشاح رأسه للجانب قائلا بصوت باهت.. أو ربما ساخر

((بل عشرة أشهر فقط))

من جهة يدرك أن كلام والدته منطقي جيدا..

من جهة أخرى مُصر أنه لا يحق لها أو لوالده التدخل بالأمر..

تراخت كفا والدته الممسكان بقميصه لكن بقي وجهها قريباً منه وهي تقول له من بين أنفاسها القوية

((حتى ولو.. تبقى هذه المدة مبالغ بها.. ومن الممكن أن تكون المشكلة منك أنت لا من زوجتك))

حرك مراد رأسه لوالدته ينظر لها باقتضاب شديد ثم قال لها
بحزم وبصوت لا يقبل المجادلة

((أمي توقي.. لن تقدرى على استفزازي بكلامك هذا لأفعل ما
تريدين..))

قطبت روعة حاجباها وملامحها تتسم بجدية أكثر بينما تقول
بحزم وقسوة

((أنا لا استفرك ولا أبالغ بل أتكلم بكل جدية))

أشاح مراد وجهه عن والدته بعبوس وغير رضا.. ابتعد عنها
بعناد ليجلس بعيدا عنها..

خرجت يارا التي كانت تستمع لكل حرف من حديثهم وتقدمت
من خالتها تهمس لها بأذنها

((خالتي سأصعد عندها وأقول لها ما كنا نخطط لفعله))

ثم أسرعت يارا تخرج من الشقة بخفة لتصعد الدرج لشقة جالا
بلهفة..

طرقت يارا بابها بطرقات عنيفة لتفتح جالا لها بعد وقت مقطبة
الحاجبين تنظر لها باستغراب..

حركت جالا رأسها بقصد أن تسألها "ماذا تريد"..

ابتسمت يارا لها ابتسامة واسعة مثشفية وهي تعقد ساعديها على
صدرها..

ثم تحركت للأمام تدخل الشقة وهي تدفع جالا بكتفها بقوة
لنتراجع جالا للخلف وهي تنتظر لها بصدمة فاعرة ثغرها
وعاجزة عن فهم ماذا ستفعل..

كانت نظرة شيطانية هي ما اشتعلت بمقلتي يارا وهي توزع
أنظارها للشقة وكأنها تراها أول مرة أو تتفقدنا بينما تقول وهي
تدعي الانشغال بالتفكير وتأمل المكان

((لا شيء.. فقط أمعن النظر بالشقة التي ستصبح لي من الآن
وصاعدا وأفكر بنوع ولون الأثاث الذي سأحضره بدلا من
الأثاث الحالي.. فمن المستحيل أن اجلس على نفس الأثاث الذي
كان مخصص لك كما فعلتي وعشتي بهذه الشقة والتي كل ما
فيها كان على ذوق سهر ووالدتها))

ارتسمت الصدمة على صفحة وجه جالا لتفغر فمها بشكل أكبر
حتى يكاد فكها ينزلق للأرض وهي تسأل بعدها بتلعثم
((لا أفهمك أيتها المجنونة))

التفتت يارا لها بشماتة لتقول بثقة وهي ترفع إحدى حاجبيها
وتعاود رسم ابتسامة جهنمية على وجهها بينما تلقي بقبيلتها
الموقوتة أمامها

((اقصد بأني سأتزوج مراد وسأبدأ العيش معه هنا من الآن
وصاعدا وأنت ستبدئين العيش عند خالتي روعة بالأسفل
بغرفتي الصغيرة))

خيم الصمت على المكان وقد طغت الصدمة فعليا على كل خلية
بجالا..

لتصبح عيناها زائغتان ووجها شاحب شحوبا يحاكي الموتى..

كل كلمة نطقت بها يارا كانت بمثابة خناجر تنغرس بروحها لا
تستطيع تصديقها..

شعرت جالا بانتفاضة تجتاح جسدها لتدنو من يارا شبه مترنحة
أمامها بانصعاق لتغمغم لها بالأم هامس وقد كان الذهول وعدم
التصديق مرافقا لنبرة صوتها

((أنتِ تكذبين أيتها الحقيرة.. من المستحيل أن يفعلها مراد..))

نعم وضعها ليس طبيعي مهما فضلت ورغبت باستمراره على هذا النحو..

ولكن بغض النظر عن أي شيء..

لن تسمح له بأن يتزوج.. لأسباب كثيرة أهمها أنها مملوكة.. هي فقط هكذا..

زفرت يارا وهي تحرك رأسها تدعي الشفقة عليها ثم همست لها بلنم لا ترحمها

((مسكينة أنت.. الأمر أصعب من أن تصدقيه.. لكن عليك ذلك وكلما فعلتها أسرع أرحمتي أكثر))

تشبثت يارا بالباب تفتحه أكثر بينما تقول بلامبالاة وهي تشير بيدها للخارج غير مبالية بأعصاب جالا التي كانت تهيج كعاصفة تهدد بسحق كل ما هو أمامها

((هيا اجمعي بعض قطع ملابسك وانزلي للأسفل وبعد ذلك سأرسل لك باقي أغراضك ثم سأغلق هذا الشقة ولن افتحها إلا عند اختياري لأثاث جديد لكل حجرة هنا على ذوقي أنا.. يكفي تنازلي لقبول الزواج من مراد وأنتِ على ذمته.. لذا لن أقبل بأقل من..))

لم تكمل يارا جملتها وجالا تهجم عليها مخرجة كل غضبها الجديد والقديم الذي لا زال يسكنها من أفعالها تجاهها..

تضربها بكل عنف وكلما حاولت يارا دفعها تنتشبت بشعرها أكثر بوحشية..

كانت صرخات يارا تصدح عاليا عندما اقتحم مراد المكان يشهق بصدمة وهو يحاول ابعداهما عن بعضهما..

وبصعوبة استطاع مراد أن يحل أنامل جالا عن شعر يارا
للتراجع يارا المحمر وجهها بخطوات متعثرة للخلف قبل أن
تقع أرضا بشكل مؤلم فتبدأ البكاء..

وقبل أن يفتح مراد فمه بكلمة التفت جالا نحوه تندو منه تضربه
بكفيها على صدره بجنون وهي تصرخ به بوجع

((لقد كنت اعرف أيها الحقير أن هناك علاقة بينكما.. لطالما
أخبرتكَ أن قربها منك لا يطمئنني.. كنت أخبركَ بذلك منذ بداية
زواجنا.. ألم أفعل!؟))

كانت الكلمات تخرج منها وهي تشعر أنها تنهار حرفيا
وصراخها يصل إلى أذن كل من في الطابق السفلي أيضا..

رفعت جالا ذراعها عاليا تنوي صفعه وكم تمنّت أن تهشم
وجهه أيضا إلا أن مراد أمسك كفها قبل أن تهبط عليه وهو
يشدد قبضته عليها بخشونة وقسوة صارخا بها

((توقفي يا مجنونة.. أخبريني ماذا فعلت يارا لك!؟))

كان يسألها وكله مصدوم بشدة وهو يحرق بوجهها الذي تحول
للون الأحمر القاني بحدقتين مهترتين وبحيرة شديدة..

رفع يده الأخرى لتحيط وجهها وجعلها تهدأ إلا أنها نفضتها
عنها بيدها هي الأخرى باننفاضة مرتعشة تصيح به وبكاءها
الذي يغشي عيناها كان وكأنه يذبح فواده بسكين بدون أن
يعرف سببه

((أيها الحقير تريد الزواج منها وجعلها تعيش هنا وتريد مني
السكوت.. سأقتلك أنت وإياها..))

فغر مراد شفاته قليلا واتسعت عيناها يستوعب ما تقوله..

يارا أخبرتها انه سينزوج منها وهي على الفور صدقت كلامها؟

بدون حتى أن تتأكد منه أو تراجع في الموضوع؟

كيف يمكنها تصديق كل ذلك وبهذه السهولة؟

رأها تتبعد عنه وتقول من بين شهقات بكائها قبل أن تدلف
لحجرة نومها لتلم أمتعتها

((طلقني.. طلقني.. أريد الطلاق والابتعاد عنك للأبد.. سأحزم
أمتعتي وأعود الآن لعائلتي ولن أبقى معك أبدا))

كلماتها كانت بمثابة طعنات له..

لقد تحمل ألا يقربها طوال هذه المدة متجاهلا كل ما نابه من
الأمر من الجميع من إهانات وكلام جارح لنفسه وكاسر
لرجولته.. فقط لأجلها..

لأجلها هي حتى لا تشعر ولو بأدنى شعور بعدم الراحة وتكفيرا
عن ذنبه السابق بحقها لتأتي الآن وبكل هذه السهولة وتطلب
الطلاق وبدون أن تكلف نفسها حتى التأكد من الأمر؟

أغمض مراد عينيه بقوة وشدد على قبيضته حتى ابيضت أنامله
من شدة اعتصاره لها وأفكار مشتتة ومؤلمة استوطنت مخيلته
المجهدة بكل ما يتعلق بها..

يبود أنه لا فائدة من كل ما يقوم به..

مهما يضحى ومهما يبذل جهدا لإرضائها فلن يجد منها إلا
النفور وطلب الفراق على أهون الأسباب..

أبكت كيانه الصامد بغباء في عشقها وتمادت بالأمر حد أنه لا
يستطيع وصف مقدار بالغضب والألم الذي يشعره بسببها..

لن يسامح تلك المستهتره بمشاعره بعد الآن.. وسيكسر ها كما
تكسره..

ازدياد وعلو نحيب الأخرى الجالسة على الأرض وهي تدفن
رأسها بكفيها بمحاولة منها للفت انتباهه لما فعلته زوجته بها
ليوقظه من هوة أحاسيسه المبعثرة فأخفض بصره نحوها..

هتف مراد لبارا بصوت حازم وبعينين غاضبتين لا تحملان
ذرة شفقة لها

((يارا انزلي للأسفل الآن.. تستحقين ما نالك منها))

أبعدت كفيها عنها تنظر إليه من خلال عينيها الغائرتين بالدموع
بغير تصديق..

وسرعان ما لبثت ثوان حتى اعتدلت واقف من مكانها ثم
هرولت خارجة من الشقة نحو الأسفل تنوي أن تشتكي ما حدث
لخالتها..

أغلق مراد الباب خلفها بالمفتاح فهو لا يريد أي إزعاج..

دخل لجرة النوم لينصدم برؤية جالا تجمع ملابسها وأمتعتها
في حقيبة كبيرة..

تنفس مراد بقوة واشتعلت النار داخله من جديد ليقترب منها
بغضب فيشدها من ذراعها هاتفها بها

((توقفي عما تفعلينه أو سترين مني ما لا يعجبك يا جالا))

صرخت به وهي تنفض ذراعها من بين قبضته وهي ترمقه
بازدراء تحذيري بأن لا يفكر حتى بلمسها

((اتركني سأغادر الآن واطلب الطلاق.. وهذا المرة بلا
تراجع))

قالتها ثم تقهقرت أمامه وهي تحمل الحقيبة نحو الخارج أمام
أنظاره المصوبة عليها..

الحقيقة الوحيدة الثابتة هي.. أنه يحبها كثيرا.. وبعمق..

لكنه اكتشف أيضاً أنها لن تلين ولن تبادله الحب..

لن تستسلم له ولن تسلمه قلبها ونفسها ولن تفضي بمكنونات قلبها أمامه..

وكلما أدرك هذه الحقيقة التي تحرق كيانه وروحه وقلبه كان الأمر عليه أسهل..

لذا لن يشعر الآن بأي ذنب وهو يكسرها ويطعن كبريائها وهو يضعها بقلب الضحية والتي تريد بإصرار لعب دوره..

فقال لها وهو يقف مكانه بصوت عالي قاسي وهو يراها تعاود الدلوف للحجرة لترتدي ملابسها مستعدة للخروج

((لن تذهبي لأي مكان يا جالا.. سأزوج من يارا وستبقين زوجتي لنهاية العمر.. هل تعيين هذا الأمر؟))

وإقراره بأنه سيتزوج من يارا صراحة بهذا الوضوح مثل شرارة انطلاق جنونها عليه..

استدارت له ثم قالت صارخة

((أيها الحقير أنا أكرهك وستطلقني))

تكررها لطلب الطلاق كان ما جعله يبدو وكأن شياطين الأانس والجن تطارده..

استند على الطاولة بجانبه وهو يتنفس مكانه بقوة يحاول السيطرة على نفسه.. لا يريد فعل شيء قد يتسبب بإيذائها..

أنامله تكاد تحفر الخشب المصقول بينما يغلق عينيه ليسيطر على غضبه الهادر..

رباه ما مقدار الألم الذي تسببه له الآن..

لكن يكفي.. لقد اكتفى من كونها غير مراعية وقاسية..

فتح عينيه يزفر مشاعره الغاضبة بصعوبة وعينيه تطلقان
شرارات غضب..

رأها تندفع خارج الحجرة أمامه بغضب وهي ترتدي ملابس
الخروج فأمسكت يده ذراعها بقوة يجذبها له ثم يعيدها لداخل
الحجرة بقوة وقساوة..

في تلك اللحظة رفع مراد عينيه لوجهها الشاحب المضطرب..
وتقابلت نظرات عينيه بعينيها للحظات ثم بدد مراد الصمت
قائلا بحزم

((لن تخطو قدمك للخارج وإلا ستالين ما لن يعجبك..
مفهوم؟))

زمت شفيتها تبرق عينيهما بتحدي وهي تقول بحرقة مغتازة
((بل سأخرج ولن تمنعني))

عاد الذعر يتمكن منها واثارت رعشة رعب في أوصالها عندما
مد يده يمسك مرفقها بعنف وهو يدفعها للخلف لتتراجع
بخطوات متعثرة فتصطدم بالحائط بظهرها..

تأوهت بقوة شديد تغمض عينيهما من شدة الألم وهي تكاد تسمع
صوت كسر عظامها..

سمعته يقول ببساطة خشنة صريحة

((تجرئي أن تخالفي أوامري وستالين جحيم غضبي الذي
سيحرقك حرقاً))

وبسرعة خاطفة سحب المفتاح من مقبض الباب مندفعاً للخارج
يغلق باب حجرتها خلفه ويغلقه بالمفتاح مرتين بإحكام..

أبقى المفتاح بداخل المقبص بينما يهتف بقساوة من الخارج

((ستيقين محبوسة هنا لأيام حتى تستردين عقلك.. سأتزوج من يارا ولن أطلقك أبدا ولا تحلمي به أصلا.. هل تفهمين؟))

بكت جالا بينما هي بالداخل بشدة من ألم ظهرها ثم حاولت بعدها بساعات الوقوف من مكانها وتحريك مقبض الباب بعنف وقوة حتى أدركت أنها محاولات لا فائدة منها..

لم تجد إلا أن تبتعد عن الباب بغضب تصرخ بصوت عالي أن يجرى ويفتح الباب عليها وهي تحيد بذراعها كل ما يوجد فوق أي طاولة بالحجرة..

إلا أن مراد النائم بغرفته التي أصبحت حجرة نومه منذ أشهر بسبب أفعال تلك المجنون كان غير عابئ لصراخها الذي كان في تزايد..

وهو لأول مرة لا يتوقف أمام دموعها ويصم أذنيه عما تصرخ به هي داخل الحجرة..

محاو لا تبرير فعلته لنفسه وتخطبه وردة فعله الشاذة هذه بحبسها..

هو حقا لا يستوعب كل هذه الأحداث التي تسارعت عليه والضغوطات التي تكالبت فوقه بظرف ساعة..

صباح اليوم التالي..

فتحت جالا النائمة على الأرض عينيها متأهبة بألم وأثار دموعها لا تزال ظاهرة على وجهها..

لقد نامت تأخذ وضعية الجنين وهي تضم ركبتيها إلى صدرها
وجسدها يختص وكأن بقائها محبوسة في هذه الحجرة أكثر
سيجعلها تختنق دون هواده..

ليلة أمس حاولت عدة مرات يائسة دفع الباب المغلق بكتفها
وجانب جسدها بلا فائدة إلا التسبب لنفسها بكدمات ورضوض
بأماكن متفرقة..

دخلت للحمام المرفق لحجرة النوم لتغسل وجهها الشاحب ثم
عاودت الجلوس على الأرض عند زاويتها المعتادة بركن
الحجرة وهي تضم ركبتيها إلى صدرها..

تحفز جسدها وجفلت على صوت فتح الباب بالمفتاح وتحريك
مقبضه من قبل المراد الذي دلف للحجرة..

اكتسح وجهه قساوة شديدة وهو يطالعها مخفيا بكل ما أوتي من
قوة وبصرامة نزيف قلبه المتأكل وجعا عليها وهو يرى شحوب
وجهها وملامحه البائسة والخالية من الحياة..

حتى عيناها كانتا متورمتان محمرتان من شدة البكاء وخصلات
شعرها البني الفوضوي مبعثرة..

حتى شفاتها كانت ترتجفان فزمتها بقوة..

دنا مراد منها بصرامة وهو ينزل على ركبتيه إلى مستواها
ليدرك كم حالتها مزرية..

أشاحت جالا بنظرها عنه منكمشة على نفسها لتتطأ رأسها
أرضا وكأنه تحاول حماية نفسها منه فهي تخشى نوبة غضبه
مجددا..

لم تنس كيف دفعها ليصطدم ظهرها للحائط بكل قوة..

ولا يدري لماذا وكان رؤيتها على هذا الحال أحمد القليل من
نيران غضبه السابق لما حدث أمس وهدئه..

قرب وجهه بملامحه التي بدت قاسية وصارمة أكثر من أي مرة مضت لها..

قطب حاجبيه باستغراب وهو ينتبه لوجود أكثر من كدمة على جبينها..

هل كانت هذه المعتوهة تدفع الباب ليلة أمس بوجهها؟

مد يده يرفعها لتفقد تلك الكدمة على جبينها إلا أن جالا رفعت ذراعها لتخفي وجهها منكمشة بنفسها عنه وهي تغلق عينيها بقوة وأخر ما تتحمله أن يلمسها..

أغمض مراد عينه بحركته المعتادة عند الغضب ثم فتحها يأمرها بصرامة

((ابعدى ذراعك عن وجهك))

وعندما لم تستجب له صرخ بصوت أثار الرعب بأوصالها

((قلت ابعد ذراعك عن وجهك حتى لا أكسرها لك))

كان تريد عناده أكثر لكن بعد دفعه لها للحائط على ظهرها بالأمس باتت فعلا تخشى غضبه..

لذا وتحاشيا لهذا الغضب الذي بدا وكأنه مكبوت بداخله ويبحث عن أهون منفذ للخروج عليها أطاعته وأبعدت ذراعها عن وجهها..

لكن أبقت نظرها واتجاه رأسها مشيحا عنه بنفور وخوف..

قبض مراد بقسوة وخشونة على ذقنها يحرك رأسها بعنف له فتشهق مرتعبة وهي تشد على إغماض عينيها خوفا من أن يضرها..

ترعبها فكرة أن تتعرض لأي عنف جسدي من أي أحد..

تأمل مراد كدمتها بغضب.. وقلق..

ثم حرك يده ليمسك شعرها فشبهت مرة أخرى بصوت أعلى
خوفا من يشده..

إلا أنه كان يبعد شعرها الملتصق بوجهها الذي غسلته بالماء
قبل قليل خلف أذنها حتى يتفحص وجهها بوضوح أكثر..
ليلاحظ وجود أكثر من كدمة عليه..

نفث بغضب ولم يخف عليها تمتته المنخفضة ببعض كلمات
السياب الغاضبة..

علت أنفاسه الهائجة وشعر بنفسه يستشيط غضبا منها..

فاعتدل واقفا يهتف بها من بين أسنانه

((قفي الآن لنخرج من هنا))

ظلت ساكنة مكانها بعناد لا تصدر أي حركة أو استجابة له
ليضرب بكفه الحائط يصرخ عليها بما جعل جسدها كله ينتفض
له

((قلتي لك قفي))

بدأت الدموع تترقرق بعينيها وهي تقول بخفوت شديد

((لا أريد ذلك))

زفر وقد نفذ صبر منها ليقول هادرا بصوت أقل انفعالا.. وأكثر
انهاكا

((لقد اعتدت الفطور لك.. تناولني شيئا))

رفعت نظر عيناها له تسأله بخفوت وألم جعلته بمعن أكثر
بالنظر بوجهها الباهت

((إذا كنت تريد الزواج بيارا لماذا ومن البداية لم تقل لي ذلك؟
لماذا كنت تكذب عليّ وتقول ضاحكا أنني أتوهم كل هذا؟ لا
أريد أن أبقى هنا.. أريد الطلاق))

هل يظن أنها ستقبل زواجه من يارا ويقائها هي بنفس الوقت
على ذمتها؟

تتركة يغدق يارا باهتمامه وحبها لها لأنها تستطيع أن تمتعه
وتحمل بأحشائها أطفاله أمامها بينما تجلس هي هنا وحيدة ذليلة
تطلع على تفاصيل حياتهم وحبهم بحسرة لأنها ناقصة
ومعطوبة؟

هل يريد لها أن تبقى معه لأخر العمر تلك الزوجة المهجورة
المنبوذة حتى يتمعن في حرق روحها وقلبها دائما؟

بينما ابتسم مراد بمرار لها وهو يجاهد نفسه ألا يشعر بأي ندم
أو ألم لما يفعله به.. لقد دفعته هي لذلك دفعا..

على مدار سنة وهي تعذبه وتجيعه وتهيج عطشه..

على مدار سنة وهي تنبذ أي لمسة أو قرب منه تاركنا إياه
يتلظى ويتألم ويتعرض للأذلال بسببها من قبل الآخرين..

والآن تحاسبه فقط لفكرة زواجه؟ ويا ليتها تفعل ذلك حبا به..

بل بسبب تملكها وكبرياء أنوثتها السخيفة..

لقد تعب منها ومن برودها الذي يُصيبه بالصقيع..

تعب من البحث عن الرضى في عينيها دون أن يناله..

تعب أكثر من قلبه الذي يهبط رعبا من فكرة الطلاق أو أن
تبتعد عنه..

أفاق من أفكاره وهو يشعر بغضبه وحنقه منها ليقول لها
باشمزاز وازدراء غير مباليا لها وهو يثار لكرامته المهذورة

ساعيا للانتقام منها وإيلامها كما تجعله يشعر بالألم والإهانة
كلما تحدثت معه

((وما علاقتك أنت بزواجي؟ نحن لا نعتبر أنفسنا زوجين.. إذن
لا تدخلني بالأمر.. وإياك أن تنطقي بكلمة طلاق مرة أخرى لقد
ضقت ذراعا من عنادك وغبائك))

الجملة الأخيرة قالها يقطع كلماتها ما إن فغرت شفتها ليصيبيها
الذعر فقط من نظراته المنخفضة عليها فتصمت..

فقد شعرت لحظتها بالخوف منه ومن نطق ما قد يتسبب بغضبه
وإثارة هيجانه عليها كالأمس..

بدأت تحاول النهوض من مكانها تلملم بعثرتها وهي تقول له

((لا أريد اكل أي شيء.. أريد أن أنام فوق السرير الآن..))

لكن ما إن همت بالوقوف حتى شهقت بألم وهي تضع يدها على
كتفها الذي كانت تضرب به الباب بمحاولة خلعه..

كان ألم مفاجئ تشعر به لأول مرة منذ الأمس..

قطب مراد حاجبيه بقلق يمسك كتفها لتصرخ بصوت متألم
اعلى..

فما كان منه إلا انخفض على ركبتيه يقربها ويمزق قميصها
فتتسع عينيه من الاحمرار الظاهر على كتفها..

لم يعرف نسبة خطورته.. وإذا كانت قد تعرضت لرض
مباشر..

قالت جالا من بين دموعها وهي تنظر لكتفها

((أنه يؤلمني هكذا فجاءة.. لقد كنت أحرکه بشكل طبيعي قبل
قليل.. اتركه.. أشعر بأنه سيصدر صوت طفقة لو رفعت
ذراعي))

شدد مراد على أسنانه وهو يطالعها بغضب بينما يهتف بها
يؤنبها

((كيف تأذين نفسك بهذا الشكل أيتها العنيدة؟ سأكسر كتفك
بالكامل لو تصرفت بهذا الشكل مجددا..))

تنهد بغضب.. ثم وقف يدنو من دولا ب ملابسها ليخرج ملابسها
لها وهو يقول

((سنذهب الآن للمشفى لأنه الإصابة قد تزداد إذا ما حصلت
على العلاج الفوري))

فزعت جالا شاهقة بصوت عالي ما إن عاد يقترب منه ثم
يمزق ما تبقى من قميصها حتى يخلعه عنها ويخلصها إياه..

قام مراد باللباسها قميصا آخر برفق وحذر يناقض حالة الهيجان
الغاضبة في داخله..

ما إن انتهى حتى تمت له بلوؤم قاصدا أن يجعلها تبكي أكثر

((إذا كانت أصابتك بليغة فهذا الشيء سيثججني أكثر لأتزوج
من ابنة خالتي السليمة عقليا وجسديا))

=====
=====

لمع أسم مدير المدرسة خالد التي كانت تعمل فيها إيمان سابقا
قبل استقالته على شاشة هاتفها لتعلقه فورا باشمئزاز..

لقد استقالت من عملها بالمدرسة بمجرد أن انتهت السنة
الدراسية لأنها وجدت نفسها كانت مقصرة جدا بعملها فيه
بالرغم من معارضة مدير المدرسة خالد ذلك العجوز الوقح
البغيض بحجة أنها معلمة ممتازة..

حتى أنه بدأ يمتدحها بشكل مبالغ فيه وكأنها حاصلة على جائزة المعلمة المثالية في الكرة بالأرضية لعدة مرات على التوالي..

مع أنها أدرى الناس بحالها وكيف كانت مؤخرًا معلمة فاشلة لا تجيد إلا التغيب عن دوامها لمختلف الأسباب..

ولولا قُرب الاختبارات الدراسية ووجود الكثير من الدروس غير المشروحة لكانت تغيبت أكثر..

لكن ما لا يُحتمل هو استمراره بالاتصال بها حتى بالعطلة الصيفية كل عدة أيام من أجل إقناعها بالعودة للمدرسة أو لأسباب أخرى واهية..

هي حزينة لترك وظيفتها هناك ولكن كان عليها فعل ذلك لأنها فشلت بفصل حياتها الشخصية عن عملها..

فمرة بعد كتابة الدرس أكثر من ربع ساعة على اللوح استدركت أنها أخطأت الفصل لتعتذر بإحراج شديد من الطالبات اللاتي لم يسبق لها معرفتهن أبداً وخرجت من الفصل بخزي وهي تجرّ ذبول الإحراج..

ومرة اتجهت إلى الفصل فتجد معلمة زميلة لها تشرح الدرس وعندما تستأذنها أن هذا موعد حصتها تجيبها إحدى الطالبات بأن حصتها هي القادمة لا هذه..

حتى طريقة تعاملها اختلفت وأصبحت لا تحب المزاح وخاصة في المدرسة ومع الطلاب..

تغضب بشكل مبالغ فيه بحالة تدني علامات أو مستوى الطلاب فتعاقبهم بكثرة الواجب الدراسي وتتمسك بالعقاب بلا رحمة مهما حاولوا الاعتراض..

وحتى أنها عند نزولها للسلام بإحدى المرات مسرعة من العصبية ألقت قدمها ووقعت أمام الطلاب..

ومع أن بعضهم هرعوا لمساعدتها إلا أن الباقي كانوا يخفون
ضحكاتهم وتشفيهم تعبيراً عن الكره الذي بدأوا يكونونه لها..

لذا كان واجب عليها أن تترك وظيفتها فلا أحد مجبر على
تحمل شخصيتها المزعجة وعذرها بسبب مشاكلها الشخصية..

فما تعرضت له من قبل احمد جعل أفكارها تتضارب وظنونها
تنزايد بل وأفقدتها الثقة في نفسها والآخرين..

لقد جعل من نفسها فريسة سهلة للحيرة والعذاب.. بل وتجزم
بأن حياتها معه قد انتهت بعد أن قتل مشاعرها ودفنها تحت
أطلال الذكريات..

ولهذا كان عليها أخذ بعض الجلسات عند تلك الطبيبة النفسية أو
المعالجة.. أيا كان اسمها.. لا يهم..

بعد دقائق كانت الاستشارية تنزع نظارتها وتعلقها بمقدمة
قميصها بينما تصغي لإيمان وهي تستطرد كلامها بحق
مستكرة

((لست من النوع العصبي والمتسرع بل وعند أي مشكلة كنت
دائماً ما أحاول أن امتص غضبي واكبت ما في قلبي وأحاول
أن أفكر بهدوء ومنطق لحل للمشكلة.. عندما أخذني من بيت
أهلي أول مرة تظاهرت أنني سامحته خوفاً عليه من أن يبقى
شارد الذهن خلال قيادته السيارة وكتمت المي.. وتحججت
بالمرض كي لا يعلم أهلي بشيء عندما جلست عندهم..
وبعدها..))

رفعت الاستشارية حاجبها وهي تعاود مسك القلم تكتب
ملاحظات وتقاطعها لا تترك لها مجالاً للتحدث كما تريد

((نعم.. نعم.. سبق وقلتي لي كل ذلك.. لا داعي للعودة للبدائية..
ثم إنه ورغم علمي بمدى حساسيتك وعاطفتك إلا أنني في

موقفي هذا لا يسعني إلا أن أكون مرأتك التي تريكي الحقيقة
كما هي دون مجاملة))

هزت إيمان الهادئة رأسها وهي تقول بتأكيد

((وهذا ما أريده.. لذلك كتبت ما طلبته مني))

تنهدت الإخصائية وهي تضع بعض الأوراق التي سبق وان
كتبت إيمان فيها مشاعر ها الحالية..

فقد طلبت منها قضاء بعض الوقت في التفكير في بعض الأمور
التي تريد التحدث عنها والأسباب التي جعلتها تريد البدء في
العلاج..

وكتابة أشياء محددة تريد المساعدة فيها مثل ما يثير غضبها أو
ما يخيفها..

فقالت لها الإخصائية

((شكرا لك على كتابتهم مع أنني كنت على استعداد لطرح
بعض الأسئلة لتحفيز المناقشة بيننا.. ولكن من المفيد لك أن
تقضي بعض الوقت في التفكير..))

تنحنت الاستشارية قليلا قبل أن تسترسل

((بالبداية يا إيما وقبل كل شيء علينا حل الشكوك عندك والتي
تركناها بأخر الجلسة السابقة.. عليك أن تتعلمي أن توظفيها
للاحتفاظ وليس للامتلاك.. فبينهما فرق شاسع فالأول يحفظ
الحياة الزوجية أما الثاني يحاصرها ويدمرها))

قطبت إيمان حاجبيها وهي تقول لها

((أي شك؟ أنا لا اشك بل أقول لك حقيقة حصلت.. لقد سمعته
بأذني يتحدث معها ويخبرها عن عمله ويتحدث لها بمكنونات
قلبه..))

تتهددت الاستشارية ثم عقبها هدرت بصوت رتيب

((ولكنك قلتي بأنه وطوال الأشهر الماضية لم يتواصل معها
أيضا.. إذن أحر اتصال له مع حبيبته السابق كان بسببك.. أنت
من دفعته لذلك.. لربما كان يريد فعلا أن تستقر علاقتهما إلا
انه تفاجأ مما قلتيه له.. وملّ من هجرانك له طوال هذه الأشهر
فضعف أمام حبيبته وعاد للتواصل معها))

هل كان احمد فعلا ينتظر فعلا استقرار علاقتهما بعد خيانه لها
من تلقاء نفسها؟

لأن الأمر حتى ينجح وبالمناسبة بحاجة لجهود الطرفان من
أجل إعادة بناء الثقة المحطمة.. وهذا ما لم يحصل..

العودة للوثوق بأحمد مجددا والتغاضي عما سببه لها من أذى
وغضب ما بعد عودته لهيام هو أمر ليس بالهين..

فلا حق له أن يسخط عليها بعد أن كان هو من خانها وأرتكب
خطئا يصعب عليها غفرانه لا العكس..

ولكن هل بإمكانه إصلاح ما قام بإفساده وخلق الفرص لإنقاذ
زواجهما من الضياع؟

صحيح أنهما لم يتحدث بصدق بشأن هذا الموضوع ولكن ظهر
عليه في كثير من المواقف عدم استعداده للتعاون معها لذلك..

كما أنه لا يبدو أنه يشعر بالأسف حقا وليست هناك أي ما يؤكد
أنه لن يضعها بذلك الموقف مرة أخرى بمجرد أن تُتاح له
فرصة أخرى..

كما أنه ليس مستعدا لفعل أي شيء لاستعادة ثقتها.. بل هو لا
يدرك ولا يفهم ما سببه لها من أذى..

زفرت إيمان بضيق قبل أن تقول بصراحة

((الحقيقة ومع كل غضبي منه إلا أنه لو طلب مني أن نحاول البدء بحياة جديدة لفعلت ذلك.. لكن لم يكن هناك أي مبادرة منه بل بدا وكأنه سعيد بانفصالنا هذا.. لذا لا تلوميني على عدم مبادرتي هذه المرة.. لا يعقل بكل مرة يخونني فيها ألا اغضب وأراضيه.. ليس منطقي أبدا))

ظننت سابقا أن ما قام به احمد هو خطأ لن يتكرر ونزوة عابرة لمرة واحدة وأصابه الندم بعدها..

لذا لم تضييع الفرصة وبدأت معه فرصة جديدة..

إلا أنه بعد أن كرر الأمر أكثر من مرة قلت رغبتها بشكل هائل في البدء من جديد معه..

فهي اكتشفت انه الخيانة لمرة واحدة تعني تكرارها مرات ومرات إلى أن يصبح الأمر معتاداً ويصبح الشخص خائناً متسلسلاً..

سمعت الاستشارية تقول لها

((ما حدث سابقا مع زوجك عليك أن تتقبله وتعطيه حجه الطبيعي.. فكري بإيجابياته السابقة قبل مشاداتكم.. ألم تقولي إنه كان يحترمك ويقوم بواجبات حياته ويستمتع معك بالفراش؟))

قالت إيمان لها بانفعال شديد

((أقول لك بأنه كان سيتزوجها فعلا وبمباركة أهله لو لم يتدخل أبي بالموضوع دون الاهتمام بأن ما يفعله قد يدمر حياته العائلية معي ويترك أثراً في نفسي لا يُحى مع الزمن.. بل قال لي لو طلبتُ الطلاق فساكون أنا المسؤولة عن تشتيت عائلتنا))

أجابتها ببرود وجمود

((ولكنه لم يتزوجها بالنهاية.. لذا لا تساعدي ما حصل بسوء تصرفك على تدمير الحب بينكم))

استنكرت إيمان كلامها قائلة

((إذن هل تريدان أن أعود للتعامل معه وكأنه لم يفعل لي شيء؟ سبق وأن فعلتها لشهر كامل ومع ذلك اكتشفت انه كان باقي على تواصله معها.. لن أستطيع أن أتجاوز عن خطئه مرة أخرى))

هزت الاستشارية تعدل

((لكن التجاوز عن الأخطاء قوة وليس ضعف.. بل عدم المسامحة يدل على ضعف في الشخصية.. إن لم تملكي فضيلة التسامح والصفح الجميل والعفو فكيف ستعلمينها لطفلك؟))

لمعت عينا إيمان بسخرية.. قبل أن تسألها بابتسامة تهكمية

((ماذا؟ هل أنت جادة؟ لأنه ولو كان العكس وأنا من خنته فسيكون ضعيف شخصية إذا لم يسامحني))

بقيت ملامح الاستشارية جامدة لا تتفاعل مع إيمان وهي تهدر بهدوء

((لا تقارني نفسك به.. هذه أهم قاعدة فأنت كأمره لست مثله كرجل.. لذلك عليك التفكير إيجابيا وانظري لإيجابيات زوجك ولا تنظري لسلبياته.. وعليك من اليوم أن تحاولي التقرب منه وتتهي هجرانك له.. كوني أنتِ البادئة))

ردت إيمان بنفي قاطع

((لا لن افعل.. ولست نادمة على هجره في الفراش.. لقد تعرضت للدغ من قبله وهذا ما استحقه مني))

تنهدت الطبيبة مرة أخرى.. ثم قالت

((أن كان الهجر والخصام محرمان في الإسلام فوق ثلاث ليال بين البشر العاديين فكيف بين الزوج وزوجه؟ أشهر الهجران

بينكما طويلة جدا.. وحتى لو أخطأ فكيف تعالجين خطأه بخطأ
أفطع منه؟ الهجران هو أخطر الأمور في هدم الحياة الزوجية
ولذلك كان اللعن عليه.. فقد يخرج الرجل من بيته وهو غير
مشبع من زوجته..))

لا يبدو على احمد ذلك.. بل لربما لو أنها هي لم تطلب منه أن
يبتعد عنها ويعيشا منفصلان لكان هو نفسه من طلب منها ذلك..

سألتها إيمان بعينين جريحتين

((لم لا يبدأ هو؟ ثم هل تظنين بأني لو عدت له بأنه سينساها
ولن يجعلني أظن بأنه يفكر بها؟))

هزت الطيبة رأسها بياس منها.. قبل أن تجيبها

((لا تصري غاليتي على وجوب توافق زوجك مع طباعك
وحاجاتك النفسية.. بل عليك مراعاة الفروقات الخلقية بينكما في
الشخصية والنفسية.. فقط افهمي احتياجات زوجك ورغباته
واعرفي ما يسعده واسعي إليه.. أما الانشغال فيماذا يفكر وفيما
يسرح ولماذا يدندن مع الأغنية الرومانسية ولماذا يتابع هذا
الفيلم الرومانسي فليس منطقي.. فهل سنحاسب أزواجنا حتى
على خيالهم وأفكارهم وفيما يسرحون؟ الفيصل هو فقط في
أفعاله وتعامله معك وهذا يكفي ليريحك))

أشاحت إيمان بوجهها عنها متمتمه بصوت خافت

((لا لن يريحني.. أنت لا تفهميني أبدا ولا تفهمين شعوري..))

ردت عليها الأخصائية بإقرار وإقناع

((بل أنتفهم شعورك وإحساسك كأنتي تماما.. ولكن يا غاليتي
المشكلة الحقيقية تكمن داخل نفسك أنت.. هوني على نفسك
فأنت تضخمين الأمر.. هو قرر بأنه لن يتزوجها وانتهى
الأمر.. سامحيه ولا تأبهي بأي شيء آخر يفعله..))

حركت إيمان رأسها لها تسألها بنبرة مرتفعة بعض الشيء

((لا افهم شيء عليك.. لقد قمت بمشايكة كل الأمور علي.. هل علي اعتبار خيانتته لي خطأ ونقص به وتجاوز الأمور وألا أكون حساسة؟))

ردت عليها الاستشارية بنفس درجة الصوت

((توقفي عن قول انه يخونك.. لأنك بنفسك قلتي إنك متأكدة بانه لا يوجد بينهما إلا مكالمات وعدة لقاءات.. وعندما فعل زوجك ذلك لم يقصد بها خيانة بل لربما قد استغرب ردة فعلك على ذلك.. لأنه كرجل لا يشعر بأن الحديث أو النظرة خيانة لزوجته.. على عكسك كامرأة.. فلو نظرت لرجل غيره لشعرت أنك تخونينه.. لأن خيانة الرجل بالجسد أما المرأة فتخون بمشاعرها..))

عادت تسترسل وهي تقول له

((إذن اسأل الآن نفسك.. "هل خانني فعلا أم إنني أكبر الأمر؟ هل هو خائن وصاحب علاقات نسائية معتاد على الحرام؟" أجيب على هذه الأسئلة بينك وبين نفسك لتعرفي أن زوجك إنسان رائع فلا تهدمي بيتك))

أبعدت إيمان رأسها عنها متنهدة.. عقبها اعتدلت من مكانها وابقة لتقول بصوت واهن

((اشعر بأنني أريد أن انهي هذه الجلسة الآن))

هزت الاستشارية رأسها موافقة.. ثم أخفضت بصرها تكتب على أوراقها وهي تقول أثناء ذلك

((حسنا إذن يمكننا الاتفاق على موعد الجلسة الأخرى..))

قالت إيمان وهي تدنو نحو الباب وبدون أن تلتفت للخلف لها

((لا شكرا.. أرى بأنه يجب عليّ التوقف عن إكمال هذه
الجلسات..))

تاركنا الاستشارية تنظر خلفها بعينين متسعيتين بصدمة..

بعد دقائق..

بينما وأثناء جلوس إيمان بالمقعد الخلفي بإحدى سيارات الأجرة
شردت تفكر بحياتها..

فحتى وإن كان التغييرُ صعباً.. لكن صعوبته خير لها من أن
تظل في مكانها..

خاصة مع كل هذه القدرات التي تمتلكها وتشجعها على المُضي
لما هو أفضل..

ولا تتوقع أنه هناك أبشع جريمة في حقّ المشاعر مثل الخيانة..

فهي القسوة القابعة وراء الضحكة والطعنة الغادرة في صدر
الحب..

لكن على كل حال عليها أن تهدئ من روعها فالأمر أبسط من
كل هذا العناء الذي عايشته..

فكل ما فعله احمد بها انتهى وليس بوسعها فعل أي شيء حيال
الأمر..

ولا فائدة من إكمال علاقتها به أو التفكير في إعطائه أي فرصة
لأنها اكتشفت أنها لم تعد فعلاً مستعدة لنسيان ما حدث قبلا
وبقائها معه يعني انهما سيعيشان منفصلان للأبد..

وقبل أن تنجرف في مستنقع هذه البئر العميقة وتعذب نفسها
دون رحمة عليها أن تسأل نفسها وبكل صراحة..

هل زواجها به يستحق كل هذا العناء؟

لكل شيء مزاياه وعيوبه والكمال ليس له مكان في دنيانا ولا
توجد علاقة مثالية مئة بالمئة..

ولكن احمد ليس هو الشخص المستحق للثقة فلماذا قد تندم عليه
إن كان هو لا يستحق الندم؟

هل خائفة هي من الوحدة؟

لأنها قد اكتشفت مؤخرا أن الوحدة أفضل بكثير من زوج خائن
مثله ومن عدم الإحساس بالأمان والاستمرار في علاقة تعيسة
يملاها الشك وتحيطها الجروح..

يكفيها تضحية براحة بالها لمجرد الخوف من الوحدة..

فالوحدة داخل النفوس أكثر ألماً من وحدة الجدران..

ولكن قبل كل عليها الانتقام منهما..

=====
=====

دخل مراد الشقة وأغلق الباب خلفه بعد عودته من المشفى حيث
أكد عليه الطبيب المختص بأنه لا يوجد أي إصابة على كتفها أو
ما يدعو إلى القلق..

دخل حجرة النوم ليجدها راقدة على السرير وتدثر كامل جسدها
بالغطاء..

فهي قد ترجلت من السيارة وصعدت الشقة قبله في حين هو مر
على شقة والديه قليلا قبل الصعود هنا..

هتف مراد باسمها لكنها لم ترد عليه فتنهد بانزعاج وقد عرف
أنها تدعي النوم.. وذلك يجعل غضبه منها ورغبته بعقابها
تزيد..

قال مراد لها بصوت بارد

((سأقل أغراضي وأعود للنوم هنا.. بجانبك وعلى هذا
السريير))

ثم غادر الحجرة بدون أن يسمح لها أن تعطيه أي جواب..

بعد ساعة..

أتم مراد نقل كل شيء للحجرة بدون أن يسمع حركة منها..

مما أثار استغرابه فهي تحب النوم كثيرا ولكن ليس من عاداتها
النوم بالنهار أبدا حتى لا ترى الكوابيس..

ولكن وقبل أن يخرج لمح اهتزاز جسدها تحت الغطاء..

فقطب حاجبيه وهو يدنو منها ويزيل عنها الغطاء بحذر ليجدها
تخفي وجهها بالوسادة وجسدها يهتز وينتفض بشهقات بكاء
تحاول كتمانها وقد بدت وكأنها ستختنق من شدة البكاء..

حتى أن الوسادة التي كانت تنام عليها مبتلة من مقدار الدموع
التي ذرفتها..

فاخذ هو يراقبها بصمت يحدث ويعاتب نفسه بحق وتوتر لماذا
لم يخبرها عن طبيعة علاقتها بيارا..

ليس بالأمس بل منذ بداية زواجهما..

تنهد بعمق واستسلام مجبرا نفسه ألا يهتم وتجاهل ما يشعر به
من اسف وندم اخذ يتأكله ناحيتها..

موعد النوم..

دلف مراد حجرة النوم التي عادت ملك لللاثنين ليجدها مستلقية
بمنتصف السرير على جنبها شاردة بالنظر للحائط أمامها
فتجاهلها تماما..

كانت تريد الاتصال على والدتها لتشكو لها مراد وبأن والدته
نجحت بجعله يطلب الزواج من ابنة أختها..

ولكنها منعت نفسها وهي تتذكر أن زواج والدتها لم يمض عليه
إلا عدة أيام..

فلتترك أنانيها لأول مرة بحياتها ولا تزعجها في هذه الأيام..

والدها أيضا لم تتحدث معه منذ أن اجبرها أن تعود هنا إلا عدة
مرة تبادلت معه القليل من الكلمات المقتضية..

وراجي أيضا لا تزال تخاصمه..

أما هيام والتي ستزورها غدا فلن تتحدث لها بشيء..

فبالفترة الأخيرة بدت مهمومة وحزينة لذا لا تريد إقحام المزيد
من المشاكل بحياتها..

وجدت جالا نفسها فعلا وحيدة بلا سند أو دعم خلف ظهرها..

أحست على مراد يرفع الغطاء ليستلقي هو الآخر على السرير
بهدهوء وتعب..

حولت نظرها له بوجوم وهي تتراجع للخلف مفسحة له المجال
على السرير..

رأته يضع ساعده فوق وجهه يغلق عينيه بإرهاق مع أنه لم
يذهب اليوم لعمله..

كان الصمت يعم الجو حتى قررت أن تقطعه وهي تفتح شفيتها
قائلة بصوت يضحج بالألم

((كنت تكذب عندما قلت إنك تريد الزواج من يارا.. صحيح؟))

رفع ساعده عن جبينه يلتفت لها باقتضاب وهو يحدق بها بعينين
مشتعلتين..

تأخرت بهذا السؤال.. كان عليها أن تسأله بهذا الشأن قبل كل ما
فعلته..

فهي أدرى الناس بمدى كره ومكر يارا.. خاصة بما يتعلق بها..

رد عليها مراد بقساوة

((بل سأتزوجها.. وقريبا جدا))

ازدردت جالا ريقها وهي ترى خشونته وقسوته هذه..

لم يسبق وأن كان بهذا الشكل معها ولهذه الدرجة ولمدة طويلة..

وجدت نفسها تتحدث له بتلعثم وبدون أن تعي ما تقوله

((إذا كان السبب الذي يدفعك للزواج منها هو من أجل الحصول

على حقوقك الزوجية والأطفال.. فلا داعي أن تتزوج منها..

أن.. أنا سأعطيهم لك..))

كانت تتحدث له وعينها بعيدتين كل البعد عن أي تواصل

بصري معه في حين أنه كان ينظر لها بدهشة وبكل تركيز لا

يكاد يصدق عرضها..

حتى رد عليها بخشونة شديدة وهو يضيق عينيه

((غريب.. أنت تعجزين عن إعطائي أي شيء من هذه الحقوق منذ سنة.. فما الذي تغير الآن؟))

تغير أنها سعيدة بالبقاء معه..

تغير أنها بدأت تحب قربيه بالرغم من أنها لا تزال تكن بقلبيها الكثير ضده بسبب عجزه عن حمايتها من عائلتها وما فعله بها..

هي بالرغم كل شيء ليس لها رغبة في العودة لمنزل والدتها وتريد أن تبقى متزوجة منه..

سمعته يستطرد كلامه بنبرة حقودة

((لقد كنت أظن أنك عاجزة عن إعطائي أي شيء رغما عنك مهما حاولت جاهدة فعل العكس.. لم أعرف أن الأمر سهل لهذا الدرجة وتابع لقرارك ومزاجك.. إلى حد أنه يمكنك أن تقرريه من تلقاء نفسك بأي لحظة تريدينها))

كان يتحدث باستنكار شديد بينما كانت تنظر له بصدمة شديد فاعرة شفتاها عاجزة عن الرد عليه والنطق بأي شيء..

لا تدري مما هي مصدومة.. مما قاله هو.. أو مما قالته هي؟

رأته يضطجع على جانبه يعطي ظهره لها وهو يتمتم لها

((شكرا لك على العرض.. وبالتأكيد سأنتهزه ولن ارفضه.. لكن مع ذلك سأتزوج من يارا في كل الأحوال))

ثم أغلق عينيه تاركا إياها تنتظر لظهره بجمود وروحها تأن من الألم بينما دموعها الأخرى الحبيسة تطالبها بالتحرك..

قال بإنه سيتزوج من يارا حتى ولو أعطته ما يريد؟

ولكن ثلاثة أرباع مشاكله معها هي هذه الأمور..

لم تجد أمامها أن تفعل أي شيء إلا أن تعطيه ظهرها هي
الأخرى وتحتضن جسدها منكورة على نفسها حتى غرقت في
نوم عميق..

بينما النوم لم يكن قد جافٍ مراد وهو يرهف سمعه لأقل حركة
منها..

فتح عينيه ونهض من على سريره يذهب لأخذ حمام يساعده
على الاسترخاء..

وبعد ربع ساعة خرج من الحمام يرتدي مآزره..

فتح دولابه يخرج له منامة ولشدة الهدوء بالحجرة كان يسمع
تحركاتها جيدا..

لا يستطيع فهم ما بداخله وشعوره بالعذاب نحو صوت نشجيتها
المكتوم..

لقد كانت غارقة بنومها فما الذي جعلها تستيقظ الآن؟

وكانها شعرت بمغادرته الحجرة واستغلت ذهابه وعدم وجوده
حتى تفرغ دموعها التي حبستها في وقت سابق..

والأسوء من ذلك أن طريقة نومها فوق الفراش منكورة
كالجنين عذبه أكثر..

ليقرر بأنه سيعترف له بكذبة يارا.. ناداها بصوت لين رقيق

((جالا.. انظري لي))

إلا أنها مدت يدها تضع الغطاء الخفيف فوق رأسها ترفض الرد
أو الاستماع أو حتى النظر إليه..

قطب مراد حاجبيه يوبخ نفسه بحدة كيف رق قلبه عليها
للحظة..

ثم أطفأ الأنوار وتسلل لسريتهما ينام بجانبها مع المحافظة على
المسافة بينهما كما الماضي..

=====
=====

بظهيرة اليوم التالي..

أغلقت هيام باب مكتبها خلفها جيدا واتكأت عليه تنتفض بعنف
ورعب شديد.. كما كان الخوف يتسرب لأوصالها بلا رحمة
يكاد يخنقها..

لم تتردد مرتين أن تخرج هاتفها من حقيبتها بسرعة كردة فعل
غريزية تطلب رقمه..

وعندما أجابها بُح صوتها وهي تقول له بتأوه وقد بدأت عينيها
بذرف الدموع

((احمد.. هل أنت بعملك الآن؟))

وصلها صوته المستغرب ثم سألتها باستهجان وقلق

((هيام أين أنت؟ ما به صوتك؟ لماذا تبكين؟))

بدأ صوتها الهستيري يرتفع وهي تجيبه

((أرجوك احمد تعال الآن لجامعتي.. لقد ثقب أحد ما إطار
سيارتي وتعطلت ولا أستطيع العودة للبيت فيها.. الجامعة هكذا
شبه خالية من الطلاب ولا أقدر أن امشي وحيدة من الساحة
أمام مكنتي للبوابة.. أرجوك لا تستفسر عن شيء آخر وتعال
فقط هنا بسرعة))

ارتفع صوت احمد بنبرة حازمة يقول لها عبر الهاتف وهو
يشعر بالرعب من أن يكون قد أذاها شيء أو أحد

((هيام سأكون عندك بلحظات.. توقي عن البكاء))

صممت هيام غير قادرة على متابعة كلامها بسبب غصة بكاء
التي تحاول كتمها..

بينما هرول احمد خارجًا من عيادته نحو سيارته ليستقلها..

نطق أثناء ذلك باسمها وهو لا يزال يمسك الهاتف ويرى إذا
كانت ما تزال بخير.. لتجيبه فوراً

((أرجوك أسرع يا احمد.. أنا مرتعبة))

.

.

بعد أقل من نصف ساعة..

كان احمد يدور بمكتب هيام كالعاصفة الهوجاء تتراقص
شياطين غضبه من حوله قبل أن يقف مقابلاً لهيام ويسألها
بغضب

((إن هذه هي القصة.. ولماذا لم تعلمي أي أحدا من عائلتك؟))

أخذت نفساً عميقاً وهي تراقبه بلامح مرتبكة خائفة ثم قالت
بخفوت

((لا.. لا أستطيع.. حتى ولو كان كل الحق معي فوالدي سيحل
المشكلة ببساطة بأن يجعلني اترك عملي.. سيتحجج بأني لو لم
اعمل واخرج من البيت لم أكن لا تعرض لكل هذه المشاكل..
أنت تعرفه))

ثار احمد عليه صارخاً

((يا إلهي.. حتى ولو.. لا زلت لا اصدق أنك كنتي تتعرضين
لكل ذلك طوال تلك المدة السابقة بدون أن تخبري أي أحد
حولك.. أو على الأقل لماذا لم تخبريني أنا؟ كنت اعرف كيف
سأتعامل مع ذلك المعيد النذل المُسمى هو وعائلته.. تبا.. تبا))

سحبت هيام أنفاسها بقوة لتعيد القليل من تركيزها المشتت وهي
تسأله بآلم

((تريديني يا احمد أن اطلب منك المساعدة بأي حق؟ ماذا تمثل
لي لألجأ لك؟))

رفع احمد حاجبيه مغمغا بعتاب شديد من بين أسنانه ويغضب
من كل ظروفيهما الصعبة

((لو أنك قبلتي عرضي منذ زمن لكان لي كل الحق بمساعدتك
الآن.. لكن أنت من تخلين عني))

نظرت له لثواني ودموعها ما تزال تتساقط على وجنتيها..
والآلم يغطي على ملامحها..

ثم أخذت نفسا عميقا قبل أن تقول له بصوت فاتر

((صحيح.. معك حق.. بالماضي كنت أنت من تخليت عني..
والآن أنا من أتخلى عنك.. لكن ماذا افعل؟ الأمر هو فقط.. فقط
لو إنك كنت متزوج من امرأة أخرى غير إيما لما اهتممت
أبدا.. اقسام لك لكنك قبلت عرضك بسرعة.. ولكنها تقريبا ابنة
عمي.. لا أستطيع فعل ذلك بها))

دنا احمد من هيام مغمغا وهو يحاول أن يجعل كلماته تلقى
صداها عندها

((هيام.. بالنهاية سنجد أنفسنا أمام حقيقة مؤكدة وهي أنني حينما
تكونين ملكي أكون بالفعل قد التقيت أخيرا بحبي الحقيقي..))

هزت هيام رأسها تقول له بوجع وتردد

((اعرف ذلك.. ولكن..))

اقترب احمد من هيام بشكل كبير ويدها ترتجفان..

يعرف انه لا يحل له ولا باي طريقة أن ينفرد معها في مكان واحد ولا يحق له أن يلمسها ولا يحق له أن يقدم على ما يخبره قلبه أن يفعل..

لكنه كان أضعف من ذلك..

رفع احمد وجهها بين كفيه وهو يقول لها بصوتٍ أجش
((قلبي المحب لا يكثرث إلا لسرقة بعض اللحظات معك أنت))

وهي كانت أضعف من ألا تمنعه من الاقتراب منها..

فتتهدت هيام بأسى لا تعرف كيف ترد عليه لتخفض وجهها
قائلة

((احمد.. أنا خائفة من الأحكام التي قد يطلقها كل من في القرية
عني.. وخاصة أبي وأبناء أعمامه..))

قال احمد بهدوء دون أن يرف له جفن

((وهل خوفك من الأحكام التي قد يطلقونها عنك هو سبب كافي
حتى تتخلي عن حب بدأ قبل أكثر من خمسة عشر سنة؟ لأنه لا
نية لي بأن احرم نفسي جنة قربك خوفا من أحكام غبية قد
يطلقها أهل قريتك))

قاطعته هيام بثورة وقد التمعت دموع القهر بعينيهما لتغمضهما
قائلة بجنون وهذيان

((أنا أكرهها.. أكرهها بشدة.. هي من أخذتك مني لا العكس..
هي من سرتك مني ولست أنا من أحاول سرتك منها كما
تدعي.. كيف يمكن أن يكون استعادة ما هو فعلا ملكي سرقة؟
أنا لا اطلب منها أن تطلق ولا اطلب منها أن تتركك.. كل ما
أريد هو أن أعيش وأموت وأنا بين أحضانك وبقربك))

التهرب من الحقيقة.. الغيرة من زوجته.. الخوف من أنها لن تكون يوماً ملكه..

كلها كانت عبارة عن شظايا مدببة تنغرس بجسدها الآن بشكل مؤلم..

قال احمد لها بخوف حقيق ويؤنيها

((إياك أن تذكرى سيرة الموت))

الذبذبات التي كانت تفيض منها تحولت إلى سكون بين يديه لترفع رأسها له..

رأس احمد المنخفض وعيناه الزرقاوان تحديقان بعينيها مباشرة..

لتعود ارتعاشه عنيفة تحتاح هيام جاعلة ألم لا يحتمل يمزق قلبها وهي تتمتم بارتجاف منكسر وإصرار

((بل سأذكره فهو الحل لكل الأمي وما اشعر به.. هكذا سأريح الكثير من الناس وأولهم إيما.. يا رب خذ أمانتك وأرحن..))

وباستسلام متعب ضم احمد إلى صدره على أمل أن تخفف من ارتعاشها وهو يأمرها بخفوت متقطع

((اسكتي.. أيتها المجنونة..))

لم تستطع أن تمنع ارتجاف شفثيها وهي تهمس له بضعف مس شغاف قلبه

((احبك يا احمد.. أعشقتك))

بهذه الأثناء أنهى بعض الطلاب محاضرة عملية بالمختبر..

كان من ضمنهم طالبان دخلا للكلية تمشيان بأروقتها قبل أن يمرا بالقرب من مكاتب أساتذة كليتهم الجامعية ويلفتها

الصوت العالي الخارج من مكتب هيام ليعرفوا أنها لم تغادر
مكتبها كالعادة بهذا الوقت..

اقتربت الطالبتان منها بغية سؤالها عن إمكانية تأجيل موعد
امتحان كانت قد حددته سابقا لمساق محدد..

إلا أن كلتاها وقفتا مشدوهتان عند عتبة باب المكتوب
والمفتوح بعض الشيء يراقبان المشهد الدرامي أمامهما بهدوء
محاولتان عدم إصدار أي إزعاج..

رأيين احمد والذي كان وجهه مألوف سابقا لبعض الطلاب لكثرة
زيارته لمكتب هيام..

حتى انه سبق وقيل عنهما بعض الأقاويل من كثرة تروده على
مكتبها..

رأينه يحضن هيام بشكل حميمي وهو يخبرها بمرح

((من الآن وصاعدا أنا من سأوصلك للبيت والجامعة.. اليوم
هو الخميس.. لذا سنتبع هذا النظام من الأسبوع القادم))

وقد كان هذا العرض الذي وصل لمسامعهن أكثر من كافي لهن
لإطلاق العديد من الشائعات والأقوال من العيار الثقيل الأسبوع
القادم..

تسللت الطالبتان وابتعدتا من المكان كله بدون إصدار أي
حركة..

=====

بعد العشاء.. داخل منزل محمد الدال..

كانت إيمان ترتشف الشاي وهي تبتسم بمرح بجانب احمد
الجالس بجانبها وتحاول التظاهر بالاستمتاع بقضاء الوقت مع
عمها محمد وزوجته روعة ومراد ويارا..

كان احمد يبذل جهدا جبارا بادعاء أنه سعيد بهذه الجمعة
وبإظهار توافقه مع إيمان بدون ريبة..

وكانه هو وإيمان ممثلان بمسرحية رديئة ورخيصة..

لا يعرف كيف أقنعتة بالمجيء هنا..

لقد جاءتة فجاءة تخبره أن يرتدي ملابسه حتى يقوما بزيارة
عمها وأنه من المهم تواجده معها من أجل مظهرها
الاجتماعي..

هدر مراد قبل أن ينهض عن مقعده وهو يلتقط مفاتيح سيارته

((لا بد أن شقيقة زوجتي ستغادر لبيتها الآن وأريد إيصالها
فهي لم تحضر هنا بسيارتها..))

تحركت عضلة بوجه إيمان المبتسمة بترقب..

فأغلب الظن أن احمد لا يعرف انه زوجة مراد هي جالا شقيقة
محبوبة قلبه..

في وقت سابق من ظهر اليوم كانت إيمان تتحدث على الهاتف
بمكالمة روتينية مع زوجة عمها روعة والتي أشارت بكلامها
عن زيارة شقيقة جالا لها..

ووقتها وبدون تردد سألتها إذا ما كان هناك أي مجال لتسهر
عندهم الليلة هي وزوجها وبالتأكيد رحبت روعة بهما..

وكانت دقائق حتى ارتدت ملابسها وسحبت احمد سحباً ليحيء
معا..

قالت إيمان بلهفة لمراد

((ولماذا ستوصلها الآن؟ هي ابنة عمي أيضا.. أريد الجلوس معها هي وزوجتك فأنا لم أزركم أبدا قبل هذا أو التقيها.. دعها تمر هنا قبل أن تعود لبيتها))

رد عليها مراد ببهجة

((حسنا سأتصل الآن بزوجتي وأخبرها أن تنزل معها هنا ويجلسا لبعض الوقت))

دقائق مرت وكان كل من احمد وهيام الجالسين على نفس الجلسة يحسان بنفس شعور الاختناق الرهيب..

كان وجه احمد محتقنا غضبا وسخطا على زوجته فكله من تدبيرها..

متأكد وبلا شك أنها كانت تعرف بوجود هيام عند شقيقتها هنا وإلا لما أصرت كل هذا الإصرار على قدمه معها وابتزازه عاطفيا بأنه سيسيئ لمظهرها أمام عائلة عمها لو جعلها تذهب وحيدة لزيارتهم..

بينما كان الرعب يطغى على إحساس هيام وهي تفكر بأي خطة رخيصة تفكر القيام بها تلك المختلة إيمان؟

هل تريد فضحها هي واحمد أمام عائلة زوج شقيقتها؟

هل عرفت بزيارة احمد صباحا لمكتبها وما تحدثا به وخططا له أثناء إيصال احمد لها بسيارته؟

أما إيمان والتي كانت فعلا قد أصرت لهذه الزيارة ليتواجدوا هنا جميعهم في مكان واحد حتى تفضحهما قبل أن تطلب الطلاق لم يكن حالها أفضل منهما..

بل شعرت بطفولية وحماقة تصرفها وما كنت تنوي القيام به..

جين كبير سكن بها جعلها غير قادرة على فعل أو نطق ربع ما
خطت به..

بل والأسوء من ذلك أن الغيرة كانت تنهش قلبها وهي تفسر
كل نظرة أو حركة أو كلمة بينهما على أنها رسائل حب.. أو
عتاب متبادل.. أو حنين إلى الماضي..

كانت تريد فعلا قتل نفسها من فرط ما تعانيه من مشاعر
تقتلها..

سابقا عندما كانت تحاول فتح موضوع هيام مع احمد كان يبدأ
الشجار والصراخ بينهما وهو يرفض كليا أن يعلق حتى على
ملاحظاتها بأية كلمة..

بل يتركها ويجلس بعيدا عنها.. أو يخرج من البيت كله وحيدا..

لكنها عادت تهدي من روعها وتخبر نفسها بأنها ستحصل على
الطلاق وترتاح من كل هذا فلا داعي لها للحزن أبدا..

رفعت إيمان بصرها لهيام وقد كانت هذه هي أول مرة لها
تراها بهذا القرب فحدقت بها وكادت عينيها أن تلتهمانها أكثر
من احمد عندما صدم بشدة ما إن رآها تدخل المكان..

بدأت لها امرأة عادية جدا.. متوسطة الجمال ولا يوجد أي شيء
جذاب بها..

سواء كان بملامحها أو تناسقها.. أو شكل عيونها.. أو شكل
وجهها..

على عكسها هي تتمتع بملامح وجه مميزة وكل تقسيم فيه أجمل
من الثاني..

حتى جسد هيام لم يكن برشاقة جسدها القريب من أجساد
عارضات الأزياء..

وكان هيام هي المتزوجة ومن سبق لها وأنجبت طفلاً وهي العزباء التي لا هم لها إلا المحافظة على رشاقة جسدها..

لكن هل حقاً لا بد للمرأة أن تكون جميلة حتى يألفها الرجل؟

لأن المرأة كيان قبل أن تكون جسداً.. روح وشخصية تُؤثر وتتأثر..

فماذا كان فيها لتخطف قلب احمد وتجذبه لها بلا قدرة منه على نسيانها حتى بعد كل هذه السنوات؟

وهل يراها احمد بالرغم من توسط جمالها طافحة بالأنوثة والرقّة؟

لأنها مهما تحاول إيجاد التفصيل الجذاب فيها لا تستطيع إيجاده..

شعرت إيمان باختناق شديد فقالت بتوتر وهي تبتسم وتضع قدح الشاي فوق المنضدة أمامها

((سأذهب لأساعد زوجة عمي روعة بإعداد العشاء))

ثم اعتدلت واقفة وخطت نحو المطبخ غير عابئة لنداءات عمها محمد بأن لا تتعب نفسها..

أصرت إيمان بالمطبخ على إخراج روعة منه وعلى مضد وافقت روعة وهي تقول لها متذمرة بينما تخلع مآزر المطبخ

((ولكني لست راضية يا إيما على ذلك.. أنتِ جنّت هنا كضيفة لا لخدمتنا.. لكن ماذا أقول عن حظي التعيس.. لو كانت زوجة ابني تفهم بالذوق أو لها أم تعلمها كيف تحترم حماتها وتخدمها لكانت هي الموافقة في المطبخ تعد الطعام لا أنا.. لم أر بكل حياتي فتاة بكسلها وعنادها ووقاحتها.. ما إن اطلب منها أي مساعدة بالبيت حتى تعاندي وتضع عقلها الصغير بعقل ابنة

أختي اليتيمة المسكينة تريد منها أن تعمل وترتب مثلها
بالضبط))

كانت إيمان والتي التقطت المأزر من روعة وبدأت بارتدائه
تقول بعقلها

"معك حق يا أم مراد.. فلو عرفت والدتها تربيتها لكانت ربت
وعلمت ابنتها الكبرى ولم تتركها على حل شعرها"

لكنها ضحكت بخفوت ثم افتعلت ابتسامة غير صادقة وهي
تقول دفاعاً عن شقيقة هيام

((لا تضغطي عليها يا زوجة عمي.. لقد بدت جالاً ضعيفة
ووجهاً كان شاحباً جداً.. أنا متأكدة من أنها مريضة وإلا لقامت
بنفسها بإعداد العشاء عنك.. ثم من يدري.. ربما تخبئ لنا هي
ومراد شيئاً ما..))

ابتسمت روعة مجاملة لكلام إيمان وهي تقول لها

((أنتِ محقة.. جازز كلامك))

بينما بداخلها تلعن جالاً مئة مرة..

وأه حسرتاه أي حمل سيحدث لأبنها الذي يلي بهذا الزواج..

تمتعت روعة لها بخفوت قبل أن تخرج من المطبخ

((جهزت كل الطعام ولم يبق إلا قلي البطاطا.. عندما تنتهين
نادي علي لنضع أطباق الطعام على الطاولة معاً))

خرجت روعة فتنهدت إيمان تغمض عيناها بتعب.. ودموعها
المحبوسة بالداخل تهدد بالخروج بمجرد أن بقيت وحيدة في
المطبخ..

وضعت في مقلاة عميقة مقدار من الزيت بحيث يكون غزيراً
وكافياً لغمر رقائق البطاطا على درجة حرارة متوسطة..

ثم بدأت تضع الرقائق على دفعات في الزيت الساخن وتتركها دون تقليب حتى تتحمر وتأخذ لوناً ذهبياً..

كانت بحاجة أن تبقى هنا لوحدها لأنها لو بقيت معهم بنفس المكان فيلا شك كانت ستنفجر ببكاء فجائي مثيرة فضيحة وشفقة لنفسها..

هي فقط تريد العودة لبيت والدها حالا.. وفورا..

بينما وبمجرد خروج روعة من المطبخ حتى وقفت هيام من مكانها وهرعت للمطبخ متحججة بخفوت

((سأذهب لمساعدة إيما بالداخل))

كانت هيام بحاجة أن تذهب عندها لتستفهم منها ما تخطط له..
لن تسمح لها بافتعال أي مشاكل بين جالا وزوجها..

لقد شعرت كم كانت جالا منهارة وتعيسة اليوم معها بالرغم من فشل كل محاولاتها بجعلها تنطق عن سبب ذلك..

والآن لا ينقص جالا أي مشاكل إضافية بسبب إيمان..

نظر احمد لهيام تغادر المكان.. وبأقل من دقيقة وقف من مكانه يستأذن هو الآخر

((أين يمكن أن اغسل يدي؟))

أخبره مراد عن مكان تواجد المغسلة فذهب احمد عندها وما أن تواری عن أنظارهم حتى غير الاتجاه للمطبخ..

فتواجد هيام وإيمان سويا بنفس المكان شيء لا يبشر بالخير..

وقف احمد عند المطبخ يدنو على مهله من هيام التي كانت تقف وراء إيمان تسألها بشراسة

((لماذا حضرتي هنا؟ ما الذي تخططين لفعله؟ لن اسمح لك
بافتعال أي مشكلة لأختي))

كانت إيمان تقوم بقلي البطاطا وعينيها تشتعلان بغضب لا
يختلف عن النيران التي أمامها ولكنها تجاهلت التي خلفها حتى
قامت هيام بلفها من كتفها وهي تقول لها بلهجة مستفزة متهورة

((أجيبني ولا تبقي صامتة))

ليشتعل كل الغضب بإيمان وترفع مقلاة البطاطا المليئة بالزيت
المغلي بجنون على هيام قبل أن ينتفض احمد بدوره واضعا
نفسه أمام هيام يحميها من الزيت المغلي ويدفعها للخلف..

لكن ولحسن الحظ كانت المقلاة أثقل وأكبر من أن تستطيع
إيمان حملها ورميها بكاملها عليها فبالكاد رفعتها قليلا وثم
عادت تسقط مكانها فوق النار..

ولم تصل قطرات الزيت إلا لصدر احمد والملقعة ذات الثقوب
الكبيرة والتي كانت موضوعة بداخل المقلاة..

وبالرغم من أن إيمان ابتعدت بشكل حريص عن النار بجسدها
عندما رمت المقلاة إلا أن يدها ومقدمة ذراعها تم رشقهم
بالزيت المغلي..

لكن لم تشعر بالألم وكان جل تركيز أنظارها على احمد..

رفعت إيمان يدها بصدمة على فاهها لا تصدق ما قد أقدمت
على فعله بينما كانت هيام تهتم لتفقد احمد لولا مجيء الجميع
للمطبخ وتجمعهم حولهم عند صراخهم..

لحسن الحظ مجددا.. كانت الحروق على صدر وبطن احمد
حروق سطحية..

اكفى احمد بمنع الزيت الساخن من ملامسة جسده أكثر فخلع
قميصه وساعته وخاتمه الملوث بالزيت..

ثم وضع مياه باردة لمدة ربع ساعة على مكان الإصابة حتى يبدأ حرق الزيت في أن يبرد متجنباً تقريب الثلج منه أو أخذه من روعة التي أحضرته له..

ثم ضغط على مكان الإصابات بقطعة قماش نظيفة رطبة حتى تخفف بعض من ألمه الطفيف..

اشترى له مراد من احدى الصيدليات كريم الحروق ثم لف قطعة قماش نظيفة حول أماكن الإصابة لمنع التهيج متجنباً لفه بشكل ضيق..

وبعد أن فسدت السهرة بسبب هذا الحادث الذي ظهر لهم انه وقع عن طريق الخطأ عرض مراد على احمد أن يوصله للبيت..

إلا أن احمد قال له ببعض التعب

((لا داعي يا مراد.. قم بإيصال شقيقة زوجتك.. أما أنا فستتولى إيما قيادة السيارة.. هل تستطيعين ذلك يا إيما؟))

نظر احمد لها عند آخر جملة بنظرات تعرفها إيما جيدا وقد فهمت بأنه يريد حسم كل ما بينهما.. الليلة..

فقالت إيما بتأكيد رغم وجهها المحمر من البكاء ورغم عدم معالجتها للحروق الطفيفة التي أصابتها هي الأخرى من الزيت لانشغالها بأحمد والمصيبة التي كادت أن تحدث بسببها

((نعم.. بالتأكيد نعم أستطيع ذلك.. لا تقلق يا مراد))

بعد مدة..

أمام منزل والد إيمان وتحت ضوء القمر.. كانت تجلس إيمان
وراء مقود السيارة الساكنة مكانها عاقدة ساعديها على
صدرها..

نظرها شارداً أمامها كما أحمد الذي كان يجلس بجانبها..

قاطعت إيمان الصمت قائلة وهي تلتفت له

((هل عرضت نفسك للخطر وللحرق فقط لأجلها هي؟ ألهذا
الحد تحبها ومستعد أن تضحي بنفسك لأجلها؟))

أجابها أحمد هادراً بحرقة

((لو لم تكوني يا إيما والدة ابني لكنني الآن بالسجن.. ولكنك
فضحتك أمام عائلتك كما كنتي تتوين فضحها أمام عائلة زوج
أختها مسببة المشاكل لهن))

انتفضت إيمان بدورها بجنون عكس نبرتها المرتجفة وهي
تقول له

((سأدخل لبيت أبي وأخبره بكل شيء عنك وعن هيام.. لكن
بداية طلقني.. أريد سماع طلاقي الآن))

قال لها من بين أسنانه وقد طفح الكيل معه

((كفي عن تهديدي كل دقيقة بوالدك.. أنا لا أخشاه بل سيكون
أول شخص سأوجهه بعلاقتي مع هيام))

همست له بحقد وهي تنظر إليه بغضب

((حسنا.. والآن هي طلقني.. فأنا ما عدت أطيق أن أبقى ثانية
على ذمتك))

قال أحمد بخفوت يخفي ضعفاً كان داخله وهو يشيح بوجهه
عنها

((أنت طالق))

نظرت له بزرقاويها بتعابير ساخرة تخفي غضبها وقهرها بشق
الأنفوس وهي تقول

((سنحافظ على اتفاقنا السابق.. الشقة ستسجلها باسمي وستصبح
ملكي.. هذا أقل تعويض حصل عليه من زواجنا.. إلى اللقاء))

ثم خرجت من السيارة وأغلقت الباب خلفها بعنف شديد..

لم تدخل إيمان إلى البيت بل جلست على الأرض العشبية
بالقرب من منزل والدها ترفض الدخول قبل أن تجري هذه
المكالمة..

وضعت الهاتف على أذنها وبعد ثوانٍ وصلها صراخ هيام
الغاضب

((هل أنت وحش على هيئة بشر؟ هل كنتي تريدين حرقني أنا
وهو بالزيت المغلي هكذا؟ كيف حال احمد الآن؟ لقد أوصلني
مراد وجالا قبل أن أعرف حاله))

شقت إيمان ثغرها بشبح ابتسامه سخرية..

هل هي غاضبة لهذا الحد لأنها اضطرت للرحيل دون أن
تطمئن على احمد؟

لا تزال حتى الآن تصدق فضاعه ما كانت سترتكبه بسبب ما
فعلوه بها..

إلا أنها تجاهلت الأمر وقد أخذتها العزة بالإثم لتقول بثبات
أظهر غصة بكاء خلف صوتها المرتعش المتذبذب زيفه

((بل كنت أريد حرقك أنت فقط.. ولو كنتي مكاني لفعلت نفس
الشيء))

تنهدت هيام على الهاتف.. قبل أن تقول لها

((إيما أتمنى منك أن تفكري ولو دقيقة خارج إطار الزوجة التي تخشى أن يذهب زوجها لغيرها.. وفكري بمحلي.. فعندما أتزوج من احمد سيتحدث الكثير من الناس عليّ بالسوء وخاصة انهم لا يعرفون تاريخ حينا القديم.. لذا هل تظنين أن كونك في نظر المجتمع المرأة التي خطفّت أو سرقت الزوج من زوجته أمرٌ سهل تقبله؟ هل تظنين أن تلك النظرة المجتمعية التي تراكِ امرأة شريرة وتنظر لكِ باحتقار وعتب وخوف وتجاهل هي أمر هين بالنسبة لي؟ هل تظنين أن كل هذا سيكون أمرا سهلا بالنسبة لي؟))

ردت عليها إيمان بصوت زائغ

((إذا لم يكن سهلا.. ولا تستطيعين تقبله.. لكنت ابتعدت عنه ولم تفكري حتى بعرضه للزواج..))

ردت هيام بألم اعتادت على وجوده

((إيما أنا أتوسل منك أن تضعي نفسك مكاني.. كيف ستفكرين لو كنت مكاني؟ هل كان سيكون لديك القدر الكافي من القوة حتى توقفي مشاعرك تجاه رجل تحبينه؟ فالمشاعر لا يمكن التحكم بها))

عاندتها إيمان بخشونة

((ولكن يمكنك التحكم بالأفعال.. إذا فشلتني بالتوقف عن حبه.. تستطيعين التحكم والنجاح بالابتعاد عنه))

عادت هيام تتنهّد ثم تجيبها بصوت مرهق على نقيض قوة إصراره

((لا لن ابتعد.. أنا أسفه.. ولكنني تعبت من الهروب والجبن وقررت أن أحارب من أجل حبي له.. لقد ندم كثيرا على تخليه عني أول مرة.. والآن لا أريد أن يحين دوري لأعيش باقي عمري حسرة وندم إن تخلّيت عنه أنا في المرة الثانية))

هتفت بها إيمان وهي تخلع قناع السخرية لتظهر مقدار الحقد
والكره الذي تكنه لها

((لقد تخلى عنك بالسابق.. فهل أنتِ واثقة انه لن يتخلى عنك
مجددا؟ فبالنهاية سيتمنى أن يكون مرجوعه لي أنا أم ولده
الوحيد..))

مرجع ماذا؟

ألم تقل وتؤكد أمام نفسها مئة مرة بأن حياتها مع احمد انتهت
ولن تعود أبدا له وما عادت تريده وتطلب الطلاق منه ليطلقها
فعلا قبل دقائق؟

رفعت إيمان تمسد رأسها فهي مشتتة وتائهة..

سمعت هيام تحاول الشرح لها هادرة

((أعرف أنه أخطأ بالانفصال عني سابقا وخذلني.. لكنه لم يكن
يعرف كيف ستكون الحياة من دوني.. والآن هو أكثر حرصا
على الحفاظ علي.. فقد وجد الحب الحقيقي معي على عكس
حياته معك المليئة بالصراعات والخلافات والمشاكل..))

غمغمت إيمان بقهر وغضب والم

((لا تتبلي علي أيتها الحقيرة.. حياتي كانت مثالية.. حتى ولو
كانت مليئة بالروتين والملل.. ولكن أبدا لم تتواجد بيننا أي
خلافات أو مشاكل إلا عندما التقى بك.. لكن الآن لن أسمح أن
يتم إهدار كرامتي وكرامة ابني لأجل حب مبتذل مثل حبكما))

عذاب إيمان الذي شعرت هيام به جليا في صوتها أثر عميقا
فيها..

فوجدت نفسها تخفض نبرتها وهي تقول لها بصوت متهدج

((لا أعلم ما هو سر ربطك زواج احمد من أخرى بإهدار
كرامتك؟ اقسم لك أنني سأحاول ألا أسبب لك أي إزعاج أو ألم..
فكل ما أريده هو إتباع هوى قلبي وأن أكون مع احمد.. لا أكثر
من ذلك))

حركت إيمان راسها ببطء رافض وعينيها تعودان لتلتتما
بدموعها الحبيسة وهي تجيبها

((لقد سببته لي وانتهى الأمر أيتها الأنانية))

ارتجت حدقتنا هيام بمشاعرها المتدفقة من كلمات إيمان..

إلا أنها ردت عليها تدافع عن نفسها بصدق مشاعرها وألمها

((بل أنت هي الأنانية.. وعليك التوقف عن الشكوى لأنني أنا من
أعاني هنا أكثر منك.. أنت لا تتظرين جيداً لما تملكينه لأنك
تتمتعين بحب النفس وأنا مرتفعة.. تريدان أن تسير حياتك
بشكل مستقر وطفلك حولك تهتمين به.. واحمد مقيد بجانبك لا
يتزوج ولا ينظر لي حتى ولو كان على حساب سعادته فقط
إرضاء لأنانيك.. دون تفكير في حقوقه كإنسان ورجل له الحق
في الحب والحياة.. وتنسين تماماً وجودي.. اجلس بالساعات
وأحياناً بالأيام والشهور وحيدة.. أعاني من الحرمان والاشتياق
له.. اتحدث أحياناً كالمجنونة إلى صورة من منعه أن يكون
زوجي.. فقط لجلس معك ومع طفله..))

قاطعتها إيمان بفورية حادة

((لم يسبق وأن رأيت امرأة تتمتع بهذا المستوى من الحقايرة
والجراة.. لم يتبق إلا أن تقول لها مباشرة بوجهي أن أتطلق لأنك
تغارين على احمد مني))

ردت هيام عليها بهدوء

((لا يا إيما من المستحيل أن اطلب طلاقك أو أفكر بان أخرب
بينك.. مهما حاولت جاهدة وضعي بهذا القلب القبيح فأنا لست

كذلك.. نعم اعرف بأنني سأغار عليه منك بعد أن أتزوجه..
ولكن نار الغيرة ستهدأ قليلاً فيما بعد.. لأنه حبيبي.. ولأنني
أحبه.. واعرف انه يحبني ويعشقتني ولا يستغني عني ولن يحب
أحدًا آخر مثلي))

لم تكمل هيام كلامها خوفاً من جرحها لمشاعرها..

وهي لا تريد أن تتسبب بإيلامها أكثر من ذلك.. يكفيها هي
واحمد ما فعلاه بحقها..

ولكنها فعلاً تثق بأحمد..

ولأنها تعرف بأنه يبادلها نفس مشاعر الحب عقب أن اختار أن
يكمل حياته معها غير مكترثاً لأي شيء..

هو فقط أحبها وقرر أن يتبع قلبه كما فعلت هي حين اختارته
من بين جميع الرجال لتتزوجه..

أضافت هادرة لها ببعض القسوة وقد وجدت أن لا مفر من
اللجوء لها

((قرار زواجه مني بالنسبة لك تحول إلى كابوس.. لأنك
باختصار امرأة غير واثقة من نفسها.. ليس دفاعاً عنه ولا
عني.. ولكن الأنانية صفة غير مرغوبة خاصة في المشاعر..
وليس من المقبول يا إيما أن تشعرني بالراحة رغم إدراكك جيداً
أن أحمد مُجبر على العيش معك جسد بلا روح.. وقلب بلا
مشاعر..))

ردت إيما عليها بصوت لا حياة فيه

((لا يهمني شيء بعد الآن.. لقد تطلقنا وقررت أن أعيش فقط
من أجل ابني.. فلنذهبا إلى الجحيم أنتما الاثنین))

صدرت شهقة مرتفعة من هيام تستنكر منها ما تقوله

((ماذا؟))

لكن إيمان تجاهلتها وهي تغلق الخط عليها وتغلق الهاتف كله..

=====
=====

بعد مرور أسبوع..

دخل مراد شقة والديه ثم اندفع مباشرة للمطبخ ليشرّب الماء
ويغسل يديه..

انتبه على جالا بمجرد دخوله تزيح شعرها للخلف بينما تقوم
بتنظيف وغسل الأطباق..

وكم خطف أنفاسه شعرها الطويل الذي يتماوج حولها بعفوية..

منذ أسبوع وهي تنزل لشقة والديه وتمضي وقتها من الصباح
وحتى عودته بالتنظيف بلا كلل أو تعب..

تنفذ كل أوامر والدته التي زادت تسلطا وسخطا عليها بمجرد
خضوع جالا لها..

شعرت جالا بدخوله فالتفتت تنظر له ترسم على وجهها ابتسامة
حانية بينما تبادر القول له بصوت فشلت بعدم إظهاره مينا لا
حياة فيه ومماثلا لملاح وجهها

((مرحبا يا مراد.. كيف كان عملك؟))

لكنه لم يأبه لكلامها وتجاهلها كما يفعل منذ أيام..

رفع قذح الماء ليشرّبه بدون أن يستطيع منع نفسه من التلصص
والنظر إليها بطرف عينه أثناء ذلك..

مشط كامل وجهها وقد بدت مرهقة بوضوح وناعسة العينين..

لكن في نفس الوقت كانت شديدة الرقة والأنوثة..

ثم اخفض بصره لينتبه على ملابسها وقد كانت ترتدي منامة
بيئية صيفية بقماش ناعم وبأكمام طويلة فبدت محتشمة بشكل
مغريض جدا..

لكن وعلى الأقل أفضل من ذلك الفستان القصير الذي ارتدته
بالأمس وكان يكشف الكثير من جسدها ويحدد تفاصيله بشكل
جعله يتحسر بحرقة على عدم قدرته من الاقتراب منها..

وكأنها تعمدت ارتدائه أمامه..

فملابسها الأيام الماضية كانت بعيدة كل البعد عن الملابس
المعتادة على ارتدائها أمامه طوال فترة زواجهما رغم عدم
راحتها كليًا بها..

فتنهذ مراد تنهيدة عاشق عقب أن انتهى من الشرب ليغادر
المطبخ مندفعًا نحو الصالة..

جلس مراد على احدى الأرائك أمام التلفاز لتخرج يارا من
غرفتها وتشاركه الجلوس بملامح متجهمة..

بالأيام السابقة أصبحت جالا لا تغادر شقة والديه إلا عند عودة
مراد من العمل وصعوده لشقتهم..

وبالمقابل لا تخرج يارا من غرفتها إلا عند وصول مراد شقة
والديه خوفا من تعرض جالا لها بوحشية..

فهي من جهة تستمع بمضايقتها بأنها ستكون قريبا زوجة
مراد..

لكن من جهة أخرى تخاف على نفسها من جنون ابنة سميحة..
فهي تصبح شرسة بشكل مخيف كلما رأتها..

التفتت يارا لمراد الذي وقف من مكانه ثم تقدم للمسجل المتصل
بإحدى أجزاء الحاسوب ليفتحه ويشغل إحدى الأغاني الهادئة..
ثم يقترب منها يمد يده لها..

رفعت يارا نظرها نحوه باستغراب وهو يقول لها

((يارا لا تبدين سعيدة.. اشعر بخطب ما بك.. مع إنك بالعادة
رائقة المزاج.. ما رأيك أن أرفه عنك قليلاً؟))

انتبهت يارا لدخول جالا الصلاة وجلسها بقوة على إحدى
الأرائك المقابلة لها وخلف مراد مباشرة وهي تكتف ذراعيها
بينما عيناها تتفتان شرراً متفاقماً..

كأنها تنور يغلي ويوشك على الانفجار.. كأنها ترسل تهديدا
صريحا لها بأنها ستقتلها بمجرد أن يغادر مراد المكان..

لكن يارا لم تأبه لها.. لتتساهل وتعيش هذه اللحظة مستمتعة
بإثارة غيظها..

عادت تنتظر لمراد الواقف أمامها وما زال يمد كفه لها لتمسكها
وهي تقول له بدلال وهي تطلع لعينيه بافتتان قصدت إفلات
لجامه أمام جالا

((نعم أنت الوحيد القادر على تغيير مزاجي للأفضل يا مراد))

مسك مراد كفها.. قبل أن يرفع حاجبيه ليقول بابتسامة شقية

((هيا لنرقص))

شئت نظرها من حولها وهي تسأله

((أين؟ هنا الصلاة؟))

ضحك مراد على تعابيرها بخفوت مراوغ ثم عض شفته السفلى
مشيرا برأسه لها أن تتوسط الصلاة..

ثم هدر لها بلهجة صديانية محببة لها قاصدا أن يغيض تلك التي
تجلس خلفه وتطلع إليهما بغضب

((لهذا شغلت الموسيقى هنا))

لم تستطع تعابير الدهشة إلا أن تخون يارا لتظهر جليا على
محيائها الجذاب..

فمدت يدها الأخرى له لتشاركه الرقص وتعابير الفرح
تكتسحها..

لقد صدمها مراد..

انه لا يدخر أي فرصة أو شيء ليقوم به أمام إلا قاصدا إثارة
غضب وحن جالا وكأنه يستمتع بذلك فعلا..

وبالتأكيد هي لا تستطيع ألا تنتهز هذه الفرص لتستمتع بالتشفي
بها..

فبدأت ترقص معه رقصًا هادئًا..

وكل هذا كان يحدث تحت أنظار عيني جالا اللتان كانتا
تشتعلان بالنيران وهي تنظر إلى رقصهما..

ولم تستطع أن تفسر رغبته بالرقص مع ابنة خالته يارا على
هذا النحو مستمتعا بمغازلته المقرفة لها إلا بصدق تهديده
بالزواج منها بشكل فعلي..

شعرت بشيء ينفث في داخل متاهاتها الوجع..

استمرت بعقلها تفكر ومن دون أن تلاحظ نفسها كم تكره
زوجها المتأنق السخيف بهذه اللحظة.. ولكم ودت أن تلكمه
بقبضتها على وجهه..

فهو لا يكف عن ملاحقة النساء في كل مكان والتقرب منهن..
سواء سهر أو يارا..

لكم تكرهه .. تكرهه وبشدة لأنه يسمح لهن بالاقتراب منه هكذا
ويسمح لنفسه بالضحك والرقص مع أخرى..

لكم تود التقدم إليه لتلقي له هاتفة شتائم مرعبة من ابدأ واقدا
المعاني بدون توقف عن رميه بالمزيد حتى تفرغ كل الحزن
والغضب المكبوت بداخلها ضده..

لم تلاحظ جالا التي كانت تحددق بهما أن وجهها أصبح محمرا
بينما تساقطت دموعها من بين شراسة الغضب المتقافز بين
عينها..

فما كان منها بمجرد أن انتبهت إلا أن رفعت كفيها بسرعة
تمسح دموعها لتقف من مكانها تفر هاربة نحو الحمام قبل أن
تخونها صرخة انكسار تكاد أن تفلت من بين شفثيها فتكشف
الألام التي تنهش بصدرها وتكاد تفتك بها..

غسلت وجهها بالداخل جيدا من أثار عبراتها الساقطة.. فلا
يمكن أن تترك يارا تشتفي بها أكثر من ذلك..

وما أن انتهت وخرجت من الباب حتى وجدت مراد ينتظرها
بالخارج يسارع بنظراته تفحص وجهها..

كانت عابسة وتعيسة ومطرقة بوجهها للأرض كأنها تحمل كل
حزن ويأس العالم فوق أكتافها..

يعرف أنها غاضبه من تصرفاته.. والغريب بالأمر انه نسي كل
الألم الذي سبق وأبدعت بالتسبب به له..

ولا يؤلمه الآن إلا شعوره بأنها تتألم..

ومن من؟ من تصرفاته هو..

يقسم أنه لا يعرف كيف انتهى الأمر بذلك.. فهو لم يكن يريد أو
يفكر إلا التفتن بإسعادها باللحظة التي تم بها زواجهما..

لكن بالنهاية.. جالا تستحق تصفيقا حار على تعليمها إياه
القسوة..

ولكن.. بعد أن يصفعها هو بقسوة لتقييم مدى درجة تعلمه منها..

مرت ثواني حتى رفعت جالا رأسها بشموخ له وهي تعض
شفتها بقهر ترفض إظهاره..

خفق قلب مراد بقوة وهو يحدق بشفتيها المغريتين اللتين
تضعفانه أمامها..

بعد لحظات من نظرات جالا الفاترة له تجاهلته وهي تنظر
للأمام عقب أن أزلت من على وجهها كل الملامح التعيسة
السابقة لتضع على وجهها بدلا منها تعابير جامدة..

يا إلهي.. ستصيبه بالجنون..

أحيانا تبدو بريئة عفوية تشطر القلب من شدة البراءة..

وأحيانا تبدو كطفلة مشوشة لا تعرف إلا الصراخ والبكاء..

تقدمت يارا منه تقول وهي تعوج فمها وتستفزه بالقول الساخر
وبقصد مبطن

((هيا يا زوجي المستقبلي الثاني.. ألن نتابع رقصنا؟ لا أريد أن
ارقص بحقل زفافي كالبلهاء التي لم تجرب الرقص يوما))

اصطنع مراد الضحك وهو ينظر لها بسماجة قبل أن يشد
شعرها المربوط على هيئة ذيل حصان من الخلف فتأوه بحنق
وغيظ..

غادر مراد المكان وهو يتنهد بإنهاك..

يعرف أن عليه أن يتوقف عما يفعله والا فإن جالا ستزيد
إصرارا على النفور منه..

نفورها منه الذي يزداد كلما اقترب من يارا..

أنه فعلا يدمر كل شيء ولا يساعد.. لكنه لا يعرف لم لا يتوقف
عما يفعل..

ربما.. هو فقط يريد منها أن تغار.. غيرتها تصفي في قلبه
بعض الأمل..

امل بأن تحبه.. فمشاعرها نحوه تتغير كثيرا.. لو فقط ترسو
على ما يريد هو..

.

.

وعند الليل وبعد أن تأكدت من صعود مراد لشقتهما تبعته هي
فوق وأغلقت باب الشقة خلفها..

خطت نحوه وهي تراه يخلع ملابسه يهم بأخذ حمام سريع..
كانت تتنفس بعنف وصدرها يعلو هبوطاً ونزولاً..

لتقول له بصوت مرتفع النبرة

((كيف تجرؤ على الرقص معها بهذا الشكل؟))

هز مراد كتفه قائلاً ببساطة

((ستصبح زوجتي فماذا فيها لو رقصت معها))

ترقرقت الدموع بمقلتي جالا وقالت له

((لكنها لم تصبح زوجتك بعد.. اقصد.. ولن تصبح زوجتك
أبدا))

وكالعادة لم يعياً مراد لكلامها وهو مستمر بخلع ملابسه لتغض
بصرها عنه بعيداً على الفور عندما بدأ بخلع بنطاله الجينز..
اندفعت جالا للخارج فوراً وهي تصفق الباب خلفها بعنف..

عادت تدخل حجرة النوم بمجرد أن شعرت بمراد يدخل الحمام
المرافق للحجرة..

انتقلت بنظرها نحو أرجاء الحجرة قبل أن تركزه نحو الركن
الخاوي القريب من السرير..

منذ زواجها من مراد وهي تلجأ لنفس الركن تتوقع فيه كلما
أرادت البكاء أو شعرت بإحباط..

أغلقت الإنارة الساطعة ثم ذهبت لتجلس هناك قبل أن تعاود
الدموع المترققة على حافة عينيها بالنزول بصمت منها..
فغفت نائمة خلال دقائق وهي على وضعها..

خرج مراد من الحمام ثم خلع مآزره ليرتدي منامة بيئية
مريحة..

اندفع خارج الحجرة يبحث عنها بأرجاء الشقة وهدوء المكان
يثير الريبة فيه..

عندما لم يجدها أنتفض نحو باقي غرف المنزل بقلق ينظر بدقة
نحو كل مكان وهو ينادي عليها بصوت عالي فلم يجد رد
أيضاً..

وقبل أن تأخذه أفكاره إلى مكان آخر عاود الدلوف لحجرة
نومهما ليقف عند الباب مرتاباً وهو يشعل النور الساطع..

دخل إلى منتصف الحجرة لبيحث عنها بعينه بكل زاوية حتى
فتحتها على اتساعهما عندما وجدها نائمة بذلك الركن كما
المرات السابق.. ركنها المفضل..

لقد كان يغير يخلع ملابسه وهي نائمة هناك بدون أن ينتبه.. لن
يستطيع معرفة سر انجذابها لهذا المكان..

تنفس الصعداء ثم تقدم نحوها وهو مستمر بالتحديق بوجهها
النائم البريء عكس تصرفاتها معه..

جلس على عقيبه ينظر لها وما أن هزها عدة مرات بيديه حتى
فتحت عينيها من نومها الخفيف ونظرت له بصدمة..

ثم حدقت به باستغراب تستفسر بملامحها عن سبب قرب وجهه
الشديد منها..

لكنها أطرقت وجهها للأسفل بانزعاج وتيرم عندما تحدث إليها
بهدهوء

((ناديت عليك وعندما لم تردني.. خفت للحظة أنك قد تسلت
هاربة..))

لوت فمها بتهكم لم يناسب احمرار وجهها الدامع

((كيف لي أن أهرب بهذا الليل؟ من البوابة الرئيسية لمباننا
وأمام عيني والدك؟ أم من نافذة غرفتي الموجودة بشقة في
طابق ثاني؟))

رد عليها بنفس التهكم

((لن يكون غريبا عليك لو فعلتها.. التمرد وافتعال الأفاعيل
الهُجاء هي اختصاصك..))

ظل الصمت مخيما بينهما.. وكانت هي تقاوم البكاء أكثر من
ذلك..

بينما هو يتمنى مسح آثار دموعها وقد سبق وان سألت أثناء نومها بصمت على وجنتيها..

إلى أن رفعت جالا عيناها تحديق بعينيه وتتحدث

((لم تصر على قهري؟ هل أنت سادي لهذه الدرجة لتستمع بتعذبي؟))

نظر لها ببراءة..

ثم قال مدافعا عن أفعاله وهو يشير لنفسه بيديه مفتعلا الدهشة

((أنا حقا لا أستطيع فهمك.. ما الضير في زواجي من يارا؟ أنت لا تحبيني.. يجب أن تكوني سعيدة لأنني سأبتعد عنك واذهب لأخرى.. سأريحك مني))

ردت عليه تهمس من بين أسنانها بنبرة شرسة

((إن طلقني قبل أن تعقد قرانك بها حتى))

تتهدد مراد بعمق وهو يشنت نظره بعيدا عنها ثم عاد ينظر لها وهو يقول بينما يهز رأسه باستسلام مفتعل وهو يضم شفثيه

((حسنا.. لا أستطيع أن ارفض طلبك ولا أقبل على نفسي أن ابقى على ذمتي زوجتي التي تريد الطلاق وتكرهني.. ولكن ليس الآن.. لأن أمي ستحتاجك للمساعدة بإعداد حفلة خطوبتي وزواجي.. اخدمينا قليلا وبعدها ستحصلين على الطلاق.. وبالإضافة لأجر لقاء تعبك معنا))

كانت جالا تصغي له بينما تنتظر له بجمود وهي تحس بالاختناق..

ادعى مراد التفكير قبل أن يشهق مدعيا تذكره لشيء فيستأنف كلامه بصوت قاسي وهو ينظر لحدقتي جالا اللتين بدأتا التقلص فجأة وهي تدرك انه يلمس وترا حساس لها

((ولكن وقيل كل شيء.. يجب عليّ إخبار والدك عن طلبك للطلاق.. وإذا وافق.. حسنا.. وقتها فلا يحق لي منعك إياه.. هل فهمتي؟ اطلبي من والدك الطلاق.. وإذا وافق.. حينها فقط لن أتوانى عن إعطائك إياه))

يكاد القهر يتشعشع في كل حنايا جسدها..

لا تهون عليها نفسها ولكنها كيف ستطلب الطلاق وتبرر طلبها أنه سيتزوج لأنه ترفض أن تعطيه حقوقه..

وكم هو إحساس مفعم بالذل أن تكون مجبرة أن تنصاع وتحمل ما تمر به لأجل هذا..

هفتت جالا من بين أسنانها ودموعها تتجمع من جديد في مقلتيها

((مراد.. أنت تعرف أنني تقريبا لا أتحدث لوالدي.. وسيقتلني إذا عرف أنني اطلب منك الطلاق.. لذا طلقني من تلقاء نفسك أو إنسي موضوع زواجك..))

ضغط مراد على شفته السفلى بأسنانه بغضب بينما عروق عنقه النافرة تشتد غيظاً.. ثم ما لبث أن قال بانفعال

((جالا.. مرت سنة على زواجنا وأنا لا زلت عازبا.. أنت ترفضين إعطائي حقوقي الزوجية.. تستمرين بإسماعي كلاما ينسف كرامتي كرجل.. والآن تأمريني بكل تبجح ألا أتزوج؟ هل يوجد في هذا العالم أسباب أخرى ضرورية أكثر من هذه الأسباب لترضي عن زواجي بأخرى؟ هيا أجيبيني))

لم ترد جالا عليه بل بقيت تحددق به وكأن كل دمعة بكتها سرا تظهر على محياها..

وكان كل شعور سيء كتمته خرج من عينيها على هيئة بريق عباراتها..

ثم اختارت النهوض هربا إلى سريرها بدلا من منحه جوابا شافيا..

وبعد ساعات تنهد مراد بمأساة.. فقد حان وقتها نحيتها المسموع ككل ليلة..

هي السبب الرئيسي في قلة نومه هذه الأيام.. فمهما حاولت أن تكتمه يستطيع سماعه..

أسوء ما في الأمر انه لا يستطيع تجاهلها والنوم..

بل يظل مستيقظا متظاهرا بالنوم كل ليلة ينتظر أن يتبعها البكاء وينهكها فتخلد للنوم وحينها فقط يمكن للنوم أن يزور جفنيه..

ماذا يفعل؟ فهو لا يحب التوتر.. لا يستطيع تحمل جو ملبد بغيوم القلق والكآبة..

وتلك المدللة الأنانية تزيد الوضع سوء..

لا يدري.. ربما هي فعلا لا تقصد أن تؤذيه..

ما إن شعر بغرقها في النوم حتى التفت لجانبه ينظر لها ليشاهد دمعة أخرى تهطل على خدها أثناء نومها..

يبدو أنها تراه في أحلامها.. أو كوابيسها بالأصح..

فالأحلام لكارم فقط.. هو من قضت معه وشاركته طفولتها السعيدة.. هو من كان رفيقها ومؤنسها.. هو من استقبلها بالصغر كلما كانت منز عجة أو باكية لسبب أو لآخر..

لكن.. إذا كانت لا تشاهده إلا بكوابيسها فهو يتمنى إلا تغيب الكوابيس عنها ولا ليلة..

طفح غليانه بغضب منفلت عند التفكير بهذه الأمور ليبتعد
ويجلس على الأريكة بعيدا عنها..

لم؟ لماذا لم تسمح له بطفولتهما أو مراهماتهما أن يتقاربا أو أن
يقدم هو الآخر شيئا لها يؤنسها ويبهجها فلا ينتهي الحال بهما
عند تزوجهما كما هو الآن؟

ذنبه أن لم يكن من الفتيان المتملقين السخيفين القادرين على
استهواء أي فتاة بمعسول الكلام وتصرفات لطيفة..

رغما عنه وجد نفسه يقف ويعاود الاقتراب من السرير لينظر
لها بشكل أقرب ويحدق بوجهها معترفا وهامسا

(أحبك يا مليكتي)

للحظة ارتعش شيء فيها كأنها واعية وتشعر بقربه الحميم هذا
وهمساته..

لكنه عاود الاستلقاء على ظهره بجانبها بصمت عكس صخب
أنفاسه الثائرة على أمل النوم مجددا..

=====
=====

صاح صوت فيصل منفعلا ومقاطعا بلا نقاش

((لا وألف لا.. قلتي لك انسي هذا الأحمد.. أي رجل بالعالم إلا
هو))

خرجت من هيام تنهيدة قبل أن تقول بصوت رخيم واضح رغم
تعبه وانخفاض نبرته

((وانا سبق وقلت لك يا أبي لن أقبل إلا احمد.. لقد حاولت أن
أحب أيا من خطابي السابقين لكن لم أستطع تقبل أحدهم حتى
مجرد تقبل.. أنت تعرف احمد وبنفسك شكرت في أخلاقه

وتفوقه في العمل لكن وبمجرد أن تذكرت حقيقة أنه متزوج من
إيما عارضت زواجه مني ورفضت بشدة.. بالرغم من أنه قادر
على فتح بيتين لأنه ميسور الحال جدا))

قطب فيصل حاجبيه وهو ينظر لها وقد احتدت نظرتيه بينما
يزداد تنفسه شدة لتقول له هيام بفروراة ولفائفية

((لماذا ترفض احمد يا أبى؟ أكل هذا خوفا من أولاد عمك؟))

أكفهر وجه فيصل وهو ينظر لبنته ليعاود صوته الصبح عاليا
نافيا ما تقوله بشدة وقد ضربت له وترا حساسا

((اصمتى يا بنت.. أنا لا أخاف أحدا))

لم تأبه هيام لحال والدها الذي تبدل تماما من سىء لأسوء ولم
تأبه لبريق عينيه بالوعيد والتحذير لها من أن تتجاوز حدودها
معه..

قالت هيام ترد عليه بحدة ونبرة قوية

((لا بل تخشاهم وكثيرا.. ومستعد أيضا أن تلغى سعادة ابنتك
من أجل أن تنال رضاهم.. لقد أكملت الثالثة والثلاثون تماما
وبدأت أسير بخطى حثيثة نحو الرابعة والثلاثون وأنت لا تبالي
بى أبدا.. احمد متمسك للآن.. ماذا تريد أكثر من ذلك لتتأكد؟
انه يحبنى كثيرا ويخاف علىّ جدا.. ولا يريدنى إلا بالحلال))

كز فيصل على أسنانه وهو يقول لها بغضب هادر

((اخرسىيىi

تجهمت ملامح هيام لتشيح بها بعيدا عن أنظار والدها.. فنظر
فيصل إليها بينما يتنفس بقوة ثم أكمل ببرود ونبرة قاسية

((الزواج قسمة ونصيب.. إن لم يكن لك فيه نصيب فارضي بما
قسم الله لك.. لننهي النقاش هنا.. وهيا اذهبي وغادري المكان
هنا))

بقيت هيام تشيح وجهها بعيدا عنه..

لم تكن تعي أن جسدها كان يهتز بقوة وغضب..

لتفتح شفيتها أخيرا ناطقة

((ونعم بالله))

مر على وضعهم وهم ساكنين أكثر من دقيقة ويفصل ينظر لها
ترقبا..

ثم زفر بنفاد صبرا وبسأم وهو يسألها بصوت فاتر

((لماذا ما زلتى تجلسين هنا؟))

نظرت هيام لوالدها بغضب وشرر وهي تسأله بإصرار

((أبي لقد انتظرنا أنا واحمد كثيرا موافقتك.. نريد منك جوابا
نهائيا الآن.. لا تقل لي نصيب ولا تدعنا ننتظر أكثر من ذلك..
نريد جوابا نهائيا))

حدق فيصل بعينها وهو يهدر لها بشراسة قائلاً

((إذا كنتما تريدان جوابا نهائيا.. فجوابي النهائي هو لا.. هيا
اغربي الآن من أمام وجهي))

وقفت هيام من مكانها تحدق باقتضاب شديد لوالدها ونظراتها
تنجح دائما بجعله يدرك كم كان أبا سيئا لها..

ثم انتفضت غريزتها الشجاعة لتهدر فيه بتحد تحاججه

((أبي.. الشرع قد كفل لي الزواج بمن أريد ومنع ويلي من
الحيلولة بيني وبينه وعده عاضلاً عاصياً إذا فعل ذلك..))

حديثها بهذا الشكل القاسي معه جعله يقف مشدوها بصدمة ينظر
لها غير مصدقا ما تقوله له..

ليفتح شفتيه هادرا بارتباك

((ما هذا الكلام الذي تقولينه لي يا بنت؟ وماذا ستفعلن إذا كنت
عاضلا عاصيا بنظرك؟ هل ستعصين أوأمري؟))

بصرامة شديدة أردف فيصل وقد زادت عيناه قتامةً

((هيام.. هذا كلامي وقراري النهائي.. ولنرى من سيزوجك إياه
لو رفضت))

قالت له هيام بعينين زائغتين وصوتٍ منخفض

((لا يهمني كلامك.. سأتزوج من احمد ولو من غير رضاك..
سأقول بأن والدي يطعم بدخلي المادي ويقف حجر عثرة أمام
زواجي ويختلق مبررات لذلك.. ويعتبر زواجي من عدمه لا
يضره ما دامت اعمل وأساعد في أعمال البيت))

تغضنت ملامح هيام ندما على الفور على الذي قامت بالتفوه به
أمام والدها فعضت شفتها بقوة تكاد تدميها..

ثم أدارت له رأسها جانبا تزفر أنفاسها باختناق أمام والدها الذي
هتف به بصدمة أكبر

((ماذا؟ ما هذا الذي تهدين به؟))

كانت ما تزال هيام تغض شفتها السفلية وهي تقول له بصوت
مثقل بالخزي

((أنا لا أهذي.. لكن إذا بقيت على رفضك فهذا ما سأفعله))

تجمد فيصل مكانه والصدمة لا زالت تنتشر على ملامحه..

لم يكن أبا مثاليا.. نعم يعرف جيدا..

لكن أن تقوم فلذة كبده الذي أنهك نفسه طوال فترة شبابه من أجلها ومن أجل أخواتها بتوفير حياة كريمة ورفاهية لهن أن تهدد وتقول هذا الكلام له من أجل رجل لهو أفسى شيء يمكن أن يمر عليه..

شعر باليأس والقهر حرفيا يكبلانه..

جفلا الاثنيين على صوت أمينة التي كانت تقف عند عتبة
الحجرة ترفع يدها تضعها على صدرها المنتفض هاتفة
باستنكار شديد

((هيام كيف تتحدثين هكذا عن والدك؟ وكيف تتبيلين عليه هكذا
بالباطل))

تقلص حجم حدقتا هيام لسماح أحد آخر كلامها المخزي الذي
قالته عن والده..

لكنها قالت بثبات وصلابة حاولت جاهدة إظهارهما تصر على
عنادها

((أنا لا امزح بل هذا ما سأفعله.. سأقول بأني ظفرت برجل
صاحب دين وخلق وهو راغب بالزواج بي وأنا أبادله الشعور
ذاته.. وهو يعمل وقادر على تكاليف الزواج ومؤنه.. ولكن
ولكوني موظفة وأخذ راتبا فوالدي يعيق أمر زواجي منه
ويماطل بالردي عليه بأعذار غير مقبولة طمعا في بقائي عنده
ليأخذ راتبي))

ارتفع حاجبي أمينة وهي تقترب للداخل بينما تسمع فيصل يسأل
هيام بخفوت.. وإنهاك شديدا

((ألهده الدرجة تريدنه؟ لدرجة أن تفعلني بوالدك هذا؟))

بدأ تنفس هيام بزداد.. التفتت لوالدها ثم ردت عليه بصوت
منقطع وهي تلتقط أنفاسها

((حتى بعد كل هذه السنوات تسألني هذا السؤال يا أبي؟ عليك
أن تدرك يا أبي أنني متمسكة به.. وسأبذل وسعي بكل الوسائل
الممكنة للحصول عليه.. ومهما تعبت في الظفر به فالربح معي
ولن اندم أبداً))

كان يشعر فيصل بالإهانة.. بل يشعر أنها اتخذت أقسى ومنحنى
مخزي أكثر مما يستطيع تحمله..

فأتجه نحو باب الحجرة المفتوح ليقول بوهن موجهها كلامه لهيام
((عودي لبيتك.. لن اسمح لك أن تتزوجيه وقد انتهت نقاشنا.. ما
يؤسفني هو أنك حقا لا تعرفين قيمة نفسك أبداً))

للحظة لانت ملامح هيام وهي ترى مقدار الألم والقهر والكسر
بعينا والدها وهو يطردها من بيته..

فترقرقت عيناها نحوه برجاء معاتب تصحح ما يقوله والدها..
وتصحح ما قصدته له بصوت ضعيف

((أبي تتحدث وكأنني صيد ثمين لأي رجل؟ لماذا لا تدرك أنني
لم اعد تلك الشابة العشرينية المرعوبة من قبل كل الخطاب))

وباعتذار ضمنى وبحب ظهر جليا على همسة شفتيها أردفت
وهي تتقدم وتمسك كفي والدها تطلب منه أن يعاود الجلوس

((أنا لا أريد أن أتزوج بعدم رضاك يا أبي.. لكن أنت لا
تتصور كم ضميري يتعبني جدا خلال علاقتي به.. أولا لأنني
أغضب ربنا وثانيا أرى أن فيه بعض الشيء خيانة لزوجته
ولك أنت الذي تثق بي كل الثقة.. ولكني أحبه وحتى هذه
اللحظة أريده.. وهو كذلك يحبني ويريدني.. وأنت لا تريد حتى
النقاش في هذا الموضوع إطلاقا.. لذا إن بقيت على إصرارك..

أرى أنه عليّ ارفع أمري إلى القاضي.. فليتنا لا نصل إلى هذه
الدرجة لأن الحياء يمنعني من ذلك))

برها لوالدها لا يَطلب منها أن تضرب لاحتياجها ومشاعرها
عرض الحائط.. وأن تخسر صحتها واطمئنانها النفسي وتعيش
بقلق دائم..

لا يجب أن يمنعها الحياء من ذلك.. فإن هذا مستقبلها وحياتها
ولن تجامل أحدا فيهما..

وكم تتمنى على والدها تفهم هذا والانصياع له..

وعدم معارضته تفادياً لنتائجه الوخيمة.. عليهم جميعاً..

جلس فيصل على الأريكة ليقول بحدة مغيرا الموضوع وهو
يسألها بعينين زائغتين

((وماذا بشأن أمك؟ هل تعرف شيئا عن الموضوع من
أساسه؟))

أجابته هيام بتلقائية

((أبي المهم أن توافق وبعد ذلك ستحل كل الأمور.. واحمد
سيقوم بإرسال أمه كي تقوم بإقناع وتحفيز أمي فلا تقلق))

فجأة انتفضت كل من هيام وأمينة على فيصل الذي أغمض
عينيه فجأة وتهاوى بجسده ليرحبه ويسنده على ظهر الأريكة..

لنتقدم منه هيام هادرة بلهفة وقلق

((أبي.. أبي.. هل أنت بخير؟))

بتردد فتح فيصل عينيه يجيبها بصوته المتعب

((لا بأس.. لا بأس سأكون بخير.. لا تقلقوا))

انزلت احدى عبرات هيام على وجنتها..

لقد تعب والدها الآن بسببها..

لكن هي أيضا متعبة.. يا الله كم هي متعبة الآن..

أخفضت راسها وهي تمر بيدها على كامل وجهها لتفرغ القليل من توترها وهي تسمع زوجة والدها أمينة تخاطب والده بينما تجلس بجانبه

((هيام ما هذه الفظاظة بالحديث مع والدك.. والدك لا يقف ضدك.. بل هو يفعل ما يفعل من بعض تضيقٍ وحصار عليك وعلى أخواتك لا يفعله بقصد الوقوف ضدكم بل يفعله ظنا منه أن هذا أفضل لنعكم.. فافصلي بين النية الحسنة وبين الفعل.. قد يكون والدك أساء الأسلوب لكنه حتما أحسن النية.. وهو يحبك ويريد مصلحتك.. وهذا ليس به أدنى شك وستأكدين منه عندما تصبحين أما قريبا إن شاء الله تعالى يا هيام))

تطلعت هيام لأمينة برجاء أن تفهمها وهي تقول بصوت متخم بالألم والحزن

((خاله أمينة.. لماذا تمنعوني من الرجل الوحيد الذي أريد تمضية عمرك معه؟ أليس لي حق اختيار شريك حياتي؟ كل ما أريده هو ألا يسلبني أبي حق الاختيار.. هذا أقل حق من حقوقي كإنسانة.. أن اختار من أعيش معه طيلة عمري.. ماذا أفعل الآن يا خاله أمينة؟ لا تقولي لي ارضي واستسلمي.. فهذا يعني لي الموت البطيء.. أرجوكِ قللي شيئا لوالدي.. ساعديني بأي حل تريه مناسباً))

صوت هيام دخل تسلل بغدر لقلب فيصل فسرق نبضة من نبضاته.. نبضة ألم.. وندم..

وجدت أمينة نفسها تنتنح لتقول وهي تلتفت نحو فيصل معاتبه بركة

((لا تؤاخذني يا فيصل.. ولكن ابنتك معها حق.. فلا يجوز لك أن تمنعها عن الرجل الذي تريده فقط لأمر نفسية وبدون سبب منطقي خاصة أن ترتب عليه عزف ابنتك كلياً عن الزواج أو اتصالها سرّاً معه))

فتح فيصل عينيه على اتساعها لكلام زوجته.. وقبل أن يصرخ بها أن تصمت استرسلت أمينة

((اتق الله في ابنتك يا فيصل ولا تكن سبباً في شقائها وتعاستها.. فلا سعادة لابنتك إلا مع زوج وأطفال.. وهذه سنة الحياة.. أتسعد أنت وتشقى وتتألم ابنتك؟ أن منعها ممن تحب هو الظلم والقهر بعينه.. وهو أشد مضاضة على نفس ابنتك لأنه أت من أقرب الناس إليها ومن أحرص الناس على مصلحتها.. منك أنت))

تتنح فيصل ينظر بحزم لزوجته قبل أن تلتفت عيناه لأي شيء إلا زوجته وابنته..

بادلت هيام زوجة أبيها أمينة الامتنان والشكر لوقوفها بجانبها..

ثم وبنبرة لينة لطيفة همست هيام باستدراك وهي تجلس على الجهة الأخرى بجانب والدها وهي تمسك بكفيها ذراعه من جهتها

((أبي ألم تعترف لي أنك نادم على عدم موافقتك على احمد بالسابق؟ إذا لماذا تعيد نفس حكاية الماضي؟ صدقتي هو بكل الحالات سيتزوج.. إذا لم يتزوجني سيتزوج غيري.. فأنت لا تتصور كيف تعامله زوجته.. أنا ليس لي أي علاقة بهما.. بل علاقتهم من قبل حتى أن يتجدد لقائي بأحمد كان فيها الكثير من المشاكل.. لذا يا أبي هل ستكون قادراً على تحمل ذنبي مرة أخرى عندما ترفضه ويتزوج من غيري لمرة ثانية؟))

عليها وبإصرار أن تكسب والدها على الدوام وتحافظ عليه..
بالنهاية هو الأبقى..

فهو من لحمها ودمها والعامل الذي لا يتغير..

ألم يطلب منها احمد قبل أن ينفصلوا أول مرة أن تهرب معه
وتتزوج به وهي رفضت؟

ولماذا رفضت؟ لأنها سبق وخافت أن يعايرها بإحدى المرات
أنها حاربت أهلها لتتزوجه..

بل هو نفسه.. هل سيُقي على احترامه وحبها لها إن فعلت ذلك؟

لذلك لقد أخطأت خطأ فادحا قبل قليل بكلامها هذا بمهاجمة
والده..

لم يكن عليه تهديده بأنها ستتزوج احمد رغما عنه..

تحدثت هيام لوالدها بصوتها المهزوز تؤكد له

((إذا رفضت احمد يا أبي هذه المرة.. فانا فعلا سأستسلم
لرفضك.. عسى الله أن يجبر كسري))

تتهددت أمينة بحزن على هيام هامسة

((هيام الحبيبة..))

هزت هيام رأسها تستعطف أمينة وهي تمسح عبارتها بأناملها
هادرة

((المشكلة يا زوجة والدي.. أنه هو من اقتحم حياتي مجددا..
وكان يتصل بي كثيرا ويرسل لي الرسائل التي كانت تعلقني به
أكثر ويضعف قلبي ويجذبني له))

هدر والدها فجأة قائلاً بغضب من بين أسنانه

((النذل.. مع أنني أخبرته برفضي مسبقا إلا أنه مُصر أن
يتحدث معك من وراء ظهري ويحاول أن يغويك للموافقة على
عرض زواجه ولو كان ضد رغبتني))

هزت هيام رأسها نافية تستنكر كلام والدها

((لا يا أبي.. غير صحيح.. احمد محترم جداً.. لقد قال لي لو
فشلنا بإقناع والدك فسينسى ما بيننا ولن يكون هناك أي شيء
يربطه بي.. لكنني يا أبي.. ضعيفة جداً جداً.. وقلبي.. لقد
أتعبني قلبي كثيراً))

أنهت هيام كلامها بصوت جاف مختنق وعينيها معلقتين بالسقف
لتمنع غزارة دموعها من الانزلاق..

لتقول لها أمينة بصوت متهدج

((فليهدى بالك يا ابنتي.. أنا أتفهم مشاعرك جداً وأقدرها فأنت
يا هيام ناضجة فكريا كما أنك حريصة على بر والدك.. وهذا
الأحمد كما سمعت عنه منكم الآن وسابقاً فهو لا يعيبه أمر
وأنت تميلين إليه وتمسكة به.. وهو أيضاً حريصٌ عليك
وتمسك بك))

بملامح مستعطفه دمدمت هيام بخفوت وهي تنظر لها

((هل تعرفين أنني أريد أن أقول له أن يذهب ولا أمل لنا
بالزواج.. لكنني لا أستطيع.. لأنني أحبه وفي نفس الوقت أشعر
أنني أظلمه معي فهو لا يزال ينتظر.. منذ أكثر من سنة وهو
يحاول إقناع والدي بلا فائدة.. لو وافق أبي عليه لكننا الآن
متزوجان ولكنك قد أنجبت طفلي الأول))

التفتت هيام نحو أبيها لتراه شاردا ينظر بعيدا وملامحه القاسية
تنبأ عن عدم رضاه بكلامها..

فقال له بصوت حزين متذبذب من حرقتها

((أنا اعتذر منك يا أبي ولكني وصلتُ لمرحلة لا أحسد عليها..
نفسي تعبت جدا.. وبدأت أعيش تناقضا قويا جدا بين عقلي
وقلبي.. لقد تعبت.. تعبت.. كل ما أريده منك يا أبي هو اتخاذ
القرار الذي سيخفف من آلامي ومعاناتي))

التفتت أمينة لفیصل لتقول له بواقعية

((إنني أناشدك يا فيصل بأبوتك أن تتفهم مشاعر ابنتك وتستوعب احتياجاتها بأن تكون زوجة وتمارس أمومتها.. فماذا تنتظر يا فيصل وعمر ابنتك قد تجاوز الثالثة والثلاثين؟ نعم أتفهم أنك تريد الأفضل لها.. ولكن من أين تأتي به؟ ومن قال إن الأفضل بالنسبة لها هو الأفضل بالنسبة لك؟))

نجحت أمينة بجذب انتباه فيصل لينظر لها.. لكن بنظرات ساخطة لتشيح بوجهها عنه بحرج..

لكنها أصرت أن تعاود النظر له وهي تسترسل معتذرة

((لا تؤاخذني يا فيصل ولكن استسلام ابنتك ليس برا لك.. بل هو ضعف شديد.. وهي محقة بصبرها وإصرارها.. فهو أداتها الوحيدة.. وكلما تقدّم العمر بابنتك شعرت أنت بخطئها الذي اقتترفه في حقها وراجعت حساباتك.. لذلك اتق الله فيها.. ولا تحول بينها وبين ذاك الرجل بأعذار تافهة.. فليس الزواج برجل متزوج عيبا ولا نقصا.. وأنت نفسك يا فيصل تزوجت.. لم تحرم عليه ما حللته لنفسك))

كانت زوجة أبيها مستمرة في بذل الوسع في إقناع فيصل واستخدام كافة السبل الدبلوماسية في استئلال موافقته..

فما كان من هيام إلا هزت رأسها والتأكيد على كلامها قائلا

((نعم صحيح.. لقد تزوج ولم يمانع أحد ولأن الأمر كان متعلق به لم يكن يخش من أحد.. لكنه الآن خائف من أولاد أعمامه))

كانت هيام غير عابئة بالغضب الذي عاودت تسببه لوالدها لذكرها ذلك الموضوع..

ولكنها فعلا لا تتحكم بنفسها وتقلباتها..

استرسلت هيام كلامها لزوجة أبيها أمينة تشكرها مع الإبقاء
والتعبير بوضوح عن مشاعرها واحتياجها للزواج والأمومة
أمام والدها

((شكرا لك يا زوجة أبي.. فأنت تعلمين عمري.. ولا بد أيضا
أنك تعرفين مشاعر فتاة لم تتزوج حتى هذا العمر.. خاصة إذا
كان الجميع من حولها متزوجات.. مشاعر الأمومة.. والحاجة
النفسية والعاطفية لا أحد ينكرها.. لطالما حدثت والذي
بمشاعري وحاجاتي وخفايا قلبي ولكن لا مجيب))

قاطع والدها كلامها بلامح مكفهرة

((هل الآن مشكلتك أصبحت إنك تريدين الزواج؟ كم مرة تقدم
لك سعد ورفضتي حتى رؤية وجهه))

هذا لأن احمد وقتها كان قد عاد لعالمها..

وعاد معه أمل صغير يتسرب لقلبها بأنها ستكون له بعد هذه
السنوات..

ثم إنها قد أقسمت بالله إن لم توافق عائلتها على احمد فلن تقبل
الزواج من آخر حتى تموت..

لأنها تريد حياتها مع الشخص الذي تريده لا مع الشخص الذي
يريدونه هم..

وقد سبق وأعلنت بأن احمد هو الرجل الذي تريده..

ومن حقها اختيار الزوج الذي ستعيش معه ويكون أبًا لأولادها
في المستقبل..

ردت عليه هيام ودموعها تعاود النزول بصمت لا تقف وضيق
في قلبها لا يزول

((أبي.. هل يجوز أن أتزوج غير من أريد إرضاء لك وأظلم زوجي الجديد؟ أنت تحسب يا أبي أنني سوف أنسى بعد الزواج.. ولكن هذا لن يحدث))

أكدت أمينة على كلامها

((صحيح ما تقوله يا فيصل ابنتك.. لا يجوز لك أن تجبرها على الزواج بمن لا تحب.. لأن أمر الزواج خطير فهو يتعلق بأسرة ناشئة يترتب عليها حقوق كثيرة.. فلا بد وأن يحاط هذا العقد بما يضمن نجاحه واستمراره))

خفف فيصل من حدة ملامحه وزوجته تستنرد حديثها تستعطف مشاعرها بقولها

((يا فيصل يا عزيزي عليك حمد الله أن هناك شابا صالحا يطرق بابك طالبا الستر والعفاف لابنتك.. فالحرص على عفاف البنت بالبحث عن الكفاء لها من أوجب الواجبات على الأب تجاه ابنته.. فلا تقف عائقا دون مراده.. بل أكرمه وتلقه بوجه باسم طلق.. ولا تنس أن ما فعله في ابنتك وتفضيل أولاد عمك عليها هو ظلم.. وستحاسب على ظلمك لابنتك يوم القيامة.. والظلم ظلمات في الدنيا والآخرة))

انتفض فيصل مكانه صارخا بقوة وعيناه تعكسان قسوة شديدة

((اخربي يا امرأة هل تقولين إنني ظالم؟))

انكشيت أمينة على نفسها بخفوت بينما ساعرت هيام تدارك الأمر لتقول وهي تمسح دموعها بصوت أقل اضطرابا

((أبي لا.. هي لا تقصد ذلك.. لكن كل ما في الأمر أنه..))

قاطعها فيصل متنهدا باستسلام

((حسنا.. أرسلني لي في طلب احمد لتفاهم))

تفاجأت كل من أمينة وهيام لموافقة فيصل الغير متوقعة..

ولكن ابتسمت هيام بابتهاج وهي تهز رأسها مطيعة

((سأخبره أن يقابلك يا أبي.. إنه يكاد يسألني كل يوم متى
ستسمح له بمقابلتك))

لكن فيصل باعتهما بسؤاله

((وماذا إذا طلبت ابنة عدنان الطلاق؟))

أجابته هيام باقتضاب وهي تنكس وجهها

((من الأساس طلقها قبل أسبوع.. ولكن ربما يعيدها على ذمته
بعدها بمدة))

اتسعت عينا فيصل بدهشة وهو يقول مستكرا فعلة احمد

((هل طلقها من أجلك؟))

أشارت هيام بيديها وهي تسارع النفي

((لا يا أبي.. مستحيل.. طلقها لأسباب تخصهما))

دار بهذه اللحظة سؤالان على فيصل المصدوم..

لماذا قد يقوم احمد بترك شريكه حياته وزوجته وأم ابنه مع
الوضع في الاعتبار أنها قد تحملته وذافت معه مصاعب الحياة
في بداية زواجهما؟

وماذا وجد بابنته من مقومات لافتة لنظره ولعقله ليقوم
بملاحقتها طوال هذه المدة والإصرار على الزواج منها؟

فهو يكاد لا يصدق أن احمد هو من يحفى وراءه ليزوجه ابنته
وهو من يرفض عرضه المغربي..

سمع ابنته تقول له وهي تخفض بصرها وتتلاعب بأناملها

((لا أدري سبب طلاقهما تحديدا.. لكنه غير سعيد مع زوجته إلى حد كبير.. لا يحبها لأنها ظالمة لأهله وتبغضهم.. أنا أقسم أنى أريد مراعاة الله فيها ولا أريد أن أظلمها لأن كل الخلافات التي بينهم سمعتها من طرف واحد فقط وهو زوجها.. لذا لا أريده أن يطلقها وأنا راضيه بلئن أكون زوجة أخرى له..))

أضافت أمينة على قول هيام

((ربما يا فيصل أن سبب طلبه للزواج من هيام من أصله هو لأجل الحصول على السعادة والاستقرار النفسي.. فقد يكون لا يشعر بالسعادة تجاه ابنة عدنان وإن لم يكن تزوج من هيام لكان تزوج من غيرها كي تعطيه السعادة التي يحتاجها))

نظر فيصل بطرف عينه لأمينة وهو يلفت نظرها لنقطة أخرى
قائلا

((ومن الممكن أن ما يتعرض احمد له هو بعض النزوات العابرة في حياته.. ولأن الأنسة هنا تأخر عمرها ولم تتزوج نظر لها كفريسة سهلة له.. وعندما يتزوجها وبعد مرور شهر العسل الأول يشعر وكأنه كان معميا بالكلام المعسول ويريد الرجوع إلى ابنة عدنان وترك ابنتي))

قال فيصل كلامه هذا بغير اقتناع.. فأى نزوة هذه التي تجعله يلاحق ابنته طوال هذه المدة..

التفت لهيام وهي تقول له

((أبي.. لا يوجد هناك علاقة صداقة بينه وبين زوجته.. واحمد بحاجة لزوجة تكون الصديقة التي يحكي لها كل ما يحدث لديه في حياته والتي يُشاركها اهتماماته وأفكاره والتي لا يخاف منها أو يمل من التحدث معها.. وإيما لا تُشاركه حياته ومتطلباته

التي يُفكر بها أو تتفاهم م عه وتُشاركه أحزانه قبل أفراحه.. منذ
أن تزوجها وهي هكذا))

ثم أخفضت صوتها وهي تضيف بصوت مقتضب

((لا أريد أن أتحدث عن أسرار بيتهم.. ولكن إيما فعلا زوجة
مزعجة.. فليس احمد فقط بل أي رجل بالدنيا سيود دائما أن
يرى أنوثة المرأة في زوجته والهدوء والرفقة.. ولكنها وخاصة
مؤخرا أصبحت تقوم بالصراخ في وجهه وافتعال المشاكل
وكسر هيئته في منزله وأمام أبنه))

قطب فيصل حاجبيه لما يسمعه من ابنته.. لكن وقف مكانه يقول
لها

((حسنا.. أنا موافق تماما.. ولكني أريد رؤية احمد أولا
والتحدث له قبل أن يأتي مع عائلته هنا بشكل رسمي لطلب
يدك.. وسيكون حفل زفافك هذا الشهر بأذن الله بعد حفل زفاف
أختك مينا.. وسترين أن امر موافقتي لأحمد عائد لي تماما
وحدي وأني لا أخاف أحدا من أولاد عمي))

قالها فيصل ثم اندفع خارج الحجرة تاركا كل من هيام وزوجته
مدهوشتان بنظران لبعضهما بهجة وسعادة لموافقته السريعة
والمتناقضة لرفضه الشديد الذي كان متمسك به ببداية حديثهما..

=====
=====

وقفت جالا أمام المرأة تضع أحمر الشفاه الفاقع لتكون هكذا قد
أنهت وضع زينة وجهها وعطرها وإن كانت قد بالغت فيها
بعض الشيء..

عليها أن تأخذ تهديد مراد بجدية..

فقد ذهبت يارا مع خالتها للسوق منذ الصباح ولم يعدن إلا قبل
قليل.. ثم دخلن حجرة نوم يارا فورا..

لتذهب هي خلفهن وتتصت بشكل مثير للشفقة عليهن لتحقق
بذعر على يارا وهي ترتدي فساتين جديدة تستعرضها أمام
خالتها والتي كانت تقوم بتقييمها..

عادت جالا لواقعها وهي ترتدي قميص نوم قصير اسود كان
من ضمن جهازها وكان مخبئا مع مثيلاته بدولاب ملابسها..

ثم ارتدت مازرها الخاص فوqe.. فهي لا تدري ما إذا كانت
ترتدي قميصا.. أم بضعه خيوط متشابكة تظهر جسدها بسخاء
شديد..

الآن عليها أن تلقي كل ما حدث سابقا وراء ظهرها لعله
يتلاشى تدريجيا..

ولعلها شمعة الماضي إذا ما تم إيقادها تذوب لتصبح مجرد
ذكريات عابرة لا تأثر على حاضرها..

جلست جالا على الكرسي تنتظر لبعض الوقت ريثما يبدأ
مفعول ما شربته قبل أن تدخل إلى لمراد..

كان عليها شربه حتى يغيبها عن الوعي ويفقدها أي قدرة على
المقاومة عندما يتقدم منها مراد..

هي مضطرة لفعل ذلك فإن دخلت وخذلها جسدها أمامه مرة
أخرى ستكون نهايتهما..

ثم إنها ومهما أنكرت وحتى ولو لم تعترف بالأمر أمام نفسها
إلا أن الذنب يقتلها ويحرق قلبها على مراد وعلى صبره عليها
لمدة سنة..

صحيح انه أخطأ بحقها وبأخطاء فادحة لكن ليس مبررا لتمنعها
عنه خاصة وأنها تفعل ذلك منذ أول ليلة بزواجهما..

ثم إنها حتى هي لم تعد تحتمل وتريد تخطي هذا الأمر الذي
بات يطبق بثقل حقيقي فوق صدرها.. ويجعلها تكره نفسها
أكثر..

نعم تكره نفسها.. فصحيح أن ما يحدث يكون رغما عنها وليس
بارادتها..

لكنها أيضا ومنذ عودتها لمراد هنا تخاذلت وتوقفت عن التحامل
على نفسها..

وكانها تريد العيش معه طوال حياتها بدون أي تقارب..

أي غياب جعل تفكيرها يوصلها أنها ستعيش معه هكذا دون أن
يحدث شيء؟

لكن بأس فلا مزيد من ذلك..

عليها التنازل ومحاولة استرضائه..

عليها أن تتغلب على هواجس الماضي إذا ما كانت فعلا تريد
أن تصل زوجته..

عليها الآن أن تواجه ذعرها وتجاهه قهرها.. وتحارب كل شيء
حتى نفسها لتحفظ بزواجها مع مراد..

يجب أن تتحدى ذكريات الماضي المريرة وتدوس عليهم حتى
لا تهدم حاضرها ومستقبلها أكثر من ذلك..

عاد صدى كلمات والدة مراد التي قالتها لها سابقا بصوت
متهدج من فرط حرقنتها على ابنها ترن بعقلها

"الرجل يضحى بالزواج بكل شيء إلا العلاقة الزوجية"

"أنتِ محظوظة يا جالا بابني الذي صبر عليك طول هذه
المدة.. لكن إذا استمر تقصيرك بحقه فلن يصبر أكثر فانتبهي
لذلك لأنك ستخسرينه"

"هل تعرفين أن الملائكة تلعنك؟ أسألي نفسك.. هل أنتِ
تستحقين لعنة الله عليك؟"

"مراد ابني اعرفه حنون لذا قل لي ما الذي قد يجعلك تخافين
من الأمر؟ ثم إن المسألة ليست شهر أو سنة.. ولكن يجب أن
تعرفي أن لأبني حق شرعي عليك"

"خذي واشربي هذا المنوم الذي سيجعلك ذهنك يغيب عن
الوعي.. ثم دعيه يتمم الأمر للنهاية"

عند صدح الجملة الأخيرة التي قالتها والدته بعقلها هزت جالا
رأسها تشعر ببدأ تأثير المنوم عليها..

وقفت جالا أمام حجرة النوم على قدمين مرتجفتين بالهلع من
المواجهة وهي تعرف أن مراد بالداخل ورعشة نافرة اختض
لها جسدها داخليا..

شعرت بتوتر هائل وتخشب بجسدها إلا أنها أجبرت نفسها أن
تأخذ عدة أنفاس ثم تفتح الباب وتدلف إلى داخل الحجرة بدون
أن تطرقه..

تسمرت بقدميها على عتبة الباب لتنتبين معالم مراد المضجع
على سريرهما لها..

رأته يستلقي فوق الفراش براحة وهدوء ممسكا بملف يطالع
باهتمام لا يشعر بدخولها.. أو ربما هو فقط غير عابئ
بدخولها..

وأسوء ما في الأمر أن كان لا يستر جسده سوى ببنطال صيفي
قصير..

فابتلعت ريقها وهي تجبر عيناها على النظر له وقد أخافها جدا
ما ستواجهه..

لربما لو كانت أنوثتها المدفونة حاضرة لأدركت.. لكن
هواجسها من الماضي تجعلها ترتعب..

حاولت الصمود وهي تتقدم منه ببطء مما جعل مراد يرفع نظره
لها بضجر قبل أن يفتحهما على اتساعهما ويرتعد قلبه داخل
صدره..

اعتدل من مكانه واقفا على الفور لا يبعد عيناه اللتان لا تشعان
إلا برؤية تقاسيم وجهها عنها..

ظل لمدة لا يعرف كم هي تحديدا يتطلع نحوها بلامح غير
مقروءة كأنه يحاول أن يستوعب هوية الأنثى التي أمامه..

يتأمل عينيها المكتحلتين وأنفها الصغير المشاكس..

ثم يُخفض نظراته لشفتيها الرقيقتين المغلفتين بطبقة من اللون
العنبي الفاقع اللذيذ..

ثم ارتعد بإثارة مذهولا وهو يراها تخلع مآزرها فيكوم عند
قدميها بينما تتكش وجهها أرضاً..

ترتدي قميص نوم شفاف يظهر نعومة جسدها ورقته..

فابتسم لها مراد وهو يرى حمرة وجهها تزحف لوجهها من
الأفكار التي قد تدور بعقله عنها..

وللحقيقة هو لم يكن يفكر بأي شيء إلا كيف يذبيها في روحه
وقلبه وعقله قبل عاطفته..

اقترب منها لترفع نظرها قليلا لتنتبه لصدره العضلي العاري
تماما مما جعل أنفاسها المتوترة في تزايد..

استنشق مراد بعمق ونشوة نفساً طويلاً صاخباً وهو يميل كله
نحوها..

ثم مد كفه ليمرره بحرارة فوق ذراعها العاري ليرتجف من
ملامسته لبشرتها الدافئة ارتجافا لا يضاهي ارتجافها وخوفها
هي..

فهمس لها بصوته المبحوح

((مليكة.. أرجوك ثقي بي ولو قليلا))

لم تستجب له بل وحرمته حتى من متعة لقاء الأعين..

فأقترب أكثر منها حتى بات يشعر بحرارة أنفاسها المبعثرة..
ليكرر همس سؤاله بحرارة

((لا أريد منك إلا أن تثقي بي.. أرجوك.. هل يمكنك ذلك؟))

خرجت منها إيماءة ضعيفة..

وقد كانت هذه الإيماءة هي كل ما يحتاجه مراد قبل أن ينال ما
يصبو إليه وتهفو له روحه..

مسك جسدها بكفه الأخر لتحاول جالا المقاومة بوهن شديد..

فرغما عنها حاولت إبعاد كفه وهي تسأله لاهثة بحرارة رجاء

((مراد.. لحظة.. تمهل))

كانت تريد استئناف الحديث معه قبل أن يبدأ بشيء..

ولكنه لم يصغي وهو يغمض عينيه ويقرب ثغره منها ببطء مما
جعلها تحاول إفلات جسدها من قبضته وإشاحة وجهها قليلا
عنه هادئة تتوسله بلهاث خائف

((مراد.. لا.. توقف قليلا))

إلا انه لم يرد وهو يحتضنها بخشونة ويسكتها بقبلة هجومية مما جعلها تتصلب مكانها تغمض عينيها وهي ترتعد بين ذراعيه..

تجمدت وعجزت مكانها وهي تحاول تهدئة نفسها وأن تتقبل قبيلتها كما فعلت عدة مرات وقد اعتادت على الكثير من القبلات الجريئة منه..

إلا انه فاجئها وهو يرفعها بين ذراعيه ويتوجه بها ممدا إياها على فراش سريهما بينما شفتاه مستمرة بأخذ شفتاها بقبلة تكاد تقطع أنفاسهما..

لاحظ نزول دموعها ليفصل قبيلتهما بأنفاس لاهثة..

سمعها ترجوه هامسة بشكل شبه هيسستيري لاهث متقطع بينما تشدد على إغماض عينيها ودموعها مستمرة بالجريان

((أرجوك.. تمهل قليلا..))

كانت تنتظر مفعول المنوم عليها تماما قبل أن يبدأ هو بأي شيء..

بينما عاد مراد يقرب وجهه منها ينثر قبلاته برقة على محياها ليجعلها تهدأ..

همس لها من بينهن بصوته المرتعش إثارة وهو يشدد من احتضانه لها

((أرجوك.. لا تطلبي مني التوقف.. ليس وبعد أن جنئت بنفسك لي))

وقبل أن تفتح شفتيه بتوسل آخر اقتناصهما بقبلة عميقة يلتحم شهيقة بزفيره..

وقد بدأت كفاه تجتاحان جسدها الرقيق المرتجف..

فتأوهت جالا منتفضة بخوف وهو اجس الماضي تعود لها ما إن
خلع مراد قميص نومها بالرغم من لمساته الحنونة وهو يترك
لروحه الحرية في امتلاكها بشغف..

فزمت شفتاها تطبقهما وكأنها تجاهد بالتحامل على نفسها
لتنحمل لمساته..

بينما كان يرى مراد أنها خطت بقدميها له وبكامل رغبتها
ورضاها مما جعل رجولته تنتفض تطالبه قربها ووصاله..

رجولته التي تكتمل إلا بقربها منه..

ككيف تريد منه التوقف وهو يكاد يموت شوقا ورغبة ولهفة
لهذه اللحظات..

ليسعدها ويدلل أنوثتها.. لينهل من سحرها ويشعر انه يسكن
فيها.. ليغرق في محراب أنوثتها..

ونبضه قد مزق فؤاده الذي لا يخفق إلا حين يسمع صوتها..

ليحكى لها عن الحب الذي ينمو في صدره منذ عرفها..

فهي له الحياة وبها يصعد للسماء وبين الغيوم..

حياته لا تكتمل إلا بها ولها ومعها..

فهي العمر.. والعمر مرة واحدة بالحياة..

هو رجل صبر طويلا وحن الوقت ليمتلك امرأته..

كان أناء ذلك يردد همساته في أذنها بحرارة عملا على نيل
استجابتها.. عملا على ذوبانها.. لتضييع معه في بحر وحرارة
أنفاسه..

وبكل صبر وحنان يحاول تطويع جسدها المثمنج وتخبطاتها..

وكانت لحظات حتى فقد ما تبقى من سيطرته وأكمل ممارسة
جنون شوقه لتصبح زوجته قولاً وفعلاً..

وفي هذا الأثناء فتحت جالا عينيها تنظر للسقف تُحدقُ به..
تحدق في الأفق وفراغها..

قبل أن يذهب وعيها وتغلق عينيها لتسقط في نوم عميق جعله
يتجمد مكانه ويبتعد عنها قليلاً بتخبط..

ليكتشف أنه فقد تواصله معها..

أو لربما لم يكن تواصل إلا من طرف واحد ألا وهو طرفه..

ألم يشعر بهذا في خضم ثورته السابقة؟

نظر لها بحدقتيه المهترتين؟ أل هذه الدرجة لا تؤثر لمساته بها؟
أو أنها..

مرت ثوانٍ فقط ليدرك ما الذي فعلته..

.

.

بعد ساعات وقبل أذان الفجر..

سحبت جالا الغطاء حتى كتفها والتفتت له تتطلع نحوه..
لوجهه..

لتتسع عيناها قليلاً وتتردد وجنتيها بخجل وهي تتذكر ما قد
سبق وحدث بينهما.. مع أنها تعرف كيف انتهى الأمر..

رفعت مرة أخرى نظرها له تحدق به.. وقد بدا مراد منهكاً
مستنزف القوى وشعره بدا مشعثاً..

وبنفس الوقت بدا وكأنه غائب وسط حالة صدمة وعيناه
المظلمتان تحديقان أمامه بالفراغ المعتم اللامتناهي..

لقد جاءت بقدميها عنده متحاملة على عقدها وهو اجس
ماضيها.. لماذا لا يبدو راضيا أو سعيدا؟

كان هناك صمت مطبق بينهما.. أخافها.. وجعلها تتوقع سبب
عدم رضاه.. لتتفرق الدموع بعينيها..

ثم بوجل وبؤس قالت تعتذر له بصوت مكسو بالرجاء والأسف

((مراد.. تحدث.. لماذا تبدو غاضب؟ هل تكرهني؟))

لم يجيبها مراد وهو لا يزال غارقاً بظلمة بحر ما قد سبق
وحدث قبل ساعات وما يزال يتردد بذهنه بألم..

فقد كانت أنفاسه العنيفة لاهثة عندما ابتعد عنها.. لاهثة
باشمئزاز منها وما قد حصل توا بينهما لا بفعل الرغبة أو
المتعة..

وكان جسدها هو من يرفض تقربه والأمر ليس بإرادتها..

ألهذه الدرجة ترفضه؟ إلى حد ألا تسمح له بلمسها إلا بعد أن
تكون كالجثة بين ذراعيه..

ولكن هو المخطئ..

نعم هو من قبل على نفسه أن يضغط عليها ليجعلها تبادر وتأتي
بقدميها له ورغما عنه حتى ولو أظهرت العكس بالبداية..

عاد يتذكر كيف ابتعد عنها حائرا من حالة الجمود التي كانت
فيها بين يديه كالجثة الهامدة قبل أن تسقط بنوم عميق من تأثير
المنوم الذي شربته..

التفت أخيرا لها يسألها بنبرة مبحوحة وبأسلوب خشن

((هل أمي هي من أعطتك المنوم وأخبرتك أن تشربيه قبل أن تجعليني اقترّب منك؟))

أطرقت جالا بوجهها للأسفل وهي تومئ برأسها ثم تجيبه
بارتباك شديد

((كنت بحاجة أن اشربه حتى لا أقومك ونهي الأمر سريعاً
ونخلص منه.. والآن لا حجة لديك بالزواج من يارا.. قبل
ذهابك للعمل ادخل عندها وأخبرها بقرارك واجعلها تدركه
جيداً))

عاد مراد بجمود يلتفت أمامه..

كان كلما يقترب منها تنتظر له بحدقتيها الهلعتين وبخوف لم
يسبق وإن شاهده في حياته وجسدها يرتعد من الرعب كأنما
تساق إلى الموت وهي تنتظر..

لذلك صبر عليها ولم يحاول إجبارها يوماً..

بل كان بكل محاولة يقترب منها برفق دون أن يمارس معها
شيئاً إلا برضاها رغبة منه بكسر حاجز الخوف لديها..

وقد حرص على ألا يظهر له سخطه لأنها لا تقبل قربه حتى لا
يؤثر على نفسيته..

بل يتعامل معها بأريحية ويوصل طمأنته له وأنه سيصبر عليها
لأنه متعلق بها..

لم ينصاع لكلام امه بأن يعطيها منوماً حتى لا يترتب على ذلك
آثار نفسية عليها..

وحتى تبقى ذكريات تلك الليلة طيلة العمر..

ألا يكفي مرادتها الكثير من الكوابيس الكثيرة خلال نومها؟

لذا لماذا انتقمت منه الآن بهذا السلوك المعوج؟

لماذا قامت بتأدية للأمر معه وكأنه واجب لا بد أن تقوم به..

وكان محاولته لاقتحامها هجوم لا دعوة للاستمتاع والتعبير لها
عن حبه لها عن حبه..

عاد مراد يلتفت لها ويقطع لحظة السكون بينهما قائلاً بنبرة
خطيرة وأنفاسه تتسارع بينما يشع الغضب من عينيه ولم يعد
للتعقل مكاناً في رأسه

((لم أكن متأكداً بشكل كامل بالسابق بشأن زواجي الآخر..
ولكن الآن أشعر أنني متأكد مما سأفعله.. سأتزوج غيرك.. ولن
المسك مجدداً..))

فغرت جالاً فمها بينما بدأ قلبها ينبض بجنون..

فأردف مراد كلامه بنبرة ناعمة تخفي النيران المندلعة بداخله
وهو يشعر بأنها تستهين بما يقوله

((هل تسمعي يا جالا؟ أقسم لك بأني سأتزوج.. أقسم بالله..
يارا أو غيرها لا يهمني.. المهم أنني سأتزوج))

اعتدل من مرقدته يستطرد كلامه صارخاً وقساوة شديدة تغشى
قلبه

((أنا فعلاً أشمئز منك.. وخاصة بعدما حدث بيننا قبل قليل..
لماذا تعمدت شرب ذلك المنوم الملعون قبل مجيئك هنا؟ لو كنت
لا اهتم بوعيك.. لكنك استخدمت المنوم منذ أول ليلة بيننا وقبل
سنة من الآن.. لكنني تحملت وصبرت لسنة كاملة لأنني كنت
أريد إتمام الأمر بكامل وعيك لتحبي مع لمساتي.. لكن ما فعلتيه
خبير ظني كثيراً بك.. لقد أفسدت ليلتنا الأولى شر إفساد))

تسكع بنظره على وجهها وعلى عيناها الدامعتان وملاح
وجهها المستكينة بشحوب..

والغريب في الأمر.. انه كان لا يشعر حقا بالأسف تجاه أفعاله
نحوها.. على الأقل ليس نادما لعله يعالج كرامته الجريحة..

ثم نهض من فراشه بعنف نحو الحمام..

بينما أطلقت جالا شهقة شبيهة مكتومة وهي ترتمي بوجهها على
الوسادة..

غير مصدقة لما قد صرح به مراد..

لقد ظنت بأنها وخاصة مع نجاحها بالمبادرة له قد تجاوزت
الكثير من الأعراض والصعوبات.. حتى وإن توقعت بأن الأمر
سيحرك عندها بعض الذكريات مما حدث..

لربما لو كانت أمراه أخرى مكانها لأعلن جسدها ذوبانه من
أول لمسة منه.. لكن ليست هي..

لكنها لم تعلم بأن عقلها وجسدها المريضان والغارقان في بحور
الوهم هما ما يبعدانها عنه..

بعد ساعة..

خرج مراد من الحمام مرتديا مازره وقد أحس بأنفاسه تضيق
وهو يراها منكمشة على نفسها..

كان مراد يأخذ حمامه بينما جالا تدفن رأسها بوسادتها
المعتادة.. يغشاها الألم وتبكي بمرارة وشهقاتها المكتومة تخرج
منها بصورة يتقطع لها نياط القلب..

لكن عقد حاجبيه وقد ارتسمت المساواة على وجهه وكل ما حدث
سابقا بينهما يضرم النار فيه ليأمر قلبه أن يصمت ويتجاهلها..

لن يلين.. لن يلين.. هي لا تستحق ذلك.. لن يلين أمامها..

ففي الوقت الذي كان فيه متعطشاً لممارسة الحب معها للمرة الأولى ولاكتشاف خفايا هذا العالم المليء بالإثارة والذي لطالما رسمه في مخيلته.. قامت هي بإفساد كل شيء ببرود وبساطة..

لكن للحظة تغيرت ملامحه وهو يهمس اسمها وقد توسعت
عيناه هنيهة

((جالا..))

وعندما لم تحبه تقدم منها بلهفة وقلق يسألها فوق رأسها وهو
يهز كتفها برقة سيطرت على حواسها

((جالا حبيبتي هل أنت بخير؟ هل تشعرين بأي ألم؟))

شعر بجسدها يرتعش بقوة كمصاب بحمى وهي تجيبه بخفوت
كالآنين قبل أن تنتحب ببؤس اعتصر له قلبه

((نعم.. اشعر.. بالألم.. جدا))

تفاعل مع كلماتها بلهفة أكبر وقد تشرب القلق والخوف إلى
ملامح وجهه يستأنف أسألته بتخبط

((هل تريدين الذهاب للطبيب؟ أو.. أو هل أجهز لك مغسلاً
دافئاً؟))

رفعت وجهها الأحمر المحققن من البكاء عن وسادتها وهي
ترفع الغطاء لكتفها توارى عريها وتحاول ستره..

ثم التفتت له تهز رأسها له منتمته بموافقة وعيناها المحمرتان
مطرقتان للأسفل

((سأقوم بأخذ حمام دافئ))

صحيح أنها كانت غائبة عن الوعي أثناء ذلك..

ولكنه كان خائفا من أن يكون هناك شيء معين قد ألمها بمجرد أن استيقظت..

لذلك رغما عنه وجد باله مشغول عليها ونفسه مهتمة بها وبمشاعرها..

أفاق مراد من أفكاره متمتما لها بخفوت وتلقائية وهو يحاول الإمساك بنظراتها بينما هي مستمرة بإخفاضها تداريها عنه..
ليأمرها برفق

((خذ حمامك الآن ثم توضئي لصلاة الفجر))

بالحمام تقدمت جالا نحو المرأة الموضوعه فوق المغسلة ساهمة تنظر إلى الأثار التي تركها مراد على عنقها وهي ترفع أناملها لتلمسها وهي لا تعرف ما شعورها الحقيقي مما حدث تحديدا..

فاغتسلت جالا وبعدها صلت صلاة الفجر ثم تمددت على سريرها وتغطي نفسها بغطاء السرير..

وقتها دلف مراد لحجرة نومها وهو يرتدي منامة قطنية..

خطى اتجاهها ليضع كوب حليب على الطاولة الصغيرة الملاصقة للسرير بينما يخبرها برقة ولطف

((اشربي كوب الحليب الدافئ هذا الذي أعدته لك))

اعتدلت من سريرها شبه جالسة تراقبه مذهولة للحظة وهي تأخذ كأس الحليب من على الطاولة..

بدأت شربه دفعة واحدة ليحين دوره بمراقبة ملامح وجهها..

قبل أن يحول نظره لشعرها البني الطويل الرطب الذي ينسدل على كتفيها..

مد كفه يمسح فوق شعرها متخللاً أنامله بين خصلاتها هامسا
لها

((هل اسرح لك شعرك؟))

هزت له رأسها وهي ترفع نظرها تخبره بصوت مبجوح متآكل
ممزوج بالقليل من المرح والاحتياج

((نعم سرحه لي بالمشط لا بأنامل يديك))

ابتسم مراد لها بحنان قيل أن يستدير ويدنو من منضدة الزينة
لتخونها دمة يتيمة لا تعرف سببها تأخذ طريقها للنزول ببطء
راسمة خط مستقيم على طول خدها..

سارعت بمسحها بكفها وهي تقول له بصوت متذبذب بينما
تضع كأس الحليب النصف ممتلى على الطاولة بجانبها

((استخدم المشط الذي له أسنان واسعة بدل فرشاة الشعر ليفك
تشابك خصلات شعري ويفصلها عن بعضها.. فليس من السهر
فصل خصلات الشعر المبللة خاصة وهو مموج))

ابتسم لها على طفولية كلامها بدون أن يجعلها تراه..

أخذ المشط وعاد لها لتزيح وتسمح له بالجلوس على طرف
السرير خلفها..

قرب مراد رأسه من شعرها يغمض عينيه ويفتح شفقيه ليملأ
صدره من رائحة شعرها المنعشة..

جفف شعرها أولاً بالمنشفة الموضوعة بجانبها..

ثم قسمه إلى أجزاء أصغر وبدأ في فك تشابك هذه الخصل
الصغيرة برفق بعيدا عن العشوائية..

ليبدأ تمشيط خصلاتها البنية بحنان متناهي..

فسمعها تقول له بضحكة خافتة مرحة باهتة

((أنت تسرح شعري أفضل مما كنت اسرح شعر عرائسي
عندما كنت صغيرة.. تسرحه بشكل ناعم بالنسبة لباقي جنس
الرجال الخشن.. حتى أمي لم تكن تسرحه بنفس مستوى حذرك
ولطفك الآن))

ابتسم لها هادرا بتهكم وهو يجمع شعرها مع بعضه البعض في
ضمة واحدة حول بضعه ثم يلفها برباط مطاطي بإحكام

((وهل كان لديك عرائس فعلا كباقي الفتيات الصغار؟ لأنني لا
اذكر إلا ملاحظتي لك ومنعك من اللعب مع أولاد الحارة
وأصدقائي))

ابتسمت جالا له مع الذكرى وهي تطرف بعينها كي لا تبكي
هامسة له

((نعم اذكر.. كنت وقتها أكرهك جدا كلما تشكيني لوالدي بأني
اللعب بالخارج مع الصبيان.. مع أننا كنا صغار.. ربما كنت في
السابعة أو السادسة.. بعدها صارت أمي توبخني إذا ما عرفت
أني تجرأت بالذهاب للخارج.. ثم كان معي..))

عادت تعض على شفتها السفلى بشدة وهي تبتتر كلماتها..

لا تصدق بأنها كانت ستقول بأنها كانت ترافق كارم الذي كان
يمنع أي أحد من الاقتراب منها أو إيذائها..

لا تزال تتذكر موضع شكوك مراد وأمه عن مدى تجاوز
حدودها مع كارم عندما كانت مخطوبة منه ولا ينقصها المزيد..

سمعته يرد عليها ولا يبدو أنه انتبه للأمر

((حتى ولو.. لو كان لي أخت صغيرة لما كنت سمحت لها
بالخروج أبدا والاختلاط مع صبيان الحي مهما كان عمرها))

أدارها بين ذراعيه ورفع أنامله ومسح على خداه بحنان متناهي
إثر أتر تلك الدمعة التي انزلت على خداه..

ثم قبل رأسها وهو يراها تيرم ثغرها قبل أن تقول له متممة
بخفوت وعتاب

((نعم صحيح.. لكن يارا ماذا؟ أليست فتاة؟ هل لو كان لها أخ
كان سيقبل أن تعيش وتقرب من ابن خالتها بهذا الشكل؟))

لم يؤثر عليه عتابها أو صوتها المختنق شديد الهشاشة وهو
يخبرها وعيناها تيرقان بقسوة مقصودة

((لكنها ستصبح عن قريب زوجتي))

تحرك حلقها وهي تبتلع الغصة المؤلمة فيه لتبتعد عنه بغتة
وهي تنفض كفه من على شعرها هاتفة به بقوة

((ابتعد عني.. اتركني.. واترك شعري))

هز مراد كتفيه يبتسم لها بمشاعبة

((أساساً أنهيت تسريحه))

أخذت جالا نفساً عميقاً ثم قالت له بخفوت ورجاء

((مراد لقد سمحت لك بأخذ ما تريد.. لا يمكنك فعل هذا بي))

لم تهتز ملامح وجه مراد بل ظل يحمل كل هدوء وبرود العالم
فوقه وهو يقول لها ونفس الابتسامة المستنفة مرتسمة على
وجهه

((شكراً ولكن بعدما أخذته بدأت اشعر بأنه تم خداعي.. لذا لم
أعد أريده وسأرجعه لك لأجرب شيئاً آخر))

ظهر الغضب على تقاسيم وجه جالا لتقول له بشراسة

((لا يمكنك إرجاعه.. لأنه لا يُرجع أساسا.. أنا أكرهك.. من كل قلبي أكرهك))

قالت له آخر جملتين وقد بدأت الدموع تترقق بعينها..

فبرقت عينا مراد بشيء يشبه الألم عليها ومنها..

وقف معتدلا من مكانه وابتعد عنها هادرا مع استمراره بالنظر لعينها

((وانا أبادلك نفس الكره يا زوجتي العزيزة.. وجدا.. ولقد تعبت منك))

قال آخر جملة متخمة بالكثير من الألم والتعب..

فرفعت وجهها تتطلع إليه بتعجب وقلق شديدان..

بدأ يمحي ملامح وجهه السابقة وهو يخبرها بجدية

((جالا دعينا نتحدث قليلا ونتصارح.. نحن فعلا بحاجة ماسة للمصارحة.. والآن))

أشاحت بوجهها عنه وهي تقول له بامتعاض

((بماذا تريد النقاش؟))

بنبرة الم سألها

((أريد أن اعرف لماذا شربتي ذلك المنوم؟ لماذا لم تسلميني نفسك وأنتِ بكامل وعيك؟ لماذا أفسدي كل شيء؟))

بصدمة ظهرت على كل ملامحها.. وروحها التي كانت تنن بدورها مع وقع سؤاله عليها..

إلا أنها أجابته بصدق تعمدت الإجابة به مكرهة وهي تخفي الوجع خلف تقاسيم وجهها

((مراد إذا كنت تريد الصراحة.. فانا لست نادمة أبدا على شربه.. فعندما لم أفقد الوعي منذ البداية.. شعرت فيها بألم شديد.. لقد كنت غير مبالي لشيء إلا لرغباتك.. لم تهتم بكلماتي بأن تبتعد واستمررت للحصول على مبتغاك.. لذا الآن..))

صرخ مراد بها بصوت عالي غير أبها لساعات الفجر أو خوفا من أن يقلق منام الجيران من حولهم وقد بدأ تنفسه يزداد بعنف

((اصمتي))

عادت تسأله ببطء متعمد استفز روحه

((ألم تطلب مني أن نتصارح؟))

كان صوت تنفسه يرتفع وكأنه يلتقط أنفاسه بصعوبة وهو يصرخ بها وعيناها تستجدان به بياس إلا توصل الأمور بينهما إلى هذا الحد

((قلت لك أصمتي))

هل تريد إيهامه بأن رغبته فيها كانت قوية وجعلته يتصرف معها مثل الحيوانات بشكل غرائزي وليس من منطلق الحب؟

وكم بدا اتهامها له حقيرا منها..

يعرف أن طبيعتها كأنتى تريد العاطفة أولا قبل الانجذاب الجسدي.. وهو لم يبخل عليها بكلاهما..

هدر بها يشد على أسنانه

((لست غرا أحمق لتخدعيني وتجبريني على الشعور بالذنب..

إياك أن تصوريني كحيوان همجي ومتوحش))

عادت تخفض نظرها تقول له بوهن

((لماذا غضبت من صراحتي؟ ألم تعد تريدها؟))

الحقيقة وبدون مبالغة فهي شعرت وقبل غيبان و عيها بألم شديد حتى لو لم تكن ممارسته عنيفة..

كيف لا تشعر بذلك والأمر يرتبط لديها بذكرى سيئة في اللاوعي لديها..

فعلى الرغم من محاولاتها المستميتة لإخفاء ما حدث وتناسيه..

إلا أن جسدها لا ينسى أبداً ما حدث له.. ويحاول بطريقته الإفصاح عما تعرضت له..

قال مراد لها بغل

((لا.. لا أريد.. فقط اخربي))

تمتت له بإصرار ضعيف بلامح وجهها المكفهر

((ولكني أريد ذلك.. وأريد أن أقول لك بأنني لا أريد تكرار الأمر أبدا.. لأنني أشعر الآن بالاشمزاز والخجل.. اشعر حقا بأنني لا أريد تجربته مجدداً.. أشعر بالغثيان لمجرد التفكير في ممارسة الأمر مرة أخرى))

بل هي تشعر بالغثيان منذ أول مرة حاول قربها منذ بداية زواجهما..

هذا ما تردد على ذهنه..

قال مراد لها وعيناه تمران على وجهها بقهر

((وأنا لا أريد ذلك.. ولن أظاهر بأنني استمتعتُ بذلك بل وارى أن أفضل ما في الأمر أنه لم يستمر طويلاً))

سألته بألم بعدما رفعت عينها له

((لو كان الأمر كذلك لماذا تريد الزواج؟))

كلما حاول أن يغالب ما في قلبه ازداد اتقادا..

قال لها مراد بكل قسوة

((قلت بأني لا ارجب بممارسة الأمر معك أنتِ تحديدا.. لكن
مع أخرى فساكون أكثر من مرحب.. المشكلة بك أنت))

كانت تنتظر إليه مرة أخرى مأخوذة بما يكرر عليها..

فبادلها النظرات قبل أن يكمل أمرا إياها بنبرته القاسية وما
بيطنها من ألم يشعر به

((أكملي شرب كأس الحليب))

لم ينتظر منها أن تشرب بنفسها..

بل عاد يجلس بجانبها ويرفع الكوب لثغرها يجعلها تشرب ما
تبقى من الحليب رغما عنها وهو يخفي ابتسامته الباهتة
بصعوبة بالغة من منظرها المضحك رغم الألم الذي لا يزال
يبرق من عينيه..

أنهت جالا شرب الحليب ليبعد الكأس الفارغ عنها..

سمعها تتنهد بتعب وهي تمد يدها لتسحب عدة مناديل لتمسح
حول ثغرها الملطخ بالحليب ليصلها صوت مراد الفوضوي
وهو يفشل بشرح لها ما يرده

((نحن لا نعرف كيف نتصارع مع بعضنها.. لكن ما رأيك أن
تذهبي إلى طبيبة نفسية أو ربما.. بما أنني فشلت طوال مدة
زواجنا أن أغير نظرتك لي أو أن أتفهم ماذا تريدين بالضبط
من زواجنا.. لربما أقول))

تسرب الهلع لقلبيها..

وخوفها من أن يعرف مراد ماضيها تزايد بشكل مهول عند ذكر طبية نفسية..

الطبية قد تكون أخطر إنسانة بالنسبة لها فقد جعلها تفصح عن مكونات قلبها بطرقها وأساليبها الخاصة..

ولا أحد يجب عليه أن يعرف حقيقة ما مرت به..

كما لا تضمن أن الطبية لن تخبر مراد بما تخبرها إياه..

لا تريد من مراد أن يعرف.. لا يجب أن يعرف..

إذا كان كارم الذي قضى معها كل حياتها وأحبها بصدق لم يتحمل وتركها فكيف بمراد المتحامل عليها؟

لقد اعتادت أن تخطط جروحها من الداخل بنفسها.. حتى لا يعرف أحد وحتى أمها بحقيقة وجعها وشدته..

لا يجب أن يعرف مراد.. أقل وجع سيتسبب به لها أن يقوم بلمس جراحها وإيلامها..

بدأت عبراتها بالسقوط بل بدأت تنتحب وهي تهز رأسها نغيا بإصرار وهي تهذي بصوت عالي تخشى من ظنونه أن يكون يشك بما حدث لها بالماضي

((لا مستحيل لن اذهب لطبيبة نفسية.. مستحيل..))

اتسعت عيناه على منظرها ثم رشقها بنظرات غاضبة من ارتفاع نبرتها وهو ينهرها

((اخرسي.. يكفي فهمت اخفضي صوتك.. أنا من الأساس لم أكن مقتنع بذهابك لطبيبة نفسية.. لكن كانت مجرد محاولة أو اعتبريه اقتراح غبي.. أعني كنت أفكر لربما نجحت الطبية بتفهم مشاكلك معي والتي أعجز أنا نفسي عن فهمها.. لكن انسي))

كان يهم مراد للخروج من الحجرة ولكنه توقف عند الباب
عندما سمعها تهتف له

((مراد انتظر))

التفت نصف النفاثة لها ليراها تقف وتتقدم ببطء نحوه حتى
وقفت خلفه مباشرة معانقتا إياه من الخلف..

أغمضت جالا عينها بقوة وهي تحاول أن تبتلع قشعريرة ما
تجرات للقيام به..

ازدرد مراد ريقه بارتباك وهو يقف مكانه للحظات مذهولا مما
فعلته..

أحس بأطرافها المتشنجة تحاول الاسترخاء لتضع جانب وجهها
على ظهره براحة وهي تتمتع بالدفء الذي بدأ يتسرب إلى
أوصالها..

فبدأ مراد تلقائيا يقارن بين أول مرة قام بعناقها بحياته وكيف
قامت بدفعه وإفراغ ما بجوفها حرفيا من مجرد قربه.. وبين
الآن..

أمس قامت بالمجيء بقدميها له لكنها عادت تنفر ما إن حاول
عناقها كما باقي المرات..

وكانها كانت تدعي أو تتصنع رغبتها بقدمها له..

لكن الآن هي من أنتت من نفسها وما هي لا تزال تعانقه من
الخلف ولا يبدو وكأنها تتصنع رغبتها بالانغمار بعناقها..

هدرت جالا به بصوت يكسوه الرجاء والاحتياج

((مراد.. أرجوك أبقى ساكنا للحظات وتقبل عناقى))

كانت فعلا بحاجة للعناق والاحتضان منه.. فقط منه هو..

ولا تعرف لماذا.. لكن الأمر فقط يعود لشخص واحد قادر على لمسها من الداخل بطريقة مختلفة عن البقية.. بطريقة حقيقية..

ولم يكن هذا الشخص إلا مراد..

ولا تعرف كيف بالرغم من استمرارها لتذكر لكل المشاكل والأحداث التي مرا بها سويًا وأدت لشرخ علاقتكما قبل أن تبدأ حتى..

شعر مراد بها تزيد من شدة عناقها له وهي تحتضنه بقوة..

حد أن جسده لا إراديا تصلب للحظات وملامح الذهول تنتسرب لوجهه أكثر من السابق وهو يدير رأسه للخلف ينظر لها بصمت متسائل..

أحس بجسدها يتذبذب وكأنها ستعاود البكاء..

وثواني كانت حتى بدأت عبارتها تتحول لبكاء هستيري مفعج استمر لدقيقة وشهقاتها تتداخل من بين بكائها..

فما كان منه إلا أن حرر يديها من حوله ليستدير لها..

ارتمت فوق صدره تلف ذراعيها حول عنقه وهي تحتضنه بقوة..

كانت ترتجف بشدة فدست رأسها بحنايا عنقه وهي تزيد من التصاقها بجسده الصلب والقوي..

وكانها تريد أن تختبأ بداخله وتتمسك به كطفلة صغيرة تتلمس الأمان والحنان من والدها..

وكم بدت بهذه اللحظة هشة حد أن يداها المرتجفتان بدأت تمتدان تحيطانها ببطء وحذر خشية إيذائها وهو يجذبها إلى أحضانه يدسها بأصلعه..

جسده كان يرتجف هو الآخر استجابة لقرئها وهو يهمس
باسمها بصوت متحشرج متخم بالعاطفة أن تهدأ..

كان مراد عاجزا لا يعرف كيف يجعلها أو ماذا يفعل لها لتهدأ..

وبنفس الوقت كان قلبه غاضبا عليه وهادرا بعنف يستطيع
سماعه وروحه تكاد تنشطر لنصفين لأن كلماته هي السبب
بحالتها هذه..

حتى ولو أنها هي من دفعته لقول ما قاله..

أناملها كانت تقبض على قميصه بقوة وهي تنتفض بين ذراعيه
بشهقات حاده تكاد تمزق حنجرتها..

رفع كفه ببطء يلمس رأسها ثم انزله على ظهرها يربت عليه
بينما يقرب وجهه من رأسها يقوم بتقبيله..

حملها ووضعها على السرير وتمدد جوارها..

من المستحيل أن تتوقف عن البكاء..

لديها دموع لكل شيء.. فإذا كان لا بد وأن تبكي فلتبكي
بأحضانها..

قبل جبينها ثم ضم جسدها إلى صدره أكثر بقوة مغمما لها

((جالا من الآن وصاعدا لا تبكي إلا بأحضاني.. أنا أحق
بالشعور بدموعك بدلا من تلك الوسادة الغبية))

ثم عاود إبعاد رأسها قليلا لينثر قبلاته على وجهها يمسح
الدموع التي تملأ محياها الجميل بحنو..

لن يفسد هذه اللحظة بأي شيء آخر..

جذبها له من جديد وهو يدس مؤخرة رأسها بصدره الذي ابتل
من دموعها..

يريد فقط ضمها هكذا إلى الأبد..

أخض وجهه ليقرب ثغره من أذنها يهددها بهمساته الحنونة..
حتى هدأت واستكانت بين ذراعيه.. بالرغم من انقراض جسدها
بشهقات صغيرة بين الحين والآخر..

فتنهذ مراد ثم زاد من ضمها متشبثا بها بقوة يدفنها بأحضانه
يكاد يسحقها ويخفيها بين ذراعيه..

كم بدت الآن في غاية الرقة بأحضانه..

غفا الاثنتين لساعات..

ثم استيقظ مراد بعدها في نية الذهاب لعمله وهو يفتح عينيه
بطيء بينما كانت ابتسامة جميلة تشق محياه الوسيم أثناء نومه..
من كان يصدق انه هو من كان مدمنا للعمل أصبح بسببها مدمنا
للغياب بمختلف الأعدار..

أخض بصره ينظر له فتزيد ابتسامته اتساعا وهو يضمها
بشوق كبيرا وكأنه يتأكد من أنها نامت لساعات بأحضانه
تتشبث به كطفلة صغيرة..

زفر بخفوت وهو يبعتها عن صدره مرغما بعد دقائق ويدعها
تنام على الفراش برفق مبتسما بعبث.. إنها تخطو باتجاهه..
ودون أن تشعر..

وقد شعر بقربها قبل قليل أنه كان خال تماما من النفور
والرعب منه..

كيف له أن يشق صدره ويغسل قلبه من كل شائبة سببتها له
فيصفو وينجلي؟

ابتسم لوجهها بألم ثم قبل ما بين عينيها برفق قبل أن يقف
معتدلاً مغادراً المكان لارتداء ملابسه ثم الذهاب لعمله وقد
قارب الوقت على الظهيرة..

عصرًا..

لا تدري جالا ما الذي أصابها حتى تقف وتتصنت خلف باب
حجرة يارا..

كانت تريد أن تناديها لتساعدتها في المطبخ ريثما تعود روعة
من تسوقها لأجل حضور حفل زفاف أختها مينا..

قربت جالا أذنها من الباب تسمع يارا تستنجد بشخص ما على
الهاتف هادرة ببكاء وصوت عالي مذلولة

((لا افهم.. أنا احبك.. أريدك أنت ولا أرى غيرك فلماذا تريد
تركي؟ لا أرجوك لا تتركني))

أنهت يارا كلماتها بصراخ موجه عندما فتح جالا الباب لها
ودنت منها وهي تسألها بصرامة مستفسرة بينما نكتف ساعديها

((من هذا الذي كنتي تعلنين حبك له على الهاتف؟))

قالت يارا وهي تلقي هاتفها على السرير وتدفع جالا من أمامها
ووجهها مغرق بالدموع

((ابتعدي أيتها الغبية.. قلبي موجه.. لا أستطيع تحملك))

استعت عينا جالا وهي تقول لها بتهديد

((قلبك موجه؟ انتظري قليلا حتى اتصل بمراد واجعل
أعضاء أخرى فيكي تتوجع))

سارعت جالا تدنو من الهاتف وتطلب رقم مراد غير عابئة
بتهديد يارا الذي هدرته من بين بكائها

((لا إياك أن تخبري مراد.. سأقتلك))

لقد جاءت الفرصة لها لتبعد يارا عن زوجها نهائيا ولن
تضيعها..

فقال جالا لها بإصرار وهي تضع الهاتف على أذنها بانتظار
رد مراد

((بل سأخبره ليعرف الحقيقة الدنيئة للفتاة التي اختار أن
يتزوجها.. يجب أن يعرف أنها كانت تتلاعب به وبشباب آخر
بنفس الوقت.. وكما تركك ذلك الشاب الآخر سيتركك مراد))

وصل جالا رد مراد على الهاتف برتابة

((مرحبا يارا.. هل هناك شيء؟))

تنهدت جالا وهي تنظر للغارقة بنوبة بكاء أمامها بدون أن
تشعر باي شفقة عليها..

ثم أشاحت بوجهها بعيدا عنها تقول لمراد بنبرة غل

((معك جالا على الخط.. تعالي هناك أيها الخطيب المخدوع
واعرف حقيقة المرأة التي اخترتها للزواج منك))

وصلها صوت مراد الحائر

((ماذا.. جالا؟ لحظة لا أفهمك))

أغمضت جالا عيناها ثم فتحتها تقول له بغضب

((يارا.. ألم تكن تخطط للزواج منها؟))

أجابها مراد بتخبط

((ماذا؟ نعم.. فعلا.. نعم صحيح.. ماذا بعد؟))

بدأت تتحدث بنفس غضبها لكن ببطء وكأنها تشرح لشخص
عديم الاستيعاب

((لقد سمعتها الآن تتحدث مع رجل غيرك وتعترف له بحبها
وألا يتركها.. أنها تخونك حتى قبل أن تتزوج منها فكيف
سنتكون بعد الزواج منك؟))

تحفز صوت مراد وهو يقول لها

((جالا.. ماذا سمعتي أيضا؟))

أجابته بتلقائية وهي ترشق يارا الباكية بنظراتها الصارمة
والمتشفية بينما تراها تدفن رأسها بفراشها

((فقط عرفت بانه انفصل عنها قبل قليل بعد أن عرف بأنها
تتلاعب مع رجلين بنفس الوقت.. والآن حان وقتك لتنفصل
عنها))

أمرها مراد بصرامة

((جالا.. رقيبها جيدا ولا تدعيها تغيب عن نظرك.. مسافة
الطريق وأكون بالبيت.. ابقى بقربها هل تفهمين؟))

ابتسمت وهي تقول له متهكمة بعفوية

((لا تقلق يا زوجي العزيز.. سأمسكها جيدا وامنعها من
الهرب.. إلى اللقاء))

أغلقت جالا الهاتف ثم رمته على سرير يارا والتي سمعتها
تتمتم باختناق

((لا اصدق انه تركني بهذه السهولة.. وكان الحب الذي كان
بيننا كان من طرف واحد وهو طرفي))

نظرت جالا لها متشممة ثم قالت لها

((بالتأكيد سيتركك.. هذه نهاية كل فتاة متلاعبة مثلك.. تريدان سرقة زوج من زوجته وبنفس الوقت حزينة على ترك الشاب الآخر لك؟))

رفعت يارا راسها تنظر لها بشراسة وما إن اعتدلت تحاول الخروج من الحجرة حتى وقفت جالا أمامها تغطي الباب بذراعيها المفتوحتان غير عابئة بصرخاتها الشرسة بوجهها

((ابتعدي أيتها الغبية عن الباب.. أريد أن اغسل وجهي))

هزت جالا رأسها نافية وهي تقول لها بصلاية وثبات

((ولا يمكن.. لن اسمح لك بالفرار.. على مراد أن يأتي ويعرف حقيقتك وألا يفكر مجددا بك كزوجة حتى ولو كان غير متزوجا بي))

بعد ثلث ساعة..

كانت جالا تجلس على الأرض وتتنهد بحيرة بينما تستمر بسماع صوت بكاء يارا الذي لا ينقطع..

هل تسرعت؟ لماذا اتصلت مباشرة على مراد؟

لربما كان يجب عليها أن تتأني قليلا قبل أن تفعل ذلك..

صحيح هي تريده ألا يفكر بيارا كإمرأة يمكن أن تكون زوجة له.. لكن لم يكن عليها فعل ذلك..

والآن ماذا سيفعل لها مراد عند قدومه؟

ليس هينا أبدا أن يعرف بأن الفتاة التي قام بخطبتها تخدعه
وتخونه مع شاب غيره..

بل يكفي أنها ابنة خالته حتى لا يتسامح مع فعلتها..

وقفت جالا من مكانها تقول ليارا وهي تتوجه نحو دولابها
وتخرج ملابسها منها

((اصغي لي يارا.. سأعطيك فرصة للهرب فقط شفقة على
شبابك الذي سيضيع هباء.. احزمي ما تستطيعين من ملابس
واهربي عند أحد آخر.. اهربي عند بيت احدي أختيك..))

جفلت كلتاها على صوت مراد قوي النبرة وهو يدخل الحجرة
عليهما بغتة كالعاصفة

((من تلك التي تشجعينها على الهرب؟))

نظرت جالا خلفها له بفزع هاتفه باسمه

((مراد))

متى جاء؟ لماذا لم تسمع صوت فتح الباب الخارجي من هنا؟

تقدمت جالا هلعلة وهي تقف أمامه تمنعه من التقدم نحو يارا
هاتفه به بخوف

((مراد.. لا.. تمهل.. لا تدخل الحجرة.. لا تدع غضبك
يحركك))

دفعها مراد من أمامه لنتراجع للخلف بخطوات متعثرة شاهقة
تكاد تقع أرضا..

جلس مراد على سرير يارا بجانبها يفتح ذراعيه لها بدعوة
للعناق وهو يسألها بقلق حقيقي

((هل أنت بخير؟ ماذا قال لك؟))

هزت يارا رأسها نافية وهي تقول له بينما تتقبل ذراعيه
المحتويين

((مراد لا أنا لست بخير أبدا.. لا زلت اصدق انه تركني))

رفع مراد أنامله يمسخ على شعرها..

بينما جالا واقفة أمامهم تحرق بهم بعينين جاحظتين وشفتيها
فاغرتين لكنها عاجزة عن نطق حرف..

كانت مصدومة بشدة لا تكاد تصدق ما يحدث أمامها..

وجهت جالا كلامها بعد أن استطاعت الحديث أخيرا لمراد
باشمئزاز وهي تهز رأسها نافية من كم أملها الخائب به

((مراد.. أنا لا اصدق ما يحدث أمامي.. كنت تعرف أنها على
علاقة بشاب آخر ومع ذلك ارتبطت بها؟ أنا فعلا لا اصدق كم
انحدرت أخلاق الناس بزماننا هذا.. لا تتخيل ما طبيعة الأفكار
التي تنتابني حولك الآن بل سقطت من نظري))

تنهد مراد ساخرا من كلمتها قبل أن يلتفت لجانبه يخفي
ابتهامته..

بينما تحول البؤس من على ملامح يارا بالتدريج إلى سخرية
صامتة بلامحها قبل أن تتحول سخريتها إلى ضحكة متهمكة
عالية ملئ شديها وهي تغمض عينيها المبللتين بالدموع..

كانت جالا تنظر لكلاهما باستغراب ووجوم شديدان جدا وهي
تشعر بالتوجس..

هدأت ضحكات يارا لتهز رأسها بعدم تصديق قبل أن تقول
أخيرا بصوت متشدق وهي تنظر لمراد

((تلك الغبية المعتوهة حتى الآن لم تعرف أنني أختك وتصدق
بكل غياب مسرحية زواجنا))

الصدمة بانث بوضوح على ملامح جالا الشاحبة وهي تنظر بلا تصديق إلى مراد تسألها صحة كلام يارا

((ماذا؟ أختك؟ ولكن كيف ذلك؟))

ثم تحول نظرها ليارا التي كانت تطلع لها بشبه ابتسامة ساخرة ناسية كل بؤسها هادرة

((أيتها الغبية ألم تفهم بعد؟ أنا أخته بالرضاعة.. كل الجارات يعرفن ذلك وأنتِ الغبية وطوال سنة كاملة لم تتمكني من اكتشاف تلك الحقيقة))

كانت يارا تهز رأسها لها بتشفي.. وحزن على انتهاء هذه التمثيلة..

لكنها تعترف أن السنة العصبية التي جعلتها تمر على جالا كانت كافية نوعا ما لمتعتهها..

عقدت جالا حاجبها بقلق وتوتر للحظة وراقبت مراد فيها قبل أن تصدح ضحكته الرجولية الساخرة.. والفاتنة.. وقد عجز أن إخفائها أكثر..

هتفت جالا به معترضة بحنق شديد

((هل تكذبون علي؟ أم تسخرون مني؟ كيف سأؤكد أنكم لا تخدعونني؟ لقد كنتي تذهبيني مع خالتك كل يوم للتسوق وتتهامسون عن حياتك المستقبلية ببيت زوجك))

عادت ملامح البؤس ترسم بوجه يارا وهي تقول لها بصوت حزين

((هذا لأنني أيتها الغبية خطبت قبل أيام وكنا هذه الفترة نتعرف على الهاتف قبل أن يقول لي قبل قليل انه يريد الانفصال وطلبه من والديه أن يخطباني له فقط لأنه أعجب بشكلي الخارج كان أحرق شيء قام به في حياته.. فشخصيتي لا تناسبه))

قالت كلامها الأخير وقد بدأت عيناها تترقرق بدموع جديدة..

فنظر مراد لها بشفقة وهو يقول لها بينما يربت على ظهرها

((لا تحزني.. صدقيني نحن الخاسرون.. بل اقصد.. أعنى..

اقصد انه هم الخاسرين.. لقد خسرك.. والنذل الذي لا يفهم
بالأصول كان عليه أن يخبر والدته أن تفسخ هذه الخطبة لا أن
يقولها بهذا الشكل لك على الهاتف))

تطلعت يارا له وقد بدأت الدموع تنزلق على وجنتيها

((مراد أنا حزينة بل منهارة.. اشعر أن لا قيمة لحياتي بعد أن

فقدت أعلى شيء فيها))

هدر بها معترضا بذهول وتهكم

((لم تتعرفي عليه يا يارا أ لا قبل عدة أيام فكيف أصبح هو أعلى

ما في حياتك؟))

حركت جالا رأسها باستنكار جلي والتفت نحو مراد ترفع يدها

معترضة تقول بغضب

((حسنا.. أنا أقف هنا ولا زلت غاضبة لأنكم لم تخبروني

الحقيقة وتركتموني أتعذب لمدة سنة كلما أراها تحوم حولك

وتلمسك بدون أن تبدي أنت أي اعتراض.. كنت أقول إنك لا

تعرف التحاذق والتسلط إلا عليّ وتنسى نفسك يا حضرة الشيخ

مع ابنة خالتك))

قالت لها يارا تقصد إغاضتها وهي ترفع حاجبيها

((هذا لأنك غبية.. ليس ذنبنا إنك كذلك))

صرخت جالا بها تنهرها

((توقفي عن نعني بالغبية أيتها الغبية))

نظرت يارا لمراد تشير لجالا بيدها وهي تشكوها له

((انظر لها كيف تشتمني.. تصرف معها أو سأفصل رأسها عن جسدها.. الآن))

نظر مراد لها ببرود ثم تنهد بنفاذ صبر وقال لها وهو يقف ليغادر المكان

((يارا يبدو إنك بخير.. ولا تحتاجيني لأية مواساة.. بل أنا من احتاجها.. إلى اللقاء))

قالت له جالا مبتسمة بصوت عالي وهي تراه يغادر شقة والديه

((اصعد فوق للنوم وسأوقظك قبل موعد زفاف أختي بساعة))

حركت يارا يدها تقول لها متذكرة

((أوه صحيح زفاف أختك الليلة.. لقد كنت اختار فستان الحفل ونسيته بعد تلك المكاملة حرفيا.. متى ستأتي خالتي روعة من السوق؟ علي الاستعداد من اجل حفل زفاف.. ماذا كان اسمها ليينا أو دينا أو تينا؟))

أجابتها جالا بشرود وهي تغادر الحجرة وتشعر بالانبهار..
بالصدمة.. بالسعادة.. من انتهاء موضوع ابنة خالة مراد

((ميينا اسمها))

.

.

ليلاً.. أثناء الزفاف..

كانت ميينا جالسة مع عريسها بصالة النساء وهي ترتدي فستان زفاف أبيض بسيط يناسب بساطة الحفل..

بينما جالا التي تلبس حجابا ورديا يغطي خصلات شعرها
وفستان قماشى طويلا اسودا يوارى جسدها بالكامل تجلس على
نفس الطاولة التي تجلس عليها روعة ويارا..

وهيام كانت تجلس مع زوجة أبيها وأخواتها الثلاثة وكم ودت
جالا لو تستطيع الجلوس معهن على نفس الطاولة بالرغم من
انه لا توجد بينها وبينهن تلك العلاقة المتينة..

لكن على الأقل أفضل من البقاء مع حماتها.. واخت زوجها
بالرخصة.. الغيبة يارا..

كانت القريبات يترددن على طاولتهن ويلقن التحية على روعة
والسؤال عن حالها قبل أن يستفسرن عن عدم قدوم أختها راما
لحفل الزفاف..

أخت روعة أي زوجة عدنان الدال..

فلا عدنان الدال جاء ولا أولاده الثلاثة ولا ابنته إيمان لحفل
زفاف مينا..

بينما كانت تجيب روعة عليهن بحرج أنها لا تعرف
وستواصل معها على الهاتف فور عودتها للبيت..

سمعت يارا تتحدث بغرور وغنج

((انظر يا خالتي لتلك الفتيات هناك كيف يشرنى علي.. ومعهن
تلك المرأة الكبيرة.. لم أراها تزيج عينيها عني منذ بداية
الحفل..))

ضحكت جالا ساخرة ثم التفتت وراءها تنظر ليارا قائلة بتهكم

((مراقبتهن لك طوال الحفل لا يعني أنهن يشعرون بالغيرة منك
أو معجبات بك.. بل على الأرجح يحفظن حركاتك حتى يقلدنك
بالبيت أمام بعضهن البعض ويضحكن كثيرا عليك.. فقد كنت
قبل قليل ترقصين بشكل مضحك جدا ولافت.. صدقيني))

قالتها ثم عادت تلتفت للأمام مستمرة بالضحك بخفوت تحت
أنظار كل من يارا وروعة التي تكاد تتميز غيظا منها.. ومن
اكتشافها امر مسرحية زواج مراد السخيفة..

بدأ دخول الرجال للقاعة التي تتواجد فيها العروس مبكرا عن
العادة..

فجاءة بدأت جالا هي من تتميز غيظاً بل كانت عيناها
ستخرجان من محجريهما ما إن رأت مراد يدخل القاعة ثم يقف
على جنب مع احدى قريباتهم والتي كانت ترتدي فستانا طويلا
باللون الأسود يلتف على جسدها كجلد ثان..

كانت قد وضعت أيضا شالا شفافا يكاد لا يخفي شيء من
خصلات شعرها المتساقطة على وجهها بعفوية مقصودة
ومتعمدة بمجرد دخول الرجال للقاعة..

حتى أنها لم تأبه لفستانها المفتوح من الجانب حيث يُظهر ساقها
حتى ما قبل ركبتها بقليل ولم ترتدي شيء تحته..

كانا بعيدان عنها لا تستطيع سماعهما لكن من هيئة تلك القريبة
ومن إشارتها الجسدية بدت وكأنها تتحدث مع مراد بموضوع
تافه.. وبغنج ودلال تتغزل به..

الأحمق.. بدا سعيدا بالتحدث لها وابتسامته من الأذن للأخرى..

ما حجته هذه المرة؟ هل هي الأخرى أخته بالرضاعة؟

المشكلة أنها تغازل له علنيا وكأنه غير متزوج..

وكانها هي غير مرئية ولا تقف هنا تنظر لهما ولو كان هناك
مسافة بينهم..

تيا له.. هل يبتسم لها الآن كاشفاً صف أسنانه المتلألئ بلا
حياء؟

لقد دخل مع باقي الرجال للقاعة لتتقيط العريسين لا لمحادثة
الفتيات وتلقي الغزل منهم..

هل هذا فعلا مراد هذا الذي كانت تسمع عنه قبل زواجهم أنه
وبمجرد مرور فتاة من أمامه يخفض رأسها خجلا وحياء؟

انتبهت على مراد بلمحها بطرف عينه وبدلا من أن يتقدم منها
ويترك تلك التي معه أعطاها كل ظهرها ليكمل حديثه براحة..

زفرت جالا بضيق وهي تغادر مكانها وتدنو من طاولة عائلتها
وتجلس بجانب هيام بغضب تشرد بعيدا..

بعد دقائق وقيل خروج جميع من في القاعة جفلت جالا وعادت
للوواقع وهي تعدل جلستها عند تقدم والدة كارم من طاولتها
واللقاء السلام عليهن جميعا واحدة.. واحدة..

ردت عليها جالا التحية بابتسامة خافتة مجاملة لها..

توقعت جالا أن تغادر الطاولة لكنها وجهت نظرها لها تسألها
مستفسرة وقد كانت عيناها تلمعان بفضول.. بل كان الفضول
ينغز كل ما فيها لمعرفة كل تفاصيل حياة جالا

((لم تعودي تزوريني يا جالا منذ زواجك.. هل هنت عليك
هكذا؟))

نظرت جالا لها بحنق..

كيف تريد منها أن تزورها وهي والدة خطيبها السابق الذي
هجرها أمام الناس من أجل صديقتها!

أجبرت جالا نفسها أن تبتسم مرة أخرى وهي تقول لها بخفوت

((حقك علي يا خالة.. سأزورك قريبا))

فجاءت تلاشت الابتسامة من على وجه والدة كارم وهي ترى أن
جالا لا تنظر له بعينها..

فحدقت في مُتأملها ببرود وفضول لا تستطيع مقاومته تتابع
أسئلتها لها

((وكيف زواجك بمراد؟ كنت أحيانا اسمع بعض الشائعات
عنكما ولكني كنت أتجاهلها ولا اصدقها..))

رفعت جالا رأسها تنتظر لها بحدة نظرات أوقفها عن التحدث..

لا تعرف مناسبة هذا السؤال ولا تعرف ما غايتها من هذا
السلام..

بينما كانت والدة كارم لا تستطيع إخفاء ملامحها الشبه ممتعضة
لها..

صحيح أن ابنها لم يجلب على لسانه سيرة جالا منذ علم
بزواجها منه باتصالاتهم..

ولكن قلب الأم بداخلها جعلها تعرف معاناة وطبيعة ما يمر به..

ابنها المسكين كان متخبطا آخر سنواته..

خاصة عندما عاد من روسيا بتلك العطلة..

ففجأة يقول انه لم يعد عاشقا لجالا بعد أن امضيا سنوات
طويلة مع بعضهما..

فجاءة يقول انه واقع بحب صديقتها..

وفجأة يقول بأنه سعيد أنه لم يتزوج من تلك الصديقة وان
الرفض كان من والدها لا منه..

أجابتها جالا تنهي الحديث بينهما قبل أن تبتعد عنها

((نحن الحمد لله بخير وسعيدان سويا.. أما كلام الناس فعليك
فعلا تجاهلها لان لا جدوى منه أبدا.. إلا تعب الراس.. إلى
اللقاء))

قالتها جالا بحدة ثم ابتعدت عن ناظر أم كارم بغضب..

مهما حدث لم تكن ستظهر لها بؤسها الذي تعيشه مع مراد..

لا ينقصها المزيد من نظرات الشماتة والتشفي..

بقيت جالا تسير أمامها شاردة قبل أن تقف مكانها منتفضة بفزع
هامسة

((مراد ما بك؟ لماذا جئت هكذا؟ كدت اصطدم بك واقع أرضا..
أنا ارتدي كعبا عاليا))

عقد مراد حاجبيه وهو يقول له بفحيح صوته هامسا بينما
يخفض وجهه ليقترب من وجهها

((ماذا كانت تتحدثين مع أم كارم؟))

حدقت جالا به للحظات بتوجس ثم سرعان ما أطلقت صوتاً
ساخراً متحديا وهي تنحصر أمامه

((بعد أن تخبرني ماذا كنت تتحدث مع تلك الفاتنة التي كانت
تقف معك هناك؟))

قدحت عينا مراد بالغضب وهو يمسك ذراعها ويضغط بأنامله
قائلا غير عابئ بتأوها

((سنتحاسب بالبيت))

ثم ترك ذراعها لترفع جالا يدها الأخرى وتمسد ذراعها
مستمرة بالتأوه وهي تنكمش على نفسها تعاتبه بخفوت ووجوم

((كنت أسلم عليها وأتحدث معها حديثا عاديا))

زمر مراد بها بصوت خافت متوعد

((لا أريد أن الفت الانتباه لنا.. لكن حسابنا سيكون بالبيت))

أي حساب؟ ماذا فعلت؟

هل ممنوع أن تتحدث حتى مع والدته خطيبها السابق حتى مع كونها جارتهم؟

نظرت جالا له بحقد وأنوثتها تدفعها لتصب غضبها عليه وهي تقول لها

((وأنا متى سأحاسبك على التحدث والنظر لتلك التي لم تستطع عينك أن تبعد نظرها عنها))

كادت عيناها أن تترقرق بالدموع نهاية حديثها لترتبك نظرات مراد الشرسة وهو يزفر بضيق من نفسه..

ثم يبتسم بشقاوة وهو يركز نفس الذراع مرة أخرى يقول لها وهو يسمعها تتأوه مجددا ألما

((معك حق.. لكن كيف ستحاسبيني بالبيت؟))

نظرت له بغل ولا تعرف ما إذا كانت ابتسامته بادرة منه للاعتذار أو ماذا..

لكنها قالت له بصوت متهدج يحمل بطياته العتاب والحنق

((عندما تعود للبيت ستعرف كيف يكون حسابي))

نظر لها وهو يقول بنظرات ضاحكة

((لماذا لا تخبريني الآن؟))

زفرت له إعلانا عن غضبها ثم ولته بعنف ظهرها لتخطو مبتعدة عنه وابتسامة خفية عنه تتراقص على ثغرها وهي لا تعرف سببها..

لكنها محتها فور أن تذكرت ما فعله معها قبل قليل.. لماذا قد يثير غضبه تحدثها مع والدته كارم؟

هل هذا يؤكد لها أن لديه مشاكل جدية بشأن علاقتها السابقة مع
كارم من كل الجهات؟

شقة والدي مراد.. بعد ساعة من انتهاء حفل الزفاف..

وبعد ساعة من شكاوى روعة لابنها مراد عن زوجته العنيدة
والتي غادرت طاولتهن وجلست على طاولة عائلتها..

بالرغم من تنبيهاتها المستمرة لها قبل الحفل ألا تتبعد عن
الطاولة التي ستجلس عليها من أجل منظرها أمام الأقارب
والضيوف..

تنهد مراد وهو يمسح وجهه بكفيه قائلاً بنفاذ صبر

((حسنا يا أمي.. سأحاسبها.. والآن هل انتهيت؟ هل يمكنني
الصعود لشقتي؟))

تنهدت روعة بضيق وهي ترشق مراد وتستمر تشكوه بلامح
تعبر عن قلة تحملها لزوجته..

ثم قالت له مغيرة الموضوع

((لماذا أخبرت جالا عن أن يارا هي أختك؟))

قلب مراد عيناه ثم قال لأمه بضيق حقيقي

((أمي يكفي أرجوك.. بدأت اشمئز من مجارة تلك المسرحية
الرخيصة.. ثم هي اكتشفت الأمر لوحدها وانتهى الأمر))

رفعت روعة حاجبيها تقول له بعزم كبير

((إن هذه المرة سأبحث لك عن عروس بشكل جدي))

مط مراد شفقتيه وهو يقول لها بضجر

((أمي هل جننت؟ أنا لم أكمل الخامسة والعشرون وأنتِ تريدين تزويجي للمرة الثانية؟ فضلا عن خطوبة سابقة لي باءت بالفشل عندما هربت عروسي في حفل الزفاف))

أجابته روعة ببساطة وبدعم رضا عن استنكاره

((وماذا فيها؟))

اتسعت عينا مراد وهو يعترض على كلام امه

((كيف ماذا فيها؟ هل تعرفين أنني الوحيد من بين جميع أصدقائي وزملائي من أيام الدراسة المتزوج؟ أنا حقا أول من تزوج من بينهم جميعًا))

تهكمت روعة بضيق على كلامه

((والآن ستكون أول من تزوج فيهم للمرة الثانية.. ماذا فيها؟))

أجابها مراد بتعب وسأم

((أمي فيها الكثير))

قالت روعة له بتصميم وهي تكور يدها وتشد عليها

((سأزوجك ورغما عنك كما زوجك والدك أول مرة رغما عنك))

نادها مراد برجوها أن تتوقف وهو يغمض عينيه بتعب من تقليل أمه من شأنه

((أمي.. يكفي.. أنا أتوسل لك))

رفعت حاجبيها وهي تنظر له بجمود ثم سألته

((ألا تريد الإنجاب يا مراد؟ ألا تريد بيتا وأطفالا وأسرة حقيقيين؟))

فتح مراد عينيه ينظر لوالدته بدون أن يقول لها إلا نفس معنى جملته السابقة لكن بإصرار أكبر

((أمي أرجوك توقفي))

نهرته روعة صارخة عليه وهي تضرب الطاولة بكفها

((لا لن أتوقف.. هل هي من ترجوك ألا تتزوج؟ إذا كان الأمر هكذا فهي فعلا أنانية لا تفكر ألا بنفسها))

ثم أردفت كلامها وهي تقول بصوت متهدج من فرط غضبها وانفعالها

((إذا لم تكن تريد منك أن تتزوج فطلقها.. لا فائدة لك من هذا الزواج الصوري.. نعم أنا لا أهذي إن الأمر حقا وكأنك تزوجتها فقط على الورق.. طلقها وتوقف عن إهدار سنوات عمرك يا مراد معها.. كما انه من حقي أنا وأبوك أن نرى أحفادك))

تتهد مراد بصمت موجوع وهو يخفض بصره ويضع يده على جبينه..

ليقول بعدها بصوت خافت وهادئ وقد يأس من والدته

((لن أتزوج يا أمي وانتهى النقاش))

لم يعجب روعة إصراره على قراره فأجابته باندفاع تسأله باستنكار

((لماذا؟ لأنك تحبها؟))

أجابها بجمود وهو ما زال على وضعه

((نعم أحبها))

عادت تسأله باستنكار ولكن اشد من السابق

((لماذا تحبها؟ أنها عاجزة عن إعطائك ابسط حقوقك))

ظل على مراد على وضعه صامتًا لدقائق مما جعل روعة تنتهد بقلة حيلة..

بعد مرور هذه الدقائق رفع مراد نظره لوالدته يحديق فيها لبضع ثوان وقد بدا مترددا في قول ما يريد..

لكنه حزم أمره ليقول بضيق واضح وقد أبدت عيناه ذات اللون البندي جمودا قاسيا يواجهه إياه

((أمي.. حتى أبي عرف واستسلم خزيا وما عاد يسألني عن شيء.. فلماذا أنتِ مصرة حتى الآن بالتغاضي عن الحقيقة؟))

شحب وجه روعة وهي ترجع رأسها للخلف مشككة بما سيقوله ليستطرد مراد

((لقد مللت يا أمي من التلميح لك بأن المشكلة مني أنا..))

كانت روعة تهز رأسها نافية لا تصدق ما يقول وهي تهمس بخفوت مصدومة

((لا.. لا.. غير صحيح.. وغير ممكن))

وما لبثت أن صرخت به بأعلى صوتها

((اخرس.. لا تقل هكذا عن نفسك وتهين رجولتك من اجل ابنة سميحة.. إياك أن تتهم نفسك بهذه التهمة الشنيعة))

ظهر ضيق اشد على مراد وهو يتنهد بتعب مجددا..

لم يكن يريد أن يصل لهذا الحد..

لكن والدته تجبره على ذلك وهو يريد أن ينهي الموضوع لهنأ..

كما أنه لم يسامحها على إعطاء ذلك المنوم لجالا حتى الآن..
ولم يسامح جالا أيضا..

قال مراد لها ببرود غير عابئا ظاهريا لدموعها

((أمي أنا أقول هذا لك حتى لا تفكري بتزويجي للمرة الثانية
فتصبح الفضيحة الثانية التي تكونين أنتِ السبب الرئيسي فيها
لي))

هزت روعة رأسها بعنف غير مصدقة من بين دموعها

((من المستحيل.. ما تقوله غير صحيح.. توقف عن الكذب))

وبدون قدرة على التوقف انهمرت دموعها التي أغرقت عينيها
وجهاها وقلبها على حدٍ سواء فاستطردت كلامها

((توقف عن الكذب من اجل ابنة سميحة.. كذبتك يا مراد قاسي
علي.. عمري وصحتي لن يتحملاه.. لماذا تقبل أن تتهم نفسك
هذا التهمة الظالمة وتحمل ضياع سنوات عمرك فقط من أجلها؟
كيف قبلت رجولتك هذه الطعنة؟))

يعرف مراد أن كذبه قاسية وطاعنة برجولته وقلب امه لكنه
أصر أن يقول مكملا كذبه

((أمي مرت سنة ولم تفهمي الحقيقة من تلقاء نفسك.. لذا كان
علي إخبارك بشكل مباشر حتى تدركيها.. الخطأ مني أنا.. لذلك
لا تذكرني سيرة الزواج على لسانك))

صرخت روعة به وقلبها يمتأل حقا أكثر على جالا

((توقف يا مراد.. توقف.. لن أسامحك على كذبتك على نفسك
بهذا الشكل.. إياك أن تتهم نفسك بهذا الشكل وأنت المفعم
بالرجولة))

وكاد يضعف مراد أمام دموع والدته وه يخشى أن يصيبها شيء
مما قاله ألا انه تجاهل كل شيء بتردد وهو يغادر الشقة كلها..

=====
=====

قالت أمينة بابتهاج لفيصل وهي تجلس معه ومع هيام على نفس
الطاولة لتناول الفطور

((ابنتك مبتهجة ومتحمسة تكاد لا تصدق أن عقد قرانها غدا..
الحمد لله زوجت مينا ابنتك الثانية على خير.. والآن سيفضي
بالك لهيام لتكون العروس الثالثة من بناتك))

صدرت من حلق هيام ضحكة مبتهجة لواقع حقيقة أن عقد
قرانها بأحمد سيكون غدا..

إلا أنها لم تلبث أن رفعت كفها بسرعة تكتمها كي لا تغضب
والدها الذي كان ينظر لها بغضب شديد فعلى ما يبدو لا يزال
غير راضيا على زواجها من احمد..

تنحنت هيام ثم قالت وهي ترفع وجهها لأبيها

((طبعاً أبي كما سبق واتفقنا.. سنقيم عقد قرانا غدا بالمحكمة
ومن ثم سنخبر إخوتي وأمي عنه وبعدها سنقيم حفل زفاف
صغير))

اتسعت عينا فيصل نحو ابنته يغشيهما الغضب فتنطابرا
شرا رتهما..

لقد وافق أن يكون عقد القران لها شبه غير معلن إلا بعد أن
يُعقد حتى لا يتسبب راجي أو والدتها بمشاكل لها ويفسدا
زواجها من أحمد..

لكن أن تريد أيضاً إقامة حفل زفاف بسيط وصغير لا يليق بابنة
فيصل الدال؟ فلا وألف لا..

هل يراها احمد سهلة لهذا الحد؟

وقتها لم يستطع منع نفسها من الصراخ بوجه هيام

((ماذا تقولين؟ هل أنتِ مجنونة؟ هل تريدين أن يكون زواجك
كاملاً بالسر؟ هل هو من أخبرك بأنه لن يعد لك أي زفاف؟))

لو احمد يفكر بهذا الشيء فسيكون له كلام آخر أمامه.. لذا عليه
أن يبدأ زواج ابنته بوضوح وعلى بيينة..

لأنه بذلك سيضطر للتمهيد لابنة عدنان وإعلامها بالزواج بحالة
كانت لا تدرك جيداً زواج احمد من ابنته هو..

فهيكذا فقط يمكن له أن يضمن لهيام حفظ حقوقها هي أولاً..

حيث إنها لن تضطر حينها لتقديم التنازلات خشية علم ابنة
عدنان ولن تتعرض للطلاق بعد علمها..

البداية الواضحة ستكفل لابنته حياة واضحة ومستقرة.. أما
البدايات الغامضة فلا أحد يمكن أن يعلم إلى ما ستؤول..
وغالباً مآلها الفشل والانتكاس..

سمع فيصل ابنته هيام تدافع بذعر عن احمد قائلة

((لا يا أبي بل على العكس هو كان يصر عليّ إقامة حفل كبير
ولكن أنا من لم أوافق حتى لا نجرح إيما.. لذلك قلت له إنني
أريد أن يكون حفل زفافنا على الضيق))

صرخ فيصل بها هاتفا على حروف كلماته الحانقة بشراسة

((والله إنني اشعر بأنني سأندم على هذا الزواج.. والله وتالله بأنني اشعر بذلك.. تريدان ألا نقيم لك زفافاً؟ لماذا؟ هل سيأخذك خطيفة من بيتي أم ينظره أنت لا تستحقين ذلك؟))

زفرت هيام وهي تتراجع بظهرها للخلف

((أبي أقسم لك أن احمد يريد إقامة حفل زفاف كبير لنا.. لكن أنا من لا أريد أن يعرف أحد بعقد قراني بأحمد حتى لا يتم إفساد أي شيء من قبل أي شخص.. لكن بمجرد أن يتم عقد قراننا رسمياً سنقيم حفل زفاف بسيط وصغير وندعو بعض الأقارب والأصدقاء له.. أين السرية والإهانة بذلك؟))

أغمض فيصل عيناه يقول لهيام وهو يحاول التحكم بانفعاله

((هيام ابنتي صارحيني.. إذا ساورتك الشكوك بشأن احمد والارتباط به.. فلا تترددي في التراجع عن قرار الزواج مهما اقترب موعده.. ففي النهاية نحن نعيش حياة واحدة وليس من الحكمة إهدارها))

ثم استطرد لزوجته وهو يلوح بسبابته

((اشعر يا أمينة وأحس بأنني لست مطمئناً أبداً.. أبداً.. فلا أحد بالقربية يعرف عن طلاق إيما.. هذا معناه بأنها ستعود لأحمد.. بل هي وعائلتها تعرف بأن هيام ستتزوج من احمد إلا أن والدها وحتى الآن لم يتحدث معي أو يكلمني أبداً.. وهذا الشيء يثير الريبة.. عدنان يتصرف بغموض شديد))

فاين عمه عدنان لا هو ولا زوجته ولا أولاده الثلاثة قد حضروا حفل زفافه ابنته مينا تحت استغراب شديد من إخوته وباقي الأقارب..

وهذا معناه أنه يعرف كلياً عن امر زواج ابنته من صهره.. ولكنه لا يريد إعلان الأمر..

جاءه صوت هيام الحزين

((أبي صدقني لا علاقة لي بطلاق إيما.. بل أنا حقا ارغب أن يعود لها.. لا أريد أذيتها ولا أريد أذية ابنها أو هدم بيتها مع احمد.. كل ما أريده هو الزواج من احمد حتى لو تحتم علي أن أتنازل عن الكثير من حقوقي وأن يعطي إيما أكثر مني بأضعاف.. سأتنازل من اجل أن يسير المركب بنا))

تنهد فيصل قبل أن يقول لها بتروي وحكمة

((يا ابنتي.. كلامك هذا غير واقعي وغير منطقي.. فحتى لو تنازلت عن الكثير في بداية زواجك بناء على اتفاق مسبق بينك وبين احمد إلا وإنك وعندما يبدأ التطبيق ستشعرين بالمرارة والظلم وستضطرين للانسحاب من هذا الزواج لأنك لم تفي ببنود الاتفاق.. لذلك اليوم.. بل الآن سأتصل بأحمد وأدعه يجيء هنا لنتفاهم.. أريد مناقشة كل شيء بالتفصيل قبل أن ن عقد قرانك غدا وأريده أن يشرح لي كل خطته المستقبلية.. فلا يمكن أن اسمح له بأن يتزوج ابنتي بهذا الاستخفاف.. فحين يكون الأساس متيناً فقط حينها يصير البنيان قوياً))

كان فيصل يهم بالاتصال عليه حين جاءه رجاء هيام المتوسل والمذعور

((أبي.. لا تتصل به الآن.. ربما سيكون بعمله.. أرجوك لا تعقد الأمور وتشغله عن عمله))

وضع فيصل الهاتف على أذنه وهو يصرخ بها بامتعاض

((انصرفي من وجهي.. فليترك كل ما بيده ويأتيني.. لن يعقد قرانكما غدا قبل أن أوضح له ويوضح لي كل ما أريده..))

نعم هذا ما سيحدث..

فإن أراد احمد الاستمرار والزواج من ابنته واستطاع أن يعيد إيما فهذا رائع لكن لا بد أن يكفل لها حقوقها..

فتقديم التنازلات خاصة فيما يتعلق بالحقوق دائماً ما يجلب
المشكلات لجميع الأطراف..

وما حظيت ابنته الآن به قد تخسره مستقبلاً لأنه سيطالبها
بالمزيد من التنازلات حتى تشعر بعدها أنها لم تعد زوجة له بل
أصبحت خيال زوجة..

وهذا ما لن يقبله على ابنته..

بل وسيزوجها آخر خيرٍ منه بدون أن يجعلها تتنازل عن أي
حق من حقوقها..

فهو رجل ويعرف تفكير معظم الرجال..

انهم لا يحبون المرأة الضعيفة المفرطة في حقوقها..

بعد ساعة..

كان احمد يجلس على الأريكة المقابلة لفيصل بارتباك يزدرد
ريقه ناقلاً نظراته بين فيصل وهيام الجالسين معه بنفس
المكان..

سمع احمد صوت حماء المستقبلي الهادئ والحازم على حد
سواء يخيره

((إذا وبدون طول مقدمات يا احمد.. وقيل عقد قرانك بابنتي
غدا أريد أن اضمن حقوقها وان أناقش قواعد أساسية للحياة
الزوجية بينكما وتتفق عليها.. خاصة وأنه من المحتمل أن تعود
إيما لذمتك))

هز احمد رأسه لفیصل ليقول بعدها بخفوت وهو ینکس رأسه
((هذا صحيح يا عمي.. غالبًا ستعود إيما لي وأنا بالتأكد سأقبل
عودتها مهما مر من الوقت))

نظر احمد لهيام التي كانت ملامحها شديدة الجمود كقناع خالٍ
من أي مشاعر بعكس النيران المستعرة بداخلها من غضبها
وخوفها مما سيقوله والدها أمام احمد قد یفسد الزواج كله..

تابع فیصل كلامه بخشونة

((لا اقصد أن أكون ظالما أو اجعل من ابنتي تبدو أمامك
أنانية.. ولكن يجب أن اضمن لأبنتي كزوجة لك أنها لن تُظلم أو
یضيع حقها.. لأن الخلاف بشأن هذه الأمور يمكن أن یهدم
الزواج بالكامل.. مثل الأمور المالية.. الإنجاب.. ومكان
المعيشة.. كل هذه الأمور يجب أن نتحدث عنها))

نظرت هیام لأحمد بقلق وخوف بينما تسمعه یقول لفیصل بتأكيد
شديد

((طبعًا يا عمي.. ومن دون أن نتحدث حتى.. كما أنه لولا أنها
طلبت مني بشدة ألا یحضر أحد عقد القران باستثناء والدي
وأنت وإلا لما قبلت إلا أن يكون عقد القران مرافقا لحفل
خطوبة ضخم.. حتى أن والدي محبطان من الأمر))

قالت هیام بخفوت وهي تتلاعب بأناملها

((أخبرتكم أنني لا أريد أي أحدا من عائلتي أو أقاربي أن یعرفوا
بزواجي إلا بعد عقد القران.. الباقي سيعرفون عند حفل
الزفاف))

قاطعها والدها بصرامة

((وهذا موضوع آخر.. أقصد.. هل ستقيم له حفلا زفاف كبير؟
أما أنه سيكون صغيرا وكان ابنتي لا تستحق أن تفرح كباقي
البنات))

التفت احمد نحو هيام ينظر لها بعتاب..

ثم عاد ينظر لوالدها باستهجان مصدرا صوتًا مستكرا قبل أن
يقول

((لا يا عمي.. من قال هذا؟ هل هي هيام؟ على العكس سيكون
حفل زفافا ضخما.. لأنني أريد تعويضه بدلا من عقد قرانا الذي
سيكون كئيبا وهادئا))

تسربت الراحة والسعادة لقلب فيصل..

فابتسم بخيلاء ثم استند بارتخاء بجلسته فوق الأريكة وهو يرفع
ساقاً فوق ساق قائلا بثقة

((إذا كما تعرف يا احمد هنا بقريتنا لدينا تراث غني لاحتفالات
الزواج ولا زلنا نتمسك بعادتنا وتقاليدنا.. كما أننا نقيم السهرات
قبل حفل الزفاف.. حيث تمتد ثلاثين يوما أحيانا.. لا أقول إنني
أريد لابنتي نفس الشيء ولكن بالتأكيد لن اقتصر على سهرة
واحدة قبل يوم زفافه.. لذا سنأخذ المعدل الوسطي وأريد أن
تمتد سهرتها لمدة أسبوع..))

نظرت هيام بحدة شديدة لوالدها لا تصدق ما يقوله وهي تشد
على أسنانها تقول له بهمس منخفض

((أبي.. ما هذا الذي تقوله؟ كيف تريد إقامة سهرة واحمد أساساً
ليس من القرية))

زجر فيصل بها بغضب يردعها

((اسكتي ودعي الرجال يتحدثون.. الأعراس والسهرات هنا
تتميز بطقوسها وعاداتها الخاصة والتي تتميز بالفراة والفخامة

بشكل لا يضاھيه أي عرس في أي مكان آخر.. بل وتعطي
أبرز وأصدق صورة لتقاليدنا العريقة الأصيلة.. ولن اقبل بأقل
من هذا))

دخل احمد بالكلام معهم وهو يقول بصوت هادئ ومؤكّد مجدداً
لكلامه

((عمي لا داعي للقلق.. سأفعل كما تريد بالضبط.. وضمف على
هذا بأنني سأقيم حفل زفاف آخر لنا على الطريقة الحديثة مرة
أخرى بمدینتي وسأقيم الحفل بأفخم فندق خمس نجوم في
العاصمة ولن يكون بقاعة بسيطة واعدك بأنه سيكون حفلاً
كبيراً وفخماً يتحاكى الناس عنه))

نظرت هیام بدهشة لأحمد قبل غمغمتها من بین شفاهها
بذهول.. وسعادة لم تنجح بإخفائها

((يا إلهي.. لم يسبق وأن رأيت عروسا يُقام لها حفلان زفاف))

قال فیصل وهو يهز رأسه ويشبك أنامل كفيه

((إذا لا مشكلة لدي.. بعد السهرة التي ستمتد للإسبوع.. سنقيم
حفلاً زفاف واحد سيكون تقليدي على طريقتنا وأخرى على
طريقة أهل المدينة.. لكن علينا في اليوم التالي أيضاً إقامة
وليمة غداء ضخمة لحفلة العرس))

ابتسم احمد له وهو يقول له واعد

((نعم بالطبع.. بعد عقد القران غدا سنتفق على كل هذا
بالتفصیل))

عقد فیصل حاجبيه فجاءة وهو يقول له

((وماذا بشأن زوجتك؟ ماذا إذا قررت الطلاق وتخلت عن
ابنها.. فمن سيرعاه؟ هل ابنتي مجبرة به؟))

شحب وجه هيام هنا وهي تنتظر لوالدها ولا تعتقد بأن اللقاء هذا
سيمر على خير..

لتسارع الحديث باستهجان شديد

((أبي ماذا تقول؟ هل تريد من احمد أن يرمي ابنه للشارع
بحالة تخلت عنه امه؟))

هز فيصل كتفيه وهو يقول ناظرا لأحمد

((لا أقول له أن يرميه.. ولكنك لست مجبرة على الاعتناء به..
يمكنه أن يجعل أبويه مسؤولين عن تربيته))

قالت هيام بنيرة قوية حاسمة وهي تشير بيدها فوق صدرها

((بالطبع لا يا أبي.. بل أنا من سأربيه.. سيكون في عيني حتى
تعود أمه ولو طالتم المدة فهو سيكون بمثابة ابني.. أهم شيء
راحة احمد النفسية))

رد عليها فيصل باستغراب من ردة فعلها

((أنا أريد فقط راحتك يا ابنتي.. لماذا انفعلت؟))

أشاحت هيام بوجهها بعيدا عن أبيها وهي تتنفس بغضب وتشعر
بأنه يتعمد إفساد زواجها إلا أن احمد تدخل يقول

((عمي لا تقلق.. لقد سبق وتركت زوجتي ابني عندي ولمدة
طويلة.. وكنت بهذه الأوقات احتويه وأبين له المشكلة التي بيني
وبين امه بما يتناسب مع عمره.. وكان هو يعيش معي براحة
واستقرار مع أني لا أنكر أن أحيانا يشناق لوالدته.. ابني لن
يكون مشكلة أبداً.. أنا طبيب نفسي ولي خلفية عن كل هذه
الأمر.. لا تقلق))

ابتسم فيصل يقول برضا

((ممتاز.. إذن تناول قهوتك حتى نتناقش بباقي المواضيع وخاصة المالية.. فأنا لا أريدك ألا تعدل بين زوجتيك بحجة أن ابنتي دكتورة جامعية ولها مرتب عالي.. إياك أن تطمع بمرتبها فهو لها وحدها ونفقتك عليها ستكون نفس نفقة ابنة عدنان..))

عضت هيام على شفرتها وهي تقول بإحراج لوالدها وبصوت شبه باكي

((أبي أرجوك توقف))

ضيق احمد عيناه وبدأ التنفس بغضب..

لقد مس والد هيام وتراً حساساً به..

هل يقصد أنه هو الدكتور احمد الغالي طامع في مرتب ابنته؟

لأنه وبمجرد عقد قرانه بهيام لن يفكر إلا بكيف إقناعها بترك عملها..

حتى يدرك والدها جيدا أن يستطيع أن يكون رجل عائلته والمسؤول عنها من كل النواحي وخاصة المالية..

كما أنه لن يتحمل أن يأتي يوم تتمن فيه هيام عليه بالمستقبل بمرتبها..

فمعايرة إيمان بأنها كانت تساعده بمصروف البيت لا يزال جرحا غائرا داخله.. ولن يتحمله من هيام أيضا..

أجاب فيصل وهو يعدل جلسته بمكانه

((عمي لا تقلق.. فمرتبتي كطبيب هو ضعف مرتبتها.. ليس ضعفه بل هو أضعاف.. لا تقلق لن ادعها تصرف فلسا على البيت أو على نفسها))

واستمر الحديث والنقاش بينهم على هذا النحو..

وبالرغم من الحساسية التي كان يفتعلها فيصّل بكل موضوع إلا
أن الأمر انتهى على خير وتم بسلاسة..

=====
=====

اليوم التالي.. في بيت عدنان الدال..

جلست راما زوجة والد إيمان بجانبها في غرفتها بينما تدعو لها
بانشراح

((والله يا إيمان أني أدعو الله دائما أن يربط على قلبك.. وأن
يشفيك مما تعانين منه.. وأن يرزقك الثبات والقوة والقدرة على
تجاوز هذه المحنة.. ولكن طلاقك كان مفاجئًا وللحقيقة لم أكن
أتوقعه.. لماذا تعجلت فيه يا ابنتي؟!))

ردت إيمان عليها بإصرار وهي تنظر لها بملامح قاسية

((بل كان متأخرا.. كان يجب عليّ طلبه منه منذ زمن))

لانت ملامح راما وهي تحاول الشرح لها

((ولكن يا إيمان أنت لست وحدك التي حدثت معها أو يحدث لها
ذلك.. بل هناك المئات من الزوجات اللواتي يعشن مثل هذه
الظروف.. خاصة في البداية وإذا كانت الزوجة متعلقة
بزوجها.. ولكن مع مرور الأيام تلتئم الجراح وتخف حدة واقع
الأمر عليها وتتأقلم.. أو تؤقلم نفسها مع واقع جديد))

سألتها إيمان بتوجس وعبوس

((ماذا.. لا افهم ماذا تقصدينه؟!))

لتقول لها مراد بجدية

((كنت اقصد أنه كان يجدر بك أن تكوني اقوى من ذلك..
وتنتصري حتى على ذاتك.. اعتبريه مرضا وحاولي التأقلم معه

ليهون الأمر.. خاصة وأن ما أقدم عليه زوجك ليس بالشيء
المحرم))

هزت إيمان رأسها قائلة

((ما زلت لا افهم؟))

تنفست زوجة والدها بعمق قبل أن تقول لها بقوة

((يا إيما أنا أضع نفسي مكانك.. أعني لو نظرنا الآن إلى مسألة
الدوام والاستمرار في الحياة الزوجية أو الطلاق والفرق..
أيهما أقل خسارة؟ قطعاً سيكون البقاء والاستمرار أقل من
الطلاق.. لما يترتب على الطلاق من مشاكل لا تحصى ولا
تحمد عقباها))

قالت لها إيمان باستهجان شديد

((هل أنتِ ضد طلاقي حتى بعد ما فعله احمد؟ هل تريدني مني
الآن أن أعود له؟))

قالت راما تشرح لها وجهة نظرها

((نعم.. لأنه لو نظرنا إلى الطلاق فما هو إلا هروب من
لمواجهة وضعف في الشخصية وأنت لست كذلك.. فالمرأة
القوية هي التي لا تنهزم أمام امرأة تريد أن تحتل مكانها أو
تستحوذ على قلب زوجها.. لو واجهت الأمر بشجاعة ووقفت
بجوار زوجك وحافظت على مكانتك خاصة وأنت أنت
الأصل.. فسيكون كل شيء في صالحك.. لأنك ما زلت عنده
ولم تسمح ليغيرك أن يدافع أو يقاوم نيابة عنك.. هل من العدل
أن تأخذ ابنة فيصل زوجك وبيتك وكل شيء تمتلكينه وتتركينها
تهناً فيه لمجرد أنه كان يحبها قبل أن يتزوجك؟))

واستطردت بعد أن لم تجد منها أي اقتناع

((عودي لزوجك ولا تسمحى لها أن تعيش وتستحوذ على كل شيء كان لك.. طلاقك معناه الهزيمة والانسحاب من معركة الأصل أنك فيها صاحبة القدر الأكبر.. حيث العشرة القديمة الطويلة.. والحب القلبي الصادق.. فكل شيء معك.. لذا لماذا تخاذلتِ وضعفتي وهربتِ وطلبتِ الطلاق؟))

وأضافت على كلامها ناصحتها إياها

((يا إيما ما أقوله واقعي وحقيقي ومن تجربة بعض الرجال ممن خاضوا تجربة الزواج لمرّة أخرى يشعرون بالندم ويعاودهم الحنين لرفيقة الكفاح وأم الأبن وعشرة السنين.. اغلبيهم يؤكد أنهم لم يجدوا في الأخرى ما كانوا يتوقعونه أو يحلمون به بل فوجئوا بالعكس تماماً.. من هنا تحدثت المقارنات بين الاثنين وغالباً ما ترجح كفة أم ولده..))

رفعت إيمان نظرها لها تسألها بتهكم مريـر

((إذن كم سنة عليّ انتظاره قبل أن يعود لي؟ سنة.. سنتين.. عشرة.. عشرين.. تخيلي أن أموت كامرأة بائسة فائسلة مثيرة للشفقة وأنا انتظره أن يعود لي بعد أن يعرف خطاه بالتفريط بي؟))

وعندما مر وقت لم تجب عليها زوجة والدها استرسلت لها

((صدقيني.. لو كان على زوجي أن يتزوج من غيري ليعرف قيمتي ويعود لي.. فأنا لا أريده أن يعود.. حسمت امري.. لقد قررت أن أتطلق.. هو من خسرني..))

لكن زوجة أبيها ردت عليها بغضب من قهرها عليها

((إذا افتقرت عنه فلن يخسرك.. الحقيقة أنني لم يسبق لي وأن سمعت عن رجل خسر شيئاً لأنه امرأته تركته.. لكن المرأة حتماً تخسر الكثير لو تركها رجلها.. أنا أتحدث بواقعية معك))

وعندما نظرت لها إيمان بوجوم تغفر شفقتها..

لانت ملامح زوجة أبيها شفقاً وحرناً على حالها ويندم على
قسوتها معها بالحديث..

ودون أن تقدر على كبح عاطفتها الأمومية تجاه فتاة ليست من
صلبها كانت تضمها إلى صدرها فيتصاعد بكاء إيمان ممرقاً
نياط القلوب..

=====
=====

تم عقد القران كما خططوا له وانتهى على خير..

وحينها فقط التفت احمد لهيام وعيناه تلمعان غير مصدق أنها
أصبحت له..

أخيرا بعد كل عذاب القلب ولوعة الانتظار.. ها هي أمامه
وملكه..

وقتها فقط شعر بأن روحه عادت إلى جسده بعد سنين طويلة
من الفراق..

احتضن كفها يشد عليها وكم ود أن يأخذها بعيدا عنهم إلى مكان
لا يوجد به أحد ويستفرد بها..

إلا أن نظرات والدها الساخطة ردعته من الإبقاء على يدها
بكفيها وهو يقول له

((أقل من شهر يا عريس وابنتي ستكون عندك فتحمل.. وحتى
الزفاف لا أريد أن تلتقوا أبدا))

تنهد احمد بنفاد صبر ثم ابتسم لفیصل يهز رأسه مطيعا..

وطرف عينه تنظر لهيام التي كانت تبتسم له بمشاكسة وهي
تعدده بنظراتها بقاء قريب أثناء أخذه أو إرجاعه لها من عملها

في الجامعة من وراء ظهر والدها فهما الآن بينهما عقد شرعي
ورسمي..

وبمجرد أن دخلت هيام مكتبها بالجامعة وأغلقت الباب خلفها
هي واحمد حتى احتضنها وهو يعتصرها بقوة فرفعت كلتا
ذراعيها لتطوق عنقه..

كان احمد يرفع نظره يحدق بها ما يزال لا يصدق أن أصبحت
امرأته..

انزلها وابتعد عنها قليلا قبل أن يرفع كفيه ليمسك خديها ويقرب
شفتيه من شفتيها ويهمس لها بصوت مبجوح

((احبك.. احبك يا هيامي.. هيام قلبي..))

وحمرة خجل التي لطالما كانت محببة له ظهرت جليا في
عينها لتتهز رأسها وهي تقول له مؤكدة

((أنا احبك أكثر احمد))

لاحظ تردد طفيف بدأ يظهر في عيونها فعقد حاجبيه مستغربا
لتخفض عينها للأسفل وشفتيها ترتجفان بوضوح وكلماتها تآبي
أن تخرج بسهولة منها..

كان تنفسها متعثر.. فسألها بصوت عاطفي هادر بقلق

((ماذا تريد أن تقولي يا هيام؟ لماذا أنت مترددة؟))

ضمت هيام شفتيها قبل أن ترفع عينها بثبات له قائلة بإصرار
وتأكيد

((احمد.. أنا أعدك بان أكون خير الزوجة لك.. أعدك أنك لن
تندم على زواجك مني.. أعرف أن الجميع يخبرك بأن زواجك
مني هو خطأ فادح لأنه سيتسبب بطلاقك من إيما التي لطالما
كانت زوجة متفانية لك.. لكن أنا أعدك ألا أجعلك تشعر بأي

خسارة أو ندم لزواجك بي.. سابقى بجانبك ولو تخلي عن كل
أفراد العالم.. ولن أتوقف عن حبك مهما حييت.. أعدك بذلك))

لمعت عيني احمد ببريق سعادة من كلامها وحبها له..

شدد أنامله على وجنتيها بتسلط قبل أن يطبق عليها ويقبلها
بشغف ولهفة..

يريدها أن تطمئن.. يريد لها أن تعيش معه في حضنه راضية
ومبتهجة ومتخمة بعاطفته..

لقد حاربا الجميع من أجل أن ينتصر حبهما.. وانتصر..

ويحق لها أن تغرق بغرور أنثى تملك قلب وروح رجل متيم
بها..

تملكه بالكامل وقد خرجت الأخرى على الأغلب من حياته بلا
عودة.. وبارادتها..

فيحق لها الغرور وقد كسبت به كل شيء.. كل شيء..

حتى البواقي التي قررت الأخرى أن تتركها لها.. ومجددا..
تركت لها كل شيء بارادتها..

بصعوبة ابتعدت هيام عنه وهي تقول له من بين أنفاسها اللاهثة
مبتسمة بمشاغبة على همماته المعترضة الحانقة

((توقف قبل أن تنتهز أكثر.. بقي القليل فقط لزواجنا.. اصبر
قليلا.. لقد صبرنا لسنوات طويلة ولن تعجز عن الصبر لشهر
أخر))

واقفها احمد بينهما يجلس مقابل طاولة مكتبها بينما أخذت هيام
المقعد المكون بعيداً وجرته لتجلس بجانب احمد بسعادة قبل
أن تتلاشى ملامحها المبتهجة تدريجياً..

استشعر احمد وجود خطب ما بها لترد هيام على تساؤلاته
الصامته وهي تقول له مطرقة الراس

((لماذا كانت تتحدث والدتك معي بهذا الشكل الجاف أثناء عقد
القرآن؟ هل أزعجتها بشيء؟ هل يظنان أنني تشرطت عليك
طلاق إيما؟))

قطب احمد حاجبيه وهو يسألها

((هل سمعت شيء من محادثتي معهما عندما كنا نتحدث جانبا
قبل عقد القرآن؟))

هزت هيام رأسها ثم رفعت وجهها له تقول بخفوت وبابتسامة
مريرة

((الحقيقة.. نعم.. سمعتهم يصرخون عليك ويقولون لك بانك لم
تتزوجني بعد وأصبحت عبدا لأوامري وطلقت زوجتك فكيف
بعد الزواج ستكون))

زفر احمد بضيق ممررا يده بخصلات شعره القصيرة ليقول لها
محرجا

((يا إلهي هيام لا تأبهي لشيء مما قالوه.. هم حانقين عليّ منذ
الأمس.. يريدون من إيما أن تصب جام غضبها عليّ وتسيء
لي وتشتمتي ثم اصبر عليها وأتحمل منها كل شيء حتى لا
أكون ظالما بحقها وغير ناكر لعشرتنا سوياً))

لكن ما يجهله الجميع انه يعرف جيدا أنها غيرة نساء هي ما
دفعت إيما لطلب الطلاق..

لذلك طلقها كما طلبت وأرادت..

وواثق بأنها لن تلبث إلا أن تندم وتتوسله بنفسها أن تعود له..
حالتها كحال من غيرها يقعن بنفس الموقف..

عاد احمد للواقع والتي بجانبه تهز رأسها بتفهم له..

الحقيقة أن هيام توقعت في بداية زواجها أن تجد اهتمام أهل احمد في كفة إيمان..

لذا قررت أنها لن تضيق أو تحزن.. فالمسألة مسألة وقت وصبر فقط..

بعدها ستحاول أن تتقرب من عائلته وتجعلهم يرون كم هي طيبة ولطيفة..

ستجعلهم يرون بحسن معاملتها لهم يغيروا من فكرتهم عنها..

ستحسن لهم ما استطاعت مع صدق نيتها.. لتجد منهم ما تحبه..

وحتى لو عادت إيمان لذمته مع استبعاد هذه الفكرة تمامًا لكن ستستطيع تهذيب غيرتها ونزع نار الغيرة والضغينة من قلبها فهي لا تريد إلا السعادة وراحة البال لها ولأحمد..

وحتى لو اضطرت أن تبادر التحبب لإيمان..

بالنهاية وسابقا هي وطنت نفسها على أنه سيبقى مرتبطاً بإيما وابنه..

لا لتفضيلهما عليها بل رعاية لأبنه ومتابعته له..

أجبرت هيام نفسها أن تعاود الابتسام وهي تقول له

((انهم محقين.. لم يكن عليك تطليقها.. حتى لو أرادت ذلك.. لا تتصور كم صُدمت عندما أخبرتني إيما بطلاقها منك))

ظهر الضيق على احمد وسرعان ما رد عليها

((الزوجة التي تفرط في زوجها وتلوي ذراعه لا تستحق أن أكون جيدًا معها وللأسف العيب ليس فيها فقط بل في أسرتها ومن حولها وهم من يدفعونها للطلاق.. لكن متى ما طلقت

وقدت كل شيء الكل يغلق أبوابه ويتركها تكابد ضيق الحياة
سئلك أطرافها الندم على ترك حياتها التي بنيتها معي بكل
مراحلها))

وضعت هيام كفها على كتفه القريب منها وهي تطلب منه
برجاء ظاهري

((أرجوك يا احمد أطلب منها أن تعود لك.. لن أستطيع أبدا أن
ابني معك بيتي على حساب هدم بيتها.. أرجوك لا تكرهها!
كانت زوجتك وأم ابنك الوحيد.. واي امرأة مكانها لكانت فعلت
ما فعلته إيما بل وأكثر))

تنهد احمد ثم قال لها بصدق

((هيام.. إيما كانت زوجتي وأحبها وأعزها ولها مكانة كبيرة
بقلبي.. ولكن هذه المكانة تتهاوى بسرعة أمام سوء أخلاقها
وشراستها التي تلجئ إليها دفاعاً عن ممتلكاتها.. ولكن أتعرفين
ماذا؟ الحقيقة هي أنني لست ملكاً لها.. نعم أنا لست ملك لها..
ولا حتى ملك لك.. أنا ملك نفسي.. وأنا بالفعل سبق وعذرتها
كثيراً وتجاوزت عن أفعالها.. ولكن لا أعدك أن يستمر ذلك إن
طال عليا الأمر))

كان يتحدث بشرود بأخر كلامه..

وقد شعر ببعض التعب رغم الفرحة التي لا تكاد تتسع له
بمناسبة اقترانه بهيام..

بينما شعرت هيام ببعض الألم لذكره الحب والمعزة مرتبطة
بإيمان..

لكن حاولت التحكم في مشاعر غيرتها وحبها..

وهي تعاود بإصرار التأكيد على نفسها بأنها لا يجب عليها أن
تشغل بالها مع إيمان والتي على الأغلب لن تعود زوجته..

عاد احمد للواقع مع كلماتها وهي تقول له باعتذار وحرص
كبيران

((على كل حال.. فأنا اعتذر أيضا لك على موقف عائلتي
الجاف معك بالأمس وخاصة أُمي.. لم يكن علي زيارتها
بالأمس معك ببيتها بعد عقد قراننا..))

ابتسم لها احمد بنفهم قبل أن يسألها باهتمام

((لا بأس كنت أتوقع موقفها.. المهم هل هي بخير الآن؟))

تنهدت هيام تهز رأسها بياس قبل أن تقول له بإيجاب

((نعم.. لقد بقيت معها أنا وزوجها بالمشفى بعد أن فقدت وعيها
من شدة غضبها عندما عرفت بزواجنا.. لكنها الآن بخير))

غمغم احمد بامتنان

((الحمد لله.. فليحفظها الله لكم))

كنفت هيام ذراعها وهي تريح وتراجع بجسدها لترتاح على
ظهر الكرسي

((هل عرفت كم كنت محقة بقراري بأن يكون عقد قرانا سرى؟
لأنني كنت متوقعة بشكل أكيد بأن أُمي ستحاول إفساده.. لكن
بعد عقد قرانا وضعناها هي وباقي عائلتي ومن حولي تحت
الأمر الواقع))

كان يهم احمد موافقتها الرأي قبل أن يصدح رنين هاتف ليرفعه
بيده..

اتسعت عيناه قليلا عند النظر لاسم المتصل فوقف وقف من
مكانه يقول وهو يذنو من الباب ليخرج من المكتب

((انتظري قليلا.. سأجيب على الهاتف وأعود لهنأ))

سارعت هيام تقف هي الأخرى من مكانها تقول له بلهفة بينما
تفتح هي وتتقدمه للخروج

((لا.. لا تذهب.. ابق بمكتبي وانا سأذهب لإحضار القهوة لنا
الاثنين))

قالتها ثم استدارت للخلف تسير نحو الخارج وهي تتابع
التفكير..

لقد حمدت الله كثير أن احمد لم يكن موجودا أيضا عندما علم
راجي من أبيها فيصل بأمر قرانهما..

لقد شتم احمد بأبداً الكلمات وكاد يكسر بيتهم فوق رأسها لأنها
عقدت قرانه به دون أي معرفة سابقة له بالأمر..

مع أنه هو نفسه الذي فوت حضور حفل زفاف جالا ولم يبالي
أبدا..

بل لم يبدي أي استياء لأنهم زوجها بدون حضور أخيها
الوحيد..

لكن لا بأس.. هي عرفت كيف تسكته وقتها وهي تواجهه
بحقيقة زواجه من تلك المنحلة التي تُدعى سارا..

الأحمق.. لا يعرف أنها ومن البداية كانت على علم بأنه على
علاقته بفتاة تسكن بالعاصمة..

ومؤخرا عرفت بأنه تزوجها..

لقد رأت أوراقه ومستندات زواجه منها..

وقد صدمت عندما علمت أنه تزوجها بالمحكمة بنفس يوم زواج
جالا تقريبا..

لا يعرف أيضا أن والدتهم كادت أكثر من مرة أن تكتشف سره وحقيقته لولا أنها هي من كانت تتدخل وتغطي عليه تمنعها من كشفه..

لو يعرف والدها فيصل بأن راجي متزوج بالفعل سيصاب بنوبة قلبية تؤدي بحياته للنهائية..

خاصة وأنه لطالما كان يخطط بتزويج راجي لإحدى بناته بسبب معظم الأملاك التي كتبها جديها باسم راجي..

على كل حال.. لو أنها لم تسأل عن سارا قليلا بطرقها المتواضعة ولم تعرف بأنها ابنة عالم وناس وأصحاب مكانة مرموقة لكانت هي من أخبرت الجميع عن زواجه السري.. توقفت هيام مكانها فجأة..

وشيء ما بداخلها جعلها تعود أدراجها لمكتبها وتقف وراء الباب المفتوح قليلا تستمتع لمحادثة احمد على الهاتف..

وكان بالفعل يتحدث مع إيمان كما خمنت..

سمعته هيام يقول لإيمان على الهاتف

((كنت أتوقع أن يصلني وبكل صراحة الكثير من الاتصالات من أفراد عائلتك.. إلا أنه لا أحد منهم عاد لي بعد طلاقك))

ظهر الامتعاض قليلا على وجه احمد الجالس بالداخل وهو يسمع رد إيمان عليه

((لا أحد منهم حتى يريد رؤية وجهك.. لذلك أنا من سأفاهم معك.. لقد وصلتي ورقة الطلاق وأنا شاكرة لك وإياك أن تفكر أن تعيدني لك رغما عني.. لكن متى سنكتب الشقة باسمي؟ أريدك أن تستعجل قبل أن تقلبك العروس الجديدة عليّ وتسمم أفكارك))

للحظة عند ذكر موضوع الشقة تجمدت ملامح وجه احمد..

فبذل شفثفه ثم قال بنبرة متذبذبة لا تشبهه

((إفما.. الحففة.. بهذا الخصوص.. بالبفاة وأولا من المسثفل
أن أعبك لف رغا عنك.. لا ثقلف))

رءء إفمان بفرقب

((وئانفا؟))

للحظة ابعد اءمء الهائف عن أءنه فتنهء وهو فرفع أكمام قمفصه
الرسمف ففستشعر حرارة الجو قبل أن ففرب الهائف من أءنه
لفقول بنبرة تظهر مءا ضفقه الشفءفء

((ئانفا.. بفصوص الشفة.. فأناف فعلا مءرء من قول هءا.. بل
واشعر بالفزف أفضا لفرافعف عن كلامف بهءه السرعة خاصة
بعء أن أكءء عفلك الأمر..))

وصله صوئها المسئهن المصءوم

((هل عءء بفرارك بكئابة الشفة باسمف؟ أنا لا أصدك.. ألم
ئقل إنف فعلا اسئحفا؟ لماذا فرافعء الآن؟))

سألها بامئاعض وئرءء

((هل طلب والءك منك أن فعالفنف بكئابة.. أقصدك هل هو من
طلب منك أن فسألننف مئى ساكئبها باسمك؟))

أجابته بفعل وبصوئ مرئفع النبرة

((أفها الحقففر والءف لا فعرف شئفا بفصوص الكلام السابق
الكاذب الءف قلئفه لف ولن فقبل عفف أنا اخء فلسا منك.. ففسارة
قلفل الأصل لوئءها مكسب وففر كما سفق وقال لف.. لكن لا..
أنا لسئ كرفمة مئله.. كما أن هءه الشفة من حقف.. من حقف أنا

ولن أتنازل عنها حتى لو أمرني والدي.. إياك أن تصل نذالتك
لهذه الدرجة وتفكر بالتراجع عن ذلك))

شمخ احمد رأسه المنكس بكبرياء وكأنها أمامه ليرد عليها
بلهجة قوية رافضا أن يلصق تهمة النذالة به رغم إحساسه
باستحقاقها من داخل أعرق أعماقه

((يكفي.. هذه الشقة أنا من اشتريتها من مرتبي أنا كاملا.. حفل
الزفاف المتواضع الذي أقمناه لم اقبل على نفسي فيه أن اخذ
فلسا من والدك ودفعت لك المهر الذي طلبتموه مني كاملا..
ذهبك الذي بعته من أجلي ومن اجل فك ضيقتي أعدته لك
بمبلغ نقدي.. كل ما دفعته من مرتبك على البيت كان برضاك
أنت ومن طيب خاطر.. ما وصلت له من مكانه وحصلت
عليه من مال كان بفضل الله ثم بفضل والدي اللذان علماني
ومن ثم بفضل مجهودي وتعبي أنا.. وسواء كنت متزوج منك
أنت أو غيرك كنت لأحصله.. فعلى أي أساس تكون الشقة من
حقك؟))

ردت إيمان عليه صارخة بكل القهر النابع من داخلها وشعورها
المقيت الذي سببه له

((تبا لك يا احمد ولكل شيء.. ضيقت ثمانية سنين من عمري
معك لأخرج من هذا الزواج بلا شيء؟ بلا شيء حرفيا إلا
ابني.. صحتي وعمري كلهم ذهبوا هباء منثورا لأجل لا شيء..
لو لم أتزوجك لكنت تزوجت من هو أفضل منك أو لكنت بقيت
عند أبي أعيش حياة مرفهة لا اضطر فيها أن أتحمّل الحياة
المتواضعة التي عشتها معك أو مشاكل وال..))

قاطعها احمد بفح بقوة وبلهجة حاقدة متحكما بنفسه ألا يصرخ
هنا وهو يتذكر بانه ما زال بمكتب هيام

((اخرسي.. اخرسي وكف عن نذب حظك معي.. سأقولها لك
وبكل صراحة.. حاليا لا املك سيولة تمكنني من شراء منزل
بنفس المستوى لي ولهيام.. بل سأحتاج لخمس سنوات على
الأقل لشراؤه بعد أن انهي أقساط شقتنا الحالية كاملة.. وأنتِ
تعرفين أن هناك الكثير من أصدقائي وزملائي وأقاربي
سيزورونني للمباركة بعد الزواج.. وليس من المنطقي أن
استقبلهم ببيت آخر اقل تواضعا من شقتي الحالية))

كما أن زفافه الذي قرر أن يقيمه لهيام برغبته سيكلفه جميع
مدخراته القليلة التي كان يضعها جانبا..

انفجرت إيمان فجاءة باكية على الفور كمن أعطى لها الإشارة
البده ثم غمغت له بألم

((أنا أكرهك يا احمد.. أكرهك))

زادت حدة بكائها فأحيت بداخل أحمد إحساس بالذنب أكبر
تجاهها وهو يراها بكل هذا الانهيار..

يبدو أن والده وأياد كانا محقان..

لم يكن عليه حتى إعطائها أمل بسيط بانه سيعطيها الشقة وهو
يعرف نفسه جيدا بأن لا كرامته ولا وضعه سيسمحان له بأن
يعيش أو يستقبل الزوار بالشقة التي سيشتريها له ولهيام والتي
س تكون بمستوى اقل من شقته الحالية..

أغمض احمد عيناه يعيد رباطة جأشه قبل أن يقول بنبرة حملت
بعض الاعتذار والأسف

((اقسم لك يا إيما أنى لم اقصد ذلك ولكن ضعي نفسك مكاني..
أنا لم أريد الانفصال عنك.. بل أنتِ من اخترتيه بنفسك وانا
احترمت رغبته.. ولا يهون عليّ أن يعيش ابني البكر ببيت
رجل آخر قد يتفضل عليه حتى لو كان هذا الرجل هو جده..
ولا يهون عليّ أن اجعله يعيش مع والدته بشقة اقل من

المستوى الذي اعتاد العيش فيه سابقا.. ولكن ليس باليد حيلة..
وليس من المنطقي أبدا يا إيمان أن أتركك أنتِ وعدنان تعيشين
بتلك الشقة الفارحة والكبيرة وأنا وهيام وأولادي المستقبلين
نعيش ببنت متواضع صغير..))

وصله من بكائها صوتها المتهكم بمرارة

((مسكين.. أنا الآن فعلا لا أستطيع التوقف عن البكاء عليك
بالمناسبة))

لم يأبه احمد لتهكمها وهو يقول لها بجديّة وهدوء

((إيما هناك طريقة واحد لأدعك تبقين فيها أنتِ وعدنان بتلك
الشقة.. دون أن انزعج من بقائي وهيام بشقة اقل مستوى))

صممت إيمان لا يُسمع منها إلا بعض الشهقات الخافتة التي
تخرج رغما عنها وهي تنتظر أن يكمل كلامه بترقب ليستطرد
احمد بحسم

((هي أن تقبلي العودة لذمتي ونعيش سويا بالبيت.. حتى لو بقينا
منفصلين))

مرت ثوانٍ حتى انفجرت به بقهر وغيظ

((هل أنت مجنون؟ لا يمكن أن أعود لك أيها الحقير أبدا.. لن
أستطيع تقبلك أبدا))

هز رأسه بيأس منها.. ثم قال لها مصححا

((ألا تسمعين جيدا؟ قلت لك أن نعود معا منفصلين.. أعني أن
نعود فقط على الورق.. هكذا لن يضطر ابني أن يعيش بشقة
بمكان غير شقة والده.. وبنفس الوقت أستطيع زيارته متى شئت

واستقبال من أريد فيها ومتى ما أريد.. على الأقل ريثما يصبح
لي شقة أخرى تضاهيها بنفس المستوى))

سألته إيمان بسؤال أقرب لاستنكار حقرته وانعدام إنسانيته
معها

((ماذا؟))

قال لها احمد بترقب ينتظر قرارها

((ها ما رأيك؟ يمكنني أيضا أنا أعدك وأعطيك كلمة رجل بأني
لن أحاول لمسك أو حتى اعتبارك زوجة لي..))

وقبل أن يسمح لنفسه بانتظار ردها استرسل كلامه وهو ينتهد

((أكرر لك يا إيما بأني لن اضغط عليك ومن المستحيل أن
أعيدك على ذمتي رغما عنك.. ولكن إذا أردت أن تعود لي
فستكسبين الشقة وعدم تشتت ابننا.. فكري جيدا وأخبريني
بقرارك لاحقا بعد تفكير عميق.. والآن دعيني أتحدث مع
عدنان قليلا.. بالأسابيع الماضية كنتي تغلقين علي الهاتف كلما
حاولت التواصل معه والسؤال عليه))

لم تكن إيمان أمامه ليبرى كما بدا وجهها مخيفاً حقاً وهي ترد
عليه من بين أسنانها بنبرة تحمل أطنان من الحقد يحوم
بصدرها تجاهه

((ولا حتى بالأحلام.. إنسي أن لك ابن.. عدنان ابني لوحدي..
وبعد أن رفضت أن تعطيني الشقة لنعيش فيها أنا وهو بقية
حياتنا ولأنني لا أريد العيش بمنزل والدي.. سأغادر للولايات
المتحدة عند أمي وسنعيش هناك للأبد ولن ادعك ترى شعرة
وحدة من شعر من عدنان))

خرج من احمد صوت تهكمي قبل أن يقول باستخفاف

((من الجيد أنك أخبرتني عن خططك الجهنمية المستقبلية حتى
اتخذ الإجراءات المناسبة لمنع ابني من السفر معك))

ردت عليه بإصرار صارخة

((لا لن تفعل.. لن اسمح لك))

لم يرد احمد على كلامها لمدة تاركا الصمت مستمر بينهما لا
يسمع منهما إلا صوت أنفاسها اللاهثة وكأنها بخضم سباق..

ضيق احمد ما بين عينيه وهو يقول لها بجدية شديدة بعيدا عن
التهمك أو المزاح

((إيما.. إيما.. أصغي لي لأنني أريد التحدث معك بكل
صراحة.. أنا طبيب نفسي وساعدت الكثير من المدمنين الذين
قرروا أن يخوضوا التأهيل النفسي كبداية طريقهم نحو العلاج..
وكانت معظم الأسباب التي تؤدي لإدمانهم هو التفكك الأسري..
هل تعرفين أي سبق وتابعت حالة أم واحدة من بين الكثير من
الأمهات حاولت التواصل مع زوجها الذي انفصلت عنه لترجوه
أن يزور أبنائه المراهقين ويبقى بحياتهم كوالد لهم ويقوم
بواجبه تجاهه على الأقل.. إلا أن الأب رفض ذلك بعد أن
أصبحت له أسرة وأولاد آخرون.. هل تعرفين أن هذه الأم
حاولت كثيرا أن تشتكي عليه بالمحكمة إلا أن ذلك لم يجدي
نفعا لأنه لا أحد قادر على إجبار الأب على أن يقوم بدوره
بحياة أبنائه سواء هو.. وحتى المحكمة فأقصى ما يمكنها فعله هو
أن تجبره على دفع نفقة أبنائه الشهرية))

بدت صوتها متردد وهي تقول له بعد أن ازدرت ريقها

((ما الذي تريد إيصاله لي؟))

رد احمد عليه والجدية تلمع من كلتا عينيه

((أريد أن أخبرك انه عليك أن تكوني ممتنة جدا لأنني ما زلت
أريد عدنان ولن أبدله بكنوز الدنيا وحتى لو امتلكت أبناء

أخريين غيره.. ولكن لو أصررت على جعله يكرهني وإبعاده
عني فلن يكون هناك خاسرا سواه.. ولن يحظى بربح ما
سيحظه أولادي من هيام.. وأنتِ ستكونين السبب بهذا.. لذلك
ولآخر مرة أنصحك بأن لا تحاولي أبعادي أو حرمانني منه لأن
الخاسر الوحيد سيكون هو))

قال احمد آخر كلماته بحقارة شديدة لتغلق إيمان الهاتف عليه
بدون أن ترد..

ابعد احمد الهاتف عنه ينظر لشاشته وبدون أن يشعر دفع الكأس
الزجاجي أمامه أرضا يفرغ غضبه به فتهمشت الكأس لعشرات
القطع..

تنهد احمد ثم اغلق هاتفه وأعاد له مكانه وهو يعدل جلسته
بالمقعد ويمسح بكفيه وجهه.. بضيق وتعب..

ابعد كفيه عن وجهه عند فتح الباب ووصول صوت هيام له
هامسة باسمه

((احمد.. هل أنت بخير؟))

لم يزع احمد تقاسيمه المتعبة عن وجهه وهو يسألها بصوت
هادئ بعد أن رآها تدخل بدون أن تجلب القهوة معها

((هيام؟ لا تقولي لي أنك سمعتي مكالمتي معها.. فهاتفني نبرته
عالية جدا))

هزت هيام راسها بخفوت ثم أغلقت الباب خلفها..

مرت لحظات ثم قالت وهي تعود للجلوس بمقعدها

((أنا اعتذر لم اقصد التصنت.. لكن لم اسمع إلا كلامك فقط..
تقريبا))

انتبه على نظراتها الممتعضة فوق قطع الزجاج أرضا ليسارع
احمد الاعتذار

((هيام أنا اعتذر منك لم اقصد كسر الزجاج فوق طاولة
مكتبك.. لكن بعد كل مكالمة تحدث بيني وبين إيما تنتهي
بشعوري الشديد بالضيق حد أنني أبدأ إفراغ كل غضبي
ومكبوتاتِ الداخلية بأي شيء أمامي..))

والآن عليها أن تبدأ بعيش الواقع.. فبعد أن تزوجا احمد لن يبقى
دائما ذاك العاشق..

بل سيكون أحيانا متضايقا ولن يستطيع إخفاء الأمر أمامها..

بل اقل ما توقعت أن تتصل به وتسيء لها ولأحمد بقول أو فعل
فيغتم أو يضيق صدره ويجد الرغبة في الصمت والعزلة..

لذا بالتأكيد وبحالة لجأ للصمت مستقبلا أمامها فلا يجب أن
تفسر صمته بعدم حبه واهتمامه بها..

كما عليها ألا تشعر بالضيق كثيرا عند حديثه مع إيما..

فهي من اللحظة التي وافقت فيها الزواج من احمد علمت أن
حياتها معه ستطلبها الكثير من الصبر وسعة الصدر والحكمة..

تنهدت.. ثم اغتصبت ابتسامة وهي تقول مقتعة

((احمد.. بغض النظر إن أعدت إيما لذمتك أو لا.. لكن أنا
أرجوك أن تدعها تعيش هي وابنها بالشقة.. هذا اقل تعويض
لها.. وأنا لذي مدخرات وفيرة من عملي الحالي والسابق
ويمكنني اخذ قرض إذا احتجت للمزيد وسنشتري سويا شقة
تماثل رفاهية شقتك معها.. اعرف أنك تخجل من استقبال أي
أحد من معارفك وأصدقائك بمكان متواضع أو اقل مستوى عن
شقتك السابقة.. لكن تحمل الأمر لمدة قصيرة ثم سيصبح لك
شقة أخرى لا تقل عن الأولى بشيء))

غمغم احمد بصدمة لهيام و غضبه يتحكم به

((ماذا؟ ماذا تقولين؟ هل تريدين مني أن اطلب ممن ستكون زوجتي أن تشتري لي بأموالها الخاصة شقة لي؟ ما رأيك أن أجلس بالبيت واربي أطفالنا.. وأنتِ من تعملين وتصرفين علينا من مرتبك الخاص؟))

ثم صمت احمد فجأة وأشاح بوجهه المحتقن جانباً لتقترب هامسة له بشحوب

((احمد حبيبي اهدأ.. لماذا غضبت هكذا؟ أنا كنت ومن الأساس سأقول لك بأنني وبعد أن أتزوجك من المستحيل أن اجعل أموالني في معزل عن أموالك.. بل وأصر على أنها كلها ملك لك ولك كامل الحرية في التصرف فيها ومن غير الرجوع لي في كل صغيرة أو كبيرة.. بل سأحرر لك توكيلاً عاماً بحرية التصرف فيما تملك))

ارتسم ضعف الغضب السابق على احمد وهو يقول لها مستنكراً ما تحدثه به ببساطة

((هيام هل أنتِ مجنونة؟ ما هذا الذي تقولينه؟ هل تريدين أن يشير لي الناس بأنامل السخرية وينظرات الازدراء والاحتقار؟ هل تريدين أن يقولوا لي بأنني رهن إشارة زوجتي لأنها تصرف عليّ وليس لدي الحق في الكلام أو ممارسة دوري كزوج؟ تخيلي أن يسمع أحد كلامك هذا الذي قلتيه لي؟ وقتها سيتعامل معي الرجال بشيء من التحفظ ولن يحبذ أحد حضورني بتجمعاتهم بل لن يقيم لي حتى من هم اقل مني شأنًا وزيارًا))

نظرت هيام له باستغراب وحزن تهز كتفيها وهي تقول له بخفوت سائلة

((احمد أنت تبالغ جداً))

ثم اتبعت كلامها وهي تذكره بحقيقة سابقة

((ألم تقل إن إيما كانت تساعدك بأمر البيت؟ أنا فقط حاولت أن أكون مثلها حتى لا تلاحظ أي تقصير أو نقص ولا نتدم لتركها لك.. فأنا يمكنني مساعدتك بالبيت مثلا وبل ساكون أفضل منها))

ذكرها مساعدة إيمان له وعزمها على مساعدته أكثر من إيمان مسه في أعرق رجولته..

لكنه تحكم بنفسه وهو يقول لها بشرر

((بل عرضك بمساعدتي بالأمر المالية سيجعلني اشعر بنقص كبير.. الرجل الذي يقبل أن تصرف عليه زوجته طبعا ليس رجل ولا يستحق أن يكون رجل.. أنا لم اخذ من إيما أي فلس لي.. هي مرة واحدة فقط قامت ببيع ذهبها بدون علمي وأجبرتني أن أخذه.. وبمجرد أن تحسن وضعي أعدته لها.. باقي أموال مرتبها كانت تصرفها هي على البيت بطيب خاطر منها.. ومع ذلك كانت لا تنخر أي جهد منها بتذكيري بذلك والتمنن عليّ به))

مالت هيام رأسها تقول له برعاء واعتذار وعيناها تترقرقان بالدموع

((احمد سامحني لم اقصد ذلك.. كل ما في الأمر أني أردت المساعدة حتى لا أكون عبئا عليك))

تنهد احمد ممسكا يدها بقوة قائلا بحرارة

((هيام حبيبتي اهدئي.. اعرف أنك فتاة نبيلة الأخلاق وتحاولين مسانديتي دون تمنين.. ولكن مع ذلك فانا لن أستطيع أن اقبل منك أي شيء.. كما أن أخذي النقود منك مقابل أن ابني لك مثل شقة إيمان هو ظلم وإجحاف في حقك ولن اسمح أن أكون ظالما لك))

ظلت صامتة لحظات تتنفس بارتجاف حتى سالت دموعها
لتقول

((ولكن إذا لم أنفق مالي على بيتنا فلنم سآدخر كل هذه
الأموال؟ خاصة بأن مرتبي سيزداد مع مرور الأيام))

مد احمء أنامله بمسح عبراتها الساقطة وهو يقول لها بحنان

((حبيبتي.. كنت أريد التحدث لك في خصوص هذا الموضوع
وأجد أن الوقت الآن مناسباً لذلك))

حركت يهاهيوما وجهها بين يده تتمسح بحنانه فيتبسم مداعباً لها
لتقول له

((ماذا يا احمء؟))

ابعد احمء كفيه عنها وهو يقول لها وعيناه مستمرتان بالتواصل
مع عيناها

((الحقيقة هي.. أنا كنت أرغب بان اطلب منك أن تترك عمك
هنا.. لا أريد أن أكون زوجاً متسلطاً..))

تراجعت هيام على كرسيها قائلة وهي تنظر له بامتعاظ وغير
رضا وهي تلوي زاوية فمها

((لماذا؟ هل تعلمت درسك من إيما وتريد تطبيقه علي حتى لا
تقع بنفس الخطأ؟ تخشى أن أؤمن عليك مثلها بحالة استقلالي
المالي أو قمت بإنفاق أي شيء للبيت أو عليك؟))

سارع احمء ينفى كلامها بجدية وهو يقول لها بإقناع

((لا.. لا يا عزيزتي.. ما قصدته هو أن الإنفاق واجب شرعي
علي.. وأنت لو بقيت علي عمك بعد زواجنا ستشككين من
كثرة المسؤوليات الملقاة علي عاتقك داخل المنزل وخارجه..
كما أن عمك هنا بالجامعة ليس كعمل إيمان بالمدرسة.. عمك

هنا سأخذ كل وقتك حتى بالعدل.. صدقيني هيام أنا لا أحاول إجبارك أو الضغط عليك أبدًا لترك وظيفتك.. لكني أتمنى ومن كل أعماق قلبي أن تترك وظيفتك لأجل منزلنا.. فأنا لا أريد أن أعود من منزلي بالمساء وأجد التعب قد أنهكك تماما..))

قالت هيام بتلعثم مقاطعةً إياه وذهنها شاردا بالتفكير بكلامه

((احمد.. أنا..))

قاطعها احمد هو الآخر قائلاً بسطوة محببة

((هيام أنا لن أحب أن تهتم زوجتي بعملها أكثر من اهتمامها بي.. ولكن أكرر عليك بأنني لن أحاول إجبارك.. ترك العمل أو لا سيكون قرارك ولن اضغط عليك في ذلك.. لكن أتمنى فعلاً أن تتركه من أجلي ومن أجل عائلتنا))

هزت هيام رأسها لتقول بقبول متفهم

((احمد.. أنا أتفهمك..))

ازدرد احمد ريقه وهو يوزع نظره بتخبط..

ثم نظر لها وهو يمسك بيد كفها وبالأخرى يرفع رأسها من ذقتها لتنتظر له ويتحدث معها بجديه ممزوجة باللين والحب
قائلاً

((هيام حبيبتي.. أنا لا اقصد شيئاً ولكن لنفكر بمنطقية وواقعية.. أنا وأنتِ سنصبح قريباً بالرابعة والثلاثين من أعمارنا.. لم نعد يافعان.. وخاصة أنتِ.. العمر يداهمك.. وأنا وبكل صراحة أريد أكثر من طفل من المرأة التي أحبها.. أحب ابني عدنان وهو يغنيني عن الجميع.. ولكنني سأحب أيضاً أن امتلك منك أنتِ طفلاً.. منك أنتِ دوناً عن نساء الأرض.. أريده أن يشبهك في ابتسامتك وحبك واهتمامك وفي ابسط تفصيل لك.. وسأكون اسعد لو كانا طفلين أو ثلاثة.. لاحتضن دفاً عشقهما ببراعة طفولة الصغار))

نظر احمد بتركيز لهيام يراقبها بترقب متلهف لتقول هيام
بصدق

((احمد.. الحقيقة.. لطالما حلمت أن يكون لي أكثر من طفل
يشبهك أنت.. وكل واحد أريده بملامح مُصغرة من تفاصيل
رُجولتك))

للحظات داهمتها أفكار ومشاهد جميلة..

ودون أن تنتبه دمعت عيناها بتأثر تحاول ألا تظهره بنبض
قلبي الهادر..

يا الله كم سيكون جميل أن تحمل في أحشائها طفلاً من احمد
وتحتضنه..

تضحكه بعمق حتى تتجلى ابتسامته.. تمحو كدره بقبلة.. وتطفئ
لهيب جوعه بضمة احتواء..

تقبله.. تكي وتضحك معه.. يكبر معها ومع أبيه.. تراه بعين
والده وتنصت له بقلبيها..

يا الله.. كم سيكون جميلاً أن تشم رائحة احمد فيه ويشببه بكل
شيء..

له نفس ملامحه ويطابقه وكأنه نسخة صغيرة منه..

عينيه.. انفه.. شفتيه.. لون عينيه؟

هل من الممكن أن يكون لون عينيّ ابنيها ازرقاً مثل عدنان
بالرغم من عدم تواجد أي فرد في كامل عائلتها له ذا أعين
ملونة؟

لكن ما همها بشكل طفلها؟

المهم هو أن يكبر بكنف والديه ويبدأ في تقليد وممارسة طباع
احمد..

يكفيها أن ترى غيرة وحنان وعطف احمد عليه..

وهذا لن يحدث إلا بحالة قررت أن تترك عملها لتفرغ نفسها
فقط لأطفالها وبيتها وتجد الوقت لتمضي كل هذه اللحظات
معهم..

خرجت هيام من أحلامها تنظر لأحمد بحماس وبهمسة مرتجة
تلعثت حروفها من بين أنفاسها المتلاحقة

((احمد.. سأفعل))

رفع احمد يديه واحتضن وجهها بين كفيه وهو يهمس لها يتأكد
مما تقوله

((ستركين عملك؟))

حركت رأسها بموافقة عشوائية..

هي بالفعل تحب عملها بشدة..

لكنه يبدو أن عليها أن تغير وجهتها خاصة مع قناعتها بأن
الدور الأساسي لأي امرأة هو منزلها كما كان يُسمعها والدا
دائما..

وإذا ما تعارض مع أي شيء آخر فعليها أن تحافظ عليه..

خاصة وعملها يستهلك معظم وقتها من الصباح للمساء..

أغمضت هيام عيناها ثم فتحتهما تقول له بابتسامة جميلة

((نعم سأفعل.. سأفقرغ لك ولبيتنا وأولادنا فقط.. سأترك
عملي.. أريد أن أنجب منك قبيلة.. لا طفلا واحدا أو اثنين..
وملامحهم تنقسم من ملامحنا.. فيهما أنا وأنت.. وستكون أنت
طفلي الأول.. سأرعاكم واعتني بكم.. سأحتويكم واسهر على
راحتكم.. ستكونون وطني وعائلتي وكل ما أملك في هذه
الدنيا))

ابتسم لها احمد بحب وحنان فتنهدت بفرح وهي تسأله بعينين
براقتين بالسعادة

((ألن يكون جميلا أن تمتلك طفلا يا احمد وتعيش دور الأب
معه مرة أخرى؟))

أجابها بخفوت مبجوح

((نعم.. سيكون رائعا.. سأحرسه وأرعاه بعين نضوي الذي لن
ينام قبله وأزرع فيه طموحاً يدفعه لمستقبل ناجح))

وكم زادت مشاعرهما الآن لتصبح غنية ومتخمة بالعواطف
الرقيقة وهي تتخيل احمد يحمل طفلها بين يديه..

يدندن له بصوت خافت حتى يهدأ ضجره.. يكون سنده بالحياة..

=====
=====

ببيت عدنان الدال..

أقلت إيمان هاتفها فوق الفراش على الفور وخارت قوى ساقبها
لتخر ساقطة أرضا وهي تشعر أنها منهاره تماما حدَّ أنها
عجزت عن كتم شهقاتها..

كانت تبكي بلوعة لم تبكيها من قبل وهي تشعر بتمزقات روحها
وقلبها المتوجع وروحها المكوية بشهب الغدر..

بعد أن كانت بطريقها للتماثل للشفاء من حياتها السابقة مع
احمد..

كانت هناك ورقة بيضاء مجمدة ومكورة على نفسها ملقاة
أرضا بجانبها.. ورقة طلاقها..

مكالمتها التي انتهت قبل دقائق مع احمد كانت بمثابة سم سكبها
على نبضها ليحرقه فيجعلها وكأنها تعيش سكرات الاختناق..

تبا له.. ذاك النذل.. يريدنا أن نتحمل رؤية أخرى تأخذ كل شيء كان لها وتصمت؟

هل يريدنا أن نقضم خبز الوجع وتبتلعه حتى وإن كان في طريقه للمعدة سيشق حنجرتها؟

أيامها الأولى هنا ببيت والدها والتي كانت ما بعد طلبها الطلاق منه هي الأسوأ في حياتها..

حيث كانت تغرق فيها في كل ليلة ببحر الذكريات لا تنجو منها إلا على المهدئات التي صارت لا تنام إلا عليها..

أما صباحات ما بعد الطلاق.. فأواه منها ما أصعبها..

ومع أنها كانت تعيش بشكل منفصل معه بنفس البيت لأشهر قبل طلاقهما..

إلا إن عطر احمد كان لا يزال أثره موجود في حجرة نومهما..

لذا لم يكن النوم بغرفتها حاليًا مشابهًا لما قبل..

هي اتخذت قرار انفصالها عن قناعة..

إلا أنها خائفة على قلبها أن ينكوي بجمرة لم تنطفئ بعد..

بجمرة لم يقوى رماد غدره على إخماد جذوتها..

ومن دون أن تدري كيف..

بدأ مشهد لها وزوجة أبيها بالأمس يظهر أمامها ويشنتها جدا..

فصمتت قليلا شاعرة بتشوش أفكارها التي بدأت تتخبط قبل أن تحفل بحظة فتح باب غرفتها..

رأت والدها عدنان يدلف للداخل فسارعت بتغطية وجهها بكتنا كفيها..

اغلق عدنان الباب خلفه بهدوء محكما غلقه ونظره مصوب نحو ابنته..

لانت ملامح عدنان بشفقة على ابنته ليهز رأسه بأسى..

يعرف أنها من بعد طلاقها تتظاهر بالتماسك ظاهريا فقط..

شعر بألم ينتحب له أضلعه وهو يرى كيف تحاول ابنته كتم صوتها بأنامل يدها التي تضعها على عيناها لتخفي دموعها..

وأنامل اليد الأخرى التي تضعها على ثغرها ليخرج نحيبها المكتوم بدلا من صراخها الموجه..

وسرعان ما دفنت وجهها بين ركبتيها تضم نفسها بنفسها..

اقترب عدنان بخطى ثقيلة وما لبث أن جثا على ركبتيه أمامها ماسحا على شعرها مناديا

((ابنتي الحبيبة..))

شبهقت إيمان بقوة وهي ترفع له رأسها والدموع تملأ وجهها الجميل بتزايد مستمر..

رأها تبكي بقهر ليمسح بأنامله تلك الدموع بحنو شديد وكم ألمه رؤيتها في هذه حالة مزرية..

بالرغم من القوة والصلابة التي تظهرهما إلا أن عيناها الزرقاوان بدا وكان لا حياة فيها..

وجهها شاحب بشدة وعظام وجنتيها بارز جدا بعد أن فقدت الكثير من وزنها.. وحالتها كله ضعيف..

التقط عدنان كفيها يحاوطهما بيديه وهو يشد عليهما ويبيتهما الثقة والطمأنينة وهو يسألها

((ما سبب دموع الورد هذه؟))

أسبلت إيمان أهدابها ورغما عنها تساقطت دموع أخرى منها
بعذاب..

والألم الذي تجلى على ملامحها الفاتنة تغلب عليها..

سألته إيمان هامسة بنبرة متهدجة من فرط الألم والتخبط

((أبي هل أخطأت بطلب الطلاق من احمد وخسارة كل شيء
لأخرى؟ حتى وإن كان بقائي بجوار احمد يقتلني ببطء؟ هل أنا
إنسانة فاشلة أو ضعيفة لطلي الطلاق؟))

ابتسم عدنان في محاولة يائسة لإبعاد الحزن عنها وهو يضغط
على كفها

((لا يا ابنتي.. الزواج هو مشروع كسائر المشروعات.. وفشلك
فيه لا يعني استمرار الفشل ودوامه بل هو بداية لنجاح آخر
بإذن الله.. فאלله تعالى يختار لنا ما فيه خيرنا وإن بدا ظاهره
شراً بمقاييسنا البشرية.. توكلني على الله.. وفوضي أمرك إليه
وأبعدي عن رأسك هذه الأوهام))

وأردف بصدق وقد التمع شعوره تجاه احمد من تخبيب ظن
وإحباط بعينيه

((من أول مرة قلتي فيها لي يا ابنتي انه كان يريد الزواج لم
أكن أريد أعادتك له.. لكن تمسكك الشديد به هو ما جعلني اجبر
نفسي على عدم التدخل بينكما أبدا لأنني عرفت بأن لو تدخلت
وحاسبته كما كان علي حساب.. لم يكن شيء سيمر على خير..
فبالنهاية هو لم يحصن كرامة ابنتي عن أي زلل ولم يقدر
حبها.. وحتى أنا الذي زوجتك إياه لم يحسب لي أي حساب))

هزت إيمان رأسها بوهن وهي تسأله بعينين مشدوهتين له

((وماذا ستفعل معه؟))

قطب عدنان حاجبيه يقول لها بجديفة

((وماذا قد افعل معه بعد أن طلقك ورماك ولم يسأل عنك أو حتى يعود ليتحدث معي كرجل ولو على الأقل يبرر لي؟ هل تريدني مني معاتبته مثلاً؟ يا ابنتي احمد قليل أصل.. وقليل الأصل لا يُعاتب ولا يُلام.. بل يُترك ليومه.. اتركه للأيام وانسيه وعيشي حياتك))

أخذت إيمان نفساً بإنهاك قبل أن تقول بصوتها المتذبذب

((المشكلة يا أبي بالعشرة.. العشرة.. لا أستطيع تجاوز كيف هانت عشرتي عليه حتى بعد أكثر من ثمانية سنوات.. أنا حقا لا تهون عليّ العشرة))

أجابها عدنان باستياء من طريقة تفكيرها ووهنها

((هانت عليك عشرته ولم تهن عليك كرامتك؟ إيما أنتِ ابنتي التي لم أعهدك ضعيفة هكذا؟))

الكلام أسهل من التطبيق..

وهي لا تتوقع أن هناك أشد وقعاً على النفس من الفراق..

ومهما حاولت التماسك إلا أن أثره على نفسها.. وحتى جسدها قاتل..

فوجع الفراق ممتد ووخزاته مؤلمة وجروحه ساخنة لا تبرؤ مع الزمن..

الفراق كله وبشتى صنوفه موحش وكاسر.. ولحظة حنين واحدة على حين غرة كفيلة بان تعصف بعالمها كله..

فرغم كل شيء احمد ملاً بحياتها وعاش تفاصيل يومها..

بلحظة ما ضحك وبكى من أجلها.. وهي ضحكت وبكت من أجله..

حدثها بمرّة عن المستقبل وسردت هي له من الماضي.. الذي
تمنت مرّة لو أنه عاشه معها..

بمرّة أشعل من أجلها شمعة وهي ذرفت لأجله دمعاً..
والآن وبغمضة عين..

انتهى كل ذلك وأصبح لا شيء.. سراب.. حلم.. فيلم انتهى
بأحداث مبتورة..

نظرت إيمان له فجأة متسائلة

((أبي.. لم يسبق لأمي أن أخبرتني عن تفاصيل طلاقكما ولم
تقل إلا أنكما لم تتفقاً سوياً.. أريد أن أسألك أنت.. لماذا
تطلقتما؟))

نظر عدنان بعينيه لها لثواني ثم تحرك من مكانه للخلف يريح
ظهره على الحائط ويشدها من يدها لتجلس بجانبه وتتكأ هي
الأخرى بظهرها على الحائط ثم أحاط بذراعه حولها..

وبتنهيدة وبصره يشرد للأمام حدثها

((أنا يا إيمان تزوجت في سن مبكرة من أمك عندما سافرت
للخارج لأدرس.. بعد زواجي اكتشفت عالم وحياة أخرى بعيدا
عن هذه القرية الصغيرة التي ترعرعت بها.. بدأت أحب السهر
والسفر والخروج مع الأصدقاء.. وكان خلافنا المحوري يتراكم
يوماً بعد يوم حول هذه المسألة مع أمك.. وفي كل مرّة نختلف
ويعلو صوتنا إما بسبب وجودي خارج المنزل لفترات طويلة أو
مع كل سفرة أقوم بها وفي آخر شجار بيننا خرجت عن طوري
وضربتها.. أعترف أنني نادم على فعلي حتى الآن.. لكن عقابها
لي كان قاسياً ولم أتوقعه أو يخطر في بالي.. لم أتوقع أن تدخل
أهلها بالموضوع ويطلبوني بطلاقها.. مع أن عائلتها لم تكن
راضة لزوجنا بل فرحوا به جداً ودعمونا))

رفعت إيمان وجهها تنظر له متسائلة

((وماذا بعد ذلك؟ لم توافق أن تعطيك أي فرصة؟))

عاد عدنان يتنهّد وهو يجيبها

((لا.. وربما كانت محقة بذلك فلو بقيت متزوجة بي لربما كنت سأتجرأ وأضربها مرة أخرى))

هز عدنان كتفيه يسترسل كلامه

((أنداك لم أكن أريد أن أحرمك من أمك وفي نفس الوقت صعب عليّ أن أرى إنسانا غيري يربيك خاصة أن أمك تزوجت فوراً بعد طلاقها مني.. لكن قررت أن أتزوج وأتخلى عن حضانتك لها علي أن تزوريني باستمرار بالعطل الصيفية.. وفعلت هذا فقط حتى لا تتبعدي عن أمك.. لأجلكما))

أخفضت إيمان وجهها تطرق بصرها أرضاً وهي تقول له
بصراحة

((معك حق.. فأنا لا أظن أنني كنت سأحبذ العيش معك ومعها أكثر من أمي.. ولكن أنا حقا احبك وأحب زوجتك وإخوتي يا أبي.. أنت محظوظ بهم))

انتعشت عينا والدها وهو يقول لها

((لكن.. الحمد لله عوضني الله بزوجتي راما.. امرأة تقية ومراعية ومن خير النساء..))

ابتسمت إيمان بأمل لسعادة والدها.. هي سعيدة من أجل كلا والديها الاثنين..

ولكن عليها أن تكون قوية مثلهما.. وخاصة أمها..

فلطالما والدتها كانت مثالا للمرأة قوية الشخصية..

لطالما كانت امرأة مُستقلة وقادرة على الاعتناء بنفسها..

لطالما كانت تستطيع أن تواجه وأن تحل مشاكلها بنفسها
وتتحمل مسؤولية قراراتها..

لطالما كانت قادرة على تحقيق أحلامها دون تقديم تنازلات
ودون الرجوع عما تريده..

لربما هذا ما جعلها تختار أن تبعد تأثير أمها عليها وتحاول أن
تكون كزوجة أبيها الطيبة وقليلة الحيلة.. صاحبة التفكير
البسيط..

ولكنها كانت مخطئة..

فرجل كأحمد لم تكن امرأة بصفات زوجة أبيها ستجوز بنفسها
معه بدون أن تضيع حقها معه..

من حظ زوجة أبيها أنها تزوجت رجلا كوالدها عدنان.. حنون
ومراعي ولن يفكر يوما باستغلال ضعفها وسذاجتها بقهرها..

تنهدت إيمان قبل أن تقول لوالدها وهي تريح رأسها على كتفه
بينما ما تزال جالسة بجانبه على الأرض

((أبي.. لقد فكرت جيدا والآن فقط تأكدت من قراري.. سأسافر
أنا وابني ونعود للولايات المتحدة.. وبأسرع وقت وقبل بدأ
السنة الدراسية الجديدة لعدنان.. لكن.. لكن بالتأكيد سأعود هنا
لزيارتكم بشكل دائم وسنويا))

صمت والدها ينظر إليها نظرة يُعرف منها عدم تفاجئه من
قرارها برغم حزنه لفراقها..

قال لها بصوت حنون

((حسنا يا ابنتي.. مهما كان قرارك فأنا احترمه ولا أريد إلا
سعادتك ولا أرضى بأقل من ذلك..))

فرفعت إيمان يدها التي يشد كف أبيها حولها إلى ثغرها لتقبلها
ثم أغمضت عيناها تحرك رأسها بشكل مريح أكثر على كتفه..

تردد بعقلها

"يا رب.. باعد بيني وبين من هان عليه أن يحزنني ويخيب
ظني به بعد المشرق والمغرب.. يا رب لا تجمعني به لا حلما
ولا واقعا ولا صدفة"

وهي متأكدة بأنه سيأتيها العوض..

العوض الذي لا تعلم مداه ولا حجم تدبيره..

لكنها تؤمن بأنه سيأتيها بغض النظر كيفما سيكون أو على أي
شاكلة..

وساعات مرت وهي جالسة على الأرض فوق الفراش تنام
مكتنئة بجوار والدها الذي كان يربت على شعرها بحنو وهي
تشد على ذراعه تستمد منه كل ما تحتاجه من قوة وشجاعة
لأيامها القادمة..

=====
=====

بعد أسبوعين..

فتح مراد عيناه اللتان وقد صار يشعر براحة لم يسبق وأن ذاقها
بينما ينظر لتلك النائمة بأحضانها وكأنه كيف يرى الشمس
لأول مرة..

يتأملها كيف تحمل كل هذه الفتنة حتى وأثناء نومها.. ألا تتعب
من حملها لها؟

باتت تنتقل أحضانها وقربه ولمساته وقبلاته بدون أي مقاومة أو
نفور.. بل تنتظرها بشوق حارق ولهفة..

باتت لا تعرف النوم قبل أن يصل للبيت حتى ترتمي بأحضانها وهي تلف يديها على خصره تضمه إليها كما يضمها هو إليه ليغمرها ويبتئها ما تحتاج من راحة وسكينة لتنام هانئة..

يمكنه أن يقول إنها تقبلته.. تماما.. أو الأخرى تقريبا..

حركها من أحضانها ببطء ورفع وجهها إليها يتلمس وجنتها بشفتيه لتتململ مكانها وهي تشد على احتضانه فيضحك عليها بخفوت..

وما إن فتحت جالا عينيها الناعستين بشكل تدريجي على محياه الوسيم كأول شيء تراه هذا صباح كالعادة حتى ابتسمت له بحب وهي تشعر أن نبضات قلبها تكاد تكون مسموعة..

بدون أن تلاحظ ارتفاع اللون الأحمر الذي زحف إلى وجنتيها بصباح هذا اليوم الخير..

فالصباحات التي تبدأ برويتها لمحياه هو كيف لا تسمى خير؟

ارخى مراد يديه حولها ثم بدأ يعتدل مكانه يهم للوقوف من السرير لتشدده إليها رافضة أن يغادرها قبل أن تقبله بحرارة على خده..

ابتسم مراد لها ثم وقف مكانه وهو ينظر لها بطرف عينه مدعيا الحنق..

فقد توقع أن تكون مبادرتها أجراً وأشهى هذه المرة عن أمس..

لكن على الأقل نسيت أن تعتذر له هذا الصباح..

كما اعتادت بصباح الأيام السابقة حيث أول جملة كان يسمعها عند استيقاظه منها هي

"صباح الخير.. سامحني"

بل تثبته دائما قبل النوم أحر وأصدق اعتذاراتها عما فعلته معه
من بداية زواجهما حتى الآن من تقصير تعرفه جيدا..

للتتابع شكره على صبره ولطفه معها..

وتحمد الله على مسامحه أنها تزوجته هو..

وتعده بصدق بأنه ستنبذل أقصى جهدها من أجله وتسعده..

دلف مراد للحمام وشرد بعينيه بنظرات خاوية منهكة أمام
المرأة المعلقة على الجدار فوق المغسلة..

ما لا تعرفه جالا بمرارة واقعية.. أن صبره بالفعل قد نفذ..

حيث يحدث له أحيانا وبصورة مباغتة.. أن يبرز وسط
أحاسيسه تعباً رهيباً من الأمر والحياة معها..

إلى حدٍ لا يمنحه إمكانية اختلاق فعلٍ للسيطرة على أي شيء
به..

عاد مراد لواقعه وعيناه تتعلقان بالمياه التي بدأت التدفق على
راحة يده بعد أن فتح الصنبور..

ملاً باطن كفيه بالماء ليلقيه على وجهه ورقبته يغسلهما بانتعاش
لعله يلغي صمت أفكاره الصاخبة داخل عقله بأفكاره..

يعاود التكرار على نفسه بأنها وعلى الأقل تتقبله ولا مشكلة لها
معه.. هو بالذات..

ربما ولظروف زواجهما المفاجئ لم تجد من يحدثها عن الزواج
والعلاقة الجسدية التي تحدث بين الزوجين..

وربما هناك من عزز مخاوفها وهواجسها وهو يطلعها على
تجارب المحيطين بها..

خاصة لو سبق وسمعت من نساء تذرنا أمامها من الألام
المصاحبة للعلاقة..

أو من نساء يشتكين أول مرة الإرباك أو الخجل الذي شعرن به
في وقتٍ لاحق..

على كلٍ هو متأكد من أن سبب ارتباكها وخوفها حتى من
مجرد تصوّر نفسها تقاسم السرير معه ونفورها..

هو من العلاقة الزوجية لا منه هو.. وهذا ما عليه أن يجد حلا
له..

والدتها ترفض قطعياً أن تتحدث معه بعد تلك المشكلة ولا تزال
تحقد عليه وعلى والدته لأنه شكك بشرف ابنتها..

ووالدته هي آخر من تصلح ليطلب منها الحديث بهكذا مواضيع
مع جالا..

لذلك ليس أمامه إلا أن يفكر بالذهاب لمختصة بالعلاقات.. أو
المشاكل.. أو شيء شبيه بهذا القبيل..

لا يعرف تحديداً لكن سيحاول السؤال الآن..

خرج مراد من الحمام يدلف لجرة نومها بهم بإخراج ملابس
عمله وهو يرشقها بنظراته بينما يراها قد عادت للنوم بسكينة..

فابتسم بحب لمنظرها مذكرا نفسه بأن البهجة التي يخلقها
وجودها بجانبه يجب أن تجعله يستطيع تحمل كل شيء..

ولعلّ ما يسعى إليه هو ساعٍ إليه بنفس الوقت..

عند المساء..

أطفأت جالا جهاز التلفاز لتنتقل تركيزها نحو والدته مراد التي
جلست بقربها..

الأيام الماضية كانت هادئة وجميلة جدا..

يارا منعزلة بحزنها من فسخ خطبته التي لا تعرف إذا ما إذا
كانت فعلا تُسمى خطبة..

ووالدة مراد كانت تبتعد عنها ودائما ما تبدو شاردة وكنيية
وهناك أثار لبكاء على وجنتيها..

هتفت بها روعة بصوت متحشرج من إثر البكاء الذي أوقفته
بصعوبة قبل أن تجيء لها

((جالا حبيبيتي.. كنت أريد التحدث عنك بموضوع))

ازدرت جالا ريقها بتوجس ثم هزت رأسها بموافقة تسمح
لروعة بالإكمال

((هل تعرفين ماذا قال ابني عنكما؟))

هزت جالا رأسها نافية بريية لتقول روعة وقد بدأت الدموع
تتفرق بعينها

((قال لي بشأن حقيقة العلاقة بينكما.. أن.. أن المشكلة منه
هو))

تلجلجت الحروف بخلق جالا وجحظت عيناها لما سمعته..

وللحظة شعرت بالشفقة على روعة..

هل أخبرها مراد بكل قسوة أن المشكلة منه وجعل والدته تتعذب كل تلك الأيام؟

ما فعله بحق والدته قاسي جدا.. حتى ولو كان من أجلها..
وحتى لو كان الهدف أن تتوقف والدته عن مضايقتها..

فسارعت جالا تدافع عن مراد بلهفة

((لا.. لا.. لا غير صحيح.. بل المشكلة بي أنا.. بل..
وللصراحة نحن أتمننا زواجنا منذ مدة.. ولكن أنا أعجز عن
السماح له مرة أخرى بلمسي بدون شرب المخدر أو المنوم
الذي أعطيته لي.. ولكن أقسم لك أنني لا أتقصد ذلك تعذيبه.. بل
حاولت وسأبقى أحاول أن أتحمّل على نفسي لأعطيه حقوقه
بشكل طبيعي ولكن.. لا أدري..))

كانت روعة تنظر لجالا بصدمة ثم بدأت عيناها أثناء إكمال
جالا للحديث تطلق شرارات الحقد..

لقد كان ابنها يكذب عليها.. نعم كما توقعت بل وأجزمت سابقا..

زفرت روعة بضيق حقيقي قبل أن تقول بنبرة غليظة

((استسلمي يا جالا.. لن تسمح لي الاقتراب منك بدون مقاومة
إلا بمخدر.. وليس هناك رجل سيحب القيام بعلاقة زوجية مع
جثة هامدة.. ابني مظلوم بالزواج منك.. كأنه متزوج من طفلة
لا تمتلك ذرة نضوج أو من جثة لا ذرة حياة فيها))

غمغمت جالا بخزي وهي تطرق راسها أرضا

((أنا أسفه))

كان جسد جالا يرتعد من الخجل والضيق وهي تتحكم بدموعها
بقوة لا تملكها..

ليداعب حرجها صوت روعة بشر

((جالا اسمعيني.. لو كنت مكاني ألم تكوني ستسعين لتزويج
ابنك؟))

قطب جالا شفتيها وهي ترفع نظرها إليها رافضة لما لتغمغم
(ماذا؟ ماذا تقصدين؟))

زفرت روعة بحدة.. ثم قالت بحلق شديد وحقد دفين

((اقصد لو كنت فعلا لست أناثية فأخبري مراد انه كفى ووفى
بصبره عليك طوال هذه المدة.. سنة هي أكثر من كافية.. وأنت
موافقة بطيب خاطر أن يتزوج))

رفعت جالا حاجبها تزم شفتيها وهي تنظر لوالدة مراد من
أسفل لأعلى ثم قالت باستنكار

((ماذا؟ لا مستحيل لا لن أقول))

مدت روعة كفها وانحنت بجسدها تمسك بكفها لتقربها منها
قائلة برجاء وحرقة

((جالا ارجوني.. لو فعلا تحبين مراد ستفعلين ما أقوله لك بلا
أي نقاش.. أرجوك يا جالا.. أتوسل لك))

همست جالا مستهجنة من بين أسنانها ثائرة على هذه الفكرة
وهي تشيح بوجهها بعيدا

((أنا لا دخل لي.. إذا كان يريد مراد التزوج سيتزوج بدون أن
يسألني))

التمعت عينا روعة بشر وهي تقول لها بفحيح

((لكنه متردد بسببك.. عليك أن تذهبي له وتفتعيه بنفسك..))

رفعت جالا أنامل كفيها تسمح دموعها التي بدأت تنزل على
وجنتيها لتزجرها روعة

((لا تبكي.. لم بدأت بالبكاء؟ أنا أريد النقاش معك لا مشاهد
دموعك.. دموعك هذه أكرها فهي نقطة ضعف ابني))

هزت جالا رأسها برفض لتقول لها روعة مستهجنة

((جالا لا تكوني أنانية))

ولم تجد جملة تخرج من جالا إلا

((لا أريد.. لا أريد))

وقتها فقط لانت ملامح روعة وهي تقرب نفسها أكثر من جالا
وتشدد من مسك كفيها لتقول لها وقد بدت دموع روعة
المتفرقة عند حافة عينيها بالسقوط

((جالا أتوسل لك.. أرجوك أفتعيه بالزواج..))

ورفعت روعة أنامل يدها لتحرك وجه جالا لها ثم تقول لها
باستنجاد تستعطفها

((أنا أعدك بأنك لو جعلتي مراد ينزوح سأحبك يا جالا مثل ابنة
أختي بل ومثل ابنتي التي لا أملكها.. سأعاملك مثل الأميرات))

كانت جالا تنظر لرجاء روعة وكأنه هذيان لكن روعة تابعت
ترجوها وهي تحاول نيل استعطفها أكثر

((وسأكره زوجته الجديدة وسأعاملها بشكل سيء.. وسأجعلها
خادمة عندك لو أردت))

ثم أكملت روعة رجائها وهي تقوم بحركة جعلت جالا تنتفض
مبعدة يدها عنها

((أرجوك يا جالا.. هل تريدان أن اقبل يدك؟))

وقفت جالا مبتعدة عنها تنظر لها باستهجان لتقول روعة من
بين دموعها المتساقطة بغزارة وبصوتها الباكي المتلثم

((لو كنتي.. مكاني.. لفعليتي نفس الشيء))

للحظة نظرت جالا لها بتدقيق وهي تمسح عباراتها الساقطة..

بدأت تفكر بكلامها بجنون.. وللحظة شعرت فيها بمدى
منطقيته..

فهي تعرف بأنها قريباً ستخسر مراد وقد أدركت بأنه صبره
تجاهها بدأ ينفذ..

لكن لو تزوج غيرها واستطاع إشباع حاجته ألن يتوقف عن
التذمر من تقصيرها؟

ألن تستطيع وقتها أن تعيش بسعادة معه بدون أن تشعر بأي
ذنب تجاهه؟

بكل النهايات هو سيتزوج..

فلماذا لا يتزوج بموافقتها وتبقى معه بدون ما تخسره كله؟

وجدت نفسها تنظر لروعة وهي تبتسم لها تلك الابتسامة المقيتة
وهي تقول لها

((معك حق.. أنت محقة سأقول لمراد أن يتزوج بدون أن يشعر
بأي ذنب أو تردد تجاهي))

نظرت لها روعة بدون تصديق

((ماذا؟ هل ستفعلين؟))

أجابتها جالا مؤكدة

((نعم سأفعل.. وبمجرد عودته))

فغرت روعة شفتيها وهي تنظر لها ببلاهة..

هل حقا ستقول له ذلك أم أنها تخدعها وحسب؟
لأنها ولا حتى بأحلامها توقعت أن تقنعها.. وبهذه السهولة..
أسهل من إقناع طفلة جاهلة..
لكن ماذا لو كانت فقط تجاربيها وتخدعها وتخطط لأمر آخر؟

عند الليل..

شعرت جالا بداخلها القليل من التردد.. لكن لا..
عليها أن تلح عليه أن يتزوج بأخرى ولا تكون سببا بمعاناته
أكثر وحرمانه من حقوقه..
فدنت جالا بإقدام نحو مراد الذي كان يغلق باب الشقة خلفه
وينحني لينزع حذائه بعد عودته من عمله..
وقفت جالا لمقابله ترفع راسها له وهي تقول له بجدية بدون أي
مقدمات

((مراد.. أريد أن أقول لك شيء))

همهم مراد محركا رأسه وهو يبتسم لها بشقاوة لتتابع.. فأخذت
نفسا قبل أن تقول

((إذا كنت تريد الزواج.. فلن أحاول أن أمنعك.. بل سأسمح لك
بذلك))

اختفت فورا ملامح الشقاوة من على وجهه لينظر لها بذهول لها
لمدة يستشعر مدى جدية ما تقوله..

بدون أن يتغير شيء بتقاسيم وجهه إلا رفع حاجبيه بشكل
طفيف..

عاد يقف بشكل مستقيم وهو يقول لها بقسوة و ببرود قاتل وهو
يضيق عيناه من صفاقتها التي ما عادت تُحتمل

((عندما أريد أن أتزوج فلن احتاج لأن اخذ موافقتك.. عليك
إدراك ذلك))

قالها ثم تخطاها للحجرة.. لتقول جالا له من خلفه

((إذا تزوج.. ماذا تنتظر؟ من الآن اذهب وتزوج..))

شد على أسنانه وهو يستدير له هاتفا

((أيتها الغبية لقد قطعنا شوطا كبيرا بالطريق وكدنا ننجح..
وأنت وبدون أن تشعري على نفسك ما عدت مثل السابق.. كل
ما تبقى علينا أن نذهب لطبيبة نفسيه أو مختصة..))

نظرت جالا بهلع له..

طبيب.. مختص.. الم تسبق وتخبره أنها لا تريد أيا من ذلك؟

ذهابها لهم يعني أن تتحدث عن ماضيها..

وهذا ما لن تفعله.. وما لن تسمح لاحد آخر اكتشافه..

لأنهم لن يكتموا الأمر عن مراد..

ومعرفة مراد بوضعها لن يجلب لها إلا الفضيحة وابتعاده
وكرهه لها..

بل اشمئزازه منه وطلب فراقها.. كما فعلها آخر من قبله..

لو أرادت البقاء معه..

فانتجج بدفعه لأخرى تعوض نقصها له فلا يعود يجعلها تشعر
بأي ذنب لم تقوم به..

فصرخت جالا به تقاطعه

((لا.. لن اذهب.. سبق وقلت لك ذلك.. وما قلته لك بالأيام
الماضية بأنني سأحاول إسعادك إنساه.. لن أتحمّل على نفسي
مجددا.. وسأبدأ الآن بنقل ملابسي وأغراضي أنا لتلك الحجرة..
أنا من سأنقل أغراضي ونم أنت لوحدك هناك))

اتسعت عينا مراد وهو ينظر لها غير مصدق لما تقوله وهو
يراهها تندفع لحجرة النوم تهم لنقل أغراضها..

فشرده نظره لأمامه بصمت ووجوم.. بسكون.. بقلب يتأوه
بالعجز والقهر..

يشعر بالتيه.. والصراخ المحبوس بداخله يود لو يجد له
مخرج..

ما فعلته الآن كبل رجولته وأثار جنونه..

للمرة الأخيرة.. لقد قطعت بيدها آخر الخيوط بينهما.. لا يجب
أن يلومه الآن أي أحد لما سيفعله..

دارت هذه الأفكار بذهنه واحتجزها مراد بعينيه اللتين بدأتا
تلمعان بحقد ووجهه الذي بدأ يحتقن..

أصبح يشعر أنه يحمل فوق ذراعيه حمل كالجبال التي يعجز
عن حملها أعتى وأقسى الأشخاص بسببها..

فقد مل حقا من الألم والحزن والوجع واللوم الذي ملأ حياته منذ
تزوجها..

وكلما يقول بأن علاقتهما الغير سوية تسير نحو الأفضل يعود
للصفر..

مهما يحاول أن يغيرها حتى تعود لجالا القديمة.. ملّ.. ملّ..
ملّ.. يقسم بالله أنه ملّ منها..

فضلاً عن التراكمات التي بدأت تتكالب فوق قلبه منذ
زواجهما..

بكل مرة قالت له بلسانها كلماته التي تذبحه بقسوتها..

بكل مرة بينت له مدى اشمئزازها من لمسائه..

بدأ صدره ينبض بعنف وهو يعلن أنه فقد قدرته على موااساة
نفسه.. وإحساس مهلك بالإهانة يسيطر عليه..

وهو ليس ذاك الملاك ليضل يسامح كغر أحمق..

سيريتها كيف سيحقق ما تطلبه..

=====
=====

زفرت هيام الجالسة بإحدى غرف بيت زوج والدتها تكتف
ذراعها فوق صدرها ببؤس تلتزم الصمت..

عيناها كانتا شاردتان بالفراغ..

لا تزال تذكر قيل عدة أيام كيف رمى لها عميد الكلية الورقة
يخبرها أنها مفصولة وكان الكلية بل الجامعة كلها ملك لعائلته..

والسبب هو وجودها في وضع مخل مع احمد بمكتبها وقفا
لشهود عيان..

الشهود العيان هم كانوا السبب بنشر تلك الإشاعات عنها وهم
غير معروفين لأحد من الأساس أو هويتهم..

واليوم فقط تم قبول استقالتها..

قرار قبول الاستقالة الذي جاء بسرعة وتم التعامل معه بحسم..

بل لقد قبلوا استقالتها بدون أي اجتماع مجلس الجامعة وبدون أي تحقيق..

لأنه لو تم إجراء تحقيق سيعرفون بأن قمة السخافة هي أن يتم محاسبتها فقط بسبب إشاعات..

خاصة وأنه لم يتم ضبطها فعلياً من قبل أحد..

صحيح أن تردد احمد الكبير لمكتبها كان يثير الشبهات عليها..

ولكن كان بإمكانها وبكل بساطة أن تقول انه خطيئها الذي تم عقد قرانها به مؤخرًا..

إلا ولأنها قد سبق وقررت الاستقالة وترك عملها لم تأبه لهم ووقعت بلا اهتمام ظاهري..

فهي تعرف أن احمد لو علم بالاتهام الموجه لها لن يمرر الأمر ولكنها لا تريد أن يشغلها أي شيء عن زفافهما..

كما أنهم أخبروها أن رائد لن يدعها وشأنها إلا لو تركت عملها حتى ينتقم منها لتسببها بطرده..

لذا وبدلاً من رفع قضية على رائد ومحاسبته قانونياً وخوفاً على احمد من بطشه فكرت بأن تدعه يظن بأنه أخذ ثأره منها لعله يتركها وشأنها..

بالنهاية حتى لو لم تستقيل لهذا السبب لكانوا وجد سبب آخر يجبروها من خلاله على توقيع الاستقالة..

لأن أساتذة الكلية التي تعمل بها آخر ما يشغل عقولهم هو تخريج جيل جديد قادر على تشغيل عقله بالفهم والتحليل..

كما سبق وان تعرضت من قبلهم لتهديداً غير مباشر بالتشهير فقط لرفضها مبدأ الدروس الخصوصية احتراماً منها لقانون

تنظيم الجامعات الذي ينص في احدى موادہ على انه لا يجوز لأعضاء هيئة التدريس إلقاء دروس في غير جامعاتهم..

فضلا عن حرصها على مصلحة الطالب حتى لا يقع فريسة لاستغلال مراكز الدروس الخصوصية..

قاطعت أمها تأملها وشرودها عندما دلفت على الحجرة وهي تقول لها بغضبها المعتاد كلما تتحدث عن احمد

((بماذا أنتِ شاردة يا عروس؟ بذلك البائس؟ لا زلت لا اصدق أنه أجبرك على ترك عملك))

لم تستطع هيام أن تمنع تأففها بضجر.. وهي تعود لسماع محاضرات أمها عن أهمية العمل والاستقلال المادي للمرأة..

قالت هيام لها وهي تمسح وجهها بكفيها

((أمي أرجوك لماذا لا تفهمين أني تركت العمل من تلقاء نفسي.. لماذا لا تحترمين قراري؟))

اقتربت سميحة من هيام تطلب منها أن تجلس على المقعد لتضع لها قناع الشوفان واللبن والعسل..

قالت سميحة وهي منهمكة بتطبيق القناع على بشرة ابنتها

((احتفظي بوقتك يا هيام ومساحتك الشخصية.. احرصى على جعل احمد يفهم ويحترم جوانب حياتك الأخرى خارج زواجكما.. فأنتِ لن تكوني خادمته))

تجاهلت هيام كلام والدتها رافضة التحدث معها بهذا الخصوص..

فعلى ما يبدو أن أمها لم تغير شيء من موقفها السابق الراض لزوجها من احمد وتقبلته فقط على مضض..

لتقول لها سميحة برتابة وهي تفرك المزيج على بشرة ابنتها
بلطف مناقض للعنف الذي تنوي استخدامه مع احمد لو ظهر
أمام وجهها

((ما دمت مصرة على قرارك.. إذا كوني يا ابنة بطني مستعدة
لبذل مجهود أكبر من زوجته للاحتفاظ به.. لأنه ليكون الأمر
جليًا.. يمكن الاستغناء عنك بسهولة مهما ضحيت من أجله..
ومن المؤكد سيعيد إيما لذمته ولن يتحمل فقدانها أو فقدان جزء
من ممتلكاته إن طلقها وسيكره فكرة خسارة ما يمتلكه بعد عمل
مضني للحصول عليه.. كما أن بينهما طفل.. وما دام احمد
يمتلك الرجولة التي تأملين امتلاكه لها بحق.. فهو لن يقبل أبدًا
بجرح ابنه.. ولكن وعلى ما يبدو فهو ليس رجل.. لأنني حتى
الآن لا أستطيع تصديق أنه كان ينقل لك أسرار منزله..))

أنهت سميحة كلامها نزامنا مع إنهاها تطبيق المزيج على بشرة
هيام التي وقفت من مكانها وعادت تجلس على احدى الأرائك
لتقول لوالدتها

((أمي لم يكن ينقل أسرار منزله بل كان يفضي لي القليل من
مكونات قلبه حتى لا ينفجر.. هل تُحرمين عليه هذا حتى؟ أنا
قلت ما قلته لك لأجعلك تعرفين حقيقة حياة احمد مع إيما لا
لنتهميه بنقل أسرارها))

وقبل أن تهم والدتها بالحديث قاطعتها هيام تستطرد

((أمي أرجوك.. أنا عروس وبعد أيام ستكون أول ليالي
السهرات التي نظمتها مع صديقاتي وبعض زميلاتي.. فلا
تفسدي عليّ اهم الأيام بحياتي.. تجعليني أشعر وكأن احمد هو
زوجك أنت لا زوج إيما.. إيما والتي موقفها لم يكن هين.. ألم
أخبرك أنها هددتني على الهاتف أكثر من مرة بأذيتي جسدياً؟
وكانت بالفعل ستقوم بحرقني وتشويه جسدي بالزيت المغلي لولا
تدخل احمد.. أعني لولا هذا احمد الذي تكرهينه وإلا لكان
جسدي مشوها))

عادت هيام تتذكر مشهد تدخل احمد لإنقاذها وتعريض نفسه للحروق عوضا عنها..

فقد كان هذا الموقف هو الذي جعلها تقرر بشكل نهائي لا رجعة فيه بأنها ستتزوج وستتمسك به ولن تصده أبدا بعد الآن..

بينما لا تنكر سميحة أن قلبها كاد يقع خوفا وهلعا على ابنتها هيام بمجرد أن سمعت قصة ذلك اليوم منها..

إلا أنها تظاهرت بالهدوء وهي تقول لها

((جالا قالت لي بأن إيما أوقعتة على زوجها بغير قصد عندما أرادت إخراج المقالي منه.. لذا لا تبالغي بكلامك.. لو كانت تقصد حرقك لكان احمد تعرض للحرق إلا أنه لم يُرشق إلا بالقليل من الزيت ولم يكن وضعه خطير.. والله اعلم ماذا فعلتم لها لتستفزوها.. فكيف تريدن منها أن ترى زوجها وحبيبته السابقة بنفس المكان ولا تجن؟ لا أخفيك يا هيام.. لكن تصرفها وردة فعلها كانت طبيعية.. فالمرأة بفطرتها مجبولة على الغيرة.. وحين تنشئ مملكتها الخاصة مع شريك حياتها فإنها تقااتل وبشراسة للدفاع عنها ولا ترضى أن يشاركها في مملكتها أحد))

ثم أردفت بواقعية وقد لمعت بعينيها ألم مبرح قديم سبق وعاشته

((بالنهاية ماذا يمكن أن أقول لك هيام أكثر؟ فقط إياك وأن تأتي بقلبك البارد وتلومها على ما تفعله للتخلص من وبائك.. الألم الذي تشعر به لن تفهميه فلست أنتِ من قضت السنوات معه بالحب والتضحية والصبر على حلو الحياة ومرها ثم وبعد أن شاركته كل شيء تأتي وتشاركها بـ مناصفة يوم بيوم في سعادتها وأمورها واهتماماتها.. واحمد رجلك المتفاخر برجولته.. لو كانت زوجته كما قال فلماذا لا يصبر عليها؟ أو لماذا لم يطلقها من أول لحظة عرف أنها لا تناسبه وأنه لن ينسى حبك ولم يتركها معه سنوات لتتعلق به وبحبه ثم يطعن

قلبيها بخنجره.. خاصة وانه ليس ملاكا ومن المؤكد أنها صبرت
((على عيوبه))

أجابتها هيام باتهام

((أمي أنتِ مثل إيما.. فايما عبارة عن زوجة دائماً في موقف
دفاع عن النفس.. دفاع عن نفسها فقط.. على استعداد لخلق
المشاكل مع احمد فقط لتدافع عن حقوقها.. بدلا من أن تهتم
براحته ومشاعره والديه كما تهتم ببيتها وابنها وعملها))

ردت عليها سميحة تقطب حاجبيها

((وهل هي آلة للبحث على مدار اليوم على راحته وتقوم
بواجباتها المطلوبة تجاهه وتجاه ابنه والمنزل والذته وعملها
بنفس الوقت؟ لماذا لا يكون مطلوب منه أيضا أي يسعى إلى
راحتها هي ولو قليلا..))

قالت هيام بضجر

((أمي أنتِ لا تفهمين شيء.. احمد لا يريد زوجة تشعره بأنها
مجبرة على ما تفعله تجاهه.. ومتحاملة.. وتجعله يشعر
بالإحباط والإهانة.. عندما أتزوج سأكون أكثر محبة له.. حتى
لو أنجبت منه ولدي أطفال ونفس المسؤوليات التي كانت
عليها.. ولكن الفارق أن الحب في قلبي سيكون أقوى حتى من
غريزة الأمومة لديها.. لأنني احبه وسأشتاق له ولكل لحظة
يقضيها بجواري.. عكسها وعكس تدمرها من وجوده.. لا افهم
كيف كانت تتذمر من أفعاله وبنفس الوقت لا ترغب بأن
يتزوجني))

وللحظة صمتت تجبر نفسها أن تقاوم رغبتها في الحط من قدر
إيمان أمام والدتها لأنه لا يوجد أي داع لذلك ولن يجعلها تبدو
إلا للئيمة وغير واثقة من حب احمد لها..

زفرت هيام ثم همست بضجر وهي تقف من مكانها

((بالمناسبة قابلت ابنها عدة مرات ولقد احبني جدا.. لا تنظري لي هكذا.. أنا أقول الصدق ثم تأكدي طالما تعاملت مع عدنان بالحسنى سيحترمني ويقابلني بالمثل))

قالت لها والدته وهي تراها تندفع نحو المغسلة لغسل وجهها جيدا

((لا أظن أن كلامك حقيقيا بل تتوهمين.. لا تتوقعي أن يتقبل الوضع الجديد لكن مع ذلك عليك التعامل معه وكأنه ابنك أنت.. فهو طفل بالنهاية ولا داعٍ لأن يتحمل نتائج تجارب والديه))

أنهت هيام غسل وجهها لتقوم بتجفيفها جيدا قبل أن تقول لها بقلة حيلة

((المسكينة والدته لقد رأت أن حياتها في كلا الحالتين قد انهارت وتحطمت فطلبت الطلاق.. وأنت يا هيام امرأة مثتها وتحملين مشاعر الأنثى الطبيعية فكان عليك أن تضعي نفسك مكانها.. وتشعرين بشعورها))

اجتبتها ببساطة وهي تجمع كل شعرها للأعلى ثم تقوم بترطيب بشرتها بالكريم الخاص والمناسب لبشرتها

((وضعت يا أمي نفسي مكانها.. ووجدت بأنني لا أريد أن اهدم بيتها.. أنا فقط أريد سرقة اللحظات عند قدوم احمد لي وأهبي له كل سبل الراحة والأمان التي ستجعله لا يندم يوماً ما على أن قلبه خفق تجاهي..))

تنهدت سميحة بإحباط من كلام ابنتها..

بينما أعدت هيام حقيبتها تهم للمغادرة لأحدى صالونات التجميل لأجل الاعتناء ببشرتها وهي توصي أمها بأن تعد نفسها للحضور لأن ظروف جالا قد لا تستطيع القدوم لحفلاتها..

قبل أن يطرق باب المنزل وتندفع والدتها خارجا لفتح الباب..

التوت شفتي عبير بنزق وهي تدخل الحجرة على هيام وتراها
تعدل شعرها أمام المرأة..

سمعت عبير صوت خالتها المرحب وهي تدخل خلفها

((أهلا بك يا عبير لقد تأخرت مع أني أوصيتك القدوم مبكرا
حتى تأخذي لوالدتك ما طلبته مني))

جفلت هيام للخلف بدهشة وهي ترى عبير تلتفت نحو والدتها
تقول لها باعتذار

((أنا أسفه يا خالتي ولكني تأخرت بسبب أولادي وعملي))

ابتسمت لها سميحة وهي تهتم بإحضار الأغراض لها وترتكها
برفقة هيام..

فعم الصمت بين المرأتين قبل أن تقطعه هيام هادرة بخفوت
معاتبة لكل ما في قلبها منذ سنين

((لربما لن تستطيعي أن تأتي لأحدى السهرات التي سأقيمها..
ولكن هل ستأتين يا عبير لحفل زفافي؟ فأنا لا افهم سبب
عداوتك معي.. منذ أن تزوجت بإياد شقيق احمد وأنتِ تبتعدين
عني بشكل تدريجي.. لا اصدق أنك تقفين مع إيمان ضدي وانا
ابنة خالتك))

بقيت عبير تنظر لها بصمت قبل أن ترد عليها بحدة

((لست مع واحدة منكن.. كل ما في الأمر يا هيام أني أتصرف
الآن بناء على ما اشعر بانه صحيح..))

نظرت لها هيام تقول لها بصوت متذبذب وبعينيها الم مبرح

((ادن لماذا لا تضعين نفسك مكاني؟ حرمتنا أنا واحمد من
بعضنا لسنوات لذنب لم نقترفه.. ألا يحق لنا الآن الزواج؟))

هزت عبير كتفها تقول ببساطة بنفس تعابير وجهها الباردة

((وحتى ولو.. وضعت نفسي مكانك ولم أكن سأفعل ما فعلتبه..
كيف أقبل أن أفعل بأحد ما أرفض أن يتم فعله بي؟))

ثم أضافت عبير متتهدة بنزق قاصدة أن تثير غيظها وسخطها

((أفضل شيء أنه طلق إيما وتركها.. لربما يكون نصيبها أن
تنزج رجل آخر يستحقها.. لتتعم في أحضانها بما فقدته مع
احمد.. لقد قلت هذا الكلام بنفسى لأحمد ولا تتخلين كيف تلون
وجهه وأصبح منظره.. كاد وجهه المحتقن أن ينفجر من
كلامي.. فعلى ما يبدو أنه لم يقدر حتى على تخيل الأمر وأقنع
نفسه المتكبرة أنها ستحيى على أطلاله تتعذب على ذكره..))

ولم تعبأ عبير لوجه هيام المحتقن بالغضب الصامت وهي تنظر
لها مدعية الهدوء لتقول لها بنعومة قاصدة إغاضتها أكثر وأكثر

((لقد أنهكنا أنا وإياد من إقناع احمد أن إيما لؤلؤة وعليه التفكير
مرارا وتكرار بأن لا يفقدها.. فهو لا يدرك ما سيحدث
مستقبلا.. ولا يجب عليه أن يخسر جنته بيده حتى لا تتحول إلى
جحيم يحرقه.. فبالنهاية هو لا يريد إلا راحة البال والحياة
الهادئة.. أما أنت فمؤسف بلئنه لم يتواجد أحد بقربك يعلمك كيف
لا تهدمين بيت من هي بمنزلة ابنة عمك))

تتحنحت هيام من كلام عبير وهي تنظر لها بعينين زائغتين ثم
قالت بغصة

((أنا لي كامل الحرية بما افعله.. أتكلم وارى من أشياء.. وأنت
لا دخل لك بي.. وأتمنى من أي امرأة بهذا العالم أن تتعلم كيف
تحتفظ برجلها الموجود عندها.. وإذا لم تستطيع أن تمون عليه
فعلى الأقل لا تبدأ بلوم بنات الناس))

أنهت هيام آخر جملة بحدة ومن ثم اندفعت خارج الحجرة أمام
نظرات عبير الحانقة منها وهي تصك على أسنانها..

=====
=====
ببيت محمد الدال.. بالصالة..

حيث يتواجد مراد وجالا ووالديه..

أطرقت جالا رأسها بخوف تفرك كفيها ارتباكا هربا من عيني مراد اللتان كادت أن تلتهمانها بصمت صاحب وتقاسيم وجهه تطرح ملايين الأسئلة عليها عسى أن يجد بها جوابا لدهشته مما فعلته شقيقتها.. كأنه يأخذها بذنب هيام..

قال مراد أخيرا وهو يحرك رأسه نحو والده يسأله بعدم تصديق

((أنا لا أستطيع حتى الآن إدراك ما قد أخبرتموني به.. كيف يمكن أن يكون زواج هيام شقيقة جالا من احمد زوج إيما بعد أيام؟))

قالت روعة تلوك شفيتها بامتعاض وهي تضع قدما فوق قدم

((وما الصعب بفهم الأمر؟ ابنة سميحة سرقت زوج ابنة عمك.. ما الصعب في ذلك؟))

رمش مراد بعينه عدة مرات وهو ينظر لوالدته ليعاود سؤالها باستنكار

((لكن يا أمي.. أقصد.. لكن كيف تعرفا على بعضهما؟ هل يمكن أن يكون عندما زارانا الاثنين ذاك اليوم؟ ولكنهما لم ينفردا لوحدهما ولا دقيقة.. ثم كيف استطاعت بأيام أن تجعله يطلبها للزواج؟ كيف حدث كل هذا بهذه السرعة الجنونية؟))

ابتعدت جالا عن مراد عدة خطوات وكأنها تحمي نفسها من ردة فعله التالية وهي تتمتم له بضيق

((هي لم تسرقه من إيما ولم تكن تلك المرة هي أول تعارف
لهما.. فهما يعرفان بعضهما منذ الجامعة.. احمد كان دائما
يلاحقها..))

ارتجف جسد جالا برعب عندما صرخ مراد عليها بحدة وهو
يقف من مقعده منتفضا بجسده نحوها

((اخرسي فأنتِ آخر من أريد سماع صوتها))

بقي مراد ينظر له بحقد بعد أن فهم الآن منها أنها على علم
بتقرب هيام من احمد منذ البداية ولم تقل له..

وهو الذي لا يزال حاقدا عليها أساسا بعيدا عما فعلته شقيقتها..

فمنذ ليلة أمس وبعد أن قالت ما قالتها بقي بحجرة النوم يحبس
نفسه لا يريد رؤية أحد ولا رغبة له بالخروج أبدا..

كانت كل بنات أفكاره وقتها تحرضه على خنقها بيديه بعد أن
أخبرته بكل صفاقة أن يتزوج غيرها مقابل ألا يلمسها ويقرب
منها..

لا تخجل ولا تشعر بالذنب من نفسك اعترازه الرجولي دوما..

ولكن هل يلومها وهو من ارتضى وسمح لها بذلك؟

استمر مراد برمق جالا بنظراته الحادة وهو يسألها

((إذن هما يعرفان بعضهما منذ أيام الجامعة وعادت شرارات
الحب بينهما فقط قبل عدة أيام عندما تقاطعت طرقهما هنا ببينتنا
مصادفة؟))

لم تشأ جالا أن تقول الحقيقة وان لقائهما السابق كان منذ أكثر
من سنة وانهما الاثنان كانا على تواصل طوال تلك الفترة كما
علمت مؤخرا من والدتها..

فهي لا تريد جعل الأمر أسوء من ذلك..

ولكنها تقسم أنها لم تكن على علم بكل هذا إلا عندما صدمتها
هيام بخبر زواجها من أحمد..

كانت تظن أن هيام ردت أحمد منذ أول محاولة للتقرب منها..

ازدردت جالا ريقها باضطراب وقلق تغمغم مجيبة

((ربما..))

رفع مراد حاجبيه بابتسامة تهكمية

((أوه فعلا؟ ممتاز.. ممتاز.. ذاك النذل))

قال الكلمة الأخيرة بدون أن يقدر منع نفسه من نطقها بشراسة
وتوعد وهو يضرب الطاولة أمامه بقبضته يفرغ عن غضبه..

فتلجج والده بالحديث ينهره قائلا بحده

((توقف عن النحيب هكذا مثل النساء يا مراد.. أنا أخبرتك فقط
كي أعلمك بزواجها الذي سيكون بعد عشرة أيام من الآن))

التفت مراد ينظر له سائلا وهو يضيق عينيه

((ماذا؟ لا تقل لي بأنك ستحضر زواج هيام من زوج إيما؟
والتي تكون بالمناسبة ابنة أخيك))

حرك محمد راسه بحنق من نظرات ابنه الغير مصدقة والمتهمة
له بنفس الوقت..

تنهد ثم قال بصوت عالي وواثق فهو لا يقوم بشيء خاطئ

((نعم سأحضر ولم قد لا أحضر؟ حتى ولو كانت ابنتي أنا.. منذ
متى وأنا ادخل نفسي بمشاكل النساء؟))

حدّق مراد بوالده بذهول.. يعرف طبيعة والده..

ولكنه لا يصدّق زاوية تفكيره بهذا الشأن بالذات..

هل يرى الأمور هكذا؟

قال مراد لوالده يسأله عدة أسئلة متلاحقة مستنكرا ما يقوله بحدة شديدة

((أبي هل أنت جاد؟ هل ذهابك يعني أنك لا تتدخل بمشاكل النساء؟ هل أنت واعي لنفسك وأنت تقول بأنك ستذهب لحفل زفاف زوج ابنة أخيك؟))

زفر محمد باحتدام.. ثم ركز نظره بمراد ليقول له

((ولماذا لا تقول بان الأخرى التي يريد الزواج منها هي بنفس الوقت أيضا ابنة ابن عمي؟ أي أن المرأتين هن قريبات عليّ وبكل الأحوال أن حضرت أو لم احضر فسأكون مع طرف ضد الأخر.. فلماذا لا احضر؟ أنت أيضاً عليك أن تتأكد من حضورك بل من واجبك الحضور فهيام تكون شقيقة زوجتك))

نظر له مراد بتوجس.. ثم قال له

((هل الآن أصبحت هيام ابنة عمك فيصل بنفس كف إيماء ابنة شقيقك يا أبي؟ هل الآن أصبحت مهتما بأن أقوم بواجبي كصهر لعائلة زوجتي؟ أبي أنا فعلا مصدوم منك ولا أستطيع فهمك تصرفاتك.. أين المثل "أنا وأخي على ابن عمي" منك أنت يا أبي؟))

تتهدد روعة المتابعة لحوارهم بقلة صبر وهي تهتف بابنها وتنهاه

((يكفي يا بني.. أباك هو من يحتفظ بمفتاح المضافة المخصصة لعائلتنا بالقرية فكيف تريد أن يُقام حفل بالقرية داخل المضافة ويتم دعوته ولا يحضر؟ سيقول الجميع ابنة أخاه هي من منعته من الذهاب.. تخيل أن يقول هكذا عن والدك وينسفوا هيبته؟))

التفت مراد نحو امه ينظر لها لثواني بصمت وبلامح
صارمة..

ثم رفع احدى حاجبيه وهو يسألها مباغثة

((أمي.. هل ستذهبين أنتِ الأخرى لحفل زفافهم؟ ألم تكوني
تقولين دائما أنك تحبين إيما كابنة أختك فعلا؟))

أبعدت روعة عيناها من التواصل مع عينا مراد وهي تقول له
بقتوط

((ولماذا قد لا اذهب؟ وما دخل حبي لإيما بالذهاب؟ أساسا
وبالنهاية هي ليست ابنة أختي بل ابنة زوج أختي.. وهناك
فرق..))

وعندما عجزت عن إكمال مبرراتها الواهنة حركت فاهها
بامتعاض وهي تهدر بحنق

((توقف يا مراد ولا تحاول إقناعي بالعكس.. إيما لا تقريني بل
تقربك أنت فهي ابنة عمك.. لن يعيبي شيء الذهاب لحفل
زفافهم.. كل صديقاتي وجاراتي سيذهبن له وليس من المنطقي
ألا يصطحبن والدك عندما يذهب لتهنئتهن))

توقف مراد للحظة يتأمل والديه ببندقيتيه عن كئيب بعين اليأس
ليقول لهما بنبرة رجولية رخيمة وهو يحرك رأسه غير مصدق

((عمي عدنان سيخيب ظنه بكما جدا.. ذهابكم لزفاف زواج
صهره لأخرى على إيما هو غدر به))

خرج من مجد صوت متضايق وهو يشيح برأسه بعيدا عن
أنظار مراد..

فقالت روعة لمراد مغمغه تنهاه مجددا وتعاتبه بلوم

((توقف يا مراد عن إزعاج والدك بكلامك.. هل هو أول أو آخر واحد يتزوج؟ سيقم احمد لابنة سميحة هنا حفلات السهرة عند الرجال وعند النساء لسبع ليالي قبل زواجهما وبتجهيزات مكلفة وفخمة.. فهل من المنطقي ألا يحضر والدك من بين الجميع؟ فضلا عن حفل الزفاف الذي سيقمه بعد ذلك سيكون بنفس فندقك.. حظ بنات سميحة.. بناتها الاثنتين ستكون حفلة زفافهما بنفس أفخم فنادق العاصمة..))

هتف مراد باستغراب وهو يعقد حاجبيه

((ماذا؟ سهرة؟ ولكن احمد ليس من القرية؟ كيف يريد إقامة السهرة الرجالية هنا وعائلته كلهم من المدينة؟))

هزت روعة كتفيها تقول ببساطة مستفزة

((وماذا فيها لو قام العريس نفس طقوس عائلة زوجته وفرح على طريقتهم؟ ثم أنه من المؤكد سيقوم بتأمين مواصلات لحضور أقاربه ليجيئوا هنا.. الآن يكفي كلاما لا فائدة منه.. هل ستحضر حفل زفافهما أم ستترك والدك يذهب وحيدا وكأنه لم ينجب ابنا؟ على الأقل أحضر من اجل زوجتك الحبيبة))

قالت روعة الجملة الأخيرة وهي تشد على أسنانها ببغض وترشق جالا بنظرات الغيظ..

ازدردت جالا ريقها.. وقررت المخاطرة والدنو قليلا من مراد لتسأله بارتباك

((سأرافق والدتك ويارا لحفل الزفاف ولن اذهب مع أمي.. ما رأيك؟))

قاتلتها بعفوية بمحاولة كسب رضا مراد إلا أنه صرخ بها عقب أن تجهمت ملامحه

((ومن قال إني سأسمح لك بالذهاب وحتى لو كان زفاف شقيقتك؟ إذا كنت أنا لن اذهب فلن تخطو قدمك عتبة البيت أو ساكسرها لك))

كان يهددها بمنتهى الإهانة والقسوة أمام والديه فامتسعت عينيها رهبة واشتعل وجهها المحتقن احمرارا من إهانتها بهذا الشكل..

لحظات وأخبرته جالا بتلعثم ورجو تستنجد عطفه وقد تهدلت كتفاها

((ولكن هذا حفل زفاف شقيقتي.. أنا لست راضية عن زواجها من احمد ولكن لا أستطيع ألا أشاركها فرحتها.. هذا واجبي تجاهها فقد شاركتني فرحتي وكانت بجوارتي))

وجه مراد الذي كان لا يزال واقفا مكانه نظراته النارية لجالا لتستعبد لها لدقائق باح خلالهم بما يختلج في صدره بدون أن ينطق ببس شفة..

دنا منها مراد بخطوات بطيئة ولكنها عاصفة وهو لا يزال يرشقها بعينه قبل أن يتوقف عندها ويقول هامسا بأذنها بتعابير باردة جامدة لا تكاد تضح بالروح بينما شععت عيناه بالقسوة واللؤم بهذه اللحظة

((لا تقلقي يا جالا سأعوضك وأقيم حفل زفافي بنفس ليلة حفل زفاف شقيقتك.. فركزي بواجبك تجاهي بدلا من أختك))

هزت جالا رأسها تنفي ما تسمعه منه في حركة واهية وقد ترقرت الدموع بعينيها وللحظة شحبت بشرتها..

فارتفعت ابتسامة مراد المتشفية على زاوية فمه تزيد من تخبطها وقهرها..

تشنح جسدها بشكل خافت ليجعلها غير قادرة على السيطرة عليه..

فانتشى مراد من منظرها متسائلا أين تلك المتحاذقة والتي
كانت بالأمس تخبره أن يتزوج ويدلف بعيدا عنها؟

بينما انتفضت روعة فورا لتقف مكانها هاتفة غير مصدقة وهي
تضع كفها على صدرها وتقترب من مراد تهتف له بسعادة من
خلفه

((ماذا؟ ماذا؟ لم اسمع جيدا.. هل قلت زواج؟ هل اقتنعت يا
مراد يا ولدي الحبيب أخيرا؟ ولكن كيف ستقفيه بهذه السرعة؟
هل يمكن.. هل يمكن أنك اخترت المرأة التي تريد الزواج منها
أيضا؟))

للحظة شعرت ورعة بالإحباط من فكرة انه لو ربما سيتزوج
واحدة أخرى ليست على ذوقها..

لكنها تعاضت عن الأمر مبدئيًا.. المهم أن يتزوج..

بينما تملك الاندهاش محمد من كلام زوجته فبدأ يشتم نظره بينها
وبين ابنه الذي لم تتبين ملامحه له وهو لا يعطيه إلا جانب
واحد من وجهه وجسده..

ليهدر محمد لمراد بصوت متفوق

((أريت يا مراد؟ لو امتنعت عن حضور حفل زفاف أحد لأنه
تزوج مرة أخرى فسيمتنع الناس عن حضور حفل زفافك بحالة
زواجك الثاني.. لذلك يا مراد تعامل مع الرجال كما تحب أن
يعاملوك.. هل تدرك الآن لم يجب عليك المحييء؟))

استدار مراد نصف استدارة لوالده يرشقه بنظرات فاترة..

بينما ما إن قال محمد كلماته حتى تقلصت تعابير جالا بقهر
وعبرة حارة تنزلق على خذها لتندس بين شفثيها المزمومة..
فكانت بطعم الذل..

كان إحساس بالقهر يملا روحها مع رؤيتها لإهانتهم الواضحة
تجاهها..

كله هذا لأنها أنثى ضعيفة لا أب ولا أخ خلف ظهرها يسندوها
عند الحاجة ضد بطشهم بها..

عادت جالا خطوة متعثرة للخلف وهي تنتفض داخليا بقوة
فشعرت بجسدها يترنح..

سقطت فجاءة فوق ركبتيها أرضا بهمود وبقوة ألمتها وقد
توهجت جفونها بحمرة الدموع لتغشا عيناها المنخفضتان أرضا
فأغلقتهما تشدد عليهما وهي تحبسهم..

قبل أن تنفجر بلا إرادة منها وتتمرد دموعها خارج محابسها
وتتهمر كالفيضان لتبدأ البكاء بصوت عالي قلبلا مرتجف وهي
تغطي وجهها بكفيها الاثنتين..

أعاد مراد رأسه له وعيناه تتسعان لمنظرها أمامهم جميعا..

شعر بأن فؤاده قد تمزق على ضعفها وهشاشتها وألمها..

خاصة وهو يرى دموعها تسيل بقهر على وجنتيها المشتعلتين..

جز مراد على أسنانه يتحكم بألمه عليها..

أخذ نفساً عميقاً وصدرة بدأ يعلو ويهبط بقوة بدون أن يشعر..

تشدق مراد مثقلا حروفه بهيمنة ليست من طبعه المعتاد معها
وهو يمسك معصمها بقوة

((قومي من هنا.. قفي هيا.. قلت لك قفي واصعدي للشقة..
الآن))

كان مع كل كلمة يحاول رفعها وهو ما زال يمسك بمعصمها..

حتى استطاع جعلها بعنف ليجرها خلفه وهو يحكم قبضته غير عابئ لمقاوماتها الواهنة أو لمحاولاتها جذب معصمها منه..

وبخطوات واسعة صعد الدرج نحو شقته وهي تسير خلفه متخبطة بخطواتها وتجاريه بصعوبة حتى لا تقع..

بعد أن دلفا لشقتهمما دفعها نحو الحجرة وهو يأمرها بصرامة

((احزمي أمتعتك وملابسك بالحقيبة واذهبي لوالدتك الآن..))

قالها ثم اتكأ بكتفه على الباب يغلق عيناه وقد بدأ صدره يتنفس بقوة صعودا هبوطا..

شعرت جالا وكأن الظلمة أظلمت من حولها..

وكان العالم التي تعيش فيه توقف فجأة عن الدوران عندما سمعت ما قاله..

همست جالا له برجاء وبصوت متذبذب

((مراد))

قاطعها مراد هامسا بصوت يقطر تعباً ويأساً وهو لا يزال يغمض عينيه

((الآن.. الآن.. ولا تعودى إلا عندما أقول لك))

بالبداية شعرت بأطنان من الخوف تتسلل لقلبها خوفاً وهلعاً من المعنى الفعلي الذي قصده بأن تخرج من هنا..

لكن كلمته الأخيرة طمأنتها قليلاً بأنه يريد أن يتبع عنه ومن هنا مؤقتاً..

ولكن ماذا إذا استمر الأمر طويلاً؟

شعرت بغصة قوية في رئتها فابتلعتها بصعوبة وعادت تسأله
هامسة بعبرة ممزوجة بالرجاء

((ولكن لماذا؟ لماذا؟))

قال بجديّة وهو يفتح عيناه ولكن يشيح بنظره عنها فيخفضهما
بضيق للأرض

((لا شيء.. فقط ما عدت أطيق لا رؤيتك ولا سماع سيرة
أحلك.. رؤيتك ستجعلني أتذكر حفل زفاف شقيقتك ومن
ستتزوج))

ثم استعر غضبه واسترسل يفح كلماته وهو يرفع نظره لها بشر
((لمصلحتك لا تدعيني أرى وجهك هذه الفترة))

حركت أنظارها بصعوبة له وهي تقول

((إذا كنت لا تريد رؤية فلن ادعك تراني وأنا بالبيت هنا دون
الحاجة لأن اذهب لبيت والدتي المتزوجة حديثاً.. مراد))

اتسعت عينيه قليلاً يفغر شفطيه وكأنه تذكر شيء فاته.. فتتهد
قبل أن يقول لها

((صحيح تذكرت الآن.. لكن لا زال أحلك راجي يعيش في
بيتها الموجود بالقربية.. لذا سأوصلك عنده الآن))

نظرت جالاً له بعينيه اللامعتين ثم وفجأة انقضت عليه
تحتضنه بعنف وذر أعياها تحيطان به..

أناملها تمسك قميصه من الخلف تشده وهي تدفن وجهها بصدرة
هامسة

((لا أريد الخروج.. لا تجبرني أرجوك..))

شعر بالبدابة بعناقها وكأن صعقة كهربائية تمر بجسده وكأنه لم يتوقع منها ردة الفعل هذه..

لكنه أبعد هذا الشعور عنه بصعوبة وهو يجعلها تشعر فقط بتصلبه يزداد بينما يخبرها ببرود

((قلت احزمي أمتعتك.. الآن.. ولا تجعليني اغضب أكثر من هذا))

انزلقت عبراتها من عينها مرورا بوجنتها ثم سقطت على قميصه لتبلله..

دفنت خدها المليء بالدموع على صدره أكثر وهي تقول له بصوت باكي وهي تحيط به بشدة

((ولكني لا أريد))

أجابها مراد باختصار وعلى الفور

((جالا.. لا تتعيني.. واحزمي أمتعتك بهدوء))

كانت تدفن وجهها بصدرة تبكي وتتهمر دموعها بغزارة على وجهها وكأنها تفرغ مخزوناً من الغضب والألم والغين في داخلها..

تصاعدت شهقاتها بعنف بينما مراد باقي على وقفته يستمع إلى شهقاتها بملامح خالية من التعابير لمن يراها إلا عيناه اللتان كانتا تلمعان بألم مبرح..

وما إن مد يديه يفك حصارها عنه حتى رفعت رأسها تنظر له وهي تتراجع بجسدها قليلا حتى تجعله يبصرها وينظر لوجهها الغارق بدموعها لعله يضعف أمامها مهما كان قلبه يضح بالقسوة تجاهها بهذه اللحظة..

فلطالما كانت دموعها هي وسيلة الإنقاذ لها دائما مع مراد
وسلاحها الفتاك.. والآن فقط أدركت هي هذا..

الآن فقط لاحظت من كل ما سبق ومرت به أن مراد رجل لا
يقدر على دموعها ومستعد لأن يعتذر منها حتى لو كانت هي
المخطئة..

والآن فقط هي تفكر في أن تستغلهم لتنقذ علاقتها معه..

لكنه كان يخفض بصره مشيحا عنها لتقول له برجاء حزين
مترجي

((مراد.. لا أريد الذهاب))

أرادت منه أن ينظر لها.. يجب عليها أن يرى وجهها المحمر
الغارق بالدموع..

فهزته ليفعل فاستجاب ورفع بصره بضيق وببطء لها..

حرق مراد بعينيها يتأملهما..

ولوهلة شعر بأن أجمل ما بها وما يزيد لها جاذبية ورقة تفوق
جمالها الخارجي هي دموعها..

ربما لأن بكائها هي اللحظة الوحيدة التي يشعر فيها أنها أنثى
معه..

وينفس الوقت شعر بأن أكثر ما يكرهه بها هو دموعها..

لما تسببه له من شعورٍ بالعجز والغضب عندما تشعره بأنه غير
قادر على إسعادها.. وأنه وبأغلب المرات يكون هو سببها..

لكن الآن.. هل تتصور بأنه سينسى غضبه الحالي مع غضبه
السابق المتراكم لمجرد أن يرى بكائها؟

لأنه وتوا اكتشف كم كان مندفعًا في ردادات فعله السابقة معها..
وكم كان على خطأ حين سمح للأخطاء بينهما أن تتكرر..

وكم يبدو على حق الآن حين اختار الانسحاب مؤقتًا من أجل
نفسه.. ومهما بلغت صعوبة ذلك..

تطلعت جالا لمراد وتوقعت أن ينحني ويلتقط دموعها بشفتيه
بحرارة حارقة بينما يأخذها بأحضانه ويربت على ظهرها بكفه
الحنون بنعومة ولطف ثم يلثم مفترق شعرها..

وتوقعت منه أن يهدئ من روعها مقبلا مداعبا وجنتيها بأنامله
برقه تذييبها كما يفعل دائما معها ورغما عنها غير عابئ
بمقاومتها ولا نهرها إياه..

ولكن ضاعت كل أمالها بأن يفعل ذلك وهي ترى الجمود
يكتسي ملامحه التي بدت باردة قبل أن تراها تتغير للصرامة
وهو يزمجر بها بغضب ويعينين فاسيتين

((كم مرة عليّ أن أكرر كلامي؟))

تقوست شفتها للأسفل بعبوس..

لا تدري خطأها الأخير ما هو بالضبط؟ هل يتصرف هكذا فقط
لمجرد علمه بزواج هيام من احمد؟

بغض النظر عن أخطائها يبدو أنه لن يغفر ببساطة وعليها
التوقف عن إرهاق عينيها في بكاءٍ لا فائدة منه..

وكم بدا الأمر بانسا بالنسبة لها..

ابتعدت جالا عنه وهي تشعر بجسدها يرتعش كله بإحباط شديد
وحاد..

فقد كان في فورة حاجة متعطشة لأن ترتوي لعاطفته التي
يرفض إظهارها الآن لها..

مسحت دموع عينيها البنية المتلألئة بألم مبرح بكفها بار تجاف ..
لتتمتم متهدله الكتفين وبنبرة خافتة معلنة الاستسلام بينما تستدير
للخلف

((حسنا.. سأجهز حقيبتني))

=====
=====

استلقت سارا على السرير تكثف ذراعيها وتتنظر للسقف
بضجر ..

تحدثت أخيرا قائلة بحزم وخشونة وبانزعاج للنائم بجانبها
يعطيها ظهره

((راجي.. لا تعطيني ظهرك بعد أن ننتهي.. لقد سكت عن هذا
بما يكفي بكل مرة تفعلها))

مرت لحظات حتى فتح راجي عيناه الناعستان مقطبا حاجبيه
وهو يستدير لها قائلا بصوت متلعثم وأجش من إثر النوم

((كيف؟ أن.. أنا لا اقصد.. اشعر فقط بعد أن ننتهي أن جسمي
يميل ويشعر بالاسترخاء.. لا يجب عليك الغضب من ذلك..
أعني هذا دليل على استمتاعنا حبيبتني))

اشتعلت عينا سارا وهدرت بخفوت وهي تلتفت برأسها تنظر له

((لكن هناك فرق بين الاسترخاء وأن تعطي زوجتك ظهرك فور الانتهاء.. أنت تشعرني بانك لا تحبني بما فيه الكفاية ولا تهتم لي.. اظهر لي مدى حبك وامتنانك لي بشكل أفضل من هذا))

عاد راجي للالتصاق بها وحضنها كما امضيا الليلة كلها هكذا..

أمس كانت ليلة طويلة من تعليم سارا اياه رقص التانجو..

والتي أخبرته بأن تعلمها ورقصها سيحرره من الضغوط الشديدة التي يعيشها ويصفي ذهنه.. فقد كان بحاجة ماسة للراحة..

لا يزال يذكر أمس كيف ما إن بدء الرقص معًا حتى ترجم التانجو ما كان يشعره تجاهها معه من كيمياء كاسحة بينهما..

قرب راجي شفتيه من كتفها العاري يلامسها برقة تذيب نعومتها وهو يداعبها بكلماته التي عرف كيف يتقنها ويرضيها بها..

وما لبثت حتى أصدرت ضحكاتها المغناجة تسلب ذرات عقله
ليهمس لها بوهج أنفاسه فوقه بشرتها

((لا تتصورين كم أتوق لأخبار عائلتي بأمر زواجنا يا سارا))

اتسعت عيناها بدهشة شاهقة لتقول

((هل أنت جاد؟ ظننتك ستخجل من الاعتراف أمامهم بزواجنا
وخاصة أنه كان بهذه الطريقة؟))

كانت سارا تحرق به بهدوء عندما أجابها مستغربا من تفكيرها
وظنها هذا

((بغض النظر عن أي تفاصيل أخرى.. ولكن ألم نتفق أن
زواجنا سيكون أبدي وجدي؟ إذا علينا بوقت ما الاعتراف لهم..
ولا أجد أفضل من الإبكار بذلك))

وفكر راجي للحظة..

هل كان قرار العيش معها بهذه الطريقة كالمترولين حرفيا
بدون إعلان الأمر لعائلته هو أمر هين؟

لأنه وللحقيقة يرى أن كل شيء يحدث بينهما يكون بلا
تخطيط.. بل يحدث بشكل عفوي..

وكلما تمر أيام عليهما يشعر بازدياد تقاربهما وانسجامهما
وارتياحهما النفسي لبعضهما..

وكان كل منهما بحاجة الآخر بشكل عميق ليشعر بالسلام
والطمأنينة..

فهو بالبداية كان لا ينام بشقتها إلا بالعتل الأسبوعية ويمضي
معها بعض الوقت بالحديث ومشاهدة الأفلام أو حتى نشرة
الأخبار..

كانا يستمتع بالصمت حتى ما دام جالسا بجانبها وشاعراً
بذراعيها حوله ليشعر بسعادة وارتياحاً يفوقان أية نشوى
أخرى..

خاصة وأن شقة سارا في منطقة هادئة وحي راقى يندر أن
يتابع أحد من حوله الآخر..

لذا لم يسبق وإن تعارضا لأية مواقف سخيفة لكون عقد
زواجهما غير مشهرا للمقربين من حولهم..

لكن مؤخرا تعرضت سارا لكسر بيدها فجاء ليمكث معها
ويعتني بها..

وسرعان ما تعرضت مرة أخرى لوعكة صحية شديدة ألزمتها
الفراش فترة طويلة..

ويبطء وجد نفسه يبقى معها أيام طويلة بالشقة هنا ويعتني بها..
يتكى عليها ويستمد منها القوة رغم أنها هي من تكون بحاجته..

سمعها تهمس له

((أرى بأن علينا تأخير الأمر.. إخبارهم بزواجنا الآن غير
منطقي أبدا.. فأنا سأسافر قريبا للخارج ولن أعود حتى سنوات
بعد انهي جامعتي ولن أتي هنا إلا بالإجازات فقط لأراك لأنه لا
يوجد أي شيء يربطني هنا إلا أنت))

شردت سارا قليلا ببصرها.. لا تنكر أنها معجبة به وتشعر
براحة شديدة معه..

سواء من طريقة تعامله معها.. أو طريقة تفكيره وتعاطيه مع
العالم بعد أن ظنته من النوع البدائي..

بالرغم من أن تجربتها بالعيش معه وضعتها هي وهو أمام
بعض طباعهما المختلفة أو المتناقضة بشكلٍ قاسٍ..

خاصة باختلاف أذواقهما وأفكارهما كان عقبة صغيرة تخطيهاها
بالنقاش والوصول لحلول وسط ترضيهما معاً..

بينما أوماً راجي لها بصمت.. بشبه موافقة واهنة..

بالرغم من عدم منطقية ما تقوله بالنسبة له أو بالأحرى صعوبة
تقبل أن تبعد زوجته عنه لسنوات من أجل دراستها..

ولكن هو قرر أن يستمر معه وهو على علم بطبيعة الاختلاف
بينهما وعليه أن يلتقي بها بـمكان ما بوسط تلك الاختلافات وان
لا يتوقع منها أن تتنازل كلياً لتتوافق معه..

رفع راجي نظره لها يبتسم بشقاوة هادرا

((زفاف أختي الكبرى بعد أيام.. لذا وعلى الأقل أريد منك
الحضور معي.. لن ترافقيني كزوجة ولن أسير معك طوال
الاحتفال.. ولكن كوني متواجدة فيه.. وإذا سالك أحد بالزفاف
عن صلة قرابتك بالعريسين.. قولي إنك كنتي طالبة عندها وقد
دعتك هي لحفل زفافها))

قالت سارا له بدهشة

((ماذا؟ وماذا إذا سمعتني أختك؟ سيكون الأمر مثيرا
للإحراج))

مرر راجي كفه على جسدها قانلا

((لا تقلقي أنها تعرف بزواجنا.. لذا ستأتين فأنا لا أريد تفويت
جعلك تشاركين في إحدى مناسبات عائلتي.. رغم أن لا أحد في
العائلة راضي عن زواجهما ممن كان زوج لقريبتنا))

نظرت سارا له بدهشة لتقول بفضول

((ماذا؟ زوج قريبك؟ تبدو قصة زواج أختك مثيرة جدا..
أخبرني بها أرجوك ولا تنسَ أي تفاصيل))

تنهد راجي بينما يبدأ بسرد قصة هيام واحمد لسارا بقنوط ولم
يغفل عن نعت احمد بـ "النذل" و"الحقير" بين جملة وأخرى..

إلا أن سارا كانت تستمع له بانشدهام تام ولم تستطع أن تخفِ
تعبيرات الإعجاب التي كنتها لهذا المدعو احمد..

والذي تخلى عن كل عائلته من أجل من أحبها..

وكم بدا من وجهة نظرها رومانسيا أن يتخلى الرجل عن
زوجته والعشرة التي بينهما.. ويتخلى عن طفله وفلذة كبده..
من أجل أمراه أحبها..

=====
=====

ما إن أوصل مراد جالا لمنزل والدتها المتواجد بالقريبة حتى
انتظرت حلول المساء لتأخذ سيارة أجرة إلى بيت زوج
والدتها..

ستقيم عندها مؤقتا.. فزوج والدتها ياسر لطيف وسيرحب
بتواجدها عدة أيام عندهم..

لا تريد البقاء مع راجي بنفس البيت..

سيكون الأمر محرّجًا خاصة لو عرف أن وضعها مع مراد
ليس على ما يرام.. كما أنها لم تتجاوز صفعته المجحفة لها..

بعد دقائق..

وقفت جالا بعبوس بجانب الباب تقطب شفّتها وهي ترى أمها
تهتف شبه مولولة بهلع وخفوت خشية من أن يسمعها زوجها
الجالس بحجرة المعيشة

((يا مصيبيتي.. تبا لك يا احمد.. لقد دمرت حياة ابنتي الأولى
وستسبب بطلاق الثانية من زوجها.. كنت اعرف بأن مراد لن
يسكت حميتا لابنة عمه.. والله كنت اعرف..))

ابتلعت جالا ريقها الجاف هامسة

((أمي توقفي.. ما هذا الجنون الذي تتحدثين عنه؟ ألم تسمعي ما قلته قبل قليل؟ مراد لا يريد تطليقي وليس مزعوجا مني بسبب ما فعلته هيام.. الأمر وحسب انه قال لي أن أختي قد تحتاج لوجودي بجانبها ومساعدتها فهي عروس))

هدرت سميحة وهي تفتنرسها بالنظرات تستكشف صحة كلامها

((هل تكذابين عليّ يا بنت؟))

قالت جالا لها متذمرة

((لا يا أمي.. وإذا كنت لا تريدين مبيتي عندك اليوم لأن زوجك قد لا يسمح لك بذلك فقول لي حتى أغادر وأنام بالشارع.. فكما تعلمين أنا لا زلت لا أتحدث مع راجي ولا أريد البقاء معه بنفس البيت حتى لا يفكر بأن الأمور بيننا عادت كما هي))

زفرت والدتها قائلة لها بغضب

((ألم تقولي إنك خرجتي من بيت مراد لأجل مساعدة أختك بأمور زفافها؟ والآن تقولين بانك ستبين هنا عندي ببيت زوجي لا ببيت راجي وهيام؟ هل رأيت أنك كاذبة؟))

ادعت جالا محاولة الخروج من منزل والدتها وهي تقول
بامتعض

((أمي.. إلى اللقاء))

جذبتها سميحة للداخل وهي تقول لها مؤنبة

((تعالى.. إلى أين ستذهبين أيتها الغبية؟))

التفتت جالا لأمها تزم شفيتها بعناب

((إلى الشارع لأنام فيه.. دعك مني ولا تشغلي بالك بي))

شدت سميحة على أسنانها وهي تقول لها

((ادخلي أيتها الغبية.. سلمي على ياسر واجلسي معه قليل ريثما
أجهز لك مكان نومك.. فهناك الكثير من الغرف الفارغة
بالبيت.. وغدا سأعرف كيف أخرج منك الكلام كله))

=====
=====

اليوم التالي..

أغلقت إيمان الجالسة بشرفه منزلهم هاتفها قبل أن تلقيه بعنف
على الطاولة أمامها..

لا تصدق أن زلة لسان صديقتها جعلتها تقول أمام خالد مدير
مدرستها السابق أنها تطلقت..

فلطالما كانت نظرات هذا الخالد العجوز لها غير مريحة وهو
يعرف أنها متزوجة فكيف الآن عندما يعرف بطلاقها؟

تبا.. لم تنتهي عدتها وبدأت معاناتها مع الطلاق..

والمشكلة أنها يجب أن تذهب قريبا لمدرسته لاستلام أوراق
مهما وعليها أخذ توقيعه..

يا إلهي..

من الآن بدأت تشمئز من لقاء ذلك العجوز المنحرف..

تتهددت إيمان بضيق ثم نظرت للمناظر الخلابة التي تطل عليها
شرفتهم هنا من أشجار الزيتون أو الياسمين وأشجار برية
أخرى توحى بأن أصحاب هذا المنزل والذين يهتمون بالجانب
الزراعي لهم حس رفيع..

بدأت تكون أفضل ساعات يومها هي التي تقضيها على هذه
الشرفة خاصة وأن النباتات تحيد بها فتجعل من يقف فيها غير
مرئيا لمن بالخارج..

فهي ملجأها الوحيد هنا عندما تريد ممارسة الخلوة مع ذاتها
والشعور بروح السكينة والراحة النفسية والهدوء الداخلي..

في الصباح تجلس فيها ترأقب حركة المنطقة المارين وحركة
السيارات..

وبالليل تجلس مع باقي عائلتها يحتسون الشاي ويتسامرون..

لطالما كانت هذه الشرفة لعائلتها متنفسا لا غنى عنه ورثة
البيت..

جفلت إيمان على دخول زوجة أبيها للشرفة تنضم لها شقيقتها
روعة المتناقضة لشخصيتها تماما.. بالإضافة لجارة أخرى
لهن..

فاغتصبت إيمان ابتساماً وهي ترحب بهن.. ولم تمنع أن تبقى
معهن وتشاركهن الحديث..

فهي ما عادت تعزل نفسها عن أحد..

على العكس.. تريد أن تظهر للجميع أنها قوية وطلاقها لن
يكسرها..

ارتشفت النسوة القهوة الصباحية وتبادلن بعض الأحاديث
والضحكات..

بعد دقائق وضعت روعة فنجانها على الطاولة قبل أن تزم
شفقتها تقول بلا أي سابق أنظار وهي تنتظر لإيمان بترقب
خبيث

((ادن طلقك ذاك النذل.. ألم تكتفي ابنة سميحة بسرقة منك بل
وجعلته يطلقك؟!))

نظرت لها إيمان بسخط.. ثم عقدت حاجبيها فهي تعرف أن
روعة لها فضول كبير بحياتها يجعلها تريد معرفة ردة فعلها ما
إن سمعت بعقد قرانه بهيام وتحديد موعد زفافهما..

قالت إيمان ترد على روعة بلهجة شرسة غير ظاهرة

((بل أنا من طلبت الطلاق منه بالرغم من رفضه.. وحتى أن والديه لا يكفاني عن التواصل معي بشكل يومي يرجوني أن أعود له وادعهم يرون عدنان لكن أنا من ارفض العودة له.. من سابع المستحيلات أن أعود بعدما ما فعله بي))

انحنيت شفتنا روعة بإعجاب لنقول بنفاق

((شقيقتها تكون كنتي كما تعلمين ولا تختلف شيئا عنها.. بنات سميحة هن وباء على أي أناس يختلطون بهم.. فالكبرى استطاعت أن تسرق زوجك وأنتِ بمثابة ابنة عمها من زيارة واحدة ومن مجرد لقاء واحد كان مصادفة ببيتنا.. أرجوك سامحيني يا إيما فلا تتصورين كم اشعر بالذنب أري استقبلتها ببيتنا بنفس ذاك اليوم الذي قمت بزيارتي فيه.. فأنتِ يا إيما فعلا بغلاوة ابنة أختي وما يؤذيك يؤذيني ويؤذي أختي))

خرجت نظرات إيمان متوجسة من كلام روعة الذي لم تكن تصدقه..

تعرف وتدرك أنها ليست بطيبة زوجة أبيها..

ولكنها جارتها وهي تومئ رأسها لها بامتنان ظاهري..

سمعت الجارة تقول له ناصحة

((ولكن بنفس الوقت كان يجب أن تتحلي بمزيد من الاحتكام
للعقل يا إيما.. فقد يعود إليك وربما سريعاً.. لم يكن عليك أن
تهدمي بيتك بل المحافظة عليه))

قابلت إيمان نظرات الجارة بأخرى متوجسة وكل خليه فيها
تتيقظ بجسدها تأهباً للاستنكار وهي تقول

((أحافظ على ماذا؟ لقد هدم وانتهى.. هو كان يعرف انه بفعلته
سينهي كل شيء بيننا ومع ذلك لم يهتم وفعل هذا.. أذن لقد
انتهينا..))

تدخلت زوجة أبيها بينهما موضحة

((ما تقصده يا إيما هو أنه على الزوجين ألا يقطعوا ما بينهما من
خيوط.. خاصة وأن فكرة العودة تظل مطروحة.. وهناك
قصص كثيرة عاد فيها الزوجان مرة ثانية بعدما طلقا))

لم يعجب إيمان كلامهن فقد حطم احمد أجمل ذكرياتها وأجمل
تفاصيل حياتها معه..

ومنذ هذه اللحظة سيصير غريباً عنها..

فمن باع قلبها يوماً ليس عليه أي أسف وأي حسافة..
اتخذت قرارها وكلماتها هذه غير قابلة للنقاش وغير مستردة في
قراراتها..

فليذهب احمد من حياتها..

كان قلبها ونبيضا.. وهو نفسه من قتلها وأنهى حياتها..
وهي من ستعيش لنفسها وطفلها الوحيد.. ولكن بعد أن تخرجه
للأبد من حياتها..

ابتسمت إيمان بسخرية مؤلمة وهو تقول لها بثقة

((نعم ولكن ما فعله لا يغتفر بالنسبة لي.. لقد قطع آخر خيط
يمكن أن يربطه بي.. كل شيء يمكن أن اغفره إلا هذا.. لقد
انتهينا إلى الأبد.. وأفعاله هي التي جعلت آخر قطرة لحبه في
قلبي تنفذ))

لطالما كرهت مقولة "أن تصل متأخراً خير من ألا تصل أبداً"..

لأن الأشياء التي لا تصل بوقتها لا تستحقها..

لأنها لم تعد تريدها وستفقد معناها..

ولا يوجد شيء أفسى ما قد يشوه ملامح الحب كعندما تنتظر له
بعين الانتظار..

التفتت تلك الجارة التي تدخلت قائلة لها

((لا تحزني يا إيما.. الحقيقة ربما كنت سأفعل نفس الشيء لو
كنت مكانك وأطلب الطلاق))

عقدت إيمان حاجبيها ووجدت نفسها تسألها بلا مقدمات وهي
تطلع بنظراتها لها

((خالة.. ماذا سيكون موقفك لو تفاجأت بزواج زوجك؟))

كان سؤالها فظاً أثار دهشتين لكن شعرت بحاجتها لسؤاله..
كانت تريد فعلاً معرفة ردود أفعال النساء هنا.. هل أغلبهن مثل
زوجة أبيها؟

طيبات إلى حد السذاجة وقليلات حيلة؟

كانت الجارة متفاجئة من سؤالها لكنها أجابته بصدق

((بصراحة لا يمكن أن أقول إن هناك إجابة جاهزة عندي لهذا الموضوع.. فلم يكن يخطر على بالي إطلاقاً أن أفكر بشيء كهذا.. ولكنني أعتقد أنني على حسب الموقف سأوافق أو ارفض..))

سألته باهتمام

((متى ستوافقين؟))

فأجابته بتلقائية

((سأوافق لو كنت مريضة أو غير قادرة على الوفاء بمتطلباته كزوج أو عدم الإنجاب.. وإذا استمر زوجي في الزواج دون أن يهتمني ويعدل فسأبقى معه.. ولكن لو شعرت بأنه سيهملني فإنني سأفضل الانفصال فوراً..))

هزت إيمان رأسها وهي تستمع لكلامها لتعاود سؤالها

((ومتى سترفضين؟))

شردت الجارة بنظرها بعيداً قبل أن تقول وهي تميل برأسها

((سأرفض لو كنت قائمة بكل واجباته أو شعرت أنه يريد الزواج لمجرد المتعة.. فالحياة الزوجية يجب أن تكون مشاركة ويجب أن يراعى الزوج ظروف الزوجة ويتحملها خاصة مع زوجة مثلي لديها أربعة بنات وولدان أنجبتهم بناء على رغبته))

التفتت إيمان لزوجة أبيها تسألها بما جعل عينها تجحظان

((ماذا كنت ستفعلني يا خالتي راما لو تزوج أبي؟))

بدأ الكوب بيدها يرتجف بشكل واضح عجزت عن إخفائه لتضعه ببطء وحذر على الطاولة أمامها..

لتقول بتلعثم وقلبا ينقزها من كلام ابنة زوجها

((وماذا سأفعل؟ أعني والدك رجل رائع ولو بحثت بأرجاء القرية لن أجد أحد يضاهي رجولته))

هزت إيمان راسها بتفهم لتتنقل بصرها أخيرا نحو روعة تسألها

((وأنت يا زوجة عمي أم مراد؟))

رفعت روعة رأسها بشموخ لها تقول بكل ثقة

((زوجي أيضا لا أرى أي رجل آخر يضاهيه رجولة.. ولكن لو تزوج فسأبحث عن أسبابه.. هل العيب منى أم يرجع لشخصيته؟ ولو كان العيب منى سأحاول الإصلاح.. ولو لم أستطيع ذلك فسوف أعطيه حرية الاختيار بيني وبينها.. ولو اختارها فسوف أرفض الاستمرار معه..))

نظرت لها إيمان وهي تهز رأسها بإعجاب..

مع أنها كانت تتحدث قبل قليل بتشفي عن سعادتها لأن ولدها أخيرا اقتنع بالزواج بالرغم من أنها لم تعلن عن أسبابه..

هي لا تعرف شقيقة هيام ولم يسبق وأن خالطتها..

ولكن بالتأكيد لن تتشفي بما سيحدث لها بمجرد أنها شقيقة من دمرت زواجها كما توقعت روعة وهي تحدثها عن الأمر بحماس وجهنمية..

=====
=====

بعد أسبوع..

استوت جالا على سريرها بمنزل زوج والدتها الذي لا تزال
تمكث فيه منذ أن طلب منها مراد المغادرة..

قبضت جالا على غطاء السرير منكسة رأسها وزافرة بعمق..

لقد عادت للتو من حفلة سهرة هيام والتي ذهبت لها مع والدتها
مرغمة..

لا تشعر إلا بالضيق وأنها لم تعد تريد أن تعيش أكثر بعيدا عن
مراد الذي يغلق هاتفه معظم الأوقات هذه الأيام..

انتفضت جالا من مكانها تبعد الغطاء عنها بسرعة بمجرد رنين
هاتفها ليكون حدسها صحيح..

مراد هو المتصل.. فسارعت الرد عليه هاتفه بلهفة

((مراد حبيبي.. كيف حالك؟ لقد اشتقت لك جدا.. جدا جدا
وجدا..))

قاطعها مراد ببرود

((أنا أوصلتك عند بيت والدتك بالقريبة.. لأعرف الآن أنك ذهبت لبيتها الزوجي وكنتي متواجدة عندها طوال هذه المدة؟))

أجابه جالا بخفوت معتذرة ومعاتبه

((راجي لا ينام دائما بالبيت وهيام مشغولة.. ماذا تريدني أن أفعل بالمنزل لوحدني هناك؟ ثم أنت تعلق هاتفك معظم الوقت لأبلغك))

لم يرد مراد عليها محاولا إخفاء تعاطفه وشعوره بالذنب لما فعله تجاهها..

فبقي صامتا لتزدد جالا ريقها بهدوء..

للحظة ذكّرت نفسها بحسرة والشعور بالخسارة يملأ صدرها أنها لا يجب عليها لومه وهي من جعلته يصبح بهذا الشكل معها..

فما ذنبه بعقدها وماضيها وكل ما تفعله به من إهانة وامتهان لرجولته؟

لكن.. ألم تقل له أن يتزوج ويعوض نقصه معه بغيرها.. كما كان يتمنى سابقا..

وهو من تأخر بهذه الخطوة؟ ماذا تفعل أكثر له؟

توقفت جالا عن جلد ذاتها بقسوة تستطرد له بصوت مضطرب
ممزوج بالرجاء وبدموعها المترقرقة

((مراد.. هل أعود الآن لك؟ أرجوك قل نعم ولننهي الأمر.. ألم
ينتهي غضبك مني بعد؟))

ابتسم مراد بانكسار ابتسامة لا روح تتخللها..
لا يصدق أنها تكاد تبكي شوقا لرؤيته والمجيء له..

ما إن لاحظ ارتجاف يده التي تحمل هاتفه حتى سارع بقسوة
يقول لها وهو يجاهد نفسها ألا يجعلها تؤثر عليه

((لا.. لا تعودى))

اغلق مراد الهاتف فورا لتشهق جالا ثم تبعده عن أذنها وتضعه
أمامها تنتظر له ببؤس وإحباط..

وسرعان ما سمحت لدموعها المترقرقة بالانسياب على وجنتيها
لتبدأ البكاء بصوت مسموع..

جفالت جالا مكانها على والدتها تفتح عليها الباب فجاءة لتشهق
هلعة وهي تتراجع للخلف بعينين متسعيتين..

تقدمت والدتها منها بغضب صارخة

((سمعت مكالمتكما.. لقد تشاجرت معه وهو من قال لك أن
تغادري المنزل إذن.. أخبريني الآن ماذا حدث بينك وبين
مراد؟ أخبريني))

بعد دقائق..

كانت سميحة الجالسة على السرير بجانب جالا تجذب شعرها
لها أكثر هاتفية من بين أسنانها غير عابئة باعتراض جالا وهي
تتأوه بالم

((أيتها الغيبة هل قلتى له أن يتزوج ثم غادرتى حجرة نومكما حتى تجبريه على تلبية طلبك؟))

أجابتها جالا بعناد مغمضة العينين وهي تحاول إفلات شعرها الطويل من قبضتي والدتها

((نعم أخبرته لأن هذا ما كان عليّ فعله مهما كرهت الأمر..
لأنى أريد أن أبقى زوجة له.. ولن أستطيع أن أبقى كذلك
وحدى.. أساسا لن يتحمل العيش معي هكذا للأبد))

صرخت بها سميحة

((وماذا ينقصك لتعطيه ما قد تعطيه أخرى؟ انتظر الرجل عليك
سنة كاملة فاخجلي على نفسك وأعطيه حقوقه بشكل مستمر..
ليس حلا أن تقولي له أن يتزوج.. لن تسقط حقوقه عليك لو
تزوج من أخرى يا غيبة.. ولماذا قد يتزوج وأنت تستطيعين
إعطائه كل ما يحتاجه.. لقد فعلتها مرة وتستطيعين فعلها مرة
أخرى.. فقط كفي عن استغلال حبه لك.. وجملة "خافي ربك"
وحدها يجب أن تكون كفيلا بهزك))

استطاعت أخيرا جالا إفلات شعرها من قبضة والدتها لتتراجع للخلف وهي تتنفس بعمق وكأنها أخيرا نالت حريتها..

قالت من بين أنفاسها الهادرة بعنف وهي تجمع شعرها المبعثر

((أمي جريت مرة وبعدها شعرت بأني من المستحيل أن اسمح
له بالاقتراب مني مرة أخرى.. انه شيء خارج عن إرادتي))

كانت سميحة تتنفس بقوة وهي تهز رأسها بيبأس قبل أن تقول
لاينتها

((احمدي الله أنك متزوجة من مراد.. ألا يكفي أنه وضع العيب
به أمام والدته.. لو كنت تمتلكين ذرة إحساس أو عقل لكنك
قدرتي فعله وتوقفي عن استمرارك بجرحه بحجة أن لا إرادة
لك بهذا))

أطرقت جالا راسها تقول بخفوت

((لا تقلقي.. صححت الأمر لوالدته وقلت لها أن السبب مني))

هزت سميحة راسها بموافقة لتقول متتهدة

((أحسنت فرغم أنني أكره تلك العقربة.. إلا أن هذا الشيء كان
من الممكن أن يضيق صدرها ويجعلها تفكر به أكثر منكما..
وربما لو وافتها المنية وتوفت وهي تحمل همّ هذه الكذبة في
صدرها لم يكن مراد سيسامح نفسه أو سيسامحك))

ثم رفعت سميحة وجهها له تخبرها بصراحة وخيبة

((لو كنت اعرف كل ما بينكما وكل التفاصيل التي قلتها للتو لي لكان لي تصرفا آخر معك غير ذلك.. ولما كنت سأسمح أن تمر كل هذه المدة بدون أن تجعليه يأخذ حقوقه منك.. ولكن ماذا افعل؟ بعد أن أعادك فيصل له رغما عنا أخبرتني كذبا أنكما أتممتما الأمر وطلبتي مني ألا أتدخل بينكما درنا للمشاكل.. وأنا أجبرت نفسي فعلا على عدم التدخل بأي شيء يخصكما حتى لا تتكرر تلك الحادثة السابقة.. شعرت بأن تدخل الأهل مرة أخرى بخصوصيتكما ستتضخم من أي مشكلة مهما كانت سطحية وناقفة.. لم اعرف بأنك ساذجة وغبية إلى هذا الحد ولا تستطيعين تدبير ابسط أمورك))

لدقائق بقيت كل من جالا وسميحة يتطلعون لبعضهم بصمت..

تنظر جالا لوالدتها بأسف واعتذار لتسببها بإحباطها وتخيب ظنها بل ولصدمتها إلى هذا الحد بتفصيل لم يسبق وأن تخيلتها حتى..

بينما سميحة لا تزال تنظر لها ببعض الغضب قبل أن يلين وجهها لتفتح لها ذراعيها..

أسرعت جالا نحوها ترتمي في أحضانها وهي تشهق بالبكاء قائلة بصعوبة وصوت منهار

((أمي أنا اعتذر.. ولكن اقسم لك أن الأمر كان رغما عني..
ماذا افعل بنفسى؟))

تنهدت سميحة وهي تقول لها بينما تمسح على ظهرها صعودا
ونزولا

((يا ابنتي لا يجوز هذا الكلام.. فعلى الرغم من أن الزواج
بشكل عام قائمة على الحب والتضحية إلا أن التضحية لا مكان
لها في العلاقة الزوجية يا جالا..))

اهتز جسد جالا بأحضان والدتها بينما هي مستمرة بالتربيت
عليها..

لربما كل ما كانت تحتاجه لتنجو من عتمتها بالأشهر الماضية
هي أن يصغي احدٌ ما إلى أوجاعها.. أن ينثر الطمأنينة فوقها..

فقد سأمت من الاعتياد على موت الكلام في صدرها..

سأمت الموت عدة مرات بدون أن تجد من يشعر بها..

بعد أن هدأت جالا قليلا أبعدت جسدها عن والدتها لتجعلها
سميحة تجلس بجانبها..

ثم ترفع وجهها بيدها تجبرها على النظر نحوها وهي تقول لها
بتحذير

((لا يمكنك يا جالا أن تسمح لي بالزواج.. ولا تصغي لكلام
والدته الأفعى فهي ومنذ زواجكما وتخطط لطلاقك أو جعله
يتزوج من غيرك على ذوقها.. ثم هل تظنين بأنه سيبقى على
حاله لو تزوج من أخرى؟))

تطلعت جالا لوالدتها بتوجس وعدم فهم لتستطرد سميحة

((طوال فترة زواجك يا جالا جعلتني يذوق شتى أنواع العذاب..
فلو تزوج ووجد الراحة عند الأخرى وقامت بتدليله والثناء من
قيمته فكيف تتوقعين أنه سيبقى على حاله معك؟ سيقارن بين
عدم الراحة التي يشعرها عندك وبين تلك الأخرى التي
يشاركها المرح والسعادة.. وبعدها وبلا شك سيختار الابتعاد
عني لكي يستطيع التخلص من حياته الكئيبة التي يعيشها معك..
فليس الحل أن تقولي له أن يتزوج غيرك بل أن تعدلي من
نفسك لأجله.. ولا تدعي خوفك من العلاقة الزوجية يعصف
بحياتك الزوجية ويذهب بأجمل وأسعد أيام عمرك..))

كانت تشعر جالا بالحسرة والخوف والهلع وهي تستمع لوالدتها
لتنطق بعينها الحزینتين البائستين مستجدة بها

((ماذا أفعل يا أمي إذن؟ أخبريني))

قالتها بألم يكسوها الرجاء وكم تمننت لو تستطيع البوح لأمها لما
حصل لها بالماضي..

إلا أنها لم تستطيع ذلك..

بل من المستحيل حتى أن تتطرق بحرف مما سبق وحدث أبدا..
أبدا..

مدت سميحة كفيها تحتضن يدي جالا هادرة

((بالبداية وقبل كل شيء اعلمي يا جالا أن هذا ليس حالك
وحدك بل هو حال غالب الفتيات.. كما أن الخطأ خطئي أنا يا
جالا.. فلا تسمح لي لخطئي بتدمير حياتك.. لأنك تزوجت بشكل
مفاجئ وبسن صغير لم يتسنى لي الجلوس معك جلسة أم
وابنتها قبل ذهابك لبيت الزوجية.. كنت حزينة ومرهارة لأن
نصيبك كان ابن تلك الأفعى ولأنك وأفقتي على عرضهم
للزواج بك بدون الرجوع لي))

هزت لها جالا رأسها بقليل من الخوف تسألها

((كيف يا أمي يكون خطأك بسبب هذا فقط؟))

أجابتها سميحة بحزن وهي ترفع إحدى كفيها تمسح على كتفها

((خطئي أنني كنت ومنذ صغرك أنت وهيام أبث بقدرات عالية
وأتفنن بغير قصد في إدخال الرعب عليكين بخصوص هذا
الموضوع بغرض ألا تقعن في الخطأ.. هيام لأنها كانت أوعى
مكن تحررت من فريسة تلك الأفكار الوحشية ولا تجد أي
مشكلة بالأمر.. لكن أنت وربما لصغر سنك لا زلت تعانين
بسبب هذا الشيء للآن.. لم أظن أنك لست قوية شخصية ولست
ناضجة وواعية لهذا الحد بحيث ستحتفظين بهذه الأفكار لبعده
زواجك وستبقيين طوال هذه المدة في حالة التأهب والدفاع عن
النفس))

عقدت جالا حاجبها لأمها..

هل تظن أن سبب امتناعها عن مراد هو لأنها كانت بصغرها
ضحية الثقافة الخاطئة التي كانت تبثها هي فيهن كما كانت تفعل
جدتها بأمها؟

استطردت والدتها بنحو

((لكن يا جالا حان الآن الوقت لتعدلي هذه المفاهيم.. فالزواج
سكينة ومودة ورحمة.. فهل تخافين مما يصفه الله بالسكينة
وبالمودة وبالرحمة؟ صدقيني الأمر بسيط))

ازدرت جالا ريقها تقول بمحاولة بائسة بعدم جعل والدتها
تشعر بالذنب

((أمي لا تقسي على نفسك.. لا أظن أن هذا هو السبب.. لكن..
لكن الأمر ليس بسيطاً كما تقولين.. هل تعرفين أنني حاولت
قراءة بعض الكتب التي توضح العلاقة بين الزوجين.. لكن كان
الأمر بمثابة قراءة ما يبث لي بأسطوره أفكاراً مشوشة زادت من
خوفي من الأمر))

رفعت سميحة حاجبها بدهشة لتقول

((ماذا؟ سبق وقرأت كتباً عن هذا الأمر؟ إذا هذا هو سبب
خوفك.. فبرغم من توضيح هذا النوع من الكتب للعلاقة وربما
وصفها الدقيق للأمر لدرجة جعلك تظنين أنك قد أحطت بالأمر
علماً.. إلا أنها بالواقع جعلتك تشعرين بالخوف مع كل معلومة
تقرئينها.. فالمشكلة ليست بكونك تعلمين أو تجهلين طبيعة
العلاقة.. بل مشكلتك من أين تستقين المعلومات حولها وكيف
يتم عرضها عليك))

هزت جالا كنفها بوهن وحيرة وهي تقول

((أمي.. المشكلة بي أنا وحسب.. جسدي يرتعد خوفاً واهلماً
بمجرد التفكير بالأمر))

نظرت سميحة لارتباكها ثم سألتها وهي تحاول أن تجذب
انتباهها وذهنها لها

((أجيبيني يا جالا صراحة ممّ تخافين تحديداً؟ هل من الشعور
بالألم مثلاً؟))

كانت جالا تطلع لامها بصمت..

ثم أطرقت وجهها للحظات قبل أن تعاود رفعه لتقول بحيرة
وتخبط

((لا اعلم مما أخاف.. لكني أخاف.. هذا كل ما اعلمه))

قربت سميحة وجهها قائلة برفق وحنو

((جالا ابنتي كوني صريحة مع نفسك.. وحاوريهما بعيدا عن أي
توتر محاوراة عقلية واقعية.. ما الذي تتوقعينه أن يحدث عندما
يقترّب منك مراد؟ قولي أي شيء إلا "لا أدري".. هل تتوقعين
شعوراً بالألم؟))

أنزلت جالا رأسها دون أن تجيب لتستطرد والدتها

((انظري إلى كل من حولك من الزوجات والأزواج.. هل يمكن أن تكون العلاقة مؤلمة إلى هذا الحد المزعج والناس يعيشون في تلك السعادة؟ لان الجواب هو مستحيل))

امتدت يد سميحة إلى خصلة من خصل شعر جالا كانت تستلقي باستكانة على جانب وجهها لتضعها خلف أذنها.. ثم سألتها

((هل تعرفين يا جالا لماذا كنت طيلة السنوات الماضية في حالة دفاع؟ ذلك كان حتى لا تغضبي ربك وتعيشي براحة الضمير.. وحتى بعد الزواج تسعدي وتُسعدي زوجك.. وها قد تزوجت فما وجه استمرار حالة الدفاع الآن وقد انتهى تمامًا الداعي لها؟ لا شك أن ما تشعرين به هو مجرد رواسب لما عشت عليه سنوات عديدة.. وعليك أن تواجهيها وتمزقيها بكل قوة الآن))

كانت كل أنظار جالا المشدوهة نحو والدتها..

تنظر لها بتركيز شديد وشفاتها متفرقتان قليلا..

لكنها عادت تقول باستنكار منتمرة بقوة

((أمي لا.. ليس هذا هو السبب.. لو كانت حالة دفاع كما تقولين لزالَت الرهبة بمجرد أن أتم الأمر))

والدتها حرفياً تظن أنها تمتنع عن مراد فقط لخوفها من ممارسة
العلاقة بسبب الكلام والتحذيرات التي كانت تسمعها بصغرها
من الوقوع بالخطأ..

فبوقت من الأوقات كان كلام والدتها وتحذيرها بشأن عواقب
عدم الحرص على المحافظة على السمعة والعرض..

وهي تستمر دائماً بإخبارها بنتائج الأخرى من الفتيات
المراهقات اللاتي انجرفن لخوض تجارب معيبة ووقوعهن في
برائن الوهم والأحلام أو الانزلاق في أحضان الذناب الضالة
والكلاب اللاهثة وراء الشهوات واللذات..

وكيف كانت النتيجة في نهاية الأمر مأساوية ومستقبل حياة
مظلم..

وكل ذلك كان حتى تحذرهما من ألا تكون فتاة مستهترة ولا تقبل
على نفسها بأن تخرج على دينها وعادات أسرتها ومجتمعها
المحافظ..

كانت والدتها تخبرها أن محافظتها على نفسها كلوح الزجاج إذا
تعرض للكسر لن يعود صالحاً للاستخدام..

ولربما وبسبب كلام والدتها هذا كانت تلوم نفسها إلى حد الموت
لأن عمرو كان يسمح لنفسه بفعل ما تنهاها والدتها عنه معها..

بل كان هذا من أكبر الأسباب التي منعتها من حتى التفكير بقول ما تتعرض له..

خوفا من أن تظنها خاطئة ومذنبية ثم تموت قهرا عليها..

انتهبت جالا على أمها تشد على كفها وهي تقول لها

((بغض النظر يا جالا.. لكن عليك أن تعودي إلى مراد.. هل فهمتي؟ الآن ستعودين له.. ستتجملين له وتعترين له عن كل الترهات التي سبق وقلتها له عن زواجه.. ولا تتمعي إن اقترب منك.. استرخي فقط ولا تفكري إلا بإسعاد نفسك وإسعاده))

نظرت جالا لأمها بغياء..

ألم تقول لها للتو أنها لا تستطيع؟ فكيف تطلب منها القيام بالأمر وحسب.. وكأنها ضغطة زر..

شعرت بقلبيها يخفق بقوة فتابعته النظر لها تسألها بتخبط شديد

((كيف استرخي؟ مشكلتي أنني ورغما عني لن اعرف ذلك))

قالت لها والدتها تحاول التخفيف عنها

((لا داعي لمحاولة إرغام نفسك على ذلك.. وإلا زاد خوفك
وهلعك في حالة فشل حصولك عليه.. لهذا لا تشغلي بالك بأمر
الاسترخاء.. فقط حاولي قدر المستطاع تجنّب حدوث التشنج..
ومن الأفضل أن تشغلي بالك بشيء بعيد عن هذه الأمور..
والبعد بالفكر عن كل ما يدور حولك.. وصدقيني يا جالا إذا
أظهرت المرأة رغبتها لزوجها لا يعني هذا أن لها تجربة
سابقة.. بل لربما معناه حبها الشديد له دافع لها لأن تتوق له..
وأنت تحيين مراد.. صحيح؟))

هزت جالا لها رأسها ثم قالت لها بشيء من الخوف والتردد

((ولكن يا أمي ماذا لو لم يعد مراد يرغبني أو يريدني؟ فبعد
تلك المرة الوحيدة التي كانت بيننا لم يحاول أبدا أن يقربني..
ولم يسمح لي إلا النوم بجواره وبأحضانة وحسب.. أنا خائفة
من أنه لن يفكر بي بعد الآن كزوجة ولن يريد من الأساس..))

قاطعتها سميحة تفض مخاوفها وهواجسها وهي تحيط وجنتها
بكفها قائلة باطمئنان

((لا يا حبيبتي لا تخافي.. التجربة الأولى غير مريحة بالنسبة
للبيض فلا يجب أن يتعين عليكما أن تظنا أن كل المرات
سنكون مثلها.. الآن سترتدين ملابسك وستذهبين لزوجك))

ما تعرضت له أثر مباشرة على نفسيته وجعلها تكره جسدها
وتكره كونها أنثى..

جعلها تشعر بأنها أخطأت بشيء ما وظلت آثارها النفسية
مرافقة لها..

لكن الآن تشعر بإصرار بأنه يجب أن ينتهي ذلك..

وعليها أن تتحلى بالقوة والثقة والثبات لتتجاوز مشاكلها..

لكن عادت جالا تهز رأسها بخوف وهي تسأل والدتها بخوف
من القادم

((أمي أنا خائفة قليلا.. فانا ومراد نختلف بكثير من الأمور..
ودائما ما تحدث الخلافات بيننا.. خاصة بسبب امه.. هذه
الأمور تجعلني هلعة من فكرة دمار زواجنا..))

سارعت والدتها تريحها وتخفف عليها

((لا يا جالا.. إن الخلافات لا تميت ما بينكما.. وليس شرطاً أن تكونا منفتحين في كل شيء حتى لو كنتما توأماً للروح لأن التوائم يختلفون كثيراً.. بل العكس إن الخلاف والاختلاف يصنعان حالة من التوهج والحب بشكل يشبه إلقاء حجر في مياه راكدة.. لكن عليك أن تشبعي كل جوانبه الروحية والعقلية والجسدية..))

ثم استرسلت تخبرها

((أهم شيء انسي كل الخلافات السابقة التي كانت بينكما.. ولا تستغليها لقول الكلمات الجارحة له.. لأن الضغينة التي تنتج من هذا النوع من الخلافات سيدمر علاقتك بمراد.. لذلك عليك أنتِ وهو أن تتركا خلافات الماضي في الماضي.. أحياناً يا جالا تكون المرأة هي الفعل وعلى الرجل رد الفعل.. وإذا كان هناك شيء يزعجك به حاولي تغييره به بالصبر والمحبة والوقت.. كما كان يفعل معك سابقاً.. وصدقيني كلما كان الزوج أصغر سناً كان تغييره أسهل.. ولن يكون قد اقتنع بكثير من الأمور التي يصعب تغييرها))

كانت جالا تهز رأسها لوالدها بطاعة ولها كل النية بتطبيق ذلك بمجرد عودتها لمراد الليلة<<

اعتدلت جالا من مكانها واقفة تهم لتغيير ملابسها..

سمعت والدتها تستطرد

((أريد من مراد أن يأتي لي بأقرب فرصة يجدها.. فهاتفه
الأسبوع الماضي كان مغلقا معظم الوقت.. وأحيانا كان لا
يرد.. يبدو أن أحوالنا الآن تبدلت فبعند أن كنت أنا من أتجاهل
مكالمته سابقا هو الآن من صار يفعل ذلك.. ولكن هذا لا
يجور.. أنا بحاجة لرويته فعلا والتحدث إليه))

اعتدلت سميحة واقفة هي الأخرى من على السرير تلحق جالا
تكرر فوق مسامعها بشكل مزعج لا تمل منه

((أقنعيه أن يأتي عندي ويزورني.. لا تنس ذلك.. قل لي له أني
أريده أن يتعرف ويسلم على ياسر.. المهم أن يجيء هنا
ويتحدث معي.. أنا بحاجة للتحدث له فعلا.. هل تفهمين يا
جالا؟))

كانت جالا تجيب أمها بحماس مشتتة الذهن وهي تخرجها من
الحجرة حتى يتسنى لها تغيير ملابسها

((حسنا.. حسنا.. حسنا يا أمي سأفعل.. اخرجي الآن))

ما إن أنهت جالا ارتداء ملابسها وإعداد حقيبتها حتى أخبرتها
سميحة

(انتظري قليلا.. سيصل راجي الآن ليوصلك))

نظرت جالا لامها بحنق وهي تكتف ذراعها وتنفخ خصلة من
شعرها عن عينيها بغضب قائلة بلوم

((ولماذا سيوصلني راجي؟ هل العم ياسر متعب أو ليس متفرغا
لأن يوصلني هو؟))

نظرت والدتها لها بطرف عينا تقول لها بحة

((لا.. بل حتى تتحدثي مع أخوك.. أخطأ واعتذر منك.. إلى
متى سيبقى الجفاء بينكما؟))

زفرت جالا بضيق وهي تقلب عينيها باستفزاز جعل سميحة
تود ضربها..

فقامت بلكرها تؤنيها بصدق

((جالا.. الأنتى تستطيع فرض حنيتها على الطرف الذكوري
مهما كانت صلة قرابتها به.. انه أخيك الوحيد.. دلييه.. أشعريه
انه يعوضك عن حنان والدك حتى ولو كان يصغرك بسنتين..
فراجي حنون وهو ضلعك واستقامة ظهرك.. هو عضدك
وقوتك عند ضعفك.. حب الأخ لا يقاس فهو سند وظهر))

عند كلام والدتها هذا حررت جالا ساعديها من أمام صدرها
وهي تنتظر لها بعينين بارقتين بقليل من الرفض..

تصاعد رنين الجرس لتهم سميحة بفتحه ويدخل راجي من
البيت معانقا والدته بحرارة..

ابتعد راجي عن امه قليلا لتتوجه أنظاره إلى تلك الواقفة بجانب
الباب تزم شفقتها بحنق طفولي وتهز احدى ساقيها بنفاذ صبر..

فانتسعت ابتسامته أكثر ما أن التقت عيناه بعينها اللتان تشعان
بالحنق..

فوجد نفسه يترك امه وينقض على شقيقته بعناق أخوي عنوة..

كم اشتاق إلى حنق تلك المشاغبة..

لم تتقبل جالا عناقه سريعا..

شعرت بانها ما تزال غاضبة إلى حد ما ودفاعي..

وكان لا جدوى من المصالحة وهي ما تزال تحمل له من الحمل
العاطفي الكثير..

وأحس راجي بهذا.. ولم يلمها لأنه يعرف أنها لا زالت تمتلك
مشاعر الاستياء والغضب والانزعاج منه..

ولا زالت مجروحة وحائرة ومرتبكة ومحبطة مما فعله..

لكنه اعتذر مرارا منها بشكل مباشر وغير مباشر..

منحها المساحة والوقت والحرية لبث مشاعرها بما يكفي حتى
يلتئم جرحها وتتجاوز ما فعله بها..

ولا يريد أن يترك الأمر ليأخذ وقتنا أطول..

فكلما تفاقم غضبها وفقدت ثقته به.. كان من الصعب الصلح
والتوفيق بينهما..

حتى ولو أنه كان لا يظن بأنه كان المخطئ الوحيد بينهما..

وبأن ما فعلته كان خطأ فادحًا بحق زوجها وقد أساء لها
ولعائلتها..

قال لها راجي معتذرا باعتذار خالص صادق

((أنا اسف يا جليل.. ولكن لن أحررك قبل أن تقبلي اعتذاري
وتتوقفي عن الشعور بالاستياء تجاهي))

حاولت جالا أن تتحرر منه إلا انه فعلا لم يسمح لها فتململت
بين ذراعيه متذمرة..

قبل أن تشعر أنها فعلا أضعف من أن تقاوم أكثر.. وقد شعرت
بأن الجفاء بينهما عليه أن يتوقف..

فلانت ملامحها وبادلته العناق وهي تغمض عيناها..

تريد أن تشعر بأنها لا تريد إلا أن تعود الأمور بينهما إلى
حالتها..

وكمربون اعتذار أخير اشترى راجي لها لوح شوكولاتة من
نوعها المفضل كهدية مصالحة..

ووعدها بأن لا يتكرر الأمر مرة أخرى..

بالنهاية من المستحيل أن يكون مثاليا ولكنه يبذل بالفعل أقصى
جهده وهذا ما جعلها تلين بسهولة له الآن وتتقبل مصالحته..

قد لا يسعها الكلام.. إلا أن أخيها راجي سيبقى لها دائما
صديقها الوفي..

=====
=====

وما قبل الغروب اندفع احمد لخارج مكتبه داخل العيادة يغلق
الباب خلفه بهدوء..

سبق وأنهى أحر أعماله وجلساته قبل أسبوع..

ولكنه كان بحاجة لإنهاء أعمال صغيرة متبقية قبل ليلة الزفاف
خاصة وأنه سيمضي شهر عسل طويل..

سمع احمد حركة من حجرة ليث زميله وشريكه بنصف العيادة
محدثة صوت مزعج جدا..

فعقد حاجبيه ثم دنا من الحجرة يطرق الباب عدة مرات..

وعندما لم يسمع أي رد فتح الباب وولج إلى الحجرة مباشرة
ليجدها فارغة تماما مما أثار استغرابه..

لحظات حتى شهق احمد بتفاجئ ما إن تجلى ليث من خلف باب
الحمام الملحق بالحجرة قائلا بهلع وتلعثم

((أحد.. احمد.. مم.. ماذا تفعل هنا؟))

تتنحج احمد بحرج شديد وهو يشيح بوجهه بسرعة بعيدا ما أن تنبه أن ليث خرج من الحمام بسرورال داخلي ويخلع بنطاله..

هتف ليث به بنزق

((ألا تعرف كيف تطرق الباب يا احمد؟))

استدار احمد للخلف قبل أن يقول بحرج وهو يقف عند عتبه الباب

((لقد طرقت الباب عدة مرات ولم أجد رد مع أنني سبق وسمعت أصوات مزعجة صادرة من هنا.. أنا اعتذر فعلا.. ولكن ظننت بأني سبق ورأيتك تدخل للحجرة مع مريضة وعندما فتحت الباب ولم أجد أحد هنا.. ارتبكت ولم يخطر على بالي أنك كنت تستخدم..))

لعق ليث شفثيه.. ثم وبينما يغلق باب الحمام من خلفه بيد مرتجفة خوفا من يتم كشفه قاطعه هادرا بارتباك ملحوظ وانفعال لم يتقصده وهو ينظر لأحمد الواقف عند الباب ويعطيه ظهره بحذر

((نعم دخلت مريضة هناك وغادرت قبل قليل.. ثم وقع كأس عصير على بنطالي فدخلت هنا لأغسله قبل أن اخرج وانصدم برؤيتك.. حسنا اذهب الآن من هنا يا عريس.. زفافك بعد يومين.. وقلت بأنك لن تطيل المكوث هنا.. مبارك مقدما))

خرجت ضحكة خافتة مرتبكة من احمد وهو يقول له بغير ثقة

((فعلا.. شكرا لك يا ليث.. حسنا انه ما تفعله وسأنتظرك عند الاستقبال لنغلق العيادة ونغادر معا..))

هتف به ليث بتلعثم وتوتر

((لا.. لا.. لا يا احمد.. أريد البقاء هنا لعدة ساعات لأنظم
أموري قبل أن أغادر المكان.. أنت يمكنك الذهاب وحدك.. لا
تقلق))

صمت احمد للحظات بتفكير.. ثم هز رأسه وهو يهدر له
بصوت منخفض

((حسنا.. كيفما تريد.. إلى اللقاء))

قالها احمد مودعا ثم مضى قدما نحو الخارج بتعابير مرتابة
وبشعور غريب من الموقف الذي حدث قبل قليل..

بينما ما إن اغلق احمد الباب خلفه حتى أخذ ليث نفسا عميقا
ليهدئ من روع قلبه وأسبل أهدابه بتعابير متشنجة..

لقد كاد أن يتم كشف أمره فعلا..

=====
=====

ما إن أوصلها راجي لبناية عائلة زوجها حتى فتحت جالا باب
السيارة تخرج منها بسرعة وهي تودع راجي شاكرة دون أن
تانتفت له من فرط الاشتياق لرؤية مراد..

ركضت جالا كطفلة متلهفة تفتح البوابة الرئيسية للبناية ثم
أسرعت بالجري ناحية الدرج تصعده بسرعة..

فتحت باب شقتها بنسخة المفتاح التي تملكها ثم دلفت للداخل
لتتنادي بلهفة على مراد..

كانت أضواء الشقة كلها مطفأة..

فشعرت بقليل من الإحباط وخيبة أمل من أن يكون مراد لا زال
بعمله أو ينام عند عائلته خاصة وأن مفتاح الشقة لم يكن
موضوعا من الداخل..

أنهت خلع حذاءها ثم أسرعت تدلف إلى حجرة النوم..

أشعلت الضوء الخافت لتجده مستلقيا فوق أغطية السرير.. لا يغطي جسده بأي غطاء..

ابتسمت بلهفة وبهجة وهي تدلف للداخل ببطء وتروي وهي تسير على أطراف أقدامها بخفة نحوه مقبلة عليه..

نادته بصوت رقيق هامس

((مراد.. هل أنت مستيقظ؟))

وعندما لم يرد عليها عرفت انه مستغرق بنوم عميق..

ينام كعادته على ظهره يده تستريح على صدره والأخرى تستكين تحت رأسه..

كان يتنفس بهدوء وصدره يعلو ويهبط..

اقتربت جالا منه تقف فوقه ومن ثم انحنت مغمضة العينين تأخذ نفسا طويلا معبقا بعطره الذي أدمنته لأسبوع كامل وهي تنام بأحضانها..

فتحت عيناها ببطء ميتسمة لتبدأ تتأمل محياه الوسيم وهي تعدل من وضعيته واضعة الوسادة تحت رأسه بدلا من يده..

كان ينام بسلام لكن بحاجبين معقودين فعبست قليلا..

كأنه يعايش إحدى كوابيسه بنومه أو يتألم من شيء ما..

حاولت تجاهل الأمر وهي وبلا تفكير تمد يدها لبشرة وجهه تمررها عليه..

تتأمله كما لم تتأمله سابقا بنظرات لطيفة مشاغبة وهي تلتهم تفاصيل وجهه متوحش الجاذبية..

بل هو كله على بعضه كتلة من الجاذبية في كل تفاصيله التي
اشتاقت لها بشكلٍ يؤذي قلبها خلال بعدها عنه..

ابتسامته.. نظرته.. همسه.. حدثه.. غضبه.. عطفه.. حنانه..

إلى آخره من فتنة صاحب العينين ذات اللون البندي هذا النائم
أمامها..

سيصيبها في مقتل يوم ما..

خاصة وأنها طوال الأيام الماضية كانت تتخيل صورته وتعيش
تفاصيله الصغيرة المُعقدة وحتى البسيطة..

وهي تتذكر مواقفهم معا..

قربت جالا وجهها منه تقبل شفثيه برقه فتصلها أنفاسه المختلطة
بعطره فتعانق قلبها الجائع..

ما إن أبعدت وجهها عنه حتى شعت وجنتاها باحمرار
واضطربت أنفاسها من أفكارها وفعلها الجريء وقد خفق
فؤادها بين أضلعها..

اعتدلت جالا من مكانها واقفة تسرع للاغتسال ومن ثم تغيير
ملابسها إلى منامة أخرى حريرية وردية ناعمة ملتصقة بقامتها
الممشوقة ومظهرة مفانتها دون حرج..

عادت للحجرة تترك مفتاح الإنارة الخافتة مشتتلا

ثم تجلس على السرير بحذر من إصدار أي صوت يقلق منام
مراد..

وببطء أكبر استلقت بجانبه عقب أن فردت ذراعه الموضوعه
فوق صدره بجانبه لتتوسد هي فوقها..

وبحركة متهورة قامت بمحاولة ميل جسده الصلب نحوها لتضع
ذراعه الأخرى فوق خصرها.. لتلصق نفسها به أكثر وتزيد من

ضمه إليها وهي تلف كل جسدها حوله تتشبث به ومن ثم تدفن
وجها بعنقه.. وقتها فقط أغمضت عينيها بنشوة وسعادة
مستمعة بالانغمار برائحة عطره.. بصوت قلبه.. بفء
أحضانة.. بسخونة أنفاسه.. تكاد تسمع صوت خفقات نابضها
وهو يرقص طرباً وجسدها يرتجف من فرط النشوة.. مر على
وضعهم ساعات حتى تلملم مراد من نومه العميق.. كان يشعر
بشيء يلتف حوله ويكبله.. ليجد نفسه بلا إرادة يشدد ذراعي
تلك القابعة بأحضانة وهو يغمر نفسه بعنقها ه امسا

((مليكة..))

لحظات نشوة استمرت لدقائق قبل أن يهمس بنعاس متسانلا

((جالا..))

وسرعان ما انتفض مكانه بهلع يبتعد عنها وهو يفتح عينا
الناعستان على اتساعهما ليدرك انه لا يحلم.. ازرد مراد ريقه
بصعوبة يحاول تهدئة أنفاسه العنيفة.. ثم أخذ نفسا عميقا وهو
يغلق عينيته.. اعتدل جالسا على السرير يمرر كفيه على
وجهه.. انتبه أنه الوقت مر لما بعد منتصف الليل وتلك القابعة
بأحضانة فعلا جالا.. انه لا يحلم.. تلملمت تلك النائمة بجانبه
وهي تهتمهم باستمتاع

((مراد.. حبيبي لماذا ابتعدت؟))

ابعد مراد كفيه عن وجهه ينظر لها بحدة بطرف عينيته ليجدها
تعتدل من مكانها شبه جالسة قليلا تضع ذراعيها حول عنقه
بدلال هامسة بصوت ناعس

((لم أتحمل بعدك أكثر من أسبوع فأوصلني راجي ليلا هنا))

مد مراد يديه يحاول فك ذراعيها الملتفتان حول رقبتة وهو
يقول لها ببرود

((جالا هل يمكنك الابتعاد عني؟))

عقدت جالا حاجبها وهي تفتح عيناها الناعستان تنظر له بقنوط
رافضة فك ذراعها وهي تقبل أرنبه أنفه ببطء ثم تهمس له
بعبوس طفولي

((لا أريد الابتعاد عنك))

بدا الغضب الذي بدأ يتطاير من عينيه حقيقيا وهو يفك ذراعها
عن رقبتة بالقوة هامسا بحزم وصرامة بعيدتان عن المزاح

((جالا قلت لك ابتعدي))

تراجعت جالا بجلستها على السرير للخلف وهي تراقبه بعينها
الساذجتين هادرة بدهشة

((لماذا؟ هل ما زلت غاضبا لأني ذهبت عند أمي بعد أن
تركنتي عند منزلها بالقريبة؟))

قال لها مراد وهو ينظر لها ببرود

((بمقارنة أفعالك وأقوالك السابقة فقرة التفاهة هي أن اغضب
على هكذا أمر بسيط.. هذا ما تفعلينه أنتِ وأسلوبك لا أسلوبى..
فلا ترميني بطباعك))

أقلقتها نظراته ونبرة صوته التي بدت هجومية وعدوانية رغم
برودها الظاهري.. فعارضته جالا بدلال لا تدري متى وكيف
صارت تلجأ له

((ما بك تتصرف هكذا الآن؟))

لم يرد مراد عليها بل بقي صامت لتزدرد جالا ريقها وهي
ترفع إحدى كفيها تفرك عينيه تزيل آثار النعاس وتعود بجسدها
للخلف تريخ ظهرها على مقدمة السرير تنظر له بوجوم.. ساد
الصمت بينهما إلى أن قال مراد أخيرا بصوتٍ غريب شديد
البرود

((جالا.. أعرف أنني أخطأت بحقك عدة مرات.. ونفس الشيء
أمي وبارا.. ولكن هل سبق وأخطأت وأسأت لك لحد أن يصل
الأمر ألا ترغبين بإعطائي حقوقي منك باستثناء مرة وكانت
مقيتة؟))

رمشت جالا بعينيها وهي ترفع ذقنها سائلة وهي تشعر بارتياح
شديد

((لا أفهمك يا مراد))

أغمض مراد عينيه للحظة وهو يقول متنهداً بما يزيد توترها
وخوف ما داخل أضلعها

((ذهبنا سويا عند طبيبة نسائية وقالت لنا إنك سليمة لا تعانين
من أي مرض عضوي.. ذهبت بك عند أفضل المشايخ
وشخص أعرفه شخصيا ولم ينفع معك أيضا لتتغيري.. هل
هناك شيء آخر لم افعله وقصرت به؟ أخبريني إذا كنت
مخطئا؟))

كان الألم والذنب مرسومان بوضوح على وجهها كطفلة
صغيرة مذنبه أمام والدها.. فهزت جالا رأسها نافية وهي تقول
بصوت مهتز أجش

((إنه خطئي أنا.. وأنت لست مذنب بأي شيء))

تتهدد مراد مرة أخرى وهو يخلع بلوزة منامته القطنية بإرهاق
ويلقيها بعيدا بلامبالاة وكأنه لم يعد يتحمل حرارة الجو..

حدقت جالا بمعظم بشرة جسده الصلب المكشوف من فوق..

ولوهلة شعرت برغبة مكونة إلى أن يبادر الآن ويضمها إلى
صدره..

أن يعلمها فنون الحب على يده ويداعب أنوثتها ويوقظ بها تلك
المشاعر التي تسمع عنها..

شعرت فعلا بكل رغبة وتوق بأن تجربها معه الآن مهما بدت
مهمة استجلابها لها صعبة ومستحيلة..

هزت رأسها نفيا بسرعة تبعد عنها تلك الأفكار المجنونة
الجريئة التي باتت تتسلل لعقلها الآن وكأنها بالحقيقة كانت
متواجدة بأعماقها بدون أن تعرف.. عاد مراد ينظر لها ليقول
ببطء

((لو كان الأمر فعلا رغما عنك لعذرتك بقدر ما تشائين.. ولكن
وبما أن الأمر نفسي حاولت أن اقترح عليك عدة أمور كالطبيبة
النفسية لتتعالج عندها.. إلا أنك رفضتها بكل مرة اقترحها
عليك وبشكل قطعي.. إذا المشكلة هي أنك لا تريدني حتى
العلاج أبدا.. أي أن المشكلة بعقلك أنت وقرارتك أنت.. أنت من
لا تريدني ذلك والأمر ليس رغما عنك كما تدعين))

ابتلعت جالا ريقها وهي تراقبه بملامح شاحبة ثم همست له
بوهن

((معك حق.. المشكلة بي.. أنا من لا أريد العلاج.. وأيضا..))

بترت كلماتها وقد كاد قلبها أن يتوقف من الرعب وهي تنتظر
أن يدخل مراد بالموضوع الرئيسي وماذا يريد أن يصل بحدثيه
الغامض الآن معها..

راقبت مراد كيف عاد للخلف بظهره يتكئ على السرير وهو
يكتف ذراعيه وينظر أمامه بشرود وقسوة وكان قلبه امتلأ
بالجليد..

ثم قال أخيراً بخفوت

((وحتى تخففي من شعورك بالذنب قلتي لي أن أتزوج من غيرك لتعفني.. بل وهجرتني ونقلت أغراضك من حجرة نومنا حتى أخضع لك.. صحيح؟))

فرت الألوان من وجه جالا واضطربت عيناها.. نعم قالتها له..

قالتها فعلا له.. قالتها حتى لا تخسره لأنها شعرت بأن لا فائدة منها وبأنه بالنهاية سيتزوج بعد أن يمل من الصبر ويفقد قدرته على التحمل..

فقد بدأت تلاحظ أنه يتجنب المكوث بمفرده فترات مطولة ويحرص كثيرا على الصوم والرياضة المنتظمة المجهدة..

سمعتة مرة يسأل على الهاتف عن نوع أعشاب تخفف من الرغبة..

لأنه لا يريد استعمال أدوية أو مثبطات هرمونية لإضعاف الرغبة حتى لا تأتي عليه بنتائج على المدى البعيد قد تؤثر عليه..

بل حتى أنه اشترى نوعا من الأدوية النفسية الخاصة بمضادات الاكتئاب لتقلل الرغبة تحت إشراف طبي..

وقتها شعرت كم كانت بلهاء لأنها سبق وأرادته أن يبقى معها هكذا للأبد بدون ممارسة أي علاقة بينهما..

إلا من مرات معدودة لتحمل فيها بشرط أن تشرب المنوم..

واستحقرت من نفسها كيف كانت ترى كل محاولاته سابقا بالتقرب منها وملاطفتها بأنها أمور استغلالية لأجل أن يصل لغايته في أن يشبع رغباته بها..

وكان رغبته بزوجه تجعل منه حيوان شهواني.. ليبتها فقط كانت تمتلك عقلا أكبر لتفهم ما هو الزواج فعلا..

ليتها عرفت كيف تجعل عقدها وماضيها وهو اجسها أبعد من أن يحرموها من عيش حياة زوجية طبيعية..

ليتها كانت تعرف كل هذا قبل أن تقبل الزواج من مراد أو من أي أحد آخر غيره..

فيوما بعد يوم تدرك كم كان كارم ذكيا بابتعاده عنها وتركها..

يوما بعد يوم تعذر كارم لتصرفه..

تعذره وفعلنا تتمنى له أن يعيش بسعادة مع غيرها.. ولا تلومه أبدا على نقص حبها له وابتعاده..

بل ولو عاد بها الزمن هي من كانت ستتركه أو لا لأنه لا يستحق أن يعيش حياة زوجية مثل التي يعيشها مراد..

خرجت جالا من كل أفكارها السوداوية وهي ترفع رأسها باضطراب لمراد تجيبه باختصار وبصوت مرتجف بشدة

((نعم طلبت منك الزواج))

التفت مراد يطالعها بحدة وهو يقول لها وينظر بحدقتي عينيها المهترتين

((لربما ستقولين بأني سبق وشككت بكلام أُمي التي تحدثت عن عفئك ولم أَدافع عنك أمامها بمنتهى الخسة والنذالة.. ولكن ولكن واقعيين مشكلة ابتعادك كانت قبلها بأشهر.. كما أنه قررنا أنا وأنتِ بأن كل منا ناله كلام باطل من الآخر.. أنتِ تم اتهامك بعفتك وأنا تم اتهامي برجولتي من جهة.. ومن جهة أخرى كل من في القرية تحدثت عن صحة ما إذا كنت عاجزا أو لا في حين انه لم يتحدث أي شخص أي كلمة حرف عنك))

ردت بعصبية وهي ترفع يدها تشير لنفسها مدافعة بتوتر بالغ

((مراد إذا كنت تقصد بأن أمني فضحتك أو نشرت هذه الإشاعة
عك في القرية فاقسم لك أنها لم تفعل.. هي أخبرت أبي وطبيبة
أخرى لا تعرف هويتك من الأساس.. لكن والله لم تنشر عنك
أي كلمة بالقرية.. اقسم لك يا مراد..))

ابتسم ببرود وهو ينظر إلى عينيها يطالعها بحدة مرددا ومشددا
على كل كلمة ببطء وكأنه يتحدث لشخص بطيء الاستيعاب

((هذا الموضوع فات الأوان على التحدث بها فاتركيه جانبا
لأنني الآن لا أريد محاسبة من نشر تلك الإشاعة عني.. بل ما
أريده إيصاله لك هو أن تلك المشكلة ليس لها علاقة بامتناعك
وليست حجة مقبولة لك لاستخدامها ضدي.. صحيح؟))

هزت جالا رأسها وهي تضغط على عينيها المغمضتين تمنعه
نفسها من البكاء.. ثم قالت بصعوبة بصوت مرتجف

((نعم صحيح.. بوقت من الأوقات بعد عودتي لك رغما عني
قلت بأني لن اسمح لك بالاقتراب بسبب اتهام والدتك لي
ووقوفك بصفها ضدي.. لكن بعد ذلك تخطيت الأمر لأنني
عرفت بالكلام الذي نشر عنك آنذاك))

هي نفسها تقف معه ضدها في جلده ومحاسبته لها..

ساد الصمت بينهما لوقت..

فتحت عيناها تنظر لمراد يحرق بها بفتور لا تأخذه شفقة عليه
وهو يراها تبدأ بضم جسدها وكأنها تشعر بصقيع تلجى بهذه
الليلة الصيفية..

رفع مراد حاجبيه قليلاً وهو ينظر إليها بنظرات عجزت عن
معرفة معناها.. لتراه يسألها ببطء

((وبما أن عائلتك رحبت بحرارة بزواج أختك من زوج من هي
بمثابة ابنة عمها فمن المستحيل أن يعارضوا زواجي من هي

أخرى.. خاصة لو كان لدي سبب حقيقي لا فراغه عين ونذالة..
(صحيح؟)

هزت جالا رأسها بقوة تغمض عينيها وتعض على شفتها تمنع
بكاؤها لتقول بعد لحظات بنبرة متحشجة تنبئ ببيكاء مرير
(صحيح))

تابع مراد يسألها بقسوة وبتهكم مرير لا يأخذه شفقة بها

((بل ربما سيحضرون زواجي أيضا ويؤدون واجب التهئة
لي.. وخاصة أنت.. معروف أنك صاحبة واجب.. ستكونين
أول من تباركين لي زواجي.. صحيح؟))

فتحت عينيها لتراه بغير وضوح من بين دموعها المترقرة
لتقول له هامسة برجو بصوتها المتذبذب تخرج من بين كلامها
شهقات خافتة

((هل تقصد حضور زفافي لهيام؟ لقد أخبرتها قبل سنة عند
محاولة عودة احمد لها أن تبعد عنه.. ثم تفاجأت مثلي مثلك
بعقد قرانها وهي تدعوني لحفلة الزفاف.. والله لست راضية عن
زواجها به.. لكنها اختي الشقيقة الوحيدة ولن أستطيع ألا أقف
بصفها وأشاركها بفرحتها حتى لو كنت أراها على خطأ.. لكن
قررت الآن ومن اجل ابنة عمك إيما أني لن احضر زفافها..
مهما توسلت لي هيام فلن احضره))

بقي مراد ينظر بجمود لجالا طويلاً ثم تحدث أخيراً باقتضاب
يشوبه بعض البرود والسخرية

((جيد.. إذا لن أجبرك على حضور حفل زفافي))

قالت جالا بشق الأنفس وبقهر

((أخبرتك لو أردت الزواج فهو من حقك..))

تنهد مراد تنهيدة طويلة ثم أشاح بوجهه بعيداً

((تزوجت وانتهى الأمر منذ أول يوم طلبت منك الخروج من
هنا))

فغرت جالا فمها وهي تنتظر إليه غير مصدقة ثم قالت هامسة
((كيف تزوجت؟ كيف؟))

رفع مراد أنامله وهو يشعر بتوتر مفاجئ جاءه بغتة يكاد يفنك
بأصابه.. فأجابها متجهم الملامح ومتهكما
((تزوجت مثلما يتزوج الناس))

بدأت عينا جالا الملتمعتان تزدادان التماعا حتى تحررت
دموعها المترقرة لتبدأ بالانسكاب على وجنتيها..

قالت وهي ترمش بعينيها محاولة السيطرة على أفواج تلك
المشاعر التي باعنتها الآن

((من وكيف؟ ألهذه لم تكن ترد على اتصالاتي طوال الأسبوع
الماضي.. هل كنت مشغولا بالنوم معها طوال تلك الأيام
تعوض حرمانك؟))

تصلبت ملامح مراد وتجمدت نظراته على عينيها عند ذكرها
"النوم" بهذه الفجاجة والوقاحة..

فأجابها مراد ببرود وقسوة

((لا.. لم تدفعني شهواتي الحيوانية للنوم معها بعد.. لم ادخل
عليها.. كنت أنام طوال الأسبوع الماضي بشقتي هنا))

كان لا زال فم جالا مفعوراً بصدمة غير قادرة على تصديق ما
تسمعه..

أنه يمازحها.. فقط يريد ممازحتها..

يريد أن يجعلها تعيش بنفس الجحيم السابق الذي جعلها تعيشه
وهو يخبرها بإقناع انه سيتزوج من يارا ليتضح أنها أخته
بالرضاعة..

والآن يريد تكرار نفس تلك المسرحية الدنيئة..

إلا أنه بتلك المرة لم يكن هو من اختلق مزحة زواجه من يارا..
بل كانت يارا ووالدته من فعلن..

وهو لم يذكر الأمر إلا مرات قليلة بسخافة جعلتها من الداخل
توقن بأنه لن يتزوج.. ولن يفعلها..

لكن الآن تشعر بأن الأمر مختلف.. لا يبدو بروده الهائز
مختلفا ولا يبدو انه يتلاعب بها..

تبا لكل شيء.. لماذا يبدو تمثيله الآن مقنعا جدا؟

مدت جالا يدها لصدرها وقد شعرت أنها ما عادت تستطيع
التنفس وكان ما قاله كان بمثابة غصة تسد مجرى تنفسها..

تطلع مراد لمنظرها بعبوس..

لم يكن يعجبه ما يفعله لكن رغبته المجنونة التي كانت تسيطر
على عقله كان لا مجال لكبحها..

ثمة شيء وحشي بداخله لا يستطيع تهدئة روحه الثائرة وغضبه
المكبوت قبل أن يقتص منها..

سابقا كان معها بالذات يشعر بأن طباعه تم ترويضها ليصبح
أخر.. ضعيف أمام حبها.. لكن ليس بعد الآن..

ارتفع حاجبا مراد للحظات وهو يقول بصوت هادئ لا يخلو من
الصرامة

((لا يعرف أحد من والدي بموضوع زواجي فيايك أن تذكرني
الأمر لهم قبل أن أبادر أنا بفتح الموضوع.. سواء أنت أو سهر

فأنتما الاثنتين اختيار أبي لا أنا.. لذلك كان إصرار كبيرا أن
يكون زواجي هذه المرة كله من اختياري.. وعلى مزاجي..
تماما))

هزت جالا رأسها له موافقة على كلامه وهي تغمض عينيها
تحاول بلا فائدة إيقاف دموعها عن الانزلاق..

تشعر بأنه قد قام باقتلاع روحها من جسدها..

لكن.. على الأقل تعرف أنها ليست سهر من تزوجها..

وما كانت ثوانٍ حتى شهقت لتبدأ البكاء بصوت عالي..

سحبت جسدها الهامد سحبا تحت الغطاء..

وغيرة شرسة ومشاعر أخرى حادة تزلزل صدرها بينما تتكور
على نفسها كالجنين في بطن أمه داخل الفراش وتغطي نفسها
لتنتحب بأسى ودموعها تكاد تخنقها..

كان صوت كل شهقة من شهقاتها يخرج ليكون بمثابة نصل
يغزو روح مراد..

لو فقط تعرف بأنه لم يكن له أي اختيار حقيقي بحياة مراد إلا
هي..

بكاؤها كان قد أهلك قلبه فقام من مضطجعه يسحب نفسه ليجلس
على أريكة بعيدة عن السرير..

تنهد بإرهاق.. ألا يكفي أنه لم ينام لأكثر من أسبوع..

لأنه وبعد أن أدمن هو الآخر النوم بأحضانها بات يستصعب
النوم بعيدا عنها وعن راحتها ولمسها وتقبيلها ودفنها ولكل ما
يخص تفاصيلها..

وعندما استطاع الليلة أخيرا إغماض عينيهِ والغرق بنوم عميق
وجدها قابعة بين أحضانه!

وكالعادة بقي مراد يستمع لبكائها المتقطع ذاك بشهقاتها
المكتومة وأنينها الجريح وهو يدفن رأسه بين يديه..

وكم وآتته رغبة غبية بأن يحضنها ويربت على ظهرها بحنو..
إلا أنه هز رأسه يدفع هذه الفكرة عنه فورا..

عند آذان الفجر وقف من مكانه ليندفع خارج الحجرة صافقا
الباب ورائه ليتوضأ استعدادا للذهاب للمسجد..

بينما أبعدت جالا وجهها المتورم من البكاء عن وسانتها قليلا..

لتقوم من على سريرها وبخطوات مترنحة تدخل للحمام لتتوضأ
هي الأخرى لصلاة الفجر..

دخل مراد شقته عند شروق الشمس واغلق الباب خلفه..

وكالعادة.. اليوم مجددا سيأخذ عطلة من عمله..

من الأساس بات يذهب إلى عمله كزائر أو ضيف فقط..

حتى أن أصدقاءه الذين كانوا يتهمون من غيابه المتكرر من
العمل وكأنه شيء خارق للطبيعة.. باتوا يتذمرون منه الآن..

فهو صاحب المكان والموكل إليه القيام بمعظم الأمور فيه..

لكنه فكر ساخرا أن هذا أفضل لهم ولمصلحتهم حتى يتعلموا
تحمل المسؤولية وعدم الاعتماد عليه بشكل كلي..

بالنهاية هم جميعا شركاء بحصص متساوية تقريبا بالشركة..

دلف للحجرة وكم اسعده هدوء المكان..

رفع الغطاء ليندخّل السرير ويتمدد بجانبها..

مر وقت عليه ليس بقليل حتى عادت تحركاتها وعذاب صوت
نشيجها يعود ليؤرق نومه..

ثم سمعها تبدأ الشهيق بالبكاء بحرقه.. ألم تكتفي بتعذيبه بكائها
لساعات؟

يا رب ارحمه.. لم يعد يحتمل..

التاع قلبه من بكائها الذي لا يتوقف وتحركت عاطفته نحوها
وهي بهذا الضعف..

كم كان يود أن يمد ذراعيه ليلف جسدها ويستسلم أمام كبريائه..

كما كان يود أخذها ليبيت مكنونات قلبه الملتهبة بما يحمله من
عاطفة تجاهها منذ صغره..

هو فعلا لم يعد قادرا على ادعاء البرود والسيطرة..

وجد نفسه بلا إرادة يلف نفسه إلى جهتها يمد ذراعيه ويسحبها
إليه بعنف..

قاومته للحظات وهي تهمس من بين شهقاتها بصوت يكاد يكون
واضحا

((مراد.. أرجوك.. ليس الآن))

لكنه اجبرها على تقبل احتضانه فسكنت إليه ببعض التصلب
بينما تكتم ما تبقى من شهقات بكائها..

شعر بقليل من الراحة لكن سرعان ما فكت ذراعيه حولها بحدة
وقوة وهي تتركه وتخرج من السرير لتتخفص وتدخل تحته..

حرفيا تلك المختلة دخلت تحت السرير لتنام تحته..

تنهد مراد وهو يضطجع على ظهره ويغمض عينيه واضعا
ذراعه فوقهما

((جالا.. اخرجي من السرير))

وعندما لم يجد منها أي ردا إلا بعض الشهقات والنحيب المكتوم
كرر كلامه بصوت يقطر إرهاق وتعب

((أتوسل إليك أن تخرجي من تحت السرير يا جالا.. فقد يقع
فوقك))

ومجددا لم يسمع أي شيء..

فما كان منه إلا تنهد وهو يقوم من مضطجعه ويسقط نفسه على
الأرض ليغط بنوم عميق نال منه رغم صوت بكاءها
المسموع..

=====
=====

شعرت هيام بسعادة بالغة بعد انتهاء ليلة زفافها والذي كان
زفافا فخما وأسطوريا تطلب لأجله الكثير من الإعداد والأموال
بشكل لم تحلم به..

حيث حضر جميع أقاربها وعائلتها من القرية وصديقاتها
وزميلات عملها..

وكان الأمر مثيرا للتفاخر أمامهم جميعا وأمام من لم يؤمن
بحبها هي واحمد..

رغم أنها سعادتها كانت ممزوجة بقليل من البؤس من تفاصيل
أخرى أفسدت عليها فرحتها قليلا..

فمثلا الرجل المسؤول عن الورود تشاجر مع منسق زفافها
وقرر ببساطة ألا يضع الورود بقاعة الزفاف..

وصالون الشعر قام بتأخيرها ساعة كاملة عن الزفاف بلا سبب مقبول..

وجالا أختها والتي كان من المفترض أن تساعدنا بارتداء فستان الزفاف في الفندق لم تأت بل ولم ترد إلا على اتصال واحد من اتصالاتها الملحة تبرر عدم حضورها معتذرة بأنها مريضة وزوجها لا يريد منها أن تحضر من أجل ابنة عمه إيمان..

ولكن بالتأكيد لن تقول هذا الكلام ومشاعرها البائسة لأحمد حتى لا يزعج منها لأنه يعتبره أسعد يوم في حياته..

وهي سعيدة لسعادته.. يكفي أنها أصبحت زوجة له وهي التي لم تتوقع أن تكفل قصة حبهما بالزواج أبدا..

دخلت هيام واحمد احدى الحجرات الملحقة بقاعة الفندق مع بعض الأقارب المقربين وهي تمسك فستان زفافها وزغاريد والدتها ونساء أخريات تلاحق خطواتها..

مع أنه لم يخف عليها أن زغاريد والدتها لم تكن فعليا من قلبها أو نابعة من سعادة داخلية..

فبداخل أمها غصة أنها تزوجت من احمد تحديدا دون الجميع حيث بقيت تحدجها بنظرات العتاب والخيبة..

فوالدته متعاطفة مع إيما بالرغم من كرها الشديد لكل أولاد أعمام والدها وزوجاتهم وأبنائهم..

ولو عاد الأمر لها لربما لم تكن ستحضر حفل زفافها..

كان كل تفكيرها سميحة منحصرًا بجالا التي لم تتصل بها أبدا بل قالت لها وبدون شرح أنها لن تحضر حفل الزفاف وحسب..

لم يزعجها عدم حضور جالا حفل الزفاف بقدر ما أخافها عدم رد مراد على اتصالاتها وعدم طلب جالا منه القدوم إليها..

لكن عليها أن تحاول أن تتواصل معه أكثر بما أن جالا لم تقنعه
كما طلبت منها..

حتى لو تطلب منها الأمر أن تأتي لمنزلهم.. ورؤية تلك الأفعى
روعة..

وعندما كانت هيام هي واحمد الذي كان يبعد عنها خطوات
يتلقون التهنية من هنا وهناك من بعض الأصدقاء والزملاء
الذين لحقوهم للحجرة قبل صعودهما للجناح المخصص لهم
بالفندق..

اقترب والدها فيصل يسلم عليهما مباركا زواجهما بفخر..

فبعد أن كان فيصل أول المعارضين لزواجهما.. بدا اليوم
فخورا بأنه وافق على احمد فما فعله اثبت وبجدارة انه يستحق
الزواج من ابنته..

وأمام فيصل سحب احمد هيام من يدها يلصقها به يقبلها على
خدها ثم يعود بناظريه إلى عيني فيصل قائلا بصدق

((لا تقلق يا عمي.. أعدك أن افعل ما بوسعي لإسعادها طوال
فترة زواجنا))

ارتبكت هيام قليلا وقد تخضبت وجنتاها بحمرة الخجل والحرج
من قبلة احمد أمام والدها وأمام بعض الحضور من حولهم..

فأشاحت هيام بوجهها قليلا عنه وهي تقترب من والدها لتتلقى
أحضانة سعيدة وهي بالكاد تستطيع منع نفسها من البكاء أمامه
وقد دمعت عيناه بالفعل رغما عنه..

وكانه الآن فقط كُفّر عن القليل من ذنبه لأنه سابقا كان هو من
منعهما من الزواج..

ثم اقترب منها راجي مهنئا إياها لتتبعه والدتها وتتلاقها
بأحضانها وهنا لم تستطع هيام أن تمنع نفسها لتنفجر باكياً..

وما عن ابتعدت سميحة وودعت بنتها وخلا المكان من أغلب المتواجدين..

أشار راجي بعينه لسارا أن تدخل وتسلم على أخته هيام بمجرد أن يخرج عمه فيصل من المكان..

فهيام الوحيدة التي تعرف عن زواجه منها وهو يرغب بشدة تعريفها بها..

لم تكن سارا ترتدي فستان على ذوقها.. ولم يكن يكشف من جسدها قدرا يرضيها..

فراجي هو من أجبرها على ارتداء هذا الفستان الذي كان أكثر الفساتين المحتشمة الموضوعة خيارا أمامه.. فارتضت به على مضض..

وعوضت عنه بوضع طبقات ثقيلة من زينة الوجه الموضوعة لها على يد أكثر خبيرات الصالونات احترافا..

فبدت وكأنها فتنة تمشي على قدمين ملفوفة بفستان أحمر قان..

ما إن لمحت سارا الواقعة بقرب الباب خروج عم راجي من المكان حتى خطت نحو أخته بأناقة وهي ترفع ذقنها شامخة بدلال أنثوي..

وشعرها الطويل المصبوغ باللون الأشقر المنسدل خلف ظهرها بلا تصفيف يتحرك مع خطواتها بشكل لافت وخاطف للأنفاس..

ادعى راجي شد انتباهه لشيء آخر وهو يبتعد عنهم حتى لا يثير أي جلبلة وانتباه بأن سارا تخصه هو..

دنت سارا من هيام لتمد يدها عليها ميمتمة ومباركة لها بزواجها ولم تكن تمد هيام يدها عليها حتى شهقت سارا بصوت عالٍ انتشل انتباه من حولها لهم..

كان احمد قد سكب عليها فنجان قهوته الساخن بعد أن تعثر
وهو يسير نحو هيام لتشعر سارا بلسعة حارقة..

شدت سارا على أسنانها بألم وهي ترى القهوة مسكوبة على
كتفها نزولا إلى رقبتها ليُفسد نهاية فستانها..

عدا عن تسرب بعض القهوة عبر قماش الفستان إلى داخل
جسدها..

رفعت سارا وجهها إلى احمد الذي بدا مصدوما ومعتذرا بشدة
لتحدق به للحظة..

ثم وبدون أن يشعر أحد رفعت كفها تصفحه على وجهه فجاءة
بقوة وبكل ما فيها من غضب بعيني محمرتين توشكان على
البكاء إلا أن صلابتها تمنعها..

تقدم راجي واللهفة بعينيته نحوها يطمئن عليها لتتهافت له بصوت
مسموع لمن حولهم وهي تنتظر لأحمد باشمئزاز

((أي عريس أحمق معتوه يطلب أن يحضروا له كوب قهوة
كبيرا وحرارا بعد زفافه مباشرة وقبل صعوده حتى لجناحه))

كان احمد يدحج بنظراته المصدومة تلك الفاتنة الصغيرة التي
صفعته للتو..

وقد كانت ترتدي كعب عالي فتكاد تكون أطول منه بشيء لا
يذكر..

بينما مسح راجي على كتفها غير أبيها لمن يشاهدهم بنظرات
مستهجنة من قربه الشديد والمستنكر من تلك الفتاة السافرة
الشقراء..

وبدون أن ينظر لأحد قال راجي وهو يجر سارا خلفه

((لا بأس تعالي معي.. سأوصلك للبيت))

انسأقت سارا وراءه وهي تلتفت برأسها للخلف تنظر لأحمد
الذي كان يفتح عيناه على اتساعهما لا يكاد يصدق ما حدث
أثناء سيرها خلف راجي بخضوع..

فأبتسمت له سارا بعنجهية بزواية فمها قبل أن تخرج من
الحجرة وتختفي من أمامه..

وكانها بنظراتها تقول له متهكمة بعينها بأنه كان يستحقها حتى
ينتبه المرة المقبلة ويكون أكثر حذرا قبل أن يوقع القهوة على
أي فتاة بغياء..

رمش احمش عينيه بغياء عدة مرات لا يصدق فعلا أنها
صفعته..

من يرى تعابير عيناه اللتان بدأت تتوحشان سيظن بأنه لن يمر
إلا ثوانٍ حتى يلحقها وينقض عليها بضرب مبرح..

ولولا ترويه في تصرفه وعدم تهوره وقدرته على كظم غيظه..

لكان عرف كيف يكسر ذراعها قبل أن تنزل على وجه رجل
عمره قريب لعمر والدها ويخرس لسانها قبل أن تتفوق بما
نفوت به بغير احترام تجاه تصرف منه بغير قصد..

بينما هيام التي كانت أكثر من صُدم بهذا الموقف من
المتواجدين كانت تضع بدهشة يدها على ثغرها..

فما فعلته زوجة أخيها الصغيرة جعل من كرامتها وكرامة احمد
في الأرض وسط من حولهم..

وألحقت بأحمد الذل والعار وهو يتم صفعها من قبل فتاة شابة..

تتفهم أنها تأذت من قهوته التي سكبها عليها عند تعثره بغير
قصد..

لكن أن تصفحه أمام من حولها وتتفوه بتلك الكلمات الوقحة هو
ما لا يمكن تقبله!

نظرت هيام بطرف نظرها يمينا ويسارا لكل من حولها تشاهد
من كان متواجد وشهد على صفة احمد من تلك الحقيرة من
صديقاتها أو زميلاتها..

ستحاسب راجي وستعلمه كيف يتزوج من فتاة بأخلاق فتيات
الشوارع..

بعد ربع ساعة..

حالما اغلق احمد باب جناحهم المخصص لهما بالفندق حتى
استند بظهره للباب وزرقاواه لا تحيدان بعيداً عن هيام التي
كانت تقف على بعد خطوات منه مترققة العينين تنظر لها..

اقتربت هيام منه تضع يدها المرتعشة على وجنته التي تم
صفعها من قبل سارا التي لم تجد أدح يردعها عن إهانتة بهذا
الشكل قائلة لأحمد بصوت متحشرج أسف

((اعتذر لك يا احمد.. تلك الحقيرة هي زوجة أخي.. لكن ماذا
تنتظر من فتاة مثلها متزوجة من شخص يخفي زواجه منها عن
كل عائلته حتى ولو كان موثقاً بالمحكمة..))

ابتسم احمد لها بتعب تلك الابتسامة التي لطالما سحرت هيام
وقد التمعت عيناه رافة عليها ليقول لها عقب أن أمسك وجهها
بكلتا يديه واضعا بشفته قبلة متأنية على جبينها

((انسي ما سبق وحدث بالأسفل يا هيام فأنا نسيته.. الآن.. هنيئنا
لي بك يا زوجتي الحبيبة))

قالها بنبرة عاشق تحققت أمانيه بعدما أنهكه الانتظار وتعب
بالحلم بليلة زفافه على معشوقته منذ سنوات..

كان ينظر لها ويحرق بوجهها بعينين تلمعان إثارة ورغبة وحباً
وشغفاً..

فازدردت هيام ريقها وقلباها يخفق بجنون لا يمنعا من أن تكمل
كلامها السابق بقلق

((احمد لا أستطيع نسيان ما فعلته زوجة أخي بالأسفل.. أريد أن
اتصل الآن..))

ولأنها لم تطيعه وتتوقف عن ذلك الموضوع لم يجد أمامه إلا
أن يلصق شفثيهما ببعضهما بقبلة عاطفية بغتة جعلها تتلذذ بها
وقد امتدت أنامله لتتخلل خصلات شعرها البني..

فصل قبليتهما ليأخذا أنفاسهما..

تطلعت هيام له بذهول بينما تراه يضحك لها بارتعاش وهو
يرخي ربطة عنقه ثم يفكها ليسحبها من ياقة قميصه ويلقيها
أرضاً بإهمال..

وما إن هم احمد بفتح أزرار قميصه حتى اتسعت عيناها بدهشة
ومرح قائلة بابتسامه وبصوت مرتعش

((احمد دعنا نصلي أولاً أيها المجنون))

عاد يمسك رأسها بكلتا يديها يلصق جبينها بجبينه وسبابته
تتحسس فكها قائلاً بصوت مبوح وأنفاس متسارعة

((حسناً.. لنصلي.. الآن فوراً))

قالها ثم بقي ممسكاً لرأسها لينثر قبلاته على وجهها بخشونة
عاطفية.. عينيها.. خديها.. انفها.. جبينها..

وهيام تضحك تفهقه بنعومة على لهفته المجنونة بينما تغمض
عينها..

صلا سويا ثم سرعان ما حلق كلاهما إلى عالم آخر..

=====
=====

أخذت إيمان نفسا عميقا بعدما شربت كأس الماء بعد أخذها
لمهدئ حتى تستطيع النوم الليلة..

منذ أول ليلة سهرة أقيمت بالقرية هنا وهي لا تستطيع النوم
بدون الاستعانة بالمهدئات بعد أن ظنت أنها لن تعود إليها بعد
آخر مرة توقفت عنها..

لكن الليلة بالذات كانت انتكاستها أكبر فهي ليلة زفافه وزواجه
من حبيبة الماضي التي أقام لها حفل ضخما بأحد أفخم الفنادق
بالعاصمة..

لم تكن معتادة على حضور حفلات زفاف فخمة ومكلفة لذا لم
تهتم في الماضي أن يكون حفل زفافها فخماً.. كان بسيطاً جداً..

لكن الآن ورغما عنها بدأت بمقارنة حفل زفافها الذي أقامه لها
احمد بحفل زفافه من هيام الليلة..

استلقت إيمان على سريرها بإنهاك عقب أن أفلت الضوء وباب
غرفتها..

لا تزال لا تصدق أنها تزوج هيام وانتهى الأمر.. لا تصدق أنها
تركت امرأة أخرى تحتل أرضها كاملة لا مناصفة..

على كل حال.. سواء قبلت بزواجه أو تطلقت كما فعلت الآن..

فبكلا الحالتين هي قد خسرت حياتها معه.. وبلا ذنب..

صحيح أن قلبها خلا ورغما عنها مما تبقى من أي مشاعر له..

ولكن ما زال يؤلمها ارتباطه بغيرها.. يؤلمها جدا..

بحسرة وبؤس عادت تسأل نفسها بماذا أخطأت لتخسر كل
حياتها الزوجية هكذا؟

لا تعرف ما إذا كان طبيعة ما تفكر به هو تملك أم لا كونها لا
تملك له أي مشاكل..

لكنها تقسم أن جلدتها بسياط من نار كامرأة هو أهون عليها
وارحم من مجرد فكرة تخيل انه سينام الليلة بحضن غيرها..

=====
=====

بعد يومين..

كانت إيمان بمكتب مدير المدرسة السابقة التي كانت تعمل بها
تقوم بأخذ بعض الأوراق المهمة..

وبينما كانت منهكة بتنظيم وترتيب الأوراق التي أخذتها توا
وقف المدير خالد من مكانه ليدور حول مكتبه متجها نحو الباب
يغلقه عليهما لتتنفض إيمان من مكانها شاهقا بدهشة وهي تقف
مكانها قائلة بشراسة تنظر له بعينين جاحظتين

((عفوا أستاذ خالد.. لماذا أغلقت الباب علينا؟))

تنحنح خالد ببعض الحرج وهو يتقدم منها ويجلس على الكرسي
المقابل لها قائلا وهو يمد يده

((أرجوك اجلسي قليلا يا مدام إيمان))

طالعته بشراسة أكبر من السابق هاتفة بصوت عالٍ

((أشكرك ولكني مرتاحة هكذا..))

قامت بعبوس شديد بتجميع باقي الأوراق تضعه بالمغلف..

همت بالابتعاد عنه متقدمة نحو الباب ليقف خالد من مكانه قائلاً
بلهفة

((مدام إيما انتظري قليلاً.. أنا.. أنا.. كنت..))

وقبل أن تمسك إيما مقبض الباب استدارت نحو هاتفه بجمود
وصرامة وهي تعقد حاجبها

((نعم أستاذ خالد.. تحدث بلا أي مقدمات))

أخبرها المدير خالد بابتسامه بدت مثيرة للاشمزاز لها

((أنا سبق وسمعت عن طلاقك.. وأردت أن أعرض عليك
الزواج.. فأنا يشرفني أن تكون سيدة رقيقة وجميلة مثلك زوجة
لي..))

قاطعته هاتفه بصدمة لا تصدق أن هذا العجوز أمامها والذي
لربما أصغر أبنائه يكبرها عمراً يعرض عليها الزواج

((ماذا؟ ولكن؟ ولكن يا أستاذ خالد أنت متزوج بالفعل..))

أجابها خالد موضحاً

((نعم اعلم.. ولكن زوجتي موافقة.. كما أن بيننا مشاكل كثيرة
وهناك ظروف أخرى لا أستطيع شرحها الآن..))

نظرت له إيما باشمزاز وهي تفغر شفتيها قليلاً منفعلة تنوي
التحديث..

إلا أنها سيطرت على نفسها وأغلقت فمها فوراً قبل أن تقول له
بحدة وتوبيخ

((شكراً على عرضك ولكنه مرفوض.. وإياك أن تفكر
بالاتصال بي أو التواصل معي بأي شكل آخر بشأن هذا
الموضوع أو بغيره.. فأنا سأسافر للخارج قريباً))

أنهت حديثها متممة ببعض الشتائم له وهي تستدير للخلف
بسرعة تفتح الباب وتخرج منه صافقة الباب خلفها بعنف..

لقد سمحت له بتجاوز حدوده معها فتجراً هكذا..

كان عليها من البداية إيقافه عند حده..

عند حلول الليل..

كانت إيمان مستلقية على ظهرها على بساط أخضر ملاً مرأى
العين في أحد الروابي التي تمتلكها عائلتها..

رفعت عينها لتحديق في السماء العالية والظلام ينتشر حولها
فتنعم برؤيتهم تلك النجوم المتناثرة بجمال خلاب أفضل من
رؤيتهم عندما كانت بشقتها الزوجية بالمدينة والتي تغرقها
الأضواء بكل زاوية منها..

بدا الجو جميلاً ونسيم الليل عليلاً..

سما الليل رائعة في كل وقت حيث من ينظر لها يشعر
بالمهابة الحقيقية أمام هذا الصنع البديع..

النظر لهذه النجوم لا يُمكن بالتأكيد أن يحقق لها أحلامها وما
تتمناه..

ولكنه يخبرها بمدى صغر وتفاهة هذا العالم ومشكلاتها معه..

أغمضت إيمان عينها لعدة لحظات تغمرها السكينة من المكان
حولها لينبع قلبها الوحيد بالأنس..

فدمعت عيناها لتتزلق على وجنتها ببطء امتناناً لكل النعم من
حولها والتي تغفل عنها..

كل ما حولها الآن كان يعطيها بعض اليراح ليدفعها للصدق مع ذاتها بدرجة أكبر..

فتحت إيمان عينها فجاءة مجفلة على شخص يخطو نحوها قبل أن تتوقف خطواته ويستلقي بجوارها قائلاً بتهكم

((هل يمكن أن احصل على شرف الاستلقاء بجوارك؟))

مدت يدها تمسح أثر دموعها الغير واضحة لتقول له بمرح

((أنا مشغولة فقط بالتحديق بالنجوم..))

همهم أسامة بابتسامة دافئة

((فعلاً؟))

عادت تنظر للسماء وهي تضع كلتا يديها تحت رأسها تخبره بصوت أجش

((اصمت قليلاً وارفع رأسك الآن فوقك تماماً لكن إلى الجنوب قليلاً..))

رفع أسامة رأسه للسماء لترفع إيمان أحد يدها تشير بإبهامها لمكان بالسماء وهي تقول موضحة

((ما يميز سماء الليلة هو تلك النجوم الثلاثة التي تصطف معاً.. لن تستطيع رؤيتها كما تراها الآن إلا في سماء حالكة كهذه..))

ثم أعادت يدها تحت رأسها تسترسل

((لكن رغم ذلك سترى نجوم الكوكبة بوضوح شديد حتى في أكثر المدن إضاءة..))

ظل أسامة صامتا للحظات وهو يتأمل النجوم..

قبل أن يستلقي بجسده هو الآخر متنهدا باستسلام ليقول وهو
مستمر بالنظر للسماء

((إيما أنا لا اقصد أن أكون قاسيا معك.. لطالما كانت شخصيتك
وأسلوبك هادئين ومتزنين.. اعرف أن الموضوع شائك جداً..
لكن أعرفني أنه ليس مطلوباً منك تحمله إذا كانت لا تطيق
الأمر.. أنا معك في أن هدم البيت ليس بالشيء السهل وأن
عليك أن تفكري كثيراً.. يمكنك الاستمرار على قرارك
بالبطاقة.. ولكن إذا تراجعتي وفكرتِ بالبقاء معه.. عليك أن
تعي أن هذا قرارك.. ولا يصح أن تملئي الدنيا صياحاً وتظلماً..
لك مطلق الحرية بالتفكير بالأمر.. سواء بالبقاء أو لا.. لكن
أرجوك كفي عن وضع نفسك بخانة الضحية لمدة طويلة..))
نظرت إيمان له ملتفة بابتسامة واسعة بدفء قبل أن تتسع
لتضحك بخفوت عليه..

لترد عليه

((لا بأس أخي.. لقد رفضت وانتهى الأمر.. لا أريد التفكير
بالموضوع أكثر.. تطلعت وسأمضي قدما بحياتي..))

التفت إليها بعبوس وهو يهتف بدرامية

((هل أنت متأكدة؟ ستصبحين امرأة مطلقة بمجتمع لا يرحم))

قهقهت قليلا على كلامه.. لتتغير ملامحه للجدية قائلاً

((ولكن قبلاً.. ادرسي الموضوع من كل الجوانب.. هل
ستتركين تلك الدخيلة تنعم بكل ما بنيته وبكل تعبك أنت
وزوجك بتحصيل الأموال طوال هذه السنين؟ أعني صحيح أن
كل أملاكه كانت بمرتبته هو الذي كان يفوق مرتبك بأضعاف..
لكن يبقى لك فضل قليل بكل هذا))

أجابته إيمان بوجه خال من التعابير إلا من بحاجبين معقودين

((هو لا أنا من سمح لتلك الدخيلة بالدخول لحياتنا.. بكل الحالات سنتعم من تعبنا أنا وإياه.. لذا ما بوسعي أن افعل؟))

قال أسامة لها مقترحا

((كنت أفكر أن أخبرك أن تعود لي له.. لتجربي أن تعيش معه ومع هيام لفترة من الوقت.. ربما تتقبلين الموضوع..))

لكن إيمان أجابته بملا يقبل النقاش

((لا يا أخي.. لا أقدر أن أبقى على ذمته.. أنا امرأة غيرورة جدا.. أصبح كالمجنونة عندما اشعر أن زوجي يفكر بأخرى حتى مجرد تفكير.. اشعر أنني لم اعد أنثى قادرة على السيطرة على حياتي مع زوجي.. كما اشعر أن كرامتي قد تعرضت للإهانة كامرأة وأن زوجي لم يعد يهتم بي.. وأن حولني إلى مجرد رقم ثان في حياته.. رغما عني تنور بداخلي حاليا مشاعر الكراهية تجاهه.. والإهانة والذل.. كما أنني حاليا اشعر أن احمد ليس هو الرجل الذي يستحق الاحترام.. ولا يستحق أن أبقى معه.. ولا أن أضحي من أجله.. ربما لا تصدق لكن الآن ليس من المستبعد أن افعل أي شيء يجعلني اشعر أن كرامتي عادت إلي.. أو أنني ثرت لنفسي كأنثى.. فانا لا أتحمّل ابتعاد احمد عني هربا لامرأة أخرى.. ولكن كما قلت ما باليد حيلة.. علي أن استسلم وأنساهم وامضي بحياتي قدما))

هز أسامه رأسه يخبرها منتهدا

((القرار لك أولا وأخرا.. ولا تنسى الاستخارة والدعاء.. وعلى كل حال وقد مر كل هذا ومضت الأحداث على غير ما تحبين.. لكن يبقى لك من نعم الله ما يملأ حياتك راحة ورضا.. وهو عدنان.. لا تنسى وجوده في ظل هذه الأحداث المتوالية والمؤلمة.. فهو يقترّب من عمر البلوغ الآن.. إنسي كل شيء يؤلمك وتوليه بعنايتك ورعايتك..))

أجابته إيمان مبتسمة بدفاء وحنان

((لا تقلق.. لا يوجد شيء اهتم فيه أو أفكر به هذه الأيام إلا ابني.. سأمنح عدنان من العطف والحنان ما قد يفقده بغياب والده وانشغاله بزوجته.. لكن لا اسف على فقدانه كاب.. زواجه كان سيجعله أساسا يضطر لتقسيم وقته بين عائلتين.. ما يقلل من الوقت الذي كان سيقضيه مع عدنان بهدف التربية والتوجيه إلى جانب خفض نسبة مصروفه علي.. خاصة عندما يشرفون أولاد حبيبته..))

قال لها أسامة يرفع حاجبيه بقنوط

((محبته لهيام من الواضح أنها محبة طاغية.. وللأسف من الواضح انه غارق في حبتها.. وقد أعماه عن الكثير من الحقائق وصدّه عن واجباته والتزاماته.. ولكن هذا قراره بالنهاية وهو المسؤول عنه.. اعتبريه قد مات.. وابدئي حياة جديدة من دونه..))

أجابته بعزم وثقة ممزوجا بالنفاؤل

((نعم هذا ما سأفعله من اللحظة التي تنتهي عدتي بها..))

هي متأكدة بأنه سيأتي يوما يخبرها ويؤكد لها انه كان يخترع لنفسه حججا واهية وأسبابا كثيرة للزواج من هيام..

وان احتياج حب هيام كان احتياجا وجوعا وهميا..

متأكدة بأنه سيعترف لها يوما ما أنه أخطأ وكان يخدع نفسه بأنه سيكون أسعد إنسان مع غيرها..

وزواجه من هيام ما كان إلا إعادة مراهاقة وشباب الجامعة مجددا وحسب..

ولكنه لم يكن يعلم أنه يلعب بالنار.. ولم يكن يعلم أن خسارته لبيته الأول خسارة فادحة لا تعوض..

هي متأكدة انه سيدوق الويل عند زواجه من هيام..

سيعرف انه ما كان مبتغاها هي وعائلتها إلا الطمع وما كان
رجاها إلا النهب والسلب بعد أن أصبح بوضع مادي ممتاز..

لكن هل سننتظره لحينها؟ بالطبع لا..

نعم هي واثقة انه سيندم.. لكن للأسف لن تكون موجودة لرؤية
ندمه..

ستغادر هي وابنها بعيدا عنه.. ستنساه وستقطع كل شيء له
علاقة بالماضي.. وستمنح نفسها بداية مشرقة جديدة..

ما زالت بنهاية عشريناتها.. ما زالت صغيرة وما زال العمر
أمامها.. ولتنسى كل من أذوها..

بالنهاية كل ساق سيسقى بما سقى.. لتدع القدر ينتقم لها..

وانتقامها هي سيكون بأن لا تفكر ولا تهتم إلا بنفسها وبأبنها
حصيلتها الوحيدة من هذا الزواج..

=====
=====

اغلق مراد باب شفته خلفه منتهدا..

طوال الأيام الماضية وهي لا تفعل شيئا إلا البقاء أسفل السرير
والبكاء..

ومهما توصل لها أن تخرج ترفض ذلك بعناد شديد وبدون أن
تتفوه بحرف له..

لكنه استطاع مداراة كل اضطرابه وقلقه عليها قليلا عندما
عرف أنها وبمجرد خروجه من الشقة تخرج من أسفل السرير
عدة مرات للصلاة أو الاغتسال أو تناول كسرة خبز تبقىها على
قيد الحياة..

دلف مراد لـحـجـرة نـومـهـما يـشـعـل الضـوء هـامـسا بـاسـمـهـا يـنـادـيـهـا
عـدة مـرات ..

و عـندما لـم يـصـلـه رـد أو صـوت حـركـتـها عـرف بـأنـهـا نـائـمة
بـالفـعـل .. فـتـنـهـد بـإنـهـاك أـصـيـح مـلازـم لـه ..

لـكـنـه شـعـر بـالـرـاحـة فـبـالـرـغـم مـن أن الـوقـت مـا زـال بـاكرـا ..

لـكـن النـوم أـفـضـل لـهـا مـن البـكـاء لـسـاعـات طـوال ..

اـخـفـض مـراد جـسـده يـجـثـي عـلى قـدمـيـه بـمـحـاولـة جـر هـا و سـحـبـهـا
مـن تـحـت الـسـرير بـلـطـف ..

و بـحـركـة سـريـعة حـمـلـها بـرـفـق فـتـعـلـقت بـجـيـده نـصـف و اعـيـة
لـيـرـيـحـها فـوق فـراش الـسـرير ثـم يـعـدـل مـن و ضـعـيـتـها لـتـرتـاح أثنـاء
نـومـهـا ..

و قـف مـكانـه يـحـدق بـمـلامـحـها المـجـروحة الـتي تـعـذبـه بـنـظـرات
حـزينة بـائـسة ..

تـأمـل انـتـفـاخ و تـورم مـا حـول عـيـنـها و كـيـف يـرتـعـش أنـفـهـا المـحـمر
بـأنـفـاس خـافـتة قـصـيرة ..

أـما صـدرها فـلا حـظ كـيـف كـان يـتـأجـج و يـنـقـبـض كـأنـه عـصـفـور
جـريـح يـرتـعـش و يـنـتـفـض ..

مـد أنـاملـه لـيـلامـس و جـنـتـها النـاعـمة المـبـلـلة بـالـدمـوع لـيـمـسـحـها بـرقة
لا يـفـكر إـلا الرـغـبة بـإزـالـة كـل هـذا الـيـؤس الـساكن بـتـقاسـيم
و جـهـهـا ..

أـحـنى رأسـه نـحوها يـأثم كـل عـين مـن عـيـنـيـهـا بـقـبـلة عـمـيقة يـشـبع
جـوع قـلبـه لـه و هو يـبـيـث مـن خـلالـها اسـفـه عـلى جـعـلـها تـبـكي
بـسـبـبه ..

ثم مال يقبل جبينها ووجنتيها وشفته تلمسان توهج وحرارة
وجهها المحترق جراء دموعها المنسكبة عليه لأيام وساعات..

استقام بيتعد عنها ليخلع ملابسه ويدخل الحمام ليأخذ حماما
سريعا..

بعد دقائق انتفضت جالا فزعة من نومها تنظر حولها لتجد أن
ضوء الحجرة وستائرهما مغلقة..

ولحظات مرت عليها حتى تبين لها أنها تستلقي فوق فراش
سريرها لا تحته.. فالظلام حولها معقول وليس مخيفا..

لا بد أن مراد وصل للشقة ووضعها هنا وها هو الآن يستحم
بالحمام الملحوق فصوت المياه المتدفقة يصل لأذنها..

رفعت يدها لرأسها تلامسه وهي تشعر بشيء حاد يخترقه شيئاً
قشياً حتى بدأت تشعر بألم شديد يسري في جسدها فتأوهت
وهي وتغمض عينيها بشدة..

أبعدت شعرها عن وجهها بإعياء بعد أيام وليالي لا تنام فيها ولا
تأكل جيدا..

ثم عادت تستلقي ببطء على ظهرها وهي تحديق في السقف
بعينين منهكتين حتى عاد النوم لها لتغمضهما..

لم يكن نومها عميقا بل استمر لعدة دقائق ومع ذلك كان مزدحما
بكوابيسها..

كوابيسها التي كانت تتضمن هروب مراد من الشقة وعدم حبه
للجلوس فيها وكأنه يريد نفاذها وعدم رؤيتها..

وكانه لم يعد يأبه أو يتأثر لبكائها..

وذلك وباختصار وبلا أي شك انشغال كل عقله بعروسه
الجديدة..

طوال الأيام الماضية وهي غارقة بتفكيرها العقيم الذي لا يقودها إلا للظلام وهي تفكر بشكل وشخصية تلك المرأة التي عقد قرانه بها..

وما طبيعة حديثه معها على الهاتف.. فبال تأكيد هو لا يحب دخول المنزل حتى لا تسمح أحاديثه معها..

أما ماذا سيفعل معها عندما يقرر تفعيل زواجه منها..

فإلى هذا الحد تقف كوابيسها لتجعلها تستيقظ من نومها منتفضة بعنف وهي تضع يدها على صدرها..

انتبهت على مراد يخرج من الحمام مرتدياً مآزره فحركت عينها تنتظر له لتقابلها بنديقيته المهترتان رغم جمود ملامحه التي لا يظهر عليها أي تأثر بمظهرها البائس قبل أن يأخذ ملبسه من دولابه ويندفع للخارج..

وبدون تحكم عادت تلك التخيلات وكوابيسها تمر من أمامها..

فبدأت التنفس بعمق لتمنع نفسها من البكاء الذي يضغط على صدرها ويخلق أنفاسها..

تريد الاستمرار بالبكاء لترتاح من خلاله.. لكن يكفيها لهذا اليوم.. الاستمرار بالبكاء سيزهق روحها..

أغمضت عينها بألم تمنع تمرد عبارتها من محبسهما وهي تشعر بالفعل كأن روحها تخرج من جسدها وقد تباطأت ضربات قلبها واختنقت أنفاسها في صدرها..

أخذت تلوح بكفيها وتضرب صدرها طلباً للهواء..

قبل أن تجد ذراعي مراد تطبقان حولها وهو يحتضنها مقرباً شفاته من منها قائلاً بهمس

((تنفسي جالا.. تنفسي.. اهدئي.. اهدئي وتنفسي حبيبتي))

حاولت جالا التنفس عدة مرات حتى استطاعت أخيرا تنظيم
أنفاسها..

مرت دقيقة عليها وهي تتنفس براحة ليرفع مراد يده لرأسها
يقربه لصدره هامسا بحنان

((إذا أردت البكاء فابكي وارتاحي على صدري.. فقط على
صدري أنا))

أجابته بصوت خافت منهك حمل الكثير من السخط حد أنه جعل
الضعف الذي يسكنها يتلاشى مؤقتا

((لا يهملك إذا بكيت أو لا.. المهم أن يكون على صدرك وألا
ارتاح إلا عليه فقط حتى أبقى ذليلة وبحاجة إليك دائما))

قالت كلماها بقهر ينبع من داخلها..

لماذا؟ لماذا فعل بها هذا بعد أن أمدنت وجوده بجانبها؟

هل يريد لها أن تتعلق به أكثر قبل أن يعاود طعنها مرة أخرى؟

انتزعت جالا نفسها من ذراعيه بقوة وعنف لتتظر له بعينها
بشرر فتجده ينظر لها بجمود وبنظرات جوفاء عميقة..

نعم هو يريد لها أن تراه هو كل العالم بالنسبة لها..

وأن يكون بجانبها بصفته زوجها وأبيها وأخيها وصديقها
وعشيقها..

صمت للحظات وقد لانت ملامحه قليلا وهو يحرق بتقاسيم
محياتها وبرقت عيناه بندم شديد لحالها..

فالبؤس والبكاء لا يليقان بها.. والانطفاء بعينها لا يناسبها..

والحزن الذي يظهر على وجهها ويخرج من عينها يفقدها
تألقها..

وقد أصبح لون بشرتها باهتا من الجوع والوهن والتعب
والأسى..

فهي لا تنام إلا وهي تفترش وسادةً تملؤها الدموع الحارة..
وكل هذا يؤذيها.. ويؤذيها معها..

فلا يود إلا أن تعطيه فرصة ليربت على قلبها..

أحد مراد نفسا بإنهاك وقد علا التردد والندم تقاسيم وجهه ليقول
لها متنها بثقل لم يعد يحتمل وجوده على صدره وهو يمد يده
لكنفها

((جالا.. أريد الاعتراف لك بشيء ما..))

قاطعته بحدة وهي تبعد يده بقوة عن كتفها..

نظرت جالا له قائلة بشجن مؤلم

((من الآن وصاعدا إياك أن تفكر حتى بلمسي أو الاقتراب
مني))

تجهمت ملامح مراد ثم بدأ يرشقها بنظرات شرسة من حدة
ردها ومن إلقائها بكلماتها التي كانت كالنيران في صدره..

ثم قال باختناق وهو يراها بعناد تخرج من السرير وتخفض
جسدها لتعود وتستلقي أسفله

((حسنا.. كما تشائين))

=====

رحبت إيمان بإحدى جاراتها سابقا والتي كانت متأكدة من أن
احمد أو أحد من أفراد عائلته هو من أرسلها لكونه يعرف
معزتها عندها..

وبعد دقائق من الإصغاء لكلامها العذب اللطيف وإطرائها
الجميل المحبب بما أضفى المزيد من الشعور بالمودة والراحة
بينهما..

هدرت لها إيمان بابتسامة عذبة رغم ألمها

((أنا من يجب أن أرحب بك يا خالتي.. أهلا بك وبهذا القدم
الطيب.. صدقيني منذ أن انتقلت للعيش ببيت أهلي وأنا افتقد
وجودك.. لا حرمننا الله من وجود أمثالك..))

ابتسمت المرأة لها.. ثم تنحنت تجلي صوتها قبل أن تقول
ببعض الارتباك أمام عينا إيمان المترقبان

((لا أدري ماذا أقول لك وكيف أدخل بالتفاصيل.. فلا بد أنك
تعرفين سبب مجيئي ومن أرسلني.. لكن أود أن تعلمي أنه ليس
الهدف مما أقوله لك أن أقتنعك بالرجوع.. لا.. ولكن جئت
لتهدئة نفسك في مواجهة الأمر الصعب ما دمتي لا تملكين
تغييره.. صدقيني إنك يا إيما غالية على قلبي.. ونصيحة لك من
إنسانة تحبك تحكمي عقلك.. وتذكري أن أحب ما يكون
للشيطان افتراق الزوجين.. وأنا لا أريد لك بالتأكيد إلا حياة
أفضل وسعادة أقرب وأن أساعدك..))

تمتمت إيما لنفسها متنهدة ومتسائلة بصوت غير مسموع

((منذ متى أصبح جلد ذات وإجبارها تحمل مالا طاقة لها به
قوة؟))

لكنها رفعت وجهها متنحنه بإجراج وهي تغضبُ ابتسامة

((اعذريني لكننا تطلقنا وهذا الأمر نهائي.. لا أستطيع أن أعود
له فمشاعري غير قابلة للتجزئة.. فإما أن يكون زوجي كل
شيء في حياتها.. أولا يكون على الإطلاق.. كما أنني وبعد أن
تزوج لم اعد احبه))

عارضت المرأة كلامها قائلة بلطف

((أخالفك الرأي يا إيما.. إما أن يكون أو لا يكون.. هذا منطق
الديكتاتوريين.. صحيح الأمر ليس سهلاً.. ولكنه ليس
بالمستحيل.. وصدقيني أنه متى ما وقر في القلب حب فهو لا
يُمحى.. حتى لو انزعجنا ممن نحبه ومن تصرفاته فإن المحبة
تبقى جذورًا راسخة فينا..))

أخفضت إيمان ظهرها قليلاً تشبك يديها قائلة بشرودها الجميل
((الحقيقة انه لطالما شعرت أن حياتنا معاملة ورتيبة.. فقط
عندما أحسست أنني سأفقدته بدأت اشعر بأهميته بحياتي واكتشفت
أنني احبه.. لذلك بذلت أقصى جهدي لأمنعه من الزواج ولكنه
رفض وكل محاولاتي باءت بالفشل.. أما الآن ومع مرور
الوقت بدأت أتأكد من أن عاطفتي انتهت تجاهه باللحظة التي
قرر الزواج.. ربما كلامك صحيح بأننا لا نستطيع أن نكره من
نحب حتى ولو اخطؤوا بحقنا.. ولكن هذا لا يعني أنا سنبقى
بحياتهم..))

لعمت المرأة الجالسة أمامها شفتيها بإجراج وهي تعود تكمل
حديثها

((أقول لك مجددًا.. صدقيني ليس هدفي إقناعك بأهمية عودتك
له فهذا أمر لا يخصني.. ولكن هدفي أنه ما دام أن هذا الأمر
المؤلم قد وقع أن أسدي نصيحة أم لك.. أستطيع أن أرى أن
عينك تفقد بريق الحياة.. وأنا لا أريد ذلك لأمره جميلة مثلك..
ولا أتحمّل أن يغشاك حزن عميق أو هم ثقيل.. لذا دعيني
أخبرك يا عزيزتي وقبل كل شيء.. دعني في اعتبارك أن أبا
عدنان يحبك ولا يريد مفارقتك.. أنت غالية على قلبه وأم ولده
الوحيد.. هو لم يتزوج هروباً منك أو كرهاً لك أو تخلصاً منك..
لا تظني أن نفسه عافتك..))

ثم أشارت بيديها مسترسلة

((بالتأكيد لك كل الحق في مشاعرك.. ولكن نصيحة مني.. لا
تتمادي في هذه المشاعر.. أعطي نفسك حقها في الغضب

والاستياء والحزن.. لشهرين أو ثلاثة ثم حاولي أن تتوازني من جديد وكوني صبورة.. ومهما قيل لك عن حبه لهيام.. فهذا لا يمنع انه يحبك أيضا.. وعلى العكس.. قفمة السداجة ترك كل شيء لها تنعم به وحدها وتأخذ حقا))

توسعت عينا إيمان على كلامها لتستطرد بحرج وإرباك موضحة

((الحقيقة أنا أسفه للتدخل بما لا يعنيني ولكن لقد أخبرني الدكتور احمد عن كل الأحداث الأخيرة التي حصلت بينكما.. أنا متأكدة انه وقع في نفسك انه زهد بك بعد تزوجها وان هيام قد غيرته وسلبت ليه وأنسته إياك.. لكن هذا ليس صحيح.. وهو بالتأكيد لم يتعمد أي شيء أخرج سق وقام به))

كانت لا تزال إيمان ترشقها بشراسة.. وكم ودت أن تصرخ بها أنه لم يعد زوجها..

فعليها أن تتوقف عن الإشارة لأحمد بأنه زوجها بكل ثانية أثناء حديثها قبل ألا تستطيع التحكم بنفسها وصمتها أكثر..

تملصت نظراتها من أمام إيمان وهي تقول بخفوت يفيض إحراجا

((لذا ولو حصلت فرصة أن ترجعي له وتلبي إلهامه فأرجعي يا غاليتي.. هذا زوجك وحبيبك ومن مثله لا يترك وخاصة بينكما طفل رائع.. هذه الروح الصغيرة يجب أن يُنظر إليها نظرة أنصاف..))

ارتفعت زاوية فم إيمان بسخرية غير ظاهرة.. تعود له؟

على الجميع أن يكونوا ممتنين أنها لم تفسد الحفل لتثير غضبهم وتشعل بهم النار كما كانت تشتعل نار الغيرة في كبرياتها وقت زفافها..

لكن ما يجعلها تصبر بأن هذا العذاب كله سينتهي معظمه عندما
تسافر للخارج خلال اقل من شهر..

قالت إيمان باحترام وبابتسامة

((توقفي أرجوكِ عن المحاولة.. لقد استيقظت من غفلي
وأبصرت فيه ما لم أكن أبصره بعين حبي.. والحمد لله أبي
وإخوتي وبعض الأصدقاء يقفون معي.. لذا أنا لا أشعر
بالانكسار))

عقدت المرأة أمامها حاجبيها مستنكرة

((حتى ولو وقفوا الآن معك.. لكن سرعان ما سيسأم الجميع
شكوتك سواء كانوا من عائلتك أو لا ويتركوك تعانين الوحدة
والحرمان ليعودوا إلى دفء بيوتهم.. صحيح من السهل أن
تتخذني قرار البعد.. ولكن الأصعب أن تستعيدي زوجا مثله
أحاطك بكل ما تحلم به زوجة..))

رفعت إيمان لها احدى حاجبيها باستنكار اشد..

أي زوج هذا الذي هو حلم كل زوجة؟

لوت طرف شفقتها بحسرة..

هل تقصد احمد الذي تفنن بتعذيبها بشتى أنواع العذاب
وأصلاها الجحيم قبل انفصالهما؟

وكل خلية من جسدها ترتعد بعنف مضطرب وكل المواقف
التي كانت بينهما تظهر أمامها..

تململت المرأة مكانها لتضع قدح القوة أمامها قائلة أخيرا
بخفوت يفيض إحراجا

((حسنا إذا لا أجد إلا أن أقول لك.. حفظك الله وسدد خطاك
وأقر عينيك برضاه وتوفيقه.. لا املك فعلا أن أقول أكثر من
هذا.. سأدعو لك دائما بهداة البال يا عزيزتي..))

ابتسمت لها إيمان مجددا قائلة وهي ترحب بمغادرتها بلطف
ظاهري

((بارك الله فيك يا خالتي الغالية..))

ليلا استعادت إيمان زيارة جارتها بعقلها..

إذن الدكتور احمد لا زال يريد عودتها؟

ولماذا؟ من أجل أمور تصب لمصلحته.. لا شيء إلا
لمصلحته..

التصقت بطفلها عدنان النائم بقربها بعد أن حكّت له قصة ما
قبل النوم تحتمي به وهي تؤكد على نفسها بأنها ليست مضطرة
أن تبقى وان تتحمل حياة لا تريدها..

خاصة وخطوات قصيرة تفصلها قبل مغادرتها هي وابنها
لوالدتها بالولايات المتحدة الأمريكية..

=====
=====

ارتبكت هيام فجأة وأخذ قلبها يخفق بسرعة قبل أن تهم بفتح
الباب على احمد..

أخفضت يدها التي كانت ستفتح بها الباب لتبقى واقفة مكانها
ترهف السمع لحديث احمد على الهاتف الذي يتعمد إخفاء هذا
النوع من المكالمات عنها قائلا بهمس

((إذا هي ترفض العودة؟))

وصله صوت المرأة على الهاتف

((يا احمد أنت مثل ابني واعز.. وانا فعلا حاولت إقناعها لكنها
مصممة))

مرر احمد أنامله خلال خصلات شعره القصيرة مبعثرا إياه
بكل يأسه وإحباطه وهو يخبرها بمرارة متنهدا

((حسنا يا خالة.. لقد فهمت.. شكرا لجهودك..))

قالت له المرأة بصدق

((لا شكر على واجب يا ولدي.. لكن تمنيت لو تقتنع فعلا
بكلامي وتعود لك.. فأنت وهي كلاكما رائعين وفعلا لا أتمنى
طلاقكما من كل قلبي))

وقبل أن يغلق احمد الهاتف استجمع احمد كلماته بصعوبة
هامسا بما يعتمل في صدره من خيبة وإحباط

((لا بأس.. كل شيء نصيب))

وكم كانت الغيرة تآكل هيام وهي تراه ولأكثر من مرة بشهر
عسلهم يتواصل ويتحدث على الهاتف مع تلك المرأة جارتهم..

فقد طلب منها أن تزور إيمان وتحاول التأثير على قرارها
بالتراجع..

وبصعوبة جاهدة حاولت هيام أخذ نفس عميق لتهدأ قليلا..

ثم أخبرت نفسها بألم وواقعية مكررة..

بأنه ولو عادت إيمان لأحمد فعلبيها ألا تنزعج كثيرا فهي قبلت
من البداية به وهي تعرف أنها زوجته..

وكما أنها لا تريد أن تخرب بيئته..

ولو أنه وبكل صراحة وبعد أن اعتادت لفكرة أن إيمان تطلقت
وتحررت منه وأصبح احمد كله ملكها بدأت تجد صعوبة بتقبل
فكرة عودتها له..

ومهما أنكرت الأمر أمام نفسها لكنها بالواقع تكاد تبتهل بالدعاء
أن تبقى إيمان على قرارها ولا تعود لأحمد..

عادت هيام تأخذ عدة أنفاس تمنع فيها عيناها من البكاء..

ومن ثم اغتصبت ابتسامه وهي تفتح الباب لتدلف للحجرة..

خرج احمد الشارد من أفكاره ليتطلع لها وهو يراها تدلف إلى
الداخل بخطوات بطيئة وهو يلاحظ ارتجاف يدها الحاملة
لصنيه الحاملة لقهوتهما..

توقدت عيناه بولع الحب وقد نسي موضوع إيمان وهو يرشقها
بنظرات جريئة تجردها من ثوبها الأنثوي الطويل بلا حياء..
ولم الحياء؟ أليست زوجته؟

ما إن وضعت هيام القهوة على الطاولة حتى جذبها احمد نحوه
لترتمي عليه ضاحكة بدلال وهي تراه يعتصر ضلوعها في
أحضانها..

عارضته بافتعال من بين ضحكاتها المنجرعة نشوى من الفرح
اللذيذ

((توقف.. توقف يا احمد.. دعنا نشرب القهوة أولا على الأقل))

إلا أنه أبى ذلك وهو يهمس أمام شفيتها بثمالة وشفافة

((بعد قحط وجفاء هذه السنوات إياك أن تقولي لي "توقف"..
هذه الكلمة محضورة هنا.. هل تفهمين؟ منذ أكثر من ستة عشر
سنة أي أول مرة وقعت بحب هيامك وأنا احلم بهذه
اللحظات..))

تأففت بافتعال أخره وهي تدفعه عنها بلطف.. قائلة بدلال عقب
أن قبلت شعره

((حسنا ولكن دعنا نحتسي قهوتنا أولاً يا احمد قبل أن تبرد))

فأطلق سراحها لتبدأ بسكب القهوة لهما وهي تبتسم بسعادة.. لا
يمكن أن تكون سعيدة أكثر من هذا الحد..

يكفي أنها تتمتع بأحضانه التي لطالما حلمت بها كما تشاء..

بالرغم من أن شكوكها بشأن عودة إيمان له أحياناً تنغص عليها
أوقاتها..

صحيح أنها بالفعل لم تتمكن أن تخرب بيتها ولم تريد من البداية
أن تتسبب لها بالطلاق..

ولكنها لا تستطيع التحكم بعواطفها ومشاعرها وما تتمناها من
أعماق قلبها الذي يتمنى أن يستحوذ على احمد كله لها..

تنهدت هيام محاولة أن تبعد هذه الأفكار من رأسها وتنسى كل
شيء إلا هي واحمد.. وهذه الليلة معا..

مع أنها تعرف جيداً أن الليلة التي يرهف سمعها لحديثه احمد
على الهاتف بشيء يخص إيمان أو ابنه تفسد كلياً وبشكل تام..

=====
=====

انتفض بعض الموظفين بالمكتب القابع بإحدى المباني الحكومية
الخاصة بإتمام بعض المعاملات على صوت إيمان وهي تتابع
بغضب متهور وهي تخلص يديها

((ولكنكم قلتم لي أن المشكلة حُلّت بالمرّة الماضية وسأستلم
معاملاتي بموعد زيارتي القادمة هنا.. فما الذي حدث الآن؟))

أجابها الموظف الجالس أمامها بتراخي يرفع عينيه لها
باقتضاب

((أنا فعلا اعتذر منك.. ولكن الأمر خرج من يدي.. وخطئنا
كان غير متقصد..))

تذمرت رغبة صديقة وزميلة إيمان بصوت عالي قاصدة أن
تجعل الموظفين هنا يسمعونها

((وما ذنب صديقتي المسكينة أن يتأخر سفرها عدة أشهر
أخرى بسبب خطأك أنتم؟ أنها مضطرة للسفر عاجلا.. تكاسلكم
وإهمالكم سيتسبب لها بمشاكل جما.. ألا يمكنكم التعجل وإنهاء
أوراقها ومعاملتها خلال أيام أو أسابيع بدل أن يقفز الأمر لعدة
أشهر؟))

ساد هرج قليل بالمكان مع ضجر واضح ساد على وجوه
الموظفين من صوت رغبة العالي المزعج..

لينهض أحدهم من مكانه قائلا بعصية

((قلنا لك يا مدام أننا نبذل أقصى جهودنا لننهي أمورها.. ولكن
لن نستطيع إتمام الأمر قبل مرور عدة أشهر فنحن لا نعمل هنا
فقط على معاملة صديقتك بل هناك الكثير من المعاملات
الأخرى المتكدسة بحاجة منا للعمل))

تحول لون وجه إيمان إلى ما يشبه الأحمر من شدة غضبها من
إهمال الموظفين..

اصطكت على أسنانها ثم التفتت نحو صديقتها تسألها ببأس
وقهر

((ماذا سنفعل الآن يا رغبة؟ ألا يمكنك أن تتحدثي إلى قريبك
العقيد الذي سبق وأن ساعد أخيك المرة الماضية وتواسط له
عندهم ليتمموا أموره بسرعة دون أي تعقيدات عندما صادفته

مشكلة ما؟ أنا بحاجة أن أسرع بالسفر قبل أن يعود والد ابني
من شهر عسله))

تتحننت رغبة بحرج تنظر لإيمان قائلة بتهكم

((إيما هل اعترف لك بشيء؟ العقيد الذي تحدثت له المرة
الماضية هو شقيق مدير مدرستنا خالد.. المدير الموله بك وقد
سبق و عرض عليك الزواج.. فقد سبق وأن سمع مني عن
مشكلة أخي وتبرع أن يتوسط لي هنا للمسؤول هنا فهو على
معرفة بشقيق العقيد))

صممت إيمان للحظات تنظر لرغبة مشدوهة من قولها ثم طفقت
تسألها بجديّة عاقدة الحاجبين

((هل تقولين الحقيقة؟))

وعندما هزت رغبة رأسها تومئ لها بالوجوب.. تنهدت إيمان
ببأس..

فقالت رغبة لها

((سأذهب الآن للمسؤول هنا مجددا.. وأخبرهم أن خالد
الرضوان الأخ الأكبر للعقيد راضي الرضوان يرسل لكم أفضل
التحيات ويرجو منكم أن تسرعوا بمعاملتك.. فالمسؤول هنا
صدقيني فقط يريد أي خدمة لأجل لكسب رضاهم))

ظلت إيمان مستكينّة تنظر لها وهي تتذكر ذاك العاشق الذي
سبق و عرض عليها الزواج قبل عدة أيام وهي لا تزال حتى في
عدتها..

لتقول بترقب لرغبة

((مممم لنفعل هذا يا رغبة..))

دقائق.. وأخذت إيمان نفساً عميقاً ثم طرقت باب المسؤول عن الموظفين هنا ودخلت عنده قائلة بمنتهى الثبات

((مرحبا سيدي..))

رفع المدير نظره لها بامتعاظ وهو يراها تعاود الدخول له مشتكية..

فقال لها غاضبا يطالعها بجفاء وتحفظ

((يا مدام.. سبق وأخبرناك أننا نلتزم بالدور هنا.. وخلال أشهر ستحل مشكلتك.. ولا نستطيع إخراج أوراقك قبل هذا.. هناك إجراءات ومعاملات أخرى لا دخل لنا به.. أرجو منك عدم تعطينا أكثر من ذلك فهناك الكثير من الأمور التي يستوجب علينا فعلها لمواطنين غيرك..))

قال له إيمان بحداقه مدعية

((الواقع يا أستاذ.. أنا حرم الأستاذ خالد الرضوان الشقيق الأكبر للعقيد راضي الرضوان.. لكني الزوجة الثانية ولا أحد يعرف بزواجنا))

ازدردت إيمان ريقها وهي تقول

((أتمنى منك أن تتفهم الموقف هذا.. وأيضا مساعدتي..))

اتسعتا عينا المسؤول قليلا غير مصدق ثم قال بقلق وهو يهز رأسه

((لحظة..))

وهم بالاتصال بخالد يخبره عن مواصفات واسم امرأة تدعي أنها زوجته وتريد منها خدمة تخص أوراقها..

فازدردت إيمان ريقها بخوف وهي تتابع سماع مكالمته..

لم تتوقع أبدا أن يتصل بمدير مدرستها السابق..

فمرت ثوان اتصاله عليها كأنها سنوات من الرعب..

بعدما أنهى المدير مكالمته نظر لها قائلا وهو يشير لمقاعد
الانتظار بأدب ولهفة

((تفضلني يا مدام اجلسي هنا.. نحن نعتذر منك بشدة.. خلال
نصف ساعة ستكون أوراقك جاهزة.. هي بحاجة للقليل من
الدقيق والمرور على توقيع بعض المدراء))

لم تكن تتصور إيمان ولو للحظة أن الموقف سينتهي بهذه
البساطة.. لذا ابتسمت تشكره بلهفة وهي تهم للجلوس للانتظار

((شكرا.. شكرا.. شكرا لك حقا))

.

.

بعد ساعة ونصف..

سارت إيمان نحو سيارتها بعد أن ودعت صديققتها رغبة
واستلمت كل أوراقها ولم يبقَ عليها إلا حجز تذاكر طيارتها
هي وابنها..

وقبل أن تفتح باب سيارتها صدر رنين من هاتفها.. فمدت يدها
تلتقط هاتفها لتجد اسم خالد يعلوه..

ازدردت إيمان ريقها ثم فتحت عليه الخط بتردد لتجد صوته
يصدح قائلا

((كنت اعلم يا إيما أنك تحبيني وتملكين مشاعر نحوي ولكنك
تكابرين.. أنا عرفت من احدى زميلاتك قصة ما فعله زوجك..
انه فعلا لا يحبك ومن الجيد أنك تطلقت منه.. وأنا أعدك بأي
سأعوضك على كل ما فعله بك وأجعلك اسعد إنسانة بهذا

الكون.. بعدما جعلتني اسعد إنسان بموافقتك على طلب زواجي
وإعطائي شرف الاقتران بإمراه فاتنة مثلك.. وإذا رغبتني
فيمكنني تطليق زوجتي من أجلك فأنا لا أريد إلا راحت..))
قُطع صوته تماما بعد أن قامت بإغلاق الهاتف على
وجهه..

استقلت سيارتها وجلست خلف المقود..

أخرجت شريحة الهاتف منه وألقته من شبك السيارة قبل أن
تشغلها وتبدأ بقيادتها..

أساسا لا حاجة لها لشريحة هاتف.. فما قد اكتملت كل أمورها
وعليها فقط الاستعداد للسفر هي وعدنان لثمضي قدما نحو
حياتها..

القليل فقط هو ما يفصلها عن بدأ دورة جديدة من الأمل..

كما أن والدتها فرحة جدا لعودتها لها واحتضانها من جديد
فرويتها مرة بالسنة لا تكفيها..

أما احمد.. فلا تريد منه أي شيء أو تعويض..

فوالدها قال لها مؤخرا مقنعا إياها أنه اختار احمد زوجا لأنه
رأى فيه رجلاً كفتاً لها وأمينا عليها..

ولم يفكر أبدا بأن يطالبها على عقد زواجهما مؤخرا عالي منه..
لأنه لم يجد أي بد بذلك..

فلو كان احمد عند حُسن الظنِّ به فالحمد لله..

وإذا ظهر على غير ما أحسن هو الظن به وتبيَّن أنه رجل
سوء..

فخيبة أمله فيه لا يعوّضها شيء.. لا مؤخر ولا غير مؤخر..

بل هو لن يحرص إلا على تخليصها من سوءه.. ولا يريد منه شيئاً غير تحرُّرها منه..

وقد صدق والدها.. وهي الآن فعلاً مقتنعة بأنها لا تريد من احمد إلا أن يحررها للأبد..

وليس حزينه لا على الشقة ولا على المال ولا على أي شيء فقدته بطلاقها منه..

=====
=====

في منزل سميحة الزوجي..

جلس مراد وسميحة متقابلان بعد مغادرة زوجها ياسر الذي جلس معه ورحب به لبعض الوقت..

لم يعرف مراد ما الذي جعله يرد على اتصال حماته وما الذي جعله يستجيب لطلب زيارته لها بهذا الإلحاح..

شعر مراد بأطرافه ترتعد ندما على ما فعله بجالا..

هل يمكن أن تكون قد قالت شيء لوالدتها بما أخبرها عن زواجه؟ وأن والدتها طلبته الآن لتحاسبه؟

هز مراد رأسه بنفي شديد يبعد هذه الأفكار الغير منطقية عنه وكأنه يلقي بها خارجه..

بالتأكيد جالا لم تتصل بها وإلا فليس من المعقول أن تلاقيه حماته بهذه البشاشة وترحب به اشد الترحيب منذ وصوله..

وهي التي كانت تقاطعه لأشهر طويلة ترفض حتى الرد عليه
على الهاتف بكلمة..

مسح مراد عن وجهه حبيبات العرق التي كانت تدل على
الخوف الذي يشعر به مما تريد سميحة الحديث عنه أمامه..

فهو قد يتحمل أي شيء إلا فقدان جالا..

ليس بعد ما عايشاه معا بحياتهما وبعد أن تزوجها وصارت
ملكه وامتلكت روحه..

بينما تتحنحت سميحة وهي تنتظر بلين وترحيب لمراد..

فهي تعرف أن ابنتها جالا لم تكن عنيدة وحسب..

بل وكانت منذ طفولتها تتعامل مع الصغار بعمرها بشراسة
وعنف..

فكانت تحب ضربهم والعراك معهم وخاصة الصبيان بعد أن
تلعب معهم..

وبحالة كان كارم غير متواجد بالقريبة لسفر مع عائلته مثلا..

كان مراد هو من يتولى مسألة حل عراكها أحيانا وإبعاد من
يحاول القصاص منها..

فكانت جالا تجعله يقع بالكثير من المشاكل بسببها..

وتعرف بأن مراد وبعد زواجه من جالا مظلوم معها جدا.. فلا
يد أنه يطمع بأطفال.. ويرجو حياة طبيعية كأبي رجل.. وهي
تمنعه من ذلك..

لكن سميحة تعرف أيضا وتثق بحب مراد لابنتها ولا تريد إلا
أن يعطيها المزيد من الفرص والوقت..

بدأت سميحة الحديث معه بلطف تستدعي اهتمامه لها

((ما أريد قوله لك يا مراد لا تعتبره تدخلاً مني في أمورك الخاصة أو لأعلمك كيف تدير حياتك.. ولكنه من منطلق النصح ومن منطلق المحبة والحرص عليك أنت وابنتي..))

رفع مراد نظره لها ليخطر على بالها موقف قديم سبق وحدث قبل سنوات عديدة..

بطفولة ابنتها جالا عندما وبإحدى المرات وبأيام الصيف شديدة الحرارة كانت تلعب وطوال فترة الظهيرة بالكرة..

حيث استمرت تلعب بها لوحدها خلف حديقة بيت والدها متوارية عن أنظارهم حتى لا يستطيع أحد رؤيتها حتى أصابتها ضربة شمس..

وقتها لم ينتبه لها إلا مراد الذي هلع لرؤية ما أصابها عندما وجدها ملقاة على الأرض..

ولأنه لم يكن يكبرها إلا بسنة لم يستطع حملها ففزع إليها يخبرها أن جالا ملقاة على الأرض فاقدة الوعي..

فسارعت هي لمكانه وحملتها للبيت لتضعها على فراش غرفتها وبقيت جوارها طوال اليوم وسهرت عليها محاولة خفض درجة حرارتها..

وقتها كان مراد وبكل نصف ساعة يطرق الباب يسألها ما إذا كانت قد تحسن حال جالا واستعادت وعيها أو إذا كانت بحاجة لشيء ما..

حتى انتبه فيصّل والد جالا على تكرار مجيء مراد لهم وسألها إذا كان هناك خطب ما فأخبرته أن جالا تعرضت لضربة شمس..

فعبس فيصّل وهو ينظر لمراد أمرا إياه أن يقوي قلبه ويتصرف كالرجل.. فالقلب المرهف للفتيات فقط..

وليس معقولا أن يخاف عليها لهذا الحد..

كما تابع إخباره أن ينتظر عدة سنوات حتى يكبر هو وجالا
ووقتها لن يجد أفضل منه ليكون زوجها..

فلم يستطع مراد أن يمنع ابتسامته وسعادته من الظهور على
محياء وهو يقول له بدهشة طفولية

((هل ستزوجني إياه حقا يا عمي؟))

لكنها عيبت بوجهها موبخه فيصّل بلوم أن يصمت ويتوقف
عن المزاح بهكذا أمور أمام طفل لا يفقه شيء من أمور
الزواج..

غير عابئة بالإحباط والخيبة اللتان ارتسمتا على وجه مراد..

وهي تهتف بأشد الكلام داخل نفسها بأنها لن تقبل بتزويج بناتها
لأحد من أقارب العائلة..

عادت سميحة لجلستها الحالية مع مراد وهي تنظر له قائلة
ببعض الحرج

((لقد استمعت لجالا وما عندها من الأفكار عندما كانت تبيت
عندي.. وبعد ذلك قمت بتبصيرها بأن العلاقة الزوجية ليست
كم تعتقد هي.. ابنتي يا مراد ضحية للأفكار الخاطئة التي دخلت
أذهانها عن العلاقة الحميمة بين الزوجين.. لقد قالت لي أنها
فعلا تخاف من العلاقة حتى بعد أن أتممتما زواجكما.. لأن
المشكلة بعقلها.. ربما قبل زواجها سمعت من صديقاتها أو
زميلاتهن أن المرأة تتألم المرأة ألماً شديداً وغير ذلك.. وبقيت
هذه الأفكار بعقلها حتى بعدما فعلتها.. لكن لا تقلق.. لقد أخبرتها
وجعلتها تدرك أن العلاقة الزوجية متعة جميلة ولذة رائعة
وعلاقة متبادلة بين الزوجين.. وليس فيها ذلك الألم الذي تهوله
بعض الفتيات.. بدليل أن كل النساء المتزوجات لم يحدث لهن
شيء.. بل هن هي غاية السعادة مع أزواجهن))

صمت مراد ينظر إليها مشدوهاً أثناء حديثها..

آخر ما سيود حدوثه هو تدخل أحد أفراد عائلتهما بعلاقته هو
وجالاً مثل المرة السابقة..

لكن لا بأس بتدخل طرف خارجة لو كان من أجل المساعدة..
ولأنه شعر برغبة حماته بإصلاح حالهما.. أكمل معها..

ثم ارتفعت زاوية فمه يقول بتهكم متعب وهو يتحدث عما يجول
بصدره

((الشعور بالنشوة هو الشعور الذي يرغب كلا الزوجين في
العلاقة الزوجية.. ولكن عندما أجدها لا تهتم أصلاً بالأمر.. ولا
تريد أن تشعر بالسعادة أو إسعاد أي منا.. فماذا سأستفيد من
الأمر كله؟ من أجل الإنجاب؟ بوضعنا هذا آخر ما سأفكر به
هو الإنجاب..))

قاطعته سميحة شاهقة بصدمة وهي تضع يدها على صدرها
((هل تريد الطلاق؟))

جفل مراد للحظة واتسعت عيناه لسؤال حماته..

ازدرد ريقه وهو يفكر بالكلمة التي نطقها..

طلاق؟ ما الذي جلب على لسانها هذه الكلمة؟

خفق فواده بين أضلعه وشعر بأنفاسه تضطرب عند ذكر كلمة
الطلاق..

هو قصد بأن آخر ما سيفكر به هو الإنجاب أي يجب عليهما
حل مشاكلهما ومن ثم التفكير بالإنجاب..

لكن لم يقل طلاق ولم يشير له من بعيد أو قريب..

قالت سميحة وهي تمد كفيها تحتضن يديه وهي تستنجد به

((مراد أنا اعرف أنا معك كل الحق.. والله اعرف ولكن بالله عليك لا تفكر بالطلاق أو بالزواج.. ولا تتحدث مع جالا عن الطلاق أو رغبتك بالزواج بالتهديد أو التخويف.. أرجوك لا تفعل هذا.. أحلفك بالله.. فابنتي الغبية تعاني صراعا مع نفسها بسبب هذا الأمر.. واعرف أنها سبق وطرحت الفكرة عليك.. لكنها لا تعي ما تقول.. الأمر وحسب أنها مرعوبة من أي اتصال جسدي مجددا ففضلت المسكينة زواجك والقبول به للهروب مما يخيفها ويقلقها.. لكن اصبر عليها قليلا..))
نظر مراد لسميحة مشدوها..

الحقيقة هي لا تعرف نظرة الغضب التي نظرها لجالا وكيف تمالك نفسه بشق الأنفس وابتعد عنها حتى لا يقدم على فعل يندم عليه عندما أخبرته أن يتزوج مقابل ألا يفكر بطلب حقوقه منها..

ثم اتسعت عينا مراد قليلا وهو يراها تنتهد بعمق مستطردة

((مراد أرجوك لا تجعلها تشعر بالضعف.. كن قربها وسندا لها.. توقف عن لومها لما حدث بالماضي.. وكن ودودا معها وطيبا ولا تجبرها على أي شيء.. أعتذر منك يا مراد لأنني أثقل عليك جدا.. لكن أنا قمت بالتوضيح لها ما هي مشكلتها.. ولكن العنيدة ومنذ عودتك ترفض التحدث معي ولم تتصل بي إلا مرة واحدة ولم تقل أكثر كلمتين مقتضبتيين لم افهم منهما شيء..))

بترت سميحة كلامها لتغير الموضوع وهي تسأله بدهشة
شخصت عينا مراد بذهول لها

((مراد هل تظن بأنني فعلا بالماضي من تحدثت عنك بالباطل ونشرت عنك الكلام في أرجاء القرية؟ لأنني والله لم أتحدث

عنك لأحد بالقربية بخصوص تلك المشكلة إلا لوالدها.. أنت
تصدق كلامي؟ صحيح؟))

اضطربت ملامح مراد ليقول لها وهو يشيح بالنظر عنها

((لا بأس.. لنعبره سوء تفاهم وننساه.. كما نسوه كل من في
القرية.. على ما أمل))

أطرقت سميحة وجهها أرضًا وقد كست حمرة الغصة وجنتيها
لكنها رفعت رأسها له قائلة بإلحاح

((لا.. أنا أريدك أن تكون موقنا بأنني لم أتحدث عنك))

ابتسم مراد لها بوهن يطمئننها برفق

((لقد قالت لي ابنة خالتي بأنه كان هناك عاملتان بمنزل والدتي
عندما كانت تتحدث معك وسمعا حديثها.. لذلك على الأغلب
أنهن من نشرن الكلام مع تعديل بالرواية.. لذلك لا تقلقي فأنا لا
أكن لك أي ضغينة على شيء لم تفعله يا عمه))

أراحت سميحة جسدها إلى الأريكة وتهدت براحة لكلام مراد..

لكنها عادت تقول له برجاء

((لقد أرحتني فأنا خفت الآن بانك تظن بي السوء.. وبشأن جالا
فأيضا هي لم تتوقف عن القول لي بأنها هي من طلبت منك أن
تنتظرا قليلا حتى تنما الأمر وأنت وافقت لذا لا تحقد عليها أو
تظن بأنها لم تدافع عنك.. هي فعلت ذلك.. لكن كنت أظنها غبية
ولا تفهم في هذه الأمور.. فليس طبيعي لأي رجل أن ينتظر
تلك المدة.. فبرغم صغر سنك أنت لن تكون معدوم خبرة..))

بترت سميحة حديثها بحرج وقد انهمرت عبراتها على تسرعها
السابق بالحكم على مراد بلا بينة..

فتنهده مراد بعمق وهو يمرر أنامله بين خصلاته الناعمة..

قال مراد وهو يعاود النظر بعينيهما

((سأخبرك بالتفاصيل يا عمتي.. بالبداية عند دخولنا لجناحنا بالفندق.. كانت جالا شبه منهاراة لا تقوى على الحراك.. وأنا أيضاً كنت خائفاً ولا أعرف لماذا.. المهم في الأمر أنني استطعت أن أقتعها بأنني لست جزاراً وأن بإمكانها أن تخلد إلى النوم في الحجرة لوحدها وأنا سوف أرقد في الصالة.. وقتها ارتاحت نفسياً ونامت داخل الحجرة ولكنني لم أستطع النوم طول الليل أتقلب يمينا ويسارا حتى الفجر.. خلال أسبوع عسلنا عند البحر كنت اذهب بها إلى أماكن كثيرة لأنني لاحظت أنها لا ترغب في البقاء داخل الشقة.. أي أنها لا تريد أن تنفرد معي بمكان واحد.. وبكل ليلة أعود وأنا احلم بليلة دافئة معها إلا أنها تدخل إلى الحجرة وتغلق الباب بالمفتاح وتتركني أنام في الصالة))

واسترسل كلامه بصوته الأجش وهو ينطق بألم ينخر صميمه

((مؤخرا يمكنك القول بأنها بدأت تستجيب للماساتٍ وتقربي منها.. ولكن ببرود كبير.. وقبل مدة من مبيتها عندي.. تقدمت علاقتنا قليلا بحيث أنني بدأت أستطيع أن اخرج أن ارقد معها على نفس سرير الزوجية بأحضان بعضنا.. ولكن دون أن المسها))

قالت سميحة ترجوه وقد تهدجت نبرتها بسبب خوف يهتز بداخلها

((أرجوك يا مراد.. حتى ولو.. اصبر عليها.. صدقتي هي لم تذق النوم طوال فترة مكوثها هنا))

تصمت للحظة مخفضة عينيها لتقول بعدها بصوتٍ منخفض تخبره

((ولكن.. أتمنى ألا تستعجل النتائج يا مراد.. اعتبر أن جالا عاشت يتما ومعاناة.. كون والدها كان دائما مشغول بعمله ولا

يجد وقت لأي من بيته.. وحاجة الفتاة إلى الأب كبيرة جداً
واليه غالباً تميل له.. ولكنها عاشت ظروفًا قاسية جدا في
صغرها))

ربما بالغت سميحة بكلامها قليلاً.. أو كثيراً..

جعلتها تبدو كأنها يتيمة تماما.. لكنها كانت مضطرة حتى
تكسب تعاطف مراد..

الذي كانت عيناه تلتمعان بغضب وحزن وهو يوما بعد يوما
يتأكد من كونها تعرضت للكثير..

ولكنها كتومة لا تتحدث معها ولا تبين له مكنونات قلبها.. والتي
من جهة أخرى هو نفسه لا يريد معرفته..

بل يريد تجاهلها وحسب لأنه يخشى أن تكون بخصوص آخر
شخص قد يطبق السماع عنه..

انتبه مراد على سميحة تكفكف عبراتها بباطن كفيها وهي
تستطرد

((بالنهاية يا مراد إذا لم يكن لديكما قابلية تجاوز الخلافات
والقدرة على عدم جرح الآخر بالكلام فلن يكون لديكما القدرة
على البدء من جديد.. لذا اعملا على تقوية علاقة الحب
والصداقة بينكما بجعل الآخر أولوية دائما في حياتكما.. تحدثا
كل يوم.. سامحا بعضكما.. وأيضا..))

قاطعها مراد قائلاً بهدوء وبنبرة عميقة دافئة كما ابتسامته

((عمتي.. لا تقلقي سأفعل))

همست سميحة سائلة وعيناها تجولان فوق ملامح وجهه
المريحة

((حقاً؟ حقاً يا مراد؟ إذا عدني.. أرجوك عدني ليطمئن قلبي..
وبأنك لن تفكر حتى بالاستماع لوالدتك بشأن زواجك))

نظر مراد إليها هادراً بابتسامة لطيفة دافئة

((أعدك يا عمتي))

ابتسمت سميحة براحة له.. فعلا ارتاحت بلقائه هذا..

لكن اختفت الابتسامة بينما تقول له

((وأيضاً.. نصحني زوجي بأن أخبرك إذا ما واجهت جالا
بعض الصعوبات التي لم تتمكن من التعامل أو التكيف معها
فيمكنك أن تجعلها تأخذ مراجعة أخصائية نفسية.. ليس
بالضرورة طبية نفسية.. المهم أن تكون ممن يمكنك الحديث
المفصل معها.. وهي بالتالي ستأخذ كامل القصة وبالتفاصيل..
ومن ثم تضع معها خطة الإرشاد النفسي))

كان كله مشدوها لكلامها وهو يهز راسه لما تقول ويفكر جدياً
هذه المرة بأن يذهب بجالا لطبيبة نفسية..

بعد ساعات..

زفر مراد بتعب وهو يغلق باب الشقة خلفه..

تأخر بالعودة هنا حيث أنه مر مع صديق له لإحدى الكافيهات
ناشداً بعض الاسترخاء حتى يستطيع التفكير بشيء يجعله يضع
يده على كيفية إصلاح علاقته مع جالا..

سمع مراد صوت بكائها يصدح عالياً فعقد حاجبيه باستياء
متقدماً نحو غرفتها..

كانت منهارة عند دولا ب ملابسها وهناك ملابس متناثرة
منحولها وتقع أمامها حقيبة كبيرة..

شعر مراد بالغضب يسكنه.. هل كانت تحاول حزم أمتعتها
للخروج؟

لكن سرعان ما تحولت نظراته لها من الامتعاض إلى قلق بالغ
عليها وهو يشعر بجسدها يهتز ويرتعش بحدة مخيفة من
البكاء..

تغضن جبينه مستنكراً من فرط القلق الذي شعره بهذه اللحظة
عليها.. ليس هذا ما أراده تماماً من وراء كذبتة..

أراد الانتقام منها لكن ليس لهذا الحد..

هل يبدو أن الأمر فاق احتمالها وأثر عليها لتصل إلى هذا
النحو؟ لأنه حقا ليس هذا ما أراده.. أبدا..

كانت دموعها تتساقط كالغيث في عاصفة مضطربة وقد
تزايدت حدة شهقاتها فراع مظهرها مراد الذي جثا إليها وسألها
بخوف

((جالا.. ما بك؟))

ارتجف صوتها وكلماتها وهي ترفع يديها لتغطي وجهها

((ابتعد.. عني.. لا تلمسني))

ثم عاد بكانها يعلو ويرتفع أمام وجه مراد الشاحب المستكين
بلوعة..

كانت تخرج شهقاتها حادة لا إرادية جعلت من فكها يهتز معها
ويتشنج وتصطك أسنانها..

وكانها تفرغ عن أحزانها ببيكاء مختنق ومريع.. بينما جسدها
يرتعش بقوة تكاد شهقاتها تحبس أنفاسها..

تمتم مراد شائماً كذبتة تلك وهو يرى أن حالتها تزداد سوء ثم
ضمها إلى كنفه..

تبا.. بدأ يخشى عليها من أن تصاب بانهيار عصبي قد يقضي
عليها..

وجد نفسه يعاهدها داخل عقله بأنه لن يتجرأ ويحاول أذيتها
مجددا.. فقد فلتهداً وسيعرف كيف يتصرف بموضوعهما..

لن يحزنها ولن يخذلها.. سيغرقها حنان ويفسدها دلالات..

فقط.. لا يريد أن تبكي مرة أخرى.. فليس معقولا لامرأة أن
تذرف كل هذا القدر من الدموع..

كما أن بكائها المتواصل لأيام أثر على إطلالة وجهها.. من
احمرار لون عينيها وانتفاخ جفونها وتورمها..

كما بدأت ملتحمة عينيها بالاحترار وبالتحسس الشديد وبشرتها
بالتهيج..

عدا عن اضطرابات معدتها وهو يشعر بها أحيانا تهرع
للمرحاض لإفراغ كل ما في جوفها..

فضلا عن الصداع الشديد الذي بلا شك أصبح ملازما لها..

جذبها من ذراعها ليضعها فوق أحضانها يحاوط جسدها
بذراعيه..

ومشاعر جامحة تتأجج يوماً بعد يوم تجيش في صدره من
كلمات لا حصر لها..

قرب منها جعله يشعر بتزايد عدد نبضات قلبها وتسارعها..

دقائق مرت حتى سكنت تماما وانتظمت أنفاسها وهدأ جسدها
وارتخي بين يديه.. فأبعدها قليلا عنه يتبين ما إذا كانت قد فقدت
وعيا أو غفت..

إلا أنها فتحت عينيها بوهن تقول له هامسة

((ابتعد عني..))

قالتها ثم تنهدت بنفور وهي تمسح آثار دموعها بأناملها التي رفعتها..

سمعته يقول بجدية وهو يرفع رأسها بقوة غير عابئٍ لهما مهماتها الرافضة بوهن وعيناه مصوبتان عليها

((جالا.. أعلم أنك متعبة وتتألمين.. ولكن سأقوم بأخذ موعد عند طبيب نفسي لك فأنت بحاجة للذهاب إليه.. لا تعارضيني دعينا نفعلها لنمضي قدما))

لمعت عيناها بشرر ثم حاولت أن تنتزع نفسها منه وتعود للخلف هاتفة به بغضب

((ولماذا تريد مني أتعالج عنده وأنت لم يبقَ لك أي رغبة بي..
في النهاية أنت تزوجت من فتاة لا تمت للأوثنة بصلة.. وفي
المررة اليتيمة الوحيدة التي حصل بيننا تقارب جسدي كنت باردة
كالموتى.. وأنت كنت ولا زلت تشعر بالاشمئزاز من تلك
المررة.. فلماذا تريد مني أن أتعالج؟))

أنهت حديثها بسؤالها صارخة وهي تشهق بقوة وتبدأ البكاء بحرقة..

نظر لها مراد مذهولا هاتفا

((ومن قال منك أني سأبقى مشمئزا منك ولن أريد تكرار الأمر؟))

كانت عيناها تشعان توهجا كبركان يغلي على وشك ثورة حممه وهي تصرخ بوجهه

((حتى ولو.. أنت تزوجت.. لذا انتهى الأمر بيننا.. زواجك بالنسبة لي يعني أنك فقدت أي حق بالطلب مني أن أتعالج))

صرخ مراد عليها بنفس درجة الغضب

((لم أتزوج ولم اعقد قراني بامرأة غيرك أيتها الساذجة.. دائما ما تنتج معك تلك الكذبة وتصدقينيها بكل غياب))

هزت جالا رأسها بغير تصديق.. ثم قالت له بنشيجها المتألم
((بلى تزوجت.. قلت بلسانك أنك عقدت قرانك على أخرى..
هل تخدعني؟))

كور مراد يده يشد عليها ويضرب بها الأرض الجالس عليها
وهو يصرخ بها

((لم افعل..ل.. لم افعل..ل..
وجدتك غبية ساذجة وتصديقين أي كلام تسمعيه بقلة نضج
فأردت أن أخدعك لأشف القليل من غليل جرحك لي))
ارتجف قلبها وشفاهها حتى انسابت المزيد من عبراتها منها..
فقالت جالا له بنبرة خاشعة راجفة

((أنا أكرهك.. ولن أسامحك على ما جعلتني أمر به.. أريد
الطلاق الآن))

تنهد مراد بحرقه قانلا

((مجددا؟ سنعود للبداية مجددا؟ ولا كأننا أحرزنا أي شيء
بعلاقتنا؟ والآن تريدین الطلاق بحجة أنني خنتك بزواجي وأنت
نفسك من قلتي لي أن أتزوج؟))

شعرت جالا بألم فعلي قام بتسببه لها بكلامه المتعجب..

لا يعرف عندما أخبرها بزواجه بماذا تسبب لها.. وكأنه قتل
روحها بيده..

فهو جعلها تدمن حنانه وقيلاته وكأنه امتلكها ثم صدمها فجأة
بذاك الإعلان..

فصرخت جالا به بألم تكرر على مسامعه

((أنا أكرهك حقا.. أكرهك لما جعلتني أمر به.. أكرهك..
أكرهك.. أكرهك))

انكملت تقاسيم مراد بغضب..

لكن لم يابه وهو يهيك بشفتيه فوق شفثيها يقبلهما تأديبا على ما
تقوهت به من كلمات قاسية موجهة له..

مدت جالا كفيها تضرب صدرها تبعده عنها ويفك حصار
ذراعيه من حولها وهي تهتم له برفض..

وسرعان ما قل رفضها بشكل تدريجي وهي تشعر بالتخبط أمام
شغف ولفه قيلاتة.. وبالوهن يدب مفاصلها لتسترخي بين
يديه..

شعرت بتضخم قلبها وبدون أن تدرك كانت تبادلته قيلاته..

لا تتذكر بشأن السابق جيدا..

ولكن ربما كانت هذه أول مرة فعلا تبادلته بشغف وهي
مغيبة معه بعالم آخر..

وما إن فصل قيلاتهما يعطي لكليهما مجالا للتنفس..

حتى شعرت على نفسها وأدركت ما تقوم به وهي تلهث بخزي
وبوجه محمر متخضب تريد الاختفاء لأبعد بقعة في هذه
الأرض..

رفعت جالا كفيها مجددا تدفعه عنها بضعف وهي تحاول
السيطرة على أنفاسها..

نظر مراد لوجهها المحمر المشتعل وهو لا يكاد يصدق كيف
بادلته مليكته البرية قبلته..

حاولت جالا الابتعاد للخلف بارتباك وهي تفك أسر يديه
مطاطة الراسة قبل أن تشهق وهي تجده يجذبها له ويقرب
وجهها منه..

كان رافضا أن تبعد عنه ومحافظا على استقبال بشرة وجهها
أنفاسه المتسارعة..

همس مراد بصوت أجش وجسده يئن ويحثه لامتلاك تلك التي
تشعله وتبعثره لعل بعض النيران التي تستعر بداخله تنطفئ
وتهدأ

((تغطرسى.. تغطرسى كما شئتِ وتفنني في عذابي كما
تريدين.. لأنه وللأسف أنا رجل لا تكتمل رجولتي إلا معك
ويقربك.. فقط حين تحتضنيني اشعر بشغف لا ارتوي أبدا منه..
وهني معك وفيك))

اختلج قلبها وارتج في صدرها بعنف شديد.. فرفعت عينيها
المهترتين له..

لأول مرة يقولها صراحة هكذا لها..

وما كانت ثوانٍ حتى هبط بشفاهه يلتقط دموعها برقة قبل أن
يهمس بصوتٍ أجش وهو يخفض نظره لشفتيها المرتعشتين

((أحبك..))

لتعود نار جسده كعادة اللهب المستعر تحته على التقاط شفتيها
ليلتهمها بقبلة جائعة وأنفاسهما تعاودان الامتزاج بحميمية..

إحساسها.. ورقنتها.. وتوقها جعل من تلك القبلة أذ ما ذاق من
جنت ثغرها..

استمر مراد بتقبلها وهو يعتدل واقفا من مكانه بينما يحملها
بذراعيه الملتفتان حول جذعها نحو السرير ليلقي نفسه على
الفرش ويلقيها بجانبه..

بدأت أنامل مراد فتح أزرار منامتها بجرأة ويده تتسلل لجسدها
بلمسات ناعمة..

قبل أن يغرقها معه بموجات سحرية لفتهم سويا في عالم آخر
بفيضانات بحور العشق لا يظما منها..

بينما سلمته جالا له كل مفاتيحها..

وكل الخوف والرعب والاشمئزاز السابق يتلاشى من داخلها
ليحل الأمان بدلا عنهم..

وكأنه لم تسبق وشعرت بالانتماء إلا عندما ضمها وسكنها بين
أضلعه وداخله بكل رقة وعشق..

كان يعطيها ما تحتاجه بدون أن تطالب به ومعلنا مليكته التامة
عليها..

.

.

بعد مرور ساعات..

فتحت جالا عينيها ببطء عندما شعرت بمراد يضمها إلى صدره
وهو يقبل مقدمة رأسها..

فرفعت غطاء السرير أكثر توارى جسدها قليلا وترفع نظرها
لمراد وكلها يرتجف بينما قلبها يتقاذف بين أضلعه..

همست وهي تشعر في هذه اللحظة بمشاعر الرهبة

((مراد))

قالتها ثم أخفضت رأسها وهي تشعر بالخجل وملاحظها الشقية
تذوب بخجل..

فتح مراد عيناه الناعستان لها لتلتعنا بشقاوة وهو يشدد في
ضمها أكثر يكاد يصهرها بأضلعه..

ثم قال هامسًا في أذنها بحرارة

((ما هذا الخجل والحياء يا مليكتي؟ تجعليني لا أستطيع تصديق
أن تلك اللبوة البرية والشقية لم تكن هي أنتِ قبل قليل
بلحظتنا..))

الحقيقة أنها لم تكن جريئة ولم تكن قريبة لأي شيء من هذا
القبيل..

ولكن مقدار تقبلها لعاطفته بنهم وهي مستسلمة خاضعة بين يديه
بما سبق كان المختلف..

رأها تعض على شفثيها وكأنها تمنع نفسها من الكلام..

لكن تجلت الكلمات مرورًا بحنجرتها بصعوبة لتهمس له بخجل

((مراد.. كيف كنت؟))

أسبل أهدابه مدعيا التفكير ثم هز رأسه بنفي وقد لمعت عيناه
بالمشاكسة قائلاً

((إذا لم تعجبيني فلا أدري ما قد يعجبني بعد هذا!!))

همست جالا له بصوت بالكاد خرج منها متممة بارتباك وتوتر
قضى على السعادة والشقاوة بهذه اللحظة

((اقصد.. كيف كنت.. أعني.. هل شعرت بأني.. أعني هل كنت
كافية لإسعادك؟))

اخترق سؤالها مراد بألم لشكوكها ولشعورها بأنها قد تكون غير كافية له..

فقطب حاجبيه يسألها بحنان لامتناهي وهو يرفع إحدى يديه يلامس شعرها بحب

((هل هناك شيء يا مليكتي الرقيقة؟))

أطرقت رأسها تقول بنبرة مختنقة ومتهدجة بألم قبل أن تقوس فمها

((ماذا بشأن زواجك الذي تظل تتحدث عنه؟))

قطب مراد حاجبيه وهو يميل برأسه لها ليراقب حركات وخلجات محياها قائلاً

((أي زواج هذا الذي تتحدثين عنه بهذا الوقت؟ سيكون عيباً بحقي أن أترك كل هذه الرقة والعاطفة وأبحث فيها عند أخرى.. هل تريين أحقاً لهذا الحد؟))

زمت جالا شفيتها لتسمعه يقول لها وهو يعيثر بخصلات شعرها

((بالإضافة إلى أنني لا أظنك ساذجة إلى حد أن تصدقيني للمرة الثالثة على التوالي لو ادعيت الزواج؟ أو ربما فعلاً ستكونين ساذجة لهذا الحد؟))

ضحكت بخجل على كلامه وهي تستقبل لمسته الحنونة.. لم تتخيل أن زوجها الراكز له أوجه أخرى..

ولم تتخيله يعرف كيف يكون حنون ومراع وعابث وعاشق كله بنفس الوقت..

لكنها توقف فجأة عن الضحك لتتجهم وهي ترفع وجهها قائلة له بعتاب

((ولكنك أقسمت على ذلك))

تنهد مراد يقول لها بندم

((نعم اعرف.. وقتها كان الغضب يعميني ولم اعرف ما كنت
أتفوه به صدقا.. المهم.. أعرف أنني حنثه وسألت عن ذلك
ويلزمني كفارة يمين.. وهي على التخيير إطعام عشرة
مساكين.. أو كسوتهم.. فإن لم أجد شيئاً من ذلك فعليّ أن أصوم
ثلاثة أيام))

ثم نظر مراد لها بابتسامة بشوشة وهو يمسح على شعرها..

قبل أن يخفض راسه لها يعاود تقبليها بشغف لتضحك بخفوت
وهي تحاول أبعاده قائلة

((أريد أن اغتسل يا مراد أولاً.. ابتعد))

أجابها بعبث محبيب

((ولماذا أولاً؟ لنأخذ حماما نحن الإثنين معاً))

زمت جالا شفيتها تصده بدلال

((ماذا؟ هل تمزح؟))

لكن كانت عيناه تلتمعان بشقاوة بهم لأخذها مجددا لزلزال
عواطفه المشتاقة..

فأظهرت جالا اعتراضا له وهي تفرض دلالتها عليه ممزوجا
بقليل من الخوف من جرأه دفعة واحدة وبجراًة لعالم هي جديدة
عليه..

=====
=====

أزرد راجي ريقه وهو يرى سيارة سوداء فارهة تقف أمامه
وهو بطريقه مغادرا من الجامعة نحو سيارته..

أخض بصره وهو يرى زجاج نافذة السيارة بالمقعد الخلفي
ينخفض للأسفل ببطء ليظهر رجلا خلفها جالس يخفي عينيه
وراء نظارة سوداء..

التفت الرجل له يمشط وجهه ومظهر راجي من رأسه لأخمص
قدمه بنظرة مهتمة رغم ازدائها..

كانت إطلالة راجي النهارية في الجامعة عبارة عن تنسيق
مزيج يجمع بين الكلاسيكية التي تتماشى مع الجامعة والعصرية
التي توحى بحيويته وانطلاق شبابه..

فقد كان يرتدي قميصا اسودا بأكمام قصيرة وبنطال جينز
أزرق.. وحذاء رياضي ابيض..

أبعد الرجل نظارته عن عينيه لتبين ملامح وجهه القاسية وهو
يسأل راجي باستياء

((إذا أنت راجي الدال.. زوج ابنتي المصون؟))

زوي ما بين حاجبي راجي متسائلا بتلثم وباستغراب وقد
اعترت الدهشة ملامحه

((ماذا؟ هل.. هل أنت والد سارا؟))

حاول راجي ألا ينظر لعيون والد سارا كي لا يرى نظرة
الازدراء التي يستحقها وهو يسمعه يقول له بنبرة قاسية وقوية
ممزوجة بالتوبيخ

((نعم والدها والذي عرف عن زواج ابنته بعد مرور سنة على
ذلك.. متى كنتما تنويان إخباري بالأمر؟ بعد إنجاب حفيدي؟))

أخض راجي رأسه بخزي هامسا بارتباك

((أنا.. أنا اعتذر بشأن هذا..))

سخر من نفسه كيف يعتذر ببساطة لأنه تزوج سارا بغير علم والدها..

بغض النظر عن الظروف التي حدثت وقتها وما جعلته سارا يتعايش ليوافق..

سأل نفسه بلوم.. هل كانت الأمور ستكون بنفس البساطة لو تزوجت احدى أختيه من أحد آخر بغير علم معظم أفراد عائلتها؟

لأنه عندما فعلتها هيام يعقد قرانها وبالرغم من كون والدها فيصل كان مرافقا لها إلا انه لم يتقبل الأمر أبدا وأقام الدنيا عليها ولم يهدأ بسهولة..

هدر والد سارا بصوت قاسي مرعب وهو يشدد على كل كلمة

((أنظر.. يا.. راجي.. الدال.. ما لدي هي كلمتين.. طلق سارا))

انقبض قلب راجي داخل صدره وجحظت عيناه ليرفع رأسه لوالد سارا هاتفا بصدمة يحاول الشرح أو الدفاع عن نفسه

((ماذا؟ لكن..))

إلا أن الرجل قاطعه هادرا وهو ينظر لملاح راجي باحتقار

((لقد تحريت عنك واعرف أنك ابن عالم وناس.. واعرف أنك ما زلت يافعا.. لذا لن أقول إنك تزوجتها طمعا بمالها أو بالمنصب الذي قد تحصل عليه بمصاهرتك لي.. كما لا أريد معرفة سبب زواجكما.. فقط طلقها))

قال كلامه ثم أشاح بوجهه للأمام بقسوة وهو يعود لوضع النظارة الغامقة يخفي عينيه من خلالها هادرا ببساطة

((سيواصل معك سكرتيري ليتأكد من تنفيذك لإجراءات الطلاق.. لا تتردد بأخباره إذا ما كنت تريد مبلغاً أو قدر معين من المال بدلاً من تطليقها))

كان وجه راجي ممتعاً من الغضب والخزي وقد احتقنت ملامحه وهو ينظر بتركيز لوالد سارا يعود لرفع زجاج النافذة بينما يأمر السائق بحدّة

((قُد السيارة فوراً))

بعد ساعات..

كانت الأنفاس النارية ترتفع في صدر راجي وتغادره كليهب ساخن وعيناه مصوبتان نحو سارا الجالسة أمامه بارتباك..

هدرت سارا بحرج وهي تبسط كفيها بعجز مصطنع أمام راجي الغاضب والذي لا يزال مصدوماً من طلب والدها

((صدقني يا راجي لقد كنت أريد الاتصال بك وإخبارك بأن والذي عرف بزواجنا وقال لي أن اطلب الطلاق منك فوراً.. لكن لم أتوقع وبكل صراحة أن يحاول لقائك أو التواصل معك وطلبه مباشرة منك))

كانت سارا من الداخل تشتعل غضباً من تامر.. ذلك الغبي اللاصق والملتصق بها منذ الأزل ويرفض الابتعاد عنها..

فهي متأكدة وبشكل تام بأنه هو من أخبر والدها الذي لم يسبق وأن كان مهتماً بحياتها العاطفية أو الاجتماعية سابقاً عن زواجها..

كانت تتوعد بداخلها أن تنتقم منه بقسوة بمجرد رؤيتها له..

ولكن مبدئيا عليها أن تتحرر من راجي..

انتبهت على راجي يهمس لها بفحيح مترقب وقد برزت عروقه
وداخله يشتعل بنيران غضب

((والآن؟))

هزت سارا كتفها قائلة بعبس

((ماذا الآن؟))

سألها بغضب وقد علا صوته

((سارا أنا من أسألك ماذا الآن!))

زمت سارا شفيتها تقول له وهي تدعي عدم معرفتها سبب
غضبه منها ولومها على ما حدث

((الحقيقة.. لا اعرف.. لكن.. أعني.. نحن من الأساس كنا
سنفترق مؤقتا لأسافر للخارج.. لذا لا بأس لو))

هتف راجي باسمها بغضب يمنعها من المراوغة لتقول له
بحيرة وهي ترفع حاجبيها وتشير بيدها بقلة حيلة

((نعم يا راجي.. ما ذنبي أنا؟))

زفر راجي بضيق وهو يقول لها

((كنا سننفصل مؤقتا بلا طلاق وبمجرد أن تنهي دراستك كنتي
ستعودين هنا.. هذا ما اتفقنا عليه))

عادت سارا تهز كتفيها بقلة حيلة مفتعلة ثم زفرت قائلة بضجر

((أوف راجي.. أنا فعلا لا اعرف ما العمل.. والدي كان
غاضبا عندما علم بزواجي مع انه لم يسبق وأن اهتم باي
تفصيل من تفاصيل حياتي.. كما أنه قطع شقيقي من مصروفه

وأوقف بطاقات الائتمان أُمي عقوبة لهما لأنهما لم يخبرانه
بزواجي.. لقد كان غاضبا جدا.. لم أتوقع انه سيغضب لهذا الحد
إذا عرف أنني تزوجت بغير علمه))

سألها راجي يقطب حاجبيه

((والعمل الآن؟))

أجابته سارا ببساطة

((لا أدري راجي.. لكن يجب عليك أن تطلقني فقد كان مصرا
بشكل مخيف على طلاقني))

أجابها راجي بقوة وإصرار

((سارا.. أنا لا يهمني قوة والدك أو سلطته.. لكن إذا لم تكوني
تريدين الطلاق فلن أطلقك مهما حاول الضغط عليّ أبدا.. لذلك
أخبريني ما هو رأيك بالموضوع.. أنت لا تريدني
الطلاق.. صحيح؟ وإذا كنت تخشين من غضب والدك فأنا
أستطيع أن اجعله يقتنع بي..))

تململت سارا بمكانها بغير راحة وهي تقول له بلوم

((أوف راجي توقف.. أنت تضغط عليّ.. مصروفي الشهري
وكل ما امتلكه مصدره من أموال أبي.. لذا لا أستطيع أن يجعله
يغضب مني أو يعاقبني على عصيان أوامره.. لا أستطيع أن
أعيش مثل الفقراء.. هذا مستحيل..))

كست الجدية ملامح راجي وهو يخبرها بصدق منفلا

((سارا.. أعدك بأنني سأجعلك تعيشين معي بمثل مستوى حياتك
السابقة.. ولن أقصر عليك شيئا.. لكن دعينا نعلن زواجنا
بالبداية أمام الجميع.. وبعدها..))

توترت سارا من إلحاحه.. فظهر الضيق على صفيحة وجهها..

ولكنها سارعت تقاطعه قائلة كمن خطر على بالها شيء لتقول
وهي تشير بيديها بحماس

((راجي.. لحظة.. توقف.. خطرت لي فكرة.. ما رأيك بأن
نتطلق ونفصل بشكل نهائي.. وبعد عشر سنوات إذا لم أكن أنا
أو أنت متزوجان فحينها يمكننا التزوج مرة أخرى.. ما
رأيك؟))

جحظت عيناه وهو ينظر لها بسذاجة شبيهة لسذاجة أفكارها
وسرعان ما امتزج الغضب بخط ملامحه الوسيمة وأظلمت
عيناه وهو يصرخ بها بصوت عالي يؤنبها

((ماذا؟ ماذا؟ ما هذه الترهات؟ هل تريدنا فعلا أن نتطلق ثم
نعود لبعضنا بعد عشر سنوات بحالة لم يتزوج أحد منا؟ ما هذا
الغباء والجنون يا سارا؟ هل علاقتنا تافهة لهذا الحد؟))

شدت سارا على أسنانها وهي تخبره بغضب

((حسنا.. كفى.. لا تثتم.. حسنا كنت امزح معك.. ولكن لا مفر
من الطلاق.. طلقني ودعني أكمل جامعتي لأربع أو خمس
سنوات.. وبعدها يمكننا العودة.. لكن أنا لا أستطيع تحدي أبي..
فكل النعيم الذي أعيشه هو من أمواله وأملاكه))

لوى راجي شفثيه بغير رضى ثم قال باستياء متنهدا

((حسنا.. بما أننا وبكل الأحوال.. كنا سننفضل.. سأطلقك..
ولكن..))

تطلعت سارا إليه بنظرات غير مرتاحة قبل أن تنطق قائلة

((لكن ماذا؟))

أجابها راجي مقترحا

((دعیه طلاق صوری فقط أمامه.. أنا سأرسل لك ورقة طلاقك بدون أن أتفوه بالكلمة.. وهكذا شرعا ستبتقین زوجتی.. حتی نستطيع التواصل.. وحتى لو جئت هنا نلتقي ببساطة وأیضا..))

زفرت سارا وهي تنظر له بشرر تقاطعه مفرعة إياه

((الآن ما تقوله هو الجنون بعینه.. كيف تريدني أنا أكون زوجتك شرعا وقانونا طليقتك؟ لا.. مطلقا لا.. لا أستطيع أن أكون زوجة لك على الورق فقط.. أنا سأكون المتضررة الوحيدة من هذه الفكرة الغیبة.. راجي لو كنت تهتم بي وتحشى عليّ لم تكن ستقبل بأن أكون زوجتك بدون أي إثبات أو وثيقة.. صحیح أننا ننوي العودة لبعضنا.. ولكن لا أحد يعرف الظروف أو ما سيحدث مستقبلا.. لذا مستحيل))

هز راجي رأسه بتفهم قبل أن یغمغم

((معك حق))

بقي راجي یومی برأس عدة مرات لتمط سارا شفيتها قبل أن تقول له بضيق علیه وعلى ما تسببته له

((راجي لماذا تضخم الأمور؟ لماذا أنت محبط؟ ستطلقني ثم سأسافر للخارج للدراسة وبعد خمس سنوات سأعود وننزوج))

ثم أردفت كلامها بإقناع

((وربما وقتها سأستطيع إقناع أبي بنا.. ما رأيك؟ توقف عن العبوس))

هز راجي رأسه قليلا بوهن وهو يقول لها بصوت خافت

((حسنا..))

ابتسمت سارا له بحزن وهي تقول

((جيد..))

مرت أكثر من دقيقة لتتململ سارا مكانها هاتفه بترقب

((هيا قلها.. راجي))

رفع راجي نظره له يقول لها

((حسنا سأقولها وبعدها سأتابع الأمور بنفسي حتى تصالك
ورفتك))

ابتسمت سارا بامتنان له

((شكرا لك))

رد راجب عليه متمتما

((لا بأس على الراحب والسعة))

لحظات وعادت سارا تزفر بنفاذ صبر وهي تقول له بعصبية
طفيفة

((راجي هيا طلق.. كف أنت عن المراوغة.. لا تكن دراميا..
أخبرتلك أنه مجرد انفصال مؤقت.. انفصال.. وسنعود قريبا..
ثم ألم تقل متذمرا بالسابق أنني كنت أشغلك عن دراستك
وعملك؟ وألم تكن لك خطط سابقة للسفر لفرنسا لمدة من الوقت
عند أبيك؟ أحتاك الاثنتين وأمك متزوجات وأنت وحيد.. اشغل
نفسك بإنهاء دراستك مبكرا وبمعدل عالي.. ثم سافر لعدة
سنوات عند والدك بفرنسا.. لنعتبر أن هذه الفترة هي فترة راحة
أو إجازة زوجية لكلينا للقيام بما يتوجب علينا القيام به.. وأيضاً
لكسر الملل وتجديد الحياة بيننا..))

كانت ملامح راجي مقتضبة ولم يكن مقتنعا بالترهات التي
تحدثت فيها..

إجازة زوجية لزواج امتد سنة وحسب؟

لكنه أوما لكلامها لتومئ له بترقب بانتظار أن يحررها..

رفع راجي نظره لها وهو يقول لها بتردد وبدعم رغبة في
المضي قدما بالأمر

((أنتِ.. سارا أنتِ..))

كانت تنظر له بجمود بانتظار أن يقولها ليقول أخيرا

((سارا أنتِ.. ط.. طالق))

هزت رأسها له تخبره بهدوء

((حسنا.. سأنتظر أن تصلني ورقة طلاقي.. والآن.. ممممم..

ما رأيك بما أنني الآن بفترة العدة أن نستغلها أنا وأنت سويا

حتى سفري؟ يمكننا الذهاب وزيارة الكثير من الأماكن))

قالت كلماتها الأخير بحماس غبي.. ليجيبها راجي مقتضبا وهو

يتراجع لظهر الكرسي

((حسنا))

=====
=====

بعد عدة أيام..

دلف راجي لغرفته بمنزله صافقا الباب خلفه بقوة..

لحظات وفتحت سميحة التي تبعته الباب عليه قائلة باستغراب

وهي تدنو منه وتقف مقابله لتطالعه

((راجي بني ألم تهتم لوجودي بالمنزل؟))

جلس راجي على حافة سريره عقب أن خلع قميصه مطلقا

تنهيدة عميقة قالت سميحة على إثرها باهتمام وقلق شديدان

((راجي حبيبي ما بك؟ هل حدث شيء ما جعلك غاضب أو
محبط؟))

كان راجي شاردا وذهنه مغيب تماما وهو مستمر بصمته ولا
يرد على والدته التي جاءت خصيصا للبيت لتتفقدته وترى ما إذا
كان بحاجة أو ينقصه شيء إلا أنه دخل للبيت نحو غرفته بلا
أي اهتمام لزيارة والدته..

استلقى راجي على ظهره بمدده فوق السرير وهو يضع ذراعه
على عينيه مطلقا تهيدة أخرى قبل أن يتمتم لأمه التي جلست
على طرف سريريه بجمود شديد

((أمي أرجوك لنتحدث لاحقا.. أنا متعب جدا وبحاجة لأن
أختلي بنفسي وارتاح.. هل يمكن أن تطفني الضوء وأنت
خارجة.. إذا سمحت أمي؟))

ردت عليه سميحة بقلة حيلة

((كما تشاء))

كانت تشعر سميحة من اتصالات راجي لها ومن رؤيته الآن كم
هو متخبط وذهنه شاردا بشيء لا تعرفه..

تنهدت بينما تنهض مبتعدة عنه..

اقتربت من مقبس الضوء لتهدر قائلة قبل أن تخرج

((راجي أنا لا اعرف ما الذي غيرك منذ مدة.. إذا واجهتك أي
مشكلة خاصة لو كان بشأن حديث عمك معك عن زواجك من
إحدى بنات عمك فلا تردد بإخباري وأعرف أنا كيف سأعامل
معه.. لا تتركني قلقة على حالك.. لي الحق أيضا برويتك
مرتاحا وسعيدا))

أقفلت سميحة ضوء الحجرة ما أن أنهت كلماتها لتخرج وتغلق
الباب خلفها تستعد للعودة لبيتها الزوجي تاركة إياه وحيدا
يصارع مشاعره حتى ظلام الليل ووحشته..

كان يشعر بالضيق وهو يتذكر تلك السنة التي جمعته بسارا
عندما كانا متزوجان..

لا يصدق كم كانت صعبة عليه كلمة "طالق" .. شعر بروحه
تنتزع منه وهو يقولها..

وكم يكره رؤية نفسه يحترق بسببها وهي التي لا تعير
الموضوع أي انتباه..

ترى الأمر مجرد انفصال وطلاق بسيطان وسيعودان مجددا
لاحقاً..

هكذا كانت ترى الأمور باستصغار وببساطة..

لكن كيف سيعيش تلك السنين بعيدا عنها؟ لا يدري..

خاصة وأنه اعتاد بشكل كبير لكل ما يخصها ووجودها حوله قد
يصل للإدمان..

وهذا طبيعي جدا.. فقد تقاسما المودة وبذل الحب والعطاء في
علاقتهم..

ومع أنه ساد اعتقاده السابق أن الرجل هو المسئول عن جعل
من يحبها تشعر بأنها مميزة..

لكن عندما يتعلق الأمر به هو وسارا فالأمر مختلف..

فهي بالعادة من تعمل على جعله يشعر بأنه مميز..

تجعله يشعر بالحب والرغبة..

تغازله كما لو أنها تتعرف عليه من جديد.. ودائما ما تثني على
مظهره..

تلعب معه دور صعبة المنال في بعض الأحيان وتدلل عليه
بلطف.. فيخرج منها بصدق وبدون افتعال..

تنهد بإنهاك.. بالنهاية هو لا يريد تضخيم الأمر..

ولا يريد التسرع في الحكم.. ولا يريد أن يدعو ما بينهما حبا..

رغم ملازمة كلمات الحب لسانه عندما يكون برفقتها

لكن.. بدأ يشعر بغيابها من الآن.. وبدأ يشعر بهذا الغياب كأنه
هو.. غربته..

=====
=====

أرعى مراد نظراته لها من بين رموشه الكثيفة بينما اللون
البنديقي في عينيه يحترق عشقا بها..

عانقت ابتسامة صغيرة ثغره وهو يراها شاردة بالتفكير أمامه
بالنظر لإحدى المنشورات السياحية وباختيار أي مكان تحديدا
للسفر له فرفع يده يداعب إحدى خصلات شعرها بأنامله..

رفعت جالا عينها لتتنظر له مباشرة وقلبها يهتز في صدرها
وهي تراه يرشقها بنظرات عاشقة وكأنه يراها لأول مرة..

فابتسم مراد لها بحنو وهو يقبلها قائلا بنبرة رجولية خافتة

((لنستغل نهاية الصيف في الذهاب لإحدى المدن السياحية
بالخارج.. لنختار بعناية عدة أماكن.. سأقوم بأخذ شهرا كاملا
إجازة لي))

قالت جالا له وهي تزرم شفيتها

((اشعر بأننا لن نستطيع فعلا الذهاب فوالديك اشتعلا غضبا
عندما قلت لهما أننا سنسافر لشهر كامل للخارج للاستجمام..
وأبضا أنا..))

قربها مراد منه بغته لتشوق جالا مغمضة العينين قبل أن يقبل
شفتيها بنعومة وببطء ثم توقف فجأة..

فتحت جالا عينيها ترمقه باستغراب وهي بين ذراعيه مخدرة
ليقول لها

((أوه جالا.. توقي ولا تفسدي علينا هذه الأجواء بتذكر كلام
والدي))

هزت رأسها له مطيعة فأسند مراد جبينه على جبينها هامسا
((احبك.. احبك..))

خرجت أنفاسها بهذه اللحظة لاهثة حد الاختناق وشعرت بقلبيها
يكاد يتوقف من الإثارة..

رفع مراد كفيه بمسك وجهها يثبتته بين راحت يده ليعود وينهال
من شفتيها بشغف وبعمق يغمض عينيه مع كل لحظة يتذوق فيه
شهد شفتيها..

فصل قبليتهما لتقول له لاهثة بإحراج وهي تحاول دفعه قليلا
عنها برفق

((تريث يا مراد قليلا.. دعني بالبداية.. أحضر.. الفطور لك..))

لا تعرف كيف عادت بين يديه فوق السرير بعد أن جذبها
يعيدها مكانها هادرا بنبرة مثقلة بالعاطفة والعشق

((كم مرة يجب أن أعيد كلامي عليك بأنه لا خروج من هذا
السرير أبدا بوجودي؟ ثم أي فطور هذا وأنت متواجدة هنا وألذ
وجبة فطور))

عارضته بدلال وقد احمر وجهها بالخجل الأثوي الذي زادها
فتنة وبهاءً

((مراد.. ألا يكفي إجازة شهر العسل المتأخر التي ستأخذها؟
لماذا تأخذ هذه الأيام إجازة أيضا؟))

قرب رأسه منها هامسا وهو يرفع احدى حاجبيه

((أحب أن اخذ أيام إجازة استعد فيها قبل إجازتي الطويلة التي
ستكون لمدة شهر كامل معك فقط..))

ثم اقترب بشفتيه منها ليلتهم كل إنش بوجهها يقبله بنهم ويوزع
قبلاته الدافئة على صفيحة وجهها الناعمة..

اختض جسدها قليلا..

لا خوفا من شيء إلا أن تخذله وألا ترضيه بدرجة كافية..

فهي تشعر بهاجس خوف من أن يكون في داخله ندم لزوجها
منها..

أو بأنه لم يسامحها بعد على كل ما جعلته يمر به خلال فترة
زواجها مع أنها سامحته على كل ما أخطأه هو بحقها..

وحتى أنها سامحت يارا ووالدته على كل ما فعلاه بها فقط من
أجله هو..

أغلب المرات التي يحاول الاقتراب يستبد به الخوف قليلا
ويعود شيخ الماضي لتراه أمامه ويرتجف جسدها..

لحظات قليلة حتى يتلاشى كل شيء من أمامها وتبدأ الغرق معه
بعالم عشق بعيد عن كل ما حولها وهي تصبح كتلة متأججة من
العواطف..

من أجلهما تحاول التوقف عن جفائها العاطفي وتحاول دائما
فعل الأفضل.. فقط من أجلهما..

خرجت تأوهات خفيفة منها أثناء تقبيله لها لتغلق عينيها..

ويدون أن تشعر رفعت يداها الاثنان لتحيط عنقه وأناملها
تلاعب خصلات شعره الكستنائية الناعمة..

ودقائق حتى كانت تستنجد عاطفته العذبة بنشوة وسعادة..

=====
=====

بعد مرور عشر سنوات..

تتهددت هيام بخفوت وهي تشعر ببعض الضيق الذي جاهدت
بإخفائه أمام اثنتان من قريباتها اللتان قدمن لزيارتها في بيت
حماتها القريب من شقتها هي واحمد والتي سابقا كانت شقة
احمد مع إيمان..

رفعت رأسها لهن ثم قالت بفضول مع ابتسامتها المريرة

((إذا إيما هي هنا بالفعل بالبلد؟))

هزت سوسن رأسها قائلة عقب أن ارتشفت من قدح القهوة
أمامها

((نعم لقد جاءت هي وزوجها وأولادها.. كما سبق وقالت زوجة
والدها عندما أنجبت طفلها أنها ستاتي لقضاء عطلة الصيف
ببيت والدها هنا كما العادة))

رفعت هيام حاجبيها تسألها للتأكيد وهي تدعي الفضول وعدم
الانزعاج من الحديث عنها

((أوه فعلا؟))

أجابتها سوسن بتأكيد

((نعم يا هيام.. طبعاً أنت لا تعرفين شيء عن أخبارهم.. فلا أنتِ ولا عائلتك تزورينهم ولا هم يفعلون))

أجابتها هيام بامتعاض ودفاع

((هم من يقاطعوننا.. ولو كان الأمر عائداً لي لبقيت على تواصل معهم..))

أجابتها سوسن وهي تدافع عن عائلة إيمان

((اعزبيهم يا هيام.. معهم حق ألا يحبو وصالك أو سماع أخبارك.. فبالنهاية أنتِ متزوجة من زوجها السابق ومن وجهة نظرهم أنتِ هي سبب خراب بيتها السابق أيضاً.. لكنهم يببالغون بالأمر.. فلا داعي أن تصل القطيعة لعشر سنوات))

توترت طفيف ظهر على صفحة وجه هيام بسبب فتح موضوع خرابها لبيت إيمان والذي أصبح فعلاً قديماً..

خاصةً وأنها لطالما أملت أن يُقفل نهائياً.. على الأقل يوماً ما وللأبد..

ارتسمت ابتسامة فخر على محيا هيام وهي تقول باندفاع أمام كل من عادة وسوسن

((لكن تعرفون يا عزيزاتي أنني تزوجت أنا واحمد عن حب.. وأنا احبه جداً ولا زلت كذلك.. بل كنا نحب بعضنا بجنون قبل زواجه من إيما.. كما أنه سبق وطلب يدي ورفضته في البداية لا لشيء إلا لأن قلبي انكسر على إيما.. لكن وبعد مرور سنة آنذاك لم أستطع التحكم في مشاعري أكثر وقبلت عرض زواجه مني.. ومنذ زواجنا الذي مضى عليه عشر سنوات وأنا سعيدة معه.. وصدقوني احمد لم يستغني عن إيما بل ووعدها بأنه سيعدل بيننا ولكنها هي من رفضت.. ونحن احترمنا حقها بالانفصال.. الحمد لله على كل حال.. بالنهاية لم نخطئ.. ولم

نفعل بما يعيب مجتمعنا.. ولم نقم بما حرم الله.. لذلك رجاء
لنتعلق هذا الموضوع))

هزت عادة رأسها مؤكدة على كلام هيام لتقول

((معك حق يا هيام.. ثم لقد مر أكثر من عشر سنوات على
الأمر والمعظم نسي هذه القصة لذلك لا داعي أبداً لذكر هذا
الموضوع.. وكما نعرف جيداً إيماناً تزوجت بعد سنة ونصف
فقط منذ طلاقها من زوجها من أحد أصحاب النادي الرياضي
الذي كان أبناً يذهب إليه.. وهو حاصل على نفس جنسيتها كما
أنه لم يسبق له الزواج من قبلها))

انحنى رأس هيام وقد ظهر الامتعاض والضيق الشديدين على
وجهها..

انتهين من سرد موضوع تدميرها لبيت ابنة عمها لينتقلن
بكلامهن إلى ذكر سيرة إيمان وقصة زواجها..

لماذا وكل مرة تأتي إيمان للبلد بزيارة يجب على أحد من
أقاربها نقل أخبارها لها؟

قاطعت سوسن حديث عادة المستهجن هادئة

((لنكن صريحات يا جماعة.. إيماناً عند طلاقها كانت عبارة عن
أية من الجمال وصغيرة بالعمر ولم تكن قد أنجبت إلا طفلاً
واحداً.. بالإضافة إلى كونها حاصلة على جنسية أمريكية
ووالدها معروف من هو.. كريم ابن كرماء.. لذا كان مؤكداً
بأنها وبمجرد حصولها على الطلاق سيتقدم لها الكثير من
الخطاب.. ولو أنها لم تكن واثقة بأنها ستتزوج بمن هو أفضل
من زوجها السابق لم تكن ستطلق منه خاصة وأنه كان أنذاك
بأوج ثروته وبأفضل أحواله))

رفعت هيام وجهها لسوسن تفرسها بنظراتها وهي تقول لها
بحدة

((ما الذي تقصدينه يا سوسن بكلامك عن احمد؟ الحمد لله
وضعنا ميسور جدا.. صحيح أننا عانينا ببداية سنوات زواجنا
وتأثرنا بدخول احمد السجن زورا وبهتانا وتكبدته الكثير من
الديون للمحامين وما إلى ذلك من تبعات فضلا عن توقعه
بالعمل بالعيادة لمدة.. لكن وضعنا الآن أفضل والحمد لله بل
وربما أفضل من السابق..))

دافعت عادة عن سوسن قائلة بلوم لهيام على اندفاعها بالغضب

((هيام هي لم تقصد ذلك.. على العكس.. فأنت واحمد أثبتما
أنكما تحبان بعضكما وبقيتما على الحب حتى بعد الزواج..
فأنت صبرتي على احمد أثناء قيوعه بالسجن الذي دخله بمجرد
عودتكما من شهر عسلكما ولأكثر من سنة ونصف.. وهو اثبت
وفائه لحبكما عندما لم يتخلى عنك بمجرد أن اعرف أنك لا
تتجيبين))

شعرت هيام بغصة في حلقها ونغزه قوية في قلبها عند جلب
سيرة الأطفال وعقمها..

فهي تعيش مع احمد في بيت هادئ جميل رغم بعض
المنغصات.. وجمع معهما أحلام ومستقبل واحد..

وكان أول الأحلام هي أن يكمل الله سعادتهما بطفل جميل يجعل
منزلهما شعلة نشاط لا تهدأ..

لكن.. إذا بالحياة تمضي وتمر الأيام وتتوالى حتى أندثر حلمها
بالحصول على طفل بعدا أن علمت بحالة احمد..

وبعد أن فشلت أخر عملية قامت فقادت الأمل بالحمل..

وأكثر ما يؤلم أن لا أحد يعرف حقيقة أنها سليمة ولا تعاني من
أي خطب أو مشكلة تمنعها من الانجاب كما يتوهمن..

اخفت هيام جرح قلبها وهي تبتسم أمام عادة بامتنان على
كلماتها..

ولأخذ الموضوع من الناحية الإيجابية..

هي واحمد بالفعل أثبتنا للجميع انهما وفيان لبعضهما ولحبهما..
فقد كان الجميع يقول بأن احمد سيندم على تركه لزوجة رائعة
مثل إيمان وزواجه منها..

لكن استطاعت هي بتضحيتها وتفانيها من اجل احمد إثبات
العكس..

واستطاعت أيضا الأثبات للجميع أنها تستطيع أن تكون بنت
أصل ومضحية ومخلصة مثلها مثل إيمان بل وأكثر..

اتسعت ابتسامة هيام وهي تقول لغادة

((معك حق.. احمد يقول لي دائما انه لا يهتم بموضوع الأطفال
أبدا ويكفيه وجودي بقربه.. فأنا أبنته المدللة ومن أغنيه عن كل
أطفال العالم..))

ابتسمت كل من سوسن وغادة لسعادتها.. ثم وقفت غادة من
مكانها قائلة باعتذار

((حسنا يا هيام اعذريني ولكن أنا بحاجة للذهاب الآن.. لدي
غدا يوم عمل حافل وعليّ النوم مبكرا.. متى سأقاعد وارتاح
منه يا ربي))

قالتها غادة جملتها الأخيرة متنهدة بتعب وهي تطلع لتنتهي من
عملها هذا الذي تراه كهم يكبلها..

لكن ذكر أمر العمل على مسامع هيام كان بمثابة نغزه أخرى
بقلبها..

لتبدأ مشاعر الندم والحسرة تتسلل لداخلها..

ندم كبير على تفريطها بعملها وحلمها السابق..

خاصةً وأنها لم تنجب واحمد أصبح بعد زواجهما يبقى لساعات
طوال بالعمل لتعويض كل ما خسره والتقدم في عمله..

قاطعت النساء دلوف والدة احمد للداخل شاهقة بدهشة

((إلى أين أنتن ذاهبات هكذا وحتى قيل أن اجلس معكن وأقدم
الضيافة لكنّ كما تجب؟))

لانت ملامح عادة مجاملة والدة احمد وهي تقول

((والله يا حاجة نحن مستعجلات..))

إلا أن والدة احمد رفعت يدها تشير بها بإصرار قائلة بما لا
يقبل النقاش لتجعل عينا هيام تبرقان بتأثر لها

((حتى ولو ابقيا فهيام ليست كنتي بل وهي ابنتي وهبة من رب
العالمين ويشهد الله على كلامي.. وضيوفها هن ضيوفني
وخاصةً أنهن حضرن لمنزلي))

بعد ساعات..

عادت هيام لشقتها والتي كانت سابقا هي شقة احمد وإيمان..

خلعت وشاحها فقد تحجبت بعد زواجها من احمد ثم استأقنت
على سريرها شبه جالسة تتصل بوالدتها بمكالمة مرئية..

أخذت فيها تحكي وسميحة تصغي لها أذنها بكل اهتمام..

حتى وصلتها تنهيدة هيام وهي تقول لها نافية كلامها بحزن
طفيف

((لا أدري يا أمي.. لكن أنت تعرفين كم مرت السنوات السابقة علي وعلى احمد صعوبة.. فبعد خسارته لعيادته وانتقاله للعمل بمشفى حكومي بالرغم من إظهار براءته إلا انه لا يتكيف فيه أبدا.. لم نعد متقاربان كالسابق.. عمله يأخذ منه كل وقته.. أتحدث معه بهذا الخصوص أحيانا ويغضب مني.. صحيح انه سرعان ما يعتذر مني لانفعاله.. ولكني لم أعد اشعر بأننا مرتبطان كالسابق))

تنهدت سميحة هي الأخرى على كلام هيام..

خاصة وأن احمد يقضي كل وقته بعمله من البداية وليس شيئا جديدا عليه..

ولكن ابنتها هي من أصبحت لا تطيق البقاء وحيدة وتحمل الملل خاصة مع الفراغ الذي تعيشه بحياتها..

فأجابتها والداتها صريحة

((الارتباط الزائد مزعج يا هيام والنقيض أيضا.. هناك علاقات يفضل الأشخاص فيها التقارب الزائد وتمضية كل الوقت مع شريكه ظنا منه أن هذا شيء عاطفي يقربه من الآخر ولكن هذا لا يفلح في جميع الأوقات.. فجميعنا كبشر نحتاج لتمضية وقتنا الأشخاص مع أصدقائنا أو بمفردنا))

بضجر سألتها هيام

((والحل يا أمي؟ ماذا أفعل؟ صدقيني بالفترة الأخيرة أصبح يبقى بالمشفى بالنهار لوقت طويل))

قالت لها سميحة ناصحة

((كما سبق وقلت لك يا ابنتي.. لا تشعرني بالحنق بشأن وقته الذي يقضيه بعمله.. اعتبيري أن ابتعادكما عن بعضكما سيجعله يشنق لك أكثر.. وأنت قومي باستغلال فترة غيابه بأمور

أخرى.. ماذا حدث بالكلية الشرعية التي كنت تنوين الانتساب لها عبر الأنترنت؟))

تنهدت هيام وهي تفلت الهاتف قليلا وتمسح وجهها بكفيها ثم قالت

((أريد الانتساب فعلا لها وقريبا.. ولكني حقا وبرغم الفراغ الذي أعيشه لا أجد الوقت أبدا.. أنت تعرفين أن حماتي امرأة مسنة ومريضة وعليّ البقاء معها معظم اليوم وخاصةً بفترة غياب احمد.. أنا لا أتذمر من هذا الأمر بل على العكس هي دائما ما تدعوا لي بالتوفيق وتقول بأنها سعيدة للحصول على كنة مثلي.. فايما كانت دائما ما تسيء معاملتها.. حتى عبير لا تزورها إلا بالعطل الأسبوعية.. لذلك دائما تشكر الله أنني أصبحت كنتها وعوضتها عن العذاب الذي لاقته مع عبير و(ايما))

لوت والدتها ثغرها ثم قالت تدافع عن ابنة أختها عبير

((عبير يا هيام لها ثلاثة بنات وصبي صغير.. وهي طيبة تعمل بدوام كامل فكيف تردبها أن تترك بيتها وأطفالها وتزور حماتك أكثر من مرة بغير نهاية الأسبوع؟ لا تقارني عبير بك.. فأنت يا ابنتي.. وبا حسرتي.. تركتي وظيفتك من جهة ومن جهة أخرى لم يرزقك الله بولد يقر عينيك.. لذلك لديك وقت على عكسها لحماتك))

استطردت سميحة قولها بصوت متهدج حمل بثناياه الحسرة والقهر على نصيب ابنتها ورزقها من الدنيا

((والله يا هيام إنني ادعوا الله أن يشفيك من عمك ويرزقك الولد الصالح.. فحتي لو تجاوزت الثالثة والأربعين من عمرك ما يزال هناك بصيص أمل لك للإنجاب.. الله قادر على كل شيء يا ابنتي))

أشاحت هيام وجهها من أمام كاميرا الهاتف بضيق وحزن..

الآن حان موعد الاستماع إلى الكثير من الكلام من قبل والدتها
والذي هو جزء بسيط من معاناة ما تسمعه أو تعيشه لأنها لم
تصبح أمًا إلى الآن..

عادت هيام تنتظر لها قائلة بتحشرج ورجاء منكسر

((أمي أرجوك.. انه قدر الله ونصبي من هذه الدنيا.. وانا
راضية به.. كل شيء من الله أنا أكثر من راضية به.. لو كتب
الله لي أن أنجب أولاد فسيحدث يا أمي.. لكن حديثك هذا يؤلمني
جدا فتوقفي))

تعلقت عينا هيام الملتمعتان بشيء يدمي قلب أمها بشرود بعيد..
فهمست لها سميحة معذرة بنبرة متحسرة حزينة وهي تحاول
أن تكتم بكائها

((والله لا أستطيع يا هيام ألا امنع نفسي عن التحسر على
حالك.. دائما الحمد لله وأبدا.. وحاشا لله أن نعترض على حكم
وقدر الله ولكني يؤلمني يا ابنتي ألا احمل أحفادك بيدي))
أغمضت هيام عيناها بالم..

أمها مُصرة أن تكمل الخوض في هذا الموضوع..

أمها التي كانت أول من بدأت تكثر الأسئلة والاستفسارات عن
إنجابها حتى أصبحت مصدر قلق لها ولأحمد..

بل صارت هيام نفسها مصدر قلق وخوف لأمها.. لدرجة أنها
كانت تخاف على صحة أمها من عدم إنجابها..

خاصةً وعندما رزقت جالا بابنتيها روعة ابنة الخمس سنوات..
ولين ابنة الثلاث سنوات..

فكانت أمها وكلما انتهت من ملاعبتهن أو إطعامهن حتى تبدأ
بوصلة بكاء على حالها وتتنظر لها نظرات غريبة تمزقها تمزق
داخلها أكثر.. وتمزق كل شيء حولها..

مع أنها تعرف بأن أمها معذورة.. فهي أم.. وجزعها هذا
مصدره قلقها عليها..

ولكنها تؤلمها حقاً..

قالت سميحة بصوتها المقهور الباكي وقد عجزت عن التحكم
بدموعها

((وأنت مقصرة جداً بحق نفسك.. لماذا لم تتخذي موضوع
عقمك بشكل جدي ولم تواظبي على زيارة الأطباء بشكل دوري
ومستمر للبحث عن علاج لك بالسابق؟ كان عليك فعل ذلك منذ
أن بدأ ناقوس الخطر يذق عند اقترابك من سن الأربعين))

عند ذكر والدتها إهمالها بمراجعة الأطباء وزيارتهم للبحث عن
علاج لها تمنّت هيام فعلاً من أعماق قلبها وبشدة أن تخبرها
أنها سليمة ولا تعاني من أي خطب لذا هي لم تكن تستشير
وتزور الأطباء للعلاج..

لأنها وباختصار لم تكن بحاجة لهم..

فبالنهاية ليست المرأة ليست المسؤولة الوحيدة عن عدم الإنجاب
لكنها هي من تعمدت الإيحاء للجميع أن سبب عدم الإنجاب هو
منها هي..

وليست نادمة على ذلك ولا نية لها بالإفصاح عن الحقيقة.. هكذا
الوضع أفضل..

فأن تكون أمام عائلتها وأقاربها المرأة العاقر هو ارحم لها بمئة
مرة من أن تتعرض رجولة احمد أمامهم للانتفاص..

الرافة.. أريد من بثيتني ويقوي عزيمتي على الصبر على
((البلاء))

كانت سميحة تريد أن تقول لها

"وقد يكون عقاب على ظلمكم لتلك المسكينة وابنها"

لكنها تراجعته بأخر لحظة.. فمن تكون هي حتى تقرر ما
يحدث لأبنتها إذا ما كان ابتلاء أو عقاب..

فقالت سميحة لها وهي تكف عينيها المحترقة بالدموع

((حسنا يا ابنتي.. فليعينك الله على الصبر وأنا لن أكرر الأمر
مجددا بل سأكون عوناً لك على صبرك.. أتمنى من الله أن يثبتنا
جميعاً على ذلك))

مسحت هيام دموعها هي الأخرى وهي تقول بابتسامة حزينة

((أمي لتغير الموضوع.. أخبريني هل سيأتي راجي عندك هو
وجالاً.. لأنني لاحظت أنه قد أصبح لنيماً معنا منذ زواجه.. لم
يكن هكذا قبل الزواج من تلك الحقيرة سارا.. لم يكن علينا
السماح له بالزواج منها..))

قالت هيام آخر جملة بتجهم وقد تبدلت ملامح وجهها للنقيض
بغير قصد..

لا تزال لا تعرف كيف سمحت لأخيها أن يتزوج سارا مرة
أخرى بعد أن طلقها..

بينما راح فكر سميحة لما قبل سنوات وقبل أن تعرف بأمر
سارا..

حيث قامت هي بخطبة فتاة ابنة أناس أغنياء أصحاب أصل
طيب ومعروف من خارج القرية لراجي من وراء ظهره وظهره
فيصل..

فطلبوا فترة أسبوع للسؤال عن راجي..

لتفاجئ بعدها أنهم حائقين من إخفائها عليهم أن ابنها سبق
وتزوج وطلق وليس عازبا كما سبق وعرفت عنه أمامهم..

وقتها وبصعوبة تحكمت بنفسها وأعصابها وهي تعود لراجي
تجبره أن يخبرها الحقيقة..

من تزوج ومتى وكيف وأين..

ليعود قبل سنتين ويطلب منها أن يتزوج من نفس المرأة التي
سبق وأنفصل عنها ولم تجد أمامها إلا الاستسلام لطلبه ممن
يريدها لأجل سعادته..

قالت سميحة بيأس لهيام

((أحيانا أقول هذا.. وأحيانا أخرى أقول لو منعناه لربما كان
سينتظرها لأخر عمره فهو تقريبا كان يعيش على أطلالها في
سنوات طلاقهم حتى عندما سافر لفرنسا عند والده ليكمل
دراسته..))

هزت هيام راسها لأمرها بنفهم واقتناع ثم تنهدت..

تحدثت الاثنتين بمواضيع متفرقة قليلا قبل أن تنهيا محادثتهما..

أغلقت هيام الهاتف وهي تنهدت بألم وتعندل واقفة من على
السريير..

تعرف بأنها لن تكون آخر مرة لوالدتها بالحديث عن موضوع
إنجابها والبكاء أمامها.. ولكن ليس بوسعها فعل شيء آخر..

تقدمت هيام نحو تلك الحجرة الصغيرة بالشقة تفتحها من مقبض
الباب لتوزع أنظارها على كل ما فيها..

هذه الحجرة هي من قامت بتجهيزها بنفسها لأبنتها الذي لم يأت
قبل سنوات..

كم جلست وتخيلت وتأملت تلك الحجرة وهي تنتظر هذا الطفل
الذي سيلون كل حياتها بأجمل الألوان ولكن لم يكتب الله له
المحيء حتى الآن..

تتهدد هيام بيباس وهي تأكد لنفسها أن لا أحد يحصل على من
الدنيا كل شيء..

=====
=====

ليلا..

وقف راجي متأففا ينظر للحقائب العديدة والضخمة التي أعدتهم
سارا من أجل عطلتها الصيفية والتي ستكون نهاية هذا
الأسبوع..

قال راجي متذمرا أمام سارا التي تجلس على السرير بتكاسل
وتتالع صور جلسة تصويرهم

((نحن لن نهاجر لدولة أخرى بل سنذهب للبحر نهاية هذا
الأسبوع وسنبقى فقط لعدة أيام لا أكثر.. لم كل هذه الأمتعة؟))

أجابته سارا بلامبالاة وهي تقلب صفحات الألبوم وبدون أن
ترفع نظرها له

((وضعت بداخلهم الكثير من المرطبات والكريمات الواقية من
أشعة الشمس.. شمس الصيف هذه الأيام حارقة خاصة عند
البحر..))

قاطعها راجي ساخرا بحدة وبنفس الوقت كان يحذرها تحذيرًا
مسبقًا لنوعية الملابس التي سترتديها

((حتى ولو.. لن تحتاجي للكثير منها.. فليس كأنك ستكتشفين
أكثر من وجهك ويديك لتحتاجي دهن هذه الكريمات فوق باقي
أجزاء الجسم))

نظرت سارا إليه بابتسامة مأكرة تغير الموضوع وهي تقول
بعبت وهي تغمز بإحدى عينيها

((وضعت بداخلهم أشياء أخرى قد نحتاجها أنا وأنت يا
عزيزي))

أصدر راجي صوتا ساخرا ثم هز رأسه بيدي اهتماما زائفا
((أوه فعلا؟ مثل ماذا؟))

انفضت سارا من مكانها قائلة بتذمر وهي ترشق راجي
بنظرات الحنق مقطبة حاجبيها

((راجي يكفي استفزازا لي.. ألا يكفي أنني قبلت بالذهاب لرحلة
داخل البلاد بكل تواضع.. ألم تعدني قبل زواجنا بأنك ستوفر لي
نفس الرفاهية التي كنت أعيشها عند والدي؟ عند والدي كنت
أسافر عدة مرات بالسنة للسياحة للخارج.. لا مرة ومرتين
فقط.. اعرف أنك يا راجي لست غني وبمستوى ثراء والدي
ولكنك لا تمر بأزمة مالية مثلا.. صحيح؟))

سحب راجي نفساً عميقاً يحاول به تهدئة نفسه حتى لا يرتكب
حماقة معها قد يندم عليها..

ثم قال لها بخشونة وقد احمر وجهه من شدة الغضب

((سارا حتى لو لم أكن امر بأزمة مالية ولكن هذا هو مستوى
وضعي المادي.. هل تعرفين ما مشكلتي معك؟ أنني أريد أن
اشعر بمقدرتي على إعطائك ما ترغيبين به.. أنا أتوق لرؤيتك
تقدرين هذا ولا تشعرين بالأسف أو بأنني مقصر في حقك من
الناحية المادية ولا اجلب لك ما ترغيبين في الحصول عليه))

زمت سارا شفثيها وهي تقول له بحنق

((إذا أردت الصراحة يا راجي فأنا أحيانا يا راجي أشعر بالقلق
على مستقبلتي معك))

نظر راجي لها بخيبة أمل موجعة له وهو يحدق بها بوجه متجهم وبإحباط بلا حركة وبلا صوت..

نعم يحبها وسعيد بكونه تزوج منها..

لكن هذا النوع من الحديث الذي يحدث بينهما غالبا ما يثير إحباطه..

يعرف انهما كزوجين أمام الجميع أصبح لهما مسؤوليات حقيقية مختلفة جدا عما كانا عليه بالماضي..

فبالماضي حتى مع صحة زواجهما كانا حرفيا يعيشان كالعشيقين لا شيء بينهما إلا أيام شقية وليالٍ حارة..

قال لها راجي بعتاب

((نعم ولكن شعوري بأنني أخذك هو أكثر سوءا من شعورك الفلق.. ثم ألا يمكنك أن تناقشي هذه المسألة بالذات معي بشكل لطيف وتبعثي فيها الشعور بالتقدير وبأنك راضية عني وعما افعله من أجل بيتنا على الأقل يا سارا؟))

تنهدت بتذمر بصوت عالي.. ثم قالت له

((ما الذي ترغبه الآن؟))

صمت راجي طويلا وهو يستمر بالتحديق بها بينما داخله يغلي من الإحباط ليقول بعدها

((منحي التقدير.. ارجب في أن اشعر بأنك تقدريني وتقدرين كل ما اصنعه وما أضحي به من أجلك ومن أجل بيتنا.. فلا تقومي بالتذمر من بعض الأشياء التي لم أقم بها على الوجه الأكمل.. لأن هذا يزعزع من ثقتي في نفسي.. وتقديري لك))

أجابته سارا بنزق واستهزاء

((حسنا.. حسنا.. لكن اهدأ.. سأحترس فيما أقوله وسأنتهز أي فرصة في اليوم حتى أخبرك عن تقديري وحبّي لك.. الآن أريد أن استرخي بمغطس طافئ))

زق راجي بها بغضب وندم قبل أن يندفع نحو الخارج صاقفا الباب خلفه

((لقد أخطأت بالتحدث معك.. أساسا ومنذ متى والتقدير يُطلب!))

نزل راجي الدور السفلي من شقة والدته والتي أصبحت له هو وسارا من خلال الدرج بخطوات غاضب..

حتى بعد مرور سنتين على زواجه من سارا يشعر بأنه حديثُ عهد بالزواج..

هو يتفهم جيدا أن لها حقوقًا لكن أيضًا عليها واجبات..

وهو يعطيها جميع حقوقها ويضغط على نفسه في بعض الأحيان من أجل الوصول إلى الاستقرار في حياتهما الزوجية..

لكن المشكلة هي أن سارا لا تنتهي مطالبها..

فإذا سافرت في رحلة تسأله عن سفرها التالي..

وإذا خرجا معًا تتحدّث عن الخروج مرة أخرى بعد رجوعهما للبيت..

فهي تُريد المزيد دوماً.. ولا تكتفي بشيء..

حتى بعد مرور سنتين على زواجهما تحب تعذيبه.. تحب جعله يخوض التجارب والتعب للحصول على ما يريد منها..

دائما ما تبحث عن الوسائل التي تجعله يشعر أنّ عليه أن يحارب من أجل الوصول إلى ما يريد وأنّ عليه القيام بجهد ليُلفت نظرها وانتباهها..

وبداخل حجرة النوم عادت سارا تستريح على ظهر السرير بلا مبالاة وهي تتابع مشاهدة صور جلسة تصويرها التي قاما بها مؤخرا هي وراجي..

فهي ليس لديها صور من زفافها الذي كان قبل سنتين مع راجي..

حفل زفافهما كان بسيطا جدا..

مدته لم تكن أكثر من ساعتان صباح يوم إجازة..

فبعد أن انتظرها راجي لأكثر من خمس سنوات حتى تنهي دراستها جاءت له فرصة ذهبية لإكمال دراسة الماجستير بالخارج مما جعلهما بالنهاية ينتظران أكثر حتى يتم زواجهما..

بالنسبة لها.. لطالما اعتقدت بأنها تريد بيوم زفافها أن تبدو كالمملكة المتوجة..

وأن تشعر وكأنها أنها شخصية مشهورة تركز عليها الأضواء ويتهاافت عليها الناس معربين عن إعجابهم بمظهرها..

لكنها وللغرابة وقت حفل زفافها براجي شعرت بأنها لا تريد إلا حفلا بسيطا نهائيا وشعرت بانها لا تريد دعوة إلا عشرات الأشخاص..

ووافقها راجي الذي كان متلهفا بشدة لإتمام زواجهما بدون أي تعقيدات وبأسرع وقت..

فكان حتى فستان زفافها بسيطا جدا وغير متكلف..

حيث كان فستان ابيض وخالٍ كليا من أي تطريز.. ويعتمد على البنطال كجزء منه..

ولأنها تذكرت قبل زفافها بدقائق موضوع التصوير كونها لم تستعن بمنظمي حفلات الزفاف لينظموه لها..

كلفنا أصدقائها بمهمة التصوير الفوتوغرافي خاصة وأنها تتقن بهم كثيرا فهم يعرفون الصور التي تحبها والزوايا الجيدة لأخذ صور لها..

لكنهم وللأسف لم يكونوا محل الثقة..

فقد قضى أصدقائها الحمقى المشردين وقتهم بحفل الزفاف وهم يأكلون من البوفيه بشكل جنوني ولم يصور أحد بهم أي مقطع جيد لحفل زفافها..

وكلما استقطعت من وقتها أثناء حفل الزفاف جزءا كي تنبههم على التركيز بأخذ صور لها يؤكدوا لها أن تهذا وتعتمد عليهم فقط..

دأبت ابتسامة شقية جانب وجهها بنشوى وهي تتذكر كيف كانت عائلة راجي جميعهم متجهمين بالحفل..

بدءاً من عمه الذي أصابته نوبة دخل على إثرها المشفى..

أو أختيه الاثنتين جالا وهيام زوجة الدكتور الذي سبق وتم سجنه وخرج بمساعدتها هي..

حتى أن والدتهم قالت لهن مرارا وتكرارا أثناء زفافها

((ابتسمن يا بنات.. أخاكنّ سيتزوج ولم يمت.. الزواج لا يعني انه لن يبقى أخ لكن..))

فردت هيام على أمها وقتها مقاطعة إياها بقهر وهي تنظر بغل لالتصاقها أمام ناظريها براجي بدلال وغنج

((المشكلة ليست بالزواج.. المشكلة بعروسه القبيحة التي سيتزوجها مرة أخرى.. هل يعقل يا أمي أن توافقني على طلبه هو ابنك الوحيد بالزواج منها بحفل بلا أي إعداد مسبق أو دعوات؟ أنه ليس حفل زفاف.. بل كأننا مدعوون لحفلة شواء سخيفة بحديقة عامة))

بعد ساعة..

نزلت سارا الدرج للدور السفلي إلى مكتب راجي حيث كان يجلس ويراجع بعض أوراقه لتفتح الباب عليه بوجه مشرق بابتسامة..

اقتربت سارا منه لتحيط عنقه بذراعيها وتطبع شفيتها فوق شفيتها الساكنتين بدون أن يستجيب لها..

ابتعدت سارا عنه قليلا بدون أن تهتم لجموده المستمر وهو ينظر لها..

لتقف أمامه هاتفة بسرور

((اليوم سأدعوك أنا للعشاء في الخارج وعندما نعود سأحرص على جعلك تقضي ليلة رومانسية.. هي اترك العمل واصعد لارتداء ملابس أنيقة))

كان راجي ما زال غاضبا منها.. لكنه لم يقاوم دعوتها.. فظهر بعض الرضى على وجهه وهو يقول لها مقترحا بابتسامة حاول إخفائها

((موافق.. ولكن ولأني مللت بالذهاب للمطاعم.. ما رأيك أن نغير قليلا.. لماذا كل خروتنا يجب أن تكون للمطاعم؟))

مالت سارا برأسها له تسأله بفضول

((حسنا لكن أين تريدنا الذهاب؟))

أجابها وقد اتسعت ابتسامته وشده الشوق والحنين بشدة لماضيها وكل الأوقات التي كانا يقضيانها سويا

((سارا بعد زواجنا بدأت أشعر بأن صداقتنا السابقة بدأت تندثر.. لا داعي لكل نزهاتنا أن تكون رومانسية كزوجين.. فما رأيك لو خرجنا في نزهة كأصدقاء؟ فيدل من عشاء رومانسي على ضوء الشموع يمكننا الذهاب إلى إحدى صالات البولنج واللعب والمرح تماما كما كنا نفعل قبل عشر سنوات..))

قالت سارا له بعدم حماس

((ولكن قد تبقى فيه لوقت طويل.. ولديك بالغد عمل طويل))

أجابها معترضا بسخرية

((لا تقلقي.. أنا دائما متأخر على عملي من بعد زواجي بك.. بل اكتشفت أن الزواج منك يعني لا يوجد شيء يسمى الحفاظ على مواعيدك.. دوما تأخريني عن موعد العشاء والتجمعات العائلية والمناسبات.. هكذا هو الزواج معك))

تأففت سارا بصوت عالٍ وهي ترفع وجهها وتحقق في السقف بحقٍ بالغ من سخريته التي لم يكن لا أي داعي الآن..

نكدي.. أصبح راجي زوجا نكدي حرفيا.. لقد تغير.. جدا.. وبشكل مزعج..

ثم أنزلت رأسها تنظر إلى راجي تسأله بغضب

((راجي أخبرني هل أنت لا تزال حانقا مني لأنني شتمتك أمك حتى مع اعتذاري لاحقا منها وقبولها الاعتذار؟))

ساد الصمت للحظات وقد اشتعلت عينا راجي وهو يرشقها بنظراته..

ليزرر بحقد قبل أن يقول أخيراً بصوتٍ خفيضٍ غاضب

((هل تعرفين لو أن والدتي لم تحلفني بالله أن أنسى ما سمعت وألا أحاسبك والالا لما قمت بتمرير الأمر هكذا ببساطة))

قلبت سارا عينيها باستفزاز له ثم كتفت ساعديها لتقول له

((راجي أنت تعرف أني لم اقصد أن اشتهما.. كنت أريد شتم أختك هيام ولا أدري كيف خرجت مني لأقولها عن والدتها ناسية أنها والدتك.. لكنك تذكر المشكلة جيدا وتعرف بأن الخطأ كان خطأ أختك.. أنها لا تزال حاقدة عليّ وتكرهني لأنني سبق وصفعت زوجها عن طريق الخطأ عندما كنت منفعلة قبل عشر سنوات وتثير دائما المشاكل معي..))

ضرب راجي طاولة المكاتب أمامه بغضب ثم قال لها وصوته يرتفع عاليا

((نعم اعلم أن هيام كانت المخطئة بحقك.. ولكن حتى مع ذلك إياك أن تظني بأني نسيت أو سأنسى مسألة شتمك لأمي.. ويبدو أنه عليّ التوقف عن التنازل لك))

لطالما اتخذ راجي معها قاعدة "هي دائما على صواب"..

لأنه وللأسف.. ومع خبرته كمحامي علم الحياة الزوجية الناجحة مع امرأة مثل سارا تقوم على الحب والمشاركة مع الأخذ في الاعتبار والتصريح دوما لها بأنها على حق..

أو كما كانوا يقولون قديما "هل تريد أن تكون سعيدا أم على حق؟" ..

ولكن ليس بعد الآن..

أجابته سارا صارخة عقب أن حررت يديها

((إذا ومن الآن وصاعدا أنا أيضًا لن أتنازل أكثر بزواجنا.. ولن أتخلي عن حقي بكوني أريد أن أكون زوجة سعيدة.. لكنه هل تعلم كيف أصبح زوجة سعيدة؟))

نظر لها راجي بعينيه بغضب وترقب ينتظر أن تكمل حديثها لتردف بحسم شامخة الراس

((أختاك الاثنتين.. جارتكم.. بنات عمك.. والدك.. والدتك..
أولاد بنات عمك.. زوجة والدك.. زوج والدتك.. بنات جالا.. لا
دخلني لي بهم ولا أريد منهم أن يدخلن هنا.. فأنا لست خادمة
لأحد منهم.. تمام راجي؟ حتى أنني لن أكون مضطرة أن أتحمل
أطفال بنات عمك وثقالة دمهم.. أنا أكره الأطفال كما تعلم..
خاصةً قليلي التربية منهم..))

رفع راجي احدى حاجبيه يقول لها من بين أسنانه وهو يرفع
سبابته محذرا

((حسنا إذن.. ولكن هكذا فلا يوجد أحد مطالب بخدمتك عند
زيارتهم أيضا.. ولا أحد مجبر على غسل أطباق طعامك.. أو
أن يطهو لك ويطعمك.. أما بالنسبة لعلاقتي مع أختاي فلا
تدخلني بها.. كما أن هذا البيت هو بيتها قبل أن يكون بيتي
أنا..))

أجابته سارا بتجهم وانفعال

((معك حق لا دخل لي بالعلاقات الأخوية.. ولكن لا تنظر لي
هكذا وكأنني شريرة هنا.. أنا هكذا طبعي منذ زمن وأنت
تعرفني جيدا فأنا لم أتغير بل أنت من تغيرت ويوما عن يوم
تصدمني شخصيتك الجديدة.. أنا كما تعلم معتادة على
الصراحة.. ولا أحب أن يسعد أحد على حساب سعادتي..))

وبنزق قالت سارا لها قبل أن تغادر المكان وتصفق الباب خلفها
متجاهلة فكرة الخروج التي اقترحتها

((تصبح على خير))

=====
=====

فتحت جالا عيناها مبتسمة لترفع نظراتها نحو الرجل الوسيم
الذي يحتضنها بحنان بجسده الدافئ وأنفاسه تلمح عنقها وخذها..

رفعت أناملها تتلمس ذقنه الخفيف المنمق بشغف خجول ملازم
دائم لها لتعلو الشقاوة وجهها..

تلملم مراد بنومه من لمساتها لتنتسج ابتسامتها على منظره
الناعس الرجولي وتثسج نظراتها بالسعادة..

فأغمضت عينيها وهي تحرك أرنبه انفها فوق بشرة وجهها
ضاحكة بخفوت منتشي..

استيقظ مراد من لمساتها الملحة مبتسما ليقول بصوت أجش من
إثر النوم وهو يرفع كفه يحتضن جانب وجهها برفقة مطالعا
إياها بعشق

((ما هذا الوجه الحسن الذي فتحت عيني عليه؟ هل الصباح
دائماً جميل كهذا؟ أم أنك أنت الجميلة دائماً في كل صباح يا
مليكة؟))

ثم اعتدل قليلا نصف جالسا ليسحبها نحو ويضمها بقوة أكبر
واضعا ذقنه فوق رأسها ليغمغم بدفء

((كم اشتقت إلى صباح يجعلك بين يدي طفلة.. كل يوم صباح
لا تكونين فيه بين أحضاني أشتاق لك أكثر وأكثر))

دفنت جالا وجهها المشرق ب صدره بتوق قائلة بصوتها الضاحك
وهي تهمس له مصححة بسعادة

((كل هذا يا مراد فقد لأنك نمت بليلة ما قبل أمس بالعمل بعيدا
عنا؟ نتحدث وكأنك كنت مبتعدا عنا لأشهر..))

همس لها بجانب أذنها

((هذا لأني لست معتادا على النوم بالخارج أو بعيدا عن أعضائك.. تمنيت قبل أمس لو أن المسافة تُبتر أو تُقطع لكي أكون بجانبك لأستيقظ على ضحكك الصباحية))

خرجت ضحككتها لا إراديا مجللة بحجرة نومهما.. لتدفن وجهها في صدره أكثر وأكثر..

استطرد لها مراد طالبا بحب

((ولا يغربني بهذا الصباح سوى رائحة فنجان قهوة ممزوج بحروف اسمك مليكتي))

ابتعدت عنه جالا قليلا قائلة بلهفة

((سأعد أيضا الفطور لك ولرورو ولين أيضا.. سأدلك بما أنك اليوم بإجازة قبل الذهاب لوالدتي لساعتين لتجلس مع البنيتين.. ومن ثم زيارة والدي لنهاية النهار))

كان يود التذلل عليها أكثر ويطلب منها أن تبقى بيوم أجازته بالبيت وتلغي موعد خروجها..

ولكنها سبق وطلبت منه الخروج لوالديها منذ عدة أيام..

كما انه يعرف أن عمه فيصل ليس بخير.. فمؤخرا صار طريح الفراش معظم الوقت..

ولا يريد أن يضغط عليها أو يضايقها بأي وقت تريد فيه زيارته لتتراجع..

فقال لها مراد مبتسما

((حسننا أيقظي البنات واعدي لهم الفطور أما أنا لا أريد إلا القهوة فلست اشعر بالجوع))

بعد ساعة..

دلف مراد لغرفة بناته ليرى بكره ورورو ابنة الخمسة سنوات
تبكي بطفولية وهي تخفي وجهها بكفيها الصغيران هاتفة

((لا أملك يا أبي شيئا جديدا أرنديه أمام جدتي))

نظر مراد بحيرة لكل الكم الكبير من الفساتين التي أخرجتها من
دولاب ملابسها ووضعها أرضا..

مع أنه سبق واعتاد على مقولتها هذه المفضلة والتي تقولها
بشكل يومي قبل الذهاب لحضانتها..

حيث تقف أمام دولاب ملابسها عابسة لأنها لا تجد ملابس
جديدة تستطيع ارتدائها..

ابنسم مراد لها بحنان متدفق وهي ينحني حاملا إياها يغمرها
بأحضانها وهو يسألها وكفه الآخر يطيب فوق شعرها الرقيق
هادرا

((تحلي بالهدوء يا أميرتي الصغيرة.. فأنت تملكين ملابس
كافية.. دعينا نختار لك واحد مؤقتا ترتدين أمامهم ريثما نذهب
لاحقا للتسوق سويا وإحضار فساتين أخرى أجمل منها))

قالت له رورو من بين دموعها بصوتها العذب الطفولي وهي
تهز رأسها

((حسنا يا أبي))

هتفت له جالا بحنق وهي تلف الوشاح حول رأسها أمام المرأة
بالصالة

((مراد أنا مستعجلة.. أخبرها أن تتوقف عن التدلل وأن ترتدي أي شيء أمامها بسرعة))

وبهذه اللحظة شعرت جالا بأنها تفتقد حقا حياة العزوبية أو أول خمس سنوات من زواجها بمراد..

حيث كانت أكبر مشاكلها هي عدم إيجاد لون وشاح يتماشى بشكل مثالي مع لون ملابسها..

أما الآن فهي فعلا لا تدري من أين تستمد الصبر والشجاعة لمواجهة ابنتها التي قررت أنه لا توجد فستان جديد وملئم لتزور جدتها به..

فمع بلوغ ابنتها عامها الخامس بدأت شخصيتها بالبروز بشكل أوضح..

وتشبهها بالعناد وهي تحاول فرض شخصيتهم عليهم واختيار ما يعجبها هي بكل شيء ورفض أي شيء يخالف هواها..

ومن ضمن هذه الأشياء الملابس التي ترتديها..

فمثلا قبل مدة عندما اضطرت لأخذها لعزاء احدى الأقارب أصرت ابنتها على الذهاب بثوب الأميرات وارتداء التاج ومسك عصاتها السحرية للعزاء..

ومجددا.. لولا مراد الذي عرف كيف يقنعها بارتداء ملابس غيرها..

والا لم تكن ستعرف كيف تواجه طفلتها المزعجة الذي قررت أن رأيها هو الأهم وأنها كبيرة بما فيه الكفاية لتختار ملابسها بنفسها..

خرج مراد من غرفة طفله قائلة لجالا

((حبيبيتي.. هل يمكنك أن تعدي فطورا سريعا لي؟))

نظرت له جالا بعينين متسعيتين.. ثم قالت له بحنق وتأنيب لكن
بنبرة رقيقة وهي ترفع إحدى حاجبيها

((هل تمازحني مراد؟ ألم تقل بأنك لا تريد الإفطار أبدا؟ والآن
وقبل أن اخرج تريد مني إعداد فطور آخر لتأخر أكثر على
والدتي؟))

قال مراد لها ببراءة

((ألا أمون عليك حبيبتني؟))

قالت له جالا عقب أن ضيقت عينيها وهي تمسك أعصابها ألا
تقتله

((بل تمون يا حبيبي.. تمون.. ماذا تريد أن اعد لك؟))

أجابها مراد وهو يجلس على الطاولة

((طعام تحببته أنت.. ولكن بسرعة))

دقائق وكانت تضع جالا آخر الأطباق فوق الطاولة هادرة

((تفضل لقد خفقت وأعددت لك الأومليت وهناك بعض
المرطبات الخفيفة.. فمؤخرا لاحظت أنك لم تعد تحب تناول
الكثير على الفطور بجانب قهوتك..))

ما إن همت جالا بالابتعاد عنه حتى شهقت وهي ترى مراد
يمسك بيدها يجذبها للخلف نحوه لتسقط جالسة فوق ساقيه لتهدر
له متعجبة

((ماذا تفعل يا مراد؟))

أجابها مراد وهو يحكم جلوسها فوق ساقيه قائلا

((أنا لم اعد فعلا أحب تناول الفطور صباحا.. هذا الطعام لأجلك.. كليه أنتِ فلم أراكِ تأكلين شيئا من الفطور بينما كنتي مشغولة بإطعام الصغيرتين..))

ابتسمت له ثم فتحت ثغرها تتلقى اللقيمات التي بدأ يعدها له وهي تشعر بداخلها بكمية كبيرة من الأمان والحب..

ووجها يتلون وجهها باللون الأحمر وهي تشعر باشتعال أذنيها وكأنها ليست زوجته منذ احدى عشر سنة..

دقائق وقيل أن تخرج جالا من الشقة طرقت روعة الباب لتفتحه لها..

دلفت روعة للداخل وهي ترشق جالا وبنيتها وملابسهن المعدة للخروج بفضول ووجوم لتقول متسائلة بصوت قاسي ((إلى أين أنتِ ذاهبة يا ابنة سميحة؟))

ظهر الضيق على جالا وهي تجيب بوجه خال من التعابير ((إلى أمي سميحة.. يا عمه))

نظرت لها روعة بامتعاض ثم قالت لها بصوت ساخط

((ألم تذهبي قبل أسبوعين عندها؟ أنها تسكن بعيدا عن القرية فليس من السهل الذهاب هناك كل مدة قصيرة.. من الآن وصاعدا ستذهبين مرة بالشهر وكثير عليك.. ادخل للداخل وغيري ملابسك ولازم بيتك فأبني اليوم بإجازة))

خرج مراد من غرفته بهدوء على صوت امه لتلتفت جالا له هاتفة بكل غضبها

((مراد ألم أقل لك قبل عدة أيام أنني أريد الذهاب لأمي ووافقت على ذلك؟ إذا أخبر أمك بهذا))

نظر لها مراد بوجوم ثم قال لها بحزم وبصوت في منتهى الهدوء

((جالا.. أنا قريب منك.. أرجو أن تكلميني بصوت منخفض لو سمحتي))

أطرقت جالا راسها زافرة ليستطرد مراد لها

((يمكنك الذهاب أنتِ والبننتين الآن))

رفعت جالا رأسها ثم تقدمت لتحمل لين وتمسك يد ابنتها الأخرى خارجة بدون أن تقول أي شيء آخر..

بينما نظر مراد لها بقليل من اليأس لتقول له روعة بامتعاض

((زوجتك المصون عنيدة وترفع صوتها عليك بصوت عالي أمامي بلا أي احترام ولا تتحدث إليك بطريقة لائقة.. مع أنه سبق أن نبهته أنا وأنت مرارا وتكرارا بعدم رفع صوتها))

نظر مراد لوالدته قائلا برجو عقب أن جلس بإحباط على الكرسي

((أمي أرجوك ليس الآن..))

نعم هو يعرف جالا ويعرف مشكلتها بصفة العناد.. تعانده وتعانده الجميع على أنفه الأشياء..

رفع مراد وجهه لأمه التي لم تلتن ملامح وجهها بتعب هادرا

((أمي أنا أحب جالا حتى ولو فيها بعض السلبيات.. كما أنني أرى فيها الكثير من الخصال جميلة والتي قلما أجدها في نساء أخريات..))

قاطعته صارخة بغضب

((وهل جربت الأخريات لتحكم أنها ليست موجودة إلا بفرودة الزمان بنت سميحة؟ ثم إن هناك عيوب تكاد ترجح بكفتها على المزايا.. هذا غير تصديق رأسي ورأسك بمسألة عملها))

عاد مراد يخبر امه بهدوء راجيا أن تفهمه

((أمي صدقيني هي تكلمني بأدب ولكن صوتها مرتفع.. صدقيني هناك بعض النساء صوتهن هكذا.. وعندها طبقات صوت أكثر..))

غمغمت له روعة وهي تنتظر لها بطرف عينيها

((لا تتمق عاداتها برفع الصوت.. أنها تتعمد رفع الصوت عليك))

تنهد مراد قائلا

((أمي أنا لا أوافق على تصرفاتها.. ولكنني بالمقابل أيضا لست كاملا.. لذلك على كل منا أن يفوت ويتهاون والا يقف طويلة على مشكلة الآخر.. وليس من المعقول أن أقابل صياحها بصياح.. ولا أن أقبل رفع صوتها برفع صوت.. فضلا يا أمي على أن الصوت العالي حيلة الضعيف.. اعتبري جالا ضعيفة))

ثم أردف قائلا وهو يكاد يرجوها التوقف عن جلده

((وبالنسبة يا أمي بشأن عملها كنت واضحا معها بأنها لن تعمل ووافقت وانتهى الموضوع))

رشفته روعة بنفس السخط قبل أن تتمم قائلة وهي تخرج من المنزل وقد نسيت لماذا صعدت عنده من الأساس

((حسبي الله ونعم الوكيل في بنت سميحة.. لكن الخطأ ليس خطأها بل خطأك أنت.. والله لو أنجبت بنتا لربما كان انفع لي منك.. ولد يا مراد أنت ولد ولست رجل حقيقي.. عوضي على الله))

=====
=====
فتح احمد باب شقته وعقب أن خلع حذائه وهم بإغلاق الباب
خلفه كانت هيام تدنو بخطوات سريعة نحوه تدفن نفسها
بأحضانها وهي تعانقه بقوة هاتفة

((احمد حبيبي أخيرا عدت.. منذ الصباح وأنت خارج المنزل يا
ظالم بعيد عني وتظماً عليّ حتى بالرد على اتصالاتي..))

رفعت هيام الواقعة على أطراف أصابع أقدامها نفسها وهي تشد
على عنقه فحتى بعد أن تعدا الثلاثة والأربعين من عمرهما لا
تزال تتصرف أمامه بمرح وعفوية وهي تكاد ترتفع عن
الأرض أثناء احتضانه..

ابتسم احمد لها بامتنان على تحمله طوال هذه السنين بلا أي
شكوى..

ما إن هبطت قدميها لتلامسان الأرض حتى أحاط بإحدى
ذراعيه خصر هيام والذراع الأخرى أبعدت رأسها الدفون
بحنايا عنقه قليلا عنه ليرى وجهها المتجهم بغضب مصطنع..

فهو يعرف أنه مهما يفعل هيام لا تغضب عليه..

ثم وبدون أي سابق إنذار حمل هيام للتعلق بعنقه عفويا شاهقة
بخوف..

دار بها بالمكان وكأنها طفلة بالرغم من تخطي وزنها السبعين
كيلو غرام بينما هو غارق بالضحك على صراخها الأثوي
وهي تدفن رأسها موازي لكتفه هاتفة

((احمد.. توقف وأنزلني سأقع.. سأقع.. أنت مجنون.. أرجوك
أنزلني))

بعد دقائق من الرجاء المتوسل العميق استجاب احمد لتوسلاتها
وقد شعر بالدوران قليلا..

كان يلهث وهو يحملها وشعر بألم في ظهره.. لم تعد صحته
كالسابق..

وضعت هيام ضاحكة يدها فوق صدرها تحاول التحكم بتنفسها
وهي تنتظر له..

يخطئ الكثير من المقربين منه عندما يعتقدون أن احمد شخص
مُتحَقِّظ أو بارد بعض الشيء..

أو أنه إنسان غير سعيد بما حوله لكن كل ما في الأمر أنه يُبقي
عواطفه بالداخل بينما يحاول أن يكون عمليًا مع الآخرين طوال
الوقت..

كما أنه يتغير ببطء.. فهو يحب الروتين ويكره التغيير لذا
تحاول دائما أن تسبح مع تياره..

وإذا لم تفهم شيئًا تقوم بسؤاله عنه في الحال..

ولأنها وطوال سنوات زواجهما أبدت له اهتماما بفهم ومشاركة
كل ما يخصه جعلها جزءًا من روتينه الخاص بكل سرور..

فلطالما كانت معه ترتدي قبعة الصبر ولا تتعجل..

لأنه رجل من النوع الذي يحتاج أن يأخذ وقته في كل شيء
ليتمكن من جمع شتات أفكاره أمام المعطيات والأشياء..

ذلك يسري على علاقتهما وعمله.. فأحمد لديه روتينه الخاص
أيضا بعمله الذي يلتزم به والذي إن حاولت هي تعطيله لن
يكون سعيدًا..

لذلك تحاول رغم أحيانًا حنقها أن تتركه يقوم بما يحتاج القيام به
وحالما سيفرغ منه سيكون كله ملك لها..

خرج احمد من الحمام بعد أن قام بالاغتسال لتقول له هيام وهي تمد يدها ممسكة بالمنشفة

((لقد جننت الآن من عند والدتك وقد جهزت الطعام هناك..
فارتاح قليلا ثم لنذهب سويا لبيتهم))

ارتاح احمد جالسا على طرف السرير وطبطب بيده بالمكان
جانبا فوق السرير قائلا لهيام

((تعالى إذا واجلس بجانبى لو أردتِ راحتى))

ابتسمت هيام له بحنان ثم جلست بجانبه تغمغم له بدلال وهي
تراه يرفع راحة يده لتحيط وجهها

((احمد.. هيا سنتأخر على والدتها.. توقف عن ذلك))

ابتسم لها احمد تلك الابتسامة التي تذيب قلبها وعقلها قائلا
بمرح وببراءة

((ماذا؟ أنا احبك وحسب))

هيام من جهة ورغم بهجتها بما تسمعه منه.. إلا أن دقات قلبها
بدأت تزداد بارتياح..

فمؤخرا بات احمد يعلن كثيرا وأكثر من أي وقت مضى منذ
عشر سنوات عن حبه لها وأنها كانت ولا زالت أول حب
بحياته..

هل يفعل هذا لأن ابنه الوحيد يكرهه وعرف انه ما عاد يملك
من الدنيا غيرها بعد أن هدم بيته الأول وفقد إيما وابنه بسبب
زواجه منها؟

أم هناك شيء آخر؟

عقدت هيام حاجبها بدلال أتفتته منذ زمن له متسائلة

((احمد توقف.. منذ عدة أيام وأنت تكثر من قول كلمة
"احبك".. وهذا مريب جدا.. هل هي تعويض عن انشغالك
الدائم بالعمل))

تتهد احمد بتعب غير ظاهر عليه..

نعم يعرف انه مقصر بحقها بسبب عمله..

ولكنه بحاجة للاستمرار بذلك خاصة وأنه بينه وبين الترقية
القليل فقط..

وهو معتاد بالتفوق على الجميع بأي مجال يعمله..

غمغم احمد باسمها لتتظر له باهتمام بالغ وحب وهي تستمتع
بكل الحنان والاهتمام الذي يقدقه عليها مضاعفا بالفترة الأخير
لتسمعه يقول له بابتسامة وهو يرفع احدى حاجبيه

((ما المريب بالأمر؟ لقد أحببتك منذ أول يوم رأيتك فيه بأيام
الجامعة وكنا بالثامنة عشر وحتى الآن وقد صرنا بعمر الثالثة
والأربعين يا هيام قلبي..))

فكر بحياته معها قليلا.. هو سعيد دائما معها.. يشعر انه عريس
كل يوم كأول يوم لهما قبل عشر سنوات..

يعشق فيها أنها لا تتادبنيه إلا بأعذب الألقاب ولا تسمعه إلا
بارق الكلمات والحروف..

تمطره دائما بأجمل كلمات الغزل والحب..

لم تتفان للحظة أن تبذل جهودها حتى لا يحزن أن خسر ايمان
وابنه الوحيد بسبب رغبته وإصرار بالحصول عليها..

وبالتأكيد لم يكن هناك أغلى على قلبها من أن تمنحه طفل
يعوض عليه ابنه الذي هجره وعقه.. ولكن مشيئة الله فوق كل
شيء..

عندما تزوجته سمعت أفضع وأشنع الكلام الذي قيل من وراء ظهرها وحتى أمامها..

الكل كان يلومها ويتهمها بأنها سارقة رجال ومدمرة بيوت.. كأنها هي من طلبت من احمد أن يتزوجها..

لكنها صبرت ولم تهتم للكلام ومن وجهة نظرها أصبحت مثال للمرأة القوية..

وصحيح حتى الآن ما يزال البعض يغتابها ويذكرونها بسوء.. ولكن لا بأس فالوضع قد تغير كلياً عما سبق..

واغلب الأهل والأقارب نسو موضوع بيته الأول..

ولا سيرة لهم عنها وعن احمد إلا انتصار قصة حبهما الجميلة.. طويلة الأمد..

يتحدثون كيف لم يستطع أن ينساها حتى بعدما افترق عنها أول مرة أكثر من تسع سنين..

إذا لم يكن هذا حب؟ فما هو اسمه؟

هكذا تساءلت هيام بسعادة داخل ذهنها..

عم الصمت بينهما.. فابتعدت عنه قليلاً لتلاحظ تبدل ملامحه للهدوء والشرود..

حدقت به لدقائق طويلة قبل أن ينتبه احمد عليها ويلتفت لها وهو يمد يده يتخلل بأنامله شعرها الكثيف وكأنها الراحة الوحيدة المتاحة له..

همست له هيام وهي تنتظر له بهدوء

((علمت اليوم من بعض القريبات أنها جاءت للقريبة قبل عدة أيام هنا..))

تنهد احمد ثم هز راسه لها قليلا وهو يلتفت بشرود للأمام..

فهو لا يعرف أو يتواصل مع أحدا من القرية..

ولكنه كأب لا يستطيع ألا يكون محابا بالعلم على الأقل بمكان وجود ابنه الحالي..

سمع هيام تقول له وهي تخفض بصرها بقليل من الاضطراب

((احمد.. اعرف أن سبب ابتعاد بل وكره ابنك لك لأنه تم شحنه من قبل والدته عليك.. لكن لماذا لا تحاول اللقاء معه وشرح وجهة نظرك له.. أنت طبيب نفسي يا احمد.. يجب أن تعرف كيف تتعامل مع ابنك))

زفر احمد قليلا ثم ابتسم بمرارة وهو يمسح وجهه براحة كفي قاتلا بتهكم

((هيام.. هيام.. أرجوك لا تشير لي كطبيب نفسي على أي مخلوق خارق.. بل ثم هل تعرفين أنه قد يحاول المريض التلاعب بي وخاصةً بمجال عملي في حالات الإدمان؟ لذلك أحاول دائما توعية مرضاي بأنهم الخاسرين في النهاية إذا حاول أحدهم خداعي حتى مع اجتهادي في ملاحظة المرضى وفهمهم وتحليل كلامهم وسلوكهم في ضوء الواقع وعلم النفس حتى أقلل فرص الانخداع والتقصير في رعايتهم.. لذلك كف أرجوك عن معاملتي كساحر أو التوقع مني ولكوني طبيب نفسي أني لن أواجه أي مشكلات مع طبيعة شخصيات الأفراد.. فإذا كان ابني نفسه يرفض اللقاء بي ويرفض تغيير أفكاره بشأنني فكيف سأستطيع حل الأمر؟))

ابتسمت هيام له بألم وهي تسأله بفضول مفتعل تحاول استدرجه لتغيير الموضوع

((ماذا؟ وهل يمكن لمريض أن يتلاعب بطبيب ذكي مثلك؟))

تنهد يلتفت لها مبتسما قاتلا

((نعم. أحياناً لا يدرك المريض أنه مريضاً بالأساس وبالتالي
يبرر مشاكله بأسباب أخرى غير حقيقية أو يتلاعب بي حتى لا
أعالجه))

بعد ساعة..

كانت هيام وأحمد بيبيت والدته..

طلبت حماتها رؤية احمد داخل غرفة نومها لوحده فاستجاب لها
احمد بفضول..

ولكن لم يكونا بمفردهما بالغرفة.. بل كانت عيبر وزوجها إياد
بالداخل ولم تهتم حماتها بإخراجهما..

فهمت هيام بأنها تريد التحدث مع أحمد عن ابنه عدنان..

لذلك لم تهتم بجمعهم جميعا بعيدا عنها..

قالت والدة احمد بصوت غاضب متخبط لأحمد

((احمد.. لقد كانت صديقات هيام قبل ساعات هنا يزرنها
وسمعت عن طريق الخطأ أن إيما عادت لقربتها عند والدها..
صحيح؟ لا تظن أنني سأصدق لو قلت لي بأن ليس لك أي خبر
بأنها هنا.. لقد جاءت إيما وزوجها وأبناءها.. وابنك.. عدنان
أيضا جاء.. أنت تعرف.. صحيح؟))

قال احمد لها متنهدا بضجر من المحادثة التي على وشك
الدخول بها مع والدته وهو يجلس على الكرسي بتعب

((نعم أمي كنت اعرف))

قالت له من بين أسنانها

((كما تعرف أيضا أنها أنجبت مؤخرا صبيا بعد أبنتها))

رفع احمد وجهه لأمه ينظر لها عاقد الحاجبين وبوجوم..

نعم يعرف ذلك.. ولكن ما الحاجة لتقول هذا الكلام له؟

قال احمد لوالدته مستنكرا

((أمي.. لقدت تزوجت إيما وذهبت بحال سبيلها.. فلماذا
تصرين على ذكر أخبارها وسيرتها أمامي؟ ما الداعي لهذا؟))

كانت عينا والدته ترشقانه بغضب.. لكنها لم ترد أن تعود
وتعاتبه لأنه طلقها من الأساس ولم يُصر على الاحتفاظ بها
كزوجة..

ولو رغما عنها.. أو حتى لو سوريا على الأقل..

فها هي قد تزوجت من هو أفضل منه.. وأصبح وجهه اسودا
أمام كل من يعرف قصتهم من وجهة نظرها..

فقالت والدة احمد بصوت حاد

((كيف ما الداعي لهذا؟ حتى لو تزوجت من غيرك.. هناك
رابط بينكما لا ينقطع وهو عدنان.. ابنك أيها الدكتور عاد للبلد
وعلى بعد بضعة الكيلومترات عنا وأنت لامبالي بشكل مستفز
لرؤيته أو حتى إخباري عن مجيء حفيدي))

قال احمد لها بفتور

((أمي ما الذي تودين قوله الآن؟))

أجابته صارخة ولم تعد تتحمل بروده

((ما الذي أود أن أقوله؟ هل تمزح معي يا احمد؟ أريد رؤية
حفيدي.. حفيدي أنا الذي لم أراه طوال العشر سنوات الماضية
إلا بضع مرات كان يعاملني فيها بنفور وفتور شديدا.. وأنت

ذلك.. لذلك أنا لست مجبرا أن احف وألاحق لرؤية ابني وهو يعرف جيدا أنني لم أتخل عنه بل امه هي من هربت به لبلد وقارة أخرى))

جلست والدته على كرسي وكان أقدامها ما عادتا قادرتان على حملها لتتظر بأحاء الغرفة المتواجدين بها بلا هدى وهي تلطم صدرها هاتفئة

((حسبي الله ونعم الوكيل فيها.. حسبي الله ونعم الوكيل.. أمه كانت تمنعه من زيارتي عندما كانت متزوجة بك.. وبعد طلاقك غادرت كاللصوص متسللة هاربة به ومستغلة سجنك.. حسبي الله ونعم الوكيل.. والله كنت أظن بأنها باللحظة الذي تعرف بأمر سجنك ستأتي متلهفة ترجوك أن تعيها لعصمتك حتى تقف بجانبك وقفة بنات أصول وترينا تربية أبيها الطيبة.. لا أن تستغل الأمر وتهرب بأبنك بعيدا.. لا والأدهى من ذلك أنها تزوجت فقط بعد طلاقها منك بسنة ونصف..))

كان إياد ينظر لوالدته بقلق على حالها بالرغم من مبالغتها بالحديث بسوء عن إيمان بينما تنهدت عبير بضيق وتمتمت لنفسها قائلة بصوت غير مسموع وهي ترفع إحدى حاجبيها باشمئزاز وتتنظر لأحمد وحماتها

((والله يا حماتي من الوقاحة أن تنسوا فعلكم وتحاربوا إيما على ردة فعلها.. والله وقاحة.. بعدما كل ما فعلتموه بها تستكثرون عليها الزواج حتى!!))

قال احمد بامتعاض وهو يكتف ساعديه

((أمي.. أنت تعرفين أنني ريثما استطعت الخروج من السجن وريثما استعدت صحتي وعافيتي حاربت كثيرا ولسنوات لاستعادة حضانة ابني ولكن ولكونه قد كبر ولكونه يحمل جنسية أمريكية لأنه ولد هناك ولكون إيما قامت بشحنه ضدي ولقنته ماذا يخبر القاضي بكل جلسة خسرت حضانته.. والى هنا انتهى دوري.. وبدأ دوره هو بأن يطالب بالعيش معي بكل مرة كان

يجيء للبلاد هنا مع امه.. أو على الأقل المجيء عندي ورؤيتي
وبري))

نظرت عبير بعيني متسعتين لأحمد.. هل هو مجنون؟ حقا لا
تفهم كيف يفكر احمد..

هل يريد من ابنه ترك والدته المتعلق بها والتي يعشقها ليعيش
معه هو المشغول طوال وقته بعمله ليبقى مع زوجة أب؟

ثم هل كان أب مثالي لهذه الدرجة ليطلب بر ولده؟

صحيح أن بر الوالد لا يسقط أي كانت الظروف.. لكن أحمد
بجح.. بجح.. بجح.. ومتعالي.. ومتكبر..

تحتحت عبير من مكانها هادئة بصوت عالي وهي تقول لأحمد
محاولة قدر الإمكان الالتزام بالاحترام أثناء حديثها

((يا أبا عدنان لا تؤاخذني لكن هذه نتائج أعمالك.. لقد حفيانا
وانبرت ألسنتنا ونحن نقول لك بأنه لو غلب على ظنك أن ابنك
سيُعاندك ويغضب منك إن تزوجت.. فالأولى لك أن لا تتزوج
حتى تحافظ على مودته ولا تخسره.. فصلة الأرحام أولى من
تقطيعها والحفاظ على الأبوة والبنوة خير من ضياعها لأجل
الزواج من امرأة أحببتها..))

قال إباد لها بصوت مؤنب

((حتى ولو يا عبير.. ما فعلته أم عدنان ليس مقبولا أبدا ولا
يُعتفر.. كيف تحرم ابن من أبيه طوال هذه السنين! كم هو مفعج
لوالد أن يرى ابنه يكبر بكنف رجل آخر ويعتبره والده بينما
والده الحقيقي حي يرزق يكاد يموت شوقا لابنه..))

قالت عبير له عابسة وهي تهز كتفيها

((أنا لا أقصد حرمانه من ابنه.. لكن بعد أن تزوجت أم عدنان
كان احمد سيأخذ حضانة عدنان منها وإجبارها البقاء هنا من

أجل رؤيته.. فاضطرت الهرب به بعيدا لكن بعد أن امتلك
عدنان حق التخبير أصبحت تأتي للبلاد هنا شهرا كل سنة.. فلو
كان أخوك فعلا مشتاق لابنه لكان ذهب لبيتهم ورؤيته حتى لو
رفض عدنان رؤيته بالبداية.. فلم يبق أحد يشحن عدنان ضده
لكنه ولد فطين وبالتأكيد يتذكر كل ما حصل له.. لذلك من
الطبيعي أن يكون ساخطا على أبيه.. وهنا يأتي دور أحمد
بمحاولة كسبه بدلا من الجلوس هنا ووضع اللوم على غيره))
هز أحمد رأسه بوجوم.. عبير آخر من يود فعلا سماع صوتها
أو رأيها الآن..

لكنه قال بصوت عالي موجها حديثه نحوها

((لقد فعلت وحاولت زيارته.. ولكنه وبكل مرة كنت أراه كان
يعبر فقط عن كرهه لي.. ويرمني بأشياء لم افعلها وأقوال لم
اقلها.. ويكره زوجتي بشكل غير طبيعي.. لا يعطيني فرصة
لأدافع عن نفسي.. والآن أنا فقط وبعد أن كبر بالسن تعز علي
نفسي أن أكون أن من أطلب وصاله ورضاه بدل العكس))

حولت عبير نظرها من احمد لوالدته قائلة باستخفاف

((للأسف يا عمتي.. هذه نتائج عمل ولدك.. أنا متأكدة بأنه
يكابر ولا يستطيع الاعتراف بأنه نادم على خسارة إيما وابنه
من أجل حب غبي))

تنفس احمد بغضب وهو ينظر لشقيقه ينتظر منه إسكات
زوجته..

لكن لو هلة فكر.. هل يفتقد إيما؟

بدأ فكره يشرد ويستحضر مشاهد لم تحد محللة بعد أن طلقها..

فبداية زواجه منها قبل سنين طويلة وبالرغم من أن عقله وفكره
وقلب كانا مفجوعين لفراقه عن هيام..

إلا انه بأول ليلة انفرد بإيما كانت خجولة أمامه بشدة على الرغم طبيعة منشئها بالغرب..

فقد نشأت عند والدتها بتربية عربية إسلامية ولم تكن تحتك بالرجال كثيرا وهو تزوجها وهي في التاسعة عشر من عمرها في حين كان هو في الرابعة والعشرين..

ولأنه كان أول رجل بحياة إيما.. كان بالنسبة لها كل شيء..

كانا يقفان أمام بعضهما لأول مرة مفردان..

وإيما تخفض رأسها في استحياء.. عندما رفع احمد رأسها خفضت عينيها للأرض..

وعندما كلمها.. خرج صوتها مبوحا.. ومتقطعا.. ومرتجفا من الخجل أمام هذا الذي يسمى زوجها وأول رجل بحياتها..

بتلك اللحظة وبتلك الليلة لم تعرف إيما ماذا فعلت به..

لقد رفعته لأعلى درجات السعادة والنشوة.. أعطته دليل رجولته وإحساسه انه مهم للغاية وكبير بما فيه الكفاية لتخجل أمامه.. شعر بأنها تقدره حقا..

فكان في غاية السعادة.. واستطاعت هذه النشوى أن تنسيه حزنه وفقدانه لحب آخر..

لذا هو لا ينكر فعلا أنه وببداية زواجه منها أنه شعر بالسعادة..

وكان مستعدا أن يلبي لها أي مطلب إن كان غالي أو رخيص ليحافظ على هذه الصورة أمامها..

فزاد تعلق إيما بدرجة أكبر وأفرطت في حبه وتقديرها له..

وعندما كانت تحكي لأمها أو عائلتها عن احمد.. كان كل من يسمع عن احمد منها يتخيله رجل فريد..

لا يشبهه أحد من الرجال.. رجل طيب ومثالي..

فقد كانت إيمان صغيرة في السن.. قليلة الخبرة..

وربما بعد سنوات من زواجهما وبعد كل الذي فعله له وجرحها به حتى يتزوج من هيام جعلها تعتقد بأن كل ما رأته منه ببداية زواجهما كان لعب منه وتمثيل الحب عليها لأنه بات معها أحمد مختلف كلياً عن السابق..

والحقيقة أنه فعلاً شعر بالسعادة والحب تجاهها لوقت من الزمن لتلك الأسباب..

ولكن ما إن مرت عدة سنوات حتى وعلى ما يبدو انتهى الشغف بإيمان..

وبدأ الحنين والألم للماضي.. لهيام.. وبدأ يفقدتها ويشعر بجلل الحب الذي خسره..

وهيام فعلاً وطوال السنوات الماضية بذلت جهودها لتكون له سكن وراحة..

لذا ولأنه وجد بهيام كل ما كان موجود عند إيمان لا يظن بأنه نادماً كثيراً على خسارة إيمان.. إلا بمسألة ابنه لكونه لم ينجب..

أفلتت تنهيدة حسرة من والدته قائلة ببيكاء وهي تضرب راحة كفيها فوق ساقبيها

((يا حسرتي عليك يا أحمد.. ابنك الوحيد يكرهك ولا تستطيع حتى إنجاب غيره))

اطرق أحمد يمسك برأسه مغمغماً بإنهاك

((أمي توقفي بالله عليك))

حوقل إياد بتعب قبل أن يقول لوالدته بهدوء وهو يدنو من الباب

((إذن يا أمي لقد أنهيت نقل أغراضنا أنا وعبير الشخصية
والملحة.. وبوقت لاحق سأتفق مع إحدى الشاحنات لنقل أثاث
المنزل وما تبقى بها..))

رفعت والدته رأسها له قائلة بحزن شديد

((إباد ابني لا اصدق بأنك ستسكن بعيدا عني وتترك شقتك فوق
شقة أخيك فارغة..))

تغيرت ملامح إباد لأخرى متأسفة وطلب السماح من أمه وهو
يقول لها

((أمي نحن مضطران لذلك.. فانا وعبير نعمل بمشفي بعيد جدا
من هنا ولا نستطيع تفويت هذا الفرصة الذهبية التي صحت لنا
بشراء بيتنا الحالي فهو قريب جدا من مكان عملنا.. ولكن
كالعادة سنزورك ونتفقد أحوالك بعطاتي الأسبوعية.. أعدك
بذلك..))

هزت والدته رأسها له بتفهم فماذا تريد غير سعادة أبنيتها..
ليبتسم لها إباد بحزن ثم يندفع للخارج ومن ثم تلحقه عبير..

مر صمت طويل على احمد ووالدته قبل أن تقاطعه مغمغمه
باسمه ليرفع احمد رأسه بوجوم لها سائلا

((نعم يا أمي..))

سألته أمه بحزن وعتاب بينما تبحث عن جرعة أمل ببحر عيناه

((لماذا لم تعد تخبرني يا بني مستجدات علاجك؟ هل فقدت
الأمل لذلك توقفت عن السعي للعلاج أم ماذا؟ لماذا لا تسافر
للخارج من أجل العلاج.. سمعت أن الطب في الخارج متطور
أكثر))

قال احمد متنهدا

((أمي الأمر ليس كذلك.. أنتِ تعرفين انه أثناء زواجي من إيما وبعد انجابنا لعدنان كان لدي عقم غير معروف السبب والذي لم أكن اعرف عنه أي شيء سابقا.. وبعد فترة دخولي للسجن لفترة أمدت لأكثر من عام أثر هذا الأمر على نفسيتي بشكل كبير وبالتالي أثر على قدرة الأنجاب.. وتطلب الأمر لي سنوات حتى أستطيع العلاج..))

قالت له والدته بحزن وهي تهز رأسها

((نعم وبعدها قلت لي بأن أمورك صارت أفضل.. وستقوم بتلك العملية.. ماذا كان اسمها؟ أولاد الأنابيب))

شرد فكر احمد بعيدا..

المشكلة هي أنه وبعد خروجه من السجن بقي بعدها لسنوات لا يفكر ولا يجاهد لعلاجه..

نفسيته بعد دخول السجن وخسارته لعمله لم تكن لتسمح له بذلك..

كما أنه لم يتجنب العوامل التي كانت لتساعد في علاجه..

فكان يجهد نفسه بشكل مفرط بالعمل حتى يعود كسابق عهده..

ثم بدأ التدخين وهو الذي لم يسبق وأن أشعل سيجارة سابقا حتى من باب العبث أو الفضول..

حتى على مستوى التعليمات التي كانت تجبره على تجنب الحمامات الساخنة وغيرها من الأمور لم يكن يلتزم بها..

وما إن بدأ فعليا بأخذ أمر علاجه بجدية والاهتمام بتناول طعام صحي متوازن وإدخال عنصر الزنك والفيتامينات والبروتين العالي في طعامه..

مع اتباع حمية قليلة الدسم وغنية بالخضروات والحبوب
الكاملة..

كان الأوان قد فات فهيام قد تجاوزت الأربعين من عمرها
ولإجراء العملية بحاجة أن تكون زوجته صغيرة في السن..

عاد احمد للواقع مع والدته ليقول وقد تهدل كتفيه وتراخت
جلسته على الكرسي

((نعم أُمي.. تحسنت ولكن مع ذلك فوضعي يتعذر عليه إجراء
التلقيح الطبيعي للبيوضة داخل الرحم فلجأت لأجراء عملية
أطفال الأنابيب لعلاج العقم الناجم عن نقص وقلة حركة
الحيوانات المنوية.. ولكن..))

كانت والدته تنظر له بوجوم لا تفهم ماذا يتحدث عنه أمامها من
كلام معقد لها لكنها قالت بترقب متسائلة

((ولكن ماذا يا احمد؟ إذا فشلت تلك العملية لماذا لم تعدها مرة
أخرى؟ لماذا توقفت؟))

مسح احمد وجهه بكفيه بتعب ثم نظر لوالدته قائلا بصوت
هارب منه

((المشكلة ليست بي يا أُمي بل بهيام.. عمرها مشكلة يا أُمي))

قالت والدته باستغراب شديد وهي تمسح دموعها بطرف
حجابها المرخي حول رأسها

((ماذا؟ لا افهم؟ ما به سن هيام؟ هل لأنها تخطت الأربعين
ربيعا؟ صحيح بأنه ليس مستحبا للمرأة أن تحمل بهذا السن
ولربما ستجد صعوبة بحملها.. ولكني اعرف الكثير.. حرفيا
الكثير من النساء اللاتي استطعن الأنجاب بعد عمر الأربعين..
وحتى اعرف امرأة تقرب جارتني استطاعت إنجاب طفل وهي
في الخمسين من عمرها))

زفر احمد بضيق وبصوت عالي قبل أن يقول بانهاك لأمه
موضحا

((الأمر مختلف يا أماه.. الأنجاب الطبيعي مختلف عن القيام
بعملية أطفال الأنابيب.. لو كانت هيام متزوجة من رجل طبيعي
لكانت أنجبت منه حتى لو كانت أكبر سنًا.. لكن بحالتي الوضع
مختلف.. هناك معضلة بين العمر لدى المرأة ونجاح العملية
التي سنجرىها.. فعمر هيام وخاصة وهي بالثالثة والأربعين
الآن يعد تحدي ليس بالسهل لنجاحها))

أشفق احمد على أمه خاصةً وقد أنفعل قليلا عليها فأسرع يقف
من مكانه ويتجه نحوها..

أحنى رأسه أمامها يلثم يدها وكتفها وهو يخبرها

((لو كان لي نصيب بأنجاب أطفال غير عدنان فسأنجب يا أمي
مهما كانت هناك معوقات ولكن وعلى ما يبدو ليس لي نصيب..
فلا تحزني))

لكنها رفعت رأسها لها تسأله بصوت متذبذب

((ولكن لماذا يا احمد؟ اشرح لي.. والله لا أفهم عليك))

قال احمد لها بهدوء وبعينين حزينتين

((أمي ما أقصده أنه العائق لإجرائي هذه العملية هي عمر
هيام.. وذلك يا أمي لسببين رئيسيين وهما قلة البويضات
ونوعيتها التي تميل إلى السوء في هذا العمر أيضا.. ناهيك أن
المبيض يكون ضعيفا.. ف..))

قاطعته والدته وقد عادت تبكي

((توقف يا احمد بالحديث عن الأمر بطريقة لا افهمها..
وأخبرني ماذا الآن؟ هل المشكلة فقط بعمر زوجتك؟ هل

عمرها هو ما يعوقك عن الأنجاب.. أم أنك بغض النظر عن
عمرها فقدت أي أمل بالإنجاب بشكل نهائي؟))

هز احمد رأسه بياس قانلا

((أمي.. أنا تحسنت ولكن لن تستطيع زوجتي الإنجاب مني إلا
بإجراء عملية.. لكن بسبب هيام هذا الشيء صعب.. ربما لو
كانت هيام أصغر سنا لأختلف الوضع ولكن أملى بالإنجاب
أكبر.. ولكن الذي حدث انه وأثناء رحلتي علاجي كان العمر
يتقدم بهيام))

نظرت والدته له بتركيز أثناء حديثه.. ثم أخفضت رأسها تزدرد
ريقها وهي تقول متممة لنفسها بصوت منخفض وعيناها
شاردتان بعيدا..

ربما بالمستقبل..

هزت رأسها أخيراً قانلة بتفكير

((إذن.. لو كانت زوجتك أصغر سنا.. سيختلف الأمر وستنجب
منها؟))

=====
=====

جلست عبير على الأريكة بالصالة تهز ساقها بعصبية وقنوط
وعقلها وعيناها شاردان بعيدا..

غارقة بالتفكير وتحليل كلام حماتها التي سألتها قبل دقائق عن أطفال الأنابيب وإمكانية احمد بإنجاب طفل لو كانت زوجته أصغر عمرا..

متأكدة هي وبدون أدنى أي شك أن حماتها تفكر بتزويج احمد..

لذلك ما إن حصلت على الجواب الشافي منها حتى عادت تطلب من احمد أن يتحدث إليها بشكل منفرد داخل حجرة الجلوس..

وها هو صوتهما بالداخل يعلو وتكاد تسمع مضمون حديثهما..

وابنة خالتها هيام الساذجة تنهك نفسها بغسل أطباق الغداء..

من جهة فعبير فعلا لم تسامح هيام على الأذى التي تسببته لأيمان قبل عشرة أعوام..

ومن المؤكد لن تشفق إذا ما تزوج احمد عليها بالرغم من أنه لا يوجد بها أي عيب..

كما سبق وتزوجها هي على إيمان بالرغم من عدم وجود عيب بإيمان هي الأخرى..

لكن من جهة أخرى.. لو تزوج احمد فأين العدل بأن تعاقب هيام وحيدة؟

أين العدل في زواج احمد وأنجابه الأطفال والعيش بقية حياته سعيدا كشهر يار بين نسائه؟

أخذت عبير نفسا عميقا ثم هزت رأسها ببطء قبل أن تهمس بصوت لا يكاد يكون مسموعا

((لا تحلم في الزواج يا احمد))

نعم ستمنعه.. ليس من أجل هيام.. بل لأنها لا تريد من احمد أن يهنأ بحياته..

احمد الأنانى والذى تحتل "الأنا" فى حياته الأولوية المطلقة..

لا يستحق السعادة.. أبدا لا يستحقها..

ولا يجب أن يتزوج أنانى مثله مجددا..

وهى لا تتبالغ عند وصفه بالأناىة..

كما أنها واثقة أنه لن يتغير أبدا..

سيبقى كما هو.. لا يهتم إلا بمصلحته دون مراعاة شعور أحد..

يتصرف كالنرجسيين.. حيث يرى نفسه بأنه محور العالم.. وأنه يجب إيلاء رغباته ومشاكله الأولوية التامة..

فى حين أنه يتلذذ باستغلال الطرف الأخر واستنزاف طاقته..

أما الآن.. ومثلما كانت أول من أخبر إيمان بنية احمد بالزواج..

عليها الآن أن تخبر هيام بما تخطط حماتها وتحاول إقناع احمد به..

فأحمد بالرغم من أنه يظهر بعض الرفض لهذه الفكرة إلا أنه لا يوجد أسهل من إقناعه فى الزواج..

أسهل من إعراب الجملة الأسمية..

بداخل الحجرة..

صرخ احمد بصوت قاطع وحازم لا ينوي الدخول بالنقاش فى هذا الحديث من الأساس

((أمي.. لا.. لا.. لا أرجوك توقفي عن التفوه بهذا الجنون.. من المستحيل أن أتزوج..))

زفرت والدته نفساً طويلاً ثم سألته بصوت يحمل الكثير من اللوم والعتاب الممزوجان بالغضب

((ألا يكفي يا احمد أنك خيأت عليّ المدة السابقة حقيقة إمكانية إنجابك بحالة تزوجت امرأة أصغر سناً؟ فلماذا ترفض الآن وتصر على قهري؟))

لم يستسيع احمد ما تطلبه والدته منه ومحاولتها نيل استعطافه عليها..

فاستدار يرفض النظر لها وهو يقول منتهدا بصوت عميق وهو يكاد يشعر بنظراتها تخترقه

((أمي لقد سبق واقترح عليّ الطبيب والذي يكون صديق مقرب لي بعد فشل العملية التي قمنا به بالزواج من امرأة أصغر.. لكن كانت هيام ترهف سمعها لكلامنا فخرجت لنا تبكي غير مصدقة وبشكل محرج أمام الطبيب لاقتراحه.. وبعد ذهاب الطبيب قالت لي منهارة من بين بكائها بأنها ستنتحر لو فكرت بالزواج.. أمي لقد قالت لي حرفياً بأنها ستنتحر وستنتهي حياتها لو تزوجت.. وصدقيني ستفعلها لذا لا تفتحي هذا الموضوع مجدداً أبداً يا أمي))

ساد صمت ثقيل بينهما وهي تنظر إلى ظهره منتظرة منه أن يكمل كلامه بشكل منطقي..

لكنه لم يفعل فطال الصمت وأكثر..

فما كان منها إلا أن قطعتة قائلة بصوتٍ غاضبٍ ممتعض

((هل هي من قالت لك ذلك؟ لا اصدق كم هي أنانية.. خربت بيتك وحرمتك من ابنك والآن تريد أن تحرمك من حقاك بالزواج لتتجب أطفالاً تقر عينك بهم؟ حسبي الله ونعم الوكيل

فيها وأنا التي كنت مخدوعة بها طوال العشر سنوات الماضية..
وهل صدقت بأنها فعلا ستتحرر؟ منذ متى يسهل خداعك يا
احمد؟))

استدار احمد لوالدته يقول بحزم

((أمي مختصر حديثنا هو أنني لن أتزوج.. بالسابق كنا نقول
عن إيما أنها لن تطلق مني لو تزوجت.. ولو تطلقت فسرعان
ما ستطلب العودة لي.. وإذا لم تفعل وأصررت على عنادها
فستكون الخاسرة الوحيدة.. ولكن حدث عكس ذلك حرفياً.. لذلك
لا أستطيع تجاهل تهديد هيام وعدم أخذه على محمل الجد..))

هزت والدته رأسها تتمتم بقهر

((حسبي الله ونعم الوكيل فيها.. تستغل نقاط ضعفك وشهامتك يا
ابني.. حسبي الله فيها))

قال لها احمد بتعب متوسلاً

((أمي أرجوك لا تتحسبني عليها.. أنها محقة.. فعندما لم أستطع
جعلها تحصل على ابن.. لم تتذمر ولم حتى تفكر بتركي
والتخلي عني وفضلت أن تخسر أمومتها على أن تخسرنى..
فكيف تريدني مني الآن الزواج بعد أن ضيعت لها أغلب
فرصها بالأمومة؟))

صححت له والدته هادئة

((أنت لن تتخلي عنها يا احمد بل ستتزوج.. متى قلت لك تخلي
عنها؟ هناك فرق بينهما))

مسح احمد على وجهه بنفاذ صبر وقال متهكماً

((أمي بالنسبة للنساء فهو نفس الشيء.. لذا أرجوك توقفي عن
الحديث معي بهذا الموضوع))

تجمعت دموع الحسرة بعيني والدته من تعنته بقراره لتهدر
بقهر وهي تجلس على الكرسي وتضرب يديها فوق ساقها

((حسبي الله ونعم الوكيل فيها.. من الآن وصاعدا أخبر زوجتك
بأني لا أريدها أن تدخل بيتي وسأدعو عليها بالثلث الأخير من
الليل))

بعد ساعات..

دلف احمد شفته وأغلق الباب خلفه وهو ينفخ بضيق.. لا يزال
يشعر بضيق من حديث والدته معه..

دلف لغرفة النوم وثنانٍ مرت حتى عاد تراجع بخطواته للخلف
للصالة ينظر باستهجان للزاوية..

صرخ ينادي من مكانه بغضب

((هيام.. هيام—————ام))

اندفعت هيام من المطبخ عنده هادرة وهي ترى نظرات احمد
تشيعها بصرامة مخيفة لتقول

((ماذا هناك؟ أخفتني يا احمد ما بك؟))

قال لها احمد بنبرة قوية متسانلا

((أين الخزانة الخشبية المتواجدة هنا؟))

بيبطه التفتت هيام نحو الزاوية والى الحيز الفارغ الذي تركته
الخزانة قبل أن تتخلص منها..

ثم عادت تلتفت نحو احمد قائلة بتردد وريبة

((عندما سيقئك بالعودة هنا وجدت أن الشاحنة التي كانت تحمل بعضاً من أثاث شقة عبير وإياد لا تزال هنا.. فأخبرتهم أن يتخلصوا من بعض الأشياء من عندي أيضاً بطريقتهم ومن ضمن الأغراض كانت الخزانة هذه.. لقد شعرت أن وجودها هنا عبء كبير.. فهي ضخمة ومكسورة من أحد أطرافها ولا فائدة مرجوة منها..))

قاطع احمد كلامها وهو يدنو منها بقوة ضاغطا على مرفقها
قائلا باستكثار شديد

((هل تمارحيني؟ كيف تتخلصين منها بدون الرجوع الي؟ كيف يمكنني أن أرجعها؟))

حاولت هيام تحرير مرفقها من يده بانزعاج وهي تقول له

((لا تقلق يا احمد لقد أفرغتها جيداً من كل محتوياتها.. إذا كنت قد وضعت فيها أشياء مهمة..))

عاد احمد ينظر إليها بصرامته المخيفة ضاغطا على مرفقها أكثر غير أبه لتأوهاتهما وهو يقول لها مشدداً على سؤاله

((أجيبِ سؤالي.. أين ذهب صاحب الشاحنة يا هيام؟ كيف يمكنني استعادة الخزانة؟))

تأوهت هيام بضيق كملامحها لتهتف له باختناق مكتوم

((لا أدري.. أخذها قبل ساعات.. أتوقع الآن أنه تم تكسيورها أو التخلص منها.. ابتعد عني يا احمد))

ترك احمد مرفقها بغضب وضيق وهو يبتعد عنها خطوة لا يصدق أنه خسر تلك الخزانة بكل ما تعنيه له من قيمة معنوية الآن ليهدر زاعقاً بقسوة

((تبا لك يا هيام.. تبا لك.. تبا لك))

لكن فجاءة اتسعت عيناه وهو ينتبه الآن كيف قام بمسكها وهو
يراهها تتدلك مرفقها بيدها الأخرى..

بينما عيناها الدامعتان تنظران له بعتاب صارخ..

أحس احمد بالذنب..

بل بدأ يشعر بازدياد المشاكل مؤخرا بينه وبين هيام.. مشاكل
صامتة غير ظاهرة..

يعرف أن هيام تتألم من داخلها وتسكت فهي تحبه..

رغم وجودها وحدها بدون أنيس أو صديق من معارفها أو
أقاربها.. ووجوده في العمل لساعات وأيام طويلة جداً رغمًا
عنه..

هو فعلا وجد معها فعلاً الحياة الزوجية الرائعة من كلِّ
النواحي..

لكنه لا يستطيع التحكم بالندم الذي يتسلل له أحيانا لتفريطه
بحياته السابقة..

ما يزيد الأمور تعقيداً هو عدم وجود أطفال بينهما.. وتسببه
بحرمانها من نعمة الأمومة..

عدم إنجاب هيام منه زاد من تأثره لُبعد ابنه عنه وأتعب
نفسيته..

فصار كلُّ تفكيره منصب على عدنان في كلِّ فعل أو قول
ليتذكره ويحس تجاهه بتأنيب الضمير..

هيام حرمت من حنانه وحبه كزوج لها ودائما ما يبهر لها أنه
إذا كان عدنان.. وهو أعزُّ ما يملك في الدنيا محروم منه.. فهي
أيضا عليها ألا تطالبه بهذا الأمر..

ففاقد الشيء لا يعطيه.. من وجهة نظره هو..

فإن كان قد فقد حنانه كأب لطفه منذ صغره.. فلن يستطيع أن يكون حنونًا مع مَنْ هم أقل منهم في الأهمية بالنسبة له..

نعم أخبرها فجأة وصراحة بمعلومة يجب أن تكون على علم بها وهي أنه مهما أحبها فلن يكون ذلك أكثر من حبه لابنه الوحيد..

نظر لها بتشوش رهيب لكن سرعان ما عاد التوازن له.. وهو يسمعها تسأله بدون أن تمنع خيبة الأمل أن تشع من عينيها

((احمد أخبرني ما بك؟ هل هناك شيء معين متعلق بهذه الخزانة؟))

طبق احمد شفتيه والغضب من تخلصها من هذه الخزانة يعود له..

لكنه تحكم بأعصابه وهو يقول معاتبًا هو هذه المرة لكن بقسوة

((عندما تزوجتك بدلت لك حرفيا كل أثاث الشقة السابق بأخرى أفخم وأحدث لأجلك.. باستثناء غرفة عدنان وهذه الخزانة الموضوعه بالصالة.. أخبرتك حرفيا بأنني أريد الاحتفاظ بهم ولم تعارضي هذا الأمر.. فكيف تتخلصين منها هكذا يا هيام دون الرجوع لي أساسا؟ بماذا أزعجك وجودها؟))

سألته بعصبية لا تصلح لهذا الموقف وهي ما تزال لا تفهم سر غضبه من تخلصها من هذه الخزانة

((لقد كُسر جزء منها ووجودها بهذا الكسر يفسد منظرة الصالة.. ولم أظن بأنك ستمانع تخلصي منها.. فهي تأخذ من الأساس حيزا كبيرا هنا بدون إمكانية وضع أشياء كثيرة بها.. شكلها مهترئ أيضا وزخرفتها قديمة..))

بترت كلامها عندما رآته يغادر الصالة ليبدلف غرفة النوم بخطوات غاضبة غير عابنا بتبريراتها..

أغلق احمد الباب خلفه وأغمض عينيه وهو يمسح رأسه بكفه
شامتاً من بين أسنانه دون صوت..

وبدون أن يغير ملابسه استلقى على السرير مغمضاً عينيه ثم
وضع ذراعه فوق عينيه..

لقد أعتاد على قياس طول ابنه عدنان شهريا منذ بلغ السنين
على إطار الباب من خلال خدش الإطار بالسكين مكان طوله
الذي وصل له عدنان..

فقياس طول الطفل من المؤشرات الصحية لتقييم حالة الطفل
على المدى البعيد..

لكن ولأن إيما بدأت تتذمر من الخدوش التي يتسبب بها ويفسد
من خلالها منظر إطار الباب.. أصرت على إعادة دهنه..

فقرر احمد بعدها أن يبدأ بقياس طول ابنه على إحدى أبواب
هذه الخزانة من الداخل..

فكان باب هذه الخزانة التي تخلصت هيام منها يحوي داخلها
الكثير من الخدوش التي تم خدشها بشكل شهري لسنوات كلما
قام بقياس طول عدنان..

وبجانب كل خدش كُتب تاريخ اليوم واسم عدنان..

كلما كان يحن لأبنه يذهب لتلك الخزانة ويفتح بابها ليرى
الخدوش فيتذكر الحماس والضحك اللذان كانا يرتسمان على
وجه ابنه كلما قاس طوله..

فهو حتى بأكثر الأيام خصاما وشجارا مع إيما لم يغفل عن
قياس طول ابنه..

وعندما يعود ليتذكر بشكل دقيق أكثر ذكرياته مع ابنه الوحيد
يلاحظ أن قياس طوله هو النشاط الوحيد الذي كان يقوم بشكل
متكرر معه..

هل كان فعلا أبا مهما لهذا الدرجة؟

لأنه قياس الطول كان يقوم به كل شهر مرة وخلال عدة دقائق فقط..

حيث كان فقط يطلب منه أن يقف على قدميه وبشكل مستقيم وثابت..

ثم يستمتع بتعابير وجهه وهو يقارن كيف يزداد كل خدشا ارتفاعا عن سابقه..

لوهلة جال خاطره أن يعرف ماذا يخطط ابنه أن يدخل تخصصه بالجامعة بعد سنته النهائية؟

هل يطمح أن يصبح طبيبا مثله؟ أم مهندسا؟

اشتدت مشاعر قهر وعجز الأبوة بصدر احمد..

هل يُعقل أن ولده سيدخل الجامعة قريبا وهو لا يعرف حتى ما يريد أن يصبح عليه؟

كيف عاش ابنه بعيدا عنه طوال العشر سنوات الماضي؟

فأي طفل بعمره الطفل سيحتاج لنموذج أبوي بجانبه..

فهل واجه أي صعوبات وهو بعيد عنه؟

كاد احمد أن يطلق ضحكة ساخرة مريرة من صميم جرحه بأبوته؟

أي احتياجه له قد يشعر ولديه بديل.. فليده شخص آخر يعتبره ويعامله كوالده..

بدأت عينا احمد تميلان حزنا وهو يتذكر واحدة من أقبح الذكريات المتواجدة بإصرار داخل عقله..

عندما جاءت إيمان بالعطلة الصيفية قبل سنة عند والدها كما
اعتادت وقامت بتسجيل عدنان بإحدى نوادي السباحة التي
تستمر لمدة قصيرة..

فعرف هو بطرقه اسم النادي ومكانه ويوم منافسة ابنه
ليحضرها..

بالرغم من أنه وقتها كان لديه عمل متكدس لكنه أفرغ نفسه
لأخذ يوم إجازة وحضور منافسة عدنان برغم كل الجفاء الذي
بينهما..

لعله يكون سبب عودة الوصال بينهما ولعل عدنان عندما يراه
يحضر منافسته يركض إليه فيضمه هو..

ذهب احمد حينها للمنافسة والتناول يكسوه وجلس بالمقاعد
الخلفية..

ما إن انتهت المنافسة وربح عدنان الميدالية الفضية حتى هم
احمد بالوقوف والتقدم من عدنان بسعادة لتهنئته..

لكنه تسمر مكانه مصدوما وهو يرى عدنان يسرع بلهفة لمعانقة
زوج امه بعناق حار صارخا بفرحة وكأنه يهديه فوزه..

كانت مشاعر احمد بهذه اللحظة لا توصف وهو يرى زوج
إيمان يجلس عدنان بجانبه ويُقربه أكثر لصدره مُعانقًا إياه بشدة
كأب فعلي له..

عدنان ابنه هو.. عدنان احمد رؤوف الغالي يعتبر زوج امه أب
له..

تمنى فعلا احمد وقتها لو أن الزمن توقف ولم يعيش لتلك
اللحظة..

لا شعورياً وقتها خرج من المكان دون أن يلاحظه أحد ولا
يدري فعلا كيف خرج..

فقد كان إحساس الندم والخسارة يغزوه حتى استطاع احتلاله
كلياً.. بل حتى قتله بلا هوادة..

فاتجه أحمد نحو سيارته يركبها ثم رفع يده يغطي وجهه
بالشماع ليخفي دموعه الملتهبة الساقطة من عينيه قهراً تخط
طريقها فوق ثنايا وجهه..

وهو الذي لم يبكي إلا نادراً وإذا بكى كانت دموعه دم..

فقد تعلم من صغره أن دموع الرجال لؤلؤة ثمينة وغالية لأنها
عزيزة وصعبة السقوط..

فالرجل كالصخر قاسٍ جلد لا يبكي بل البكاء من الأساس ليس
للرجال..

البكاء للنساء فقط.. المرأة فقط هي من دمعتها سخية جاهزة
للنزول في كثير من الأوقات والمناسبات..

بعد دقائق سارع أحمد بمسح دموعه بطرف الشماع خوفاً من
انتباه أي أحد من المارة بالطريق عليه..

لا يريد حتى من الغرباء العابرين أن يروه فيتساءلوا عن هذا
الأمر الجلل الذي حدث قبل قليل مع هذا الرجل ودفعه إلى
البكاء جاعلاً من رجولته تحني لتسقط العبرات الغالية..

لن يخطر على بال أحد بأن يبكي ولده الذي رآه قبل دقائق
يعامل غريباً على أنه أباه بينما يجافيه هو منذ سنوات..

فكيف لا يبكي؟

بل.. بل ومن قال إن الرجل لا يبكي ضعفاً؟ ومن قال إن الرجل
لا يُهزم؟ ومن قال إن الرجل لا يقهر؟

قطع دلوفاً هياماً للغرفة شروده وهي تقول له بصوت مبجوح

((هل تريد أن اعد لك العشاء؟))

بعد لحظات صمت أجابها احمد باختصار شديد ويرسمية تمقتها
عندما تقوم بتلبسه بوقت غضبه

((لا أريد))

تنهدت هيام بتعب ثم قالت له ببرود مشابه

((غدا صباحا أريد الذهاب عندي أخي والنوم فيما بعد عند
والدي.. فحالته الصحية ليست جيدة هذه الأيام))

رفع احمد نظره لها بجمود وبوجه خال من التعابير ثم أستقام
من مكانه وهو يقول لها ببساطة قبل أن يغادر الغرفة

((اذهبي متى أردت))

=====
=====

دلقت إيمان وزوجها ادم غرفتها ببيت والدها..

وبينما كان يغالبها النعاس وعيناها تتغلغان بارهاق جلست على
طرف السرير وهي تسمع ادم يتحدث بحرج

((صحيح أن والدك يتحمس لزيارتك له.. لكن عندما أجيء
معك هنا أشعر بأننا نثقل عليه.. كان علينا البقاء بفندق قريب
من هنا طوال فترة مكوثنا هنا.. ربما أيضا زوجة والدك لن
تأخذ راحتها هنا بسبب تواجدي))

نظرت إيمان بدفء لرجلها المراعي بطبعه للآخرين..

شعورها ليس أقل من شعور أنها ملكت الدنيا بين يديها عند
زواجها من أدم..

ورغم بعض المشاكل بينهما والتي لا يخلوا أي بيت منها..

إلا أنه دائما ما يدللها ويشعرها أنها أنثى حقيقه بكل فعل يصدر منه..

دائما ما يُظهر كل مشاعره لها بدون تحفظ ويعاملها كزوج وحبیب دون أن يغفل لحظة عن دوره كأب لعذنان وكأنه ابنه ومن صلبه..

قالت إيمان له بابتسامتها الخلابه تحاول اطمئنانه

((صدقني قلت لابي ذلك كثيرا.. لكنه أصر عليّ بحزم أنا وأنت
ألا نمكث بمكان آخر غير بيته حتى يشبع من رؤيه أحفاده ولا
يضيع عليه ثانية..))

هز أدم رأسه بفهم.. ثم جلس بجانبها فوق السرير يلاحظ كيف
ترفع يدها وتربت فوق بطنها الذي بدأ بالظهور وكأنها تشعر
بأطفالها بالداخل..

فرفع نظره لها سائلا إياه بصراحة وهو يلامس خصلات
شعرها المائلة نحوه

((إيما عزيزتي لماذا تبدين قلقة هكذا منذ عرفتي اليوم أنك
حامل بتوأم؟))

شد انتباهها قليلا.. فبالنسبة لها ومنذ زواجها به..

لم يكن هناك بالنسبة لها أسعد من أن تصبح أما لأطفاله.. وقد
أنجبا فتاة بالفعل وقيل أشهر أنجبا طفلهما الثاني أنس..

ولكن ولكون انس لم يكمل إلا شهر ونصف فقط لم تتوقع أن
تحمل فورا في حين أنها فضلت في تأجيل حدوث حمل
لظروف صحية ونفسية..

فكان مشهد الخطين في اختبار الحمل صدمة لها وشعرت
بالإرباك من هذا الحمل المفاجئ..

فأنس بالفعل يحتاج إلى رعايتها وصحتها واهتمامها.. بالإضافة
لطفلتها وعدنان..

قالت إيمان له مبتسمة بصوت هادئ أستشعر ارتباكك

((لا أدري.. أعني الولادة معجزة إلهية رائعة يفرح لها كل
إنسان على سطح الأرض.. ولكن اكتشاف اليوم أنني حامل
بتوأم بعد إنجابي لأنس قبل ستة أسابيع..))

وضعت إيمان رأسها بجانب يده التي تحيط بها دائما بدفء
وتمدها بالأمان وهي تسمعه يقول لها

((لا تقلقي لقد سبق وسألنا الطبيبة وأخبرتنا بوضوح أنه لا
يكن أي خطورة عليك أو على الأطفال..))

يتفهم آدم أن لكل أم ظروف مختلفة..

فليس هناك خطوات محددة للتعامل مع الحمل غير المخطط له
تناسب جميع الزوجات..

وأن عليه أن يكون عوناً لها ويساعدها في التعامل مع حملها
المفاجئ هذا..

وهذا ما يقوم به محاولاً أن يجعلها تأخذ وقتها..

ابتعدت إيمان قليلاً عن يده تسألته بحماس

((ادم.. هل أنت متحمس لأنجابي للتوأم؟ هل سبق وتخيلت
بالماضي بأنك ستصبح أباً لأربعة أطفال؟))

قاطعها ادم مصححاً بخشونة محببة لها

((بل خمسة أطفال.. وعدنان هو أول وأكبر أولادي))

اتسعت ابتسامتها أكثر وأشرق وجهها لكلماته..

دائماً ما يكون مراعي لها وحنون وخاصةً بفترة حملها..

لذلك لم يسبق وأن واجهت متاعب في فترة حملها السابقتين..

ولن تجد بهذه أيضاً.. وهذا ما يجب أن يجعلها أقل توترًا..

كما أن ادم لم يسبق وأن كان تفكيره سطحيًا كباقي الرجال ممن يتذمرون من مظهر المرأة والتغيرات الواضحة التي تظهر عليها في فترة الحمل..

لم يسبق وأن تذمر من بطنها المنتفخ أو جسدها المتورم أو شكوتها من آلام الظهر..

بل دائماً ما كان يردد على مسامعها أن هذه التغيرات أمور طبيعية ومنطقية..

كون جسدها يحتضن طوال تلك الشهور معجزة حقيقية ويحتضن روحًا وجسدًا آخر داخله ينقل له الحياة دفعة بعد أخرى..

فقال إيمان له بامتنان

((عدنان محظوظ بك..))

نظر ادم لها للحظات ولبحر عيناها الشغوفان اللذان يرسلان بين موجاته المتتالية رسائل متناغمة مما يدور بينهما فقط فتنتشبع روحه برائحة الحياة بها وتنتعش عيناها لهذا الصفاء أمامه..

وسرعان ما نزع وجهه الوقور ليصبح أما آخر لا يظهر إلا أمامها واضعا شفثيه يقبل زاوية فمها هامسا

((بل أنا هو المحظوظ بطفل ذكي مثله.. وبك يا بحريّ عشقي))

فأطبقت عينيها قبل أن تجد نفسها تندنو منه أكثر..

قبلها ادم فتجاوبت معه تلقائياً وبقوة تبادلها العشق قبل أن يبتعدا
عن بعضها بتقاجئ وارتابك لطرق الباب..

سمح ادم للطارق أن يدخل من بين أنفاسه الضائعة وهو يعدل
من مظهره هو وإيمان بإحراج..

دلف عدنان الذي غدا شاباً يافعاً مليناً بالحيوية والنشاط ووسيماً
الغرفة مندفعاً قاتلاً بحماس ولهفة

((أمي هل فعلاً كما سمعت أنتِ حامل بتوأم؟))

هزت إيمان راسها له قائلة بابتسامة بشوشة

((نعم يا حبيبي))

أجابها مشاكساً وبابتسامة حقيقية مليئة بالمرح والسعادة

((أرأيتما؟ هذا بسبب دعواتي.. لأنكم لم تسمحوا لي اختيار اسم
أخي الصغير.. والآن سنتجيب طفلين لا واحد.. لذا لا حجة لك
بأن لا تسمح لي بتسمية اسم واحد منهما على الأقل))

قالت له إيمان ضاحكة وهي تبادل نظراتها بينه وبين آدم

((اختار يا عدنان اسماً يُصلح أن يتم إطلاقه على بشر..
وصدقني لن يعارضك أحد منا.. لكن أهم شيء أن يكون الاسم
صالحاً للتسمية))

التفت عدنان إليها يبتسم بشجن ثم قال بمشاعبة وهو يرفع
حاجبيه

((حسناً سأفكر باسم جيد ومميز.. المهم أن اسميه أنا))

ابتسمت إيمان له وهي تقف من مكانها وتندنو منه وتبعثر شعره
بكفها ثم تندفع للخارجة قائلة

((لقد جهز العشاء هيا بنا للصلاة..))

اختفى المرح والمزاج من وجه آدم ليقول بجدية

((إيما يمكنك الذهاب قبلنا واتركي عدنان هنا.. أريد التحدث معه قليلا))

التفتت إيمان له قليلا تنتظر له وقد فهمت بماذا يريد التحدث له..

فهمت رأسها له ثم خرجت من الغرفة مغلقة الباب خلفها..

ازرد عدنان ريقه وهو يقترب من السرير ويجلس عليه قائلا لأدم وهو يطرق رأسه

((اعرف ما تريد التحدث عنه.. سبق وتحدثت جدي معي بالموضوع أيضا وقال لي أنه لا يجوز أن اقطع صلاتي بوالدي لأكثر من عشر سنوات..))

هز آدم رأسه قائلا بحزم

((نعم وجدك هو من قال لي أن أتحدث معك بالموضوع.. تصور أنني خلته يلمح لي أنني السبب بتحريضك على والدك؟ أو على الأقل لا أتخذ جانبا محايدا ولا أشجعك على وصاله ويره..))

قال عدنان متبرما بغضب وضيق ظهر جليا عليه

((لست بحاجة لأن يتم تحريضي على أبي من قبل أي أحد.. فما سبق وفعله لنا أنا وأمي أكثر من كافٍ.. ثم أنا لاحظت أن جدي يتحدث معي وكأنه لم يكن شاهدا على كل ما فعله أبي من أجل زوجته الحالية والتي سبق وكانت عشيقته))

قال ادم بهدوء وهو يعقد حاجبيه

((الأمر ليس كذلك يا عدنان.. بل خوفنا عليك أن تقع فيما يغضب الله هو ما يجعلنا نقول لك ذلك.. فالوالد له حق على ابنه

ولو أساء أو ظلم لأن حقه في البر والطاعة في المعروف
محفوظان بنص الشرع.. وإذا كان الله تعالى قد أكد على حق
الوالد المشترك في البر والصحة بالمعروف فلأن يكون ما دونه
في السوء أولى وأحرى بذلك))

نظر عدنان لزوج أمه بعينين زرقاوين ملؤهما الغضب وهو
يستعيد الماضي..

فما يزال يذكر كيف عاشت والدته جميع أنواع العذاب النفسي
وأدى هذا الألم النفسي إلى مرضها جسديا..

وليست هي وحدها بل هو أيضا أصيب بالأمراض النفسية
والتي تحولت إلى عضوية من اكتئاب إلى خلل في الأعصاب..

كل هذا وهو لم يكن قد بلغ السابعة من عمره حتى..

قال عدنان بضجر ممزوج بالغضب لأدم

((تقول نفس الكلام الذي تحدث به والدي بالمرتين التي التقى
فيهما بي.. نعم اعرف أبي جيدا حتى ولو أنني لم أعش بكفه
طويلا.. لكنه لا يعترف بحقوقى عليه.. بل لا يعرف إلا حقوقه
علي.. يريد أن يأمر وينهى وأن تكون جميع طلباته لا تعرف
كلمة "لا" وأن أسعى جاهدا على إرضائه.. ولكن هذا فقط
بأحلامه))

لحظات حتى ازداد بحر عينيه غضبًا وكأنه يحاط بنيران
حمراء..

لا يزال يذكر كل شيء حدث بطفولته وبالتفاصيل..

لا يزال يذكر كيف أبعده أمه عنه لمدة أسابيع وكيف أجبره أن
يذهب معه ومع عشيقته آنذاك للمطعم..

ولا يزال يذكر كيف كان يرضيها على حساب أي أحد.. بل
ومرة ضرب والدته أمام أنظاره ودفعها للخلف..

فينظره هيام هي المسكينة وهي صاحبة القلب الأبيض وهي
أفضل امرأة..

ونسي أمه وتعبها وسهرها معه والسنوات التي أهدتها له منكرها
كل أفضالها ببساطة متمنياً لو أنه لم يتزوج منها..

وبعد أن تطلقت والدته منه وخسر احمد الحضانة..

طلب رؤيته فرفض عدنان بإصرار..

وعلى إثر ذلك شتمه احمد وشتم والدته أمامه هاتفا بأنه نادم
على إنجابته وأنه عار عليه..

فضلا على اتهامه المستمر لأيمان بأنها تحرضه عليه..

فكيف يريدون منه أن يصل أباه بل ويتم اتهامه بأنه عاق لوالده
بعد كل ما حدث؟

نعم يعترف عدنان بأن والده يحاول مؤخرا كثيرا التواصل
معه.. ربما لأنه اكتشف أن زوجته عاقرة..

لكنه لا يستطيع إلا أن يرفض بسبب تأثره النفسي بكل ما
حدث..

لا يستطيع أن ينسى المشكلات الكبيرة بينه وبين أمه..

لا يستطيع أن يتجاهل أنه لم يبذل أي مجهود للحنو عليه أو
رؤيته إلا بعض المحاولات اليسيرة..

مثل حضور زفاف أحد الأشخاص بالقرية المشتركين بين
زوجته هيام وبين أمه.. فحينها طلب احمد منه أن يسلم عليه إلا
أنه تجاهله..

كما قام احمد لأكثر من مرة بإرسال طلب الصداقة له عبر
"الفيس بوك" فقام هو برفض جميع الطلبات أيضا ثم حضره..

هدر عدنان بنبرة متخمة بالألم من الماضي

((لم أنس أنه تركني وأنا صغير من أجل امرأة أخرى.. ونتج عن ذلك تشوهات نفسية لي ستبقى ملازم لطوال حياتي))

اتسعت عينا ادم باستهجان لمبالغة عدنان..

خاصةً وأنه كان محظوظا عن باقي الأطفال بسنه وممن عانوا نفس ظروفه..

حيث أنه كان محاطا بجد وثلاث أخوال وأم وزوج أم حولوا جميعا أه يوفروا له كل ما يحتاجه من أمور مادية أو معنوية..
لربما عاش أيضا أفضل بكثير من أطفال تربوا بكنف والديهم..

فلكزه بكتفه بخفة وهو يقول له معاتبا

((عدنان ما هذا الكلام المهول الذي تتحدث عنه؟ أي تشوهات نفسيه تلك التي تتحدث عنها؟ كلامك يحبطني بشكل كبير.. أين هذا الذي كان يقول لي أنني مثل والده؟))

تخصب وجه عدنان بقليل من الخجل فقال مرتبكا بحرج

((لا لم اقصد أن أقول انه.. لا تفهمني خطأ.. أنا لم اعرف بحياتي والد غيرك.. ولا أتخيل حياتي من دون وجودك فيه أنت.. أنت وأمي وجدتي أيضا.. لكن..))

صمت أدم قليلا.. ثم قال له بصوت هادئ يسأله

((عدنان أخبرني وبكل صراحة.. هل ترفض التواصل مع والدك لأنك تخشى أن يحزنني هذا الأمر؟))

هز عدنان كتفيه قائلا وهو يطرق رأسه من بين نظرات أدم المتفحصة

((لا أدري.. الحقيقة..))

قاطعه أدم قائلا بصدق

((عدنان هل تظن فعلا بأنني سأحزن لو تواصلت بوالدك؟ هل هذا ما تشعر به فعلا وصارحت به جدك؟ لأن هذا ما شعرت أنه يريد أن يوصله لي يا عدنان))

قال عدنان باقتضاب وهو يستقيم واقفاً

((لقد تسبب بإيذاء أُمي بشكل كبير فكيف لن تنزعج من تواصلتي معه؟ وأنت.. أنت والدي أيضا.. كيف يمكن أن أعود واعتبر احمد الغالي والدي وهناك والد بالفعل لي..))

مسك ادم ذراعه يعيده جالسة مكانها وهو يمسك كتفيه

((عدنان انه والدك فلا تناديه باسمه بقلة احترام.. أنت تعكس تربيتي أنا وأمك فلا تقل ما قد يسيء لنا قبل أن يسيء له.. ثم وما العيب بأن تمتلك أبا وتعاملني أنا الآخر كأب لك يا عدنان؟ القلب يتسع لأثنين.. بوسعي أن أبقى والدًا لك وبنفس الوقت أن تعود وتتواصل مع والدك البيولوجي بدون أن تأثر على علاقتنا.. مجددا يا عدنان.. القلب يتسع لأثنين))

هز عدنان كتفيه قائلا بنبرة لاتزال تحمل التخبیط

((لا أدري.. لكن أرجوك لا تحملني على ما لا أطيق.. ولا تفرض عليّ ما يخالف فطرتي بحب من يحسن لي.. والنفور ممن يسيء لي بقول أو فعل))

قال أدم له بهدوء

((أنت لا تحتاج إلى نسيان ما حدث لتتمكن من بر والدك.. ولست مضطرا أن تحبه لأحسن إليه.. الحياة يا بني لم ولن تكون في كل شؤونها على ما نُحب ولن تستقيم لك على حالٍ واحد.. والوالدُ والوالدة ممن أوصانا الله ببرهم ولو لم يحسنوا إلينا ولو لم يعاملونا معاملة حسنة أو يغدقوا علينا من عطفهم وحنانهم.. وقد جعل الله للوالدين ما ليس لغيرهم حيث إنه لا

يجوز لنا بحالٍ أن نعاملهم معاملة البِد فنفسو عليهم إن قسوا
علينا ونحسن إليهم إن أحسنوا إلينا.. لأن الله منحهم ذلك
وأوجب علينا برهم ولو لم يبرونا))

اقتنع عدنان نوعا ما بكلام ادم لكنه أيضًا لم يكن يشعر إلا بأنه
يريد ألا يقف إلا مع أمه وبرها والتخفيف عنها ودعمها هي قدر
الاستطاعة..

وكم هو سعيد لزوجها من هذا الرجل الذي أمامه تعويضا لها
عن معاناتها مع والده قبل أن يكون تعويضا له هو عن أب
أناني..

فقال عدنان عقب أن تنهد بصوتٍ فاطر

((لا أدري.. أرجوك لا تضغط عليّ))

هز أدم رأسه متفهما بأن عدنان يريد المزيد من الوقت ولكنه
يتمنى أن يعود للتواصل معه قبل أن يسافر للخارج بنهاية هذا
الشهر

((لن اضغط عليك.. ولكن يا بني هذا ديننا الذي إياك أن تنسلخ
عنه مهما اختلطت هناك بحياة الغرب.. وهذه أوامر ربنا التي
لم تكتب علينا لتعذبنا ولا لتخالف ما فُطرننا عليه.. فراجع
وضعك وتواصل مع والدك قبل أن يُحال بينك وبين ذلك ولن
ينفع حينها الندم ودورك يا عدنان بين والدك ليس دور القاضي
ولكنه دور الابن البار بهما))

=====
=====

رفعت سارا يدها تحديق بطلاء أظافرها الخمري الجذاب بينما
هي مستلقية على السرير بفضوية..

عقدت سارا حاجبها وهي تسمع زوجة أخيها فادي ميادة
تتحدث معها على الهاتف

((سارا ما تفعلينه تسمى خيانة.. الخيانة ليست خيانة جسد
وحسب))

ردعتها سارا هاتفة

((اخرسي يا ميادة.. تامر من ير اسلني ولا دخل لي أنا به..
أخبرت أخي وقد قام بتهديده وأن فكر بالتواصل معي مجددا
سنشتكي عليه ونسجنه.. الحقيير متزوج ويغازل امرأة
متزوجة..))

قالت ميادة بنبرة خائبة لها

((لا اصدق أنك تزوجت منه عرفيا من قبل.. احمدي الله أن
الأمر انتهى على خير ولم يعرف راجي بالموضوع.. والا لم
يكن ليغفر لك هذا الأمر أبداً أو يقبل في الزواج منك مجدداً))

مطت سارا شفيتها هادرة وهي تخفض يدها لتلامس خصلات
شعرها اللولبية

((ميدو تعرفين أنها لم تكن غلطتي.. أخبرت راجي بأن
يبنظرنى أربع أو خمس سنوات حتى أنهى جامعتي وحصل
ذلك.. لكنه هو من فاجئني بأنه سيسافر للخارج لأجل دراسة
الماجستير.. لذا انتظرنا الثاني كان هو المسؤول عنه.. فليس له
الحق بالاعتراض لو عرف بأمر زواجي من تامر لسنتين بشكل
غير رسمي أثناء مدة افتراقنا.. لكن مع ذلك من المستحيل أن
أخبره بذلك.. كما أن والدي يعرفان بشأن زواجي من تامر..
الأمر فقط أني لم أسجله في المحكمة وحسب))

وبختها ميادة

((يا غادرة ألم تستطيعي الصبر لثلاث سنوات؟ حتى لو كان هو
السبب بهذا الانتظار.. كان عليك التحمل أكثر..))

داعبتها سارا بسخرية

((ميدو كيف كنتِ تريدين مني البقاء لأكثر من ثمانية سنوات
أعيش بدون رجل انتظارا لراجي؟ ثم تامر كان منذ الأزل
يتوسل قربي لذا ضعفت أمامه وتزوجته.. تعرفين أني ضعيفة
بهكذا أمور))

زفرت ميادة بضيق.. ثم غيرت الموضوع وهي تسألها بجديّة

((حسنا.. المهم.. ماذا يريد هذا الحقير تامر منك بعد أن طلقك؟
فهو متزوج ورسميا من أخرى فما الحاجة له لملاحقتك خاصةً
وأن ما يزال بالخارج؟ فهو لا يكف عن إخبار كل من حوله أن
زوجته الحالية لا تلاقيه إلا بالحنان وتهتم فيه اهتماما فائقا ولا
يتوقف عن التعبير عن حبه ما.. حتى على مواقع التواصل
الاجتماعي))

قالت سارا متتهدة بضجر

((بخبرني كم هو نادم لأنه طلقني ثلاث مرات خلال زواجنا..
ويخبرني أن أتطلق من راجي لأستطيع الزواج مرة أخرى منه
وسيقوم بترك زوجته.. فضلا على أن الحقير يظن باني إذا ما
سمعت هذا الكلام الذي يقوله عن زوجته ستنتابني الغيرة وأعود
له.. كيف يتوقع أن احمل مثقال ذرة من الحب لشخص نذل مثله
لا يكف عن إرسال رسائل لي أنه سيموت إذا لم اعد إليه وانه
سيذبح نفسه.. وفي الوقت نفسه يدور بين الناس ويقول إنني
سافرت لأجل شخص تعرفت إليه وأنني على علاقة به لذلك
تطلقت منه؟))

صممت ميادة قليلا وسرعان ما انتفضت قائلة بفرع

((سارا وما رأيك بكلام هذا الحقير؟ بدأت اشك بنواياك للعودة
له وإلا لما كنت تشربين حبوب منع الحمل مع راجي))

نفث سارا شكوكها قائلة ببساطة

((ميادة أنا كنت سأمتنع عن الحمل أيا كان من تزوجته لا لأنني لا أريد راجي.. بل لأنني باختصار أنانية وأحب نفسي ولا أريد أن أنجب لأنني غير مستعدة للاهتمام بشخصٍ غيري.. بل ليس لدي اهتمام بالأطفال في العموم ولا أتخيل أن أحرم نفسي من شراء فستان أو حقيبة مثلاً لأشتري احتياجات للأطفال بدلاً منه.. هل فهمتي يا ميادة؟ أنا أنانية وأحب نفسي ولن أنجب لأنني لا أملك رغبة شخصية ولا ميل لهذا.. ولا علاقة لتامر أو راجي بالموضوع))

قالت لها ميادة بنبرة تقطر حسرة وحزن وهي التي سبق وفقدت رحمها ففقدت حلم الأمومة معه

((أنا متأكدة بأنك ستندمين يا سارا.. لا أقول هذا لأنني لا أستطيع الإنجاب أبدا.. ولكن لأنني رأيت الكثير من الأزواج ببداية زواجهم يقررون تأجيل خطوة الإنجاب بسبب ظروف شخصية وأوضاع اقتصادية غير مستقرة أو لاختبار قوة علاقتهما.. لكن يصددهم القدر بظروف قاسية لتحرمن من الأمومة بسبب مضاعفات صحية ظهرت فجأة.. لذلك يا سارا وبعد أن تصبحي فوق الثلاثين ستبدأ هواجس مختلفة تطاردك حول أن الأمومة قد تصبح مستحيلة لك بين ليلة وضحاها))

لم يبدو أي تأثير على سارا وهي تعتدل من مكانها جالسة لتقول

((لا أظن ذلك وأنت لا تفهميني يا ميادة.. أنا لا أشعر بالحاجة للإنجاب.. بل أنا ضد الإنجاب لأنه ببساطة لا أشعر أن لدي أي شعور بالأمومة أو الحاجة الملحة لإنجاب أطفال.. الجميع يقول مثلك بأنني سأندم وأن الإحساس بالحاجة لإنجاب طفل هو أمر فطري وطبيعي.. لكنني لا أشعر هكذا.. وإذا لم أشعر بأنني أريد أطفالاً فلن أنجب أطفال.. ثم إن راجي مؤخرا بدأ يزعجني بتصرفاته ولو إنني اعرف أنه لا يتقصدها.. ولكنه لا يعرف كيف يتصرف دون الحاجة مني لأخبره))

عادت ميادة توبخها قائلة بتهمك

((لسنا قارئين أفكار يا سارا.. يمكن لراجي أن يتمتع بظننة تجعله يشعر بك وبما تريده أحيانا.. ولكن لازل العلماء عاجزين عن اختراع جهاز لقراءة أفكار الآخر.. لذلك توقفي عن التصرف وكأنه لا يد أن يفعل.. إذا كنتِ منزعة من أمر ما.. فأذهبي إليه فوراً وصارحيه ولا تنتظري أن يكتشف هو من تلقاء نفسه ذلك.. وتذكري دوماً أن التواصل هو كلمة السر لزواج ناجح.. هذا سبب نجاح حياتنا أنا وشقيقك فادي))

تذمرت سارا بطفولية واستخفاف

((تبالغين كثيرا يا ميادة))

لكن ميادة كانت تتحدث بجدية وهي تقول

((سارا أنا لا أبالغ.. أنتِ بالفعل تعاملينه كطفل.. قومين بتوجيهه وفرض الأوامر عليه.. ولا تضعين اعتباراً لصورته أمام الآخرين.. هذا سلوك منفر ومزعج.. سارا عليكِ التعامل مع راجي بنفس النمط الذي تنتظرينه منه أن يعاملك))

قلبت سارا عيناها باستفزاز وهي تقول

((حسنا ميادة غيري الموضوع كله.. هل تعرفين أنى اليوم كنت عند آية كما طلب مني احمد؟))

وصلها صوت ميادة المستغرب

((آية؟ تلك الفتاة التي دمرت مستقبل احمد المهني كاملاً.. وربما الاجتماعي أيضاً!))

أكدت سارا على كلامها هادئة

((نعم هي.. تلك الطفلة التي كانت تتعرض لعنف أسري من أمها وزوج أمها.. وكان ليث شريك احمد بالعبادة يسكن بجوارها وقد أخذها عدة مرات للعبادة بأوقات متأخرة من الليل عند فروغها من المرضى يغريها بعلاج نفسي يحسن من حالتها

النفسية ويستغل جسدها.. لقد اعتدى عليها أكثر من مرة..
وعندما فضحته عند الشرطة قالت بأن احمد كان شريك معه..
وبالرغم من انه لم تثبت أي دليل على احمد إلا أنه أخذ بأقوالها
وتم حبس احمد لسنة ونصف بناءً على أقوالها فقط))

هزت ميادة رأسها وهي تبصر بتلك الذكريات التي لا تزال
تذكرها لتقول

((نعم أتذكر تلك القصة قبل عشر سنوات.. وقتها كان شقيق
وعائلة احمد يجاهدون لتبرئته ويتواصلون مع أشهر المحامين
لإثبات براءته.. ولولا أنك قلتي لفادي أن يتدخل ويعين له
محامي بدون أن تعرف عائلته لما كان خرج احمد من السجن
بريئاً.. هل راجي يعرف بتواصلك مع احمد وأنت كنتي سبباً
بإخراجه من السجن؟))

صحيح.. فلولا أنها استعانت بمحامي ذكي استطاع الذهاب
لعائلة آية وابتزازها وإغراء والديها بالأموال لما كانت
ستراجع عن كذبها ضد احمد..

أجابتها سارا بهدوء

((صحيح يا ميدو طلبت من أخي فادي أن يعين لأحمد محامي
بدون أن تعرف عائلته أنني وراء ذلك.. حتى أنني كنت أزور
احمد بالسجن مع المحامي بدون علم راجي أيضاً قبل عشر
سنوات.. لكن بعد ذلك انقطع اتصالي نهائياً بأحمد.. والتقيته
فقط قبل أيام وتحديثنا سوياً وطلب مني أن أتفقد آية.. لكن بدون
أن يعرف راجي))

بهذه اللحظة فكرت سارا بأن احمد مجنون بشكل رسمي..

فآية هي السبب بسجنه وتعرضه للكثير من الصعاب لم تنتهي
حتى مع إظهار براءته بافترائها وكذبها عليه..

وحتى مع إظهار براءته بشكل كامل..

سمعته والتي هي مثل الزجاج تهشمت.. ولم يعد قادرا على العمل بعيادة خاصة له واستخدام اسمه..

فاضطر للعمل بالمجال الحكومي والذي يحصل فيه على راتب أقل بكثير مما كان يجنيه من عيادته الخاصة..

ومع ذلك احمد بصر حتى بعد مرور عشر سنوات على تفقده أحوالها ومساعدتها بدون أن تعلم..

حتى أنه هو الممول المجهول الذي قام بإعطائها منحة التفوق لتكمل من خلالها دراستها بيسر..

أنهت سارا المكالمة قائلة بصوت هامس وهي تسمع وقع أقداما على الدرج

((جاء راجي.. إلى اللقاء ميدو))

لحظات وفتح راجي الباب فتقدمت سارا منه هادرة بحرارة وهي تدنو منه وتحيط رقبته بذراعيها

((كيف حالك يا حبيبي؟))

أخبرها راجي بفتور وهو يبتعد عنها قليلا ليخلع ملابسه

((بخير يا حبيبتى))

فقد بدأ يومه مثل كل يوم سابقه بالخوض في روتينه من الاستيقاظ فجرا للصلاة إلى تحضير مائدة الإفطار لنفسه كالعادة وكان لا أحد يهتم أو يبالي به..

ثم العودة بهكذا وقت للبيت..

منذ أن أستقل بمكتب خاص به وحده للمحامة حتى صار يجري ليل نهار وراء القضايا وجمع المزيد من المال..

وهكذا تتلقفه الدنيا وتتلاطمه أمواج الحياة وبدلاً من أن يجد عند عودته زوجة محبة تظمئ حاجاته ويأس بها..

لا يجد إلا ما يزيد عليه هما فوق هم مع سارا..

وهو الذي كان يحلمه بها بكل ليلة منذ طلاقهما الأولى أن يعودا لبعضهما ويتزوجها..

ولا يزال حتى الآن لا يتخيل أخرى زوجة له..

فسارا لطالما كانت امرأة تفهمه من نظرة عينيه بل من نبضات قلبه..

لكن بعد زواجهما وظهور المسؤوليات بدأ الأمر يختلف معها..

خرج راجي من الحمام وهو يحيط خصره بمنشفة..

وبينما يرتدي منامة بيئية مريحة قالت له سارا

((هل ستنام الآن؟ ما زال الوقت مبكراً..))

أنهى راجي تحفيف شعره المبلل ثم قفز على فراش السرير ليقول أخيراً بتعب وهو يدثر نفسه بغطاء السرير

((أنا متعب.. جداً))

اقتربت سارا منه تمسده ظهره بحرارة وهي تهمس له بصوت متحشرح بينما تستشعر بوجود خطب ما به مؤخراً وتستشعر بعض تقصيرها

((لا بدّ من وجود سبب وجيه أدّى إلى شعورك بالتعب..

أخبرني ما حدث معك مؤخراً؟))

يبدو لها وكأنه يعاني بسبب مازق ما أو حالة نفسية صعبة يعيشها.. أو ربما هناك مشكلة بعمله..

فاسترسلت سارا وهي تمرر أناملها على ذقنه المشذب الخفيف

((راجي.. أريد معرفة السبب الكامن وراء تعبك حتى نجد سويا
الحل المناسب لأساعدك؟ أنا اسفه إذا كنت بالفترة الأخيرة
اضغط عليك..))

سكنت قليلا.. لا تريد أن تنهال بالأسئلة دفعة واحدة..

لكنها اقتربت منه أكثر لتحضنه ثم وضعت كل ثقلها وهي ترقد
عليه من فوق..

قالت بمرح وهي تضع شفيتها فوق بشرة وجهه

((هل أنت متضايق من رقودي فوقك؟ أنا لست ثقيلة))

حركت راحتيها إلى وجهه.. وبدأت تمسد بأناملها الرقيقة بشرت
وجهه..

لم تستطع ألا تقدم له هذا الحضن الثقيل وهو في هذه الحالة
السوداوية..

قربت وجهها أكثر تلامس بغيرها وجهه لتطبع قبلة رقيقة على
وجنتيه بكل عطاء عاطفي تمتلكه..

انكمش جسد راجي أكثر قبل أن يسترخي ويفتح عينيه ليواجه
عينها على مقربة قريبة منهما..

الآن وهو يراها تبادره وتساله عن حاله بدأ أضعف من ألا
يستقبل نظراتها الحنونة التي تنسيه إرهاقه..

لكن بظرف جزء من الثانية اختفى العبث الغزلي الذي كان يبدأ
بالظهور على عينيه..

تقلب راجي على جانبه يزبحها معه من فوقه إلى جانبه ويحيط
كتفها بذراعه ليلصقها به.. لعله يشعر فيها وبحبها..

يعلم أنها تبادلته الحب.. لكن الصعب أن تظهر حبها له دون أن تتكلم.. وأن تثبته بأفعالها.. لا فقط بالكلمات أو العلاقة حميمية..

فهي كسارا دائما ما تتصرف على طبيعتها ولا شيء يجعلها يشعر بتميزها أكثر من كونها على طبيعتها..

المهم أنها لا تجبر نفسها على شيء دون رغبة منها..

ولربما ما يجعله يشعر بأنه مميز بحياتها بعيدا عن كونه زوجها..

هو أنها تظهر له جوانبا لا تظهر عادة أمام الآخرين..

فقط أمامه تظهر جانبها الطريف والسخيف والغريب وأيّا كان شعورها تبعاً لشعورها النادر بالراحة معه والانفتاح بشكل أكبر..

لكن بسبب عدم تحملها مسؤولية الزواج.. وعدم اعتبار نفسها من الأساس متزوجة.. وعدم بذلها جهدا معه بهذا الزواج.. من جهة..

وبسبب عمله من جهة أخرى.. بدأ يشعر انه يمرّ بمرحلة صعبة ويعاني من الضغوط النفسية والتوتر..

ولا يتمنى إلا أن يجد عند سارا الاحتواء والآنس.. والتي تبخل بهما بكثير من الأحيان له..

.

.

بصباح اليوم التالي..

بينما كانت تصفف سارا شعرها نظرت بهدوء لراجي الذي كان يرتدي قميص عمله..

لا تنكر أنها بالفطرة الأخيرة بدأت تشعر بأنه مليء بالإحباط
والحزن والانعاج..

تهتدت ثم قالت وهي تعود للنظر للمرأة أمامها وتصيف شعرها
الطويل

((لماذا مؤخرا أشعر بأنك لست على ما يرام؟ لم تقبل بالأمس
أن تتحدث معي بصراحة وصدق لكن هل هناك شيء أستطيع
فعله لأجلك؟))

أجابها راجي ببرود يختصر الكلام الكثير الذي بداخله والذي
يريد أن يقوله لها

((نعم.. تعاملني معي بمودة وتفهم.. افرحي لفرحي.. شاركوني
همومي وأحزاني.. أشعريني بالأمان والاستقرار والمحبة.. هل
ما اطلبه كثير يا سارا؟))

الآن هي من بدأت تشعر بالإحباط من كلامه..

وكان ما تفعله ليس كافيا له مع أنها فعلا تبذل جهدها لتكون
أفضل له..

وتعاني ما فيه الكافية بزواجها منه..

تهتدت سارا ودعت ما بين حاجبيها بحركة متوترة وهي تتأكد
أكثر عما قبل بأنهما لن يستطيعا إكمال زواجهما على هذا
الحال..

لكنها همست بصدق وهي تبتسم بسرور لعلها تبعث فيه الأمل
بكلامها

((سأحاول أن أكون أفضل من أجلك.. أعدك))

=====
=====

وقف احمد أمام منصدة الزينة يمشط شعره الأسود القصير..
وقبل أن يمد يده ليرش من عطره المفضل شعر بالدهشة لوجود
عطر آخر فخم موجود بين عطوره..
عقد حاجبيه بينما يمد يده ويلتقطه سائلا هيام
((من أين هذا العطر؟))

لم يشعر عليها وهي تعتدل واقفة من على السرير لتجفله عندما
احتضنته من الخلف وتشدد من احتضانه بينما يغمرها بعطره
الرجولي الدافئ..

همست هيام له وهي تحاول أن تخبئ دقات قلبها الملتاع بين
ضلعها

((انه عطر جديد.. كنت قد جلبته منذ وقت لك هدية يوم
زواجنا.. لكن قلت لنفسى أن أعطيه لك الآن.. لم أعرف كيف
سأنتظر أكثر))

كانت بحاجة أن تهديه الآن أي شيء.. فالهدية حتى مع بساطتها
لها مفعول السحر..

صحيح أن احمد لا يبدي فرحته إذا ما كانت الهدية ثمينة عندما
يستلمها حتى لا يشعرها بأنها أعطته شيئا منها وأنها تفضل
عليه..

لكن هيام كانت تتجاهل وتمرر هكذا مواقف..

لتردف وهي تخبره بحرارة وتبتعد عنه قليلا لتواجهه

((أن رائحة هذا العطر ساحرة.. لا عطر يليق عليك أكثر منه..
رائحته جعلتني أشعر أنه صُنِع خصيصا لك.. متأكدة بأنه
سيصعب عطرك المفضل من الآن))

رأته يرش على جدعه العاري من العطر ثم رفع نظره لها
يقول لها بابتسامته التي تسلبها وكأنه لم يسبق وحدثت مشادة
بالأمس بينهما بصوت أجش

((لقد اشتريت لك أيضا هدية بمناسبة يوم زواجنا.. ولكن لن
تريها قبل أن يأتي اليوم.. فأنا بارع بالانتظار كما تعلمين))

لطالما كانت هيام هي من تتذكر إحضار الهدايا له..

وبالرغم من أنه كثيرا ما جلب لها هدايا ثمينة.. إلا أن معظمها
لم تكن بالأعياد والمناسبات..

فهو لا يهتم بتذكر هذه المناسبات.. فطبعه يميل للعملية..

ولكن استمرارها بإحضار الكثير من الهدايا له في حين نسيانه
الأمر بشكل مستمر أخجله..

وخاصة أنها لم تلمح لانزعاجها من نسيانه المتكرر..

لذلك حرص هذه المرة فعلا على تذكر تاريخ يوم زواجهما..

قالت هيام تستدعي انتباهه وهي تتحدث بلهفة

((بما أنك اشتريت هديتي وانتهى الأمر.. فحسن.. ولكن بعيد
ميلادي أريد منك أن تحضري لي صيغ ذهبية سبق ورأيتها ولم
تغب عن أحلامي أبدا منذ ذلك))

من مدة كانت تطمح بشراء صيغ الذهب التتر رأته تلك المرة
ولم تكن تريد جعل سعرها الغالي يقف بطريق حصولها عليه..

ستطلب الآن مبلغ من احمد ولو بالتقسيط..

سألها احمد باستغراب وهو يخفض بصرها أثناء ارتداء ساعته
حول معصمه

((ولماذا الانتظار لعيد ميلادك الذي سيأتي بعد أشهر طويلة..
سأشتريها الآن لك.. كم هو سعرهم؟))

ما إن أخبرته هيام بسعرهم حتى رفع احمد رأسه مندهشا من
القنبلة التي فجرتها بوجهه هاتفا

((من المستحيل أن امتلك مبلغ كهذا حاليا.. وحتى لو استطعت
تجميعه فليس من المنطقي أن اصرفه بسهولة على هذه الصيغ
الذهبية))

زفرت هيام بضيق.. نعم هي تعرف أن المال لا ينبت على
الشجر.. لكنها قالت له بثبات

((حبيبي أنا لا أريده الآن.. أنا أريد أن تعطيني مبلغا صغيرا
كل شهر وسأضعه في الحصالة.. لأجمع المبلغ.. فأنت كما تعلم
وعدتني بشرائه منذ زمن وحتى الآن لم تفعل وتؤجل الأمر
بسبب ظروفك))

سارع احمد يرد عليها بعبوس وهو يرفع إحدى حاجبيه
((هل تعاليري هيام؟))

سارعت بقلق تنفي وهي تشير بيديها

((لا يا احمد.. لم تقول هذا؟ والله لم اقصد ما تظنه.. ولكن حتى
متى لا املك صيغ ذهبية ثمينة؟ أنت فقط أعطيني مبلغا شهريا
بما يتناسب مع ظروفك وراتبك.. وسأجمع النقود حتى المبلغ
المطلوب..))

قال احمد لها بوجوم

((ولماذا كل هذا التعقيد؟ سأشتريه لك دفعة واحدة عندما تتحسن ظروفي.. بالنهاية أنا وعدتك))

أخبرته برجاء متبرمة

((احمد ظروفك لن تتحسن فجأة... ثم أنت أعطيني فقط مبلغ صغير شهريا وإذا استمرت هكذا لن تشعر بنقصان المال أبدا))

رأته يزفر بضيق شديد بحجة أن هذا ليس وقت صيغها الذهبية..

لكن لا.. عليها الحذر والا تستسلم له.. التسوية لا ينفع مع احمد..

وهي لم تعد تعمل وتعتمد كلياً بنفقتها على أحمد..

ثم حتى لو لم يوافق الآن وفورا وعاند وماطل قليلا..

ستبقى تحاول إقناعه حتى يوافق.. عليها أن تستخدم الكثير من الغنج والدلال عليه ليشتريهم لها..

راحت تلج أكثر لتقنعه قائلة وهي تساعده بارتداء حُلته

((لي صديقة تجمع هكذا.. لا أبالغ يا احمد.. على حسب قولها لها حصاله تضع فيها الأموال المتبقية من راتبها.. وتقول بعد خمسة سنوات فتحتها فوجدت مبلغا كافيا لشراء منزل جديد))

قاله لها أحمد متتهدا

((حسنا.. سأعطيك مبلغا شهريا بالحصاله.. وربما أفاجئك مرة وادفع المتبقي من المبلغ لك مرة واحدة..))

دهشت هيام لموافقته السريعة هكذا فسارعت تحتضنه بفرح

((احبك يا احمد يا حبيب قلبي))

تقبل احتضانها ببسمة وعقله يذهب مجددا للمقارنة بين حياته معها وحياته السابقة مع إيمان والمختلفة كلياً..

فلكون هيام ربة منزل ولم تعد تعمل وتستلم راتبها في نهاية الشهر على خلاف إيمان..

ولأن هيام لا يوجد لها مصدر من المال.. ولا تأخذ المال إلا منه.. كان يشعر دائما بحاجة هيام له وبرجولته أمامها..

أما لو كان لديها مصدر من المال سواء عائلتها أو راتبها فكانت ستقل طلباتها منه وتعتمد على نفسها مثل إيمان..

إيمان كان برأيها أنها عندما لا تكلف احمد أي مبالغ مالية هكذا تتجنب المشاكل معه وتكبر في عينيه لأنها توفر له المال الذي يحبه والذي يرفض أن يفرط به..

كانت تظن انه سيتمسك بها أكثر نتيجة لذلك ولأنها مستقلة مادياً..

لكن العكس هو الذي حدث..

فهو كان يراها تتمنن براتبها عليه..

بالسابق هو فعلياً اعتاد على عدم الإنفاق على إيمان بل وأسقطها من حساباته المادية..

ربما ما كان يدفع إيمان أن تتحمل فقره ببداية زواجها وتصبر هو أنها كانت تظن أنه في يوم من الأيام سيعوضها عن ذلك بمجرد أن تتحسن حالته المالية..

أما فهو فهم من عدم تطلبها المالي أنها لا تحتاج لشيء وان سكوتها عن طلب المال يعني عدم احتياجها للمال..

أي انه لم يقصر معها مادياً أبداً..

ومع الأيام نسي أن ينفق على إيمان..

مع أن إيمان آنذاك لم يكن مقصدها إلا تنفيذاً لنصائح زوجة والدها..

من أن تكون مراعية.. وألا تكثر عليه الطلبات وأن تكون عاقلة ولا تبتذر الأموال ولا تكلف زوجها فوق طاقته حتى تنال تقديره..

خاصةً وأن أهل احمد وضحوا مقدره ابنهم المادية عند طلب يدها..

وإيمان قبلت وفي قلبها كل الدوافع النبيلة لإنجاح زواجها ولأن هذه الشقة كانت هي حلمها للسكن فيها منذ زواجها منه..

فلم تعد تطلب منه أي شيء حرفياً تقديراً لهذه الظروف الطارئة..

غيرت كثيراً من رغباتها وحرمت نفسها الكثير من احتياجاتها كأنثى..

من عطور ومجوهرات وملابس فاخرة وسكن فاخر وسفر ومطاعم ونزهات..

وغيره من الذي اعتادت عليه في حياتها الفارهة سواء عند والدها أو والدتها.. لكن كل هذا تقلص عندها ليناسب وضع احمد..

لكن الذي حدث بعد الانتهاء من البناء الذي استغرق سنين هو اعتياد احمد حرفياً على عدم الإنفاق عليها أو على ابنها ونسيان أنها كانت تضحى وتصبر ليوم فرج أت..

فهل كان يعرف أن لها رغبات تحرم نفسها منها لأجل؟

لا.. لم يكن يعرف.. بل كان يعتقد لا وجود لطلبات عندها من الأصل..

نسي أن لها متطلبات.. فهو رجل كالرجال..

كل ما تقول زوجاتهم ينتبهون له.. وما لا يقلنه لا ينتبهون له
ولا يشعرون به..

ربما كان يجب عليها أن تقول له أنها مثلا تتمنى شراء ساعة
معينة بمجرد تحسن ظروفهما..

أو شيء آخر ليعرف أن طلباتها ضرورية مثل الأكل
والشرب..

كان لا بد أن يعرف منها أنها تحتاج لمنتجات التجميل.. أو
لتقص شعرها.. أو تشتري فستان لمناسبة..

أو حتى قميص نوم تفرح به وتسعد بتأثيره على زوجها..

=====
=====

استأقنت جالا على سريرها تفتح دفترها..

"المسامحة والنسيان هي سبيل المنتهكة لعيش حياة زوجية
سعيدة"

هذا ما وصلت إليه جالا خلال سنوات نضجها الأخيرة..

المسامحة لا تعني مسامحة الجاني وجعله يعيش بسعادة بل
مسامحة نفسها لتعيش هي بسعادة عندما تخرج من نفسية
الضحية..

لأن ما حصل قدر من الله.. وإلا فإن الاستمرار بعدم التسامح
يعني الاستمرار بالمعاناة إلى الأبد..

كانت طفلة صغيرة سبق وتعرضت لأكثر من مرة لاعتداء لم
تعلق تفاصيله في عقلها بقدر ما ظلت علامة في التكوين النفسي
والذهني لها على مدار حياتها..

عند زواجها من مراد كانت خائفة جدًا من إتمام زواجهما..

كما أنها لم تكن حتى متأكدة من أنها لا تزال بكر..

وعندما كان مراد يبدي رغبته بالعلاقة الزوجية كانت تشعر بأنه هو نفسه عمرو ابن خالتها الذي استباح جسدها بوحشية..

وأول مرة مارسها مع مراد لجأت للمخدر وقيل أن يبدا مفعوله شعرت بتلك العلاقة التي قامت بها مع مراد بعلاقة يصحبها الكثير من الألم والعذاب..

شعرت بأنها غير نقية وملوثة وبالاشمئزاز أكثر من العلاقة بين الرجل والمرأة ولم تتصور أنها ستستطيع أن تجعله يلمسها مرة أخرى..

كان الأمر كتشويهه في المنظومة المعرفية لديها..

فبدلاً من أن ترى الرجل على أنه الأمان والسكن.. صارت تراه نموذجاً للغدر..

وبدلاً من أن ترى العلاقة الحميمة على أنها حب.. تراها اعتداءً وعنفًا..

لم تستطع عرض نفسها على طبيب نفسي كي يساعد في تغيير هذه المنظومة المعرفية ويعيدها سيرتها الأولى..

بل لم تثق بالذهاب لأي طبيب تستطيع أن تأمنه على أسرارها ولا يطلعها لأحد من عائلتها أو مراد..

لم تجد إلا الاعتماد على نفسها لتشفى من الأمر..

هي لم تنسَ ما تعرضت له لكنها بدأت تتعامل مع الأمر كونه خبرة مؤلمة مرت ووضعتها في حجمها بحيث لا تكون حائلاً دون استمرار الحياة..

وحاولت لاحقاً اللجوء مع مختصين من خلال الأنترنت من خلال برامج علاجية تطبق على بعض الحالات بشكل فردي وتأتي بنتائج طيبة للغاية..

جعلتها شيئاً فشيئاً تعود فيها إلى ممارسة حياتها بشكل يقترّب من الطبيعي مع مراد ليصبح ما مرت فيه مجرد ذكرى..

فعدم تخلصها من هذه الخبرة الأليمة يعني إخفاقاً كلياً في حياتها الزوجية..

في حين يكون عمرو مستمتعاً في حياته.. لأن ضميره ميت..

فقط عملت على رصد جميع الأفكار السلبية التي تدور في رأسها وناقشتها مع نفسها..

المهم أنها لم تبقها مخيمة في رأسها ولم تتجاهلها كما سبق واعتادت على فعله بكل شيء يمر بحياتها..

بالتأكيد وخاصةً ببداية زواجها من مراد سبق واستشعر بوجود مشكلة عندها وبأنه أحدث لها ألماً..

ولأن نفسيته لم تكن تتقبل أن يكون هو يتمتع وهي تتألم.. كان دائماً وبكل علاقة يبدي لها عطفه ووده وثقته..

بعدما تحسنت جزئياً.. وخلال السنوات السابقة وقعت أمام خيارين..

إما أن تخبر مراد أو لا تخبره..

وضعت جالاً الخيارين أمامها بمميزات وعيوب كل واحد منهما..

بالنهاية.. وجدت أنه وحسب ظروفها وحالتها والتجربة التي مرت بها مع كارم فقطعاً عليها ألا تخبره ما سبق ومرت به..

صحيح أنها كانت تريد بشدة تبرير ابتعادها السابق الغير مبرر
عنه وكل ما جعلته يعانیه بسببها..

لكنها لم تكن قادرة على تحمل نتائج هذا القرار.. لم تكن مستعدة
أن تخاطر بإنهاء زواجها منه..

أو أن يعايرها بتلك الحادثة في وقت من الأوقات فيما بعد..

باختصار اختارت ألا تخبر مراد من باب الستر على نفسها..

فالستر يعطيها فرصة في بدء حياة جديدة ويساعدها على إزالة
آثار الذكريات السيئة لديها.. ولدى مراد أيضا..

وحتى لو عرف مراد الحقيقة ككارم..

لن تفرع فهي لم تعد حرجة في التعامل مع نفسها كمنذبة..

لأنها هي المعتدى عليها والضحية وليست المجرم بأي شكل من
الأشكال..

لقد استطاعت أن تدرك الكثير عن حالتها.. وبدأت تتسلح لتكون
شخصية قوية..

فشخصيتها الضعيفة العدوانية السابقة كانت بيئة خصبة لنمو
الأفكار السلبية..

كانت تعاني نقصا حادا في الثقة بالنفس سببه أحداث تراكمت
منذ الطفولة..

فكان تحديها أن تبدأ مرحلة جديدة لإعادة بناء الثقة وترميم ما
قد تهدم منها..

بالنظر في كل الجوانب الإيجابية والبحث عنها داخل نفسها
وتجاوزها مرحلة الألم..

كانت تكتب كل هذه النقاط الإيجابية بوضوح في دفتر الذي
تحمله الآن بين يديها وسمته "دفتر الإيجابيات" ..

بدأت تحاول تكوين صداقات خارجية وتعيد نفسها على
التعامل مع الناس ..

ثم صارت تحاول أن تحتك بالناس وتفرز الجيد من القبيح
وتثري خبراتها الحياتية بمحاولة فهم الأفكار الكامنة والمتوارية
خلف مشاعرها ..

فليس كل من حولها وحوشاً ..

أكثر صديقة قوت صداقتها بها هي رانسى .. بنفس عمرها ..

تعرفت عليها بعملها السابق الذي لم يستمر حتى لسنة واحدة ..

لكن حتى بعد تركها له بقيت على تواصل مع رانسى ..

ولأنها تسكن بالمدينة تحاول أن يكون بينهما لقاء كل أسبوعين
فضلا عن تواصلهما المستمر عن طريق الهاتف والأترنت ..

وأفضل شيء .. أنها وبالرغم من أن علاقتها بأمرها قوية لكنها
تحاول جعلها أقوى وأن تكف عن عنادها معها وتتخذها أقرب
صديقة ..

فبدأت تزورها كل أسبوعين تشاركها شرب الشاي وتتجاذب
معها أطراف الحديث بشأن تربية بنتها ..

وهذا الشيء أسعد والدتها وجعلها مطمئنة عليها أكثر كما لم
تكن بوضع سابق ..

لكنه زاد من نقمة حماتها عليه ..

فلم تعد تعجبها الزيارات الأسبوعية لو والدتها متحججة ببعدها
مكانها عن بيتهم بالفرية ..

جفلت جالا على طرقات باب قوية فزفرت بضيق وهي تعتدل
جالسة مكانها..

لا بد أنها والدة مراد تريد منه النزول عندها ليرحب بسهر
ووالديها اللذان فجأة أصبح يزوران والد مراد أسبوعيا..

وبأوقات لا تصلح أبدا للزيارة..

فتحت جالا الباب لتدلف روعة للداخل وهي تنتظر لها بملامحها
القاسية بوجوم..

ثم قالت روعة بنبرة خشنة غليظة

((أين مراد؟))

وصلها هتاف مراد العالي من غرفة النوم

((أمي أنا بالداخل أقوم بالتلوين مع رورو))

خطت روعة نحو غرفة نوم مراد لتتظر لأبنيها شبة جالس على
السرير بجانب ابنته الكبرى يلون الرسمة معها بإتقان..

فقابلت ابتسامته مراد لها بصوت ممتعض وهي تعترض

((ما هذه الدلال المائع الذي تصرون على مناداته لروعة
الصغيرة؟ نأديها باسمها روعة لا رورو))

قال مراد لها بلطف دون أن تنحسر ابتسامته

((أنها تحب أن نقول لها رورو يا أمي))

نظرت روعة لحفيدتها الصغيرة تأمرها بخشونة على غير
عادتها الحنونة معها هاتفة

((اسمك روعة لا رورو.. هل تفهمين يا ابنة مراد؟))

ثم التفت روعة نحو جالا ترمقها بشرر حينما سمعتها تقول لها
بحق وهي تلوي فاها

((تحب أن نقول لها رورو بدل روعة.. ماذا فيها يا عمتي؟))

هدرت لها روعة بحقد

((هل هي من تحب أم أنت من تحرضينها على حب هذا الدلال
بدل اسمها الحقيقي لأنه على اسمي؟))

تنهدت جالا تنهيدة طويلة نفثت بها أنفاسها المتقدة وهي تشيح
بوجهها بعيدا عن أنظار روعة بينما تذكر قصة تسمية بنتيها..

فلأنها أجهضت مرتين بأول خمس سنوات زواج..

وحتى ينتهي مراد من تدخلات والدته بأمر إنجابها وعدها بدون
أن تعرف جالا بأن اسم أول مولودة سيكون على اسمها..

مع أنها كانت طوال الوقت وبشكل يومي تخبر مراد عن الاسم
الذي ترغب بتسميته لأبنته إذا ما تم هذا الحمل..

إلا أنه صدمها بتجاهل كل رجائها وتسمية أولى بناتها
"روعة" على شهادة ميلادها بمجرد مجيئها للدنيا..

فكانت بكل ليلة تبكي لأنه لم يسمي ابنته كما كانت تطلب منه..

وعجزت ولمدة ثمانية أشهر من مناداة ابنتها باسمها لذا صارت
تناديها فقط رورو..

ولم تهاد إلا عندما وعدها مراد بأنها هي من ستسمي ابنتهما
القادمة كما تريد..

لكن عند ولادة ابنتها الثانية ومجددا عارضت روعة الاسم الذي
اختارته جالا..

فرضخ مراد لوالدته وطلب من جالا أن تستمر باقتراح أسماء أخرى له حتى توافق امه على أحدها ون فعلت ..

واستقر موافقة امه على اسم "لين" ..

فحتى اسم "لين" لم يكن فعلا اختيارها الأول أ والاسم الذي تريده بشكل فعلي لابنتها ..

قاطع مراد شرود جالا وهو يقول لها بهدوء من مكانه

((جالا .. أمي محقة .. علينا أن ننادي روعة باسمها الحقيقي بدل رورو لأن مُدرستها قالت لي أنها ترفض الرد على من ينادي عليها إذا دُعيت باسم روعة .. وتصبر على أن اسمها رورو .. نحن نشئت البنث بهذا العمر الصغير .. لذا علينا أن نتوقف عن قول رورو لها))

لم ترد جالا عليه وهي مستمرة بإشاحة وجهها جانبا ..

لحظات وبحدة تقدمت جالا نحو المنضدة الصغيرة لتأخذ الأطباق الموضوعة فوقه وتضعها على الصينية لتتجه حاملة إياها للمطبخ ..

رشقتها روعة بنظراتها وهي تعود لإلقاء نظرة على المنضدة الصغيرة بغضب لا تصدق أنهم كانوا يأكلون ويتناولون الطعام بشكل عشوائي وبغرفة النوم تحديدا ..

هتفت روعة فاتحة كفيها بحنق لمراد

((منذ متى يا مراد الطعام يُؤكل على سرير النوم؟ هذا ما تعلمه زوجتك لبناتك؟))

قال مراد له بصوت خفيض وبنبرة رجاء ترجوها عدم إثارة أي مشكلة بسبب أمر بسيط كتناول الطعام بالغرفة

((أمي.. أرجوك لا تبالغي نحن لا نأكل الطعام إلا في المطبخ
أو على طاولة الطعام لكنها كانت وجبة خفيفة للبتنين..))

لم ترد عليه روعة بل تمتمت بصوت مسموع بينها وبين نفسها
((إذا كانت الأم والزوجة هنا فوضوية فلا عتب عليك أو على
بناتك بهذا التفكير))

تجاهل مراد كلام والدته متنهدا وهو يبعد روعة الصغيرة عنه
قائلا بمحاولة تغييره للموضوع

((أمي أخبريني لماذا أتعبت نفسك وصعدتني إلى هنا؟ كان
بإمكانك الاتصال بي.. هل هناك أي شيء؟))

أجابته جالا التي جاءت بهذه اللحظة من المطبخ

((تريد أن تخبرك أن تنزل عندهم وترحب بالأنسة سهر
خطيبتك السابقة))

كانت نبرة جالا تقطر غيرة وغل عند ذكرها موضوع سهر
بينما هي واقفة عند العتبة متكئة على الباب بامتعاض

بينما التفتت روعة إليها بحدة عينيها تطلقان شررا توبخها

((لماذا خرجت من المطبخ قبل أن تغسلي الأطباق بالمطبخ؟ كم
عليها أن تبقى يوما بالمطبخ قبل أن تغسلها؟ يبدو أن عليك
الاعتماد على أطباق البلاستيك حتى لا تكومي الأطباق في
المطبخ بدون غسيل))

تحكمت جالا بأعصابها وهي تقول لها من بين أسنانها وتكتف
ذراعيها

((عمتي لا بأس انهما طبقان فقط.. سأغسلهما فيما بعد))

صرخت عليها روعة بشراسة لا تناسب الموقف

((بل الآن اغسلهم.. ربة المنزل النظيفة لا تترك حتى طبقا
واحد بالمجلى تكومه))

بجمود بقيت تنظر جالا لروعة وهي تخبرها بعناد وقد مللت
وأرهقت من تحكمها بها

((لا أريد.. هما طبقان وحسب وسأغسلهما فيما بعد))

التفتت روعة نحو مراد بقوة تنظر له قائلة

((هل رأيت؟ هل رأيت يا مراد زوجتك النظيفة؟ لو أني لا أتفقد
بينكم بشكل فجائي بين كل حين وآخر لكنت عشت مع بناتك
بزريرة.. والله إذا عرفت يا مراد أنك أحضرت لها جلاية
الأطباق لأكرسها على رأسها.. لماذا تحتاج جلاية الأطباق؟ ألا
تراها بكامل صحتها؟ إذا لم تغسل الأطباق فماذا ستفعل طوال
اليوم؟))

ثم عادت روعة تنظر لجالا بتحدي..

وكانها تخبرها بعينيها ألا تحلم بعودتها للعمل.. ذاك الموضوع
الذي يُحدث شابكا بكل مرة يتحدوا به..

كان صوت أنفاس جالا المتوترة والغير ثابتة مسموع وهي تعقد
حاجبها وتقول مبررة لروعة

((أريد شرائها لأنها تستهلك كمية أقل من ماء الغسيل وذات
كفاءة وقدرة على توفير استخدام الطاقة وهي قادرة على غسل
الأطباق والزجاج على نحو أفضل.. وأهم شيء أنها توفر
الوقت والجهد علي.. وتكلفتها بمتناول يدنا.. فما المانع من
شرائها؟ بل ما المانع أيضا من عودتي للعمل؟))

قالت لها روعة بعناد وهي ترمقها بنظرة رافضة

((هراء.. كل ما تقولينه هراء.. عائلتك صغيرة وستضطرين
لترك الأطباق عدة أيام داخل جلاية الأطباق حتى تصبح كاملة

وهو أمر غير صحي.. ألم تعلمك أمك أبسط أمور النظافة؟
وبالنسبة لعملك فأنت مهملة ببيتك ولا تعملين فكيف ستديرين
بيتك عندما تعودين لعملك؟ عليك أن تتوقفي عن الزن برأسي
أبني لتعودي له.. لأنني لن أسمح له بذلك حتى ولو كانت عدد
ساعات عمك قليلة))

نظرت جالا بغضب نحو مراد لينتبه على كلام والدته عن
أمها..

لكنه أشاح بوجهه بعيدا وبجبن وهو يدفعه بكفيه وقد سأم ضغوط
وروتين حياته مع هذه المشاكل الشبة أسبوعية..

من جهة أصبحت جالا ترفض التفاهم مع عائلته من قبيل
العناد..

ومن جهة أخرى يعاني هو بدوره من ضغوط شديدة من قبل
والديه..

ابتلعت جالا ريقها وهي تفكر كيف تتحوّل كلمات والدة مراد
إلى غصّة داخلها؟

كيف يتكوّن من اللا محسوس ألم يخفقها؟

مراد يرفض عملها التطوعي والذي هو عبارة عن عدة ساعات
فقط حتى لا يغضب والديه..

والذنان لا يوجد لهما أي سبب منطقي لرفضهما عودتها
لعملها..

من الأساس هي تريد العودة له حتى لا تجد أي وقت فراغ حين
وجود البنات بالحضانة للنزول عند والدته حتى لا تتجرع منها
سيل الإهانات المتعمدة كالعادة..

مر وقت على صمت الجميع لتقول روعة بحدة وهي توجه
كلامها لأبنها

((بالمناسبة يا مراد لموضوع عمل زوجتك.. لقد قلت يا مراد لو الدلك أنك لا تستطيع السيطرة على زوجته التي تريد أن تعمل رغما عنك.. فأخبرني بأنها لو عادت للعمل سيطر دك من البنائة كلها.. لأنك حينها ستثبت أنك لست رجالا.. فمنذ متى نسبح للنساء عندنا بالعمل؟ ما رأيك أن نجلس بالبيت وتدع زوجتك تتفق عليك؟ ألا يكفي أنك لم تعد تمون عليها لتنزل عندي بشكل يومي))

حررت جالا نراعيها المعقودتان وهي تكور احدى يديها
بغضب..

أسلوب والديّ مراد المعتاد دائما ما ينجح معه لضعف شخصيته أمامهما بالربط بين رجولته وتنفيذه لقراراتهما المجحفة غالبا..

فيحرضونه على جعلها لا تعود لعملها..

حيث يعتبرون مراد هنا هو السيد وهي مجرد تابعة له..

ويتحكمون في حياتهما ويطرصدون تصرفاتها للتعليق عليها أولاً بأول قبل أن يتم شكوتها لمراد..

ومنذ بداية زواجهما وأمه تحاول مسح شخصيتها لتصبح مطيعة تماما لها ولا ترد حتى على إساءتها لو الدتها..

فضلا عن إجبارها على خدمتها وخدمة صديققتها وزياراتهم اليومية وإرهاقها في أعمال منزلية لا داعي لها من الأساس فقط لتشبع هوسها بالنظافة..

فتح مراد عينيه المغمضتين بتعب قائلا

((أمي يكفي سأنزل عندكم لأسلم على والديّ سهر بعد قليل..
اسبقيني الآن))

أجابته روعة باقتضاب وهي تهم لأن تستدير

((بل انزل معي الآن فمئذ أن تزوجتها وأنت لم تعد تفهم بالأصول.. ألا تعرف بأنه من قلة الذوق ألا تستقبل مع والدك صديقه وشريكه بالعمل بكل مرة يزورنا؟))

قال مراد ببرود لأمه وهو يقف معتدلاً من على السرير

((أمي اعذريني على قلة ذوقي مع صديق والدي المقرب والذي يصادف انه والد الفتاة التي هربت في يوم زفافنا قبل إحدى عشر سنة وسببت لنا فضيحة كبيرة على مستوى القرية وقامت بأمر أخرى لا داعي للخوض بها مجدداً))

تجاهلت روعة كلامه وهي تعطيه ظهرها وتخطو نحو الباب مندفعة للخارج للعودة للدور السفلي..

ما إن أغلقت روعة الباب خلفها حتى هتفت جالاً بصوت عالي نحو مراد قائلة بغضب

((إلى متى ستبقى والدتك تدخل بكل شيء حرقياً؟ منذ سنة وأنا اللخ عليك لنشتري جلاية الأطباق وأنت تؤجل خوفاً من كلام والدتك عليك لو شريتها؟ هل صارت جريمة أن اشتري آلة تريحني قليلاً؟ صديقتي لديها خادمة في البيت ومع ذلك شرت جلاية أطباق لتريحها من العمل.. صديقتي تخاف على راحة خادمتها أكثر من خوفك يا مراد على راحتني))

تنهد مراد قائلاً بقلة حيلة وهو ينظر لها بحزم

((ماذا افعل لك؟ أمي مصرة على رأيها بأن الزوجات اللواتي لا يهتمن بصحة عائلاتهم هن من يشتري تلك الآلة.. لذا أرجوك يا جالا دعينا لا نقيم حرباً مدمرة من أجل جلاية أطباق.. لن ينكسر ظهرك من غسل بعض الأطباق.. لكن هذا النقاش حول تلك الجلاية أخر مرة..))

عضت جالا على شفرتها السفلى وهي تنظر إلى مراد بغيظ..

بالتأكيد سيقول ذلك فليس وكأنه هو من يغسلهم..

لا تستطيع فهم رفضه أن يريحها دام أن سعر الجلاية متوفر
وبمتناول اليد بالنسبة للمال الوفير الذي يمتلكه..

أنها تغسل أطباقا وأواني ثم لا تلبث أن تستعملهم وتعود لغسلهم
مرة أخرى وتستمر بهذه المهمة الشاقة والمملة..

بالتأكيد إلى جانب عشرات المهام المسنودة لها..

فلماذا لا تشتريها؟ ما العيب بأن تنشد الراحة قليلا؟

وقبل أن يفتح مراد مقبض الباب للخروج تتم لها قائلا

((اعلمي بأن لأهلي عليّ حق كبير ولا سيما والداي.. وخاصةً
أمي فحقها عظيم وفضلها كبير ولا أريد أن أتشاجر معها أو
أغضبها.. لذلك أرجوك يا مليكتي تفهميني قليلا))

بغیظ وحقد صرخت جالا به

((وما دخل بر والديك بجلاية الأطباق؟ أنا لي حق عليك ويجب
أن تؤديه على أكمل وجه.. راعي حقوقي وحقوق عائلتك
وأعطي كل ذي حق حقه ولا تقصر في حق أحد على حساب
طرف آخر.. فكما أنك مثاب على برك بأمك وأبيك.. فأنت
كذلك معاقب إذا قصر في حقوقي))

لم يجب عليها ولم يفتح مقبض الباب وبقي واقفا مكانه..

فتنهت جالا بسأم.. وهي تعرف بأنه لن يشتري الجلاية ولن
يسمح لها بالعمل إلا عندما يحصل على صك الموافقة من
والديه..

والذنان لن يوافقا على شيء يريحها أو يسعدها.. مع أنها لم
تأذيهم بشيء..

ماذا تفعل أكثر ليرضيا؟ لم يسبق وأن صدر خطأ منها في حق
والديه أو أقاربه..

وتتجنب أن يحدث منها أي خطأ أو إساءة قد تؤدي إلى مشاكل بينهم..

وسبق وجربت أن تحسن إليهم من احترام ومعاملة طيبة وإشراكهم في بعض أمورهم العامة والتي لا تؤثر عليها معرفتهما إياها..

إلى غير ذلك من أساليب التودد لهم والبر بهم.. ولكن لا فائدة.. لم يسود الحب والاحترام بينهم وهي لم تنتهي معاناتها معهم.. ما يزالون جميعا كما هم معها منذ عشر سنوات..

هي لا تطالبه بعقوقهم.. بل بتفهم أمورها..

فقال جالا بصوت متخم بالملل من هذه المشاكل الروتينية التي تعيشها بسببهم

((مراد يكفي لقد مللت من هذه الحياة.. دائما ما تظلمني حتى بتوافه الأمور من أجل أن ترضي والداتك.. حتى بالتفاصيل الصغيرة يتدخلون.. ما شأنهم إذا ما اشتريت جلاية صحن أو لا؟ ما شأنهم إذا عملت بالخارج أو لا؟ لقد كنت موافقا على كل تلك الأمور لولا تدخلهم.. إلى متى ستبقى هكذا يا مراد ضعيفا أمامهم؟ ألا يمكنك أن تمسك العصا من النصف؟))

شدد مراد على مسكه لمقبض اليد بغضب من كلامها وهي تشير بضعف شخصيته بكل صراحة..

خاصة وأن ابنتاه تقفان عند عتبة باب حجرتهما ويستمعان لما تقوله..

فقال مراد لها بصوت غليظ متهمها قبل أن يفتح الباب ويخرج

((لا لن أمسك العصا من النصف بل سأمسكها من طرف وأضرب رأسك بالطرف الأخر))

في الدور السفلي..

ولج مراد لشقة والديه وجلس في غرف الضيوف مع والده
وصديقه..

بينما كانت سهر في غرفة الضيوف الأخرى المخصصة للنساء
مع والدتها تمارا وروعة..

تتهددت سهر بقوة للمرة التي لا تعلم عددها وهي تستجمع قواها
الواهية لتتحمل باقي هذه الجلسة مع وروعة تلك المرأة التي
كانت لتكون حماتها لو لم تهرب من حفل زفافها من مراد قبل
إحدى عشر سنة..

بدأت تخيل حياتها وماذا كان سيحدث لو لم تهرب مع ذلك
المصور وتزوجت من مراد..

وكيف كانت لتكون كنة لعائلة مراد الذين تحكمهم عادات وتقاليدهم
لن تستطيع هي الاعتياد عليها وهي التي جاءت من عائلة
متفهمة ومتفتحة..

بل حتى أنهم ليسوا من مستواها الاجتماعي..

نعم صحيح هم عائلة غنية جدا ووالد مراد هو شريك والدها
بعمله..

ولكن خلفية عائلتهم وطريقة عيشهم هنا في هذه القرية الصغيرة
لا يجعلهم يرتقون لمستواها..

هناك الكثير من الاختلافات الاجتماعية والفكرية بينهم..

وهلا لا تراهم إلا متخلفون ورجعيون وبربريون ولا يعرفون
شياً عن الحياة المتقدمة..

لهم طباع ونمط حياة لا ينسجم مع نمط الحياة الذي تعودت هي عليه..

فهي تكره أن تكون انطوائية أو انعزالية.. وتكره أن تميل إلى الجدية وقلة الكلام..

لو تزوجت مراد وعاشت معه هنا بهذه البناية في الدور الثاني كما يعيش الآن مع زوجته لتعرضت للكثير من المخاطرة التي لا تعرف حدودها وليست مستعدة لها.. وكانت ضيعت عمر العشرين..

وبدلا من عيشها حياة عشرينية مليئة بالمغامرات والتحدي كما فعلت هي لكانت هنا تعيش حياة تقليدية مملة كالتى تعيشها المئات في مثل عمرها من النساء هنا..

حياة مليئة بمشاجرات الأم والزوجة.. ومحاولة فرض سيطرتهم عليها لأنها تعيش في بيت العائلة..

خاصةً وأن تلك المرأة المسنة أمامها روعة والدة مراد لا تراها إلا أمراه منزمنة ترى نفسها أنها تعرف دائما الأفضل لابنها وأن عليه طاعتها دائما..

فضلا على أنها لا تفقه بشيء اسمه حاجز احترام الخصوصية والاختلاف..

للحظة شعرت سهر بالشفقة والعطف على زوجة مراد والتي كانت كبش فداها ودخلت هذا الجحيم بدلا عنها..

فكيف تعيش مع تدخل امرأة كروعة تعلق على كل شيء من طعام أو نظافة بيت أو ترتيبه..

فكرة أنها كان من الممكن لو لم تهرب أن تعيش هنا ككنة نثير فيها الفزع لكل ما للكلمة من معنى..

فلا هي قادرة على العيش في محيط مختلف تماما عن الذي
تعودت عليه..

ولا هي هينة تسمح لأحد بفرض تغيير تام في شخصيتها..
وبدون أن تتشعر بنفسها وجدت سهر نفسها تهز رأسها وكأن
تزيح هذه التخيلات من رأسها..

إنها نادمة جدا.. نادمة جدا لمجرد الموافقة في الماضي على
الزواج من مراد..

حقا إنها نادمة على مجرد كلمة "موافقة" للزواج من مراد..
نادمة جدا.. جدا..

لكزت تمارا ابنتها وهي تناديهما مكررة اسمها لترفع سهر
نظرها إلى والدتها تفوق من أفكارها وتخيلاتها هاتفة بلا وعي

((نادمة يا أمي نادمة.. والله نادمة.. نادمة.. نادمة))

التفتت تمارا نحو روعة تأسف ثم عادت تلتفت لابنتها تقول له
بحزن حاولت إظهاره مليا

((اعرف يا سهر أنك نادمة على هروبك قبل عقد مضي من
حفل زفافك من مراد.. وضياح رجل وسيم وغني مثله من بين
يدينا.. وهذا فعلا ما كانت أستمر بقوله لروعة بالفترة
الماضية..))

تتحننت روعة تبسّم لكل من سهر ووالدتها بنفاق..

فهي سابقا لم تحب سهر بل وعارضت زواجها من مراد
وحاولت جاهدة إفساد خطوبتهما..

لكن ابتلاها الله بمن هي أسوء منها..

مثلت روعة بلامحها صدمة حزينة قاتلة بعتاب زائف

((سامحك الله يا ابنتي يا سهر.. هروبك من الزفاف لم يفسد حياتك وحسب.. بل أفسد حياة ابني واضطره للزواج من فتاة من الشارع بديلة عنك حتى لا تُفضح أمام المدعويين))

ساندتها تمارا وهي تهز رأسها

((فعلا يا أم مراد أنت محقة.. فعلة سهر وهروبها المخزي ذلك اليوم سبب المتاعب لنا جميعا وعلى المدى البعيد.. يكفي أن سهر ومن شدة ندمها على تضييع مراد من يدها ترفض الزواج وما زالت عازبة حتى الآن))

طالعت سر والدتها ببلاهة هامسة وهي تضع سبابتها على صدرها

((ماذا؟ أنا؟))

همست لها تمارا من بين أسنانها وهي تنظر لسهر بطرف عينها المشتعلة شررا

((نعم أنت يا سهر))

قالت روعة بجدية وهي تحمل فنجان قهوتها تطلع للمستقبل

((ابنتك يا تمارا ترفض الزواج ولا زالت عزباء لأن بسبب هروبها من حفل زفاف مراد وابني ابتلي بزوجة سيئة لم تجعله يعيش يوم سعادة واحد بل وربطته بابنتين أيضا.. لكن..))

نظرت تمارا بترقب لها وارتسمت علامات القلق على صفيحة وجه سهر مما يخططن له وهي تسمع روعة تردف بعد أن أخذت رشفة من قهوتها

((لكن بالتأكيد هذه ليست النهاية.. خاصةً وان ابني يفكر بجدية بوضع حدا لها.. فبالفترة الأخيرة أصبحت متمردة ولا تطاق.. ومن يدري؟ ربما ينتهي بهما المطاف بالطلاق.. الله اعلم))

قربت سهر فاها لأذن أمها تهمس لها بغضب

((أمي لا تقولي إنك تفكرين بتزويجي لمراد بعد أن يطلق زوجته؟ كيف تريدين مني الزواج برجل لديه ابنتان؟ ماذا لو تزوجته وأحضر أطفاله عندي لتربيتهم؟ هل أقتل نفسي وقتها أم اكتفي بالهروب منه مجددا؟ أمي لن أستطيع تحمل عواقب الزواج منه))

دفعتها تمارا من كتفها تبعدها عنها وهي تقول لها هامسة قبل أن تعود للنظر لروعة بابتسامة مصطنعة مجاملة ((ليطلق زوجته أولا ثم سنفاهم بموضوع بناته))

بعد ساعة..

دلف مراد لشقته بعد أن انتهت زيارة والديّ سهر..

ما إن اغلق مراد الباب حتى تقدمت ابنتاه منه بلهفة لتقول روعة الصغيرة بصوتها الطفولي الحزين

((أبي.. إن أمي حزينة بالداخل وكانت تبكي))

أنخفض مراد على مستواها صغيرته يحاوط وجهها بين كفيه بحنان..

قبّل مراد ما بين عينيها برقة ثم تطلع بها وبلين بمرح عقب أن شرد بعينه مدعيا التفكير

((كانت تبكي؟ إذا هي تستحق عقاب قاسي.. أحضرا لي أداة العقاب لمن يبكي هنا لنعاقب أمكما))

بضحكات مرحة انطلقت من ثغر الصغيرتين أطعنه بإيماءات
منكررة..

ولحظات حتى أحضرن مسدس ماء كبير مترقبين مشاهدة
عقاب والدتهم..

مأ مراد مسدس الماء جيدا وهو يفكر هل لشخص مسكين مثله
محدود الأبداع وقليل الحيلة تغلبه دموع الإناث غير هذا
المسدس؟

ثم خطى نحو غرفة النوم يفتح مقبض الباب..

اعتدلت جالا المستلقية على السرير جالسة عندما سمعت باب
المقبض يُفتح..

ما إن رأت مراد يدنو للداخل حاملا مسدس الماء وهو يصوبه
نحوها حتى صرخت فازعة جالا وهي تضع ذراعها أمام
رأسها تحمي نفسها

((لا.. ماذا تفعل؟ لم أكن أبكي؟ هل فتنَ بناتك علي؟))

بعد مرور أقل من ثانية شهقت جالا من المسدس الذي بدأ مراد
بإطلاق الماء عليها منه غير عابئ بصراخها اللذيذ وتوسلاتها
بالتوقف..

استمر مراد بإطلاق الماء من المسدس عليها حتى جعلها مبلة
من فوق تماما مع ضحكات الصغيرتين على والدهما..

توقف مراد فجأة عن رميها بالماء عندما سمعها تصيح بالم
وهي تفرك يدها عليها

((عيني.. دخل الماء بعيني يا مراد.. مراد.. توقف))

عقد مراد حاجبيه بقلب مثلهف ثم وضع المسدس على الكومود
مقتربا منها باهتمام هادرا

((ابعدى يديك لأرى عينك جيدا))

أبعدت يدها عن عينها وهي تترك له المجال ليتفقدتها..

أقل من دقيقة ثم سمعته يقول لها براحة

((لا تقلقي لم يحدث بها شيء.. أعطوني المسدس لنعود رشقك
بالماء))

شهقت جالا متوسلة

((لا أرجوك.. لقد بللت الفراش أيضاً))

ابتعد مراد عنها قليلا ينظر لها من فوق لتحت ليراها ترتجف
كطير مبلول وسط الأمطار..

مما جعله ورغما عنه يرحمها ويحن عليها وهو يرفع إحدى
يديه يمسد فوق شعرها مبتسما بحنان لها..

رشقته جالا بنظرات معاتبة وهي تعاود رفع يدها وفرك عينها
قائلة بدلال

((لم أعد أتحمّل مزاح المسدس يا مراد))

ابتسم لها مراد وهو ينظر لها بنظرات شريرة ويعاود مسك
المسدس من على الكومود فانتفضت جالا خائفة للخلف وهي
تضع ذراعيها أمام وجهها تحمي نفسها منه..

لكن لم يغدر بها مراد وهو يقول لها ضاحكا

((ربما يجب عليّ أن أهديك مسدسا مشابه له كيف تدافعي عن
نفسك))

وصله هتاف ابنته من الخلف بحماس وهي تتقدم منه ترجوه
ببراءة

((أبي وأنا أريد أيضا مسدسا لأدافع عن نفسي فيه))

نظر مراد لها قليلا وضحك بخفوت هامسا

((لا غيرت رأيي.. هذا المسدس فقط لي ولن تملك أي واحدة
منكن شبيهه به.. ولكن لا تقلن لن أقوم بإشهاره إلا عندما تبكي
أو تغضبيني إحدانك وتتسبب بثورتي.. فلا تغضبوني ولا
تبكين))

بعد دقائق..

غيرت جالا منامتها لأخرى محففة ثم استلقت على سريرها
الذي غيرت ملانته المبتلة..

بدأت تنتظر لمراد يمشط خصلات لين المموجة بلطف وسكون
عقب أن سرح شعر رورو..

سمعته يتمم بأغنية أطفال بصوته العذب وبسمته الهادئة
ونظراته الحنونة..

مسد مراد بحنو على خصلات ابنته لين ثم قام بجمع شعرها في
رباط وردي مزخرف بالزهور..

قبل مراد وجنة لين واتبعها بقبلة أخرى لرورو.. ثم اعتدل واقفاً
هادرا بصوت أجش

((هيا بسرعة إلى غرفة النوم يا أميراتي))

تأكد مراد من نوم ابنتيه ثم أغلق الباب عليهن تاركا إضاءة
خافتة مشتعلة بالغرفة..

دلف إلى غرفة نومه ثم استلقى بجانب جالا وهو يقرب وجهه
منها هامسا بحسرة

((هل تسببتُ بحزنك؟))

انقبض قلب جالا بين ضلوعها لتقول هامسة وهي تنظر له
بعينها الحزبتين

((نعم تسببت بحزني وإيلامي.. بألم كبير يشبه ألم الأسنان لكنه
في قلبي))

حاول مراد التحكم في نبضات فؤاده المرتجف لوعة عليها
وهي تطالعه ببسمة باهتة..

فاقترب منها يحضنها رغم اعتراضها الواهن بدلال وشفاه
تمس أذنها تداعبها بعبارات عاشقة نابغة من مشاعره الشغوفة
نحوها..

وما كانت دقائق حتى انفلتت منها ضحكة عفوية صغيرة أذهبت
عقله معها وتغلغت داخل صميمه كما تفعل منذ سنوات كثيرة..

رفع مراد أنامله يلاعب خصلاتها البنية ويحدقُ بها وهو يقول
لها طالبا بنبرة حانية

((لقد أخبرني أبي بانزعاجه منك لأنك لا تطيعين أمي ولا
تنزلين عندها بشكل يومي.. لذا أتمنى منك يا جالا أن تنزلي
عندها وتفعلي ما تريده منك وتحمليني.. مهما فعلت تبقى أمي))

تغيرت ملامح جالا فجاءة لتصبح ملامح أخرى فاترة..

صمتت لوهلة تستجمع شجاعتها لمعاتبته على عكس كل مرة
تأثر فيها الصمت وتطيعيه حتى لا تضخم المشكلة لتقول بجفا

((لقد مللت يا مراد والله مللت.. منذ عشر سنوات وأنا صابرة
على ما يقع من ظلم عليّ من قبل أمك.. لقد حلقت فرحاً عند

زواج يارا وخلصي من شرها وأذيتها المستمرة متوقعة أن
والدتك ستتوقف عن أذيتي هي الأخرى لكنها زادت عما سبق
وكانها تفرغت لي.. هل يجب فعلا علي بكل مرة أن أسامح؟
خاصة وأن والدتك من النوع الذي يغضب دون أسباب وبعد
تفسيرها أي كلمة أو فعل مني على هواها.. كم أنها تتحدث أكثر
من مرة عن والدتي بسوء أمام صديقاتها وجاراتها.. لا أتحمل
بكل مرة أن أتجاهل إساءتها عن أمي.. كانت تعابريني أن أمي
مطلقة وبعد أن تزوجت أمي منذ عقد ولم تعد مطلقة لا تزال
أمك تعابريني بتزوجها أكثر من مرة.. ما ذنبي إن لم تكن
والدتك موافقة على زواجي منك؟ والدك هو بنفسه من طلبني
أنا من دون الكل من والدي ومع ذلك يعبر بندمه الشديد
لزواجنا.. لماذا؟ أخبرني فقط ماذا فعلت؟))

بترت جالا كلماتها وأسئلتها وقد أصبحت نبرتها متهدجة..

بينما أطلق مراد تهيدة منهكة فمسار الحديث ذهب بعيدًا عن
توقعاته..

وهو قد سئم سماع نفس الحديث من كل طرف..

يعرف أنها تعاني مع أمه ولكنه يُريدها أن تُشفق عليه وما
يتعرض من ضغط وتأنيب من قبل والديه وتخضع لهما
وتتجاهل كل ما يسينان به لها..

بأنفاسها المتهدجة تعباً همست مردفه في مناجاة إعتادتها

((مراد أنا أشعر بالظلم والقهر.. وأضع اللوم عليك.. فأننا لا
أريدك أن تغضب أمك أو أن تتشاجر معها.. لكن من البداية لو
أشعرتها أن ما يحدث معي من وقت لآخر يجرحك لما استمرت
معي في ذلك وكانت سئراعي أنك ابنها.. أنت سلبني في هذه
المواقف لدرجة تشعرني بالوهر والدل والظلم.. وخاصةً أنني لا
أشكو لأهلي شيء مما يحدث تجنباً للمشاكل))

هي فعلا لم تعد من الشخصيات التي لها مشاكل مع الناس..
ولكنها الآن تشعر أنها مظلومة وان كرامته تهدر..

وكالعادة عندما تتحدث معه عن والدته يبدأ التشاجر معها
ويحاول قلب الموضوع ضدها..

لا تريد إغضابه.. ولكنها أيضا لا تريد أن تهان أو تدل..

ارتفعت يدها تداعب شعره بشفة مزوممه ما إن رأته يبعد أنامله
عن خصلاتها ويشيح بوجهه عنها مسترسلة

((مراد أنت تُشعرنى أنه ليس لي سند خاصة أنك تعلم أنني لم
أفعل لوالدتك شيئا يتسبب لها بكرهي..))

تنهد مراد فهو يجاهد بالفعل بالتحلي بالحكمة والصبر والموازنة
بين حبه لوالدته ولجالا..

وبين حبه لذاته وكرهه لسماح هذه المشاكل والضغوطات
اليومية فقال لها وهو يلتفت لها

((جالا.. لقد سبق ورسمت حدودا لعلاقتي الزوجية.. وحدودا
أخرى لعلاقتي بوالدي.. وأحاول ألا أسمح لأحد أن يتخطاها أو
يتجاوزها.. ولكن لا شيء ينجح..))

بعصبيه هتفت له جالا مقاطعة وهي تشير له بيدها الأخرى

((ولكن أمك تتجاوزها وتقحم أنفها فيها.. فعلى صعيد علاقتنا
الزوجية ثمة أمور لا يحق لوالدتك أن تقحم رأيها فيها.. مثل
مسألة الإنجاب وتربية بناتي.. هل سبق وتدخلت بين علاقتك
بوالديك أو علاقتك ببنات خالتك؟ لماذا إذا تتدخل هي بي؟))

شهقت جالا بخوف وهي تراه يدفع يدها التي تضعه على شعره
بإهمال وهو يقول لها بحدة لم يستطع التحكم بها

((جالا توقفي.. لا أريد سماع أي شيء عن مشاكلك مع أمي.. سبق وقلت لك أنتِ وأمي أنني لن أتدخل في خلافاتكما لتقتي الكاملة بنُضحكما وقدرتكما على إيجاد طريقة للتعامل بينكما.. لكن أنتِ من زدت هذه الفجوة عندما قررت أن تقاطعيها ولا تدخلي بيتها مؤخرا.. وهذا ما أريده أن يتوقف))

ما لا تعرفه جالا أنه بين نارين.. هي وعائلته..

هي فعلا لا تعرف كم يقاوم التحيز لجانبٍ ضد الآخر..

ويبتعد عن دور القاضي عندما تشكو إليه والدته منها.. أو حين تشكوه هي والدته..

بالنهاية الشجارَ والخلافَ من طبيعة البشر.. ولن ينتهي بين عشيةٍ أو ضحاها..

تحولت مشاعر مراد لضيق وملامحه لجليد أمامها..

كما يفعل كل مرة عندما يغضب منها..

لكن جالا لم تهتم وهي تقول بعناد وبندرة عالية

((لا بل سابقى كذلك.. أي شخص يضايقتني فأنا مضطرة أنا أقاطعه بشكل نهائي حتى لو كانت والدتك.. وأنا لست مجبرة للنزول عندها خاصةً وهي مُصرة على معاملتي كخادمة لتنظيف كل ما يلزم ولا يلزم ببيتها فقط لتثبت..))

قاطعها مراد بصوت عالي أخافها وهو يقول لها برجاء لا يحمل من الرجاء شيئاً

((جالا حتى ولو.. من أجلي أنا تحمليها وأنزلي عندها..))

تغلبت جالا على خوفها من تحوله وهي تكثف ذراعيها وتقول بشجاعة واهية وبصوت منخفض

((لا.. لا لن أتحمل أكثر.. لا أريد الجلاية ولا أريد العمل.. لكن
لن أنزل عندها.. لا يمكنك أن تجبرني.. كيف تريد مني أن
اصبر على إساءتها لي ولوالدتي بدون أي سبب أمام الغريب
والقريب؟))

ضرب كفه الجدار مصدرا صوتا قويا زافرا بحدة وهو يقول
لها بحزم

((جالا توقفي))

لكنها لم تفعل وهي تقول له بصوت متحشرج

((تخيل لو حدث العكس وأساءت والدتي لك أو لأمك؟ ماذا كان
سيحدث؟ ما كان سيحدث هو أن والدتك لم تكن ستجعل اليوم
يمر بدون أن تجعلك تطلقني أما بم أن العكس هو ما يحدث
فعلي أن اصبر وأتحمل.. أساسا أكبر سبب يجعلني أصر على
العمل هو حتى لا يبقى لي أي وقت فراغ عند ذهاب البنات
للحضانة لتستغله والدتك بإجباري على النزول عندها
وتعذبي))

كان يحرق بها مراد بعينين مشتعلتين بالجمرات جعلتها تنكمش
من تطاير شرارها عليها بكلمات سؤاله

((إذن لن تنزلي عند والدتي؟))

كان سؤاله أقرب للتحذير وبنبرة خطيرة..

لكن وبما أن والديه خاصة أمه مصرّة على ما هي عليه..

فلا يحق له أن يجبرها على النزول عندها تفاديا لتكرار
الاضطرابات بينهما..

فقال جالا وهي تزم شفثاها بعناد قبل أن تهتز حدقتا عينيها
رهبة من نظراته الغاضبة

((لا.. مستحيل..))

نظر مراد لها بملامح غير مقروءة عقب ما قالت له للحظات ثم استدار عنها يوليها ظهره غاضبا دون أن ينطق بكلمة وهو يرفع الغطاء بقوة ليغطي نفسه..

بقيت جالا موضعها تراقبه بصمت وقد بدت ملامحها باهتة وشاحبة..

تكره عندما يغضب منها أو يزعج.. حتى ولو لم يكن جزء كبير من الخطأ عليها..

فأخضت وجهها وهي تريحه على كتفه مغمضة عينيها وهي تهمس له بحزن

((مراد.. حبيبي.. لماذا غضبت؟ أنا لم أقصد ذلك))

نفض مراد كتفه يبعدها عنه ثم هتف لها بامتعاض وبنبرة مرتفعة أجفاتها

((أسكتي.. لدي عمل غدا وأريد النوم))

لم تستطع جالا الكلام أكثر وقد اختنقت الكلمات بحنجرتها..

رفعت أناملها تمسح بأصابع مرتعشة الدموع التي خانتها ونزلت قبل أن تدفن وجهها بالوسادة..

لكن بعناد فكرت بانها من المستحيل أن تتنازل أكثر وتنزل عند أمه التي تستمتع باستفزازها والسيطرة عليها وإثارة المشاكل على أنفه الأسباب..

عدا تحريض مراد عليها..

كل مل كانت تفعله معها بالسنين الماضية من تجريح وإهانات وتناول بالكلام عليها وعلى والدتها استنزف وقتها وحياتها ونفسيها..

أليس لها حق الحياة والاستقرار لعائلتها؟

وحتى مراد مهما أبدا لها تفهمه وبأنه سيحاول حل الأمور حتى يعود لطبيعته بالانصياع لتحريضهم عليها..

مهما أبدا هدوءً ونفذ طلباتها أحيانا حتى ينقلب مجددا عليها ويعيظهما المجال للتدخل بها..

=====
=====

بعد مرور عدة أيام..

وقفت هيام أمام المرأة تراقب انعكاس صورتها عليها وهي تمرر أناملها على بشرته الشاحبة تارة..

وتارة بين خصلات شعرها المتقصفة الجافة وقد أهملت نفسها بسبب نفسييتها المتعبة مؤخرًا..

انقلبت حياتها رأسا على عقب بالأيام السابقة وبعدها أخبرتها عبير عن محاولات حماتها بإقناع احمد بالزواج..

عضت هيام على شفيتها الغارقة من الأساس في الجروح بسبب عضها عليها كلما أصابها الوجوم أو التوتر من أفعال وكلمات حماتها..

لقد تم استنزافها كليًا.. بل وتكاد أعصابها تتمزق من فرط ما تعانيه..

فوالدة احمد وبعد أن كانت مثل الحمل الودود كشرت على أنيابها وبدأت تلح على أحمد بالزواج من أخرى إلى جانب جرح مشاعرها والاستهزاء بها أمام حماها وابنها الآخر..

عادت هيام تجلس على فراش سريرها وهي لأول مرة تشعر
لهذا الحد بمرارة أن تكون كامراً دائماً المتهم الأول في قضية
العقم..

وما تعانیه من تبعات ذلك بصمت وهي تتجرع الألم والحسرة
لأنها لم تشعر بمشاعر الأمومة..

فهي التي تتحمل نظرات الشفقة من المقربين لها وتسمع في كل
يوم كلمات جارحة تجرح أوثقتها وتشعرها بالدونية وتفقد الثقة
بنفسها كامراً..

ألا يكفي أن عدم إجابها يشكل بحياتها حزن لا يستهان به..
بغض النظر إن أعربت عنه صراحة أو أخفته وكابرت بالبوح
به..

نهضت هيام بعنف عن الفراش وولجت إلى الحمام عازمة على
تناسي كل هذه الأفكار..

فيكفي أن احمد بصفها ومن سابع المستحيلات أن يحزنها
بالاستجابة لكلام أمه..

بعد دقائق عادت تستلقي على سريرها ترأب احمد الواقف أمام
منضدة الزينة بهدوء تام يُعد نفسه للخروج لعمله وهي تنتظر
إلى انعكاس صورته في المرأة..

كان يمشط شعره وهو يتمتم بكلمات أغنية قديمة وبدا رائقاً
جداً..

توقف احمد عن تمشيط شعره لينظر إليها متجهماً عاقداً حاجبيه
في المرأة وهو يسألها بوجل

((هل هناك خطب ما يا هيام؟))

قالت له بصوت متعب وبملاح باهتة وهي تتلملم مكانها

((زوج أُمي سيذهب لأسبوعين للخارج كما هو معتاد سنة بعد سنة وأُمي ستتمكث ببيت راجي خلال هذه الأيام.. فكنت أفكر أنه من الأفضل أن أمكث عندهم أيضا عدة أيام.. إذا لم تمنع سأذهب اليوم))

التفت احمد ينظر لها بجمود وبملامح مبهمه للحظات..

ثم قال مبتسماً باعتذار وقد فهم مما تريد الراحة منه

((حسنا أنا أرى أيضا الأفضل أن تذهبي لتراتحي عند عائلتك عدة أيام))

ثم دنا احمد منها ممسدا على خصلات شعرها وطابعا على مفترق شعرها بقبلة قبل أن يبتعد قائلا

((سأشتاق ل يا هيام قلبي))

أفرجت هيام عن بسمه متوجسه صغيرة وهي تخاطبه متهمه بمرارة

((هل حقا ستشتاق لي؟))

عقد احمد حاجبيه ولم يعجبه تهكمها أو ما تقصده ف جذبها برقة لنتهض عن السرير غنوة وتصطم بصدرة..

ثم حاوط خصرها بذراعه وهو يهمس أمام شفيتها

((وهل تشكين بهذا اللحظة واحدة يا هيامي؟))

تبسمت هيام بعفوية له وأماعت نافية عدة مرات وقد سكنت لوهلة بين ذراعيه..

وهي تتذكر كيف قالت لها عبير أنه كان رافض وبشدة مسألة الزواج وواقف لجانبها..

ولكنه وكما أضافت عبير لها.. لا يكفي..

يجب عليه أن يضع حداً لهذا الأمر مع والدته..

يجب عليه أن يدع والدته تتوقف بشكل نهائي عن التفكير من الأساس بمسألة زواجه..

عند هذه الأفكار دفعته هيام عنها ببطء وهدوء تهتف بحماس وهمي

((إن ما رأيك أن أراجع عن الذهاب عندهم وأبقى عندك كيلا تتشعر بالوحدة من دوني؟))

ابتعد عنها احمد يغمغم بخفوت

((لا.. أنت بحاجة للراحة لذا اذهبي عند عائلتك.. أنا لست أنانيا حتى أبخس عليك ببعض الراحة لأيام))

ثم عاد يخطو نحو المرأة يلقي نظرةً أخيرةً على هيئته فيها ثم يضع عطره النفيس قبل أن يندفع خارج الغرفة مودعا إياها بدون أن يلتفت لها وداعا باهتا لا يحمل أي حزن لابتعادها عنه لعدة أيام..

ازدرت هيام لعابها بصعوبة وهي تتأكد أكثر بأنه يعرف بشأن علمها بما تقوله والدته له..

وكم تمننت عندما دنا قبل قليل منها فتح هو الموضوع لها من تلقاء نفسه ليطمئنها أكثر بأنه من المستحيل أن يفكر بما تخشاه..

لكن لا بأس.. بالنهاية احمد من المستحيل أن يقدم على شيء مثل هذا.. حتى ولو على افتراض أن حبهما توقف وانتهى..

لكنه لن يفعل بها هذا لأن زواجه سيكون غدرا كبيرا خاصةً وأن المشكلة ليست منها فضلا على أنها ضحت بكل ما تملكه من أجله..

غير ووقها بجانبه وعدم تخليها عنه عندما سجن أو اتضح
عقمه..

=====
=====

تناول احمد من زميله وصديقه بعض الأوراق ليتفحصها وعقله
شارد بما قرره بشكل نهائي..

وبختام تفكيره وصل إلى قراره الذي كان يحاكي حقيقة أن هيام
تزوجت به وهو متزوج ويقبت على حبه..

لذا من المفترض ألا يشكل قراره بالزواج من غيرها أي فارق
عليها دام الحب باق بينهما..

نعم هي قبلت بالزواج منه وبوجود إيمان وعدم تطليقها بما أنه
يحبها.. لذا إذا تزوج وبقي على حبها كما هو لن يتغير شيء
عليها.. تقريبا..

ولكن ردة فعلها المتطرفة عندما أخبرته بأنها ستنتحر فقط
بسبب حديث بسيط استرقت السمع له مع صديقه عن زواج
أخر له.. جعل احمد يصطدم بالواقع مرة أخرى..

فبالنهاية هي امرأة.. حتى لو أخذته وهو متزوج فسيبقى
موضوع زواجه من بعدها أمر جارح..

وهو لا يريد أن يفكر بخسارتها أو جرحها..

بل هو أيضا وليكون صادقا فحتى عند زواجه من هيام لم يكن
يود أن ينهي كل شيء بينه وبين إيمان..

حتى لو لم يحب إيمان فهو لم يستطع أن ينسى جو المودة
والألفة في أول زواجهما..

وكان المودة والعشرة والألفة.. هي أيضا حب.. نوع من أنواع
الحب..

بعد مرور كل هذه السنوات دائما ما يسأل نفسه لم عاد لهيام
وقتل نفسه في سبيل الاقتران بها؟

هل كان يحاول استعادة حب قديم وجميل وتمنى أن تعود
العلاقة معها لسابق عهده؟

يفكر أحيانا لربما لو بقيت ايمان على ذمته.. هل كان ليشعر
بالنقص مع هيام؟

لا يدري بكل صراحة..

لكنه متأكد بأنه بالفعل كان هائما بهيام ولم يكن يرى بان حبه
لها سينتهي.. وحتى الآن لا يشعر أنه توقف عن حبها..

لكن عدم وجود الأطفال بحياتهم جعله زواجهما يفتقد للكثير..

فالحب ليس كل شيء ولم يكن يستحق أن يخسر أشياء ثمينة لا
تعوض بحياته لأجله..

لا يعرف إن كان قد أنجب أطفالا من هيام لبقي على نفس
التفكير أو لا.. أحيانا يقول نعم وأحيانا يقول لا..

ليت إيمان لم تطلق منه.. لكان لم يفقد ابنه الذي لم ينجب غيره
ولكان تمتع بحبه مع هيام..

ولم يكن سيحتاج للتفكير بزواج ثالث ولم يكن سيمضي سنواته
الماضي بحزن أو كدر..

رفع أحمد وجهه قائلا

((إيهاب.. لقد أخذت قراري.. وسأفعل بنصيحتك وأتزوج))

قالها وهو يستشعر بنغزة بقلبه وهو يشعر بأنه خائن النذل..

يشعر بالخزي من نفسه فهو يريد الزواج لا لسبب إلا الأناجيب
والعقم الذي كان من جهته هو من البداية..

فهي ضحت ببقائها معه مع انه لم يكن يقدر على إعطائها طفل
أنداك.. على عكس ما يفعله الآن..

لكن هذء هذا الشعور الذي يحس به وهو يعاود التردد على
مسامعه بأن هيام قبلت به وهو متزوج لذا عليها أن تقبل بقرار
زواجه الحالي..

نظر إيهاب له قائلا ببرود

((ألم تخبرني بأنك متزوج من حب عمرك وعليّ ألا أجلب لك
أي سيرة لزواج آخر؟))

نفخ احمد ممتعضا ليرد بضيق

((إيهاب بغض النظر عما قلته وفعلته سابقا.. لكن أنا الآن أكثر
من مصمم على فكرة الزواج.. مشكلتي هي فقط أنني لا أعرف
كيف أتزوج بدون أن اجرح شعورها))

قال له إيهاب باستهجان وهو يتراجع في مقعده

((مجنون يا احمد الذي يظن بإمكانه أن يتزوج
برضا زوجته وبدون أن تنجح.. لكن دام أن الدنيا حلالك فعش
حيثك ولا تحرم نفسك من ضنا يقر عينيك به))

تنهد احمد مطولا ثم قال بخفوت وإحباط

((أنا اشعر بتخبط يا إيهاب))

قال إيهاب له مقطبا حاجبيه

((تزوج يا أخي كما أقول لك.. لكن بدون أن تجرح مشاعرها
فهذا مستحيل.. إذا كنت قادر على الزواج ماديا وجسديا فتزوج

بشرط أن تحقق العدل.. وان ترد لها مالها في حال ساهمت
معك في شراء سيارة أو شقة أو أي شيء آخر بالسابق..))

نغزه ثانية أصابته عند كلام إيهاب يتذكر ايمان..

حتى بعد مرور عقد على طلاقهما ما زال يذكرها ببعض
الأمر بعيدا عن كونها أم ولده الوحيد..

هل ردّ إليها كل مالها وكل ما أنفقته بالسابق عندما تزوج من
هيام حتى ولو كان ما صرفته بطيب خاطر منها؟

أم أنه استكثر عليها حتى الشقة؟

أجاب احمد إيهاب ببرود وهو يهز كتفيه

((لا لم تساعدني ماليا بأي شيء والحمد لله.. بل أني حتى
طلبت منها أن تترك عملها بمجرد زواجها مني))

وكالعادة.. لا يعتبر احمد أي تضحية ليست مادية تضحية..

ابتسم إيهاب بمكر وعينه تتألقان قائلا

((إن ممتاز تزوج وبدون أن تشعر بأي ذنب.. وأنسى
مشاعرها فأنت لن تظلمها ولن تستعبدتها أو تنساها عند
زواجك.. أعدل و عش حياتك.. فالعمر يعاش مرة.. ولكن
المرتاح ماديا يعيشه أربع مرات))

ضحك احمد بخفوت على كلامه..

فبالرغم من أنه ليس هناك أي علاقة بأن إيمان كانت تعمل معه
أثناء زواجها منه وهيام لا..

لكن عند زواجه بهيام قل مدخوله بسبب الظروف التي حصلت
له حيث لم يعد يعيش بنفس المستوى المادي والرفاهية التي كان
يعيش بها سابقا مع ايمان..

لكن بالتأكيد المستوى المادي والرفاهية بالنسبة له لم ولن تكون
عائقا له ليتزوج..

الأمر فقط.. أنه ورغما عنه أحيانا.. يستصعب كثيرا أن يفعل
ما سيفعله بهيام قلبه..

ولكن يعاود التكرار على نفسه للمرة الألف بأنها قبلت به
متزوج.. وهو لا يرتكب أي شيء محظور..

كذلك هو لم يقصر معها خلال سنوات زواجهما العشرة.. وإن
شاء الله لن يقصر أو يتغير أبدا معها بحالة تزوجه لها..
ولولا انه يتمزق للحصول على ضنا والا لم يفكر أبدا بالزواج..

نعم يريد ضنا يعيش معه ويعوض كل ما فاتته مع ابنه الذي
عاش بكنف زوج أم غريب..

لو كانت رغبته بأبن ورقة لمزقها.. ولو كانت زجاجة لكسرها..
ولو كانت جداراً لهدمه.. حتى لا يجرح هيام..

لكنه قلبه.. قلبه هو من يريد ضنا من صلبه يغرقه بأبوته..

ليعترف احمد أمام نفسه بمنتهى الصدق.. هو نادم اشد الندم
لتفريطه بحياته السابقة..

لأول مرة يشعر فعلا بالندم والموت في سبيل إعادة الزمن
ليدفن كل ماضيه وأخطائه ويكمل حياته مع ايمان وأبنة الغالي
الوحيد..

رباه لهذا الألم عابر الذي يشعر به يأتي ويرحل بينما يسحقه
تماما بوجعه المقيم وهو يتذكر ذكرياته الشحيحة مع ابنه..

قد تلتئم بعض الجراح خاصةً مع مرور عقد كامل.. لكن ما
يزال وجع فقدانه وجعا مزمنا ينخر في روحه..

خاصةً عندما يعود للبيت ويستقبله ابنه الوحيد بضحكته
البريئة..

ضحكة وبسمة ابنه كانا من الأمور القليلة التي تخفف عليه
وتساعد في ترميم ما كان يتعرض له بخارج البيت من أمور
تحطمه..

لكن الآن.. وحيث لا سبيل للعودة للماضي وتصحيح أخطاءه
سيترجح..

وليكون صريحا أكثر.. فحتى وعلى افتراض إن إيمان لم تكن
متزوجة لم يكن سيرجع ويطلب العودة لها..

لأنها أصبحت أكبر عمرا وسيكون صعبا عليها أن تتجرب له ابن
آخر بوضعه الحالي..

ولا يتوقع بأن عيشه مع عدنان قد يصلح أي شيء مما حدث
بالماضي أو يقلل رغبته بالحصول على ابن بعد ظمأ هذه
السنوات..

بهذه الأثناء..

خَطت سارا إلى داخل مبنى المشفى لتسأل أحد الموظفين عن
الدكتور احمد الغالي فيجيبها على طريق مكتبه في الدور
الثاني..

صعدت سارا المصعد ثم توجهت بعدها إلى باب المكتب الذي
عُلق عليه اسم "د احمد الغالي"..

وبدون أن تطرق دخلت مباشرة إلى مكتب احمد ولم تتأخر عن
سماع نهاية حديث احمد مع زميله بشأن زواجه..

انتبه احمد وزميله على ولوج سارا للغرفة فوقف إيهاب مكانه
قائلا يحدق بسارا فتذكرها لتردها لأكثر من مرة لزيارة احمد
ولقائهما هنا خاصةً بالكافتيريا وبوقت استراحتة..

ليقول إيهاب وهو يأخذ بعض الأوراق بينما يعتدل واقفاً

((بيدو أن لديك ضيوفا يا دكتور احمد.. استأذذك الرحيل))

ابتسم له احمد وهو يعطيه الأذن ويشير بيده لسارا أن ترتاح
جالسة..

جلست سارا على احدى الكراسي أمام طاولة احمد واضعة
ساقها فوق الأخرى تنظر لعينا احمد الزرقاوان وهي تقول
بنبرة جميلة وابتسامة شقية

((مرحبا يا دكتور.. كيف حالك؟))

أجابها احمد بابتسامته الواثقة

((الحمد لله أنا بخير))

شرد احمد قليلا وهو يطالع سارا ويحدق بها بصمت كما تفعل
هي بالمقابل..

عيناه الزرقاوان كانتا غائمتان بذكريات أول لقاء له مع سارا..

كانت صغيرة فانتنة عندما صفعته بعد انتهاء حفل زفافه من
هيام بسبب غير متعمد منه..

وهو حينها تجاهل صفعتها ولم يهتم أن يفسد فرحه بزفافه من
هيام بسبب أمر عابر صغير..

ليتفاجأ بلقائه ثاني بها عندما زارته ببداية فترة سجنه عارضة
المساعدة له بعد أن سمعت ما حل به من راجي أخ زوجته..

وبالرغم من أنه ضحك وقتها على كلامها وطلب منها ألا تتدخل إلا أنها أدخلت شقيقها فادي بالأمر ليساعده..

فاكتفى أن يطلب منها ألا تخبر أحدا عن مساعدتها وبعدها بدأ كل كلامه وتعامله مع شقيقها ومحاميه وانقطع اتصاله نهائيا مع سارا..

لم يكن يعرف لما فعلت سارا ما فعلت وما هي انطباعاتها عنه أو حتى غايتها من مساعدتها الثمينة له..

اكتفى فقط بعلاقة بعيدة طوال السنوات الماضي مع شقيقها..

وقطع بعد أن عادت لأرض الوطن قبل سنتين التقى بها صدفة ثم طلب منها أن تكون وسيط بينه وبين آية تلك الفتاة التي أتهمته زورا بدون أن يكون لا أي علم به..

وكانت هذه اللقاءات البسيطة هي التي حدثت بينهما بدون معرفة أي أحد من حولهم..

قطعت سارا شروده وهي تسأله بمكر وفضول وهي ترفع حاجبها

((هل تريد أن تتزوج فعلا بعدما بيئت من عقم زوجتك؟ لأن هيام لطالما تغنت بحبك لها وعدم استغنائك عنها حتى بعد أن عجزت عن جلب ابن لك))

شعر احمد بالذنب يأكله من كلام سارا..

فهيام طوال فترة زواجها منه وهي تضع الحق عليها بموضوع الإنجاب وتضحى من أجله..

والآن هو سيفعل ما يخطط لفعله بها؟

لكنه أسكت شعوره بالذنب تجاهها بآلم وهو يشيح بنظره عن سارا..

ضيق احمد عينيه وهو يحركهما داخل مكتبه قبل أن يقول بحزم
وضيق ورسمية لها

((دعينا نغير هذه السيرة وأخبريني ماذا حدث مع آية؟ وبالتأكيد
لست بحاجة أن أخبرك ألا تنطقي بحرف لهيام عن خططي في
الزواج قبل أن أفعل أنا.. هل فهمتي؟))

=====
=====

جلس راجي على مائدة الإفطار على طاولة الطعام في مطبخه
برفقة أمه وهيام اللتان باتتا في المنزل عنده..

بينما كانت سارا بالطابق العلوي لا تزال غارقة بنومها..

جهزت والدته له إفطارًا مغذيًا وتقليديًا مكون من البيض
مسلوق.. مربى وقشطة.. زيتون أسود واخضر.. شرائح خيار
وظماطم مقطعة..

أما هيام فكانت تصنع الأومليت بالخضراوات حيث مزجت
مكوناته واضعة إياهم بالمقلاة..

نادت هيام على راجي وهي بانتظار تمام نضج المكونات قبل
تقديمها وانضمامها لهما..

همهم راجي لها وهو يبدأ بالنقاط قطعة خبز محمص لتقول
بنبرة لها معنى

((أنا حقيقة أرى أنك تنازلت كثيرًا في الوقت الذي لا ترى سارا
ذلك التنازل شيئًا.. وقدمت كثيرًا وهي غير مبالية.. عدا
انشغالها عنك بما هو أقل شأنًا منك.. متزوجان منذ سنتان ولا

تكلف نفسها حتى الاستيقاظ باكرا مع وقت ذهابك لعملك .. أو
على الأقل تعلم إعداد الطعام بدلا من الاعتماد على طاهية
بدوام جزئي وأكل المطاعم.. لقد فقدت كثيرا من وزنك بسبب
استيقاظك وذهابك لعملك باكرا جدا بدون أن تجد وقتاً في
الصباح لإعداد الفطار))

تنهد راجي بتعب يدعك رأسه بارهاق إثر عدل نيله قسما كافيا
من الراحة بسبب عمله المتواصل والمتعب في مكتب المحاماة
ليقول

((طبيعتها هكذا يا هيام حتى قبل الزواج مني.. مشكلتي أنني
توقعت الكثير وبنيت آمال عليها بعد إن نتزوج بأن تتغير
وتكون أفضل وتعرف أن الحياة الزوجية أمور أخرى غير
التسوق مع صديقاتها والسفر والخروج.. وفعلا تحقق ذلك
ببداية زواجنا.. فأغدقت عليها كل مشاعري الفيضة.. لكن كل
هذا تلاشي مع مرور الوقت))

لا يدري الكثير عن حالهما الآن..

لقد أحبها عندما كان بالعشرين من عمره.. ثم تزوجها خلال
أشهر من معرفته بها فقط.. ثم تطلقا بعد زواج استمر لسنة..

وتزوجها مرة أخرى بعد ثمانية سنوات.. مرت سنتان على
زواجهما حتى الآن..

لم يرزقهما الله بأي بالرغم من عدم وجود أي عيب بأحد
منهما..

علاقتهما قبل سنوات بالماضي.. وببداية زواجهما كانت
ممتازة..

وتوقع أن تكون حياتهم سعيدة جداً بغض النظر عن كل ما
حدث بماضيها خاصة وأنه تأكد من مشاعرها تجاهه..

لكن مع الأيام بدأ يخفُّ اهتمامها به إلى أن وصل الحال إلى أنه
يترجّأها أن تهتم به أكثر..

لكن لا فائدة.. فقط تتعذر بأعذار واهية ووعد بالتحسن..

كان عليه أن يدرك أكثر أنه دخل بإرادته بعلاقة سيعطي فيها
أكثر بكثير مما سيأخذ..

الحزن يتسلل إلى داخله رغما عنه من وضعه مع سارا..

وحالته تكاد تكون يرثى له مع انه ظاهريا لا يبدي بوجود أي
خطأ..

لا يعلم كيف سيتصرف أو يتعامل معها بعد الآن..

لقد أبتلي فيها وبحبه لها وكل ما يملك من تضاد المشاعر..

قالت له هيام وهي تستدير له نصف استدارة

((قد يكون إقبالك الشديد ومشاعرك الفياضة أحدثت ردود فعل
عكسي عندها..))

رفع راجي له ينظر لها بترقب فأردفت تقول وهي تتحدث
بطريقة ملتوية

((نعم يا راجي لا تستغرب.. هذه حقيقة ملموسة في طبع بعض
النساء.. وخاصةً لدى بعض الجريئات منهن.. يرين ذلك علامة
ضعف في الشخصية.. النساء يفضلن الرجل القوي أو صعب
المنال.. والذي من صفاته مثلاً الاقتصاد في إظهار المشاعر..
حيث ترى أن الشاب الذي يُحقق لها كل ما تريد لا يغيرها كما
يغيرها الآخر))

أحس راجي بالانزعاج من كلام هيام وهو يتململ في جلسته..

فالتقط كأساً زجاجياً يسكب فيه الشاي من إبريق له ثم قال
بجفاء

((لا أظن ذلك يا هيام.. كلامك هذا بطبيعة الحال لا ينطبق على جميع النساء.. وإنما على البعض ولكن ليس على سارا.. ثم إلى ماذا تلمحين؟ إلى انفصالنا مثلاً؟))

تتهدت سميحة بنفاذ صبر

((بني إن الذي يقيم الشخص حقيقة هو أخلاقه وتصرفاته.. وكما قلت لك سابقاً.. لم يمض على زواجكما هذا إلا سنتان.. فمن الحمق التفكير بالاستسلام والتوقف عن تحمل مسؤولية زواجك بسبب سوء تفاهم))

قال راجي لها مستكراً وهو يقطب جبينه

((أمي هذا ليس كلامي.. سارا حبيبتني.. ولا يمكن إن أقدر على فرأقها.. لقد تعبنا أنا وهي حتى استطعنا الزواج مرة أخرى.. بل هو كلامك ابنتك الكبيرة))

أنهت هيام طبق الأومليت لتضعه على مائدة الفطور ثم حركت كرسياً لتجلس عليه قائلة

((زواجك منها بالسابق مختلف كلياً عن الآن.. بالسابق كنتم تعيشان كحبيبين من وجهة نظري.. أما هذا الزواج فهو مختلف كلياً وعلني.. لكن سارا لا تتعامل مع الأمر على هذا الخصوص.. تتصرف وكأنها لا تزال عذراء))

قال لها راجي بصوت متذمر

((هيام توقفي على تحريضي على سارا))

لوحث هيام بيدها قائلة بلا اهتمام أظهري وعبوس

((لا أحرصك أبداً.. أفعالها كافيها لتحرضك عليها.. فعندما تكون العلاقة بين الاثنين مجرد تأدية واجب.. ويشعر الزوج أنه غير مرغوب به من قبل زوجته ولا تبادل له كلماته الجميلة التي

يحتاجها.. وعندما يشعر أنه في آخر قائمة اهتماماتها بينما هي لها الأولوية في قائمة اهتماماته.. فهذه ليست حياة زوجية))

أنبتها أمها بلوم

((هيام.. توقفي.. لو أردتِ مصلحة أخوكِ فتعاملني مع سارا بلطف وانصحيها وساعديها كيف تكون زوجة أفضل.. أنا لا أحب تصرفاتها وأفكارها لكنني أعذرهما فقد ترعرعت ببينة وبيت واهل مختلفين عنا.. حاقدة أنتِ عليها وتكرهينها من أجل صفعها لزوجك منذ عقد مضي.. لم أكن متواجدة لأرى كيف صفعته ولكني أتمنى أن تتجاوزي هذا الأمر))

قامت هيام بأخذ قطعة توست تحشوها بمزيج بين الفراولة والجبين.. وأخرى تحشوها بمزيج الأفوكادو والمكسرات بوجوم..

ثم تمتمت هيام بهدوء عكس الانزعاج الذي تشعر به لذكر تلك الحادثة

((مهما كان يا أمي.. على سارا الابتعاد عن طبيعتها ومعاملتها القاسية.. وتحقير أفعاله))

بينما ألثفت راجي لكلام والدته على البيئة والمكان الذي تربت فيه سارا والمختلف عنه..

فالاختلاف بين الناس شيء وارد.. ولكن من الصعب أن يجد نفسه مختلفاً مع زوجته في قضية "الانفتاح والانغلاق"..

فإذا كانت والدته تكره تصرفات وأفكار سارا فهي ليس لديها أي فكر كم هو صعب بأن يجد نفسه مختلفا مع سارا في التحفظ وفي ألا يتحفظ..

خاصةً وأن سارا لا تزال مصرة في أن تعيش الأمور بطبيعتها فخلفية البيئة التي جاءت منها تدعم ذلك السلوك لديها بل أسرتها نفسها تدعم ذلك الانفتاح..

فهل هناك أي سبيل لحل ذلك الاختلاف الجذري بينهما
واستيعابه وتجاوزه بكل الوسائل؟

خاصةً وأن الاختلاف القيمي والسلوكي فيها كان يعرفه قبل
زواجهما تمام المعرفة..

غمغم راجي حامدا الله على النعمة التي أمامه مُنهيًا فطوره..

ثم قال وهو يعتدل واقفا ويستعد الذهاب لعمله

((هيام.. أعرف أنا سارا لها سلبيات كثيرة.. لكني فعلا أتمنى
أن تري فيها الطيبة والحنان والكرم رغم الأشياء المزعجة التي
تقوم بها))

صحيح أنه بدأ يجد صعوبة في استمرار زواجهما بشكله
الطبيعي بينهما..

فهما دائما في وضع شد وجذب لقراراتهما في الحياة..

لكنه فعلا لا يتخيل حياته من دونها..

ولا ينكر أن سارا عطوفة وحنونة.. وأحيانا تغمره بلطفها
وتتحفه باهتمامها..

غسل راجي يديه ليلقي بعدها السلام على هيام وأمه للمغادرة
لعمله الذي تأخير عليه..

ارتشفت سميحة من كاس الشاي لتقول لها هيام ملتفتة لها
ومشاكسة مستغلة مغادرة راجي

((أمي سأصعد عندها فوق بعد قليل.. أريد استغلال عدم وجود
راجي والعبث معها قليلا))

.

.

وبعد ساعات..

استيقظت سارا من نومها لتقوم بالاغتسال وتحضير فطورها..

الذي كان عبارة عن كوب مصنوع من خليط من قطع الفراولة والتوت والعسل والشوفان والشوكولاتة داكنة والزبادي واللوز وبذور الكتان..

فهي كعادتها منذ صغرها.. لا تتناول إلا أطباقا صحية ومغذية خاصةً وأنها من متبعي الرجيم الدائمين..

أغلقت سارا باب غرفة النوم خلفها تتناول فطورها الذي أعدته وهي تعزل نفسها عن والدها واخت راجي كما تفعل كل مرة عندما يزرنه..

وقبل أن تضع الملعقة التي رفعتها داخل فاهها سمعت طرقات بابها لتسمح باستغراب للطارق في الدخول..

طلت عليها هيام التي دلفت لداخل الحجرة قائلة بتسلية

((أردت إخبارك بأني وجدت زوجة لراجي وسيتزوجها بعد أن وافق عليها لكنها ستكون أكبر سنا منه))

فغرت سارا فمها ببلاهة وغباء.. ويعينين متسعيتين نظرت لهيام ذاهلة وهي تضع معلقته بالكوب..

ثم رفعت كفها ولوحت لنفسها هادرة

((ماذا؟ ماذا؟ هل جننت؟ كيف يمكن أن يتزوج أخيك ولديه زوجة هنا؟))

لم تكن هيام أبداً بهذا القدر من الخبث ولكنها استمتعت الآن بالتشفي بسارا والعبث بها بهذا الشكل..

فردت باختصار وهي تحرق في عينيها بجدية

((وما المشكلة بذلك؟ المهم بأنه سيتزوج قريباً))

عقدت سارا حاجبيها وهي تنظر إليها سائلةً باستنكار شديد

((ولم قد يتزوج؟ لا يمكن أن يحب غيري))

زمت هيام شفيتها وخطت نحو سارا الجالسة فوق سريرها
براحة حتى وقفت أمامها تواجهها بصرامة قائلة

((لا أدري لكنه قال بأنه عقاب لك لأنك شتمتني أمي تلك المرة
قبل أسابيع))

اتسعت عينا سارا وهي تهتف

((ماذا؟ ولكني اعتذرت لوالدتك وهي قبلت اعتذاري وانتهت
المشكلة.. كنت اقصد أن اشتهمك أنتِ ولا أدري كيف خرجت
الشتيمة من لساني لأمك))

هزت هيام كتفيها وهي تقول بلؤم

((لم تنتهي المشكلة بل هذا ما تظنينه أنتِ فقط.. راجي لم
يسامحك وقال وقتها بأنه سيتزوج عقابا لك.. وحان وقت تنفيذه
لكلامه))

حركت سارا حلقها بصعوبة وهي تسألها بصوتٍ أجش

((هل أنتِ من أقتعته بهذه الهراء؟))

اتقدت عينا هيام وهي تقول بهدوء وصرامة

((سارا.. أنا بطبعي لا أتحمل أن اجرح أخرى.. لكن أنتِ
بالذات تستحقين ذلك))

قالت سارا بغضب متشنجاً وبطريقة تلقائياً

((اخرسي يا حقيرة أنا وهو سعيدان.. كفي عن إفساد علاقتنا..
كفي على تحريضه عليّ أيتها المريضة))

تصنعت هيام الاستغراب وهي تقول متشفية

((لماذا الحزن والغضب باديان على وجهك؟ ألا يكفي أنه يريد
أنه يراعي مشاعرك ويتزوج من امرأة أكبر منه؟ طبعاً
وبالتأكيد.. لك مطلق الحرية بالبقاء أو الذهاب بعد زواجه.. لكن
قال إذا خرجتي من المنزل فمن المستحيل أن يبقيكِ على ذمته
أبدا))

نظرت إليها سارا طويلاً ثم هدرت بصوتٍ حاد منذر بشيء
غير مريح

((هيام.. لا تعيبي معي.. أنا لست سهلة.. صدقيني.. لا تدخل
بيني وبين زوجي.. خاصةً أن راجي محبٌ وراضي بي..
ومكتفي بي من كل النواحي))

قالت هيام بإصرار ونبرتها تهتف بعنف محتدٍ

((لا.. سأدخل.. خاصةً لو كان هذا الشخص أخي واهتم
بمصالحته.. ماذا ينقص أخي ليحصل على زوجة كاملة ومتفانية
لإسعاده؟ أنتِ من البداية لم تكوني مناسبة له.. لقد تمنينا جميعاً
لو يتزوج من أخرى بريئة.. رقيقة.. لا خبره لها مثلك))

التمعت عيان سارا بتحدٍ ما.. فانحنت هيام قليلاً تقرب وتميل
بوجهها لسارا قائلة

((سارا.. عندما تصبحين حجراً أصماً جافاً لا تتفاعلين معه.. لا
تبتسم لابتهامته.. لا تستمتع بكلامه وحديثه.. لا تفرح بهديته..
لا يههما أكل أو شرب.. نام أو سهر.. حضر أو غاب.. مات أو
عاش.. حينها أيلام أخي المسكين إذا بحث عن كل ذلك في
أخرى تعطيه ما فقد وتعوضه عما يفقد بك؟))

تقلت نظرات سارا تماماً فعادت هيام تعتدل قليلاً بوقفها هادرة

((لكن ولأكون منصفة.. فهو فعلا يحبك.. فيه الخير لا يريد جرح مشاعرك والتزوج إلا من امرأة أكبر منه سنا حتى يتأكد أيضا ألا يميل لها.. حتى أثناء معاقبته لك يتصرف بحنية))

رفعت سارا نظرها لها هادرة

((لو أحبني لم يكن سيفكر حتى بالتزوج))

قطب هيام حاجبيها بلوم مصطنع وهي تنفي كلام سارا

((بل يحبك.. لكنه مجروح.. وجرحه سيبقى لأخر عمره إن لم يتزوج وينتقم منك كما سبق وقال.. بل حتى أنه بكى أمامنا من احتمالية فقدانه لك.. لكن قال لو طلبتي الطلاق أو غادرتي فلن يستطيع منعك ومن المستحيل أن يعود لك))

لوهلة تجمدت الأجواء في الحجرة وقد خيم الصمت بالأجواء..

برقت عينا سارا بطريقة خطيرة..

ثم غادرت هيام الحجرة وهي سعيدة وأكثر من راضية بمزاحها الثقيل مع سارا..

حتى لو لم تصدق كذبتها وحتى لو اتصلت براجي الآن ووبخها وطلب منها عند عودته ألا تتدخل به ويسارا فلا يهم..

المهم أنها قالت ما قالته..

بعد دقائق..

رنين هاتف سارا قطع غرقها بدوامة تفكيرها اللامتناهية وهي تقول هاتفة بعد أن فتحت الخط على زوجة أخيها ميادة

((أهلا ميادة.. اتصلت بك عشرات المرات.. أين كنت؟ حسنا لا يهم.. اصغي لي.. سأدخل بالموضوع مباشرة.. تذكرين آخر مشكلة حدثت بيني وبين هيام أخت راجي قبل أسابيع عندما شتمت والدته بالخطأ؟ حسنا.. أنا أمامك اعترفت أنني أخطأت.. وانه لم يجب عليّ شتمها أو شتم والدتها.. وحدث أن قلت كل هذا الكلام أمام راجي))

أسبلت سارا جفنيها وهي تذكر كيف كان راجي يومها..

كان صاعقة غضب كبرى ضربته.. لقد كان في أسوأ حالاته وهو يوبخها للتمادي على والدته..

حيث لم يسيطر لا على لسانه ولا على انفعالاته حتى.. غضبه كان كمنار مستعرة..

أردفت سارا كلامها لميادة المترقبة وقد أخذت تدور بالغرفة أثناء حديثها ذهابا وإيابا

((لكن راجي وقتها اقسم انه سيحاسبني.. ثم مر بعض الوقت ونسينا الموضوع وتصالحنا.. أو بالأحرى أنا التي توقعته نسي الموضوع.. لا أدري.. لكنه عاد كما كان من قبل بل أفضل.. حتى الآن.. فقد جاءت لي أخته البيدنة قائلة بأنه حان الوقت ليتزوج ويحقق قسمه الذي سبق واقسمه بالانتقام مني ومعاقبتي على ما قلته.. وانه وجد الفتاة المناسبة ليتزوجها.. تخيلي؟ لقد كان يبحث عنها طيلة هذه الفترة))

وصلها صوت ميادة المتشوش وهي تقول لها باضطراب

((سارا لا أستطيع استيعاب الأمر.. تحدثي على مهلك.. هل أنت متأكدة أنها لا تخدعك؟))

توقف سارا من مكانها قائلة متنهدة وهي تضح يدها الأخرى على خصرها

((لا أدري بالحقيقة.. لكنها قالت إنها أكبر منه.. ميادة.. لم أتوقع
أني ضعيفة لهذه الدرجة.. لكن سأشعر حقا بالقهر لو فعل راجي
ما تقوله أكثر مما شعرت مما فعله تامر الغبي بي.. أنا فعلا
أحب راجي وحتى أي كنت أفكر بأن أصير أفضل من أجله))

قالت لها ميادة وهي تفر بضيقة

((سارا كل ما يحدث هو محض جنون))

واقفتها سارا مستهجنة

((نعم جنون.. لقد قالت لي بأنه قال بأنه لا يزال يحبني.. ولأنه
لا يريد جرح مشاعري اختارها أكبر مني ومنه.. تخيلي غباء
منطقها؟))

همست لها ميادة بغضب

((سارا انه نذل.. لو كان لا يزال يحبك فلن يفكر حتى بفعلها))

جلست سارا على كرسي موضوع أمام منضدة زينتها وقد
أسندت ظهرها وأغلقت عينيها باسترخاء هادئ كانت تحتاجه
وهي تقول

((أخبرتني هذا.. فردت عليّ انه ما زال مجروحا مني.. ولم
يستطع حتى الآن نسيان الأمر.. لكن لو تزوج فسيرتاح.. أو
ربما لن يقدر على النسيان ولكن يجب عليه التزوج))

هتفت لها ميادة مستنكرة

((ماذا؟ يميل لها؟ مستحيل وهل ستوافقين بالأصل أن تبقي معه
عند زواجه؟))

هتفت سارا باستنكار شديد وهي تفتح عينيها

((أبدا.. أبدا.. سأتمنى له التوفيق وأودعه.. كنت سأحزم
ملابسي بحقيبة كبيرة أيضا لكنها قالت لي بأنه أخبرها وتوسل

ألا تسمح لي بالمغادرة لأنه لا يستغني عني.. فحتى انه عندما
قرر معاقبتي لم يرد أن يختار فتاة صغيرة))

صرخت بها ميادة بحنق

((لقد اعترف بنفسه انه لا يستطيع أن يفقدك.. إذن استغلي هذا..
قولي له أن يتراجع أو سيفقدك))

أجابتها سارا عقب أن زفرت بغضب وهي تلوح بيديها من فرط
غیظها

((لكنها أكدت عليّ أنه إذا حدث وخرجت من البيت سيطلقني
ولن يتراجع عن أي قرار من الإثنين))

كانت الدنيا تدور بميادة من حديث سارا وكأنه يخصها وكل
الأفكار تتخبط بعقلها لتقول عبر الهاتف

((يا إلهي يا سارا.. وضعك متأزم.. لأصارك أن لو كنت
مكانك ومن اللحظة التي يعبر فيها انه يريد الزواج.. لكنت
خرجت من البيت بلا عودة))

أجابتها سارا بلامحها الممتقعة

((ميدو انتظري قليلا سأقوم بمكالمة جماعية مرئية على
الإنترنت واتصل بديمة ولارا وسوسن وأقول لهم ما حدث))

بعد دقائق أخرى..

رمت سارا نفسها بحدة متربعة على سريرها بعد أن فتحت
جهاز الحاسوب المحمول أمامها..

كانت تضعه فوق وسادة ليكون على مستواها أثناء محادثتهم
الجماعية المرئية..

كانت الشاشة عبارة عن خمس مستطيلات ولكل واحدة منهن
مستطيل تظهر عليه..

التقطت سارا كوب الشوفان لتبدأ تناوله لقمة وراء لقمة ببطء
وهي تسمع ميادة تتحدث أمامها من الحاسوب المحمول بتركيز
شديد بعد أن سردت ما قالته سارا

((سارا المسكينة.. لنكن صريحات.. زوجك غريب.. الحمد لله
الذي عافانا مما ابتلاه.. لكنه مختل كبير.. من يحب ينسى
أخطاء محبوبه ويسامح.. لان الحب هو شيء يكون رغما
عنه.. لكن زوجك لا يعرف إلا حب اخذ الحق وعدم العفو..
اخبريه انه في مركز القوة.. هدم هذا البيت أو اسفواره هو
قراره.. إذا كان يريد استقرار بيته اخبريه أنك مستعدة لتقبيل
رأس والدته ويدها لكن عليه أن يسامح وينسى))

هزت ديمة التي كانت تظهر على الشاشة وهي تقوم بتمويج
خصل شعرها بجهاز صاحب الشعر ذي الصوت المنخفض
وهي تقول

((عقاب غبي مثله.. إذا كان غاضب عليك كان عليه رد الشتيمة
لك.. أو مخاصمتك.. لكن أن يقرر الزواج! ودفعة واحدة!
وكبيرة بالسن! كأن الرجال لا يميلون لنساء أكبر منهم.. بل عز
الطلب عند بعضهم..))

قالت ميادة تيرم وعيناها تلمعان بشرر

((انه حقود.. كيف لا ينسى كلمة مجردة خرجت منك من غير
إدراك.. يا إلهي.. لكن تذكرني يا سارا الشخص الذي يحب فعلا
يعفو وينسى))

بقيت سارا صامتة وهي موافقة على كل حرف من كلامهن
وهي تأخذ ملعقة أخرى من كوب الشوفان بيدها متلذذة بطعمه..

سمعت سوسن تقول بحذر وصوت هادئ

((أنا اتقهم أن والدته خط احمر.. لكن لم يكن عليه من البداية
إدخال أخته بمشاكلكما.. سارا.. بغض النظر.. لو كان من النوع
الذي لا بأس معه بأن يتدخل بينكما أحد فكلمي أقرب واعز
وأغلى الناس على قلبه ليقنعه بصرف النظر عن هذا الزواج..
بالنهاية خطأك ليس عذراً مقنعاً لزوجاه.. ليس عذر يدخل عقل
أي إنسان عاقل))

قالت ديمة ببعض التخبط من عدم تمويج إحدى خصلاتها بشكل
جيد

((نعم إصري على ما تفعلينه.. اخبريه انه سيهدم زواجكما
لأجل كلمة ذهبت مع أدراج الرياح.. ولا تسمحي له أن يطالب
منك أن تراعيه وتراعي حزنه.. وإذا أصر فأطلي الطلاق
وارجعي للخارج))

قالت ميادة بتوجس وهي تضيق عينيها

((مبدئياً لننسى كل شيء.. أنت يا سارا.. المهم أنت.. هل
تقدرين على فراقه كما هي عادتك بإنهاء علاقاتك بكل سهولة؟
أذكر أيام المدرسة عندما افترقت عن إحدى أصدقائك أقمت
أنت وهو حفل انفصال لكما ودعوتما الجميع له.. هل تستطيعين
فعل هذا مع راجي؟ لأنه إذا تطلقت.. فمن الآن أخبرك أنني غير
مستعدة لسماع تدمرك وبكائك عليه كما فعلتي مع تامر.. إياك
أن تقولي عن رغبتك بالعودة والموت شوقاً له.. وراجي لا يبدو
أنه سيعود لك مرة أخرى لو تطلقتما مثل أول مرة.. أي لا
تعيشي على أمل ألا يستطيع فراقك ثم تنصدمي بأنه نساك ولم
يعد يذكر لك خبراً))

عبست سارا من كلام ميادة القاسي لكنها أصغت لسوسن تقول
موافقة لميادة

((محفة أنت يا ميادة.. فسارا ليس لديها أطفال منه بعد وتستطيع
الطلاق منه بلا أي خسارة.. لكن لو كانت تحبه ولا تستطيع
الاستغناء عنه.. فعليها ألا تنهز وتخرج من المنزل.. أو
سينزوج من فتاة صغيرة لا كبيرة وينساها))

قاطعتها لارا توبخها

((لا يا سوسن.. سارا ليست ضعيفة بهذا الشكل))

ثم وجهت حديثها لسارا تحرضها

((ابق يا سارا على موقفك واسمحي لي أن أقول انه لا يجبك..
أبدا.. إياك أن يخدعك.. إياك أن تذلي نفسك له.. سيستغل ذلك
ويقهرك أكثر))

سألته ديمة بحيرة

((أخبريني كم عمر تلك العجوز المتمسك بها ليتزوجها؟ أكبر
منه بمقدار كم سنة؟))

فكرت سارا قليلا ثم قالت بحيرة

((لا أدري حقا.. لكن وعلى حسب علمي.. بأن ابنة عمه
الوحيدة التي تكبره بالعمر ربما ستطلق قريبا من زوجها.. عمه
كاد أن يصاب بسكتة قلبية عندما عرف بزواجنا.. وقد سبق له
في الماضي وان ضغط على راجي ليتزوج احدي بناته.. فربما
هي.. لكن لا.. لا لا أظن ذلك.. هيام قالت بلئه وجدها.. ولينا لم
تطلق بعد))

زفرت ميادة لتقول بامتعاض

((يكفي كلاما سارا.. لا تكوني غبية.. ما هذا الحب الذي يجعله يحقد وينتقم هكذا.. والله انه كاذب.. يريد عنرا فقط ليتزوج))

قهقهت لارا ضاحكة وهي تهز رأسها مع جسدها مما أثار استغراب جميعهن..

لتقول بعدما انتهت من ضحكها

((يا الله.. أنا عاجزة عن التوقف عن الضحك.. زوجك ذكي جدا ويعرف كيف يتقن لعبته.. ماذا قال إذن؟ لأنه يحبك اختار زوجة أخرى أكبر سناً.. لماذا؟ هل المرأة الكبيرة بالعمر لا تعرف أن تتدلل وتتغنج وترقص وتكسبه لصفها ويحبها؟ المرأة تضل امرأة وتضل مرغوبة.. إلا إذا كان عمرها فوق السبعين.. هنا نقول ظلمناها وهو يقصد فقط أن يغيظك))

تنهدت ديمة ثم قالت بقوة وهي تترك صاحب الشعر

((سارا ستفقديني عقلي.. طيبينك الزائدة هي مشكلتك.. نعم..))

صفتت ميادة لها مشيدة

((أحسنت يا ديمة.. لا تتصورين كم أكره الاستغلال والأفلام ودموع التماسيح))

فردت لارا كفيه لسارا قائلة بلهجة حادة

((ماذا تريدان أن نقول أكثر يا سارا؟ زوجك من الواضح انه قوي ولا يهمله شيء.. حتى أنت.. صدقيني عندما تذهبين وتغادرين البيت ستصلك ورقة طلاقك وزواجه بنفس اليوم.. أي أنك لا تهمينه أبدا))

عم صمت الأجواء لمدة قبل أن تقاطعه سوسن

((سارا انتبهى لما سأقوله.. حاولي أن تقومي بأي شيء جميل لوالده.. إنها تجلس عندكم هذه الأيام.. صحيح؟ اذهبي لها

ودليلها ودللي أختاه.. ربما يريد منك الاعتذار لهن ويحاول أن يأخذ حقهن منك.. انه يظن أن والدته مظلومة ويريد أن يأخذ حق امه منك بأي طريقة.. لذا اعتذري منها حتى لو بهدية بسيطة.. وليحرق الله كل ما يفرق بينكما..))

وبصوت واحد عالي موبخ هتفن جميعا باسم سوسن يأتبنها

((سوسن————ن..))

قالت لارا من بين أسنانها تزيد في لوم سوسن

((اصمتي.. كفاك هراء.. أنت لا تساعدينها))

قالت سارا وهي تهز إحدى كتفيه ببساطة

((لا بأس يا بنات.. أنا أساسا لم أعتذر لأمه بطريقة لائقة.. سأعتذر منها ومنها فقط.. ليس لأجله بل لأنني فعلا أخطأت بحقها))

نفخت لارا بضجر وهي تقول بينما تريح ظهرها بنهاية الكرسي الذي تجلس عليه أمام حاسوبها موضحة وهي تعبر عن غضبها بيديها

((بنــــــــــــــــات.. أيا كان.. أسخف ما في الموضوع أنكم صدقتم قصة الانتقام.. سارا.. زوجك ينتمي لنوع من الرجال أكرهه جدا مثل طليقي.. حيث يرفض أن يأخذ صورة الظالم ودائما يُحمل غيره مسؤولية الخطأ حتى أخطائه.. انه يريد الزواج وبنفس الوقت يريد منك أن تعيشي بجو عذاب الضمير.. حتى تستمري بجلد نفسك وتعتقدي أنك تستحقين العقاب.. وحتى يبقى هو بمظهر المغلوب على أمره.. وانه بالرغم من حبه لك إلا أن كرامته ترفض وتأبى النسيان ويحتاج البحث عن بلسم لجروحه فهو قد تساهل بعقابك))

كانت سارا تنظر بتركيز لكلام لارا قبل أن تقول ميادة منهاله عليها بالأسئلة المتتابعة

((المهم.. الآن.. كل بنات عمه متزوجات.. لذا على الأغلب من أختارها ليست واحدة منهم.. إذن.. الزوجة المختارة.. من هي؟ الم يفصح هو أو أخته عن هويتها؟ هل تأكدت أنها فعلا كبيرة؟ لأنه هل من المنطقي أن يتزوج ويخسر نقوده من مهر وبيت ونفقة لأخر حياته لأجل تحقيق انتوالم سخيف؟))

نظرت لها سارا بتوجس قبل أن تقول لارا لها

((أنا لم افهم من ميادة مشكلتكما جيدا.. لكن لو سمعتها فانا متأكدة انه المخطئ بالقصة سيكون هو لا أنت.. ولكن بأسلوبه الملتوي وضع الحق عليك وجعل منك الجانية الشريرة المستحقة لعقابه.. سارا.. أفيقي.. نحن لا نعيش مسلسلا دراميا.. انسي هذه الترهات.. لا يوجد حبيب سيطعنك ثم ينتحر بعدك))

قالت ديمة موافقة عقب أن قامت برش رذاذ مثبت الشعر على تموجاتها

((لا كلام بعد كلامك يا لارا.. زوجها كاذب ويبحث عن عذر.. لو فعلا أخطأت لكان قام بردة فعل سريعة وبنفس الوقت.. لا الآن))

قالت ميادة بحسم لسارا

((أخطأت بشتم امه وهذا امر مفروغ منه.. لكن الأكيد انه أخذها حجة للزواج.. وإياك أن تقولي هذه المرأة صغيرة وتلك المرأة كبيرة.. بالنهاية ستكون زوجته فضعي هذا ببالك.. اعرف أن كلامنا لن يعجبك لكن هذه الحقيقة))

قالت ديمة وهي تزم شفيتها وتهز رأياها

((كلامك صحيح يا حبيبتي.. هذا القصة طبخت من خلاله هو وأمه وأختيه.. شتمك لوالدته هي حجة.. ربما بعدما يعود من عمله سيبدأ بالتمثيل أمامك بالدموع والصراخ والانهيار

لأقناعك انه مجبر.. لكن لو فعلا يحبك ويشعر بالضيق عليك لن
يفعلها))

قالت لارا عقب أن ضربت المكتب أمامها بيدها

((إذا تزوج يا سارا فلا تكنفي بشتم والدته.. بل اشتمي معها
والده ووالد والده وعائلته بل قبيلته وعشرته كلهم فردا فردا..
دموعه ماهي إلا دموع التماسيح فلا تصدقيها وتضعفي أمامه..
لأنني أشم من كلامه الذي أوصلته أخته الكبرى لك رائحة الغدر
والمكر))

أخذت ميادة نفسيا كبيرا قم قالت مؤكدة مرة أخرى

((حسنا.. يجب أن تعلمي جيدا يا سارا أنه لو وجد امرأة أصغر
لم يكن سيعترض.. ثم أن العمر ليس مؤشرا.. فربما ستكون
أجمل منك))

قالت سارا بعبوس واستنكار

((من المستحيل أن يجد امرأة أجمل مني.. أنا جميلة
الجميلات))

قالت ديمة بحنق

((مشكلتنا يا سارا الأولى ليست زواجه.. بل الإستغفال..
الاستغفال يا سارا.. كل شيء إلا الاستغفال.. أنت لست طفلة..
اخبريه أن يكف عن جبنه ويأتيك بشجاعة ويخبرك انه يحب
غيرك ويريد الزواج منها.. ويترك لك خيار البقاء أو لا.. أما
ما يفعله معك فهو نذالة.. قمة النذالة هي تمثيله وادعائه حيك
وعدم القدرة عن الاستغناء عنك.. وبكائه أمام أخته عن عدم
قدرته على العيش بدنك))

قالت سارا بصوت يحمل شحنات غضب تم شحنها بها من قبل
صديقاتها ضد راجي وهيام

((يا بنات معكن حق.. أنا لم أتنازل أو أحب رجل مثلما فعلت
لراجي.. قمة الأنانية أن يفكر بهذا الأمر مع علمه بمحبتني
وتنازلاتي لأجله.. انه أناني ولا يفكر إلا بنفسه وكرامته
المزعومة))

ثم استرسلت قبل أن تغلق الحاسوب

((حسننا بنات إلى اللقاء.. سأحدث لاحقا لكم))

بالدور السفلي..

كانت سارا تقوم بوضع الكوب الفارغ قبل أن تستدير للخلف
لصوت سميحة التي نادتها لتقول لها بتوجس

((نعم يا عمّة.. هل هناك شيء؟))

قال سميحة لها متأسفة

((أخبرتني هيام ما قالته لك.. لذا جئت أخبرك بأن كل كلامها
هو محض هراء من أجل إثارة غيظك.. لا تصدقها وأرجوك
لا تفسدي يوم ابني عند عودته بسبب كلامها))

ضيقت سارا عيناها وكدت بوجه سميحة للحظات.. ثم همست
بغضب ووقاحة لسميحة

((ابنتك حقيرة يا عمتي))

هزت سميحة رأسها قبل أن تغادر

((فليهديك الله ويهديها))

عند الليل..

وبينما كانت سارا تدنو من هاتفها لتتصل على لارا وقد تحولت كل ما تم شحنها من غضب ضد راجي لهيام تماما..

ردت عليها لارا لتقول لها بالاحاح

((مرحبا يا سارا.. هل هناك مستجدات بقصتك؟))

قالت لها سارا وهي تهم للاستعداد لأخذ حمام لتنظيف بشرة جسدها والشعور بالانتعاش

((انسي أمري يا لارا وأخبريني عن نفسك.. كيف تسير إجراءات طلاقك؟))

أجابتها لارا بهدوء

((صارت وانتهت.. وقبل أيام انتهت عدتي أيضا.. لماذا تسألين فلم يسبق وأن كنتي مهتمة بي؟))

قالت لها سارا وصوتها يقطر مكررا

((أحضرت لك عريس.. انه بالثالثة والأربعين.. متزوج وعيناه زرقاوان.. ويعمل كطبيب نفسي متخصص بعلاج المدمنين.. ووضع المادي جيد.. أعني مثل أي طبيب.. يبحث عن زوجة للإنجاب فزوجته عاقر))

صممت لارا قليلا وهي تحاول استيعاب ما قالته سارا..

ثم قالت بعد دقيقة بصوت يشع ترددا

((ولكن.. متزوج؟ هل هناك أي فرصة لطلاق زوجته؟))

قالت سارا بمواربة وهي تبدأ بخلع ملابسها

((حسنا.. مممم.. الواقع.. هذا يعتمد عليك.. أنتِ ودهانك
ومرك على جعله يطلقها من أجلك))

خرجت من لارا تنهيدة ثم سألت بقلة ثقة

((لا أدري.. سأحدث مع عائلتي.. أنا بحاجة أيضا لألتقي به
عدة مرات لأحكم))

قالت لها سارا بحزم

((لارا الرجل مستعجل.. هو لقاء واحد فقط.. وبعدها سيعقد
قراه عليك.. وبعدها تعرفي عليه كما تشائين.. ها ماذا قلتى؟))

قالت لارا بتردد وهي تزرم شفيتها

((ولكن..))

قاطعتها سارا بنبرة قوية

((بدون لكن.. فكري جيدا وردي لي خبر بأسرع ما يمكن..
حاولي أن ترسلي لي ردك غدا لأرد له جوابك.. الآن وداعا
لأرى من الذي يتصل بي على الخط الأخر))

أبعدت سارا الهاتف عن أذنها تنهي اتصالها بلارا ثم تفتح الخط
على اتصال ميادة..

وضعت سارا المكالمة على مكبر الصوت ثم وضعت الهاتف
على المنضدة وهي تقول برتابة بينما تكمل تحررها من
ملابسها

((نعم ميادة.. نعم.. ماذا تريدين؟))

وصله صوت ميادة باهتمام

((كنت أتحدث قبل قليل مع أمي.. نتناقش عن وضعك.. لا
يهم.. المهم.. هل أخبرك موجز كلامنا؟))

قالت سارا تعجل بها

((نعم وبسرعة.. أريد وضع قناعا على وجهي قبل حمامي))

تنهدت ميادة ثم قالت لها

((حسنا.. أنت تعرفين كم أن والدي رجل حنون وفيه خصل
وصفات جميلة.. لكن مشكلة أُمي معه.. انه كثير الاعتذار..
دائما يعتذر عن تقصيره تجاهها وتجاهنا وانه سيحاول أن
يحسن من نفسه ويصحح أخطائه.. حتى ملت أُمي من وعوده..
حتى تعرفت على استشاري أسري مشهور نبهها على أشياء
كثيرة.. أخبرها الكثير عن تفكير الرجال.. لن تصدقي مقدار
جهل وغبائنا نحن النساء.. لا انفي حبي واحترامي له ولكن أُمي
هو فعلا أكبر محتال بهذه الدنيا.. يحتال علينا ويعتذر حتى
يستمر بالخطأ ونقبل خطاه بنفوس راضية.. لكن..))

سألتها سارا بفضول

((لكن ماذا؟))

أكملت ميادة كلامها

((من بعدها.. أُمي وجميعنا أصبحت تحاسب أُمي على كل
شاردة وواردة.. يعتذر أم لا.. لا يهم.. ما يهم أن تصلها
حقوقها.. لا اقصد أن والدي لئيم أو رجل سيء.. لكن طبعه
الكسل.. يتكاسل عن حل مشاكل سهلة.. ويخرج الأعدار حتى
لا يطالبه أحد بشيء))

أطلقت تنهيدة قبل أن تستطرد ميادة

((لا أدري ماذا أقول لك يا سارا.. لكن الرجال جميعهم لديهم
أسلوب احتيال لإقناعك بطريقة مخادعة ونحن نصدق))

قالت لها سارا وهي تبدأ بوضع القناع الأسود على وجهها

((دعك من هذا الكلام يا ميدو.. قالت لي أمه الآن أن هيام كانت تكذب عليّ لذا تجاهلي كل ما سبق وقلناه.. سأعرف كيف ألهيها عني بأمور أخرى.. إلى اللقاء الآن))

ضغطت سارا بسبابتها على زر الإنهاء ثم عادت تدعك وجهها بالقناع الأسود..

وهي تفكر كم كانت بلهاء..

فعلا لا تصدق بأنها كانت تفكر بإخبار راجي عن علاقتها بأحمد وإخباره أنه ينوي الزواج من غير هيام حتى تفسد زيجته..

لكن لا.. ستساعد احمد بالزواج..

وليذهب احمد وهيام.. وربما لارا إلى الجحيم معهما..

أجل.. منذ متى كانت تحب لارا وتعتبرها صديقة؟

=====
=====

فتح مراد شقة والديه ثم دلف إلى الداخل مغمما

((السلام عليكم))

كان مراد يفتح طريقا لرجلين يحملان صندوقا ضخما إلى الداخل لتمتم روعة بفضول

((من هؤلاء يا بني وماذا يحملون؟))

اعتدل أحد العاملين واقفا وهو يقول مستفسرا

((هل نضعه هنا يا سيد مراد؟))

قال مراد شاكرا وهو يخرج من حفظه مالا ليعطيها البقشيش

((نعم هنا.. عافاكم الله.. تفضل وشكرا لكم على جهودكم))

تمتما له الرجلان بامتنان وهما يخرجان من الشقة

((زاد الله من فضلك يا سيد))

عقد والد مراد حاجبيه لتكرار روعة سؤالها باستغراب

((ما هذا الذي جلبته يا مراد؟))

لم يجبها مراد وهو يلتفت نحو جالا التي كانت تتطلع للصندوق
بدهشة ليقول لها وهو يشير بيده نحو الخارج

((بالمناسبة رأيت راجي خارجا من هنا وألحت عليه ليدخل

لكنه قال بأنه مستعجل.. كيف يأتي أخوك هنا يا جالا ولا
تخبريني أن أعجل المجيء للمنزل لاستقباله والترحيب به كما
يجب؟ هل يصح هذا وأخوك لم يدخل بيتنا منذ أشهر؟))

كان يحمل صوت مراد الكثير من العتاب لجالا بينما تمتمت
روعة بامتعاض بصوت خافت متبرمة

((لا تقلق يا مراد.. لقد استقبلناه كما يجب))

فتح مراد فاه ينوي التحدث لكن سارع بعقد حاجبيه والدهشة
تلفه عندما انتبه على وجود صندوقان بأخر الصالة مغلفان..

أشار مراد بحاجبه للصندوقين سائلا والده العابس بتقاسيم وجهه
القاسية

((لحظة.. ما الذي بداخل الصندوقان الموضوعان هناك يا

أبي؟))

ابتلعت جالا ريقها بوجه محتقن انفعالا..

والخوف يدب بقلبها فعليا مما سيأتي بعد أن يقول والد مراد
ماذا حدث بزيارة راجي وماذا جلب معه..

فقال جالا بصوت مرتجف متهربة وهي تدنو من الباب
للخروج

((حسنا مراد.. علي المغادرة.. ساعد العشاء للبنات ثم أجهزن
للنوم))

مسك مراد بخفة كتف جالا باستغراب منها لكنها نفضت يده
عنها هاربة منه وغير عابئة بندائه باسمها اكثر من مرة..

أغلقت جالا الباب خلفها ليتراجع مراد بدهشة واستغراب
شديدان منها..

ثم التفت نحو والده وعيناه تنطقان بتساؤل ليقول له مجد بلامح
ممتعة وقد ظهر على وجهه علامات عمره المتقدم

((صهرك يا رجل أمك الوحيد جلب لنا جلايتي أطباق وقال
بكل صلافة واحدة لنا وواحدة لأخته هازنا بأنه لم يبق بهذا
الزمن من لا يستخدم جلاية أطباق))

بهتت ملامح مراد وهو يقول بلا تصديق

((ماذا؟ هل هو من جلبهما؟))

ظل محمدا صامتاً وهو ينظر لمراد بخيبة أمل وإحباط وإتهام
برجولته ثم قال له بجفاء

((نعم زوجتك المصون هي من قالت لأخيها إحضارهما..
ومعنى هذا أنها تعاملك بكل إمتهان واحتقار.. بل هي حتى لا
تعرف كيف تنتقي ألفاظها معك حتى أماننا نحن والديك.. أي
رجل مكانك لم يكن ليحتمل أو تقبل عليه كرامته ما فعلته الآن
وما قالته لشقيقتها))

رفعت روعة الجالسة بجانب زوجها يدها فوق ظهره تربت
عليه وهي تقول له بنعومة

((أهدأ يا محمد.. لا تهدر صحتك على ابنة سميحة.. لا تستحق منك ذلك))

انتفض محمد يحرق بها وهو يهتف صارخاً بهياج عنيف

((ألم تر أخيها المتبجح كيف كان يتحدث معنا؟ أنا محمد الدال يجلب لي شاب يافع مثل راجي ابن نائر المغترب جلاية أطباق وأخرى لأخته التي تكون زوجة ابني؟ لماذا؟ هل يرانا فقراء؟ ألا يعرف كم تساوي ثرواتي وأملاكي؟ التافه الحقير))

قالت روعة متذمرة وهي تشحن زوجها الغاضب أكثر

((الله أعلم ماذا قالت له كنتك المصونة.. ربما أخبرته أننا بخلاء على أنفسنا وعليها ومراد لا يصرف شيء على بيته.. كل هذا تفعله عنادا بنا وخاصةً أنا لأنني لم أقبل أن تشتري الجلاية بسبب الكلام الذي سمعته عن هذه الآلة وضررها وأنها ليست آمنة لغسل الأطباق.. ولأنني أيضاً أحثها ألا تعود لعملها وتبقى في البيت فبناتها أولى بها من الخارج))

نظر محمد لابنه الذي لا يزال واقفاً عند الباب وهو يضم قبضتيه بجواره لدقيقة بصمت..

ثم التفت نحو روعة قائلاً بصوتٍ خفيض خشن

((والله بإمكان أبنك الذهاب والزواج بأجمل وأفضل منها.. ولكن قلبه الغبي الوفي لا يستطيع ذلك.. كما لا يعرف كيف يتصرف كالرجال أبداً.. يا ضيعان تعبنا بتربيتك.. نادم والله نادم أي زوجته بابنة فيصل.. ليبتني ألغيت حفل زفاف ابنك بذلك اليوم المشؤوم بدلا من تزويجه إياها))

أظلمت عينا مراد وقد تسللت مشاعر سلبية كثيرة إلى داخله ليظهر الغضب وفقدان الصبر على وجهه ملياً..

بينما قالت روعة لزوجها مستغلة الفرصة بصوت مبحوح
مدعية الألم

((هل تعرف يا محمد أنها منذ أسابيع طويلة لم تدخل بيتي؟ تخاف
من أن أقول لها أن تحرك كرسي أو تجلب لي كأس ماء..
وتردي علي كثيرًا بأجوبتها ولسانها طويل))

اتسعت عينا محمد من كلام روعة خاصةً وأنه بنفسه قال لجالا أن
تطيعها ولا تتوقف عن دخول شقته يوميا لتراعي زوجته..

التفت محمد لمراد للحظات يريد منه أن ينفي كلام والدته
بخصوص عصيان زوجته لكلامه لكن مراد لم يقل كلمة..

فعاد محمد ينظر لروعة بغضب وهو يصرخ بغير رضا واستنكار

((ماذا؟ ولماذا لا تداوم على الدخول لبيتك؟ وما التالي؟ أن تمنع
البنين من زيارتنا؟ لماذا لم تخبري مراد أن يجعل زوجته
المتمردة تنزل هنا وبشكل يومي؟))

قالت له روعة وهي تنتظر لملاح مراد المتجمدة بلوم

((فعلت يا محمد وأخبرته.. ولكن ابنك لا يجرو على إزعاجها
حتى بالكلام.. ودائما يقول لي أصبري عليها وأعذريها..
ويتحجج بعدم زيارتها أعباء المنزل وبنيتها.. ولكن الوضع
يسوء ويسوء.. ثم إذا كانت لا تجد الوقت للنزول عندي فكيف
تجد الوقت لتقرر العودة لعملها؟))

ثم عادت تنتظر لزوجها بمسكنة تردف

((أفندي بالله عليك يا محمد ماذا أفعل؟ فقد تعبت وتحملتها كثيرًا..
والتمسث لها أعذارًا كثيرة علها تتغير لكن لا أمل.. سهل الله
على يارا لم أشعر بهذا الفراغ والحزن قبل أن تنزوج))

نظر محمد لمراد شزرا وهو يقول من بين أسنانه

((وماذا ستفعلين إذا كان ابنك راضي عما تفعله؟ كيف تريد
منها احترامنا وابنك هو نفسه ليس صاحب شخصية قوية ولا
يستطيع فرض نفسه على زوجته؟))

قالت روعة بعبوس

((حتى ولو.. فالمرأة التي نالت تربية صالحة من المستحيل أن
تهين زوجها))

قال محمد وهو ينظر لمراد الخالية من التعابير

((ما كان ينبغي أن تكبر الأمور يا مراد لهذا النحو ولكنك أنت
جعلتها كذلك.. أنت رجل ضعيف.. وأنت بضعفك هذا أمام
زوجتك لم تضيع حقك فقط بل لقد ضيعت معه حق بناتك.. من
حق بناتك على أبيهم أن يكون رجالاً ذا مهابة واحترام.. وحتى
حق زوجتك هي نفسها ضيعته.. لأنه من حق الزوجة على
زوجها أن يكون قوياً قوياً.. وضيعت حقاً أعظم بكثير.. هو
حق أمك الذي ضاع حين سمحت لزوجتك السفهية بأن تتناول
عليها وتؤذيها باللسان الحاذق))

استمر مراد ينظر لوالديه بعينيه البنديتين الغائرتين بخواء..

اعتاد بكل مرة وهكذا موقف أن يكتفي بالصمت أمامه ريثما
ينهيان كلامهما المؤذي له والمحطم لرجولته ويغادر المكان
بصمت وهدوء..

وكان هذا يستفز محمد كل مرة أكثر من سابقتها.. فصرخ به
بغضب

((اذهب من هنا.. أخرج.. لم أعد أطيق رؤيتك))

وبنفس الجمود تنهد مراد وهو يغادر الشقة ويغلق الباب خلفه
بهدهوء بينما قامت والدته تستكشف ماذا جلب مراد من خلال
فتح الصندوق الذي أحضره مع الرجلين الآخرين..

بالدور الثاني.. في شقة مراد..

دلف مراد للداخل بنفس الهدوء الذي يتمتع به وهو يغلق الباب
خلفه..

خرجت جالا من المطبخ حيث كانت تعد العشاء لبناتها ثم
تقدمت للصالة لمراد بتوتر قائلة وهي تتعمد عدم تواصلها معه
بالأعين

((بالنسبة لراجي سأطلب منه أن يزورنا مرة أخرى ويجلس
كما يجب.. ولكن أنت تعرف انه ما زال يأخذ على خاطره منك
لأنك لا تسمح لي بزيارته.. مرات أكثر من سنة لم تدعني
أزوره ببيتنا القديم.. ترفض حتى لو قلت لك أن ترافقني))

كانت تتحدث بلوم في نهاية حديثها..

بينما شعر مراد بكرامته تثور أكثر منتفضة وهو يقول لها
بجمود

((ما الذي أحضره راجي معه؟))

قالها وهو لا يزال يحرق بها بفحص وتدقيق.. وقد أظلمت عيناه
قسوة..

ثم ألا تعرف حقا سر عدم سماحه لها بزيارة منزل راجي؟

السبب وباختصار لأن راجي يسكن بمنزلها القديم الذي عاشت فيه منذ طفولتها..

حيث جيرانهم بهذا المنزل هم عائلة خطيبها السابق وحبیب طفولتها..

هل تريد منه أن يتجاهل انه عاد من روسيا ومُطلق بعد أن قالوا انه تزوج وسيستقر هناك لباقي حياته؟

هل حقا هي مغفلة إلى حد لا تستطيع فهم أنه لا يريد من قدمها أن تطأ بيتها القديم حتى لا يلمحها ذلك العائد من روسيا من شرفة منزله المقابلة لشرفة حجرتها أو مثلا عند دخوله أو خروجه البيت!

لأنها هي من يجب عليه أن تفهم هذا من تلقاء نفسه دون الحاجة منه لقولها صراحة؟

وهذا حقه.. حقه أن يغار على زوجته ولا يسمح لأي من كان بأن يلقي على وجهها ولو نظرة واحدة..

غيرته عليها حقه.. ودفاعا عن كرامته وحضوره حقه.. فالغيرة كرامه قبل كل شيء..

يعرف ومتأكد بأنه تحبه ولا تستغني عنه.. لكنه ليس متأكدا من إذا كانت قد ألغت كل تفكيرها ومشاعرها السابقة بكارم..

وهو كرجل يكره كونه ليس متأكدا من كونه ملك الكون في قلبها والرجل الأوحى في ذاكرتها..

ففطرته تقول إنه كرجل لا يقبل أن يزاحمه رجلا آخر في مكانه..

وهو زوجها الذي من المفترض أن يصبح أعظم الرجال في
عينها..

ورجلا ليس بعده ولا قبله رجل..

فإذا لم تنظر من هذا المنظور له فقد أصبح وجوده لا يعني شيئا
وليس له أي اعتبار..

قاطع تفكيره صوتها المضطرب وهي تقول بينما تلاعب أناملها
متوترة

((من المؤكد أنهما قالوا لك ماذا جلب راجي.. أنا اعرف انه لم
يكن لائقا بحديثه معهما.. لكنه لم يقصد.. كان مقهورا علي..
فوالدتك على مستوى جلاية بسيطة تحرضك ألا تشتريها لي..
ولكن.. ولكن..))

ارتبكت عند أخر كلامها فبترته وهي ترفع وجهها أخيرا تنظر
له لترى جمود ملامحه..

فدمعت عينها وهي تقول بصعوبة

((أنا متأكدة من أنهما شحناك ضدي بقبيح الكلام.. لكن ما دخلي
أنا براجي؟ هو سألني على الهاتف عن أحوالي وبدون أقصد
أخبرته عن موضوع الجلاية ولماذا لم تحضرها لي ثم تفاجأت
بوجوده قبل قليل جالبا معه جلايتان لي ولأمك.. كهدية.. هل
الهدية تُعتبر إهانة؟))

كانت عينا مراد المتجمدتان ترشقانها بنظرات قاسية وهو يتقدم
منها بخطوات ثابتة حتى توقف أمامها..

شبهت جالا بخوف عندما قبض بأنامله فوق فكها يجذب وجهها
إليه قائلا بخفوت وصوت بارد هادئ النبرات لا يظهر ما
يعتريه من غضب وثورة بداخله

((هل تستعيب عليّ؟ طلبك من أخوك أن يحضر تلك الجلّاية فيه إهانة لي.. كأنك تعتبريني لا أستطيع الإنفاق عليك.. لا والأدهى أنه احضر أخرى لأمي أيضا.. هل هناك أجمل وألطف من هذا؟ هل أنا أرفض جلبها لك قلة أموال أو بخل لا قدر الله؟))

نظرت له جالا بمرارة وهي تفكر ساخرة بأنه يرفض إحضارها فقط لأن والدته قالت له ألا يحضرها..

وهذا السبب أسوء من أن يكون السبب هو فقط قلة المال أو البخل..

لكن أثرت جالا السكوت أكثر من أي شيء.. ف

هذا أفضل شيء يمكنها التصرف به بعد عودته مشحونا ضدها بسبب كلام عائلته..

رفعت جالا عيناها لعينيها اللتين أخذ الشرر يتطاير منهما بغل وغضب بعث الخوف في أوصالها مجددا وهي تسمعه يفح

((جـالا.. هل أنا في نظرك لا شيء؟))

بقيت تنتظر له بخوف لتبدأ أنفاسه الارتطام بوجهها تكاد تهلبه وهو يردف بها بنبرة خطيرة

((إن من الغد ستداومين على النزول عند والدتي لتجعلهم يتوقفوا عن لومي.. هل فهمتي؟ ستنزلين غدا عندها وإياك أن تضربي بكلامي عرض الحائط وكأنني فراغ ليس له وجود.. حاولت الفترة السابقة أن أجعلك تنزلي عندها بإرادتك ولكن بما أنك مُصرّة على العناد فليس أمامي إلا إجبارك))

ترك فكها بإهمال وقد ثار غضبه فعلا وفارت أنفاسه واحمرت أوداجه عصبية لما لاقاه وسمعه من والديه بسببها قبل دقائق..

استدار مراد للخلف ليبعد عنها لكنه توقف مكانه واستدار لها وهو يسمعاها تهمس بعصبية وعناد رغم أن صوتها لا يخلو من الارتجاف

((لا))

نظر مراد بذهول مجنون لا يصدق وهو لا يصدق كيف ترفض طلبه بعد ما أظهره من غضب عليها..

فقال بحدة بصوت مسيطر جهوري مستنكراً ونبرة صارمة

((ماذا؟ هل قلتي "لا"؟))

تقدم منها وقد كان على وشك أن يفقد رشده تماماً قبل أن ينتبه على وجود طفلتيه واقفتين باستهجان عند باب المطبخ ينظران لمشادة والديهما..

فراجع وتحكم بنفسه حتى لا يفعل ما يندم عليه وهو الذي حرص دائماً بوجودهما على عدم رفع صوته حتى..

بينما رفعت جالا عينيها شزرا وهي تقول له دفاعاً عن نفسها

((نعم لن أنزل عندها.. سبق وحدثتني نفسي بأنها لا بد وأن تتغير يوماً.. ولكن لا فائدة مع والدتك.. لذا لا أنا لست مجبرة للنزول عندها.. أبدا))

فقال لها مراد وهو يصك على أسنانه ويشنت نظره تارة لها وتارة لطفليته الواقفتان عند عتبة المطبخ

((جالا.. عدم إطاعتك لي جعل والدي يستخفان بي.. وحتى بناتي لا يحترمنني بعد ما يرونه من أمهم))

عندما أشاحت جالا راسها بعناد ترفض الانصياع له..

قال لها مراد بنبرة تهديد ووعيد

((حسنا يا جالا))

رفعت جالا إليه عيناها تسأله بريية

((ماذا يعني حسنا؟))

فغرت جالا شفتها وهي تراه يتوجه إلى غرفة نومهما يفتح
دولاب ملابسه..

شحب وجهها وهي تنتظر إليه بذهن مضطرب يخرج ملابسه ثم
ينقلهم إلى غرفة الضيوف فصرخت به بالم

((ماذا تفعل؟))

قال لها وهو مستمر بنقل أغراضهما لغرفة الضيوف

((أريد أن انتقل لهذه الغرفة.. ولمدة طويلة))

قالت جالا له والدموع تترقرق بعينيهما وهي تقف مكانها

((مراد.. ألم تنفق منذ الأزل أنه لا نوم لأحد بعيد عن
الأخر؟ ماذا تفعل الآن؟))

قال مراد لها وهو يغلق باب غرفة الضيوف بالمفتاح

((سأقوم بنقل باقي أغراضي لاحقا.. والآن سأغلق هذه الغرفة
عندما أدخلها أو أخرج خارج البيت))

وقبل أن يسمح لها بالرد رفع هاتفه يطلب اسما ثم وضع الهاتف
بقرب أذنه..

وثوانٍ حتى قال مراد بنبرة هادئة

((مرحبا يا أبا حمد.. نعم.. هناك بشقة والدي فيها ثلاث
صناديق لجلايات أطباق أريد منك أن تأخذهم صباحا من هنا..
واحدة ستكون لعائلتك إذا رغبت.. وتبرع بالاثنتين الباقيتين لأي

من البيوت المحتاجة الذين قد يرغبون باستخدامها.. نعم..
حسناً.. أشكرك جداً..))

جحظت عينا جالا وهي تسأله بدهشة بعد أن أنهى مكالمته
((هل الصندوق الذي جلبته كان بداخله جلاية أطباق؟))

التفت مراد ينظر لها قاتلا ببرود قبل أن يخرج من البيت

((نعم.. جلبتها لأمي.. حتى تستخدمها لمدة وتقتنع بها قبل أن
أجلب واحدة أخرى لك.. لكن الآن.. لا أريد أن يتم نطق حتى
"جلاية أطباق" بهذه البناية كلها))

=====
=====

بحجرة نوم راجي وسارا..

اتجه راجي إلى دولابه يفتحه ويخرج منه منامته ليستعد للنوم..

أنهى ارتداء المنامة بعد مضي لحظات ثم أخذ نفساً عميقاً..

وقبل أن يغلق باب الدولاب انتبه على صندوق موضوع على
أحد رفوف الدولاب..

ابتسم بحزنٍ لمرآه ثم دنا منه ومسكه بيديه وأخرجه ليفتحه وهو
يجلس القرفصاء بعينين غائرتين..

لقد اعتاد مؤخرا أن يلوذ لهذا الصندوق ويقلب ما فيه..

وخاصةً عندما يضيق به الحال ويريد أن يشعر بتحسن كبير في
مزاجه..

أو عندما يهيج به الشوق والحنين إلى الأيام التي عاشها مع سارا بالماضي وهما غارقان بعنف بنشوة الحب اليافع..

ربما هو دائما ما يحن إلى ماض لأنه يحاول أن يحتمي به من مستقبل مجهول في علاقته معها..

ففي كل مرة يفتحه يرجع فيه الزمن إلى الماضي وكأنه حاضر حيث يعيش مع كل قطعة وكل صورة وكل ورقة بداخل هذا الصندوق تفاصيل جميلة وهو يستذكر قصتها ومناسبتها وحكايتها بالتفصيل فيسترجع لحظاته هو وسارا وكل ما فيها من ذكريات من زواجه الأول بها..

ذكريات أصبحت جزءا من نسيج زواجهما الحالي..

التقط راجي أثناء تقلبيه بمحتويات الصندوق صورة قديمة التقطتها سارا لهما قبل أكثر من عقدٍ مضى بواسطة كاميرا بولارويد الفورية..

كانا وقت التقاطها يحتفلان احتفالا متأخرا بليلة رأس السنة ويقفان على الكرسي على سطح منزلها ويعدان بشكل عكسي الأرقام..

وقبل أن تدق الساعة الثانية عشر بثانية وقبل أن يقفزا نظر سارا لتقوم بالتقاط هذه الصورة لهما..

غمر الحنين راجي بوجع غير عادي يلهب قلبه ويشعل روحه..

رباه كم أشتاق لتلك الأيام وللحظات التي عاشها قبل التقاط هذه الصور التي لا يزال يحتفظ بها في هذا الصندوق..

يشتاق إلى لياليهما القديمة الشقية.. يشتاق لكل شيء يخص ماضيهما..

تتهد راجي بحرارة ثم اعتدل واقفا وهو يغلق الصندوق ليعيده مكانه..

فمن أصعب المشاعر التي تُسبب الألم والحزن والفرح في ذات الوقت لقلبه هي اشتياقه لسارا التي مهما حاول أن ينساها سابقا أثناء فترة افتراقهما إلا أنّ حبّها في داخله منعه..

وقد رسم حنينه لها في داخله المعنى الحقيقي للحبّ والصدقة..

وكم هو صعبٌ أن تكون سارا متواجدة معه الآن بدون أن يشعر بكل ما سبق..

بعد دقائق..

كان راجي مستلقيا على فراشه ينتظر انتهاء سارا من روتينها الليلي بعد أخذها حمامًا دافئا وهو يحدق بانعكاس صورتها على مرآة منضدة الزينة بينما يتشرب ملامحها بتعطش شعوف..

كانت ترتدي قميص نوم حريري وتجفف شعرها عقب أن قامت بترطيب وتدليك جسدها باستخدام مرطب مناسب لنوع بشرتها لتجنب جفافه..

نطقت سارا اسمه بفتور وهي مستمرة بتجفيف شعرها

((راجي))

همهم لها راجي لتسترسل وهي تسأله ببساطة

((لماذا أشعر أنك بالفترة الأخيرة أصبحت باردا تجاهي؟ وكأنك ما عدت تحبني))

صمت راجي قليلا وهو يفكر بأن قبل زواجه من سارا المرة الثانية كان قد وصل إلى اقتناع تام بأنها الشخص المثالي له..

صحيح أنه خطر في باله سابقا بأنه بعد الزواج منها وتبعاً
لاختلافهما ببعض الأمور سيمران ببعض المشاكل..

لكنه كان مصراً على أنهما سيتجاوزونها في إطار من الحب
والتفاهم..

فتزوجها وعنده أمل كبير في أن تستمر حالة الرومانسية إلى
الأبد..

قبل أن يهبط إلى أرض الواقع.. حيث لا مسؤوليات الحياة
اليومية فقط بل حقيقة النفس البشرية أيضاً..

فهما كبشر.. أنانيان.. لكن السعادة الغامرة التي صاحبته تجربة
الوقوع في الحب هي ما أخفت عنهما تلك الحقيقة..

فقال راجي لها بصوت متحشرج صادق

((أنا لم أحب أمراً كما أحببتك.. بل لم أحب أمراً غيرك..
أحبك وبداخلي ألف نبضة تخاف فقدانك.. ورغماً عني تبقيين
أنت وحدك حبا داخل قلبي أغرم به كل يوم.. لكن أحب أن
تكون علاقتنا أكثر عمقا من هذا))

التقطت سارا نفساً.. ثم وقفت من مكانها واستدارت نحوه تقول
بجدية وهي تدنو منه

((حسناً.. سأبذل جهدي أكثر بهذا الزواج.. هل تريد مني تعلم
الطهي؟))

قاطعها راجي يلجم لسانها عن الرد وأفكارها عن التشكل أو
أخذ مسار آخر

((سارا أنا لا أريدك خادمة.. لكن أحب أن تشاركيني أمورتي..
هنا الفكرة.. تعرفين أنني أحب الطهي ولولا عملي الطويل
والمرهق والذي يتطلب مني أن أنهض باكراً وإلا لطهوت
لكلانا دائماً لا فقط بنهاية الأسبوع))

تتهد راجي ثم أكمل بصوتٍ أجش

((على كل حال.. ما رأيك أن تشاركيني الطهي في عطلة نهاية
الأسبوع؟ ستتعلمين وستصبحين أفضل ومن تعد وجبات الطعام
خلال الأسبوع))

تقدمت سارا حتى جلست جانبه على فراش السرير هادرة برقة
وهي تضع أنامله على وجهه

((حسنا سأشاركك وسأكون أفضل مساعدة شيف لحبيبي
الوسيم.. لدرجة أنك ستتعجب من تعيري المفاجئ))

سرعان ما ارتكز نظر راجي بارتياح للابتسامة التي تشق
زاوية فاهها وهي تقول بجديّة

((راجي.. صدقني مؤخرا كنت اشعر بالضغط من البقاء
بالمنزل هنا خاصةً وأني لست معتادة.. أنا لم أحب أن اعمل
بعد الزواج حتى أجد وقتا كافيا لك ولصديقاتي وجولات
تسوقي.. لكن البقاء هنا في هذه القرية الصغيرة ممل كثيرا..
المهم متى سيأتي الغد لنذهب للبحر وأغير من نفسيّتي وأجواء
المنزل الخانقة!))

أجابها متهمكا وهو يضيق عينيه

((لا تقلقي سيأتي الغد سريعا.. لقد جهزتِ حقائب السفر منذ
أسبوع تقريبا من أجل العطلة التي ستبدأ في الغد))

قربت سارا وجهها من زاوية ثغره تلثمه هامسة

((لماذا تجهمت هكذا؟ توقف عن البرود وابتسم هيا إذن))

قطب راجي حاجبيه وهو ينظر لها بضجر مصطنع ويشيح
عينيه عنها.. لا يريد أن يلين أكثر..

فهي لا تحبه وترضيه كما يريد مع أنه لم يبخل عليها يوماً
بالحب والدلال..

كلما حصل شجار بينهما هو دوماً من يبادر بالمصالحة حتى
ولو كانت هي المخطئة بأغلب مشاجراتهم..

لكن هذه المرة يريد لها أن تتصرف وترضيه حتى لو أخذ وقتاً
ليرضى عنها..

ألا يستحق منها بعض الإلحاح؟

لكن استمرارها على رشق وجهه بقبلات رقيقة جعله ورغماً
عنه يشدها إليه بقبلة عاطفية عنيفة وتملك محموم يخفي الكثير
والكثير من الأحاسيس والمشاعر بداخله..

استمر راجي بقبلته وبالكاد يمنحها فرصه لأخذ نفس حتى
فصلاها لتقول سارا له من بين أنفاسها اللاهثة

((هل أخبرتك أنني دخلت لمكتبك قبل عودتك بساعات وقمت
بتنظيم وترتيب الملفات والمستندات المختلفة لقضاياك؟ أيضاً
قمت باستلام وتصنيف بريدك اليومي وتسجيل صادره ووارده
ليكون معروفاً عليك مباشرة عند فتحه.. ولم أنس الاحتفاظ
بنسخة منه للرجوع إليها عند الحاجة.. فضلاً عن إعداد وكتابة
التعليمات على بعض الملفات.. وكتبت لك ملخصاً عن أخبار
الصحف اليومية الورقية والإلكترونية التي تتضمن أي
معلومات تتعلق بطبيعة أحر قضية مع الشركة التي يتعامل
مكتبك معها))

نظر راجي باحثاً ومتمعناً في وجهها كأنه يبحث عن جديده
كلامها المذهل ليقول لاهثاً هو الآخر ببهجة

((أوه سارا متى فعلتي كل هذا؟ لا بد أن العمل أستغرك من
وقتك ساعات))

أجابته وهي تزعم شفتيه مدعية الإنهاك

((نعم عملت أكثر من ست ساعات))

نهض راجي من مكانه شبه جالسا يردف بذهول مستمر
((مساعدتي لا يُقصر في العمل بل نعمل أنا وهو سويا أكثر من
عشر ساعات يوميا.. لكن كنت بحاجة حقا لمن يساعدني
بالملفات الموجودة بمكتبي بالبيت لأنها مكدسة))

أجابته سارا بدلال

((بعد أن تستمتع بعطلتنا غدا يمكنني أنا أداوم على مساعدتك
في أعمال المكتب))

قال لها راجي بصوتٍ منبهر خفيض وهو يمسك وجنتيها
((سارا حبيبيتي.. أنا بالفعل أتحدث مع محامي آخر ذو خبرة
سيأتي قريبا للعمل عندي.. لكن حتى حينها ستفني بالعرض.. يا
محاميتي الفاتنة))

هزت سارا كتفها وهي تقول بتواضع له

((حسنا يا حبيبيتي.. أنا سعيدة لبهجتك هذه.. مع أن ما فعلته لم
يكن صعبا وأي سكرتارية لها خبرة في العمل لدى أي محامي
يمكنها أن تفعله))

عاد راجي يضمها له ولم يكن بوسع سارا فعل أي شيء عدا
الاستسلام..

وجفاء الأيام القليلة التي مضت كان أثرها قويا عليه ليبيتها
عاطفته بخشونة متملكة تحبها..

صحيح أنها اعتقدت بأنّ الحياة ستكون جميلة جداً وكلها حب
وعشق بعد زواجهما المرة الثانية..

عكس ما يحدث حاليا حيث كانت تتخللها الحياة الزوجية بأمور
أخرى أكثر عمقا..

فضلا عن تسلل الملل والبرود إلى حياتهما من حين لآخر وعدم توقع ضغط المسؤوليات..

أبدا لم تتوقع أن الحياة الواقعية للأزواج فيها هذا الكم من ضغط المسؤوليات ومليئة بالمشاكل اليومية التي تحتاج إلى قرار وتصرف وعناء مما يفرض عليهما البعد عن الجو العاطفي الرومانسي..

=====
=====

بعد عدة أيام..

بعد عودة احمد من عمله مبكرا وقفت هيام تفك له ربطة عنقه وتساعده بخلع حلته الرسمية..

أخذ احمد حماما دافئا ثم خرج منه ليرتدي بنطالا وقميصا قطني لا تصل أكمامه إلى مرفقيه..

ساعدته هيام بتجفيف شعره كما تعودت أن تفعل فهي ليس لديها أحد غيره بهذا البيت لتوليه كل اهتمامها وبأدق وأبسط تفاصيله..

وضعت هيام القليل من عطر ما بعد الحلاقة الرجولي ذو الرائحة الطيبة والمنعشة في كفيها ورفعتهما توزعهما على ذقنه ووجنتيه باهتمام وعناية..

كان احمد يمشط تقاسيم وجهها باضطراب في هذه الأثناء وحتى انتهاء هيام من ترطيب ذقنه واستدارتها للخلف..

كيف يمهد لفكرة الزواج لها؟ كيف يفتحها بالموضوع؟

وكيف يمكن أن تكون درجة ردة فعلها العنيفة تجاهه؟

كانت هناك سيناريوهات كثيرة بعقله عن كيفية إقناعها بفكرة قبول الزواج لكنه تراجع عنها بعد التفكير مجدداً بها حيث وجد بأنها حتماً ستفشل..

لذلك كان متردداً في الأيام السابقة كثيراً ولم يستطع إخبارها حيث أنها ستكون مجرد مبررات للوصول إلى رغبته وفرضه بقوة عليها..

وهذا ما لا يريده..

لا يريد أن يكرر كل ما حدث وحصل مع إيمان أبداً..

لا يريد أن يتصيد الخطأ والزلة عليها..

لا يريد البحث عن مواطن تقصيرها تجاهه.. حتى لو كانت فعلاً موجودة..

لا يري إظهار الغضب والعصبية الزائدة على كل موقف بسيط وتافه..

لا يريد إشعارها أنه غير مرتاح نفسياً وتوقف عن حبها وبيحث عن بديل..

فقلبه وكل ما يملكه من عاطفة تجاهها مستمرة لهذه اللحظة..

باختصار لا يريد أن يكرر ما قامه مع إيمان ولو كانت بعض الأمور سبق وخرجت منه بغير قصد أو تعمد..

يريد أن يجيد فنَّ الإقناع ليفتبعها بتقبل زواجه بدون أن تفتعل أي مشاكل أو تطلق..

فهو استطاع إقناعها القبول به وهو متزوج لذا بالتأكيد لن يعجز عن إقناعها بالتزوج الآن..

المهم أنه لا مزيداً من التردد والتراجع والخوف..

فهو لم يغادر عمله اليوم باكرا لأجل لا شيء.. عليه أن يقول لها حقا عن قراره..

فهو بالتأكيد لن يخفِ زواجه عن هيام كما يفعل الجبناء ويجعلها آخر من يعلم..

في النهاية هو سيتزوج من اجل الأنجاب..

كيف سيرزق بأطفال من امرأة أخرى بدون أن يعلن زواجه منها؟

لكنه لا يستطيع أن يصارحها بدون "لف ودوران" بل سيحتاج إلى جهد وعناء وتمهيد طويل جدا..

لكن عليه أولا اتباع أساليب التمهيد التدريجي والجرعات طويلة المدى حتى تتم الأمور بصورة شبه طبيعية..

نعم عليه ولو لمرة واحدة أن يستفيد من وظيفته كطبيب نفسي وما تعلمه في حياته العملية..

صحيح أنه يؤلمه زواجه هذه المرة على هيام أكثر بكثير من إيمان.. ولسببين..

لما عايشاه ومرا به حتى يتزوجا ويكونا لبعضهما وتضحيتها بأموتها من أجله..

ولما عدها به كعدم جرحها وحفاظه عليها..

لكن من منظور آخر.. وبنفس الوقت.. وبشكل متناقض..

زواجه على هيام سيكون أسهل من زواجه على إيمان.. لسببين..

لأنه المرة الثانية دائما أسهل من المرة الأولى..

ولأن هيام قبلت به متزوجا حتى ولو أنه ضمنيا وعدها بأنه من
المستحيل أن يفكر بالزواج من بعدها..

بعد تناول وجبه الغداء..

جلس احمد في غرفة الجلوس يرتشف الشاي برفقة هيام..

كان الصمت بينهما وبشكل نادر ثقيلًا ومريبًا..

نظر احمد إلى شاشة هاتفه يتصفح فيه بعض المواقع الإخبارية
بلامبالاة وهو يرتشف كوب الشاي الخاص به شاردا الذهن..

حرفيا لا يدري ماذا سيحدث معهما عندما تعرف..

فايمان بالرغم من طبيعتها الهادئة إلا أنها جُنّت وقلبت الدنيا
على بعضها عند معرفته بنيتّه بالزواج..

لذا هذه المرة يجب أن يكون حكيما مع هيام..

حتى بالرغم من أن الرتابة والملل والروتين تسيطران قليلا
على حياتهما..

إلا انه يعرف انه حباها مستقر بقلبه..

قطع الصمت وهو يقول لهيام بطريقة عابرة عن أخبار أحد
مرضاه المتزوج بائنتين..

الحديث استدع اهتمام هيام بشكل كبير.. ومقلق..

راقبته هيام بحدقتين متذبذبتين ونفسٍ تحترق ببطء وهي تسمعه
يكمل كيف أن زوجتيه يعيشان مثل الأخوات لأنه استطاع أن
يعدل بينهما..

وكأنه يوحي لها لو تزوج فسيكون عادلا..

انتبه للصدمة الظاهرة بعينها وحركت شفاتها المستمرة وكيف
تفتحان قليلا ثم تنغلقان كأنها تريد أن تقاطعه وتقول له أو
تسأله لكنها تتراجع..

حاول احمد ألا يهتم وهو يسترسل كلامه وهو يخبرها عن
صديق كيف زادت عنده غلا ومحبة زوجته بعد ما تزوج من
أخرى..

اشتدت يد هيام على كأس الشاي الزجاجي والذي كانت سخونته
لا تعادل حريق قلبها بشيء وهي تسأله هامسة وعيناها ترجوه
أن يخالف ظنها

((أنت تمزح يا احمد.. من هذا الذي تتحدث عنه؟ لو أخبرتني
انه تزوج عن حب مثلنا لكنت عذرتة على زواجه.. بالرغم من
أني اشعر بالذنب لطريقة زواجنا لأنني امرأة واحزن لحزن
امرأة مثلي))

تبثلت رموش هيام بدموعها المحتجزة..

إلا من واحدة انزلقت على وجنتها وهي ترسم مجراها أمام
عينيه..

ردّ احمد بفورية بمجرد أن رآها تضع الكأس على الطاولة
وتريد المغادرة تاركة إياه

((عزيزتي ما بك منزعة لهذا الحد وكأنني اتحدث عن نفسي؟
الموضوع يخص أحد مرضاي..))

بكل عجب وصدمة الدنيا تعثر بها جراء ما سمعته منه قالت له
وهي تهز رأسها رفضا ليخرج صوتها خافتا بصعوبة وداخلها
يغلي

((احمد توقف.. توقّف أنت تتحدث عن نفسك لا عن
صديقك.. أنا أعرف ذلك))

سألته هيام بتوسل وبمرارة تقطر من كل كلمة تنفوه بها

((أرجوك أخبرني أني مخطئة؟ أرجوك أخبرني.. لماذا.. لماذا تريد فعل ذلك؟))

قال لها ببراءة وبساطةٍ كادت تقتلها

((هيام أنا لا أتحدث عن نفسي))

سمعها تقول من بين أسنانها والغضب يتصاعد بعيونها بدل أن يخدم

((منذ اللحظة التي سمعت فيها ذلك الطبيب الحقير ومن تعتبره صديق مقرب يقول لك أنك تستطيع الحصول على أولاد إذا ما تزوجت أمراه أخرى أصغر سنا.. وقلبي يهبط كل ثانية خوفا من أن تفعلها))

تنهد احمد بحرقة وهو يفقد سيطرته على نفسه هامسا لها من بين أتون عاطفته تجاهها في هذه اللحظة وهو يرى وهنها

((هيام حبييتي اهدئي))

شهقت هيام بصوتٍ عالٍ وهي تغطي فمها بكفيها وتهز رأسها بهيستريا وعدم تصديق هادرة

((لا احمد.. لا.. لا.. لا يمكن أن تغدر بحبنا.. حتى لو توقفت فعليا عن حبي لا يمكن أن تغدر بي.. أرجوك.. لا تكسرنى.. أرجوك لا تكسرنى ولا تحطمني يا احمد.. والله سأموت أن فعلتها.. والله سأموت.. ستقتلني))

ليتها ماتت قبل أن تسمعه يمهد لها لزواجه..

ليتها بعد أن خرجت من بيت عائلتها سقطت صريعة بحادث سير قبل أن تصل لهنأ..

هي انتهت في الفترة السابقة عندما كان يقوم بشكل خفي
ومبطن بالتلميح لها من موضوع زواجه من خلال إدخاله بجملة
وكلماته حبه الكبير لها وكيف قبلت أن تتزوجه وهو متزوج
لأنها تحبه..

لكن ما يعرفه أنها حتى لو قبلت به متزوج فلن تقبل أن يتزوج
بعدها أو يحب غيرها.. من المستحيل أن تقبل..

هي وافقت على الزواج فقط لأنه تحبه وهو يحبها..

لكن زواجه هذا بعد كل تضحياتها لا يعني إلا العكس تمامًا فمن
المستحيل أن يكون يحبها ويؤذيها بهذا الشكل..

نظر احمد لملامحها المبللة دمعا تتأسى وهي تهز رأسها
باستنكار ثم تنفس بعمق ليقول باختناق

((هيام.. اهدئي.. هيام قلبي اهدئي.. اعتبري ما قلته عن
المريض ذاك مجرد مزاح))

قوست هيام ثغرها عنوة لتتهار باكية بين راحتها..

سيطر الندم على احمد لثوانٍ ثم همَّ بالجلوس إلى جوارها..

لكنها صرخت وهي ترتجف هاتفة بقهر

((ابتعد احمد عني))

لكنه اقترب مجدداً فعادت تصرخ به بجنون وهي لا تطيق قربه
وعبراتها الحارة تشق طريقها على وجنتيها

((ابتعد عني))

إلا أن أحمد جلس بجانبها بإصرار وهو يحاوطها بذراعيه
يربت على ظهرها هادرا

((لن أفعلها.. صدقيني.. هيام قلبي))

حتى هدئت وسكنت قليلا..

لكن بقيت شفتاها ترتجفان.. صدمة وقهرا لا بردا في هذه
الأجواء الصيفية..

قالت هيام له من بين دموعها الكاوية

((احمد.. لا أدري إذا كان ما تقوله مزاحا أو جادا.. وسواء
أكان مزاحا أو جادا.. أنه يؤذيني نفسيا.. إذا أردت الزواج فعلا
فأنت حر في قرارك.. وإن لم ترد الزواج فلا داع لأديتي
وتذكيري أنني قبلت الزواج منك وأنت متزوج كل حين))

كانت الكلمة الوحيدة التي نطقها احمد لها دون تفكير وبصوت
متهدج مختنق

((آسف))

توغل المقت بصدرها أكثر من عدم نفيه الموضوع بشكل
صريح أو مطمئن..

وقلبها بداخلها بنزاع بين مشاعر تختلط بحب وكره احمد بألم
وهو يبكي عمراً ضاع..

لنقول له هيام بعداء وهي ترفع وجهها الملطخ بالدموع

((إذا أردت الزواج.. فعليك أن تطلقني.. عليك أن تطلقني قبل
أن تتزوج يا احمد.. هل تفهم؟))

عند ذكرها كلمة الطلاق وهو آخر ما توقع أن يسمع منها
غارت عيناه وهو يفكر أنه من زواجه من هيام وهي عرفت
كيف تكون له بعد الزواج خير زوجة..

ووجد فيها الاحتواء المعنوي الذي يحتاجه والقبول وقلة اللوم..

ولأنه لطالما أخبر وحكى لهيام عن أسباب انزعاجه من إيما
حاولت هيام أن تتعظ وبشكل زائد عن اللزوم..

لتجعل من نفسها على النقيض من كل ما كرهه بإيمان..
لنتأكد انه لن يندم على الزواج منها.. وهذا ما حصل..
ولن يتحمل خسارته لهيام آخر ما تبقى له.. بعد أن خسر عائلته
الأولى..

فنطق احمد لها بصرامة ونظراته صارمة رغم ضيقها
((اخرسي.. إياك أن تتفوهي بكلمة طلاق))
هزت هيام رأسها بألم يذبح قلبها وروحها وهي تقول بإصرار
مرير

((بلى احمد.. سأطلب الطلاق لو تزوجت))
قالتها ثم اعتدلت واقفة تنفضه عنها لتبتعد..
لكن سرعان ما تجمدت مكانها وهي تتهالك على ركبتيها
بوهن..

خطى احمد خلفها وجثى على ركبتيه إلى جوارها يربت على
ظهرها..

للحظة ارتعش شيء فيه لمرأى انهيارها لكنه قال بانضباط
عاطفي لطالما أتقنه وهو يؤكد لها
((هيام لن أتزوج ولن أطلقك.. فلا تتفوهي بأي هراء.. ثقي
بي))

رفعت هيام رأسها له وهي ما تزال متهالكة بجانبه على
الأرض ودموعها تتقاطر عليها..
ثم همست له بيؤس وعيناها تنطقان الحسرة وهي تحاول أن
تلتقط أنفاسها من بين شهقاتها

((أحقا لن تتزوج؟))

هز احمد لها رأسه بتأكيد لكنها لم تقتنع فما لبثت حتى انهمرت
المزيد عبراتها على وجنتيها ومدت كفها تضعها فوق ذراع
احمد بحسرة..

حدقت بأحمد للحظات وعيناها تتعلقان بعينيه..

والم شديد يمزق صميمها وهي تتذكر تلك الفترة عندما كان
يلحقها وهو متزوج من إيمان لإقناعها بقبول الزواج منه..

كانت تتعجب كيف يراها بهذا الكمال وهي المليئة بالعيوب
وخاصة بعد ما وصله من نجاح على مستوى حياته العملي
والعائلي..

لكنها الآن تكاد تحاول الوصول للكمال ولا ترى بعينيه إلا انه
لم تعد كافية له.. فهزت هيام قبضتيها بتشنج بينما تردد بالم
عميق داخلها

((والله يا احمد أن تقتلني أهون علي من الزواج.. أرجوك لا
تفعلها))

نظر احمد إليها مطولا قبل أن يقول بصوت متوشحا بالألم على
حالتها

((هيام اهدئي))

قالته له يوهن وبحرقه مؤلمة

((فقط من باب الوفاء يا احمد لا تتزوج.. أنا ضحيت بأمومتي
عندما عرفت بأني لن أنجب بسبب ما تعانیه لأبقى معك.. لذا
الآن وبعد أن أتاحت لك فرصة الأنجاب بعد علاجك ضحي
بأبوتك من أجلي.. أو من باب الوفاء يا احمد.. أرجوك حتى لو
توقفت عن حبي لكن لا تغدر بي إكرامًا للعشرة وكل ما كان
بيننا))

ثم هزت هيام رأسها لتسترسل له باضطراب

((لا.. أحمد أنت بالفعل جريت الأبوة.. بل أنت بالفعل أب لشباب يافع.. ولم تُحرم من هذه النعمة مثلي.. ليس من المنطقي أن تتزوج من أجل الحصول على أطفال وأنت من الأساس عندك طفل.. بل شاب وسيم.. أين المنطقية بهذا الأمر؟ اذهب واطلب وصال ابنك بدل من الحصول على آخر))

أمسكت هيام بكفه وعينيها ونظرات التوسل بهما تدبحه وهي تردف

((أرجوك لا تقل إني تزوجت منك وأنت متزوج لذا عليّ ألا أعترض على زواجك الآن.. أرجوك.. أرجوك لا تفكر بهذه الطريقة.. أرجوك))

بعد ساعات..

وعلى سرير نومهما بقي احمد ملازما لها خوفا على حالها..

سمعها تغمغم له بشرود

((احمد.. هل تعرف قصة أبي؟ بالماضي عرض عليه عمه في المجلس وأمام جميع الرجال أن يتزوج ابنته إذا ما اهلكه المرض وتوفاه.. ولم يستطع أبي الرفض خجلا من الجميع.. أخبر أمي انه مجبر على الزواج منها وسيطلق ابنة عمه بعد مدة.. لكن هيهات.. بعد أن تزوجها نسي أمي ونسي كل ما بينهما وقال بأنه سيظل محتفظا بها زوجة.. بل وقال إنه بكل حال كان سيتزوج لأن أمي لم تنجب له أي مولود ذكر.. ووقف جميع أقاربنا وبعض الأقارب المشتركون بينهما لصفه لأنه ((رجل..))

انتبهت هيام على نظرات احمد لها في الظلام..

فابتلعت ريقها وأشاحت بوجهها بعيداً عن عينيه الثاقبتين تخفي
ترقق عينيها بالدموع وقلبيها الخافق بجنون لتردف

((لم تتزوج أنت.. ولكن الآن تحديدا أستطيع فهم عذاب أمي
الذي عانته قبل وبعد زواجه.. لذا أرجوك.. أرجوك يا احمد لا
تجعلني أعيش نفس عذاب أمي وأتجرعه.. أتوسل إليك واقبل
قدميك ألا تجعلني أعيش نفس عذاب أمي يا احمد))

اهتزت عيني احمد المتألمتين بصدمة من توسلها الملح له لهذه
الدرجة..

فشئت بصره بحيرة وهو يسمعها تهمس له

((بالنسبة لي يا احمد زواجك مني على إيما مختلف عن الآن..
مختلف ومؤلم بشكل رهيب))

هتف احمد بغضب مصطنع مع فقدانه للسيطرة على نفسه وقد
بدأ الدمع الذي يرفض تحريره كي لا يسحق رجولته أمام نفسه
يزحف لعينه

((هيام.. لقد مللت من الاستماع لك لساعات بنفس الموضوع..
أخبرتني أنني لن أتزوج.. اهدني ونامي أرجوك))

لكن هيام كانت عاجزة إخماد لهيب رعبها من فعلها.. حتى الآن
لم يعطيها ما يؤكد لها أنه لن يتزوج..

فبدأت ترتعد وتختض ودموعها تنسكب لتغمرها أكثر..

هنا لم يستطع احمد منع الدموع التي بدأت تحتشد أكثر وأكثر
في عينيه شفقة عليها ليقول لها باضطراب

((هل تلمحين أن قد أميل للأخرى بحالة تزوجت؟ هذا مستحيل
هيام.. حبك مستقر بقلبي ولأبد.. مهما أتت على حيننا ظروف

عاصفة وعصيبة فلن يتزحزح حبك من قلبي.. مهما تزوجت
من نساء فلن أحد كما أحببتك))

قاطعته قاتلة من بين دموعها

((لا.. لا.. الموضوع ليس خوفي من أن يتحول حبك لآخرى
بقدر أنني لن أتحمل مجرد ارتباط أمراه غيري باسمك))

قام احمد بإسناد جبينها عنوة على صدره ليحتويها تلقائيا بين
ذراعيه ويضغط عليها بكل قوته وهو يكاد يهشمها من قوة
عناقه ومن شدة شففته على انتفاضتها ليقول لها

((لا تقلق.. أنا احبك ولن أقدر على حب غيرك أو الارتباط
بها))

بالقوة رفعت هيام رأسها من موضعه لتردف هاتفة بخزي

((وانا أيضا لن اسمح لك يا احمد.. هل تعرف لماذا؟ هل تعرف
ماذا قلت قبل عقد مضى عندما تم اتهامي وإسماعي أبشع
الكلمات عند زواجي بك وأني أنا من أغويتك لتتزوجني وكيف
كنت أرد عليهم؟))

تابعت هيام البكاء في حرقة وقهر مسترسلة

((كنت أرد عليهم بأن عليهم أن يتوقفوا عن لومي أو لومك وأن
يوجهوا أصابع الاتهام نحو إيما.. وأنها وراء لجونك إلى أخرى
غيرها.. لقد قلت إن إيما هي من توضع في دائرة المساءلة حين
ترتبط أنت بغيرها.. فهي من دفعتك إلى هذا القرار بتقصيرها
اتجاهه.. والآن عندما تتزوج سيقولون عني كل ما قلته عنها يا
احمد.. وأنا لن أتحمل هذا))

اقترب احمد منها يرجع الخصلات التي تداعب وتلتصق
بوجهها الرطب جراء بكائها لساعات وراء أذنها..

ثم أعادها لأحضانها وهو يضمها إليه بقوة أكبر لتزداد نبضات قلبها علوا حتى أصمت أذنيها عن كل صوت أحر عدا لهاتها أنفاسه فشدت عليه بدورها وهي تردف بصوت مختلق

((لطالما قلت يا احمد اني لم أخطفك منها بل أنت من كنت تلاحقني.. ولطالما قلت بأنني بعدما أتزوج سأعتني بك وأضحى بكل ما أملك لأجل راحتك لذا من المستحيل أن تحب غيري.. ولكن الآن لو تزوجت فكيف سيكون منظري أمام الناس؟ كيف سيكون يا أحمد.. كيف؟))

ابتلع احمد ريقه وهو يسمعها تستنجد به

((لا تفعلها.. أرجوك لا تفعلها))

وبقيا على هذا الحال ملتصقان ببعضهما واحمد يأخذها بأحضانها وهو يهددها طوال الليل ويربت على ظهرها بحنان وهو يطمئننها بأنه لن يتزوج بصوته الأجش الهامس.. بدون أن تشعر هيام بأي ذرة راحة أو تصدق لكلامه.. لكنها غرقت معه في نوم عميق..

=====
=====

اليوم التالي.. صباحًا..

كان احمد متواجدا بببيت والدته يتحدث معها برفقة شقيقه الكبير إياد..

رفع احمد وجهه إلى الأعلى وأطلق زفرة حارقة ثم التفت لوالدته التي كانت تحرق به بغضب..

قال احمد لها بصوت خشن كنظراته وهو يفتح كفيه دلالة تبيهه

((لا أدري يا أمي.. أنا تائه.. خاصةً وأن هيام ليس لديها أي مشاكل بالإنجاب.. على عكسي أنا.. كنت أقول سابقاً أنه لو لم تنجح العملية بعد علاجي فلن اهتم بالإنجاب.. ولكن مع مرور الوقت تبدل شعوري.. أنا أحب هيام بل وأكثر من السابق.. لكن تفكيري من ناحية الأولاد والإنجاب تبدل تماماً بعد علاجي وبعدما صار هناك أن أحصل على ابن أو بنت غير عدنان.. ولكن بنفس الوقت لا أستطيع فعل ذلك.. لأنه هذا عدم وفاء.. فقد صبرت على هيام وصبرت على عمي وتخلت عن أمومتها من أجلي.. ومن الخسة والخداع أن أتزوج الآن لأنجب بعد أن تلقيت علاجي))

لاحظت والدة احمد أن ابنها بدأ يلين.. لكنه في نفس الوقت يريد الزواج لولا بعض الأفكار التي تخطر على باله بالتراجع أحيان قليلة..

فقال والدته بهدوء ولين تحاول إقناعه بالمزيد وهي تمسك كفه

((السر في تبدل شعورك يا بني وحنينك للأبناء ليس هو الخداع ولا عدم الوفاء ولا غير ذلك.. إنما هو الاستجابة الطبيعية لموجب الفطرة والتي لا تستطيع المثالية الصادقة ولا حتى الأمنيات الحاملة التي تصطم بفطرة الإنسان وواقعه أن تكبتها.. وها أنت بعد أن قلت شعورك الحقيقي يا احمد إزاء الإنجاب.. فماذا تنتظر؟))

تأمل احمد يدي والدته وهما تمسكان بتشنج كفه..

فتنهد بعمق ودون أن يرفع رأسه المطرق غمغم لها بصوت خفيض خشن

((أمي تحدثت مع هيام بخصوص ذلك.. لكنها تمنى الموت على أن أتحدث معها في هذا الشأن.. ورفضت بشكل قاطع.. وخيرتني بين الطلاق أو الحياة معها بدون إنجاب.. هذا هو سر تخيبي))

هتفت والدته بغلٍ حاقد وهي تحرك يدها تضربها فوق فخذها

((حسبي الله ونعم الوكيل فيها.. خربت بيتك وحرمتك من زوجتك السابقة وابنك والآن ترفض أن تنجب من غيرها! هيام يا بني باختصار يغلب عليها "الأنا"))

ثم شددت على أسنانها وهي تردف متممة بسخرية

((وهي التي كانت قبل مدة تخبرني عن رغبتها بالتسجيل بكلية شرعية! تمثل أنها متدينة.. لو كانت كذلك لكان بموجب هذا التدين هو الاستسلام والانقياد لشرع الله.. وحكمة التعدد في مثل حالتك تُدرك ببديهية العقل))

قال احمد باندفاع لأمه

((وماذا لو تزوجتُ وطلبت هي فعلا الطلاق؟ سابقا قلنا عن إيما بأنها من المستحيل أن تبقى على قرارها بالطلاق ولكن حدث عكس كلامنا.. لذلك ماذا لو فعلت هيام نفسي الشيء؟))

نظرت والدته له للحظات.. ثم عادت تمسك ذراعه وهي تشدد عليها هاتفة بقسوة وبمنطقها

((يا احمد.. وضع هيام مختلف كلياً عن إيما.. فايما كانت صغيرة وجميلة ومعها جنسية أمريكية.. بينما هيام على النقيض تماماً.. وعلى الأغلب طلبها للطلاق لن يكون حقيقياً.. لكن لو كان حقيقياً فماذا ستخسر؟ لن تكون خسارتك لهيام أكبر من خسارتك إيما أم ابنك))

أشاح احمد بنظره بعيداً ليشرّد في كلام والدته..

محقة هي بالكثير من الأمور..

حتى لو لا قدر الله وخسر هيام وتطلقت منه فلن يخسر كثيراً..

فهو سبق واستطاع تجاوز فقدانَه لعَدنان ابنه من شحمه ولحمه..

ألن يستطيع تجاوز فقدانَه لهيام؟

لكن هذا لا يعني أن يسترخص فقدانها..

فهي هيام قلبه والمرأة التي أحبها ومن سبق وضحت لأجله
بالكثير..

قاطع تفكيره كلام والدته تقول له

((كن حازما يا احمد وأي تعنتٍ منها أو تأزيم وحصر خياراتيكَ
بإما أن تختار الإنجاب وتطلقها.. أو تبقى معها بغير ذرية.. فهو
غير منصف لك.. فليس هناك تعارضٌ حتى ترجح أحد الأمرين
على الآخر.. بل الجمعُ ممكن وبسهولة.. لكنها عليها أن تجاهد
نفسها وتتحمَّل مشقة زواجك))

نظر احمد باتزان ثم قال بخفوت وهدوء

((إذن يا أمي..))

قاطعتَه وهي تطبطب براحة كفها فوق يديه

((إذن يا روح أمك.. ستبقى تلك الأنانية مصرة على رفضها..
لذلك تزوج ولا تطلقها مهما أصرت.. والأيام كفيّلة بإصلاح
الأمر وتليين قلبها وقبولها بالأمر الواقع.. وهكذا لن يحزنك أنت
شيء))

ظل احمد ينظر لأمها بلامح مبهمة فعلت نبيرة والدته وهي
تقول له بخيبة أمل هاتفئة

((لقد أحببتني يا احمد جدا.. لماذا أنت مُصر على رفضك كل
هذا الرفض؟ أنت لست ابني الذي اعرفه.. أنت تشاورها يا
احمد في كل أمورك.. وهذا يدل على تبعيتك لها.. ألا يكفي أنك

طلقت إيما بسببها لتخسر ها هي وابنك لرجل آخر للأبد؟ لقد
تخلّيت عن أسرتك الأولى من أجل أمراه كان زواجك بها له
قال سيء عليك..))

قاطعها احمد برجاء وذكريات الماضي المريرة تعود له
((أمي توقفي..))

إلا أنها لم تقبل وهي تقول بغضب ورفض

((لا لن أتوقف.. زواجك منها كان فاله سيء عليك.. فما أن
انتهى شهر عسلك حتى تم سجنك ظلما وخسرت عيادتك.. وما
إن خرجت من السجن حتى تبين عقمك.. ثم توفي والدك..
زواجك منها كله كان نحسا))

أغمض احمد عينيه متنهذا بنفاذ صبر قبل أن يقول بصوت لا
يخلو من العصبية

((أمي تعرفيني أني طلقت إيما بكامل إرادتي.. نعم اندم على
تعجلي بطلاقها وعدم جعلها معلقة لوقت حتى تسترد عقلها لكن
هذا لا يعني أن هناك من أجبرني على طلاقها أو حتى أثر على
قراري.. أما بشأن سجنني..))

إلا أنها أرادت بشدة استنفازه فقالت والدته مقاطعة كلامه وهي
تتابع حديثها بلؤم

((لا بل أنت تابع لهيام يا احمد وأنا متأكدة بأنها هي من طلبت
منك طلاقها.. لذا إذا أردت أن تتغير نظرتنا إليك وتثبت أنها
ليست صاحبة القرار في البيت فتزوج ممن قلت لك عنها.. هيا
دلنا أنك صاحب الأمر والنهي في البيت.. وأن قراراتك لا
تصدر إلا عن قناعتك..))

قالت والدة احمد آخر كلامها بهتاف عالي تحاول أن تحفزه
ليقول احمد بإنهاك لها

((أمي كفي عن ابتزازي لن ينجح هذا الأمر معي.. أنا أشعر بالشفقة عليها وأريد منك أن تفعلي نفسي الشيء.. لقد كنت تحبينها سابقا وقد أفنت سنوات بخدمتك منذ وفاة أبي.. فماذا حصل الآن لتصبح هي الكنة السيئة؟))

قالت والدته بمقت وببساطة

((احمد إذا تزوجت سيزيد حبي وتعاطفي عليها))

عاد احمد لموضوعه الأول يقول وإحساس بالذنب يلفه

((ولكن يا أمي بقائها معي بعد معرفتها بعقمي وتضحيتها بأمومتها يكبلني عن الزواج بعد علاجي))

رفعت والدته عينها إلى السقف متممة بالحوقة بينها وبين نفسها ثم عادت تنتظر لأحمد قائلة عقب أن تنهدت بسأم

((لا حول ولا قوة إلا بالله.. وماذا فيها يا بني لو صبرت هيام حتى علاجك وضحت بأمومتها من أجلك؟ أي امرأة مكانها لكانت فعلت نفسي الشيء.. فأنت يا احمد أي امرأة بالعالم قد تجلس تحت قدميك طائعة وتفرش لك رموشها لتخطو أنت عليها راضية.. أنت يا احمد وحدك رجل تستحق أن تشعل المرأة أصابعها العشرة لك.. ولا يكفيها أحراق الأصابع.. بل من الممكن أن تحرق عمرها من أجلك.. فلا تبالغ بتضخيم تضحيات هيام من أجلك.. أي امرأة كانت لتفعل نفس الشيء))

ظهر الاستياء على وجه إياد الذي كان يستمع لمحادثة والدته مع احمد..

فأمه تتحدث عن الإنجاب وكأنها غريزة عند الرجل وليست لدى المرأة على حدٍ سواء..

سمع شقيقه يقول متنهدا وقد حسم الأمر

((حسنا يا أمي.. سأتزوج.. وسأتزوج فوراً قبل أن أغير رأبي مجدداً.. ولكن أرجوك لا تتدخلني بالموضوع بتاتا.. أنا من سأختار من أريد الزواج بها وأنا سأتكفل بباقي التفاصيل))
فهزت والدته رأسها وقد شعرت أخيراً بالراحة..

بينما شرد احمد بنظره بعيداً..

هذا ما سيفعله حتماً.. فيبعد أن عرفته سارا على صديقاتها لارا
قرر الزواج منها..

صحيح أنها مترددة قليلاً لكنها مناسبة..

وبطريقه أو بأخرى هو متأكد من أن تأثيره تغلغل في أعماق
لارا من أول لقاء بينهما ويعرف كيف يجعلها لا ترفضه مهما
تمنعت بشكل مبدئي..

لكن عليه أن يتزوج بدون علم هيام..

نعم سيخفي عنها زواجه حتى يتزوج ويتم على الموضوع ثم
يخبرها حتى ترضخ للأمر..

فهو يخشى عليها من الصدمة والرفض بما أن المصارحة لم
تنتج معها ولو أنها ستكون أفضل حتى نفسياً عليها..

المهم أنه في النهاية سيعرف كيف يقنع كل من المرأتين بما
يريد.. هيام ولارا..

زادت والدته على كلامها وهي تقول له بصوت هادئ تتحفه
بمنطقها

((لو غضبت ولم تتقبل الأمر بالبداية فهذا أمر طبيعي.. المهم
أن تكون واقعية في موقفها وتتقبل ذلك بطريقة إيجابية.. وتبقى
في بيتها حتى لا تهدمه.. وصدقني يا احمد ربما هيام ترفض
ذلك من حيث المبدأ.. لكن إذا حدث كأمر واقع فإنها ستقبل..

خاصةً وهي تعرف أن مكانتها أعلى ممن ستتزوج.. كما أنه
لن ينقصها شيء.. بالنهاية أنت هو الخاسر الأكبر بزواجه
الثاني لكثرة الأعباء المترتبة عليك بوجود بيتين يحتاجون
إعانتة.. وهي لن تخسر شيء))

نظر احمد لها وهو يهز رأسه باقتناع..

بعد دقائق تملمت والدته بمكانها قليلا وبعد تردد قالت مدعية
اللامبالاة ونبرة صوتها لا تستطيع إخفاء غلها وحسدها
وحسرتها

((بالمناسبة.. عرفت من أحد أقارب هيام بأن زوجتك السابقة
إيما حامل بتؤام.. استغفر الله العظيم مثل الأرنبة.. لا فائدة
ترجو منها إلا إنجاب الأطفال.. كآلة إنجاب حرفيا.. كيف
ستستطيع الاهتمام بطفلها الصغير الذي يبلغ من العمر شهرا
ونصف وهي قريبا ستنجب تؤام؟))

ظهر الامتعاض على وجه أحمد ليقول لوالدته بحاجبين
معقودين محاولا إخفاء حرقه قلبه بأنه إيمان ستنجب المزيد من
الأطفال

((أمي ما الحاجة لذكر سيرة إيما؟ لقد تطلقنا وانتهى كل ما
بيننا))

لوت والدته فاهها وهي تقول ببراءة

((لا لشيء.. فقط أتساءل ألا يؤلمك أنها..))

قاطعها احمد بصوت خشن منفعل ومثقل بالقهر

((نعم أمي.. نعم.. أحيانا يؤلمني أن إيمان لم تنجب مني إلا
عدنان.. وأنجبت فورا بعد زواجها من زوجها عر أولاد.. ولكن

أيضا ما الحاجة لذكر سيرتها أمامي؟ هل يعجبك رؤية الألم
والوجع بي؟))

شعرت والدته ببعض الذنب يغزوها عند رؤية حدقتنا ابنتها
مشعتان بندم وألم رهيبان..

وهي لم تقصد بذكر سيرة إيمان أمامه إلا تحفيزه أكثر على
الزواج وإنجاب أطفال له..

قاطع إياد حديثهم ليلتقت احمد له وكأنه تذكر الآن وجود أخيه
فقط

((أنه النصيب يا أخي.. أنت تزوجت من أخرى وهي تزوجت
وكل واحد فيكم اخذ نصيبه في هذه الحياة.. فلا تحزن وتمنى
الخير لها))

وقف إياد من مكانه بنوي المغادرة فسأله أحمد بمباغته عن كل
الحديث الذي دار سابقا بينه وبين والدتها

((إياد ما رأيك؟))

نظر إياد للحظات لوجهه ثم قال له وهو يهز كتفيه قبل أن
يغادر

((وجهة نظري الشخصية هي أن افعل ما تراه مناسب وما
يرحك يا أخي.. لقد فقدت بكل صراحة أخر ذرة اهتمام أملكها
تجاه أمورك العاطفية))

=====
=====

مدت إيمان المستقلية على سرير بجانب زوجها يدها فوق
معدتها تكبح تلك الرغبة الجامحة بالتقيؤ بداخلها..

لكن سرعان ما قفزت من سريرها نحو الحمام المرافق للغرفة..

اعتدل ادم شبه جالسا مكانه وهو يفتح نصف عينيه ويقول لها
بصوت أجش إثر النوم

((هل أنت بخير يا إيما؟))

وصله بعد لحظات كلماتها

((لا تقلق أنا بخير))

اطمئن ادم وعاود الاستلقاء على ظهره..

فالتقيؤ من علامات الحمل الصباحية الذي يجب عليه أن يعتاد
على زوجتها فعلها في حملها الرابع هذا..

على عكس الفزع المبالغ الذي كان يصيبه كلما تقيأت أثناء
حملها السابقين عند إنجابها كل من ابنته وابنه أنس..

هو يكتفي فقط بوضع أي شيء ذو رائحة نفاذة جميلة تحت
أنفه حتى لا يجد نفسه يشاركها ذلك..

فضلا عن إبعاد أي مأكولات قد تجعلها تتقيأ..

خرجت إيما من الحمام بعد أن غسلت وجهها وجففتها لتخطو
نحو ادم..

كان مستلقيا على ظهره بينما يضع ذراعه فوق عينيه يمنع
مرور أشعة الشمس المتسللة من النافذة لهما..

فابتسمت بحنان لمرآه وهي تجلس بجانبه..

هي سعيدة أنه رافقها وجاء معها سوياً لشهر كامل هذه السنة
أيضا لزيارة عائلتها..

"لأجل عيونها" كما يردد على مسامعها دائما..

تحبه بل تعشقه وهي تراه كيف دائما ما يكون كريما وودودا مع أهلها ويتقبل دعمهم ونصائحهم حتى لو لم ينفذ بعضا منها..

فهو هكذا يعزز شعور لها بأن لها كيانا قويا ومستعدة لاستكمال الحمل بولادة طفلين جميلين آخرين لها منه..

شعر آدم بجلوسها بجانبه فأبعد ذراعه عنه وهو ينظر لها هامساً

((لقد تناولنا الفطور جميعا قبل ساعة ولكن لم أشأ أن أيقظك من النوم خاصة بعد أن جعلك أنس مستيقظة لأجل إطعامه طوال الليل.. فوضعت لك أطباقك المفضلة على الجانب وقامت زوجة والدك بتغطيتها.. ثم عدت لأكمل نومي معك))

قالت إيمان له بدلال وصوت خافت

((لم أتعبت نفسك؟ كنت سأحضر فطوري بنفسي..))

ابتسمت إيمان بانتشاء وهي تراه يأخذ يدها ليلائم باطن كفها
بيبطه هامسا

((لم أفعل شيء يا وجه القمر))

كعادته يحب المبالغة في تدليلها خلال فترة الحمل والرفق بكلامه وفعالها وتصرفاته معها.. وكل الأشياء البسيطة التي تسعدها..

وضعت إيمان راحة كفها على بطنها التي لم يبدا تكورها
بالظهور لتقول

((سيكونان التوأم مع أنس ذو عمر الشهر ونصف كتوأم ثلاثي.. تخيل تربية ثلاث أطفال رُضِعَ بنفس الوقت))

وضع آدم كفه فوق كفها يطمئنها.. فهما سويان يهتمان بطفلهما
أنس الرضيع..

وهذه ليست المرة الأولى لأدم بالأبوة..

فهو سبق وجرب وقرأ عن الثقافة الأبوية في الكتب بعد إنجابها
لابنتهم ثم لإنس..

وبالتأكيد بعد التجربة والممارسة لطفلين قبل التوأم مهارته
تحسنت..

قال آدم لها بصوتٍ هادئ

((لا تقلقي.. سنقسم المهام بالتساوي في رعاية التوأمين مع
أنس.. صحيح ستكون المهام مضاعفة والاحتياجات مضاعفة
والوقت كما هو.. ولكن سنتعاون معا من أجل المرور من تلك
الفترة الحرجة والمرهقة في حياتنا.. ويمكننا استغلال عدنان
أيضا.. هم أخوته وعليه تحمل مسؤوليتهم معنا.. ثم إذا كان
يريد أختًا لتسميته باسم يعجبه فعليه الاهتمام بمجالسته أيضا))

بالنهاية هو يدرك أن الوضع مؤقت مهما طال..

نعم أول سنة ستكون متعبة جدا ومرهقة وتحتاج منه العمل الدائم
والمستمر مع إيما لرعاية الصغار..

لكن بمجرد أن يكبر الأطفال سوف تخف المسؤوليات عليهما
ويعودا لحياتهما الطبيعية..

لكن وبشكل عام.. لطالما كانت الأبوة تجربة مثيرة له..

مخيفة في بعض الأحيان ومقلقة في أحيان أخرى.. لكنها جميلة
في كل وقت وممتعة..

بل هو لن يمر بتلك التسعة شهور في حياته إلا هذه الثلاث
مرات..

فلم لا يستمتع بالتجربة ويستفد من هذه المرحلة الجميلة في
حياتهما؟

ابتسمت إيما ببشاشة وهي تراه يردف

((وبالتأكيد لن أستطيع العمل من البيت طوال الوقت.. ولكن إن استطعت أن أنجز من البيت ولو جزء من عملي فسأفعل.. لنوفر الكثير من الوقت والمجهود ويسهل علي مراقبة ومتابعة أطفالي.. ومراقبة أمهم أيضاً بالطبع))

قال لها آخر جملة بحرارة وهو يرفع نظره لها بعثت..

فهو لا ينسى حتى في ظل اليوم أن يعبر لها عن حبه لها وتقديره لما تفعله..

ألا يكفي أنها تتحمل الكثير من الآلام حتى يصبح هو أبا؟
لذلك أقل ما يعطيها هو الدعم والتقدير والكثير من التدليل..

بدورها قالت إيمان له بحرارة معبرة عن حبه لها وامتنانها بوجوده جوارها

((احبك يا دم))

فهي تتذكر كل الدلال الذي يغرقه إياها وقت الحمل..

يحرص على راحتها كلياً ويراقب مجهودها في البيت ويطلب منها الراحة وأخذ وقتها الكامل في النوم والجلوس أكثر..

يساعدها في ترتيب حجر البيت أو تجهيز طعام أو كسر الممل والغذاء بالخارج..

يساعدها وخاصةً في الأمور التي تتطلب منها الوقوف أو الحركة الكثيرة والخطرة..

من تجهيز العشاء مثلاً أو غداء خفيف.. أو إخراج القمامة أو الشراء من البقالة أو فرش ملاءات السرير النظيفة..

ثم قال آدم لها يحثها

((هذا واجبي.. فالاستعداد لجنين جديد لا بل اثنين.. لا يتوقف على شراء ملابس ومستلزمات الطفل فقط يا إيما ولكن يجب أن تستعد له الأم بحالة نفسية جيدة))

أجابته إيما بمرح

((لا تقلق نفسيتي سعيدة جدا))

قال لها مبتسما وهو يعدل جلسته بالسرير

((هذا جيد.. ولكن يحبذ أيضا لك الخروج لممارسة الرياضة مثل المشي أو على الأقل ممارسة تمارين الاسترخاء))

قالت له بتذمر وهي تعاود الاستلقاء بجانبه لتعود لنومها

((من المستحيل أن اعرف ممارسة تمارين الاسترخاء هنا.. لكن في شهري الأخير سأذهب للمشي ساعة على الأقل يوميا وستصطحبني معك كما اعتدنا ولكن أنا أخشى أن يتم الطلب مني هذه المرة أيضا أن التزم الفراش وارقد طوال الوقت على ظهري.. سأمر بوقت عصيب حينها))

قال لها آدم ببشاشة

((لا تقلقي يا وجه القمر.. إذا ما طلب منك التزام الفراش سأساعدك في التغلب على هذه الأوقات وأجهز المكان من حولك.. سأحضر التلفاز من غرفة المعيشة لغرفة النوم أمامك.. وسأحرص أيضا على إحضار الجرائد والمجلات التي تتابعينها وسأشتري لك كتب جديدة عن الحمل والولادة للقراءة كما هي عادتك بوقت حملك))

نظر لها بحرارة وهي تغمض عينيها براحة بينما تمتد أناملها لتمسك كتفه ثم قال بصوت متحشرج

((هل تحتاجين إلى التدليك؟))

أجابته إيمان متأوهة

((نعم أكثر ما احتاجه الآن هو القليل من المساج لتخفيف ألم العضلات والشعور بالراحة والاسترخاء.. بمجرد أن نعود للولايات المتحدة الأمريكية سأذهب إلى مركز متخصص في التدليك.. ولكن المشكلة أنه من الصعب إيجاد موعد مناسب في جدول مواعيد المركز المزدحمة وجدولي المليء بالمهام))

التمعت عينيه بمكر وهو يقول لها

((إذا لماذا الانتظار حتى عودتنا للولايات المتحدة الأمريكية؟ وماذا أفعل هنا؟ أستطيع بخطوات بسيطة إجراء تدليك لك بفعالية وكفاءة))

بعد ساعتان..

كانت إيمان بالمطبخ تقضم الخبز بنهم وهي تتناول فطورها المتأخر في الظهيرة عندما دخل ابنها عدنان عليها فجأة هاتفًا بضجر بصوت حاول ألا يكون مسموعًا للخارج

((أمي.. أن جدي يلح عليّ بالذهاب عند أبي ولو على الأقل اللقاء السلام عليه قبل أن نعود للولايات المتحدة الأمريكية))

رفعت إيمان نظرها لها وهي تقول له ببساطة

((حسنًا افعل كما يقول لك))

شد عدنان على أسنانه هادرا بعناد

((ولكني لا أريد.. لا أريد.. لماذا لا يوجد هنا حرية شخصية؟ جدي وأبي ادم يضغطان عليّ.. أشعر أنني حائر ولا اعرف ماذا سأفعل.. فما رأيك أن..))

بتر حديثه بتردد للتنهد إيمان قبل أن تسأله

((ما رأيي بماذا؟))

قال عدنان لها ببراعة وهو يهز كتفه

((ما رأيك أن تذهبي معي هناك؟))

عقدت إيمان حاجبيها بشدة وهي تقول ممتعة الوجه باستنكار

((ماذا؟ هل تمرح؟ لقد جننت يا عدنان.. كيف تريد مني مقابلة

زوجي السابق وأنا متزوجة بأخر))

مسد عدنان جبهته ثم قال بصوت ضائع

((أمي أنا لا اقصد.. ولكني لا أريد مقابلته لوحدي حقاً))

قالت له إيمان بامتعاض

((إذا لا تقابله فليست مشكلتي.. ولكن لا تطلب مني القдом.. لا

لشيء إلا احتراماً لأدم زوجي يا عدنان))

تنهد عدنان لتتهف به إيمان بحنق شديد

((اذهب وأكمل ألعابك الإلكترونية مع خالك أسامة واتركني هنا

أهناً بطعامي))

دخل آدم للمطبخ وهو يتسائل باستغراب

((ما بها وجه القمر الأمر غاضبة؟))

قالت إيمان وهي تنظر لعدنان بلوم

((لا شيء.. عدنان يستفزني ببعض الأمور ولا يستخدم عقله))

أجابته آدم برتابة وهو يبدأ بصنع قهوته وقد اعتاد على التصرف

براحة ببيت حماه

((إيما لا أدري ما قاله.. ولكن إذا غضبت من شيء عليك
التعامل مع من أغضبك ومصارحته لا الهتاف بحنق))

ألقى آدم نظرة عليها وهي تأكل لتعتقد إيمان حاجبها بتضايق
وهي تقول

((لا بد أنك تتعجب من طريقة أكلي مثل الفيل وانفتاح شهيتي
للأكل وأنا ما زلت في بداية حملي.. وكان الحرب غداً))

قهقه آدم وعدنان على كلامها ليقول آدم

((لا تقلقي لم أعد أتعجب من قدرتك عند الحمل على الأكل..
ولا على كميات الأكل التي تلتهمينها في الوجبة الواحدة.. ولا
في قيامك بالأكل بين الوجبات))

ثم نظر نحو عدنان مردفاً بمزاح

((عدنان حبيبي أمك حامل فلا تأخذ انفعالاتها العاطفية على
مأخذ الجد))

حرك عدنان رأسه بيأس مقهقها بمرح

((لا تقلقي يا أبي.. أنا أيضاً لا أخذ قراراً بناءً على غضبها أو
بكائها أو صراخها المفاجئ.. بل أتقبل ما يبدو منطقياً وأتجاوز
عن أي شيء آخر.. وأتذكر دائماً أن تلك هي الهرمونات
والتقلبات المزاجية للحامل كما أخبرتني))

جلس آدم على نفس الطاولة أمام إيمان وهو يتابع السخرية
بأسلوب مسرحي

((نعم أحسنت.. قل لنفسك باستمرار "هرمونات.. هرمونات")

لم تكن إيمان مركز معهم ونظرها يلتصق على كوب القهوة التي
وضعتها آدم أمامه لتقول ببراءة وعيناها مغبيتان في الكوب

((ادم.. أريد كوب القهوة خاصتك))

سكت آدم يزم شفنتيه وهو يخفض نظره لقهوته ثم قال وهو
يعتدل واقفا قبل أن يهرب بقهوته بعيدا عنها

((لا يا إيماء.. اعترف بخطأ شرب القهوة أمامك.. ولكن لن
اسمح لك بالضعف وشربها.. يجب عليك أن تبتعدني عن
الكافيين تماما))

=====
=====

انتهى الفصل

بعد أسبوعين..

تقدمت جالا بخطوات بطيئة من مراد الذي كان يجلس في غرفة
البنات يشاهد معهن إحدى الرسوم المتحركة وفي يدها صينية
تضع فيها أطباق وجبات عشاء خفيفة وكوب شاي لمراد كما
يحب أن يشرب قبل نومه والذي بالتأكيد لن يشربه كعادته منذ
مقاطعته لها..

نظرت جالا لمراد الذي لم يلق أي نظرة عليها وملامحه تطغى
عليها الجمود والهدوء وكأنه تم نحتها باحترافية يد فاسية..

ارتجفت يد جالا قليلا من القهر والحنق لا الخوف وهي تضع
الصينية على الطاولة الخشبية أمام بنيتها..

أغمضت جالا عينيها وهي تسمع مراد يقو لرورو ولين بصوت
بارد دون أن يرفع عينيها لها

((هيا لتتناولن العشاء قبل موعد النوم))

غادرت جالا حجرتهن إلى المطبخ وهي تزفر بغضب..

جلست على إحدى الكراسي وهي تشبك أناملها ببعضهم في حجرها وتطرق رأسها أرضاً..

فبعد أن رفضت بإصرار طلبه بل أمره في النزول والتردد على بيت والدته ذاك اليوم حدجها مراد بوجوم وصمت وبدون أن يتحدث معها بأي كلمة غادر من أمامها وتركها وأنصرف ليبدأ بنقل أغراضه لغرفة الضيوف في الشقة وهذا ما لم يفعله منذ أتما زواجهما بشكل فعلي..

منذ وقت انتقاله لحجرة الضيوف وقد بدأ مقاطعته الكاملة لها..

فقاطعها بالكلام فلا يتحدث إليها أبداً..

وقاطعها في الاهتمام فلا يكثر بها..

وقاطعها في الفرائش فهجرها هجراً كاملاً..

وهذا ما لا تستطيع تصديقه.. فمراد بالذات كيف أن يستطيع ألا يحتاج إليها زوجياً!

لقد استقل كلبا بالحجرة وسكن فيها مقفلا عليه بالمفتاح بابها كلما دخل أو خرج..

لا تصدق أسلوبه معها منذ أسبوعين وأنه سيستمر به معها إذا بقيت على رفضها..

فهو يعاملها وكأنها بالنسبة له كالشيخ في البيت.. كائن لا يراه ولا يسمعه..

يغادر البيت ويعود إليه فلا يلقي عليها السلام..

وبالإجازة يمكث في البيت بالساعات فلا ينظر إلى وجهها ولا يوجه إليها كلمة ولا يسألها سؤالاً ولا حتى يطلب منها أي طلب..

وأسوء شيء يقوم به أثناء مقاطعتها انه يستغني عن "خدماتها"
كلها..

وكان الحاجة لها ضعف..

فلا يكثرث إذا طبخت له طعاماً أم لم تطبخ.. فالمطاعم كثيرة..

ولا يهتم أغسلت ملابسه وكوتها أم لم تفعل.. فيمكنه الاستعانة
بأي كواء للقيام بكي ملابسه..

والمشكلة أنها.. بدأت تضعف وتستسلم.. ولم تعد تقوى على
مقاومة هذه المقاطعة وهذا الحصار إلى الأبد..

وحتى أنها ترسل إشارات اعتذار خافتة وصارخة له.. تتفاوت
بين الوضوح والغموض..

ولكنه لا يقبل أن أي شيء منها إلا بعد أن تقول له بصراحة
أنها ستطيعه وتنزل عند والدته..

رفعت جالا رأسها وغمغمت ما إن شعرت به يدخل المطبخ
ليغسل يديه بعد أن أطعم رورو ولين

((مراد.. أريد أن أقول لك شيئاً))

وكانها قالت الكلمة السحرية ليلتفت مراد لها قائلاً

((ماذا؟ هل قررت إطاعتي أخيراً؟))

شعرت جالا بصدرها يضيق فلم تجبه وهي تعود لتطرق رأسها
وتعض على شفتها السفلى..

فهي زوجة وليست خادمة.. وقد ملت من السكوت والضعف
اللذان جعلوا والدته وكل عائلته يتجبرون عليها..

لم تعد تريد أن تضغط على نفسها وتسكت وتضعف في
مواجهته..

ولم تعد تريد أن تسعى لإرضائه على حساب صحتها..

كما أنها متأكدة بأنه مهما فعلت لن يرضوا عنها لذا أخذتها من الأخر وأرادت جعل علاقتها معهم بحدود واحترام وليس علاقة خادمة وأسيادها..

وقالت في نفسها بأن مراد سيغضب ولكن لو أصرت على موقفها ولم تتنازل سيميل ويرسخ..

لكن حتى الآن لم يحدث هذا.. فمراد صار أعند منها..

كرر مراد سؤاله وهو يرى صمتها

((أجيبيني يا جالا.. هل ستخيلين عن عنادك أم لا؟))

باندفاع رفعت وجهها لتقول له وعينيها تمتلئان بالعبيرات الشجية التي تحكي مدى بؤسها وقلة حيلتها

((لا.. أنا لست مجبرة بزيارتها.. لا أريد النزول عندها))

قالتها ثم زمت شفيتها ليهتف مراد لها بعدم تصديق

((حسنا كما تريد.. لن أجبرك))

نعم لن يجبرها.. ولكن سيبقى على مقاطعته لها ما لم تستجيب له..

لماذا يقسوا عليها؟

لم تعهده هكذا طوال سنين حياتهما الزوجية..

أكل هذا لأنها ترفض ما يجبرها عليه؟

انتحبت جالا ببؤس وهي تنظر إليه بانكسار ونظراتها تغشاها العتب والشكوى..

لكن لم تؤثر دموعها على مظهر مراد الخارجي بشيء..
لم يعد اتجاهها إلى البكاء حينما ينتابها أمر ما يؤثر عليه أبداً..
لم تعد دموعها هي سلاحها القوي للسيطرة عليه في المواقف
بينهما وانتزاع الموافقة منه وبراضه الكامل..
لم يعد يتعبه نفسياً رؤية دموعها أو الشعور بأنه هو سبب بكائها
وتعاستها..

بل صار يراه ضعفاً منها في مواجهة المواقف التي تستدعي
الحل والنقاش العقلي بدلاً من البكاء..
صار يريد لها قوة ووثاقة بنفسها وتسانده وتقف إلى جانبه في
ظروف الحياة الصعبة..
وهذا ما يتنافى مع الصورة التي تعكسها دموعها..
فغادر المطبخ كله أمام أنظارها لتحس جالاً بقبضة فتاة تعصر
قلدها لتدفن وجهها بكلتا يديها..

بعد ساعة..

وبعد أن جعلت صغيراتها يئمنُ باكراً ولمحت مراد يدخل لغرفة
نومهما بقصد جلب قطعة من ملابسه لم ينقلها مع باقي
أغراضه لغرفته التي انتقل إليها..

سارت جالاً تخطو نحو غرفة نومهما وتغلق الباب خلفها
مستدعية انتباه مراد لتقول له

((حسنا.. سأفعل كما تريد وأدخل بيت والدتك من الصباح
وأرى ماذا تريد.. ولكن توقف عن مقاطعتك هذه ولننام معا هنا
الليلة))

لقد قررت أن تستسلم له ولتتظر ماذا سيحدث بعد ذلك..

لربما وبمعجزة تتحسن معاملة والدته معها بعد انقطاعها عنها
طوال الأسابيع الماضية..

المهم أن تعود لجنته وصفاته ومودته الليلة..

نظر مراد لها صامتا بوجوم وهو يرفع إحدى حاجبيه بشبه عدم
تصديق..

لكن لم يجد أمامه إلا أن يستفيد من هذه الفرصة المنتظرة
فاستجاب لاعتذارها هادرا وهو يثأر على صرامة ملامحه
وقوة لهجته

((حسنا موافق.. وسوف نعود إلى حياتنا الطبيعية بشرط أن
تعودي أنتِ كجالات المطيعة لا لتلك المرأة العنيدة.. لأنني لن
اسمح بأي تجاوز بعد ذلك لا علي ولا على أمي.. لا باللهجة
ولا بالصوت المرتفع.. فضلا عن نسيان موضوع عمك
كلية..))

رمقت جالات مراد أمامها بنظرة متمعنة لتتمتم بضجر

((تحدث وكأني أسيء معاملتك أنتِ والدتك!))

تنهد مراد ثم هتف بجدية وهو يراها تخطو نحو السرير بوجوم
وترفع الغطاء

((منذ بداية زواجنا وأنتِ تعرفين ظروفني لذا عليك فقط أن
تعودي كما كنتي.. وتتحلمي والدي لو أردتِ فعلا للهدوء
والسكينة أن يعود لحياتنا))

استلقت جالا على السرير وهي تهدر بحنق

((حسنا.. ولكن اطلب من والدتك أن تخف عليّ))

خلع مراد قميصه ليرتدي منامة منزلية مريحة وهو يقول لها
بسأم

((سأفعل ولكن اعتبريها أنت أيضا مثل أمك وتحملها قليلا))

أغمضت جالا عينيها والغيط يستشري في صدرها وهي تغمغم
بحنق

((حسنا))

نظر مراد لها بجفاء مقتربا هو الآخر من فراش نومهما وهو
يقول

((عفا الله عما سلف لكن أنا لن أتخل عن حذري يا جالا..
ويمكن أن أعود كما السابق بأي لحظة.. هل تدرकिन هذا؟))

فتحت جالا فجأة عينيها قائلة بنبرة حادة

((نعم أدرك هذا ولكن بعيدا عن أي شيء.. غدا هو موعد
زيارة ابنة خالتك المصونة هي وولديها.. ألا يمكنك حينها
تعزيز موقفي ودعمي في هذا الموضوع؟ فزيارتي لوالدتك كرم
أخلاق مني وليس واجبا عليّ.. أقوم فيه من باب الإنسانية
ولإرضائك.. لكن إذا تجاوزت يارا حدودها معي وسلدتها أمك
لن اسكت..))

هتف مراد اسمها بصوت قوي النبرة يبتتر كلماتها ويقاطعها..

ثم قال لها مؤنبا إياه بخمس كلمات بدون زيادة

((هل كنا نمزح قبل قليل؟))

زفرت جالا وهي ترشقه بنظرات مفترسة ثم قالت له بغضب لا
يخلو من الضعف

((حسنا.. حسنا.. أنا لم أقل ما يعني أنني تراجع عما قلته قبل
قليل))

ثم أعطته ظهرها بحنق..

مرت لحظات بينهما لتلين نظرات مراد قليلا لها وهو لا يصدق
كيف صبر أسبوعين على الابتعاد عنها..

لكنه يتمنى فعلا أن تستجيب لكلامه حتى لا يسقط في هذه
المقاطعة المتعبة الطويلة التي يقوم به معها مرة أخرى..

يريدها فقط أن تعود لمجارة والدته حتى لا يفسد عليه والداه
حياته بكلامهما المهين له ويعود لحياته المستقرة السعيدة وتبحر
سفينة حياتهما بأمان..

نعم هذا ما استنتج له.. لن يتحقق توفير البيت الدافئ المستقر
لهما والسكن إلا برضوخ كلاهما لأوامر والديه..

يحتاج فقط الأمر منها للصبر والحلم كما يفعل هو معها إذ أنه
لطالما كان يتقبل كل كلام والديه بهدوء معتبرا إياه درسا يوميا
لا بد منه وتحمله واجب..

ولا يركز بقوة على هذا الأمر حتى لا يأخذ منه مساحة كبيرة
من التفكير وبالتالي يشغله عن الاستمتاع ببقية يومه وحياته..

مال مراد قليلا لها وهو يعاود التساؤل كيف استطاع الابتعاد
عنها لأسبوعين..

كيف استطاع فعلها دون أن تكون أقرب من أنفاسه إليه!

قرب مراد ثغره لأنها قائلا بصوت متحشرج

((جالا.. اشتقت لك))

لكنها نفضته عنها بعنف وهي تخبره بصوت حاد

((ابتعد عني أريد النوم))

كانت مشتاقة حد الموت لتوسد صدره الرجولي بينما يرشق
سمعا بأعذب كلمات الحب والعشق ترفعها إلى عنان السماء..

ولكن غضبها وحنقها منه تغلب على أي اشتياق وحب فرفضت
أي قرب منه الآن..

بينما هو كان يشعر بنهم ورغبة كبيران للارتواء من جنتها
يكبلانه بقوة بدون قدرة لمنعهما..

فعاد يلح عليها ففتحت عيناها على همساته بالقرب من أذنها
بينما يحاول سلبها تحكمها بأوصالها..

استدارت برأسها له ونظرة واحدة من عينيه وأنفاسه التي
تدغدغ ملامحها بدفته حتى استسلمت له ببساطة لتغوص معه
في ملاذه المثير..

=====
=====

مسدت يد سارا خصلات شعرها الذي تركته حرا حول وجهها
وقد تناثر بسبب حركات يديها التي تخللته مرارا بعنف إثر
حديثها الحاد مع ميادة عقب أن وضعت الهاتف على منضدة
الزينة أمامها على مكبر الصوت

((اكتشفت يا ميدو بأنه عليك قبل الوقوع في الحب مع أحدهم
التأكد أنها علاقة حب حقيقية ولا يتم التلاعب بك.. والتأكد
أيضا من أنك لن تكوني ملكية خاصة وحق تصرف مطلق
للشخص إلى أمامك))

قالت لها ميادة متذمرة

((لماذا تتحدثين عن راجي يا سارا بهذا الشكل؟ أنا أراه
يعشقك.. بل راجي يبذل جهده لإسعادك.. ما الخطأ بذلك؟))

تنهد ساخط صدر عن سارا وهي تغمغم بضجر

((اشعر بأني في علاقة حب غير حقيقية معه.. أعني بالأمس
كنت أزور لارا.. وتأخرت عندها حتى الليل.. ووقتها لم
يتركني راجي خمس دقائق دون اتصال.. يتفقدني كل خمس
دقائق لمعرفة أين أنا وإذا ما خرجت من عندها بعد وأين
وصلت.. ومن هي هذه الصديقة التي أزورها وهل هي متزوجة
ومن أي عائلة.. شعرت بالحرج أمامها وكرهت حياتي حقا))

أخبرتها ميادة بخفوت

((يبدا أنه كان قلقا بشأنك))

صححت لها سارا كلامها من وجهة نظرها

((إنه لا يقلق بشأنني كما تقولين.. بل يحاصرني))

خرج صوت ميادة مترددا

((ربما يبالغ لكنه بالتأكيد لا يقصد هذا))

صمتت سارا لبعض الوقت ثم قالت بفتور

((بعد زواجنا هذا الذي استمر لسنتين لاحظت بأنه يستخدم
"لأنني أحبك" كعذر دائما عندما اغضب من تصرف ناتج عنه..
صديقني يا ميادة إنه يؤكد لي بلسانه أنه أخطئ لكن لكل
الأخطاء مبرر واحد وهو أنه يحبني.. فهو يغير عليّ لأنه
يحبني.. لا يريدني أن أسافر خوفاً عليّ ولأنه يحبني.. وهناك
عدد لا حصر له من الأمثلة))

شعرت ميادة بالحصار ولم تعرف ماذا تقول حقا فهدرت بتخبط

((لا أدري ماذا أقول لك يا سارا.. لكن اعتبريه مثل الأب
الناصح يخاف عليك ويفلق على حالك))

هو فعلا هكذا معها.. ولكنها تكره عندما يأخذ هذا الدور ويقدم
لها نصائح باستمرار في كل ما تفعله أو في كل خطوة تتخذها
في حياتها أو خروجاتها.. أو حتى في الإنفاق..

أحيانا تجده فجأة يقرر ما هو مهم أو غير مهم بالنسبة لها وكأنه
يعلم أكثر منها ما هو الأفضل لها..

وكان علاقتهما علاقة إشراف وتوجيه..

تنهدت سارا وهي تقول بقتامة

((هل تعرفين لماذا طلب الزواج مني بعد كل هذه السنين؟))

سألته ميادة بفضول عاقدة الحاجبين

((كيف؟))

أجابت سارا وهي تقوم بالتحليل

((أحيانا شخص مثل راجي يريد العيش بمفرده بعيدا عن
الناس.. لكنه مع الوقت يحتاج إلى وجود شخص آخر في
حياته.. فيلجأ لحيلة تشبه الصيد يقوم باصطياد الطرف الآخر
ويرغب في احتكاره.. فإذا كنتِ الفريسة سيبدأ في إبعادك عن
تحبين.. وعن أنشطة تحبينها.. فهو يرغب في امتلاك وقتك كله
ويقائك معه بشكل مستمر في جزيرته المنعزلة.. هل تفهمين
علي؟ أنا كنت هذه الفريسة.. كان يعرف بأنه لن يجد غيري
تقبل به))

أخرجت ميادة مهمات تفكير.. قبل أن تقول أخيرا بصراحة

((سارا أنتِ معتوهة))

تجاهلت سارا سخريتها وهي تتابع كلامها

((شكرا لك يا ميدو.. لكن المهم أن هذه ليست علاقة طبيعية فأنا مللت واشعر بأني في السجن بعد أقل من سنتين زواج.. فلماذا أكون كل شيء بالنسبة لشخص واحد؟ فعندما يكون في إجازة من عمله لا يرغب بأن انشغل بشيء عداه.. حيث يخبرني أنه يشناق لي ويرغب في رويتي والبقاء معه طوال يوم إجازته.. ولا يجب أن ارفض ما أقوله.. أو سيبدأ في سلسلة أفعال أولها الغضب وأوسطها الدراما بأنه يفقدني وأني لا أرغبه.. وأخرها أن يشعروني بالذنب بأني لا احبه مثلما يفعل))

قالت لها ميادة بألية وبعد التفكير مرة أخرى

((ممممم.. لا أدري ولكن وصراحة من مجرد سماع كلامك.. بدأت اشعر بالاختناق))

أضافت سارا تتابع معاناتها بدرامية

((نعم.. أنا أعاني كثيرا بتحمله.. ما زالت صغيرة جدا على الزواج أساسا))

سمعت سارا صوت خطوات على الدرج ثم صوت فتح مقبض الباب لتقول ببرود قبل أن تغلق الهاتف

((لقد عاد راجي من عمله.. إلى اللقاء ميدو))

قال راجي بسخرية بينما يدلّف لحجرة نومهما

((لا يا سارا.. لماذا أغلقتِ الهاتف! أكملني حديثك لها عن شكوتك المعتادة عني.. لا تدعي حضوري يزعجك أو يمنحك من إكمال مكالمتك معها))

سألته سارا ببرود وهي تستلقي على فراش السرير

((لماذا تأخرت بعملك؟))

أجابها بنفس درجة برودها

((لا علاقة لك))

هزت سارا رأسها بكبرياء وتمنع وهي تشيح بوجهها عنه
للطرف الآخر قائلة

((أعرف ما الذي تفكر فيه يا راجي))

تذمر بصوت عالي قائلا بضجر

((يا الله! هل حان موعد "قراءة الأفكار" لهذا اليوم))

وعندما لم تلتف له أو ترد عليه قال لها بوضوح وبنبرة قوية
قبل أن يدخل الحمام الملحق بحجرة نومهما

((سارا توقي عن أسلوبك هذا.. مصدر كبير لخلافتنا المشاكل
الناتجة عن سوء الفهم بيننا بسببك.. أنتِ تفسرين تصرفاتي
على مزاجك وتصدّقين تفاسيرك دون الرجوع إلي حتى.. كف
عن بناء أفكار خاطئة في عقلك الصغير))

ولكن وكالعادة.. كلما صار خلاف بينه وبين سارا تغضب
وتمتنع عن الحديث معه.. حتى لو كانت هي المخطئة..

وفي كل مرة هو من يبادر ويصالحها مراعاة لمصلحة حياتهما
الزوجية حتى لا تكبر الفجوة بينهما..

فهو دائما ما يحرص معها على التهاور بهدوء وحكمة..

دائما ما يكون التفاهم والتكامل والتنازل والتصالح والتصارح
والإغضاء والتسامح من جهته..

خشية أن يصر هو أيضاً ويعاندها.. ويحصل الانفصال بينهما
للمرة الثانية..

لكن هذه المرة فلا تحلم أن يبدأ هو.. لن يتنازل هذه المرة
أيضا.. اكتفى بذلك ويشعر بأنه سينفجر من أفعالها..

هم راجي يأخذ حماما دافئا عله يهدئ أعصابه ويذهب ذلك
الصداع الذي يكاد يفتك برأسه..

وعقب أن ارتدى مازره وأغلق باب الحمام خلفه حتى فكر
بحسرة أين حياته من الحياة الزوجية التي تمنأها من تحصيل
العفة والسكن النفسي والذرية..

خاصةً عندما ينظر إلى العلاقات الأخرى بين أقاربه أو
أصدقائه وزوجاتهم..

من الآن لن يتردد بالغضب عليها.. بدون أن يتردد.. بدون أن
يكنم أو يتجاوز..

فإلى متى يتحمل المشاكل التي تثيرها وتنغص على حياتهما
لأسباب تافهة؟

لا مانع عنده من الاعتذار عند التسرع وأي خطأ يرى أنه وقع
فيه.. وهذا لا ينقص من شأنه..

لكن كثرة التنازلات تؤدي إلى ضياع قيمته ومكانته بزواجهما..

فسارا لا تعترف بالخطأ وفي أثناء أي مناقشة ترى نفسها دائما
على حق وأن رأيها صواب..

حتى لو لم تكن تعلم كثيرا عن الموضوع ولا يههما ما هو
الموضوع.. المهم أنها على حق دائما حتى لو كانت في الحقيقة
خاطئة..

بتلك الرحلة التي ذهبأ فيها الى البحر سعدا في البداية بها
كثيرا..

لكن وبمجرد أن حان وقت العودة وطلبت منه أيام إضافية
ورفض لظروف عمله انقلب حالها من السعادة إلى اليأس
رافضة أن تتحدث معه وتكلمه أبدا طوال طريق العودة..

ولم يكن غريبا تصرفها فهو دائما ما يجتزئ ساعات طويلة من وقته ليذهب معها للتسوق من سوق تجاري إلى آخر ويحمل عنها أكياسها..

ولمجرد أن يقرر عودتهما للبيت قبل أن تقرر هي لا تتحدث معه أيضا طوال الطريق وأحيانا لا تكلمه لأيام..

الآن لم يعد يريد منها أي أحاسيس ومشاعر.. فقط يريد أن تبتعد بنكدها وتذمرها عنه..

إلى متى يكرس حياته كلها ووقته وماله وجهده لأجل امرأة لا تقدر ذره واحده مما يقوم به تجاهها؟

إلى متى سيفرط بنفسه ويجعلها رهينة لها؟ أليس لنفسه عليه حق؟

فقد أصبح واحدا من الرجال الذين يهزون رأسهم دائما علامة على الموافقة على كل ما تقوله وعلى كل شيء حتى لو كان بداخله يرفض ذلك..

لأنه وباختصار غير قادر على التعبير عن رأيه بشكل صحيح..

يشعر بأنه مقيد ومخنوق من هذا الزواج.. حد أنه بات لا يريد العودة للمنزل..

نعم حتى بعد يوم عمل طويل يشعر أنه لا يريد ولا يرغب بالعودة إلى المنزل نهائيا..

لكن الآن.. سيقالب كل شيء ضدها..

سيكون هو سبب المشاكل التي تحدث بينهما بعد أن كانت تختلق مشاكل بلا أي سبب..

حتى وان كانت الأوضاع ممتازة ولا شيء يستدعي الغضب.. سيغضب..

عليها أن تشعر بأنه أصبح شخصا آخر..

ولن يتراجع بحجة أنها شريكة حياته فهو شريك حياتها أيضا..

سيستمر على هذا الحال حتى تتغير شيئا فشيئا للأفضل وتبدأ
المودة بينهما..

ويصبحا تدريجيا أكثر تفاهم ومرونة وتقبل لبعضهما..

=====
=====

بينما كانت هيام تجهز العشاء سمعت صوت مقبض الباب يُفتح
ففتفت من مكانها

((احمد حبيبي هل وصلت؟ اغتسل وتعال فقد أنهيت تجهيز
العشاء لك))

عادت تسترسل كلامها ما إن شعرت بدخوله

((بشأن الكلية الشرعية أنا بالفعل انتسبت لها وانتظار
قبولي..))

بترت كلماتها وهي تستدير للخلف تنظر له..

رأته يتقدم منها برأس مطرق الرأس حزين وهو يلقي بسلسلة
مفاتيحه على المنضدة..

قال احمد لها وهو يتحرك بخطوات هادئة نحو غرفة النوم
بدون أن يبادلها أنظاره

((هيام اتبعيني.. هناك شيء أود إخبارك إياه))

ألقي احمد بجسده فوق الأريكة الموضوعه بغرفة نومه بإرهاق
وهو يزفر بقوة..

نظرت هيام التي تبعته وتغيرت ملامح وجهها إليه بتأمل لطلبه
التحدث معها..

وقفت تتأمل تقاسيم وجهه التي بدت عليها في بداية اللحظات
الأولى الحرج الشديد..

ثم سرعان ما تحول الحرج إلى دموع مترققة بعينيه ليطرقت
برأسه أكثر أرضاً..

لم تفهم هيام لما شعرت بالألم الكبير وهي ترى عبارات احمد
الذي لم يرفع رأسه من النظر أرضاً تخرج من عينيه..

اقتربت منه ومسكت يديه وهي تسأله بود وعطف بمحاولة منها
أن يتوقف عن الانفعال والدموع

((سلمك الله يا احمد من كل شر.. ما بك يا حبيبي؟ هل حدث
شيء؟ هل والدتك بخير؟))

صمت احمد قليلاً ثم قال بصوت منخفض

((هيام.. أنا.. أنا..))

كلماته ولهجة صوته جعلتها تشعر بارتياح وخوف..

وكانه مذنب أو حتى نادم على شيء فهذا ليس بحاله أو
أسلوبه..

لكنها ازدردت ريقها وهي تبعد تلك الأفكار السوداوية التي
بدأت تباغتها عن عقلها..

فسألته بصوت خافت مهزوز

((ما بك يا احمد؟))

تنهد ثم رفع يديه يحتوي كفها وكأنه يسألها السماح والصفح لما
سيقوله..

لكن وبلحظة شعرت بأن هناك غصّة تخنقها..

انتفضت يديّ هيام عنه وهي تبتعد للخلف بخطواتها الهزيلة..

ويرجفة شهقت وهي تسأله

((ما بك يا احمد؟))

صمت للحظات وعاد يشنت نظره ويخفضه أرضا..

فاقتربت منه وهزت كتفيه بيديها وهي تقول له بأعصاب شبة
ميتة

((أنطق يا احمد.. هل جرحت قلبي في الصميم؟ هل أبكيت
عشرة السنين؟ أرجوك انطق.. هناك إحساس يثقل كاهلي
ويجتاحني.. فانطلق وقل لي بأن ما أفكر به هو محض أوهام))

رفع احمد رأسه ينظر إليها تلك النظرة المتكلمة..

فعلمت بأنه يريد أن يخبرها حقيقة مؤلمة.. وربما تكون
مصيرية.. وربما تكون ضربة قاضية..

ذهول الصدمة مما قد يقوله جعلتها تنتظر إليه في صمت قبل أن
تسأله بصوت مختنق

((أنت لم تفعلها.. لا يمكن أن تكون فعلتها))

فتح احمد فاهه.. لكن الكلمات ترددت قبل خروجها.. وضاعت
حروف نبراته في خفاء..

وكانه جاء بالكلمات ولكن استصعب نطقها..

فقال عوضها عنها وكانه يستنجيها وعيناه تبرقان بلمعة عبرة

((هيام.. يا حب عمري.. أنا))

جلست هيام على حافة السرير أمامه وهي تحدق به وتهز
رأسها ليتكلم بالخبر اليقين وهي تقول به بثبات مقتعل

((أنت ماذا يا احمد.. قل أرجوك))

وقف احمد من مكانه ليجلس بجانبها وامسك بيدها وكأنه يعاود
طلب الصفح لما سيقوله الآن..

فسألته وقد بدأت عبراتها تتجمع بعينيها

((هل تزوجت؟))

هز احمد رأسه تأكيداً لكلامها فجاءت هزة رأسه كضربة
قاضية.. كرصاصة نافذة لها..

ثم قال لها بنبرة غير ثابتة سقطت عليها كسيف قاطع بعد تلك
الرصاصة التي تلت الضربة

((لقد تزوجت يا رفيقة دربي.. لقد عقدت القران عليها قبل أن
أتيك مباشرة))

نظرت هيام له بصدمة وبلا أي تصديق وقد مرّ شريط كل
عمرها المتعلق به أمامها..

مستحيل.. هل عقد قرانه على غيرها؟

شعرت بقلبها وروحها وحتى أحشائها تحترق بنار كاوية..

شعرت بجنون المطعون بخنجر ليس لأحد سبيل أن يخرجها
منها بعد أن وقع زواج احمد من غيرها حقيقة..

احمد الذي تفرغ قلبها لحبه وعشقه منذ أول لحظة رآته فيها..

كان الألم بداخلها لا يطاق وكأنها تعيش كابوساً مروعاً..

لكنها قالت مبتسمة له بقهر وسخرية تؤلمه

((إذن اليوم.. أنا استيقظت صباحاً لأختار لك ما ترتديه وقد
دققت باهتمام حلة أنيقة للاجتماع الذي أخبرتني أنك ستحضره
وحرصت على إضافة لمساتي.. فضلاً عن نوع العطر المناسب
لك.. لأجد في النهاية أنني قد جهزت لك لعقد قرانك على امرأة
غيري؟))

شعر احمد بكلماتها تهزه وتجلده وتعذبه بعنف..

فأخذ يحرك رأسه يميناً وشمالاً وهو يتمنى أن ينفي كلامها..

لكنه بالنهاية قال متمتما بصوت خرج مبوحاً بندم يذبها ذبحاً

((لقد كان عقد قران فقط.. وحضر بعض الأشخاص من الأهل
فقط))

كلماته الصريحة وإقراره بعقد قرانه من غيرها أصابتها بنزف
أغرقت بها ببحر البؤس وزلزلتها أيما زلزال..

شعرت هيام بنفسها بداخلها تعلو وتهبط.. تصول وتجول..

بينما هي في الحقيقة ساكنة في مكانها بلا حراك..

شعرت بشيء ينخر بكيانها.. شعرت بنفسها تنزف..

سألته بوهن وألم وهي ترجوه بينما انزلقت أول عبرة من عينها
على خدها

((أرجوك أخبرني أنك تمزح معي؟))

لا تصدق أنه تزوج من غيرها..

كيف يتزوج بعد أن كرر على مسامعها ملايين المرات بأنه
مكتفٍ بها ولن يستطيع الزواج بغيرها!

كيف يتزوج بعد أن قال له عن عذابه أثناء زواجه من إيمان وأنه من المستحيل أن يكرر خطئه ويتزوج من غيرها لأن الزواج من امرأة ليست هي.. عذاب بالنسبة له..

راقبت هيام تفاصيل وجهه وهي تعود بذاكرتها قبل عقد مضي بفترة زواجه من إيمان ليتردّد بذهنها لكلام سبق وقاله لها وقتها بصرامته وخشونته عن إيمان

"إنها زوجتي ولها مكانة كبيرة بقلبي.. ولكن هذه المكانة تتهاوى بسرعة أمام سوء أخلاقها وشراستها التي تلجئ إليها دفاعاً عن ممتلكاتها.. ولكن لا يا هيام.. الحقيقة أنني لست ملكاً لها.. نعم أنا لست ملك لها.. ولا حتى ملك لك.. أنا ملك نفسي.. يمكن أن اعزرها في البداية ولكن لا أعدك أن يستمر ذلك إن طال عليه الأمر"

"ولكن لا يا هيام.. الحقيقة أنني لست ملكاً لها.. نعم أنا لست ملك لها.. ولا حتى ملك لك.. أنا ملك نفسي"

"نعم أنا لست ملك لها.. ولا حتى ملك لك"

"ولا حتى ملك لك"

نعم هو يعتبر أنه ملك نفسه.. ونفسه فقط ولا أحد غير نفسه..

فمهما سبق وكرر عليها انه لن يحب أو يتزوج من غيرها إلا أن الحقيقة والحقيقة الوحيدة الصادقة سبق ونطقها أمامها..

أنه ملك نفسه..

شعرت هيام بنار عاصفة هوجاء تحرقها من الداخل وهي تترك أنها بغياء من تجاهلت كلامه ولم يكن يحركها حينها إلا أنانيتها وحبها له..

مرت لحظات عليهما..

ثم رفع احمد رأسه المطرق لينظر بعينه لعينيها اللتان
تصرخان ألما فيه بمشاعر مشبعة بالسخط والإحساس بالألم..

يتفهم احمد أن واقع هذا الأمر لن يكون سهلاً عليها كما رأة أن
تتقبله حتى ولو أنها سبق ووافقت عليه وهو متزوج من
غيرها..

ضج ألم على حالها بداخل صدره من غدره بها وصدح من
عينيه..

بينما تألم قلبه الذي كان يشاركها البكاء على حالها..

فقال بصوت متهدج صادق وبداخله غصّة ندم تكاد تخنق
كلماته

((ليتني كنت امزح.. ليتني))

شعرت هيام مجددا بعد ما قاله وكأن الدنيا تدور بها ليلفها
الشعور بالغدر والخيانة من قبله..

هزت رأسها نافية بياس..

لا.. لا تزال لا تصدق أنه تزوج..

احمد.. زوجها.. حبيب العمر.. لا يمكن أن يتزوج ويعقد قرانه
على غيرها!

كيف يمكن له بعد أن تخطف كلاهما الأربعين من عمرها
وقضى كلاهما سنوات حب مع بعضهم أن يتزوج!

كيف يمكن له بعد مرور عشر سنوات من العشرة أن يتزوج
بغيرها!

بغض النظر عن الأسباب.. مهما كانت..

كيف له أن يتزوج! كيف! كيف!

لقد تزوج! تزوج من غيرها!

بقيت هيام جامدة وساكنة مكانها وقد تهاوت أمام عينيها ورغما
عنها كل ما قضته لأجله..

سنين حياتها.. شبابها الضائع..

شعر احمد الجالس بجانبها بالذنب نحوها يتفاقم بداخله أكثر
وأكثر وكأنها أشواك دامية توخز ضميره..

فاقترب ليحاول احتضانها قانلاً بصوت مشبع بالذنب وهو يراها
جامدة جمود الموتى

((هيام حبيبتى أرجوك اصغى لي.. لا أريد أن أبرر لك أي
شيء.. ولكن اقسم لك برب السماء انه لا يهون عليّ دمة
منك.. والأخرى التي سأزوجها كنت أريد أن أبقيا سرا ولا
يعرف بها أحد إلا إذا نجح الأمر وأنجبت لي.. لأقدمها بعدها
للجميع على أنها أم أولادي فقط.. ولكن لن أستطيع ذلك.. عليّ
الزواج بها بشكل رسمي.. لكن أنت يا هيام لست ملزمة بأن
تعرفيها أو تربها لا هي ولا أولادها.. لا أريد إيلاكم.. أو
بالأحرى.. لا أريد إيلاكم أكثر))

ما أن أنهى كلامه حتى خرجت هيام من حالة الجمود التي
تلبستها..

وبعد أن احتلّها الصمت طويلاً انهارت باكية وهي تغطي فاهها
براحة كفها وتغمض عينيها..

تبكي روحها المفجوعة وقلبها الغائر في جرحها..

وكان الأرض تميد بها لتخرج من هذه الأرض إلى كوكب آخر
ليس به سوى قلبها المنكسر..

ازداد نحبيها بشكل جنوني أثار فزعه لتدرك بأنه يقوم
باحضانها..

فدفعته بعيدا عنها وغضبها تجاه غدره بها يحركها..

لا تصدق.. لا تزال لا تصدق.. ولا تعرف كيف ستصدق..

لقد عقد قرانه وتزوج من غيرها وها هو يتحدث الآن بعد أن صار الأمر واقعا ولا مجال للعودة بالزمن!

لم تغلق بإبعاده عن أحضانها بسبب قوة تكيله لذراعيها..

شدد احمد من اعتصاره لها بين ذراعيه وأطرق رأسه فوق رأسها عنوة وهو يتمتم لها بوجع وهو يغمض عينيه

((أرجوك يا قطعة من قلبي أهدأي.. أرجوك.. لولا حاجتي للأولاد والا لما تزوجت.. أنت إنسانة عاقلة ومؤمنة.. اعتبري الأمر برمته ابتلاء.. ابتلاء ونصيب.. أرجوك دعينا نتخطى الأمر معا.. أرجوك))

"كاذب.. كاذب.. كاذب.. كاذب.. كاذب.. كاذب"

هذا ما كنت تردد هيام بذهنها بجنون وهيستريا..

لو كانت الأبوة هي ما تحركه..

لما كان استطاع أن يمضي العشر سنوات الماضية بعيدا عن ابنه الوحيد عدنان..

أين كانت أبوته عندما كان يعلم كل سنة بأن ابنه موجود فوق أرض الوطن ويبعده عنه فقط بضع كيلومترات؟

بقيت هيام تنتفض بين ذراعيه لدقائق وهو يحتويها بحنان بين ذراعيه..

تارة يهددها بتمتماته الهامسة وتارة يشعر بأنه يبكي معها..

حتى هدأت أخيرا بعد أن أنهكت..

ابتعد احمد عنها بوجهه المحتقن ألما عليها يعتذر ويبيكي..

ثم أعلن متمتما قبل أن يغيب متوارياً في خجله بصوت واهن
ضعيف ومثقل بالذنب

((سنقيم حفلة زفافنا بعد شهر يا هيام))

ثارت خفقات قلبها أكثر.. وشق ثغرها شبح ابتسامه متهمه
وهي تتمتم بيؤس بحدقتين محترقتين

((هل ستقيم.. حفلة زفاف لكما أيضا.. يا احمد؟))

غلا أنه غادر من أمامها مغلقا الباب خلفه بدون إجابة..

بقيت هيام على وضعها لأكثر من ساعة مخرجة شهقات خافتة
منها وهي تشعر بأعصابها جسدها تتراخي وظهرها يزداد
انحناءه انحناءً..

لوهلة سألت هيام نفسها من بين أوجاعها كيف أخبر إيمان عن
زواجه بها عندما وافقت على طلب زواجه هي؟

وبماذا أحست إيمان بتلك اللحظة وهو يخبرها بارتباطه بغيرها؟

الآن فقط حتى عرفت بأن الدنيا وباختصار تكيل لها بمكيالها..

استطاعت هيام بصعوبة أن تعتدل واقفة وتسير نحو دولا ب
ملابسها..

قبل أن تفتحه شنت نظرها بغرفة نومها التي شاركتها احمد
طوال سنين زواجهما وهي تشعر بالاختناق..

كم تود الخروج الآن من كل هذا المكان والعودة إلى بيت
عائلتها..

وتساءلت رغما عنها بقهر وألم..

هل سيساندونها؟ أم سيتشمتون بها ويعايرونها بقرار سبق
واتخذته قبل عقد مضي؟

لأنها وبهذه اللحظة كل ما تريده هو أم تتلّفَقها في حضنها..
وأب يَلقِنها نشيد الحكمة..

وأخ يقوم الدنيا ولا يقعدا من أجلها..

واخت تضمد جرحها..

تنهدت هيام بحرقة وهي تخرج القليل من ملابسها في حقيبة
صغيرة..

أتمت إعداد حقيبتها وارتدت ملابس الخروج قبل أن تجفل على
صوت مقبض الباب يُفتح..

دخل احمد وسرعان ما اتسعت عيناه بصدمة وهو يسألها بألم
واستهجان

((لماذا تحزمين ملابسك؟))

حاولت هيام السيطرة على تفاسيم وجهها إلا أنها فشلت لتنفجر
بنحيب آخر وهي تقول له بوجهها المحتقن وعينيها الذابلتين
بصوتها المرتجف ألما

((أرجوك يا احمد.. أنا بحاجة للذهاب لعائتي.. أتوسل إليك أن
توصلني لببيت والدتي.. أريد أن ارتاح عندها قليلا.. أرجوك))

حرك احمد فكه بألم قليلا..

لكنه هز رأسه بجمود وهو يقول لها بنبرة خافتة

((حسنا.. أتفهم ذلك.. سأوصلك لوالدتك.. ولكن غدا سأعود
لاصطحابك.. ولن اسمح لك بالمبيت عندها يوما إضافيا))

قال النصف الآخر من كلامه وهو يرفع سبابته بجديّة وصرامة
أمام وجهها..

لم تجبه هيّام لكنها راحت تردّد بإصرار بذهنها أنها لن تعود..
لن تعود حتى لو عاشت بقية عمرها بمفردها..
لن تعاني وهو يسعد..

لن تموت وتسمح له أن يحيا على جثتها..

استقلا الاثنان سيارة احمد الذي بقي طوال طريق قيادته ينظر
للأمام تارة وينظر لها في جانبه تارة وهو يترجاها ألا تخبر
أمها بزواجه أو تجعل أحد منهم يشعر في الأمر..

فهو لا يريد من عائلة هيّام أن يعرفوا بزواجه.. على الأقل ليس
الآن..

أما هيّام بقيت ساكنة تنصت له..

حتى وجدت نفسها عندما احتل الصمت طريقيهما تلتفت لجانبتها
وهي تصرخ به بهياج وجنون

((أنا أكرهك يا احمد.. أكرهك))

صمتت ليعلو صوت نحيبها قليلا عندما وجدته مستمر في
النظر أمامه أثناء القيادة بجمود لا يعطي لعبارات كرها لها
انتباها..

نهضت الأسئلة بداخلها تنبش قلبها المتألم..

وبصوتها المتهدج ألما أردفت بأسئلة مستنكرة جاءت بارزة
وجارحة ومفاجئة له

((كيف فعلت هذا بي؟ كيف؟ كيف؟ تضربني بسكين
بوسط قلبي ثم تخبرني أن اصبر على هذا الابتلاء؟ لماذا فعلت

ما قمت به من الأساس؟ لماذا بليتني به يا احمد؟ أنت إنسان
أعطاك ربي العقل.. أنت مخير ولست مسير.. عشتُ حياتي
معك عندما لم تكن هناك أي نسبة لإنجابك وقبلت الأمر بصبر
لأنني لا أستطيع الافتراق عنك ولأني احبك.. لكن أنت.. كيف
استطعت! أنت ببساطة طعننتني بكل سهولة..))

شعرت بجسدها يزداد حرارة بينما عبراتها مستمرة بالسقوط
لتكوي وجنتيها..

حتى قال احمد بيتر صخبها بصوت خالٍ من أي انفعالات
بطريقة يحسد فيها على تحكمه بمشاعره و ببرود انفلت رغما
عنه من بين شفتيه

((توقفي يا هيام عن منك علي لأنك بقيتي معي عند معرفتك
بعقمي.. أنت لم تطلبي الطلاق مني من أجل الذرية لأنك لا
تستطيعين العيش من دوني.. وأنا أيضا لا أستطيع العيش
بدونك.. لكن بزواجي من أخرى أستطيع الحصول على أولاد
بدون مفارقتك.. هناك فرق بيننا يا هيام.. "النصرف أو حتى
الربع أفضل من لا شيء" .. أليس هذا ما كنتي تقولينه لي أثناء
زواجي بايما؟))

وكانت حجته قوية استطاعت أن تلجمها إجماء..

هي فعلا سبق وقالت له ذلك..

لكن.. لكن من هو ليحكم بأنها كامرأة تستطيع الاستغناء عن
أمومتها بعكسه هو من الصعب أن يتخلى عن أبوته!

تفكير عقيم وعنصري وغبي وجاهل مثله..

بل طريقة كلامه الآن كلها مستنزة..

أرادت أن ترد عليه بل تهمش وجهه..

لكنها لم تستطيع فعل أي شيء بل كانت أضعف من أن تدخل
بنقاش عقيم مع احمد..

لم تستطع إلا أن تعاود البكاء منتفضه بمكانها بوهن..

وهي تفكر بسخرية وبطريقة تهكمية بأنها لم تتصوره طوال
سنين حياتها واسع الوجدان وعميق الشعور لهذا الحد!

أوقف احمد سيارته بركنها أمام منزل والدتها وهو يطلب من
هيام مسح وجهها الملطخ بالدموع بالمناديل ففعلت..

نزلا كلاهما من السيارة نحو بيت والدتها التي استقبلتهما
ببشاشة وأصررت على دخول احمد معها فدخل..

بالداخل لم تستطع هيام التحكم بنفسها لتبدأ بالبكاء فجاءة أمام
والدتها التي سارعت بسؤالها بلهفة وقلق

((هل هناك شيء يا حبيبتي؟ وجهك شاحب جدا.. هل أنت
مريضة؟))

نظرت هيام للحظات بطرف عينيها لأحمد الجالس أمامها وهو
يحدق بها بتوجس ورجاء شديد..

ثم عادت تنظر لوالدتها متحججة بالمرض

((أنا بخير يا أمي.. ولكن هناك ألم في رأسي ومعدتي.. ولم
أستطع أن امنع نفسي عن البكاء))

بقي احمد لدقائق جالس معها حتى تمتم أخيرا وهو ينتصب
واقفاً من مكانه

((أنا جلبت يا عمة هيام عندك فقط لأنها مريضة.. ولكن غدا
سأعود لأخذها بعد أن تكون قد نالت قسطا من الراحة.. إلى
اللقاء))

ما إن رحل احمد من بيت والدتها حتى توجهت هيام فوراً
للغرفة التي جهزتها سميحة لها لتنام فيها الليلة..

أحكمت هيام إغلاق الباب خلفها بالمفتاح لتتأكد من أن والدتها
لن تدخل عليها أثناء الليل..

فعلى ما يبدو أن ليلتها هذه ستكون عسيرة.. عسيرة جداً وبلا
نوم..

قبل قليل كانت متمسكة ظاهرياً ولأبعد الحدود أمام عينا والدتها
المراقبة والمتفحصة لها مُدعية أن شحوب وجهها ودموعها
سببه المرض..

وبصعوبة استطاعت الهرب من إلحاح والدتها لزيارة الطبيب..

مكتفية أن تؤكد عليها أنها متعبة جداً و فقط بحاجة لنوم عميق
ولا تريد من أحد أن يطرق باب الغرفة ويقلق مضجعها..

بقيت هيام واقفة لدقائق تركن ظهرها على الباب عقب أن
أغلقته..

وسرعان ما شعرت بدوارٍ شديد وتراخت ساقها لتتهاوى
منهارة على أرضية الغرفة..

وما إن بدأت ذرف دموعها حتى رفعت أناملها لثغرها تحاول
كتم صوتها كي لا تسمع والدتها أو زوجها صراخها الموجه..

وداخل صدرها شعرت بألم عميق يستوطنها مزيج بالغير
والخذلان والغيرة..

وكان سكاكيناً حادةً تطعن بطنها حتى كادت لا تستطيع كتم
صراخها..

شعرت حرفياً بأنها قريبة من الموت إثر هذا الألم الذي ينتحب
له أضلعها من مرارة وقهر وصدمة..

ظلت طوال الطريق أثناء قيادة السيارة تسأله من بين شهقاتها
معاذرة وبالبحاح عن سبب عقد قرانه على غيرها بدون علمها
خاصةً أنه أكد لها اشد التأكيد انه من المستحيل أن يتزوج..

فأجابها احمد ببساطة أنه كان يخشى عليها من الصدمة ومن
اتخاذها قرار الترك وعدم الاستمرار..

ففضل أن يخبرها بعد أن يتزوج لعلها تقبل بالأمر الواقع وتكمل
الحياة معه..

أي أنه كان يعرف بشكل أكيد رفضها لزوجها واحتمالية طلبها
للطلاق بلا تراجع..

ومع ذلك أقدم على الأمر وتزوج.. مخاطرا بكل ما بينهما من
حب وعشرة..

ألهذه الدرجة هي رخيصة أمام رغباته؟

وحتى أن مسألة إنجابها من امرأة أصغر سنا ليست أكيدة..

نعم هو تعالج ولكن حتى الآن ليس هناك ما يضمن له أن من
سيتزوجها ستخضع لعملية ناجحة وتنجب له..

لذا هو قرر المخاطرة بكل شيء يخصهما من أجل شيء غير
مؤكد الحصول عليه ممن سيتزوجها...

ضاعت عينا هيام الذابلتان بشرود بعيد..

متى أصبح احمد هكذا نرجسيا؟

وهل كان هو نفس الرجل الذي كاد أن يقبل الأقدام لتقبل هي
الزواج منه؟

أما أنه كان هكذا وقت زواجه بابنة عمها وهي من سمحت له
بالتماذي أكثر عندما قبلت عرض زواجها؟

وسمحت له أن يكون هكذا أكثر وأكثر معها بسنين زواجهما؟

نرجسيته اعلى درجة أنانية يمكنها أن يتخيلها أحد..

فأحمد يتصرف وكأن العالم يدور حوله.. وكان الأشخاص والأشياء فعلا تدور حوله وحول رغباته..

يبدو أنها في غمار بذلها أقصى جهدها لتعويضه عن ابتعاد ايمان وولده عنه بسبب زواجه منها فقدت نفسها..

أصبحت مرهقة ومتعبة بشكل كبير ولا يصدق بقوة يعتصر القلب حزنا على حالها..

فهي لطالما حرصت على مراعاة مشاعره ولم يسبق وأن جرحته ولو بتلميح بسيط أو بمزاح..

وفي المقابل هو لا يفعل الشيء ذاته معها..

تلقائيا بدأت تتخلص من أي لحظات جميلة عاشتها معه من ذاكرتها لتبقى التعيسة منها فقط والمحزنة..

ولكن الآن.. ماذا ستفعلُ لكي توقف زحف الخريف على مساحة الخضرة المُتبقية من عُمرها؟

رفعت هيام قبضتها تضرب بها على صدرها بقوة مؤلمة نفسها وهي تغمض عينيها..

تريد من هذا القلب الموجود بأضلعها أن يختفي ويموت فهو سبب دمارها وأفعالها على مدار السنين..

صباح اليوم التالي..

فتحت هيام نظرها ببطء على صوت رنين هاتفها..

اعتدلت شبة مستلقية على سريرها وهي تنظر لهاتفها
الموضوع على منضدة بعيدة عنها بتشوش..

يكاد يفتك الصداع برأسها من أثر بكائها طوال اليوم وعدم أخذ
حاجتها من النوم إلا ساعتان فقط..

ابتلعت ريقها الجاف واعتدلت من مكانها ليتوقف رنين هاتفها..

فتنهدت وهي تغير وجهتها نحو باب غرفتها تدنو من المغسلة
لتغسل وجهها المتورم من البكاء ثم تحففه..

وعادت لغرفتها مغلقة الباب خلفها ثم اقتربت من هاتفها
لتمسكه..

فتحت شاشته لتجد العديد من اتصالات احمد الفانته ورسائل
عديدة يخبرها فيهم أنه قادم لأخذها من بيت والدتها كما سبق
واتفقا..

لكن كانت هناك رسالة أخرى من ابنة خالتها عبير تسألها عن
مكانها..

وقبل أن تهم هيام بالإجابة على رسالتها سبقتها عبير باتصال
ملأ شاشة هاتفها..

تنهدت هيام وهي تلامس مكان الإجابة ثم وضعت الهاتف
بجانب أذنها قائلة بصوت متعب

((أنا عند والدتي يا عبير))

جاءها صوت عبير مندفعاً وهي تقول لها بغضب

((إذن عرفتي بما فعله ذلك المزواج احمد))

هزت هيام رأسها قبل أن يخرج صوتها هامسًا واهنًا

((نعم أخيرني احمد عن عقد قرانه وزواجه الذي سيكون بعد شهر من الآن))

أغمضت هيام عينيها بألم تزداد وطأته في قلبها..

كيف استطاعت إيمان فعلها سابقًا؟

كيف تحملت أن تتواجد بالقرية طوال فترة زفافها من احمد؟

حفل الزفاف كان بالعاصمة بعيدا عنها..

لكن السهرات التي أقيمت لها هي واحمد لأسبوع كامل وبالقرية نفسها التي تسكن هي وإيمان فيها..

كيف تحملتها؟

كيف تحملت روحها سبع أيام من الاستماع للأغاني والإيقاعات المتواجدة لأجلها بدون أن تفقد الحياة فيها؟

لأنه حتى لو أقام احمد حفل زفافه على الجانب الآخر من الكرة الأرضية.. فلن تتحمل..

رباه.. هل ستعيش إلى حين حفل زفافه؟

فتحت هيام عينيها قائلة بصوت يقطر ألما

((قال لي عندما كنا بالطريق إلى منزل أمي بأنه سيستأجر بيتكم السابق الذي انتقلتم منه لتعيش فيه زوجته الجديدة.. لهذا انتقلت أنتِ وإياد إلى منزل آخر يا عبير واتخذتم المشفى الذي تعملون به حجة لتقولوها أمامي؟))

سألت هيام آخر سؤال بصوت مختنق وهي تبتسم بوجع..

شبهت عبير بصدمة من اتهام هيام ثم سارعت تنفي كلامها

((لا هيام.. اقسم لك أنني لم أكن اعرف بزواجه.. ذلك المزواج لم يخبر حتى إباد عن خططه في الزواج خوفا من يتم إفساده.. فقد كنت عازمة حقا على إفساد أي مخططات للزواج لأحمد))

صدر صوت ضحكة سخرية خافتة من هيام وهي تقول لها

((نعم أخبرتني.. قلتي بانك ستفعلين ذلك من أجل ألا يهنا أحمد
بأي زواج.. لا من أجلي))

أخذت عبير نفسا عميقا ثم قالت بصوت هادئ

((نعم أنت محقة.. لا أزال حاقدة عليك على ما سبق وفعلتية
بإيما.. لكن.. بما أن إيما تزوجت وهي تعيش بسعادة مع زوجها
وأولادها.. لا بأس بأن أسامحك قليلا.. قليلا فقط.. المهم.. هل
طلبت الطلاق منه؟ لأنه لو كان لديك أي ذرة كرامة فلن تقبلي
أن تبقي مع أحمد بعد أن تزوج وبعد أن صبرت على كل ما
حدث معه من سجن وعقم بل وتخليت عن أمومتك لأجله))

سحبت هيام كلامها بتنهيده وراحت تقول بحقد وعيناها البنيتان
تزدادان قتامة

((لا لم اطلب الطلاق منه ولن اطلبه أبدا.. هل تريدني مني أن
تطلق وأترك تلك الحقيرة التي تزوجته على أساس أنها زوجة
ثانية لتأخذه وتهنا به كاملا لوحدها بعد أن تحملت أنا سجنه
وعقمه وانشغاله عني بعمله لعشر سنوات؟))

قالت عبير لها بصوت بارد

((لكن هذا ما فعلتية يا هيام مع إيما))

شعرت هيام بالاحترق لحقيقة ما قالته عبير وأرادت البكاء
بقهر لعل دموعها تبرد نيران قلبها..

فتنهدت ثم قالت بصوت متحشرج

((نعم اعرف أن هذا ما فعلته.. ولكني متأكدة بأنني لو تطلقت لن أجد زوجا عليه العين مثل إيما.. لن اطلب الطلاق لأنني متأكدة بأنني لن أعيش حياة أفضل بعد الطلاق مثل إيما والتي من المؤكد تعيش حاليا بسعادة أكبر مما كانت تعيشها عندما كانت متزوجة من احمد.. هي وجدت من يعوضها لكن أنا من سيعوضني؟ أين العدل بهذا؟ من المستحيل أن أتطلق))

شيء من قهر على إيمان سابق عاد ليتسلل لتفكير عبير من كلام هيام..

ورغما عنها تبدل صوتها لأخر جامد وهي تقول لها بينما تفتح دفاتر الماضي

((هيام.. وبكل صراحة.. كون أن إيما تعيش سعيدة الآن أو لا.. لا يقلل من ذنب ما فعلته تجاهها.. أعني يا هيام.. كان الأمر صعبا ومميتا على إيما.. لأنها صُدمت بعد عشرة سنين بأن زوجها يحب غيرها ويريد الزواج منها.. لم توافق على الأمر ووجدت نفسها بلا أي سبب بهذا موقف.. بينما أنت سبق ووافقت وبكل وعيك الكامل على أن تكون زوجة أخرى له ما دمت واثقة بأنه يحبك أنت.. قلت إن كون احمد متزوج لا يهملك.. وبأنك لو كنت مكان إيمان لن تكوني أنانية وستقبلين المشاركة فما الذي تغير؟ خاصةً وانه قال بلسانه بأنه قد عقد قرانه على الأخرى من أجل الإنجاب فقط وأنت ستقبلين حبه الوحيد.. لذا ما الذي يزعجك بزواجه ما دام أن الحب سيبقى لك؟ ولك أنت فقط))

كانت نيرة التشفي واضحة بصوت عبير رغما عنها..

وكانت هيام تريد معاتبها لتتوقف فهي لا تتحمل تلقي أي كلمة منها بهذا وقت عصيب تمر به..

لكنها سكتت للحظات طويلة وعندما تكلمت قالت بقهر ومرارة
بعيونها المتحجرة بدموعها

((عبير الأمر مختلف.. وضعي مختلف عن إيما.. أنا تزوجت
أحمد بعد قصة حب طويلة.. أنا تخليت عن الجميع لأجله.. أنا
وقفت ضد عائلتي للزواج منه.. أنا تخليت عن أمومي عندما
علمت بعقمه ولم أتخل عنه عندما سجن.. لم أتذمر بسبب غيابه
الطويل عني أيام عمله.. ولم أمانع أن أخدم والدته وابقى
بجوارها منذ موت والده.. لا يحق له أن يتزوج بعد كل هذا))

ردت عليها عبير بصوتها المحافظ على بروده وهي تعود
لتتحدث عما مرت به إيما

((حتى إيما ضحت بالكثير من أجله ووقفت بجانبه لكنه جردها
ولم يرى أمامه إلا حقه بالزواج.. وأنت وافقت أحمد وساعدتيه
أن يظلم إيما.. لم تضحي إيما بقدرك ولكن وضعها كان مشابه
لوضعك وأنت بأنانية لم تبالي بها))

فجاءت انهارت قدرة هيام على حجر دموعها لتذرفها على
خديها..

ثم انهارت كلياً وصارت دموعها تغرق وجهها وهي تحاول
عبتاً كبت صوت نحيبها بيديها..

مرت دقائق على هيام وهي على هذه الحال وهاتفها مفتوح
خطه على عبير التي أنزع قلبها هلعاً عليها..

حاولت عبير أن تهدئها بكلامها لكن هيام لم تهدأ إلا بعد مرور
دقائق مكثفة بإصدار شهقات خفيفة..

قالت عبير بصوت يتخلله الحنو

((حسناً.. حسناً يا هيام لنغير الموضوع.. أخبريني كيف
ستتصرفين بما أنك لا تريدين الطلاق؟ على الأقل الجئي إلى
المكيدة قليلاً لتتنقمني منه.. اظهري تقبلك لزوجاه وعندما يحين

موعد ارتدائه لحلة الزفاف للاستعداد إلى التوجه لصالة الأفراس.. استدرجيه بالمكر لمكان أخر واغلقي عليه الباب بإحكام بالمفتاح.. فقط تأكدي انه لا يحمل هاتف حتى لا ينجده أحد ويفوت حفل زفافه))

ضحكت هيام من بين دموعها وهي تمسح وجهها بمنديل سحبتة من العلية لتردف عبير بمرح

((كف عن الضحك.. أنا جادة.. هل تريدان أفكار أكثر عدائية؟ ادھني له على وجهه مزبل الشعر سريع المفعول ليھلس ذقنه وشاربه.. أو أي شيء آخر.. لكن على الأقل امنعيه من حضور حفل زفافه كعقاب صغير للانتقام منه.. لكن لا تلوميني إذا أمطرك بعبارات الطلاق.. بالنهاية أنا أنصحك فقط وأنت تملكين عقلا مسؤول عن كل تصرفاتك))

عادت هيام تضحك أكثر على كلام عبير..

لحظات مرت على ضحكاتهما ثم قالت هيام بصوت أجس

((عبير.. لا تصدقين مقدار الكره الذي يتجمع بقلبي لأحمد.. لا اصدق كيف كنت متزوجة منه منذ أكثر من عشر سنين.. أكثر ما يقهرني أنه لا يوجد بي أي مشاكل بالإيجاب عكسه تمامًا.. حرمت نفسي من الأمومة لأجله.. وعندما طلب مني أن أجرب العلاج لعل الله يرزقه بولد.. استجبت له وضغطت نفسي لأخضع للعملية..))

شعرت هيام بالوهن والضعف والعجز عند الخوض بهذا الكلام واستعادت كل الذكريات..

لكنها استطردت كلامها المثقل بالغدر والخذلان

((ولكن عدا ذلك.. لا اذكر أي مشاكل كبيرة حصلت بيننا.. لم اعرف متى تفاجأت انه يبحث عن أخرى ليتزوجها.. وعندما هددته بالطلاق أعطاني كلمة بأنه من المستحيل أن يفعل

ويتزوجها وأقنعني أن اطمئن.. وليتني لم أطمئن.. الآن نار
الغيرة بزواجه تملأ قلبي.. لم أتم منذ الأمس وأنا أفكر بيوم
زفاه الذي سيحدث بعد شهر.. أكاد أجن.. وصدقيني هنا رغبة
كبيرة بي للطلاق برغمي رفضي له.. ولكن لو تطلقت فأحمد
لن يحزن علي كما يُمثل الآن.. يومان وسينساني ويتأقلم على
غيابي كما سبق وفعل مع غياب ابنه الذي عبر سابقًا بأنه رقم
واحد بحياته.. حتى إيجها لم يندم على فقدانها إلا لأنه لم ينجب
مني.. لذا عندما ينجب من غيري لن يندم على فقدانني أبدا..
وأنا لا أستطيع أن اطلب الطلاق منه واتركه يعيش بسعادة بعد
أن استنزفني طوال تلك السنين))

قالت عبير متتهدة

((ولكن هيام..))

قاطعتها هيام قبل أن تغلق الهاتف عليها

((عبير إلى اللقاء.. اسمع خطوات أمي قادمة نحو حجرة
نومي))

دخلت سميحة الحجرة عقب أن طرقت الباب لتقول بصوتها
الحنون

((هيام حبيبتي هل أنت بخير؟))

أخفضت هيام رأسها هادئة

((نعم أمي))

اقتربت أمها تقف بجانبها وتمسك بكتفها وهي تسألها بقلق عليها
لم يخمد من الأمس

((أخبريني هل حدث شيء بينك وبين احمد؟ أية مشاكل أو
خلافات؟))

كان لا مجال لهيام للأنكار أو محاول إخفاء حقيقة عقد قران احمد..

فرفعت هيام رأسها تقول لأمها بهدوء ممزوج بالألم

((أمي احمد عقد قرانه بالأمس على امرأة غيري))

هتفت سميحة منتفضة من مكانها واضعة يدها على صدرها

((ماذا؟ هل تمزحين؟))

بصوتها المثقل بالألم أكدت هيام لأمها

((لا أمرزح يا أمي.. لقد أخبرني بنفسه.. لذلك طلبت منه أن ارتاح هنا.. فأرسلني إليك بشرط أن يجئ اليوم لأخذي للبيت))

تسمرت سميحة مكانها للحظات بعدم فهم وكانت الدموع قد انهمرت من عينيها الذاهلتين دون أن تدري..

انتفضت سميحة بعد دقيقة صارخة بقهر وغضب

((ولا يحلم أن يأخذك ذلك الحقير بعد أن اقترن بغيرك.. بل ما هي حفته للزواج؟))

همست هيام بتهكم

((يريد الإنجاب))

بقهر عادت سميحة تصرخ

((حجة تافهة مثله.. أي إنجاب هذا إلى يريده ولديه ولد شاب يكاد يزيد طولا))

تحرك حلق هيام وهي تتنلع ريقها ثم قالت بصوت أجش

((يقول يا أمي أن قلبه يكاد يتمزق للحصول على طفل آخر..
وعندنا يرفض العيش معه بل ويرفض حتى مقابلته))

التمعت بعينا سميحة نظرة تهكمية ممزوجة بالألم وهي تقول
باستنكار ونبرة قوية

((إذا كان قلبه يتمزق فعلا لما ترك ابنه عشر سنوات بلا سؤال
بحجة انه لا يريد مقابلته وان أمه تخرجه ضده.. عندنا الآن
في القرية فلماذا لا يزوره صاحب القلب المتمزق ويشبع أبوته
به؟ حتى القط الأب لديه أبوة أكثر من احمد))

ابتعدت هيام قليلا عن أمها لتقول بخفوت وهي تجلس على
الكرسي

((أمي احمد بعث لي رسالة وقال لي بأنه يحتاج مسافة طريق
قبل أن يكون أمام بيتك))

خرجت سميحة خارج الحجرة هاتفه بصرامة

((الحقير عنده الجرأة ليرييني وجهي؟ سأريه.. سأتصل براجي
ولنرى كيف سيستطيع ذلك النذل أن يأخذك من هنا))

إلا أن هيام هتفت بنبرة خافتة وهي تغمض عينيها بتعب عقب
أن أسندت جبينها إلى حافة الطاولة وانخرطت في بكاءٍ مريـر

((أمي لا.. أرجوك لا تفعلي))

بعد ثلث ساعة..

وقف احمد بصرامة عند عتبة باب منزل سميحة هاتفها بخشونة

((عمتي أنا جئت لأخذ زوجتي.. ولن أغانر قيل أن أخذها))

يعرف جيدا بأنه لو لم يقدر أن يعيد هيام له فلن يستطيع
استرجاعها فيما بعد..

واهم شيء عليه فعله هو ألا يظهر أنه مستغني عنها أو أنه لا
يهتم برضاها ولا يشتريه كما سبق وفعل بإيمان..

حتى لا يخسرها أيضا..

بينما شددت سميحة على أسنانها وهي تراه يطالب بهيام بكل
تبجح بنظرته القوية المغرورة..

بل وكأنه يمن لمجيئه هنا لأخذها..

فصرخت سميحة به وكم ودت لو تنقض عليه وتقتله

((أيها النذل الوقح.. بدلاً من أن تشكر الله على نعمه وتحمده
على هيام التي كانت زوجة صالحة ومتفانية لخدمتك.. عقدت
قرآنك على أمراه أخرى؟ لا وتأتي لبיתי هنا للمطالبة بها بكل
قلة ذوق؟))

عقد احمد حاجبيه فجأة وهو يلتفت خلفه للذي يخطو بخطوات
قوية وكبيرة نحوه حتى توقف أمامه قريبا منه هاتفا بنبرة
غاضبة ومحتدة

((من هذا الذي يريد أن يأخذ اختي بعد أن تزوج من غيرها!
كيف تتزوج وتأتي بهذه البجاجة لتطلبها؟))

كانا كلا الرجلان واقفان أمام بعضهما وكل منهما ينظر للآخر
شزرا والشرر يتطاير من أعينهما..

فرفع احمد حاجبه لراجي بطريقة مستنفة وكأنه يتحداه أن
يمنعه..

ثم قال متهمكا وقد ارتفعت زاوية فاهه بابتسامة

((راجي.. يبدو أن لديك يا عزيزي فوييا من موضوع زواجي
الأخر أكثر من أي امرأة تخافه بالعالم.. لذا رجاء احمل نفسك
وابتعد من هنا ولا أريد النقاش معك بالأمر لأنه من الواضح أن
أعصابك لن تتحمل.. أنا جنيت فقط لأخذ زوجتي واتكل من
هنا.. فاختصرني لو سمحت))

كانت لهجته تحمل استهانة واستخفاف براجي..

فلم يستطع راجي الذي كان يفوق احمد طولا وضخامة
بعضلاته القوية التي تطلب منه بنائها وتنميتها بلعب الحديد
سنيينا طويلة..

ألا يندفع ويمسك بمقدمة قميصه هاتفاً من بين أسنانه بغضب
مستعر

((لا يوجد لك أي زوجة هنا.. بنفسى سأتولى موضوع طلاق
اخطي منك أيها النذل.. تتحجج بالأطفال وأبوتك لتتزوج وتغدر
بها؟ اذهب واشبع أبوتك من ابنك القاطن حالياً بالقرية ولم تفكر
حتى بالقاء التحية عليه أو السؤال عنه ولو من بعيد))

تراجع احمد للخلف عنوة بسبب قوة راجي إلا أنه وضع يديه
فوق كفي راجي يحاول نزعهما عنه وهو يقول بفحيح صوته

((أولا لا علاقي لك بابني..))

نجح احمد بدفع راجي عنه بعد أن تمزق طرف القميص وهو
يردف هاتفا بشراسة

((ثانياً فأنا يا راجي وبكل صدق لا امتلك طحال يقدرني أن
أحوض معك بجدال عاطفي متعصب.. أريد أخذ زوجتي
والذهاب من هنا.. فانا لم افعل ما يغضب الله))

ثم تبدل صوته لأخر مستفز ومتهكم وهو يكمل

((أنت رجل مؤمن ولست بحاجة أن أقول لك أن ما فعلته حق لي بما أني قادر ماديا وجسديا ونفسيا.. أنا لم اغدر بأختك ولم اغدر بأحد آخر.. في عقد زواجنا وعندما وافق والدك على تزويجي إياها.. قال لي "قبلت تزويج ابنتك على مذهب الإمام فلان".. وشروط عقد الزواج هذا الذي تم يسمح لي بالزواج من غير أختك.. بل أختك نفسها أخذتني متزوجا ولم يكن عندها مشكلة بذلك))

ما قاله احمد فعلا أذهل راجي والجم لسانه للحظات طويلة قبل أن يقول هاتفيا بإصرار بعد لحظات صمت واستهجان

((أيتها النذل الخسيس.. ما دمت متفاخرا بزواجك ومتأكد من أنك لم تخطئ بشيء فلماذا تزوجت من وراء ظهرها ولم تخبرنا؟ الآن فحتى لو سمحنا لها بالعودة لك فلن نسمح لها أن تعود بوجود أمراه غيرها.. هل تفهم؟))

واجهه احمد بابتسامة متهمكة وهو يقول له

((ماذا؟ هل تريد مني تطليق الأخرى التي صارت زوجتي أيضا؟ ليكن يعلمك حتى أختك نفسها لا يحق لها طلب ذلك مني.. فالانثنين زوجتي.. واختك ليست ابنة ناس ومن تزوجتها هي ابنة شارع حتى أطلقها))

عاد راجي يتهجم على احمد ويمسك مقدة قميصه وهو يصرخ به

((لا أريد منك تطليق أحدا غير اختي يا دكتور احمد.. زوج أمي ليس هنا فلا تجربني على افتعال أي مشكلة هنا ببيتها))

لم تحاول سميحة منع راجي من تهجمه على احمد بل قالت بقهر

((عندما تزوجتك يا دكتور دفعتها أن تترك عملها وهي قبلت.. ثم دخلت حضرتك السجن فصبرت.. والآن وبمجرد أن تحسنت

ظروفك تريد الزواج بحجة الذرية مع أنك أب بالفعل لشاب
يكاد يعطوك طولاً يا خانن العشرة؟))

لم يمنع الموقف احمد من إكمال سخريته قائلاً بتذمر

((لو تزوجت على أختك بعد فقدانتي لعيادتي مباشرة خاصةً
وأنها عاقر لقاتم لي أن أكف بيتي أولاً قبل الزواج.. والآن لأنني
أريد الزواج بعد أن تحسن وضعي المالي فأنا خانن للعشرة؟
هل يمكن أن اعرف متى يحق لي الزواج بمنحناكم الاقتصادي
من أجل أن احصل على ذرية؟))

صرخ به راجي وهو يرفع قبضته عاليًا يستعد للكم احمد

((أيها الخسيس سنطلق اختي الآن))

تجمد راجي بمكانه عندما سمع هيام تقول عقب أن خرجت من
احدى الحجرات مقتربة منهما وقد شمخت بذقنها وهي تجابهه

((راجي أنا لا أريد الطلاق))

اتسعت عينا راجي بشدة وهو يحرك رأسه للجانب ناظراً لها
وقبضته ما تزال مستقرة بالهواء..

مرت لحظات عليهما ثم صرخ راجي بها

((ماذا؟ هل جننت؟ ألسنت أنت من كنتي تقولين لنا كيف كان
يملك طوال سنين سنوات زواجكما لصالح عمله الذي كان
يقضي معظم وقته فيه؟ ألم تقولي لنا كيف يتصرف ببخل
معك؟))

تقدمت هيام منه ثم توقفت خطواتها للحظة وهي تنظر بداخل
عينيه..

ثم قالت بصلافة رغم ارتعاش صوتها واختناق أنفاسها

((راجي لا تبالغ.. هما موقف أو موقفان ما قلته لك ومن دون قصد في الماضي.. لكن احمد ليس سيئا كما تصفه الآن ولهذا الحد.. وانا سبب خروجي من البيت لأنه تزوج لا لصفات سيئة يمتلكها أو أنني لم اعد قادرة على تحملها كم تقول))

عند كلام هيام هذا استطاع احمد فعلا أن يشعر بقوة داخليةمكنه بكل عنجهية أن يبعد راجي عنه بعنف..

كان راجي متجمدا مكانه يطالعهها بلا تصديق وقد اهتزت نظراته بطريقة التوى قلبها عليه بألم وهي تضع أخيها الوحيد بهكذا موقف بسببها..

أخيرا تخلى راجي عن جموده وهو يصرخ بها مستنكرا

((أيتها الغبية كيف تتمسكين به بعد أن تخلى عنك بهذه البساطة بعد هذه العشرة بحجة الأطفال مع لديه ابن بالفعل؟))

عارضه احمد بنبرة عالية وبصلابة

((أنا عقدت قراني ولم أتخلى عنها يا راجي))

أدركت هيام لمعة القهر اللامعة من عينا راجي عليها..

وأحزنها ما قالته قبل قليل لكنها كانت مضطرة..

فالأمر أكبر من موضوع طلاق..

هي فقط لا تقبل أن يتم تهيمشها بعد كل سنوات مشاركتها احمد على الحلوة والمرّة.. وكأنها هرمت أو أصبحت زوجة غير مجدبة..

بل الحقيقة.. هي تشعر أن الغضب يمتلكها وبشدة لفكرة أن تتطلق من احمد وتدعه يعيش بسعادة مع عروسه التي قد ينجب منها أولادا بعدما استننزفها لعشر سنوات..

ماذا سيفيدها الطلاق بعد أن تهدم حياتها ويعيش هو في ثبات
ونبات وينجب صبيان وبنات من غيرها؟

الطلاق بالنسبة لوضعها خسارة مادية ومعنوية..

ثم إن عائلتها ثارت غضبا وسخطا على احمد بعد أن عرفوا
بزواجه بسبب عقمها..

فكيف لو عرفوا أن العقم منه هو لا منها هي؟

للأسف سيكون منظرها أمامهم وأمام الناس مُخزيا أكثر..
وأكثر.. وأكثر..

أخفضت هيام رأسها من ثقل الخزي الذي تشعر به ثم قالت
بتعنت وهي تمر من أمامهم نحو الخارج

((احمد لقد حزمت أغراضي.. سأسبقك للسيارة))

هدر احمد بعد أن خرجت هيام وهو ينظر لراجي بنثفي بينما
يعدل من مظهر ملابسه

((أرأيت؟ أختك نفسها موافقة على زواجي.. فاحترم قرارها لو
سمحت ولا تتدخل))

تقدمت سميحة منه تصرخ به

((كيف لا تريد منا أن نتدخل بابنتي وأنت تريد قهرها
وظلمها؟))

زفر احمد بحق وهو يمرر نظراته لسميحة وراجي ثم قال

((أتمنى ألا تتدخلوا بيننا.. لأنه يبدو وكأن هناك اتفاق وتضامن
غير معلن بينكما الإثنين أنه إذا ما تزوجت فستشنون الحرب
علينا بدون السماع حتى لرأي ابنتكما.. لا ينقص إلا أن
تصرخوا باعتراض لهيام بعد سماع موافقتها على زواجي "لا

بل نحن أدري منك وأنتِ مظلومة ومقهورة يا هيام.. وما أدراكِ
أنتِ بظلمك؟))

آخر جملة نطقها احمد باستخفاف مغيظ وهو يهين عائلة هيام ثم
يذهب للخارج..

قال راجي من بين أنفاسه الهادرة بعنف وهو يرى هيام تستقل
سيارة احمد

((غبية.. غبية.. ستندمين أيتها الغبية))

سألت سميحة بقهر وهي ترفع رأسها تطالع راجي الذي كان لا
يزال ينظر بشرر وشرود لظهر كل من احمد وهيام المغادرين
بسيارته

((هل حقا سنتركها تعود له يا راجي تعود له بعد أن تزوج؟))

قال راجي بكراهة ونفور وقد تهدّجت أنفاسه وكأن هناك غصّة
حارقة عالقة بحلقه

((دعيها يا أمي.. دعيها.. لقد فضلته علينا وهو الذي لم يقم أي
قيمة أو تقدير لنا.. وصدقيني سرعان ما ستندم على ذلك))

بأسف مماثل وافقته سميحة ثم غمغمت وهي تجر راجي للداخل
وتغلق الباب خلفهم

((حسبي الله ونعم الوكيل فيك يا فيصل فهو من زوجها لأحمد
بلا علمنا.. والله لو علمت أن احمد عاد لحياتها قبل عقد قرانهم
لما كنت سمحت لها أن تتزوجه إلا على جثتي.. إذا كان قد
سبق وغدر بابنة عدنان ورمى امنه الوحيد للغريب حتى يربيه
فكيف تتوقع أن يكون احن على أختك منهم؟))

راجي الذي كان مندثرا بالصمت حاول أن يخرج ما في روحه
بزفرة هادئة قبل أن يقول لأمه بعينين قاتمتين

((والله لولا مرض عمي فيصل وإلا لكنت عاتبته ألان بقوة وأطلعته على زواج احمد على ابنته.. فهو من زوج هيام به من وراء ظهورنا وبغير علمنا جميعا بل وبارك على زواجهما))
ثم جلس على احدى أرائك الصلاة ينتظر عودة زوج امه ليسلم عليه قبل أن يذهب..

بعد نصف ساعة..

ركن احمد سيارته أمام بنايتهم ثم التفت لهيام التي كانت تنتظر أمامها طوال الطريقة بجمود..

رفع احمد يدها مقربا إياها من ثغره ليلثمها ثم هدر بعاطفة صادقة ووعد

((هيام لا تصدقين مقدار ازدياد الحب والاحترام الذي أكنه لك بقلبي بعد وقوفك إلى صفي هكذا أمام عائلتك.. كنت متأكدا بأنك لن تدمري الحب الذي بيننا وتنتهي))

الحب الذي بينهما هو من دمره بنفسه.. وبقاره..

هكذا فكرت هيام بعقلها بمرارة وسخرية..

ثم هزت رأسها غير مهتمة بامتنانها لها وهي تلتفت له قائلة ببرود يتلبسها بشكل أثار قلق احمد وحيرته

((بما أنك عقدت قرانك وأصبحت متزوجا بها ولا مجال للتراجع الآن.. قررت أن أعود لك وأتراجع عن طلبي للطلاق.. ولكن لي شروط يا احمد))

قال احمد بلهفة ووجهه يمتلأ بابتسامة غير عادية

((اطلبي وتشرطي يا هيام قلبي كما تشائين.. وكل طلباتك ستكون مجابة بإذن الله.. وصدقيني لم ولن أحب أي امرأة غيرك.. أنا تزوجت من أجل الذرية وحسب.. المرأة التي سأتزوجها ستكون فقط وعاء لأطفالي لا أكثر.. لدرجة أنك ستقرين بنفسك أنها هي المظلومة بيننا))

صمت احمد وهو مستمر بمطالعتها بامتنان وهو لا يعرف كيف يعبر أكثر عن امتنانه له لموقفها الأخير الذي حدث قبل وقت قصيرة..

لتقول هيام وهي مستمرة على برودها

((أريد رضاوة يا احمد.. ابسط شيء يمكن أن اطلبه بعد زواجك هي الرضاوة.. حققها لي كإثبات أنك محافظ على العشرة والحب التي بيننا.. وأول شيء أريده هو أن تعطيني ذهب ومال بقدر مهر وتكاليف زواج زوجتك الجديدة.. أيضا أريد أن اذهب للتسوق واشتري أشياء كثيرة.. إياك أن ترفض أو تتلصق فما دمت قادرا على الزواج وإقامة حفل زفاف فمن المؤكد لك القدرة على تحقيق كل طلباتي))

نظر احمد لها بدهشة متجهماً..

لكنه اخفى تقاسيم وجهه هذه وهو يقول لها مترددا بشبه ابتسامة مصطنعة

((ولكن.. ولكن.. حسنا كما تريدين يا هيامي.. المهم رضاك عني يا قطعة من قلبي))

وقبل أن يلتفت احمد الذي هم بفك حزام الأمان للأمام رمته هيام بالمزيد

((ممتاز وتذكر أن تريني بعيني ورقة زواجك لتأكد من المهر والمؤخر المكتوب وأطلب مثله.. والذي مقداره يا احمد يساوي؟))

بقي احمد جامدا مكانه ثم عاد ينظر لها قائلا بلامح مبهمه

((المقدم مع المؤخر هلا يساوي أربعين ألف دينار))

الرقم جعل هيام تتخلى عن حالة البرودة التي تلبستها لتعقد حاجبيها قائلة بدهشة وتلعثم

((ماذا؟ أرب.. أربعين.. أربعين ألف دينار؟ هل؟ حقا؟))

زفرت هيام بقوة وهي تقلب بصرها من حولها بغضب وهي فعلا لا تصدق المبلغ الذي وضعه لأجل زواجه هذا..

لقد كتب للمرأة التي عقد قرانه عليها مقدم مع مؤخر يساوي مجموعه أربعين ألف دينار بعيدا عن الأموال التي سيدفعها مرة أخرى أيضا لحفل الزفاف والهدايا وتوابعه..

وكانه سينتزوج لأول مرة بحياته لا ثالث مرة..

من كل الفتيات اللاتي قد يقبلن الزواج به مجان لم يختار إلا تلك التي لم تتنازل عن هكذا رقم لمهرها؟

هل تجرأت وطلبت تلك المرأة هذا الرقم العالي لكونها بكر؟ أم لكونها خارقة الجمال؟ أم لكونها صغيرة بالعمر؟

عادت هيام تلتفت له متمتمه من بين أسنانها لأحمد بصرامة

((يا إلهي.. لا اصدق.. اقسم بالله أني أكاد لا أصدق ما سمعته.. لكن حسنا.. حسنا يا احمد.. لا يهم.. ادفع كما تريد لتتزوج وزد كما تريد.. لكن أنا أريد أن أخذ منك مثل كل قرش تدفعه لأجلها يا احمد.. هل فهمت؟))

هز احمد رأسه بموافقة فهو لا ينكر انه بالرغم من محاولتها الآن تعجيزه بطلباتها إلا انه سعيد بدخله أنها رضخت لزواج بدون أن تطلب الطلاق..

بل ووقفت بجانبه ضد عائلتها.. بالرغم من حزنها وقهرها مما فعله بها..

يحرقه قلبه على المها.. ولكن الأيام كفيلة أن تنسيها إياها وستعود وتتألم..

الآن على قلبه أن يحرقه هو على المبالغ التي سينفقها من أجل أن يتم هذا الزواج على خير..

لمعت عينا هيام المستمرة بمطالعته بتخبط وحيرة وهي ترى ملامح وجه احمد تتغير.. وتدرجيا.. تتحول للراحة..

عقدت هيام حواجبها أكثر وأكثر وهي تنظر إليه.. وترى بوادر الارتياح تتسلل لمحياء بالفعل..

لوهلة شعرت بأن النقل الذي كان يجثم فوق قلب احمد لزوجها من غيرها ولما فعله بها قد انزاح عنه..

وكانه شعر بتحسن لطلبها مبالغ كبيرة منه بدلا من العكس حتى يحرر نفسه من ذنبها..

وكانه الآن سيتزوج بدون أن يحس بالذنب حرفيا لم يفعله بها.. شعرت بأن موقفها سخيّف وهي تمد يدها لتأخذ المال منه..

فهل المال قادر على أن يشفي جروحها بمجرد عقد قرانه على غيرها؟ قطعاً لا..

إذا لماذا طلبت منه ذلك وقد بدت وكأنها تخبره

"افعل ما شئت وأخطئ بحقي كما تريد فما دمت تقبل بشروطي المادية فسأعود لك"

فتفتح مجالاً له ليخطئ بحقها كما يحلو له بما أن رضاها يُشترى بالمال والرضاوة..

خرج احمد من السيارة لتبعد هي الأخرى الحزام عنها للخروج
مصدرة ضحكة خافتة تهكمية..

"رضاة"؟

أساسا من أطلق عليها هذا الاسم؟ فالرضاة فعليا ليست رضاة
وليست تعويضاً عن كرامتها المفقودة..

لأنه لو كان يريد رضاها لم تزوج من غيرها.. خاصةً بعد أن
أكدت له أن الموت أهون عليها من زواجه..

بدأت هيام تصعد معه الدرج لشقتهما وهي تفكر بهل يجب
عليها أن تتراجع عما طلبته من مال حتى لا تمنح احمد الراحة
لما فعله بها..

لكن توقفت مكانها وهي ترشق احمد الذي وقف أمام الباب
يخرج المفتاح من جيبه بشرر..

لا.. لن تتراجع.. فبالنسبة لأحمد..

الإحساس بالذنب ليس هو عقاب قد يُعاقب به..

بل عليها أن تستمر باستنزافه مادياً..

والمضحك بالأمر أنه ربما يفكر الآن أن يساومها على المبلغ..
ولو أخفضت المبلغ ليصير فقط ألف دينار فلن يعترض..

لأن كل همه الزواج بأقل التكاليف وبدون خسارات مادية
فادحة..

ثم إن الدموع والبكاء والنحيب وقول "أن النقود لن تنفع بعدما
يتزوج" هو هراء..

وإلا لما قيل الدراهم مراهم.. فالمرام تشفي الجروح ولا تبقى
له أثر وكذلك الدراهم..

وعدم طلبها رضاوة لن يحز في نفس احمد ويجعله يتوقف عن الرقص فرحا على فراش تلك التي سيتزوجها مستمتعا بها..

خاصةً بعد أن أدركت بما لا يقبل الشك أن المعروف لا يثمر به مثقال ذرة..

ولج احمد لشقته لتقول هيام بيروود وهي تتبعه

((بالإضافة يا احمد لما قلته سابقا بالأسفل.. أنا أريد خادمة وذهب وأثاث جديد لكل زاوية موجودة بشقتي.. وأريدك أن تشتري لي سيارة جديدة من موديل سأختاره بنفسي))

نظر احمد لها شاهقا بصدمة..

لكن لم تأخذها أي رحمة أو شفقة به.. فما دامت مجبرة على الرضوخ لزوجاه..

فستصير أنانية مثله وتفكر بمصلحتها.. مصلحتها وسعادتها ولا شيء غيرهما..

=====
=====

لكزت روعة الجالسة على سفرة الفطور بشقتها ابنها بغضب..

ثم نهزته بنزق أمام نظرات يارا

((توقف يا مراد للمرة الألف لا تفتح لي هذا الموضوع.. سبق وأخبرتكم أنني ارفض مبدأ إحضار عاملة تساعدني في تنظيف وترتيب المنزل لأنني لا أحب لأحد غريب أن ينام في بيتي))

أوضح لها مراد وهو يقترح مستجمعا شجاعته الشحيحة

((إذن أمي ما رأيك أن تجلبي واحدة أخرى بدوام جزئي تعمل لساعات وأيام معينة طوال الأسبوع؟))

قالت روعة بنيرة مالت للتهكم وعيناها تنطقان بغضبٍ مستطير

((لماذا تريد مني أن أعود لجلب عاملة عندي بدوام جزئي؟
وماذا تفعل زوجتك؟ هل تخاف أن أطلب منها أن تساعدني
بشيء؟))

تنحنح مراد هادرا بخفوت

((أمي لا الأمر ليس كذلك))

تحولت تقاسيم الروعة القاسية إلى أخرى مُستجديه لعطف ابنها
وهي تهمس على هونٍ

((لقد أمضيت سنوات طويلة اسكن بنفس البيت عند والدتي
زوجي اخدمها وأتحمّلها بغم مغلق وبدون ملل أو كلل ولم أتذمر
حتى.. وزوجتك المصون ترفض حتى أن تخدمني لعدة ساعات
في اليوم))

أدار مراد عيونه في سأم وهو يقول بهدوء مُستفز لها

((أمي أرجوكِ توقفي))

سكنت روعة للحظات ثم عادت تخبره بتزمت

((أخبرني من هي صديقته تلك التي تُدعى رانسي والتي
زارتها أمس؟))

نفخ مراد غاضباً ثم قال زافرا وهو يبسط كفيه

((أمي وما أدراني أنا بصديقاتها!))

تمتمت له روعة وهي تلتقط رغيغ خبز

((قالت جالا لي بأنها كانت زميلة لها بنفس دفعتها أيام الجامعة
وكانت أيضا زميلة لها بنفس مكان عملها الذي كانت تعمل به
سابقا))

قال مراد وهو يتابع تناول طعامه بدون أن ينظر لها

((أمي ما دمت قمتي بسؤالها فلماذا تكررین هذه الأسئلة علي؟!))

قالت روعة بلامبالاة ظاهرة غير أبهة حتى لانضمام جالا
سفرة الطعام معهم بعد خروجها من المطبخ

((لا شيء.. ولكن زوجتك المصابة بالتوحد منذ متى وهي لديها
صديقات وتتواصل معهن أو يقمن بزيارتها؟ لست مرتاحة لتلك
الصحة لها مع تلك المسماة رانسي))

تجاهلتها جالا وهي تجلس وتلتقط ملعقتها لتقول روعة
باستغراب ليارا وصوت صراخ طفلها الرضيع يرتفع
((هل هذا صوت بكاء صغيرك؟))

قالت يارا وهي تنتظر لجالا

((أوه جالا هل يمكنك تجهيز زجاجة الحليب لطفلي))

رفعت جالا رأسها تجيبها ببرود

((لا.. لا يمكنني ذلك.. لست خادمة هنا أو مرضعة.. جهزي
حليب ابنك بنفسك))

زمت يارا شفيتها وهي تقول بينما تنظر لخالتها

((أنا زرتكم منذ الصباح يا خالتي باعتبار أنني ضيفة فلماذا يتم
معاملتي من قبل زوجة ابنك؟))

حاوط مراد رأسه بكفيه ليتأفف من الوضع من حوله..

هل سيكون مكتوب عليه أن يعيش كل يوم بين مشاكل النساء
من حوله لأسباب واهية..

من تصفية حسابات قديمة.. أو انتقام لأفعال لا تذكر حتى..
وتراكم آثار نزاعات سابقة.. أو حتى خلافات تافهة حول أشغال
البيت..

مهما يحاول أن يخبر جالا أن تتجاوز المواقف ولا تتوقف
عليهم..

وأيضاً مهما يخبر والدته بالتوقف عن معاملتها بدونية كبيرة..
أو التعدي عليها بالكلام.. لا تفعل..

لا فائدة مع أي طرف..

لذا قرر بأن هذه هي آخر وجبة طعام يتناولها معهن..

وقبل أن تعتدل يارا واقفة من مكانها تستجيب لبكاء طفلها
عادت تجلس مكانها وهي تقول لخالتها بخبت كمن خطر على
بالها فكرة بينما تخرج هاتفها من جيبتها

((أوه قبل أن أنسى يا خالتي.. قمت بمتابعة سهر على
"الإنستغرام" طالعي يا خالتي صورها الأخيرة التي قامت
بإدراجها هناك بأخر رحلة قامت بها))

التقطت روعة الهاتف من يارا قائلة بلهفة مصطنعة

((أريني لحظة! أوه كم تبدو جميلة ومشرقة بصورتها هذه..
انظر يا مراد لصورها ما أجملها.. وهنا انظر كيف تبدو فاتنة))

قربت روعة الهاتف لمراد ليرى صور سهر فطالع مراد
الصور باقتضاب بطرف عينه وبلامبالاة قبل أن يعاود تناول
الطعام..

لحظات مرت حتى جفل الاثنان على صوت صراخ جالا

((توقفي يا عمّة!))

التفت مراد نحو جالا التي كانت عيناها جاحظتان بجنون
مستنكرا

((لماذا تصرخين؟))

من دون سبب كانت هناك شكوك بداخلها تجاه سهر لكونها
خطيبة زوجها السابقة لا تهدأ..

ليحدث هذا الموقف أمامها مرة أخرى..

فصرخت أمام وجه مراد ببران غضبها

((لا يصح لك أن ترى صورها))

عقدت روعة حاجبها ترد عليها باستنكار

((هل تريدان التحكم بابني وباي صور عليه حتى أن
يشاهدها!))

بينما نظر مراد إليها بذهول غير مصدقاً صراخها عليه بهذا
الشكل أمام والدته ليقول زاعقا

((جالا كيف تتحدثين معي هكذا؟))

لوهلة انكشفت جالا خوفا من نظراته الغاضبة لها بل وارتعدت
أوصالها مخافة أن تحت مشكلة..

لكنها تجاهلت كل شيء لتغمغم وهي تنتفض واقفة من مكانها
بغضب

((شبع))

تنفس مراد بغضب وهو ينظر لجالا تغادر المكان فقال لأمه
ببران غضبه وبصوت عالي يقصد جعلها تسمع وهو يأخذ
الهاتف من والدته

((أمي أعطيني الهاتف لأرى صور سهر جيدا))

استندت جالا على الجدار الفاصل بين غرفة الطعام والصالحة متوارية عن النظر وهي تنتصت بغيظ وكره على زوجها المحترم وهو يطالع صور خطيبته السابقة..

ووالدته التي ما إن تحين فرصة عدم تواجدها أو حتى غيابها اللحظي حتى تجلس مع ابنها وسرعان ما تخوض في روتين التحدث عن نساءٍ غيرها وذكر سلبياتها له..

لدرجة أن تجعلها أمامه أسوء نساء الأرض وأحطهن مكانة..

.
.
في الظهيرة..

وقت تجمع الجارات عند منزل روعة جلست جالا بينهن بعد أن أنهت من غسل الأطباق ومسح غبار حجرات الشقة النظيفة والبراقة من الأصل..

لتخاطبها روعة بامتعاض

((لماذا جلستي؟ ثم هل من المعقول أن تكوني قد انتهيت من مسح الأغبرة كما أخبرتك؟))

ملأت جالا قدح قهوة لها وهي تتناوله بيدها لتأخذ رشفة ثم قالت

((نعم فعلت ومسحت كل أغبرة البيت رغم نظافتها كما أمرتي))

عادت روعة تسألها بوجوم

((وهل انتهيت من غسل الأطباق في المطبخ وتجفيفهم؟))

رفعت جالا كتفيها بلا مبالاة وهي تقول ببرود بينما تمرر
سبابتها على طرف فنجان قهوتها

((لقد غسلت الأطباق لكن سأجفهم بعد أن ننهي جلستنا.. فأنا
اشتقت إلى جمعات جارئك.. أو لا داعي لتجففيهم بنفسي..
اتركيهم يجفوا لوحدهم))

لوت روعة فمها بحنق فمئذ متى تحب ابنة سميحة جلساتها
وكلامها مع صديقاتها..

فهمتت احدى الجارات مصطنعة الفرحة وهي تقول لجالا

((لقد سعدت جدا عندما عرفت بأنك تصالحت مع مراد.. لم
تهوني علي عندما علمت بأنه كان يقاطعك ويهجرك طوال
الأسبوعيين الماضيين))

اخترقت العبارة أذن جالا كرساصة طائشة جعلتها تسعل في
قدح القهوة الذي كانت ترتشف منها..

ما إن التقطت جالا أنفاسها بصعوبة حتى استطاعت أن تقول
وهي ترفع نظرها بعينيهما المتسعيتين واللتان يغطيها غشاوة من
الدموع

((يهجرني؟ هل العمه روعة هي من أخبرتك ذلك؟))

وضعت جالا القدح على الطاولة أمامها بعنف ليقع بما فيه على
الطاولة..

ثم وقفت من مكانها وكل ما فيها من الداخل يغلي وقد تصاعد
غضبها لتصرخ

((عمه لم يكن يجدر بك إخراج أسرار بيتي وما يدور بيني
وبين مراد للخارج))

شعرت روعة بخطئها لكنها أشاحت وجهها عنها تقول مكابرة
وبنبرة جفاء

((وماذا قلت أنا؟ لو أنك كنت حريصة على أسرارك الزوجية
وبيتك لما قبلتي أن تغضبي زوجك منك يوما))

غضب جالا الذي تصاعد سريعاً كان وكأنها بركان ثائر يوشك
على الثوران لتصرخ

((أنا لن أبقى دقيقة هنا.. سأحزم ملابسي أنا وصغيرتي واذهب
لبيت أبي.. لن أعود قبل أن احصل على بيت مستقل بعيدا عن
هذه البناية كلها))

بعد ساعة..

وبمجرد أن وصلت جالا لبنت والدها وفرغت لها زوجة أبيها
أمانة احدى الغرف حتى تصاعد رنين هاتفها لتجيب عليها فورا
وهي تعرف المتصل بدون أن تنتظر للاسم..

قربت جالا الهاتف عند أذنها ليصلها صوت مراد الغاضب
والثائر

((كيف تغادرين البيت هكذا أيتها السيدة المحترمة وبدون إذن
زوجك!!))

ساد بينهما صمت غريب لا يسمع من خلاله إلا أنفاساً غاضبة
من قبل الأثنان..

وكانهما فوق بركان متقد..

قالت جالا تبتر الصمت أخيرا بصوت هادئ

((لن أتحمّل البقاء بشقّتنا أبداً يا مراد.. يا أن ننتقل لمنزل آخر بعيدا عن والديك.. أو لن أعود ابداً وسأبقى هنا عند أبي))

صرخ بها مراد باستهجان

((ماذا! هل جننتِ؟))

انفجرت جالا به قائلة بغل

((نعم جننت.. واكتفيت.. والدتك نشرت أسرارنا الزوجية بين صديقاتها وجاراتها.. وأنا لن أتحمّل المزيد.. اشعر بأني غريبة في منزلي ولا أتحمك بأي شيء حتى أموري الخاصة.. طبيعي أن أحب الاستقلال في بيتي.. لأشعر بأني أعيش في مملكة خاصة بي.. استقبل من أريد وقتما أريد.. لا أريد من أحد أن يحدد لي وقت استيقاظي ونومي وأين اذهب وماذا اشترى لمنزلي.. لا أريد أن أكون متواجدة بالقرب من أشخاص يحرصونك ضدي بسبب وبدون))

تنهد مراد بعنف وهو يتحرك في أرجاء مكتبه بالعمل كأسد محجوز وسط زنزانة مغلقة لا يصدق أن الأمر وصل إلى أن تغادر جالا شقتهما الزوجية وتتعدّد الأمور إلى هذا الحد..

حتى قال أخيرا لها بجفاء

((أين أنتِ الآن؟ بببب راجي؟))

فهمت جالا ما يقصده..

سبق وأدركت بأنه لا يريد منها الذهاب لبيت راجي..

بيتها القديمة حيث كانت شرفة غرفتها مقابل شرفة كارم خطيبها السابق والذي عاد مؤخرا من روسيا..

وسبق وأن أجزنها تفكيره هذا لظنها بأنه ربما لا يزال يشك
بأنها تجاوزت الحدود معه أثناء خطبتها بكارم كما سبق
واتهمتها والدته سابقاً..

رددت جالاً عليه ببرود

((لا.. لا تخاف أنا في بيت والدي.. لكن عليك أن تعرف يا
مراد أنني لن أستطيع أن أضحي بسعادتي لإسعادك أنت.. فما
هي الفائدة أن تكون أنت سعيداً على حساب تعاستي؟ هذا يتنافى
كلياً مع منطق الزواج.. لو كانت التضحيات متبادلة من كلينا
وبشكل سليم من أجل سعادة عائلتنا لسرحت ولكنها ليست كذلك..
وما دمت بكل الأحوال لن أعيش حياة مستقلة وعليّ أن اخدم
أحد فلأخدم أب فهو ما يزال طريح الفراش.. لكن لن أعود
لشقتنا حيث أمك متواجدة دائماً لتتدخل في ترتيبنا لحياتنا وبكل
صغيرة وكبيرة.. فحبها للتسلط جعل من حياتي جحيماً وأنت لا
تشعر بي))

نعم هي محقة.. لماذا يجبرها مراد على تقديم الكثير من
التضحيات لكي يستمر زواجهما؟

هل يشعر بالمتعة والسعادة عندما يجدها على استعداد لتقديم
التضحيات من أجله؟

هي فعلاً مستعدة دائماً لتقديم التضحيات في ظروف كثيرة من
أجل حفظ زواجهما وجعله مستمراً لكن ليس في السلام الداخلي
الذي تشعر به..

عاد الصمت يعم بينهما لدقيقة.. ثم سأله مراد بنبرة خطيرة

((ماذا! هل هذا ما توصلت له يا جالاً؟))

لم ترد عليه دليل تمسكها بقرارها..

فهي لا تريد أن تخوض بمشاكل مع عائلته وبنفس الوقت لا
تريد السكوت عن حقها..

قال لها مراد ببرود قبل أن يغلق الهاتف بوجهها

((جالا.. هذا هو الموجود عندي.. إذا رضيت فأهلاً بك.. وإذا لم يعجبك فبيت أبيك أولى بك.. كما تقولين))

رمت جالا الهاتف على الفراش بغضب..

ولم تستطع أن تمنع تسلل بعض الخوف لقلبها من ردة فعل مراد قبل أن يغلق هاتفه..

فلطالما كان مراد يقول لها عندما تشكوه من تحكم والدته أن تتحملها من أجله..

لكن مؤخرا تغير وصار يردد على مسامعها بأن هذه هي حياتها وإن لم يعجبها فليست مشكلته..

فضلا على وجود والدته بجانبه لتتابع بخ سمها به يشعرها بالتهديد وعدم الأمان..

فهي قادرة على جعل مراد يتغير مئة وثمانين درجة..

وقادرة حتى على جعله يقارنها بها خاصة بأمور الطبخ وتدبير الحياة الأسرية..

وحتى أنها نجحت في الزرع داخل مخيلتيه صورة قبيحة عنها بأنها تريد السيطرة عليه وإن تجعله خاتم في أصبعها..

جعلته يصير تدريجيا شخصا عنيدا يعشق الانقياد بصورة غير طبيعية لوالديه فلا يقبل برأيها هي زوجته أو نصيحتها ولا يستشيرها في أي شيء..

بالسابق كانت عنيدة.. ولكنها تنازلت عن كل العناد تفاديا للمشاكل التي من شأنها أن تدمر بيتها..

هي تحملت عائلته لأنه البهجة التي يخلقها وجوده معها تجعلها تتحمل أي شيء..

ففي مراد الكثير من الأمور الرائعة الغير متواجدة عند غيره
من الرجال بسنه..

لكن تحكيمات عائلته بهما تجاوزت الحدود التي يمكن أن
تتحملها..

=====
=====

بعد مرور أسبوعين..

عقب ساعة من تنظيف سارا للمطبخ وهي الغير معتادة على
أعمال البيت بعد أراحت جسدها على الأريكة الطويلة بالصالة
منتهدة براحة..

توجهت سارا ببصرها إلى راجي الجالس بجانبها بسكون تام
بينما يقرأ إحدى الكتب فحدجته بنظرات قائمة..

تململ راجي مكانه يريح نفسه على ظهر الأريكة ثم رفع ساقيه
فوق الطاولة أمامه واضعا قدما فوق الأخرى..

قال راجي لها بعد دقائق يستفزها بخيلاء وهو يرفع حاجبيه
عقب أن أخذ رشفة من مشروب الصودا أمامه

((سارا حبيبي هل يمكن أن تحضري لي كأس ماء فظهري
يؤلمني))

رمقته سارا بغیظ ثم نهضت زافرة وهي تشعر بأن الألم يتخلل
ظهرها هي من وقوفها طويلا أثناء تنظيف المطبخ..

جلبت سارا كأس الماء ووضعتة فوق الطاولة أمامه بقوة كادت
تهشم الكأس وقد تناثرت بعض قطرات الكأس حوله لنقول من
بين أسنانها

((تفصل يا زوجي الحبيب))

ثم جلست سارا بغیظ وهي تنظر للتلفاز أمامها وما إن همت أن تنطق جهاز التحكم عن بعد حتى اندفع راجي يأخذ من أمام عينيها..

تطلع راجي لها قائلاً ببراءة وهو يزم شفثيه

((منذ ساعة وأنا انتظر يا سارا بدء هذا البرنامج.. لا تغيري القناة وشاهدي ما تريدينه على حاسوبك المحمول.. أنا لا اعرف أن استمتع بمشاهدة برامجي إلا على شاشة التلفاز))

قالت له سارا بنبرة عالية وباستنكار وهي تشير بيديها

((أي برنامج هذا الذي بدأت تتابعه يا راجي؟ منذ متى تشاهد التلفاز بيوم عطلتك؟ ثم ألم تكن متعب وتشعر بالنعاس وتريد النوم قبل قليل؟ ما الذي تغير؟))

قال لها راجي بجفاء وهو ينظر للتلفاز أمامه

((كفاك أنانية ودعينا أشاهد برنامجي.. واذهي لتتعلمي أمور أخرى بتدبير المنزل والطبخ.. فما زال أمامك الكثير))

وقبل أن تفتح سارا فاهها وجدت راجي يضرب بعض أزرار جهاز التحكم عن بعد والتي أصبحت ثقيلة عند الضغط ولا تستجيب للعمل ليهدر بحنق

((وحتى هذا الجهاز قمت بتعطيله.. أي شيء تلمسيه بيدك يتعطل في هذا البيت))

صرخت سارا به مستنكرة

((لم ألمسه حتى لتتهمني بأني من عطلته؟))

ثم مالت برأسها نحو راجي تردف بقهر

((ما بك ولماذا تغيرت يا راجي في الأسبوعين الماضيين لهذا الشكل الملحوظ؟))

تظاهر راجي بالضيق وهو يقول لها بدون أن يوليها انتباها

((ما الذي تغير بالأسبوعين الماضيين؟ أنا كما أنا))

مدت سارا يدها تدير وجه راجي لها قائلة وهي تبدأ بالبعد على
أناملها

((تضل تأمرني بتعلم أمور المنزل وتنتقد طهي دائما.. وتملأ
الثلاجة بكل ما لذ وطاب من حلويات وأطعمة مع علمك الكلي
بأنني اخضع لبرنامج حمية قاسي منذ أسبوع.. وبللت أكثر
فرشاة أسناني بالماء لأظن أنك قد استخدمتها.. والآن تتهمني
بأنني سبب تعطل جهاز تحكم التلفاز عن بعد مع انه يوشك من
ذات نفسه على العطل.. لماذا تفعل هذه الأمور معي بدلا من أن
تفكر بهدية حفلة عيد ميلادي الذي اقترب؟))

ثبت راجي عينيه بعينها ثم ابتسم بمغزى ليهدر لها

((صحيح ذكرتني بعيد ميلادك.. لقد كبرت يا زوجتي الحبيبة))

قالت له بشراسة وهي تكنف ذراعيها متجاهلة سخريته السخيفة
عن عمرها

((لقد نسيت عيد ميلادي.. صحيح؟))

عاد راجي يلتفت للأمام ينظر للتلفاز ويرفع درجة الصوت
عقب أن استجاب له جهاز التحكم عن بعد أخيرا..

ثم قال لها ببرود

((لا لم أنساه.. وحتى أنني اشتريت لك من الآن هدية مبدئية
ووضعتها بأول رفوف دولابي.. اصعدي وألقي عليها نظرة
الآن واتركيني أشاهد برنامجي))

اعتذلت سارا من مكانها واقفة وهي تقول بنبرة تهديد مبطنه
قبل أن تصعد لغرفة نومهما بالدور العلوي

((راجي لقد تغيرت تغيرا ملحوظا مؤخرا.. وقد يصل الأمر
بيننا للطلاق.. فأنا سأكف عن تعلم أمور المنزل وسأعود
لأطلب المرأة التي كانت تأتي بشكل دوري لتنظيف المنزل))
بينما ظل راجي ينظر للأمام بشروء.. نعم تغير..

واكتشف أن الاختلاف بينهما قد يوصلهما للطلاق كما سبق
وقالت سارا قبل ثوانٍ فالحياة معها بمسؤولياتها صعبة جداً..
فهو يحب أن يعطي الحرية في الحياة لزوجته ولكن بضوابط
معينة..

فلم يكن له أي مانع من خروجها لتبادل الزيارات مع صديقاتها
والذهاب إلى بيت أسرته دون شروط أو ضوابط أو حتى تحديد
للموكت..

لكن مع مرور الوقت.. اكتشف أن سارا لا تزال تختلف عنه في
رؤيته للأمور..

فما يجده هو خطأ أن تفعله المرأة تراه هي أمراً طبيعياً..
فقد سبق وطلبت مرة أن تسافر للخارج مع صديقاتها لأسبوعان
كاملان خارج البلاد معللة بأن أسرته كانت تسمح لها بذلك..
وعندما رفض بشدة أحدث ذلك خلافاً كبيراً بينهما..

وبكل مرة ينتقد لباسها الغير لائق والكاشف في الأماكن العامة
يدخلا أيضا في شجار طويل..

وبكل مشكلة يجب أن تدخل أحد أفراد عائلتها الذين يتصرفون
معه كما لو كان جاهلاً ووصفه بالمنغلق..

كان مدركا بالسابق أن هناك الكثير من الاختلافات بينهما ولكنه
صمم أن يتجاوزها معها ويطلب منها تغيير سلوكياتها..

لربما كان عليه سابقا أن يفكر جيدا بطبيعة حياتهما بعيدا عن الحب خاصةً أنه يعرف سارا من أي صنف من النساء هي..

فهما ينكر لكن ضرورة التوافق الاجتماعي والبيئي بين الزوجين حتى من حيث قدر المحافظة من عدمها مهم جدا..

حتى لا يحدث أي خلافات أو فجوة بينهما بعد ذلك..

فمن الصعب أن يستمر الحب أو يكون أقوى من الاختلاف الفكري..

خاصةً وهو الذي تربي في مجتمعه على أن الأمور المتعلقة بالمحافظة والعادات والتقاليد تعد من الأمور الجوهرية التي من الصعب تخطيها..

بل وليكون صادقا..

فإهمال سارا له وعدم مبادلتها اهتمامها بها كما يفعل وخروجها المتكرر الدائم جعله يحن إلى حياة العزوبية وعدم تحمل المسؤولية التي كان يعيشها سابقا..

أحيانا يقول لنفسه أنها تحاول أن تبذل جهدا كزوجة وطاعة أوامره في حدود قدرتها..

فهي تتأمل مواضع رغباته.. وتعمل على تلبية حاجاته..

ولكن الحياة لا تدور كلها على السرير..

وهو موقن أنه لم يصل إلى أعماقها بعد..

لا يشعر أن ما يحصل عليه منها كافٍ.. ولا حتى قريباً من الكاف..

.

.

فقيقت صامتة وهي تريح جسدها على ظهر السرير وتضع الحاسوب المحمول فوق ساقيها وبدأت تستمع لهن بتسليية واهتمام وهي ترى لارا تجيب ميادة بضياع

((صدقيني لا أدري.. لكنني لاحظت اهتمامه بي منذ أول لقاء بيننا.. ولا أخفيك أنني شعرت تجاهه بارتياح عجيب.. وهو تعجل يفاتحني بموضوع الزواج.. لم يخف عليّ كونه متزوجا طبعا فهو زوج أخت زوج سارا.. ولكن حياته مع زوجته يسودها البرود فلا هي تحبه ولا هو يحبها.. وليس لديهم أطفال.. والعيب منها هي.. لذا لم أجد مانعا من مطاوعته لعقد قرانا بسرعة))

سألته ميادة وهي تعقد حاجبيها

((كيف وافقت عائلتك عليه؟))

هزت لارا كتفها وهي تجيب بهدوء

((عندما أخبرتهم رفضوا في البداية.. فكما تعلمين أنا مرغوبة ويأثيني الكثير من الخطاب من قبل حتى أن أحصل على طلاق.. ولكنني شعرت تجاهه بارتياح كبير.. تجاه احمد بالذات.. وفي النهاية وافق أهلي على مضض))

زفرت ميادة بضيق شديد وهي تقول

((هل تأكدت أنه يقوم بواجباته نحو زوجته؟ إذا كانت الإجابة "نعم" فعليك أن تعرفي انه لا يحق لك به إلا النصف.. لا يهم أن كانت علاقته شبة مقطوعة مع زوجته.. المهم هو أنه بما أنها ما زالت على ذمته فلا يحق لك به أكثر من النصف))

توترت لارا قليلا من كلام ميادة فهي ليس لديها أي نية أن تدع احمد يحتفظ بزوجه بعد زواجها منه..

ولكنها عليها التخطيط بكافة الأمور تدريجيا..

وقيل أن تجد لارا كلمات تقولها لها سألتها سارا بمباغطة تماماً
كحاجبها الأيسر الذي ارتفع بتسلية

((هل أخبرك احمد يا لارا عن ردة فعل زوجته؟))

أجابتها لارا بصوت ثابت وملامح وجهها تلبست الجدية

((نعم.. أخبرها أنه يريد الزواج مني وقال لي أنها لم تبتد أي
اهتمام بالموضوع.. ولكنها أخبرته أنها موافقة بشرط أن يلبس
كل طلباتها))

عاودت سارا سؤالها بفضول وتوجس وهي ترفع أناملها لتتخلل
خصلات شعرها الشقراء

((وما هي هذه الطلبات؟))

انقبضت ملامح لارا وشحبت باستياء وهي تجيب بصوت
غاضب

((طلبات مخيفة.. إنها تعجزه بطلباتها كل يوم.. تريد عدة قطع
من الذهب.. وتريد سيارة لها.. وتريد لأمها هدية ولأختها وما
شابه ذلك.. والآن بعد أن بقي وقت قصير على زفافنا.. هو لا
يستطيع تأمين مستلزمات زواجنا بسبب طلبات زوجته.. ويقول
لي أنه يوافق على طلباتها حتى لا يظلمها كونه سوف يتزوج
مني.. ولكنه غير راض على زوجته أبدا ولن يسامحها في كل
قرش تأخذه منه بهذه الطريقة))

سألتها سارا باستهجان

((هو من قال ذلك لك؟ أنه لن يسامح زوجته؟))

همست لارا بحيرة وهي تلاعب أنامل يديها

((لا.. الحقيقة والدته هي من قالت هذا ومن قالت الكلام
السابق.. لكنها قالت لي هو من أخبرها هذا بشكل حرفي))

ثم استرسلت لارا بضيق وقد احتدت ملامحها وهي تشير بيديها
باستنكار

((مشكلتي يا بنات أنني أرى نفسي آخر اهتماماته.. أنا لم أطلب
منه الكثير لأنني مقتنعة أن السعادة ليست بالأموال.. ولكني
أشعر أنه استرخصني لأنني قبلت بالقليل من كل شيء.. لم
أطلب إلا حفل زفاف ومهرا مقداره أربعين ألف دينار.. هل
كان علي طلب المزيد؟))

عضت سارا شفيتها بخفة وهي تسألها بفضول تحثها على قول
المزيد

((إذن.. وماذا تخططين؟))

تنهدت لارا بأسى وهي تقول

((إلى الآن لم أتجهز من أي ناحية لأنه مشغول بتأمين متطلبات
زوجته.. وكلما قلت له أن أهلي يتسألون عن سبب تأخره في
أمر مثل المهر وغيرها من مستلزمات كعروس.. قال لي أنه
لا يستطيع حاليا لأنه يجب أن يشتري لزوجته ما طلبت منه..
داخليا يا بنات أنا أشعر أنها لن تتركنا نتزوج أو نهنا بعيش
أبدا))

عقدت سارا حاجبيها متممة بضيق

((نعم أنها خبيثة وحقيرة جدا))

قاطعتها ميادة قائلة وقد اجتاحتها موجة شفقة على زوجة احمد

((لا أدري.. لكن أنا أتعاطف معها قليلا.. انه يريد أن يتزوج
من غيرها.. ألا يحق لها ما تريد على الأقل تطيبها بخاطرها
ويعطيها شيئا من المال؟))

بحدة ممزوجة بالغضب أجابتها لارا

((لا يا ميادة.. عليه أن يكون حازما في هذا الأمر إن أراد أن يتزوجني ولا يلزمه أن يأخذ الإذن منها.. ربما ليفعل لها ما تريد مرة واحدة لمجاراتها.. أما أن يلبي لها أي طلب تريده فهذا معناه أنها تريد أن تستنزف جميع ما لديه من المال حتى لا يستطيع الزواج بي لأنه لن ينتهي عند حد))

بينما سخرت سارا بابتسامة متهمكة وقالت دون مواردية

((بالتأكيد لا تستحق الشفقة.. فهي سبق وأخذته من زوجته السابقة.. حلال لها وحرام عليك يا لارا! أبداً لا تشعري بالشفقة تجاهها))

تنهدت لارا وهي تتحدث بضياح وتحرك كفيها بحيرة انفعالية

((أنضايق جدا من تساهله معها ومع طلباتها التي باتت لا تنتهي.. وأشعر أنه لن يستطيع أن يدافع عني فهو ضعيف أمامها مع أنني بدأت أحبه وأعرف جيدا أنه يحبني وأعرف أن علاقته مع زوجته كزوجين منتهية كما أخبرتني والدته.. ولكنني الآن أعيد النظر في موضوع ارتباطنا وأفكر في فسخ خطبتي منه مع أننا عقدنا قراننا))

بصراحة حادة نظرت ميادة لها بقوة قائلة

((لارا أنت صديقتي.. لذا لا تغضبي لصراحتي.. ولكن من التناقض الذي أراه كونه يقول إنه لا يحب زوجته ثم يلبي لها كل طلباتها المجحفة.. لم أقابل زوجته أو اتحدت معها بشكل جيد ولا اعرف شخصيتها إلا من كلام سارا عنها.. لكن بغض النظر عن كل هذا.. اشعر أن يحبها.. ربما يعتبرك نزوة.. أو وعاء لأطفاله كونه يريد الزواج مرة أخرى للإنجاب))

قاطعت سارا كلامهم قائلة

((لا ميادة اسكتي.. لارا استمع لي وخذي بكلامي.. لو كان مرتاحا مع هيام أو يحبها لما فكر بالزواج.. فيالك أن تنكدي

عليه.. تزوجيه واجذبيه لك ولا تذكرى اسمها أمامه والا أصبحت كما تقول ميادة عنك.. صدقينا وقتها ستسحبين البساط منها.. سأذهب لدقائق لأضع قناع وجه يريح بشرتي.. إلى اللقاء
يا بنات))

قالت ميادة بامتعاض بعد ذهاب سارا وترك مكانها في المحادثة
مفتوحا بدون وجودها

((بغض النظر يا عزيزاتي.. ولكن بما أنه يريد الزواج فعليه أن يكون صاحب شخصية قوية وأن يكون حازما كي لا تستطيع أي من زوجاته الاستئثار به فيظلم الأخرى.. والذي يبدو لي أن هذه الصفة غير متوفرة في هذا الأحمـد.. لأنني أتخيله سلباً إلى أخذ مرتبك فوق ذلك سواء لنفقة البيت أو لإرضاء زوجته))

غمغمت ديمة عقب أن قهقهت بسخرية

((مضحك جداً.. تخيلي يا لارا أن يطالبك فيما بعد بجزء من راتبك لزوجته وأن تساعد به بإرضائها؟))

ثم وجهت كلامها للارا مسترسلة بجدية

((نعم صحيح.. فكري في هذا الموضوع بعقل وليس بعاطفة.. فكونك شعرت بارتياح نحوه أو أحببته وتشعرين أنه يبذلك نفس الشعور لا يكفي من أجل الموافقة على الارتباط به فالزواج مشروع عمر))

وافقتها ميادة القول

((لارا لا تنزعجي نحن واقعيات.. فمما أخشاه أيضا أن تطلب منه غدا ألا يبيت معك وألا يراك حتى لأن هذا داخل في شرطها أو أنه في حال سفره يأخذها ولا يأخذك.. ألم تقولي إنه من المحتمل أن يسافر السنة القادمة أو التي بعدها للخليج لظروف عمله؟))

بدأ التخبط والقلق يتسلل لتفكير لارا لتزيد عليها ديمة مخاوفها

((ومن الممكن أن تزفي إليه ولا يقعد معك سوى أياما معدودة
ثم يطلقك بسبب شدة ضغط زوجته عليه فتندمين أشد الندم
كونك وافقت عليه يا لارا))

قالت ميادة أخيرا متتهدة بالخالصة

((نصحتي لك أن تفكري مليا بالارتباط بهذا الشخص.. وأنت
لا زلت صغيرة فلا تستعجلي))

زاد تخبط لارا..

من الأساس فكرة بقائه متزوجا من زوجته ليست مستساغة لها
فهي تريده أن يطلقها فورا بعد أن يتزوجها..

ولكن للآن.. فحتى العدل بينهما لربما لا تطاله من احمد..

رفعت لارا رأسها تقول بارتباك

((بقي أيام على حفلة زفافنا.. والدعوات لم يتم توزيعها بعض..
فهل.. هل نفسخ عقد قرانا وانهي كل شيء؟))

جفلن جميعا على صوت سارا التي كانت تقفز على السرير
قفزا تقرب وجهها المغطى بقناع اسود من كاميرا الحاسوب
المحمول هاتفة

((لا يا لارا ما هذه الترهات؟ ما الذي غير تفكيرك؟ إياك أن
تفكري بفسخ عقدكما))

بتلعثم قالت لارا

((ولكن.. ولكن يا سارا.. لا أظن..))

بغضب وإحباط أبعدت سارا وجهها عن الكاميرا قليلا تكنتف
ذراعها..

ثم قالت وهي تهز رأسها باستخفاف

((أنت ضعيفة وغبية.. لو كنت أنا من تزوجته بدلا منك
لاستطعت أن أحتل كل تفكيره وقلبه من البداية.. ولكنك عرفت
كيف اتركه يتألم شوقا للذة اعلمه إياها على طريقي.. هل
سمعتي يا لارا كلامي الذي أصوغه لك؟ ولكن المشكلة بك أنت
لا به.. لا تعرفين كيف تسلبين لب الرجل الذي أمامك.. هيام
تلك البدينة سبق وأخذته من زوجته بسهولة وأنت لا تستطيعين
فعل ذلك معه وجعله يطلقها؟ خبيتي ظني بك جدا))

سألته لارا بلهفة وهي تشعر بتحدي بكسب احمد

((نعم أنا مغفلة يا سارا.. علميني أرجوك))

طالعت ميادة سارا بوجوم وحذر وهي تبتلع ريقها بتوجس بينما
تتساءل بداخلها عن إصرارها بزواج احمد واهتمامها به..

فليس من المعقول أن تصرفاتها الحالية نابعة فقط من غلها تجاه
هيام بسبب مشادات بسيطة سبق وحدثت بينهما!

=====
=====

انتهى الفصل

قرب راجي شفاهه من وجهها ينثر عليها قبلات باردة خالية من
أي شغف..

وبعد مرور وقت..

ابتعد عنها بوليها ظهره ويغطي نصف جسده بغطاءٍ خفيف
بمحاولة الاستغراق في النوم..

مالت سارا رأسها له ونظراتها تطالع ظهره العاري..

ثم قالت بصوت مبحوح

((راجي اعرف من الطبيعي أن تستسلم للتعب والنوم بعد كل
هذه العاطفة هكذا مباشرة.. ولكن تكرر الأمر كثيرا على غير
العادة.. اشعر أنك تغيرت.. وإياك أن تنكر هذه المرة.. أخبرني
سبب تغيرك يا راجي؟))

سألها بجفاء وقد سبق ورددت هذه الملحوظة كثيرا من المرات
عليه

((لا أدري.. أخبريني أنت.. ما السبب برأيك؟))

كانت كلماته تحمل استغائة غير منطوقة..

يخبرها أنه تغير لأنه يريد أن يعرف إذا ما كانت تهتم بالأمر أو
لا..

يريدها أن تشعر به.. أن تجيء معه في خلوتها وتحدثه حديث
العشاق كما الماضي..

فالوحدة صارت تقتل وجدانه رغم كثرة تواجد الناس من حوله
بكل مكان يخطوه أو يتواجد به..

وهناك سؤال يتردد بذهنه مئات المرّات..

"لماذا يحتضر حبهما مع المشاعر والأحاسيس الآن؟ مع أنه
قبل زواجهما كان باقيا على قيد الحياة ولأكثر من عقد؟"

سمع سارا تقول له ببرود

((أنا فعلا اشعر بخلل ما بعلاقتنا أدت إلى هذا البرود العاطفي
بيننا))

هدر راجي بها بقسوة متعمدة

((حسنا.. جيد.. الآن حاولي أن تكتشفي السبب))

شعرت بكلامه بما يدل على نفوره منها.. كأنه لم يعد يشعر
بالانجذاب لها..

هل مثلا وقع في دوامة الملل والروتين؟

لأنه إن كان ذلك هو السبب فهي قد وقعت به أيضا..

لذلك.. إن أراد حلا فعليه هو أن يفكر في اعتماد طرق وأساليب جديدة للتغلب على هذه الرتابة..

مطت سارا شفتيها بلامبالاة متظاهرة بالبرود وهي تقول قبل أن تعطيه ظهرها هي الأخرى

((لن اكتشف شيئا.. كل ما في الأمر أن تصرفاتك تسبب لي بعض الإزعاج.. ووجدت أنه من الأفضل مصارحتك لتوضح لي تغييرك هذا.. لكن إذا لم ترد.. فالطلاق أمانا ولننهي كل ما بيننا بلا عودة.. فأنت تغيرت بشكل كبير وليس لي أي مزاج أو طاقة متبقية لتحملك))

استدار راجي يحدق بها بجمود للحظات قبل أن يبتسم بتهكم وبيهوت وهو يفكر منذ متى بدأت تهدده بطلب الطلاق هكذا بكل سهولة؟

صحيح أنها أحيانا تطلبه منه في صورة عبارات عادية عند أي خلاف لكن هذه العبارات لم تتحول إلى كلمات صريحة إلا مؤخرا..

بل مؤخرا كثير ما صارت تشير لتغيره معه وبأنه يزعجها ولربما يكون سبب فراقهما..

عاد يدير ظهره لها زافرا وهو يغمض عينيه..

لقد صار يتنفس الحزن بحياته معها بابتسامه شاحبة..

فقد حمل فوق كتفه أطنانا من الكبت تراكمت على مدى سنتي
زواجهما الاثنتين..

فهي قتلت فيه المشاعر والأحاسيس مع سبق النسيان والإهمال
النابع من تصرفاتها المتعمدة والغير متعمدة..

وعلى الجانب الآخر من السرير..

أغمضت سارا عينيها وهي تدعو الله أن تذهب إلى الجحيم
بسبب تلك اللحظة التي قبلت فيها الزواج من راجي مرة أخرى
لأنه شعرت بأنها لا تزال تحبه..

فما هذا المنطق الأعوج بحياتها الذي يجعلها تقبل عرض
الزواج من كل رجل تحبه يتقدم لها!

لكن ما الذي أعجبها براجي ليجعلها تسعى للزواج منه قبل أكثر
من عقد مضى ثم تبقى على حبه لها؟

حقا ما الذي أعجبها براجي لتتزوجه؟

ألأنه وسيم وممشوق العضلات؟ أم لأنه حنون ومتفهم وخفيف
الظل؟

لأنه ويكل الحالات تلك ليست أسباب مقنعة للزواج..

فماذا ستجني من هذا الراجي الوسيم وممشوق العضلات عندما يطلب منها تعلم الطهي لإعداد وجبات الطعام له؟

وبماذا ستجني من هذا الراجي الحنون المتفهم خفيف الظل عندما يفسد حياتها معه بطلبات الكي والغسيل والتنظيف؟

الآن وبعد مرور سنتين كاملة.. هي تعلن ندمها الشديد على زواجها منه..

فمكانها الحقيقي الآن هو مع صديقاتها في رحلة تسوق بأفخم المتاجر..

أو برحلة تخييم وتسلق الجبال..

أو أي مكان تجد فيه متعتها بعيدا عن البقاء بهذا المنزل البائس..

وهذا ما سوف تفعله منذ الصباح..

أما الآن لتركز بأمور أكثر أهمية.. مثل احمد.. ولتجد حجة أخرى للتحدث معه..

غير آية طبعاً.. فليس من المعقول بكل مرة أن تتخذ آية موضوعاً لتحدثه عنها لساعات..

مدت سارا يدها لتأخذ هاتفها الموضوع فوق المنضدة المجاورة لها لتفتحه وتدخل على صفحة احمد الشخصية على "الفييس بوك" وتتصفحها لتعرف المزيد عنه..

التفتت راجي لها محدقاً فيها بغرابة ما إن شعر على ضوء الهاتف يقلق منامه..

راها تبتسم وهي تحرق بشاشة الهاتف لكنه اظهر اللامبالاة وهو يجبر نفسه على محاولة العودة للنوم..

لكنه لم يستطع منع عقله بالتفكير بسارا من منحني آخر..

فبعيدا عن علاقته بها.. صار يلاحظ فيها تغيراً يتعلق بشيء ما آخر لا يعرفه..

ففضلاً عن عادة استخدام هاتفها قبل النوم والمراسلة..

صار يجدها شاردة باستمرار وكأنها تتذكر مواقف معينة
تجعلها تتبسم دون مبرر واضح..

تسمع أغاني عاطفية.. تميل لأنشطة وخرجات أخرى لم تكن
معتادة عليها ببداية زواجهما..

كما وأنها بدأت تهتم بمظهرها بشكل مبالغ فيه أثناء خروجاتها..

تسعى للأناقة اللافتة ومساحيق الزينة المختلفة وارتداء الأزياء
الجديدة وتدقق في اختياراتها بشكل لافت..

بل وأصبحت فجأة تهوى ألواناً وأزياء وموديلات لم تكن
ترتديها من قبل وقريبة من الملابس الرسمية..

عدى على تركيزها على عيوبه.. كأنها لا ترى فيه غير
الصفات السلبية التي تبدأ بشخصيته وطريقة معاملته لها..

أصبحت لا تطاق بسبب مقارناتها المستمرة وسخطها على
حياتها معه..

في اليوم التالي..

وعلى غير العادة استيقظت سارا باكرا وتواصلت مع ميادة
تعلمها بأنها آتية لمنزلها هي وشقيقها في العاصمة..

فهناك تريد منها أن تقضي معها نهارا كاملا بأفضل مراكز
التجميل التي تمنح أفضل جلسات الدلال لها..

استقلت سارا سيارتها الفخمة ثم أمضت فيها أكثر من ساعتين
قيادة على الطريق بسبب الازدحام للوصول للعاصمة..

وبمجرد أن وصلت لببيت شقيقها استقلت ميادة سيارتها وجلست
بالمقعد المجاور لها..

أولا ذهبت سارا وميادة لإحدى صالونات الشعر المتواجدة في
إحدى الفنادق والتي تقدم مجموعة من خدمات الشعر باستخدام
منتجات ممتازة..

وكان قد تم تجهيز الصالون ليحوي كراسي جلدية وديكور
حديث وستائر من الساتان ليخدم عملاء أثرياء..

ثم ذهبتا سويا إلى صالون تجميل آخر راقى يقع في الطابق
الثاني لمركز فخم للتسوق..

كان الصالون الثاني ذو ديكور داخلي شبيه بدوار فرنسي مزين
بستائر ذهبية وكراسي بذراعين مريحة ومصابيح ريفية
وجدران زهرية حيث يتم خدمة العملاء من قبل فريق من
الموظفين المهرة للأيدي والأقدام..

وعند غروب الشمس..

خرجت سارا وميادة من مركز تجميل أخير بدا من واجهته انه
مكان راقٍ وفاخر لا يختلف عن مراكز سابقة دخلناها..

كانت كلتاها تحمل أكياسا كثيرة بعد أن أمضيا وقتها لساعات
طويلة في التسوق قبل الولوج له..

وأخيرا جلست المرأتين على مقاعد إحدى المطاعم الراقية..

فاسترسلت سارا أحاديثها عن حياتها الزوجية البائسة لميادة..

ثم أضافت بالنهاية متذمرة وهي تستند لظهر الكرسي

((ميدو أنا أرى بأنني وراجي فقدنا الحب.. لا تفاهم بيننا.. أساسا
منذ أوائل اللقاءات التي كانت بيننا عرفت بأن لا توافق بيننا..
ولكنني أكملت وأخر ما توقعته أننا لا نستطيع التفاهم مع بعضنا
أبدا.. الأفضل أن ننفصل.. وأن يبحث كل واحد منا عن شريك
آخر يناسبه))

تمتعت ميادة بتساؤل بدون تفاجئ وقد توقعت هذا القرار من حديث سارا المستمر عن البؤس الذي تعيشه معه

((ألن تندمي بالانفصال عن راجي يوما ما؟ فهو رجل رائع))

رن هاتف سارا فالتقطته لترى اسم راجي يظهر على شاشته فأجابت ميادة وهي تفصل الخط على راجي

((بالطبع لا.. ولم سأندم؟ لم اعرف بحياتي طعم الندم ولا أظن بأني سأعرفه.. فكما كانت تقول لي أمي.. يذهب قرد.. يأتي غزال))

بصراحة مباشرة واجهتها ميادة

((وماذا ستفعلين إذا لم يأتي لك الغزال؟ كيف يمكنك وقتها استرداد قردك السابق؟))

عاد هاتف سارا يرن مرة أخرى باسم راجي فأغلقت سارا الخط عليه مرة أخرى وهي تطلق تهديداتها وترسل رسالة مضمونها أنها ستنام عند شقيقتها الليلة ثم أغلقت هاتفها كله..

نظرت سارا باقتصاب لميادة مجيبة إياها بغیظ

((ولم لن يأتي؟ انس ولنتوقف عن الحديث الآن.. جلسة التدليك التي قمنا بها كسرت عظمي بدلا من جعلي استرخي.. لنذهب لمشاهدة فلم بإحدى دور السينما بعد أن يأتي طعامنا.. ثم لنسهر بمكان آخر حتى الفجر.. ثم سأنام ببيتكم قبل أن أعود لبيتي الزوجية البائس غدا))

كانت سارا متعبة جدا ومرهقة ورغم أنها استيقظت منذ الصباح إلا أن هذا لم يمنعها من إجبار نفسها على التسكع هنا وهناك حتى الفجر..

=====
=====

قبل ثلاثة أيام..

دخلت هيام المستشفى رغما عنها بسبب تعرضها لهبوط حاد فهي لم تكن قد أكلت شيئا منذ عدة أيام..
وقبل أن تخور قواها وتفقد وعيها استطاعت أن تتصل بوالدتها لتجيء عندها وتطلب لها الإسعاف..

بعد دقائق خرج الطبيب من غرفتها داخل المشفى بعد إن أعطى بعض التوصيات لأمها التي سرعان ما اندفعت هي الأخرى خارج غرفة هيام مغلقة الباب خلفها..

لحظات وكانت سميحة تطلب احمد على الهاتف..

وما إن أجاب حتى أخبرته سميحة بصوت بارد جليدي بأن يأتي ليرعى زوجته المتعبة والمنهارة بعد أن شرحت له وضعها..

اكتفت بأن تعطيه عنوان المستشفى ثم أغلقت الخط على وجهه فوراً بدون حتى أن ترد على أسئلته أو تطمئنه على حالها..

تكاد لا تصدق كيف أخبرها احمد أنه لن يستطيع أن يأتيهما قبل أن ينهي دوامه بعمله بسبب تكديس الكثير من المهام والجلسات فوق رأسه..

بعد ساعات..

جاء احمد لها للمستشفى أبكر من الموعد الذي أعطاه لسميحة..

فبعد أن عجز أن يكمل بقية دوامه في العمل أخذ طلب مغادرة..

مسافة الطريق حتى وصل للمستشفى المتواجدة فيه هيام وهو
يشعر بأن الدنيا تدور به..

حد أنهم وضعوا له أيضا محلولا.. فقد كان يعاني هو الآخر من
انهباط حاد..

وكان زواجه صعب عليه مثلها على حد سواء..

طوال الأيام الثلاث ومنذ دخول هيام المستشفى وهي ترفض
رفضاً قطعياً بكره رؤية احمد أو أن يدخل عليها حتى..

فبقيت سميحة طوال هذه الأيام تهتم بابنتها وحدها وتراقب
التغييرات في حالتها لمعرفة إذا ما كان وضعها في تحسن أو
تدهور..

خاصةً وأنها لم تُعلم أحد عن دخول انهيار وتعب هيام..

باستثناء راجي الذي ورغم قلقه الشديد عليها رفض زيارتها بعد
أن رفضت أن تطلب الطلاق من احمد..

اهتمت سميحة أيضا بتزويد هيام بدفعات متكررة من الأطعمة
المغذية والغنية بالوحدات الحرارية..

وحتتها على شرب الكثير من السوائل لأن أكلها كان قليل جدا..

كانت هيام شبة مستلقية على سرير المستشفى ونظرها يشرد بعيدا..

صار لديها مؤخرا حبّ جارف للعزلة والصمت..

بحيث تستطيع أن تقضي ساعات وهي تحدد للفراغ أمامها بدون أن تنبس بنت شفة..

أو بدون حتى أن تشعر في الحاجة إلى أي رقة..

أما رأسها فكان كمضمار دائري تتراكم وتتسارع الأفكار والذكريات والمشاعر فيه بدون أن تصل إلى نتيجة أو قرار نهائي..

طرق احمد باب غرفة هيام بمحاولة أخيرة لرؤيتها قبل رحيله اليوم من المشفى..

طرقات الباب شددت انتباه كل حواس هيام لتميل بجلستها الشبة مستلقية تنظر للباب بترقب..

وما إن رأته أحمد يلج للغرفة وهو يقترب منها تحت عيناها
المتابعتان له حتى صدح صوتها عاليا بقوة وبنبرة خالية من
العواطف

((أحمد لو سمحت لا أريد رؤيتك أبدا.. أبدا))

فغر أحمد شفثيه لا يصدق كيف أنها حتى وبعد مرور ثلاث أيام
لا تزال ترفض رؤيته وهي التي لم يسبق وأن رفضت طلبا
له..

كانت هيام نفسها كانت لا تعرف من أين جاءت بكل هذا
الحزم..

لكن كان عليها لزاما أن تكون قوية ولو لمرة واحدة بحياتها وأن
تبدى نفسها فوق أي شيء آخر هذه المرة..

حرك أحمد رأسه يلقي نظرة على والدتها التي كانت جالسة
بزاوية الغرفة وترشقه بنظرات غاضبة وساخطة..

كانها تخبره بأنه لو تقدم أكثر من هيام ستجعله يقع أرضا قتيلا
فابنتها بحاجة أن تخلو بنفسها وأخر ما تريده رؤيته..

فهم أحمد أنه غير مرحب به بعد فأطرق رأسه يهزه بتفهم..

ثم رفعه يسأل هيام بصوتٍ واهن

((حسنا سأغادر كما تريد يا هيام.. لكن هل أنت بحاجة لأي شيء؟))

إلا أنها أشاحت بوجهها بعيدا عنه ولسان حالها الذي لم تنطقه يقول بأنه هو آخر شخص قد تحتاجه الآن بأي شيء..

قال احمد مردفا وهو يدخل أكياس فاكهة وأطعمة تحبها هيام وبعض المستلزمات التي قد تنقصها ليضعها على الطاولة

((حسنا كما تريد.. لكن وقت المغادرة بالمساء ستأتين معي للمنزل ولن أسمح لك باي اعتراض))

قال الجملة الأخير بإصرار ثم خرج على الفور من الغرفة مغلقا الباب خلفه غير معطيا لها مجال حتى للرفض..

خطت سميحة نحو هيام تجلس على كرسي قريب من سرير ابنتها هادرة وهي تربت بكفها على كتف هيام

((ارتاحي يا ابنتي وحافظي على صحتك ولا تفقديها من أجل من لا يستحقك))

هزت هيام رأسها صامتة ثم تنهدت تنهيدة عميقة لتدحرج دمعة من عينيها مسحتها بسرعة..

عدلت هيام وضعيتها لتستلقي بجسدها كاملا على السرير لعلها تنجح بالنوم وتعوض الليلي السابقة التي عاند السهر فيها عينيهما بسبب تقلبها المستمر بفراسها على جمرة الغيرة والقهر والعذاب والألم الذين تكاثفوا جميعا مع السهر حتى لا تنام..

وللأسف كان حالها بتزايد بكل يوم يمر مقتربا من يوم زواجه..

إيمان؟ كيف كان الأمر بالنسبة لها قبل سنوات؟

لأنها الآن تستطيع تفهمها أكثر بكثير ونظرتها تغيرت عن نظرتها السابقة قبل عقد مضي..

ليس لأنها كبرت ونضج سنهما أكثر.. بل لأنها وُضعت بمحلها وبمكانها..

صحيح أن احمد تزوج من إيمان زواجا تقليديا على النقيض منها حيث كانا بينهما سنوات من الحب والعشق..

ولكن بالنهاية.. كله نفس الشيء على المرأة..

كله بنفس الصعوبة ولا يمكن أن ينكر أحد أن الخطب شديد
ومؤلم على الزوجة حين ترى زوجها بعد سنوات زواج مديدة
من التألف والمودة قد صارت لها شريكة أخرى فيه..

قالوا إن الأمر كان أسوء على إيمان فاحمد لم يكن يريد الزواج
إلا من فتاة أحلامه وحب عمره عليها..

لكن هي ترى أن الأمر أسوء عليها هي..

لأنه سيتزوج من أخرى تصغره ربما بأكثر من خمسة عشر
عاما..

والتي لم تكن ستطلب حفل زفاف ومهرا كبيرا ولم يكن احمد
سيوافق على شروطها وطلباتها الباهظة ما لم تكن صغيرة
وفاتنة وجذابة وتستحق منه الدفع غالبا..

بالماضي.. حينما قررت الزواج بأحمد حاولت إيمان أن ترميها
بالزيت الحار..

وقتها كانت تريد أن تشتكي عليها بدون اهتمام لصلة قرابة
والذهاب لأقرب مركز شرطة لترفع محضرا ضدها..

فقد رأتها إنسانة مختلة ومجنونة مكانها الصحيح هو السجن أو
مشفى المجانين..

أما بالوقت الحالي..

فهي لا تكاد تصدق أنها قبل أيام وأثناء خروجها للتبضع بقصد
تغيير نفسها..

توقفت عند إحدى المتاجر ثم دخلته ولم تشعر بنفسها وهي تسأل
البائع عن سم فئران..

سخرت من نفسها..

فمن المستحيل أن تصل بها الأمور إلى قتلهم ولكن من الممتع
تخيل موت احمد وتلك التي سيتزوجها..

لكن سرعان ما هزت رأسها بعنف تنفض هذه الأفكار من عقلها
وهي توبخه نفسها بعدم التفكير بهذا أمور..

فحتى لو بدا الأمر كمزحة أو أحلام تخفف بها من واقعها..
ولكن لا يجب عليها حتى الاقتراب بالتفكير بها أو تخيلها..

كي لا تتحول الأفكار لأفعال بدون أن تشعر بها وتقررف ذنبا
حرمته كل الأديان السماوية..

فخرجت من المحل تجري بذعر وبطريقة لفتت الانتباه لكل من
حولها وهي لا تصدق كيف وصلت الأمور بها إلى حد التفكير
هذا..

شعرت بأن تفكيرها هو بلوة ومصيبة..

وأى مصيبة حين تكون الدنيا أكبر هم وأبعد تطلع؟

فهل زوج الدنيا هو آخر المطاف وأكبر الاهتمامات؟

وهل يساوي مهما بلغ حبه في قلبها غمسه تغمسها في الجنة؟

هل يجب أن تتبع دينها لأجل رجل؟

كل مغريات الدنيا وليس الزوج فقط لا يجب أن تعلق فوق قدرها الحقيقي فتحرمها مما يفترض أن يكون أبعد الاهتمامات وأعلى الأمنيات ألا وهي بلوغ رضا الله والجنة..

هنا.. فكرت بأنه عليها وباختصار أن تطلب الطلاق من احمد حتى لا تتمادى بأفكارها هذه..

فليس من الدين في شيء أن تصبر على القهر والتعب..

لكن لتصبر قليلا قبل أن تطلب الطلاق..

لتصبر لأخر ليلة قبل حفل زفافه قبل زواجه..

لربما يعود في قراره.. أو يحدث شيئاً يفسد زيجته كلها..

أيقظتها سميحة من شرودها هادئة

((هل ستذهبين معه للمنزل عند مغادرتك؟ أم ستجيبين معي
وتطلبين الطلاق؟))

أجابتها هيام فوراً هامسة

((لا أمي.. سأعود معه.. لا أريد التفكير بالطلاق بالوقت
الحالي))

أومأت سميحة برأسها في صمت وبصرها معلق بوجه هيام ثم
قالت بحزن

((قلبي يؤلمني على حالتك يا هيام.. بل على حالكم جميعاً..
فأخوك استشعر بأن أموره ليست بخير مع سارا.. وجالا لا
تحكي لي شيئاً ولكن يبدو أن هناك مشاكل تحصل بينها وبين
مراد لذلك تجلس ببيت فيصل.. فأنا لن اصدق قصة أن مراد
هو من طلب منها ذلك لتتهم بالدها))

تطلعت هيام نحو والدتها لتقول باقتضاب

((لا أدري شيء عن جالا ولكني سعيدة من أجل راجي إذا كانت أحواله فعلا ليست جيدة مع سارا وأن هناك طلاقا يلوح في الأفق.. منذ زمن وأنا أتمنى أن يثور عليها.. ويبحث عن امرأة جديدة تلوح له.. أساسا راجي محاط بعمله وأقاربه بالكثير من الفتيات وأنا متأكدة بيوم من الأيام ستدخل إحدى الفتيات وممن لها إطلاع على حياته ولها من الذكاء الاجتماعي ما يجعلها تكتشف نقاط ضعفه.. ووقتها سيترك سارا من أجل تلك الفتاة التي تستحقه.. لأنه لو استمر معها على هذا المنوال فلن يشعر بسعادته كرجل))

هزت سميحة رأسها بياس من هيام..

فهيام تكره سارا لصفعتها لأحمد بليلة زواجهما أكثر من كرهها لها لمصلحة أخيها وسعادته..

فلماذا هي مستمرة بكرهها حتى بعد أن عقد احمد قرانه على غيرها؟

لكن سميحة لا تنكر أن راجي تغير بشكل ملحوظ منذ زواجه منذ سارا..

تغير أو بالأحرى تكيف معها..

أصبح رجل ينفذ توجيهاتها ليس إيماناً منه بصحتها بل ليتجنب
لومها المستمر وعتابها الجارح في حالة عدم الانصياع
لرغباتها..

أصبح سلبياً جداً في بيته لا يفعل إلا ما تقوله سارا له أو تطلب
منه عمله..

ولا يبدي إلا سعادة مؤقتة بالنتائج المؤقتة التي يحصل عليها
عقب تنفيذ رغباتها الوقتية التي تستمر مع كل مرة..

وكل هذا لأنه من وجهة نظر ابنها المسكين أنه فعلاً يحبها
ويريد المحافظة على علاقته معه حتى تستمر بكل هدوء وبدون
مشاكل..

لكن المشكلة ليست في الحب وحده لأن كثيراً من البيوت
السعيدة لم تبني على الحب ورغم ذلك استمرت إلى النهاية..

فمن السهل أن يتولد الحب من الاحترام والتقدير والثقة
والأمان..

لكنه من الصعب أن يستمر باللامبالاة والإهمال والأنانية..

سواء كان الزواج تقليدياً أو بعد علاقة حب.. كان على ابنها أن
يحسن اختيار شريكه حياته..

كان عليه اختيار من يتلاقى معها فكرياً وينسجم معها نفسياً..

وما يثير استغرابها.. انتظاره لها طوال تلك السنين ليتزوج منها
هي دون غيرها..

فكيف بقي على حبها حتى بعد أن عاشرها وكشف عن جوهرها
لأكثر من سنة بزواج سابق لهما..

=====
=====

وقف عدنان أمام شقة والده بعد أن دخل البناية وصعد الدرج..

وجد نفسه يرفع يده عاليا ليطرق الباب محاولا تمالك تلك
المشاعر والأفكار التي تدور بعقله..

بقيت يده معلقة بالهواء لدقائق مرت عليه وهو لا يعرف ماذا
يفعل؟

هل هو مستعد للقاء والده والتحدث معه أم لا؟

عليه أخذ قرار سريع لأنهم سيغادرون البلاد قريبا..

تعمقت زرقاوي عدنان بحزن قديم مهموم..

وكانت لحظات حتى ضم قبضته بقوة وأغمض عينيه وهو
يستدير للخلف ويركض على الدرج للأسفل..

كان يركض بسرعة مغادرا وهاربا كعادته وكما يفعل بكل مرة
أثناء تواجد بالبلاد..

بالرغم من أنه يقول صراحة أمام عائلة أمه بأنه لن يقابل والده
بل ويرفض أي تواصل يكلف والده العظيم نفسه بالقيام به
للتحدث معه..

إلا أنه وبكل مرة يخرج من بيت جده متحججا بذهابه لمكان
ما..

يجده نفسه من حيث لا يدري يقف أمام بناية والده لدقائق طويلة
يعيش فيها بدوامة تردد ليقرر في النهاية أن يغادر بدون أن
يلتقي به ويكلمه..

وكم كان يتمنى بكل مرة أن يراه والده أو أحد أفراد عائلته وهو
يخرج من البناية أو يدخل إليها صدفة ويمسكه متلبسا ويرغمه
على عدم الهرب والمغادرة..

=====
=====

رحبت أمينة زوجة فيصل بمراد الذي جاءهم بحجة زيارة عمه
فيصل المريض ورؤية زوجته وطفليته وهي تتحني لوضع
صينية الضيافة أمامه..

ثم خرجت.. فرجع مراد وجهه لفيصل قائلاً بتهذيب متحفظ

((شفاك الله يا عمي وعفاك من كل شر.. كيف صحتك الآن؟))

رشقه فيصل بنظرات حادة متجهما وهو يهدر له بنبرة غاضبة

((هل يمكن أن توضح لي لماذا ابنتي وطفليتها هنا منذ أكثر من
عشرين يوماً؟ هل حصل بينكما أي شجار؟ لأنني لا أصدق ما
قلته لي بزيارتك السابقة قبل أيام وأنتك أحضرتها هنا حتى
تعنتني بي.. كما ترى أنا بصحة جيدة ولست بحاجة من ابنتي أن
تترك بيتها وزوجها وتمرضني.. تعال غدا مجدداً هنا حتى تأخذ
زوجتك وبناتك معك.. هل تفهم يا مراد؟))

ظل مراد ينظر إليه مبتسماً رغم كلامه الذي يحمل اتهاماً له ثم
قال له بنبرة هادئة

((عمي طلبت مني جالاً أن تبقى أياماً هنا لقضاء بعض الوقت
معك ببيتك وأنا لم أستطع أن أرفض.. ولكن معك حق لقد
طالت المدة ويجب عليها العودة للمنزل.. الآن سأجلس هنا قليلاً
وغدا سأصحبهم معي))

كان مراد حذرا من ألا يتحدث بما يحدث بينه جالا وبينه أمام
فيصل بعد أن أدرك أن تدخل الإباء لن يجني منها إلا ازدياد
الأمور سوءاً..

ثم وقف من مكانه طالبا

((ريثما تأتي البنات من الحضانة أريد الدخول عند جالا قليلاً..
استأذنيك يا عمي))

هز فيصل له رأسه سامحا له وهو يعقد حاجبيه ولا يستطيع أن
يكذب شعوره بأن هناك خطبا ما يحدث بين ابنته وزوجها..

فهي ببنته منذ عشرين يوما وبكل مرة يجيء مراد هنا لعدة
ساعات لرؤية بناته والاطمئنان على حالهن وحاله لا تخرج
وتستقبله ولا تجلس معه..

في نفس الوقت..

خرجت جالا من غرفة الغسيل تحمل ملابساً نظيفة مكوية
بعناية وهي تتجه بها للغرفة التي تنام فيها مع رورو ولين..

وبينما كانت أمام رفوف الدولاب تضع الملابس سمعت صوت
مقبض الباب يُفتح فاستدارت للخلف لترى مراد يطل منه
ففغرت فاهها بدهشة..

كان مراد واقفا عند عتبة الباب ينظر لها من رأسها لأخمص
قدميها..

غضبها السابق والمستمر منه لم يجعلها قادرة على رؤية عيناه
اللتان كانتا تتقدان بولع الشوق والحب..

ولا حتى قادرة حتى على رؤية نظراته التي كانت تجردها من
ملابسها حيث كان عاجزا عن التفكير بأي شيء آخر إلا كيف
ينهل من عبق جمالها بعد تعب الهجران المضمن منذ أكثر من
عشرين يوم..

فهذا الشهر واحد من أسوأ الشهور التي مر عليه بسنين
زواجه..

لكن لم يكن مراد يريد إلا أن تكون الآن بين ذراعيه..

بعيدا عن الحديث عن مشاكلهما وحلها والتي سيترك مناقشتها
لوقت آخر..

المهم أن يُطفئ شوقه إليها الآن..

وقبل أن تنطق جالا بحرف ولج لداخل الغرفة يغلق الباب خلفه
بقدمه..

ثم اقترب منها وبدأ يحوطها بذراعيه لتقع الملابس منها وكفاه
يتخذان مسلكهما على خصرها بقوة..

دفن مراد وجهه في عنقها يتحسس ريحها العبقرة غير مباليا
لاقتضابها ومقاوماتها الضعيفة..

لقد هز الشوق فعلا قلبه وأضناه البعد عنها طوال تلك الأيام..

بقي مراد على هذا الوضع لدقائق مستمرا بعدم إعطاء تمتاتها
الأمرة له بنزق بالابتعاد عنها أي اهتمام..

بعد دقائق لانت ذراعيه المحاطتين بخصرها قليلا لتذمر جالا
وهي تدفعه عنها مغمغه

((ابتعد عني يا مراد فأنت تكاد تعصرني))

استطاعت أخيرا أن تنسل من محبسها بين ذراعيه مردفه بتهكم

((هل أنت نفسك من كنت بالأيام السابقة تتحدث معي على
الهاتف بجفاء؟ ليكن بعلمك أنني لن أعود لك قبل أن تجيب طلبي
ببيت مستقل بعيدا عن منزل والديك أبدا وهذا آخر..))

جذبها نحوه لترتمي بين ذراعيه ثم بتر كلامها وهو يحني رأسه
ليعلق فاهها بطريقته المفضلة..

كان يعتصر ضلوعها في أحضانه وكأنه يعلمها أن عناقه
السابق لها لم يكن شيئا مقارنة بما سيفعله تالياً..

بقي يتلهم فيها بقبلة نهمة مشتاقة سارقا أنفاسها لدقيقة..

ثم فصل قبلتهما ليستند بجبينه على جبينها ولهاته يداعب
وجنتيها هامسا بثمالة من قبلتهما وهو يخفض نظراته لشفتيها
التي تورمت

((اشتقت لك يا مليكتي.. ألم تشتاقي؟ جلبت الكثير من مسدسات
الماء لمعاقبك فيها عندما تعودين))

لم ترد عليه جالا وهي تشيح بعينيها جانبًا بحنق..

ابتعدت عنه لتجلس على طرف السرير فالتفت يدنو من الباب
ويتأكد من إحكام إغلاقه بالمفتاح..

ثم خطا وضع كلتا يديه بجيبي بنطاله متقدما نحوها..

جلس بجانبها ومن دون أن تشعر أخرج كفه ليقربها من أناملها
الرفيعة يداعبها بعث لدقيقة قبل أن يرفع يدها إلى شفاهه
ويقبلها..

أخذت جالا يدها منه بعنف ثم عقدت ساعديها أمام صدرها
وهي تعطيه ظهرها بجلستها..

فلكر كتفه بكتفها عدة مرات يشاكسها لتلتفت إليه..

وعندما لم تفعل لكرها بقوة جاعلا منها تسقط على ظهرها بخفة
فوق الفراش شاهقة..

ظل من فوقها مبتسما بمكر وهو يخلع قميصه ويرميه بإهمال
على الأرض..

قالت جالا له برفض متبرمه

((هل تجد الوقت والمكان مناسبان لما تريده؟ ثم إن خالة أمينة
تعد لك بعض المقبلات وستنادي عليك بعد قليل.. فماذا ستقول
له وكيف ستخرج له بهذا المنظر؟))

لكنه استمر يخلع قطع ملابسه تباعا وهو يكشف أكثر وأكثر عن
جسده أمام عينيها الممتعضتين..

هبط فوقها على السرير قائلا بصوت مبحوح من الرغبة
ووجهها الحانق الشهي هذا كافي أن يغريه لينال منها ما يريد

((سأقول لها أن تذهب فلا حاجة لي بمُقيلاتها.. في حين أن ألد
مقبلات وأشهاها هنا أمامي))

عضت جالا على شفقتها السفلية وهي تكتم ابتساماً مشاغبة
أطلت من عينيها لتقول

((اهدأ يا مراد نحن ببببب واللب.. ولسلعل كل من رورو ولبلن
بعء ساعبلن))

آربل من مرال ضآكة أآشه..

علبها أا آللم آلى أن ببلرآها قبل بللؤل كل إنش فلبها وبشبع
آآبله بلقببلها آلى بعرآها بعشقه الآرف..

قرب وآهه منها هامسا بصوبل آآفل رعم قوبله

((أعلقلل الباب آلفنا آببلا.. للآآل الآن قبلولة قصلرلة قبل أن
لعلول الببلنلن))

بءأ مرال ببللر قبلاله على وآهها قبل أن لهبط شفلبله إلى عنقها
مرور ببلبضها الآآق..

قالل له آالا ببعل الرآاء واللال وهب لملل كلمالها

((مرال.. أربلوك.. لبس الآن))

لم يستجب لها بل انقض على شفيتها بينهم منهما لعله يشبع
الجوع الذي اكتسحه بشكل ملازم طوال الفترة السابقة..

ويديه تعبثان بجسدها الناعم بكل رقة وحنان كما عادته معه..

وهي كانت أضعف من أن تمنعه أو تقاوم واسم "مليكة" الذي
يخرج من شفتيه يفقدها صوابها..

لقد اشتاقت له كما لم تفعل من قبل بعد كل هذا البعد والجفاء بعد
أن أدمنت طوال سنين زواجهما حنانه ودلاله لها..

أما مراد بقي يحرقها بلهيب رغبته الحارة حتى ذابت بين
ذراعيه..

وبعد مرور وقت..

تنهدت جالا بسعادة وهي تستلقي بجانب مراد على سرير
واحد..

أحس مراد بتمللها فضمها إليه وهو يمسد على شعرها بحنانه
المعهود متمماً لها بشجن وكأنه يشكو إليها أمره

((لقد عشت بعذاب بعد ذهابك مع البنيتين.. لننهي كل المشاكل
ونعود لبيتنا يا جالا))

شعر فجأة بسكونها المريب فما كان منه إلا أن ابعدها عنده
ليتلجى له وجهها الذي تغيرت ملامحه وهي تقول له بصرامة

((لا لن أعود.. بعد أن نقلت والدتك أسرارنا لجاراتها
وفضحتني فلن أعود))

اعتدلت جالا شبه مستلقية على السرير وهي ترى انعقاد حاجبيه
لتسترسل

((ألم تخبرك أمك ما حدث لأذهب؟ لقد أخبرت جميع جاراتها
أنك كنت تقاطعني وتهجرني منذ أسبوعين))

اتسعت عينا مراد ذات اللون البندقي لا يصدق ما تقوله فازدرد
ريقه ثم قال مبررا

((أخبرتني أمي فقط انه حصل بينكما مشادة صغيرة لا تذكر
فتحججت أنتِ بها لتغادري المنزل.. ثم كيف عرفت أمي بهذا
وانا لم أخبر أي أحد بما حصل بيننا؟))

اعتدلت جالا أكثر بجلستها لتجلس على السرير وهي تقول بينما
تعقد حاجبيها

((ليس صعبا عليها أن تعرف ذلك.. ولكن هل يرضيك أن تقول
والدتك أسرارنا لجاراتها؟ لو استمعت لي بالأيام السابقة ولم
ترفض أن نتحدث على الهاتف لفهمت جيدا سبب مغادرتي))

لم يعلق مراد بأي شيء وهو يعتدل من مكانه ويمسح وجهه
بتعب..

لم يكن يعرف أن الموضوع هكذا..

فمع جالا حق ألا تحب أن يفشي أحد أسرارهما الزوجية وهو
يُشهد الله انه لم يسبق وان تحدث بشيء يخص مشاكلهما أمام
أحد.. خاصةً والديه هو..

من المستحيل أن يكون ذلك الرجل الذي يأخذ حديث زوجته
وأخبار حياتها ويسردها مع أي أحد..

وهذا ما سيتحدث به مع امه فلم يكن عليها أن تفتشي إسرار
بيتهم أو شيء يتعلق بخصوصياتهما..

تحرك مراد من مكانه متمتما باقتضاب من بين شفقيه

((جالا أريد أخذ حمامي سريع قبل أن تكمل حديثنا))

بعد نصف ساعة..

كانت جالا تجفف شعرها بالمنشفة بعد أن أخذت حماما هي
الأخرى وارتدت ملابسها ثم تطلعت له يجلس على إحدى
المقاعد يتصفح هاتفه بوجوم..

رفع مراد نظره لها قائلا بهدوء

((احزمني أغراضكم الآن لتأتوا معي فأنا لن انتظر للغد..
وأعدك بأني سأحدث مع أمي بشأن حديثها لجاراتها عن
أسرارنا ولن يتكرر الأمر))

عند ذكر العودة تخصرت جالا وعيناها تشتعلان بغضب
ورفض لما يقوله فهدرت بحزم

((لا لن أتي معك قبل أن تجهز لي شقة بمكان بعيد آخر عنها))

من المستحيل أن تعود له.. لأنها داخليا تعرف بأنه مهما قال لها
بان الوضع سيتغير إلا أنه لن يتغير شيء..

والدته لن تصغي له.. وهو سرعان ما سيعود لطبعه ويستمتع
لأوامر والديه التي فيها خراب لحياتهما..

وهي ليست مستعدة بعد الآن أن تمضي عمرها في مشاكل معه
قد تحدث فجوة بينهما..

ليست مستعدة أن تعيش في صراع من أجل أن والديه لا
يريدونها أن تعيش مرتاحة..

لن تكرر خطأها مرة أخرى وتعود للعيش بقربهم لتعود
الضغوط من قبلهما تحاصرهما..

لن تسكت عن تصرفاتهما وتبقى أسيرة بينهما..

وبنفس الوقت ليست مستعدة أن تبتعد عن مراد وتترك كل
الأيام الصافية التي تعيشها معه..

لذا الحل الوحيد لتقل المشاكل هي أن تبتعد عن السكن بقرب
والديه..

وقف مراد من مكانه صارخا

((أي بيت آخر هذا الذي تريدينه؟ أنا وحيد أهلي وبالتأكيد لن
ابتعد عنهم))

قالت له جالا بامتعاض

((لا أريدك أن تبتعد عنهم ولو شئت امضي كل وقتك عندهم..
لكن أنا أريد بيتنا أن يكون في مكان بعيد عنهم وأعيش حياة
مستقلة دون تدخلهم وإلا سأبقي ببيت والدي كما سبق وأخبرتك
سابقاً))

عاد مراد يهتف بها مستكرا

((هل أنت مجنونة؟ كيف ستبقين هنا بعيدة عني؟ وماذا بشأن
حقوقى الشرعية؟ هل سأضطر بكل مرة أن أتجج لأني هنا
وأخذها؟))

نظرت جالا له بغضب وهي تشد على أسنانها..

هل هذا فقط ما يهمه؟ احتياجاته وحقوقه الشرعية؟

وماذا بشأن راحتها؟

لن تتنازل هكذا له كل مرة خاصةً وهو لا يبالي لما تفعله والدته
لها وعدم حرصه على منعها بالتدخل بحياتها..

شعرن جالا بأنها لو بقيت على رأيها سيكرهاها ويأخذ الأمور
بعناد بعد أن أصبح فعلا عنيدا معها..

لكنها أصرت على كلامها تردد على مسامعه

((لن اذهب وهذا أخر كلام عندي))

قبل أن يهـم مراد بالرد سمع طرقات أمينة على باب الغرفة..

ففتحت جالا الباب لتقول لها أمينة باستغراب

((لماذا كان زوجك يصرخ؟ لقد سمعه والدك ويريد رؤيتكما
الأثنين الآن))

استدارت جالا للخف نصف استدارة تنتظر بغل لمراد ثم اندفعت
خارج الغرفة نحو مكان جلوس والدها ومراد يتبعها..

بعد دقائق..

ضاقت عينا فيصل وهو يهز رأسه غير مصدقاً حديثهما..

ثم قال بغضب وهو يلتفت نحو جالا

((كل هذا حصل بينكما ولم تخبريني أنت ولا هو بأي شيء؟))

وعندما لم يجد أي رد منها رفع فيصل صوته صارماً وهو
يردف أمراً إليها

((الآن احزمي أغراضك وغادري المنزل مع زوجك يا جالا))

قالت جالا بصوت مقهور وبنبرة عالية شاكية

((لا أريد العودة له قبل أن يحل مشكلة والدته بشكل جدي..
فطاعته العمياء لعائلته في تدمير حياتي وشخصيته الضعيفة
المهزوزة أمامهم هي سبب مشكلاتنا.. أنا متأكدة بأني عندما
أعود له سنعود لنفس الشيء وسيعود ليقول لي تحمليهم.. وانا
مللت فوالدته أصبحت ساخطة ومتكبرة ومنتسلطة لا ترى إلا
نفسها وأكثر بكثير من السابق لأنها لا تجد أي رادع لها))

كانت عينا فيصل تتسعان مع كل كلمة تقولها جالا وهي تهين
زوجها أمامه فاغر الفم..

ثم تحول شكل فيصل لآخر بدا فيه مرعباً رغم مرضه وتعبه
بينما يهمس لها بتحذير

((اخوسي.. كيف تتحدثين عنه هكذا!))

زمت جالا شفتيها فهي لم تقل إلا الحقيقة..

ساد صمت تام بالغرفة.. وعينا مراد الجاحظتين باقيتين على حالهما وهو مستمر برشق جالا بنظرات خطيرة..

ازداد انعقاد حاجباه بشكل ينبيء بأن ما بيننا سيتفقم سوء..

فقال مراد من بين أسنانه لفيصل بغل وحقد لما قالته جالا عنه

((أما مشكلتي يا عمي أنا مع ابنتك أنها امرأة تتسلح بالشدة والحدة في المعاملة.. سريعة الانفعال.. كثيرة الغضب والانتقاد لأدنى فعل.. تتلمس الأخطاء لأمي وابنة خالتي رغم زيارتها القليلة لنا.. عاصية لرأيي ورغباتي خاصة فيما يخص طلبي بأن تتردد على منزل والدي.. ومؤخرا عادت عنيدة لرأيها ومستميتة لتحقيقه كما حدث بالسابق بيننا خلافات كثيرة نتيجة لعنادها.. فهي ترى أنني أهتم بأمي وابنة خالتي ولا أهتم بها وأنا أسعى لإرضائهما ولا أسعى لإرضائها))

وبعد أن انتهى مراد من تلمس عيوب جالا وتعداد قائمة انتقادها حرك رأسه لها ينظر لها..

لمس مراد في وجهها الشعور بالحرج والخجل.. فندم جدا لما قاله..

خاصةً وأنه لم يمض الكثير على تأكيده لنفسه ألا يقحم أحدا من
الأباء بمشاكلهما..

هو حقا لم يسبق وأن فعلها وشكاها لأحد..

لكن هي الآن من بدأت كل هذا وهي تتحدث عنه أمام أبيها
بطريقة مهينة..

زادت حدقتنا مراد ذات اللون البندي قنامة فعاد بإصرار يدير
رأسه نحو فيصل بردف كلامه

((وبالنسبة لي يا عمي.. وعلى الرغم من كل ذلك فإنني لا أرى
ما تظنه جالا بل أرى أنني مُقصر تجاه أمي ولا أوفيها حقها..
فجل ما أفعله هو أنني أدخل منزلها لوقت قصير مرتين يومياً..
صباحًا ومساءً.. وأتناول وجبة غداء عندها مرة في الأسبوع
وفي المناسبات.. وأسرع لترقيذ أي طلبٍ تطلبه كشراء شيء أو
تصليح شيء أو اصطحابها لطبيب.. وهي في العادة قليلاً ما
تطلب ذلك.. لذلك لا أستطيع ألا أطلب من جالا أن تعوض عن
تقصيري وتتردد لمنزلها يومياً))

بعد أن انتهى مراد من شكوتها لأبيها.. رآها ترفع وجهها تقول
لأبيها بحدة

((ليست مشكلتي أنه يريد أن يبر امه على حسابي.. لو كانت
تعاملني جيداً ولا تهينني لفعلت ما يريد.. ولكنها تعاملني

كخادمة بالبيت وتجعلني أرتب وأنظف أشياء نظيفة ولا تفوت
أي فرصة لإهانتني أو إهانة أُمي بمفردنا أو حتى أمام أحد))

سألها فيصل بصوتٍ مرتعد

((لم كل هذه الغيرة من والدته؟ هل أمك هي من تحرضك على
زوجك وحماتك؟ لأنني لا أجد شيئا آخر لازدياد حدتك وقسوة
قلبك على والدته))

تتنح مراد لثوانٍ ثم قال لفیصل وهو ينظر بطرف عينه لجالا
قاصداً التحدث عن الفراق بينهما ليجعلها ترتوي بكلامها
وترتدع

((ولا اقصد التهديد يا عمي ولكن اذا بقيت ابنتك على عنادها
فأنا بإمكانني ببساطة أن أخذ البنات منها والطلاق ثم الزواج من
أخرى))

نظرت جالا بغل لمراد..

اخذ البنات منها وتهديد بالطلاق.. هي نعمة جديدة عليه..

ولا بد أن والدته هي من زرعتها بعقله خلال الأيام السابقة بعد أن انفردت به لمدة طويلة..

وليس بعيدا أن تكون طلبت منه ألا يحاول جعلها تعود له..

لكن فيصل سارع يقول باستنكار

((أي طلاق هذا الذي تتحدث عنه يا مراد؟ الطلاق دائما وبأي مشكلة يجب أن يكون الحل الأخير الذي لا ينبغي أن يُصار إليه إلا عندما تُستنفد جميع الحلول المختلفة.. خاصةً وأنَّ لك بنتان من جالا.. وأنت لا يخف عليك ما في الطلاق وتفكك الأسرة على النبات من الآثار السلبية والنتائج الوخيمة))

قال مراد لفيصل متنهدا وهو يكتف ذراعيه

((إذن يا عمي أنا لن أخف الحقيقة أكثر.. هي من غادرت بنفسها وتركت منزلنا الزوجي ورفضت العودة إليه طوال الأيام السابقة.. فما رأيك بفعلتها؟ لأن عدم استجابتها لأوامري بأن تعود سابقا قد أوغر صدري عليها.. وأنا الآن لا أريد منها إلا (العودة))

كانت جالا طوال الوقت تتأمل وجه مراد وهو يتحدث وقد شعرت بأن موقفها صار ضعيفا أمام والده..

لكنها مالت نحو والدها تقول فوراً قبل أن يتحدث والدها رافعة
إحدى حاجبيها بإصرار رغم الغضب البادي في عينيها

((حسناً أبي سأعود ولن أطلب منه توفير منزلٍ آخر لي ولكن
أخبره ألا يجبرني أبداً على التعامل مع والدته أو التحدث معها..
أبداً.. أبداً))

قال مراد بانفعال لفيصل

((عدم زيارتها لوالدتي هي أساس كل مشاكلنا وما يحدث شقاً
بيننا.. وعلى أثره تركت ابنتك المنزلَ آخر مرة بسبب تحدث
أمي عن أمور تخصنا لجاراتها مع أنني اعتذرت منها وأكدت
عليها جيداً أنني سأحدث مع أمي بشأن الأمر))

أظلمت عينا فيصل من كلام مراد فتوجه بنظره نحو جالا يقول
بفضاظة وغضب وهو يرفع سبابته بتحذير

((ما إن يعدن البنات من الحضانة حتى تذهبي مع زوجك..
وعليك إطاعته بكل شيء لأنكم لو تطلقتما فاقسم بالله ستجلسين
عندي ولا تحلمي وقتها بأن ادع روعة ولين يبقين معك لأن
والدهن أحق بهن))

شعرت جالا بغضب جنوني وإحساس بالوجع الخالص يتغلغلان
عميقاً بداخلها تجاه مراد أكثر من والدها..

مع عدم تصديق كل ما قاله عنها أمام أبيها.. وكيف كان متحاملا ضدها..

فوالدها منذ الأزل وهو آخر من يمكن أن يكون سندا لها وهي ليست مصدومة به..

ولم يسبق وأن شكت له شيئا لأنها تعرف أنه لن يكون بصفها ولن ينصر الحق..

بل سيكون بصف مراد وسيتلمس له هو الأعداء..

وهذا فعلا ما حدث وها هو يوبخها ويُحَطِّئُها بكلامه أمام مراد لا بعيدا عنه ليحافظ على كرامتها أمامه..

ولأنها لم تكن تريد الخوض بالمشكلة أكثر من ذلك وخوفا من تدهور صحة والدها..

فبرغم كل شيء هو مريض جدا وصحته ليست كالسابق..

رأت تجاوز الأمر والعودة لبيت مراد..

وهناك في بيتهم الزوجي ستعرف جيدا كيف تتعامل مع مراد..

فلا يحلم أن تبقى خائفة أو ضعيفة أمامه..

كما لن تنسَ كل ما قاله أمام والدها أبدا..

فهي التي لطالما كانت تخفي عن كل عائلتها مشاكلها وأسرار حياتها مهما كانت بسيطة وحلها بشكل ودي في المنزل بدون تدخل أحد..

لتظهر بمظهر لائق أمام الجميع وتجعلهم ينسوا كل ما حدث من مشاكلها الزوجية السابقة بالماضي..

لكن الآن مراد أفسد كل شيء..

وقفت جالا من مكانها مغممه بهدوء ظاهري وبنظرة لها مغزى

((سأجهز أغراضى الآن وأتى معى يا أبى))

من جهة كان يشعر مراد بغضب شديد منها.. ومن جهة أخرى كان يحس بندم شديد لما اقترفه..

فهو لم يكن عليه أن يصل بكلامه لهذا الحد أمام والدها..
ولكنه وطوال فترة ابتعادها عنه وهو في ضيق عظيم..
وآلم كبير لفراقه بنتيه وعدم رؤيته لهن إلا وقت قليل..

=====
=====

بعد مرور أسبوع..

في هذه الأيام كان يعيش راجي مع سارا طلاقا صامتا وخرسا
عاطفيا..

يرى الحالة التي يعيشها معها لها أرضية من الحب ولكنهما في
حالة تجمد..

ويتمنى بداخله أن يكون تجمدا وقتيا لن يلبث أن يزول بتغيرها
معه وبمحاولاته المستمرة أكثر معها..

لكن بنسبة لسارا كان الأمر مختلفا.. فقد بدأت تضع نهاية
علاقتهم..

أخر شجار حصل بينهما بعد شجار ذهابها للعاصمة ليومين بدون أن تعطيه أي خبر مسبق..

كان عندما قررت سارا ترتيب غرفة نومهما وأن يتوسعا قليلا بالغرفة من خلال التخلص من بعض الأغراض الزائدة..

ويدون قصد تخلصت من صندوق راجي المهم في سلة المهملات..

وكانت ردة فعله لها مبالغاً بها حيث اسمعها من سم الكلام ما هو ليس هينا..

فغضبت منه بشدة لأنها من وجهة نظرها لم يتعامل مع الموقف بنيتها الصادقة..

أما سبب غضب راجي منها كان تخلصها من الكثير من الأغراض والصور والتي بعضها متعلقة بماضيها وبعضها الآخر متعلق بعائلته..

بعدها بدأ يشعل حياتها جحيما من تصرفات بسيطة تفعلها لكنه يراها تثير غليان أعصابه..

مثل إغلاقها باب الحمام بصوت عالٍ.. أو عندما تنسى وترك الطبق على المنضدة.. وتصرفات أخرى تفعلها دون أن تنتبه..

وكان الأحداث الصغيرة تأتي لكي تحطم صيره وتحمله على كل الأشياء الكبيرة التي اجتهد سابقا في زواجهما في تحملها..

ثناءب راجي الجالس مستندا لظهر السرير بجذعه العاري مجددا..

ألقي الهاتف على السرير ثم أخذ نفسا عميقا قبل أن يتمللك مكانه ويستلقي رافعا الغطاء الخفيف ليغطي جسده..

شعر بسارا تجلس على السرير بجانبه مع الاحتفاظ بمسافة بينهما ثم تضع غطاءً آخر أحضرته فوقها وتعطيه ظهرها..

نظر راجي باقتضاب شديد لها ثم قلب جسده يعطيها هو الآخر ظهره..

فمع بدء انعدام الحوار والتفاهم بينهما وتراكم المشاكل بدون اهتمام من أي جانب منهما لحلها أو محاولة علاجها..

صار كل واحد منهما يولي ظهره للآخر في الفراش مع انهما لا
يزالان باقيان في التواجد في غرفة مستقلة واحدة..

وكذا صار النهار والليل بأيامهما.. متزوجان ولكن هناك
انفصال جسدي بينهما..

لدرجة أنه لا يشعر بوجود مشاعر الكثير من مشاعر الحب
والمودة والاحتواء بينهما..

بل فقط بالعناد وعدم تقديم تنازلات منهما..

.

.

في ظهيرة اليوم التالي..

نزلت سارا على الدرج للدور العلوي نحو المطبخ..

فتحت الثلاجة تخرج منها طبقًا يحوي الفراولة وما إن أغلقت
باب الثلاجة حتى صاحت بفزع وهي توازن نفسها عند
تراجعها بخطواتها للخلف كيلا تسقط..

تسارعت أنفاس سارا وهي تقول بصوت عالي غاضب

((أفز عتني يا راجي.. لماذا لم تذهب لعملك؟ أنت متأخر))

رفعت سارا معصمها تطالع ساعة اليد قبل أن تردف

((متأخر ربما خمس ساعات))

عادت تنتظر لراجي وتحقق به وهي تراه يجلس على مقعد حول
مائدة الطعام ويبدو بانسا للغاية..

رأته يستدير جانبا لها لتنتظر لما بين أصابعه بعينين جاحظتين
لا تصدق كيف وجده..

قال راجي لها بنبرة غريبة

((حبوب منع الحمل هذه لك.. وهي فارغة من عدد من
الأقراص.. منذ متى كنت تستخدمينه؟))

فغرت سارا شفنيها وشعرت لوهلة أنها توقفت عن التنفس وهي
تنتظر إليه..

للحظة أخرى بدا الصمت بينهما مرعباً خاصةً وهو يطالعها
بنظراته المتوحشة..

لطالما كانت حريصة لسنتين كاملتين على إخفاء هذه الحبوب
بإحدى علب الفيتامينات..

لكنها مؤخراً غفلت وزلت ووضعت كل أمشاط هذه الأقراص
خلف صندوق الأدوية مهملةً إفراغها بالعلبة..

كانت سارا مصدومة مع أنها سبق وتوقعت هذا الموقف بل
وتوقعت أن تعترف له بنفسها قريباً عن أخذها حبوب الحمل
هذه..

أخذت سارا نفساً مهتزاً وقد تسمرت مكانها ثم قالت بثبات
مزيف وغرور

((كنت استخدمها منذ بداية زواجنا وكنت حريصة ألا أنسى
شربها قبل أي علاقة تحدث بيننا))

رأته يقوم من مكانه وهو يكتف ذراعيه لتظهر عضلاته القوية
فابتلعت سارا ريقها وهي تعود خطوتين للوراء..

سمعته يقول بنقاسيم وجه هادئ ينبئ عن عاصفة هوجاء قادمة

((ما دمت تحببيني بكل هذه الثقة.. فلماذا أدعيتي البلاهة عندما كان يسألنا أحد عن سبب تأخر حملك؟ لماذا أخفيت الأمر عني وعاملتيني كمغفل لا حق له أن يشاركك قرار إنجاب الأطفال؟))

برمت شفيتها وهي تقول بحمائية وقليل من الخوف ما إن رأته يقذف مشط الدواء بعيدا بعد أن عصره بقبضته القوية

((نعم كنت اشرب حبوب حمل.. ولم يسبق وأن أخبرتك سابقا اختصارا للمشاكل والمناقشات العقيمة بيننا.. والأصح أن تقول أنّ حضرتك هو من يظن أن قرار الإنجاب يخصه فقط.. فأنت لم تسألني ولا مرة إذا ما كنت أريد الحمل فعلا أو لا.. لذا لم اخذ رأيك حين قررت شرب حبوب منع الحمل.. أناانية منك أن تتزوجني فقط لتنجب الأطفال.. أنا لست آلة للإنجاب))

أطل الذعر من عيني سارا وارتعشت لتعاود التراجع بخطواتها للخلف حتى التصفت بالجدار وهي تسمعه يقول لها بهمس مصدوم منها بينما يتقدم منها خطوتان

((وهل رغبتني بالإنجاب منك تعني أنني اعتبرك آلة إنجاب؟ أنا.. أنا كل ما رغبتة هو تكوين أسرة معك بأسرع وقت.. ألا تعرفين أن هناك ارتباط وثيق في أن يحبك شخص ما ويرغب في الزواج منك وإنجاب أطفال لرعايتهم سويا؟))

قالت له سارا ببعوض رغم ضعف حيلتها

((لكن أنت كل همك هو تكوين أسرة وأبناء.. هذا هو أساس ما تريده مني على عكسي.. لا أتخيل نفسي جالسة في منزلك مع أطفالك.. لا أتخيل نفسي امرأة لا تخرج وليس لديها أي أنشطة خارج نطاق المنزل.. بينما أنت سعيد لتكوينك أسرة على حسابي.. وبالتأكيد بعد تحقيقك لحلمك لن تتبلي بما يحدث في حياتي))

كان يحدّق بها ببلاهة شديد بصدمة لا يصدق الترهات التي
نفوّهت بها من مبررات واهنة ومثيرة للاشمئزاز..

لكن قالت سارا له مردفه

((طلقني ولنهي كل شيء بيننا.. الحياة بيننا صارت مستحيلة..
وأنا عاجزة عن تحملها))

لثوان قليلة فقط تبيس راجي مكانه كتمثال حديدي لطلبها..

هذه المرة هي فعلا تطلب الطلاق بكل جدية بعيدا عن أي مرة
سبق فيها وطلبته منه..

قال راجي لها بعد لحظات بعينين مشتعلتين غضبا

((هل أنت متأكدة؟ لأننا لو تطلقنا فسيكون هذا هو طلاقنا
الثاني.. ولن يتبقى أماننا إلا طلاقا واحد قبل أن نفترق عن
بعضنا للأبد))

صممت سارا لدقيقة ثم لوت شفقتها باستياء وهي تشيح بوجهها
ترفض مواجهته وهي تقول له ما يجله

((غير صحيح ما تقوله.. طلاقنا هذا الأول لا الثاني))

سألها بنبرة جامدة وهو يضيق عينيه

((لا أفهمك.. كيف يكون طلاقنا هذا هو الأول؟))

قالت له عقب أن ازدرت ريقها بصعوبة وعيناه الخاملتان
اللتان تطالعانها ترعبانها بشدة

((أنا تزوجت بعد طلاقنا الأول من شخص غيرك وانفصلت
عنه ولم نسجل زواجنا أو طلاقنا رسميا.. ثم تزوجت للمرة
الثانية منك.. لذا لو تطلقنا الآن فسيكون هذا طلاقنا الأول))

نظر راجي لها بعينين جاحظتين لا يصدق ما تقوله وهو يشعر بالأرض تميد به..

همست سارا بنبرة مهتزة متهذجة بدموعها الخائقة وهي تستشعر فعليا ما اقترفته من خيانة بحق راجي حتى لو كان زواجها من غيره صحيحا بالشرع

((لن ينفع أن نبقي مع بعضنا.. لذا هيا ألقى عليّ يمين الطلاق ولنهي كل شيء بيننا))

قالتها ثم شعرت بالذعر يتشعشع بكل أنحاء جسدها ويتفاقم ما إن تقدم بخطواته منها أكثر..

ثم سرعان ما كانت تستدرك نفسها صارخة وهي تستدير راكضة نحو الباب تفر بعيدا عنه هاربة بحياتها..

لا تفكر بشيء غير الهروب من قبضتيه..

لأنها بمجرد ما قالت ما قالته حتى شعرت من عينيّ المصدوم الذي يقف أمامها وحش مخيف لا راجي الذي تعرفه..

لحقها راجي بخطوات سريعة ليمسكها بعنف ويلصقها بالحائط يحاصرها بجسده..

بغضب وخوف ضربته سارا فوق كتفه لبيتعد عنها ولكّنه أمسك بكتفها مثبتا إياها مكانها ومسيطرًا على جسدها..

أطرقت سارا برأسها فرفعه بيده ذقنها بحدة وهي ما تزال ملتصقة بظهرها بالحائط بينما هو يشرف عليها مغمغماً بشراسة

((أين تهربين يا فاتنتي؟))

كان يحدق بها وهو لا يصدق بأنّ التي تقف أمامه هي زوجته التي أمضى سنين طويلة لا يحب غيرها..

كانت عيناه البنيتان المشتعلتان بالغضب تطلقان تهديدا متوعدا
تمنحه هالة متوحشة مجنون..

ازدادت خفقات قلب سارا صخباً وهي تشعر أنها تكاد تموت
خوفاً منه ومن عصبية وجنونه الظاهران عليه..

لجمت لسانها للحظات رغماً عنها خاصةً وهو تراه كيف
يسيطر على جسدها بقوته البدنية لتكون مواجهة غير عادلة
بينهما..

وعنوة انهمرت دموعها بخوف وهي تقاومه بينما يرفعها عن
الأرض من كنفها..

لكنها قاومت خوفها ببهوت وهي تقول له بقوة محررة

((لا.. لا تتهور يا راجي وتؤذيني لأنك ستندم.. ستندم لو فعلت
بي شيء.. لا حجة أمامك لما قد تفعله.. ابتعد عنه))

بصعوبة امسك راجي نفسه لتلين كفيه من مسكه القوي لها..

لكنه بقي بنفس القرب منها يخبرها من بين أنفاسه العنيفة بنبرة
خطيرة اقشعرت بدنها بطريقة مثيرة للشفقة

((لن افعل بك أي شيء.. لا تقلقي.. لأنها ستكون إهانة لي أنا لا
أنت))

ابتعد عنها قليلاً وهو يعصر قبضته يحاول لجم غضبه الذي
عاد ليتصاعد بجوفه..

ثم قال لها بنبرة باردة قاسية يأمرها

((لا تهمني الطريقة التي ستستعينين بها ولكن عندما أعود ليلاً
هنا فلا أريد أن أجد أي شيء يخصك داخل هذا البيت.. هل
تفهمين؟))

ثم أولاها ظهره قائلاً بنبرة مخنوقة ومشمزة منها

((أنتِ طالق))

=====

=====

كان الوضع عند جالا ومراد كما هو منذ أن عادت للبيت من
عند والدها..

فقد عادت له بعناد وحدة أكبر مما سبق ترفض الدخول لبيت
والديه أو التحدث إليهم..

فعاد مراد لأسلوبه القديم الذي سبق ونجح معها من مقاطعتها
بالكلام والاهتمام والفراش..

إلا أنها هذه المرة لم تظهر هي أي تأثيرا بما يفعله فمَلَّ وققد
قدرته على التحمل وعاد ينام بجانبها بنفس الفراش في غرفة
نومهما..

لكن بشكل عام العلاقة بينهما صارت فاترة ومملة.. وفيها من
التوتر الكثير..

لكن عند الخلود للنوم يجدها تدير ظهرها له تحتضن نفسها
وتهرب من النظر له..

كأنها تهرب من العلاقة بينهما..

وهذا الشيء كان برأيه بمنتهى الخطورة أن تعود معه كالسابق لا
تطبيق قربه أو ممارسة العلاقة الزوجية معه..

بل لاحظ أنه عندما يطلبها منها تشعره بالفور من العلاقة أو
تمارسها بمشاعر باردة..

بالعادة كانت تطلب منه قبل حدوث العلاقة أن يلمسها بيديه
سواء بالعناق أو بالتدليك الخفيف أو حتى الإمساك بيديها
بحنان..

لأن اللمس يساعدها ويجعلها هادئة ومستعدة..
ولكن الآن يجدها تبتعد عنه أو تتحاشى حدوث أي ملامسة..
كان الشعور بالاستمتاع بعيد عنها كل البعد..
وهو حائق من فكرة أن الحال بينهما لن يستقيم أبداً..
لأن جالا لا تريد التنازل ووالدته لا تريد أن تمر دقيقة بدون أن
تنبيهه أنه رجل بلا كلمة على زوجته..
وعلى ما يبدو أن حياته معها لها طريقان..
الطريق الأول.. الاستمرار معها في هذه المناورات إلى الأبد..
ويا لها من حياة حينها!
والطريق الثاني.. الطلاق.. لا قدر الله طبعاً..
لكن باختصار هو ملل هذه الحياة التي لا صارت تُطاق.. سواء
من جانب والديه أو جانبها هي..
أما بالنسبة لجالا.. حاولت قبلاً أن تغيره إلا أنه يرفض..
وهي تعبت من تهديداته وأسلوبه الخشن معها وعشرته التي من
شأنها أن تزيد بأساً وتعباً بعد أن كانت حياتها الزوجية معه
هي أجمل سنين حياتها..
وحتى تهديده بشأن الطلاق وأخذ بنتها منه ما عادت تتأثر به
بل ربما هي من تتخلى عنه..
انتبه مراد لجالا تطفئ الإنارة وتلحق به لتستلقي بجانبه مبقيتا
مسافة بينهما كما العادة..
أدارت وجهها له تحديق به عندما سمعته يسألها
((هل سيبقى حالنا هكذا طويلاً؟))

أجابته بهدوء وهي على وضعها

((لا توجد أي مشكلة من جهتي.. أنت من تفسد حياتنا الزوجية وتربط إصلاحها بطاعتي لوالدتك التي تعاملني كخادمة وتهينني أنا وأمّي طوال الوقت.. فضلا على تدخلها المستمر في حياتنا الزوجية وبشكل كبير.. والدك دائما بصفتها.. وكلاهما لا يحباني فكيف أحبهما؟))

التفت مراد لها هو الآخر يقول لها بنفس درجة نبرة صوتها

((نعم أعرف أنه وبأكثر من موقف أساءت أمي لك ولكن عندما تشكين لي ألم أكن أحاول ترضيتك ومصالحتك وتعويضك؟))

ردت عليه بقليل من الحدة

((لا أريد أن ترضيني أو تطيب خاطرني.. أنا لا أريد أن أتعرض للإهانة من الأساس.. كل ما أريده هو أن انتقل إلى مسكنٍ آخر))

قال لها مراد مستنكرا عاقدا حاجبيه بغضب

((كيف تطيبين مني السكن بمكان بعيد عنهم؟ أبي وأمّي في سن الشيخوخة وتركهما وحدهما صعب.. كفي عن الجنون وطلب هكذا طلب))

أشاحت بوجهها للأمام بامتعاض لا تهتم لكلامه لكنه تابع

((من حَقك عليّ أن يكونَ لك مسكن مستقل عن والديّ.. وأرى أنّي وفرت لك هذه الشقة منذ بداية زواجنا وليس لك أن تطلبي سكناً آخر))

عادت جالا تلتف له صارخة

((ولكن هناك ضرر كبير عليّ من تواجدي معهم بنفس البناية حتى لو كنت اسكن بدور كامل لوحدي.. هناك الكثير من

الاحتكاكات بيننا وبسببهما تأثرت علاقتنا سلبيا.. إذا كنت تفهم
بالحقوق هكذا ألا تعرف انه ليس من حقك إجباري على
التواصل مع والدتك؟))

قال لها باقتضاب

((بيدو أن كلام والدك لم ينفع معك))

لمعت عينا جالا بشرارات الغضب والحدق لذكره ذلك الموقف
القديم والذي لم تنساه أبدا..

لا تعرف بماذا كان يفكر وهو أمام والدها قال عنها كلمات
التقليل والإهانة والانتقاص..

ما قاله عنها لم يحزنها فقط بل رآكم في قلبها البغض يوما بعد
يوم دون أن يشعر..

فهي بالسابق أكثر ما جعلها تحبه أنه يحترمها ويقدرها ويرفع
مكانتها أمام الجميع لكان ذلك المكان تصرف عكس هذا تماما..

لكنه لم يبالي وهو يعطيها ظهرها قائلا بلا مبالاة مفتعلة

((لك كامل الحرية بتصرفاتك.. أنا أردت فقط أن ألفت نظرها
إلى عاقبة تصرفاتك لأنني لن أتحمل كثيرا))

قالت له ببرود قبل أن تعطيه ظهرها هي الأخرى

((بل أنت راقب تصرفاتك فأنت من حولت لعلاقتنا لهذا الشكل
لأنني توقفت عن التنازل))

=====
بعد مرور أسبوعين..=====

ضغطت هيام على زر "الإنهاء" ثم أغلقت المتصفح ثم
الحاسوب المحمول الذي كان موضوعا فوق ساقبها المتربعين
لتضعه جانبا..

لا تصدق أنها قامت بتأكيد طلب انسحابها من الكلية الشرعية
التي نوت الانتساب لها بلهفة قبل مدة..

لكن كل ما مرت به مؤخرا جعلها تكبر عشر سنوات فأهملت
صحتها ونفسها وكل من حولها..

لدرجة أن المرأة التي سبق ونالت درجة الدكتوراه بعلم
الرياضيات لم تعد تراها كفتا أو قادرة على النجاح في الكلية
التي كانت تريد الانتساب إليها..

الحسرة والحزن نخرها عظامها حد تغير موعد هرموناتها..

تعيش فراغا قاتلا هو السبب ربما الذي سمح للألم أن ينهش
عقلها بلا رحمة..

فهو ذلك الوسواس الذي يسيطر عليها ويمدها بأفكار جنونية..

ومع ذلك فوحدها أرحم مرة من مقابلة ومخالطة الناس..
خاصةً عائلتها..

فصارت تعزل نفسها عن كل شيء وعن كل إنسان فحالتها
النفسية صدقا لا تتحمل الثماتة واللوم أو أي كلام آخر منهم..

بعد خروجها من المستشفى كان احمد هو من استقبلها ومن
أصر على أن يأخذها للبيت وتبقى معه بحجة أنه زوجها وأولى
الناس برعايتها..

وهي لم تقاوم كثيرا قراره..

وظوال مدة تواجدها معه كان يجلس معها يكلمها ويصبرها..

لكنها كانت مصرة على موقفها ولا تقبل التنازل بالنظر له
حتى..

أما بالنسبة النوم.. فهي لم تذق طعم الراحة فيه..

وجل وقتها أصبحت فيه ملازمة لسجادة الصلاة وتلاوة آيات
القرآن الكريم..

فكان لجوؤها إلى الله هذه الفترة يجعلها تتحمل بعض ما تمر
به..

انتبهت لباب الحجرة التي اعتزلت فيها نفسها عن احمد مؤخرا
يُفتح من قبله..

كانت حريصة على إحكام إغلاق بابها في المفتاح حتى لا
تراه..

إلا أنها وعلى ما يبدو نست إغلاقه هذه المرة ونجح هو
بالدخول عندها..

أغلق احمد الباب خلفه وهو يقول بصوت أجش مبتسما بألم
ممزوج بالعتاب

((هيام أخيرا نجحت بالدخول هنا.. لا أصدق أنه الأسبوع
الثالث الذي لا تسمحين لي بالتحدث فيه معك))

شعرت هيام بقليل من الدهشة وهي تراه يتقدم منها بخطواتها
محضرا برفقته هديتين مغلفتين..

وسرعان ما زال الذهول عن عينيها ليحل محله الألم..

فهل يظن أن الهدايا هي ما قد تخفف عنها ما تشعره؟

لكن حاولت أن تتخلص بكل ما تشعر به من ألم وغيره من
مشاعر مريرة وهي تدفعه عنها بكل ما أوتيت من قوة عندما
حاول الجلوس بجانبها ومد كفه يلامس ظهرها..

شعر احمد لوهلة وهو يتراجع خطوات للخلف بشراسة دفعا له
أنه ربما كان من الأفضل له أن يستجيب لرفضها ويخرج..

ثم يعود بعد أن تهدأ أكثر بالرغم من أن الأسابيع التي مرت
أكثر من كافية..

لكنه لم يفعل خشية من أن تعود وتغلق الباب خلفها..

ثم كيف عساه أن يبتعد عنها وهو يستشعر هذا الكم الهائل من
الألم والقنوط في مظهرها!

عاد احمد يجلس بجانبها على الفراش مع الاحتفاظ بمسافة
بينهما ليقول لها بعدها بصوت هادئ

((هيام ما رأيك أن نسافر يا حبيبتي هذه الأيام؟ لقد أجلت حفل
زفافي لشهر آخر حتى أستطيع أن اذهب لرحلة للخارج معك..
لا يهمني عملي المكتظ والمتراكم عليّ هذه الفترة.. لكنني بحاجة
لأخذ وقت مستقطع للراحة وبعض الاستجمام معك أنت..
فأعصابنا نحن الاثنان ستتلف إذا لم نسترح قليلا))

تطلعت هيام له بوجهها المنهك..

حفل زفافه قرر تأجيله لشهر آخر لان عروسه كانت بحاجة
لوقت أكبر حتى تستعد للزفاف من شراء ثيابها وأثاث منزل
على ذوقها..

فقط لهذا السبب ولا لشيء آخر غيره أجل زفافه..

لوهلة تجمد الوقت من حولها وهي تردد داخل عقلها بصدمة

"حفل زفافه"

ألا يمكن أن تحدث معجزة تُفسد ذلك الحفل فلا يحدث؟

وإذا ما حدث وقام احمد بالزواج فهل ستطلب الطلاق كما سبق
وفكرت وقررت؟

وهل احمد سينساها ويتركها كما فعل مع إيمان ويكمل حياته مع
تلك التي سيتزوجها؟

لأنه ومن غير معقول أن تقطع مع احمد شوطاً طويلاً في
المضي قدما ثم يتركها على قارعة الطريق وينعطف ليكمل
طريقه ببساطة مع امرأة غيرها؟

نعم تعرف أنه سبق وفعّلها مع إيمان وهي نفسها كانت أكثر من
سعيدة لذلك..

لكن الآن والأمر يحدث لها..

فهي لا تستطيع رؤيته إلا شيئا خالٍ من الإنسانية..

سمعته يستأنف بمرح مقنعل وهو يغير الموضوع

((لم تسأليني ماذا كانت الشاحنة تنقل إلى بيتنا؟ لقد اشتريت لك
جهاز المشي الذي طلبته قبل مدة))

نظرت له هيام بوجه خالٍ من التعابير على عكس عيناها اللتان
كانتا يشعان بثورة ضده..

هي صارت لا تعرف ليلها من نهارها وهي تعتزل نفسها بهذه
الحجرة فكيف يريد لها أن تنتبه أن هناك شاحنة أصلا نقلت شيء
للبيت؟

لكن فيه الخير أنه أحضر لها جهاز المشي الذي طلبته منه
قبل.. قبل سنة ونصف ربما؟

فتح احمد إحدى صناديق الهدايا التي كان قد جلبها معه
ووضعها على الفراش..

ثم قال تحت عينا هيام المتطلعتان لما أحضره بتركيز رغم
تعابير وجهها الجامدة

((لقد أطلقت شركة آبل هذا الإصدار الجديد من مجموعة
هواتفها هذا الأسبوع.. واستطعت طلبه والحصول عليه من
أجلك))

ثم استرسل كلامه وهو يلتقط حقيبة سوداء يخرج منها حاسوباً
محمولاً

((ورأيت أيضاً أن اجلب لك جهاز حاسوب آخر إصدار من
دون أن تطلبني مني.. فأنت تستخدمين ذلك الحاسوب القديم منذ
سنوات ولم تبدليه))

جهاز المشي طلبت منه منذ سنة ولم يحضره إلا الآن..

والهاتف وجهاز المحمول لو طلبتهما منه لم كان ليحضرهما
قبل أشهر من التأجيل..

رباه.. كلما تنتظر لهذه الهدايا باهظة الثمن التي أغرقها بهم
وتعرف السبب الذي من أجله أحضرهم ستشعر بطوفان من
الألم يحرقها..

قال احمد متابعاً وهو يقف ويدنو من النافذة ويشير بيده للستائر

((أيضاً سبق وأن طلبتني مني أن تبديل ونجدد ستائر غرفة
نومنا.. وصدقيني كنت أريد أن أفاجئك أيضاً بستائر أخرى
جديدة لكل حجرة في المنزل.. ولكن فضلت أن تذهب سوياً
لإحضارها على نوبتك.. متى تذهب برأيك يا هيام؟))

عند سؤاله حرك احمد رأسها للخلف ينظر لهيام من فوق كتفه
مترقباً لإجابتها..

أبقت هيام نظراتها الجامدة عليه للحظات دون أن تنبس ببنت
شفة..

ثم قالت بصوت بارد

((ثمن كل هذه الهدايا يا احمد يساوي راتباً كاملاً لك.. وليس
من الحكمة أن تنفقه كله مرة واحدة على هدايا سخيفة خاصةً
وأنت مقبل على زواج آخر.. وأمامك الكثير من الالتزامات..

وإياك أن تظن أن هذه الهدايا ستجعلني أترجع عن الرضاوة
التي طلبتها ومبلغ الأربعين ألفاً))

فغر احمد شفقيه لتهديدها إلا أنه وقبل أن ينطق بشيء غادرت
هيام الحجرة كاملة لتذهب للحمام المرافق للحجرة..

وما إن أغلقت الباب خلفها حتى أسندت ظهرها للباب
وأغمضت عينيها لتفجر دموعها بنشيج صاخب..

كان صوت نشيجها مسموعا لعند احمد بشكل يمزق نياط قلبه..

فقتهد بيؤس وتعب وهو يدنو ببطء من السرير ليجلس على
الفراش يطرق برأسه ويخفيه بين يديه..

لم لا تستطيع تقبل أمر زواجه وحسب؟

لقد قبلت به متزوجا لأنها علمت أنه يحبها هي..

وهو لا يزال يحبها ولم يختلف أي شيء..

بل على العكس ازداد حبه لها مع مرور هذه السنوات والعشرة
بينهما..

ثم إنه أخبرها بوضوح أنه لا يملك أية مشاعر للمرأة التي
سيتزوجها وأنها ستكون فقط وعاء لأطفاله..

فلماذا تجد حتى الآن زواجه من غيرها صعب وتسبب الألم
لهما؟

حتى إيمان ولو لم يكن ما بينهما حبا كما يفكر أحيانا إلا أنه كن
لها وداداً..

ولم يرد لكلتا المرأتان أن يكسر لها خاطراً أو يجرح لها
شعوراً..

لكن ظروفه كانت صعبة..

وهو لم يسبق وأن كان جلفا قاسيا ليعتبر المرأة المتزوج منها
خادمة أو جارية أو دابة يقضي بها حوائجه..

والخطأ الذي فعله مع إيمان وإظهار فكرة "أنه مستغني عنها لو
تطلقت" لا يريد تكرارها مع هيام..

ابعد احمد رأسه عن يديه وهو ينتبه لعودتها وهي تدخل الحجرة
بخطوات ثابتة ورأس مرفوع في إباء..

ركز بنظراته على وجهها الذابل.. أثار بكائها بدت واضحة
عليها رغم غسلها لوجهها جيدا..

رأها تعقف أمامه بصلاية.. صلابة جهل أنها ظاهرية يفرضها
عليها كبريائها..

سمعها تقول بهدوء وجديّة له بوجهها الخالي من التعابير أمامه
رغم تسارع قلبها داخل أضلعها بحالة اهتياج مخيفة

((لقد أخذت وقتا للتفكير وقررت الآن أن أتطلق.. أنت لم
تتراجع أبدا عن زواجك ولا أمل لي بأن تفعل.. لذا سأتوقف
عن تعذيب نفسي وعقلي وروحي وأطلب الطلاق الآن بدل من
انتظاره حتى وقت زفافك))

قالتها ثم استدارت للخلف تخطو إلى غرفة نومها ثم لدولاب
ملابسها لتفتحه تحت أنظار احمد الذي للحظة طرفت عينه
بصدمة وعدم تصديق ثم تبعها فورا لغرفة نومهما..

نعم ستطلق وسيأتي يوما لتتصالح فيه مع الخذلان الذي
تعرضت له من احمد..

ستتصالح مع فكرة أنها لم تكن الاختيار الأول في حياة من
جعلته كل اختياراتها الأولى..

العالم لن يتوقف لأن روحها تنزف على الطريق.. العالم لن
يتوقف من أجلها..

لذا عليها أن تخلع رداء الضعف وستنجلي كل هذه الذكريات
المؤلمة التي قضتها مع احمد يوما ما مهما بدا الأمر صعبا..

هتف احمد من خلفها باستنكار شديد

((هيام.. ماذا تفعلين؟))

أجابته بعملية وهي تبدأ بإخراج ملابسها من الدولاب

((احزم ملابسني للعودة لعائلتي.. كلامهم وشماتتهم أرحم من
زواجك))

برقت عينا احمد بغضب ناري..

طلاق؟ فلتحلم به.. لا.. لا لن يسمح لها بأخذه.. لن يخسرهما كما
سبق وخسر عائلته الأولى..

هي عائلته الثانية ولا زال يحبها ولن يسمح لنفسه بأن يخسرهما
هي الأخرى..

وبتلقائية قبضت يده على ذراعها بقوة يمنعها من إخراج المزيد
من ملابسها قائلًا بحزم وإصرار

((هيام لن اسمح لك بالابتعاد عني.. لن اسمح لك بالابتعاد عني
أو الحصول على الطلاق.. خروجك من هنا على جثتي يا
هيام.. أنا أعشقتك.. لم ولن أعشق امرأة مثلك))

نطق آخر جملتين بعد أن جعلها تستدير لناعيته وتلتقي عيناها
بعينيها وهو يرفع قبضة يده الأخرى ويضرب بها صدره..

تطلعت هيام له لحظات ثم غلبتها دموعها واندفعت تسيل على
وجهها في غزارة..

لتنسأله صارخة بصوت مذبوح

((إذا لم يسبق لك وأن أحببت غيري.... لما عقدت قرآنك؟ لماذا
أخبرني لماذا؟))

سحبت هيام ذراعها من يده التي تركت آثارا عليها..

ليرد عليها احمد مبررا بغضب ناري

((أنت تعرفين أنني سأتزوج من أجل الإنجاب.. فقط من أجل
الإنجاب.. اقسام لك أنني أريد الزواج فقط من أجل الإنجاب.. لا
لأنني توقفت عن حبك أو أحببت غيرك))

امتقع وجهها وهي تسمعه يتحدث عن الإنجاب وكأنه سبب لا
يستوجب منها أي ذرة اعتراض..

وكان الله خلق فيه غريزة أبوة وهي خلقت من دون أمومة
تجعل رغبتها بالحصول على طفل من صلبها فطرة فيها وحق
لها لطلب الطلاق منه..

فبعد أن تم دهس أمور كثيرة بها تحت عجالات أنانية احمد..
يستنكر غضبها وقهرها الآن..

أظهرت هيام الاشمزاز على وجهها وهي تسأله بانفعال

((ألم تستطع أن تضحي برغبتك بالحصول على أطفال كما
فعلت أنا وضحيت بأموستي من أجلك؟))

كان هذا السؤال سبق وسألته لأحمد لأكثر من مئة ألف مرة..
بدون أن يعطيها أي جواب..

لأنه في الواقع لا إجابة له..

ومن شدة القهر الذي كان يؤجج نيران غضبها علت شهقاتها
بعد أن تساقطت الدموع من عينيها..

لم يجد احمد أمامه إلا أن يقترب منها معانقا إياها بقوة رغم
مقاومته هامسا لها بصوت أجش

((هيامي.. لا يوجد لي في هذه الدنيا غيرك))

ظلت هيام تبعد ذراعيه عنها ترفض عناقه بنفور شديد وهي
تقول لها من بين دموعها بتهكم

((حقا؟ وماذا ستكون زوجتك الأخرى بالنسبة لك؟))

قال لها قبل أن يخفض رأسه بمحاول تقبيل ثغرها وإسكاتها
((هي مختلفة عنك بكثير.. لا يمكن أن تصل لمكانتك قلبي أو
حتى تقترب منها))

قاومته هيام بشراسة أكبر لتدفعه أخيرا بعيدا عنها وهي ترفع
يدها أمام عينيه تمسح فمها بنفور واشمئزاز من قبلته..
ثم هدرت بصوت قوي متحدي تحت أنظاره الذاهلة التي جعلته
عاجزا عن النطق

((ابتعد عني.. لا أريدك.. لا أريدك أنت ولا أريد مكانتي
الوضيعة في قلبك))

ابتعد خطوة للخلف عنها بارتباك وهو ينظر لها ويحاول
السيطرة على مشاعر جاش بها صدره ودفعت بالدموع إلى
مقلتيه هو الآخر..

ازدد احمد ريقه ولم يمتلك حينها إلا أن يعمق نظراته لعينيها
المحمرتين ليقرا صدق كلماتها النافرة منه..

ثم وجد أخيرا صوته ليقول لها بصوت مهزوز مختنق

((هيام ما بك؟ أنت لا تكرهيني.. ولن تستطيعي أن تحبي
غيري))

تطلعت هيام له بنيران مستعرة وغضب ساحق..

ألا يزال لا يدرك ماذا فعله بها؟ ألا يدرك كيف حرقها بما فعله؟

صرخت عليه بعلو صوتها

((أكرهك.. أنا أكرهك من كل أعماق قلبي.. أكرهك))

شعر احمد بعد نطقها عبارات كرهها الصادق له بالأرض تميد
تحت قدميه وقد زادت سرعة ضربات قلبه..

شعر بضبابية رؤيته فأغمض عينيه بارتعاش..

وبدء الدوار الذي كان يداومه منذ دقائق يزداد ليصبح حادا
فرفع يده يتلمس رأسه متأوها..

تحرك بترنح بخطواته للجانب ليجلس على الفراش إلا أنه كاد
أن يخلل توازنه ويقع فاستند بحركة عفوية بيده إلى كرسي
بجانبه..

كان يستند بكل قوته بالكرسي مما جعله يحرك الكرسي من
مكانه قالبا إياه ثم وقع بجانبه بحركة عنيفة غائبا عن الوعي
أمام أنظار هيام..

توسعت عينا هيام بصدمة وهي تشعر بتسارع دقات قلبها من
الخوف لتقول وهي تجثو أمامه

((احمد ما بك؟))

مدت يدها تطبطب فوق خديه صارخة بصوت متهدج والرعب
يكتسح جسدها وعقلها ما إن شعرت بضيق تنفسه

((يا إلهي! احمد أجنبي.. استيقظ ما بك؟))

.

.

بعد يومين..

تتهددت هيام وهي ترى احمد ممددا على الفراش في إحدى غرف بيت والدته بعد أن تم غرس أنبوب المحلول في ذراعه الرائدة بجواره بسبب ارتفاع ضغط دمه المفاجئ..

تمعنت بنقاط المحلول وهي تختال من الزجاجاة إلى أنبوب المحلول الذي يلقي بها في أحضان المدخل الوريدي الذي يشبه الفراشة لتمتزج بالدم..

كان احمد مسبل الأجنان وبدا وجهه ناحلا وشاحبا وقد ذبلت نصارته وبدت الهموم والأحزان واضحة على محياه..

حتى جسده بدا ناحلا وفاقدا للحياة..

أخبرها إباد شقيق احمد أن كل هذا التعب الذي داهمه مؤخرا كان بسبب خوفه وحزنه من طلبها الفراق منه..

وأنه أيضا حزين على الأذى الذي سيتسبب لها بحالة زواجه

لكن.. إذا كان هو يتألم من فراقها عنه درجة.. فهي تتألم بما فعله بها مئة درجة..

لكن بما أن زواجه هذا لا يجلب لهما الاثنان إلا الألم والحزن ويحبها إلى هذا الحد الذي لا يستطيع أن يعيش فيه من دونها فلم هو مُصر على الإقدام بالزواج من غيره بكل قسوة؟

خرجت هيام من حجرته مغلقة الباب خلفها لترى والدة احمد جالسة بإنهاك على إحدى الأرائك..

رفعت والدة احمد وجهها المليء بالتجاعيد إزاء عمرها الذي تجاوز عمر السبعين لتطالع هيام التي كانت تقول لها بهدوء

((لا داعي لكل هذا الخوف يا عمّة.. لقد طمئننا إباد قبل قليل على احمد فلماذا لا يزال الخوف والقلق يسكنانك؟))

كانت والدّة احمد تسند راحة يدها على عصا بقبضه مذهبة اللون بعد أن أتعبها مرض ابنها لتقول ساخطة

((أي اطمئنان هذا الذي تتحدثين عنه وقد قال لنا أن احمد العزيز ارتفع ضغط دمه بشكل مفاجئ؟ ماذا لو ارتفع ضغطه مرة أخرى بشكل كبير ليصل الأمر لإصابته بسكتة دماغية؟))

قالت لها هيام بلهفة تردعها

((لا تتحدثي هكذا عن احمد يا عمّة))

إلا أنها تابعت بحسرة وخفوت وهي تطرق برأسها وتهز رأسها

((لطالما كان ضغط دم ابني معتدلاً.. ولولاك لما ارتفع ضغطه))

سألته هيام باختناق

((وما دخلي أنا في ارتفاع ضغط دمه؟))

قالت لها والدته مستنكرة

((كيف تتساءلين عن ذلك بالأمر؟ لقد قال إباد أنه كان بالأيام الأخيرة يتعرض لقلق وتوتر كبيران سببا لضغوط نفسية أدت إلى في ارتفاع ضغط الدم عنده بصورة مفاجئة.. فضلا عن إفراطه في المشروبات المنبهة مؤخرا.. كان المسكين يتعرض لكثير من الضغط والحزن بسبب تهديدك المسمر له بالطلاق.. ولماذا الطلاق يا هيام؟ ما الحرام الذي فعله ابني لتطلبي الطلاق؟ ألم تقبلي أن تنزوجه وهو متزوج؟ لماذا إذن ترفضين زواجه؟ لماذا أيتها الأنانية؟))

نظرت هيام ببؤس لوالدة احمد وكم تمننت لو تيزل والدته جهدا قليلا لتكون لطيفة معها فقلبها مكتنظ بأمر حتى عائلتها نفسها لا تعرفها..

وهي ليست وجه حمل أي شيء آخر..

رمقتها هيام بنظرة جانبية مترددة بعد أن جلست على إحدى الأرائك قبل أن تمط شفيتها قائلة

((إذا كان طلب طلاقي يسبب له ضغط نفسي كبير.. فأنا طلبت الطلاق بسبب قراره بالزواج.. أخبريه أن يتراجع عن قرار زواجه وسأتراجع أنا عن طلبي للطلاق.. وهكذا سيتخلص كلانا من هذا الضغط الذي نتعرض له نحن الأثنان))

انتبها كلتاهما على طرقات باب المنزل قبل فتحه ودخول إياد المنزل..

لتعدل هيام من وضع حجابها حول رأسها بحركة عفوية بينما تسارع والدته سؤاله بلهفة

((متى سيستيقظ أخوك يا إياد؟))

تنهد إياد في عمق وهو يقول بابتسامة متعبة

((أمي لا تقلقي أنه بخير وسيبقى قريبا.. ارتاحي يا أمي.. منذ يومين وأنت على هذا الحال))

هدأت والدته قليلا براحة لكلام إياد..

لحظات وتنح إياد في تردد ثم ما لبث أن تطلع لهيام قائلة بحرج

((يا زوجة أخي أنا لا أقصد أن أتدخل بما لا يعني.. ولكن عندما استيقظ احمد أمس أفضى لي بقلقه وخوفه من طلبك

الطلاق منه.. واستشعرت خوفه من فقدانك.. أنتِ فعلا لا
تتخيلين كم هو مرتعب لفكرة فقدانه لك))

شعرت هيام بنبض قلبها ثائرا باعتراض لا يهدأ على ما يحاول
إياد قوله..

رفعت أحد حاجبيها تسأله بكبرياء جريح

((هل قال لك بأنه سيتراجع عن حفل زفافه ذاك الذي سيكون
بعد عدة أيام؟))

تنهد إياد في ضيق قائلاً

((لا.. هو مُصر على الزواج.. ولا أظن انه هناك أي شيء
قادر على جعله يتراجع عن قراره للأسف.. لكن لو لم تتراجعني
عن قرار طلاقك فصحته ستدهور.. أنا حقا لا أستطيع تصديق
أن ضغطه ارتفع هكذا بشكل مفاجئ وبصورة كادت أن تؤدي
بحياته للموت لو لم نلحق به.. أنتِ لا تتصورين كم وجوك
بحياته وأيامه مهم جدا))

كان إياد يتحدث بشكل صادق فمن يصدق أن شقيقه يمكن أن
يتأثر بطلب أمراه منه الفراق؟

تنهدت هيام هي الأخرى في عمق وهي تخفض رأسها تنظر
إلى كفيها المشتبكتان للحظات قبل أن ترفع وجهها إليه قائلةً
ببرود

((لا أريد.. لن أبقى معه لو أتزوج.. كيف تريد مني أن اهتم
بمشاعر شخص لا يهتم بجرحي أنا))

عدل إياد من وضع نظارته الطبية على أنفه وهو يقول بتردد

((صدقيني لو لم يكن يهتم بمشاعرك لم يكن ليعرض حياته قبل
قليل للخطر بسببك.. لا تتصورين مقدار الألم الذي يعيشه لأنه
يعرف أن إقدامه على الزواج يؤدي مشاعرك))

ودون أن تدري انسابت الدموع من عينيها وهي تسأله إباد بقهر
واستنكار

((إذا لماذا هو مُصر على الزواج؟ لماذا؟ إن كان احمد يُحِبني
حقاً فلمَ يريد الزواج؟ هل يُعقل أن يكون محباً لي حقاً ويفعل
هذا؟ ثم كيف برجل حقيقيّ أن يتزوج من غير زوجته التي سبق
وتخلت عن أمومتها من أجله عندما لم يكن هناك أمل لإنجابه
من أجل الأطفال؟ هل يفعل هذا مُحبٌ؟))

هز رأسه في أسفٍ هادرا بخفوت

((لا أدري.. لئنه يغير قراره المتعنت.. لكنه ثور عنيد وسيبقى
هكذا.. لكن ما أنا متأكد منه أنه ما زال عاشقاً لك ولن يستطيع
أبداً أن يفترق عنك))

هزت هيام رأسها بثهكم..

نعم فأحمد رجل مشاعر وأقوال لا أفعال.. دائماً ما أثبتت حبه
لها بكل الطرق إلا بأفعاله..

كانت والدة احمد ما تزال جالسة بمكانها ودموعها تسيل بصمت
وقهر على ابنها..

تجاعيد وجهها وعمرها تزيد على وجهها بغمٍ ثقيل وهي تلتفت
لهيام امرأة بصرامة بينما ترفع سبابتها

((ستدخلين الآن داخل الحجرة وستقولين له أنك موافقة على
زواجه ومن المستحيل أن تتخلي عنه أو تطلبي الطلاق.. هل
فهمتني يا هيام؟))

شعر إباد بالحرص من طريقة كلام أمه فغادر المكان كله وأغلق
الباب خلفه بعد أن كان ينوي الدخول للاطمئنان على احمد..

بينما طالعت هيام والدة احمد بشراسة..

تتفهم أنها كأم فمصلحة ابنها فوق مصلحة الجميع..

لكن هل أمومتها لولدها احمد تجعلها ترى أن ظلم بنات الناس وإجحاف حقهم لأجل رغبات ابنها هو أمر سهل لهذا الحد؟

عند هذه الفكرة لاننت ملامح هيام بعجز وضعف وترقرقت دموع جديدة بعينيها..

فقالته لها بصوت متذبذب وكأنها تستنجدها الحكم بعدل فهي لا تتصور وجود امرأة مثلها

((لن تصدقي عندما صارحني احمد بما فعله.. لن تصدقي بجاحته وهو يطلب مني شكره لأنه أعلمني بزواجه فقد كان بإمكانه الزواج ويبقى على خداعي حتى تحمل زوجته الأخرى وتتجب له.. فأعرف مثلي مثل أي شخص آخر غريب عنه.. وقتها.. وقتها انهارت قواي يا عمّة.. كأنني طفلة كنت تارة ابكي وتارة اصرخ به وتارة اسكت من هول الصدمة.. لم اصدق.. لا اعرف لماذا لكني شعرت بأن كل السنوات التي عشتها معه كان يخدعني بها))

ردت والدة احمد باعتراض

((ليست بجاحه منه بل هو قال إنه سيتزوج سرا بالبداية ثم يخبرك بعد عقد قرانه لأنك تحببته حبا لا يوصف ولن تتحملي معرفة أنه سيتزوج))

يعرف جيدا مقدار حبها الكبير له ويعرف مقدار الألم الذي سيتسبب به لها ومع ذلك أصر على زواجه من غيرها!

لا تصدق قيمتها عنده..

قالت هيام باشمنزاز

((قلب ابنك يا عمّة كبير ومرهف جدا))

ردت عليها والدة احمد

((لا يا هيام.. احمد تخلى عن زوجته وابنه من أجلك.. ألا يثبت هذا غلاتك عنده؟ احمد اختارك من بين كل النساء.. لهذا من حقه عليك الصبر والهدوء والرفقة والحنان في التعامل معه.. حقه عليك الآن أن تقفي بجانبه ولا تتخلي عنه حتى لو تزوج))
لقد تخلى عنهم من أجلها عندما خيرته إيمان بينهما لأن رغبته كانت هكذا..

بذل اقصى جهده ودفع الكثير لينال رضا والدها ويتزوجها لأن رغبته هي ما كانت تحركه..

كما تحركه تلك الرغبة الآن للحصول على طفل حتى لو كان الثمن خسارته لها..

لأنه احمد وببساطة لا يحب إلا احمد..

قالت هيام بخفوت حزين وهي تعتصر كفيها بقهر

((لقد شاء الله ألا أرزق منه بأولاد.. نعم صحيح لكن العيب منه لا مني.. ولا يجب أن يترك له هذا سببا قويا لما فعله حتى لو قبلت به وهو متزوج))

كانت تهم والدة احمد لمعارضة كلامه..

لكنها ارتأت أن تتحدث بصوتٍ خافت هادئ وتستعطفها عليه حتى تتراجع عن طلب طلاقها

((لا تصدقين يا هيام كم بكى احمد لأجلك عندما تزوج وتزوجها فقط من أجل الأطفال.. أنت لم تقابلي لارا لكن حتى لاحظت هذا بشكل كبير ميله لك وهي غير واثقة من حبه لها))

عقدت هيام حاجبيها وحاولت ألا تبدو الغيرة في تقاسيم وجهها ظاهرة وهي تردد بعقلها اسم "لارا" ..

لارا.. إذن اسمها لارا..

شعرت بقبضة باردة تعتصر قلبها وهي تعرف اسمها أخيرا..

رفعت هيام عينيها بحزم وهي تسمع حماتها تكمل

((حتى أنت مستفيدة يا هيام بزواجه وستجدين عوضًا وأنسًا
واسترواحًا في الأطفال الصغار الذين تجيء بهم لارا فيملؤون
عليك بيتك بهجة))

نظرت هيام بغضب لوالدة احمد فلو كانت مشكلتها بالأطفال
لكانت تطلقت منه وسارعت بالزواج من أول من يطرق بابها
لتنجب..

لكن هي لم تضيع عمرها معه لتجعله يتزوج من غيرها ويجلب
لها أطفال منها ليؤنسوها..

فهي والله الحمد لا يوجد بها أي شيء يمنعها من الإنجاب..

استغرقت هيام مشاعرها للحظات تفكر بكلام حماتها حتى
جفلت حين سمعت صوت الباب يُفتح بهدوء لترى أحمد خارجا
فشعرت بهوى قلبها بين ضلوعها..

خفق قلب هيام في قوة حتى أنها نهضت تهتف في لهفة دون أن
تشعر قائلة بدهشة

((احمد ماذا تفعل؟ أنت بحاجة للراحة.. لماذا أزلت المحلول من
الكانيولا؟))

التفت احمد لها قائلا بلا أي مقدمات بعد أن سمع جزءً من
حديثهما يرغم التعب الظاهر على محياه الناحل وعينيه
الغائرتين

((هيامي.. استمعي لي للحظة.. لكن بغض النظر عن أي شيء
أنا احبك أنت.. أنت فقط يا هيام))

نظرت هيام بعينيها الدامعتين لأحمد لتستشعر الصدق وتراه
واضحاً في عينيه وصوته..

بدا فعلاً صادقاً بأنه لم يكن ليتزوج لولا أمر الإنجاب..

لكن ولسوء الحظ.. تزوجه من أجل الإنجاب كان مؤلماً لها
ويذبحها أضعافاً عن زواجه لسبب آخر..

خاصةً وهي التي بقيت معه حتى بعد أن عرفت بأنه ليس قادراً
على جعلها أم..

خاصةً وهو الذي بالفعل له ولذُّ من إيمان لم يكلف نفسه أن
يتعب في سبيل كسب رضاه..

ابتلع أحمد ريقه بارتباك ثم تقدم منها رافعاً راحة يده ليحيط
وجهها فرفعت عيناها له بتأثر..

همس أحمد لها ضارعاً باحتياجه الجلي لوجودها بحياته

((أرجوك لا تفكري بالابتعاد عني.. أرجوك يا هيام.. أنا لا
أستطيع العيش من دونك))

شعرت كما لو كان الزمن توقف بينما وهما يقفان بشكل مقابل
لبعضهما وهو لا يزال يضع راحة يده على وجنتها..

بهذه اللحظة استشعرت هيام بالاحتياج والرغبة له وأنها ليست
مستعدة للتفريط بكل ما تشعره هذا..

غيرت رأيها الصارم خلال ثوانٍ.. نعم ثوانٍ فقط..

ثم قالت وعيناها مستمرتان بالتحديق ببحر عيناها

((حسناً.. أنا موافقة.. وأبارك لك بنفسك زواجك))

اتسعت حدقتي أحمد حتى اهتز بؤبويه وقال بصدمة

((حقاً؟ هل أنتِ موافقة فعلاً من قلبك على زواجي؟))

انفرت أسارير والدته أحمد بسعادة لأنه حصل كما تمنى ابنها
ثم ذهبت تخطو ببطيء للمطبخ لتتركهما على راحتهما..

هزت رأسها وهي تقول له مبتسمة بألم رداً على سؤاله بصوت
مختنق وعيناها لا تفارقان وجهه

((نعم يا أحمد))

بقي أحمد للحظات لا يصدقها..

وما إن وعى لنفسه حتى أحاط جسدها بأكمله بين ذراعيه وهو
يشدد على احتضانها حتى اختلجت ضلوعها بين ضلوعه وقد
كان يود لو لا يفارقها أبداً..

هدر لهيام بحماس

((ما زال هناك وقت للزفاف.. دعينا نسافر لمكان آخر..
لنتجهز اليوم ونسافر في الغد للخارج.. أين ترغبين بالسفر؟))

تأوهت بخفوت إلا أنه لم يطلق سراحها فقالت له بصعوبة

((أينما تريد أنا موافقة))

في اليوم التالي

بشقتهما جهزت هيأماً الحقائب استعداداً للسفر مع أحمد ليرتاحا
قليلاً..

اهم شيء أنها أغلقت هاتفها حتى لا تتلقَ أي اتصال من أحد أفراد عائلتها وتغير رأيها الذي لا تثبت عليه أبداً وتغيره بكل ثائية ودقيقة..

وقبل أن تخرج من الشقة مع احمد الذي كان يحمل الحقائب تتحننت لتجد صوتها وهي تنادي على احمد..

فهمهم لها يحثها على المتابعة لتقول له بارتباك أغبي وأسذج شيء قد تفكر بنطقه

((احمد سأحجز بنفسي لك ولعروسك رحلة شهر عسلكما لنفس المكان الذي سنذهب إليه.. وسأحضر حفل زفافكما أمام الجميع لأظهر أنني راضية))

التفت احمد للخلف ينظر لها قليلاً وهو يضع الحقائب التي يحملها أرضاً..

ثم اقترب منها ووضع يده على كتفها قائلاً بعطف فقد سبق وقال لارا بأنه لن يخرج معها لشهر عسلاً أبداً معها احتراماً لمشاعر هيام

((هيام.. أنت لست مضطرة لذلك.. فأنا أخبرتك بأني سأعطيها نقود شهر العسل نقداً لأنني لن أستطيع الذهاب معها لشهر عسل))

حينما لمحت انعقاد حاجبيه قالت بإصرار

((لا بل سأفعل لتعرف أنني أفضل منك بمليون مرة))

للحظات ظل مشدوهاً في مكانه ساهما في نظراتها..

تنهد في عمق قبل أن يجيبها هامسا

((أنتِ فعلا يا هيام أفضل مني.. وهل تعلمين ماذا؟ على لارا أن تكون ممتنة لك لأنها بفضلك ستحصل على شهر عسل))

صمت قليلا ثم اقترب منها يعانقها قائلا

((أنت أفضل من إيما بمليون مرة أيضا.. وأنا لست نادما أبدا
للزواج منك حتى لو ترتب الأمر عليه خسارة ابني.. فمن أين
يجد الرجل امرأة مثلك مضحية وابنة أصول!))

ابتسمت هيام بمرارة وفكرت..

يا لفرحتها.. احمد يؤكد عليها عدم ندمه بالزواج منها ويؤكد
عليها أنها أفضل من إيما لأنها سمحت له بالزواج من غيرها
على عكس إيما..

يا لفرحتها فعلا بهذا الأحمذ الذي يرى مقياس حبها له ومقياس
كونها ابنة أصول بسماحتها له بالزواج من غيرها..

هل هي نادمة للزواج بأحمد؟ نعم نادمة وأيما ندم!

هل ستسامحه على زواجه؟ إطلاقا لا..

لكن ولأنه وبكل الحالات سيتزوج غير أبها لها..

فقال لنفسي لم لا تفكر بعقلها بعيدا عن العاطفة ولا تطلب
الطلاق؟

نعم لأنها لو طلبته فحينها ستكون هي الخاسرة الوحيدة وهو
سيسعد مع الأخرى التي سيتزوجها..

ثم.. ثم من يدري؟ لعله يوما ما يرجع لها لوحدها ويطلق
الأخرى..

ولعل تلك التي سيتزوجها إذا أنجبت وتطلقت تترك لها أطفالها
وحينها لا ينقص حياتها شيء..

لذا عليها أن تصبر قليلا على زواجه على أمل أن يعود وحيدا
لها..

دعت هيام بصدرها أن تثبت على قرارها ولا تغيره..

فهي كلما تذكرت موضوع زواجه تصل لأوج صدمتها
وغضبها وتأتي برأي جديد..

بعد يومين..

عادا الأثنان من سفرهما الذي قضى فيه احمد وقتا ممتعا بشكل
كبير خلاله..

أما هيام فكانت طوال السفر بأوج تعاستها على عكس ما
تظاهرت به أمام احمد..

كيف تسعد خلال سفرهما وهي تعرف أنه بمجرد عودته
سيترج من غيرها؟

الحقيقة هي ومنذ عودتها حتى يوم الزفاف وهي تدّعي أمام
الجميع سعادتها وموافقها على زواج احمد..

وكانها وجدت نفسها في موقف يستدعي التستر على واقع حالها
التعيس واختلاق واقع سعيد خيالي ومزيف تروجه للآخرين..

فأحمد لن يتزوج سرا وسيحضر عدد لا بأس به زواجه فلماذا
لا تدعي أنها من الأصل هي من قررت أن تزوجه من تلقاء
نفسها..

وكون الجميع يعرف أنها هي العاقر سيساعد في تصديق ذلك!
لم تعتبر ما فعلته هيام كذبا..

بل تجميلا لحالها ولا يضر ارتداء قناع تسويقي لحياة زوجية
سعيدة تعيشها معه..

بل الحقيقة أنها شعرت أنها مدفوعة لفعل ذلك وأنّ عليها أن تكون في حالة دفاع مستمر عن زوجها وحياتها وكرامتها بدعوى الخوف من مواجهة كل من يعرفها ولأنها الحلقة الأضعف في ميدان حياتها الزوجية مع احمد..

فهي لا ترضى أبداً بأن تعترف بفشل حياتها أمام أي كان..

وخاصة نساء قرينها تفادياً لشماتة الشامتين..

بالإضافة لتحاشيها وضع حياتها تحت المجهر من قبلهن كي لا تمس خصوصياتها أو تخدش حياتها ممن لن يشعروا بمأساتها وهي سجيئة واقع مؤلم..

فبنات جنسها الأنثوي ناقد بطبعه ومنتشمت في أغلب الأحيان..

بالنسبة لأحمد.. فهو حاول قدر ما يستطيع منذ عودته من رحلة السفر أن يحتويها.. فواساها وبكى معها..

كانت أحيانا تجلس من النوم مفزوعة من كوابيس زواجه الذي يقترب.. فيحتضنها ويبكي معها..

يهمس لها حرفيا بندمه بعبارات مثل

"يا ليتني لم افعلها واعقد قراني من غيرك فأصبح مضطرا أن أتزوج منها.. هيامي أنا نادم حتى بالتفكير بالزواج من غيرك.. أتوسل لكي أن تتوقفي عن البكاء.. عذابك يتسبب بحرقه في قلبي"

لكن الحقيقة أنها تتمنى أحيانا أن يعاملها بسوء حتى تجد حجة وتطلب الطلاق وترتاح من هذا الألم الذي تدعي توقفه..

هي من الداخل تشعر أحيانا أنها تريد الطلاق..

تريده بشدة حتى ترتاح.. فهي تموت باليوم ألف مرة وكرة..

ترى كيف كانت ستتصرف لو تزوجت منه ولم تطلب إيمان
الطلاق فتعيش معه ومع أخرى تشاركها به؟

لم تفكر مسبقا بالغيرة ولطالما فكرت بأنها طالما ستبقى هي
حبيبته الوحيدة فلا داعي للغيرة منها..

إذا لم لما يبدو الآن مؤلما رؤيته مع غيرها حتى وهي تعرف
بأنه لا يحبها؟

.

.

أثناء حفل زفاف احمد ولارا..

وبالرغم من أنها كانت أحيانا تشعر بأنها لن تستطيع حضور
حفل زفافه كما سبق وقالت له..

إلا أنها حضرته في النهاية..

ارتدى احمد حلة سوداء فخمة تناسبه كعريس..

وقبل أن يذهب لحفل زفافه وبدلا من أن يكون بجانب عروسه
لارا كان بشقة هيام يحتضنها بقوة ودموعه مستمرة بالهطول
لدموعها..

بعد بدء الحفل تواجدت هيام بالحفل تستقبل التهاني بسعادة
مصطنعة وبشموخ امرأة جبارة تناقض تماما ما تشعر به
بداخلها..

حرصت بمرارة أن تهتم بنفسها بهذا اليوم وكأنها هي العروس
حتى لا تسمح لنظرة شفقة أن تنالها..

لكن عند مرحلة ما بحفل الزفاف ورغما عنها صمت أذانها
أصوات المفرقات والزغاريد المنطلقة من نساء عائلة لارا..

فمشت بخطوات سريعة حذرة من أن تقع لأنها ترتدي كعبها
العالي إلى دورة المياه التي كانت الفارغة وأوصدت الباب
خلفها..

وهناك بجانب ركن خاوي انهارت ساقيها وبكت ثم عادت تضع
كفيها على أذنيها فأصوات الموسيقى والزغاريد كانت لا تزال
تصلها..

لم تستطع الخروج ورؤية احمد يراقص عروسه التي ترتدي
فستان الزفاف..

لم تستطيع رؤية حياتها تنهار أمام عينيها وهي عاجزة عن
القيام بأي شيء إلا مباركة زواجه وتوزيع الابتسامات أمام
النساء لتثبت أنها أكثر من راضية على زواجه..

كرهت احمد وحياتها ونفسها وتمنت لو أنها تغمض عينيها
وتنام لأعوام..

لعل الألم الذي تشعر به في قلبها حين تستيقظ يكون قد زال..

ودقيقة وراء أخرى بدأت تصيبها نوبة من البكاء الهستيرى وقد
فات الألوان أن يتراجع احمد عن زواجه ويبقى لها لوحدها..

كانت تبكي غدر احمد.. وغبائها الذي جعلها لا تنتظر ولا تقبل
غيره رجلا لها..

هل كانت هي من هذا الصنف الذي لا يفكر إلا بنفسه لذا كان
احمد نصيبها؟

بدأت فقرة تلبيس الذهب للعروس..

وجاهدت لارا أن تحبس دموعها المتحجرة ولا تبكي فتفسد زينتها..

فحفل زفافها هذا الذي تعبت للإعداد له تم إفساده من قبل زوجة زوجها بحضورها إياه..

فبدلاً ما أن يوليها الجميع الاهتمام لأنها ملكة هذا الحفل كان انتباههم محصوراً بهيام فقط ما بين نظرات شفقة أو تعجب من حضورها..

وهي كلارا حصلت على لا شيء..

بل حصلت على بعض النظرات الكريهة من بعض النساء لأنها بنظرهم العبي خاطفة رجال!

هل يعرفون أن تلك التي يشفقون عليها هي كانت محلها يوماً ما؟

تتهدد لارا بتعب وهي تجاهد أن تبتسم من أجل الصور التي يتم التقاطها لها مع أحمد..

انتهب لأحمد يبتسم بالصور أخيراً بعد أن لمح اختفاء هيام من المكان حوله..

هل يخاف حتى الابتسام بالصور معها بوجود زوجته؟

يبدو أنها عليها أن تكون ممتنة لأن زوجته تركتها تهنأ بفقره الذهب كعروس واختفت من أمامها..

أيامها القادمة ستكون مشوقة ولكن لن تكون لارا إن لم تجعله يطلقها ويكمل إرادته..

وما إن انتهت الفقرة حتى جاءت امرأة من قريبات أحمد تخبره هامسة بأذنه أنها وجدت هيام منهاراً فسأعتها أن تنهض وتذهب لإحدى غرف الاستراحة..

صُدم احمد لكلامها وغادر المكان مهرولا تحت أنظار
المدعوين المندهشة..

اتسعت عينا لارا بصدمة ولم تتمالك دموعها وقد بدأت تتساقط
ويسيل كحل عينيها لرؤيته يبتعد عنها ما إن تم ذكر أمر يخص
زوجته..

تقدمت منها احدى النساء بمحاولة تهدئتها

((لا تبكي أنتِ عروس سنثيرين انتباه المدعوين.. زوجة زوجك
متعبة لذا ذهب الدكتور وسيعود بعد دقائق فلا تبالي بردة
فعلك))

قالت لارا لها ساخطة بصوت مرتجف مقهور

((لقد أثار احمد الانتباه وانتهى الأمر.. أساسا زفافي كلها تم
إفساده ولم ينقص إلا أن يهرب العريس منه لتفقد زوجته))

قالت لها المرأة بلوم وهي تشير بسبابتها أمام عينيها

((يا ابنتي لقد تزوجتبه وأنت تعرفين انه متزوج.. أنتِ أصبحت
شريكة لزوجة أحببت زوجها وتعلقت به وهي شريكته منذ سنين
لا يفارقها إلا لعمل أو ظرف طارئ.. وها أنت اليوم أصبحت
شريكتها في كل شيء.. فما حدث الآن بسيط بل عليك أن
توطني نفسك أن تواجهي بالأيام القادمة غيرنها و غضبها بحلم
فلا تتبرمي وتكثري اللوم لزوجها إن وجدته تعاطف معها
وراح يخفف عنها وضعي نفسك مكانها))

لم يعجبها لارا كلام المرأة فلم ترد عليها ولكنها انتبهت لامرأة
أخرى تقرب من الأولى تهمس لها بأذنها بصوت كان مسموع
لها

((إنها مصدومة يا جارتني لأنها توقعنت أنها ستسحر الدكتور
احمد وتفنته بجمالها واهتمامها وكيدها وسينسى زوجته.. لكن
هذا لم يحدث))

في غرفة الاستراحة..

احتضن احمد هيام قانلا بإحباط

((هيامي ما بك؟ ما الداعي لهذه الانتكاسة الآن؟ ألم تقولي إنك متأكدة من تقبلك فكرة زواجي))

تطلعت هيام له بعينين قاتمتين تفتح له بصوت غريب من فحيح الأفعى

((غيرت رأيي واكتشفت بأنني لم ولن أتقبله.. ولا أريد أن أتقبله.. لن أخيرك بيننا لأنك عقدت قرانك عليها وتزوجتها وانتهى الأمر ولكن أنا لن أبقى معك.. سأذهب لشقتنا وغدا سأذهب لعائلتي وأخلعك وسأحرص على أن تصلك الورقة بمكان عملك.. من المستحيل أن أتحمل أن أعيش معك والغيرة تنهشني من امرأة بفتنة وجاذبية لارا.. لم أراها سابقا ولم أتصورها بهذه الفتنة! الآن فقط عرفت لماذا تزوجت منها ودفعت من أجلها أكثر من أربعين ألف دينار.. هذا لأنها وباختصار تبدو مراهة بمنحنيات أنثوية مثيرة لا امرأة على عتبة الثلاثين))

أبعدهت هيام عنها فاستجاب ثم أردفت بصوت قاسي وبارد

((وبما أنك من البداية رفضت ألا تتم زفافك معناه أنك اخترتها هي علي.. نعم أنا تزوجتك وأنت متزوج ولكني ارفض أن تتزوج غيري.. نعم أنا أنانية أنا ولكن لا يهمني.. مبارك لكما الأثنان الزواج))

اعتذلت هيام واقفة وخطت للأمام إلا أن احمد أوقفها وهو يمسك ذراعها هامسا

((هيام توقي أرجوك))

قالت هيام له بصوت بارد رغم اهتزازه بدون أن ستندبر له

((من الأمور المهمة التي يجب أن تعرفها عن المرأة يا احمد..
أنها إنسانة رقيقة ومحبة ومخلصة في العاطفة.. وإذا آذاها من
تحب فإنها تصفح وتغفر مراراً وتكراراً أملاً في صلاحه.. حتى
تصل إلى نقطة لا يمكنها بعد ذلك أن تصفح.. وعندها يمكنها
أن تنقلب تماماً لتكره وتحقد.. وهذا ما أكنه لك الآن))

وتحت أنظاره تابعت خطواتها مغادرة المكان كله عقب أن
فتحت باب غرفة الاستراحة..

بعد دقائق..

دخلت لارا غرفة الاستراحة وهي ترفع فستان زفافها بنزق من
كبر حجمه..

توقفت مكانها تطالع بعينين غائرتين حمرابين وكحلته المذابة
احمد الذي كان ما يزال واقفا أمامه كما تركته هيام..

صرخت عليه لارا بجنونٍ وقهر وهي ترفع كفيها عن فستانها
وتكورهما بقوة

((لماذا لا زلت هنا؟ ماذا تفعل حتى الآن؟ لم آتي إلى هنا
لإحضارك كما قلت لهم بل لإخفاء وجهي من أمام الناس الذين
فضحتني أمامهم.. أكرهك يا احمد وأنا نادمة على الزواج
منك))

اقترب منها احمد لتُبدي قليلاً من الدهشة وهي تراه يقف أمامها
لا يفصل بينهما شيء لتتأمله أكثر..

كانت عيناه هو الآخر غائرتين وبشرته شاحبة للغاية..

سمعته يهمس باسمها بنبرة غريبة عن مسامعها بإعياء شديد
لتهمهم له وهي تحته على المتابعة فيقول لها

((لارا أنتِ طالق))

كانتا عينيها بعينيه وهي تهز رأسها استنكارا لما قاله..

همست بتحسرج خافت وقد تهاوت ملامحها وانهارت القساوة
عنها

((ماذا؟ أنا لا افهم))

تعالمت وتيرة تنفسها وهي تستند بيدها على منضدة بجانبها حتى
لا تقع أرضا وهي مستمرة بالنظر لأحمد الذي تابع

((لقد خطبتك بتخفٍ شديد وعندما دفعت المهر فقط أيقنت أن
الأمر أصبح جديا وأن عليّ أن أخبر زوجتي.. وهي وافقت
على زواجنا بالرغم من اعتراضها بالبداية لكن قبل قليل وقعت
مغشيا عليها وأصرت على إنهاء حياتنا الزوجية لأنني تزوجت
منك.. لذا طلقتك يا لارا مضطراً.. وحتى بدون أن أدخل عليك
حتى لا أظلمك أكثر.. لم تقترف أي شيء خاطئ.. ولكني
متعاطف معها خاصةً بعد كل التعب الذي رأيته عليها))

قالها ثم خطى نحو الباب مغادرا وهو يقول هامسا وقد بدا الألم
واضحا على تقاسيم وجهه حيث كان يبدو أكبر بسنوات من
عمره الحقيقي

((أنا اعتذر منك يا لارا.. لكن ستصلك كل حقوقك))

لم تجد لارا أمامها إلا أن تسقط أرضاً على ركبتيها تشهق باكية
وقد انفجرت في بكاءٍ حارٍ مريرٍ لا تصدق الذي حدث..

بعد دقائق دخلت والدتها وجثت على ركبتها بجوارها تربت
على ظهرها تسألها بفرع

((أين احمد وماذا حصل؟))

رفعت لارا وجهها المغرق بالدموع لتتظر لوالدتها بعينين
حمرابين بلون الدم ثم قالت هامسة وبعنون على الرغم من
بكانها العنيف وقد تحولت ملامحها إلى الشراسة

((سأنتقم من ذلك الحقير))

بعد ساعة

داخل غرفة النوم المظلمة تملمت هيام التي كانت تحاول النوم
بسريرها عندما فُتح باب الشقة..

اعتدلت شبه جالسة وهي تعغمم بنبرة مهتزة من أثر البكاء
عندما تم إشعال نور إضاءة الغرفة الخافت

((ماذا تفعل هنا يا احمد؟))

قال احمد لها بعملية وهو يبدأ بخلع حلته يستعد لأخذ حمامٍ دافئ

((لقد طلقته وانتهى الأمر))

ليس احمد مأزره وغادر الغرفة تاركا إياها لوحدها تنتظر
لل فراغ أمامها بشرود بوجه خالٍ من التعابير..

تستطيع أن تقول إنها خاضت صراعا حقيقيا ولكن الآن.. انتهى
هذا الصراع..

وخرجت منه.. لا منتصرة ولا منهزمة..

صحيح أن احمد طلق الأخرى وقيل أن يدخل عليها حتى..

لكن.. من يرد لها كرامتها خاصةً وقد حضر أقاربه حفل الزفاف الليلة؟

من يداوي عذاباتها التي عانتها طوال تلك الفترة؟

وهل يمكن أن ينسى قلبها أو عقلها هذه الأيام التي كان لها عليها أثر عميق؟ عميق جدا؟

لكن.. هل انتهى فعلا صراعها؟ هل لن تتردد الفكرة داخل عقله مجددا؟

=====
=====

بعد عشرة أيام.. ليلا..

بدأ راجي السير في هذه الليلة الباردة والتي كانت أول ليالي شهر ديسمبر وحيدا في شوارع المدينة يبحث عن طريقة يقتل بها ما تبقى من ساعات في تلك الليلة..

فرغبته بالتواجد أو التحدث مع البشر زالت كليا.. حتى مع أقرب أصدقائه..

وبينما كان يسير راجي في عشوائية لمح محلا صغيرا لبيع السجائر ووجد نفسه يسير إليه بلا أدنى قصد مسبق..

وخلال دقائق قليلة كان يسير مبتعدا عن المحل ويده سيجارة مشتعلة..

نفث راجي دخان السجارة ثم ابعده يده عن فاهه ليحرق بناظريه بها عبر الدخان..

فذهب عقله بعيدا لذكرى أول عقب سيجارة دخنها بحياته..

في الواقع هو لم يدخنها كما اتضح له بعد أن احترق التدخين
هذه الأيام إنما كنت يسحب دخانها ثم يلفظه في الهواء..

كان هذا في الأيام التي كان يقضيها بمنزل سارا التي كان يراها
غالبًا تدخن..

ورغم رده إياها عن التدخين إلا أنه كان يجرب عدة سجائر
بأوقات متفرقة..

هو لم يكن مدخنًا بالمعنى الدقيق لكلمة مدخن فكان يمر يوم أو
حتى شهر دون أن يشعل سيجارة واحدة..

لكنه بعدها ترك التدخين ولم يعد له وشجع سارا على تركه..
وقلت هي منه..

لم يتصور وقتها أنه سيمر بأزمة طلاق عاطفية تجبره للجوء
لها طلبًا للمواساة..

فهو نشأ في وسط عائلي عادي جدًا وكانت ظروفه عادية حتى
الملك..

أنهى راجي السيجارة ثم رماها ليسحقها سحقًا شاعرًا بالذنب أنه
قام بتلويث الشارع..

ألا يكفي تلويثه للهواء؟

زفر راجي ببؤس وهو يعود ليفكر بسارا بعينين مشتعلتين..

كيف تعيش الآن من دونه؟

هل الذكرى تدقُّ بابها أم أنَّها تفعلُ ذلك معه فقط؟

إنه يحاول بجدية بعد طلاقهما إلغائها تمامًا من حياته ويحاول
التعامل معها وكأنها ما كانت موجودة..

ويمكنه القول الآن أن الأمر أسهل مما توقع..

كما لا بد أنها تخطته وأسرع مما يظن..

لكن مهما ادعى عكس ذلك إلا أنه سيبقى هناك بعض الألم بقلبه
من الخيانة التي تعرض لها من قبلها ورغمما عنه..

تنهد بعمق.. ترى ما الذي جعله يقع في غرامها من الأساس؟

هذا السؤال تكرر بذهنه ملايين المرات سواء بالوقت الحالي أو
السابق..

فهو من البداية يعرف أنها تعيش حياة صاحبة ولها الكثير من
الأصدقاء..

لكن وجد أن الإجابة هي أنه وجد عندها ذلك السخاء الأنثوي
من حنان واهتمام وعطاء امرأة حيث أنها سبق وألحت في
طلب حبه والزواج منه..

ولأنه كان شابا ساذجا التقى بفتاة مجربة عاطفيا ومعتادة على
جلب انتباه الجنس الآخر حتى مع صغر سنها كانت أسلحتهما
غير متكافئة وبالتالي سيطرت عليه قلبا وجسدا..

لكن كل هذا الآن انتهى..

فحبهما قبل زواجهما هذا كان تغلبا للقلب على العقل..

ولربما إكماله حياته معها كان خطأ وظالماً لها ولنفسه أياً كانت
المبررات حتى ولو لم تعترف بزواجها ذلك له..

فهما نفسيهما غير متجانسين حتى وإن كانت القلوب متحابية كما
ظن..

=====
=====

خرجت سارا من الحمام بعد أن أخذت مغطساً دافئاً ثم جففت
جسدها وشعرها..

غيرت ملابسها لأخرى تستعد بها للخروج ثم وقفت أمام
منضدة الزينة وتناولت المشط لتسرح شعرها..

صنعت صغيرة طويلة من شعرها المصبوغ باللون الذهبي ثم
وضعتها على إحدى كتفيها..

وضعت زينة خفيفة على وجهها شديدة الإتقان والجاذبية..

وقبل أن تخرج فتحت شاشة هاتفها تتواصل مع احمد عن
المكان الذي ستلتقيه فيه من أجل التحدث عن أية..

فهي أخيرا وبعد أن حصلت على الطلاق من راجي استطاعت
أن تأخذ راحتها للتواصل معه..

فسابقا كان احمد يتأفف من رسائلها ويخبرها ألا تتحدث معه
لغير ضرورة لأنه لا يجوز أن يستمر هكذا خاصةً وأنها امرأة
متزوجة وراجي لا فكرة لديه عن حديثها معه..

خرجت سارا من بيتها الفخم الذي استأجرته بنفس المدينة التي
يسكن بها احمد بدلا من أن تستأجر منزلا آخر في العاصمة
بجانب شقة أخيها..

شيء ما بأحمد هذا يجذبها ويجعلها تريد رؤيته ولقاؤه كل
فترة.. لكن بالتأكيد أخر ما تفكر به هو الزواج منه..

تريد هذه المرة علاقة معه بدون زواج فهي ترى أنه مناسب لها
بالوضع الحالي..

وعلاقتهما علاقة منسجمةً بينهما بحيث أنّ فارق العمر
والاختلافات لن تؤثر أبدا..

احمد كرجل أربعيني هو حتما مختلفٌ جداً عن أي رجلٍ سبق
وتعاملت معه وكان قريبا من عمرها من حيث أسلوب الحياة أو
التعامل أو القرارات..

من وجهة نظر سارا فاحمد رجل ناضج بغض النظر عن
حادثة طلاقه للارا بليلة زفافهما المضحكة..

كما يبدو أنه كطبيب يعرف كيف يستمتع بوقته بشكل أفضل
بدون ارتكاب أي شيء غير مسؤول أو طائش..

سبق ولمست سارا منه أنه لا يكره قلة نضجها بل هي تضحكه
وتسليه..

واهم شيء أنه لن يطالبها أن تغير أسلوب معيشتها من أجله كما
كان يحاول راجي معها..

فلا بد أن احمد بقي على تواصل معها وهو يعرف ما تريد منه
ويعرف أنها مختلفة بأسلوب حياتها عنه..

بل وربما يكون سر انجذابه إذا كان فعلا منجذبا لها كما تظن
أنها مختلفة عن الأشخاص الذين من عمره..

لا بد أنه يريد شخصاً مختلفاً يضيف المرح إلى حياته مثلها..
حاجتهما للآخر متبادلة..

إذن.. لتستمر بما تفعله ولترى ماذا ستكون نهاية ما بينهما!

تتهددت سارا وهي تشغل سيارتها استعدادا للذهاب للقائه..

=====
=====

انتهى الفصل

بعد مرور سنة..

دلفت هيام لغرفة النوم وهي تحمل إحدى حُلل احمد الأنيفة بينما
تنفض كتفها بعناية بعد كبتها..

قالت هيام متسائلة وهي ترى احمد يقف أمام المرآة يمشط
خصلات شعره القصيرة

((ماذا تريد أن اصنع على الغداء؟))

بقي احمد للحظات ينظر لنفسه للمرأة يجهز نفسه للخروج
وطرف عينه يناظر انعكاس هيام وهو يراها تضع بعضًا من
أقمصته المغسولة والتي تم كبتها في الخزانة..

زادت ملامح احمد صرامة وهو يهتف لها بتعابيره الحازمة
ونبرة صوته الجافة التي اعتاد التحدث لها به مؤخرا

((لا تتعبي نفسك بإعداد أي شيء.. لا أريد أن أثقل عليك بعد
الآن.. مؤخرا صرت أشعر أنك تتعمدين سد شهيتي عن طعامك
الذي بتي تعدينه بلا أي نفسٍ طيب!!))

عقدت هيام حاجبها ببؤس..

حتى بعد مرور سنة ما زال وبشكل مباشر يتهمها بإنها السبب
في إفساد زفافه والضغط عليه وابتزازه عاطفيا لتطبيق لارا..

وبالتالي اسوداد وجهه أمام أقاربه وأصدقائه بأنه رجل بلا كلمة
يسير وراء رغبات زوجته..

التفت احمد يناظر هيام بحدقتيه الزرقاوين بتجهم..

في الحقيقة احمد صار كلما نظر لوجه هيام تكالبت عليه
طعنات الألم لما يفعله به..

وبنفس الوقت تشب في قلبه نيران الغضب للضعف الذي
يجتاحه بسببها ويضعفه..

نعم هي سبب ضعفه..

هي سبب في أنه أضطر قبل سنة أن يتخذ قرار عاطفي ساذج
كان وليد اللحظة في ليلة زفافه بلارا..

أغلقت هيام دولاب ملابسه واستدارت تغمغم له بوجوم وبرود
بصوت قويٍ رغم بخته وشحوبه

((لا تبالغ))

بدت تقاسيم وجه هيام لأحمد ساكنة بلامح هادئة دون تعبير..

مما جعله يتجهم مستاءً أكثر..

فقال متنهداً بعدم رضا

((لا أنا لا أبالغ.. كأنك عروس جديدة لا تفقه شيئا في أمور
الطهي والمنزل.. منذ أسبوع وأنا أقول لك أن حلتي السوداء
بحاجة للكي ولم تفضل حضرتك بكيها إلا اليوم.. لكن لا بأس..
لا أريد منك أي شيء.. من الآن وصاعدا سأعتمد على نفسي))

قاله احمد جملته الأخيرة ممزوجة بالتوعد فنظرت هيام له
بعينين قاتميتين وهي تراه يندفع للصالة بغضب..

منذ الليلة التي طلق بها لارا وقد تغير مئة وثمانين درجة
معها..

صار لا يستطيع أن يكف عن الانتقاد المستمر..

لا مانع عندها من النقد النابع من الحب والذي يهيمه تعديل
السلوك.. لأن المُحب يريد أن تكون محبوبته الأفضل في كل
شيء..

أما انتقاد احمد الجارح وانتهازه الفرص لجرح مشاعرها دون
الاهتمام بأثر ذلك.. فهذا ليس حباً على الإطلاق..

إذا كانت كل تصرفاتها على تنوعها موضع انتقاد عند احمد..

فلم لا يحررها منه وحسب؟

أخذت هيام نفسها قويا تستجلب كل طاقاتها ثم تبعته للخارج قائلة
بسخرية مريرة وبصوت واضح النبرات

((هل تبحث عن أذار جديدة للزواج غير الإنجاب يا احمد؟))

رفع احمد الذي كان يجلس على أريكة ويتصفح هاتفه رأسه لها
متشدقا بكلماته ببطء.. ولوم مشبع بالأذى

((لا.. لأني ببساطة لست بحاجة لأي أسباب أخرى لأمارس
حق من حقوق.. لكن وبالمناسبة هذه المرة لا تحلمي بأى
رضاءة.. وإذا فكرت بطلب مال كرضاءة كشرط لزوجي..
سأزيد عليه مبلغا قليلا وأتزوج به من امرأتين لا واحدة..
واضربي رأسك بمئة حيط))

اهتزت هيام بغضب وهي تنتظر بجمود حريص له!

عليه إلا يقلق بشأن الرضاءة وأمواله السخيفة..

لو فكر بالزواج مرة أخرى وقدم على خطوات جدية وتزوج
فعلا..

فلن تطلب من أي تعويض بل مباشرة سننتهي زواجهما وسيكون
هو المسؤول عن ذلك بقراراته وتصرفاته الأنانية..

هي فعلا ستطلب منه الطلاق بلا رجعة..

لأنها لن تتحمل أن تصل لمرحلة الشعور بالفشل وانعدام
الأهمية.. وحتى تحقير الذات..

بسببه فقدت شهيتها في الحديث.. في الضحك.. في إظهار
ردات الفعل..

وكأنها ماتت وهي على قيد الحياة منذ ذلك اليوم البائس بعد
انتهاء ليلة زفافه بالفشل والذي قررت فيه أن تمتنع عن البكاء
نهائياً..

نعم.. فيعد أن عاد احمد لها لم تتم..

وبالرغم من ألمها توقفت عن ذرف المزيد من الدموع..

لم تصرخ ولم تقل كلمةً واحدة.. بل بقيت هادئةً وصامدة في
مكانها..

لكن ومع ذلك فمنذ تلك الليلة وكل شيء يزداد سوءاً..

بل منذ تلك الليلة وهي تشعر أن الذي بجوفها ليس قلباً.. بل
حُطام..

زم احمد شفاهه بغضب وهو يسترسل حديثه باستياء

((بعد مرور كل هذه الشهور لم تنتهي لارا من تجريري في
المحاكم.. رفعت عليّ مئة قضية من ضمنهم قضايا اسمع
باسمها لأول مرة بحياتي بدعوى الضرر الذي طالها بسبب
طلاقي التعسفي لها ليلة زفافنا.. وطالبت بالكثير من
التعويضات الماضية عن هذا الضرر فضلا عن نصف مقدم
ومؤخر مهرها.. دفعْتُ أموالا طائلة على هذا الزواج وخسرتها
كلها بسبب ضغطك العاطفي عليّ يا هيام.. ليتك حتى كنتي
صادقة في تهديك بالطلاق.. لا أصدق كيف انطلت عليّ مثل
هذا الحيل الرخيصة لأرتكب قرارا عاطفيا غبيا كهذا كلفني
الكثير))

بأخر حديثه كان يطالع هيام بنظرات ممتعضة وهو يعتصر
قبضتيه بغلّ..

فما سمعته أذنيه كان أن لارا وبكل دناءة نشرت إشاعة عنه
بين أقاربها وأصدقائها أنه شاذ..

حيث قالت لارا أنها اكتشفت ذلك ليلة زفافهما عندما جاءت
فجأة لغرفة الاستراحة وضبطته يقيم علاقة محرمة مع طبيب
زميل له يودعه قبل أن يتزوج فطلبت الطلاق منه بنفس اللحظة
مقابل ألا تبلغ عنه الشرطة..

لانت ملامح احمد قليلا لتصبح أقل حدة وهو مستمر بمطالعة
تقاسيم وجه هيام الذابلة وقد تعمقت نظراته له عندما أخفضت
وجهها أرضا وهي تقف أمامه..

بغض النظر عن كل شيء فهو يعرف أنه يؤذيها بزواجه..

ولكنه على امل بأنها ستتقبله مع مرور الأيام..

كما أنها اطمئن كليا بأنها لن تطلب الطلاق وكل كلامها مجرد
تهديد ووعد..

فحبها له يسري بعروقها كما أن وظروفها لا تساعدنا كغيرها..

وهذا الأمر يسره..

فهو يحبها ولا يريد الافتراق عنها.. والحب هنا كفيل بمحو أي
ذنب قد يرتكبه بحقها..

هذه المرة سيتزوج وسيعرف كيف يرضيها بلا شروط أو مهر
جديد..

رفعت هيام رأسها عندما انتبهت على احمد يقوم من مكانه
ويتقدم نحوها وهو يرفع راحة كفه لبشرة وجهها..

لاحظ احمد أن بشرة هيام باردة بدون أن تظهر أي تأثير
للمسته..

تطلعت هيام لعيني احمد لتلاحظ أن زرقاويه مختلفتين..

وكأنهما ممزوجتان بالذنب والغضب تجاهها..

قال احمد لها بصوت متحشرج

((هيام أنا اعتذر منك لحدتي قبل قليل.. وربما مؤخرا.. ولكنك تعرفين أن ما مررت به ليس قليلا.. لا زلت حتى الآن لم أتخطى ما قالته لارا عن سبب طلاقها لها ليلة زفافنا!))

كان احمد منفعلا بمشاعره بقوة بينما بقيت هيام جامدة بمكانها دون أدنى لمحة من تأثر أو انفعال..

لم يطالبها احمد برد وتركها فورا ليقف عند باب المنزل ويرتدي حذائه..

يبدو أن عليه أن يكون حذرا جدا بمعاملته مع هيام فمهما أظهرت جموداً ولا مبالاة في مشاعرها الآن..

فهو يعلم جيدا أن بداخلها إعصاراً يمكن أن ينفجر ويعصف بالأخضر واليابس بأي لحظة..

وهو بالرغم من شخصيته التي تحولت لأخرى حادة معه إلا أنه بكل حين وآخر يوبخ نفسه ويعاتبها ثم يتودد لها ويهتم بالأشياء الصغيرة المتعلقة بها ويراعي مشاعرها فلا يفرط بتعامله الذي تبدل معها..

يريدها أن تفهم فقط أنه لن يترجع عن زواجه وبنفس الوقت يريدنا أن نؤمن بأن زوجته الجديدة لن تأخذ مكانها.. أبدا.. من المستحيل أن يحدث هذا..

فضلا على أنه لن يقيم عرسا لزواجه القادم في حضورها..

وسيجعل سارا التي سيطفر بزواجها بيتا بعيدا عن هنا ولن يدعها تسكن بمنزل إباد القديم فوق هذه الشقة كما كان يخطط..

على الأقل بشكل مبدئي..

خرج احمد من الشقة واغلق الباب خلفه صاقفا إياه..

لتجلس هيام على احدى الأرائك بوجه شاحب بكل ما يحمله من
خذلان وقد جفت سيول أملها به من عندها..

صارت تحترف الصمت أمامه أغلب الوقت حد أنها بدأت
تخشى أن تنسى الكلام..

ولم الحديث أمامه وهو لا يعلم شيئا عن كل الحزن الذي تحمله
في قلبها بسببه..

أو عن حالاتها المضطربة التي تتعرض لها بين فترة وأخرى..

أو عن منازعاتها في التعامل مع الأرق بسبب كوابيس زواجه
الذي تراودها ليلا ونهارا..

تنهدت هيام تنهيدة طويلة وهي تفكر بحزن وحسرة وألم
بالماضي..

كانت أحلامها كثيرة قبل زواجها بأحمد..

لقد اتفقت معه أنها في حالة أن أنجبت ولذا ستسميه هي..

وإن أنجبت بنتا ستترك الخيار له..

لكن الآن لا تملك إلا أن تشعر بالغضب وتوجه عدوانها إلى
احمد لعدم إنجابها بالرغم من أن الذرية رزق ونصيب من الله..

لكنها ورغما عنها لا تستطيع إلا أن تعتبره هو سبب شقائها
ومعاناتها ومن كان سببا في حرمانها من نعمة الإنجاب..

فمهما سبق وقالت إنها لا تفكر إطلاقا بموضوع الإنجاب كحيلة
دفاعية تدافع بها عن نفسها وعن التساؤلات الكثيرة التي تحوم
حولها..

إلا أن الجانب الخفي منها يحوي كل مشاعرها السلبية التي
حصلت لها بسبب اختيارها أن تتهم نفسها بملء إرادتها أن
تكون عاقر أمام الجميع وعدم الطلاق من احمد..

كلّ مشاعرها المتناقضة التي كنتها وتكنها حاليا لأحمد بدت
الآن تتعاقب بشكل موجه داخل عينيها وفوق محيّاها..

عادت لذاكرتها للماضي قبل سنوات طويلة ببداية فترة زواجها
من احمد عندما كانت تتحدث مع صديقتها من أيام الجامعة مها
التي كانت في زيارة لها لتشرح لها بحزن وقد كانت الوحيدة
الذي أطلعتها على سر عقم احمد..

قبل سنوات..

قالت هيام بصوتٍ مثقل باليأس والبؤس..

((مها.. أنت تعرفين أنني قررت أن اترك عملي حتى أنفرغ
لأحمد وعائلتنا التي كنا ننوي إنشاءها.. فنحن كنا نرغب
بإنجاب أربع أولاد على الأقل.. لكن حدثت مشكلة سجنه
وانشغلنا بها.. وبعد أن خرج ولم احمل.. ذهبت عدة مرات
للطبيبة وكنت لا أجدها لتلقي والدته باللوم ككلّ علي.. وكنت
أتضايق وأبكي بدون أن أخبر احمد حتى لا أوقع بينه وبين
امه.. لكن المجتمع لا يرحم فليس من الطبيعي أن يتأخر حملي
كل هذا.. المهم أنني فعلت كما قلتي لي وألحت على احمد أن
يذهب معي لإجراء تحليل))

حنتها مها بترقب أن تكمل لتتابع هيام مطرقة الرأس

((كانتُ جميع تحليلاتي سليمة كالعادة.. ومن هنا كانت الصدمة
في تحليله.. كان يحمل حيوانات منوية أقل من العدد الأصلي..
وكلهن يدور حول نفسه.. وقال الطبيب له لا يوجد أمل في

الحمل الطبيعي غير أطفال الأنابيب بعد أن يتعالج.. وأنا لا أعرف ماذا افعل؟ أنا مصدومة بيها))

ضربت مها كفا فوق نراع المقعد الذي تجلي عليه قائلة بانفعال ((أرأيت؟ ألم أخبرك أن تجربيه على إجراء تحليل له هو أيضا معك.. وكما توقعت اتضح أن المشكلة كانت منه))

زفرت هيام بضيق وهي تقول لها

((مها أنت تعرفين أن له ابن من زوجته السابقة لذا رأيت ما تلمحين له محض جنون.. وصدقيني صدمته كانت أكبر من صدمتي أن المشكلة منه.. لكن وعلى ما يبدو أن الوقت العصيب الذي مر به أثناء فترة مكوثه بالسجن هو ما جعل حالته تزداد سوءًا وأدى إلى تحول العقم الثانوية ليه إلى عقم تام))

ثم أردفت هيام متسائلة بقله حيلة وقهر

((مها أخبريني ما الحل؟ أنا أموت حبا في الأطفال))

أجابتها مها ببرود وبساطة

((أمامك حلان لا ثالث لهما.. الطلاق أو أطفال الأنابيب.. ولو كنت أمامك اللجأت للطلاق فأنت لست صغيرة ولا وقت لديك لانتظاره حتى يكمل علاجه بحالة تم شفاؤه من الأساس))

رشقت هيام مها بحدة وهي تقول لها بانفعال مكتوم

((لا من المستحيل أن اتركه.. مها أنا سبق وقلت لك عن زوجته السابقة أنها تزوجت من شخص آخر وحرمته من ابنه ولا مجال لهما للعودة مجددا.. لذا كيف تريدني مني الآن أن أتخلى عن احمد بمجرد أن صار عقيما بعد أن فضلني على ابنه وزوجته؟ سيقول عني الناس أنني هادمة بيت وگذار بامتياز.. من المستحيل أن اتركه خاصة وهو الآن في حالة يُرثى عليها))

نظرت لها مها متبرمة ثم سألتها وهي ترفع احدى حاجبيها

((هل والدتك وعائلتك يعرفون بعقمه؟))

زفرت هيام بضيق ثم قالت عاقدة الجبين

((بالتأكيد لا ولن أقول.. لا أقبل أن أقول عن رجلي أنه عقيم..

أخبرتهم أنني أنا من أعاني من مشاكل بالإنجاب وأحاول

العلاج.. إياك أن تحاولي ثنبي عن التراجع عما قلته لهم))

كانت مها تنظر لها بغير رضا لتسألها بشك وهي تضيق عينيها

((هل أنت متأكدة أنه لم يكن يعرف منذ البداية أنه عقيم؟ ألم

يسأل نفسه سابقا لماذا لم ينجب من زوجته السابقة مرة أخرى

وابنهما الوحيد قد أصبح في السادسة من عمره؟ لأنه لو

تزوجك وهو على علم بعقمه ولم يخبرك فهذا احتيال.. فمن

حقك عليه أن يذكّر عيبه وألا يخفيه))

تنهدت هيام بياس وهي تقول لها معاتبة

((مها لا.. احمد بالتأكيد لم يكن يعرف.. أساسا لولا السجن لما

ساعت نفسيته وحالته لهذا الحد))

هزت مها كتفيها وهي تقول لها

((لا أدري ماذا أقول لك يا هيام.. لكن عليك أن تتفقد قلبك

الذي يوحى نبضه بمشاعر عارمة من الشفقة والرحمة تفيض

حزنا على حال زوجك.. فمن أخطر المشاعر التي تغذي

الزواج وتؤثر فيه تلك التي تغلب عليها الشفقة.. خاصة إن

كانت من الزوجة نحو زوجها وليس العكس))

نظرت هيام لها بانزعاج ولم يعجبها أن تقول عن حبها لأحمد

شفقة!

فلانت نظرات مها وهي تحاول أن تقول بإقناع بينما تمد يدها
واضعة إياها فوق ذراع هيام

((هيام.. دعينا نكون أكثر صراحةً حين نفكر في تلك القضايا
المصرية.. أنت لم تعودي تلك المراهقة المتهورة.. العلاقة
الزوجية ليست مبنية على رومانسيات حالمية وأحلامٍ وردية..
وليست مجرد كلمات حب مُتبادلة بين الزوجين.. أو نظرات
إعجاب تُبقي حبل التواصل بينهما..))

قاطعتها هيام بتحهم

((الزواج يا مها علاقة راقية من التعامل بين شخصين أحبا
بعضهما..))

تنهدت مها هادرة

((نعم هيام ما أجمل أن يبني الزواج على الحب الحقيقي! لكن
الحياة العملية تنبئ بأن تلك المشاعر القوية من المحبة قد تتوهج
وتخفت أثناء الحياة.. وأن المرأة ليس من اليسير عليها مقاومة
مشاعر الأمومة والتلف على رؤية الأبناء.. فغريزة الأمومة
من أقوى الغرائز لدى المرأة وأشدّها تأثيراً على حياتها.. هذه
حقائق لا يمكن إنكارها بحال))

تطلعت لها هيام بتفكير لتسترسل مها

((أخشى أنّ رغبتك الآن في الاستمرار بهذا الزواج ناشئة عن
الصدمة مما أصابه وأن تألم قلبك يخفي مشاعرك الحقيقية التي
لن تلبث أن تنمرّد بعد الزواج بأعوامٍ بعد أن يفوت الأوان
وتتجاوزين سن اليأس خاصةً حين ترين أبناء إخوتك وأبناء
العائلة والأطفال من حولك طيهون في براءةٍ تطيش بعقلك
وتذهب بكل سعادة غيرها))

شعرت هيام بشيء يوجع قلبها من كلام مها إلا أنها أخفته
سريعاً وهي تطرق برأسها لتردف مها

((إن كان هو في حالة يرثى له مما أصابه.. فأنت في حالة أشبه
بالصدمة أدت إلى تفاعل عاطفياً معه.. فلا تبقي تحت تأثير
العاطفة وتُصدري قرارك بناءً عليها وتضحى بكل ما لديك
للتعاطف الكامل مع احمد ثم تدفعي أنتِ الثمن غالباً بعد
استمرار زواجكما بعد أن تتضح الصورة بشكل أكبر وتهدأ
ثورة المشاعر لك وتظهر الحياة بكل ما فيها من خفايا لم تكن
لتبين قبل ذلك))

وضعت مها فنجان القهوة بيديها فوق الطاولة أمامها لتعتدل
واقفة من مكانها..

ثم قالت وهي تعدل من وضع حقيبتها على كتفها بصوت أجش

((أنا مضطرة أن أعادة الآن يا هيام.. لا تنسي أن تستخيري
في الاستمرار على هذا الزواج وعلى قرار تعتمد عليه حياتك
المستقبلية فالذي خلقنا يعلم حالنا ويعلم ما يكون منا في غدٍ
ويعلم تقلب الأيام وما يصدر عنها.. ثم إنك لو تطلقت من احمد
فنسبة زواجك كبيرة حتى ولو لفتي بمنصف الثلاثينات..
وأنصحك بأن لا تكتمي مسألة عقمه عن عائلتك))

رفعت هيام رأسها وهي تشعر بأن مها ولأول مرة تتحدث معها
بحكمة..

رافقتها هيام تسير معها لخارج البيت وما إن عادت وأغلقت
الباب حتى شهقت بخوف وهي ترى والدتها احمد تخرج لها
بوجه غاضب بتقاسيم وجهها القاسية..

قالت لها هيام بارتباك

((عمتي.. هل تحتاجين أي مساعدة بالطهي أو..))

سألته حماتها بصوت فاتر مقاطعة

((من هذه الصديقة التي تُدعى مها التي غادرت تَوا؟))

قالت لها هيام بتلعثم وقد زادت ضربات قلبها بعد أن فهمت أن حماتها سمعت جزءا كبيرا من محادثتها

((إنها.. إنها صديقتي.. صديقة قديمة.. جاءت أكثر من مرة لزيارتي ببيتك هنا.. الآن جاءت لزيارتي من أجل..))

قاطعتها حماتها وهي تسألها بسخط

((ومنذ متى تتحدث النساء المحترمات عن خصوصيات زوجها أمام صديقاتها وتسمح لهن بالتحدث باستخفاف عن اختارها أن تكون زوجة له؟))

عضت هيام شفتها السفلى وهي تخفض رأسها..

فمنذ موت حماها وهي تقضي معظم نهارها عند حماتها لتؤنسها بوحدتها..

وعندما يجيئها ضيوفا لا تستطيع إلا أن تستقبلهم بغرفة الاستقبال المتواجدة ببيت حماتها..

لكن هذه المرة شتمت نفسها أنها لم تستقبل مها بمنزلها لتنفرد وتتحدث معها بهكذا حديث خاص..

فحماتها قالت لها بأنها ستنام بمجرد وصول مها ولم تظن هيام أنها لن تفعل كما قالت وستصنع..

أو لنقل ستمر صدفة من الغرفة وتستمع لحديثها مع معها!

طفت ملامح غضب شديدة أخافت هيام على وجه حماتها وهي تجلس على احدى المقاعد قائلة بحدة وهي ترشقها بنظرات غل

((ما حدث لأحمد ليست مصيبتك وحدك بل هي مصيبته قبلك.. فهو مثلك بشر ولديه مشاعرٌ وعاطفةٌ أبوة.. وأحلام وأمنيات بإجاب أولاد صالحين بدلا عن ذلك الذي حرمته ابنة عمك

منه.. فلا تكوني مصيبتَه الثانية مع رفيقتك الدنيئة هذه فقط لأنك
ترغبين في إنجابِ طفل))

جلست هيام على مقعد مقابلها قائلة بإحراج وابتسامة مصطنعة
(عمة.. أنتِ فهمت الموضوع بشكل خاطئ.. أنا لم اقصد..))

انعقدت حاجبا والدة احمد بشدة وهي تسترسل كلامها وتسألها
بعصبية وصوت عالٍ

((هل تعتمد ابني حرمانك من الأطفال أم أن هذا هو قضاء الله
وقدره؟))

غمغمت لها هيام بخجل

((قضاء وقدر يا عمة.. أنا اعلم.. ولكن ما قصدته..))

عادت والدة احمد تقاطعها صارخة

((ما دمتي تعلمين ذلك فأين الرضا بالقضاء؟ أين اليقين بعدل
الله ورحمته؟))

لم ترد هيام وهي تشبك أنامل كفيها وتشعل بحرج حد أن تتمنى
أن تتشقق الأرض وتبتلعها..

زفرت حماتها بنفاذ صبر وهي تنظر بعيداً محاولاً تهدئة نفسها
من العصبية التي أصابتها وهي تسمع ابنها يهان من قبل المرأة
التي هدم بيته الأول لأجلها..

ثم لم تلبث أن قالت بعد فترة وهي تنظر لهيام

((ماذا لو أظهرت النتائج أنك أنتِ العقيم وليس ابني؟ أكنْتِ
ستشعرين بكلّ هذه الحيرة؟ هل كنتِ ستطلبين الطلاقَ ساعتئذٍ؟
هل كان يرضيك أن يطلقك احمد ويعود لزوجته السابقة فقط
لأنك لا تتجبين؟ لأنّ الله قدر عليك ذلك.. وليس بارادتك؟))

أغمضت هيام وقتها عينيها تخجل من نفسها كيف سمحت لها
أن تتحدث معها وتحثها بصراحة على الطلاق من احمد لمجرد
كونه عقيما بدون أن تردعها بحزم..

فقد ظنت بأنه لو كان العكس لم يكن احمد ليتخلى عنها ويقهرها
ويتزوج من غيرها..

عادت حماتها تزيد خزيها من نفسها وهي تقول لها

((بالتأكيد لو كان العكس لكان سيختلف الأم لديك.. وهذه أنانية
مفرطة بلا شك من قبلك.. أيتها الأنانية أنت لم تحبي احمد من
أعماق قلبك بل خدعتنا جميعا ودمرت منزله وأغويته لثرضي
أنانيتك.. فالزوجة المحبة عون لزوجها وأنت لست كذلك يا
هيام.. على الأطلاق))

فتحت هيام عينيها المترقرة بالدموع وهي تسألها بصوت
متحشرج

((عمة أنا لم أجب سيرة الطلاق ومن المستحيل..))

قالت لها حماتها بقسوة تقاطعها مجدداً

((ولكنك أيضا لم توقفيها عند حدها عندما حرصت على
الطلاق بشكل حازم))

كتفت حماتها ذراعيها تردف وهي تلوك بفمها

((ولكن هذا لا ينفي أن أمامك أن تطلبي الطلاق من ابني.. أو
حتى الخلع والإصرار على ذلك.. لا لأن هذا هو حقك بل لأنك
حقيقة لست أهلا لأن تكوني الزوجة الصبور المحبة والمضحية
لأحمد.. بل واعذريني إذ أقول لك ذلك.. أنت عبء ثقيل
ومصيبة أخرى فوق المصائب التي حدثت له منذ أن تزوج
منك.. فحرريه من نفسك ولعل الله يعوضه بمن هي خير منك
ومن إيما.. يعوضه بإمراه تحبه لذاته لا لإنجاب طفل وكأنا
الزواج معمل للتخصيب لا للمودة والرحمة))

ثم وقفت حماتها معتدلة من مكانها قائلة بلؤم يبدو أن احمد
ورثه منها

((سأخبر احمد بمجرد عودته عن كل ما سمعته وأخبره أن
يطلقك فوراً لأن هذه هي رغبتك الحقيقية.. فأنا لا اقبل أن
يعيش ابني مع امرأة تراه ناقصاً..))

هزت هيام رأسها بـ "لا" منتفضة من مكانها وقد أصابها جنوناً
وفزعا من كلام حماتها..

هتفت هيام بصوت مختنق متحسرج وهي تمسك بكف حماتها
تتوسلها

((لا يا عمّة لا تقولي شيء لأحمد.. أرجوك احمد لن يتحمل
سماع أي شيء من هذا القبيل.. أنا من المستحيل أن اطلب
الطلاق منه مستحيل لأجل الأطفال.. أنا اعتبر احمد طفلي
وحبيبي الوحيد.. ولم أكن راضية عن الترهات التي قالتها مها
قبل قليل))

شعرت حماتها ببعض النشوة وهي تراها ترجوها منذللة ألا
تقول لأحمد شيء قد يؤثر على علاقتهما..

فنتهدت مدعية التفكير.. ثم قالت لهيام بقلة حيلة مصطنعة
((حسنا إذن.. لن أخبره بشيء))

تركت هيام كفيها وهي ترفع أناملها تمسح دموعها مغمغمه
((شكرا لك))

قالت حماتها بعد لحظات بصرامة وهي ترفع سبابتها أمام
عينها

((إذن اصبري واحتسبي وخذي بالأسباب وأمني بالقضاء
والقدر وثقي باختيار الله.. وإياك أن تشعري ابني بأي نقص لما

أصابه.. فلعل الخير في تأخر الإنجاب أو لعل الخير في عدم
الإنجاب من أصله.. ما يدريك؟ ربما كتب الله لك أبناءً عاقين
يرهقونك في الكبر ومن الخير لك أن يبق احمد عقيماً على أن
يجعلك تنجيبين ابناً عاقاً))

هزت هيام لها رأسها قائلة باتفاق

((معك حق يا عمّة))

فعاودت حماتها تقول تزيد على إقناعها بصراحة فجة

((ثم لنفترض أنك طلقت من احمد يا هيام.. أهنك ضمانات
لديك على أنك ستزوجين مرة أخرى كما قالت صديقتك تلك؟
لأنه وبكل صراحة احتمال ارتباط احمد بامرأةٍ أخرى غيرك
بعد طلاقك أعلى من احتمال زواجك مرة أخرى وأنتِ مُطلقة..
لأن هناك الكثير من النساء العاقلات اللاتي يرغبن في العيش
في كنف رجل محب كابني احمد.. لكنك لا تضمنين وجود
رجالٍ أكفاء يمكن الاعتمادُ عليهم لمستقبل حياتك))

تعمقت نظرات هيام بحماتها بتفكير وهي تسمعها تردف ببراءة
مصطنعة

((ثم وحتى لو تزوجت ثانية.. أهنك من ضمانات على أن هذا
الرجل الآخر لن يكون عقيماً هو الآخر؟ وحتى لو لم يكن
عقيماً.. أهنك من ضمانات بأنك ستحملين وتنجبين؟ لأنه ما
أكثر حالات تأخر الحمل التي لا أسباب لها))

عادت هيام من تلك المواجهة التي حدثت بالماضي قبل سنين
طويلة..

شهقت بقوة وهي تحضن نفسها بذراعيها برعشة وهي تشعر
بالجنون والخيبة والخذلان والمرارة والوجع من احمد وأمه
وعائلته كاملة..

أين حمايتها من شخصيتها الحكيمة العاقلة التي كانت عليها
بالماضي؟

ألم تجعلها تشعر بالخزي والخجل لمجرد سماحها لها بالتحدث
عن الطلاق والتفكير بأمومتها قبل أن يفوت الأوان؟

لماذا لم تجعل احمد يشعر بنفس الشيء عندما قرر الغدر بها
والزواج من غيرها؟

حسنا هي لا تريد منها أن تجعل احمد يشعر بالذنب لكن لا أن
تشجعه باستماتة على الزواج!

فبمجرد أن تعالج ابنها لم تعد ترى أمامها إلا هدفاً إلا تزويجه
لإنجاب ذرية له..

متجاهلة كلامها السابق بأنه ليس كل من الله منّ عليه بالأولاد
نال السعادة أو الراحة..

وأنه كم من ذرية كانت سبباً في تعاسة والديها وشقائهما
وحولت حياتهما إلى جحيم وعذاب..

وكم من ولد فتن والديه وأذاقهما من الذل والهوان ما لم يخطر
لهما ببال..

نسيت والدة احمد ما قالتها سابقا لها لتصبر على عقم ابنها بأنه
ليس كل من أكرمه الله بالبنين والبنات وملاً بيته بالأولاد حصل
على ما يرجو من سعادات ونال ما كان يأمل من نعيم..

نعم الأطفال نعمة كغيرها من النعم.. إلا أنها قد تكون سبب
الشفاء والعذاب..

=====
=====

نظر احمد باعجاب واضح لآية وهو يراها تسحب كرسيها
لتجلس عليه في إحدى المطاعم القريبة من المكتبة التي تعمل
بها..

كيف لا يُعجب احمد بها وهو يراها وبرغم ما عايشته سابقا
وبالرغم الظروف التي مرت بها إلا أنها صارت فتاة مثابرة
ملينة بالطاقة والتحدي..

وسلبه من حولها لم تمنعها من إكمال دراستها بل زادتها
إصراراً..

استطاع احمد من بعض اللقاءات الشحيحة بينهما طوال
السنوات الماضية أن يكتشف أن لها قلبا وروحا لفتاة قوية قادرة
على تحقيق أحلامها مهما كانت مستحيلة بالنسبة لمن حولها..

والسر في هذا يتمثل بكل ما تمتلكه من شغف وشجاعة ومثابرة
وإصرار وطاقة لا حدود لها..

بطفولتها هي من دمرت مستقبله المهني بلا أي ذنب اقترفه
عندما تبلت عليه..

إلا أنه شعر نفسه مكبلا بمساعدتها حتى تعتمد على نفسها..
عندما رأى أنها ليست سوى ضحية..

وحرص على أن يمد يد العون لها بالخفاء حتى لا تظن أنه
ينظر لها أكثر من نظرة أبٍ لابنته..

سمعها تقول له بنزق بصوتها المميز وهي ترفع رأسها بفخر
أمامه

((كيف عرفت أنني اعمل هنا يا احمد؟ لم أتوقع أنا أراك منذ
آخر لقاء قبل سنوات.. هل تتبع إخباري؟))

ابتسم لها احمد ابتسامة جانبية زادتته وسامة وهو يقول له
بصوتٍ رخيم

((نعم أنتبع أخبارك أحيانا.. لكن لا تقلقي أنا لست مهووسا.. ثم إنه تم دفع رسوم ساعاتك الجامعية من قبل أحد المتبرعين على حسب ما سمعت لتفوقك بالثانوية العامة.. فلماذا تعملين بهذه المكتبة بدلا من التفرغ لدراستك؟ فتاة باجتهادك لم يكن عليها أن تنزل ساعات جامعية أقل وتتأخر بتخرجها))

تلاعبت حاجبا آية بمرح قائلة

((ولماذا تتدخل بحياتي الشخصية أو الجامعية يا احمد؟))

رفع حمد حاجبيه قائلا بابتسامة حازمة

((لي ابن يصغرك بسنتين أو ثلاث فاياك أن تسيئي فهمي))

مطت آية شفيتها تقول له تشير بيدها

((لا الأمر فقط.. اقصد لو كنت مكانك لكرهنتي بل وأيضا لكنت حرصت على أن اجعل الفتاة التي دمرت مستقبلتي المهني تدفع الثمن غاليا لا أن اطمئن عليها من حين لآخر))

بدا صوتها متهدجا بنهاية حديثها وقد ارتعشت ابتسامتها المفجلة..

تراخت ملامح احمد وهو يقول لها بجدية

((معك حق فما فعلت به بي ليس شيئا قليلا.. لقد تبلّيت عليّ وضيعتي من عمري سنة ونصف بقيت فيها بالسجن.. فضلا عن سمعتي التي تدمرت وما زال يلحقها الكثير من الأذى حتى بعد خروج براءتي ومرور كل هذه السنين لدرجة أنني لا أستطيع المخاطرة وفتح عيادة خاصة بي.. العمل الحكومي حتى الآن هو المتاح أمامي.. ولا يمكنك تخيل كم عانيت وبذلت جهدا لأتطور في مكاني رغب الصعاب))

لم يستطع أن يمنح احمد بعض العتاب أن يمتزج بكلامه..

يعرف وقتها أنها كانت مشتتة وقاصر إلا أنها فعلا كانت السبب
بما حدث له بإصرارها وعنادها على اتهامه انه كان شريك
للبيث بما فعله بها مع يقينها بعدم صحة اتهامها..

ارتعشت ابتسامة آية وهي تخفض بصرها وتزيح علامات
المزاح أو المرح من وجهها لتقول بحشجة بكاء مكتوم

((احمد.. أنا أيضا رغم مرور كل هذه السنوات إلا أنني حتى
أتجنب التفكير بتلك التجربة التي مررت بها.. ذلك الحقيير ليث
ما فعله بي كان واحدا من أسوأ الأمور التي مررت بها طوال
فترة حياتي.. ما يزال الأمر رغما عني يؤثر على ثقتي بنفسي
حتى بعد تعنفه لسنوات طويلة بالسجن))

سألها احمد بعينين دافنتين

((آية هل فكرتي قبلا لأخذ علاج نفسي بعد تلك التجربة؟ لن
يكون أمرا صحيا لك عدم تخطي ما حدث بعد كل مرور تلك
السنين.. صدقيني أنت بحاجة بالفعل لزيارة لطبيب نفسي..))

قالت له آية وهي مستمرة بمقاومتها البكاء وقد تقبضت كفيها
بقوة تحت الطاولة

((لا شكرا لني لست بحاجة للذهاب))

عاد احمد يخبرها وهو يشفق عليها

((أنا بالتأكيد أقصد ذهابك لطبيب نفسي غيري أنا.. يمكنني أن
أدلك على عدة أطباء..))

هزت آية رأسها نافية تقول بصوت متهدج وهي تقاطعه

((احمد لا أنت لا تفهم.. أنا حتى الآن أتخوف من زيارة أي
طبيب.. طبيب نفسي أو طبيب يعمل باختصاص غيره لا يهم..
فأنا أصبحت أكره كل الأطباء..))

رفعت آية كفيها تغطي وجهها بأنامل مرتعشة بشدة وهي تشهق
دون أن تجد القدرة التوقف وهي تقول بصوت منخفض

((لقد كنت أتعرض بصغري للعنف من قبل زوج أمي التي لم
تفكر أبدا بإيقافه.. بكل مرة كان يتعرض لي بالعنف كنت أفقد
الوعي فأثير استغرابهم لأنه وعلى حد قولهما لم تكن ضرباته
قوية! وبحكم الجيرة أقتعني ذلك الليث الذي كان يعرف
بظروفي أن إغماءتي ليس لها أي سبب جسدي بل أسباب
نفسية يستطيع علاجها بحكم عمله))

التفت احمد حوله شاعرا بالخرج من بكائها بهكذا مكان عام
بالرغم من قلة زواره بهذا الوقت..

حيث أن المكان فارغ إلا من بعض الأشخاص الذين يجلسون
على طاولات بعيدة نسبيا عنه..

وبنفس الوقت شعر احمد بقلبه يتمزق على طفلة نالت كل ذلك
بلا ذنب اقترفته بسبب دنيء وخسيس كان يظنه زميل وشريك
له لسنوات طويلة..

ولو هلة ابتعد تفكيره لأمر آخر..

ابنه عدنان.. رباه.. هل سأل نفسه ما إذا كان زوج إيما يعامل
عدنان جيدا؟

نعم يعلم وشاهد بأمر عينه كيف يعامل زوج إيما ابنه كأن ابن
حقيقي له من صلبه..

ولكن.. ماذا لو كان ما خلف الأبواب امر مخالف تماما لما يتم
إظهاره للجميع؟

شعر احمد بالذنب يقتله في هذه اللحظة..

فكل يوم يمر يعرف أنه كانا عاقا لابنه قبل أن يكون هو عاق
له..

يدرك أنه كان أبا ظالما له منذ أن جاء لهذه الدنيا..

لم يكن عليه التعجل باللوم على ابنه بحجة حقه عليه وقد كان مهملًا لكل جوانب حياته بحجة انشغاله بتأمين حياته ومستقبله بكسب الأموال..

فهو لطالما كان مهملًا ذلك الجانب به..

كيف يلوم عدنان وهو يجهل حتى كيف يعيش وما إذا كان يحتاجه بشيء أو مر بتجارب مريئة بعيدا عنه..

عاد احمد لأية التي أمامه وهو يسألها بصوت أجش

((وهكذا وافقت أن تأتي معه للعبادة ليلاً؟))

لم تعد تعلم أية هل يهتز جسدها من فرط البرد فهم في بداية شهر ديسمبر أم من كثرة الألم الذي تستعيده الآن بسبب تلك الحادثة؟

أكملت آية كلامها بنبرة متهدجة وهي تبعد كفيها عن وجهها وتأخذ المنديل الذي يمهده احمد لها

((نعم فعل ليث ذلك.. في البداية شعرت بتحسن مع جلساته التي أخضعني لها.. لكن بعد ذلك قام بالتحرش بي جسدياً.. اعترضت عند أول مرة حاول لمسي بها.. لكنه استمر وواصل التحرش بالكلام.. وبدء التحدث عن أمور عن البالغين وشرحها أمامي.. لم أتحمل سماع ما يخبرني به من أمور مقززة ففزعت اركض إلى الحمام المرفق بالغرفة بعد أن أفرغت ما بجوفي عليه.. وهناك بالحمام وعندما كنت اغسل وجهي تفاجأت به يدخل ويخلع بنطاله كاملاً أمامي.. لم أستطع الصراخ وقتها لأنك دخلت المكان وخشيت أن تفهم الموضوع بشكل خاطئ لو رأيتنا معاً.. مع أنه أخبرني أنك تتعرف كل ما تفعله فهو لا يقوم بشيء خاطئ بل هذا هو عمله كطبيب.. كنت بالحادية عشر من عمري.. لم أستطع إخبار أمي بأي شيء بل أنا كنت استغل

إهمالها التام لي وأذهب ليلا معه لتلك الجلسات بغير علمها..
خفت أن توبخني أو تضربني هي وزوجها))

شعر احمد بالشفقة الشديد عليها.. سألها بعد لحظات بنبرة
حنونة وهو يسكب لها الماء بزجاجة فارغة

((آية.. هل أنت بخير؟))

هزت آية له رأسها إيجابا وهي تكمل بوجهها المحمر

((بتلك الليلة وبعد أن غادرت يا احمد المكان.. أخبرته بوضوح
بأنني لن آتي معه أبدا مرة أخرى هنا.. لكن فجأة فقدت وعيي
ولم استيقظ إلا على ضربات راحة كفه على وجهي وهو
يخبرني أن أنزل من سيارته التي أوقفها أمام الباب الخلفي
لمنزلنا.. لقد كان قد وضع لي شيئا بالعصير الذي شربته))

كل كلمة كانت تتفوه بها بصوتها المتهدج المجروح كانت
تحترق احمد في الصميم بعمق صدمته..

فبالرغم من علم بكل هذه الأحداث سابقا..

لكن سماع ما حدث مرة أخرى بلسان الضحية امر مختلف
تماما..

تتهدد آية بارتعاش.. ربما لم يفقدها عفتها لكن ما فعله به
وتركه لأثاره عليها سهل مهمة القبض عليه..

فهو فعل ما فعله دون أن يتوقع أن تمتلك الشجاعة لقول كل ما
حدث لها أمام الجميع..

ظن بأنها ستجبن وتخاف وتخشى أن تتلق اللوم والخزي والعار
فتكتم ما حدث..

مسحت ب آثار الدموع من على وجهها بالمنديل وهي ترفع
رأسها لأحمد تكمل

((بعدها نزلت من السيارة ودخلت لغرفتي من النافذة.. لكن بعد دقائق جاءتنا احدى الجارات لتقول لأمي أنها شاهدتني أذهب معه بسيارته أكثر من مرة بعد أن اهرب من نافذة الغرفة.. وقتها لم أجد أمامي إلا أن أقول كل شيء بلا خوف.. وبعدها ذهبت بك للشرطة ورفع محضر ضده وقلت كل ما فعله بي بالضبط مع اختلاق أنك كنت شريك له وفعلت كل ما فعله بي أيضا))

شبهت آية وهي تنتظر له بذنب يشع من عينيها المتألمتين لتقول بنبرة متهدجة أكثر وجعاً لاتهامها إياه

((أنا أسفه احمد.. لكن وقتها كنت أعيش أسوأ شعور يمكن أن تشعر فتاة بالعالم.. وكنت مشوشة جداً.. وصلوا يرددوا اسمك علي أكثر من مرة يسألوني إذا ما كنت فعلت لي شيئاً كونك شريكه بالعبادة.. فقلت إنك أيضاً أنك كنت شريكاً معه بما فعله لي.. لم يكن هناك أي دليل ضدك إلا لظامي.. والحقيقة عندما هدأت وتحسنت حالي قليلاً أخبرت أمي انه لا دخل لك لكنها أخبرتني بحدّة ألا أترجع عن كلامي أبداً لأنه قد يضر بموقفي.. ولولا أن محاميك دفع الكثير من الأموال لزوج أمي لما استطعت أن أترجع عما قتلته))

تذكر احمد موعده مع سارا بعد قليل عند ذكر آية المحامي الذي وظفته سارا له.. ففتحنا قليلاً مكانه..

ثم تلملم مكانه قائلاً بتفهم

((لا بأس آية أنا أيضاً أخطأت.. فليث كان شريكى لسنوات.. واكتشفنا انه فعل ما فعله معك مع نساء أخريات.. لذا الكثير يقع على عاتقي وتقصير مني أن يكون شريكى بالعبادة وزميلي وصديقي بمثل هذه الأخلاق بدون أن اعرف))

عادت آية تتأسف منه عن ذنبها تتحدث بارتباك

((احمد أنا أسفة مجددا.. صدقتي بعد تلك الحادثة أنا رفضت الخروج من البيت لفترة طويلة.. وأصبحت أفكر مئة مرة قبل زيارة أي طبيب من أي تخصص عندما أمرض.. بل وأصر على اصطحاب صديقتي إلى داخل غرفة الفحص))

مد احمد يده لجيبه فميصه يخرج بطاقته يضعها أمام آية هادرا
بصدق

((آية هذا رقمي.. إذا غيرت رأيك وأردت أن تخضعي لجلسات علاج نفسي اتصل بي.. سأتكفل بالتكاليف لذا لا تقلق بشأن ذلك..))

ابتسمت آية له ابتسامة جميلة وهي تقف من مكانها قائلة
بإشراق رغم ما مرت به بذاكرتها من عودة للماضي المرير
برففته قبل قليل

((احمد شكرا لك لكن أظن بأنني سأرفض عرضك.. أنا الآن أعيش بشقة صغيرة بالإيجار بعد أن توفت أمي وتركت منزل زوجها.. أعمل وأدرس بنفس الوقت معتمدة على نفسي.. وأيضاً.. أريد أن يكون هذا لقائنا الأخير.. أكرر اعتذاري مرة أخرى لما فعلته لك بالماضي حتى لو كان اعتذاري لا يغير من واقع ما حدث شيئا.. لكن أرجو أن تتفهم أنني كنت صغيرة بالسن وقاصر.. وأرجوك اطلب من تلك الشقراء أن تتوقف عن التواصل معي))

ولمعت عيناها بالشفاعة وهي تقول له وهي تغمز إحدى عينيها

((أساسا لاحظت أنها غير مهتمة أبدا بالتواصل معي وتفعل ذلك فقط من أجلك.. يبدو أنها معجبة بك.. وتجذني أنا عذر لك فقط))

ابتسم احمد لها قائلة بنبرة مرحة

((سارا؟ لا صدقتي إنها فتاة لطيفة.. حادة لكنها لطيفة..))

تتهددت آية وكلها إصرار على أن ترمي كل ماضيها ورائها بما
فيهم الأشخاص.. ثم قالت وهي ترفع إصبعي السبابة والوسطى
لأعلى رأسها مودعة مع قبض بقية أصابعها

((إلى اللقاء احمد.. أتمنى من أعماق قلبي أن يكون هذا لقائنا
الأخير.. وكل التوفيق لك في حياتك))

=====
=====

أنخفض راجي يرتدي حذائه النظيف وهو يغادر منزل أخته
جالا سائلا إياها بتوجس

((هل علاقتك مع مراد جيدة فعلا أم أنكما كنتما تمثلان أمامي
وحسب؟))

نزلت جالا الدرج مرافقة لراجي بينما مراد في داخل الشقة
فعلاقته مع أخيها راجي ليست ممتازة منذ أن ألزم مراد عليها
ألا تخطو منزله بعد أن عاد كارم من روسيا..

لم يخف على جالا عينا أخيها الخاملتان وتعابيره الباردة الجامدة
التي لا تكاد تضحج بالروح منذ طلاقه لسارا..

تتهددت جالا ثم أجابته بهدوء وبنبرة محايدة

((لا لقد تحسنت علاقتنا.. قليلا.. تقبل مراد بأني لن أخط من
قدر نفسي أكثر وأسكت على إهانة والدته أكثر.. لكن اشعر انه
يكون مغناظا مني من داخله بسبب هذا الأمر وسينفجر بي أي
لحظة.. لكن مجملا لقد أمضينا أنا وهو سنة هادئة))

قال لها راجي بصوته الهادئ باستياء

((نعم مثلما سأنفجر به أنا يوما ما.. تصرفاته لا تعجبني))

تتهددت جالا لتقول له بإنهاك

((ولا أنا تصرفاتك تعجبني.. ألم تقل إن قرار انفصالك عن سارا كان وديا ومشتركا من قبلكما؟ لماذا تبدو كئيبا منذ طلاقكما؟ ولماذا بدأت التدخين؟ التدخين يتجاوز حدود العادة السيئة إلى كونه عادة خطيرة..))

قاطعها راجي بضجر وهو يقلب عينيه باستفزاز أمامها

((جالا.. جالا.. جالا حبيبتي اعرف كيف أنزل الدرج وحدي للبوابة الخارجية بدون مساعدة لذا لا داعي لمرافقتك لي.. إلى اللقاء))

لكزته جالا بكنفها قائلة وهي تضيق عينيهما بحنق

((أيها المغرور.. صديقتي قالت لي برسالة أنها ستصل هنا خلال دقائق لزيارتي.. نزلت لاستقبالها حتى لا تراها والدة مراد وتتفرد بها مثل المرة الماضية وتتحدث معها بما يزعجها من الكلام.. لا من أجل مرافقتك حتى تخرج من البوابة))

وعندما اقتربا كلاهما من باب البناية للخروج فتحه راجي وهو يدير رأسه لجالا قائلا باقتناع مزيف

((أوه فعلا؟))

في نفس الوقت.. فتحت رانسي باب البناية لتتفاجأ باصطدامها في جسد رجولي لترتد متعثرة في اللا شيء..

فرغم طولها الجذاب إلا أن نحالة جسدها جعل من اصطدامها بصلاية جسده عنيفا..

وبسرعة امتدت يد راجي القوية تطبق على عضدها بقوة لكيلا تسقط وهو يسمع شهقتها..

تنفست رانسي بقوة وهي ترفع أهدابها لتطالعه بعينيهما الداكنة كالفهوة لتصطم بعينيه البنية الشبيهة بلون أغصان شجرة منسية..

قال راجي لها باعتذار رسمي

((عفوا منك يا.. مدام.. كنت شاردا بعض الشيء))

تتحنحت رانسي باضطراب وهي تهز رأسها نافية وقوع أي خطأ منه..

ثم همست بصوت متحشرج وهي تخفض بصرها في حياء

((لا بأس.. أنه خطئي أنا..))

هز راجي رأسه بامتنان لها بدون أن يمعن النظر فيها وهو يغادر المكان بينما سارعت تطالعه بتركيز غير مستوعبة لشيء وهي تراه يغادر المكان..

جفلت رانسي على صوت جالا تسألها إذا ما كانت بخير فالتفتت تسألها بخفوت وفضول

((هل هو أخيك؟))

هزت جالا رأسها بإيجاب.. وما أن تقدمتا لتصعدا إلى شقة جالا سويا حتى فُتح باب روعة لتخرج منه وتسارع بسؤال جالا بامتعاض

((هل كان راجي هنا؟ لماذا لم يدخل علينا عند مجيئه لزيارتك؟ هل هذه صديقتك المطلقة؟))

سألت آخر سؤال وهي تنتظر لرانسي التي ابتسمت لها بمجاملة وإحراج ثم هدرت بها بعفوية وترحيب

((مرحبا يا خالة))

قالت جالا مجيبة بتلقائية رغم الضيق الواضح على وجهها من رؤية روعة لصديقتها رانسي

((كان راجي متعجل لذا لم يجد وقتا لإلقاء التحية عليكم..
اعذريه يا عمة))

ثم سارعت جالا تعطيها ظهرها وهي تغادر لفوق بينما تسمك
يد رانسى لتلحقها لتقول روعة باقتضاب

((أخبري مراد أن ينزل عندي.. أريده بموضوع ما))

بينما كانت جالا ورانسى تصعدان فوق الدرج مالت جالا لها
هامسة

((لماذا قلتي لها أنك مطلقة؟ ستحتقرك الآن وتظن بك أسوء
الظنون.. رغم أن ابنة أختها يارا يبدو على ما قريب أنها
ستنفصل عن زوجها فهي دائمة الشكوى منه))

هزت رانسى كتفيها بقلة حيل وهي تبتسم باعتذار لجالا..

فهي بأخر مرة جاءت لزيارة جالا خرجت حماتها من بيتها
تدعوها للدخول عندها والجلوس لبعض الوقت هي وجالا
لتتعرف على صديقة جالا الوحيدة..

وهناك بالداخل أمطرتها بوابل من الأسئلة عن حالتها
الاجتماعية وإذا ما كان لديها أولادا..

ولم تستطع رانسى أن تخفي كل شيء شخصي عنها..

قالت لها جالا متنهدة وهي تصل لشقتها

((أنا اعتذر منك لما تلاقيه بسبب حماتي.. ولكن لا أستطيع ألا
أتوسل لك بكل مرة إلا تأتي عندي.. فالحديث خلال الهاتف
ليس مثل استمتاعنا بقضاء وقتنا عند لقائنا))

عادت رانسى تبتسم لها ابتسامة محبة وهي تقول لها

((وأنا أيضا أحب رؤيتك يا جالا.. ووالدة زوجك تبدو امرأة
لطيفة صدقيني))

لم تعمل رانسي بجانبها بفترة عملها وحسب بل كانت أيضا
بنفس دفعتها بالجامعة..

لم تكن تعرفها جيدا وقتها ولولا تواجدهما لفترة بنفس العمل لم
تكن ستطور صداقتهما..

ورغم أن رانسي خجولة وهشة.. إلا أنها كانت اجتماعية جدا
على حسب ما تذكر أيام جامعتها..

لها معارف كثر جدا فيها وكأنها تعرف كل الجامعة بطلابها
وطالباتها.. مُحاضريها ومحاضراتها..

=====
=====

داخل إحدى المطاعم الفخمة التي حجز احمد فيها طاولة له
ولسارا..

سأل احمد بفضول وعيناه معلقتان بسارا وهي تضع ملعقة من
السلطة التي أمامها بشفتيها الوردية الممتلئتان

((هل يمكن أن أسألك سوألا شخصيا يا سارا؟))

همهمت له سارا وهي تهز رأسها موافقة ليسألها احمد وهو
يضيق عينيه

((لماذا لم تتجبي أنتِ وراجي طوال فترة زواجكما؟ هل اتفقتما
على تأجيل الحمل بناء على اتفاق مسبق أو..))

قاطعته سارا وكتفاها يتهدلان بأنوثة لتقول بصدق

((أنا نفسي لا أريد الإنجاب.. فكنت استخدم حبوب الحمل طوال
فترة زواجنا سواء الأول أو الثاني))

عقد احمد حاجبيه يسألها

((كنتي تستخدمينها بناء على إرشادات طبيبتك؟))

كان احمد متمعناً بوجهها الذي يلين متلوناً بدهاء الأنوثة..

فرسمت سارا ابتسامة جميلة بثغرها وهي ترفع عينيها لعينيه
قائلة بطيش

((لا.. فقط اشربها وحسب.. مرت فترة علي أدمنت على هذه
الحبوب تقريبا))

ذهب تفكير احمد عن مساره وهو يشرد بجمال سارا المتكلف
والبعيد عن كل البعد عن البراءة العفوية..

أو حتى كثافة شعرها المتموج المصبوغ باللون الذهبي
الجذاب..

أيقظته سارا من شروده عندما كان قد وصل بتحقيقه لعمق
عينيهما لتعض شفقتها بأنوثة وهي تسأله بتردد

((ما بك؟ هل مثلاً تناولتي المستمر لهذه الحبوب يؤثر على قدرة
الإنجاب عندي أو يتسبب لي أي عقم؟ الموضوع بكل صراحة
لا يهمني كثيراً.. ولكن ربما سيجعلك تتراجع عن طلبك الذي
تحاول إقناعي به منذ زمن))

كان احمد بملامح عجيبة رغم وجوهه الذي لا يعرف سببه..

تتنح من مكانها قائلاً بإجراج

((لا سارا الأمر ليس كذلك.. حبوب منع الحمل لا تؤثر على
المرأة فبعد إيقاف تناول الحبوب يعود وضعها إلى طبيعته
بسرعة.. وتأثير حدوث الحمل بعد التوقف عن تناول حبوب منع
الحمل لا يكون من استخدام الحبوب بل يكون من حالة مرضية
غير مشخصة موجودة عند السيدة قبل استخدام الحبوب.. لذلك
كان يجب عليك أن تجري فحصاً جيداً قبل البدء بتناول الحبوب

للتأكد من أن الحبوب تناسبك ومن عدم وجود اضطراب
هرموني خفي.. ولكن..))

بتر حديثه وهو يشرد بعيدا قبل أن يعود لينظر بعيني سارا وهو
يسألها

((سارا أنتِ مدخنة صحيح؟))

قالت له ببساطة وعفوية

((أشرب السجائر أحيانا لكن لا أنا لست مدخنة.. يحدث أن أظل
لأشهر لا ألمس فيها عقب سجائر))

غمغم احمد بتفكير

((حسنا.. تمام))

سألته سارا بفضول حقيقي وهي ترفع احدى حاجبيها وتميل
بوجهها له

((إن.. مثلا.. مثلا لو قررت أن أنجب فلن تكون هناك أي
مشاكل؟))

أجابها احمد بعملية

((نعم.. إذا كنت لا تعانين من أية مشاكل فلن تسبب حبوب منع
الحمل أي مشكلة لك مستقبلا.. وما يتردد حول كون أي وسيلة
من وسائل منع الحمل قد تسبب العقم للزوجين هي مجرد
خرافات لا أساس لها من الصحة.. وكل وسائل منع الحمل
تكون آمنة الاستخدام بوجه عام إذا تم اختيارها بعناية وفقاً
للحالة الصحية للزوجة وتحت إشراف طبيب أمراض النساء
والتوليد لأنه لكل وسيلة خواصاً محددة قد تجعلها ملائمة لسيدة
دون الأخرى))

عادت تسأله سارا بمغزى

((كيف سأعرف إن كنت أعاني من أي مشكلة قد تمنعني من الإنجاب؟))

غمغم احمد وهو ينظر للطبق أمامه ليأكل منه

((لا تقلقي.. لكن سنتدبر الأمر جيدا..))

تجمد احمد مكانه بذهول ثم رفع وجهه لها قائلا لها بتلاعب

((أنتِ الآن تسأليني عن وضعك في الإنجاب وكأنك ومن داخل أماكن الأدرالك بعقلك موافقة على زواجنا وإنجاب طفل لنا رغم تمنعك ظاهريا))

امتقع وجه سارا بانزعاج..

فالحقيقة أنها وبمجرد أن أنهت عدتها حتى بدأت اللقاءات بينها وبين احمد بازدياد وبإمكان أخرى بعيدا عن مكان عمله..

وإغلبهم كانوا بمبادرة منه لا العكس كما كانت تفعل بالبداية..

سألته سارا متتهدة وهي تكثف ذراعيها

((احمد.. بحالة وافقت على زواجنا ثم الإنجاب.. أكرر وأعيد.. "بحالة وافقت على الإنجاب".. هل لن أقدر أن أنجب منك إلا أطفال أنابيب؟))

لارا كانت قد بذلت جهدا لتفضح كل أسرار احمد بوسطها فضلا عن الإشاعات التي أطلقتها عليه..

وسبق أن كشفت السر أمام سارا بأن العقم من احمد لا زوجته..

وسارا كانت تنقل لأحمد كل الإشاعات التي تقولها لارا أمامهم أولا بأول..

هتف احمد مستهجنا

(("أطفال أنابيب"؟ حقًا؟ حقًا سارا؟ هل أنتِ جادة؟))

اتسعت عينا سارا باستغراب لتقول متسائلة بخفوت

((ما بك؟))

لوى احمد فاهه وهو يقول بنبرة غريبة يسكنها ألم لن تفهمه
امرأة مثلها مظهرًا انزعاجه التام منها

((لا شيء.. لكن أنتِ ما بك لتقولي "أطفال أنابيب" بكل هذا
الاستهجان! وكأنَّما أطفال الأنابيب دُمى أو مثلجات.. لا أطفال
حقيقيون من لحم ودم.. أيُّ عقلية هذه التي تمتلكينها؟))

غمغمت له بخفوت وإحراج

((هدى من رسلك لم أقل شيئًا أقصد فيه إهانتك))

نفخ احمد بقوة.. ثم هز رأسه نفيًا بذاك البرود وهو يتمعن
بوجهها

((أنا طلبت منك الزواج وإنجاب طفل لنا بطريقة الإخصاب
المعملي خارج الرحم.. ولم أطلب منك أن تربي طفلاً ذو
احتياجات خاصة أو أن تكفلي يتيماً.. بدأت اصدق أنك فعلا كما
تقولين.. أنت لا تحبين الأطفال ولا تمتلكين ذرة أمومة.. لا
اصدق أنك لا تتقبلين حتى مجرد فكرة أن يكون طفلك الذي هو
من لحمك ودمك فقط لأنه سيخصَّب خارج الرحم؟))

حوقل احمد بإحباط وهو يزيح الكرسي ليعتدل واقفا من مكانه..

قالت سارا وهي ترفع وجهها الفاتن القلق لوجه احمد الحانق
لتهمس له بامتعاض

((احمد توقف.. ما بك؟ هل تريد أن يكون هذا آخر لقائنا لنا؟
لماذا انزعجت مني من مجرد سؤال.. لم أقصد إهانتك))

هتف احمد بها من بين أسنانه

((سارا.. للمرة الألف سأقولها لك.. إذا كنت تبحثين عن شخصا للعبت معه وتقضية بعض الوقت المسلي فأنت لجأت للشخص الخطأ.. أنا لست كذلك))

بدا صوت ابتلاع سارا لريقها واضحا وهي تقول له بينما تكثف ساعديها

((ماذا تقصد؟))

قال لها احمد بصرامة وحزم

((أخبريني أنتِ ماذا تريدين مني.. منذ أن قلت لي أنك لا تريدين الزواج أخبرتك بوضوح أنني لا اقبل على نفسي أن استمر بعلاقة لا تتوج بالزواج))

سألته باستياء وهي تمط شفتيها

((لا افهم إصرارك على الزواج مع أنني أحيانا اشعر أنك تنفر مني))

صحح لها احمد هادرا

((أنا لا انفر منك.. ولكن كيف تريدين مني أن اقبل على نفسي الإسهام في الحديث مع امرأة متزوجة أو امرأة لا تزال بعديتها؟ أما بعد أن تحررت من قيد زواجك السابق لا أجد أي مانع من التواصل معك من أجل الزواج.. أنا أريدك أنتِ.. زوجة لي))

أخذت سارا نفسا عميقا وهي ترى احمد يعاود الجلوس مكانه..

تدرك انه ليس غارقا بعشقها وانه يريد الزواج منها للإنجاب..

ولكن وبنفس الوقت لو كان هدفه فقط الإنجاب فلماذا استجاب لاهتمامها ويريدها هي زوجة له وهو الذي بإمكانه الزواج من أي امرأة غيرها بكل سهولة؟

كانت تائهة ومشتتة بحق..

هزت سارا كتفيها قائلة بتبرم

((لا أدري يا احمد.. لقد أعطيت لنفي كلمة ألا أقع بفخ الزواج
مرة ثالثة.. اقصد مرة ثانية.. بل ثالثة.. اقصد.. تعرف أنني
تزوجت مرتين من راجي))

تلعثت سارا في نهاية حديثها قصد ألا تُطلع احمد بقصة
زواجها من تامر..

حدق احمد بهدوء ثم قال لها وهو يعاود الجلوس

((لي خلفية جيدة عن علاقتك الطويلة مع راجي ولا أريد أن
أتعلم أكثر من هذا.. أنا احترم ماضيك المنتهي واعرف انه لا
دخل لي به.. ما يهمني هو حاضرك ومستقبلك.. معي أنا..
وصدقيني لو كانت علاقتك براجي لها أي أمل بالاستمرار لما
كنتما انفصلتما عن بعضكما مرتين.. ولكن زواجكما دام مدة
أطول في أي مرة من المرتين))

رغما عنه شيء يجذبه بسارا.. هي قوية وتعجبه حتى وإن لم
يكن حقا يكن لها أي مشاعر حب..

لكن على الأقل لو تزوج أمراه مثلها سيضمن أنه سيستطيع أن
يكمل حياته معها بدون أن يتعرض لضغط عاطفي من قبل
لهيام ليطلقها..

عليه أن يكون منجذبا للأخرى التي سيتزوجها وعليها أن تكون
قوية لو أراد فعلا الاستمرار في هذا الزواج..

تمتتمت سارا له بضياح

((احمد لا أدري.. سأفكر بزواجنا.. لكن الأطفال.. لا أدري..
ثم ماذا سيكون موقف هيام عندما تعرف زواجك بطليقة أخيها))

أجابها احمد ببساطة وتهكم

((سيكون مثل موقفها عندما قبلت أن تتزوج زوج ابنة عمها..
لذلك لا تقلقي أبدا))

ابتسمت سارا لأحمد ببطء شديد..

عجبا لهذا الأحمد! يعجبها أكثر ويجذبها له كلما تعرفت عليه
أكثر..

فهو أناني ومستعد أن يقدم مصلحته على مصلحة الآخرين
فيعمل ويتخذ أي أسلوب حتى لو تسبب الضرر لمن يحبه..

فقط للوصول إلى ما يريد..

وهذا يحمسها لتجعله يرغب بها كإمراه كاملة الأنوثة تكتسح
خيالاته وأحلامه..

قال احمد لها بهدوء

((سارا.. فكري جيدا كما تريدين.. ولكن ليكن بعلمك أنا لن
أستطيع أن أضل على علاقة بك كحبيبين بدون أن نتوج علاقتنا
بالزواج))

=====
=====

مكتب راجي.. ساعات الصباح الأولى..

سحب راجي توأ آخر سيجارة كانت بحوزته ليضعها بفمه يمج
بها بعد أن أشعلها..

جالا محقة في كلامها السابق.. فقد صار يدخن يوميا الكثير من
أعقاب السجائر وبصورة مُقلقة جداً..

وبدون أن يكمل عقب السيجارة في أنامله سحقها في المنفضة
الموضوعة على مكتبه..

ثم انتصب واقفا من مكانه ليستدير للخلف ويفتح النافذة لينظر
للسماء الصافية بعينين غائمتين يفكر..

لقد تغير.. أصبح هادئا أكثر من قبل..

يتجنب المناقشات وكلمات اللوم والعتاب..

يشعر بالملل من المحادثات الطويلة ولا يطيق التحدث مع أي
أحد من أصدقاء أو زملاء أو أفراد العائلة بحديث فعلي..

صار أكثر عقلانية ويفكر أكثر قبل اتخاذ قرار واحد..

وشيء فشيء سيعرف كيف يتعامل مع التخلّي وكأنّه فن..

يتقنه ويستسهله إلى الدرجة التي يظن فيها من يراه أنه بلا قلب
وبلا رحمة..

مد راجي يده لجيب يرفع هاتفه ليفتح إحدى الرسائل التي
وصلته قبل أشهر طويلة من سارا..

أول وآخر رسالة ترسلها له منذ طلاقهما..

"راجي.. سأرحل خارج البلاد قريبا.. وربما أتزوج مجددا
بالرغم من رفضي الفكرة سابقا بشكل تام ومنذ انفصالي عنك..
لكن.. من يدري ماذا سيحدث؟ فبالرغم من التعاسة التي شعرتها
بزواجنا.. إلا أنني لن أنكر أنني حظيت بوقت سعيد معك
وبسببك.. سواء عند أول لقاء لنا في شركة أبي.. أو الأوقات
المميزة التي قضيناها عندما كنت تقضي ليالي العطل بمنزلي
بزواجنا الأول.. أو حتى زواجنا الثاني التي قضيتُ معظمه
بقرينك البائسة.. لكن.. أتمنى من كل أعماق قلبي أن تتخطاني
مهما بدا الأمر صعبا عليه وأن تجد امرأة أخرى لك تسعدك
بحياتك.. كن بخير دائما والى اللقاء"

تشدق راجي بسخرية وهو لا يزال يحرق بنص الرسالة..

التافهة! كانت تظن أنه من الصعب نسيانها أو أنه سينازع بعد
افتراقه عنها..

الحقيقة انه بدأ يتخطاها ويزيحها عن حياته بشكل أسهل مما
توقع.. وكأنه لم يسبق وأن عرفها منذ سنوات طويلة..

كان يود فعلا أن يقول لها أن ترحم نفسه ونفسها من هذا الحب
السخيف القاتل..

صحيح أنه ظن في البداية أن الأمر سيكون صعبا لأنه طلاقهما
لم يكن احدى خياراته بهذه الحياة..

لكن اكتشف انه كان عليه أن يكون جاهزا لكل الاحتمالات..
الفقد.. تغيير الرأي.. تغير الحب..

فكل شيء جائز وممكن..

عاد راجي يجلي على مقعده المتحرك ويستند على ظهر المقعد
وهو يحرك راسه للخلف متنهدا..

الغريب أنه لم يشعر بأن بيته صار قبرا كبيرا كئيبا كما توقع
بعد طلاقهما وحتى الآن..

لأنه وعلى ما يبدو لم يعيش معها فيه أي ذكريات تستحق أن
تبقى ذكرى..

ثم كيف توقع أن يكره البيت الذي في رحابه كانت طفولته..
وكان صباحه.. حتى شبب واشتد عوده؟

فبعد أن عاد أعزبا يعيش فيه وحيدا لن يميل لينزلق شيئا فشيئا
نحو نمط حياة كئيب أخرى..

بل لوهلة ظن بأنه يريد أن يلعن كل النساء فلا فائدة منهن..

فقد قرر وبشكل نهائي بأنه سيتترك كليا مسألة الزواج لأنه لن يتزوج مرة أخرى..

فكرة الزواج كلها تخلى عنها.. فالسعادة ممكنة من دون امرأة في حياته.. ببساطة..

فسعادته لا تعتمد على وجود شخص آخر وهو يمكنه أن يكون سعيداً بمفرده..

والعزوبية هي فترة رائعة جداً لاكتشاف ما يجعلك سعيداً فعلاً وللتعرف بشكل أكبر عن نفسك..

نعم يمكنه فعلها كرجل أعزب والاستمتاع بحياته لأقصى الدرجات واختبار تجاربها الجميلة والتعبئة على حد سواء والخروج من القالب الذي حصر نفسه به سابقاً..

مساءً..

صعد راجي إلى سطح منزله الذي صار متنفساً ليليا له ليودع الغروب في أنافته كما اعتاد بطقوسه الجديد التي بدأ يمارسها..

ولربما لو كان الجو أدفاً قليلاً لبقى فوق السطح ينتظر الشروق العفي في الصباح وهو ينشر النور على فضاءات الحقول أمام منزله..

مر الوقت طويلاً قبل أن يرفع راجي رأسه وينظر للقمر الذي بدأ يظهر ويزداد لماعاً ما إن تزداد عممة السماء..

وصور جميلة دافئة من الماضي الذي يستعصي عليه نسيانه تقفز أمامه لتوخز الحنين وتستدر الذكريات فيه على سطح هذا البيت..

فكم جمعته مع أختيه صباحات مشمسة وجلسات لهو ولعب..

ومثلها جلسات جدّ واستذكار ومدارسة في حراسة والدته
ومراقبتها..

ولكم اعتاد في الماضي أن يكون السطح ملاذه في ليالي
الصيف الملتهية لينام فوقه برفقة القمر المنير بدلا من النوم
تحت هواء جهاز التكييف البارد..

وبصحبته النجم القطبي ومجموعة الدب الأكبر.. وغيرها
النجوم الساهرة المتألئة والممتدة فوق رأسه وكأنها بساط
سحري..

=====
=====

قالت جالا بتذمر لابنته التي كانت تجوب غرفتها بتوتر

((رورو يكفي ألعاب إلباس العرائس وأعطيني حاسوبي.. هيا
أنا بحاجة إليه))

رغم لهجة جالا الصارمة إلا أن ابنتها بعناد قالت لها رافضة
وهي تتمسك في حقها باللعب

((ولكن أمي هذا وقت لعبي به.. عندما ينتهي وقتي سأعطيك
إياه))

نظرت جالا لصغيرتها متذمرة قبل أن تغادر الغرفة نحو مكتب
مراد لتأخذ حاسوبه المحمول وتستعيده قليلا..

أغلقت جالا باب غرفة النوم خلفها ثم جلست على سريرها تفتح
الحاسوب..

خرجت من بريد مراد الإلكتروني ودخلت لبريدها هي..

مكالمات والدتها المتكررة والحانقة منها مؤخرا لعدم زيارة ابن خالته عمرو حتى الآن تجعلها تشعر بمراجل الغضب تنتقد في أوصالها..

والدتها تحثها بشكل فظيع على زيارة عمرو الذي تم بتره ساقه بعد سنوات من فشل علاجها وتذكرها بأن عيادة المريض لصلة قرابتها واجبة عليها..

حاولت جالا التملص من أمها والتهرب بحجج واهية كانشغالها بالاهتمام ببناتها أو تأجيل مراد الموضوع لمدة حتى يذهب برفقتها بلا فائدة..

لكنها وبالتأكيد لن تذهب لرؤيته أو زيارته ولا تشعر بأي ذرة شفقة عليه..

فهل ما فعله بها من سلب حياتها ظلماً وقهراً واعتدائه عندما كانت طفلة قليل؟

ما حصل لساقه من بتر هو أقل عقاب يستحقه ومطهر له ولفعلته الشنيعة لما فعله بها من انتكاس للفطرة واختلال العقل سواء كان معها أو ربما مع طفلات غيرها..

وخاصة أن ألم ما تعرضت له منه لم تزيله الأيام بسهولة ولم يمحو الزمن أثاره تماما..

بل وبسببه تم فسخ خطبتها من كارم ظلماً.. وأيضاً كادت حياتها الزوجية مع مراد أن تفشل..

بدأت أنامل جالا تضغط على أزرار لوحة مفاتيح الحاسوب وهي تبدأ الكتابة لأخصائية نفسية ما حدث معها مؤخراً..

وكيف أن مكالمات والدتها الحاتة لها على عيادة من دمر حياتها سابقا عادت تجلب الكوابيس لها وتداهما..

استرسلت جالا بالكتابة وهي تريد أن تكتب وتخرج كل ما فيها
لنتوازن أكثر..

لتفرغ همومها من خوف منكس في داخلها من عودة ذلك
الماضي البغيض..

كانت جالا تكتب وتكتب لعل ما تخاف عودته لها ينتهي وتطرده
بعيدا عن نفسها قبل أن يعاود التغلغل فيها..

فلا مزيد من كتابة مخاوفها وكوابيسها بقلم حبره دموعها..

.

.

بعد مرور ساعات.. عصرا..

دخل مراد غرفة النوم ليجد جالا غائصة في نومها فبدأ بالتحرك
من ملابسه بهدوء دون أن يتعمق بنظراته لها..

توقف مراد مكانه عندما سمع صوت أنينها يرتفع فتوقف
مكانه..

وما لبث أن استدار ودنا منها ليقف فوق رأسها..

كان وجهها المتصفد بالعرق تسيطر على ملامحه تعبير الألم
وقد غرق شعرها الحريري البني بين ثناياه..

ارتسمت الصدمة ملاح مراد لحالها الغريب.. لكن للحظة..

شعر مراد وكأن مشهده نومها هذه وهي تعاني كوابيسا مفزعة
ليس غريبا عليه..

وكان يعود به ليعيش نفس أيام زواجهما الأولى مرة أخرى..

ازدرد ريقه خوفا من أن يعود للغرق في دوائر الشكوك
والأمور لمجهولة والتصرفات الغير مبررة..

انتبه مراد لأناملها تشد على الغطاء الذي تقبض عليه أكثر..

وعيناها المنغلقتان تبدآن بتحرير دموع أنينها الذي تحول
ليكاء..

سبق وأخبرته ببداية زواجهما أنها لا تنام بالنهار لأنه يسبب لها
الكوابيس..

ولكنه بعد ذلك بدا يلاحظ أنها بدأت النوم بالنهار بدون أن
تواجه أي شيء مما قالت عنه..

على عكس الآن..

دهش وقد شعر بنياط قلبه يتمزق وهو يرى كيف بدأ جسدها
وكل ما فيه يرتعد.. وكأن روحها تنازع برمقها الأخير..

فمد يده ليوقظها وينقذها من هذا الكابوس الذي تعيشه بنومه..

لكن توقفت يده قبل أن تلمس كتفها وهو يسمع همسات باسم
ذلك العائد من روسيا تخرج من شفيتها..

شحب وجهه شحوبا يُحاكي الموتى ليبتعد للخلف عدة خطوات..

نطقها اسم خطيبها السابق.. وحببها لسنوات الطفولة والمراهقة
والشباب وقع عليه كزلزال أصابه..

هدم كل ثبات فيه حرفيا وتاهت نظراته بها..

كل حرف نطقته من اسمه الذي كررته بأنينها كان كسكين تغور
داخل قلبه لتمرزه بألم رهيب..

وسرعان ما تشوهت ملامح وجهه بالغضب ليجز على أسنانه
وهو يشعر أنه فقد السيطرة على إدراكه..

كاد أن يفقد السيطرة على نفسه فأخذ يتطلع بتيه ونظرات مشتتة
في أنحاء الغرفة وكأنه يبحث عن شيء يفرغ فيه غضبه
الجنوني..

وعندما لم يجد حوله شيء استدار يندفع نحو الصالة يضرب
بعنف كل ما يطال نظره أو يديه من تحف ثمينة وكريستالات
مختلفة الأحجام موضوعة فوق منضدة جانبية أو رفوف متفرقة
هنا وهناك لتسقط أرضا متهشمة لقطع متناثرة..

بدون قدرة على أن يقاوم غضبه الذي يعتلم في نفسه وكان
وحش تلبسه..

فحتى بعد كل سنوات زواجهما هو لم يقدر على انتزاع قلبها
كلها له وهو الذي يحبها بجنون..

يتساءل أمام نفسه بغيرة وحشية كيف عاد لأحلامها بعد أن تأكد
من أن جالا تبادلته الحب؟

أم أنه وبمجرد أن مرّ الأثنان بمرحلة صعبة بحياتهما حتى
عادت لأحلامها مع حبها القديم لتجلب له ظلّه أمامه وكأنها تريد
أن تتسرب منه..

ما الذي منحه كارم لها عندما كان معها حتى لا يستطيع هو أن
يحل مكانه بقلبيها تماما..

انتفضت جالا من نومها متعرقه وثائرة على أصوات مراد
العالية بعد أن نجحت بإيقاظها من كوابيسها وفؤادها ينقبض
بصدرها بتوجس..

لحظات واستوعبت ما يقوم به مراد بالصالة لتقوم من مكانها
نحوه تسأله برعب ممزوج بالذهول وعدم الاستيعاب من ثورته
المفرقة

((مراد.. ما بك؟))

تملك الرعب من ملامح جالا وأهدابها ترفرف بسرعة بإنذار
خطر محتم وهي تراه يتوقف أخيرا لينظر لها بعينين ناريتين
صارخا بصوت وحشي

((اخرسي))

انتفضت جالا من مكانها لتقفز خطوات متراجعة للخلف وهي
تحقق به بتساؤل جنوني لا تستطيع فهم شيء مما يحدث الآن..

كان مراد ينظر لها بقساوة وعيناها ذات اللون البندقي ترشقانها
بغل ظاهر..

فزعت كل من روعة الصغيرة ولين على صوت صراخ
والدهما وتحطيمه المنزل مرتعدتان لتقف كلتاها على عتبة
باب غرفة نومهما يطالعن هيئته المخيفة..

بدا إنسانا وحشيا لم يشبه والدهما الحنون الذي لطالما عرفاه
وهو يصرخ على أمهما بشكل غير مسبوق..

التفت مراد لجانبه ينتبه لبنتيه وهو يتنفس بعنف وكأن قلبه
مضخة قوية تأبى التوقف..

ساد الصمت المكان للحظات لا يُسمع إلا صوت أنفاس مراد
اللاهثة..

قبل أن يخرج من الشقة كلها صافقا الباب خلفه بعنف بعد أن
أنهى عرضه الجنوني المبهم الأسباب بالنسبة لهن..

بعد دقائق.. منزل والدي مراد..

نزلت جالا تنزل تلحقه بعد أن نظرت من النافذة ووجدت
سيارته مركونة مكانها لتفهم أنه لم يغادر البناية..

دخلت جالا لشقة والد مراد الذي كان بابه مفتوحا لترى مراد
جالسا على كرسي حول منضدة الطعام وهو يدفن رأسه بين
كفيه..

بينما والدته تمرر راحة يدها على ظهره..

لقد استطاعت منعه بصعوبة من المغادرة وقيادة سيارته بغضبه
الجنوني هذا وتهدنته..

لكنها سرعان ما أفسدت الأمر وهي تردف بحق

((ألن تخبرني ماذا فعلت ابنة سميحة لتغضبك هكذا؟ احترام
زوجتك وإكرامها وعدم ظلمها مختلف عن الضعف أمامها
واحتمال الظلم والعدوان منها يا مراد.. أن كرامة الرجل فوق
أي اعتبار ولولا هذه الكرامة لما أصبح الرجل رجلا.. فالرجل
بلا كرامه ليس رجلا وليس إنسان بل هو شيء بلا أهمية ولا
قيمة..))

عند هذه اللحظة تدخلت جالا وهي تدخل صارخة تقاطعهم وهي
تجلب انتباههم لها

((إن أنت من تُحمين مراد وبخبت عليّ وبلا سبب.. تضلين
تتحدين أمامه عن كرامته وكأنني فعلت شيء يمسه))

تقدمت جالا وقد احتدت عيناها لتلمعا ببريق غضب موجه
لروعة..

فأن ترى زوجها يصرخ بعنف جنوني غير مفهوم وبلا أي
سبب بمجرد دخوله البيت لا يعني إلا أن والدته شحنته بكلام
كاذب ضدها..

شبهت روعة بعينين متسعيتين هاتفة لابنها

((انظر إلى عديمة التربيّة كيف تقصد أن تدعوني بالخبيثة؟))

خطأ جالا بما نعتت به روعة لم يوقفها أو يجعلها تتراجع بل
قالت متابعة بهدوء ونبرة منخفضة محاولة ألا تظهر عداء
لمراد وتزيد الأمر تأزما وهي تراه يبعد كفيه عن راسه وينظر
لها بقسوة ضارية

((أنا لست مخطئة.. أنتِ تحاولين تدمير حياتي.. ابتعدي عنا
وكف عن التدخل في حياتنا))

لكن وعلى عكس ما توقعت..

بلحظة كان مراد ينتفض من مكانه ينقض عليها وهو يمسك
بذراعها بقسوة وعنف شديداً يهزها..

صرخ مراد بها بعينين هائجتين وبجنون غير أبه لأنين جالا من
ألم قبضته

((كيف تتحدثين عن أمي هكذا؟ وبوجودي أيضا؟))

تجرات جالا لتهتف بغضب متفاقم وهي تتظاهر بعدم خوفها
منه بينما تنظر له بتحد جنوني أمام عينيه اللتان بدأتا تفيضان
توحشا من فيض قسوته الآن

((لأني محقة اتحدث هكذا))

كتفت روعة ذراعها متشدقه

((من الواضح أن والدتك لم تعرف كيف تربي أبناءها ولا وقت
لها إلا للزواج عدة مرات))

صرخت جالا تقاطعها

((اخرسي لا اسمح لك أن تتكلمي عن أمي أكثر))

وكان هذا ما جعله يفقد آخر ذرة اتزان به لترتفع كفه لتهوي
بكل قوتها على خد جالا في صفة ترد صداهها بالشفقة..

قوة الصفة أدارت وجه جالا وقد اتسعت عيناها وهي تفغر
شفتها الشاحبتان كوجهها..

رفعت جالا يدها المرتجفة ببطء لخذها المحمر وهي تدير
وجهها لمراد ثم تطلع له بلا تصديق..

كانت كلها من الداخل ومن الخارج يرتجف..

ساد الصمت المكان وقد تجمد الوقت للحظات.. أو دقائق..

حتى روعة كانت تغطي فاهها براحة يدها بصدمة لا تصدق ما
أقدم عليه ابنها الذي لم يسبق وأن حاول حتى ضرب أحد في
حياته..

تجمد وجه مراد وهو على حاله وكأنه هو نفسه لا يستوعب ما
الذي أقدم عليه..

شعر بقلبه بين أضلعه يرتعش بل ينن ألما لما فعله..

كان يهم باحتضانها وطلب مغفرتها إلا أنها انتفضت تبتعد عنه
وهي ترتجف بشدة وقد اغرورقت الدموع عينيها هامسة

((سأذهب عند أخي))

شحب وجه مراد عند ذكرها الذهاب لأخيها.. لا ليس مجددا..

لا يريد أن يعود أطرافا آخرين لتدخل في حياتهما وتعقيد
الأمور لتزداد صعوبة..

فقال لها بصوت متهدج قوي محذرا إياها

((لو خطت قدمك يا جالا عتبة هذا البيت فأنت طالق))

نظرت جالا له وقد شوشت دموعها الرؤية أمامها لتبتعد عنه
وتخرج من الشقة كلها بخطوات مندفة صعودا على الدرج
نحو شفتها..

كانت تريد الاندفاع نحو فراشها والارتقاء عليه لتنفجر في بكاء
عنيف وهي تدفن وجهها في الوسائد..

لكن لا.. لن تتحمل أكثر..

أخذت حقيبة فارغة ثم بدأت تحزم ملابسها في داخلها وهي
مستمرة بالبكاء..

اتجهت بعد ذلك لغرفة ابنتها وهي تضع بعضاً من ألبستهن
داخل الحقيبة..

نادت بصوت عالي عليهم ثم همت تبحث عنهن لتجد ابنتها
الكبرى ابنة الخمس سنوات تجلس بغرفة أخرى..

كانت رورو تضع ساقيها إلى صدرها وتلقي رأسها عليهما
باستسلام تاركة العينان لدموعها بالانهيار وهي تشعر بخوف
طفولي مما حدث قبل قليل..

بينما أختها الصغيرة تطبطب على كتفها بحنان براحة يدها
الرفيعة وبتعاطف..

أخفضت جالا جسدها تحمل رورو التي تدفن وجهها برقبته
وهي تمسك بذراعها الحقيبة وتهدر لين بصوت مرتجف من
البكاء

((حبيبتي لين امسكي طرف معظفي واتبعيني))

سألته لين بخوف ما إن لاحظت دموع أمها وشحوبها

((إلى أين سنذهب أمي؟))

قالت جالا لها بصوتها المرتعش

((إلى خالكم يا حبيباتي))

مراد الذي كان يدفن وجهه بكتلتا كفيه شعر على خطوات جالا
تنزل الدرج وتغادر المكان كله..

فابعد كفيه عن وجهه وهو يبتسم بألم للقرار الذي اتخذته وهو
يشعر بأن قلبه ينبض ويضخ الألم..

كان ما يقصده بتهديداته السابقة بالطلاق والافتراق أن يحرك
مشاعرها له أكثر وأن ترضخ لما يقوله لها..

لكنها فاجأته وهي تأخذ كلامه على ظاهره وتغادر..

وحتى الآن عندما قال ما قاله فهو لم يكن إلا ردا فعلا لخوفه
من أن يتم تدمير كل ما بنياه طوال هذه السنين..

=====
=====

منزل راجي.. الدور العلوي..

استلقت جالا في سرير بغرفتها تحديق في السقف بملامح
باهتة..

لطالما صبرت نفسها على كل ما تتلقاه من والدته وسابقا من
يارا أنها متزوجة من مراد لا من عائلته لذا عليها ألا تأبه بهم
وتحاول تجاهلهم..

لكن اكتشفت بما لا يقبل الشك بأنه مستحيل لأن المرأة عندما
تتزوج الرجل فهي تتزوج عائلته كلها معه..

وهي لم تعد قادرة على تحمل طبع عائلة زوجها صعبة المراس
كجزء لا يتجزأ من حياتها معه ومن حياة بنتيها بعد الآن أكثر
خاصةً وأنه..

خاصةً مع حماة متسلطة مثلها تتعمد أن تعاملها بشكل سيئ
وتتسبب في مشاكل في علاقتها مع مراد وتطمح إلى صدام
معها لتتسنى لها الفرصة أن تقول عنها أنها لم ترى التربية
لكونها تتصادم مع امرأة مثل أمها..

وهي أرهقت من تقديم التنازلات دوماً والتعامل مع والدته
بحكمة وحكمة ومراعاة أسلوبهم وطريقة حياتهم لأجل مراد
ولزواجهما بلا أي فائدة ولا أي أمل لتغيير الأوضاع في
المستقبل..

والأمر من هذا.. أنها عندما قررت ألا تتردد على منزل حماتها
ولا تتعامل معها حتى تتجنب المشاكل قدر الأمكان لم يُسمح
لها..

ولم يتقبل مراد سماع أو رؤية أشياء خاطئة عن عائلته حتى لو
كانت واضحة جداً له وهناك مواقف ملموسة..

دائماً ما تقول والدته أنها مرت بتجربة قاسية مع حماتها
وحولت حياتها إلى جحيم لذا يحق أن تعاملها هي بنفس
الأسلوب وتسيطر عليها وتشفى غليلها مما حدث فيها..

وربما حتى ولو فعل مراد ما أرادته أي السكن بمكان بعيد عنهم
لما نجح الأمر بينهما..

فوالدته متسلطة ومسيطرة وبالغة التأثير عليه لدرجة أنه حتى
وهي غائبة يتحدث مراد بلسانها ويرى برويتها وينطق بوجهة
نظرها في الأمور التي تشبعه كلاماً فيها..

سمعت جالاً صوت اهتزاز هاتفها فمدت يدها لتلنقطة وفتحت
الرسالة التي وصلتها من والدة مراد ومكتوب بها

"غدا ستصلك ورقة طلاقك من المحكمة الشرعية من ابني..
ولا تحلمي بأن اسمح لك في العودة إليه مهما تحجبت بروعة

الصغيرة ولين.. وانتظري قريبا سماع زواجه من أخرى تقدره
وتسعده وتعرف كيف تحترم عائلته"

ابتلعت جالا ريقها وهي ترفع أناملها ضاغطة على صدرها
بألم..

ثم رمت الهاتف على السرير بعيدا عنها وهي تغمض عينيها
ودمعة تنحدر على خدها فتمد أنامل يدها الأخرى وتمسحها..

ستزوجه؟ بالطبع ستزوجه.. وهل توقعت شيئا آخر عندما
خرجت من المنزل وفضلت الطلاق؟

وربما ستزوجه من أخرى غيرها تستطيع تحمل ما لم تستطيع
هي تحمله..

ولا تظن أن مراد سيبيدي أي مانع بالزواج..

بل ربما كان متلهفا أكثر من والدته وفعل ما فعله ليجد حجة
للزواج..

ألم يكن في إحدى المرات وقيل سنة تقريبا ينظر لصور سهر
بكل تركيز وانبهار وأمامها بلا أي خجل؟

سهر؟ هل سهر ستكون هي من يتزوجها؟

هل سبق وتحسر على تركها إياه يوم زفافهما ويريدها أن تكون
هي زوجته بعد أن يحلا ما سبق وحدث بينهما؟

هل يحب سهر؟ إذا وماذا بشأن كل كلمات الحب التي قالها لها
سابقا وجعلها تعيشها؟

كيف يقولها لها وبنفس الوقت يكون محبا لغيرها؟

هل إذا تزوج سهر سينجح زواجه بها؟

وهل ستعرف كيف تتعامل مع والدته بحكمة ومواجهة بطريقة
ظاهريا مليئة بالتهذيب والاحترام وباطنيا مليئة بالصرامة
والحسم عكسها هي من فشلت بذلك وانسحبت من هذا المسيرة
وابتعدت؟

فتحت جالا عيناها اللامعتان بالقهقير والحزن..

رباه.. كم هو مؤلم ويذمي القلب فكرة انفصالهما وزواجه من
غيرها ومبادلته كل ما كان يتبادلها لها..

مالت عينا جالا لحزن أعمق وهي تبدأ بتذكر لحظات قديمة
وجميلة مع مراد..

لقد اعتادت على أن يوقظها مراد بمعظم الصباحات من نومها
بابتسامته الدافئة وهو يلقي على مسامعها أجمل غزل الصباح
بغض النظر عن شعرها المبعثر أو وجهها المتورم الناعس..

أيام عطلة الأسبوعية هو من كان يعلق منبه هاتفها حتى تبقى
نائمة لوقت الظهيرة وتأخذ كفايتها من النوم لتستيقظ على البيت
كله نظيف وبراق بعد أن نظفه بنفسه..

عندما كان يدعوا مجموعة كبيرة من أصدقائه لمائدة الطعام
بمنزله كان يطلب منها ألا تقوم إلا بصنع السلطات ويتكفل هو
بشراء أطعمة جاهزة حتى لا ينهكها..

تغضن وجه جالا عند فكرة أنه سيكون حنوناً ومراعياً مع من
سيترزوها كما كان معها..

من المؤسف حقاً أن يكون سبب الخلاف بين الزوجين غير
ناشئ من داخل بيتهما الصغير..

وإنما ناجم عن تدخل أحد أطراف أسرة الزوج..

فبالوقت التي تحرص عائلتها هي دائماً على عدم التدخل في
شؤونها حرصاً منها ومنهم على استقرار بيتها الزوجية..

فإن أسرة مراد كثيراً ما تسعى إلى أن تكون طرفاً في توجيه مسار حياتهما الزوجية..

وهذا ما يتسبب غالباً في مشكلات بينهما ناجمة بشكل طبيعي عن عدم رضاها بنفوذ والده داخل عشاها الزوجية..

لكن عليها إلا تكون نادمة أبداً على خروجها من البيت لأنها لا يمكنها أن تضحي براحتها أكثر من هذا فتصبح بانسة وحزينة..

برقت عينا جالا بإصرار.. نعم عليها أن تكون حازمة مع نفسها وتتقبل طلاقهما سريعاً وتحاول تخطيه..

عليها من الآن محاولة نسيان كل ما يتعلق بالماضي بإشغال نفسها بأي شيء..

أدارت جالا رأسها للجانب عند سماع طرقات باب غرفتها ودخول راجي لداخل غرفتها..

اعتدلت من مكانها جالسة وهي تغير من مسار تفكيرها لأخر أخرج وهي تفكر بأنه حان الوقت لأن تسارع بتزويج رانسي من راجي..

تقدم راجي منها وهو يطالع ملامح محياها قائلاً بخفوت

((هل أنتِ أفضل الآن؟))

هزت جالا رأسها بتعب وهي تقول له

((نعم.. لا أحد يعلم بطلاقي من مراد غيرك أنتِ وهيام.. لكن من المؤكد مراد سيقول لأبي عن طلاقنا وأمه ستنتشر وتزف خير طلاقه لي ومن ثم خير زواجه من امرأة أخرى بدأت تبحث عنها من الآن))

أغمضت جالا عينيها للحظات ولمرة أخرى شعرت بالدم يتجمع في عروقها ككتل ملتهبة عند نطقها أمام نفسها أنه سيتزوج بعد طلاقهما..

لكنها عادت تذكر نفسها أنها منذ اللحظة التي اختارت الخروج من البيت والطلاق..

مراد صار بالنسبة لها والد لبنتيها فقط لذا لا يحق لها التفكير بزواجه ما دامت اختيار البعد..

عادت جالا أيضًا تذكر نفسها أنها اختارت أن تكون عزيزة النفس وقوية القلب وأصيصة الرأي حين قررت مصيرها بنفسها وفارقت مراد..

وهي موقنة بأنها ستواصل شجاعتها وقوة قلبها في إنهاء تحير فكرها بشأن علاقتها به..

أخذ راجي نفسا طويلا وأطلقه ثم دنا منها قائلا برفق وهو يجلس على طرف فراشها في جانبها

((فليقل وليفعل ما يريد.. ولا داعي حتى للتحدث معه.. ليرسل ورقة طلاقك ولننتهي.. كان يمنعك من زيارتي ويسمح لوالدته بإهانتك وحاولت أكثر من مرة أن أتحدث مع العم محمد إلا أنه بكل مرة يخبرني بصراحة ألا أتدخل بمشاكل نساء وبنفس الوقت يخبرني كم هو معيب أن أشجعك على عدم التردد وزيارة حماتك))

رفعت جالا وجهها له تخبره بثبات

((قد يبدو أنني اخترت الخروج من المنزل بلحظة غضب.. إلا أن الحقيقة أنني كنت أفكر كثيرا بحالنا بالفترة الأخيرة.. الحياة بيينا صارت مستحيلة الصمود في وجه عثرات أمه))

رفع راجي كفه فوق كتفها قائلا

((لن أتدخل بقرارك أبدا.. لكن سأدعمك بكل الحالات))

قطع المقاطعة دخول رورو بوجهها البريء الملطخ بالطحين
هاتفة بصوتها الطفولي المتحمس

((خالي.. هيا لنغطي طبق الكعك بالعناب))

كانت الصغيرة تشده بحماس وبكل قوتها من بنطاله ليبتسم
راجي لها بسعادة هو وجالا حاملا إياها..

قبل خدها الأول ثم الثاني ليقول وهو يحملها ويخرج بها

((حسنا يا أحلى رورو.. سنضع القشدة والسكر المحلى فوقها
أيضا))

=====
=====

جرت هيام كرسياً وجلست قرب سرير والدها الذي ازدادت
حالته سوءاً مؤخراً بشكل لا يطمئن قائلة برجاء وقلق عليه

((أبي أرجوك لا تضغط على نفسك.. أرجوك اهدأ))

انفجر فيصل فيها هادراً بصوتٍ جهوري رغم إعيائه وتعبه

((ذاك النذل الخسيس لماذا لم يأتي معك لزيارتي؟ أم انه خائف
من أن اكسر له كل عظامه عندما يأتيني معلنا رغبته
بالزواج؟))

أطرقت هيام وجهها متنهدة بقنوط..

لم تكن تريد أن يعرف أي أحدًا بالقرية زواج احمد من غيرها
وما ساعدها كون أن لارا وتلك الجديدة التي سيتزوجها ليس
لهما أي صلة قرابة بمن في قريتها..

لكن.. ولكونهم يعيشون في عالم صغير ولا يمكن لأي شيء أن
يبقى سرا للأبد..

عرف المعظم بزواج احمد من لارا وإلغائه وعندما راجعها
والدها وسألها عن صحة هذه الإشاعة..

لم تستطع الإنكار أو إخفاء أن احمد فعلا تزوج من لارا ثم
طلقها.. والآن هو قد خطب امرأة أخرى وسيتزوج منها قريبا..

رفعت هيام وجهها تنظر إلى والدها بقله حيلة وهي تراه ينظر
إليها بتجهم أكبر وهو لا يجد احمد أمامه لينفث كل غضبه به..

قالت هيام له بصوتٍ هادئٍ

((أبي صدقتي احمد كان يريد أن يأتي معي منذ زمن للاطمئنان
على حالتك.. ولكن ظروف عمله..))

اتسعت عينا فيصل بخطورة ليقاطعها بصوتٍ عالٍ حازم وأكثر
عصبية

((اصمتي ولا تدافعي عن هذا النذل.. سبق وخطط ليتزوج من
غيرك ويريد تكرار زواجه مرة أخرى؟ وما حجته؟ الأولاد؟
وعدنان ابن من؟ أبنه أم ابن الجيران؟))

دلفت أمينة للحجرة وهي تقول له بوجه عابس

((توقف يا فيصل.. ابنتك لا تنجب والرجل مشكور صير عليها
إحدى عشر سنة ولم يشك.. فما العيب بزواجه الآن وقد فقد
الأمل بإنجابها؟))

نظرت هيام لأميئة بدهشة بالغة وهي تحاول أن تدرك
وتستوعب أن نظرة أميئة لهذا الموضوع هي نظرة الأغلب..

ولم لا يفكرون بهذا الشكل.. أليست هي من قالت بنفسها أن
العقم منها؟

استدار فيصل المستلقي نصف استدارة إلى جهة أميئة قائلاً لها
بحدة

((ولكن يا أميئة هو بالفعل لديه ابن غدا شابا يافعا.. فحجته
بالزواج لأجل الذرية ليست حجة مقبولة))

هزت أميئة رأسها بيباس وهي ترفع كفها إلى وجنتها بأسى..
لكنها قالت أخيراً بهدوء محاولة ألا تثير غضبه بسبب حالته
الصحية

((ولم قد يحتاج حجة؟ ما هذه الترهات يا فيصل.. الرجل
عزوته وسنده بكثرة أبنائه.. والرجل يريد أبناء آخرين غير
عدنان.. ما العيب بذلك؟ أنت بنفسك سبق وتزوجت من أجل
الولد؟))

اتسعت عينا فيصل متوجساً بدهشة بالغة وقد أصابت أميئة
بكلامها..

لكنه رد عليها بضعف وهو ينظر إليها متجهماً بينما يراها
تقترب من فراشه وتضع صينية الطعام على ساقيه بحرٍ شديد

((حتى ولو.. لكن كأب سيكون موقفي مختلفا لهذا الأمر.. أنا
كأب من المستحيل أن اقبل ما قمت به أن يفعله زوج ابنتي
بها..))

تركت أميئة الصينية وتراجعت بصمت وصير لتجلس على
أحدى الأرائك تشير بيديها بإشارة عجز ثم تقول

((فليصلح الله حالك يا فيصل.. أنت غير مدرك للأمر.. فكيف
تقبل الأمر على من سبق وكانت زوجتك ولا تقبله على
بناتك؟))

التفتت هيام التي كانت تنتظر لأمنية بشراسة وامتعاض إليه قائلة
بابتسامه جريحة

((أبي زوجتك محقة.. أنا موافقة على زواج احمد.. بل.. بل يا
أبي أنا من شجعته وكنت الح عليه أن يتزوج.. يحق له أن
يحظى بالمزيد من الأبناء.. ليس ذنبه أني لا أنجب..))

بشكل مثير للشفقة كانت هيام تحاول ألا تبين حقيقة مشاعرها
أمام أي أحد حتى لو كان أبيها..

بل كانت تحاول التظاهر بالرضى والسعادة لإخفاء ما تخجل
من إظهاره..

تدعى بأن زواجها مثالي على الرغم من العيوب التي تملأ
احمد..

بل تحاول إبراز كل شيء بصورة أجمل أمام والدها حتى لا
تشعره بخيبة الأمل الفظيعة والقاتلة التي تعيشها..

لم تكن لتظاهر لولا دوافعها الفاهرة من كبت وقهر.. ومجتمع
لا يرحم لو فشلت هي بزواجها..

هي مضطرة أن تعزف على سيمفونية التظاهر بالسعادة كثيراً
لتحافظ على أسرارها الزوجية بعيداً عن تدخل الآخرين فيها..

تدخلت أمينة تقول لفيصل

((أسمعت كلام ابنتك بنفسك؟ لماذا تتحدث عن الرجل وتشير له
وكانه سفاح أو غدار وابنتك بنفسها موافقة ومن شجعته على
ذلك.. هل من المنطقي أن ترفض يا فيصل زواجه إذا كانت
صاحبة الشأن نفسها راضية؟))

أظلمت ملامح هيام قليلا..

زوجة أبيها أمينة هي نفسها من أقنعت أبيها بأن يقبل زواجها
من احمد ولا يهتم بكونه متزوج من إيمان..

والآن تقنعه بالألا يغضب من زواج احمد فالرجل بنظرها لم
يخطئ..

في هذه اللحظة شعرت بكره شديد تجاه أمينة أكثر من أي مرة
سابقة..

لكن برغم كل شيء.. عادت تبتسم هيام بزيف وهي تقول
لوالدها وتهز راسها تأكيدا

((نعم أنا راضية يا أبي بل أنا من شجعته كما قلت قبل قليل))

صمت فيصل قليلا ينظر لابنته وهو يرفع حاجبيه..

من الواضح أن ابنته تتعذب بصمت قثمة ألم وانكسار تخفيه
بعينها..

بالرغم من كل العيوب التي فيه وتقصيره تجاه بناته إلا أنه
يعرف كل واحدة منهن كيف يبرز الحزن على تقاسيمها عندما
تشعر به..

أخفض فيصل حاجبيه ليعقدما قانطاً ثم قال بصوتٍ فاطر

((لا تكذبي يا هيام.. أنا للآن لا اصدق أن هذا الحقيير هو نفسه
من كان يلهث خلفك مثل الكلب لتقبلي الزواج به))

دمعت عينا هيام وشعرت بغصة تؤلم حلقها المتورم تمنعها من
النطق..

ليت الزمن يعود.. ليت الزمن يعود لتغيير أشياء وقرارات سبق
وأخذتها..

لكنها استطاعت أخيراً أن تقول بخفوت وهي تشيح ببصرها عن والدها

((أبي أرجوك لا تشتم احمد.. أنا سعيدة جدا بحياتي الزوجية معه ولا أتخيل أن اتركه))

وكيف لا تكذب الآن وتدعي بكلام غير صحيح..

فهي لا تعمل وليس لديها مشروع.. لم تنجب..

ولا تمتلك شيئاً إلا حياتها الزوجية..

وبالتالي فإن النجاح والفشل في حياتها الزوجية هذه يمثل النجاح والفشل في الحياة برمتها..

بخلاف احمد الذي توزعت اهتماماته بين أمور عدة أهمها عمله..

لذلك لن يهمله إذا ما فشل في حياته الزوجية وطلبت الطلاق منه..

بإمكانه أن يتزوج بسهولة ويعوض ذلك في تحقيق النجاح في مجالات أخرى في عمله..

ابتسم فيصل بقسوةٍ ساخرة ليقول بجفاء مستنكر

((ولماذا لا اشتمه؟ انه يستحق أكثر من شتمه.. بقي لأكثر من سنة يقبل الأقدام لأقبل أن أزوجك إياه.. حتى أني خسرت أبناء عمي لأجلكما.. وما يفعله بمثابة غدر بي قبل أن يكون غدر بك.. لعنه الله عل.. استغفر الله العظيم.. استغفر الله العظيم))

فغرت هيام شفتيها قليلاً وهي تتأوه دون صوتٍ بملامح شاحبة ممتعة لوالدها..

تدخلت أمينة وهي تقول بصوت عالٍ عقب أن استغرقت وهي تضرب كفاها ببعضهما

((أصلحك الله يا فيصل.. ما مشكلتك مع الرجل؟ انه يريد
التزوج بالحلال وابنتك نفسها موافقة على زواجه وشجعتة على
ذلك.. فأين المشكلة؟ ألم تقول سابقا أنك وافقت أن يتزوجها
بالرغم من كونه متزوج من ابنة عدنان لأنه يحبها وتمسك
بها؟ ما زال الرجل يحبها وتمسك بها فأين الفرق؟))

تراجع رأس فيصل للخلف وهو يقول بنبرةٍ تقطر ندما

((ليتني مت قبل ذلك اليوم الذي قبلت زواجك به.. اغربا أنتما
الاثنتين من أمام وجهي))

أطرقت هيام برأسها ثم قالت بصوتٍ أجش

((أبي أرجوك لا تدعى على نفسك بهذا الشكل أبدًا.. حفظك الله
لنا))

ساد الصمت للحظات ثم استقام فيصل في جلسته وهو يبعد
الصينية عنه ساقيه وقد فقد أي رغبة بالطعام رغم حاجته له
قبل شرب الدواء..

ثم هدر بعنف وامتعض شديد

((اغربا من أمام وجهي الآن يا هيام))

خرجت كل من هيام وأمينة من حجرة فيصل لتضع أمينة راحة
يدها على كتف هيام قائلة

((لا أدري ماذا أقول لك يا هيام إلا أن موافقتك على زواج أبا
عدنان يدل على رجاحة عقلك.. ولا شك أن إرضائه على
مطلبه بالزواج لك فيه أجر عند الله لأن هذا من إدخال السرور
على قلبه.. وسيزداد حبه لك.. لا تصغي لكلام والدك أو أي أحد
آخر.. ما دمت لا تزالين تحبين زوجك وموافقة ومشجعة
لزواجه))

التفتت هيام بعنف لنتظر لوجه أمينة بجفاء و غضب مكتوب
وهي توشك أن تنقض عليها وتقلها فلا يُنقص وضعها الآن
الاستماع لها..

لكنها عادت تذكر نفسها بما قالت لنفسها ونظرتها التي يجب أن
تعتقدها بما يخص حياتها مع احمد..

يجب أن تدعي السعادة لتحافظ على كرامتها ولا تكون حياتها
ضمن سخرياتهم وتعليقاتهم الجارحة..

فالتحليل ليس بالأمر السيئ تماماً إذا ما كانت الغاية صون
الكرامة وليس الكذب من أجل الكذب..

ابتلعت هيام ريقها الجاف وهي تشعر به يجرح حلقتها ثم حاولت
التقاط فحوى كلامها لتهدر بتعثر وبصوتٍ مرتعش

((نعم معك حق.. ولكن أنا قلقة بشأن أبي.. لا أريده أن يحزن
أبداً أو يشعر بالقهر فتزيد حالته سوءاً.. ليس أبي وحسب بل
وكل أفراد عائلتي.. أنا خائفة من رد فعلهم على موضوع
محاولة احمد الزواج مرة أخرى.. أنا متأكدة أنهم لن يتقبلوا ذلك
بسهولة))

قالت أمينة بهدوء وهي تطالع هيام

((نعم معك حق.. ولكن حزنهم وغضبهم من زواج أبا عدنان
إنما هو من أجلك.. ولكن عندما يعلمون أنك موافقة على هذا
الزواج ومرحبة به وأنه تم بالتفاهم معك.. فإنهم لن يفعلوا شيئاً
غالباً.. لأن هذا الأمر يعينك في المقام الأول.. وهم سيقبلون
بالأمر الواقع))

زفرت هيام ثم قالت بصوتٍ مُعَدَّب

((أنا متأكدة بأنهم وبكل الأحوال لو عرفوا سيلحو عليّ حتى
اطلب الطلاق أو حتى امنع زواج احمد مثل المرة الماضية))

رشقت أمينة هيام بنظراتها المقتضبة وهي تفكر ثم قالت

((كلامك وارد.. لقد رأيت كيف شجع راجي جالا على قرارها بالطلاق من زوجها بأمر عيني وتعهد ألا نخبر فيصّل حتى لا يؤثر الخبر على صحته.. سقط أخوك من نظري.. هل هذه تصرفات من سيكون هو رجل العائلة إذا ما حدث شيء لأبيك؟ عليك يا هيام عدم إخبار أحد من أفراد عائلتك بأمر زواج أبا عدنان قبل أن يتم الزواج حتى لا يتسببوا لك بآي مشاكل))

رشقت هيام أمينة باستياء وقهر وغير رضا وهي تزم شفتيها..

كانت تريد أن تتوقف عن الحديث معها فهو يزيد من حالتها النفسية سوءاً..

استدارت للخلف تقول وهي تفتح الباب على أبيها

((أبي أريد العودة لمنزلي.. هل تحتاج شيئاً؟))

قال لها فيصّل وهو مستلقي على سريره يعطيها ظهرها

((إذا وافقتني المنية فعليك أن تعرفي أنك المسؤولة عما يحدث لي يا هيام.. أنتِ وحبك وزواجك من ذلك النذل الخسيس))

ارتجفت شفتا هيام..

وكادت أن تنهار وتدفن نفسها بأحضان والدها..

كادت فعلا أن تفعل ذلك إلا أنها بأخر لحظة تراجعت..

والدها لن يتحمل أن يتشارك أوجاعها معها..

عليها أن تدعه يظن أنها سعيدة وراضية على ألمه عليه بقل..

وهي لظالما تعلمت أن تمضي بأوجاعها في صمت حتى لا تسقط قتيلة بين نظرات الشفقة والاتهام بالمبالغة..

فقالته هيام أخيرا بخفوت

((أبي أرجوك اهم بصحتك وتناول طعامك.. إلى اللقاء))

إلا أنه زجرها بغضب رافضاً أن ينظر لها أو يوجعها

((لا أريد شينا منك.. اغربي من أمام وجهي))

وطوال طريق هيام من منزل والدها إلى منزلها ظلت أفكار
كرهها وحبها السابق لأحمد تطوف بعقلها على غير هدى..

يا الله ما أوجع أن يتضاربَ في داخلها شعورين مُتناقضين في
أن واحد..

يا الله كم تعذبها أفكارها عن زواجه القريب والذي لا يبدو أنه
سيفشل كما المرة السابقة..

لتتشكل بداخل عقلها أفكار أليمة كاوية لن تستطيع إخراجها من
داخلها أبد الدهر أو التوصل إلى صياغتها بالكلام..

أسوء ما في الأمر أنها لن تستطيع أن تطلق كما سبق وتعدت
أحمد بالطلاق لو تزوج..

فأخيها سبق وطلق سارا.. وشقيقتها جالا تطلقت قبل أيام..

لن تستطيع هي الأخرى الطلاق هكذا..

كيف ستتصرف أمها لو عرفت أن أولادها الثلاثة تطلقوا بنفس
الفترة ومرة واحدة؟

بل الناس ماذا سيقولون عندما يعرفوا بطلاقها هي واختها بنفس
الشهر؟

يا الله من المستحيل أن تطلب الطلاق.. أبدا..

وحينها لم تجد أمامها بما أن خيار الطلاق مستبعد إلا أن تهوي
على ركبتيها لأحمد ترجوه وتتوسله ألا يتزوج..

فهي لن تتحمل..

نعم سبق وكانت أنانية مع إيمان وكانت تريد منها أن تتحمل
شيئا هي لن نفسها الآن لن تستطيع تحمله..

ولكنها تعلمت وندمت على ما فعلته بها..

ندمت؟ نعم هي فعلا بدأت بالندم على ما فعلته بها وكيف سببت
لها هكذا نوع من الألم..

لكن انتهى الأمر..

وإيمان وكما هو ظاهر لها تعيش سعيدة..

فلم لا تكمل هي حياتها مع احمد بهداة بال على الأقل؟

بمجرد أن سمعت باب الشقة يُفتح ويدلف احمد لغرفة النوم التي
تتواجد فيها..

حتى تشبثت يديها الاثنتين بيده تتوسله بصوت مذبح

((احمد أنا لست موافقة على زواجك أبدا.. هل تسمعني؟ أريد
منك أن تلغيه.. أبي لن يتحمل زواجك وسيحزن علي أكثر من
حزني على نفسي))

عانقها احمد بنظر اته ليتهاطم فؤاده لهيتها الكسيرة..

يكاد يقسم أن نيته كانت أن يتزوج وينجب بدون أن تعرف هي
بالموضوع كله حتى لا يحزنها..

كان يقول سابقا أمام نفسه أنه أحسن الاختيار بالزواج من سارا حتى لو كانت زوجة أخ هيام السابقة..

فمع انه كان قادرا على الزواج من أي امرأة أخرى إلا أنه اختار أن يتزوج على وجه التحديد سارا..

لأنه لمس في نفسه إعجاب كنه لها وشعر بأنه بداخله يميل لها فيتمسك بها ولا يطلقها لو ضغطت عليه هيام مستقبلا أن يطلقها..

إلا انه يشعر بهذه اللحظة بأن هيام لو ضغطت عليه أكثر فسيطلق سارا من أجلها حتى يخفف من الألم الذي تشعر به..

ازردد احمد ريقه وهو يقول لهيام باختناق شديد مشيحا بنظره عن عينيها المتوسلتان له

((لقد.. عقدت قراني.. وانتهى الأمر.. هيام.. لا تحاولي أن تثنين لأن الأمر ينجح))

تأسست ملامح هيام وهي تنظر له..

احمد وعلى عكسها تماما.. لا يمكنه أن يقتعل قصصا أو يقبل التظاهر الادعاءات ليظهر حياته الزوجية على عكس ما يعيشه..

لا يهتم أبدا بأن يظهر أنه سعيد مع المرأة التي دمر بيته الأول من أجل الزواج بها..

لم يسبق وأنه وجدته يهتم كثيراً بمن حوله..

يكفيه أن يكون راضياً بوضعه كيفما كان ولا يهمه كلام أيا ممن حوله على حياتي الخاصة..

ليس مثلها مفتونا بالمظاهر ومولعا بالقشور التي تغطي الحقيقة
لدرجة أن يفعل مثلها ويدعي سعادة وهمية تفادياً لشماتة بنات
جنسهن..

وكان التظاهر فن نسائي بالدرجة الأولى..

تألمت ملاح هيام أكثر ونبرتها لانث هامسة بتوسل مجددا

((أرجوك.. لا احمد.. والدي سيموت قهرا لو تزوجت.. هل
تعاقبني وتجلدني لأنني وافقت أن أتزوجك وأنت متزوج من
إيما؟))

سحب احمد يده منها ليلتف لها وقد اتسعت عيناه دهشة
لكلامها..

ثم هتف بها بغضب وعتاب مزيفان

((ماذا؟؟ يا الله! ما هذا الذي تتفوهين به.. هيام أنا لا أريد
الزواج لأعقابك.. أنا لست نادم للحظة على الزواج منك مهما
كانت حجم خسارتي لإيما وابني.. أنت لا ذنب لك بأن رزقي
الله بأبن عاق وزوجة سابقة حرضته وشحنته ضدي حتى ولو
كنت مقصرا تجاهه بصغره ببعض الأمور.. كم مرة علي أن
أكرر كلامي هذا أمامك؟))

هزت هيام رأسها نفيا ليردف احمد بنبرة متصلبة

((أرجوك يا هيام تفهميني.. أنا لولا رغبتني في الحصول على
أولاد والا لما فكرت بالزواج مرة أخرى.. يجب أن تكوني
واثقة بحبنا.. وما دخل أبيك بنا؟ قل لي له أنك راضية وموافقة
ولن يحزن))

ضمت هيام ذراعيها على جسدها ناظرة إليه يوليها ظهره لتقول
بعناد خفي

((الموضوع ليس موضوع أبي وحسب.. ولكن أنا يا احمد
سأجن أن رأيتك مع أخرى.. كم مرة علي أن أخبرك حتى
تدرك مقدار وجعي وألمي بزواجك))

رفع احمد كفيه بمسح وجهه ثم قال بدون أن يستدير لها
باستهزاء مبطن له مغزى

((هيام عندما كنت متزوجة من إيما لم تكوني تشعرين بالغيرة
من بقائي معها.. أساسا كنت تخبريني أني لو طلقته فلن تقبلي
بي إلى درجة أني شككت بحبك لي عندما لم أرى الغيرة
بعيونك عندما أتواجد مع إيما))

استدار احمد لها بتعابير غير مقروءة وهو يراها تجيبه بعنف
((هذا لأنني لم أريد أن اهدم بيتك أو أظلمها.. كنت أخشى الله أن
يحاسبني أنا لو قمت أنت بظلمها))

ضغط احمد فوق أسنانها بشراسة قانلا ببطء

((أذن أرجوك ضعي الله بين عينيك ولا تحرميني من حقي
بالزواج من أخرى.. لقد سئمت الأمر.. إيما كانت تقول لي أنها
صبرت على فقري ولا يحق لي الزواج عندما تحسن وضعي
والآن أنتِ تقولين لي بأن لا أتزوج لأنك بقيتي معي عندما
علمتي بعقمي))

امتلات عينا هيام بالدموع وهي تشعر بانها ستتهاوى..

أسوء ما الأمر انه محق.. نعم أنه محق تماما..

تمتتم بقهر له وهي لا تجد أمامها إلا معاودة تهديده

((إذا كان حقهك بالزواج فمن حقي أنا الطلاق مثل إيما وأنت
تعلم ذلك جيدا))

اتسعت عينا احمد بصدمة قبل أن يقول لها بفحيح أنفاسه

((لا يا هيام لا تحلمي أن أخرجك من عالمي أو أتركك.. أنا احبك وأنتِ تبادليني الحب.. ولا يمكنكني أن أعيش من دونك.. فكفِ عن ابتزازك العاطفي لي لأنه لن ينجح.. لن أطلق من تزوجتها مهما فعلتي))

كادت هيام أن تطلق ضحكة ساخرة مريرة من صميم جرحها..

كالعادة.. احمد لا يعرف كيف يعبر عن حبه إلا بالكلام..

لكن وما لا يدريه أن الحب ليس مجرد كلمات تتلاشى مع الواقع أو مجرد إحساس فقط من دون معاشته..

فمن يجب تحكمه أفعاله وتصرفاته وليست أقواله.. فالكلام سهل..

لكن ما أصعب العمل به.. فقيمة الحب تكمن في المحافظة عليه..

وبالتفاهم والتضحية والعطاء يكون عش الزوجية دار استقرار وسعادة..

لكنه لم ولن يعرف شيئا عن كل هذا..

قالت هيام له بصوت متذبذب

((إذا كنت لا تريد مني أن أخرج من حياتك.. يجب أن تثبت لي أنك تحبني وتستحقني.. عليك أن تلغي فكرة الزواج وتخرجها من رأسك.. لقد تخليت عن أمومي لأجل حبنا وأنت يجب أن تتخلي عن أبوتك من أجلي..))

قلب احمد عيناه للأعلى..

يكاد يقتل نفسه من تكرار نفس الموضوع والحجج كل مرة..

فقال لها متتهدا

((أنا بالفعل تخليت عن أبوتي بأبني الوحيد من أجلك.. لكن.. هل يمكن يا هيام ألا تجعليني أتخلى عن أبوتي من أجلك المرة الثانية؟))

قالت له هيام بعينين جاحظتين

((ماذا؟ ألم تقل قبل قليل أنها ليست مسؤوليتي وان إيما هي الظالمة التي حرضت ابنك عليك؟ هل أنا من حرضته عليك وهربت به للخارج ومنعته من التحدث إليك؟ يمكنك أن تحاول يجد التقرب لعدنان حتى تصبح علاقتكما ممتازة.. لم يفت الأوان بعد.. ثم إن اللجوء لأطفال الأنابيب ليس مضمونا لك أن تنجب من خلاله.. لماذا أذن تريد أن تدمر حبنا من أجل شيء غير مضمون؟))

زفر احمد بضيق ثم رفع كفه يبدأ بكف ربطة عنقه بنزق وهو يقول بإصرار

((وحتى لو لم يرزقني الله بالذرية عند زواجي الثاني.. لا ضير من المحاولة.. أما لو لم أتزوج وأضعت الفرصة سأندم عليها حتى آخر يوم حياتي.. هيام أرجوك فكري بعقلانية بعيدا عن العاطفة))

ولأنه ما عاد يصلح الاستمرار والإعادة والازادة بهذا الجدال المؤذي والمتكرر جدا بينهما مؤخرا قال احمد وهو يخلع قميصه

((هيام انتهى الكلام بيننا.. اعتبري أن إيما قررت العودة لي.. هل سيكون لك مانع من عودتها وهي زوجتي الأولى التي طلبت الطلاق بسببك؟ لا؟ أذن لا اختلاف بين أولى وثالثة.. وأرجوك لا تحاول منعي لأنني سبق واتخذت قراري وعقدت قراني ولا رجعة بالأمر.. ولن أظلم فتاة أخرى بسببك))

وللحقيقة قال احمد ما قاله بصدق..

فحتى لو مثلا اتضح بمعجزة ما أن هيام حامل فلن يتراجع عن
زواجه بسارا..

لأنه عقد قرانه وانتهى الأمر.. وهو لن يؤذي سارا على حساب
هيام..

غادر الغرفة وهو يلتقط مأزره ليدخل الحمام ويأخذ حمامه
وهي تطالعه بنظرات تتوسله في نفسها أن يتراجع ولا يخذلها..

=====
=====

اتسعت عينا فيصل بترقب وهو يستمع لتذمر جالا ليهتف بها
بصوت بدا عليه انعدام الرضا

((ولماذا لا يريد أخوك الصعلوك الزواج وقد مضى على طلاقه
من تلك السافرة أكثر من سنة؟ هل يريد أن يترهبين لآخر
عمره؟))

نفخت جالا بحنق وهي تقول بإحباط عاقدة الحاجبين

((وما أدراني عنه يا أبي.. ينفجر بي كلما فتحت موضوع
الزواج له.. لذلك لجأت لك.. أنت من تستطيع إجباره على
الزواج.. اقصد إقناعه..))

تصلب فك فيصل عاقد الحاجبين بينما يتمتم وكأنه يكلم نفسه

((لو كان تزوج احدي بناتي هل كان ليكون تعيسا كما الآن؟
الصعلوك الأحمق))

تذمرت جالا بحنق له قائلة

((أبي لقد تزوجت أخواتي كلهن وانتهى الأمر.. الآن ما رأيك
بصديقتي رانسي؟ لقد أرينتك صورها.. صدقتي أنها لطيفة
وإنسانة محبوبة جدا..))

قاطعها فيصل بامتعااض

((ومطلقة أيضا.. فهل سينجح زواجها من أخوك؟))

مطت جالا شفتيها متدمرة لتقول بصوت خافت

((أبي وماذا فيها.. راجي مطلق أيضا.. ومرتين لا مرة واحدة
فهل ستحاسب رانسي على أنها مطلقة وتترك أخي؟))

تخيلت جالا ببؤس موقف أبيها عندما يعرف طلاقها هي من
مراد..

هي فعلا مندهشة كيف مر عدة أيام على طلاقها منه دون أن
تنشر امه الخبر بكل أرجاء القرية..

عبست تقاسيم وجه فيصل وهو يقول لها

((حتى ولو المرأة عندي ليست مثل الرجل.. على كلا.. هناك
أمور ينبغي أن أراعيها قبل أن أزوجه من صديقتك.. لا بد أن
اعرف سبب طلاقها.. هل كان بسبب جهلها بإدارة زواجها
الأول أم بسبب ظلم وقع عليها من طليقها؟ وهل هي التي طلبت
الطلاق أم هو طلقها؟))

رفعت جالا حاجبيها وهي تهتف سائلة

((أبي وماذا سيفيدك معرفة هذه الأمور يا أبي؟))

هتف فيصل بحدة يزجرها

((اسكتي أنت وما أدراكي بما يفيدني! أنا لا اشتراط معرفة
التفاصيل الدقيقة.. يكفي معرفة الخطوط العريضة.. وأريد
أيضا التعرف على أخلاقها فربما كان طلاقها الأول بسبب
طول لسانها و عنادها وتمردھا.. ربما تكون أسوء من سارا..
علينا أن نتأكد من أنها تسعى لنجاح زواجها الجديد وتريد

الزواج عن قناعة لا من أجل أن تثبت لطلبها أنها مرغوب فيها
على سبيل المثال..))

كانت جالا تنظر بدهشة لوالدها الذي تابع بإصرار

((لا تنظري لي هكذا.. ألم تقولي إنها كانت متزوجة من ابن
عمها وبعد طلاقهما تزوج وهي تعيش معه بنفس بناية عمها؟))

هزت جالا رأسها بعدم تصديق ثم قالت بصوتٍ بارد

((لا أدري يا أبي.. أنا لم أفكر بهذه الطريقة ولم أحسب حساب
هذه النقاط.. والتي ربما تكون مهمة.. ولكن يا أبي رانسي
تعرضت لكسر في قلبها وتم جرحها جرحاً مؤلماً في زواجها
السابق.. وأنا متأكدة بأن راجي سيكون بمثابة حلمها وأمنيته
في ترميم كسرها ومساعدتها بتعزيز الثقة بنفسها.. فكل الرجال
بحياتها خذلوا من أب وطلاق وأولاد عم.. وبنفس الوقت
ستساعد راجي أن يخرج من الحالة التي يعيشها منذ طلاقه من
سارا التي لا بد أنها افتعلت مصيبة كبيرة قبل أن يتطلقا))

تسمر فيصل يحدق بجالا للحظاتٍ طويلة قبل أن يقول ببطء
وبنبرة قاتمة

((لست متفائلاً يا جالا باختيارك.. والله أخشى أيضاً أن تكون
صديقتك من كلامك معقدة وكارهة للرجال جميعاً إذا ما كانت
تعرضت لظلم كبير من والدها أو طليقها كما سبق وقلتي
وستخرج عقدها على أخاك))

هزت جالا كتفيها قائلة بعفوية

((لا يا أبي أنها لطيفة وليست معقدة أبدا))

راددها فيصل بالقول بخفوت وهو يضيّق عينيه

((وما أدراك بما تخفيه داخل نفسها؟))

ارتبكت جالا قليلا لكنها قالت متجهمة مستاءة

((لا أدري يا أبي.. ربما كلامك صحيح.. وهنا سيكون دور راجي بالأا يفعل ويصبر عليها ويحاول أن يعطيها صورة أخرى تختلف عن الصورة التي تعرفها هي عن الرجال ويمسح كل مخاوفها ويبث فيها التفاؤل ويجعلها تنتظر للزواج بطريقة إيجابية..))

صرخ فيصّل عليها يجرها بغضب رغم إعيائه

((من أين لك هذه الكم من العيقرية؟ وهل أخيك ينقصها عقد ليتزوج من إنسانة معقدة قد لا تنسى تجربتها العاطفية السابقة بسهولة وتحيل حياته إلى جحيم لا يطاق؟ هل تريين أن أخيك مستعد على أن يبذل مجهوداً كبيراً كي يحل هذه العقد؟ هل يتزوج الأنسان ليرتاح بحياته أم ليتعقد؟))

شحب وجه جالا قليلا لتقول بخفوت

((أبي.. أنها ليست معقدة.. والله إنها امرأة لطيفة وحبوبة جدا.. أمام المعقدات فهن بنات عائلتنا))

زفرت جالا باستياء وهي تفكر بأن والدها ينظر بازدراء للمطلقة مثل والده مراد روعة تماما..

وربما لذلك ابتليا الاثنان بأولاد مطلقين..

زفر فيصّل بحنق ثم سأل جالا

((هل عاشرتيها بما يكفي لتعرفي أنها تصلح لأخيك؟))

هزت جالا رأسها بإيجاب وتأكيد ليقول فيصّل بحذر

((إن الرجال يخافون من أن يعلقوا مع الزوجة الخطأ.. أو بمعنى آخر.. امرأة تجعله تعيسا.. امرأة تكديه كثيرة الشكوى أو

امراة تتحول إلى شيء يصعب أن يعاشر.. وهذه المرة أنتِ من
ستتحملين مسؤولية زوجة أخيك))

قالت له جالا مؤكدة ببشاشة

((أبي أنا اعرفها منذ زمن.. لم أتصادق معها إلا منذ سنتان
تقريبا.. لكن أؤكد لك للمرة المئة أنها امرأة طيبة ومحبوبة))

تنهد فيصل ثم سألها بهدوء

((حسنا سأحدث معه.. لا يوجد عندنا رجال بالعائلة يبقون بلا
زواج أكثر من سنة.. سيتزوجها ورغما عنه))

ابتسمت له جالا بامتنان وشكرا لتقول بلهفة شديدة وابتهاج بينما
تضم كلتا يديها بحماس

((حقا أبي؟ أذن متى ستطلبونها؟ والدها متوفي وهي تعيش
بشقة لوحدها في الدور العلوي فوق دور عمها في نفس
البناية))

تنهد فيصل ثم قال لها وهو يطلب منها التمهل

((انتظري قليلا.. دعي بالبداية والدتك تتصل بإحدى نساء
عائلتها وتحدّد معها موعداً مناسباً لتراها وتحكم إن كانت
تناسب راجي أو لا هي الأخرى.. وبناء على هذا اللقاء سنحدّد
موعد آخر حتى يرى راجي صديقتك بحضور العائلتان.. فإن
أعجبته نخطبها له وإذا لم تعجبه سنخطبها أيضا ورغما عنه..
وبعد ذلك إن تمّت الموافقة المبدئية من الطرفين سنحدّد موعد
للطُلبة.. وإذا لم تسمح لي صحتي فسينوب عني بعض رجال
العائلة لطلب يد الفتاة من عائلتها.. وثمّ نعقد القرآن.. وبعدها
بأسابيع سنقيم حفل الزواج بسيط بلا أي مبهرجات أو تفاصيل))

=====
=====

قلب راجي الجالس ببيت والدته عينيه بتفكير مستفز وهو ينحني قليلا بظهره ويدفن وجهه بكلتا يديه وهو يستمع لوالدته تزجره أمام زوجها

((اصمت.. أنت واختبارائك الخائبة.. لن أدافع عنك من الآن وصاعدا.. سنتزوج ورغما عنك منها))

رفع راجي رأسه يعاود تقليب عينيه بقلة صبر وهو يضغط على شفثيه بقوة ثم ابتسم بتصنع ليقول لوالدته بضر

((أمي أخبرتك أني لن أتزوج أحدا.. لا أريد.. أريد أن أترهب))

صرخت به وهي تزجره بغضب وإصرار

((بل سنتزوجها ورغما عنك.. هي صديقة جالا وأشادت بها كثيرا.. رأيتها وارتحت لها.. تبدو فتاة لطيفة وصالحة.. كما أنها مسكينة وبحاجة لرجل بحياتها لذلك وافقت على الزواج منك..))

توجهت نظرات ياسر زوج سميحة المستاءة نحو سميحة يخبرها بخشونة

((يا سميحة ابنك يقول لك انه لا يريد الزواج فتوقفي عن الضغط عليه.. منذ متى والزواج بالإجبار؟ وما ذنبه إن كانت الفتاة مسكينة؟ هذا زواج لا جمعية خيرية.. ويجب أن يتقبل كل طرف الآخر))

أطلق راجي تنهيدة استرخاء وهو ينظر لزوج أمه عاقد الحاجبين ليخبره بامتنان

((شكرا لك يا عم ياسر على المداخلة.. فأنا أساسا لست مستعد نفسيا للزواج.. ثم لو أردت الزواج فلا اشعر بانى يمكن أن أتزوج صديقة جالا تلك هي بالذات.. رأيتها مرة صدفة.. أنها نحيلة بشكل مرعب.. أنا أقولها أمامك وبشكل صريح.. جالا

منذ أيام وهي تفجر رأسي بالكلام والتعيب بالزواج منها ولكن
الأمر يجعلني مستاءً بشكل أكبر))

نعم سارا كانت نحيفة مثلها تماما بل كانت مداومة على حميات
قاسية لتبقى هكذا..

لكن كان لها منحنيات وكانت ممثلة في أماكن أنثوية مرغوبة..

أما رانسي فنحيلة للغاية تكاد العظام تبرز من وجنتيها..

حتى ملامحها الأنثوية لا تظهر تحت ملابسها رغم أنها ليست
فضفاضة جدا..

لوهلة اتسعت عينا راجي دهشة..

لماذا يفكر برانسي وينظر في تفاصيلها بنظرة رجولية؟

ألم يقل لنفسه بأنه لن يتزوج من الأساس؟

نظر ياسر لسميحة قائلاً وهو يشير بإحدى يديه لراجي

((هل رأيت يا سميحة؟ الموضوع ليس متعلقاً برفضه لفكرة

الزواج.. بل رفضه للمرأة نفسها.. وضغطك عليه للزواج منها
سيكون إجحافاً وظلماً كبيراً له))

فغرت سميحة شفيتها قائلة وهي ترشق راجي بنظراتها الداهشة

((أكل هذا الرفض هذا لأنها نحيفة؟ إذا كانت هذه المشكلة فلا

تفلق ستكتسب الكثير من الوزن بعد الزواج.. اهتم بها

وأطعمها.. ازدياد وزنها سيعتمد على اهتمامك بها.. لكن لن

امنع عمك من أن يضغط عليك لتتزوج منها.. إلا لو قمت

بإعطائي اسم وعنوان فتاة أخرى تتزوجها.. الممم ألا تجلس

هكذا بلا زواج.. أريد أن افرح بك))

أخرج ياسر نفساً ضائقاً ثم قال

((يا سميحة لا يجوز أن تخطبها لابنك وهو لا يريد لها لأنك تريد أن تفرحي به.. الزواج أمر خطير يتعلق ببناء أسرة جديدة وينبغي أن يحاط بما يضمن استمراره وبقاءه.. ومن أعظم أسباب نجاحه أن يتزوج الرجل بمن يرغب فيها وذلك حتى يألفها ويحبها لأنها ستكون فيما بعد زوجته وأم أولاده وأمانة بيته وسره.. ولا يجب أن يكون هذا الزواج من طرف واحد))

أشاحت سميحة بوجهها نحو راجي هادرة وهي ترمقه بنظرات لائمة

((صدقني مشكته ليست بتفاصيل الفتاة وصفاتها بل بفكرة الزواج كلها.. تزوج مرتين ورغما عنا فتاة لا تناسب مجتمعنا أو تقاليدنا ولم نقل شيئا.. والآن يريد أن يعيش على أطلالها ولا يتزوج بعدها.. فكيف تريد مني ألا أتدخل؟))

قال ياسر لها بانزعاج

((ولكنك تتعاملين مع الأمر وكأن ابنك لا يملك إرادة حقيقية تخوله اختيار شريكة حياته بنفسه.. وتريدين منه أن يجبر مثل هكذا قرار مصيري لك ويوكل لك مهمة إتمام النصيب؟ بأي زمن نعيش حيث لم نتحرر بعد من هذا الممارسات الاجتماعية التقليدية؟ فمشاركة الأم في اختيار زوجة ابنا عمليّة في غاية السلبية لأن منطق اختيار الشاب فتاة تشاركه حياته على أساس اجتماعي أمرٌ لا يعول عليه في الأساس.. فكيف إذا تمّ الاختيار بمساعدة وسيط؟ هذه هي فكرتي بخصوص هذا الموضوع منذ البداية))

زمت سميحة فمها لتلتزم الصمت بغير رضا عقب أن قالت

((لماذا تتحدث يا ياسر وكأنني أعاني عقدة السلطة؟))

لا شعوريا وجد ياسر نفسه يبتسم في إثارة لطيف وجهها العابس بغير رضا لتبتسم هي الأخرى مفسرة وجهة نظرها برفق

((ياسر.. لم اجلس مع الفتاة إلا عدة مرات لكنها أعجبتني.. هناك شيء لطيف في شخصيتها ومظهرها جذاب للغاية.. وهي بالأساس صديقة جالا واختيارها.. وشخصية جالا مقاربة لأخيها.. لذا بصراحة إمكانية نجاح هذا الزواج مؤكدة..))

تتهد ياسر ثم نظر لراجي قائلاً بصوتٍ حازم

((راجي قل فقط "لا" ولن يجبرك أحد على الزواج منها.. لماذا أنت سلمي إلى هذا الحد برفضك؟ أنت رجل لا أحد قادر على جعلك تفعل ما لا تريده؟))

نظر راجي لياسر للحظات ثم هز كتفيه ببلاهة ليقول بعفوية

((لا اجري يا عمي.. هناك شيء في داخلي يجعلني متخاذل برفضي.. لا أدري ما هو..))

رنين هاتف راجي قاطع حديثه ففتحه ليرى اسم عمه فيصل ظاهر على الشاشة لتظهر إمارات الانزعاج عليه..

الآن سيعود لطلبه مجددا والضغط عليه بخصوص الزواج..

إلى متى سيبقى مُحاصر من قبل الكل بشأن زواجه؟

كله من جالا هي من فتحت من البداية موضوع زواجه..

تريد أن تزوج صديقتها وتزداد قربا منها على حسابه هو..

ولكن هناك شيء غريب فعلا لا يفهمه ويدفعه ألا يكون حازما ومستميئاً برفضه لزواجه..

خاصة بعد أن رأى صديقة جالا المقصودة في حديثهم "رانسي" .. قبل أيام.. لأول مرة..

فتلك المرة التي أصطدم فيها بغير قصد لم يكن قد رآها جيداً..

أمه محقة.. هناك شيء في شخصيتها أو شكلها جذاب.. جداً..

=====
=====

انتهى الفصل

كانت رانسي بمطبخ منزلها تطهو.. وسيلة إلهائها الوحيدة في الوقت الحالي قبل أن تسمح طرقات باب شقة منزلها..

دنت من الباب تفتحه لتهدر بترحيب لابن عمها الشاب الصغير

((تفضل يا ضياء))

رأته يضع حزمة أوراق فوق المنضدة ثم يضع يديه في جيبه بنطاله الأسود وقميصه الرمادي يظهر جاذبية قوام جسده في جاذبية شاب يافع لا يزال يدرس بجامعة ليقول

((تفضلي.. لقد بيضت داخل هذه الأوراق كل المعلومات التي توصلت عنها عن أخ صديقتك الذي تقدمت عائلته لخطبتك))

أخذت رانسي الأوراق بلهفة من المنضدة وكان هذه الأوراق تمثل لها صيداً ثميناً..

ضياء تقمص شخصية محقق سري من أجل أن يجمع أكبر قدر من المعلومات عن راجي..

فيالأسبوعين الماضيين كان ضياء يسلمها معلومات عنه مع نهاية كل يوم من هذه المهمة السرية التي كلفته بها مقابل مغري..

قال ضياء لها بأسلوبه الخاص المشاغب وعينه تلتمعان
بشقاوته المتأصلة بداخله

((لقد اضطررت يا رانسي لأخذ إجازة من عملي بدوام جزئي
بعد الجامعة حتى أتفرغ لهذا العمل الشاق الذي طلبته مني
وأيضاً لأطمئن على مستقبل زواجك هذا))

وكان محققاً بكلامه..

فقد كان يخرج منذ ساعات الصباح الباكر لأداء الصلاة في
المسجد القريب من القرية التي يقطن فيها خطيبها ويتأكد من
أنه يصلي الفجر في المسجد كما أكدت والدته لهم..

في نفس الوقت حرص أيضاً على عقد صداقة ودودة مع
حارس البيوت التي يقطن بواحد منها على اعتبار أن هذه
العمالة قد تملك ثروة من المعلومات عن ساكني القرية..

ولم يغفل عن السؤال عن أحوال هذا الشاب الذي خطب ابنة
عمه وحسن تعامله مع الجيران وتدوين كل ملاحظة يظفر بها
من جيرانه أو ساكني القرية في ورقه..

كما اهتم بالسؤال عن وضعه المادي وأخلاقه وتعاملاته مع
الأخرين وأمانته وتدينه وتفصيل حياته وأسرته ومستواه
التعليمي..

كان حريصاً على أن تكون الأجوبة دقيقة وصحيحة..

فالناس بالقرية ليس كمن يعيش في المدينة حيث علاقتهم
الاجتماعية في المدن نفعية وسطحية ومؤقتة فتكون معرفة
الناس ببعضهم معرفة غير عميقة ودقيقة بل تتسم بالغموض
والسطحية..

عاد ضياء يسألها بظرافة وخفة ظل وهو يجلس على إحدى
أرائك منزلها وينظر لها تطالع الأوراق

((فعلت ما توجب عليّ القيام به.. لكن هل تتبعتِ المرحلة
الثانية من عملية "رصد المعلومات"؟))

أجابته رانسي بإحباط وهي تزم شفتيها

((لم يأتي مع عائلته إلا مرة وحدة ولم ننفرد ببعضنا إلا لدقيقة
وكان طوال هذه الدقيقة متجهما جدا.. لذا أجريت مقابلة عنه
غيابية مع أخته.. استفسرت عن جوانب شخصيته من هواياته
وأحلامه وميوله الرياضية وكل شيء))

سألها ضياء ببساطة مظهرا حنقا مصطنعا

((وبعد كل هذا لا تقولي لي أنك ما زلت متريفة على الموافقة
عليه؟ توكلني على الله ثم على تقاريري التي وافيتك بها
وواقفي.. فقد اتبعت في البحث عن معلومات عنه بكل وسيلة
تقليدية من أصدقاء وجيران وزملاء عمل.. ماذا تريدون أكثر
من ذلك؟))

الحقيقة هي موافقة فعلا وقد شعرت أنها معجبة به وكم تبدو
هي الآن بلهاء لتصير معجبة به حتى بدون أن تتعامل معه..

لم تجلس منفردة معه إلا لدقيقة واحدة وكان خلالها متجهما
بشكل فعلي وينظر لها من أعلاها لأسفلها نظرة تقييم رجولية
بحثة..

فضلا عن نظراته الباردة القاسية كقسوة الجليد التي كان
يرشقها إياها كلما وضعت عينها في عينيه..

أجابته رانسي بنبرة ساخرة تخفي حقيقة مشاعرها

((الأمر ليس كذلك.. تردي سببه أنني اشعر بأنني لا أعجبه..
هو فعلا لم يحاول إخفاء عدم إعجابه بي.. وقال أمامي أكثر من
مرة بلا خجل أنه لا يرغب بالزواج أبدا لولا الضغط الذي
يتعرض له من قبل عائلته))

سألها ضياء باستغراب

((إذا كان رافضا لفكرة الزواج.. فلماذا أخته مصرة لكل هذا الحد على تجميل صفاته أمامه ومدحه وحثك على الموافقة عليه؟))

هزت رانسي كتفيتها لتقول ساخرة

((لا أدري.. لكن ربما بدافع توطيد علاقة الصداقة بيننا إلى صلة رحم بيننا؟))

رفع ضياء حاجبيه هدرا بصراحة

((اعتبري أذن امتداح أخته له كفيلا بأن يخمد مخاوفك من جوانب لا تبدو ظاهرة لك عنه.. ومهما يكن ذلك الخاطب سيئا فلن يكون بمقدار سوء أخي.. فواقعي عليه بدون أي تردد))

زمت رانسي شفيتها من ذكر ضياء لموضوع زواجها السابق من أخيه..

فما تزال تفاصيل زواجها البائس القصير السابق حتى اللحظة جاثما فوق رأسها..

فهي كانت ومنذ صغرها محجور عليها لابن عمها شقيق ضياء الأكبر بأمر من والديهما على الرغم من سوء سلوكياته..

وبعد أن انتظرت له لسنوات طويلة ليكون نفسه ويتزوجا لم تمكث معه سوى بضعة أشهر ثم طلب منها أن ينفصلا ودون أن يبدي أي سبب لها إلا أنه لا يحبها والده هو من أجبره على الزواج منها..

وعندما حاول أبيها الاستفسار منها لم تجد ما تقوله..

وبعد مدة اتصل والدها به وطلب منه أن يحضر لأخذها إلا أنه رفض وقال إنه يعتزم الطلاق..

فاتفق مع ابن أخيه أن يدفع له مبلغا من المال ليمسك عن الطلاق ويتركها معلقة كي لا يعيّرهُ الناس بأن ابنته مطلقة فوافق..

نعم.. والدها ذو المؤهل العلمي المرتفع والذي يعمل في المحاماة ويقوم على القضايا التي تشبه قضاياها ويترافع لها رفض طلاقها..

فتزوج ابن عمها من أخرى واستقر في حياته وهي بقيت معلقة كما أراد والدها ولم تجد أمامها إلا أن ترضخ..

صحيح أنها ثارت فيما بعد ولم تترك أحدا من الأصدقاء والجيران والأقارب إلا وطلبت منه أن يتوسط لوالدها ليقبل بطلاقها فضلا عن طلبها من بعض الشيوخ أن يجادلوا ابن عمها ليطلقها هو بنفسه..

إلا أن أباه رفض تغيير رأيه وتمسك به..

كما رفض ابن عمها هو الآخر منحها الطلاق بسبب المبلغ الذي كان يدفعه والدها له بشكل مستمر..

وبالنهاية لم تحصل على طلاقها إلا بعد وفات والدها بعد خمس سنوات لقاء زوج لم يستمر لأشهر..

تطلعت رانسي لضياء هادرة بتنهدي

((لا أدري.. الزواج ليس بهذه البساطة.. ومهما بدا رجلا رائعا لكن هناك..))

وقف ضياء من مكانه قائلا بامتعاظ

((لا تعقدي من المسألة يا رانسي.. هل تظنين أنك ما زلت صغيرة؟ هل نسيت عمرك الحالي؟ تشبثي به ولا تحاولي تركه.. انه فارس أحلامك ومواصفاته أكثر مما قد تحلم به امرأة بعمرك ووضعك..))

ثم استرسل كلامه بصوت مبجوح

((إن ما قام به والدك ظلم عظيم لك وباطل لا يقره دين ولا
يرضى عنه ضمير وكان به ضررا لك))

ضيق ضياء عينيه وهو يسألها بتأن مردفا وبفضول

((هل تشعرين أنك تكرهين أبيك رحمه الله؟ هل تدعين له حتى
بالرحمة؟))

تجمدت ملامح رانسى بصدمة فجأة عند سؤال ضياء المباغت..

تشتت نظرها وهي تقول عقب أن ابتلعت غصة

((ما الذي تقوله؟ وهل هناك فتاة قد تكره أبيها؟ بالطبع أدعو له
كل يوم بالرحمة والمغفرة.. هل والدتك هي من تقول هذا الكلام
عني؟))

هزّ ضياء كتفيه يقول ببساطة

((لا.. اقصد نعم.. أمي دائما ما تقول عنك كلاما مشابها.. لكن
أنت فعلا لم تستطعي إخفاء الراحة والسعادة التي شعرتي بها
عند وفاته.. اقصد..))

نعم هو محق.. فوالدها هو من جعل بقاءه على قيد الحياة
مرتبطا بالضرر والحرر والعنت والمشقة والقهر والإذلال لها..

لذا ورغما عنها ورغم فاجعته بفقدانه..

تنفست الصعداء راحة لأنها ستحصل على حريتها أخيرا..

شمخت رانسى بذقنها وهي تقاطع كلام ضياء وترد عليه

((توقف يا ضياء عن حديثك هذا.. ما هذا الاتهام البشع! كيف
يمكن لفتاة أن تكره والدها وتتمنى موته فقط لأجل أن تحصل

على الطلاق؟ ألا يكفي أنه كتب معظم ثروته باسمي أنا
وشقيقتي قبل موته بأيام؟))

أمال ضياء رأسه جانبا قائلا وهو يتصنع التفكير وهو يردد
بنظرات سارحة بعيدا عنها وهو يعدد على أنامله بتهكم

((أوه صحيح تلك الثروة.. هي من جعلت من أمي تظهر أتها
تكن محبة ومودة كبيرتين لك بشكل مفاجئ يجعلها تزن فوق
راس أبي بشكل جنوني ليطلب منك العيش بالدور العلوي
لبنائتنا.. وجعلت من أبي يطرد ابنه البكر من المنزل لأنه فرط
بدرة نفيسة مثلك وحتى تشعرني بالراحة بالسكن هنا.. وجعل
مني أنفذ أوامرك كجرو مطيع.. ولو عرف الجيران والأقارب
والأصدقاء بما كتبه والدك لك ولشقيقتك بعد موته من أموال
وممتلكات لتهافت الخطاب حتى على أختك المتزوجة))

عقدت رانسي حاجبيها وهي تبتسم بخفة على كلام ضياء..

تعرف أن عائلة عمها طيبون.. فرغم انهم يظهرون لها أن
سبب اهتمامهم بها هو ما ورثته من والدها..

إلا أنه لو كان هذا الكلام صحيح لحاول عمها أن يضغط عليها
لتتنازل عن أملاكها أو جزء منها لهم..

أو لكان وضع عراقيل لها حتى لا تتزوج من آخر وتنجب منه
فيذهب ما تملكه لغيره..

رن هاتف رانسي لتقول بحق مصطنع وهي تعود لفتح باب
منزلهم لطرد ضياء

((اخرس يا ضياء واخرج من بيتي.. سأعطيك مكافئتك فيما
بعد))

أغلقت رانسي الباب خلف ضياء وهي ترفع الهاتف قائلة
بحلاوة بسمتها

((نعم جالا حبيبتي.. كيف حالك؟))

بقت الاثنتين تتحدثان لدقائق حتى عم الصمت بينهما..

لم تتحدث جالا وقد استشعرت بوجود ما ترغب رانسي بالسؤال به..

فأثرت أن تمنحها الوقت لتستجمع شجاعته وتسألها لتقول رانسي أخيرا بكلماتها المتشتمة

((جالا.. بالنسبة لراجي.. جالا.. لا أدري.. أنا حقا ضائعة.. أنا معجبة به بشكل مبدئي.. لكن أشعر بأني لا أعجبه.. وأيضا فكرة الزواج كلها.. أحيانا اشعر باني أريد أن أكررها.. وأحيانا أقول إنني لست مقتنعة بالزواج مجددا.. اشعر بالخوف ورعب من تكرار عدم نجاح تجربتي الأولى..))

سألته جالا بإحباط وطلع

((لا.. لا تقولي الآن أنك تريد التراجع.. ألم تقولي إنك موافقة؟ هل أنت بحاجة إلى إقناع من أكثر من هذا؟))

تنهدت رانسي ثم قالت لها عاقدة الحاجبين

((لا أرجوك توقي عن الإشادة به أكثر.. كل كلامك وتصورك هذا لأخيك هو ما جعلني احبه رغما عني.. لكن ما تزال هناك مخاوف لدي.. ومدة الخطبة هذه قصيرة وانا أتمنى فعلا لو نأخذ وقتا أطول لتتعرف على بعضنا أكثر))

لم ترق لجالا فكرة إطالة فترة الخطبة..

فإذا كان الآن يستطيعون الضغط على راجي للترج منها فبعد مدة لن يستطيعوا الاستمرار بالضغط عليه..

فقالت جالا متذمرة لها

((يمكنك التعرف عليه بقدر ما تشائين بعد الزواج لكن عليكما عقد القران والزواج سريعا.. لا ماذا تفعل؟))

بترت جالا كلماتها شاهقة عندما كان راجي قد أخذ الهاتف
عنوة من يدها وبخطوات سريعة إلى خارج حجرة جالا..

قرب راجي الهاتف من أذنه ليقول بصوت حمل غضب متقد

((مرحبا رانسي))

وصله صوتها متلثم

((راجـ.. راجي؟))

أكد عليها بنفس النبرة

((نعم راجي..))

ارتبكت قليلا.. لكنها عادت تقول بتلثم

((مرحب.. مرحبا.. كيف حالك؟))

دلف راجي لحجرة نومه وأغلق الباب خلفه ثم قال بنبرة هادئة
وباردة

((باختصار وبدون أي تجميل لكلامي.. أنت لا تعجبيني..
قبولي الذهاب مع عائلتي للخطبة والجلوس معك منفردا للتحدث
كان فقط بسبب ضغطهم علي.. لكن بشكل عام أنا لست موافق
على الزواج منك.. حاولت إظهار الرفض على وجهي ليأتي
الرفض منك.. لكن على ما يبدو أنك لن تفهمي تلميحاتي بدون
أن أقول لك صراحة))

أنهى راجي كلامه بانفعال ليعم الصمت بينهما.. لدقائق..

بدا الصمت بينهما محرجا لتقطعه رانسي بسؤال خرج منها
بنبرة خافتة من فرط الإحراج والذل الذي كانت تشعر به بهذه
اللحظة بعد الكلام الذي وجهه لها

((لماذا أنت رافض الزواج مني؟))

تنهد راجي بعمق قبل هدره بتلكؤ وفضاظة

((الأمر ليس أي ارفض الزواج منك تحديدا.. لكن أنا لا أريد
الزواج أبدا.. أريد أن أبقى عازبا لنهاية عمري.. وأريد منك
أنت أن ترفضني الزواج مني وبشكل صريح وواضح أمام أمي
وجالا))

سألته باختناق عقب أن ابتلعت غصة

((هل لازلت تحب زوجتك السابقة؟ أو هل.. اقصد.. هل لك أي
نية بأن تعودا؟ لأن جالا قالت لي أنكما انفصلتما بتراض وهي
مقبلة على زواج آخر وسافرت خارج البلاد.. إذا كنت لا تزال
تحبه أو تريد العودة لها فحينها بالتأكيد سيختلف كل شيء
وسأتراجع))

أغمض راجي عينيه للحظات وعقله يسافر بعيدا..

سارا؟ هل لا يزال يحبها؟

سؤال للمرة الألف يتم سؤاله إياه من قبل نفسه أو من قبل
شخص آخر..

والإجابة التي توصل إليها بما لا يقبل الشك هي.. لا..

لا لم يعد يحبها.. بل وغالبا حينها السابق كان حبا وهميا..

لأنه لم يستند إلى مبادئ ولا سلوكيات الحب الحقيقي..

كان مجرد حب مستمد من القصص والأحلام جعله يرى بسارا
المرأة المثاليّة له بالرغم من كل عيوبها الواضحة له..

فبيذل قصارى جهده لإضفاء السعادة لها ومنحها العاطفة
والاهتمام والتركيز والمشاركة..

حد أنه ظن بأن حياته الزوجية معها ستصبح أسطورة عشق..

كان آنذاك محبا يرى حياته بإحساس العاشق المغرم ويسيطر
عليه وهم الحب ويتخيل نفسه بأنه لن يستطيع الحياة من دون
قلب ودرب من ظن أنه أحبها..

كان لا يرى أو يسمع في الوجود إلا كل ما هو جذاب وحالم
ورقيق ولا يريد أن يعيش بالمنطق..

لأنه يعيش في دنيا أخرى كلها أحلام وآمال يعيشها بمشاعر
ملتهبة وأحاسيس ساخنة..

ظن بأن هذا الحب الذي يكنه لها ستفتح أمامه كل الأبواب
المغلقة وستحل كل المشاكل التي سيواجهها معها..

لقد نظر للزواج من سارا غاية لا وسيلة..

وكان زواجهما بهذه الصورة قائم على الانبهار بجمال
والانجذاب بمشاعر مرهفة..

واندفاع تقوده الرغبة..

قبل أن تأتي الصدمة بعد زواجهما الثاني بأشهر..

فحين ظن أنه قد حصل على ضمان معتمد للسعادة..

لم تمض إلا أشهر حتى انطفئت جذوة الحب وأخذ منحى آخر
نتيجة واقع الحياة وتراجع العاطفة لتحل محلها العادة..

نعم.. فقط عندما أصبح زواجهما علنيا أمام عائلتيهما وبلا أي
عقبات أمامهما تلاشت الלהفة والشوق بينهما..

وبعد أن بات يراها كل يوم على عكس ما حدث بزواجهما
الأول حيث كان يحتاج لأطنان من الحجج المقنعة لعائلته لينام
بمنزلها..

اختفى الغموض الذي كان يحيط بعلاقتهم ويمنحها نبضها..

وبدأت بعدها عملية الاكتشاف الحقيقي لشخصيتها وميولها
وعاداتها الشخصية الغير قابلة للتغيير..

ففقد أي رغبة بداخله في إرضائها..

قبل أن يحدث بينهما الانفصال النفسي ويموت ذاك الحب
الوهمي..

بعد طلاقهما أدرك أن مشاعر الحب بينهما بسنين فراقهما لم
تكن إلا أوهام عاش فيها بسبب بُعد سارا عنه لسنوات..

عاد لحاضره ليجيب رانسي التي كانت معه على الخط بثبات

((لا.. لم اعد أحبها.. ولا نية لي بأن أرجع لها أبدا.. ونعم ربما
تكون الآن متزوجة.. ولكن لا يهمني أي شيء متعلق بها.. بل
بأي امرأة أخرى.. لأنني وباختصار فقدت آخر ذرة اهتمام تجاه
كلمة أنثى))

وصله صوتها قائلة بثقة ظهر افتعالها واصطناعها من اهتزاز
نبرتها

((ممتاز.. بما أنك لا ترفضني تحديدا.. ولا رغبة لك بالرجوع
لزوجتك وقد مضى على طلاقكما أكثر من سنة ولا يوجد بقلبك
أي حب تجاه أي امرأة ولا ترغب بالزواج من امرأة معينة..
فلا أرى أي مانع من زواجنا بكل صراحة))

اتسعت عينا راجي بذهول ليقول بصوت محتد النبرات

((هل أنت قليلة الاستيعاب؟ قلت لك أني لا أرغيك ولا أريد الزواج منك أو من غيرك.. هل الزواج يأتي بالإجبار؟))

زفرت رانسي أنفاسها بعمق لتجيب بتذبذب

((ليس كأنني سأجبرك على الزواج مني.. فعائلتك خطبتني يعلمك التام.. أنت بنفسك جئت معهم من أجل أن جلسة التعرف.. وبيوم عقد قراننا إذا ما جئت وقلت أمام المأذون أنك موافق فأنا لن أقول لا))

صرخ راجي بها بحدة انفعاليه

((ألا تفهمين؟ قلت لك بأني أتعرض لضغط شديد منهم لأتزوج منك.. ومن أول موقف بيننا حاولت أن أبين رفضي لك.. هل لديك مشكلة في إدراك هذا؟ قل لي وحسب أنك رافضة الزواج مني ولننهي كل شيء قبل أن يبدأ))

رفرفت رانسي بعينيهما وهي تزدرد ريقها بتوتر قبل أن تهدر

((أنا لن أقول إنني أرفض الزواج منك لأنني لا أرفضه في الحقيقة.. بل أريد الزواج منك.. إذا كنت أنت لا تريد الزواج فببساطة قل هذا الكلام لوالدتك.. أنت رجل ولن يستطيع أحد إجبارك.. لو كنت فعلا لا تريد الزواج فقل ذلك صراحة لعائلتك.. لكن أنا لن أقول إنني رافضة))

جز راجي على أسنانه غضبا وهو يغمض عينيه من تحديها
السافر له..

هل سابق وقابل امرأة تتمتع بقلة الكرامة التي تتمتع فيها؟

لكن وعلى ما يبدو يجب أن يوصل مرحلة من المراحل يموت فيها شعور الاستغراب عنده..

ويصبح كل شيء يصدر من النساء أمر متوقع وأقل من عادي له..

قال بفحيح صوته وبغضب

((أقول لك يا رانسي لأخر مرة أنني لا أريد الزواج منك))

عادت تردد على مسامعها

((إذا كنت لا تريد الزواج مني فقل ببساطة هذا الكلام أمام
عائلتك ودع الرفض يأتي منك.. لأنه لن يأتي مني.. لأنني لا
ارفض الزواج منك.. ومستعدة من الآن الذهاب لعقد قراننا
بالموعد الذي تم الموافقة عليه))

بجنون اشتعلت عينا راجي وهو يستعيد بذاكرته مشاهد مشوشة
في ذهنه له ولسارا..

وكيف تزوجا بالحيلة التي قامت بها لتقنعه بالزواج..

تقبضت يده بتوتر شديد وهو يقول بحدة أشد

((حسنا يا رانسي كما تريدين.. لن يتغير شيء في موعد عقد
قراننا.. وأبقي مستعدة كما أنتِ وأتم الاستعداد لهذا اليوم وما
بعده))

سألته بارتباك وقد تقطب جبينها

((م.. ماذا تقصد؟ هل تراجع عن رفضك؟))

قال راجي بنبرة مبجوحة من انفعال يشتعل بداخله

((لا لم أراجع عن رفضي.. لكن لن افعل أي شيء لإلغاء عقد
قراننا.. اعرف كيف اسعد عائلتي بإكمال زواجنا.. وبنفس
الوقت أسعد نفسي))

كلماته الأخيرة كانت متسترة بالغموض الكامل لتتساءل بتوتر

((ماذا؟ لم.. لم افهم))

لكنه لم يجب وقد اغلق خط الهاتف في وجهها..

لوهلة ارتجفت وهي تضع الهاتف جانبا..

ثم جلست على أقرب مقعد وهي تنتظر أمامها بحزنٍ وبؤسٍ
كبيران..

ثم تساءلت بأسى ماذا عليها أن تفعل؟

لم يتم عقد القران بينهما بعد وها هي ورقة طلاقها منه تلوح
أمام عينيها..

هل عليها إكمال زواجها من رجل كاره لها أم توقفه الآن قبل
أن تتورط أكثر؟

ولماذا يوجد بداخلها وليسبب لا تفهمه ما يحثها على إكمال
زواجها منه؟

لأنها فعلا ستكمل زواجه منه طالما لم يأتي الرفض منه على
شكل كلمة صريحة..

تتهددت بإنهاك..

ليست من عاداتها الإقدام على شيء مجهول وغير مضمون
النتائج..

لكن ولأول مرة شعرت بأنها لن تخسر شيئا لو تزوجته حتى
ولو انتهى الأمر بينهما بالطلاق بالنهاية..

=====
=====

استلقى مراد على ظهره يحدق بالسقف في حركة يفعلها عندما
يريد التهدة من نفسه كلما عاد يتذكر الواقع الذي يعيشه الآن..

ورغم أنه كان مستلقي على سريريه لا يفعل أي مجهود يُذكر إلا
أن عقله مزدحم..

مزدحم بالكثير من الذكريات.. بالتفاصيل.. بالتناقضات..

منذ أن ذلك اليوم الذي خرجت فيه جالا وهو لا يشعر إلا في
كمية الإنهاك الذي يرتاح في دماغه..

ورغم صمته الظاهري إلا أن ضجيجيه من الداخل يكاد يبتلع..

ولا يبدو أن معركة قلبه وعقله ستنتهي..

لم تمر عليه لحظة فقد فيها حبه لها..

كل ما في الأمر أنه استطاع بسنوات حياتهما الأخيرة التحكم
بمشاعره وتصرفاته..

واستطاع أن يبين لها أنه يمكنه التخلي عنها حتى تشعر فقط
بجدية كلامه وتطيعه ولا تعانده وتتحمل عائلته وظروفه معه أو
ببساطة سيتركها..

خاصةً بعد تأكده من مشاعرها تجاهه وبعد أن صار لهما
ابنتان..

لكن عودة كوابيسها وأحلامها المتعلقة بكارم..

الموقف الأخير الذي حدث بينهما وطلاقهما..

ذلك الطلاق الذي علقه بالتهديد.. لا يزال يصدق أنه حدث..

قال ما قال لها من باب ردعها عن الخروج ومن باب التخويف
لو خرجت..

=====
=====

تركت سهر شعرها الطويل حراً مسترسلاً على طبيعته الناعمة
وهي ترتاح على ظهر الأريكة..

ابتسمت سهر بعد مدة بابتسامتها الجذابة التي تخطف أنفاس
لروعة التي تجلس مقابلها ولم تتوقف عن الحديث من نصف
ساعة كاملة عن مقدار سوئها كإنسانة..

وعندما انتهت روعة من كلامها همهمت سهر بخفوت وتفكير
متهمك ثم قالت متسائلة بفضول مصطنع

((لا افهم إلى الآن لم استدعيتني؟ لتعددي لي مساوئي؟ فقط؟))

بنير غليظة قاسية قالت روعة

((لا بل لأقول لك وبشكل صريح أنني لم أكن ارفض زواجك
من مراد قبل سنوات ماضية وحسب.. بل إلى الآن أرفضه..
وكل محاولاتي السابقة مؤخرا مع أمك لتزويجك من مراد بعد
أن يطلق زوجته لم تكن جادة بل لم أكن وقت الجد لأسمح له أن
يتزوجك.. كنت فقط أحاول أن أغير مشاعر ابني نحو زوجته..
أو تلك التي كانت زوجته وأعاقبها على تمرداها وانعدام تربيته
في التعامل معي.. وحتى تعرف أن مراد يمكن بأي لحظة أن
يُسلب منها بأمرى))

سالت سهر بابتسامة وهي تتلاعب بخصلات شعرها

((حسنا.. ولكن لا زلت لا افهم سبب دعوتك لي وما قلتيه لي
الآن))

أجابتها روعة وهي ترشقها بنظرات مستاءة لا تصدق أنها فعلا
تقول ما تقوله

((دعوتك هنا لأنني غيرت رأيي بعد أن طلق مراد زوجته فعلا
وبعد أن ظننت حدوث أمر كهذا مستحيل.. لذا أردت أن يكون
لك علم بأني حتى مع رفضي السابق والشديد لك إلا أن
سأعطيك فرصة واسمح لك بالزواج من مراد.. ليس من

أجلك.. بل لأعذب تلك الحقيرة.. لقد اختارت الطلاق وخرجت
من البيت بلا أية ذرة اهتمام لما سيحدث مسببة الحزن لأبني..
أريد أن أعاقبها على ما فعلته عقابا قاسيا سيبقى مرافقا لها
لآخر العمر عندما تخسر مراد للأبد))

لم تهتز عضلة واحدة في وجه سهر وهي تنتظر لروعة
ونظراتها الشاردة الممتلئة بالكره لتقول ببرود وبوجه مبهم

((تريدين أن تعطي فرصة ثانية لي؟ إذن من الآن أخبرك أن
تبحثي عن عروس بديلة له عندما اهرب من زواجنا في المرة
الثانية))

صرخت روعة تزجرها وقد عادت لها ذكريات ذلك اليوم
المخزي بما فعلته سهر بهم عند هربها

((سه—————ر.. اخوسي ولا تعيدي ذكر ذلك
الموقف الذي عرضتتنا له))

رفعت سهر إحدى حاجبيها لتقول تهكم

((لا أظن أن موقف هربي من حفل الزفاف المكم أو جعلكم
تشعرون بخزي كاف وإلا لما طلبتي مني مرة أخرى الزواج
من ابني))

نهرتها روعة بغل

((كيف تتحدثين عن مسألة هروبك من الزفاف السابقة وكأنه
امر عادي؟ أينها المفلته هروبك من الزفاف تسبب بأذى كبير
لك ولعائلتك يفوق أضعاف ما تسببت به لمراد.. هل تظنين أن
الزواج لعبة؟ لو كنت تريدين إغائه لكان عليك طلب هذا وبكل
صراحة أمامنا بدلا من الهرب خاصة وأن الوقت كان ما يزال
سانحا لك أنداك))

صمت سهر للحظات ثم قالت بهدوء وجدية

((بتلك الأيام كنت امر بوقت عصيب جعل عقلي وأفكار
تتشوش.. كنت قد خرجت وللتو من خطبة رجل لا يعرف إلا
شرب الخمر والملاهي الليلية.. فلم أجد أفضل من مراد لأختاره
من بين جميع رجال الذين تقدموا لخطبتي لكونه كان شابا متدينا
وهادئا وعلى عكس صفات خطيبي السابق تماما.. لكن ما إن
توازنت أمور وخرجت من الفترة العصبية التي امر فيها حتى
عرفت أن مراد لا يصلح كزوج لي.. فهو هادئ وحياته مملة
في هذه القرية بدرجة أكبر من أن أتحملها.. ومعرفتي هذه
جاءت بوقت متأخر وبعد أن تم تجهيز كل الترتيبات وتم دعوة
كل المعارف.. لم يكن أمر الإلغاء كل شيء سهل.. لم أجد
الشجاعة للمواجهة فقررت أن اهرب.. قراري كان جباناً ولكن
هذا ما حدث))

جحظت عينا روعة من كلمات سهر المستهتره لكن ليس بقدر
معرفتها أن سهر كانت مخطوبة قبل زواجها من مراد قبل أكثر
من عقد مضى..

تمالكت روعة نفسها وأفاقت من صدمتها تسألها متلعثمة وهي
ترفع راحة يدها لصدرها

((هل.. هل كنتي مخطوبة قبل أن نخطبك لمراد في الماضي؟))

هزت سهر رأسها هزات استفرت روعة وهي تسمعها تقول
ببساطة

((نعم وأقمنا حفلة خطوبة كبيرة ولكن في الخارج حيث نسكن
نحن وعائلة خطيبي السابق.. ولكن لم يكن هناك أي عقد قران
وطلبت عائلتي مني أن أخفي الأمر عنكم حتى لا يؤثر على
قراركم بطلب يدي لمراد))

ضربت روعة بكفها المنضدة بجانبها وهي تشتم من بين أسنانها
مغمضة عينيها..

ثم تمتم مخفضة رأسها بعينين متوعدين

((تمارا تلك اللعينة.. لا أصدق كيف استطاعت هي والدك
خدعانا وإخفاء تلك الخطوبة عنا قبل أكثر من عشر سنوات..))

لكنها تماكنت نفسه وهي ترفع رأسها وتقول بغضب مكتوم

((لا.. لا باس.. لا باس.. كانت مجرد خطوبة وبدون عقد
قران.. ثم أنت ما تزالين للآن عزباء وابني سبق وتزوج وله
ابنتان لذا سأمرر أمر خطوبتك تلك وندفنها في طيات
الماضي.. ولن أخبرك أحد أنك سبق وكنتي مخطوبة))

أخذت روعة نفسا عميقا تحاول المحافظة على أعصابها
بصعوبة ثم أضافت

((لنعود لموضوعنا الحالي.. أنتِ كبرتي ونضجتِ يا سهر ولم
تعودي تلك الفتاة الفاسدة الصغيرة.. إياك أن تفكري بالهرب من
حفل الزفاف أو القيام بأي تصرف قد يضر باسم والدك الذي
عاش عمره يصنع هذا الاسم ويحافظ عليه مجددا.. لا تكوني
سببا للمساس به أو جعله مضغة تلوكها الألسن..))

قاطعتها سهر باستغراب

((أي حفل زفاف؟))

هدرت روعة بها بعصية

((حفل زفافك من ابني.. قلت بأنني سأوافق أن أزوجك إياه
بالرغم من كل ما فعلتيه ولكن لا تحاولي الهرب))

اتسعت عينا سهر بغباء.. ألم تسمع تلك المرأة أمامها ماذا قالت
قبل قليل؟

زفرت سهر بحنق ثم قالت بضيق نجحت روعة بإخراجه منها

((ولكني لا أريد.. أنتِ حماة متسلطة من قد يود بأن يتزوج من
رجل له أمك مثلك))

هتفت بها روعة بغيض

((أيتها الغبية.. عليك أن تكوني ممتنة أني موافقة على زواجك
منه))

فتحت سهر كفها تسألها بحق

((ولماذا علي أن أكون ممتنة إذا كنت لا أريد الزواج من أبنك؟
بل لماذا تريدني مني تحديدا أن أتزوجه؟ ستجدين غيري
كثيرات وبسيطات تقبلن به))

أجابتها روعة بامتعاض

((لأعاقب زوجته.. اقصد طليقته الحقيرة.. لم تقدر أي زوج
تمتلك وفضلت الطلاق بكل بساطة وهدمت بيتها.. أريد أن
اجعلها تدفع الثمن غاليا عندما تفقد مراد للأبد.. وتحزن بنفس
الحزن الذي تسببت به له.. ولن يحدث هذا إلا بزواجه منك..
أريده أن يتزوج من فتاة مستواها مثل مسرتوانا على الأقل..
وسأضحى برغبتني بامتلاك كنة مطيعة على مزاجي ومن
اختياري لأجل أن يتزوجك))

تنهدت سهر لتقول بضجر وسأم

((أنت تعيديني لأول نقطة وهي أني لا أريد الزواج من ابنك..
انه لا يعجبني أبدا))

بغيض قالت روعة من بين أسنانها

((اخرسي انه يعجبك.. إذا كنت أنا المشكلة لرفضك الزواج منه
سأغير وسأحاول أن أكون متساهلة معك..))

هزت سهر رأسها بياس ثم قالت بتعبير محبط

((خالة روعة يا خالة روعة لا أدري ماذا أقول لك.. لكن حسنا
لنقل أني موافقة.. ولكن.. الفارق بالمكان والبيئة التي عشنا بها

لا يُمكن إغفاله.. وهي كافية لإحداث فجوةٍ قد لا تكون صغيرةً
في التفكير والرغبات والميول والآراء والنظرة العامة للأمر
بيننا الاثنتين.. وأخترى بعد سنوات أن اشعر بفارق ربما يُثير في
نفسي نوازع الندم ويوقظ بنفسني مواطن الشجن))

سألته روعة باستغراب وبلاهة

((كيف؟))

تابعته سهر وهي تمط شفقتها

((وأيضاً هناك أمور أخرى عليّ أخذها على عين الاعتبار
بالزواج من رجل مطلق مثل ابنك.. مثلاً عليّ تفهم جيداً علاقته
بزوجته السابقة وابنتيه.. فهل سنزوره بنتيه في بيتنا أم لا؟ وهل
ساكون مجبرة على رعايتهما؟ وهل هناك احتمال لعودة زوجته
له بحجة الحفاظ على بنتهما أم لا حتى ولو أنكرت أنت وهو
رغبته في ذلك الآن ونفيتها بشدة!))

قالت جملتها الأخيرة من بين أسنانها وهي تشد على كل كلمة
كناية عن أهمية هذه النقطة..

أراحت روعة ظهرها للأريكة قائلة بامتعاض

((لا تقلقي.. لقد طلقها ولن يعود لها.. ولن يسكن بنتيه معكم..
ولو تخلت أمهما عنهما فسأخذهما أنا وأربيهما))

هزت سهر رأسها متابعة

((حسناً.. وبحالة وافقت أيضاً يجب عليّ التأكد من مقدار
مدخوله الشهري بالضبط.. لأنه يلفت انتباهي أنه كأب له
التزامات قد لا أدرك حجمها الآن.. ولكنها ستكون أكبر ابنتيه
لذا عليّ التقصي بكل هذه الأمور وحول إمكانياته الفعلية
(المادية))

شدت روعة على أسنانها ورفعت إحدى حاجبيها تسألها هامسة
بحق شديد

((لماذا تعقدين الأمور؟ ابني غني وله مردود مالي عالي))

قالت سهر ببراءة

((يا سيده روعة من ينظر من داخل الصورة ليس كمن يتأملها
من بعيد.. بالتأكيد هذا على اعتبار موافقة مراد نفسه الزواج
مني بعد أن هربت بليلة زفافنا مع المصور المسؤول عن
تصوير حفل زفافنا))

تجمدت روعة مكانها للحظات بعينين جاحظتين لا تفهم كلام
سهر..

ازدردت ريقها ثم سألتها بتأني بوابل أسئلة

((ماذا؟ هربت؟ مع من؟ هل كان هذا سبب هروبك الرئيسي؟))

هزت سهر رأسها تؤكد أسئلتها ثم قالت ببرود مستفز

((نعم المصور.. كان واحدا من الأسباب التي دفعتني للهرب..
لقد طلبت منه أن نهرب وقت حفل خطوبتي من مراد ولكنه
رفض.. لكن استطعت إقناعه بالهرب معي يوم الزفاف..
والحق يقال بأنه لو لم يقتنع بالهرب معي لما تجرأت عند هربي
ترك تلك الملحوظة الجريئة لمراد))

بقهر قالت لها روعة

((أيتها الحقيرة.. هل يعرف والديك أي ابنة فاسدة قد أنجبوا؟))

ابتسمت سهر وهي تقول لها بنفس البرود

((نعم يعرفون.. وبكل شيء.. ولولا ما فعلته والدي من ابتزاز
للشباب الذي هربت من معه وتهديده ليتركني لربما كنت

متزوجة منه لأن ولنا طفل أو طفلين.. فقد قررنا الزواج
بمجرد أن نهرب سويا))

مطت سهر شفتيها تسألها باستخفاف مردفه

((لماذا تبدين مصدومة؟ ألم يخبركم مراد بكل هذه التفاصيل؟
الحقيقة لا ألومه لإخفاء كل تلك الأمور بعد هربي.. فرجولته
كانت لتتلاشى حرفيا عندما يعرف المدعوون سبب هرب
عروسه))

أغمضت روعة عينيها وهي ترفع يديها لرأسها لتحيطه قائلة
بألم

((أه يا راسي))

لكن سهر أضافت تعذبتها بالمزيد

((أنا أشبه مراد بشيء واحد.. حياتنا العاطفية الفاشلة.. فقد
عشت بحياتي هذه الكثير من المواعيد والخطوات وتخطيطات
زواج فاشلة جدا.. جدا.. لدرجة أنني وافقت على العودة لخطيبي
السابق السكرجي الذي خطبته قبل مراد من وراء ظهر والدي
بعد أن أقتعني انه توقف منذ سنوات عن الخمر.. ببداية علاقتنا
قضينا وقتا لطيفا.. حتى جاء اليوم الذي اتفقنا فيه أن يسافر
لنفس البلد الذي كنت سأسافر إليه سياحة مع والدي وولنتقي
هناك.. وفعلنا هذا بالفعل والتقيت به.. وخرجنا سويا لبعض
المواعيد.. حتى رأى بأخر مواعيدنا احدى الباربات أمامه..
وكالكلب الم غيب سار لداخلها.. وطلب تزويده بمشروبات
كحولية.. كان يخلط كأس الكحول بمشروبات أخرى قوية..
حاولت ثنيه عن شرب المزيد لكنه لم يهتم لكلامي))

هدرت بها روعة وهي تكاد تجن

((يكفي.. توقي.. توقي عن الحديث واغربي عن وجهي.. لا
أتشرف بفتاة مقلك أن تتواجد في بيتي.. هل هذه الفتاة الصالحة
التي كان سيزوجها محمد لابننا الوحيد؟))

لكن سهر أبت أن تسكت إلا بعد أن تكمل قصت موعدها الأخير
للنهاية بانفعال

((لكن هل تعرفين أسوء ما حدث؟ أنه هو من أقلني للفندق الذي
كنت أقيم به مع والدي.. وقيادته كانت أكبر كابوس أعيشه بكل
حياتي.. كانت السيارة تتمايل يمينا وشمالاً.. ارتطمنا أثناء
قيادته بالرصيف مرة.. وبالجدار مرتين.. واصطدمنا في
شجرة.. ودهسنا قطة بكل وحشية.. وكذل أن نقتل عجوزا تسير
بكرسيها المتحرك))

فغرت روعة شفتيها مفجوعة قم تمتمت

((يا إله السماوات.. انه مجنون! بل هو مختل مثلك بالضبط))

هدرت سهر بتأكيد وهي ما تزال تحمل نفس الانفعال على
وجهها

((هذا بالضبط ما قلته له عندما وصلنا للفندق ونحن على قيد
الحياة بدون أي إصابات جسمية قاتلة.. لكن كان رده علي أن
أفرغ كل ما بجوفه على ملابسي..))

بتوسل وصوت خافت قالت روعة وهي تغمض عينيها وترفع
كفيها لرأسها الذي يكاد ينفجر من الفجر الذي يستمع له الآن

((سهر أرجوك.. غادري.. غادري ولا ترينني وجهك.. أتوسل
إليك))

رحمتها أخيرا سهر وهي تقوم من مكانها وترتدي حقيبتها
تستعد للمغادرة قائلة

((حسنا.. إلى اللقاء.. سأفكر طبعًا وبشكل جيد بعرض الزواج
الذي عرضتيه عليّ.. ولكن لن أعدك بموافقتي))

=====
=====

في اليوم التالي.. صباحا..

لا يدري مراد متى نام بالأمس ومتى استيقظ ليضل هكذا فوق
الفرّاش يطالع السقف بعينيه الشاردتين المتألمتين..

يشعر وكأنه لا يستطيع الاستمرار بالعيش بدونها ولا حتى النوم
في الليل من بعدها عنه..

يفكر دائما أين هي وماذا تفعل بهذا الوقت..

يفكر فيها بقوة وبينتية رغم تواصله المستمر معهما..

تذكر مرة عندما كانا في سفرة استجمام هو مرض بعد إصابته
بإعياء مفاجئ..

وهي لم تتم إلى حد أنه استيقظ فجأة في الليل ووجدها تجلس
فوق رأسه ترمقه بنظراتها وتبكي وهي تقيس حرارته..

أفاق مراد من شروده البائس بذكرياته القديمة على صوت
هاتفه المزعج..

جذبه من المنضدة الصغيرة المجاورة للسرير ليجيب على
المتصل الذي لم يكثرث ليرى اسمه وهو يتوقع أن يكون أحد
زملاء عمله..

أغلق مراد الهاتف بعد أن أنهى مكالمته الذي طلب زميله فيها
على الإسراع بالمجيء وعدم التأخر مجددا..

أخذ مراد حمامه الصباحي السريع ثم فتح باب دولاب ملابسه..

تحركت عيناه وهو يخرج قميصه لملايس جالا في الجهة
الأخرى من الدولاب فتنهد بإنهاك..

كل شيء يذكره فيها في هذه الشقة وإلى أيامهما السعيدة
السابقة..

يشعر أن أرجاء الشقة تعم بطيفها وخيالها وحتى بصوتها..

وكأنه افترق عنها منذ سنوات طويلة لا أسابيع قليلة..

لا أحد يتصور مقدار الندم الذي يتجرع مرارته ويشعر فيه
اليوم وهو في عزلته العاطفية بعد أن صفعها..

وعذره كان أن سماعه لهمسها اسم شخص ظن انه لم يعد له
لوجود بحياتها أفقده أي ذرة عقل وعاد به رغا عنه لأيام
زواجهم الأولى والأمها..

شعر بأن كل الجروح التي أصابته في تلك الأيام وكأنها لم ترمم
رغم مرور كل تلك الأعوام..

وكأنه لا يزال هناك سكيناً مغروساً في قلبه لا يقوى نزعه..
وكأنه يعيش في دوامة تنزف معها مشاعره إلى اليوم..

لا يستطيع تصور أن قلبه الذي كان مليئاً بالأحلام أصبح فجأة
مقبرة..

دخل مراد لشقة والديه قبل أن يغادر لعمله ليشاركهم تناول
طعام الفطور..

وسرعان ما أنهو الفطور بينما يعم الصمت البائس المكان قبل
أن تقطعه روعة قائلة بصوت هادئ رغم ملامحها الواجمة
وهي توظب بواقى أرغفة الخبز

((لماذا تجلس وتنام بشفتك فوق يا مراد؟ لا من كانت زوجتك
ولا ابنتيك متواجدتان بالشقة.. انزل أغراضك وعد للسكن معنا
ريثما أبحث لك عن زوجة أخرى))

وقبل أن يُترك لمراد مجالاً للإجابة هتف والده محمد محتدماً
بغضب وتحذير

((فلتجراً يا مراد على أن ترجعها لك بعد ما فعلته.. سأتبرأ منك
وعليك أن تنسى أن لك أب))

شاركته روعة كلامها قائلة باتفاق

((معك حق يا أبا مراد.. فأنا أخشى على ولدك أن يفكر
بإرجاعها بعد أن تركت له البيت مفضلة الطلاق باستخفاف
واستهتار))

صمت محمد قليلاً وهو يرمق ابنه الذي لا زال يتناول الطعام
بشكل طبيعي بنظرة قائمة سوداء ليحرك رأسه نحو زوجته
قائلاً

((ابحثي له يا روعة من الغد على فتاة صغيرة مطيعة وأهم
شيء أن تكون قد تلقت التربية في بيت أبيها وتعرف كيف
تحترم عائلة الزوج))

بالعادة لم يكن مراد ليرد على كلام أبيه أو يعلق..

فلا فائدة من الحديث معه ولا طائل منه عندما يعلن قراراً سيق
واتخذه..

لكنه الآن رفع وجهه له هاتفاً بنبرة منخفضة عقب أن مسح
فاهه بالمنديل منهياً طعامه

((أنا لن أتزوج من أمراه أخرى))

اعتدل مراد واقفاً من مكانه ليصرخ محمد به بغضب

((أيها الأحمق ألم تسمع ماذا قلت قبل قليل؟ أنا لن اسمح لك
بارجاعها))

ظل مراد واقفاً بوجه قائم وعينين لا تتقلبان الخضوع لكلمة
واحدة من كلام والده..

ثم قال له بجفاء واختصار

((بالمناسبة.. أبي أنا أرجعت جالا لذمتي بنفس اللحظة التي
خرجت فيها من البيت))

تغضن جبين محمد مستنكرا لما فعله ابنه كأنه يعامله كطفل لا
يحسن التصرف والاختيار..

فهتف به بغضب وهو يضرب منضدة الطعام بقبضته

((ماذا.. هل أنت مجنون؟ كيف تفعل هذا دون الرجوع لي؟
سنطلقها.. هل تفهم؟))

ضربت روعة بكفها على ساقها بينما تلوح بكفها الآخر بانفعال
وهي تتكلم

((منذ أن تزوجها وابنك عاق لنا.. نسي أن رضا الوالدين
موصى به ومقرون بعبادة الله))

صوب مراد عيناه ذات اللون البندي على والدته وهو يقول لها
بصوت رخيم

((نعم أُمي أوصاني لبركما فيما ينفعكما ولا يضر ويظلم
غيركما.. أما بطلاقي لزوجتي فأول من أضرهما هما ابنتاي))

استنكرت والدته رد عليها وكلامه لتقول

((كيف يمكن أن نكون ظالمين لحفيدتنا؟ هل هناك أحد بالعالم
يكره أحفاده ويريد ظلمهم؟))

لم تتغير تقاسيم مراد بشيء وهو يجيئها بصوت عميق وخفيض

((نعم أمي.. نعم ستكونان كذلك عندما تصران على جعلني افعل ما تريدان وترك امرأتي التي لا يميل قلبي إلا لها.. ستكونان هكذا ظالمان لحفيدتكما ولي أيضا))

تطلع مجد لولده الذي هزل خلال الفترة الماضية وظهر على وجهه تعبير جديد جامد بليد..

فقال زاجرا إياه بصرامة رغم الرجفة في أعماق نبرته القوية بكلام ابنه المتحدي والعدواني

((مراد.. استمع لي))

التفت مراد ينظر لوالده قائلاً بهدوء

((بل استمع لي أنا يا أبي.. أنا لن أتزوج أبدا وألغي هذه الفكرة من بالك أنت وأمي.. لأن هذا القرار عائد لي.. ولي وحدي.. ومن الآن سأعرف كيف اقس وأوازن في حرية اختياراتاتي.. فاختياراتي وحياتي ملكي أرسمها وأخطها كيفما شاء وأنا من سأسأل عنهم بعد موتي.. سأفعل ما أحب ما دام لا يؤدي أحد وليس فيه إثم ولا قطيعة.. وهذا أفضل من أن أندم وأتحسر على عدم فعلي ذلك))

كان الإصرار والعزم على فعل كلامه يشع من عينيه..

فمن الآن وصاعدا لن يضع نفسه في متاهات بحجة رضا الوالدين ويتخلى عن سعادته فتتقلب سلبا على الجميع بلا أي استثناء..

أطلقت روعة شهقة صدمة ثم قالت

((ما هذا الهراء الذي تتحدث به معي؟ هل هكذا ربيت أن تتحدث مع والدك!))

تتهجد مراد ثم قال وقد اتضحت ملامح التعب على وجهه

((أبي.. بغض النظر عن أي شيء.. لكن اختياري رضاكم
على سعادين وحقّي في الاختيار هو ظلم نفسي.. وأنا لا أريد
أن أظلم نفسي أكثر من هذا.. يكفي تعذيب نفسي ولغيري.. الله
رؤفٌ بعباده ولا يرضى لعباده الظلم.. فكيف أظلم نفسي
وابنتاي بسببكم؟))

ابتلعت روعة ريقها بعجز وهي تعقد حاجبها هامسة باسم ابنها
بلا تصديق

((مراد))

قال مراد بقسوةٍ رغم الإجهاد في صوته وهو ينظر بعيني
والدته المصدومتان

((ثم لكنن صرحين لأبعد حد يا أمي.. فمثلا لو تزوجت بأمره
أخرى على ذوقك.. فبالنهاية اليوم عندما يغلق الباب عليّ
معها.. فلن تبقى بجوارِي.. بل سأجد نفسي تحت سقف واحد مع
امراة لم يختارها قلبي ولم أحبها.. سأكون تعيسا ورغما عني
سأجد شقوقا لأتفلت من هذه المرأة.. وسأجد مسووليتها حملاً
عليّ لا حباً وعطاء.. ولم كل هذا؟ فقط لأنك يا أمي تريدني أن
تتخذني قراراً لي في ساعة غضب وحيرة))

نعم.. في الزواج هو وحده من سيكمل الطريق معها ويغلق
الباب والكتاب صفحاته عليهما ثم يولي العالم بعدها وكلّ له
شأن يغيثه وشغلّه..

أظلمت عينا روعة بكره وهي تتمتم له بانزعاج وامتعاض

((ألا تناسبك ولا تشعر بالحب والسعادة إلا مع ابنة سميحة؟
تتحدث وكأنكما متفاهمان من الأساس وهي لا تعذبك بعنادها))

تشبعت ملامح مراد بالمرارة والألم..

نعم لقد كانا متفاهمين في كل شيء وجالا كانت تتقبل منه ما يقوله لها..

وهو أيضا لطالما كان هو طوال السنوات الماضية يثني عليها خيرا ويشاورها في كل كبيرة وصغيرة..

لذا لا يهم أي شيء إلا أن يعود كل شيء كالسابق..

رد على والدته قائلا بصوت فيه بحة

((نعم أمي.. وأنت تعرفين أنني كنت أشعر بأنني أسعد شخص بزواجي منها وكنت أشعر باستقرار روعي معها وكانت حياتنا تقوم على التفاهم والمشاورة بيني وبينها.. لكن تدخل بعض الأطراف هو الذي قلب الموازين))

قال هذا الكلام تحت مسامح كل من والديه وأخر جملة خرجت منه لائمة..

فجالا هي الوحيدة التي يقول له عقله قلبه معًا أنها هي التي يريد لها ويحبها..

لماذا وكيف أحبها؟ لا يدري بكل صدق..

لكن قلبه الذي لم يكن وفي لغيرها وثابت على الرغبة المستمرة بوصولها هي فقط..

فالحب سرٌ إلهي يقذف في القلب وليس له عليه سبيل..

ومن منا يملك قلبه؟

صممت روعة قليلا ثم سألته بحق وامتعاض شديدين من بين أسنانها

((من تقصد بهذه الأطراف يا مراد؟))

رد مراد بجفاء عليها

((لا أقصد أحد يا أمي))

أشاحت روعة بوجهها عنه وهي تقول له بغضب وتغير
الموضوع

((أخبر زوجتك التي تمكث عند أخيها منذ ذلك اليوم أن تجلب
حفيدتي لزيارتي.. فهي لا تتصل علينا وترفض استقبال
مكالماتنا لنطمئن عليهما))

قال مراد لها عقب أن تنهد وهو يخرج مفتاح سيارته

((أمي أنا اتصل على راجي بشكل يومي واطمئن وأحدث مع
البنين وأراهما بعد عملي يوما بعد يوم))

هتفت له روعة غاضبة وهي تراه يغادر المكان

((لماذا إذا لا تجلبهما بعض الوقت لأراهما؟))

قال لها مراد بصوت فاتر

((فيما بعد سأحاول إحضارهما هنا لبعض الوقت))

وقفت روعة من مكانها تصرخ بغل وهي ترى مراد يغادر

((مراد أنت ابني ولا أستطيع كرهك.. لكن بنفس الوقت أراك
عديم الفائدة ولا تستطيع التحكم في زوجتك ولا تعرف كيف
تجعلها تطيعك.. ألا تمون حتى على إحضار بناتك لنا؟))

استدار مراد نصف استدارة ليقول لوالدته بانفعال نجحت في
إخراجه منه

((وما رأيك يا أمي أنها تراني متحيز لكما وأريد أن أفرض
رأيي عليها وإجبارها على ما لا تريد ولا يحق لي؟))

أخذ مراد نفسا عميقا باستياء لعلو صوته قبل قليل..

ما يعيشه هو ليس سهلاً أبداً..

فهل هناك أصعب من مواجهة أمر يكون طرفيها أحدهما له
فضل عليه وبره واجب عليه..

والأخرى مسؤولة منه ورحمته بها واجبة عليه..

لا أحد يشعر بالحيرة التي هو فيها وما ينتابه بين الفينة
والأخرى لأن كل طرف له حق عليه.. وفي ذات الوقت يحمل
شيئاً من الحقيقة..

دنا مراد من باب شقتهما ليقول قبل مغادرته للعمل وهو يعطي
والديه ظهره

((أنا أريد المكوث بشقتي والنوم فيها.. أتمنى أن تحترموا
رغبتى))

غادر مراد لتتظر روعة إلى زوجها بتدقيق تريد معرفة ردة
فعله التالية..

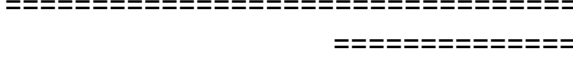
بينما صك مجد على أسنانه بغيظ..

فقد لاحظ كيف يعيش ابنه وحيداً بدونها ولا ينام جيداً.. لاحظ
تعبه وإنهاكه..

وكان حياته تغيرت.. فلا يأكل أو يشرب جيداً.. وضعف
جسده..

لكنه قال لزوجته بصرامة وهو يضرب براحة كفه المنضدة

((حتى ولو قرر أن يعيدها فلن يجلبها من بيت عائلتها.. بل هي
من ستأتي لوحدها من تلقاء نفسها صاغرة كما غادرت المكان
من تلقاء نفسها.. حتى تتعلم كيف تترك بيتها الزوجي وتدخل
أخيها بمشكلة حدثت داخل أسوار هذا البيت))



وقفت جالا أمام منضدة الزينة تمشط شعرها..

لاحظت بنظراتها الحزينة بأنها ما زالت ترتدي نفس منامتها
من الأمس ولم تخلعها بعد مع أنها كنت تطهو وهي ترتديها..
هكذا صارت.. لا ترغب في ارتداء ملابس جميلة ولا ترتيب
شعرها ولا وضع الزينة على وجهها..

فمن يأبى؟ لم تعد متزوجة من مراد لتتزين له وتنال منه تلك
النظرات المعجبة والمتغنية بجمالها..

زفرت جالا بضيق وهي تضع المشط بقوة فوق المنضدة
لتجلس على طرف فراشها تخفض جسدها مطرقة الرأس..

بالرغم من أنها تظهر أمام أخيها أنها طبيعية وأكثر من مستعدة
لمواجهة الجميع عندما يعرفون بطلاقها..

إلا أنها وبمجرد أن تنفرد بنفسها بحجرتها حتى تشعر بشعور
مقيت مختلف..

وكان عالمها صار رماديا لا لون له..

تنهدت جالا بعمق وكم شعرت بهذه اللحظة أنها تكره والدة
مراد..

بسببها وبسبب طاعة مراد العمياء لها فقدت كل حياتها السابقة
وسعادتها..

لكن سرعان ما لمعت عينيها بشيء من القوة وهي تردد بعقلها
أنها بذلت أقصى جهدها معه وعليها ألا تتدم مهما بدا إبعاد هذا
الشعور المقيت عنها شيء صعب..

تساءلت بداخلها.. كيف ستشعر بعد أن تسمع نبأ زواجه وينتشر
طلاقهما بالقريبة؟

هل ستضل تتحلى بكل هذه القوة التي حاولت اكتسابها بالأيام
الماضية؟

أخذت جالا نفسا عميقا ثم وقفت من مكانها تستعد للذهاب مع
شقيقتها هيام لزيارة عمرو مع والدتها المتواجدة الآن بالمشفى
بعد أن صدعت رأسها بواجب عيادة ابن خالتها المريض..

عقدت جالا شعرها برباط مطاطي لتخلع ملابسها وتلبس أخرى
مناسبة للخروج ثم ترتدي حجابها..

غادرت غرفتها تنزل الدرج وقد احتشدت ملامح الغضب في
وجهها من فكرة إنها لا تستطيع إخبار الجميع أن عمرو هذا ما
هو إلا ذئب بشري..

وبتر ساقه هو أقل ما يستحقه ثمنا يدفعه لجرائمه التي فعلها
بها..

هي فعلا متأسفة لنفسها أنها الآن مضطرة أن تشارك بمسرحية
رخيصة وتتفنن دور ابنة الخالة القلقة والحزينة لما حل بأبن
خالتها المسكين..

خرجت جالا من منزلها وأغلقت الباب خلفها لتخرج للفناء
وتقف خارج بوابة منزلهم..

كنتف جالا ذراعها وهي تستند على الحائط بانتظار وصول
هيام لتُقلها بسيارتها نحو المشفى مباشرة والتي اتصلت بها
تخبرها أنها على بعد دقائق من المنزل..

وطوال هذه الدقائق في الانتظار لم تشعر جالا أبدا بالذي كان
يقف عن قرب خفي يراقبها ويشاهد تفاصيل وجهها..

اقترب بخطواته أكثر منها وهو لا يزال يتتبع نظرات عينيها
الشاردة الجميلة ثم ألقى التحية بمجرد وصوله..

جملت جالا مكانها وهي تفك عقدة ذراعيها بينما تنظر له بعينين
متسعيتين قائلة بدهشة

((كارم؟ كارم؟ هل هذا أنت؟))

تعلقت عينيها به وفغرت شفيتها قليلا وهي تنظر له..

عقلها يخبرها أنه كارم ولكن عينيها ترفضان التصديق وقد
تغيرت ملامحه قليلا ونضجت أكثر لكنه لا يزال يمتلك نفس
تلك الوسامة الأرسنقراطية والذي يشبه بها عارضي الأزياء..

رباه كيف تشعر بشعور متناقض الآن نحوه..

بعض من تقاسيم وجهه تجعلها تشعر أنه ما زال هو نفسه ذلك
الذي تركته قبل سنوات طويلة بعد فسخ خطبتهما..

وبنفس الوقت هناك تغيير بملامحه يجعلها تتشكك أنه هو..

لكن وحيث أن آخر لقاء بينهما مضى عليه أكثر من عقد زمان
فقد كانت دهشتها لرؤيته مُبررة..

أما نظراته المشدوهة لها لم تكن كذلك فهي ليست أول مرة
يصادفها ويراهها منذ مكوثها في منزلها المقابل لمنزله..

أطال كارم نظره بعينيها البنيتين الدافئتين اللتان تجذبانه وقد
أوشك أن يتوسل لها أن تشيح بوجهها عنه حتى لا يتغلل تأثير
عينيها به كاملا وإلا سيحملها ذنبه للأبد..

فلا حصانة له أمام نظراتها..

عادت لجالا وعيها من الصدمة التي كانت تكبلها واستطاعت
إخراج صوتها أخيرا حتى تسأله

((ماذا تفعل هنا؟))

شعرت جالا بنظراته تراقب كل تفصيل فيها بعينين خبيرتان
بها وهو يخبرها بابتسامه مشعة بالبهجة

((لا شيء.. اليوم هو يوم إجازتي من العمل وأردت الخروج
والتنزه وصادفتك))

استحالت نظرات جالا من الدهشة والصدمة إلى الهدوء والبرود
وهي تقول له

((حسنا جيد))

فتح كارم شفثيه المبتسمتين لينطق بشيء إلا أنه بتر كلامه وهو
يدير وجهه هو وجالا لسيارة هيام المتوقفة أمامهما لتتلق جالا
اسم أختها بارتباك

((هيام..))

نزلت هيام من سيارتها بلامح غاضبة وما إن وقفت أمام جالا
حتى ضربت كتفها بقبضتها لتقول بتأنيب قاسي من بين أسنانها
بصوت منخفض

((كيف تقفين معه هكذا أمام بوابة المنزل؟ ماذا لو مر أحد
وشاهدكما؟ أنتِ مطلقة وستصبحين تحت المجهر وكل حركة
منك ستصير محسوبة من الآن وصاعدا أيتها الذكية))

اتسعت عينا كارم بذهول وتساؤل ليتمتم بنبرة خافتة وبشروء

((مطلقة؟ ماذا؟))

شعر كارم بهيجان مشاعر عند سماع كلمة "مطلقة" ..

وكان هناك نار تلهب بداخله أعمق أعماقه..

سارع يرفع نظره لجالا سائلا باستهجان

((متى حدث طلاقكما؟))

الشعور هكذا بهذه العنف كان أبعد مما توقع..

نظرت جالا بكبرياء له ثم دارت وجهها نحو هيام بغضب وهي تقضم شفتها السفلى..

ثم قالت وعيناها تشعان بالتوعد لهيام لكشفها امر طلاقها أمام كارم

((الطلاق لا يعيب المرأة بشيء يا هيام.. فكل امرأة هي حالة فريدة وعظيمة ولا تشبهها امرأة أخرى.. لكن ليس كل متزوجين متفقين أو متفاهمين أو يرتاح أحدهما للآخر.. هذه طبيعة البشر.. فإياك أن تعيبي عليّ بطلاقي))

رفرف كارم بعينه بحركة عفوية قبل أن تبرق عيناه بلمعة ما إن استوعب أخيرا ما سمعه..

وقد بدأ فعلا يفكر بأنه غالبا سيكون هناك سبب قوي سيدفعه ألا يعود لروسيا ويبقى في البلاد يكمل حياته بلا أي خيبات..

بسبب فقط ما سمعه الآن عن طريق صدفة..

وكان الأمر إشارة أو تدبير من القدر من أجله..

عقد كارم حاجبيه ببراءة مفتعلة وهو يرى هيام تدبر رأسها له قائلة بشراسة وهي تدفع جالا بخشونة لتدخل البوابة

((كارم غادر من هنا وإياك أن تقف معها مرة أخرى.. لستما طفلان الآن))

كانت جالا تبعد يدا هيام عنها بنزق وهي تخبرها

((ابتعدي عني.. أريد الدخول للسيارة))

تركتها هيام وهي تقول لها بإحباط

((أشعر بأن هناك عطل في سيارتي فأنا بالكاد وصلت بها
لبينتنا.. لذا سأركنها هنا ولننتظر عودة راجي حتى يوصلنا
للمشفى عند عمرو))

ثم أردفت كلامها مباشرة وهي ترفع سبابتها بصرامة

((وقبل أن تفتحي فمك بأي كلمة اعتراض فاسكت.. لا أريد أي
أعداء منك ولا تفكري بالتراجع عن الذهاب.. ابن خالتك بوضع
حرج وأنت لم تزوريه أو تتحدثي معه منذ سنين.. هل هكذا
تتعاملين مع نفس الشخص الذي كان يدلك بصغرك؟))

عقد كارم حاجبيه بحيرة وقلق وهو يحاول استيعاب كلام هيام
مرة أخرى حتى أدركه..

فما أخذ منه الأمر إلا ثوانٍ حتى قال بجديّة لهيام وهو يخرج
مفاتيح سيارته ويدير نفسه ليخطو نحو سيارته

((هيام.. أنا سأوصلكما))

التفتت هيام للخلف له بينما رشقته جالا بنظراتها الغير راضية
وهي تقول له ببرود هاتفّة

((سنتظر راجي لا تتعب نفسك.. ربما يتأخر قليلا لكنه..))

قاطعها كارم بحزم وبملاحم متجهمة وقد تحرر من تقاسيم
وجبه السابقة الودودة وهو يلتفت برأسه للخلف ينظر لها من
فوق كتفه

((بل سأوصلكما أنا.. اعتبراني سائق سيارة أجرة.. راجي
سيتأخر وبالتأكيد لن تمر سيارة أجرة من هنا))

عقدت جالا حاجبها وهي تنتظر لهيام تسير خلفه لتمسك ذراعها
بقوة توقفها وهي تقول لها بفحيح صوتها اللائم

((أين تذهبين؟ ألم تتحدثي قبل قليل عن سمعتي؟ ماذا سيقول الناس لو رأوني أركب سيارة خطيبي السابق؟ سأنزل أحد التطبيقات الخاصة بسيارات الأجرة..))

باستخفاف قالت لها هيام وبصوت خافت وهي تبعد أناملها عن ذراعها

((لن يرانا أحد.. سنركب السيارة ونتوجه مباشرة للمشفى.. فطلب سيارة مستأجرة سيأخذ وقتنا كما انتظر راجي.. ثم أنا سأركب السيارة معك.. نحن فتاتان وهو شاب وابن جيراننا الشهم المحترم الذي يؤدي لنا خدمة))

وضعت جالا احدى يديها على خصرها قائلة بعناد وجمود

((لن آتي معك.. سأطلب سيارة وانتظريها حتى تأتي..))

شبكت هيام ذراعها بذراع جالا تجرها قائلة بعصية

((سيوصلنا للمشفى وسنعود سريعا.. لا تقلقي))

تنهدت جالا يائسة ثم استسلمت وهي تسير خلفها بدون أن تحاول ردعها أو مقاومتها..

فساقتها هيام إلى سيارة كارم الذي كان يجلس وراء المقوض لتجلس كلتاها في الخلف..

لمح كارم وهو ينظر إلى مرآته الأمامية جالا ترشقه بنظراتٍ نارية حاقدة لعرضه توصيلهما..

فتحنح وهو يبعد نظره عن المرأة ثم شغل محرك سيارته..

وبالطريق أوقف كارم سيارته لينزل هو وهيام لشراء بعض القهوة فانزعجت جالا بشكل كبير من الأريحية التي تتعامل هيام فيها مع كارم وكأنه أخ صغير لها أو صديق وجار قديم ومقرب للعائلة..

وعندما أوصلهما للمشفى نزلت هيام من المقعد الخلفي للسيارة
وتبعتهما جالا..

لكنها توقفت عند طرف الباب وهي تسمع كارم يهتف باسمها
لتلتفت للخلف عاقدة الحاجبين تحته بنظراتها أن يكمل..

ازدرد كارم ريقه ثم أردف يسألها بفضول

((جالا أريد سؤالك عن أمر ما.. متى حدث طلاكما أنت
ومراد؟ لأنني لم اسمع به..))

قاطعتها جالا بسرعة وبصوتٍ حازم وهي ترفع إحدى حاجبيها

((ما دخلك أنت؟ بأي صفة تتحدثت معي؟ لأنني وعلى حسب ما
اذكر فأنت لا تمثل لي إلا خطيب سابق انفصل عني بعد أن
خانني مع صديقتي الوحيدة.. بالرغم من أنني عذرتة عندما
عرفت أسبابه))

قالت جالا آخر جملة بنبرة قاسية خافتة..

شعر كارم بالأحراج من كلامها فأشاح بوجهه عنها..

لكن ولسبب ما أعجبتة نظراتها الفاتلة نحوه وكيف تجلدانه
بلومها القاسي والواضح في أن واحد..

فعلى الأقل كلامها وغضبها وعتابها له يعني أنها حتى وبعد مع
مرور كل تلك السنين لا تزال تكن له مشاعر..

ولا يستغرب هذا فكيف يمكن أن يُنسى كل ما مرا به هما
الأثنان..

ازدرد كارم ريقه مرة أخرى بتشنج وهو يتجاهل صوت قلبه
الذي يقصف بأذنيه..

ثم قال بنبرة متحسرة يستدعي انتباهها قبل أن تعطيه ظهرها
وتغادر ينظر بعينيه

((أنت تعرفين أنني تعمدت أن أنشأ علاقة مع صديقك تلك التي أنسى حتى اسمها هي بالذات من بين الجميع حتى تبتعدي عني بنفسك.. واقطع أي علاقة لنا نحن الاثنان.. لأنني ظننت أنني لن انفك لك.. وحتى لا أظلمك.. ولكن لاحقاً اكتشفت أنني قمت بأكبر خطأ بحياتي.. بل قبل ساعة فقط أيقنت بشكل أكبر فداحة خطئي.. بعد أن أيقنت إنك لا زلت في قلبي حتى بعد مرور كل هذه السنين بمجرد أن حدثت بوجهك وعينيك لثوانٍ..))

ثم عاد بجسده ينظر للأمام وفتح مقبض باب سيارته ينوي الخروج وهو يكمل

((ولكن الآن لن اسمح لك بالنزول لذلك الخسيس وحدك.. سأرافك..))

قاطعتها جالا تردعه وهي تزجره بصوتها

((أيها الغبي كيف سترافقني للمشفى وتدخل معي؟ بأي صفة؟ هل تريد فضحي؟))

التفت كارم ينظر لها بقهر و صدره يهبط وينزل بغضب حاد.. فحميته لن تتحمل عدم قدرته على مرافقتها بل وتركها تتواجد مع ذلك المتحرش الحقيير بنفس المكان..

هو الوحيد الذي يعرف قصتها مع عمرو ولا يستطيع تحمل تواجدها فعلا معه..

وكم كره نفسه بهذه اللحظة لكونه المتسبب عن فقدان عن هذا الحق بها..

انتبه كلاهما على صوت هيام الساخط بردع وهي تعود لتقف عندهم

((ابتعدي يا جالا عن الباب وأنت يا كارم مشكور لجهودك ولكن غادر المكان.. ليس من اللائق وقوفك معنا هنا أكثر))

وأمام عيني كارم الزائعتين بامتعاض سحبته هيام جالا بكلها
من السيارة ثم أغلقت باب السيارة الخلفي فضرب المقود أمامه
بعنف..

وبينما كانت كل من هيام وجالا تسيران بأروقة المشفى نحو
الغرفة المتواجد فيها عمرو أمالت هيام وجهها لجالا هامسة

((جالا أريد أن أخبرك بشيء متعلق بعمرو ولكن إياك أن
تخبري أحد بهذه الكلام))

توقفت جالا ترفع رأسها لهيام قائلة بتوجس

((ما هو؟))

ازدرت هيام ريقها بصعوبة وصوتها خرج بيحة وهي تقول
بنفس نيرة الهمس

((عمرو كان يتحرش بابنة احدى قريبات زوجته.. والفتاة
الصغيرة أخبرت أباها وأخاها قام بتصويب مسدس بقدمه.. هذا
هو السبب الحقيقي لبتز قدمه على حسب ما فهمت.. لست
متأكدة مئة بالمئة من التفاصيل ولكني أظن بأن هذا الكلام
صحيح وإلا لما قاطعت عبير شقيقها الوحيد ولم تقل حتى
زيارته والاطمئنان عليه أو السماح لبنتها برؤيته))

شنت جالا بصرها للحظات وهي تشعر بالدماء تتصاعد لتحتقن
في وجهها..

لتركز بعيني هيام لدقيقة بدت طويلة..

ثم قالت لهيام بجدية أمام عينيها لتصدمها

((هيام.. أريد أن أعود للمنزل))

ثم أعطت هيام ظهرها وهي تعود من حيث جاءت..

لم تتوقع من عمرو غير ذلك..

كانت متأكدة من أن له ضحايا غيرها من الأطفال ممن جعلهم
يمروا بتجربة مدمرة وتركت لهم مشاعر عنيفة بالذنب وقلقاً
هانئاً مثلها تماماً..

فالأطفال الذين لا حول لهم ولا قوة وفريسة أسهل في ترويضها
وإخضاعها..

ولا غرابة أبداً من أن تكون ضحاياه من بين معارفه من
الأطفال الذين يكونون متاحين له في الغالب للاستفراد بهم
وغوايتهم بحكم قرابته..

وكل ذنبهم هو ملاقاته مضطرب عقلي ومنحرف كعمر و ليقوم
بهكذا فعل جامع معهم وشاذ..

والآن هي أكثر من سعيدة لأنه تم كشف وفضح إنسان مثله..

وما حدث لساقه من بتر والفضيحة التي نالته هي أفضل رادع
رجل مثله خمسيني مثير للاشمئزاز..

=====
=====

بسرعة بديهية رحبت تمارا وهي تنتظر ببهجة وببشاشة لمراد
الذي جلس على إحدى الأرائك بحنق بعد إصرارها الفظيع على
دخوله لمنزلها لاحتساء القهوة كشكر له..

تململ مراد موضعه وهو يشعر بضيق من ترحيب والدة سهر
المبالغ بها وقد ارتسمت علامات الحرج على وجهه وهو
يسمعها تقول

((شكرا لك يا مراد على التوصيل لقد أتعبناك معنا.. لكن لو لم
تتعرض حقيقتي التي أضع فيها محفظتي وبطاقتي لما كنت
طلبت منك أن تقلني أنا وسهر من النادي للبيت))

رفع مراد لها قائلاً بابتسامة مصطنعة ومتكلفة

((لا داعي للشكر يا خالة تمارا هذا واجبي.. كيف تريدان أن
تطلبني مني إيصالك للبيت ومكان عملي قريب منه ولا أفعل
ذلك!))

قالت تمارا بصوتها الضاحك وابتسامتها الواسعة

((سأطلب أن يتم إعداد قهوة لك))

حاول مراد مرة أخير أن يستسمحها قائلاً

((أرجوك يا خالة تمارا لا داعي لكل ذلك.. لم يكن عليك
الضغط عليّ للدخول.. أنا أريد المغادرة والعودة لعملي ولا
يصح أن أتأخر أكثر))

إلا أنها قالت بصرامة وهي ترفع يدها أمام وجهها لا تقبل
المناقشة بكلامها

((لا يا مراد لن اسمح لك بالذهاب قبل ارتشاف القهوة.. سهر
امنعيه ريثما اطلب تحضرها))

قالت الجملة الثانية وهي تنظر لسهر التي رفعت يدها اليمنى
لرأسها كتحية الضباط قائلة

((علم يا أمي))

اقتربت تمارا من أذن سهر تهمس لها وهي تغطي فاهها بيدها
بصوت خفيض لكنه كان مسموعا لمراد

((سهر لست بحاجة لأن أقول لك ماذا تفعلين.. استغلي دقائق
مغادرتي للمطبخ لصالحك.. هذا آخر فرصة لك لكسبه بعد أن
خسرت دعم والدته))

تطلعت سهر لوالدتها بعزم مرح قائلة بنفس الهمس الذي كان
مسموعا لمراد أيضا

((لا تقلقي يا أمي.. هذه الدقائق أكثر من كافية لأجعل عقله
يظير به ويطلب مني الزواج))

تهللت أسارير تمارا لتشيد على ابنتها وهي تطبطب على
ظهرها قبل أن تغادر هادرة

((أحسنت يا سهر.. هذه هي ابنتي الجميلة))

غادرت تمارا لتجلس سهر بلهفة وبابتسامة متحمسة بجانب
مراد على نفس الأريكة..

لم يحاول مراد إخفاء أي اشمزاز أو رفض لها وهو يرشقها
من أعلاها لأسفلها بينما يرفع إحدى حاجبيه..

ثم مال عليها قليلا قائلا بنفاذ صبر وجمود

((سهر أريد المغادرة))

رفعت سهر أناملها تتلاعب بشعرها المموج المجمع على جهة
واحدة قائلة بفضول أنثوي

((لن تغادر قبل أن تحبيني.. من كان هذا الذي رأيته أمام الكافي
يطلب القهوة وكنت تريد النزول وضربه كمختل مجنون لولا
وقوف سيارتك بمن منتصف أزمة المرور؟))

أجابها مراد وهو يكتف ذراعيه

((انه خطيب زوجتي السابق.. ورأيتَه بالمحل التجاري يقف مع
أخت زوجي يشتري معها القهوة.. هذا ما كان يثير استيائي
بالأمر.. فهو درس وتغرب بروسيا ولم يأتي للبلاد إلا قبل مدة..
ولا تربطه أي علاقة بعائلة زوجتي إلا علاقة جيرة.. لذلك
شعرت بالغضب من خروجه مع شقيقة زوجتي؟))

سألته سهر باستغراب عاقدة الحاجبين

((كان متواجدا مع أخت زوجتك لا زوجتك فما مشكلتك معه؟))

تتهدد مراد بضيق ثم قال لها بوجوم

((لا أحب أن أراه يقف أو يتعامل مع أي فرد من أفراد عائلة زوجتي.. لأن أي علاقة له مع عائلتها تعني أنها ستتضرر للتواصل معه.. فكري بي كما تشائين ولكن هكذا أنا مخلوق.. أعار على زوجتي حتى من شخص سبق وارتبطت به))

للحظات نظرت سهر له بحنق وهي تزعم شفيتها وقد فهم من نظراتها أنها تراه متخلفا..

سمعها تقول له ببراعة مفتعلة

((أوه حقا؟ لأنه وبالمناسبة عرفنا أنك طلقت زوجتك من أمك.. هل طليقتك ترفض العودة لك؟ وهل أنت خائف من أن تعود لخطيبها السابق؟ لأنه لم يخف عليّ أن سبب كرهك له هو خوفك من عودة زوجتك له أو على الأقل من رغبتها بذلك))

بانفعال واستنكار هتف بها مراد

((ما هذا الهراء الذي تحدثين عنه؟ ثم أنا أعدت زوجتي على الفور.. وأخبرت أمي لاحقا بهذا))

لكن سهر لم تأبه لغضبه وهي تقول له بلهفة رافعة حاجبيها

((مراد لدي فكرة))

عقد مراد حاجبيه بترقب لتكمل سهر وابتسامتها تزداد اتساعا

((ما رأيك أن تعرفني على.. ما اسم خطيب زوجتك السابق؟))

تمتم لها مراد وهو ينظر لها لا يفهم ما الذي ترمي له

((تقصدين كإم؟))

هزت سهر رأسها وهي تكمل بحماس

((نعم كارم.. ما رأيك أن تعرفني عليه.. وأنا سأحاول إغراءه
وهو لن يصمد أمامي.. وعندما لا تجد زوجتك بديل عنك
ستعود مرغمة لك.. ستفرح أنت وزوجتك وأنا وكارم وأمي..
ونعيش جميعا بسعادة.. ما رأيك بفكرتي؟))

فغر مراد شفتيه للحظات بصدمة وهو ينظر لها..

وعندما استطاع أخيرا استعادة نفسه قال لها بعينين مشتعلتين
وتقاسيم وجهه تتغير للغل ويده تتقبض

((سهر عزيزتي.. والدتك قالت لك أن تركزي بوضع تأثيرك
الأنثوي علي.. لذا اتركي كارم بشأنه لو سمحتي))

عبست سهر وهي تقول له عاقدة الحاجبين هادرة

((ماذا؟ هل تظني معجبة به؟ صدقني أنا افعل هذا لمصلحتك..
من أجلك أنت))

احتقن وجه مراد غيضا منها ليتمتم لها بحقد وفضول حقيقي

((سهر.. قولي لي رجاء وبكل صراحة.. بماذا يمتاز كارم
عني؟))

أبعدت سهر نظرها عنه تقول وهي تمط شفتيها

((وما أدراني.. أنا لا اعرف أي شيء عن كارم لأقارن إلا
المظهر الخارجي))

ثم عادت تنظر له بابتسامة خجولة مصطنعة

((المهم دعنا لا نغير الموضوع بشأن كارم..))

ببرود جليدي قال لها مراد

((سهر.. انه مطلق))

هزت كتفيها قائلة بلامبالاة

((وماذا فيها.. فليكن مطلق لعشر مرات.. لا يهمني))

فتابع مراد يقول بتشفي لها

((وله طفل صغير من زوجته الروسية السابقة التي ترفض أخذ
حضانتها))

لم تدعي سهر عدم الفهم على مراد لتتجمد ملامحها..

لحظات واعتدلت واقفة من مكانها تقول بجفاء وبرود

((حسنا أقنعتني.. انه ليس مناسب لي.. إلى اللقاء))

سألت تمارا التي دلفت للغرفة ووقفت عند عتبة باب الحجرة
باستغراب وهي تحمل صينية القهوة

((إلى أين تذهبين يا سهر؟))

أجابتها سهر بلامبالاة وهي تغادر الحجرة

((لقد عاد لزوجته يا أمي))

بإحباط وخيبة قالت تمارا وهي ترمي صينية القهوة أرضا
بحنق بطريقة أجفلت مراد مكانه

((يا إلهي))

ثم غادرت الحجرة تاركة مراد لوحده في المكان..

=====
=====

بالليل..

بعد نوم فتاتها الصغيرتين وقفت جالا في شرفة غرفتها تاركة
المجال لنسمات الهواء المنعشة تلاعب خصلات شعرها البنية
الخارجة من وشاحها المترخي حول رأسها..

وكم بدت ساحرة بقميص منامتها الحريري الساتر..

تهادى إلى سمعها صوت خطوات شخص قادم لتجفل شاهقة
مكانها وهي تهمس

((كارم.. أيها المجنون..))

تقدم منها كارم بابتسامة متلعبة لتتبين ملامحه بظلمة الليل
المنقوشة بنجمات صغيرة تعطي لمحه من الضوء الخافت..

هدر كارم لها بسماجة

((فداك كل هذا الجنون))

انتفضت جالا واقفة من مكانها وهي تتراجع خطوتين للخلف
تبتعد نفسها عن الأنظار وتعدل من حجابها..

التفتت برأسها يمنة ويسارا تنتبه إذا ما كان هناك أحد يشاهدهما
بالرغم من أن هناك مساحات شاسعة بين كل بيت وآخر..

ثم نظرت للأمام تقول له هامسة من بين شفتين ترتعشان
بالغضب

((هل أنت مجنون؟ كيف تأتي لشرفتي بالليل وبهذا الوقت؟))

أخذ كارم ثوانٍ ليفكر ثم قال بنفس الابتسامة المتلعبة

((لو لم تنقل أُمي غرفتي الأصلية لحجرة أخرى بالبيت وبقيت
كما هي لكنك خرجت من شرفة غرفتي السابقة المقابل لشرفتك
هذه.. فمن المذهل أن تبقى غرفتك كما هي بعد مرور كل هذه
السنوات))

طغى الغضب أكثر على وجه جالا لتهمس له من بين أسنانها
((هل ترضى لأختك أن يأتي شاب ويقف أمام شرفة غرفتها؟))

لم يجيبها كارم وهو يحافظ على ابتسامته المستفزة ويرفع
حاجبيه ليدنو بخطواته منها ويجلس على احدى الصخور
القريبة من الشرفة..

أطرق رأسه بابتسامة تحت أنظار عيناها الحانقتان ليقول
بصوت متحشرج منخفض النبرة وهو يعبر لها عن مكنونات
قلبه

((جالا ليس فقط رؤيتي لك عندما أوصلتك بسيارتي.. بل منذ
أول مرة لمحت بها وجهك بالصدفة منذ عودتي من روسيا..
وقتها.. أقصد بليلة ذلك اليوم استيقظت فجأة وكنت أنت أول من
طرا على ذهني.. ثم سمعت إحدى أغانيك المفضلة أيام طفولتنا
ومرهقاتنا.. ولا تصدقين كم ذكرتني بلطف ذكرياتنا معا التي لم
أنساها يوما.. منذ تلك الليلة وقد بدأت أستمع إلى كل الأغاني
التي كنا نستمع إليها حين كنا نتحدث))

حاولت جالا التحلي بالهدوء وهي تسأله رغم شراسة الغضب
المتقافز من عيناها لتواجهه هنا بمثل هذا الوقت

((كارم ماذا تريد؟))

رفع رأسها يطالعها بنظراته المشتتة...

لم يكن يريد يوما إلا فرصة ليتواجه فيها بحقيقة ما يخفيها..

وربما ليخبرها حكاية كبريائه اللعين الذي دفعه ليخوض
صراعا داخلي قاتل يدفعه ليتخلى عنها بملء إرادته بعد كل ما
كان بينهما..

ثم فتح فاه ينطق بنبرة موجوعة

((هل يمكن أن أتحدث معك بصراحة؟))

وقف من مكانه يقترب من شرفتها أكثر لتتراجع جالا أكثر للخلف وهو ينظر في عينيها ويبتسم لها بألم مردفا

((أنا لم أحب يوما فتاة بقدرك يا جالا.. لكن بعد أن نضجت قليلا.. وجدت صعوبة في تقبل ما حدث لك.. مررت بوقت عصيب أحارب أفكاره ومشاعري المتناقضة بداخلي.. بدأت اسأل نفسي كيف سأتزوج من فتاة تعرضت لما تعرضت له.. لم اعرف إذا ما كان علي أن أكمل معك أو لا.. وبدأت أجراس الندم لخطبتي لك تعلن عن بدء رحلة من التساؤلات التي لم تكن لتخطر ببالي من قبل..))

التمعت عينا جالا بحزن عميق..

لقد تجاوزته وتجاوزت حبه منذ وقت طويل واستطاعت أن تحب للمرة الثانية..

فيعد أن كانت تكاد تلتقط أنفاسها بشق الأنفس لتبقى على قيد الحياة حينما قرر أن يتركها بأسوأ طريقة..

لم يعد الآن حبيها له يربك نبضات قلبها..

لكن ما تزال فكرة أنه تركها لسبب ليس لها دخل فيه بعد كل السنين وكل ما كان بينهما ليصبحا الآن غرباء لا علاقة لهما ببعضهما بسبب ما فعله مؤلما..

قالت جالا له بصوت أجش معاتب

((ألم تكن تدرك أنني كنت فتاة صغيرة ولم أكن أعني أي شيء مما يحدث حولي.. أو كيف أتصرف؟ ألم أخبرك بمرارة بعد أن اكتشفت أمر عمرو عن القلق الشديد الذي كنت أعانيه مما فعله بي وكيف كنت اكنم كل شيء في نفسي ولا أخبر به أحد خاصة

عائتي وقلت لي أنك ستعوضني عن كل شيء مررت به؟ أين
ذهب كل هذا يا كارم حينما قررت أن تتخلى عني بأسوأ طريقة
ممكنة؟))

عاد كارم يطرق رأسه شاعرا بالخزي مما فعله وبالذنب تجاه
نفسه قبل نفسها..

فما فعله يظل يلاحقه وينغص عليه حياتها معذبا إياه حتى الآن
لأنه كان السبب بتخليه عن الفتاة التي أحبها..

استرسلت جالا كلامها بصوت متهدج

((لا أريد أن ألوكم يا كارم.. فهذه كان قرارك وليس لي حق
بأن أعاتبك عليه.. لكن للأسف تتكرر مثل هذه المأساة التي
حدثت لي في عدد من البيوت بسبب كثرة الخلطة وضعف
الرقابة الأسرية مع جهل الأهل بما يمكن أن يحصل.. لذلك أنا
فقط أرفض ما حملتني به سابقا من ذنب لأنني لم أستطع
المدافعة عن نفسي))

صممت قليلا وهي مستمرة بالنظر إليه قبل إتمامها كلامها
بحرقة موجعة متهدجة

((عندما أنقذتني من ذلك الذنب البشري أيقنت أنك ستكون
منقذي للأبد.. وتعلقت بك بدرجة أكبر حتى بدأت أخبرتك كل
ما حدث معي منذ البداية وبالتفصيل من باب الراحة.. وعندما
كنت تحتويني وتساندني كنت أتأكد من صحة قراري بالإفصاح
عما حدث لك.. حتى تركتني متحججا بذلك السبب))

حروفها غدت كطعنات ضربته في منتصف فواده النازف ليقول
لها بصوت متحرج وهو ينظر بعينها

((بالفعل أخطأت حين أخبرتني بالأمر.. ولكن أنا.. أنا حاولت
أن أتغافل وأنسى حتى يرتاح قلبي واجعل الأمر يمر كما تمر
الأيام ويصغر كما يصغر الشيء البعيد.. لكن لم أستطع..

صدقيني لم أستطع بالبداية.. والسبب الذي جعلني اختار أبشع طريقة لانفصل عنك كان لحمياتك مني.. أقنعت نفسي أنني أستطيع جعل صديقتك المفضلة تحبني وربما يحدث بيننا مشروع زواج وهكذا سأبعذك بشكل نهائي عن عالمي.. أعرف أن غيائي وقتها كان منقطع النظير.. لكني كنت قد عاهدت نفسي بأنني لو تزوجتك بعد ما عرفت بماضيك لن أعيرك بذنبيك مستقبلا ولا أخذك بذنبي ما حدث.. ولن أضييق الخناق عليك بالشك المرضي.. ولن أبدي أمامك أيًا من مشاعر الندم لما قد يعتريني ويُسيطر عليّ.. فلا ذنب لك في أنني قبلت الزواج منك وأنا أعلم حقيقة أمر.. ولكن فيما وجدت صعوبة بتحقيق هذا الوعد..))

أخذت جالا نفسا عميقا ثم قالت له

((كارم بغض النظر عن أي شيء.. كما قلت لك أنني لا أستطيع أن ألومك.. أنت لم تخطئ.. لو تم زواجنا لم يكن ليستمري.. بل بمجرد أن تفيق من غفوت حبك لي وتنهض من كبوتك التي ستبقى كغشاوة على عينيك تحول دون رؤية الواقع كنا سننفصل عن بعضنا.. لذلك على الأقل أنا ممتنة لك.. وشكرا لك حقا من أعماق قلبي أنك فعلت ما فعلته وانفصلت عني حتى لا تظلمني وتظلم نفسك بزواجك مني))

بدأ قلبه يتراكم سريعا بنبضاته وبقوة مشاعره التي اكتسحتها بصدق العواطف المنعكسة في داخل عينيه من ندم قاسي..

مما دفعه ليحرك رأسه بالرفض البطيء هادرا

((ولكني ندمت.. ندمت جدا على اختيار تلك الطريقة البلهاء في الانفصال عنك.. بل ندمت على الانفصال عنك ككل))

كانت عينا كارم تنظران لها بمشاعر ممزوجة بالندم والحب المستتر الباقي لها في قلبه.. والغضب.. ليسترسل كلامه

((ولكن أيضا غضبت عليك.. غضبت لأنك تزوجت بسرعة
بعد انفصالنا.. صدقيني لم تكن سنمر سنة أو سنتين وكنت
لأغير طريقة تفكيري المتخلفة واندم على تركي إياك.. زواجك
كان بمثابة صدمة لي وجعلني أشعر بالخواء والغدر يحتلني مع
أن سبب تركي لك كان هو لتتزوجي من شخص آخر لا يظلمك
مني.. لكن عندما حدث أمر زواجك واقعا كان وقعه مؤلما على
قلبي على عكس ما توقعته))

بينما لم تشعر جالا بأنها أخطأت بشيء..

فهو انفصل عنها ولم تكن من الغباء أن تنتظر عودته..

والتي كانت لتمتد سنين طويلة.. أو لربما ما كان أن يعود لها..

لكن كارم أردف كلامه مخضبا بالشعور بالغدر

((والأنكى كان هو الشخص الذي تزوجته.. تزوجت من
مراد.. مراد الذي بفترة من الفترات كان صديق عزيز لي.. من
كان يدري أن سبب ابتعاده عني لما بعد مرحلة المدرسة
الإعدادية كان بسببك أنت!))

رفرفت جالا عينيها بذهول وهي تركز نظراتها على عينيها
بتركيز لأول مرة منذ مجيئه لتسأله

((ماذا لا أفهمك؟ لماذا مراد ابتعد عنك؟))

اخفض كارم عينيها أرضا حتى يحجب عنها الألم الساكن فيه
والشعور بالغدر والطعن الذي شعر به وقت سماعه من والدته
نبا زواج مراد منها..

بل كل أعماقه الثائرة تصرخ الآن بألم.. فغمغم كارم بصوت

((لقد كنا أنا وهو أصدقاء مقربين بالطفولة.. لم تكن مقربين
بالمعنى الحرفي لكن كنا أصدقاء ودائما ما كنت أبادر معه
بالود.. وبالمرحلة ما بعد الإعدادية بدأ يبتعد عني بشكل

تدريجي.. وبمجرد أن أعلنت خطبتي بك بعد أن أنهيت دراستي
قطع الحديث معي وابتعد عني نهائياً))

ثم أردف بصوت متهدج يحتله الألم

((بمجرد أن وصلني خبر زواجكما وبشكل فجائي بعد سفري
بدأت بربط الأمور ببعضها.. واكتشفت أن ذلك الأحمق كان
يحبك وكان يريدك منذ البداية.. وأنا من كنت عانقا أمامه..
فسارع بانتهاز الفرصة بمجرد أن انفصلت عنك ودفع خطيبته
لأن تهرب من حفل زفافه ليتزوجك أنت))

تألمته جالا بنظرات زائغة وعقدت ذراعيها أمام صدرها كأنها
لا تأبه لما يقوله ومن ظنه بمراد..

قالت جالا له بنبرة بارده وهي ترفع احدى حاجبيها

((لا أظن انه كان يحبني قبل زواجنا.. بل كان يكرهني.. كنت
صبيانية ومتمردة وكان يشكوني لأبي كثيرا.. لهذا كنت أكرهه
أنا أيضا بصغرنا))

كل سيطرته على نفسه كانت تهدد بانفلات أحمق عندما ارتفع
صوته

((بل كان كذلك يا جالا.. منذ الصغر.. والآن أستطيع استيعاب
سبب كل نظرة كره وجهها لي غير مبررة.. لا أستطيع وصفه
إلا بغادر))

سكنت الدهشة ملامح جالا وعيناها تتسعان بينما تفك تكتيف
ساعديها..

استدارت للخلف نصف استدارة تتأكد من عدم استيقاظ ابنتها
عند ارتفاع صوت كارم..

ثم عادت تنظر له متعصبة الجبين وهي تفكر بكلامه..

هل كان مراد يكن لها أي أعجاب أو حب قبل زواجهما؟

هل كان هذا سبب حقه على كارم؟ لكنه لم يسبق وأن أخبرها بكلمات الحب ببداية زواجهما..

وهي لطالما ظنت بأن سبب عدوانه لكارم هو لكونه خطيب سابق لها ولما أثارت والدته من شكوك مرضية بدماغه بشأن كونها ارتكبت الخطيئة معه..

كيف يكون مراد محبا لها ويريد الزواج من سهر ومنذ بداية زواجهما؟

كيف يكون محبا لها وعلق طلاقه منها بأمر بسيط كخروجها من البيت بعد أن صفعها وكسر المنزل بما فيه؟

عبست جالا وهي تفكر بما قاله كارم الآن..

ثم عادت تركز نظرها بعينيه لتقول له محذرة

((لا تتحدث هكذا عن والد بناتي))

شع الغضب من عيني كارم وهو يهتف لها وكأنه يملك كل الحق

((لقد تطلقتما فلا يحق لك الدفاع عنه.. سأقدم للزواج منك من

الغد.. وستنسين كل شيء يتعلق به.. سنعيش حياة سعيدة

ونعوض كل تلك السنين البائسة التي أضعتها أنا بغيائي))

نظرت جالا له كمن تنظر إلى طفل مخبول ثم قالت ببطء له
متسائلة

((هل أنت مجنون؟ أنا لا زلت بعدتي.. كيف تتحدث معي بأمر الزواج؟))

رفرف كارم بعينيه للحظات ثم قال لها متجهما بصدمة

((ماذا؟ بالعادة؟ أتقصدين أنه من الممكن أن يعيدك له؟ متى تطلقتِ منه بالضبط؟))

عقدت جالا حاجبها تفكر بأنه من المستحيل أن تعود لمراد لو كان هذا ما يظنه كارم..

وبنفس الوقت له هو أيضا فقالت بحزم

((بعيدا عن أي شيء يا كارم.. كل ما بيننا انتهى وبنفسك أنت اخترت هذه النهاية))

زفر كارم قبل أن يقول لها بانفعال

((نعم لقد أخطأت يا جالا بما فعلته.. لم ولن أنكر هذا.. لكن هذا لا يعني أنني لن أنتهز أي فرصة أمامي لنعود معا.. وها أنا أقولها لك بمجرد أن تنتهي عدتك سأقدم للزواج منك وعليك الموافقة.. أنا لم أنسى للحظة عنف المشاعر والسنين التي كانت بيننا.. وأنت لم تنسيها.. صحيح؟ لقد تزوجت ولم أنساكِ وكل منا انفصل عن شريكه))

نظرت له جالا بدهشة لدقيقة ثم قالت له وهي تخفي غيظها منه بشق الأنف

((لا لم يحصل معي نفس الشيء.. واي مشاعر عنيف وترهات هذه التي تتحدث عنها؟ هل ظننت للحظة انه بعد زواجي من مراد والحصول على حماة مثل والدته قد أجد وقتا أو مزاجا لأتذكر أو استحضر مشاعرنا العنيفة العاصفة السابقة؟ الحصول على حماة مثل والدته مراد ستجعلك تنسى أي مشكل أو مشاعر حزينة أو غاضبة سابقة وتركز بالجحيم الذي تجعلك تعيشه))

كان كارم ينظر لها مشدوها طوال فترة كلامها.. ثم سألها ببطء

((هل.. أحببت مراد؟))

نظرت له باستنكار بليغ وهي تستنتج مقصد كلامه السابق
وسواله..

لم تكن تريد أن يعرف أنها لن تعود لمراد ولم ترد أن تجعله
يرى أي أمل لعودتهما..

فردت عليه مباشرة

((هل أنت مجنون؟ نعم احبه ولا زلت احبه))

عقد كارم حاجبيه بتفكير عميق ليقول بعدها ببرهه بصوت
يسكنه الألم

((لا اصدق أنك عشتي مع مراد نفس قوة المشاعر التي حظيت
بها معي))

زاد استنكار جالا أكثر لتقول له

((أنسى يا كارم غباء طلبك يدي للزواج.. حتى لو كان هناك
أمل لزوجنا لكن زواجي منك يعني خسارتي لحضانة ابنتي..
هل أنا مجنونة لأتخلى عن ابنتي من أجلك؟))

ساد الصمت مجدداً ثم قال كارم بصوتٍ غريب

((ومن قال إن الزواج مني يعني أن تخسري حضانة بناتك؟))

وضعت يديها على خصرها قائلة

((لك ابن من زوجتك السابقة.. وعندي أنا بنتان فكيف سنربيهما
سويا؟ أم تريد مني أن اترك ابنتي عند والدته مراد وأربي ابنك؟
عد لزوجتك السابقة وربوا ولدكما معا))

أخفى كارم حقيقة أن زوجته السابقة ارتبطت بعشيق لها بعد
طلاقهما..

فلم يفهم كيف ترك جالا لذلك السبب وبنفس الوقت عندما اختار
الزواج من امرأة روسية لا من نفس دينه ولا من نفس بيئته..

أشاح بوجهه عنها قائلا بفتور

((لا يمكن أن أعود لها.. أنتِ تعرفين أنها روسية وزواجي منها
كان بمثابة خطئ كبير))

لم تتكلم جالا بل نظرت له للحظات طويلة..

ثم قالت له أخيرا قبل أن تعطيه ظهرها وتدخل غرفتها وتغلق
باب شرفتها بالمفتاح

((سأحرص إلا أخرج للشرفة بهذا الوقت وحيدة حتى لا تفكر
بالمجيء هنا متسللا مرة أخرى.. فهذا ليس نفس تصرف ابن
الجيران الشهم صاحب النخوة الذي دافع عني وأنقذني قبل
سنوات.. وداعا يا كارم ولن أقول إلى اللقاء))

بينما بقي كارم مكانه لدقائق ينظر لإثرها..

لا نية لها بالعودة له أو المحاربة من أجل ذلك..

بل من الممكن أنها سبق واتفقت أن تعود لمراد ولهذا السبب
طلاقهما لم يخرج إلى النور ولم ينتشر بأرجاء القرية..

تنهد بعمق وهو يعود أدراجه.. عليه التوقف عن مراقبة بيتهم
وشرفة غرفتها على وجه التحديد..

لأن هذه ليست تصرفات رجل محترم حتى لو أنه لم يكن يريد
منذ البداية أكثر من نظرة..

لكنه فعلا تمنى أن يطلب السماح منها لأنه ما يزال يحبها..

وتمنى سابقا أن يطلب السماح لقلبها الذي تألم لأجله..

ولعينيهما اللتان لم تغفوان ليلا بسببه بتلك الليالي..

لكن ليتها تعلم بأن حاله آنذاك كان نفس حالها..

كان هو الآخر يخبي في قلبه أننا صامتا..

ظن بأنه سينساه سريعا وسيكون الأفضل لكلاهما..

ولكن وعلى ما يبدو أنها ستبقى مسيطرة عليه وسارقة لفكره
وقلبه..

=====
=====

بعد مرور أسبوعان..

مر أكثر من عشر أيام على وفاة عمه فيصل..

كان الأمر بمثابة فاجعة كبرى ومصيبة عظيمة تحل على
الأسرة كلها..

فبالرغم من أن عمه فيصل ليس محبوبا إلا أنه كان غالبا في
قلوب بناته..

وهو أيضا بالرغم من أنه يعرف أنه عمه لم يكن يستلطفه لكنه
وفاته أثرت عليه..

جاء والده أيضا من فرنسا لحضور جناز أخيه الأكبر وغادر
قبل يومين..

رفع راجي كفيه يمسح وجهه متنهدا..

شعر بأنه منهك.. فبعد رحيل عمه أدرك أن أكبر ألم ينزل على
المرء هو ألم فقدان ميت..

وحكاية رحيل رجل من عائلته بغض النظر عما كان عليه هي
كتلة حزن لن تذهب من قلبه أبدا..

منذ وفاة عمه توقف راجي عن التدخين وبقي لأيام طويلة
مقاوما من دون هذه العادة التي بدأها بعد أن انفصل عن سارا
بعد شعوره بالفراغ وقلة خبره بضرر التدخين..

بقي طوال هذ الأيام يقاوم كل مواد الإدمان في السجارة التي
تدعوه لاسترجاعها في دمه..

شعر بالقليل من الضعف عندما زادت الأعراض الانسحابية
والإحباط لكن الضعف لم ينجح بجعله يعود للتدخين..

فبالأيام التي تركها شعر أن صحته صارت أفضل..

لا سعال.. نفس أقوى..

لا صوت صفير يصدر من صدره..

مذاق الأطعمة صار أفضل..

لا استيقاظ لغاية الثانية والثالثة بعد منتصف الليل..

بل ما إن تأتي الحادية عشرة مساءً حتى يشعر بالنعاس يدفعه
نحو السرير ليستيقظ مبكراً نحو عمله الذي عاد إليه بعد انتهاء
أيام العزاء الثلاث..

انتبه راجي على صوت والدته تقول له بعد أن فتح الخط على
الهاتف عليها

((هيا يا بني اذهب وخذ زوجتك من بيت عمها لبيتك.. بما انه
وبكل الأحوال لن تقيم أي حفل زفاف بسبب حالة الوفاة التي
حدثت بالعائلة فلا داعي لتأجيل الأمر أكثر.. لقد عقدت القران
عليها وهي زوجتك الآن))

رد راجي عليها بصوته الهادئ وهو يغادر المنزل ويغلق الباب
خلفه

((لقد بلغتها هي وعمها في الأمس.. دقائق وسأكون على الطريق لأصل لبنائتهم لاصطحابها))

قالت له سميحة بصوت دافئ

((اذهب يا ابني ووقفك الله بحياتك معها))

كانت سميحة سعيدة أن رائسى لا تشبه سارا في شيء..

تتمنى فقط أن تكون ذكية بمعاملتها لراجي..

فألزوج ماذا يريد من زوجته غير الملقى الحسن واللسان الذي يقطر عسلا... من تجعل بيته جنة يشناق للرجوع إليه من عمله؟

أما راجي ابتسم لكلام والدته بسخرية بدت ظاهرة جلية بعينيه وهو يودعها قبل أن يشغل محرك سيارته..

=====
=====

ترقرقت بالدموع عينا جالا المستلقية على فراشها مدثرة نفسها بالغطاء رغم حرارة الجو العالية..

لا زالت مفجوعة بوفاة والدها بعد معاناة من المرض وكادت أن تنهار يوم وفاته..

انحدرت عبراتها على وجنتها وهي تتذكر آخر اللحظات التي قضتها بجانبه في المشفى برفقة عائلتها..

وانحدرت بضع دمعات أخر مثقلة بالألم وهي تتذكر كل ما فعله مراد أيضا بالأيام السابقة بعد وفاة والدها..

فقد شاركها هي وعائلتها حزنها ومُصابها وقدم أصدق التعازي والمواساة الخالصة في مصابهم..

طلب لها أكثر من عاملة في أيام العزاء وما بعدها لتساعدنا في قضاء أمور حياتها من إعداد للطعام وتجهيز المشروبات وغسل الملابس وتنظيف وتنظيم المنزل..

ساعد مراد راجي بإحضار وليمة العشاء صدقة عن روح والدها وفي إحضار القراء مع تجهيز الموقع بالسماعات ليقوم القارئ بقراءة عدد من الآيات خلال جلوس المعزين..

فضلا عن تعيين أشخاص لتولي تجهيز الشاي والقهوة والتمر ووجبات طعام عبارة عن الذبائح..

فراجي تقريبا كان هو وحيدا يقوم على رأس الأمور..

فكان مراد يبدأ بالقدوم إلى منزل العزاء بعد صلاة الظهر وينصرف بعد وجبة العشاء..

وبعد انتهاء أيام العزاء كان مراد يزورها ليتفقدتها هي وابنتيهما حيث كانت متواجدة في بيتهم هذا حيث جميع العائلة معها أيضاً..

لم ينفردا هما الاثنان ولا للحظة لوجودهما عندما كان مراد يأتي لتفقدتها لكون جميع أفراد عائلتها يبقون محاطين بها..

ولكن لم يلاحظ أحد منهم أن هناك طلاق أو حتى خلاف بسيط بينهما..

وحديث مراد معها أمامهم لم يخرج عن موضوع العزاء والمواساة والدعاء لوالدها وذكر مآثره ومناقبه وهو يشاركون مشاعرها وآلامها وتخفيفها عنها بطريقة أو بأخرى..

وحثها على التحمل بالصبر والرّضا بقضاء الله وقدره وكذلك الدعاء له واحتساب الأجر عند الله..

وطوال وقت جلوسه بجانبها كان يعانقها واضعا ذراعًا حولها
ليضمها له حتى يشعرها بالاطمئنان والراحة وصدق مشاعره
في مواساته..

ومحاولا الالتزام بالهدوء والسكينة حتى يمدها الصبر
والسلوان..

وكل يوم قبل مغادرته المنزل كان يعرض أمام عائلتها تقديم
المساعدة بصدق وإخلاص في أي شيء يمكنه القيام به من
المهام والأمر التي يحتاجونها خاصةً عند شعوره وملاحظته
حاجتهم لذلك..

حتى والدة مراد جاءت للمنزل لتقديم واجب العزاء طوال أيامه
وكانت تُبقي رورو ولين معها طوال الوقت وأحيانًا تصحبهما
لينا ما عندها حتى تخفف عليهما..

رفعت جالا عينيها للباب عند سماعها طرقات فوقه لتسمح
بدخول الطارق بصوت خافت

((تفضل))

اعتدلت جالا نصف جالسة وهي تسمح بحياتها بأناملها من أثار
الدموع..

وسرعان ما اتسعت عيناها بدهشة وهي ترى مراد يفتح الباب
ويدخل من خلاله فالיום عاد الجميع لبيوتهم ولم يبقَ أحد إلا هي
وراجي في البيت..

وحتى راجي ذهب لإحضار رانسي وبقيت هي وابنتيها
وحيدات هنا فظنت أن الطارق إحداهن..

أغلق مراد باب غرفة نومها خلفه ليقول بصوت عذب وتقاسيم
وجه حانية

((كيف صرت الآن يا حبيبتني؟!))

حلقتها الجاف لم يساعدها إلا بنطق كلمة واحدة ضعيفة النبرات

((بخير))

دنا مراد منها بخطواته الهادئة وهو يقول لها مجيبا على سؤالها
الغير منطوق

((فتحت لي الصغيرتان الباب.. ألا يوجد أحد هنا في البيت..
أين راجي؟))

نظرت جالا لعينيه وقالت له بصوت واهن لكنه حاد

((ذهب ليحضر زوجته.. لقد عقد قرانه على صديقتي رانسي
كما تعلم.. العقبى لك))

جلس مراد على طرف سريرها قريبا منها قائلا بصوت مشتاق
ومعاتب

((هل هذا وقت مناسب لكلامك هذا يا جالا؟))

عبست جالا أمامه وحنق شديد إنما واهن قالت له وهي تدحجه
بنظرات عينيهما الحزيبتين

((لماذا ليس مناسباً؟ أيام بمجرد أن تنتهي عدتي لن تستطيع
حتى رؤيتي.. وأنت بالتأكيد لن تبقى عازبا للأبد من بعدي..
عليّ تذكر وضعنا الاجتماعي))

رد مراد سريعاً دون موارء

((بشأن وضعي الاجتماعي أيتها السخيفة.. فقد تحدثت مع دار
الإفتاء عن الذي تلفظت به وما حدث معنا حرفياً.. هناك قول
بأن الطلاق نافذ ويقع عليك حتى ولو كان قصدي التهديد فقط
والعصبية ليست بمجرد مانعة من وقوع الطلاق إلا إذا وصل
صاحبها إلى حال لا يعي فيه ما يقول.. وهناك قول إنه تلزمني
كفارة يمين فقط في حال كان قصدي التهديد.. على كل حال..

في الحاليتين.. أنت لا تزالين في عصمتي.. أو في حكم الزوجة
عند الطلقة الرجعية.. وعندما أقول لك أن تأتي المنزل ستأتين))

آخر جملة قالها بجمود وحزم مقرا حقه فيها لتدرك جالا ماذا
يقصد..

وكما توقع ارتسم الغضب على وجهها وهي تقول معترضة
((ماذا؟ هل ستجبرني؟ أنا لن أعود لك.. لا تفكر بأن تعيدني
بعدما صفعنتي وما فعلته قبلها))

علا هدير قلبه بعنف مضاعف عند ذكرها لصفعته لها..

لكنه تماسك وهو يقر لها بتقاسيم وجه مبهمة ويده تعتصر
طرف الغطاء الذي يمسكه بين أنامله وكأنه ينفذ عن غضبه
على نفسه من خلاله

((بنفس اللحظة التي خرجت منها من المنزل أعدتكَ لذمتي يا
جالا وبدون حتى أن استغرق بالتفكير في حالة لو وقع
الطلاق))

سألته جالا بعبوس وبغير رضا

((لماذا فعلت ذلك؟ كيف أعدتني هكذا؟ هل تظن أنني لن أستطيع
طلب الطلاق مرة أخرى؟))

أغمض مراد عينيه ليأخذ نفسا عميق ثم يزفره بهدوء..

ثم فتحهما ليقول بصوت ثابت

((جالا أنا لا أقول لك أنني سأخذك عنوة والآن.. خذي وقتك
وارتاحي.. وعندما تشعرين أنك بخير ستأتين معي))

حادت جالا نظراتها جانبا وهي تقول له ببرود

((لا أريد أن أعود لك أبدا.. لا الآن ولا بأي وقت آخر.. لا أريد أن أعود لرجل علق امر طلاقه مني بأمر سخيف كخروجي من المنزل بعد أن صفعني.. لا اصدق كم هو سهل عليك الطلاق وتدمير عشرة كل هذه السنين لأجل تلك المشكلة))

نظر مراد لجالا بعجز يمقته وهو لا يعرف كيف يخبرها أن الأمر معقد أكثر بكثير مما تظنه..

سألها مراد بخفوت وعيناه لا تحيدان عنها

((إلى هذا الحد لا تريد أن تكوني معي؟))

التفتت له تقول بعينين مترققتين بالدموع

((بقائي معك يا مراد يؤذيني.. بالرغم من كل اللحظات الجميلة التي لم أعشها إلا معك.. إلا أنه صار يؤذيني.. واتخذت قرار جديا باعتزال كل ما يؤذيني))

سألها مراد بصوت متحشرج وهو يشعر أنها أصابت قلبه بمقتل بكلماتها البسيطة المتهورة

((هل بقائك معي يؤذيك يا جالا؟ هل هذا الكلام خارج من أعماق قلبك؟))

ازدردت جالا ريقها وشعرت أنها أضعف من أن تؤذيه في كلامها.. ما جعلها تكشف عن ضعفها بملامح محياها وهي تقول له بصوت محتار ومتهدج ينذر بالبكاء

((لا أدري يا مراد.. بقائي معك يؤذيني وابتعادي عنك يؤذيني.. ولا أدري ماذا افعل إذا ما كان اعتزال ما يؤذيني.. يؤذيني؟))

عم الصمت عليهما بالغرفة لدقائق وكل منهما مطرق الرأس عن الآخر..

رفعت جالا وجهها لمراد عندما سمعته يقطع الصمت هامسا
بصعوبة وجدية وجنون

((جالا.. ما هو موقع كارم بحياتك؟ هل لا زلت تحبينه؟))

كل الانفعالات المختلفة التي كان مرتسمة على وجه جالا
تجمدت في اللحظة وهي تدرك سؤال مراد الجدي وتحذك فيه
بدهشة..

وسرعان ما ابتسمت بسخرية وهي تنتظر له باشمزاز لتقول في
حدة وعفاريت العالم تتلاعب أمام عينيها

((ماذا؟ ماذا؟ هل جننت؟ ماذا قالت لك والدتك هذه المرة عني؟
ما نوع الخطيئة التي اهتمتني أني قمت بها معه عندما خالفت
أوامرك وجلست في بيت أخي؟ هيا قل.. ألا تجد رجلا آخر إلا
كارم لتملا أذنك بالشكوك تجاهي؟))

وسرعان ما تذكرت جالا آخر لقاء بينها وبين كارم بشرفتها
وخافت فعلا من أن يكون هناك من رأهما تلك الليلة ثم نقل ما
راه مُبهرًا بأحداث أخرى وينقله لروعة..

فلم تدع أي شتيمة إلا وألقتها على نفسها لأنها استجابت لكارم
وتحدثت معه وأخضت وجهها الذي صار شاحبا..

لكنها عادت ترفع وجهها وتفغر شفتها بلا تصديق وهي تكاد
تشعر بتشنج وهي تسمع مراد يخبرها بحشرة ألم رهيب

((ليست أمي وراء سؤالي بل أنا.. أنا من اشعر بانك لا زلت
تحبينه.. سمعتك بأذني تهمسين باسمه بأحلك كوابيسك
وتستجدي به لينقذك..))

هزت جالا رأسها بلا تصديق..

متى وأين وكيف؟ هل يمكن أن تكون فعلا قد نطقت باسم كارم
أثناء كوابيسها؟

وأنكى ما في الأمر أنها همست باسمه أمام مراد.. هل حدث هذا بالفعل؟

كانت تنظر لمردا بعينين جاحظتين وهي تتمتم له ما يجول بخطرها

((ماذا؟ كيف؟ لا أفهمك.. متى قمت..))

بالكاد حبس فورة انفعالاته ومشاعره المحتممة المختلطة بداخله في هذه اللحظة وهو يجيبها

((سمعتك ذلك اليوم عندما كنتي نائمة.. سمعتك بأذني يا جالا تستنجدين كارم بالكابوس الذي كنتي تعيشه بنومك.. كما كنت تستنجدين به بنومك ببداية أيام زواجنا بعد كل شجار يحدث بيننا..))

كانت عينا جالا توشكان أن تخرجا من محجريهما وهي تسأله ((ولكن كيف.. كيف سمعت؟))

لم تفتها تلك الاختلاجة الشرسة المذبوحة التي مرت على صفحة وجهه وهو يقول لها

((هل أنتِ مصدومة لسماعي ذلك؟ إذن بعد أن عرفتني سبب ما أقوم به سواء الآن أو بالماضي فضعي نفسك بمكاني))

وبحرقة أردف وهو يقرب وجهه منها

((أنا لم أتزوجك إلا بعد أن أكدت لي رغبتك الكاملة في المضي قدما بهذا الزواج وبدون أن أسألك حتى سبب انفصالك عن كارم بعد كل هذه السنوات.. وسمعتك بأذني تهمسين باسمه ببداية شهور زواجنا بكوايبسك.. ولم أفعل أي شيء.. لكن أن أسمعك مجددا تهمسين اسمه بغير وعي أو إدراك بعد مرور كل هذه السنين التي أمضيها معا وبعد أن أيقنت من حبك لي؟ كيف كنتي تريدين مني التصرف؟))

بلحظات قصيرة صارت الاف الأسئلة والكثير من تصرفاته
الغامضة والغير مبررة واضحة أمامها..

وكم شعرت بالألم ينهش قلبها لفكرة انه سبق وفكر أنها تحب
كارم أو لا تزال تحبه وتتمناه زوجا لها..

فهزت راسها رافضة وهي تقول بينما الدموع تنزل من عينيها

((مراد لا.. الأمر ليس كذلك..))

سألها هادرا بنظرات لا توصف

((هل ما زلتى تملكين له مشاعر؟ هل تتمنين فعلا بكل لحظة
شجار تحدث بيننا أن يكون هو من تزوجتيه؟))

فغرت شفقتها وألمها كلامه وماذا يفكر به أكثر وأكثر ليتابع لها

((أنا اعرف يا جالا أنك تبادليني الحب.. لكن كيف يمكن لك أن
تمتلكي له مشاعر بنفس الوقت؟))

ازدرت جالا ريقها لتقول له بصوت متهدج

((مراد اقسم لك أن الأمر ليس كما تعتقد.. كرم ساعدني
بطفولتي بأمر ما.. بأمر وتجربة قاسية مررت بها.. وكما يمر
عليّ شيء يذكرني بتلك التجربة أراه في كوابيسي أثناء نومي
في نفس الليلة.. لم يخطر على بالي أنني أتحدث أثناء نومي..
لكن إن نطقت باسم كرم فهذا لأنه كان جزءا من تلك التجربة
المريرة وهو من ساعدني لحلها.. لا كما يخطر على بالك))

تغضن جبين مراد..

الغبية لم تعرف أن كلماتها هذه بدل أن تبرر موقفها كانت
تحققة.. بل جن جنونه من داخله..

لماذا تحلم بكرم وتستجده بكوابيسها بدلا منه؟

هي كانت مع كارم لسنوات طويلة ولا يستغرب مرور الاثنان
بالكثير من المواقف والأمر..

لكن ما هذه التجربة التي مرت بها وساعدها كارم فيها؟

هو متأكد من أن التجربة كانت قبل زواجهما حيث لم يكن له
وجود مهم بحياتها..

لكن ألمه نابع من عدم وجوده في تلك التجربة المريرة على حد
وصفها بدلا من كارم والتي لها وقع كبير فيها لتذكرها حتى بعد
مرور كل هذه السنوات..

تابعت جالا مبررة بما لا يساعد من تخفيف نزيف رجولته
وكرامته

((مراد تفهمني.. لقد مررت بطفولتي بتجربة بشعة.. بكل مرة
أتذكر ما مررت به لا أرى إلا كارم لأنه هو من أنقذني من
الموقف.. لكن عندما أحلم بتلك التجربة أرى كارم من أنقذني
وحسب.. لكن صدقني فحتى شكله لا يظهر واضحا في حلمي..
لقد نسيت كارم وشكله منذ مدة طويلة مضت))

ركز مراد النظر بعينها وهو يشعر بالوجع يكاد يحطمه..

ثم قال لها بصوتٍ قاسي وعينين مشتعلتين

((لا أستطيع فهمك أبدا يا جالا.. لا أستطيع تقبل الجنون الذي
اسمعه منك.. ولا أدري كيف منعت نفسي بصعوبة من قتله في
تلك المرة.. حتى ولو كان بغير وعي منك.. بل همسك باسمه
بغير وعي منك يقتلني أكثر مما لو تعمدت قولها))

ألهدا سارع تصديق والدته عندما اتهمتها أول مرة بشأن كارم؟

كم كانت تود أن تخبره بما حدث فعليا معها لكنها تراجع
كلها..

لن تستطيع ولن تقدر ولن تعيد خطأها مرتان بالاعتراف بما
مرت به لأي حد..

ولا تعرف ماذا تقول لغيرته المشتعلة لتبرر ذنبها..

لكن شعرت جالا في هذه اللحظة بأن الوقت أكثر من مناسب
لكل منهما ليفجر غضبه ويبين مكنونا قلبه المدفونة منذ سنوات
طويلة للأخر..

فإذا كان غير مقبولا لها نطقها باسم رجلا لم تراه منذ أكثر من
عقد لمجرد ما جمع بينهما بالماضي..

فكيف هي ترى ما يحصل بينه وبين سهر؟

تغيرت ملامح وجه جالا الملتخ بالدموع وعيناها تشتعلان
وهي تنتظر لمراد قائلة بصوت خافت لكن خرج حادا كنصل
السكين

((اترك كارم جانبا.. لتحدث عنك يا مراد.. ماذا بشأن سهر؟))

عقد مراد حاجبيه قائلا

((وماذا بشأنها؟ لا تدخلني سهر بالموضوع))

ازداد هيجان ثورة غضبها التي تستعد لإطلاقها وهي تقول

((كيف لا تريدني أن ادخلها؟ كيف تحاسبني على شيء لا
يضاهي ما تفعله أنت مع سهر.. أنت تفكر وتريد الزواج منها
وتتعامل معها بأريحية وكأنها لا تزال خطيبتك السابقة.. ألم
تخبرني أنت أيضًا أنك لا تملك أي ذرة مشاعر تجاه عروسك
الهاربة سهر قبل زواجنا؟ إذا كنت تتحسر على تركها إياك
فلماذا طلبت الزواج مني عندما هربت بدلا من انتظارها وحل
خلافكما؟))

التقت نظراتهما للحظات ومراد ينظر لها بلا فهم ليقول أخيرا

((سهر؟ ولم قد ارغب بالزواج من إنسانة مثلها؟ أي جنون
تتفوهين به؟))

قالت له جالا بصوت مشبع بالألم وهي تقول بنفس الخفوت
الحاد السابق

((بل تريد.. تريد ذلك.. رأيتك قبل مدة قصير توصلها هي
ووالدتها بسيارتك لمكان ما.. تتصرف كأنك لم تصدق أن
يحدث طلاقنا حتى تتقرب منها))

اتسعت عينا مراد هادرا بتعجب

((ما هذا الهراء الذي تتحدثين عنه؟ هل أنت.. مـ. ماذا؟
رأيتنا؟ هل تقصدين عندما أضعاءت والدتها محفظتها وطلبت
مني أن أوصلهم للبيت؟))

سرعان ما زال تعجبه وحل التوجس محله بينما تكمل جالا باقي
كلامها وتخرج ما عندها بقهر ولوم

((رأيتك تقود سيارتك وتقلهما معك بالوقت الذي يفترض أنك
غارق بعملك..))

قال لها مستنكرا اتهامها الذي يتقافز من عينيها

((قلت لك أن والدتها هي من اتصلت بي وطلبت مني إيصالها..
كان موقفا إنسانيا.. هكذا أراه))

عضت جالا على شفتها ثم عادت بنبرة هامسة مخيفة

((وماذا بشأن نظرك على صورها بمواقع التواصل الاجتماعي
بإعجاب آخر مرة؟))

هدر مراد لها باستهجان

((أي إعجاب وغباء تتحدثين عنه؟ أنا انظر لصور سهر
بإعجاب؟))

إلا أنها أصرت تردد عليه باتهام

((نعم بإعجاب ووله وأمام عيني سحبت الهاتف من يارا وبكل
تبعج))

عاد يستهجن كلامها

((عن ماذا تتحدثين؟ أنا لم..))

بتر كلامه وعيناه تشردان بعيدا ليقول لها وهو يبدأ التذكر

((هل تقصدين عندما صرخت عليّ أمام والدتي بصوت عالي؟
هل تقصدين تلك المرة؟ نظرت على صور سهر لأنني كنت
أريد عنادك وحسب ولم أكن انظر بتركيز حتى.. لا اذكر حتى
أي صورة من صورها.. لحظة.. لحظة..))

بتر كلامه مرة أخرى وهو يتذكر ويربط ما قالته في وقت
سابق باحتدامهم هذا ليقول وهو عاقد الحاجبين بينما يتصلب
فكه

((بشأن موضوع توصيلهم.. متى شاهدتني أوصل سهر
وأماها؟))

أشاحت جالا عيناه بعيدا والقلق يتسلل لوجهها لتقول

((ماذا؟ ك.. كيف؟))

ضيق مراد عيناه وهو يدحجها بنظرة مخيفة ثم مال إليها هامسا
من بين أسنانه بصوتٍ مشدّد منفعل وقد ربط الأمور بعقله
أخيرا

((هل كنتي مع كارم في ذلك اليوم؟ هل أوصلك بسيارته لمكان
ما))

انكشمت جالا على نفسها بخوف وهي تقول بخفوت مدافعة

((هيام كانت معي ولم أكن وحيدة.. وهيام من أجبرتني))

صرخ مراد وأنامله تمسك ذراعها بقسوة

((لقد جن جنوني عندما رايته يخرج من سيارته برفقة هيام فقط.. فهل تخبريني الآن أنك كنت بداخلها؟ هل كنت بداخل السيارة؟ أين كنتي مختبئة بسيارته ولماذا لم أراكي؟))

ازدرت جالا ريقها.. فهي بعد أن جنت الأخرى برويته مع سهر وأمها أخفضت من نفسها حتى لا يراها مراد وينتبه عليها..

فعادت تقول مبررة بوهن

((أخبرتك أن هيام هي من ضغطت عليّ لأركب معه))

هتف مراد من بين أسنانه بغضب

((ما هذه الحجة الغبية.. أين راجي؟ لماذا لم يوصلك؟ هيام ألا تملك سيارة؟ بل ألا يمكنك طلب سيارة أجرة على الأقل؟))

تلحت جالا بشجاعة مزيفة وهي ترفع عيناها له قائلة

((مراد.. حاسب نفسك قبل أن تحاسبني.. لم اخرج مع كارم إلا مرة لأنني ظننت أننا مطلقان..))

صرخ بها يزيد من رعبها منه بهذه اللحظة

((ليس عنرا مقبولاً فقد كنتي بعدتك..))

ترك مراد ذراعها بإهمال بعد أن قال ما لديه ليقف معتدلاً من مكانه ثم أخذ يتحرك في حجرة نومها لاهت الأنفاس ومشتت الأفكار..

كأنه أسد غاضب محبوس في قفص وهو يمنع نفسه بصعوبة من مغادرة المكان وقتل كارم..

كيف يوصل الحقيبر زوجة رجل آخر!

توقف والتفت لجالا يريد أن يسألها ما إذا كان كارم يعرف
بطلاقهما إلا أنها باغتتها بقولها المتذمر الممزوج بالغضب

((أنت غاضب لأن كارم أوصلني مع اختي.. مع أنني متأكدة
أنك سبق وخرجت مع سهر ولوحدكما))

بصوت حاد أجابها مراد

((لا لم يسبق وان خرجت مع سهرا وحيدا..))

برقت عينا جالا وهي تنظر إليه طويلا قبل أن تقول ببطء
خطير وإصرار

((لا بل خرجت.. وبإحدى المرات في بداية زواجنا.. بل لقد
أرسلت لي سهر صورك وأنت تتسوق معها.. واشتريت معها
أكثر من حلة))

كان واضحا أن مراد لا يعرف عما تتحدث فتساءل بحاجبين
معقودين استهجاناً

((أي صور هذه التي أرسلتها لك؟ كيف حدث هذا؟))

أجابته جالا تسرد ما حدث بألم ينبض به قلبها

((لقد أرسلت لي صورك معها عن طريق ساعي البريد.. لكنني
حرقته الصور بعد أن قررنا أن نعود سويا لبعضنا وننسى كل
ما حدث بالماضي.. قررت أن احرق الماضي كما حرقته تلك
الحل.. ألا تذكر عندما حرقته حللك التي اختارتها سهر
وغضبت علي وقتها بكل بجاحة؟))

هتف مراد بعينين متسعيتين صدمة

((حرقتيها؟ جالا عن أي قصة تتحدثين؟ لا أذكر شيء كهذا))

كان صدره لا يزال يعلو ويهبط انفعالا قبل أن يعقد حاجبيه
وهو يحاول تذكر ما تحدث عنه..

وللحظة اشتد خط شفثيه وهو ينظر إليها وقد توترت ملامحه
وقد بدأ يتذكر..

فابتسمت جالا وهي تقول له بصوت باهت

(قبل أكثر من عشر سنوات.. أرسلت لي سهر صورك معها
وأنتما تتسوقان وتشتريان حلل لك))

بشق الأنف كبت مراد غيظه وهو يردد متوعدا

((الحقيرة سهر.. لا اصدق ما فعلته..))

ثم نظر لجالا هادرا بحنق أقرب للعتاب وهو يعاود الجلوس
بقرها عابسا

((وأنت كيف كتمتي الأمر كل هذه السنوات؟))

أجابته جالا بصوت متحشرج

((لقد فعلنا زواجنا بعدها.. وقلنا لبعضنا أن ننسى الماضي بكل
ما فيه وأن نبدأ من جديد بعد أن شعرت بصدق حبك لي))

احتوى مراد بكفيه قبضتي جالا يشد عليهما وهو يقول لها
وعينا نتوسلانا تصديقه

((جالا اقسم لك أنني لم اذهب مع سهر.. لقد رأيتها مصادفة
بالمول التجاري وهي عرضت علي المساعدة لشراء حلل لي
وانا لم أستطع أن ارفض.. قلت ببالي لم لماذا لا استعين
بخبيرتها الأنثوية.. لكن بعد هذا الموقف الذي حدث لم أراها أبدا
ولم انفرد معها في أي مكان ولولا تلك الزيارات التي تجيء
فيها مع والديها هنا لما قابلتها))

قالت جالا له وهي تنظر له بضيق شديد وحنق ضمني

((وأنت لا تفوت الجلوس مع عائلتها عندما تزور عائلتك
وتناديك والدتك! أنت بتصرفاتك هذه تعطي والدتها أملا))

انعتقد حاجبي مراد ولم يرد عليها ناظرا إلى ملامحها والشحوب
الخفيف الذي علا وجنتيها مما جعله يقول بصوت هادئ

((جالا أنا اجلس مع والدها والدي وهي تجلس مع أمها
وأمي.. أي امل تتحدثين عنه؟ كم مرة أخبرتك عن هذا الأمر؟
اقسم لك أنني لا املك أي ذرة مشاعر تجاه سهر إذا لم تعتبري
الاحترقار نوع من المشاعر.. لا تقارني نفسك بها.. إنها إنسانة
منحلة.. وخطبتي السابقة بها كانت لتكون أكبر كارثة على وجه
الكره الأرضية.. أنا اعتذر أنني لم أجعلك تشعرين بالأمان.. هذا
ذنبى وأنا أتحمل المسؤولية كاملة.. لكن أتمنى فقط لو أنك
صارحتني بشكل أبكر من هذا))

سألته جالا بشك وهي تزم شفنتيها

((هل تريد أن تقول لي أنك لم تلمنى أن تكون هي زوجتك؟ ولم
تحاول أن تتقرب منها؟))

بإصرار قال لها مراد وهو يهز رأسه

((نعم صدقيني.. سأقول ما فعلته لوالدي.. ولن اسمح لها هي أو
أمها أن تخطو عتبة البيت))

بعتاب هدرت جالا وهي تسحب قبضتيها منه

((الآن تذكرت أن تفعل هذا؟))

إلا أن مراد تابع كلامه قائلا بصوته العميق الحنون المتوسل لها
تصديقه وهو ينظر لها بوجد

((جالا أنا احبك.. احبك ولم احبك امرأة غيرك.. أحببتك حتى
قبل أن ننزوج ولم تتصورى مقدارى سعادتي في الزواج منك
بعد أن لم أتخيل حدوث هذا حتى بالأحلام))

اتسعت عينا جالا وهي تنظر بعينه مباشرة لتكرر عليه سؤالها
وهي تتذكر كلام كارم

((هل أنت صادق يا مراد؟))

رفع مراد يديه واحتضن وجهها بين كفيه وهو يهمس لها بتأكيد

((سامحيني لأنني لم أقل لك هذا من البداية.. لكن فيما بعد
حرصت أن تعرفي مقدار حبي وما أكنه بمكنونات قلبي لك..
ألم انجح بكل تلك السنين بجعلك تدرकिन حبي من كلامي
وأفعالي؟))

سالت دموع جالا مجددا وهي تخبره بألم

((بلا فعلت.. لكن موضوع سهر وكلام والدتك عن حسرتها
بزواجك مني بدلا منها كان ينجص علي حياتي))

مرر بابهامه فوق وجهها يمسح عبراتها الساقطة هامسا لها

((سامحيني لذلك.. لكن إياك حتى أن شعري بالغيرة من فتاة
منحطة مثلها.. غاري بمن هي ند بأخلاقك أنت))

همسته جعلتها تشهق قبل أن تقول

((وأنت أيضا لا تفكر انه يمكن لي أن أكن شيئا لكارم.. صدقتني
يا مراد الأمر متعلق بكونه جزءا من طفولتي وحسب))

هزّ مرادها راسه متفهما رغم شعوره المستمر بالوجع..

ما زال يجهل ما مررت به بل لم يفهم ما تقصده تماما..

لكنه فضل أن يتجاوز ويصدق كلامها بأن كارم لم يعد يمثل لها
شيئا إلا أنه ساعدها بمشكلة تتردد دائما على كوابيسها..

حتى لو لم يعجبه الأمر إلا أنه يجب عليه تقبل أن كارم كان جزءا من ماضيها وتقاسمت معه أمور كثيرة معه لسنين طويلة..

فهز رأسها لتقول جالا له بصوت واهن

((سأحاول تصديق ما قلته بأن ظني بأنك نادم على عدم التزوج من سهر ليس صحيحا.. وبأنك فعلا لا تريدها زوجة))

عقد مراد حاجبيه يقول لها

((جالا كم مرة عليّ أن أقسم لك أنني لا املك لها ذرة مشاعر ولم أرغب يوما بالزواج منها؟ رؤيتي لها قبل عشر سنوات كانت مصادفة.. ولم أكن لأوصلها قبل أيام لو أن والدتها لم تهاتفني وتطلب مني ذلك بعد أن فقدت محفظتها بالنادي.. لكن حرصت على ألا اخرج من بيتهم قبل أن تعرف أمها جيدا أنك ما زلت زوجتي.. واعدك أن اسم سهر لن ينطق عند عودتنا للمنزل))

لوت جالا شفقتها قائلا بحنق شديد

((أمك رائعة.. لم تطق صبرا حتى تنشر لها خبر طلاقنا لتعرف أم سهر))

سارع مراد بالقول وهو يميل إلى ذراعها قائلا وبدا في كلامه اعتذار عفوي بدا صادقا للغاية

((صديقيني سأحاول إلا ادخل أمني بحياتنا.. لكن لنعد سويا..))

حركت جالا رأسها بالرفض قائلة وهي تزعم شفقتها بإصرار

((لا مراد لن أعود الآن))

عاد مراد يؤكد عليها عاقد الحاجبين بما جعل جالا ترتبك قليلا أمام تلك النبذة الخاصة التي ظهرت في صوته

((جالا.. ألن ننتهي؟))

كانت جالا تتنفس بصعوبة بهذه اللحظات إلا أنها همست
بصوتٍ حاد وهي تقول بإصرار

((مراد أنا لا أريد أن أعود.. لن أعود.. لا زالت وفاة والدي
تفجعني))

همس لها مكررا

((حسنا.. حسنا.. لا بأس.. لن اضغط عليك..))

ارتبكت جالا قليلا وعواطفه الجياشة تربكها.. ثم صمتت قليلا
لتهمس دون تردد بألم

((الأمر ليس كذلك.. أنا لا أفكر أن أعود أبدا.. لا أثق بك.. فما
أن أعود حتى تطلب مني أن أتعامل مع والدتك وأتردد على
بيتها وأطيعها وأنا لن أتحمل.. حتى لو تغيرت أمك كما رأيتهما
في عزاء أبي وراعتني.. فانا لا أثق بأنها ستبقى هكذا للأبد.. لا
أريد أن أعود.. احبك يا مراد وأغار عليك من أي امرأة
حولك.. لكن ما عدت أتحمل العيش معك.. أمك حاولت بجديّة
تزوجك من غيري.. أمك تكرهني وأكثر من مرة أساءت لي..
لا أستطيع تجاوز ما قالته لي ولن أستطيع أن أتعامل معها كأنها
لم تسمعني شيء))

فغر مراد شفّتيه قليلا لكنه بتر كلامه الذي كان ينوي قوله..

صمت للحظات ثم قال بهدوء وحزن بدون أن يضغط عليها

((جالا.. جالا.. حسنا ستبقين هنا.. دعينا لا نتحدث الآن بشأن
عودتك.. خذي قدر ما تشائين من الراحة))

شعرت جالا بالاسترخاء لتفهمه وهي تخفض عينيها إلى كفيهما
بعد أن امسك مراد كفها شابكا أناملهما ببعضهما..

عم الصمت بينهما لدقائق..

شعر مراد ببهوتها وبدون أي مقدمة تقدم يجلس بجانبها
ويحضنها..

ولم تستطع جالا في تلك اللحظة إلا أن تتقبل أحضانه شاهقة
باختناق كل ما مرت به ليشعر بقلبه ينقبض عليها إلى أبعد حد..

يعرف عظم المصيبة وقوة النازلة التي حلت على جالا بفقدائها
لوالدها..

شددت جالا على أحضانه لتشعر بالاطمئنان والاحتواء أكثر
وهي تقول له بصوتها المتذبذب

((مراد.. أنا لا اصدق أن أبي توفي))

مدّ يده يربت على شعرها بحنان شديد يغدقها فيه هامسا

((البقاء لله وحده.. أدرك مصابك وشعوري لا يقل عن
شعورك.. والدك دائما سيبقى في قلوبنا ولن ننساه..))

قالت جالا له بصوتها الباكي

((والدي قصر كثيرا معنا.. لكن أنا كنت عاقبة له أيضا ومقصرة
معه وأتضايق منه وأتضجر منه خاصةً بصغري))

كانت تريد التحدث لكن شهقتها منعته لتشعر بيده أسفل ذقنها
يرفع وجهها إليه هادرا بصوته العذب

((كما قلتي يا جالا قيل قليل.. لقد كنتي صغيرة.. لا داعي
للتفكير بهذا الأمر))

طالعت جالا بسمته الهادئة ونظراته الحنون لتتشجع وتقول أكثر

((بالفترة التي قضيتها ببيتنا هنا كنت أزوره دائما يا مراد..
وندمت على الذي قمت به بالماضي.. على تقصيري معه حتى

لو كان مقصرا.. عدلت علاقتي معه وكنت أبره وأحن عليه
بقدر جهدي وكنت حنونة عليه لكني لم أعتذر له ولم أقل له
سامحني قبل موته.. وهو رحمه الله قبل وفاتك قال لي انه سعيد
أنني تزوجت منك ويتمنى لي السعادة معك.. وكما طلب مني
قبل وفاته أدعو له بالرحمة والمغفرة وأن يكون راضيا عني في
قبره كل يوم))

ابتسم مراد لها قم قبل شعرها ليقول

((عزيزتي لقد أوصاني عليك كثيرا وأخبرني أن أعوضك عن
كل ما قصر به بحقك.. صدقيني لقد كان راضيا عنك قبل
موته.. ادعي له فقط))

وظلت في حضنه لوقت لا يعلمه يستمع لها ويتركها تتحدث عن
كل مشاعرها عن والدها فهو يعرف أنها لا تحتاج بهذه الأيام
سوى التحدث إلى شخص ما لتشعر بالراحة..

وهو من جهته يهددها ويرد ويروح عنها هامسا لها بكلمات
تخفف عليها بين كلامها..

بعد ساعة..

دلف مراد لغرفة نومه يأخذ حماما دافئا ويغير ملابسه بعد أن
وصل لشقته..

كان منهكا أكثر من أن يذهب لعمله الذي قصر بحقه مؤخرا
بسبب وفاة والد جالا..

ولج لحجرة مكتبه وجلس خلف مكتبه الدائري يفتح حاسوبه
المحمول ليتابع القليل من عمله في البيت..

فتح على بريده الإلكتروني ليستلم بعض المسندات والملفات
التي بعثها له زميله ليتابعها ويكمل ما يخصها الآن..

عقد مراد حاجبيه عندما وجد بريداً آخر غير بريده الإلكتروني
موضوعاً بدلاً عنه..

متى كانت آخر مرة يفتح حاسوبه المحمول هذا؟

فهو دائماً ما يكمل عمله بأجهزة مكتبه وإذا كان يريد متابعته
بالبليت يحضر معه جهاز المكتب لا هذا الحاسوب المحمول
القديم المكون هنا..

ضيق مراد عيبيه وهو يطالع اسم البريد الإلكتروني الذي كان
باسم غريب وغالبا وهمي..

ظن أن جالا أنشأته ربما للتسجيل بإحدى المواقع أو للألعاب من
أجل ابنتيهما..

كان يريد الخروج من البريد إلا أن فضوله جعله يعقد حاجبيه
مرة أخرى ويضغط على إحدى الرسائل المرسلة للبريد
الإلكتروني بعد أن جذبته عنوانها المكتوب..

=====
=====

انتهى الفصل

=====
=====

بسرعة بديهية رحبت تمارا وهي تنظر ببهجة وببشاشة لمراد الذي جلس على احدى الأرائك بحنق بعد إصرارها الفظيع على دخوله لمنزلها لاحتساء القهوة كشكر له..

تململ مراد موضعه وهو يشعر بضيق من ترحيب والدة سهر المبالغ بها وقد ارتسمت علامات الحرج على وجهه وهو يسمعها تقول

((شكرا لك يا مراد على التوصيل لقد أتعبناك معنا.. لكن لو لم تتعرض حقيقتي التي أضع فيها محفظتي وبطاقتي لما كنت طلبت منك أن تقلني أنا وسهر من النادي للبيت))

رفع مراد لها قائلا بابتسامة مصطنعة ومتكلفة

((لا داعي للشكر يا خالة تمارا هذا واجبي.. كيف تريدان أن تطلبي مني إيصالك للبيت ومكان عملي قريب منه ولا أفعل ذلك!))

قالت تمارا بصوتها الضاحك وابتسامتها الواسعة

((سأطلب أن يتم إعداد قهوة لك))

حاول مراد لمرة أخير أن يستسمحها قائلا

((أرجوك يا خالة تمارا لا داعي لكل ذلك.. لم يكن عليك الضغط عليّ للدخول.. أنا أريد المغادرة والعودة لعملي ولا يصح أن أتأخر أكثر))

إلا أنها قالت بصرامة وهي ترفع يدها أمام وجهها لا تقبل المناقشة بكلامها

((لا يا مراد لن اسمح لك بالذهاب قبل ارتشاف القهوة.. سهر امنعه ريثما اطلب تحضرها))

قالت الجملة الثانية وهي تنظر لسهر التي رفعت يدها اليمنى
لرأسها كتحية الضباط قائلة

((عُلم يا أمي))

اقتربت تمارا من أذن سهر تهمس لها وهي تغطي فاهها بيدها
بصوت خفيض لكنه كان مسموعا لمراد

((سهر لست بحاجة لأن أقول لك ماذا تفعلين.. استغلي دقائق
مغادرتي للمطبخ لصالحك.. هذا آخر فرصة لك لكسبه بعد أن
خسرت دعم والدته))

تطلعت سهر لوالدتها بعزم مرح قائلة بنفس الهمس الذي كان
مسموعا لمراد أيضا

((لا تقلقي يا أمي.. هذه الدقائق أكثر من كافية لأجعل عقله
يطير به ويطلب مني الزواج))

تهللت أسارير تمارا لتشيد على ابنتها وهي تطبطب على
ظهرها قبل أن تغادر هادرة

((أحسننت يا سهر.. هذه هي ابنتي الجميلة))

غادرت تمارا لتجلس سهر بلهفة وابتساماة متحمسة بجانب
مراد على نفس الأريكة..

لم يحاول مراد إخفاء أي اشمزاز أو رفض لها وهو يرشقها
من أعلاها لأسفلها بينما يرفع إحدى حاجبيه..

ثم مال عليها قليلا قائلا بنفاذ صبر وجمود

((سهر أريد المغادرة))

رفعت سهر أناملها تتلاعب بشعرها المموج المجمع على جهة
واحدة قائلة بفضول أنتوي

((لن تغادر قبل أن تجيبي.. من كان هذا الذي رأيته أمام الكافي يطلب القهوة وكنت تريد النزول وضربه كمختل مجنون لولا وقوف سيارتك بمنتصف أزمة المرور؟))

أجابها مراد وهو يكتف ذراعيه

((انه خطيب زوجتي السابق.. ورأيته بالمحل التجاري يقف مع أخت زوجي يشترى معها القهوة.. هذا ما كان يثير استيائي بالأمر.. فهو درس وتغرب بروسيا ولم يأتي للبلاد إلا قبل مدة.. ولا تربطه أي علاقة بعائلة زوجتي إلا علاقة جيرة.. لذلك شعرت بالغضب من خروجه مع شقيقة زوجتي؟))

سألته سهر باستغراب عاقدة الحاجبين

((كان متواجدا مع أخت زوجتك لا زوجتك فما مشكلتك معه؟))

تتهد مراد بضيق ثم قال لها بوجوم

((لا أحب أن أراه يقف أو يتعامل مع أي فرد من أفراد عائلة زوجتي.. لأن أي علاقة له مع عائلتها تعني أنها ستضطر للتواصل معه.. فكري بي كما تشائين ولكن هكذا أنا مخلوق.. أعار على زوجتي حتى من شخص سبق وارتبطت به))

للحظات نظرت سهر له بحنق وهي تزم شفيتها وقد فهم من نظراتها أنها تراه متخلفا..

سمعها تقول له ببراعة مفتعلة

((أوه حقا؟ لأنه وبالمناسبة عرفنا أنك طلقت زوجتك من أمك.. هل طليقتك ترفض العودة لك؟ وهل أنت خائف من أن تعود لخطيبها السابق؟ لأنه لم يخف عليّ أن سبب كرهك له هو خوفك من عودة زوجتك له أو على الأقل من رغبتها بذلك))

بانفعال واستنكار هتف بها مراد

((ما هذا الهراء الذي تحدثين عنه؟ ثم أنا أعدت زوجتي على الفور.. وأخبرت أمي لاحقا بهذا))

لكن سهر لم تأبه لغضبه وهي تقول له بلهفة رافعة حاجبها
(مراد لدي فكرة))

عقد مراد حاجبها بترقب لتكمل سهر وابتسامتها تزداد اتساعا
(ما رأيك أن تعرفني على.. ما اسم خطيب زوجتك السابق؟))

تمتم لها مراد وهو ينظر لها لا يفهم ما الذي ترمي له
(تقصدين كارم؟))

هزت سهر رأسها وهي تكمل بحماس

((نعم كارم.. ما رأيك أن تعرفني عليه.. وأنا سأحاول إغراءه
وهو لن يصمد أمامي.. وعندما لا تجد زوجتك بديل عنك
ستعود مرغمة لك.. ستفرح أنت وزوجتك وأنا وكارم وأمي..
ونعيش جميعا بسعادة.. ما رأيك بفكرتي؟))

فغر مراد شفثيه للحظات بصدمة وهو ينظر لها..

وعندما استطاع أخيرا استعادة نفسه قال لها بعينين مشتعلتين
وتقاسيم وجهه تتغير للغل ويده تتقبض

((سهر عزيزتي.. والدتك قالت لك أن تركزي بوضع تأثيرك
الأنتوي علي.. لذا اتركي كارم بشأنه لو سمحتي))

عبست سهر وهي تقول له عاقدة الحاجبين هادرة

((ماذا؟ هل تظنني معجبة به؟ صدقتي أنا افعل هذا لمصلحتك..
من أجلك أنت))

احتقن وجه مراد غيضا منها ليتمتم لها بحقد وفضول حقيقي

((سهر.. قولي لي رجاء وبكل صراحة.. بماذا يمتاز كارم
عني؟))

أبعدت سهر نظرها عنه تقول وهي تمط شفيتها

((وما أدراني.. أنا لا اعرف أي شيء عن كارم لأقارن إلا
المظهر الخارجي))

ثم عادت تنظر له بابتسامة خجولة مصطنعة

((المهم دعنا لا نغير الموضوع بشأن كارم..))

بيروود جليدي قال لها مراد

((سهر.. انه مطلق))

هزت كتفيها قائلة بلامبالاة

((وماذا فيها.. فليكن مطلق لعشر مرات.. لا يهمني))

فتابع مراد يقول بتثفي لها

((وله طفل صغير من زوجته الروسية السابقة التي ترفض أخذ
حضانته))

لم تدّعي سهر عدم الفهم على مراد لتتجمد ملامحها..

لحظات واعتدلت واقفة من مكانها تقول بجفاء وبرود

((حسنا أقنعنتي.. انه ليس مناسب لي.. إلى اللقاء))

سألت تمارا التي دلفت للغرفة ووقفت عند عتبة باب الحجرة
باستغراب وهي تحمل صينية القهوة

((إلى أين تذهبين يا سهر؟))

أجابتها سهر بلامبالاة وهي تغادر الحجرة

((لقد عاد لزوجته يا أمي))

بإحباط وخيبة قالت تمارا وهي ترمي صينية القهوة أرضا
بحقن بطريقة أجملت مراد مكانه

((يا إلهي))

ثم غادرت الحجرة تاركة مراد لوحده في المكان..

=====
=====

بالليل..

بعد نوم فتاتها الصغيرتين وقفت جالا في شرفة غرفتها تاركة
المجال لنسمات الهواء المنعشة تلاعب خصلات شعرها البنية
الخارجة من وشاحها المتراخي حول رأسها..

وكم بدت ساحرة بقميص منامتها الحريري الساتر..

تهادى إلى سمعها صوت خطوات شخص قادم لتجفل شاهقة
مكانها وهي تهمس

((كارم.. أيها المجنون..))

تقدم منها كارم بابتسامة متلاعبة لتتبين ملامحه بظلمة الليل
المنقوشة بنجمات صغيرة تعطي لمحاه من الضوء الخافت..

هدر كارم لها بسماجة

((فداك كل هذا الجنون))

انتفضت جالا واقفة من مكانها وهي تتراجع خطوتين للخلف
تبعدها عن الأنظار وتعديل من حجابها..

التفتت برأسها يمنة ويسارا تنتبه إذا ما كان هناك أحد يشاهدهما
بالرغم من أن هناك مساحات شاسعة بين كل بيت وآخر..

ثم نظرت للأمام تقول له هامسة من بين شففتين ترتعشان
بالغضب

((هل أنت مجنون؟ كيف تأتي لشرفتي بالليل وبهذا الوقت؟))

أخذ كارم ثوانٍ ليفكر ثم قال بنفس الابتسامة المتلاعبة

((لو لم تنقل أُمي غرفتي الأصلية لـحجرة أخرى بالبيت وبقيت
كما هي لكنك خرجت من شرفة غرفتي السابقة المقابل لشرفتك
هذه.. فمن المذهل أن تبقى غرفتك كما هي بعد مرور كل هذه
السنوات))

طغى الغضب أكثر على وجهه جالاً لتهمس له من بين أسنانه

((هل ترضى لأختك أن يأتي شاب ويقف أمام شرفة غرفتها؟))

لم يجيبها كارم وهو يحافظ على ابتسامته المستفزة ويرفع
حاجبيه ليبدو بخطواته منها ويجلس على إحدى الصخور
القريبة من الشرفة..

أطرق رأسه بابتسامة تحت أنظار عيناها الحانقتان ليقول
بصوت متحشرج منخفض النبرة وهو يعبر لها عن مكنونات
قلبه

((جالا ليس فقط رؤيتي لك عندما أوصلتك بسيارتني.. بل منذ
أول مرة لمحت بها وجهك بالصدفة منذ عودتي من روسيا..
وقتها.. أقصد بليلة ذلك اليوم استيقظت فجأة وكنت أنتِ أول من
طراً على ذهني.. ثم سمعت إحدى أغانيك المفضلة أيام طفولتنا
ومر هقاتنا.. ولا تصدقين كم ذكرتني بلطى ذكرياتنا معا التي لم
أنساها يوماً.. منذ تلك الليلة وقد بدأت أستمع إلى كل الأغاني
التي كنا نستمع إليها حين كُنَّا نتحدث))

حاولت جالا التحلي بالهدوء وهي تسأله رغم شراسة الغضب
المتفافز من عيناها لتواجهه هنا بمثل هذا الوقت

((كارم ماذا تريد؟))

رفع رأسها يطالعها بنظراته المشتاقه...

لم يكن يريد يوما إلا فرصة ليتواجها فيها بحقيقة ما يخفيها..

وربما ليخبرها حكاية كبريائه اللعين الذي دفعه ليخوض
صراعا داخلي قاتل يدفعه ليتخلى عنها بملء إرادته بعد كل ما
كان بينهما..

ثم فتح فاه ينطق بنبرة موجوعة

((هل يمكن أن أتحدث معك بصراحة؟))

وقف من مكانه يقترب من شرفتها أكثر لتراجع جالا أكثر
للخلف وهو ينظر في عينيها وبيتسم لها بألم مردفا

((أنا لم أحب يوما فتاة بقدرك يا جالا.. لكن بعد أن نضجت
قليلا.. وجدت صعوبة في تقبل ما حدث لك.. مررت بوقت
عصيب أحارب أفكارى ومشاعري المتناقضة بداخلي.. بدأت
اسأل نفسي كيف سأزوج من فتاة تعرضت لما تعرضت له.. لم
اعرف إذا ما كان علي أن أكمل معك أو لا.. وبدأت أجراس
الندم لخطبتي لك تعلن عن بدء رحلة من التساؤلات التي لم تكن
لتخطر ببالي من قبل..))

التمعت عينا جالا بحزن عميق..

لقد تجاوزته وتجاوزت حبه منذ وقت طويل واستطاعت أن
تحب للمرة الثانية..

فبعد أن كانت تكاد تلتقط أنفاسها بشق الأنفس لتبقى على قيد
الحياة حينما قرر أن يتركها بأسوأ طريقة..

لم يعد الآن حبها له يريك نبضات قلبها..

لكن ما تزال فكرة أنه تركها لسبب ليس لها دخل فيه بعد كل
السنين وكل ما كان بينهما ليصبحا الآن غرباء لا علاقة لهما
ببعضهما بسبب ما فعله مؤلماً..

قالت جالاً له بصوت أجش معاتب

((ألم تكن تدرك أنني كنت فتاة صغيرة ولم أكن أعي أي شيء
مما يحدث حولي.. أو كيف أتصرف؟ ألم أخبرك بمرارة بعد أن
اكتشفت أمر عمرو عن القلق الشديد الذي كنت أعانيه مما فعله
بي وكيف كنت اكنم كل شيء في نفسي ولا أخبر به أحد خاصةً
عائلي وقلت لي أنك ستعوضني عن كل شيء مررت به؟ أين
ذهب كل هذا يا كارم حينما قررت أن تتخلى عني بأسوأ طريقة
ممكنة؟))

عاد كارم يطرق رأسه شاعراً بالخزي مما فعله وبالذنب تجاه
نفسه قبل نفسها..

فما فعله يظل يلاحقه وينغص عليه حياتها معذبا إياه حتى الآن
لأنه كان السبب بتخليه عن الفتاة التي أحبها..

استرسلت جالاً كلامها بصوت متهدج

((لا أريد أن ألومك يا كارم.. فهذه كان قرارك وليس لي حق
بأن أعاتبك عليه.. لكن للأسف تتكرر مثل هذه المأساة التي
حدثت لي في عدد من البيوت بسبب كثرة الخلطة وضعف
الرقابة الأسرية مع جهل الأهل بما يمكن أن يحصل.. لذلك أنا
فقط أرفض ما حملتني به سابقاً من ذنب لأنني لم أستطع
المدافعة عن نفسي))

صمتت قليلاً وهي مستمرة بالنظر إليه قبل إتمامها كلامها
بحرقة موجوعة متهدجة

((عندما أنقذتني من ذلك الذنب البشري أيقنت أنك ستكون منقذي للأبد.. وتعلقت بك بدرجة أكبر حتى بدأت أخبرتك كل ما حدث معي منذ البداية وبالتفصيل من باب الراحة.. وعندما كنت تحتويني وتساندني كنت أتأكد من صحة قراري بالإفصاح عما حدث لك.. حتى تركتني متحججا بذلك السبب))

حروفها غدت كقطعناض ضربته في منتصف فواده النازف ليقول لها بصوت متحشرج وهو ينظر بعينها

((بالفعل أخطأت حين أخبرتني بالأمر.. ولكن أنا.. أنا حاولت أن أتغافل وأنسى حتى يرتاح قلبي واجعل الأمر يمر كما تمر الأيام ويصغر كما يصغر الشيء البعيد.. لكن لم أستطع.. صدقيني لم أستطع بالبداية.. والسبب الذي جعلني اختار أبشع طريقة لانفصل عنك كان لحمياتك مني.. أقنعت نفسي أنني أستطيع جعل صديقتك المفضلة تحبني وربما يحدث بيننا مشروع زواج وهكذا سأبعدك بشكل نهائي عن عالمي.. أعرف أن غياني وقتها كان منقطع النظير.. لكنني كنت قد عاهدت نفسي بأنني لو تزوجتك بعد ما عرفت بماضيك لن أعيرك بذبذبك مستقبلا ولا أأخذك بذبذب ما حدث.. ولن أضيق الخناق عليك بالشك المرضي.. ولن أبدي أمامك أيا من مشاعر الندم لما قد يعتريني ويُسيطر علي.. فلا ذنب لك في أنني قبلت الزواج منك وأنا أعلم حقيقة أمر.. ولكن فيما وجدت صعوبة بتحقيق هذا الوعد..))

أخذت جالا نفسا عميقا ثم قالت له

((كارم بغض النظر عن أي شيء.. كما قلت لك أنني لا أستطيع أن ألومك.. أنت لم تخطئ.. لو تم زواجنا لم يكن ليستمّر.. بل بمجرد أن تفيق من غفوت حبك لي وتنهض من كبوتك التي ستبقى كعشاوة على عينيك تحول دون رؤية الواقع كنا سننفضل عن بعضنا.. لذلك على الأقل أنا ممتنة لك.. وشكرا لك حقا من أعماق قلبي أنك فعلت ما فعلته وانفصلت عني حتى لا تظلمني وتظلم نفسك بزواجك مني))

بدأ قلبه يتراكم سريعا بنبضاته وبقوة مشاعره التي اكتسحتها
بصدق العواطف المنعكسة في داخل عينيه من ندم قاسي..

مما دفعه ليحرك رأسه بالرفض البطيء هادرا

((ولكني ندمت.. ندمت جدا على اختيار تلك الطريقة البلهاء في
الانفصال عنك.. بل ندمت على الانفصال عنك ككل))

كانت عينا كارم تنظران لها بمشاعر ممزوجة بالندم والحب
المستتر الباقي لها في قلبه.. والغضب.. ليسترسل كلامه

((ولكن أيضا غضبت عليك.. غضبت لأنك تزوجت بسرعة
بعد انفصالنا.. صدقيني لم تكن ستمر سنة أو سنتين وكنت
لأغير طريقة تفكيري المتخلفة واندم على تركي إياك.. زواجك
كان بمثابة صدمة لي وجعلني أشعر بالخواء والغدر يحتلني مع
أن سبب تركي لك كان هو لتتزوجي من شخص آخر لا يظلمك
مني.. لكن عندما حدث أمر زواجك واقعا كان وقعه مؤلما على
قلبي على عكس ما توقعته))

بينما لم تشعر جالا بأنها أخطأت بشيء..

فهو انفصل عنها ولم تكن من الغباء أن تنتظر عودته..

والتي كانت لتمتد سنين طويلة.. أو لربما ما كان أن يعود لها..

لكن كارم أرفد كلامه مخضبا بالشعور بالغدر

((والأنكى كان هو الشخص الذي تزوجتيه.. تزوجت من
مراد.. مراد الذي بفترة من الفترات كان صديق عزيز لي.. من
كان يدري أن سبب ابتعاده عني لما بعد مرحلة المدرسة
الإعدادية كان بسببك أنت!))

رفرفت جالا عينيها بذهول وهي تركز نظراتها على عينيه
بتركيز لأول مرة منذ مجيئه لتسأله

((ماذا لا أفهمك؟ لماذا مراد ابتعد عنك؟))

أخضض كارم عيني به أرضاً حتى يحجب عنها الألم الساكن فيه
والشعور بالغدر والطعن الذي شعر به وقت سماعه من والدته
نبأ زواج مراد منها..

بل كل أعماقه الثائرة تصرخ الآن بألم.. فغمغم كارم بصوت

((لقد كنا أنا وهو أصدقاء مقربين بالطفولة.. لم تكن مقربين
بالمعنى الحرفي لكن كنا أصدقاء ودائماً ما كنت أبادر معه
بالود.. وبالمرحلة ما بعد الإعدادية بدأ يبتعد عني بشكل
تدريجي.. وبمجرد أن أعلنت خطبتي بك بعد أن أنهيت دراستي
قطع الحديث معي وابتعد عني نهائياً))

ثم أردف بصوت متهدج يحتله الألم

((بمجرد أن وصلني خبر زواجكما وبشكل فجائي بعد سفري
بدأت بربط الأمور ببعضها.. واكتشفت أن ذلك الأحمق كان
يحبك وكان يريدك منذ البداية.. وأنا من كنت عائقاً أمامه..
فسارع بانتهاز الفرصة بمجرد أن انفصلت عنك ودفع خطيبته
لأن تهرب من حفل زفافه ليتزوجك أنت))

تأملته جالاً بنظرات زائغة وعقدت ذراعها أمام صدرها كأنها
لا تأبه لما يقوله ومن ظنه بمراد..

قالت جالاً له بنبرة بارده وهي ترفع إحدى حاجبيها

((لا أظن أنه كان يحبني قبل زواجنا.. بل كان يكرهني.. كنت
صبيانية ومتمردة وكان يشكوني لأبي كثيراً.. لهذا كنت أكرهه
أنا أيضاً بصغرنا))

كل سيطرته على نفسه كانت تهدد بانفلات أحمق عندما ارتفع
صوته

((بل كان كذلك يا جالا.. منذ الصغر.. والآن أستطيع استيعاب
سبب كل نظرة كره وجهها لي غير مبررة.. لا أستطيع وصفه
إلا بغادر))

سكنت الدهشة ملامح جالا وعيناها تتسعان بينما تفك تكثيف
ساعديها..

استدارت للخلف نصف استدارة تتأكد من عدم استيقاظ ابتناها
عند ارتفاع صوت كارم..

ثم عادت تنظر له متغضبة الجبين وهي تفكر بكلامه..

هل كان مراد يكن لها أي أعجاب أو حب قبل زواجهما؟

هل كان هذا سبب حقه على كارم؟ لكنه لم يسبق وأن أخبرها
بكلمات الحب ببداية زواجهما..

وهي لظالما ظنت بأن سبب عدوانه لكارم هو لكونه خطيب
سابق لها ولما أثارت والدته من شكوك مرضية بدماغه بشأن
كونها ارتكبت الخطيئة معه..

كيف يكون مراد محبا لها ويريد الزواج من سهر ومنذ بداية
زواجهما؟

كيف يكون محبا لها وعلق طلاقه منها بأمر بسيط كخروجها
من البيت بعد أن صفعها وكسر المنزل بما فيه؟

عبست جالا وهي تفكر بما قاله كارم الآن..

ثم عادت تركز نظرها بعينيه لتقول له محذرة

((لا تتحدث هكذا عن والد بناتي))

شع الغضب من عيني كارم وهو يهتف لها وكأنه يملك كل
الحق

((لقد تطلقتما فلا يحق لك الدفاع عنه.. سأقدم للزواج منك من
الغد.. وستتسبن كل شيء يتعلق به.. سنعيش حياة سعيدة
ونعوض كل تلك السنين البائسة التي أضعتها أنا بغيائي))
نظرت جالا له كمن تنتظر إلى طفل مخبول ثم قالت ببطء له
متسائلة

((هل أنت مجنون؟ أنا لا زلت بعدتي.. كيف تتحدث معي بأمر
الزواج؟))

رفرف كارم بعينيه للحظات ثم قال لها متجهما بصدمة

((ماذا؟ بالعدة؟ أتصددين أنه من الممكن أن يعيدك له؟ متى
تطلقت منه بالضبط؟))

عقدت جالا حاجبها تفكر بأنه من المستحيل أن تعود لمراد لو
كان هذا ما يظنه كارم..

وبنفس الوقت له هو أيضا فقالت بحزم

((بعيدا عن أي شيء يا كارم.. كل ما بيننا انتهى وبنفسك أنت
اخترت هذه النهاية))

زفر كارم قبل أن يقول لها بانفعال

((نعم لقد أخطأت يا جالا بما فعلته.. لم ولن أنكر هذا.. لكن هذا
لا يعني أنني لن أنتهز أي فرصة أمامي لنعود معا.. وها أنا
أقولها لك بمجرد أن تنتهي عدتك سأقدم للزواج منك وعليك
الموافقة.. أنا لم أنسى للحظة عنف المشاعر والسنين التي كانت
بيننا.. وأنت لم تنسيها.. صحيح؟ لقد تزوجت ولم أنساك وكل
منا انفصل عن شريكه))

نظرت له جالا بدهشة لدقيقة ثم قالت له وهي تخفي غيظها منه
بشق الأنف

((لا لم يحصل معي نفس الشيء.. واي مشاعر عنيف وترهات
هذه التي تتحدث عنها؟ هل ظننت للحظة انه بعد زواجي من
مراد والحصول على حماة مثل والدته قد أجد وقتاً أو مزاجاً
لأتذكر أو استحضر مشاعرنا العنيفة العاصفة السابقة؟
الحصول على حماة مثل والدته مراد ستجعلك تنسى أي مشكل
أو مشاعر حزينة أو غاضبة سابقة وترتكز بالجحيم الذي تجعلك
تعيشه))

كان كارم ينظر لها مشدوها طوال فترة كلامها.. ثم سألها ببطء
((هل.. أحببت مراد؟))

نظرت له باستنكار بليغ وهي تستنتج مقصد كلامه السابق
وسؤاله..

لم تكن تريد أن يعرف أنها لن تعود لمراد ولم ترد أن تجعله
يرى أي أمل لعودتهما..
فردت عليه مباشرة

((هل أنت مجنون؟ نعم احبه ولا زلت احبه))

عقد كارم حاجبيه بتفكير عميق ليقول بعدها ببره بصوت
يسكنه الألم

((لا اصدق أنك عشتي مع مراد نفس قوة المشاعر التي حظيت
بها معي))

زاد استنكار جالا أكثر لتقول له

((أنسى يا كارم غياب طلبك يدي للزواج.. حتى لو كان هناك
أمل لزوجنا لكن زواجي منك يعني خسارتي لحضانة ابنتي..
هل أنا مجنونة لأتخلي عن ابنتي من أجلك؟))

ساد الصمت مجدداً ثم قال كارم بصوتٍ غريب

((ومن قال إن الزواج مني يعني أن تخسري حضانة بناتك؟))

وضعت يديها على خصرها قائلة

((لك ابن من زوجتك السابقة.. وعندي أنا بنتان فكيف سنربيهما
سويا؟ أم تريد مني أن اترك ابنتي عند والدته مراد وأربي ابنك؟
عد لزوجتك السابقة وربوا ولدكما معا))

أخفى كارم حقيقة أن زوجته السابقة ارتبطت بعشيق لها بعد
طلاقهما..

فلم يفهم كيف ترك جالا لذلك السبب وبنفس الوقت عندما اختار
الزواج من امرأة روسية لا من نفس دينه ولا من نفس بيئته..

أشاح بوجهه عنها قائلا بفتور

((لا يمكن أن أعود لها.. أنت تعرفين أنها روسية وزواجي منها
كان بمثابة خطي كبير))

لم تتكلم جالا بل نظرت له للحظات طويلة..

ثم قالت له أخيرا قبل أن تعطيه ظهرها وتدخل غرفتها وتغلق
باب شرفتها بالمفتاح

((سأحرص إلا أخرج للشرفة بهذا الوقت وحيدة حتى لا تفكر
بالمجيء هنا متسللا مرة أخرى.. فهذا ليس نفس تصرف ابن
الجيران الشهم صاحب النخوة الذي دافع عني وأنقذني قبل
سنوات.. وداعا يا كارم ولن أقول إلى اللقاء))

بينما بقي كارم مكانه لدقائق ينظر لإثرها..

لا نية لها بالعودة له أو المحاربة من أجل ذلك..

بل من الممكن أنها سبق واتفقت أن تعود لمراد ولهذا السبب
طلاقهما لم يخرج إلى النور ولم ينتشر بأرجاء القرية..

تتهدد بعمق وهو يعود أدراجه.. عليه التوقف عن مراقبة بيتهم
وشرفة غرفتها على وجه التحديد..

لأن هذه ليست تصرفات رجل محترم حتى لو أنه لم يكن يريد
منذ البداية أكثر من نظرة..

لكنه فعلا تمنى أن يطلب السماح منها لأنه ما يزال يحبه..

وتمنى سابقا أن يطلب السماح لقلبها الذي تألم لأجله..

ولعينها اللتان لم تغفوان ليلا بسببه بتلك الليالي..

لكن ليتها تعلم بأن حاله آنذاك كان نفس حالها..

كان هو الآخر يخبئ في قلبه أننا صامتا..

ظن بأنه سينساه سريعا وسيكون الأفضل لكلاهما..

ولكن وعلى ما يبدو أنها ستبقى مسيطرة عليه وسارقة لفكره
وقلبه..

=====
=====

بعد مرور أسبوعان..

مر أكثر من عشر أيام على وفاة عمه فيصل..

كان الأمر بمثابة فاجعة كبرى ومصيبة عظيمة تحل على
الأسرة كلها..

فبالرغم من أن عمه فيصل ليس محبوبا إلا أنه كان غاليا في
قلوب بناته..

وهو أيضا بالرغم من أنه يعرف أنه عمه لم يكن يستلطفه لكنه
وفاته أثرت عليه..

جاء والده أيضا من فرنسا لحضور جناز أخيه الأكبر وغادر
قبل يومين..

رفع راجي كفيه يمسح وجهه متنهدا..

شعر بأنه منهك.. فبعد رحيل عمه أدرك أن أكبر ألم ينزل على
المرء هو ألم فقدان ميت..

وحكاية رحيل رجل من عائلته بغض النظر عما كان عليه هي
كتلة حزن لن تذهب من قلبه أبدا..

منذ وفاة عمه توقف راجي عن التدخين وبقي لأيام طويلة
مقارما من دون هذه العادة التي بدأها بعد أن انفصل عن سارا
بعد شعوره بالفراغ وقلة خبره بضرر التدخين..

بقي طوال هذ الأيام يقاوم كل مواد الإدمان في السجارة التي
تدعوه لاسترجاعها في دمه..

شعر بالقليل من الضعف عندما زادت الأعراض الانسحابية
والإحباط لكن الضعف لم ينجح بجعله يعود للتدخين..

فبالأيام التي تركها شعر أن صحته صارت أفضل..

لا سعال.. نفس أقوى..

لا صوت صفير يصدر من صدره..

مذاق الأطعمة صار أفضل..

لا استيقاظ لغاية الثانية والثالثة بعد منتصف الليل..

بل ما إن تأتي الحادية عشرة مساءً حتى يشعر بالنعاس يدفعه
نحو السرير ليستيقظ مبكراً نحو عمله الذي عاد إليه بعد انتهاء
أيام العزاء الثلاث..

انتبه راجي على صوت والدته تقول له بعد أن فتح الخط على الهاتف عليها

((هيا يا بني اذهب وخذ زوجتك من بيت عمها لبيتك.. بما انه وبكل الأحوال لن تقيم أي حفل زفاف بسبب حالة الوفاة التي حدثت بالعائلة فلا داعي لتأجيل الأمر أكثر.. لقد عقدت القران عليها وهي زوجتك الآن))

رد راجي عليها بصوته الهادئ وهو يغادر المنزل ويغلق الباب خلفه

((لقد بلغتها هي وعمها في أمس.. دقائق وسأكون على الطريق لأصل لبنائتهم لاصطحابها))

قالت له سميحة بصوت دافئ

((اذهب يا ابني ووفقك الله بحياتك معها))

كانت سميحة سعيدة أن رانسى لا تشبه سارا في شيء..

تتمنى فقط أن تكون ذكية بمعاملتها لراجي..

فألزوج ماذا يريد من زوجته غير الملقى الحسن واللسان الذي يقطر عسلا... من تجعل بيته جنة يشناق للرجوع إليه من عمله؟

أما راجي ابتسم لكلام والدته بسخرية بدت ظاهرة جلية بعينه وهو يودعها قبل أن يشغل محرك سيارته..

=====

ترقرقت بالدموع عينا جالا المستلقية على فراشها مدثرة نفسها بالغطاء رغم حرارة الجو العالية..

لا زالت مفاجئة بوفاة والدها بعد معاناة من المرض وكادت أن تنهار يوم وفاته..

انحدرت عبراتها على وجنتها وهي تتذكر آخر اللحظات التي قضتها بجانبه في المشفى برفقة عائلتها..

وانحدرت بضع دمعات أخر مثقلة بالألم وهي تتذكر كل ما فعله مراد أيضا بالأيام السابقة بعد وفاة والدها..

فقد شاركها هي وعائلتها حزنها ومصابها وقدم أصدق التعازي والمواساة الخاصة في مصابهم..

طلب لها أكثر من عاملة في أيام العزاء وما بعدها لتساعدها في قضاء أمور حياتها من إعداد للطعام وتجهيز المشروبات وغسل الملابس وتنظيف وتنظيم المنزل..

ساعد مراد راجي بإحضار وليمة العشاء صدقة عن روح والدها وفي إحضار القراء مع تجهيز الموقع بالسماعات ليقوم القارئ بقراءة عدد من الآيات خلال جلوس المعزين..

فضلا عن تعيين أشخاص لتولي تجهيز الشاي والقهوة والتمر ووجبات طعام عبارة عن الذبائح..

فراجي تقريبا كان هو وحيدا يقوم على رأس الأمور..

فكان مراد يبدأ بالقدوم إلى منزل العزاء بعد صلاة الظهر وينصرف بعد وجبة العشاء..

وبعد انتهاء أيام العزاء كان مراد يزورها ليتفقدتها هي وابنتيهما حيث كانت متواجدة في بيتهم هذا حيث جميع العائلة معها أيضا..

لم ينفردا هما الاثنان ولا للحظة لوجودهما عندما كان مراد يأتي لتفقدتها لكون جميع أفراد عائلتها يبقون محاطين بها..

ولكن لم يلاحظ أحد منهم أن هناك طلاق أو حتى خلاف بسيط بينهما..

وحديث مراد معها أمامهم لم يخرج عن موضوع العزاء والمواساة والدعاء لوالدها وذكر مآثره ومناقبه وهو يشاركها مشاعرهما وآلامها وتخفيفها عنها بطريقة أو بأخرى..

وحثها على التحمل بالصبر والرّضا بقضاء الله وقدره وكذلك الدعاء له واحتساب الأجر عند الله..

وطوال وقت جلوسه بجانبها كان يعانقها واضعا ذراعًا حولها ليضمها له حتى يشعرها بالاطمئنان والراحة وصدق مشاعره في مواساته..

ومحاولا الالتزام بالهدوء والسكينة حتى يمدّها الصبر والسلوان..

وكل يوم قبل مغادرته المنزل كان يعرض أمام عائلتها تقديم المساعدة بصدق وإخلاص في أي شيء يمكنه القيام به من المهام والأمور التي يحتاجونها خاصةً عند شعوره وملاحظته حاجتهم لذلك..

حتى والدة مراد جاءت للمنزل لتقديم واجب العزاء طوال أيامه وكانت تُبقي رورو ولين معها طوال الوقت وأحيانًا تصحبهما ليناما عندها حتى تخفّف عليهما..

رفعت جالا عينيها للباب عند سماعها طرقات فوقه لتسمح بدخول الطارق بصوت خافت

((تفضل))

اعتدلت جالا نصف جالسة وهي تسمح بحياتها بأناملها من آثار الدموع..

وسرعان ما اتسعت عيناها بدهشة وهي ترى مراد يفتح الباب
ويدخل من خلاله فالיום عاد الجميع لبيوتهم ولم يبقَ أحد إلا هي
وراجي في البيت..

وحتى راجي ذهب لإحضار رانسي وبقيت هي وابنتيها
وحيدات هنا فظننت أن الطارق إحداهن..

أغلق مراد باب غرفة نومها خلفه ليقول بصوت عذب وتقاسيم
وجه حانية

((كيف صرت الآن يا حبيبي؟!))

حلقتها الجاف لم يساعدها إلا بنطق كلمة واحدة ضعيفة النبرات
((بخير))

دنا مراد منها بخطواته الهادئة وهو يقول لها مجيبا على سؤالها
الغير منطوق

((فتحت لي الصغيرتان الباب.. ألا يوجد أحد هنا في البيت..
أين راجي؟!))

نظرت جالا لعينييه وقالت له بصوت واهن لكنه حاد

((ذهب ليحضر زوجته.. لقد عقد قرانه على صديقتي رانسي
كما تعلم.. العقبى لك))

جلس مراد على طرف سريرها قريبا منها قائلا بصوت مشتاق
ومعاتب

((هل هذا وقت مناسب لكلامك هذا يا جالا؟!))

عبست جالا أمامه وحنق شديد إنما واهن قالت له وهي تدحجه
بنظرات عينيها الحزبنتين

((لماذا ليس مناسباً؟ أيام بمجرد أن تنتهي عدتي لن تستطيع حتى رؤيتي.. وأنت بالتأكيد لن تبقى عازبا للأبد من بعدي.. عليّ تذكر وضعنا الاجتماعي))

رد مراد سريعاً دون موارء

((بشأن وضعي الاجتماعي أيتها السخيفة.. فقد تحدثت مع دار الإفتاء عن الذي تلفظت به وما حدث معنا حرفياً.. هناك قول بأن الطلاق نافذ ويقع عليك حتى ولو كان قصدي التهديد فقط والعصية ليست بمجرد مانعة من وقوع الطلاق إلا إذا وصل صاحبها إلى حال لا يعي فيه ما يقول.. وهناك قول إنه تلزمني كفارة يمين فقط في حال كان قصدي التهديد.. على كل حال.. في الحاليتين.. أنت لا تزالين في عصمتي.. أو في حكم الزوجة عند الطلقة الرجعية.. وعندما أقول لك أن تأتي المنزل ستأتين))

آخر جملة قالها بجمود وحزم مقرا حقه فيها لتدرك جالا ماذا يقصد..

وكما توقع ارتسم الغضب على وجهها وهي تقول معترضة ((ماذا؟ هل ستجبرني؟ أنا لن أعود لك.. لا تفكر بأن تعيدني بعدما صفعتني وما فعلته قبلها))

علا هدير قلبه بعنف مضاعف عند ذكرها لصفحته لها..

لكنه تماسك وهو يقر لها بتقاسيم وجه مبهمة ويده تعترض طرف الغطاء الذي يمسه بين أنامله وكأنه ينفذ عن غضبه على نفسه من خلاله

((بنفس اللحظة التي خرجت منها من المنزل أعدتلك لذمتي يا جالا وبدون حتى أن استغرق بالتفكير في حالة لو وقع الطلاق))

سألته جالا بعبوس وبغير رضا

((لماذا فعلت ذلك؟ كيف أعدتني هكذا؟ هل تظن أنني لن أستطيع طلب الطلاق مرة أخرى؟))

أغمض مراد عينيه ليأخذ نفسا عميق ثم يرفه بهدوء..

ثم فتحهما ليقول بصوت ثابت

((جالا أنا لا أقول لك أنني سأخذك عنوة والآن.. خذي وقتك وارتاحي.. وعندما تشعرين أنك بخير ستأتين معي))

حادت جالا نظراتها جانبا وهي تقول له ببرود

((لا أريد أن أعود لك أبدا.. لا الآن ولا بأي وقت آخر.. لا أريد أن أعود لرجل علق امر طلاقه مني بأمر سخيف كخروجي من المنزل بعد أن صفعني.. لا اصدق كم هو سهل عليك الطلاق وتدمير عشرة كل هذه السنين لأجل تلك المشكلة))

نظر مراد لجالا بعجز بمقتته وهو لا يعرف كيف يخبرها أن الأمر معقد أكثر بكثير مما تظنه..

سألها مراد بخفوت وعيناه لا تحيدان عنها

((إلى هذا الحد لا تريد أن تكوني معي؟))

التفتت له تقول بعينين مترققتين بالدموع

((بقائي معك يا مراد يؤذيني.. بالرغم من كل اللحظات الجميلة التي لم أعشها إلا معك.. إلا أنه صار يؤذيني.. واتخذت قرار جديا باعتزال كل ما يؤذيني))

سألها مراد بصوت متحشرج وهو يشعر أنها أصابت قلبه بمقتل بكلماتها البسيطة المتهورة

((هل بقائك معي يؤذيك يا جالا؟ هل هذا الكلام خارج من أعماق قلبك؟))

ازدردت جالا ريقها وشعرت أنها أضعف من أن تؤذيه في كلامها.. ما جعلها تكشف عن ضعفها بملامح محياها وهي تقول له بصوت محتار ومتهدج ينذر بالبكاء

((لا أدري يا مراد.. بقائي معك يؤذيني وابتعادي عنك يؤذيني.. ولا أدري ماذا افعل إذا ما كان اعتزال ما يؤذيني.. يؤذيني؟))

عم الصمت عليهما بالغرفة لدقائق وكل منهما مطرق الرأس عن الآخر..

رفعت جالا وجهها لمراد عندما سمعته يقطع الصمت هامسا بصعوبة وجدية وجنون

((جالا.. ما هو موقع كارم بحياتك؟ هل لا زلت تحبينه؟))

كل الانفعالات المختلفة التي كان مرتسمة على وجه جالا تجمدت في اللحظة وهي تدرك سؤال مراد الجدي وتحذك فيه بدهشة..

وسرعان ما ابتسمت بسخرية وهي تنتظر له باشمنزاز لنقول في حدة وعفاريت العالم تتلاعب أمام عينيها

((ماذا؟ ماذا؟ هل جننت؟ ماذا قالت لك والدتك هذه المرة عني؟ ما نوع الخطيئة التي اهتمتني أنني قمت بها معه عندما خالفت أوامرك وجلست في بيت أخي؟ هيا قل.. ألا تجد رجلا آخر إلا كارم لتملأ أذنك بالشكوك تجاهي؟))

وسرعان ما تذكرت جالا آخر لقاء بينها وبين كارم بشرفتها وخافت فعلا من أن يكون هناك من رأهما تلك الليلة ثم نقل ما رآه مُبهرًا بأحداث أخرى وينقله لروعة..

فلم تدع أي شتيمة إلا وألقته على نفسها لأنها استجابت لكارم وتحدثت معه وأخضت وجهها الذي صار شاحبا..

لكنها عادت ترفع وجهها وتفغر شفتاها بلا تصديق وهي تكاد
تسعر بثشنج وهي تسمع مراد يخبرها بحسرة ألم رهيب

((ليست أمي وراء سؤالي بل أنا.. أنا من اشعر بانك لا زلت
تحيينه.. سمعتك بأذني تهسين باسمه بأحلك كوابيسك
وتستجدي به لينقذك..))

هزت جالا رأسها بلا تصديق..

متى وأين وكيف؟ هل يمكن أن تكون فعلا قد نطقت باسم كارم
أثناء كوابيسها؟

وأنتي ما في الأمر أنها همست باسمه أمام مراد.. هل حدث
هذا بالفعل؟

كانت تنظر لمراد بعينين جاحظتين وهي تتمم له ما يجول
بخطارها

((ماذا؟ كيف؟ لا أفهمك.. متى قمت..))

بالكاد حبس فورة انفعالاته ومشاعره المحتدمة المختلطة بداخله
في هذه اللحظة وهو يجيئها

((سمعتك ذلك اليوم عندما كنتي نائمة.. سمعتك بأذني يا جالا
تستجدين كارم بالكابوس الذي كنتي تعيشه بنومك.. كما كنت
تستجدين به بنومك ببداية أيام زواجنا بعد كل شجار يحدث
بيننا..))

كانت عينا جالا توشكان أن تخرجا من محجريهما وهي تسأله

((ولكن كيف.. كيف سمعت؟))

لم تفتها تلك الاختلاجة الشرسة المذبوحة التي مرت على
صفحة وجهه وهو يقول لها

((هل أنتِ مصدومة لسماعي ذلك؟ إذن بعد أن عرفتني سبب ما أقوم به سواء الآن أو بالماضي فضعي نفسك بمكاني))

وبحرقة أردف وهو يقرب وجهه منها

((أنا لم أتزوجك إلا بعد أن أكدت لي رغبتك الكاملة في الماضي قدما بهذا الزواج وبدون أن أسألك حتى سبب انفصالك عن كارم بعد كل هذه السنوات.. وسمعتك بأذني تهمسين باسمه ببداية شهور زواجنا بكوابيسك.. ولم افعل أي شيء.. لكن أن أسمعك مجددا تهمسين اسمه بغير وعي أو إدراك بعد مرور كل هذه السنين التي أمضيها معا وبعد أن أيقنت من حبك لي؟ كيف كنتي تريدين مني التصرف؟))

بلحظات قصيرة صارت الاف الأسئلة والكثير من تصرفاته الغامضة والغير مبررة واضحة أمامها..

وكم شعرت بالألم ينهش قلبها لفكرة انه سبق وفكر أنها تحب كارم أو لا تزال تحبه وتتمناه زواجا لها..

فهزت راسها رافضة وهي تقول بينما الدموع تنزل من عينيها

((مراد لا.. الأمر ليس كذلك..))

سألها هادرا بنظرات لا توصف

((هل ما زلتني تملكين له مشاعر؟ هل تتمنين فعلا بكل لحظة

شجار تحدث بيننا أن يكون هو من تزوجتيه؟))

فغرت شفتاها وألمها كلامه وماذا يفكر به أكثر وأكثر ليتابع لها

((أنا اعرف يا جالا أنك تبادليني الحب.. لكن كيف يمكن لك أن

تمتلكي له مشاعر بنفس الوقت؟))

ازدردت جالا ريقها لتقول له بصوت متهدج

((مراد اقسام لك أن الأمر ليس كما تعتقد.. كارم ساعدني بطفولتي بأمر ما.. بأمر وتجربة قاسية مررت بها.. وكلما يمر عليّ شيء يذكرني بتلك التجربة أراه في كوابيسي أثناء نومي في نفس الليلة.. لم يخطر على بالي أنني أتحدث أثناء نومي.. لكن إن نطقت باسم كارم فهذا لأنه كان جزءاً من تلك التجربة المريرة وهو من ساعدني لحلها.. لا كما يخطر على بالك))

تغضن جبين مراد..

الغبية لم تعرف أن كلماتها هذه بدل أن تبرر موقفها كانت تخفقه.. بل جن جنونه من داخله..

لماذا تحلم بكارم وتستجده بكوابيسها بدلاً منه؟

هي كانت مع كارم لسنوات طويلة ولا يستغرب مرور الاثنان بالكثير من المواقف والأمر..

لكن ما هذه التجربة التي مرت بها وساعدها كارم فيها؟

هو متأكد من أن التجربة كانت قبل زواجهما حيث لم يكن له وجود مهم بحياتها..

لكن ألمه نابع من عدم وجوده في تلك التجربة المريرة على حد وصفها بدلاً من كارم والتي لها وقع كبير فيها لتذكرها حتى بعد مرور كل هذه السنوات..

تابعت جالاً مبررة بما لا يساعد من تخفيف نزيه رجولته وكرامته

((مراد تفهمني.. لقد مررت بطفولتي بتجربة بشعة.. بكل مرة أتذكر ما مررت به لا أرى إلا كارم لأنه هو من أنقذني من الموقف.. لكن عندما احلم بتلك التجربة أرى كارم من أنقذني وحسب.. لكن صدقني فحتى شكله لا يظهر واضحاً في حلمي.. لقد نسيت كارم وشكله منذ مدة طويلة مضت))

ركز مراد النظر بعينيها وهو يشعر بالوجع يكاد يحطمه..

ثم قال لها بصوتٍ قاسي وعينين مشتعلتين

((لا أستطيع فهمك أبدا يا جالا.. لا أستطيع تقبل الجنون الذي اسمعه منك.. ولا أدري كيف منعت نفسي بصعوبة من قتله في تلك المرة.. حتى ولو كان بغير وعي منك.. بل همسك باسمه بغير وعي منك يقتلني أكثر مما لو تعدت قولها))

الهذا سارع تصديق والدته عندما اتهمتها أول مرة بشأن كارم؟

كم كانت تود أن تخبره بما حدث فعليا معها لكنها تراجعت كلياً..

لن تستطيع ولن تقدر ولن تعيد خطأها مرتان بالاعتراف بما مرت به لأي حد..

ولا تعرف ماذا تقول لغيرته المشتعلة لتبرر ذنبها..

لكن شعرت جالا في هذه اللحظة بأن الوقت أكثر من مناسب لكل منهما ليفجر غضبه ويبين مكنونا قلبه المدفونة منذ سنوات طويلة للأخر..

فإذا كان غير مقبولا لها نطقها باسم رجلا لم تراه منذ أكثر من عقد لمجرد ما جمع بينهما بالماضي..

فكيف هي ترى ما يحصل بينه وبين سهر؟

تغيرت ملامح وجه جالا الملطخ بالدموع وعيناها تشتعلان وهي تنتظر لمراد قائلة بصوت خافتٍ لكن خرج حادا كنصل السكين

((اترك كارم جانبا.. لنتحدث عنك يا مراد.. ماذا بشأن سهر؟))

عقد مراد حاجبيه قانلا

((وماذا بشأنها؟ لا تدخلني سهر بالموضوع))

ازداد هيجان ثورة غضبها التي تستعد لإطلاقها وهي تقول

((كيف لا تريدني أن ادخلها؟ كيف تحاسيني على شيء لا يضاها ما تفعله أنت مع سهر.. أنت تفكر وتريد الزواج منها وتتعامل معها بأريحية وكأنها لا تزال خطيبتك السابقة.. ألم تخبرني أنت أيضًا أنك لا تملك أي ذرة مشاعر تجاه عروسك الهاربة سهر قبل زواجنا؟ إذا كنت تتحسر على تركها إياك فلماذا طلبت الزواج مني عندما هربت بدلا من انتظارها وحل خلافكما؟))

التقت نظراتهما للحظات ومراد ينظر لها بلا فهم ليقول أخيرا

((سهر؟ ولم قد ارغب بالزواج من إنسانة مثلها؟ أي جنون تتفوهين به؟))

قالت له جالا بصوت مشبع بالألم وهي تقول بنفس الخفوت الحاد السابق

((بل تريد.. تريد ذلك.. رأيتك قبل مدة قصيرة توصلها هي ووالدتها بسيارتك لمكان ما.. تتصرف كأنك لم تصدق أن يحدث طلاقنا حتى تتقرب منها))

اتسعت عينا مراد هادرا بتعجب

((ما هذا الهراء الذي تتحدثين عنه؟ هل أنت.. ماذا؟ رأيتنا؟ هل تقصدين عندما أضعاءت والدتها محفظتها وطلبت مني أن أوصلهم للبيت؟))

سرعان ما زال تعجبه وحل التوجس محله بينما تكمل جالا باقي كلامها وتخرج ما عندها بقهر ولوم

((رأيتك تقود سيارتك وتقلها معك بالوقت الذي يفترض أنك غارق بعملك..))

قال لها مستنكرا اتهامها الذي يتفاخر من عينيها

((قلت لك أن والدتها هي من اتصلت بي وطلبت مني إيصالها..
كان موقفا إنسانيا.. هكذا أراه))

عضت جالا على شفرتها ثم عادت بنبرة هامسة مخيفة

((وماذا بشأن نظرك على صورها بمواقع التواصل الاجتماعي
بإعجاب آخر مرة؟))

هدر مراد لها باستهجان

((أي إعجاب وغباء تتحدثين عنه؟ أنا انظر لصور سهر
بإعجاب؟))

إلا أنها أصرت تردد عليه باتهام

((نعم بإعجاب ووله وأمام عيني سحبت الهاتف من يارا وبكل
تبجح))

عاد يستهجن كلامها

((عن ماذا تتحدثين؟ أنا لم..))

بتر كلامه وعيناه تشردان بعيدا ليقول لها وهو يبدأ التذکر

((هل تقصدين عندما صرخت عليّ أمام والدتي بصوت عالي؟
هل تقصدين تلك المرة؟ نظرت على صور سهر لأنني كنت
أريد عنادك وحسب ولم أكن انظر بتركيز حتى.. لا انكر حتى
أي صورة من صورها.. لحظة.. لحظة..))

بتر كلامه مرة أخرى وهو يتذكر ويربط ما قالته في وقت
سابق باهتمامهم هذا ليقول وهو عاقد الحاجبين بينما يتصلب
فكه

((بشأن موضوع توصيلهم.. متى شاهدتني أوصل سهر
وأما؟))

أشاحت جالا عيناها بعيدا والقلق يتسلل لوجهها لتقول
(ماذا؟ كـ.. كيف؟))

ضيق مراد عيناها وهو يدحجها بنظرة مخيفة ثم مال إليها هامسا
من بين أسنانه بصوتٍ مشدّد منفعل وقد ربط الأمور بعقله
أخيرا

((هل كنتي مع كارم في ذلك اليوم؟ هل أوصلك بسيارته لمكان
ما))

انكشيت جالا على نفسها بخوف وهي تقول بخفوت مدافعة
(هيام كانت معي ولم أكن وحيدة.. وهيام من أجبرتني))

صرخ مراد وأنامله تمسك ذراعها بقسوة

((لقد جن جنوني عندما رايتَه يخرج من سيارته برفقة هيام
فقط.. فهل تخبريني الآن أنك كنت بداخلها؟ هل كنت بداخل
السيارة؟ أين كنتي مختبئة بسيارته ولماذا لم أراكي؟))

ازدرت جالا ريقها.. فهي بعد أن جنت الأخرى برويته مع
سهر وأما أخفضت من نفسها حتى لا يراها مراد ويتنبه
عليها..

فعاادت تقول مبررة بوهن

((أخبرتكَ أن هيام هي من ضغطت عليّ لأركب معه))

هتف مراد من بين أسنانه بغضب

((ما هذه الحجة الغبية.. أين راجي؟ لماذا لم يوصلك؟ هيام ألا
تملك سيارة؟ بل ألا يمكنك طلب سيارة أجرة على الأقل؟))

تحلت جالا بشجاعة مزيفة وهي ترفع عينها له قائلة

((مراد.. حاسب نفسك قبل أن تحاسبني.. لم اخرج مع كارم إلا
مرة لأني ظنت أننا مطلقان..))

صرخ بها يزيد من رعبها منه بهذه اللحظة

((ليس عذرا مقبولا فقد كنتي بعدتك..))

ترك مراد ذراعها بإهمال بعد أن قال ما لديه ليقف معتدلا من
مكانه ثم أخذ يتحرك في حجرة نومها لاهت الأنفاس ومشتت
الأفكار..

كأنه أسد غاضب محبوس في قفص وهو يمنع نفسه بصعوبة
من مغادرة المكان وقتل كارم..

كيف يوصل الحقير زوجة رجل آخر!

توقف والتفت لجالا يريد أن يسألها ما إذا كان كارم يعرف
بطلاقهما إلا أنها باغتتها بقولها المتذمر الممزوج بالغضب

((أنت غاضب لأن كارم أوصلني مع اختي.. مع أنني متأكدة
أنك سبق وخرجت مع سهر ولوحدكما))

بصوت حاد أجابها مراد

((لا لم يسبق وان خرجت مع سهر وحيدا..))

برقت عينا جالا وهي تنظر إليه طويلا قبل أن تقول ببطء
خطير وإصرار

((لا بل خرجت.. وبإحدى المرات في ببداية زواجنا.. بل لقد
أرسلت لي سهر صورك وأنت تتسوق معها.. واشتريت معها
أكثر من حلة))

كان واضحاً أن مراد لا يعرف عما تتحدث فتساءل بحاجبين
معقودين استهجاناً

((أي صور هذه التي أرسلتها لك؟ كيف حدث هذا؟))

أجابته جالاً تسرد ما حدث بألم ينبض به قلبها

((لقد أرسلت لي صورك معها عن طريق ساعي البريد.. لكني
حرقت الصور بعد أن قررنا أن نعود سوياً لبعضنا وننسى كل
ما حدث بالماضي.. قررت أن احرق الماضي كما حرقت تلك
الحلل.. ألا تذكر عندما حرقت حللك التي اختارتها سهر
و غضبت عليّ وقتها بكل بجاجة؟))

هتف مراد بعينين متسعيتين صدمة

((حرقتيها؟ جالاً عن أي قصة تتحدثين؟ لا أذكر شيء كهذا))

كان صدره لا يزال يعلو ويهبط انفعالاً قبل أن يعقد حاجبيه
وهو يحاول تذكر ما تتحدث عنه..

وللحظة اشتد خط شفثيه وهو ينظر إليها وقد توترت ملامحه
وقد بدأ يتذكر..

فابتسمت جالاً وهي تقول له بصوتٍ باهت

(قبل أكثر من عشر سنوات.. أرسلت لي سهر صورك معها
وأنتما تتسوقان وتشتريان حلل لك))

بشق الأنف كبت مراد غيظه وهو يردد متوعداً

((الحقيرة سهر.. لا اصدق ما فعلته..))

ثم نظر لجالاً هادراً بحنق أقرب للعتاب وهو يعاود الجلوس
يقربها عابساً

((وأنتِ كيف كتمتي الأمر كل هذه السنوات؟))

أجابته جالا بصوت متحشرج

((لقد فعلنا زواجنا بعدها.. وقلنا لبعضنا أن ننسى الماضي بكل ما فيه وأن نبدأ من جديد بعد أن شعرت بصدق حبك لي))

احتوى مراد بكفيه قبضتي جالا يشد عليهما وهو يقول لها وعيناه تتوسلانها تصديقه

((جالا اقسم لك أنني لم اذهب مع سهر.. لقد رأيتها مصادفة بالمولم التجاري وهي عرضت علي المساعدة لشراء خُلل لي وأنا لم أستطع أن ارفض.. قلت ببالي لم لماذا لا استعين بخبرتها الأنثوية.. لكن بعد هذا الموقف الذي حدث لم أراها أبدا ولم انفرد معها في أي مكان ولولا تلك الزيارات التي تجيء فيها مع والديها هنا لما قابلتها))

قالت جالا له وهي تنتظر له بضيق شديد وحنق ضمنى

((وأنت لا تفوت الجلوس مع عائلتها عندما تزور عائلتك وتناديك والدتك! أنت بتصرفاتك هذه تعطي والدتها أملا))

انعقد حاجبي مراد ولم يرد عليها ناظرا إلى ملامحها والشحوب الخفيف الذي علا وجنتيها مما جعله يقول بصوت هادئ

((جالا أنا اجلس مع والدها والدي وهي تجلس مع أمها وأمي.. أي امل تتحدثين عنه؟ كم مرة أخبرتك عن هذا الأمر؟ اقسم لك أنني لا املك أي ذرة مشاعر تجاه سهر إذا لم تعتبري الاحتقار نوع من المشاعر.. لا تقارني نفسك بها.. إنها إنسانة منحلة.. وخطبتي السابقة بها كانت لتكون أكبر كارثة على وجه الكره الأرضية.. أنا اعتذر أنني لم أجعلك تشعرين بالأمان.. هذا ذنبي وأنا أتحمل المسؤولية كاملة.. لكن أتمنى فقط لو أنك صارحتني بشكل أبكر من هذا))

سألته جالا بشك وهي تزم شفيتها

((هل تريد أن تقول لي أنك لم تتمنى أن تكون هي زوجتك؟ ولم تحاول أن تتقرب منها؟))

بإصرار قال لها مراد وهو يهز رأسه

((نعم صدقيني.. سأقول ما فعلته لوالدي.. ولن اسمح لها هي أو أمها أن تخطو عتبة البيت))

بعتاب هدرت جالا وهي تسحب قبضتها منه

((الآن تذكرت أن تفعل هذا؟))

إلا أن مراد تابع كلامه قائلاً بصوته العميق الحنون المتوسل لها تصديقه وهو ينظر لها بوجد

((جالا أنا احبك.. احبك ولم احبك امرأة غيرك.. أحبتك حتى قبل أن نتزوج ولم تتصوري مقادري سعادتي في الزواج منك بعد أن لم أتخيل حدوث هذا حتى بالأحلام))

اتسعت عينا جالا وهي تنتظر بعينيه مباشرة لتكرر عليه سؤالها وهي تتذكر كلام كارم

((هل أنت صادق يا مراد؟))

رفع مراد يديه واحتضن وجهها بين كفيه وهو يهمس لها بتأكيد

((سامحيني لأني لم اقل لك هذا من البداية.. لكن فيما بعد حرصت أن تعرفي مقدار حبي وما أكنه بمكنونات قلبي لك.. ألم انجح بكل تلك السنين بجعلك تدركين حبي من كلامي وأفعالي؟))

سالت دموع جالا مجددا وهي تخبره بألم

((بلا فعلت.. لكن موضوع سهر وكلام والدتك عن حسرتها بزواجك مني بدلا منها كان ينغص علي حياتي))

مرر بإبهامه فوق وجهها يمسح عبراتها الساقطة هامسا لها

((سامحيني لذلك.. لكن إياك حتى أن تشعري بالغيرة من فتاة
منحطة مثلها.. غاري بمن هي ند بأخلاقك أنت))

همسته جعلتها تشهق قبل أن تقول

((وأنت أيضا لا تفكر انه يمكن لي أن أكن شيئا لكارم.. صدقني
يا مراد الأمر متعلق بكونه جزءا من طفولتي وحسب))

هزّ مرادها راسه متفهما رغم شعوره المستمر بالوجع..

ما زال يجهل ما مررت به بل لم يفهم ما تقصده تماما..

لكنه فضل أن يتجاوز ويصدق كلامها بأن كارم لم يعد يمثل لها
شيئا إلا أنه ساعدها بمشكلة تتردد دائما على كوابيسها..

حتى لو لم يعجبه الأمر إلا أنه يجب عليه تقبل أن كارم كان
جزءا من ماضيها وتقاسمت معه أمور كثيرة معه لسنين
طويلة..

فهز رأسها لتقول جالا له بصوت واهن

((سأحاول تصديق ما قلته بأن ظني بأنك نادم على عدم التزوج
من سهر ليس صحيحا.. وبأنك فعلا لا تريدها زوجة))

عقد مراد حاجبيه يقول لها

((جالا كم مرة عليّ أن أقسم لك أنني لا أملك لها ذرة مشاعر
ولم أرغب يوما بالزواج منها؟ رؤيتي لها قبل عشر سنوات
كانت مصادفة.. ولم أكن لأوصلها قبل أيام لو أن والدتها لم
تهاتفني وتطلب مني ذلك بعد أن فقدت محفظتها بالنادي.. لكن
حرصت على ألا أخرج من بيتهم قبل أن تعرف أمها جيدا أنك
ما زلت زوجتي.. واعدك أن اسم سهر لن ينطق عند عودتنا
للمنزل))

لوت جالا شفتها قائلا بحنق شديد

((أمك رائعة.. لم تطق صيرا حتى تنشر لها خبر طلاقنا
لتعرف أم سهر))

سارع مراد بالقول وهو يميل إلى ذراعها قائلا وبدا في كلامه
اعتذار عفوي بدا صادقا للغاية

((صديقي سأحاول إلا ادخل أمني بحياتنا.. لكن لنعد سويا..))

حركت جالا راسها بالرفض قائلة وهي تزم شفتيها بإصرار

((لا مراد لن أعود الآن))

عاد مراد يؤكد عليها عاقد الحاجبين بما جعل جالا ترتبك قليلا
أمام تلك النبذة الخاصة التي ظهرت في صوته

((جالا.. أئن ننتهي؟))

كانت جالا تتنفس بصعوبة بهذه اللحظات إلا أنها همست
بصوتٍ حاد وهي تقول بإصرار

((مراد أنا لا أريد أن أعود.. لن أعود.. لا زالت وفاة والدي
تفجعني))

همس لها مكررا

((حسنا.. حسنا.. لا بأس.. لن اضغط عليك..))

ارتبكت جالا قليلا وعواطفه الجياشة تربكها.. ثم صمتت قليلا
لتهمس دون تردد بألم

((الأمر ليس كذلك.. أنا لا أفكر أن أعود أبدا.. لا أثق بك.. فما
أن أعود حتى تطلب مني أن أتعامل مع والدتك وأتردد على
بيتها وأطيعها وأنا لن أتحمل.. حتى لو تغيرت أمك كما رأيتها
في عزاء أبي وراعتني.. فانا لا أثق بأنها ستبقى هكذا للأبد.. لا

أريد أن أعود.. احبك يا مراد وأغار عليك من أي امرأة
حولك.. لكن ما عدت أتحمّل العيش معك.. أمك حاولت بجديّة
تزويجك من غيري.. أمك تكرهني وأكثر من مرة أساءت لي..
لا أستطيع تجاوز ما قالته لي ولن أستطيع أن أتعامل معها كأنها
لم تسمعني شيء))

فغر مراد شفّتيه قليلا لكنه بتر كلامه الذي كان ينوي قوله..

صمت للحظات ثم قال بهدوء وحزن بدون أن يضغط عليها

((جالا.. جالا.. حسنا ستيقين هنا.. دعينا لا نتحدث الآن بشأن
عودتك.. خذي قدر ما تشائين من الراحة))

شعرت جالا بالاسترخاء لتفهمه وهي تخفض عينيها إلى كفيهما
بعد أن امسك مراد كفها شابكا أناملهما ببعضهما..

عم الصمت بينهما لدقائق..

شعر مراد ببهوتها وبدون أي مقدمة تقدم يجلس بجانبها
ويحضنها..

ولم تستطع جالا في تلك اللحظة إلا أن تتقبل أحضانه شاهقة
باختناق كل ما مرت به ليشعر بقلبه ينقبض عليها إلى أبعد حد..

يعرف عظم المصيبة وقوة النازلة التي حلت على جالا بفقدانها
لوالدها..

شددت جالا على أحضانه لتشعر بالأطمئنان والاحتواء أكثر
وهي تقول له بصوتها المتذبذب

((مراد.. أنا لا اصدق أن أبي توفي))

مدّ يده يربت على شعرها بحنان شديد يغدقها فيه هامسا

((البقاء لله وحده.. أدرك مصابك وشعوري لا يقل عن
شعورك.. والدك دائما سيبقى في قلوبنا ولن ننساه..))

قالت جالا له بصوتها الباكي

((والدي قصر كثيرا معنا.. لكن أنا كنت عاقبة له أيضا ومقصرة معه وأتضايق منه وأتضجر منه خاصةً بصغري))

كانت تريد التحدث لكن شهقتها منعته لتشعر بيده أسفل ذقنها يرفع وجهها إليه هادرا بصوته العذب

((كما قلتي يا جالا قبل قليل.. لقد كنتي صغيرة.. لا داعي للتفكير بهذا الأمر))

طلعت جالا بسمته الهادئة ونظراته الحنون لتتشجع وتقول أكثر

((بالفترة التي قضيتها ببيتنا هنا كنت أزوره دائما يا مراد.. وندمت على الذي قمت به بالماضي.. على تقصيري معه حتى لو كان مقصرا.. عدلت علاقتي معه وكنت أبره وأحن عليه بقدر جهدي وكنت حنونة عليه لكني لم أعتذر له ولم أقل له سامحني قبل موته.. وهو رحمه الله قبل وفاتك قال لي انه سعيد أنني تزوجت منك ويتمنى لي السعادة معك.. وكما طلب مني قبل وفاته أَدْعُو له بالرحمة والمغفرة وأن يكون راضيا عني في قبره كل يوم))

ابتسم مراد لها قم قبل شعرها ليقول

((عزيزتي لقد أوصاني عليك كثيرا وأخبرني أن أعوضك عن كل ما قصر به بحقك.. صدقيني لقد كان راضيا عنك قبل موته.. ادعي له فقط))

وظلت في حضنه لوقت لا يعلمه يستمع لها ويتركها تتحدث عن كل مشاعرهما عن والدها فهو يعرف أنها لا تحتاج بهذه الأيام سوى التحدث إلى شخص ما لتشعر بالراحة..

وهو من جهته يهددها ويرد ويروح عنها هامسا لها بكلمات تخفف عليها بين كلامها..

بعد ساعة..

دلف مراد لغرفة نومه يأخذ حماما دافئا ويغير ملابسه بعد أن وصل لشقته..

كان منهكا أكثر من أن يذهب لعمله الذي قصر بحقه مؤخرا بسبب وفاة والد جالا..

ولج لحجرة مكتبه وجلس خلف مكتبه الدائري يفتح حاسوبه المحمول ليتابع القليل من عمله في البيت..

فتح على بريده الإلكتروني ليستلم بعض المسندات والملفات التي بعثها له زميله ليتابعها ويكمل ما يخصها الآن..

عقد مراد حاجبيه عندما وجد بريدا آخر غير بريده الإلكتروني موضوعا بدلا عنه..

متى كانت آخر مرة يفتح حاسوبه المحمول هذا؟

فهو دائما ما يكمل عمله بأجهزة مكتبه وإذا كان يريد متابعته بالبيت يحضر معه جهاز المكتب لا هذا الحاسوب المحمول القديم المكون هنا..

ضيق مراد عيبه وهو يطالع اسم البريد الإلكتروني الذي كان باسم غريب وغالبا وهمي..

ظن أن جالا أنشأته ربما للتسجيل بإحدى المواقع أو للألعاب من أجل ابنتيهما..

كان يريد الخروج من البريد إلا أن فضوله جعله يعقد حاجبيه مرة أخرى ويضغط على إحدى الرسائل المرسلة للبريد الإلكتروني بعد أن جذبته عنوانها المكتوب..

=====
=====
انتهى الفصل

=====
=====
عند وقت العشاء..

اجتمع كل من جالا ورانسى وراجي حول منضدة الطعام..

انتبهت جالا لرانسى تعبت بمعلقة الطبق الموضوع أمامها بدون
أن تتناول أي شيء فعليا إلا الفتات..

وسرعان ما أبعدت رانسى الطبق عنها وهي تضع المعلقة على
الطاولة معلنة عن شبعها..

بدأت باهتة ومتجهمّة بوجه غريب عليها.. وساكنة لا تتحرك
وتتظر الى لا شيء..

إلا أنه بين حين وآخر تختلس النظر لراجي الذي كان يأكل
بهدهوء شديد وصمت..

وما إن التقت عينا راجي بعينيتها حتى جفلت رانسى وسرعان
ما أنزلت كفيها تحت الطاولة في حجرها تداري ارتعاشاتها
الخفيفة منكسة الرأس..

تجاهلت جالا ما يحدث بينهما وأراحت ظهرها للخلف وهي
تنفخ بانزعاج لوجبة العشاء التي وضعت فيها رانسى أطباقا من
غذاء اليوم بعد أن سخنته..

هل يوجد أي شخص في الكرة الأرضية يصنع نفس الصنف
على الغداء ليومين متتاليين؟

فرانسي دخلت المطبخ اليوم مبكرا وبدأت بالطهي من دون أن
تستشيرها كعادتها..

وأعدت على الغداء نفس الصنف الذي صنعه في الأمس
لمجرد أن قال راجي بليلة أمس بكلمة عابرة أنه أحب الطعام
الذي صنَّع على الغداء..

وقد سعبت فعلا لإجاداته حتى يخرج الصنف مميزا ويحبه منها
كالأمس..

بعد دقائق قالت جالا وهي تعتدل واقفة من مكانها وتأخذ أطباق
طعام فارغة من على الطاولة

((لقد شبعتم الحمد لله))

رفع راجي بصره ليرى جالا تخطو بعيدا من هنا نحو المطبخ
ثم حرك رأسه نحو رانسي التي اتسعت عيناها وهي تنتبه انهما
صارا لوحدهما الآن..

لتزدرد ريقها ثم تقف هي الأخرى من مكانها بارتباك هامسة
بصوتٍ خفيض

((تصبح على خير.. سأذهب للنوم))

تابع راجي التحديق بها بهدوء وهو يراقب استدارتها وخطواتها
السريعة لغرفتهما دون أن ينطق بكلمة واحدة..

بعد نصف ساعة..

سمعت رانسى التي كانت تدعي النوم دقائق الباب لتعتدل شبه جالسة..

لم يكن راجي ليطرق الباب قبل أن يدخل فعرفت أنها جالا لتسمح لها بالدخول

((تفضلي يا جالا))

دلفت جالا للداخل وهي تمسك الصينية وموضوع فوقها كأس الحليب الذي وضعته فوق المنضدة الصغيرة الملاصقة لسريرها قائلة بابتسامة

((بدوت اليوم باهتة ومريضة قليلا.. كوب الحليب الدافئ هذا سيجعلك أفضل))

ابتسمت رانسى لها وهي تهز رأسها بامتنان فقالت لها جالا هامسة بشقاوة

((رانسى لا تحاولي أبداً أن تشعري أخي بأنك وافقت على الارتباط به لأنه لم يوجد أحد آخر مميز في حياتك.. بل أشعريه أنه هو من كنت تبحثين عنه طوال عمرك ولا يوجد أحد آخر من الممكن أن يحصل على قلبك غيره))

ضحكت رانسى بخفوت ثم قالت بإيجاب

((حسنا سأفعل وسأدلل أخيك.. لا تقلقي))

ابتسمت لها جالا وهي تغادر الغرفة لتجد راجي يدلف لداخلها بهدوء فتقول له

((تصبح على خير يا راجي))

أجابها راجي مبتسما لها قبل يغلق الباب خلفها

((طابت ليلتك))

ثم أزال ابتسامته بغتة ونظر بهدوء أمامه لرانسى بنظراته العميقة..

ابتلعت رانسى ريقها وهي التي كانت تخطط للنوم قبل أن يصعد للغرفة..

ثم بادرت الحديث تنطق بتلعثم واضح

((أريد النوم الآن.. تصبح.. تصبح على خير يا راجي))

حدق راجي بها وهو يراها تعطيه ظهره وتنام على جانبها الأخر..

فتنهذ قائلا وهو يفك حزام بنطاله القماشي بكلماته التي تخترقها ((تحرري من ملابسك.. الآن))

انتفض قلبها لكلامه بخوف.. وجبن..

تحاملت على نفسها مبتلعة الإهانات الضمنية التي تخرج مع قوله العفوي هذا..

لكنها بقيت متجمدة مكانها وساكنة..

استدار راجي مبتعدا عنها ليجلس على كرسي مستندا للخلف وهو يغمض عينيه ويكتف ذراعيه قائلا بواجهته الباردة

((هل أنا مضطر أن أزيل ملابسك أيضا مثل الأمس؟))

سمع صوتها خجلا خافتا بتردد ويدها تقبضان على منامتها بينما تستدير لتتظر له

((وهل يجب أن تفعل.. هذا كل ليلة؟))

رفع حاجبيه قائلا باستنكار

((وهل ستعدين خلفي كم مرة أطلبه منك؟))

أطرقت رانسي برأسها خزيا من طريقة كلامه معها ليكمل
راجي بحزم وبيبطاء

((تحرري.. من.. ملابسك.. يا رانسي))

سألته رانسي بصوتٍ متذبذبٍ بغتةً بسؤالٍ بعيد كل البعد عن
حديثهم

((هل أعجبك كإمراه؟))

دهشة طفيفة احتلت ملامحه من سؤالها المباغت بهذا الوقت..

لكنه قال لها وهو يجعل من وجهه خالٍ من التعابير

((لا.. فشكلك لا يعجبني.. وهذا لا علاقة له بالجمال.. الأمر
فقط هكذا بالنسبة لي))

هزت رانسي رأسها له بابتسامةٍ مريرةٍ فالأمر ليس وكأنها
متفاجئة من كلامه الذي كانت تنطقه عيناه لها باستمرار..

مرت دقائق على وضعهما هذا بصمتٍ مدقع..

وعندما حاولت رانسي قطعه وفغرت شفقتها تود الحديث همس
راجي لها بصرامةٍ باترة

((الآن يا رانسي.. لن انتظر للصباح.. أريد النوم فعندي غدا ما
يلزمني النهوض مبكرا))

وعندما عادت تنكس نظرها انتصب راجي هو واقفا من مكانه
بينما يرمقها بازدياء..

شعورها باقترابه منها جعلها تشعر بخوفٍ بينما تنتفض دواخلها
فتراجع للخلف قليلا بجلستها فوق السرير..

اقترب راجي منها مقرَّباً وجهه لوجهها وبدأت نفاسه تلسعها
فتشعر وكأنها لهيب من نار محتدمة..

وبمنتهى الأريحية مد يديه يفتح أزرار فستانها المنزلي ويبعده
عن كتفها مما جعل جسدها ينكمش وشفثها ترتعشان وهي
تقول له برجاء وصوت متحشرج

((اغلق الإنارة أولاً.. أرجوك))

أخفى راجي اشتعال غضبه الداخلي من تكرار طلبها السخيف
فهي تغمض عينيها طوال الوقت..

لم الحاجة لإطفاء النارة حتى؟

نفخ راجي بحنق ثم استجاب لها وأطفأ زر إنارة الحجره..

للحظات وكانت تشعر بالنفستان يسقط تحت قدميها لتنكمش أكثر
ويرتجف جسدها ارتجافاً طفيفاً..

ومثل الأمس بسطت نفسها له وأغمضت عينيها..

وطوال الدقائق كانت وكأنها امرأة بلا مشاعر بل وكان كل ما
فيها من أحاسيس مدفونة أو متجمدة..

ووجوده حولها بهذه اللحظات ومعاملته لها بهذا البرود والفتور
والجفاء لم يجعلها تشعر إلا بالنفور منه..

شدت رانسي على إغماض عينيها وقد تضايقت ملامحها
باعتراض غير قادرة على التعبير عنه..

لكان إحساسا رهيبا ومقيتا أن تكون هكذا أمامه حتى والإنارة
مغلقة والظلام الحالك يسود الحجره..

ترجع راجي بجسده عنها مبتعداً ليطلق سراحها..

قام بروتينته الليلي من اغتسال ثم ارتداء منامة مريحة قبل أن
يذهب لسريره ويغرق بالنوم..

ما إن شعرت رانسى به ينام حتى اعتدل واقفة هي الأخرى
مكانها لتغتسل..

أغلقت الباب خلفها ثم تسمرت واقفة مكانها وهي تنظر بشرود
لبداء انهمار الماء من الصنبور ليملاً الحوض بعد أن فتحته..

بصعوبة كانت تمنع دموعها من الهطول وهي تشعر الآن
بالامتهان يحاوطها من كل جانب من جوانب حياتها معها..

فما فعله معها لليلتين متتاليتين يفقدها أنوثتها وكيانها..

جلست رانسى داخل الحوض ما أن امتلأ ثم ضمت جسدها
بذراعيها ليبدأ جسدها باختضاضٍ ضعيف..

شعرت بأنها تكره نفسه وجسدها بل وبالأشمزاز منه..

ولا يوجد أسهل بالنسبة لها كإمراه من أن تشعر بالانتهاك عند
علاقة تحدث خارج إطار المشاعر والحب..

أنهت رانسى حمامها الدافئ ثم ارتدت منامة بيتية مريحة
واستأقت على سرير نومها ملتحفة بغطائها..

وحرصت أن تبقى الحجرة مظلمة تماماً حتى لا ترى أي شيء
فيه حتى ظهره الذي يعطيه لها..

=====
=====

بعد مرور شهر..

لا يصدق احمد أنه قد مر شهر على زواجه من سارا..

فهو كان بشكل دائم وعندما يعود لشقته مع هيام بيومها يقابلها
وكأنها إنسانة أخرى لم يعرفها..

ملامح باردة.. وجه ذابل..

كان يكرر على نفسه أن هذا طبيعي في البداية لذلك هو يحاول
أن يداريها فوق ما تخيل أنه سيفعل..

إلى حد التنازل كلياً عن حقوقه الشرعية فما أن يقترب منها
تخبره برفض

"هل تريد حقوقك الشرعية؟ اذهب للأخرى يا احمد"

وللحق فإن الوضع يزعجه جداً فصار لا يشعر بالراحة بحياته
لا عند هيام ولا عند سارا..

سارا التي منذ أن تزوجها لا يكن لها الآن إلا النفور والمقت
لاكتشافه قبل الحفل بساعات أنها تزوجت غير راجي رجلاً
آخر..

بل وربما رجال آخرين..

ولما فعلته من تصرفات هستيرية مخيفة بليلة ما بعد الزفاف
لسبب تافه..

حيث ما تزال آثار ضربها وتحطيمها لإثاث المنزل على جسده
ظاهرة حتى الآن..

فترة المساء..

كانا الاثنان احمد وهيام يجلسان حول منضدة الطعام بصمت
مقبت..

وكالعادة انتبه أن هيام تتناول طعامها بهدوء.. وحزن.. شاردة
الذهن بشكل يعتصر القلب عليها ألما..

قبل أن يقطعه مبادرا بفتح اقتراح على هيام..

ما إن أنهى كلامه حتى رفعت هيام عيناها بشراسة له وهي
تقول بصوتٍ مشبع بالكره والتصميم

((أنا ارفض مقابلتها يا احمد.. هل أنت اخرق للحد الذي تظن
أني سأوافق على طلبك.. بل وربما اعتبرها أخت لي؟))

كانت فعلا مندешеة من اقتراحه بجعلها تتعرف على زوجته
الأخرى حتى يدعها تعيش بالشقة العلوية فوق شقتها..

فهي تصورت بأنه سيذوب خجلا إذا ما شك مجرد شك بأنها
عرفت بزواجه من زوجة أخيها السابقة..

إلا أنها لا تصدق أنه هو من يحثها الآن ويريد منها أن تعرف
هوية المرأة التي تزوجها بل ويطلب منها الالتقاء بها
ومخالطتها..

هي فعلا تعجز عن فهم ما يدور في ذهن احمد وهو يطلب منها
هذا الطلب؟

تمتم احمد لها بتذمر

((حسنا يستحسن أن اترك هذه الفكرة لفترة أطول قبل أن
اقترحها مرة ثانية عليك.. ولكن ها أنا أقول لك بأن الشقة
العلوية ستكون لها وستنتقل لها يوما ما.. لذا يستحسن لك أن
تتقبلي فكرة أنني تزوجت بشكل أسرع))

برقت عينا هيام بكره خالص له!

هل هو نفس الرجل الذي قال لها بأنه لن يجعلها تشعر بأنه
متزوج ولن يلزمها برؤية من يتزوجها؟

قالت هيام له بهدوء رغم صوتها المشدّد ونبرتها المحذرة

((احمد.. ما تفعله أنت يضرّم نار الحقد والغيرة عليّ ويفتح عليك أبواب جهنم.. لذا إياك يا احمد أن تضغط عليّ.. ربما سأنفجر مرة واحدة وأقرر الابتعاد عنك بلا عودة))

حدق احمد بوجهها للحظات ثم قال لها بفتور

((حسنا يا هيامي.. سأتركك بعيدة عنها قليلا.. على الأقل حتى تستردي ثقّتك بنفسك ومكانتك عندي))

ابتسمت هيام ابتسامة سخرية مريرة وهي تقول مغمّغة قبل أن تعود للأكل من طعامها

((وهل تركت لي ثقة لأستردها؟ لقد نسفتها يا احمد بأفعاك نسفا))

أخذ احمد نفساً قبل أن يقول لها من بين أسنانه بتوتر

((هيام أنت تعرفين أنني لا زلت عاشق لك واحبك حب لم ولن أستطيع أن احبه لغيرك.. تعرفين أنني حتى ولو أردت فلن أستطيع أن احبك غيرك))

رمقته هيام بعينيها البنيتين الباهتتين بقسوة..

لا تفهم كيف يفكر رجل مثله.. تكاد تقسم أنها لا تفهمه..

كيف يدعي حبها وبنفس يقدم على ما سيجعلها تتألم وتتعبذ؟

التفت تنظر له بعينين ذابلتين وقد تغلّل الغل والحقد بداخلها تجاهه..

لا تصدقه أبدا..

انه لا يحبها.. لا يحبها..

لو كان يمتلك ذرة حب تجاهها.. أو حتى مودة وعشرة لسنين
الزواج التي كانت بينهما لما فعل ما فعله..

لم يعذبها بإرادته بما يشعل صدرها وجعا وقهرا؟

عندما انتبه احمد لعدم التصديق المشع من عيناها قال بإصرار
عاقده الحاجبين

((اقسم لك يا هيام أن قلبي لم يحب غيرك.. ولا أتخيل انه قادر
على حب سواك))

بقيت هيام تحديق به بجمود..

للمرة الألف.. ما قيمة كلامه وأفعاله العكس تماما؟

ردت هيام عليه بصوتٍ خالٍ من المشاعر وهي تنظر له
بنظرات غريبة

((أعلم أنك تحبني ولن تقدر على حب غيري.. هذا ما يبقيني
عندك للآن.. ربما..))

ابتسم احمد لكلامها ليقول لها بصوتٍ أجش وهو يرفع يديه
ويمدهما ليمسك كفيها معا

((هيام.. هل تصدقين أنني صرت اشتاق إليك كثيرا عندما ابتعد
عني.. أكثر من قبل.. بل وحتى صار مزاجي جيدا جدا بمجرد
أن يحين يومك..))

أوجها قلبها لذكر جملة "عندما يحين يومك" ..

لكنها كتمته هادرة بسخرية وهي تسحب يديها بامتعاض

((نعم.. أتصور ذلك.. بسبب التنوع الحاصل في حياتك عندما
تزوجت))

بانزعاج قال احمد متغضن الجبين

((هيام لا تتهكمي.. هل تعلمين بعد زواجي منها صرت أرى
فيك مالم أكن أراه قبلا.. بل مالم تكوني تريه أنت بنفسك..))

وعندما لم تستجب لكلامه أو تبدي اهتمام له أكمل احمد
موضحا

((صرت ألاحظ اهتمامك بلباسي وأموري كلها.. وحتى حسن
إعدادك للطعام والشراب وتنويعك فيه.. تلك الأخرى المتزوج
بها مستعدة أن تموت جوعا على أن تحرك طبقا بالمطبخ.. كل
عيوبها الأخرى صرت أراها مزايا لك))

بقيت هيام تنتظر له وتطالعه..

لو أنه يؤذيها ولا يبالي لكان أهون عليها من أنه يؤذيها ويتحجج
ويبرر أفعاله بكل أعذاره الواهية..

صباح اليوم التالي..

وقبل ذهاب احمد للعمل صدر رنين من هاتفه ليجد اسم والدته
يعلو الشاشة..

أجاب على الهاتف متمتما بعبارات ترحيبية واعتذار عن
تقصيره بزيارتها مؤخرا.. أو بالأحرى كما هو معتاد..

فهي امرأة عجوز وحيدة منذ وفاته والده وترفض كليا العيش
عنده وترك منزلها..

اعتاد من هيام البقاء عندها وشغل وقتها لكنها مؤخرا ما عادت
تذهب عندها أبدا..

التفت احمد الواقف عند الباب يهتف لهيام

((هيام حبيبتي أمي تريد التحدث معك))

أجابته هيام التي كانت تنظف طاولة الفطور بصوت هادئ لكن مسموع كفاية ليصل إلى سمع والدته عبر الهاتف

((أخبرها أنني لا أريد الرد عليها))

ابعد احمد الهاتف عنه يكتم صوته بيده وهو ينهرها هامسا بصدمة

((هيام.. أمي تسمعك))

أجابته هيام بلامبالاة وصوت جليدي

((لا يهمني فلتسمعني لكن لا رغبة لي برؤيتها.. دع زوجتك الأخرى التي تلهفت أمك لتزوجها لك ترد عليها وتزورها هي))

هز احمد راسه بلا رضا وهو يرمق هيام بنظرات لانمة قبل أن يعيد الهاتف لاذنه هادرا وهو يغادر المنزل

((أمي إلى اللقاء ستتحدث معك فيما بعد فهيام متعبة))

بينما بالمطبخ كانت تفكر هيام بأنها فعلا بدأت تتجنب دُخول بيت والدة احمد بل وتحاول أن تضع مسافةً كبيرةً بينهما..

لأنها بصراحة لم تعد تطيق رؤيتها أو الحديث معها أو السلام عليها حتى..

أصبحت مَشاعرها المتعلقة بكرهها والدته والتي كانت تُخفيها.. ظاهرةً.. حتى لأحمد..

وحتى أنها أخرجته أمامها على الهاتف الآن عندما رفضت الحديث معها وكأنها صارت غريبة عنها لا زوجة ابنها..

وهذا أقل واجب بحقها بعد أن كانت المحرصة الأولى لزواج احمد..

وسرعان ما علا رنين هاتفها بمجرد خروج احمد لتعرف المتصل وتقرر هذ المرة الرد على الهاتف..

وصلها صوت والدة احمد

((أخيرا كلفتني نفسك بالرد عليّ))

أجابتها هيام ببرود وتحفظ

((نعم يا عمّة.. ماذا تريدين؟))

قالت لها والدة احمد متذمرة

((لم تعودي تنوريني بالمنزل))

أجابتها هيام ببساطة

((نعم اقل رد فعل لما فعلته بي وأنتِ تدريكين جيدا أن العيب بالإنجاب منه لا مني.. فمن الدناءة ألا تشجعيه على تبادل الوفاء))

تنهدت والدة احمد بضيق ثم قالت لهيام بعملية

((ستتعين لو بقيتي تفكرين هكذا.. ما حدث قد حدث.. تقبله.. ألم أقف بصفك أيضًا لنتزوجي ابني عندما كان متزوجا من ابنة عمك إيما؟))

قلبت هيام عينيها بهدوء في جدران وهي تزيح كرسيها لتجلس عليه لتقول

((ماذا تريدين يا عمّة مني الآن باختصار؟))

سألتها والدة احمد بحدة

((بل اسمحي لي أنا أن أسألك ما هو الحل الذي تعتقدن أنه
يُرضيك؟ هل تطليق زوجته منه يرضيك مثل المسكينة السابقة
لارا؟ لقد قلت لك انه تزوج وانتهى الأمر.. وقريبا أن شاء الله
سيكون له الكثير من الأبناء من زوجته.. هذا هو ما سيحدث فلا
يجدي شيئا أن تستذكري الماضي وما قدمته لأحمد))

ألم هيام كلام والدة احمد كثيرا لكنها عادت تسألها بصوتٍ
مخنتق رغم ثباته الظاهري

((حسنا.. ماذا بعد؟))

قالت لها والدة احمد بتحذير

((إياك أن تحاول أن تحرضيه عليها وأن تطلبي طلاقها أو
تبحثي عن عيب فيها.. تعايشي مع الواقع بإيجابية))

ابتسمت زاوية فم هيام بسخرية لكلام والدة احمد.. سخرية
مؤلمة وموجعة..

لكن لو هلة تساءلت إذا ما كانت تعرف أن سارا هي زوجة
أخيها السابقة؟

لكنها عادت تقول لنفسها بأنه من المستحيل ألا تكون على علم
بهكذا معلومة وهي حضرت حفل زفافها..

سمعت والدة احمد تسترسل

((ألا يعدل بينكما؟ إذن لا يحق لك الاعتراض))

للحظات فكرت هيام بجديّة..

الحقيقة أنه منذ أن تزوج احمد سارا قبل شهر وهي تشعر بأنه
يعدل بينهما في المال والوقت..

بل وربما يميل بشكل واضح لها ودائما ما يبدي مقت ونفور
قبل وبعد عودته من شقة سارا..

إلا أنها ومع ذلك تشعر بضرر وضيق وحزن..
فبعد أن كان يقضي معها الشهر كله صار يقضي نصفه فقط..
فأصبحت تفتقده وتفقد شعورها بالأمان في غيابه..
صحيح أنها صارت تكرهه بعد كل ما فعله بها لكنها أيضًا لا
تحب أن تتناول الغداء وحدها ولا أن تشاهد التلفاز وحدها..
ولا أن يأتيها يوماً ورائحة عطرها تغمره..
الوضع يتسبب لها بمشاعر سلبية عديدة..
من وجهة نظر احمد فهو لم يخل بعلاقتيها لأنها من البداية
وافقت على الزواج به وهو متزوج من إيمان..
وهي من وافقت أن تشارك إيمان به وتأخذ من وقتها..
لذا لا يحق لها أن تعترض بسبب الغيرة أو الخصم من وقتها أو
هذه المشاعر السلبية..
ومن جهة أخرى هو متأكد أنها لن تستسيغ طلب الطلاق لأنها
كبرت في السن وفرصتها في العثور على زوج آخر غيره
صارت محدودة وهي لا ترغب أن تعيش وحيدة..
أو أنها لن تستطيع أن تنفق على نفسها لأنها تركت عملها أو
شهادتها منذ ما يزيد عن عقد زمان بالرغم من الوضع المالي
الممتاز لأخيها والنقود الكثيرة التي ورثتها من أبيها..
عادت هيام للواقع تجيب والدة احمد بفتور
((لا تخافي لن أحرصه.. لأنني متأكدة بأنه سيطلقها من تلقاء
نفسه))
شبهت والدة احمد لجرأة هيام بالكلام لتكمل قبل أن تغلق الهاتف
بوجهها

((اشك بمسألة إنجابها.. بل متأكدة بأنها لن تقبل أن تنجب منه..
وعندما يعرف ابنك بأن السبب الذي من أجله تزوجها لن تقوم
به سيسرع بطلاقها.. هذا إذا كان قد تزوجها لأجل الإنجاب لا
لأجل مظهرها الخارجي.. لكن حتى ولو كان العكس.. لا يهم..
فكما تعلمين الزواج الذي ينبنى على المظاهر الخارجية غير
دائم ويختفي بريقه بسرعة وهو لا شيء أكثر من نزوة.. إلى
اللقاء))

=====
=====

اشتدت قبضتا مراد على قميصه البيتي ليفتح أزراره العلوية
بعد أن شعر بعجزه عن التنفس بشكلٍ سوي وهو يتقلب بأرق
على سرير بلا أي قدرة على النوم..

بل هو عاجز عن النوم فعليا منذ ذلك اليوم المشؤوم الذي قرأ ما
استطاع قراءته في الحساب البريدي الخاص بجالا..

نعم اتضح انه حسابها البريدي..

تطلب الأمر منه أياما حتى استوعب ما قرأه بأوقات متفرقة
على حسب قدرته النفسية..

من يومها استبد به صراع بات يؤرقه ويتعبه ويجعله فاقد
للحكمة لذا فضل إلا يراها أو يتحدث معها..

لكنه على الأقل مرتاح أنها نضجت كفاية لتعرف كيف تتواصل
لواحدها مع مختصة نفسية تتحدث معها حول هذا الموضوع..

فهو أساس علاجي رزين لأنه فتح منافذ ومحابس نفسها
المحتقنة هو أفضل تفريغ نفسي سيريحها كثيراً..

زفر مراد بضيق شديد..

فالآن وبكل صراحة وبعد كل ما قرأه والتفاصيل التي عرفها
وجد أنه هو من بحاجة للعلاج النفسي الآن..

وهذا ما فعله..

ولأنه مثلها لم يملك الجراءة حتى أمام طبيب نفسي بالتحدث لجأ
مثلها لمُختص عبر الأنترنت والذي يتيح له البقاء معه مجهول
الهوية..

الآن كل الأمور الغير مبررة وما كانت عليه من قلق وعزلة
وتحفزها النفسي وعدم رغبتها في أي تقارب جسدي في بداية
زواجها اتضحت أسبابه له..

خاصةً وهي لم تتلقَ أي علاج فعال جعل كل شيء بداخلها
يتراكم..

نعم لقد عرف سر كابوسها الذي رافقها طويلاً.. ودور كارم
به..

لابد أنها عانت الكثير لتنسى وتنفصل عن هذا الواقع لوحدها..

فإبعاد كل ما حدث عن ذاكرتها ومحاولتها نسيان تفاصيل كل
ما مرت فيه والتي كانت في الخفاء بينها وبين نفسها فقط في
عالم هي فيه تموت وتتكسر لوحدها..

ليس أمر سهلاً أبداً..

لقد عانت جالاً لسنوات من حالة نفسية مزوجة بالقلق والتوتر
بعد ما حدث لها..

وعدم وعيه بالتعامل معها وعدم معرفته بما حدث لها هو ما
زاد وضعها سوءاً خاصةً في أول سنة بزواجها..

بل مواقفه وتصرفاته معها هو ما جلب لها الذكريات السيئة
القديمة وارتفاع درجة اليقظة والأحلام المزجة عندها..

لو كان أوعى أكثر بالماضي لأصر عليها الذهاب لمختص
نفسى حتى لو لم يكن سيعرف بالأمر..

ارتفع صدره وانخفض بأنفاسه القوية..

استلقى على ظهره ينظر إلى السقف والصداع يكاد يفتك به..

منذ أن عرف وكل لياليه مشبعة بالألم والعذاب والسهر..

ومن دون أي سابق إنذار اعتدل من مكانه نحو منضدة الزينة
يأخذ مفاتيح سيارته ليقرر بأنه يريد الآن رؤيتها لعله يريح قلبه
الثائر..

أرسل مراد رسالة نصية على الهاتف يخبر جالا بقدمه وكانت
دقائق حتى وصل لباب منزلها..

طرق مراد باب البيت عدة طرقات منخفضة يراعى الوقت
المتأخر الذي جاء به من الليل..

فتحت له جالا الباب تطلع عليه بذهول حيث أنها لم تكن قد
صدقت محتوى الرسالة التي بعثها لها..

فأي مجنون هو ليأتي بمنتصف هذه الليلة الحالكة خاصة وبعد
جفاء شهر كامل من جهته لها؟

هدرت جالا له بحدة شديد.. وبنبرة مرتجفة من شدة ارتباكها
بنفس الوقت

((أيها المجنون ماذا تفعل بهذا الوقت المتأخر من الليل؟ أخي
وزوجته بالمنزل))

ابتسم مراد لها بإنهاك وعيناه تدوران على ملامحها المتوردة
وتفضحان شوقه وعشقه لها..

اقترب مراد منها هامسا بارهاق قلبه وهو يرفع يديه ليحاو
وجهها محاولاً السيطرة على لهفته إليها

((كيف حالك يا مليكتي؟))

تحكمت رغبته الحارقة فيها وتغلبت عليها ليفقد تحكمه ويقوم
بدسها في صدره ليمرغ وجهه في عنقها..

تجمدت جالا للحظات بصدمة وما إن عادت لوعيتها حتى
حاولت دفعه بعصبية وهي تسمعه يقول بصوت متحرج
بانفلات مشاعره

((لم أستطع التحكم بنفسي وألا أتى لهنأ))

اتسعت عيناها لترتجف حدقتها البنيتان وقد افتقرت شفاتها
بأنفاسها..

لكنها تماكنت نفسها وحاولت إبعاده عنها قائلة ببعض اللوم
((نعم ولهذا كنت لا تتواصل معي منذ أخر زيارة قمت بها
لي))

ابتعد مراد قليلا عنها يحدق بعينيها البنيتين بنفس ابتسامته
المنهكة..

كيف يدعها تذهب..

وهو؟! أين أذهب بهذا الجرح؟!

أين يذهب بقلب لا يعرف الترييض سوى بحدائقها.. وروح لا
تخلق سوى بجنتها؟

انتبهت جالا لجبينه المتصفد بالعرق وخصلات شعره الملتصقة
عليها بفعل العرق....

فقال له بلوعة وهي تضم وجهه بين راحتها

((حرارتك تبدو مرتفعة.. يا إلهي هل أنت مريض؟))

هز مراد رأسه قائلاً بمشاكسة وصوت متعب ومرهق

((نعم منذ أمس))

اتسعت عينا جالا بهلع عليه..

التفتت تنظر للخلف ثم للأعلى تتأكد من أن راجي أو رانسي لم يستيقظوا على صوتهما..

ابتلعت جالا ريقها بتوجس ويدها تمتد لباب المنزل لتغلقه بالمفتاح..

وبخطوات بدأت مرتعشة مترددة إلا أنها ازدادت قوة وهي تسحبه من يده إلى غرفتها وتحكم إغلاق الباب خلفها..

وبينما ترفع الأغطية عن سريرها لتدعه يستلقي سمعته يسألها

((هل ينمن رورو ولين في غرفة أخرى؟))

هزت جالا رأسها إيجابا له لتقول له وهي تغطيه

((تغيب غدا عن عملك.. لا يمكنك الذهاب بهذه الحالة))

وكانت دقائق حتى استغرق مراد بنوم عميق من شدة إنهاكه وبعد أن اطمأن أنها بجانبه..

كانت جالا مستلقية بجانبه بوضعية الجلوس وأناملها تتخلل شعره الفاتح وخصلاته الناعمة بينما تبدل الكمادات الباردة التي جلبتها بين كل حين الموضوع على جبينه..

أما الخوف فكان قد سبق وتسرب إليها على حالته خاصة وأنه قاد سيارته من شقتهم هنا..

مرت دقائق أخرى طويلة هددتها دموعها بالانهيار وقد اعتصر قلبها عليه وهي تشعر بجسده يهتز بنومه وكأنه يرى كوابيس..

لكنه لم يكن يثرثر بلا وعي مثلها أثناء نومه لتعرف بماذا يُعاني..

كان عقل مراد يأخذه إلى كوابيس عن المحادثات التي قرأها على بريدها الإلكتروني وبعض الكلام الذي كتبته..

ذهب عقله الذي يلح عليه بهذه الكوابيس إلى مشهد آخر وصفته بلحظة هجوم عمرو عليها فتزيد حالته المحمومة..

كان بكابوسه متواجدا معها بنفس المكان عندما حاول ذاك الذئب البشري مهاجمتها ولكنه بنفس الوقت مُقيد وغير قادر على إنقاذها..

حتى جاء سبيل النجاة من هذا الكابوس عندما تمللم من مكانه بلحظة شعوره بكفي جالا تهزانه ليستيقظ..

فتح عينيه اللتين برقتا فورا بغضب وثورة متوعدا يطبق فكليه بقوة حتى كاد طحن أسنانه وهو يحاول الاعتدال جالسا..

إلا أن جالا منعه ثم وضعت كفها فوق جبينه تقيس حرارته بقلق..

مرت دقيقة على حاله وهو يتنفس بقوة وصدرة يتحرك هبوطا ونزولا وقد تسارعت أنفاسه إثر الكابوس الذي رآه..

وكل لحظة تمر عليه سيزداد غضبه ويتصاعد حد الجنون

ليت ما حدث لابين خالتها لم يستجد ليصل إلى موته ليكون هو من يقتل بنفسه..

شعر وكأن كل ما حدث معها عبارة عن سكاكين تنغرس بصدرة بلا رحمة..

وسرعان ما عادت جالا تمرر قطعة القماش القطنية على رأسه و عنقه وهي تسأله هامسة بصوت يكاد يسمع والدموع تخنقها

((بماذا كنت تحلم يا مراد؟))

عندما أبعدت يدها عنه اعتدل مراد من مكانه نصف جالسا
لتقسط الكمادات عنه ونظره يتشتت أمامه..

ازدادت أنفاس مراد احتراقا بفعل غضبه روحه وقلبه
المحترقان بغضب يكتمه بشق الأنفس..

لمس مراد وجهه بكفيه ليشعر بقطرات عرق باردة رغم شعوره
باشتعال وجهه من الحرارة..

عقدت جالا حاجبها وهي ترى إرهاقه بينما يخرج نفسا مرتعشا
من بين شفثيه بتأوه خافت..

فحاولت وجهه بكفيها ليحرك رأسه لها لتطالعه بانكسار..

وسرعان ما تغيرت ملامح وجه مراد لتصبح أخرى فيه تقاسيم
ليئة حتى توهجت عيناه بالحنان لمرآها..

لم يراها منذ أيام.. بل لم يسمع صوتها طوال هذه الأيام كما هو
معتاد إلا فيما يخص أمور ابنتاهما..

وهو الآن مشتاق لها.. مشتاق جدا..

وظمان لرؤية شكلها وسماع صوتها حد الاحتراق..

وكم ودَّ لو يغيب عن وعيه وينسى كل شيء عرفه مؤخرا حتى
ما يعود يشعر بشيء..

ثم يستيقظ بعد ذلك فيستأنف حياةً جديدة معها فقط.. هي فقط..

همس مراد لها بصوت أجش من أثر النوم

((كيف حالك يا جالا؟))

عقدت جالا حاجبها تسحب كفيها اللتان تحارطانه متممه بتذمر
بأسئلتها المتلاحقة وقد لاحظت جالا كم بدا مهموما وموجوعا

((هل منذ الأمس وحرارتك مرتفعة؟ هل هناك شيء آخر
يؤلمك؟ لماذا جئت لهناء؟ ألا تهتم بك والدتك جيدا؟))

نظر مراد لعينيها مباشرة وروحه تزدادا اشتياقا للارتواء منها..

وشرد بالنظر فيها وهو يتساءل بعقله هل سبق وان كان له فكرة
عن الألم النفسي الذي تعرضت له كأنثى بعد المرور بتلك
التجربة السيئة والمؤلمة..

لو كان له علم لما حدث معها لكان عرف كيف يعبر لها عن
حبه ودعمه لشعورها بالخدلان والضعف الذي سيطر عليها
بذلك الوقت وأنه لن يكن لها يوما إلا الاحترام والحب مهما
حدث..

لم تفكر يوما بإخباره وكانت ترفض أخذ أي علاج نفسي يخص
ما تعرضت له خوفا من أن يتم كشف ما حدث..

يؤلمه كون أن كارم الوحيد الذي يعرف بما حدث معها وهو
ممتن لما فعله لها..

لكنه لن يخبرها بأنه علم بما حصل وسيتابع حياته معها
ويعوضها عن كل ما مرت به..

ويدون سابق أي إنذار شدها مراد من يدها إلى صدره بقوة
محكم قبضتيه عليها..

غمر نفسه فيها بقوة فتجمعت الدموع بمحجريها ويدها
المرتعشة ترتفع على ظهره تلامسه هامسة

((مراد.. ما بك؟))

خرج من صدر مراد تأوه ملتهب وهو يبتعد عنها هامسا

((أحبك يا جالا))

يريد منها أن تتركها يعوضها عما أخطأ هو بحقها و عما حدث لها..

أن يشفي جراحها وجراحه فيهما..

تقافز الجنون من بين عينيه وهو يخبرها بصوتٍ متهدج

((وأريد أن ادخل إلى أعماقك يا جالا.. أريد أن أصل لروحك ومكنونات قلبك))

شعرت جالا بكل شيء فيها يرتجف شوقا وهي تراه يقترب بشفتيه من شفثيها من بعد شهر فراق..

وبنفس حرمانه بادلته قبلته لتزيد من درجة اشتعال جسدها وكأنه نقل حرارة حُمته لها وفورة مشاعره لها..

وسرعان ما استسلمت له واكتسحتها عاطفته لتضيع معه وتعيش لحظات مليئة ومشبعة بالشغف بعالم خاص بهما تبوح له فيها بكل مشاعرها..

وكم شعر فيها مراد بالسعادة لحقيقة كونه وبرغم كل ما حدث بالماضي كان هو من علمها فنون وأبجديات الغرام وتعلمها معها..

ومتأكد بأنه بمرحلة ما سيصل معها لتبني كيانها معه خالٍ تماما من أي شوائب الماضي..

في الصباح..

تململ مراد الراقد على سرير جالا الضيق في غرفة نومها
على ضربات جالا على كتفها وهي تخبره بانزعاج

((استيقظ يا مراد.. ماذا تفعل هنا؟))

فتح مراد عيناه الناعستان بثقل وهو يرفرف بجفونه بشكل
مستمر..

اعتدل شبه جالسا بمكانه وهو يدور بعينه بأحاء الغرفة ليدرك
أين هو..

ثم أغمض عينيه متنهدا وهو يضع يده يمسد جبينه قائلا بتعب

((انخفضت الحرارة لكن ما يزال راسي يؤلمني))

لكزته جالا بكتفها بغيظ وهي ترفع الغطاء ليوارى الأجزاء
المكتشفة منها لتقول بتوبيخ

((لماذا جئت لي بالأمس؟ كيف ستخرج الآن بدون أن يراك
أخي؟ الآن موعد ذهابه للعمل))

قالتها ثم بدأت ترمق سترة منامته الملقية على الأرض وهي
تردف بامتعاض

((لن أستطيع الكذب حتى أنك جئت توا وأنت ترتدي منامة
نومك التي جئتني بها أمس))

قال مراد عاقد الحاجبين

((لا يهم سأخرج لسيارتي وأخبريه أنني طلبت منك أن تتجهزي
أنتِ والبنتين لأخذكما.. يكفي ابتعادا عن البيت لما يزيد عن
شهر ونصف))

أشاحت جالا بوجهها جانبا وهي تقول

((لا تحلم أن أعود الآن))

نظر مراد لها بدهشة لتغمض جالا عينيها بقوة ثم تفتحهما
منفضة وهي تقول بإصرار بوجنتين منفوختين

((لن أعود هكذا ببساطة بعد أن صفعتي تلك الصفعة.. بقيت
وجنتي تؤلمني لأيام طويلة))

عقد مراد حاجبيه ألما على ما قالته بعتاب له وهي ترفع أناملها
تتحسس وجنتها لكنه قال بحزن وهو يمسك يديها بكفيه

((مليكتي ألم نتحدث بالمرّة الماضية عن السبب؟ وقلت لك عما
سمعتك تثرثرين به بحلمك..))

شفتت جالا لكنه بتر ما كانت ستقولهُ وهو يسترسل

((أنا لا أريد فتح الموضوع السابق.. لكن ألم نتحدث سويا
ونفرغ ما عندنا لأخر مرة وشرحنا سوء التفاهم الذي حصل
بيننا؟ دعينا نبدأ الآن صفحة جديدة))

سحبت جالا يدها وهي تزم شفيتها قائلة بعناد

((تلك الأمور لم تكن المشكلة الوحيدة التي حصلت بيننا.. هناك
مشكلة والدتك.. بمجرد أن أعود ستعود للتدخل بكل ما يخصنا
وتسيء لي بدون سبب وأنت لن تفعل شيء إلا أن تخبرني أن
أتحمل وتجبرني على الدخول لبيتها وزيارتها..))

قاطعها مراد بصدق بعد أن أخذ نفساً عميقاً

((هذه المرّة مختلفة.. فقط عودي وصدقيني لن ألزمك بالدخول
عند منزل أُمي.. سلما على بعضكما من بعيد وحسب))

قالت جالا له برفض شديد

((كل مرّة تقول نفس الشيء ولا أرى أي تغيير.. بل والآن
اشعر بان كل ما سمعته وفعلته أمك لي لا أستطيع نسيانه أبدا
وأريد رده))

اخذ مراد من أعمق نقطة بصدرة نفسا ثم دنا منها مقبلا ما بين
عينها..

وبنبرة مثقلة بالعاطفة راح يهدر له مبتسما

((حسنا يا مليكة كما تريد.. يمكنني الانتظار أكثر.. دعينا
لكن أقبل البننتين وأخذ حماما دافئا ثم أغادر من هنا بسرعة
لشقتي قبل أن ينتبه أحد أي خرجت وقدت السيارة بمنامة
نومي..))

التفتت جالا للخلف وهي تشعر بصوت حركة أحد ما لتقول
وهي تشير بيديها من الانفعال

((أي حمامٍ واي بنتين؟ أخي أو ربما زوجته مستيقظان ولا
يجب أن يراك أحدهما))

طالعتها مراد ببلاهة وفغر فمه وهو يسمعها تردف بينما تشير
بسبابتها لشرفتها

((تسلل من تلك الشرفة واذهب للخارج.. لن يستطيع أحد
معرفة أنك خارج من منزلنا فالمنطقة ليست مكشوفة للبيوت))

حرك مراد رأسه للشرفة ثم عاد ينظر لجالا ليقول بوجه خالٍ
من الملامح

((حسنا سأتسلل من شرفتك.. وإذا ما رأني أخوك أو أحد آخر
صدقيني سأتزوجك وأستر عليك وأصلح غلطتي))

هتفت جالا بقوة وعينها تصبحان أكثر حزما وهي تضغط على
كل كلمة

((مراد أنا لا امزح.. غادر الآن قبل أن يعرف أخي أنك هنا))

ابتسم مراد مستمتعا وهو يتلاعب بها

((وماذا فيها إذا عرف راجي أنني جئت بمنتصف الليل لبيته
ودخلت لجرة شقيقته وقضينا ليلة حارة سويا))

تورد وجه جالا متخضباً وهي تقول متذمرة بحنق

((مراد توقف عن سخريتك.. إذا رآك راجي هنا وعرف أن
الأمر وصل للنوم بيننا سيعيدني رغما عني معك ويقول لي أن
أحل مشاكلي معك في البيت))

داعبت ابتساماً ثغر مراد شقية وهو يقول لها

((وهذا هو المطلوب))

ثم لامس جبينه براحة يديه يقول مفتعلاً التعب

((وحرارتي ما تزال مرتفعة))

عيست وهي تتمتم من بين أسنانها

((مريض وحرارتك مفتعلة واستطعت جعلي استسلم لك بسهولة
بعد كل العزم الذي عقدت أن أقوم به بشأن ما يتعلق بنا
الاثنتان.. فكيف لو كنت بكامل صحتك وعافيتك؟))

ثم اقتربت منه تبعد كفه لتضع راحة يدها فوق جبينه قائلة

((سبحان الله بعد أن أخذت ما جئت من أجله ذهبت حرارتك
ولم تعد لها وجود.. هيا اذهب من هنا))

رد عليها وهو يرفع إحدى حاجبيه لطردها الصريح له

((لا أريد الذهاب.. هل تظنين دنيئا إلى حد أن اخذ ما أريد
واهرب؟ كما قلتي لك سابقا سأصلح غلطتي وأطلبك من أخيك
لأخذك للبيت ثم..))

هفتت به بعصبيّة مقاطعة كلامه وهي تدفعه نحو الشرفة

((هيا غادر يا مراد ويكفي مزاحا ثقيل الدم..
هيا..... سيستيقظ أخي))

بقي مراد متجمدا مكانه لا تستطيع جالا تحريكه إلا من إنشآت
قليلة وهي تسمعه يقول وكمن خطر على باله موضوعا نسي
ذكره

((اشتريت بالمناسبة جلالية أطباق؟ فأنا لا زلت اجلس بشقتنا
وأقوم بإعداد الطعام وترتيبها وحدي.. ومن الغباء ألا اشترى
واحدة لي توفر الوقت والجهد))

ضيقت جالا عينيها وهي تسأله بصوت خافت

((هل تغريني بالعودة للشقة بجلالية أطباق؟))

نظر لها مراد ببراءة وقبل أن تردف جالا شهقت وهي تسمع
صوت رانسي تناديهما بينما تطرق الباب

((جالا بسرعة تعالي لتناول الفطور.. رورو ولين استيقظتا))

قالت جالا بفزع وصوت خافت وهي تسحب مراد من كفه
للشرف

((يا إلهي مراد.. لقد استيقظوا.. هيا غادر هيا.. هيا))

بمضض استجاب مراد لها وخرج للشرفة ورفع ساقه فوق
درازين الشرفة وقبل أن يخرج ساقه الأخرى قال لجالا

((فليكن بعلمك سأتي لأخذ البنات عندي بنهاية الأسبوع ليقضينه
معي؟ مفهوم؟ جهزيهن ولا تناقشيني كثيرا قبل أخذهم مثل
المرّة الماضية))

نظرت جالا إليه بدهشة لتتساءل بعبوس

((ماذا؟ هل ستصل هكذا تأخذهما كل نهاية أسبوع عندك؟ كيف
تريد مني أن قضى الإجازة بعيدة عنهن؟))

وجود طفلناه بجانبه وقت الإجازة يعطرهما الطفولي الممزوج
برائحة والدتهما هو ما قد يخفف عن لوعة الابتعاد عنها..

رفع مراد حاجبه الأيسر مستكراً حتى اعتراضها وهو يقول
((أقل شيء يمكنني فعله بالمناسبة.. منذ أكثر من شهر ونصف
وانا أتحمل عدم رؤيتهن إلا لساعات كل أسبوع واكتفي
بالحديث معهن على الهاتف))

ثم أردف من بين مزاحه قبل أن يخرج ساقه الأخرى ويغادر
متسللاً من الغرفة

((ليتني أحضرت فقط مسدس الماء معي لأعرف كيف أتعامل
معك وأقنعك بالعودة جيداً))

=====
=====

انتهى الفصل

أشفتت ميادة على حال سارا التي تتحدث معها بشكل مرئي
وصوتي هي وديمة بإحدى غرف الدردشة على الحاسوب
المحمول..

قالت ديمة بغير رضا وهي تهز رأسها بإحباط فكا هي على كلام
سارا

((على حد علمي يا سارا عندما يتزوج الرجل يضع الزوجة الجديدة فوق رأسه.. لكن وضعك غريب.. ماذا فعلت له ليهرب منك؟ من الواضح أن تلك المسماة هيام أجمل منك))

بتيه ترجمت سارا حيرتها وصدمتها لتقول باعتراض قاطع

((ليست جميلة بل إنها بدينة مقارنة بي ثم أنت يا ديمة تعرفين أن جمالي جميل وجذاب وفريد وساحر لأي رجل يراني.. ولكن المشكلة به هو.. ندمتُ فعلا أنني أخبرته أنني تزوجت من شخصا آخر غير راجي.. ذاك المتخلف شعرت بأنه سيلغي كل شيء بيننا لو أنني لم ادفعه لتسجيل الشقة التي معه باسمي.. ثم أنا متأكدة أن هيام تعرف بأمر زواجه مني فلماذا لم تطلب الطلاق منه؟ أنا متأكدة أنا لارا أخبرتها كما لم تترك أي مخلوق بالعالم دون أن تخبره أنني تزوجت من خطيبها السابق))

رفعت ميادة حاجبيها تقول ببلادة

((سامحيني يا سارا لكني أعذره فليس سهلا على أي رجل أن يتم ضربه بكل ما يطال يد زوجته من أثاث منزل بليلة زفافه ويبقى على ود معها بعد ذلك))

نفخت سارا بحق لذكرى مشهد ليلة زفافهما ثم قالت بامتعاض وهي تكثف ذراعها

((بل يستحق ضربة خنجر بمنتصف قلبه فوق الضرب الذي تلقاه مني.. هل ما فعله بي قليل؟ عندما أخبرني بأن معظم مدخرات عمره أنفقها على طلاقه من لارا تفهمته وقلت له بأني

لن أكلفه أي فلس.. وفعلا لم يدفع لي أي مهر.. وأنا من دفعت
ثمن زفافنا الأسطوري كاملا من نقود والدي.. فكما تعلمان لم
أقم حفل زفافا لائقاً بعائلتي عند زواجي براجي أو تامر ولم أكن
سأتنازل هذا المرة مع احمد أيضاً.. لم أكلف احمد أي شيء
على حسابه إلا أن يحضر ذلك المغني المشهور.. لكن النذل لم
يفعل وأخرجني بفعلة))

ثم عرف والد سارا بأنها هي من دفعت ثمن حفل زفافها بأحمد
كاملا مما جعله يغضب عليها ويرفض الحديث تماما معها
وقرر حرمانها من مصروفها الشهري..

كما وهدد أخيها فادي وأمها بحرمانهم من مصروفهم الشهري
لو عرف أن أحدهما زودها بالمال..

رفعت ديمة حاجبها لتلك الذكرى المضحكة الخاصة باحتفال
سارا ثم قالت موافقة وهي تكتم سخريتها

((لقد أخرجك زوجك فعلا خاصةً عندما قام بإحضار فنان
شعبي تافه.. الجميع لاحظ أنك لم تكوني سعيدة بزفافك عندما
ظهر الفنان الشعبي يغني بدلاً عن ذلك الفنان المشهور.. خاصةً
بعد أن تباهيت كثيرا أمامنا جميعا بأننا سنُذهل عندما نرى من
سيغني خلال حفل زفافك))

تتهددت سارا لذلك اليوم البئيس..

لا بد أن لارا تشمتت كثيرا بها هي وباقي صديقاتها اللواتي
قلّبتهم ضدها بعد أن عرف الجميع أنها تزوجت احمد خطيب
لارا السابق..

ثم قالت سارا بحسره وقهر وهي تعبر عن حالها بصدق وترفع
يدها لوجهها بدراماتيكية

((لقد شعرت يا ديمة أن احمد صفعني صفقة عمري عندما
تغير مغني الزفاف من واحد من أشهر الفنانين بعصرنا هذا إلى
مغني آخر شعبي غير معروف واسود وجهي أمام كل من
حضر.. لم أستطع أن اضحك أو ابتسم حتى طوال الحفل.. ولا
اعرف كيف تماكنت نفسي ولم اكسر على رأسه إلا بقليل من
الأثاث الموجود حولي عندما دخلنا الفندق بعد الحفل.. والحقير
أيضا كان يريد مني تأجيل الزفاف بعد كل ما أنفقته بحجة موت
والد هيام.. تافه))

قالت ميادة متذمرة بكلام مبطن بالعتاب لسارا لقبولها التزوج
من شخص مثل احمد

((من المخزي أنه هو من قام بجعلك تدفعين ثمن حفل الزفاف
كاملا.. فهو ليس فقيرا.. انه طبيب.. أنا متأكدة من أن السبب
الذي دفعه للزواج منك هو النقود.. يريد زوجة أخرى بدون أن
يدفع أي فلس))

تنفست سارا بعمق ثم قالت مكابرة بصوت اكتسى هدوءً رغم
انزعاجها من تلميحات ميادة

((لا يا ميدو لا أتوقع ذلك.. فأنا من كنت أتقرب منه من لا العكس.. وهو كان يصدني.. خاصةً عندما كنت متزوجة من راجي.. صحيح انه هو من أصر على الزواج وأنا قبلت عرضه دون اقتناع وعلى مضض..))

أخذت ميادة تحرك رأسها يميناً وشمالاً في إحباط يائس متمتمه بعتاب مللت من سرده على سارا مرارا وتكرار لتقاطعها

((لقد سبق ونصحتك يا سارا أن تتبعتدي عن احمد.. فليس من العادي أو المقبول أن يسمح الرجل لزوجته بدفع ثمن الزفاف كاملاً.. نعم من الجميل أن يتم تقاسم المصاريف بين الاثنين ولكن للأمر حد معين.. فعادة ما يكون الرجل القادر على طلب المال منك بجرأة أو حتى التلميح أنه يجب عليك مساعدته هو شخص استغلالي.. يريد أن تساعدته في كل أمور حياته وألا تعتمد عليه في أي شيء.. بل أن مساعدتك له فرض عليك وسيعتبر هذا هو نمط حياتكما بالكامل فيما بعد.. برائبي هو لم يتزوجك إلا من أجل الإنجاب ولجمالك وأموالك))

سحبت سارا عدة أنفاس عميقة وزفرتها دفعة واحدة قبل أن تقول مغمغمه من بين أسنانها بعينين شرستين ((فليحلم أن أنجب له.. ذلك الأحمق.. أنا لا اعرف كيف اقتنعت حتى أن يصل الأمر بيننا للزواج))

رفعت ديمة حاجبيها بدهشة هادرة

((هل ستفصلين عنه الآن؟ هل تعرفين بأن لارا بعد أن فضحتك وقالت إنك قد قمتي بسرقة احمد منها أقامت فريقان للتصويت عليك قرارك التالي؟ الفريق الأول راهن أنك ستفصلين عنه بعد شهر.. والأخر راهن أنك ستفصلين عنه بعد تسعة أشهر.. إذا انفصلت الآن عن احمد فستجعلين الفريق الأول يفوز))

اشتد الكيد والتوعد بعيني سارا وقد تقبضت يداها لتقول هامسة بصوتٍ غليظ

((لارا الحقيبة لقد قلبت كل صديقاتي ضدي.. ولم يتبق لي إلا أنت يا ديمة وميدو))

قالت سارا الجملة الثانية بحسرة وامتنان وهي تنظر بالكاميرا لهما..

على الأغلب ديمة بقيت صديقة لها لأنها تعمل بشركة والدها وميادة لأنها زوجة أخيها فادي..

لحظات ثم سألتهمما سارا وهي تضيق عينها بفضول

((لم تشاركا أنتما الاثنتين بالتصويت ضدي.. صحيح؟))

ارتكبت كل من ديمة ومياده بتخبط ثم قالت ديمة متهربة وهي
تبرر لها

((صدقينا يا سارا نحن الوحيدتان اللتان كنا في فريق الثاني
الذي قال بأنك ستفصلين عنه عقب تسع أشهر.. على عكس
البقية راهن جميعهن أنك ستفصلين بعد شهر واحد فقط))

اشتعلتا عينا سارا حقدا وهي تقول لهما من بين أسنانها بغیظ
((فيكن الخير.. سأحاول أن أبقى معه ثمانية أشهر أخرى حتى
تفرن بالرهان))

قالت مياده مبررة بانزعاج هي الأخرى وهي تعود للومها الذي
لا ينتهي

((من المعروف بأنك لن تبق على زواج واحد للأبد.. فلماذا
تزوجت منه؟ ألم أقل لك يا سارا أنك لن تتحملي البقاء معه
وسرعان ما ستطلبين الطلاق؟ لماذا لم تستمعي لي من
البداية؟))

زفرت سارا بضيق وقد صدقت مياده بكلامها حيث أنها من
الآن تريد الطلاق من أحمد..

انتبهت سارا لرنين هاتفها ينبأ عن وصول رسالة على احدى
التطبيقات لتقوم سارا بفضول بأخذ الهاتف وفتحه ثم قالت
بعفوية وهي تنظر للهاتف

((أوه لقد وصلت لي رسالة باسمها على "الفيس بوك"))

عقدت ديمة حاجبيها تسألها

((ما هو محتواها؟))

قالت سارا وهي تهز احدى كتفيها

((كنت قد سمعت من أحد الأصدقاء المشتركين بيني وبين
راجي أنه تزوج وجاءني فضول لمعرفة شكل زوجته فطلبت
من أحدهم أن يعرف لي اسمها على الفيسبوك ويرسله.. فقط
مجرد فضول.. أريد أن أرى شكلها))

بنفس الفضول سألتها ديمة

((حسنا وكيف هو شكلها؟ هل تضع صورتها بصورة شخصية
بصفحتها؟ هل هي جميلة؟ توقعت بأنه سيعيش لنهاية العمر
كعازب على أطلالك))

وبينما تتصفح سارا صفحة رانسي بملاحح عادية توقفت عيناها
للحظات لتقول بتوجس وهي تنظر للهاتف

((لحظة.. لحظة.. اترككني.. أنا الآن مشغولة.. سأتحدث معكن فيما بعد))

ثم أغلقت سارا الحاسوب المحمول مباشرة لتتابع تصفح صفحتها على الهاتف بصدمة..

لحظات ثم رفعت وجهها عن الهاتف بعينين مشتعلتين غضبا وغلا..

فرانسى كانت تضع عمرها الحقيقي على الفيسبوك وهي بعمر جالا..

إنن هي تكبره..

إنن لم تكن هيام تكذب عليها عندما قالت إن راجي كان يريد الزواج من أخرى تكبره بالسن كما قالت والدتها وتسخر منها؟

هزت سارا رأسها وكل ما فيها ينطق بوعيد لهيام..

نعم صحيح هي كانت ستفصل عن راجي بغض النظر عما حدث، وما كان سيحدث..

لكن لا يمكن أن تمرر ما فعلته هيام بها أبدًا ولن تسامح بحقها
وستعرف كيف ترد لها الصاعرة مئة..

فهي كانت تحاول تحريض راجي ضدها منذ البداية..

ويثوان كانت سارا تتضرب أرقامًا سريعة على هاتفها ليصلها
رد ديمة

((نعم سارا.. لماذا اتصلت؟ ماذا حدث؟))

قالت سارا بصوتٍ كفحيح الأفعى

((ديمة.. أنا مصرة الآن وعازمة على أن اجعل احمد عاشق لي
إلى حد ألا يستطيع مفارقتي.. ليس من أجله بل لأنتقم من هيام..
أريدها أن تبكي دما على فقدها لأحمد.. والأمر ليس صعبا..
فأنا لاحظت انه منذ البداية أنه منجذب لي بشكل كبير))

همهمت ديمة لها لتتابع سارا ببعض التردد

((ولكن لا زلت لا اعرف سبب ضعفه أمامها مثلما كان يضعف
أمامها عند زواجه من لارا))

عقدت ديمة حاجبها وهي تسألها التوضيح

((ماذا تقصدين؟))

أجابتها سارا متنهدة وهي تسند رأسها براحة وجهها

((أعني طوال الشهر المنصرم لاحظت أنه يحايبها ويتجاوز عن أخطائها ويلبي حاجاتها ويحاول إسكاتها بكل طريقةٍ ممكنة زعمًا منه أن أفعاله هذه تمنعها من طلب الطلاق.. وما يُزعجني أكثر أنه يزعم أن الأمور بيده وأنه الأقوى.. لكنني أراه العكس فهو يحاول كسب رضاها بكل الطرق وهي من ليست راضية.. تخيلي إذا دَخَلَ بيتها لا يفتح هاتفه ولا يرد على أي رسالة ولا يرد على أي اتصال.. أما عندي فيأخذ راحته وأحيانًا يأخذ يومي ويقضيه عندها حتى يقنعها أنه يحبها هي فقط))

أغمضت سارا عيناها..

يبدو أن جعل احمد يحبها ويترك هيام من أجلها أصعب مما تتخيل..

لكنها متأكدة أن لارا أرسلت صور زفافها لهيام..

أذن لماذا لم تتحرك حتى الآن وتواجهها؟

لو واجهتها كان سيتم حسم الأمر بشكل أسرع..

سمعت ديمة تقول لها بلوم

((مشكلتك يا سارا أنك تزوجت منه ووافقت مع أنه أخبرك بنفسك انه لا يزال يحبها ولن يتخلى عنها))

قالت سارا لها بغضب

((نعم لكني ما زلت مُصرة أنني أستطيع جعله يكف عن حبها
ويحبني أنني))

قالت ديمة ببساطة

((إذن يا سارا عليك من الآن العمل على جعل احمد يهيم بك..
حضري نفسك لقضاء ليلة جامعة معه.. دعي الليلة هذه فعلا
ليلة من ليالي العمر.. بداية ادعيه لعشاء فاخر في أكثر مكان
بمنزلك رومانسي.. وعلى الأضواء الخافتة..))

ابتسمت سارا بحماس لتقول بمكر

((نعم هذا ما كنت أفكر به.. سأغير تسريحة شعري أيضا..
يجب أن أكون أكثر جراءة وارتي ثوب يذهله.. يجب أيضاً أن
أحصل على أكثر عطر موصى به الآن.. أريد أن تكون رائحته
فعلا خاطفة للأنفاس))

عادت ديمة تقول لها بغنج

((لا تنسي أن تتنازلي قليلا وتمدحيه.. أشعريه برجولته..
حاوريه وعيناك في عيناه.. لا تتحدثني إلا بالهمس وكوني قريبة
من أذنيه.. وبعدها سيلهث وراءك ولن يبتعد عنك أبدا))

هزت سارا رأسها بمواقفة وعيناها تلتمعان بالكثير مما تخطط
لفعله بدءً من الليلة..

من الآن ستضع في رأسها نيل احمد لها..

.

.

وبعد ساعات..

وصل احمد لشقة سارا التي وجدها قد حضرت له عشاء
رومانسي..

كانت قد أشعلت الشموع العطرية لتضعها فوق منضدة عشاء
رومانسي منظم بمكر وإتقان..

حيث باقة الورود الحمراء موضوعة في المنتصف وأمام كل
كرسي موضوع طبق وكؤوس بلورية..

لم يستطع منع الذهول والإبهار أن يطل من عيناه وهو يعيش
ولأول مرة بحياته أجواءً كهذه في المنزل..

لكنه تحكم بنفسه وهو يقول لها ببرود وثقل بينما يسمح لها أن
تخلع سترة حلتها

((ما الداعي لكل هذا؟))

ابتسمت له سارا ليستدير احمد نصف استدارة يطالعها بينما
تكاد عيناه تلتهمانها..

كانت قد ارتدت فستانا أحمر اللون وقصيرا لما فوق الركبتين
مظهرا كل مزايا قوامها النحيل المثير ويكاد يلتصق بجسدها
كجلد ثانٍ لها..

عدا عن أنه كاشف لظهرها وذراعيها وبفتحة واسعة جدا من
فوق تظهر الكثير بسخاء..

نعم يعرف أن شكل وجه ومظهر سارا فاتن.. لكنها لم تكن
ترتدي ملابس مكشوفة رغم سفورها..

رباه! هل كان متزوجا من كتلة الأثوثة المتفجرة هذه منذ شهر
ولم يعرف إلا بهذه اللحظة؟

همست له سارا وهي تدنو بوجهها منه

((غير ملابسك لأخرى بيتية مريحة يا حُبي))

طالعتها احمد بدهشة وقد بدت كلمة "حبي" سماعها من قبلها
غريب عليه..

نعم تزوجا الاثنان بناءً على إعجاب متبادل بينهما لكن لم
يعترف أحد للأخر بحبه..

ولا يظن هو ولا حتى هي وصلا لمرحلة الحب..

ابتسمت سارا لدهشته لتزيد من نبضات قلبه وهي تبعد وجهها
قليلا عنه قائلة بدلال مصطنع

((يكفيننا حبيبي بؤسا وأسى منذ أول يوم بزواجنا.. هل تزوجنا
لنعيش بغم ونكد؟))

وازدادت ابتسامتها اتساعا مظهرة أسنانها البراقة وهي تغمز
لها بإحدى عينيها مردفه

((اليوم سأصالحك لأكفر عن قلة ذوقي معك في تلك الليلة التي
كان من المفترض أن تكون ليلة عمرنا))

ابتلع احمد ريقه بتردد ثم أومئ لها..

وبعد دقائق جلس حول طاولة العشاء الرومانسي الذي أعدته..

تغييره لملابسه وأخذه لحمام دافئ كان كفيلا بجعله يتحكم
بدوامة الإعجاب بها وعدم إظهارها أمامها كأبله لم يرَ امرأة
بحياته..

تتنح احمد قبل أن يمد يده ويمسك الشوكة والسكين ليبدأ
الأكل..

خرجت منه همهمات راضية منه تقديرا وإعجابا بمذاق الطعام
اللذيذ الذي كان يأكل منه مما جعل سارا الجالسة مقابله تعرف
أنها وقعت باختيار المطعم الذي طلبت منه..

عاد احمد يتنح مرة أخرى عندما انتبه لتحديقها به ليعود
ويرسم الوجوم على وجهه..

ما زال غاضبا منها ولا يجب أن يلين بسهولة لها لما فعلته بعد ليلة زفافهم بهيستيريا بشأن مسألة المعني التافهة..

أو حتى بشأن إخفائها موضوع زواجها الآخر..

ما تزال آثار الأثاث الذي كسرتة على سائر جسده موجودة حتى بعد مرور شهر كامل..

لم يمانع أبداً تسجيل تلك الشقة التي تساوي مبلغاً وقدره باسمها عندما طلبت منه ذلك..

لأنه وببساطة ظن أن هذه هي الطريقة التي سيضمن فيها أنه لن يستسهل طلاقها مستقبلاً فضلاً عن أنها دفعت تكاليف حفل زفافهما الضخم والباذخ كاملة..

لكنه ومن الآن بدأ يتسرب الندم له لتلك الفعلة المتهورة والغير مدروسة فهو بذلك ربط نفسه بها للأبد..

لقد لاحظ بأن سارا فيها أسوأ صفات يمكن أن تتواجد بامرأة ولا يعرف إن كان سيقدّر على تحملها طويلاً خاصةً لو صارت أم أولاده..

فهي متحكمة وبحاجة إلى مجهود كبير للتعامل معها وإقناعها
بوجهات نظره..

هي ببساطة امرأة ذات أفق ضيق ترفض النقاش ودائمًا تعلم ما
يجب فعله فلا حاجة لرأيه عندها بأي حال من الأحوال..

جذبتة بالبداية بجمالها ودلالها الذي شعر بأنه يذيب قلبه إلا أن
انعدام الأخلاق عندها الذي بدأ يكتشفه يغطي على كل هذه..

كان من الصعب عليه اكتشاف ذلك خلال اللقاءات الأولى
بينهما..

ولكن ماذا توقع منها غير ذلك وهي كانت تحاول التقرب منه
بنفس وقت زواجها براجي؟

هو فقط من أجل الشقة التي كتبها باسمها مضطر أن يحاول
معها بجد أكبر ولا يستسهل الطلاق فيذوق الويل مرة أخرى
مثلما حصل مع لارا..

تضايقت سارا التي تنتظر إليه وهي تراه بصر على إظهار
غضبه منها من خلال رسم الوجوم على وجهه أثناء تواجده
معها..

طوال الشهر الماضي يتواجد معها ويتصرف ببرود حتى
بأوقاتهم الحميمية وقد ملت هي الأمر..

حسنا.. تعرف أنه ليس من السهل أن يغفر لها العنف والضرب
الذي طبيعته على أنحاء متفرقة من جسده..

لكن والحق يُقال فإنه ورغم أن الغضب أعمها وقتها إلا أنها
تحكمت بنفسها إلى حد أنها لم تقترب من وجهه وبقي سليما بلا
أي إصابات أو جروح حتى لا تخرجه أمام أحد بالخارج..
فهل جليه لذلك الفنان الشعبي على عكس ما وعداها به لحفل
زفافهما الباذخ قليل؟

رسمت سارا ابتسامة التمتع بأحمر شفاهها الأحمر القاني وهي
تهمس له وهي تمط شفثتها بمعانبة
((توقف عن الوجوم يا حبي وبادلني الابتسام.. هل من المعقول
أن تغضب بكل مرة أمد يدي فيها عليك!))

زمر احمد بها غاضبا

((فلتتجرئي ولترفعي يدك على زوجك وسأحطم كل عظمة
فيكي.. هل فهمت يا سارا؟!))

عقدت سارا حاجبيها بحنق وودت لو تقلب الطاولة على وجهه
لأنها ليست هي من قد تسمح لرجل أن يُكلمها بهذه الطريقة..

لكنها تحاملت على نفسها وهي تدعو الله أن يلهمها الصبر عليه
لتقدر أن تشعره قليلا برجولته حتى تسيطر عليه بشكل
تدريجي..

مطت سارا شفقتها بحركة مشيعة بالبراءة الظاهرية وهي تقوم
من مكانها وتتحرك نحوه لتجلس فوق حجره وتلف يديها حول
رقبته قائلة بحزن

((أخبرني يا احمد.. هل أنت نادم على ارتباطك بي؟))

تأملها وجهها الفاتن بحرص وهي بهذا القرب منه مجددا بينما
يسمعها تسترسل

((هل تكرهني بسبب هيام؟ ربما لان زواجك مني زاد في
خدش في جدار العلاقة بينك وبين هيام حتى صار لا يمكنك
مداواته أبدا؟))

ظل احمد على صمته لتقول له وهي تقرب جبينها من جبينه
معاينة برقة

((لكن عليك أن تتوقف عن الاهتمام بإرضائها.. زواجك بي هو
من حقا.. وهي أكثر النساء دراية بهذا الحق كونها فعلت مثلما
فعلت أنا عندما كنت متزوجة بأب ابنك.. لذا توقف عن الاهتمام
بالحصول على رضاها))

تحركت زاوية فم احمد بسخرية لكلامها ليقول بتشتت واضح
وهو ينكس رأسه

((لا أدري يا سارا.. اشعر أن هيام تحبني بشكل أكبر منك..
فزوجي بك تم بناء على الإعجاب وبعض المظاهر الخارجية
البراقة ولم يكن قائماً على مشاعر حقيقية وتأنٍ كما كان زوجي
من هيام.. لذا زوجي منك ومن هيام لم يكن متشابهاً تماماً))

حركت سارا يدها ترفع ذقنه قائلة وعينيه الزرقاوان تتألقان
بفعل ضوء الشموع

((ألم تقل لي بعفوية بإحدى المرات عندما كنا نخرج سوياً أنك
شعرت بوقت من الأوقات أن زوجك منها هو أكثر ما ندمت
عليه بكل حياتك))

لدقيقة مرت سريعاً على احمد ضل يتأمل خصلات شعر سارا
المصبوغ باللون الأشقر وخطوط وجهها الناعمة التي تاقط
أنامله لملامستها بتمهل..

أدرك احمد أخيراً كلامها ليرد عليها متتهدا وهو يحرك رأسه
ليبعد يدها عنه

((لا أدري يا سارا.. أنا مشتت ولم اعد اعرف نفسي.. أحيانا
أتمنى لو أنني حاربت بشكل كاف لأحصل على هيام زوجة لي
قبل زوجي من إيما وألا ارضخ لرغبة عائلتي بالزواج من
غيرها))

نظرت سارا باهتمام له ليكمل وهو يرفع كتفيه

((وأحيانا أخرى أتمنى العودة للحظة التي التقيتها بعد سنوات فراق حتى لا أفعل ما فعلته.. أحيانا أتمنى لو قبلتُ بنصيبي وأكملت حياتي مع إيما وابني.. لو علمت بأني لن أنجب مرة أخرى بسبب علة بي لم أكن لأفطر بهما.. كلما فكرت بأيامي أنا وإيما وعدنان لا أستطيع إلا أن أدرك غبائي الكبير بتفريطي بهم.. لقد ظننت أنني لم أكن سعيد معها.. والآن علمت أنني كنت مخطئا.. لقد كنت املك زوجة وفيه وعائلة دافئة.. لم اعرف أن.. أن العشرة الحسنة بيننا هي.. أيضا كانت حب..))

بمنتصف الحديث بدأ صوت احمد يصبح خافتا ومتريدا فهذا أول اعتراف ندم يصدر عنه منذ أن افترق عن إيما..

أول اعتراف صادق لم يعترف به حتى أمام نفسه..

نعم هيام بذلت جهدها ولم تقصر معه أبدا لكن كان للقدر رأي آخر بالألا ينجب منها ويُسجن ويخسر عمله وسمعته ببداية زواجهما..

نظرت سارا باهتمام إليه مستغربة كلامه لكنها رسمت فوق محياها خيطا واهيا من التعاطف لنقول وهي تحرضه

((إذن أنت تعترف أن هيام هي السبب الرئيسي بفقدانك عائلتك الأولى.. صحيح؟))

أجاب احمد قائلا بتنهيد

((لا أدري.. ربما هي جزء من السبب.. لكن أنا أيضا مسؤول
لفقدانها.. بل ربما خطئي أكبر من خطئها.. فأنا من لاحقها
لأكثر من سنة وأقنعتها بالزواج مني وسعيت لذلك بقوة))

قالت له عاقدة الحاجبين بدلال معترض

((لا يا حُبي.. الخطأ لم يكن خطأك لوحدك.. هيام لو لم توافق..
لو صدتك بكل حزم من البداية ومنعتك.. لم تكن ستفقد زوجتك
وابنك.. إنها المخنئة وأنت الوحيد من تتلق العذاب والعقاب))

قال احمد بابتسامة سخرية داعبت طرف فمه وعينه تبرقان
بالمראה

((أنتِ تبالغين.. فطبيعتي البشرية من الصعب عليها أن تكفي
وتقتنع بسهولة بما لديها.. لو لم أتزوج هيام كنت لأجعل حياة
إيما وابني جحيما ولم أكن لأفكر إلا بحسرة فقدان هيام))

رمقته سارا من أسفل رموشها للحظات ثم تمتمت قائلة

((والآن أنت تفكر بحسرة لفقدانك زوجتك السابقة وابنك))

عرفت سارا كيف تلعب على وتره الحساس خاصة وأنه ولأول
مرة بكل حياته يعترف بهذه الصراحة ندمه الحقيقي لخسارته
لبيته الأول..

لو لم يخسر إيمان لما كان ابتعد عن ابنه ولما حدثت أشياء كثيرة
أخرى بحياته..

هز احمد رأسها موافقا

((نعم.. أتوقع ذلك))

قالت سارا له متهكمة بركة

((كل كلامك توقعات.. ألا يوجد شيء أنت متأكد به عن نفسك؟
ألا تستطيع فهم نفسك؟))

ابتسم احمد على كلامها ليقول

((أنا فعلا أحببت هيام وما زلت أحبها.. من الاستحالة أن يكون
حبنا لبعضنا وهما.. لكن ارتباطنا من البداية لم يكن مناسباً
وكان خطأ))

وضعت سارا شفتيها فوق ذقنه الخشن قائلة وقد شعر احمد
بأنفاسها العميقة تثيره أكثر

((إذا دعني أعلمك كيف تجعل زوجي بك يصحح كل أخطائك
السابقة يا احمد))

ابتسم احمد لها بحماس ووقف من مكانه وهي ما تزال تجلس
على حجرة بمحاولة حملها..

إلا أنه فشل بسبب طولها الذي يقاربه.. ولياقته المتراجعة عن
السابق لتطلق سارا التي كادت تقع أرضاً ضحكة مائعة
مصطنعة ومتكلفة لتجعله يشاركها الضحك..

ومرت ساعات عليها قبل أن تتوسد أحضانه على الفراش..

كانت ناعمة وكتلة من الأوثة وشعر بأن هذه الليلة هي الأولى
لهما وكل ما سبقها من الليلي هراء..

لينسى كل ذرة نفور أو ندم كنه لزوجاه من سارا بعد هذه
الليلة..

=====
=====

داخل مطبخ شقة مراد النظيف والمرتب أنهى آخر عمل به ثم
استند بظهره على الباب ليرى ابنتيه تلعبان ببيت الدمى
الموضوع بالصالة..

هما من ساقاهما من سلسيل روحه وأطعمهما من فؤاده حيا
كالترياق..

هما نسما البيت الدافئتان وفرحتا قلبه وبهجتا عمره..

تأمل مراد ابنته الصغيرة لين ذات السنوات الثلاث وهي تعامل
دميتها الخالية من الحياة برقة وحنانٍ يشيران إلى عاطفةٍ جياشةٍ
داخلها..

فقد كانت تحتضن الدمية بؤد وتبدل ملابسها وتصف شعرها..

ثم نقل بصره إلى ابنته الكبرى روعة يتأملها وهي تلعب بدميتها
حيناً وتربت فوق شعر أختها لين حيناً أخرى..

منذ صغر رورو وقلة وعيها وإدراكها اهتمت بأختها لين التي
تصغرها بسنتين وكأنها تتعهدا بالرعاية من إطعامٍ وتدليلٍ
وهدهدة..

ابنتاه الاثنتان ووالدتهما هم سعادته وفرحته ومن زرع
الابتناسمة على شفثيه.. بل من حلق بقلبه إلى سماء السعادة..

ما مر مع جالا يجعله أوعى كاب الحامي الأول والطبيعي
لطفلثيه كيف يحميهن وان يضل هو وجالا على رقابة لهما
بشكل ناضج وبدون سيطرة أو مبالغة في الاهتمام.. وألا
يتركهن بدون ملاحظة..

وحتى من الآخرين مهما كانت درجة قرابتهم وأن يوعيهن
ويعلمهن خصوصيتهن لجسدهن وألأ يدعن أحداً يلمسه..

جفل مراد على دلوف والدته لشقته بعد أن لم يسمع طرقاتها
للباب بسبب شروده..

تنهدت والدته أمامه بحزن عقب أن طالعتة لدقائق كيف يشبع
نظراته بالتحديق ببنتيه كأنه لم يراهن منذ عقود..

ثم قالت له بصوتٍ متعب

((هل يعجبك يا مراد حالك هذا؟ تعيش هنا بهذه الشقة وحيدة
بلا زوجة كعازب وبعيد عن بنتيك؟))

عدل مراد من وقفته وهو يقول لها بملامح منز عجة

((أمي أرجوك.. لا تفكري حتى بجلب سيرة الزواج من سهر
أو غيرها..))

ردت روعة عليه منتفضة بصوتٍ غاضب

((بل أنت بالذات سهر لا تجلب لي سيرتها.. لست مجنونة
لأقبل تزوجيك بفتاة مثلها تعيش بنفس الطريقة التي تعيشها
سهر.. نحن لسنا متخلفين لكن الفساد الأخلاقي الذي تتمتع به
سهر بحياتها مثير للاشمئزاز والنفور.. ومن المستحيل أن أقبل
بإمراه مثلها زوجة لابني))

سألها مراد باستغراب

((هل أخبرتك سهر عن سبب هربها من الزفاف قبل عشر
سنوات؟))

زفرت روعة بضيق ثم قال بحنق

((نعم قالت لي أن السبب لهروبها من حفل زفافكما هو مصور
الحفل.. لماذا لم تقل لنا السبب الحقيقي وراء هروبها بنفس
الوقت وأخفيته عنا؟))

هز مراد رأسه بيأس ثم قال لوالدته بصوت هادئ

((انسي ما حدث يا أمي فقد انقضى ما يزيد عن عقد زمان
عليه.. سهر فتاة منحلة أخلاقيا تعتمد على الانجذاب الحسي
والجسدي تجاه أي رجل تراه))

تمت روعة من بين أسنانها

((الحقيرة.. تصرفاتها مشبنة ومقرفة لا اصدق أن والديها
يعرفان كيف تعيش حياتها ولا يتدخلان أبداً))

هز مراد كتفيه لوالدته قبل أن يدنو من بنتيه ويجلس أرضاً
بجانبيه ليقبل كل منها فوق شعرها..

التفتت روعة برأسها لجهة الباب وهي تنتبه لدخول يارا الشقة
قائلة لها بضجر

((خالتي هل أفنعتي مراد أن يأخذنا لمدينة الألعاب المائية
الرياضية في الأيام القادمة؟))

سأل مراد باستغراب عاقد الحاجبين وهو يوجه سؤاله ليارا

((أي مدينة هذه؟))

أشارت يارا له بيديها متذمر وهي تكاد تقفز من مكانها
كالأطفال

((مراد أرجوك خذني هناك سأموت إذا لم أخرج لمكان ترفيهي جيد.. زوجي يرفض إخراجي ومشغول دائما بعمله وليس لي غيرك أثناء سفره أنت لتأخذني إلى الأماكن التي أريدها كما عودتني.. أرجوك يا مراد سيعود من سفره قريبا وانا لم اخرج لمرة واحدة))

رفع مراد احدى حاجبيه بحركة ازدياءٍ قبل أن يقول لها برفض وامتعاض

((ابتعد عني يا يارا واغربي من وجهي.. احمدي الله أنني أتحملك بالأيام التي تقضينها عندنا بسفر زوجك والآن تريدني أنت اعمل خادما عند حضرتك لترفهي عن نفسك عدة أيام؟))

قالت له يارا بخيبة أمل وهي تلوح بيديها انفعالا

((لماذا تغيرت يا مراد؟ منذ متى التذمر من طلباتي؟))

هتف مراد بها بامتعاض وانزعاج

((ابتعد يا يارا عني لم أعيد أطيق سماع تفوهك بالحماقات.. أي ذهاب لمدينة رياضية سخيفة وترك عملي لأجلك؟))

كانت عينا مراد تبرقان حقد على يارا..

وذاكرته تعيد له كل ما فعلته يارا وساهم بإفساد علاقته بجالا
في بداية زواجه بسبب طبيعتها المدللة وأفعالها الغير مسؤولة..

فضلا عن الكلمات القاسية وابل الكلمات القاسية والاتهامات
المجحفة التي كانت تصوبها لجالا..

حتى بعد زواجها وقلة زيارتها لهم إلا أنها لم تمنع بين حين
وأخر من افتعال بعض التصادمات التي تقوم من أجلها البناية
كلها بدون أن تقع..

فهمت يارا سبب بغض مراد لها هذه الفترة بدون أن ينطقه
صراحة لتقول له بغضب صارخة

((وما دخلي أنا بابتعاد زوجتك عنك؟ أنا منذ تزوجت لا أراها
إلا عدة أيام بالشهر؟ هل تنفت عن غضبك تجاه ما فعلته أمك
بي؟))

نظرت روعة بلوم تجاه يارا لكن تدخل مراد قائلا لوالدته

((خدي ابنة أختك يا أمي عني.. قلبي مليء منها ومن أفعالها))

رمقت يارا مراد بغل وهي تقضم على شفتها السفلى بحدة..

وظهر القهر والغضب واضحان عليها قبل أن تهتف لمراد
بصوتٍ عالٍ وأنفاسها تحند قبل أن تخرج وتصفق باب الشقة
خلفها بعنف

((حسنا لم اعد أريد منك الذهاب لعطلة ولا أي شيء آخر.. أنا
أكرهك يا مراد.. لن اطلب منك أي شيء بعد اليوم))

نظرت روعة وهي تلوك شفتها لمراد

((مؤخرا صرت حادا معها.. منذ متى تتصرف هكذا مع ابنة
خالتك اليتيمة؟))

قال مراد باقتضاب وقد تضايقت ملامحه وهو ينظر لأثر يارا
التي غادرت

((أرجوك يا أمي قولي لها أن تحاول قدر الإمكان إلا تريني
وجهها هذه الأيام بالذات فأنا بالكاد امسك صبري وأعصابي
لألى ينفلتنا مني عليها.. أخبريها أنه لم يعد كلامها وصراخها
وبكاؤها يؤثر عليّ ويبتزني عاطفياً كالسابق))

=====

في يوم الإجازة وبعد أن اخذ راجي قسطا كافيا من نوم عميق
وخالٍ من الأحلام فتح عينيه ببطء..
كان جذعه عاريا بعد ليلة الأمس والغطاء مرفوع إلى وسطه..

بقي مستقرا على وضعه ساكنا يتنفس بهدوء قبل أن يحرك
رأسه لجانبه ولجهة سرير رانسى..

طالعتها وهي نائمة بعمق تضم كفيها بجانب خدها وشعرها
القصير والأسود القاتم كالليل يحنو عليها برقة ونعومة مثيرة
للأحاسيس بفيض..

ولوهلة فكر وهو يطالعتها بأن تقاسيم محياها جذابة ككل..

بدت بشرة وجهها شاحبة قليلا بنومها إنما صافية..

وتبديها أصغر سنا من عمرها الحقيقي الذي يناهز الرابعة
والثلاثون..

تأمل راجي وجهها أكثر وهو يفكر بأنها حقاً تقوم بكل واجباتها
معه بل وأكثر وتحاول دائماً أن تفعل كل ما يسعده ويجعله
مرتاحاً..

وبنفس الوقت تتركه يفعل ما يريد فهو يقضي ساعات طويلة
خارج البيت حتى في إجازته وهي لم يسبق وأعلنت انزعاجها
من ذلك رغم محاولاتها العديدة بجعله يقضي إجازته معها..

وأكثر الأوقات تحضر الطعام فيقول إنه أكل في الخارج فلا
تلومه أبداً وتبقى مستمرة على صنع كل وجبات الطعام له..

بل وصارت تراعي دائماً أنها لا تنام إلا بعد أن تلبّي له
حاجته..

وأحيانا تبقى معه في الفراش إلى أن ينام لتنام هي فيما بعد في
سريرها حتى لا تزعجه خلال نومه كما سبق وأخبرها بشأن
النوم بمفرده..

حياته حتى الآن معها مختلفة تماماً عن حياته الزوجية السابقة
مع سارا..

هو قد أحب بأوقات مختلفة الزواج من سارا برغم من كل شيء
مهما أنكر هذه الحقيقة إلا أن سارا أوصلته في النهاية أن يكره
فكرة الزواج كلها ولذلك لم يرغب سابقاً بتكرارها..

لكن والحق يُقال فهو حتى الآن مرتاح ويعجبه الوضع مع
رانسى..

خرج راجي من سريره ليأخذ حمامه الصباحي وبعد أن انتهى
منه وعاد للدخل دهش قليلا عندما وجد سريريها مرتين
ليعرف أنها استيقظت بعده فوراً وغيرت ملابسها وبلا أي شك
هي الآن في المطبخ تبدأ بصنع طعام الفطور له..

نعم تعده من أجله هو وحده فأيام العطل لا تستيقظ جالا أو
ابنتيها بهذا الوقت المبكر..

دقائق ثم دلف للمطبخ وسحب كرسيها يجلس عليه أمام منضدة
الطعام بهدوء بعد أن كانت قد وضعت كل الأطباق فوقها..

لحظات وسحبت رانسى كرسيها آخر من أمامه لتتضم له..

كان هناك صمت رخيم بينهما..

لاحظ راجي بأنها لم تحاول أبدًا بدء محادثة معه كعادتها..

ومنذ أن جلست وهي لم ترفع عينها عن طبقها بل وتعبث
بمحتوياته بملعقتها..

عقد راجي حاجبيه يسألها بهدوء

((ما الذي تريدين قوله؟))

رفعت رانسي بصرها تهمس له بدهشة

((ماذا؟))

قال راجي بهدوء وهو يقطع بشوكته من طبق العجة أمامه

((أسرعي القول.. ماذا تريدين؟ لا بال طويل عندي لاستدراجك
وحثك بالحديث لتتكلمي عما تريدين قوله))

ابتلعت رانسي ريقها بحرج وهي تعود لتطرق وجهها وتخفض
بصرها لطبقها ثم قالت بخفوت

((عمي دعاني اليوم على الغداء وأصر عليّ ألا ارفض
دعوته))

رفع راجي حاجبه يسألها كي يفهم مطلبها

((حسنا وماذا بعد؟))

همست رانسي وهي ترفع احدى كتفيها وهي لا تزال تنظر
لطبقتها

((أي بعد؟))

بوجه ممتنع تتم بكلمات غير واضحة قريبة من الحوقلة قبل
أن يقول بنبرة قوية

((رانسي عمك دعاك اليوم.. حسنا جيد ستذهبن له.. وبعد ذلك
ماذا تريدن؟))

رفعت رانسي وجهها تقول له بصوتها الخافت

((لقد دعاني فقط.. وأردت أن أقول لك أنني أريد الذهاب لأنني
لم أستطع الرفض))

عقد راجي حاجبيه باستغراب يسألها
((ولم قد ترفضين؟))

كررت رانسي له وهي مشدوهة بالنظر له
((ماذا؟))

ارتفعت نبرة راجي وهو يعيد سؤاله بانفعال قليل من قلة
استيعابها عليه

((أسألك لم قد ترفضين؟))

ترددت رانسي قليلا بالإجابة ثم قالت بخفوت وهي تعود للعبث
بالطعام بطبقها

((أنا لا ارفض.. ولكن خشيت ألا يعجبك ذهابي وتمنعني))

حملق راجي فيها بوجوم شديد جدا ثم سألها

((ماذا؟ ولم قد أمنعك من الذهاب؟))

سألته رانسي ببلاهة

((إذن هل أنت موافق أن اذهب اليوم عنده؟))

تغضن جبينه وهو يريح ظهره بالمقعد ويكتف ذراعيه أسفل صدره قبل أن يقول

((رانسي كفي سخافة.. ولم قد حتى أفكر بمنعك؟))

اخذ راجي زجاجة العصير الطازج يملأ كأسه وهو يسمعها تقول بارتباك شديد

((من اجل.. أعني.. كنت.. حسنا.. شكرا لك))

بترت كلامها وهي تعود لتزرد ريقها وقد ظهر شحوب طفيف على وجهها وهي تستوعب كلامه خاصةً وأنها لم تخبره بعد بأن ابن عمها بعد زواجها منه عاد يسكن بنفس بناية عمها..

ارتشف راجي من كاس عصيره ثم نظر لها بطرف عينه وهو
يسألها بوجوم

((هل دعاني معك؟ أم أنه غير راضي عن امتلاك صهر مثلي؟
فأنا لم أتحدث معه كما يجب أو أزوره طول فترة زواجنا التي
امتدت لشهرين))

عادت رانسي من شروده وهي تقول له بارتباك
((ماذا؟ أقصد نعم ولكن قلت له أنك مشغول))

عقد راجي حاجبيه يسألها بعفوية

((ولكني لست مشغولا.. لماذا قلت له ذلك؟))

شعرت بالإحراج والارتباك قليلا فقالت له بتعابير وجه معنطرة

((هكذا فقط ظننت))

هدر راجي لها على الفور

((أنت غريبة أطوار! فعلا غريبة أطوار.. لماذا تتحدثين وكأني
نزوجتك مقابل أن تقطعي صلتك بعائلة عمك؟))

ثم استرسل كلامه ممزوجا بحنق من فكرتها المسبقة عنه

((أنا لا يمكن أن أفكر حتى بمنع زوجتي من زيارتها لأهلها
ورحمها.. لا يليق بي أن اعلم أن لعمك الذي رعاك بعد موت
والدك حقوقا عليك حتى بعد زواجك وأحاول أن منعك عنه..
هل الزواج سجن وانطواء؟))

رسمت رانسى ابتسامة لطيفة لتهدر له

((لم اقل هذا))

أخبرها راجي بتلقائية

((هكذا فهمت من كلامك))

زادت رانسى من ابتسامتها وهي تقول له بخفوت

((لم اقصد))

أخذ راجي نفسا عاليا قبل أن يقول لها بنشاط

((بعد صلاة الجمعة بساعة سنذهب لزيارتهم.. لا يصح أن نأتي وقت الغداء ونذهب هكذا وحسب.. أنا لا افهم كثيرا بموضوع الهدايا.. ماذا يمكن أن نجلب معنا قبل زيارتهم؟))

قالت له رانسى معترضة وهي تلوح بيديها بعفوية نافية

((لا أبداً لا تكلف نفسك.. عمي لا يريد إلا أن نحضر ولن..))

تجاهل راجي كلامه يقاطعها قائلاً بإقرار

((اعرف محل تجاري كبير يمكننا المرور عليه قبل ذهابنا عندهم لنشتري شيئا على نونك لهم))

عادت تبسّم وهي تقول له بامتنان

((حسنا كما تريد.. شكرا لك أنت رجل رائع.. أنا فعلا..))

ارتفعت زاوية فمه وتجاهل مجاملتها وهو يعود ليرتشف آخر
ما تبقى من قذح العصير لتبتلع رانسى باقي عبارتها..

ثم سألته بفضول وهي تنتظر باهتمام له

((أنت لا تحب القهوة كثيرا صحيح؟ مع أنني اذكر ولأكثر من
مرة أنني سمعت جالا تقول لك على الهاتف ألا ترتشف في اليوم
أكثر ثلاثة أكواب قهوة))

تنهد راجي وهو يضع الكأس فوق الطاولة ثم دمدم قائلا

((نعم مرت عليّ فترة أدمنت فيها القهوة.. لكن الآن اكتشفتُ
بأنني لا أحب القهوة بالحجم الذي كنت أتخيله.. بل اتضح أن
شربي للقهوة كان بدافع مصاحبة السجارة.. ولأنني توقفت عن
التدخين لم أعد أشرب عدة فناجين كل يوم))

رفعت رانسى حاجبيها ل فوق..

رغم أنه كان يجيبها بلامبالاة ويتحدث بدون النظر لها إلا أنه
نادرا ما يمنحها جوابا غير مختصرا لإحدى أسئلتها كهذا..

بعد ساعات..

لم تفضل رانسى أن تعرض على راجي في البداية الذهاب معها بعد أن دعاها معها لأنها ظنت أنه لن يوافق أن يضيع وقته بشأن زيارتها العائلية بل وربما لن يسمح لها بالذهاب لنفس المكان الذي عاد ابن عمها وزوجها السابق يقطن فيه..

إلا أن السبب الرئيسي كان خوفها من إحراجه لها أمامهم..

فليس من اللطيف أن يعرف أحد منهم أن علاقتها بزوجها فاترة ولا تشبه الزواج الطبيعي بالمودة والرحمة بشيء..

إلا أنه وبمجرد أن دخلت قدم راجي عتبة بيت عمها حتى أجفلها بصدمة عندما أمسك يدها يشبكها بيده بملكية..

بل ومنذ أن دخل بيت عائلة عمها حتى سلم عليهم كثيرا بسلام حار وبقي طوال الوقت يجالسهم ويحدثهم مظهرها الوقار والاحترام والتقدير خاصة لعمها..

وكانه قد تبدل وارتنى قناعا آخر على وجهه يظهر فيه شخصية مختلفة تماما عما يعاملها عليه عندما يكونا بمفردهما..

مما جعلها تمتلك ثقة عالية وهي تراه يرفع من هيبتها أمامهم مُدّي الحب والاحترام لها بل ومدحها وأثنى عليها بكلام جعلها تُصدم أنه خرج منه..

وتوالت صدماتها من شخصيته الجديد وهي تراه يعاملها كزوج عاشق لزوجته..

فإذا ما تحدث معها أمامهم يتحدث برقة غير معتادة ولا يستطيع أن يبعد عينيه عنها..

بل وكأنه جعل الحب من عينيه مثل من ضل طريقه ثم اهتدى ووجهته هي النظر فقط إلى مقلتها..

فحيثما تتوجه عينها تتلاقى مع عينيه..

إذا نظرت إلى اليمين تجده ينظر إليها..

إذا نظرت إلى اليسار تلاحظ عينيه..

ورغما عنها شعرت بالبهجة طوال الوقت وبقيت الابتسامة
مرسومة على وجهها..

راجي بدا إنسانا مختلفا كليا بشخصية أخرى لم تألفها منه
أذهلت عقلها وأخجلت قلبها..

حتى المتواجدين هناك دهشوا كيف أحبا بعضهما – كما
يظنون- بهذا الوقت القصير..

حتى جاء وقت المغادرة والعودة للبيت ليلا..

ومجددا.. ما إن خطت قدمه أيضا عتبة بيت عمها ليخرجا حتى
ترك يدها بعتة..

رفعت نظرها لوجهه لتلاحظ تبدل ملامحه تماما ليعود الوجوم
القديم يحتل ملامح وجهه..

رأته يتنهد براحة للمغادرة وكأنه فقط الآن يستطيع أخيرا أن
يزيل قناعه الذي اختفى خلفه طوال فترة الزيارة وليعود يعاملها
كما السابق..

للحظة وقفت مكانها مصدومة وشعرت بلسانها يهجوها بينما
تابع راجي السير باتجاه سيارته خلف المقود..

أغمضت رانسي عينيها وهي تسمع زامور سيارة راجي
يخبرها من خلاله أن تستقل السيارة بسرعة..

فتحت رانسي عيناها واستعادة رباط جأشها على الفور ورسمت
وجهًا باردًا خال من المشاعر لم يسبق وأن وضعته على وجهها
معه..

وبقيت رانسي طوال الطريق من بيت عمها إلى منزلهم مكتفة
ذراعيها تنتظر أمامها بملامح بضجر وبعينين حانقتين..

اختلس راجي النظر إليها بهدوء تام كلما سمعها تنفخ بحنق بين
كل دقيقة وأخرى..

حتى أمرها مهمهما بجفاء

((توقفي عن ذلك.. أنتِ تزعجيني))

الحقيقة أنه لم يسبق وأن رآها منذ أول لقاء لهما منفعة حتى
ولو كان انفعالا صامتا كما الآن..

شعر بالفضول ليعرف ما يدور بداخل رأسها وأغضبها هي التي لم يسبق وأن غضبت من شيء لتغادر من عند بيت عمها بهذا الشكل مع أنه بقي طوال الوقت تقريبا بجانبها..

هل أزعجها أحد؟

على حد ما سمع من عمها فابنه الذي كان متزوج بها وبالرغم من عدم تواجده اليوم هنا إلا أنه عاد يسكن بإحدى شقق البناية بعد أن تزوجت..

هل يمكن أن تكون قد رأته أو سمعت شيء عنه أغضبها؟

انقبضت أنامله راجي على المقود بشدة وهو يزيد من سرعة السيارة كرد فعلي عن ذكر عقله لمسألة زوجها السابق..

حركت رانسى رأسها تنتظر له بعبوس ثم تنهدت لمرّة أخيرة وعادت تنتظر للطريق وهي تفكر بأن هذا الرجل بجانبها محير..

لكنه ممثّل بارع إلى حد رهيب جدا..

كيف استطاع أن يقدم نفسه لعمها بشكل مختلف عن حقيقته وجوهر روحه ولم يكن معه نفسه المعتاد أن يكون عليها عندما يكونا بمفردهما؟

بل هل كان عليه من السهل أن يظهر أمامهم طوال هذه الساعات الطويلة بهذا الشكل الودود المختلف؟

نعم هي ممتنة جدا له لأنه حريص على مظهرها أمام عائلة عمها..

لكن لو أنه بقرارة نفسه لم يكن موقنا بأن معاملتها ببرود وجفاء شيء مخجل وغير لائق لم يكن ليحرص على إخفاء هذه الصفات وظهر بمظهر الزوج السعيد المحب لزوجته أمامهم..

وإذا كان الأمر هكذا.. لماذا لا ينهض بمهمة تغيير صفاته هذه التي يخجل أن يعاملها بها أمام الناس بحيث يصبح سلوكه المستعار قبل قليل من خلال القناع هو سلوكه الطبيعي معها؟

غاصت رانسي في مقعدها بإحباط..

وبقي الصمت بينهما دون أن يبتثره أحد منهما طوال طريق العودة سوى صوت أنفاسهما والهدير الخافت من محرك السيارة..

وبعد أن عادا للمنزل وضعت رانسي حقيبتها فوق منضدة الزينة بعد أن أغلقت باب الحجرة خلفهما..

مررت أناملها بين خصلات شعرها وعينيها المتعبتان ترفرفان
بشكل مستمر علامة النعاس الشديد لتقول وهي تثائب

((أنا متعبة جدا.. أريد النوم لأيام طويلة))

تجاهل راجي حديثها له وهو يبدأ بخلع قميصه..

لكنها لم تهتم وقد اعتادت منه التجاهل بكل مرة تبادر هي
التحدث بأي شيء معه فلا تحصل غالبا إلا على بعض
العبارات التي يخرجها منه باقتضاب وبعد صمت طويل..

جلست رانسي على طرف سريرها متنهدة وشاردة بشيء ما..

وبعد دقائق وبصوت بالكاد ظهر همست بشرود غريب له
وكانها تكمل حديث مبتور حصل بمخيلتها مما جعل راجي
يستدير نصف استدارة لها للخلف يطالعها متمعنا

((الحاجة إلى الحب.. والتقدير.. كلها مشاعر أستطيع العيش
بدونها.. ليست طعاما أو شرابا لأموت لو لم أحظّ بها.. أساسا
تلك رفاهيات كثيرة علي.. لذلك أنا لست نادمة على زواجنا أبداً
يا راجي بالمناسبة.. على الأقل تحققت حاجتي من الأمان
الشخصي.. وإذا كان مكتوبا لي أن احصل على طفل منك..
سأشغل نفسي به وسيتحسن الوضع كثيراً))

تساءلت رانسى بنفسها إذا كانت فعلا موقنة من الداخل بان
إنجابها طفلا سيحسن الوضع بينهما فلماذا لا تتوقف عن شرب
حبوب منع الحمل؟

خوفها من أن ينتهي زواجهما بطلاق سريع هو ما دفعها على
المداومة على شرب هذه الحبوب..

فإذا كانت قبلت أن تدخل مغامرة هذا الزواج فأولادها لا ذنب
لهم بما اختارته..

والآن وقد خدمت معظم شكوكها بأنه لن ينهي زواجهما..

ولأنها وجدت بهذا الزواج بضع ميزات راقته لها عن حياتها
قبل أن تتزوج فهل ستكف عن شرب الحبوب من اليوم وتبدأ
التفكير بأنجاب طفل من راجب؟

راجي الذي كان لا يزال ينظر لها متأملا تغضن جبينه قليلا..

فسألها بهدوء وهو يعود ليعطيها ظهره بينما يخرج باقي ملبسه
قبل أن يغلق باب دولاب ملبسه

((الأمان الشخصي؟ هل تشعرين كأنني حارس أمين عليك مثلا؟
حارس على ماذا؟))

نظرت رانسي له متمعنة ثم هزت احدى كتفيها قائلة

((لا تسخر.. أنا صادقة.. فلا يوجد امرأة لا تريد أن تشعر
بحماية زوجها لها وحرصه على عدم تعرضها لأي موقف
يؤذيها))

عاد جبين راجي يتعضن لها بشكل أكبر باستغراب وهو لا
يعرف ماذا تقصد بل ما الذي جعلها تحس بهذا الأمان معه..

لكنه تذكر الغضب الذي تحلت به وهما على الطريق..

سألها بفضول عادي وهو يتقدم من احدى الأرائك ليجلس عليها
قائلا

((هل حدثت أي مشكلة بينك وبين عائلة عمك؟ أخبريني بالأمر
ربما أستطيع مساعدتك وحل الأمر بحكمة وهدوء بعيدا عن
التهور حتى لا تزداد المشاكل ودون أن يتسبب الموقف في
شجار بيني وبين أفراد عائلتك))

فغرت رانسي شفيتها قليلا وقد احتاجت للحظات لتدرك أنها فعلا تتحدث معه ويحدث أخذ وعطاء بينهما بموضوع حقيقي ومتعلق بها..

فهي اعتادت منه ألا يراعي أو يشغل باله بالاستماع إلى ما تقوله أو ما يظهر عليها..

رغم أنها لم ترد شيئا أكثر من الحديث عما مرت به على مدار يومها الملل..

وإذا ما حاولت أن تنتظر رجوعه من عمله للحديث وتبادل الكلام تجده بجافيتها وينشغل عنها بمشاهدة التلفاز أو تصفح الأنترنت ويضع نفسه داخل قوقعة اهتماماته ولا يشغل بما يدور حوله في البيت معها..

وكانه يخبرها بان لا نية لديه للإنصات والاحتواء بل وبشكل عام هو غير مهتم بإجراء حديث أو مناقشة معها حول أي أمر أو موضوع..

أجابته رانسي وهي ساهمة بالنظر إليه

((لا.. لا شيء حدث مما تظنه مع عمي.. لماذا فكرت بهذا الشكل؟))

حرك راجي رأسه يقول لها ببساطة

((هكذا ظهر لي))

ثم بقي للحظات طويلة يطالعها باستمرار ولا يحيد بنظره عنها
لتنبتسم له بلطف..

قابل ابتسامتها له بوقوفه قائلا بهدوء وصلابة بما جعل
ابتسامتها تنحسر تدريجيا

((حسنًا.. الآن تحرري من ملابسك واستعدي..))

اتسعت عينا رانسي قليلا وهي تسمع ما يقوله..

هل هو جاد؟

هل هذا وقت مناسب لما يريد بعد أن قضيا نهارا كاملا طويلا
ومتعبا عند عمها حتى دخلا البيت قبل قليل!

ألم ينتبه عليها كم تبدو متعبة وألم يستمع لم قائلته عن الإنهاك
الذي تشعر به قبل دقائق!

ألا يكفي أنه يطلب منها حقوقه بطريقة خالية من أي رومانسية
أو مشجعة لها فيشعرها وكأنها مجرد أداة لتنفيذ رغباته!

تقوس ثغر رانسي للأسفل وهي تفكر بأن راجي فعلا إنسان
أناني بلا أي مشاعر..

ولا يهمه إلا أن يحظى بالعلاقة معها حتى وإن كانت هي غير
مستعدة أو جاهزة لأنه بالتأكيد لا يلتفت سوى لاهتماماته
واحياجاته..

متى سيتوقف امر إفصاحه عن رغبته في حقوقه منها عن قوله
صريحا بخشونة تنفرها من الأمر كله؟

نظرت رانسي له بعينين حادتين ومتعبتين ثم هتفت له ببرود
وقد التمعت عيناها بدموع رفض كبرياءها أن تذرفها

((حسنا هيا ابدا))

راقبها راجي بصمت للحظات أخرى بدون أن تفارق عينيه
صقيع عينها الذي ظهر عليها فجأة وهي تطالعه بجرأة غريبة
عنها..

هز راجي راسه وهو يتقدم منها قائلاً بهدوء

((حسنا جيد.. هل يمكن ولأول مرة بعد كل هذا أن تتحرري
من ملابسك بنفسك؟))

تنهدت وهي تشيح بعينيها عنه ترفض طلبه فتلاعب عبث
طفيف في عينية وهو يقترب منها سائلاً إياها

((لماذا تبدين متضايقه الليلة؟ هل مللت من الأمر؟ هل مثلاً
تريدين أي تجديد لروتين ورتابة ما نقوم به؟))

لم تجبه رانسي بل أخذت نفساً طويلاً هادئاً وبحنق..

رفع راجي ذقنها لتشعر بالدهشة من حركته وهي تراه يطالع
عينيها الذابلتين بوجهٍ خالٍ من التعابير لدقائق..

رأته يحرك ناظره يطوف به للأسف ليتأمل باقي جسدها
النحيف مما جعلها تغض عينيها وتشد عليهما..

وسرعان ما بسطت جسدها له بخضوع تام وهي تعطيه الإشارة
ليبدأ بعد أن صارت تعتبر الأمر مجرد مهمة وتترك له المجال
لينجزها بأسرع وقت ما..

أليس هذا ما يريده؟

ألا يتعامل معها وكأنها آلة مهملا مشاعرها وما ترغبه وما يسعدها دون محاولة تحقيق تآلف أو تقارب حسي ونفسي معها؟

اغلق راجي بالبداية زر إنارة الحجره كما اعتاد ليوفر على نفسه دقائق طلبها بإصرار غريب إغلاقه أو لا..

ثم كان هو من نزع عنها ثوبها..

وبالضبط كما يفعل بها في كل الليالي السابق سطا عليها ممتلكا إيها امتلاكاً يفقد للعلاقة بينهما روحها أو تأثيرها وهو لا يعطيها فيها وقتها ولا يراعي احتياجاتها ولا يمنحها فرصتها لتشعر بالحب أو غيرها من المشاعر التي تتوقها أي امرأة..

بل وإذا كان هناك لمسات منه تكون لمسات جافة..

بينما كانت هي لا تظهر أي انفعالات.. بل صار حتى جسدها لا يظهر أي ارتجاف أو خوف رغم أنها ما زالت لا تآلف أو تتقبل شيء مما يقوم به..

ولم يبتعد راجي عنها إلا بعد دقائق طويلة تأكد أن يتركها بعدها
مجهدة ومستنزفة القوى بعد امتهانه المنهك لها ولأنوثتها..

ابتعدت عنه رانسى وهي تلف نفسها بملاءة السرير ثم سارعت
الذهاب قبله لتغتسل تاركة إياه..

فتنهذ راجي مكانه وهو يمسح وجهه..

لقد كان يركز بنظره على محياها عن كذب ليراقب تغير
ملامحها وكأنه ينتظر منها أن تثور أو أن تنفعل لكنها لم تفعل..

مما استفزه ليطمأدى أكثر لعله يجد منها ردة فعل..

لكن مجددا.. لم تُظهر أي اعتراض..

اغتسلت رانسى ثم دلفت لجرة نومها بتعبير بانس على
محياها وإرهاق لم يزل تماما..

وكانه انتبه لإنهاكها بعد يوم طويل قضياها في الخارج فتعمد
أن يُجهدا ويستنفذ طاقتها أكثر بكثير من أي مرة سابقة..

دنت رانسى من سريرها ولأول مرة تشعر بالراحة من فكرة
أنها لا تشاركه نفس السرير..

على الرغم من شعورها بالإهمال والوحدة إزاء نومهما
منفصلين سابقاً..

وقبل أن تغلق عينها انتبهت من انتظام أنفاسه لتعرف أنه
غارق بنوم عميق فابتسمت بتهكم..

يبدو أنه يشعر بالتعب والإرهاك أكثر منها هذه الليلة..

=====
=====

انفجرت روعة بالصراخ واللوم على مراد بمجرد أن دخل
شقتها بقلب ثقيل للغاية بعد أن أعاد ابنتيه لجالا

((لماذا أرسلت البناتن لامهما؟ لم أشبع منهما بعد.. ألم نتفق أن
يقضيا إجازة الأسبوع هنا من كل أسبوع؟))

أغلق مراد الباب خلفه واستدار ليجدها واقفة أمامه وملامحها
مشبعة بالغضب والامتعاض ليقول لها بصوتٍ متعب

((سأحضرهما في الصباح يا أمي مجددا.. جالا تحزن عندما
ينمن بعيدا عنها وتوسلت لي كثيرا أن أعيدهما لينمن عندها
الليلة))

قالت له روعة بصوتٍ مقتضبٍ وعيناها لا تقبلان أي تهرب
منه

((وماذا بشأني؟ ألن أحزن عندما يبتعدن حفيداتي عني ولا يأتيين
إلا بنهاية الأسبوع وفوقها لا يبتن هنا؟))

ألقي مراد مفاتيحه فوق الطاولة ثم اقترب من أمه وهو ينظر
لها ببرود لدقيقة كاملة ثم قال بصوت فاتر

((بعيدا عن هذا يا أمي.. تخيلي لو أنني وجالا تطلقن كما أردتِ
أنتِ وأبي.. ألن يكون الأمر أسوء ولم تكوني لتقديري على
رؤيتهن أكثر من ساعتين في الأسبوع؟))

لم تفارق عينا مراد عينيها بل والدته هي من أشاحت بهما جانبا
لتزدرد ريقها..

ثم قالت له بتحدي أمره

((اسكت يا مراد.. وغدا البنتين سينمن عندي.. هل تفهم؟))

ثم استرسلت بغضب اشد وهي تعود للنظر لمراد

((هل صدقت أنها لا تستطيع النوم من دون بنتيها؟ أنها تفعل ذلك لتغيظني بإبعادهن عني))

حدق مراد الذي جلس مقابل والدته بها للحظات ثم قال بصوت جامد لا يحمل أي تعبير رغم الإنهاك الواضح على محياه

((أمي أنا لن أتحمل المزيد.. ها أنتِ تعودين لتخبريني بينكما.. وها أنا أعود لأقع بالنصف بينكما.. ليس الذنبى أن الصدور مشحونة والكل يتمسك بما له من حق.. جالا تخبرني أنها لن تنام وتترك بنتيها بعيدات عنها.. وأنتِ إذا لم استجب لأوامرك ستخبرين أبي بهذا الحديث وفي هذه الحالة سأكون أمامكما شخصا ضعيفا عاجزا عن تلبية أدنى حقوقكما علي.. هل اقتل نفسي ليرتاح الجميع؟))

نهرته روعة قائلة بغضب

((لا تقل هكذا على نفسك يا مراد))

ويخ مراد نفسه لانفعاله في نهاية حديثه وهو يدعو نفسه للهدوء
وجعل عقله سيد الموقف..

أخذ مراد نفسا قبل أن يقول لوالدته برفق يرجوها

((ولكن يا أمي ضغطك أنتِ ووالدي يدفعني للتفكير باتخاذ
موقف بل أمور عدة قد اندم عليه بعد ذلك))

تتهددت روعة بضيق لتقول له بلوم وامتعاض وهي تجلس على
أحدى الأرائك حولها

((لقد نزلت من شفتك قبل أن تأتي بقليل وقمت بتنظيف
الفوضى التي تركتها حضرتك.. وعلى ما يبدو أن عليّ
الصعود بشكل يوم لتنظيف ومسح غبار الشقة بما أنه ست
الحسن ترفض العودة وأنت لا تعرف التنظيف))

قال لها مراد باقتضاب مبررا

((أمي انهما لين ودرور من صنعنا هذه الفوضى قبل أن يذهبا
بُدماهما.. أيضا سكبت لين العصير ولكني نظفته حالا وكنت
انوي ترتيب ألعابهما بعد العودة ولكن متعب جدا.. لا تصعدي
مرة أخرى فوق وتتعبي نفسك.. دعيني بكل مرة تأتي البننتين
عندي أخذ قسطا من الراحة والنوم بعد عملي ومن ثم أرتب
البيت كاملا من الفوضى التي تصنعانها بالألعابهما))

زمررت به روعة مستنكرة

((هل تريد أن يضل البيت بحالة فوضى مثل هذه كل يوم تأتي فيه ابنتيك حتى تعود حضرتك من العمل ثم تستيقظ من النوم؟))

تنهد مراد بقلة حيلة ثم تتم وهو يشيح ببصره جانبًا

((هل تعرفين يا أمي أنني بدأت أشفق على جالا عندما كنت توجهينها بالتنظيف سواء بشقتنا أو شقتك؟ ماذا فيها لو بقيت الشقة بحالة فوضى لعدة ساعات؟ هل كل يوم تأتي رورو ولين عندي؟))

شهقت روعة قائلة وهي ترفع يديها لصدرها

((يا إلهي! ماذا حدث بالدنيا لتتقلب علي يا مراد بعد خمسة وثلاثين سنة؟ أنت تعرف أنني مهووسة نظافة منذ زمن طويل.. هل جننت الآن لتعرض على أسلوب حياتي؟))

نظر مراد لوالدته وهو يقول لها بهدوء بمحاولة أن تستوعبه

((أمي يجب أن نميز بين الأمور التي يمكن التهاون فيها وبين ما لا يمكن التهاون فيه.. فالحرص على إبقاء البيت نظيفًا كقصر ملكي مطلب يصعب تحقيقه خاصة في ظل وجود الأطفال وفي ظل الإرهاق وكثرة المسؤوليات.. لذلك أنتِ فعلا كنتي تصعبين الأمور على جالا))

فحص عيني والدته اللتان كانتا تشعان بعدم الرضا وهي تخبره

((إذا هل تقول إني أخطأت عندما كنت أوجه زوجتك لتدبير
أمور المنزل؟))

هز مراد راسه نافيا ثم قال بصوتٍ أكثر هدوء ورفق

((أمي لم اقصد هذا ولكن لم يكن ليضير أحد لو مثلاً بالسابق
أبقت جالا بعض الأطباق حتى ساعة متأخرة من الليل.. أو مثلاً
أخرت كي الملابس التي لا حاجة إلى ارتدائها في اليوم التالي
إلى آخر الأسبوع حتى.. أنت كنتي تبالغين كثيرا بهوسك
بالنظافة))

قالت له روعة لائمة وهي تلوك بشفتيها

((هل أنت جاد؟ لهذا اشتريت جلاية الأطباق رغم أني أخبرتك
أنها مُضرة بالصحة))

عقد مراد حاجبيه وهو يحني ظهره قائلاً باستنكار

((أمي.. هل أنت حزينة لأنني أحضرت جلالية أطباق لبيتي
فعلا؟))

ثم قام من مكانه مقتربا من والدته ومقبلا رأسها لتحاول دفعه
يوهن

((ابتعد عني))

إلا أنه أصر أن يجلس بجانبها قائلا وهو يمسك كفيها الاثنين

((أمي أنا لا أقول هذا من أجلها.. ولكن اكتشفت فعلا بأنني كنت
أثقل جالا بأعباء فوق أعبائها.. فكنت اطلب منها أن يكون دائما
البيت نظيفا وبيرق نظافة حتى إذا ما جئت فجأة بمداهمة فجائية
لبيتنا لا ألتق أي توبيخ منك.. مع أن الأصح أنه إذا كنت أريد
البيت دائما نظيف عليّ الحرص أنا أيضا على نظافة كل شيء
في البيت.. فلم أنتظر منها أن تقوم بعمل كل شيء والتعاون
مطلوب بينا؟ لا أريدك أن تحزني ولكني اشعر بالخزي لأننا
سبق وافتعلنا مشكلة كبيرة من اجل جلالية أطباق بدل من أن
نشترئها وحسب))

حولت روعة نظرها يعبوس أكثر لابنها الذي يخبرها عن ندمه
لأنه سمع كلامها سابقا..

حاولت أن تبعده عنه إلا أن بقي ملتصقا ورافضا لتقول له

((لقد حضرت الجلالية ضد رغباتي من اجل أن ترضى زوجتك
عني.. ودائما ما تأجر لها عاملة لتساعدها لأيام معدودة في
الأسبوع ولمدة معينة وتساعدها ببعض الأعمال.. لا تلم نفسك
فأنت لست مقصر أبدا بحقها.. بل أنت كثير عليها ومثالي أكثر
مما تستحق هي.. وما زلت على رأيي بشأن ضرر الآلة التي
أحضرتها))

صمت مراد للحظات ثم رفع ذقن والدته له يخبرها

((أمي إذا كنت ترفضين إحضار أي شيء لك لاقتناعك بضرره
فلك كامل الحرية.. ولكن أرجوك لا تدخلني بما تريد جالا أن
تحضره.. فهي زوجة وأم مثلك ولها رغبة بالتحكم ببيتها كما
تشاء.. فأرجوك لا تحاولي التحكم ببيتها كما تحبين ألا يتدخل
أحد بك.. لأنني من الآن وصاعدا لن اسمح بهذا حتى لا يتسبب
الأمر في الإيقاع بعلاقتي بجالا في خندق المشكلات والخلافات
(مجددا))

رغم رفقته بالكلام إلا أنه كان جديا وعازما بأخر جملة قالها مما
دفع روعة أن تشعر بحزن شديد من لوم ابنها لها..

لكن كان عليه أن يتمتع ببعض الحزم والضبط والتوجيه..

ومن المفترض أنه كرجل أن يعود بالدرجة الأولى إليه في
التوفيق بين المواقف..

فبالسابق ولأنه لم يبذل جهده بأخذ المبادرة المناسبة لتطبيع
العلاقة بين جالا وأمه وأخذ يميل إلى مجارة أبويه في موقفهما
تجاهها هو ما جعل جالا تسعى إلى التصدي له ومجاوبته لتتنشأ
بذلك الخلافات والنزاعات بينهما ثم إلى أن توترت الأمور
بينهما..

وما أن همت روعة أن تعتدل واقفة من مكانها حتى منعها مراد
باعتراض..

ليقرب وجهه منها ويقبل رأسها مرة أخرى ثم كفيها الاثنين
يسترضيها بوجه عابس من حنقها عليه ثم هدر لها برجاء

((أمي أرجوك لا تغضبي.. أنا احبك ولا أريد إلا رضاك))

ليلاً..

عند وقت العشاء عندما كان مراد والديه مجتمعين حول
منضدة العشاء بصمت مخيم بالمكان بتره محمد سانلا بفضول
ظاهري

((لماذا لم تدع البنتن بيتن هنا مثل نهاية كل أسبوع؟))

نظر مراد لوالده بينما يسأله ليسارع النظر إلى والدته لتهز
كتفيها بإشارة أنها لم تخبره شيئاً..

ظل محمد صامتاً للحظات ثم كرر سؤاله بصوتٍ خفيضٍ مقتضب

((هل مانعت أمهم بقائهما هنا؟))

نظر إليه مراد بسرعة عاقداً حاجبيه وهو يقول

((لا على العكس يا أبي.. هي جهزتهما.. ولكني أنا من لم أجد
وقتا لجلبهما فلم تحضر رورو ولين من الأساس لهذا.. التقصير
مني أنا اعتذر منك يا أبي))

هز محمد رأسه بإيجاب ثم أراح وجنته على كفه بامتعاض وهو
موقن من عدم صدق ابنه..

حيث أنه عندما كان يحدث زوجته روعة على الهاتف سمع صوت حفيدتيه بجانبها دليل على حضورهما اليوم وعودتهن لأمهم قبل رجوعه لبيته..

لكنه أثر عدم الخوض في الموضوع أكثر..

بينما تنهدت روعة بضيق وهي تشعر بالشفقة على ابنها الذي صار يبالغ مؤخرا في برهما والتودد إليهما والقرب منهما وإظهار أن الخلل الحاصل منه هو حتى لا يلوما جالا..

فصار منهما كما بمحاولة الموازنة والمرونة بين الطرفين حتى صار حرفيا يحاول أن يُحمل نفسه مسؤولية أي تقصير من جالا قصرا للشر..

فهو يعرف أنهما في النهاية لن يكرهاه وسيغفران له أي خطأ أو تقصير..

=====
=====

بعد مرور أسبوع..

صباحاً وقف احمد أمام المرأة يُصفر لحنًا بغمه وقد بدا رائفاً
جداً..

فمع مرور الوقت ومهما أنكر.. لن يستطيع أن ينفي حقيقة انه
سعيد بزواجه من سارا..

أحيانا عندما يغرق بالنوم بجانبها تظهر له صورة هيام ويشعر
بالذنب يتأكله لزواجه من سارا..
توقف احمد عن التصفير ليتنهد..

لا يفهم نفسه..

هل حقا هو واقع بالحب مع سارا ولكنه عاجز عن الاعتراف
لنفسه لأنه يشعر بقرارة نفسه انه خائن لهيام؟
تنهد مرة أخرى لكن بلا ضيق..

فمع أن الآن ليس وقتنا مناسباً للتفكير فيه..

لكن ورغمما عنه ظهرت بالأيام السابقة لمخيلته بعض مشاهد
لحياته القديمة مع إيمان..

وتسائل بينه وبين نفسه هل لو كان يا ترى ما زال متزوجا منها
حتى الآن كانت ستختلف حياته عما آلت عليه الآن؟ وبشكل
كبير؟

خاصةً مع وجود ابنتهما بكنفهما؟

عند ذكر ابنه الوحيد شعر احمد بغصة في قلبه..

لقد أعماه غروره الذكوري وظن أنها لن تستطيع العيش من
دونه وأنها ستفضل أن تعيش هي وابنتهما معه بأي حال على أن
تبتعد عنه..

ولو امتنعت عن الرجوع إليه فلن تستطيع على الأقل الزواج
من غيره..

انزعجت ملامحه التي يطالعها بالمرأة وهو يشعر بالخزي
يتوغل عندما يفكر أن كل ما يقال بشماته فيه بخصوص زواجه
من هيام صحيح..

وأن زواجه من هيام كان خيرا لإيمان..

فبدل من أن تبقى مع أنسان تفنن في جرح كبريائها وكرامتها
أمام الجميع وتكتفي بولد واحد تزوجت من آخر رزقت معه
بالبنت والبنين..

واتضح بالنهاية أن قرار إيمان صائب في التخلي عنه فماذا
كانت ستجني من البقاء معه وهو نكر العشرة التي كانت بينهما؟

حتى هيام نفس الشيء.. لكن..

لماذا لا يشعر بأنه ظلم هيام بنفس الدرجة التي يشعر بها تجاه
إيمان؟

عاد احمد يركز في النظر لنفسه بالمرأة..

زواجه من سارا غير الكثير بداخله بل وحتى أثار لديه تفكيراً عميقاً يستعيد من خلاله ذكريات شبابه ليشعر بالندم وعدم الارتياح إلى ما أنجزه في السابق..

فهو لطالما كان ذاك الشاب المهذب الرزين الذي لم يسبق وأن اهتم بأمور جذب الأنظار له..

لكنه الآن يقر فعلا أنه غير راضي عن طريقة عيشه لمراهقته أو شبابه ولو يعود به الحال للماضي لكان عرف كيف يقضيه بشكل أفضل..

اخذ احمد نفسا طويلا يحاول التحكم برباط جأشه فلا ينقصه بكل صراحة أن يفكر بالقيام بحركات طائشة لكسر الروتين والملل والتعويض عما فاتته الآن..

بينما فُتح باب حجرة النوم التي تحتكرها هيام لوحدها لتظهر من خلف الباب متوارية عن أنظار احمد لتبدأ التحديق فيه بصمت..

سابقا كان كلما غلب عليها شعورها بالانكسار وكستها الصدمة والحزن برؤية احمد سعيداً في زواجه من سارا تسارع بالترديد

على نفسها أن السعادة التي صارت تظهر عليه بسبب سارا مؤقتة وطبيعية باعتبار أن كل ما هو جديد جاذب..

لكنه تغير كثيرا مؤخرا.. كثيرا جدا..

فصار حالما يسمع صوت المنبه يهبط من فراشه في الحجرة الأخرى ويقف قبالة المرأة لساعات ويبدأ تصفيف شعره.. شعرة بعد شعرة..

تابعت هيام مراقبة احمد بينما يدلك وجهه بكريم ضد التجاعيد ثم يرتدي سترة مفتوحة على الصدر وجينزاً ممزقاً..

تبا! منذ متى احمد الرزين يرتدي بنطال جينز من الأساس؟

حتى بأيام الجامعة كان نادرا ما يرتدي بنطال جينز..

لا بد أن زواجه من سارا نوعا ما يشعره بالفخر والاعتزاز أمام من حوله ويؤكد له ولنفسه أنه رجل قادر على جذب حتى الشبابات اليافعات..

وهذا ما يفسر نظره في المرأة بشكل كبير بشكل يجعله غريباً عن نفسه..

لكن.. ماذا فعلت به سارا خلال زواج لم يتجاوز الأشهر حتى
لتغرس فيه حالة من الشعور باليأس والقلق ترافقه لتجعله غير
راض كليا عن نفسه لدرجة أنه يحاول جاهداً الاعتناء بشكله
الخارجي؟

فقد صبغ شعره وبدأ استخدام الكريمات لوجهه وبدأ يتبّع نظاماً
غذائياً غنياً بالبروتين لتقوية عضلاته وبدأ بممارسة الرياضة..

كأنه يتحسّر على أيام الشباب والصبا ولا يستطيع إلا يظهر
شعوره بالأسى..

صدر صوت من الباب المفتوح ليشعر احمد بوجودها ويرمقها
بطرف عينيه من المرأة أمامه بينما يغلق أزرار قميصه القاتم..

كانت هيام تطالعه من البداية وبحزن لرؤيته متلهف بهذا الشكل
ليومه هذا..

ربما لأن اليوم ليس يومها..

سألها احمد بخفوت وانزعاج من نظراتها المخيفة التي تحدجه
إياه

((هل حان الوقت يا هيامي لتتكرمي عليها وتسمحي لها بان
تعيش في الشقة العلوية؟))

رشقته هيام بلظى نظراتها الساخطة لتقول بفحيح صوتها
ومشددة على كل كلمة

((لا.. يا.. احمد))

زفر احمد بضيق رغم محاولته أن يخفي انزعاجه الشديد منها..

ثم القى عليها نظرة ممتعضة ليهدر بعدها برجاء وعتاب
مفتعلان

((يا إلهي.. أنا بدأت أفقد صبري يا هيام.. كل ما أتمناها هو أن
تتواصلي معها وتسايرها..))

كانت هيام صامتة طوال جملته مبتلعة الأسهم التي ترغب أن
ترشقه بهم حتى لا تتأزم الأمور..

لكنها لم تستطع ألا تبتتر كلامه لتقول بصوتٍ غاضبٍ عالي
النبرات ومستنكر

((من يساير من؟ هل أنا من دخلت وأفسدت حياتها؟ هل أنا من سرقت زوجها؟ احمد أنا احبك وأغار عليك.. افهمني أرجوك))

تحول صوتها بنهاية كلماتها ليصير ممزوجا بالحزن والعتاب
والقهر..

عاد احمد يتأفف بضيق أكبر وأكبر مما سبق وهو يجاهد نفسه
ليتحكم بأصابه كي لا تثور عليها..

بعد لحظات من التحكم نظر لهيام قائلا بغضب ووجه محتقن

((لقد مللت من احتوائك.. ألا يمكن أن نتخطى أمر زواجي؟ كم
سنة أو قرن بحاجة لتتقبله؟ ألا يمكن أن تسعديني مثل ما فعل
لك؟))

تشبع وجه هيام بالاستنكار بغتة لتقول بعدها بسخرية مريرة

((يا إلهي.. هل أنت جديّ يا احمد؟ هل تظن بانك فعلا تقوم
بإسعادي؟))

زفر احمد بضيق مجددا وهو يتجاهل كلامها ثم التفت للمرأة
أمامه يعدل من هيئته الوسيمة من نظره قبل أن يغادر المنزل..

احتقن وجه هيام بغضب شديد وهي تراه يصفق الباب خلفه
بقوة..

انتفضت هيام من مكانها لتسارع في البحث عن هاتفها وتطلب
بعجلة وغضب رقم بعينه..

وعندما وصلها الرد قالت باختصار وبصوتٍ مشبع بالغل

((أهلا مها.. أريد والآن أنت تجلبي لي أي شيء يقلل من الكفاءة
وتعطله عن واجباته الزوجية.. حبوب أو أعشاب أو أي شيء
آخر.. أريده أن يكون بمفعول قوي إلى حد أن تطلب زوجته
هي الطلاق منه لا العكس))

وصلها صوت مها مستنكرًا بحدة على الجهة الأخرى من
الهاتف

((هل أنت مجنونة؟ ماذا إذا كان للأدوية أو الأعشاب أي تأثير
عليه وتسببت بمضاعفات صحية له؟ هيام إذا كنتي تعيسة معه
تجاهليه لتعيشي بسعادة.. أو اخلعيه واستريحي منه لكن إياك أن
تقترف شيء أحمق قد يوقعك بمتاعب ومشاكل أنت بغنى
عنها))

لان صوت هيام قليلا وهي تقول بوهن وسخافة

((ولكن.. سينكسر قلبه لو تخليت عنه هكذا.. هل نسيتِ عندما
فقد وعيه ليومين عندما طلبتُ الطلاق؟))

صرخت بها مها بحنق شديد

((لينكسر قلبه على قدميه وعلى أم رأسه.. وما دخلك أنتِ؟ لا
تشفقي عليه.. انه لا يابه لحالك فلماذا تهتمين أنتِ به؟ هل
صدقتي انه يحبك؟ لقد وجد البديل يا حبيبتي.. كفي عن التأثير
والانجذاب لعنف استعراضاته العاطفية.. بل لم لا زلتي تتأثرين
بها إلى الآن؟ هل ترضي فيك غرور الأنثى؟ يفترض أن يكون
نصف أخر ذرة كرامة وأنوثة بقت فيك بعد كل أفعاله المخزية
اتجاهك))

احتقنت عيني هيام بالدموع لتتابع مها

((هيام وبكل صراحة أنا ما عدت أشفق عليك.. أنتِ من تنازلتِ
بالبداية عما لا يجب التنازل له.. ومصرة على التحمل.. لذا
تحلمي نتائج قرارك))

قالت هيام بصوتٍ متحشرج

((مها ولكني ما زلت أريد ما طلبته منك))

تنهدت مها.. وبعد لحظات ردت عليها بهدوء

((حسنا.. سأحاول السؤال عن عشبة قد تساعد بطلبك.. وسأؤكد جيدا من أعراض ومضاعفات العشبة حتى لا نتسبب بقتله ونُضيع أحر أعمارنا بالسجن))

قالت هيام لها بغیظ

((مها أنا لا يعجبني الوضع أبداً.. بالبداية كان ينفر حتى من ذكر أنه متزوج منها.. لكن الآن لا تتصورين السعادة والبهجة التي تطل عليه لمجرد تواصلها معها))

تنهدت مها وهي تقول لها بقسوة

((حبيبتي.. من الواضح انه مل منك.. زوجك نذل بمجرد أن مل منك وكبر سنك ذهب لاهنا للبحث على أخرى صغيرة جميلة.. وكأنه كرجل لم يكبر معك.. فلماذا تتحملينه بكبره وعبوبه ولا يتحملك هو؟))

وقبل أن تغلق الخط أكملت مها

((هيام.. مهما بلغ حبك لزوجك فلا تطمسي شخصيتك ولا
تدفني كرامتك في سابع ارض في سبيل إرضائه))

تتهدت هيام ببؤس وهي تمسك الهاتف بيدها..

لكن قست ملامحها فجأة ولم تمر لحظات حتى كتبت هيام
رسالة لأحمد تخبره بانها تريد الطلاق وستحزم أمتعتها لتغادر
البيت..

وما كانت دقائق حتى سمعت باب المنزل يُفتح من قبل احمد
ليخطو لغرفة نومه قانلا بصوتٍ غاضبٍ وهو يضع احدى يديه
ع على خصره

((إلى متى ستظلين تستخدمين هذه الأساليب الرخيصة كل يوم
يا هيام من تهديد بالطلاق؟))

نظرت هيام له بحدة ولم تكن حتى قد بدأت بحزم أي شيء..

ثم قالت له بصوتٍ فاتر وهي تشيح بنظرها عنه

((لست سعيدة معك.. أريد الطلاق وحسب))

امتعاظ وضجر ملأ محيا احمد من تكرار هيام المستمر
للطلاق لكنه حاول أن يكون أكثر صبراً وتفهماً..

فدنا منها مقترباً ليحتوي جسدها الغض بين ذراعيه..

لكان ما أن همّ أن يقترب منها حتى انتفضت من أمامه وهي
تزره

((ابتعد عني.. أريد الطلاق.. هيا طلقني))

نظر احمد لها باستنكار

((ماذا؟ هل أنت جادة؟))

أجابته بتصميم وهي تشعر فجأة بالإنهاك يغمرها وبالحاجة
للنبات لتتحلى به

((نعم أريد الطلاق.. والآن))

سألها مشيراً بيديه بانفعال

((لا أفهمك.. لماذا تريدین الطلاق؟ فقط تقبلي الوضع وسنعيش
جميعا بسعادة))

تهكمت هيام من حديثه لتهدر بصوتٍ مبيت

((وكان الجواب صعب لاستنكارك لطلبي الطلاق))

نظر احمد لها طويلا ثم مد كفه ليمسك كتف هيام بقوة قائلا
بوجه خالٍ من التعابير

((لا تدعيها تحصل على ما تريده.. إياك أن تفكري بالطلاق))

سألته هيام هامسة ومتغضنة الجبين

((ماذا؟))

أخذ احمد نفسا طويلا ثم قال بجدية

((لقد قالت لي بانها تريد طلاقك بل وقالت بانها حتى لو أرادت
الرحيل فلن ترحل قبل أن تجعلك تطلقين أو تودي بك لمشفى
أمراض عقلية.. فلا تطلبي الطلاق وتسمحي لها أن تنال
غرضها))

شحب وجه هيام..

بدون أي شك احمد يعرف أنها تعرف بأمر زواجه من سارا..

ازدردت هيام ريقها وهي تسأله بصوتٍ مختنق

((ماذا؟ هل قالت ذلك؟))

أجابها احمد ببساطة أثارت غيظ واستفزاز هيام

((نعم هذا ما قالته وأنتِ بغبائك تسمحين لها بتحقيقه))

احتل وجه هيام ابتسامه مختنقة مريرة وهي تخبره بخيبة امل

((أنا لا يهمني ما قالته بقدر ما يؤلمني أنها قالت هذا الكلام

أمامك ولم تفعل لها أي شيء أو ترد عليها))

صرخت فيه باتهام وهي تدفعه من صدره

((كيف سمحت لها بقول ذلك عني بدون أن يحرك فيك أي

شيء؟ بدأت اشك حتى أنك تزوجتها من اجل الولد؟))

فكرت بتأكيد بأنها محقة.. نعم.. نعم هو لم يتزوج سارا لأجل الأطفال..

ولكن إذا كان ليس الأطفال مطلبه الرئيسي فما حاجته الحقيقية للزواج منها؟

لماذا يتزوج من غيرها من الأساس وهي ولا تفعل سوى ما يرضيه ولا نقول إلا ما يحب وليس لها صديق غيره ولا رفيق سواه؟

سألته بعصوبة وبصوت متحرج

((هل حقا تحبني يا احمد؟))

سألها من بين أسنانه بضيق

((ظننت أن كل ما مررنا به وكل ما بيننا يستحيل أن يجعل تشكين ولو لثانية بان حبي لك غير حقيقي))

قالت هيام له تواجهه

((إذن أنت أحببتني ولكنك توقفت عن ذلك الآن لأنك وجدت البديل.. لا أدري ماذا وجدت فيها لا امتلكه أنا أو بماذا أنقصت أو قصرت عليك بأي جهة بحياتك يا احمد))

تنهد احمد ثم قال له بمكابرة

((هيام.. هل تظنين أنك المعذبة الوحيدة بالموضوع؟ حتى أنا متأثر سلبيا وبشكل أكبر منكن.. هل تعرفين منذ زواجي منها وكم ترتب عليّ مسؤوليات جديدة وتكاليف حياة جديدة؟))

زعت هيام عليه ترفض طريقة تفكيره

((إذن لماذا أقدمت على امر تعرف انه لن يجعل أي شخص منا سعيدة؟))

اختلط الضجر بالحنق بعدم القدرة على تحملها أكثر ليزفر احمد بصوتٍ عالي ثم ينظر بعينيهما يخبرها بحسم

((هيام.. عندما تزوجتني لم أكن أعزب.. هل نسيت؟ هل عليّ تذكيرك بهذا الأمر بكل لحظة؟))

تقوست شفقا هيام بابتسامة صغيرة بعيدة جدا عن مساره وتمتمت تسأله

((هل أنا من لاحقك لأتزوج منك؟ ألم تكن أنت من رفضت تركي وشأني وتلاحقني باستمرار؟))

زفر احمد ضجرا ومد يده يمسك ذقنها ويضغط على كلماته ببطء ليقول

((لا لم تفعلي شيء من هذا.. كنتي فقط تفتحين المجال أمامي لأتابع ملاحقتك بدون أن تتخذي بأي مرة خطوة صارمة لابتعد.. فكفي عن أخذ دور الضحية.. لا يليق بك كثيرا))

التمعت عينا هيام بصورة للألم لنقول بأسى

((احمد أنت لا تحبني.. أو على الأقل توقفت عن حبي))

هز رأسه ينفي كلامها ثم يقول

((لا يا هيام.. ما زالت احبك.. ولكن لا تغتري بحبي طويل.. لأنه سرعان ما يتهاوى مهاجمتك وشراستك المستمرة تجاهي.. توقفي عن عتابك الذي لا يتوقف لأنه لن ينتهي إلا بمزيد من البعد بيننا.. لقد تزوجت وانتهى الأمر.. لو فعلا تحبيني يجب عليك تقبل ذلك.. لن اقبل بطلاقك ولا بطلاقها.. يا أن احفظ بكما معا.. يا أن اطلقكما معا))

بهتت تعبيرات هيام ثم قالت له بابتسامة مرتجفة

((معاً؟ هل صرت مساوية لها الآن بعد أن سبق وأقسمت لي
بأنك لن تستطيع أن تحب غيري؟))

أجابها احمد بجمود وبرود

((نعم يا هيام.. لها من عندي نفس ما لك تماماً))

بقيت هيام تحدد به للحظات طويلة قبل أن تسأله بصوت متألم

((احمد.. هل أنا مخطئة بدفاعي عن مملكتنا وعن حبننا؟))

إلا أن قال لها بنفس تعابيره السابقة

((أنت لا تدافعين عن مملكتنا.. بل عن مملكاتك.. تعتبرين
نفسك تملكينا.. أخبرتك إياها سابقاً قبل أكثر من عشر سنين..
وسأقولها مرة أخرى لك.. أنا لست ملكاً لك ولا لأخرى.. أنا
ملك نفسي.. وكلما تقبلت هذه الحقيقة الأخرى سيكون أفضل لنا
الاثنان.. لأنني مهما عذرتك في البداية لا أعدك أن يستمر ذلك
إن طال علي الأمر))

تركت يده ذقنها ليقول لها وهو يتراجع للخلف محذراً

((انتبهي يا هيام أن تضيعي محبتي لك.. فأنا الآن بدأت انتبه
إلى أن هناك أخرى تحاول جاهدة الوصول إلى مكانتك في حين
تتراجعين فيها أنت بسبب تصرفاتك))

هزت هيام رأسها وقطبت جبينها بعمق وهي تراه يلتفت مغادراً
لنتتم

((الحقير يحسب نفسه شهريار.. لكن لن أتراجع عما قلته لمها..
سأنتقم منك يا احمد))

=====
=====

دخلت روعة حجرة الضيوف وهي تحمل صينية بها فنجاني
قهوة عربية مركزة..

وضعت روعة الصينية فوق الطاولة وهي تسمع أختها راما
زوجة عدنان الدال تسألها

((ها قد جهزت القهوة.. هيا قولي لي كيف هو مراد؟))

جلست روعة مقابلها لتقول لها باقتضاب

((الحمدالله أنه بأحوال جيدة))

تتهدت راما وهي تتفهم بأن شقيقتها روعة لا تريد الحديث
بالموضوع بعد..

لكنها بإصرار سألتها وهي تنوي نصحتها بما يخص مراد

((هل ما زالت زوجته ببيت أخيها؟))

نظرت روعة لأختها لتقول لها بقنوط

((نعم ما تزال هناك.. لكن هل تعرفين منذ أي شهر هي

هناك؟))

انتبهت راما على علامات الأرق التي تحيط بعيني أختها
والشحوب الطفيف على وجهها إثر قلقها على حال ابنها
ووضعه الزوجي الذي وصل إليه في الأشهر الأخير..

التقطت روعة فنجان القهوة تقدمه لأخته لتجلس كلتاها بصمت
وترتشفان القهوة بينما تستنشقان بخارها شهى الرائحة..

وضعت راما فنجانها بعد عدة رشفات على المنضدة أمامها
لتقطع هذا الصمت قائلة بصراحة وبصوت هادئ وعذب

((لا تفهميني خطأ يا روعة.. ولكنك المذنبة.. وأنتِ السبب بما

حصل لأبنك وزوجته.. فما شأنك بالمسكينة لتجربها على

التردد لزيارتك بشكل يومي وخدمتك؟ إذا كنت بحاجة لمن
تخدمك فلماذا لا تعيدين احدى العاملات الكثيرات التي كانت
تعمل عندك سابقاً؟))

قالت روعة بامتعاض وهي تلوك بفمها

((وماذا فيها لو خدمتني زوجة ابني؟ هل ينقص من قدرها
شيء؟ لطالما خدمت حماتي وأطعتها حتى توفت))

قالت لها راما مؤنبة

((بعد كلامك هذا فالله اعلم ماذا تلقين على مسامع المسكينة
حتى هربت منك بهذا الشكل وفضلت الطلاق على البقاء
عندك))

حجبتها روعة بازدرأ لتقول لها بصوتٍ فاتر

((فقط اشربي قهوتك يا راما))

إلا أن راما هزت رأسها بغير رضا وهي تقول لها برفق
مستكرة أفعال روعة

((هل أنت سعيدة الآن بما فعلتنيه لأبنك؟))

هتفت بها روعة بغضب

((وماذا فعلت له؟ هل أنا من طلقت زوجته؟))

أشاحت روعة بنظرها جانبا عقب كلامها لتقول لها راما

((هل تعرفين شيئاً يا اختي عن الحب الذي يتجرعه الكثير وما
هو؟ الحب في الله الذي يصدق حتى يصل إلى الزواج بما
يرضيه الله؟ أصعب ما فعلتنيه بمراد هو تخييرك له بأفعالك
وكلامك بينك وبين زوجته حتى لو لم تخييره بشكل صريح..))

وضعت روعة فنجانها هي أيضا فوق المنضدة أمامها والتفتت
تتظر باهتمام ووجوم لراما التي أخذت تتابع كلامها برفق

((حرام عليك يا روعة هذا الظلم الذي تسقيه لولدك الوحيد.. الله
أوصانا بأولادنا لا ليعطينا حق التجبر على مشاعرهم وكأنهم
أطفال صغار لا يُعون ما يفعلون.. أنتِ يا روعة وزوجك
تستعملان حق رضاكما فيما لا يرضي ابنك ويسلبه سعادته في
اختياراته))

شعرت روعة بمشاعر محتدمة تتجمع وتتصارع داخلها بين
الغضب مما فعلته جالا والندم لما فعلته هي..

فهي لا تنكر بأنها تشعر بأنها قتلت ابنها حينما كانت تقوم بما
يزيد المشاكل بينه وبين زوجته..

منذ مغادرة زوجته المنزل عندما صفعها وإلى الآن تشاهده كل
يوم يموت أمامها..

أما نظراته عندما تلتقي عيناها بعينيه تبدو وكأنها تخبرها أنها
السبب بتعاسته..

زاد الوضع سوءاً استرسال شقيقتها راما

((وللأسف ابنك العزيز وضع نفسه في متاهات سبق وسلوكها
غيره ممن لم يفرقوا بين رضا الوالدين وبين سعادتهم.. وها هو
الأمر قد انقلب سلباً على ولدك وعليك أنتِ وزوجك.. وها قد
انقلب رضاكما سبباً لتعاسة قلب ابنك))

جف حلق روعة وكفهز وجهها عند حقيقة ما قالتها راما..

رفعت روعة يديها تسوي شعرها المعقود للخلف ثم تمت
وعيناها شاردتان لذكريات قديمة جدا

((شباب هذه الأيام متعيين جدا.. قد يكون ظاهريا أن زوجي هو
من طلب يدها للزواج من مراد لكن الأمر حدث بلحظة تسرع

فأنت تعرفين ماذا حدث بليلة زواجه المشؤومة بسبب تلك
المُسماة سهر ابنة صديقه.. لكن لا أنا ولا زوجي راضيين عن
زواجهما))

عبست راما لتقول بنبرتها الشجبة

((لقد تزوج الرجل من المرأة وأنجبت له فتاتان مثل القمران
ويحبها وتحبه.. وما تقولينه الآن قد فات الأوان عليه.. لذلك
حنني قلبك على ولدك ودعيها تعود للبيت))

هتفت روعة باعتراض

((أنت تعرفين يا راما أنها من غادرت المنزل من تلقاء نفسها
وهي من ترفض منذ أشهر العودة لا أنا فكيف تطيبين مني
إعادتها.. هل اذهب وأتوسل لها أن تعود؟))

عقدت راما حاجبيها قائلة

((لا لم اقصد هذا))

قالت روعة بغلظة

((سأحاول معها لمرّة أخيرة بأن تعود وإذا رفضت فوقتها
سأقتل ابني إذا لم يوافق الزواج من غيرها.. الغبي فقط لو
يخون قلبه ويقبل أن يجعلني ابحت عن فتاة أخرى يميل قلبي
لها))

لانت ابتساماة بجانب فم راما على كلام أختها لكنها قالت لها
بجدية ناصحة مرة أخرى

((لكن يا روعة عليك التفكير بالمحاولة أكثر من مرة مع
زوجته لتعود لا أن تبحتي على زوجة أخرى له.. حاولي من
اجل ابنك.. لأنه صدقيني إذا لم يجاهد ابنك لأجل وضع زوجة
يحبها سيجاهد أضعاف حتى يتألم مع وضع زوجة لا يحبها..
ووقتها لن ينفع أن يبحت عن حلول في وقت متأخر لأن العطار

لن يصلح ما أفسده الدهر.. والندم وقد فات الأوان هو والفراغ
سواء.. بالنهاية ليس مُهمًا أن تزوجي ابنك حتى يُقال إنه متزوج
ولكن الأهم من يتزوج وهل تسعده أو لا))

زفرت روعة بضيق ثم قالت بعبوس لأختها

((حسنا يكفي حديثًا واشربي قهوتك يا راما.. هل سندع ابنة
سميحة تفسد علينا حتى جلستنا هذه!))

إلا أن راما رفضت وهي تعيد الإلحاح عليها

((لم يا اختي لا تحاولين من اليوم البدء في التوصل مع زوجة
ابنك مع الحرص على استخدام اللطف في الحديث معها ومع
عائلتها؟ من الضروري أن تكوني ذا أسلوب حسن عن
عائلتها.. صدقيني يا روعة الود والحب يذيب كثيرا من
المواقف السلبية.. وهي بعد ذلك من ستطلب العودة لمراد
فلمرأة إذا أحببت بصدق اجتهدت في تذليل كل عقبة في سبيل
سعادة زوجها))

نفخت روعة نفسا ضائقا لتقول بحدة مختنقة

((هل تريدني مني يا راما أن أتنازل أنا وأتحدث معها؟))

كانت تعرف راما جيدا اندفاعية وتلقائية غرائزية روعة إلى
الخوض في شؤون الحياة الزوجية والعائلية لابنها بدافع
الاعتقاد بأنها تحرص على مصلحته وحمياته من سوء تصرف
وتدبير من تكون زوجته..

فأجابتها بصوتٍ أكثر ليونة

((وماذا فيها يا روعة؟ ألم تكوني سببا رئيسا فيما حدث بينها
وبين زوجها؟))

امتقع وجه روعة لتتابع راما

((اصغي لي يا اختي العزيزة.. ابدئي التحدث مع أم حفيدتيك
واطرحي عليها العودة لزوجها بلغة التفاهم.. وأخبريها أن
زوجها يحبها وأخبريها عن رغبتكم برؤية البننتين.. وحاولي أن
توسطي أحد العقلاء من أهلها ليكون داعما لك والمهم أن يكون
قريب الصلة بها وأن يكون محبوبا عندها وفي مقام النصح))

ظهرت أمارات الاقتناع الطفيفة على وجه روعة لتكمل راما
وهي تمد أناملها لتمسك ذراع روعة

((يا اختي العزيزة عليك أن تعرفي أنت وزوجك بتدخلكما في
شؤون الحياة الزوجية لمراد تقعان في المحذور.. وقد تكونان
سبباً في تشتت الأسرة وانفاسخ ميثاق غليظ))

=====
=====

اتكأت سارا بيديها على الجدار وهي تقف أمام نافذة احدى
حجرات شقتها لتتأمل بعينيها السماء الصافية..

ثم قالت بصوتٍ رتيب متعب لميادة على الهاتف كعادة يومية
اتخذتها بالحديث لها عن اليأس الذي تعيشه في حياتها الجديدة
بعد الزواج

((لقد تعبت يا ميدو مما تفعله لارا بي.. ألن تكف أذاها عني؟
متى سنتتهي هذه المهزلة؟))

قالت لميادة لها بصوتٍ مقتضب

((معك حق بدأ الأمر يصبح مزعجا جدا.. فهي تقول بتأكيد بانه
لو لم يكن بك أي عيب لم كنت قبلي أن تتزوجي بخطيبها
السابق المتزوج))

مسحت سارا على وجهها ورأسها بيدها الأخرى التي لا تشغلها
بمسك الهاتف لتقول بصوتٍ منتشج

((المشكلة ليست بكلامها وحسب.. بل أن باقي صديقاتي قاطعني.. حتى أُمي لم تكن راضية وحضرت زفافي على مضض.. وأبي كما تعرفين ومنذ عرف بأني من أنفقت ماله على حفل زفافي الباذخ بدلا من احمد وهو يحرمني من مصروفي الشهري وألغى كل بطاقتي الائتمانية))

هدرت ميادة بصوتٍ رخيم

((اهدئي يا سارا.. صحتك بخطر.. فادي يريد حقا أن يعطيك من ماله حقا لكن حينها سيقطع والدك عنا المصروف أيضًا))

ضربت سارا بكفها فوق النافذة تقول بغضب

((إنن لا لن اهدأ أبداً.. كيف سأهدأ وما عدت غنية؟))

ثم أردفت بصوتٍ غاضب

((كما أنه لا يوجد بي أي عيب لكوني قبلت الزواج من أحمد.. كنت أستطيع الزواج بأفضل منه بمئة مليار مرة ولكن أنا من اخترته.. اخترته وتزوجته لأنني أردت ذلك لا لأن هناك بي أي عيب))

وضربت سارا بقدمها الأرض لتكمل بصوتٍ عالي

((لقد تعبت يا ميدو من كلام الناس عني وهذه الاتهامات المحجفة.. انهم يظنون فعلا أنني لم أجد أفضل من احمد لهذا تزوجته.. هل تعرفين أن وزنه مؤخرا ازداد وصار عنده باطن بارزة؟ بدأت حقا أكرهه وأكره حياتي معه))

قالت لها ميادة باستغراب

((سارا أنتِ مجنونة.. ظهور بطن بارزة ليست نهاية العالم.. انه شيء طبيعي ومنتشر عند الرجال بشكل عام.. والدك أيضا..))

قاطعتها سارا بعصبية واعتراض

((اصمتي يا ميادة.. والدي رجل ستيني.. بينما احمد ما زال
ببداية الأربعين.. وانا ما أزال بقمة شبابي.. لا استحق أن ادفن
نفسي معه.. ليس هناك أي إيجابيات للزواج منه.. لا
أستطيع..))

خفت عليها ميادة قاتلة مقاطعةً إياه

((سارا.. ما هذه المبالغة.. كل هذه لأنه وزنه زاد قليلا؟ ثم ألم
تدركي أنه لا إيجابيات بهذا الزواج قيل الآن؟))

تنهدت سارا وهي تقول لها

((لا.. ولكن بعد أن أتمعن بالموضوع.. اكتشفت أن احمد مليء
بالعيوب.. أيضًا بدأت ملاحظة تساقط شعره من مؤخر رأسه
ويبدو أن الصلع سيزحف له.. عندما رأيت صورة له أيام
شباب.. لا املك إلا أن أتحسر على حالي.. هيام أخذته شبابا
بعفوانه ووسامته.. وعندما بدأ يشيب أخذني ممرضة له))

قالت لها ميادة بسخرية

((سارا.. الرجل ما زال في الأربعين من عمره.. عمره
بالضبط أربعة وأربعين عامًا ونصف.. لم تصورينه كأنه
عجوز على عتبة القبر؟))

قالت سارا بصراحة وإحباط وهي تشرذ أكثر بالنظر للسماء

((لأني هكذا اشعر تجاهه.. انه يتصرف ويتحرك ويفكر
كالموتى.. ممل جدا..))

بترت سارا كلامها واستدارت للخلف عندما فُتح باب الحجرة
لترى احمد يقف عند عتبة الباب ويهدر بصوته الخشن

((سارا.. أريد التحدث بموضوع معك))

كتمت سارا تنهيدة ضجر داخل صدرها تود التحرر وارتدت
قناع الجمود وهي تراه يدنو منها ثم أغلقت الهاتف والخط على
ميادة..

جلست سارا على طرف سريرها مقابلة له وهي تضع قدما
فوق قدم لتقول بفظاظة

((ماذا؟ لماذا تبدو غاضبا؟ هل سمعت ما كنت اتحدث به عنك
قبل قليل مثلا؟))

طالعت سارا الجالسة وجه احمد ذو الملامح المبهمة وهي تراه
واقفا أمامها ومكثفاً ساعديه..

هرد لحمد لها بصوتٍ مشبع بالغضب منها ومن إهاناتها الناسفة
لرجولة أي شخص

((هل يمكن أن توضحي لي ما كنتي تتحدثين عنه على الهاتف
مع زوجة أخيك عني؟))

كثفت سارا ذراعها هي الأخرى ثم قالت بلامبالاة

((لقد سمعت كل شيء يا احمد.. هل أنا مضطرة أن أعيد
كلامي؟))

للحظات طويلة دام الصمت بينهما وشعرت سارا بحدقتيه
الزرقاوين تنفرسان النظر بعينيها بشراسة ليقول لها احمد

((لن أمانع أن أخلصك من هذا الزواج إذا كان يضايقك كثيرا))

قالت سارا له بصوتٍ رخيم وهي ترفع احدى حاجبيها

((الحقيقة أنا لا أريد الخلاص منه.. لكن لو أردت أنتِ ذلك فلن
أعارضك))

علا صوت احمد بغلظة

((ما قلتيه يا سارا بحقي مهين.. مهين جدا أن اسمع زوجتي
تخبر صديقاتها على الهاتف أنها كانت تستطيع ببساطة الزواج
من شخص أفضل مني بكثير))

قالت سارا له بابتسامة مرتسمة على طرف ثغرها وهي تهز
أحدى كتفيها

((ولكن هذه حقيقة لا يمكنك أن تنكرها يا احمد))

أقرب احمد منها زجرا بأعلى صوته وهو يرفع سبابته بتحذير
((سارا الزمي حدودك))

بقيت سارا على ابتسامتها الجانبية وهي تقول له بهدوء بدون أن
يتأثر أي شيء بها

((بالمناسبة يا دكتور احمد الغالي.. متى تنوي أخبار هيام
بزواجنا؟ أنا لا اصدق أنها لا تعرف بحقيقته.. هي تعرف بأمر
زواجنا وتخفي الأمر عنك حتى لا تسمح لي بالانتقال لتلك
الشقة التي كتبتها باسمي.. فلا تجعلني أتصرف بما قد لا يعجبك
يا احمد))

هدر احمد لها بأنفاسه الخشنة

((نعم هي تعرف ونحن نعرف أنها تعرف.. فماذا تقصدين يا
سارا بتهديك؟))

أشاحت سارا بوجهها عنه لتقول بثقتها

((لست بحاجة لأفسر كلامي.. إلى متى سأبقى أعيش بشقتي
هذه؟))

قال لها احمد بهدوء ظاهري رغم وضوح انزعاج تقاسيم وجهه

((انتظري لمدة أطول قليلا وسأدعك تعيشين بالشقة التي كتبتها
باسمك فوق شقتي.. لكن انتظري قليلا..))

قتمت ملامح سارا واشتعلت نظراتها واحتدّت نبراتها لتقول
زاعقة عليه

((لن انتظر ولا ساعة أخرى.. هل أنت مجنون؟ هل اخترتني
لأكون امرأة في الظل بعيدا عن أعين هيام التي تركت نارها
لترتمي في أحضاني حتى تعود لأيام النعيم والراحة التي على
ما يبدو كنت تبحث عنها؟))

بغیظ واثمئزازا قال لها احمد

((ليس تماما.. فأنا لم ولا أعيش جحيما مع هيام لتقولي ذلك..
بل أنا ما زلت أحبها ولا انوي التخلي عنها))

ضحكت سارا بسخرية له ضحكة خافتة ثم قالت بغرور

((واضح جدا صدق كلامك))

صرخ احمد قائلا بصرامة

((سارا أنت تعرفين أنني لم أكن لأتزوجك لولا موضوع
الإنجاب بغض النظر عما بيننا))

انتصبت سارا من مكانها نحو احمد قائلة بصوت منخفض
خطير

((لا اصدق أنك تزوجتني لهذا الغرض خاصة واني لم أؤكد لك
تماما أنني موافقتي على فكرة الإنجاب))

قال احمد لها من بين أسنانه بإلحاح وهو يضغط على أعصابه

((سارا دعيني أكون واضحا معك للمرة المليون.. لا تحلمي بان
أطلق هيام.. أنا أحبها ولم أخدعك أبداً.. بل من البداية قلت لك
أنني أحبها ولا يمكن أن أتخلى عنها))

قالت سارا له بإيحاء ويدها تتعمد المرور على ذراعه بلمسات
مغوية قبل وصلوها الى كفها

((نعم.. نعم.. أنت قلت هذا.. وانا قلت قبل عدة أيام بأني لن
أتركك قبل أن أجعلك تطلقها من أجلي.. وصدقني هذا ما
ستفعله يا احمد))

دفعها احمد عنه بخشونة قائلا وابتسامتها التي تمنحها له تثير
غيظه رغم أن ابتسامتها تمس رجولته وتثيره

((أنتِ إنسانة تافهة.. هل تظنين أنني أرنب أم خاروف لاطلق
هيام بمجرد أن تأمرني سيادتك؟))

قالت له سارا تستغزه وهي تدلك مكان ذراعها بالم

((نعم ستفعل وسيكون هذا تحديا بيننا يا أرنبي صاحب العينين
الزرقاوين))

أغمض احمد عينيه بيث بروحه الصبر والطاقة حتى لا يقتلها
هي ولسانها السليط..

فتح احمد عينيه يرفع سبابته بتحذير مرة أخرى

((سارا الزمي حدودك.. كيف تتحدثين مع زوجك بهذا
الشكل؟))

أظهرت سارا برودا وعدم اهتمام وهي تقول له

((وماذا فيها؟))

استشرت تعابير وجه احمد وهو يحذرها بنبرة غليظة

((فيها الكثير ومن الآن وصاعدا لن أتساهل معك أبداً يا سارا..
هل تفهمين؟ هذا سأبدأ من الآن بعد أخطائك.. هذا هو الأول..
وعندما تصلين للخطأ الثالث فسأريك عقابا لن يعجبك))

مطت سارا شفيتها بسخرية وخطت باتجاه باب الحجرة ثم مدت
يدها بنية فتحه ليردعها صوته الحاد بوعيد

((ردى علي يا سارا.. هل تفهمين؟))

عقد احمد حاجبيه بضيق وهو يراها تنتظر له باستخفاف رافعة
احدى حاجبيها بانتسامة مستفزة بدون أن ترد عليه قبل أن تفتح
الباب لتذهب للخارج..

في اليوم التالي..

وبينما كانت تضع سارا احمر الشفاه على شفثيها حرك احمد
ذراعها وهو يقترب من منضدة الزينة لينحرف مسار احمر
الشفاه الذي تمسكها بوجهها..

نظرت سارا بغیظ شديد لشكلها في المرآه وصرخت بأعلى
صوتها

((احذر يا احمد أيها الأحمق))

اتسعت عينا احمد وهو يراها تشمته بهذا الشكل المهين لكن
سارا أردفت بشرر وهي تضرب الأرض بإحدى قديميها

((هذا ثاني خطأ لك.. الثالث سأكسر عظامك حرفيا بأثاث
المطبخ بشكل أسوء مما فعلته بليلة زفافنا.. هل تفهم؟))

نظر احمد لها ليطالعها بانشداه وهي تهدد بهذا الشكل..

عقد حاجبيه وهو ينظر لها كيف تعيد تعديل زينتها..

زاد غضبه وهو يراها كيف تجرأت على وضع احمر شفاه فاقع
على شفاهها بدلا عن السابق وهي تعرف أنه سيستشيط غضبا
من زينتها المبالغ فيها..

قالت سارا وهي تحاول تعديل زينتها

((أخبر والدتك أن تصنع شيء أحبه على الغداء؟ هل تفهم؟))

أغمض احمد عينيه بامتعاض وهو بشكل عام لا يصدق فعلا أنه تزوج من هذه المرأة المدللة وغير صالحة للزواج والتي لا تستطيع تحمل المسؤولية وما يترتب عليها في حين أن الزواج مسؤولية كبيرة جدًا..

إنها لا تتبع لا دين ولا أي عادات ولا تقاليد وتفعل ما يحلو لها كما يصعب التحكم فيها أو إقناعها بمبادئه..

هل هذه المرأة التي يخطط للإنجاب منها؟

لأنه لا يراها إلا شريكة حياة فاشلة لا تصلح حتى أن تكون أمًا لأولاده وهي قد تتخلى عنه أو عن أولاد من أجل مصلحتها وراحتها..

فتح احمد عيناه وبدلا من التحدث بشيء وزجرها..

تغيرت ملامحه وهو يرى زينتها النهائية..

فابتلع ريقه بصعوبة ليقترب منها بخطوات تفيض غضبا من نفسه لأنه يريد لها وهو يراها تهينه بهذا الشكل ولا تحترمه..

تبا للون احمر الشفاه كيف يجعلها تبدو امرأة مثيرة تلفت من يراها للانتباه..

التفتت سارا بعد أن عدلت زينتها له لتقول بصوتٍ رائقٍ مستفز

((صدقني لو تركتني يا احمد فلن تستطيع الارتباط بعدي.. لن تجدي امرأة متفجرة الأنوثة مثلي))

قال لها بصراحة يبادلها الاستفزاز

((نعم أنتِ من الخارج متفجرة الأنوثة ولكنك من الداخل مسترجلة وبشكل كبير.. وكم أكره استرجالك هذا خاصة وأنتِ دائما ما تتعمدين أن تثبتي أنك الأقوى والمسيطرة بيننا))

ثم بتسليية أردف وهو يستند للحائط ويكتف ذراعيه

((إذا ما رأيك أن أتزوج لمررة ثالثة؟ لا بل خامسة اقصد))

ابتسامه أكثر وأكثر استفزاز زينب فمها وهي ترفرف بعينيها
مغمغمه بتحدي

((لا.. ما رأيك لو تزوجت أنا؟))

عارضها قائلا وقد امتلا صوتته بالاستخفاف

((لا.. لا يمكنك شرعا.. أما أنا سأتزوج من أخرى جميلة..
أجمل منك..))

علت نبرتها وهي تقول بعزم

((بل أقدر أن أخلعك وأتزوج من غيرك.. من رجل آخر.. ذو
عضلات ضخمة.. واهم شيء يجعلني اخرج باستمرار
ويعطيني راتبا شهريا ولا يعتمد على نقودي حتى مع كوني
غنية))

عقد احمد حاجبيه بانزعاج يسألها بصوت أجش

((سارا.. لو فعلا تزوجت من غيرك أخرى.. ماذا ستفعلين؟))

ردت سارا عليه بنبرة قوية

((سأخلعك وأتزوج بعد أول يوم بعد انتهاء عدتي.. كما فعلت
بالسابق))

اشتدت ملامح احمد ظلمة حتى كادت سارا تغوص في وهج
عينيها الزرقاوين القاتمين ليقول وهو يفك عقدة ساعديه

((هل تعرفين ماذا؟ هذا الموضوع مزعج لكلانا.. لنتوقف عن
الحديث عنه.. وأنهى ارتداء ملابسك لنذهب عند أمي))

وقبل أن يغادر احمد وضع نقودا فوق المنضدة ووضع فوقها
احدى وكريستالات الزينة..

عند منزل والدة احمد..

بعد أن رفضت هيام التواصل مع حمايتها بدأ احمد يقنعها بزيارة
امه وكسب محبته ولا تعرف حقيقة كيف وافقت على كلامه..

لكن منذ أن دخلت منزل والدته حتى قال احمد متهربا لها بأن
عنده مهمة عاجلة وسيعود لاحقاً.. وحتى الآن لم يعد..

وهي لم تفعل شيء سوى الجلوس في مكانها بملل وضجر
وتصفح هاتفها متجاهلة أي مبادرة في الحديث من والدة احمد..

حتى اتسعت عينا سارا فجأة وهي ترى أحد الأصدقاء
المشركين بينها وبني راجي ينشر صور لهما مع أصدقاء
آخرين في المسيح..

كان راجي بالصورة مكشوف الجسد من فوق مظهرها عضلاته
بينما يقف بجانب المسيح الكبير الأزرق وتتلاأ أشعة الشمس
من فوقه كذرات الذهب..

شدت سارا على قبضتها المسكة بالهاتف قبل أن ترميه بعيدا
على الأريكة الطويلة التي تجلس فوقها..

أغمضت سارا عينيها وهي تفكر بحسرة بأنها لم يسبق وان
قامت بإدراج صورها هي واحمد على المواقع التواصل
الاجتماعي..

لأنها ببساطة بدأت تخجل من مظهر احمد الخارجي بل هي
غير راضية بتاتا عن شكله..

بل لا يقارن براجي أبدا..

تبا.. ما بها تسترجع ذكرياتها مع راجي؟

هزت سارا رأسها بلوم ورفض..

لقد عافته عن طيب خاطر وتركته بعد أن اكتشفت أنها لا تكن له الحب..

تبا.. عليها أن تنسأه تماما..

لماذا لا يتمتع احمد بجسد وعضلات كراجي بدلا من بطنه البارز؟

صحيح أن النقود والمركز الاجتماعي أهم شيء بالرجل..

ولكن يضل مظهرها الخارجي مهم جدا ولا يجب عليه إهماله..

أغمضت سارا عينيها وهي تهز ساقها بعصبية..

حتى أن علاقتها الزوجية هي و احمد باتت لا ترضيها مؤخرا بل هناك شيء خاطئ فيها..

بل احمد هو الخاطئ والمختلف عن بداية الزواج..

نظرت سارا بوجوم لوالدة احمد التي كانت تشاهد احدى البرامج التلفزيونية لتقول بصوتٍ عالي النبرات متذمر و حانق

((يا حاجة.. أداء ولدك في العلاقة الزوجية على المحك.. ابحثي له عن عشبة أو شيء من هذا القبيل لعل وضعه يتحسن.. أنا اخجل من التحدث بهكذا مواضيع معه فتحدثي معه))

شهقت والدة احمد برعب وهي تقوم بإغلاق التلفاز عن طريق أداة التحكم عن بعد وتلثفت لسارا بصدمة..

لم تبالي سارا للصدمة المرتسمة على والدة احمد فقالت لها
مستهجنة

((ما هذا الذي تتحدثين عنه أيتها الفاسقة عن ابني؟))

قالت لها سارا ببرود

((أنا لست فاسقة ولا اسمح لك بالتحدث معي بهذا الشكل.. ابنك
يعاني من مشاكل مؤخرا مع أنه لم يكن هكذا في بداية الزواج
وانا لست مضطرة أن أتحمّل أكثر.. أطلبي من ابنك أن يعالج
نفسه لو سمحتي))

قالت والدة احمد بصوتٍ مرتجف هالع

((ابني الفحل ليس بها أي عيب أو مشكلة والا ما كان تزوج
أكثر من مرة))

زمت سارا شفاتها وهي تقول مستهزئة

((ابنك الآن بمنتصف الأربعين يا حاجة.. ومن الطبيعي وجود
مشاكل كثيرة تواجهه في هذا السن حتى مع وجود رغبة جامحة
فيهم.. وهذا ليس عيب بل العيب عدم معالجة هذا الموضوع
إلى حد قد يدفعني لأصاب بالاكنتاب على أنوثتي المهدورة))

وخلال خوضهما بالحديث لم تستمع أي واحدة منهما لصوت
فتح احمد الباب ودخوله المنزل بخطوات ثقيلة وهو مستمر
بسماع حديثهما..

شعر احمد من كلام سارا عليه بالخزي وكأنها مرغت رجولته
بطين العار الى حد أنه أغمض عيناه بشدة..

ونفس الموقف الذي حدث قبل سنوات طويلة ببيت والده عندما
كان يتحدث لوالديه عن إيمان بأمور خاصة جدا بين الزوجين
يتم تكراره..

ولكن العكس.. فسارا هنا هي من تشكيه لوالدته وما تعانیه هي معه..

سمعت سارا والدته تولول باكية وهي تضرب فخديها بكلتا يديها
((أين أنت يا احمد؟ لو تسمع فقط ماذا تقول زوجتك المصونة
عنا؟))

وسرعان ما جفلت كل من أم احمد وسارا على صوت خطوات
احمد المتقدمة لهما والذي ظاهريا يبدو أنه سمع كل شيء..
فغرت سارا شفتيها وهي تنظر لوجهه كيف بدا قائما ومظلما..

وقبل أن تهم والدته بقول أي شيء هجم احمد على سارا يحملها
على كتفها بشكل مقلوب ليضرب رأس سارا بظهره غير عابئا
لصوت دهشة امه..

اغلق احمد باب منزل والدته بعد أن خرج منه ووقف مكانه
يأخذ نفسا وهو يشعر بظهره يكاد يتحطم من حمل سارا..

إلا أنه تابع المشي نحو سيارته بخطوات واسعة بينما لا يزال
يحملها..

أما سارا كانت تشعر بنفسها مخدرة وساكنة لا تعي شيء مما
يحدث وطوال الوقت وهي ترى نفسها محمولة على ظهر احمد
كشوال البطاطا حتى وضعها داخل سيارته..

قاد احمد السيارة طوال الوقت بالطريق والغضب البارد يرتسم
على وجهه..

عم الصمت داخل السيارة بينهما واكتفت سارا باختلاس النظر
له كل لحظة وأخرى..

ركن احمد السيارة أمام شقة سارا ثم ترجل منها وقبل أن يغلق
الباب خلفه نظر لسارا قائلا بصرامة وصوت مخيف

((هيا يا سارا انزلي منها))

كتفت سارا ذراعها قائلة بعناد ومكابرة

((لا أريد))

حذجها احمد بنظرات غاضبة جدا ومستعرة وسرعان ما اغلق باب السيارة من جهته بعنف ودار حول السيارة ليفتح باب السيارة من جهة سارا..

وبنفس الطريقة السابقة حملها على ظهره كشوال بطاطا..

تخدرت سارا مرة أخرى متفاجئة من حمله لها لكن سرعان ما وعت على نفسها وبدأت تضرب ظهره بعنف وهي تصرخ بصوت عالي جالية انتباه من حوله بالشارع

((اتركني.. هيا اتركني.. اتركني يا احمد))

شعر أحمد بإحراج شديد وهو يمشي أمام مرأى الناس حاملا زوجته العنيدة بهذه الطريقة المخزية لكنه استمر بحملها نحو شقتها..

شعر بالإرهاك وهو يصعد بها الدرج من شدة تحركها وصراخها أن ينزلها إلا أنه رفض حتى فتح باب شقتها بمفتاحه الإضافي المتواجد عنده..

ما إن دلف للشقة حتى قامت سارا بسحب ذراعه لتعض يده ككلب مسعور مما جعل احمد يسقطها أرضا متألما من عضها له..

وقبل أن تتحرك سارا من مكانها قام مباشرة بصفعها تحت ظهرها وهي مرمية أرضا بقسوة مما جعلها تنقلب على نفسها وتبدأ برشقه بأعلى صوتها كل أنواع السباب والشتائم..

لكن تراجعتم سارا بهلع للخلف وهي تراه يبدأ بفك أزرار قميصه بتعجل ويلحقه بحذائه قاتلا من بين لهاته

((حسنا يا سارا دعينا نتأكد من موضوع تقصيري بحقوقك الزوجية))

ثم انخفض نحوها وقرب وجهه منها ليلتقط شفيتها مكتسحا إياها..

حاولت أن تقاومه لكن إلحاحه بتغيير رأيها عنه وتشديد احتضانه لها وهو يكاد يعصرها بين ذراعيه جعلها ترضخ له.. لكن استسلامها جعله فاقدا للسيطرة على نفسه وهو يراها تغيب لعالم آخر..

وبدءة بدأ تفكيرها يتعمد الذهاب لمشاهد قديمة من الماضي وهي تواسي نفسها بتخيل راجي مكانه..

كانت تستعيد مشاهد كيف كان راجي يبدأ الأمر بخلع قميصه ورميه بإهمال على الأرض ثم يستمر بخلع قطع ملابسه تباعا ويكشف أكثر وأكثر من جسده الرجولي بفخر مظهرا عضلاته المشدودة لها..

ومن هنا همست سارا باسمه أكثر من مرة مما دفع احمد أن يبعد وجهه عنها وأنفاسه تخرج مهتاجة عالية..

جحظت سارا عينيها بصدمة أكبر من صدمته لما همست به من بين شفيتها وهي تهز رأسها برفض لا تصدق ما قالته..

بهلع وارتباك وقفتم سارا من مكانها وهي تقول بندم واضعة كلتا كفيها على فاهها

((احمد.. أنا اسفه.. اسفه.. اسفه بقدر عدد النجوم في السماء.. لا أدري كيف نطقتم اسمه.. قلته عن طريق الخطأ صدقني))

ساد الوجوم والصمت أرجاء المكان إلا من أصوات انفاسهما
المضطربة..

انتبهت سارا لأحمد يطالها بغضب مستعر ووجهه المظلم
بشدة..

حتى عينيه كانت أكثر ما يرعب به وهو واقف مكانه يحرق بها
لتقول سارا له بتلعثم وهي تعود بخطواتها للخلف

((اهدأ لا تتهور.. قلت لك أنني نطقت اسمه بغير قصد مني))

تهجم احمد عليها يمسكها من مقدمة قميصها يكاد يخنقها هادرا
من بين أنفاسه المتوحشة

((وماذا تتوقعين مني أن أقول بعد أن اسمع زوجتي المصون
ألـ**** تنطق اسم زوجها السابق على لسانها))

حاولت سارا بقوة نزع يديه عنها وهي تقول باختناق

((والله لا اعرف كيف نطقته يا احمد.. أنا حقا اسفه))

بعنف اشد دفعها احمد بوحشية جعلتها ترتد بجسدها للخلف فتقع
لاهثة متقطعة الأنفاس على طاولة المكتب مستندة بمرقبيها
وهي تسمعه بصرخ عليها بانفعال

((هل ما زلتي تحملين مشاعرا له؟ أجيبيني أيتها ألـ****))

مرت عليها لحظات حاولت سارا فيها أن تأخذ أنفاسها
المخطوفة لتقول من بينهم بإصرار وتهديد واهن

((اخرس أنا لا اسمح لك بإهانتني.. أخطئت واعتذرت منك..
يكفي هياجنا مثل الثور))

وما إن تحولت ملامحه لأكثر شراسة انتفضت سارا مكانها
هاربة نحو حجرة النوم ومغلقة الباب خلفها بسرعة البرق..

بدأ احمد يطرق الباب بكلتا يديه صارخا بنبرة كلها شر
وغضب مستعر بداخله ينتفض انتقاما لرجولته التي أهدرتها
((تبا لي.. فلأذهب للجحيم في اللحظة التي قررت فيها الزواج
منك))

كان احمد عنيفا بضرباتهِ على الباب لدرجة أن خافت سارا أن
يودي بحياتها للموت لو فتحت له الباب لتقول له بصوتٍ لين
بمحاولة تهدئته

((حُبي احمد اهدأ.. اهدأ يا حبيبي.. ما ذنبي أن نطقت اسم
راجي بلساني؟ أنا فعلا انفصلت عنه لأنني شعرت أنني لا احبه
وان زواجنا كله من البداية كان خطأ.. لكن لا أدري ما خطب
مشاعري متشتتة هذه الأيام))

نظر احمد أمامه بسخرية وهو يقول لها بينما صدره المنتفض
يحاول التقاط الأنفاس

((والآن؟ هل اكتشفت أنك تحببته واني نزوة مثلا؟))

تتهددت سارا مكانها واستدارت تعطي للباب ظهرها وهي تقول
بحيرة وكأنه يتحدث معها بموضوع جدي

((لا أدري.. لا أدري.. أنا احبك يا احمد.. ولكن افهمني..
أحيانا اشعر بانني اشتاق لوجودي معه ولا زلت احبه.. فأنا
تطلقت منه فجاءة وتزوجتك على الفور.. وبالتأكيد لن أستطيع
التخلص من حبه بهذه السرعة حتى ولو أحببتك أنت الآخر..
احمد.. أعطني مجال.. سنة.. سنتين.. وأنت وهِمَّتْك.. كل ما
كنت اذكى ستستطيع أن تكسب المزيد من حبي وستكون القطعة
الأكبر بقلبي من نصيبك))

قال احمد من خلف الباب مذهولا وبنبرة قوية على الرغم من
كيانه المنتفض

((رباه.. تحيين غيري! وفوق هذا كله لا امتلك النصيب الأكبر
من الحب فيه؟))

وصله صوت سارا المتوسل له بالتفهم

((أرجوك يا احمد كن متعاوننا معي بهذا الأمر.. أنا أيضاً أريد
إخراج راجي من حياتي بعد أن تزوج فساعدني على ذلك))

رمشت عينا احمد عدة مرات وتاهت نظرتة للحظة يحاول أن
يعي ماذا تطلب منه زوجته المصون قبل أن ينفجر صارخا
بقوة وهو يطرق الباب بضربات عنيفة هاتفاً

((إذن عندما أسجنك بالبيت ولا اسمح لك برؤية كائن حي لا
تلوميني.. فأنا أخاف على قلبك البسكويتي أن يتحرك لغيري
فكما أرى أنك مسكينة لا تتحكمين في مشاعرك.. والله لو قالت
هذا الكلام امرأة غيرك ابنة عالم وناس محترمين لقطعت
لسانها.. لكن لا عتب على ابنة الشوارع))

وصله صوتها هادرا بدهشة واستنكار

((أنا ابنه الشوارع؟ حسنا يا احمد.. حسنا))

استند احمد على الباب وهو يشعر أن جسده قد يخذله في أي
لحظة ليصله صوت سارا المرتاب من الهدوء الذي عاد ليعم
المكان

((إياك أن تكسر الباب يا احمد.. أنا لم افعل لك شيء يستحق
غضبك.. قلت لك أنني احبك بنفس الوقت الذي أحب فيه راجي
ولم اقل ما قد يستدعي غضبك.. فهل تريد مثلاً أن اكذب عليك؟
هل هذا يرضيك؟))

هدر احمد بها بصوته المنهك

((أقول لك افتحي الباب.. لن افعل لك أي شيء ولكن افتحي
الباب))

قالت سارا له صارخة برفض شديد

((لن افتحه وإياك أن تفكر بكسره.. قلبي الذي يحب لا أنا..
كيف تريد مني أن أتحكم بقلبي؟ إذا كانت لك مشكلة حاسب
قلبي لا أنا))

ضغط احمد على أسنانه ليقول لها بينما يعود لضرب الباب
بكلتا يديه

((افتحي الباب وسيكون كل حديثي موجه لقلبك فقط ولن امسك
أنت بسوء.. سأغرس خنجرا بقلبك.. فأنا أريد قتله هو لا أنتِ
أيتها الحقيرة))

صرخت سارا به بصوتٍ عالي بتهديد ووعيد جدي

((احمد اخرج من شقتي أو اقسام لك أني سأتصل بالشرطة
وأقول بان زوجي يحاول قتلي.. سأقول أيضًا أنك تبتزني لأجل
الحصول على أموالتي وتحاول قتلي لترثني.. ثم ليكن بعلمك لو
أحببتك أنت أو غيرك))

أخذ احمد نفسا يدخل الهواء لصدره قبل أن يسقط على ركبتيه..
ثم جلس أرضًا يدفن وجهه بكلتا يديه ببؤس..

=====
=====

انتهى الفصل

=====
=====

بعد مرور أسبوع..

صباحاً وقف احمد أمام المرأة يُصفر لحنًا بفمه وقد بدا رائفًا
جداً..

فمع مرور الوقت ومهما أنكر.. لن يستطيع أن ينفي حقيقة انه
سعيد بزواجه من سارا..

أحيانا عندما يغرق بالنوم بجانبها تظهر له صورة هيام ويشعر
بالذنب يتآكله لزواجه من سارا..

توقف احمد عن التصفير ليتنهد..

لا يفهم نفسه..

هل حقا هو واقع بالحب مع سارا ولكنه عاجز عن الاعتراف
لنفسه لأنه يشعر بقرارة نفسه انه خائن لهيام؟

تنهد مرة أخرى لكن بلا ضيق..

فمع أن الآن ليس وقتنا مناسباً للتفكير فيه..

لكن ورغما عنه ظهرت بالأيام السابقة لمخيلته بعض مشاهد
لحياته القديمة مع إيمان..

وتسائل بينه وبين نفسه هل لو كان يا ترى ما زال متزوجا منها
حتى الآن كانت ستختلف حياته عما آلت عليه الآن؟ وبشكل
كبير؟

خاصةً مع وجود ابنهما بكنفهما؟

عند ذكر ابنه الوحيد شعر احمد بغصة في قلبه..

لقد أعماه غروره الذكوري وظن أنها لن تستطيع العيش من
دونه وأنها ستفضل أن تعيش هي وابنهما معه بأي حال على أن
تبتعد عنه..

ولو امتنعت عن الرجوع إليه فلن تستطيع على الأقل الزواج
من غيره..

انزعجت ملامحه التي يطالعها بالمرأة وهو يشعر بالخزي
يتوغل عندما يفكر أن كل ما يقال بشماته فيه بخصوص زواجه
من هيام صحيح..

وأن زواجه من هيام كان خيرا لإيمان..

فبدل من أن تبقى مع أنسان تفنن في جرح كبريائها وكرامتها
أمام الجميع وتكتفي بولد واحد تزوجت من آخر رزقت معه
بالبنت والبنين..

واتضح بالنهاية أن قرار إيمان صائب في التخلي عنه فماذا
كانت ستجني من البقاء معه وهو نكر العشرة التي كانت بينهما؟
حتى هيام نفس الشيء.. لكن..

لماذا لا يشعر بأنه ظلم هيام بنفس الدرجة التي يشعر بها تجاه
إيمان؟

عاد احمد يركز في النظر لنفسه بالمرأة..

زواجه من سارا غير الكثير بداخله بل وحتى أثار لديه تفكيراً
عميقاً يستعيد من خلاله ذكريات شبابه ليحس بالندم وعدم
الارتياح إلى ما أنجزه في السابق..

فهو لطالما كان ذاك الشاب المهذب الرزين الذي لم يسبق وأن
اهتم بأمور جذب الأنظار له..

لكنه الآن يقر فعلاً أنه غير راضي عن طريقة عيشه لمراهقته
أو شبابه ولو يعود به الحال للماضي لكان عرف كيف يقضيهم
بشكل أفضل..

اخذ احمد نفسا طويلا يحاول التحكم برباط جأشه فلا ينقصه بكل صراحة أن يفكر بالقيام بحركات طائشة لكسر الروتين والملل والتعويض عما فاته الآن..

بينما فُتِح باب حجرة النوم التي تحتكرها هيام لوحدها لتظهر من خلف الباب متوارية عن أنظار احمد لتبدأ التحديق فيه بصمت..

سابقا كان كلما غلب عليها شعورها بالانكسار وكستها الصدمة والحزن برؤية احمد سعيداً في زواجه من سارا تسارع بالترديد على نفسها أن السعادة التي صارت تظهر عليه بسبب سارا مؤقتة وطبيعية باعتبار أن كل ما هو جديد جاذب..

لكنه تغير كثيرا مؤخرا.. كثيرا جدا..

فصار حالما يسمع صوت المنبه يهبّ من فراشه في الحجرة الأخرى ويقف قبالة المرأة لساعات ويبدأ تصفيف شعره.. شعرة بعد شعرة..

تابعت هيام مراقبة احمد بينما يدلك وجهه بكريم ضد التجاعيد ثم يرتدي سترة مفتوحة على الصدر وجينزاً ممزقاً..

تبا! منذ متى احمد الرزين يرتدي بنطال جينز من الأساس؟

حتى بأيام الجامعة كان نادرا ما يرتدي بنطال جينز..

لا بد أن زواجه من سارا نوعا ما يشعره بالفخر والاعتزاز أمام من حوله ويؤكد له ولنفسه أنه رجل قادر على جذب حتى الشابات اليافعات..

وهذا ما يفسر نظره في المرأة بشكل كبير بشكل يجعله غريباً عن نفسه..

لكن.. ماذا فعلت به سارا خلال زواج لم يتجاوز الأشهر حتى لتغرس فيه حالة من الشعور باليأس والقلق ترافقه لتجعله غير

راض كلياً عن نفسه لدرجة أنه يحاول جاهداً الاعتناء بشكله
الخارجي؟

فقد صبغ شعره وبدأ استخدام الكريمات لوجهه وبدأ يتبع نظاماً
غذائياً غنياً بالبروتين لتقوية عضلاته وبدأ بممارسة الرياضة..

كانه يتحسّر على أيام الشباب والصبا ولا يستطيع إلا يظهر
شعوره بالأسى..

صدر صوت من الباب المفتوح ليشعر احمد بوجودها ويرمقها
بطرف عينيه من المرأة أمامه بينما يغلق أزرار قميصه القاتم..
كانت هيام تطالعه من البداية وبحزن لرؤيته متلف بهذا الشكل
ليومه هذا..

ربما لأن اليوم ليس يومها..

سألها احمد بخفوت وانزعاج من نظراتها المخيفة التي تحدجه
إياه

((هل حان الوقت يا هيامي لتتكرمي عليها وتسمحي لها بان
تعيش في الشقة العلوية؟))

رشقته هيام بلطى نظراتها الساخطة لتقول بفحيح صوتها
ومشددة على كل كلمة

((لا.. يا.. احمد))

زفر احمد بضيق رغم محاولته أن يخفي انزعاجه الشديد منها..

ثم القى عليها نظرة ممتعضة ليهدر بعدها برجاء وعتاب
مفتعلان

((يا إلهي.. أنا بدأت أفقد صبري يا هيام.. كل ما أتمناها هو أن
تتواصلني معها وتسايرها..))

كانت هيام صامته طوال جملته مبتلعة الأسهم التي ترغب أن
ترشقه بهم حتى لا تتأزم الأمور..

لكنها لم تستطع ألا تبتتر كلامه لتقول بصوتٍ غاضبٍ عالي
النبرات ومستنكر

((من يساير من؟ هل أنا من دخلت وأفسدت حياتها؟ هل أنا من
سرفت زوجها؟ احمد أنا احبك وأغار عليك.. افهمني أرجوك))

تحول صوتها بنهاية كلماتها ليصير ممزوجا بالحزن والعتاب
والقهر..

عاد احمد يتأفف بضيق أكبر وأكبر مما سبق وهو يجاهد نفسه
ليتحكم بأعصابه كي لا تثور عليها..

بعد لحظات من التحكم نظر لهيام قائلا بغضب ووجه محتقن

((لقد مللت من احتوائك.. ألا يمكن أن نتخطى أمر زواجي؟ كم
سنة أو قرن بحاجة لتتقبله؟ ألا يمكن أن تسعديني مثل ما افعل
لك؟))

تشبع وجه هيام بالاستنكار بغتة لتقول بعدها بسخريّة مريرة

((يا إلهي.. هل أنت جديّ يا احمد؟ هل تظن بانك فعلا تقوم
بإسعادي؟))

زفر احمد بضيق مجددا وهو يتجاهل كلامها ثم التفت للمرأة
أمامه يعدل من هيئته الوسيمة من نظره قبل أن يغادر المنزل..

احتقن وجه هيام بغضب شديد وهي تراه يصفق الباب خلفه
بقوة..

انتفضت هيام من مكانها لتسارع في البحث عن هاتفها وتطلب
بعجلة وغضب رقم بعينه..

وعندما وصلها الرد قالت باختصار وبصوتٍ مشبع بالغل

((أهلا مها.. أريد والآن أت تجلبي لي أي شيء يقلل من الكفاءة وتعتله عن واجباته الزوجية.. حبوب أو أعشاب أو أي شيء آخر.. أريده أن يكون بمفعول قوي إلى حد أن تطلب زوجته هي الطلاق منه لا العكس))

وصلها صوت مها مستنكرًا بحدة على الجهة الأخرى من الهاتف

((هل أنت مجنونة؟ ماذا إذا كان للأدوية أو الأعشاب أي تأثير عليه وتسببت بمضاعفات صحية له؟ هيام إذا كنتي تعيسة معه تجاهليه لتعيشي بسعادة.. أو اخلعيه واستريحي منه لكن إياك أن تقترف شيء أحمق قد يوقعك بمتاعب ومشاكل أنت بغنى عنها))

لان صوت هيام قليلا وهي تقول يوهن وسخافة

((ولكن.. سينكسر قلبه لو تخليت عنه هكذا.. هل نسيتِ عندما فقد وعيه ليومين عندما طلبتِ الطلاق؟))

صرخت بها مها بحنق شديد

((لينكسر قلبه على قدميه وعلى أم رأسه.. وما دخلك أنت؟ لا تشغقي عليه.. انه لا يابه لحالك فلماذا تهتمين أنت به؟ هل صدقتي انه يحبك؟ لقد وجد البديل يا حبيبتي.. كفي عن التأثر والانجذاب لعنف استعراضاته العاطفية.. بل لم لا زلتي تتأثرين بها إلى الآن؟ هل ترضي فيك غرور الأنثى؟ يفترض أن يكون نصف آخر ذرة كرامة وأنوثة بقت فيك بعد كل أفعاله المخزية اتجاهك))

احتقنت عيني هيام بالدموع لتتابع مها

((هيام ويكل صراحة أنا ما عدت أشفق عليك.. أنت من تنازلت بالبداية عما لا يجب التنازل له.. ومصرة على التحمل.. لذا تحلمي نتائج قرارك))

قالت هيام بصوتٍ متحشرج

((مها ولكني ما زلت أريد ما طلبته منك))

تنهدت مها.. وبعد لحظات ردت عليها بهدوء

((حسنا.. سأحاول السؤال عن عشبة قد تساعد بطلبك.. وسأؤكد

جيذا من أعراض ومضاعفات العشبة حتى لا نتسبب بقتله

وأنضع آخر أعمارنا بالسجن))

قالت هيام لها بغیظ

((مها أنا لا يعجبني الوضع أبداً.. بالبداية كان ينفر حتى من

ذكر أنه متزوج منها.. لكن الآن لا تتصورين السعادة والبهجة

التي تطل عليه لمجرد تواصلها معها))

تنهدت مها وهي تقول لها بقسوة

((حبيبتي.. من الواضح انه مل منك.. زوجك نذل بمجرد أن

مل منك وكبر سنك ذهب لاهثا للبحث على أخرى صغيرة

جميلة.. وكأنه كرجل لم يكبر معك.. فلماذا تتحملينه بكيره

وعيوبه ولا يتحملك هو؟))

وقبل أن تغلق الخط أكملت مها

((هيام.. مهما بلغ حبك لزوجك فلا تطمسي شخصيتك ولا

تدفني كرامتك في سابع ارض في سبيل إرضائه))

تنهدت هيام ببؤس وهي تمسك الهاتف بيدها..

لكن قست ملامحها فجأة ولم تمر لحظات حتى كتبت هيام

رسالة لأحمد تخبره بانها تريد الطلاق وستحزم أمتعتها لتغادر

البيت..

وما كانت دقائق حتى سمعت باب المنزل يُفتح من قبل احمد
ليخطو لعرفة نومه قانلا بصوتٍ غاضبٍ وهو يضع احدى يديه
ع على خصره

((إلى متى ستظلين تستخدمين هذه الأساليب الرخيصة كل يوم
يا هيام من تهديد بالطلاق؟))

نظرت هيام له بحدة ولم تكن حتى قد بدأت بحزم أي شيء..
ثم قالت له بصوتٍ فائر وهي تشيح بنظرها عنه
((لست سعيدة معك.. أريد الطلاق وحسب))

امتعاض وضجر ملاً محيا احمد من تكرار هيام المستمر
للطلاق لكنه حاول أن يكون أكثر صبراً وتفهماً..

فدنا منها مقتربا ليحتوي جسدها الغض بين ذراعيه..

لكان ما أن همّ أن يقترب منها حتى انتفضت من أمامه وهي
تزجره

((ابتعد عني.. أريد الطلاق.. هيا طلقني))

نظر احمد لها باستنكار

((ماذا؟ هل أنتِ جادة؟))

أجابته بتصميم وهي تشعر فجأة بالإنهاك يغمرها وبالحاجة
للثبات لتتحلى به

((نعم أريد الطلاق.. والآن))

سألها مشيراً بيديه بانفعال

((لا أفهمك.. لماذا تريد الطلاق؟ فقط تقبلي الوضع وسنعيش
جميعاً بسعادة))

تهكمت هيام من حديثه لتهدر بصوتٍ مبيت

((وكان الجواب صعب لاستنكارك لطلبي الطلاق))

نظر احمد لها طويلا ثم مد كفه ليمسك كتف هيام بقوة قائلا
بوجه خالٍ من التعابير

((لا تدعيها تحصل على ما تريده.. إياك أن تفكري بالطلاق))

سألته هيام هامسة ومتغضنة الجبين

((ماذا؟))

اخذ احمد نفسا طويلا ثم قال بجدية

((لقد قالت لي بانها تريد طلاقك بل وقالت بانها حتى لو أرادت
الرحيل فلن ترحل قبل أن تجعلك تطلقين أو تؤدي بك لمشفى
أمراض عقلية.. فلا تطلبي الطلاق وتسمحي لها أن تنال
غرضها))

شحب وجه هيام..

بدون أي شك احمد يعرف أنها تعرف بأمر زواجه من سارا..

ازدردت هيام ريقها وهي تسأله بصوتٍ مختنق

((ماذا؟ هل قالت ذلك؟))

أجابها احمد ببساطة أثارت غيظ واستفزاز هيام

((نعم هذا ما قالته وأنتِ بغبائك تسمحين لها بتحقيقه))

احتل وجه هيام ابتسامة مختنقة مريرة وهي تخبره بخيبة امل

((أنا لا يهمني ما قالته بقدر ما يؤلمني أنها قالت هذا الكلام

أمامك ولم تفعل لها أي شيء أو ترد عليها))

صرخت فيه باتهام وهي تدفعه من صدره

((كيف سمحت لها بقول ذلك عني بدون أن يحرك فيك أي شيء؟ بدأت اشك حتى أنك تزوجتها من أجل الولد؟))

فكرت بتأكيد بأنها محقة.. نعم.. نعم هو لم يتزوج سارا لأجل الأطفال..

ولكن إذا كان ليس الأطفال مطلبه الرئيسي فما حاجته الحقيقية للزواج منها؟

لماذا يتزوج من غيرها من الأساس وهي ولا تفعل سوى ما يرضيه ولا تقول إلا ما يحب وليس لها صديق غيره ولا رفيق سواه؟

سألته بعصوبة وبصوت متحشرج

((هل حقا تحبني يا احمد؟))

سألها من بين أسنانه بضيق

((ظننت أن كل ما مررنا به وكل ما بيننا يستحيل أن يجعل تشكين ولو لثانية بان حبي لك غير حقيقي))

قالت هيام له تواجهه

((إن أنت أحببتني ولكنك توقفت عن ذلك الآن لأنك وجدت البديل.. لا أدري ماذا وجدت فيها لا امتلكه أنا أو بماذا أنقصت أو قصرت عليك بأي جهة بحياتك يا احمد))

تنهد احمد ثم قال له بمكابرة

((هيام.. هل تظنين أنك المعذبة الوحيدة بالموضوع؟ حتى أنا متأثر سلبيًا وبشكل أكبر منكن.. هل تعرفين منذ زواجي منها وكم ترتب عليّ مسؤوليات جديدة وتكاليف حياة جديدة؟))

ز عقت هيام عليه ترفض طريقة تفكيره

((إذن لماذا أقدمت على امر تعرف انه لن يجعل أي شخص منا سعيدة؟))

اختلط الضجر بالحنق بعدم القدرة على تحملها أكثر ليزفر احمد بصوتٍ عالي ثم ينظر بعينيهما يخبرها بحسم

((هيام.. عندما تزوجتني لم أكن أعزب.. هل نسيت؟ هل عليّ تذكرك بهذا الأمر بكل لحظة؟))

تقوست شفقا هيام بابتسامة صغيرة بعيدة جدا عن مساره وتمتمت تسأله

((هل أنا من لاحقتك لأتزوج منك؟ ألم تكن أنت من رفضت تركي وشأني وتلاحقني باستمرار؟))

زفر احمد ضجرا ومد يده يمسك ذقنها ويضغط على كلماته ببطء ليقول

((لا لم تفعلي شيء من هذا.. كنتي فقط تفتحين المجال أمامي لأتابع ملاحقتك بدون أن تتخذي بأي مرة خطوة صارمة لابتعد.. فكفي عن أخذ دور الضحية.. لا يليق بك كثيرا))

التمعت عينا هيام بصورة للألم لتقول بأسى

((احمد أنت لا تحبيني.. أو على الأقل توقفت عن حبي))

هز رأسه ينفي كلامها ثم يقول

((لا يا هيام.. ما زالت احبك.. ولكن لا تغتري بحبي طويل.. لأنه سرعان ما يتهاوى مهاجمتك وشراستك المستمرة تجاهي.. توقفي عن عتابك الذي لا يتوقف لأنه لن ينتهي ألا بمزيد من البعد بيننا.. لقد تزوجت وانتهى الأمر.. لو فعلا تحبيني يجب

عليك تقبل ذلك.. لن أقبل بطلاقك ولا بطلاقها.. يا أن احتفظ
بكما معا.. يا أن اطلقكما معا))

بهنت تعبيرات هيام ثم قالت له بابتسامة مرتجفة

((معا؟ هل صرت مساوية لها الآن بعد أن سبق وأقسمت لي
بأنك لن تستطيع أن تحب غيري؟))

أجابها احمد بجمود ويرود

((نعم يا هيام.. لها من عندي نفس ما لك تمامًا))

بقيت هيام تحديق به للحظات طويلة قبل أن تسأله بصوت متألم

((احمد.. هل أنا مخطئة بدفاعي عن مملكتنا وعن حبنا؟))

إلا أن قال لها بنفس تعبيره السابقة

((أنت لا تدافعين عن مملكتنا.. بل عن ممتلكاتك.. تعتبرين
نفسك تملكينا.. أخبرتك إياها سابقا قبل أكثر من عشر سنين..
وسأقولها مرة أخرى لك.. أنا لست ملكاً لك ولا لأخرى.. أنا
ملك نفسي.. وكلما تقبلت هذه الحقيقة الأخرى سيكون أفضل لنا
الاثنتان.. لأنني مهما عذرتك في البداية لا أعدك أن يستمر ذلك
إن طال علي الأمر))

تركت يده ذقتها ليقول لها وهو يتراجع للخلف محذرا

((انتبهي يا هيام أن تضيعي محبتي لك.. فأنا الآن بدأت انتبه
إلى أن هناك أخرى تحاول جاهدة الوصول إلى مكانتك في حين
تتراجعين فيها أنت بسبب تصرفاتك))

هزت هيام رأسها وقطببت جبينها بعمق وهي تراه يلتفت مغادرا
لتنتمت

((الحقير يحسب نفسه شهريار.. لكن لن أترجع عما قلته لهما..
سأنتقم منك يا احمد))

=====
=====

دخلت روعة حجرة الضيوف وهي تحمل صينية بها فنجاني
قهوة عربية مركزة..

وضعت روعة الصينية فوق الطاولة وهي تسمع أختها راما
زوجة عدنان الدال تسألها

((ها قد جهزت القهوة.. هيا قولي لي كيف هو مراد؟))

جلست روعة مقابله لتقول لها باقتضاب

((الحمدالله أنه بأحوال جيدة))

تنهدت راما وهي تتفهم بأن شقيقتها روعة لا تريد الحديث
بالموضوع بعد..

لكنها بإصرار سألتها وهي تنوي نصحتها بما يخص مراد

((هل ما زالت زوجته ببيت أخيها؟))

نظرت روعة لأختها لتقول لها بقنوط

((نعم ما تزال هناك.. لكن هل تعرفين منذ أي شهر هي
هناك؟))

انتبهت راما على علامات الأرق التي تحيط بعيني أختها
والشحوب الطفيف على وجهها إثر قلقها على حال ابنها
ووضعه الزوجي الذي وصل إليه في الأشهر الأخير..

التقطت روعة فنجان القهوة تقدمه لأخته لتجلس كلتاها بصمت
وترتشفان القهوة بينما تستنشقان بخارها شهى الرائحة..

وضعت راما فنجانها بعد عدة رشفات على المنضدة أمامها
لتقطع هذا الصمت قائلة بصراحة وبصوت هادئ وعذب

((لا تفهميني خطأ يا روعة.. ولكنك المذنبه.. وأنتِ السبب بما حصل لأبنك وزوجته.. فما شأنك بالمسكينة لتجبريها على التردد لزيارتك بشكل يومي وخدمتك؟ إذا كنت بحاجة لمن تخدمك فلماذا لا تعيديين احدى العاملات الكثيرات التي كانت تعمل عندك سابقاً؟))

قالت روعة بامتعاض وهي تلوك بفمها

((وماذا فيها لو خدمتني زوجة ابني؟ هل ينقص من قدرها شيء؟ لطالما خدمت حماتي وأطعتها حتى توفت))

قالت لها راما مؤنبة

((بعد كلامك هذا فالله اعلم ماذا تلقين على مسامع المسكينة حتى هربت منك بهذا الشكل وفضلت الطلاق على البقاء عندك))

حدجتها روعة بازدراء لتقول لها بصوتٍ فاتر

((فقط اشربي قهوتك يا راما))

إلا أن راما هزت رأسها بغير رضا وهي تقول لها برفق مستنكرة أفعال روعة

((هل أنتِ سعيدة الآن بما فعلتني لأبنك؟))

هتفت بها روعة بغضب

((وماذا فعلت له؟ هل أنا من طلقت زوجته؟))

أشاحت روعة بنظرها جانبا عقب كلامها لتقول لها راما

((هل تعرفين شيئا يا اختي عن الحب الذي يتجرعه الكثير وما هو؟ الحب في الله الذي يصدق حتى يصل إلى الزواج بما يرضي الله؟ أصعب ما فعلتني بمراد هو تخييرك له بأفعالك وكلامك بينك وبين زوجته حتى لو لم تخييره بشكل صريح..))

وضعت روعة فنجانها هي أيضا فوق المنضدة أمامها والتفتت
تتظر باهتمام ووجوم لراما التي أخذت تتابع كلامها برفق

((حرام عليك يا روعة هذا الظلم الذي تسقيه لولدك الوحيد.. الله
أوصانا بأولادنا لا ليعطينا حق التجبر على مشاعرهم وكأنهم
أطفال صغار لا يُعون ما يفعلون.. أنتِ يا روعة وزوجك
تستعملان حق رضاكما فيما لا يرضي ابنك ويسلبه سعادته في
اختياراته))

شعرت روعة بمشاعر محتدمة تتجمع وتتصارع داخلها بين
الغضب مما فعلته جالا والندم لما فعلته هي..

فهي لا تنكر بأنها تشعر بأنها قتلت ابنها حينما كانت تقوم بما
يزيد المشاكل بينه وبين زوجته..

منذ مغادرة زوجته المنزل عندما صفعها وإلى الآن تشاهده كل
يوم يموت أمامها..

أما نظراته عندما تلتقي عيناها بعينيه تبدو وكأنها تخبرها أنها
السبب بتعاسته..

زاد الوضع سوءاً استرسال شقيقتها راما

((وللأسف ابنك العزيز وضع نفسه في متاهات سبق وسلوكها
غيره ممن لم يفرقوا بين رضا الوالدين وبين سعادتهم.. وها هو
الأمر قد انقلب سلباً على ولدك وعليك أنتِ وزوجك.. وها قد
انقلب رضاكما سبباً لتعاسة قلب ابنك))

جف حلق روعة وكفهز وجهها عند حقيقة ما قالتها راما..

رفعت روعة يديها تسوي شعرها المعقود للخلف ثم تمت
وعيناها شاردتان لذكريات قديمة جدا

((شباب هذه الأيام متعيين جدا.. قد يكون ظاهريا أن زوجي هو
من طلب يدها للزواج من مراد لكن الأمر حدث بلحظة تسرع

فأنت تعرفين ماذا حدث بليلة زواجه المشؤومة بسبب تلك
المُسمّاة سهر ابنة صديقه.. لكن لا أنا ولا زوجي راضيين عن
زواجهما))

عبست راما لتقول بنبرتها الشجبة

((لقد تزوج الرجل من المرأة وأنجبت له فتاتان مثل القمران
ويحبها وتحبه.. وما تقولينه الآن قد فات الأوان عليه.. لذلك
حنني قلبك على ولدك ودعيها تعود للبيت))

هتفت روعة باعتراض

((أنت تعرفين يا راما أنها من غادرت المنزل من تلقاء نفسها
وهي من ترفض منذ أشهر العودة لا أنا فكيف تطيبين مني
إعادتها.. هل اذهب وأتوسل لها أن تعود؟))

عقدت راما حاجبيها قائلة

((لا لم اقصد هذا))

قالت روعة بغلظة

((سأحاول معها لمرة أخيرة بأن تعود وإذا رفضت فوقتها
سأقتل ابني إذا لم يوافق الزواج من غيرها.. الغبي فقط لو
يخون قلبه ويقبل أن يجعلني ابحت عن فتاة أخرى يميل قلبي
لها))

لانت ابتساماة بجانب فم راما على كلام أختها لكنها قالت لها
بجدية ناصحة مرة أخرى

((لكن يا روعة عليك التفكير بالمحاولة أكثر من مرة مع
زوجته لتعود لا أن تبحتي على زوجة أخرى له.. حاولي من
اجل ابنك.. لأنه صدقيني إذا لم يجاهد ابنك لأجل وضع زوجة
يحبها سيجاهد أضعاف حتى يتألم مع وضع زوجة لا يحبها..
ووقتها لن ينفع أن يبحث عن حلول في وقت متأخر لأن العطار

لن يصلح ما أفسده الدهر.. والندم وقد فات الأوان هو والفراغ
سواء.. بالنهاية ليس مُهمًا أن تزوجي ابنك حتى يُقال إنه متزوج
ولكن الأهم من يتزوج وهل تسعده أو لا))

زفرت روعة بضيق ثم قالت بعبوس لأختها

((حسنا يكفي حديثًا واشربي قهوتك يا راما.. هل سندع ابنة
سميحة تفسد علينا حتى جلستنا هذه!))

إلا أن راما رفضت وهي تعيد الإلحاح عليها

((لم يا اختي لا تحاولين من اليوم البدء في التوصل مع زوجة
ابنك مع الحرص على استخدام اللطف في الحديث معها ومع
عائلتها؟ من الضروري أن تكوني ذا أسلوب حسن عن
عائلتها.. صدقيني يا روعة الود والحب يذيب كثيرا من
المواقف السلبية.. وهي بعد ذلك من ستطلب العودة لمراد
فلمرأة إذا أحببت بصدق اجتهدت في تذليل كل عقبة في سبيل
سعادة زوجها))

نفخت روعة نفسا ضائقا لتقول بحدة مختنقة

((هل تريدني مني يا راما أن أتنازل أنا وأتحدث معها؟))

كانت تعرف راما جيدا اندفاعية وتلقائية غرائزية روعة إلى
الخوض في شؤون الحياة الزوجية والعائلية لابنها بدافع
الاعتقاد بأنها تحرص على مصلحته وحمياته من سوء تصرف
وتدبير من تكون زوجته..

فأجابتها بصوتٍ أكثر ليونة

((وماذا فيها يا روعة؟ ألم تكوني سببا رئيسا فيما حدث بينها
وبين زوجها؟))

امتقع وجه روعة لتتابع راما

((اصغي لي يا اختي العزيزة.. ابدئي التحدث مع أم حفيدتيك
واطرحي عليها العودة لزوجها بلغة التفاهم.. وأخبريها أن
زوجها يحبها وأخبريها عن رغبتكم برؤية البننتين.. وحاولي أن
توسطي أحد العقلاء من أهلها ليكون داعماً لك والمهم أن يكون
قريب الصلة بها وأن يكون محبوباً عندها وفي مقام النصح))

ظهرت أمارات الاقتناع الطفيفة على وجه روعة لتكمل راما
وهي تمد أناملها لتمسك ذراع روعة

((يا اختي العزيزة عليك أن تعرفي أنت وزوجك بتدخلكما في
شؤون الحياة الزوجية لمراد تقعان في المحذور.. وقد تكونان
سبباً في تشتت الأسرة وانفاسخ ميثاق غليظ))

=====
=====

اتكأت سارا بيديها على الجدار وهي تقف أمام نافذة احدى
حجرات شقتها لتتأمل بعينيها السماء الصافية..

ثم قالت بصوتٍ رتيب متعب لميادة على الهاتف كعادة يومية
اتخذتها بالحديث لها عن اليأس الذي تعيشه في حياتها الجديدة
بعد الزواج

((لقد تعبت يا ميدو مما تفعله لارا بي.. ألن تكف أذاها عني؟
متى سنتتهي هذه المهزلة؟))

قالت لميادة لها بصوتٍ مقتضب

((معك حق بدأ الأمر يصبح مزعجاً جداً.. فهي تقول بتأكيد بانه
لو لم يكن بك أي عيب لم كنت قبلي أن تتزوجي بخطيبيها
السابق المتزوج))

مسحت سارا على وجهها ورأسها بيدها الأخرى التي لا تشغلها
بمسك الهاتف لتقول بصوتٍ منتشج

((المشكلة ليست بكلامها وحسب.. بل أن باقي صديقاتي قاطعني.. حتى أُمي لم تكن راضية وحضرت زفافي على مضض.. وأبي كما تعرفين ومنذ عرف بأني من أنفقت ماله على حفل زفافي الباذخ بدلا من احمد وهو يحرمني من مصروفي الشهري وألغى كل بطاقتي الائتمانية))

هدرت ميادة بصوتٍ رخيم

((اهدئي يا سارا.. صحتك بخطر.. فادي يريد حقا أن يعطيك من ماله حقا لكن حينها سيقطع والدك عنا المصروف أيضًا))

ضربت سارا بكفها فوق النافذة تقول بغضب

((إنن لا لن اهدأ أبدًا.. كيف سأهدأ وما عدت غنية؟))

ثم أردفت بصوتٍ غاضب

((كما أنه لا يوجد بي أي عيب لكوني قبلت الزواج من أحمد.. كنت أستطيع الزواج بأفضل منه بمئة مليار مرة ولكن أنا من اخترته.. اخترته وتزوجته لأنني أردت ذلك لا لأن هناك بي أي عيب))

وضربت سارا بقدمها الأرض لتكمل بصوتٍ عالي

((لقد تعبت يا ميود من كلام الناس عني وهذه الاتهامات المحجفة.. انهم يظنون فعلا أنني لم أجد أفضل من احمد لهذا تزوجته.. هل تعرفين أن وزنه مؤخرا ازداد وصار عنده باطن بارزة؟ بدأت حقا أكرهه وأكره حياتي معه))

قالت لها ميادة باستغراب

((سارا أنتِ مجنونة.. ظهور بطن بارزة ليست نهاية العالم.. انه شيء طبيعي ومنتشر عند الرجال بشكل عام.. والدك أيضا..))

قاطعتها سارا بعصبية واعتراض

((اصمتي يا ميادة.. والدي رجل ستيني.. بينما احمد ما زال
ببداية الأربعين.. وانا ما أزال بقمة شبابي.. لا استحق أن ادفن
نفسي معه.. ليس هناك أي إيجابيات للزواج منه.. لا
أستطيع..))

خفت عليها ميادة قاتلة مقاطعةً إياه

((سارا.. ما هذه المبالغة.. كل هذه لأنه وزنه زاد قليلا؟ ثم ألم
تدركي أنه لا إيجابيات بهذا الزواج قيل الآن؟))

تنهدت سارا وهي تقول لها

((لا.. ولكن بعد أن أتمعن بالموضوع.. اكتشفت أن احمد مليء
بالعيوب.. أيضًا بدأت ملاحظة تساقط شعره من مؤخر رأسه
ويبدو أن الصلع سيزحف له.. عندما رأيت صورة له أيام
شباب.. لا املك إلا أن أتحسر على حالي.. هيام أخذته شبابا
بعفوانه ووسامته.. وعندما بدأ يشيب أخذني ممرضة له))

قالت لها ميادة بسخرية

((سارا.. الرجل ما زال في الأربعين من عمره.. عمره
بالضبط أربعة وأربعين عامًا ونصف.. لم تصورينه كأنه
عجوز على عتبة القبر؟))

قالت سارا بصراحة وإحباط وهي تشرذ أكثر بالنظر للسماء

((لأني هكذا اشعر تجاهه.. انه يتصرف ويتحرك ويفكر
كالموتى.. ممل جدا..))

بترت سارا كلامها واستدارت للخلف عندما فُتح باب الحجرة
لترى احمد يقف عند عتبة الباب ويهدر بصوته الخشن

((سارا.. أريد التحدث بموضوع معك))

كتمت سارا تنهيدة ضجر داخل صدرها تود التحرر وارتدت
قناع الجمود وهي تراه يدنو منها ثم أغلقت الهاتف والخط على
ميادة..

جلست سارا على طرف سريرها مقابلة له وهي تضع قدما
فوق قدم لتقول بفظاظة

((ماذا؟ لماذا تبدو غاضبا؟ هل سمعت ما كنت اتحدث به عنك
قبل قليل مثلا؟))

طالعت سارا الجالسة وجه احمد ذو الملامح المبهمة وهي تراه
واقفا أمامها ومكثفاً ساعديه..

هرد لحمد لها بصوتٍ مشبع بالغضب منها ومن إهاناتها الناسفة
لرجولة أي شخص

((هل يمكن أن توضحي لي ما كنتي تتحدثين عنه على الهاتف
مع زوجة أخيك عني؟))

كثفت سارا ذراعها هي الأخرى ثم قالت بلامبالاة

((لقد سمعت كل شيء يا احمد.. هل أنا مضطرة أن أعيد
كلامي؟))

للحظات طويلة دام الصمت بينهما وشعرت سارا بحدقتيه
الزرقاوين تنفرسان النظر بعينيها بشراسة ليقول لها احمد

((لن أمانع أن أخلصك من هذا الزواج إذا كان يضايقك كثيرا))

قالت سارا له بصوتٍ رخيم وهي ترفع احدى حاجبيها

((الحقيقة أنا لا أريد الخلاص منه.. لكن لو أردت أنتِ ذلك فلن
أعارضك))

علا صوت احمد بغلظة

((ما قلتيه يا سارا بحقي مهين.. مهين جدا أن اسمع زوجتي
تخبر صديقاتها على الهاتف أنها كانت تستطيع ببساطة الزواج
من شخص أفضل مني بكثير))

قالت سارا له بابتسامة مرتسمة على طرف ثغرها وهي تهز
أحدى كتفيها

((ولكن هذه حقيقة لا يمكنك أن تنكرها يا احمد))

أقرب احمد منها زجرا بأعلى صوته وهو يرفع سبابته بتحذير
((سارا الزمي حدودك))

بقيت سارا على ابتسامتها الجانبية وهي تقول له بهدوء بدون أن
يتأثر أي شيء بها

((بالمناسبة يا دكتور احمد الغالي.. متى تنوي أخبار هيام
بزواجنا؟ أنا لا اصدق أنها لا تعرف بحقيقته.. هي تعرف بأمر
زواجنا وتخفي الأمر عنك حتى لا تسمح لي بالانتقال لتلك
الشقة التي كتبتها باسمي.. فلا تجعلني أتصرف بما قد لا يعجبك
يا احمد))

هدر احمد لها بأنفاسه الخشنة

((نعم هي تعرف ونحن نعرف أنها تعرف.. فماذا تقصدين يا
سارا بتهديك؟))

أشاحت سارا بوجهها عنه لتقول بثقتها

((لست بحاجة لأفسر كلامي.. إلى متى سأبقى أعيش بشقتي
هذه؟))

قال لها احمد بهدوء ظاهري رغم وضوح انزعاج تقاسيم وجهه

((انتظري لمدة أطول قليلا وسأدعك تعيشين بالشقة التي كتبتها
باسمك فوق شقتي.. لكن انتظري قليلا..))

قتمت ملامح سارا واشتعلت نظراتها واحتدّت نبراتها لتقول
زاعقة عليه

((لن انتظر ولا ساعة أخرى.. هل أنت مجنون؟ هل اخترتني
لأكون امرأة في الظل بعيدا عن أعين هيام التي تركت نارها
لترتمي في أحضاني حتى تعود لأيام النعيم والراحة التي على
ما يبدو كنت تبحث عنها؟))

بغیظ واثمئزازا قال لها احمد

((ليس تماما.. فأنا لم ولا أعيش جحيما مع هيام لتقولي ذلك..
بل أنا ما زلت أحبها ولا انوي التخلي عنها))

ضحكت سارا بسخرية له ضحكة خافتة ثم قالت بغرور

((واضح جدا صدق كلامك))

صرخ احمد قائلا بصرامة

((سارا أنت تعرفين أنني لم أكن لأتزوجك لولا موضوع
الإنجاب بغض النظر عما بيننا))

انتصبت سارا من مكانها نحو احمد قائلة بصوت منخفض
خطير

((لا اصدق أنك تزوجتني لهذا الغرض خاصة واني لم أؤكد لك
تماما أنني موافقتي على فكرة الإنجاب))

قال احمد لها من بين أسنانه بإلحاح وهو يضغط على أعصابه

((سارا دعيني أكون واضحا معك للمرة المليون.. لا تحلمي بان
أطلق هيام.. أنا أحبها ولم أخدعك أبدا.. بل من البداية قلت لك
أنني أحبها ولا يمكن أن أتخلى عنها))

قالت سارا له بإيحاء ويدها تتعمد المرور على ذراعه بلمسات
مغوية قبل وصلوها الى كفها

((نعم.. نعم.. أنت قلت هذا.. وانا قلت قبل عدة أيام بأني لن
أتركك قبل أن أجعلك تطلقها من أجلي.. وصدقني هذا ما
ستفعله يا احمد))

دفعها احمد عنه بخشونة قائلا وابتسامتها التي تمنحها له نثير
غيظه رغم أن ابتسامتها تمس رجولته وتثيره

((أنتِ إنسانة تافهة.. هل تظنين أنني أرنب أم خاروف لاطلق
هيام بمجرد أن تأمرني سيادتك؟))

قالت له سارا تستفزه وهي تدلك مكان ذراعها بالم

((نعم ستفعل وسيكون هذا تحديا بيننا يا أرنبي صاحب العينين
الزرقاوين))

أغمض احمد عينيه بيث بروحه الصبر والطاقة حتى لا يقتلها
هي ولسانها السليط..

فتح احمد عينيه يرفع سبابته بتحذير مرة أخرى

((سارا الزمي حدودك.. كيف تتحدثين مع زوجك بهذا
الشكل؟))

أظهرت سارا برودا وعدم اهتمام وهي تقول له

((وماذا فيها؟))

استشرت تعابير وجه احمد وهو يحذرها بنبرة غليظة

((فيها الكثير ومن الآن وصاعدا لن أتساهل معك أبداً يا سارا..
هل تفهمين؟ هذا سأبدأ من الآن بعد أخطائك.. هذا هو الأول..
وعندما تصلين للخطأ الثالث فسأريك عقابا لن يعجبك))

مطت سارا شفيتها بسخرية وخطت باتجاه باب الحجرة ثم مدت
يدها بنية فتحه ليردعها صوته الحاد بوعيد

((ردى علي يا سارا.. هل تفهمين؟))

عقد احمد حاجبيه بضيق وهو يراها تنتظر له باستخفاف رافعة
احدى حاجبيها بانتسامة مستفزة بدون أن ترد عليه قبل أن تفتح
الباب لتذهب للخارج..

في اليوم التالي..

وبينما كانت تضع سارا احمر الشفاه على شفثيها حرك احمد
ذراعها وهو يقترب من منضدة الزينة لينحرف مسار احمر
الشفاه الذي تمسكها بوجهها..

نظرت سارا بغیظ شديد لشكلها في المرآه وصرخت بأعلى
صوتها

((احذر يا احمد أيها الأحمق))

اتسعت عينا احمد وهو يراها تشمته بهذا الشكل المهين لكن
سارا أردفت بشرر وهي تضرب الأرض بإحدى قديميها

((هذا ثاني خطأ لك.. الثالث سأكسر عظامك حرفيا بأثاث
المطبخ بشكل أسوء مما فعلته بليلة زفافنا.. هل تفهم؟))

نظر احمد لها ليطالعها بانشداه وهي تهدد بهذا الشكل..

عقد حاجبيه وهو ينظر لها كيف تعيد تعديل زينتها..

زاد غضبه وهو يراها كيف تجرأت على وضع احمر شفاه فاقع
على شفاهها بدلا عن السابق وهي تعرف أنه سيستشيط غضبا
من زينتها المبالغ فيها..

قالت سارا وهي تحاول تعديل زينتها

((أخبر والدتك أن تصنع شيء أحبه على الغداء؟ هل تفهم؟))

أغمض احمد عينيه بامتعاض وهو بشكل عام لا يصدق فعلا أنه تزوج من هذه المرأة المدللة وغير صالحة للزواج والتي لا تستطيع تحمل المسؤولية وما يترتب عليها في حين أن الزواج مسؤولية كبيرة جدًا..

إنها لا تتبع لا دين ولا أي عادات ولا تقاليد وتفعل ما يحلو لها كما يصعب التحكم فيها أو إقناعها بمبادئه..

هل هذه المرأة التي يخطط للإنجاب منها؟

لأنه لا يراها إلا شريكة حياة فاشلة لا تصلح حتى أن تكون أمًا لأولاده وهي قد تتخلى عنه أو عن أولاد من أجل مصلحتها وراحتها..

فتح احمد عيناه وبدلا من التحدث بشيء وزجرها..

تغيرت ملامحه وهو يرى زينتها النهائية..

فابتلع ريقه بصعوبة ليقترب منها بخطوات تفيض غضبا من نفسه لأنه يريد لها وهو يراها تهينه بهذا الشكل ولا تحترمه..

تبا للون احمر الشفاه كيف يجعلها تبدو امرأة مثيرة تلفت من يراها للانتباه..

التفتت سارا بعد أن عدلت زينتها له لتقول بصوتٍ رائقٍ مستفز

((صدقني لو تركتني يا احمد فلن تستطيع الارتباط بعدي.. لن تجدي امرأة متفجرة الأنوثة مثلي))

قال لها بصراحة يبادلها الاستفزاز

((نعم أنتِ من الخارج متفجرة الأنوثة ولكنك من الداخل مسترجلة وبشكل كبير.. وكم أكره استرجالك هذا خاصة وأنتِ دائما ما تتعمدين أن تثبتي أنك الأقوى والمسيطرة بيننا))

ثم بتسلية أردف وهو يستند للحائط ويكتف ذراعيه

((إذا ما رأيك أن أتزوج لمرّة ثالثة؟ لا بل خامسة اقمصد))

ابتسامه أكثر وأكثر استفزاز زينب فمها وهي ترفرف بعينيها
مغمغمه بتحدي

((لا.. ما رأيك لو تزوجت أنا؟))

عارضها قائلاً وقد امتلأ صوته بالاستخفاف

((لا.. لا يمكنك شرعاً.. أما أنا سأتزوج من أخرى جميلة..
أجمل منك..))

علت نبرتها وهي تقول بعزم

((بل أقدر أن أخلعك وأتزوج من غيرك.. من رجل آخر.. ذو
عضلات ضخمة.. واهم شيء يجعلني اخرج باستمرار
ويعطيني راتبا شهريا ولا يعتمد على نقودي حتى مع كوني
غنية))

عقد احمد حاجبيه بانزعاج يسألها بصوت أجش

((سارا.. لو فعلا تزوجت من غيرك أخرى.. ماذا ستفعلين؟))

ردت سارا عليه بنبرة قوية

((سأخلعك وأتزوج بعد أول يوم بعد انتهاء عدتي.. كما فعلت
بالسابق))

اشتدت ملامح احمد ظلمة حتى كادت سارا تغوص في وهج
عينيهِ الزرقاوين القاتمين ليقول وهو يفك عقدة ساعديه

((هل تعرفين ماذا؟ هذا الموضوع مزعج لكلانا.. لنتوقف عن
الحديث عنه.. وأنهى ارتداء ملابسك لنذهب عند أمي))

وقبل أن يغادر احمد وضع نقودا فوق المنضدة ووضع فوقها
احدى وكريستالات الزينة..

عند منزل والدة احمد..

بعد أن رفضت هيام التواصل مع حمايتها بدأ احمد يقنعها بزيارة
امه وكسب محبته ولا تعرف حقيقة كيف وافقت على كلامه..

لكن منذ أن دخلت منزل والدته حتى قال احمد متهربا لها بأن
عنده مهمة عاجلة وسيعود لاحقاً.. وحتى الآن لم يعد..

وهي لم تفعل شيء سوى الجلوس في مكانها بملل وضجر
وتصفح هاتفها متجاهلة أي مبادرة في الحديث من والدة احمد..

حتى اتسعت عينا سارا فجأة وهي ترى أحد الأصدقاء
المشركين بينها وبني راجي ينشر صور لهما مع أصدقاء
آخرين في المسيح..

كان راجي بالصورة مكشوف الجسد من فوق مظهرها عضلاته
بينما يقف بجانب المسيح الكبير الأزرق وتتلاأ أشعة الشمس
من فوقه كذرات الذهب..

شدت سارا على قبضتها الممسكة بالهاتف قبل أن ترميه بعيدا
على الأريكة الطويلة التي تجلس فوقها..

أغمضت سارا عينيها وهي تفكر بحسرة بأنها لم يسبق وان
قامت بإدراج صورها هي واحمد على المواقع التواصل
الاجتماعي..

لأنها ببساطة بدأت تخجل من مظهر احمد الخارجي بل هي
غير راضية بتاتا عن شكله..

بل لا يقارن براجي أبدا..

تبا.. ما بها تسترجع ذكرياتها مع راجي؟

هزت سارا رأسها بلوم ورفض..

لقد عافته عن طيب خاطر وتركته بعد أن اكتشفت أنها لا تكن له الحب..

تبا.. عليها أن تنساه تماما..

لماذا لا يتمتع احمد بجسد وعضلات كراجي بدلا من بطنه البارز؟

صحيح أن النقود والمركز الاجتماعي أهم شيء بالرجل..

ولكن يضل مظهرها الخارجي مهم جدا ولا يجب عليه إهماله..

أغمضت سارا عينيها وهي تهز ساقها بعصبية..

حتى أن علاقتها الزوجية هي و احمد باتت لا ترضيها مؤخرا بل هناك شيء خاطئ فيها..

بل احمد هو الخاطئ والمختلف عن بداية الزواج..

نظرت سارا بوجوم لوالدة احمد التي كانت تشاهد احدى البرامج التلفزيونية لتقول بصوتٍ عالي النبرات متذمر وحنق

((يا حاجة.. أداء ولدك في العلاقة الزوجية على المحك.. ابحتي له عن عشية أو شيء من هذا القبيل لعل وضعه يتحسن.. أنا اخجل من التحدث بهكذا مواضيع معه فتحدثي معه))

شهقت والدة احمد برعب وهي تقوم بإغلاق التلفاز عن طريق أداة التحكم عن بعد وتلثفت لسارا بصدمة..

لم تبالي سارا للصدمة المرتسمة على والدة احمد فقالت لها
مستهجنة

((ما هذا الذي تتحدثين عنه أيتها الفاسقة عن ابني؟))

قالت لها سارا ببرود

((أنا لست فاسقة ولا اسمح لك بالتحدث معي بهذا الشكل.. ابنك
يعاني من مشاكل مؤخرا مع أنه لم يكن هكذا في بداية الزواج
وانا لست مضطرة أن أتحمّل أكثر.. أطلبي من ابنك أن يعالج
نفسه لو سمحتي))

قالت والدة احمد بصوتٍ مرتجف هالع

((ابني الفحل ليس بها أي عيب أو مشكلة والا ما كان تزوج
أكثر من مرة))

زمت سارا شفاتها وهي تقول مستهزئة

((ابنك الآن بمنتصف الأربعين يا حاجة.. ومن الطبيعي وجود
مشاكل كثيرة تواجهه في هذا السن حتى مع وجود رغبة جامحة
فيهم.. وهذا ليس عيب بل العيب عدم معالجة هذا الموضوع
إلى حد قد يدفعني لأصاب بالاكنتاب على أنوثتي المهدورة))

وخلال خوضهما بالحديث لم تستمع أي واحدة منهما لصوت
فتح احمد الباب ودخوله المنزل بخطوات ثقيلة وهو مستمر
بسماع حديثهما..

شعر احمد من كلام سارا عليه بالخزي وكأنها مرغت رجولته
بطين العار الى حد أنه أغمض عيناه بشدة..

ونفس الموقف الذي حدث قبل سنوات طويلة ببيت والده عندما
كان يتحدث لوالديه عن إيمان بأمور خاصة جدا بين الزوجين
يتم تكراره..

ولكن العكس.. فسارا هنا هي من تشكيه لوالدته وما تعانیه هي معه..

سمعت سارا والدته تولول باكية وهي تضرب فخديها بكلتا يديها
((أين أنت يا احمد؟ لو تسمع فقط ماذا تقول زوجتك المصونة
عنا؟))

وسرعان ما جفلت كل من أم احمد وسارا على صوت خطوات
احمد المتقدمة لهما والذي ظاهريا يبدو أنه سمع كل شيء..
فغرت سارا شفتيها وهي تنظر لوجهه كيف بدا قائما ومظلما..

وقبل أن تهم والدته بقول أي شيء هجم احمد على سارا يحملها
على كتفها بشكل مقلوب ليضرب رأس سارا بظهره غير عابئا
لصوت دهشة امه..

اغلق احمد باب منزل والدته بعد أن خرج منه ووقف مكانه
يأخذ نفسا وهو يشعر بظهره يكاد يتحطم من حمل سارا..

إلا أنه تابع المشي نحو سيارته بخطوات واسعة بينما لا يزال
يحملها..

أما سارا كانت تشعر بنفسها مخدرة وساكنة لا تعي شيء مما
يحدث وطوال الوقت وهي ترى نفسها محمولة على ظهر احمد
كشوال البطاطا حتى وضعها داخل سيارته..

قاد احمد السيارة طوال الوقت بالطريق والغضب البارد يرتسم
على وجهه..

عم الصمت داخل السيارة بينهما واكتفت سارا باختلاس النظر
له كل لحظة وأخرى..

ركن احمد السيارة أمام شقة سارا ثم ترجل منها وقبل أن يغلق
الباب خلفه نظر لسارا قائلا بصرامة وصوت مخيف

((هيا يا سارا انزلي منها))

كتفت سارا ذراعها قائلة بعناد ومكابرة

((لا أريد))

حذجها احمد بنظرات غاضبة جدا ومستعرة وسرعان ما اغلق باب السيارة من جهته بعنف ودار حول السيارة ليفتح باب السيارة من جهة سارا..

وبنفس الطريقة السابقة حملها على ظهره كشوال بطاطا..

تخدرت سارا مرة أخرى متفاجئة من حمله لها لكن سرعان ما وعت على نفسها وبدأت تضرب ظهره بعنف وهي تصرخ بصوت عالي جالية انتباه من حوله بالشارع

((اتركني.. هيا اتركني.. اتركني يا احمد))

شعر أحمد بإحراج شديد وهو يمشي أمام مرأى الناس حاملا زوجته العنيدة بهذه الطريقة المخزية لكنه استمر بحملها نحو شقتها..

شعر بالإرهاك وهو يصعد بها الدرج من شدة تحركها وصراخها أن ينزلها إلا أنه رفض حتى فتح باب شقتها بمفتاحه الإضافي المتواجد عنده..

ما إن دلف للشقة حتى قامت سارا بسحب ذراعه لتعض يده ككلب مسعور مما جعل احمد يسقطها أرضا متألما من عضها له..

وقبل أن تتحرك سارا من مكانها قام مباشرة بصفعها تحت ظهرها وهي مرمية أرضا بقسوة مما جعلها تنقلب على نفسها وتبدأ برشقه بأعلى صوتها كل أنواع السباب والشتائم..

لكن تراجعست سارا بهلع للخلف وهي تراه بيدأ بفك أزرار
قميصه بتعجل ويلحقه بحذائه قاتلا من بين لهائه

((حسنا يا سارا دعينا نتأكد من موضوع تقصيري بحقوقك
الزوجية))

ثم انخفض نحوها وقرب وجهه منها ليلتقط شفيتها مكتسحا
إياها..

حاولت أن تقاومه لكن إلحاحه بتغيير رأيها عنه وتشديد
احتضانه لها وهو يكاد يعصرها بين ذراعيه جعلها ترضخ له..
لكن استسلامها جعله فاقدا للسيطرة على نفسه وهو يراها تغيب
لعالم آخر..

وبدءة بدأ تفكيرها يتعمد الذهاب لمشاهد قديمة من الماضي
وهي تواسي نفسها بتخيل راجي مكانه..

كانت تستعيد مشاهد كيف كان راجي بيدأ الأمر بخلع قميصه
ورميته بإهمال على الأرض ثم يستمر بخلع قطع ملبسه تباعا
ويكشف أكثر وأكثر من جسده الرجولي بفخر مظهرا عضلاته
المشدودة لها..

ومن هنا همست سارا باسمه أكثر من مرة مما دفع احمد أن
يبعد وجهه عنها وأنفاسه تخرج مهتاجة عالية..

جحظت سارا عينيها بصدمة أكبر من صدمته لما همست به من
بين شفيتها وهي تهز رأسها برفض لا تصدق ما قالته..

بهلع وارتباك وقفست سارا من مكانها وهي تقول بندم واضعة
كلتا كفيها على فاهها

((احمد.. أنا اسفه.. اسفه.. اسفه بقدر عدد النجوم في السماء..
لا أدري كيف نطقست اسمه.. قلته عن طريق الخطأ صدقتي))

ساد الوجوم والصمت أرجاء المكان إلا من أصوات انفاسهما
المضطربة..

انتبهت سارا لأحمد يطالها بغضب مستعر ووجهه المظلم
بشدة..

حتى عينيه كانت أكثر ما يرعب به وهو واقف مكانه يحرق بها
لتقول سارا له بتلعثم وهي تعود بخطواتها للخلف

((اهدأ لا تتهور.. قلت لك أني نطقت اسمه بغير قصد مني))

تهجم احمد عليها يمسكها من مقدمة قميصها يكاد يخنقها هادرا
من بين أنفاسه المتوحشة

((وماذا تتوقعين مني أن أقول بعد أن اسمع زوجتي المصون
ألـ**** تنطق اسم زوجها السابق على لسانها))

حاولت سارا بقوة نزع يديه عنها وهي تقول باختناق

((والله لا اعرف كيف نطقته يا احمد.. أنا حقا اسفه))

بعنف اشد دفعها احمد بوحشية جعلتها ترتد بجسدها للخلف فتقع
لاهثة متقطعة الأنفاس على طاولة المكتب مستندة بمرقبيها
وهي تسمعه بصرخ عليها بانفعال

((هل ما زلتي تحملين مشاعرا له؟ أجيبيني أيتها ألـ****))

مرت عليها لحظات حاولت سارا فيها أن تأخذ أنفاسها
المخطوفة لتقول من بينهم بإصرار وتهديد واهن

((اخرس أنا لا اسمح لك بإهانتني.. أخطئت واعتذرت منك..
يكفي هياجنا مثل الثور))

وما إن تحولت ملامحه لأكثر شراسة انتفضت سارا مكانها
هاربة نحو حجرة النوم ومغلقة الباب خلفها بسرعة البرق..

بدأ احمد يطرق الباب بكلتا يديه صارخا بنبرة كلها شر
وغضب مستعر بداخله ينتفض انتقاما لرجولته التي أهدرتها
((تبا لي.. فلأذهب للجحيم في اللحظة التي قررت فيها الزواج
منك))

كان احمد عنيفا بضرباتهِ على الباب لدرجة أن خافت سارا أن
يودي بحياتها للموت لو فتحت له الباب لتقول له بصوتٍ لين
بمحاولة تهدئته

((حُبي احمد اهدأ.. اهدأ يا حبيبي.. ما ذنبي أن نطقت اسم
راجي بلساني؟ أنا فعلا انفصلت عنه لأنني شعرت أنني لا احبه
وان زواجنا كله من البداية كان خطأ.. لكن لا أدري ما خطب
مشاعري متشتتة هذه الأيام))

نظر احمد أمامه بسخرية وهو يقول لها بينما صدره المنتفض
يحاول التقاط الأنفاس

((والآن؟ هل اكتشفت أنك تحببته واني نزوة مثلا؟))

تتهددت سارا مكانها واستدارت تعطي للباب ظهرها وهي تقول
بحيرة وكأنه يتحدث معها بموضوع جدي

((لا أدري.. لا أدري.. أنا احبك يا احمد.. ولكن افهمني..
أحيانا اشعر بانني اشتاق لوجودي معه ولا زلت احبه.. فأنا
تطلقت منه فجاءة وتزوجتك على الفور.. وبالتأكيد لن أستطيع
التخلص من حبه بهذه السرعة حتى ولو أحببتك أنت الآخر..
احمد.. أعطني مجال.. سنة.. سنتين.. وأنت وهِمَّتْك.. كل ما
كنت اذكى ستستطيع أن تكسب المزيد من حبي وستكون القطعة
الأكبر بقلبي من نصيبك))

قال احمد من خلف الباب مذهولا وبنبرة قوية على الرغم من
كيانه المنتفض

((رباه.. تحيين غيري! وفوق هذا كله لا امتلك النصيب الأكبر
من الحب فيه؟))

وصله صوت سارا المتوسل له بالتفهم

((أرجوك يا احمد كن متعاوننا معي بهذا الأمر.. أنا أيضاً أريد
إخراج راجي من حياتي بعد أن تزوج فساعدني على ذلك))

رمشت عينا احمد عدة مرات وتاهت نظرتة للحظة يحاول أن
يعي ماذا تطلب منه زوجته المصون قبل أن ينفجر صارخا
بقوة وهو يطرق الباب بضربات عنيفة هاتفاً

((إذن عندما أسجنك بالبيت ولا اسمح لك برؤية كائن حي لا
تلوميني.. فأنا أخاف على قلبك البسكويتي أن يتحرك لغيري
فكما أرى أنك مسكينة لا تتحكمين في مشاعرك.. والله لو قالت
هذا الكلام امرأة غيرك ابنة عالم وناس محترمين لقطعت
لسانها.. لكن لا عتب على ابنة الشوارع))

وصله صوتها هادرا بدهشة واستنكار

((أنا ابنه الشوارع؟ حسنا يا احمد.. حسنا))

استند احمد على الباب وهو يشعر أن جسده قد يخذله في أي
لحظة ليصله صوت سارا المرتاب من الهدوء الذي عاد ليعم
المكان

((إياك أن تكسر الباب يا احمد.. أنا لم افعل لك شيء يستحق
غضبك.. قلت لك أنني احبك بنفس الوقت الذي أحب فيه راجي
ولم اقل ما قد يستدعي غضبك.. فهل تريد مثلاً أن اكذب عليك؟
هل هذا يرضيك؟))

هدر احمد بها بصوته المنهك

((أقول لك افتحي الباب.. لن افعل لك أي شيء ولكن افتحي
الباب))

قالت سارا له صارخة برفض شديد

((لن افتحه وإياك أن تفكر بكسره.. قلبي الذي يحب لا أنا..
كيف تريد مني أن أتحكم بقلبي؟ إذا كانت لك مشكلة حاسب
قلبي لا أنا))

ضغط احمد على أسنانه ليقول لها بينما يعود لضرب الباب
بكلتا يديه

((افتحي الباب وسيكون كل حديثي موجه لقلبك فقط ولن امسك
أنت بسوء.. سأغرس خنجرا بقلبك.. فأنا أريد قتله هو لا أنتِ
أيتها الحقيرة))

صرخت سارا به بصوتٍ عالي بتهديد ووعيد جدي

((احمد اخرج من شقتي أو اقسام لك أنني سأتصل بالشرطة
وأقول بان زوجي يحاول قتلي.. سأقول أيضًا أنك تبتزني لأجل
الحصول على أموالتي وتحاول قتلي لترثني.. ثم ليكن بعلمك لو
أحببتك أنت أو غيرك))

أخذ احمد نفسا يدخل الهواء لصدره قبل أن يسقط على ركبتيه..
ثم جلس أرضًا يدفن وجهه بكلتا يديه ببؤس..

=====
=====

انتهى الفصل

تململت رانسى في سريرها بينما تحاول النوم..

سابقا.. كانت متمسكة بما اكتشفته عن راجي بأنه رجل مستبد
لا يهتم إلا بنفسه ولا يبالي بمشاعرها..

ولا حتى يقدر الظروف التي تمر بها ويطالب بحقوقه من دون الاكتراث لحالتها النفسية التي تمر بها أو مراعاة الضغوط التي تكون عليها خلال اليوم..

إلا أنها استغربت ما حدث هذا الأسبوع..

فهي ظنت بأنه سيغضب جدا عندما تمر بعذر شرعي يمنعه عنها لأيام فهو لا يعاملها كزوجة تشعر وتتألم وتتعب بل كآلة يطلب منها شئونه وإذا ما توقفت الآلة يغضب..

إلا أنه بقي يتصرف بشكل طبيعي معها باستثناء تأخره في الصعود لحجرة نومها حتى يتأكد من نومها قبله..

تتهدت رانسي ببؤس..

لقد سبق ورفضت الكثير من الرجال ممن تقدموا لها لأنها لا ترى فيهم الرجولة ولا المسؤولية إلا أنها سرعان ما وافقت على طلب زواج راجي بالرغم من أنه وضوحه لها بأنه لا يريد..

وذلك لأنها انجذبت له من البداية ولمدح جالا المستمر له كما أنه بدا من النوع الذي يعرف كيف يفرض احترامه وتقديره على الجميع..

لكنها لن تنكر أنها بدأت تنظر له نظرة دونية عندما وجدت أنه لا يراها إلا وسيلة يتعبها وينهكها جسديا لإشباع رغباته بالرغم من أنها تتصرف مثل الجثة ولا تتفاعل معه بأي شيء..

فما الذي يعجبه بالقيام بالعلاقة مع جثة؟

لم تكن هذه هي فكرتها في الزواج..

والمشكلة أنها لا تستطيع الشكوى لأحد هذا الأمر وإلا ستجد الرد أن ما تشنكي منه تتمناه نساء كثيرات جداً يشنكين من تقصير أزواجهن في هذا..

ولكنها لا تحتاج إلا لمسة حنونة.. مسحة رأس.. تربيبت على
الظهر.. احتضان.. تدليل..

هذه الأمور هي ما ترى فيها تعبير عن مشاعر الحب والحنان
والحماية..

لمرة ثالثة عادت رانسي تتنهد وهي تتقلب بالفراش أكثر..

شعرت الليلة بأن النوم سيجافئها طويلا وفعلا بقيت مستيقظة
حتى سمعت وقع أقدام راجي تقترب من الحجرة قبل أن يفتح
الباب..

فتحت لرانسي عيناها عندما شعرت به يفتح زر الإنارة الخفيف
حتى يبدل ملابسه البيئية لمنامة نوم مريحة..

طالعتها راجي بطارف عينه ليعرف أنها ما تزال مستيقظة..

سمعها تقول بصوتٍ مرتجفٍ يحمل بعض التردد وهي تعتدل
جالسة على سريره

((راجي هل يمكن أن أقول شيئا لك؟))

هز كتفيه بلامبالاة يعطيها إشارة أن تكمل بينما يرفع غطاء
سريره..

لكن جراءة وصراحة ما كانت ستقوله جعلها تتردد لتعتدل نصف
جالسة على سريره..

جلس راجي على سريره وضيق عينيه بارتياح لتخبطها وتلثم
كلماتها..

لكنه حافظ على صمته وثبات نظراته لها حتى تحكي ما
بجعبتها..

انتبهت رانسى لنظراته المصوبة نحوها لتستجمع أنفاسها
للحظات ثم تدفقت الكلمات ببطء وخفوت من بين شفثيها قائلة
وهي تطرق رأسها

((راجي.. هل يمكنك.. تقبيلي أو معانقتي؟))

فغر راجي فاهه وقد صدمه طلبها لتتسع عيناه..

وسرعان ما عقد حاجبيه وهو يمدد نفسه فوق فراش السرير
قائلا بصوتٍ عميقٍ منخفضٍ بينما يعطيها ظهره

((ليس الآن يا رانسى))

ارتفعت زاوية شفاه رانسى بتهكم صامت لما قاله..

ليس كأنها توقعت غير ذلك فهو لا يبحث إلا عن إرضاء نفسه
فقط ولا يعبا بمشاعرها أو رغباتها ولا يوجد لديه أي استعداد
لتلبيتها..

لكن على الأقل أجابته كانت أهون بكثير من لو قال "لا أريد"
أو "متعب"..

عادت رانسى تستلقي وإمارات الألم تظهر عليها بشكل واضح
لو لم يكن الظلام الدامس منتشر بالحجرة..

قمة ألمها تكمن في امتلاكها روح تهفو إلى لمسة من الحب ولا
تجدها..

بينما راجي الذي كان راقدا على سريره ويعطيها ظهره بمجرد
أن سمع انتظام أنفاسها حتى اعتدل من سريره واقفا ليعاود فتح
زر إنارة المصباح الخفيفة بجانبه..

طلبها الغريب كشخصيتها بأن يعانقها أو يقبلها جعل النوم يغادر
عينيه رغم تعب من بعد هذا اليوم الطويل..

دنا راجي من سرير رانسي النائمة بسكينة في سريرها وبدأ
يتأملها بوجهه الخالي من الملامح لدقائق لم يشعر بها..

حرك راجي نظراته ليلمح المنضدة الموضوععة بزواوية الحجرة
والتي كانت قد وضعت عليها احدى قمصانه الأنيقة المُكوّاة
والنظيفة مع بنطال قماش اسود من أجل عمله بالغد..

ثقتها بذوقها جعلتها تتماذى وتختار لون ساعته التي وضعتها
أيضا بجانب ملابسه..

ارتفعت شبه ابتسامه من زاوية فمه قبل أن يأخذ نفسه ليغلق
الإنارة ثم يسحب غطاء سريره ليرقد عليه مجدداً..

وضع راجي يديه تحت رأسه واستغرق وقتا بالتفكير بأمور
عديدة قبل أن يجافله النوم..

وأغلب تفكيره كان متعلقا بالتغير الملحوظ الذي بدأ يراه في
حياته منذ زواجه منها رغم قصر المدة..

خاصةً وهي تعامله تقريبا كأنها مثل أي زوجان طبيعيين..

.

.

في صباح اليوم التالي..

أنهت رانسي كي ما تبقى من ملابس لم تقم بكيها في الأمس ثم
بحركاتٍ رتيبة طوتها قبل أن تضعها في دولااب ملابسه
بتنظيم..

قطع أفكارها صوت الباب الذي فُتح لتنتبه على خروجه من
الحمام المرفق لحجرة نومهما..

دلف راجي للحجرة بينما يجفف شعره بإحدى المناشف..

ودون أن يلتفت إليها امتدت يده للشباب التي حضرتها ووضعتها
له على حافة السرير..

قالت له رانسي ببرود غريب عليها

((لقد اعتدت لك الفطور بالأسفل))

رد راجي عليها بجفاءٍ عفوي اعتادت عليه منه

((حسنا))

في الأسفل..

قال راجي وهو يجلس على كرسيه المعتاد بالمطبخ

((ماذا ستعدين اليوم على الغذاء؟))

ورغم أن السؤال كان مبادرة نادرة منه وكانت لتفرحها في
وقت سابق..

إلا أنها أجابته بهدوء ممزوج بالحزن والرقّة وهي منشغله
بترتيب بعض الأواني بالمطبخ

((هل هناك شيء معين تريد مني أن اصنعه؟))

هز راجي كتفيه قائلاً بتلقائية

((لا شيء معين.. يمكنك صنع ما تريدين))

اقتربت منه رانسي واقفة بجانب كرسيه تضع له بعض الجبن
ورقائق البطاطا في طبقه كما عاداته التي حفظتها عن ظهر
قلب..

بياض عنقه اظهر شريانه النابض واضحا لرؤيتها خاصة
بقربها منه بهذا الشكل..

مما سرّع في خفقات قلبها التي نبئت بتوترها مما جعلها تُعجل
بإنهاء طبقه وتبتعد عنه..

بينما رفع راجي حاجبيه وهو يرى تحركاتها..

وتسائل بنفسه إذا ما كانت متضايقة لأنه رفض تقبيلها بالأمس
فهي وضعت الطعام له بصمت دون أي مبادرة بالكلام..

عقد راجي حاجبيه قبل أن يضع ما في الشوكة بفمه..

هل هي غاضبة منها وتخاصمه؟

فهي حضرت له الطعام كالعادة واهتمت بأمره وكل ما يحتاج
أيضا كالعادة إلا أنها قامت بكل هذا وفي عينيها لمعة حزن..

رفع نظره لها يطالع تحركاتها وتقاسيم وجهها بتركيز وتدقيق
أكبر..

نعم.. هي غاضبة منه.. وبشدة..

يستطيع معرفة ذلك جيدا رغم أن غضبها خالي من أي انفعال
أو عصبية..

غضب حزين فقط..

كأنها ترغب في أن تجعله يشعر بلمسة حزنها ليعرف أنها فعلا
غاضبة منه..

لكنه هز كتفيه بلامبالاة وهو يذع الشوكة بفاهه ثم يبدأ بتناول
الطعام من طبقه..

وكأنه يهتم بحديثها من الأساس ليفرق لديه غضبها أو إذا ما
قررت خصامه..

أنهى راجي طعامه تزامنا مع دلوف جالا للمطبخ وهي تقول
بصوتٍ ناعسٍ متذمر عقب أن غسلت وجهها وجففته

((أتمنى لمرة واحدة فقط أن تنتظروني على الفطور))

قالت لها رانسي بمرح وهي تراها تسحب كرسيها بجانبها

((أنا لم أكل كثيرا لأنني بصراحة كنت بانتظارك.. لكن راجي
مضطر الآن الذهاب لعمله))

انتصب راجي من مكان ليغسل يديه..

جففهما ثم التقط سترة حلته للمغادرة فوقفت رانسي من مكانها
شاهقة كمن تذكر شيئا لتقول

((لحظة يا راجي))

وبلهفة جلبت له ورقة فأخذ منها راجي الورقة باستغراب وبدأ
يقرأ ما فيها وهو يسمعها تقول له بابتسامه صافية

((هذا ما ينقصنا بالبيت.. كتبته على ورقة.. أمامك الأسبوع
كاملا.. احضرهم متى تريد))

هز رأسه بإعجاب وعينيه مستمرتين بالقراءة بينما يقول

((أكثر شيء احبه فيك يا رانسي التنظيم.. أنت لا تصرعيني
مثل بقية النساء بحياتي.. يخبروني ما ينقصنا بنفس اللحظة
ويطالبوني بإحضارها حالا))

عقدت جالا حاجبها لتقول له بنبرة حانقة ومتذمرة

((راجي هل تقصدي أنا؟))

نظر لها راجي قائلا ببراءة وهو يضع الورقة بإحدى الجيوب
الداخلية لسترته

((لا أبدأ أنتِ غسل.. لبيت كل النساء مثلك.. لكني فعلا احبك
طريقة رانسى.. تجعلني اندهش واشعر بالراحة باقي الأيام
لعلمي أن لن أتلقى طلبات متفاجئة))

ثم نظر لرانسى مكملا

((من الأساس أنا أراها نادرا ما تطلب منك شيء))

ابتسمت له رانسى مرة أخرى ابتسامة جميلة وبعيدة كل البعد
عن الحزن الذي كان مرسوما على وجهها قبل قليل..

ثم دنت منه بشكل خطير تقبل وجنته برقة وأبقت وجهها قريب
منه تستنشق رائحته الرجولية الممزوجة بعطره النفاذ القوي
بينما تقول له بصوتٍ عذب

((هذا لأنى لا أريد إلا سلامتك))

رفرف راجي بعينيه وبصدمة انعكست على وجهه تسبب
بارتباك طفيف لم يظهر عليه..

وعندما انتبه أن عيناه بعينها أشاح بهما بعيدا متحنحا ثم غادر
المطبخ بهدوء..

هل تعمدت تقبيله الآن أمام جالا حتى لا يوبخها على هذه
الحركة المفاجئة أم تعلمه كيف ينفذ لها طلب أمس في حالة
قامت بطلبه مرة أخرى منه؟

نظرت جالا بشقاوة لرانسى وهي تعود لتجلس بجانبها بانتعاش
لكنها لم تخض بالموضوع أي شيء حتى لا تشعرها أنها تقتحم
عليهما خصوصيتهن بالمنزل الذي يعيشون فيه..

فبالرغم من أنها تشغل حجرة نومها وحجرة أخرى لبنتيها في
الدور الأول إلا أنها تشعر بالذنب لوجودها هنا فربما تكون هي
سبب بعدم ارتياحهما..

نعم تشعر صدقًا بعدم انسجامهما لذا قبلة رانسى له بدت قليلا
مفاجئة لها..

نظرت جالا لرانسى وهي تقول لها

((لماذا لا تقضيان نهاية الأسبوع مع في الخارج؟))

استكانت ملامح رانسى وهي تنتظر لجالا لتقول بتوتر

((يحب أن يقضي نهاية الأسبوع وأيام الإجازات بالنادي مع
أصدقائه كالعادة))

عقدت جالا حاجبها وهي تتساءل بانزعاج

((ليس من المعقول أن يقضي كل أيام إجازاته بالنادي مع
أصدقائه.. اخبريه أن يقضي وقت بالبيت أيضًا.. إلا يستطيع
ممارسة الرياضة هنا معك بالبيت؟))

قالت رانسى بنبرة باهتة قبل أن تعود للنظر بطبقها

((لقد ذهبنا عند عمي بإحدى إجازاته الماضية.. ليس من
المعقول أن اشغله معي بكل إجازة له))

تمتت لها جالا بامتعاض

((ليس كأنك تضيقين الخناق عليه.. لا باس بطلبك منه أن
يقضي بعض الوقت في الحديث معه أو الخروج للتنزه))

لكن لم ترد عليها رانسى وهي تفكر بأنها فعلا حاولت شغله أيام
الإجازة عن هوايته بممارسة الرياضة إلا أن محاولتها باءت
بالفشل..

وبالنهاية قررت أن تعتاد الأمر وتستسيغه وتصل إلى تركه
يفعل ما يشاء وضرورة قضاء وقتها في ممارسة هوايات لها
قديمة تشغل وقتها فيها..

=====
=====
عندما حل ظلام استلقت جالا على بطنها وغمرت وجهها في
الوسادة وبدأت بذرف الدموع..

لماذا؟ لأنه من البديهي عند تعرضها لمشاعر اشتياق كهذه
لمراد أن تعبّر عن شوقها وألمها عبر الدموع..

لطالما كانت سريعة البكاء.. ويوجد لها دموع لكل شيء يمر
عليها..

فهي باختصار عبارة عن كتلة مشاعر بمزاج متقلب..

رفعت جالا وجهها عن الوسادة شاهقة بخفوت بعد أن سمعت
همسا رجوليا يناديها من جهة الشرفة التي تتركها قبل أن تنام
مفتوحة بشكل متعمد..

فزت جالا من سريرها وهي ترفع أناملها لتمسح دموعها قائلة
بصوتٍ متوجس

((مراد؟ هل هذا أنت؟))

رغم الشعور بالراحة الذي بدأ يتسلل إليها لرؤيته وهو يتسلل
من الشرفة ويدخل لحجرة نومها بعد افتقادها له كثيراً..

إلا أنها قالت له بحدة ظاهرية تحاول مداراة عيناها اللتان
تفضحان شوقها المهول له

((مراد ماذا تفعل؟ هذا المرة كم الذي تأتي فيها خلال هذا
الشهر لهذا؟))

رسم مراد لها ابتسامة الدافئة والتمعت عيناها بشقاوة وهو يعرف
أنها تتعمد أن تترك شرفة غرفتها مفتوحة له..

أمعن مراد النظر فيها وهو يقول لها مشاكسا

((الست أنتِ من ترفضين العودة؟ تحملي زيارتي الخفيفة هذه))

تنهد مراد متأوها وعطرها الحار يتسلل إليه فيسترخي قليلا
لينظر لها بتعب وهو يجلس على طرف سريرها بينما يسمعها
تقول متخصرة

((نعم ارفض العودة وارفض أن تضل تأتيني متسللا بأنصاف
الليالي))

ثم تابعت بمنطقية غير محببة لقلبها

((أنسى أخي.. ماذا لو رأك أحد تتسلل لشرفة حجرتي بهذا
الوقت؟))

عضت على شففتيها بحنق وهي تراه يغمز لها بشقاوة هادرا
((زوج يتسلل لغرفة زوجته.. ما الخطأ بذلك؟))

سألته عاقدة الحاجبين

((وأنى لمن يرانا أن نتبين له ملامح وجهك بهذا الظلام
الحالك؟))

ضيق مراد عيناه يخبرها

((لا تبالغي يا جالا فشرفتك غرفة غير ظاهرة للجيران))

ارتفعت أنفاسه شوقا لها ليقول بصوتٍ عميق مؤثر

((لقد اشتقت كثيرا لك))

تجاهلت جالا كلامه وهي مستمرة بالقول بحنق ظاهري

((تخيل أن يخرج راجي للخارج ويرى سيارتك مركونة أمام
المنزل؟))

أمسك مراد بها بطريقة أجبقتها وهو يحملها بين ذراعيه ليقول
لها ضاحكا بخفوت

((دعبيك من أخيك وركزي معي.. أريد النوم.. أنا متعب جدا يا
جالا.. جدا..))

لانت ملامح جالا بينما تطالع وجهه الذابل والإرهاق الواضح
عليه..

ثم ابتسمت له وهي تحيط عنقه بكلتا يديها قائلة

((مع أن رورو ولين سألن عنك كثيرا اليوم لكن لن أستطيع
إيقاظهن حتى يرينك حتى لا يفتعلن فضيحة ويعلم كل من في
البيت أنك هنا))

ثم ظلت للحظات تركز بعينها على ملامحه التي تضج باختناق
الشوق قبل أن يقول مراد لها

((دعينا ننام الآن هنا))

هزت جالا رأسها بقلة حيلة مستسلمة لما يفعل وهي تراها
يمدها على السرير ثم يتأكد من إغلاق باب حجرتها وباب
الشرفة بإحكام..

عندما تمدد مراد بجانبها حاولت أن تعترض برفق إلا أنه قال
لها بصوتٍ مشتاق ونبرة مكتومة فاقدة للسيطرة

((جالا دعينا نتمدد فقط.. لا أريد أي شيء إلا أن أغمرك
بأحضانتي))

استرخى جسدها ليضمها مراد إليه ممسدا فوق شعرها بهدوء..

بقيا على هذا الحال لدقائق طويلة وهي تتوسد صدره وتشعر
بدقات قلبه النابض وأنفاسه الدافئة..

حاولت جالا أن تقاوم النوم الذي يحاول أن يتسلل إليها من
الدفء الذي شعرت به لتهمس بخفوت

((مراد))

فتح مراد عيناه لتقول جالا بنفس الهمس الخافت وهي تستند
على ذراعها ناظرة إليه إلى عينيهِ مباشرة

((أنت تعرف أن صديقتي تركت عملها بمجرد أن تزوجت
أخي))

همهم مراد لها لتسترسل قائلة وهي تطرق بعينيها للأسفل

((جاءت متدربة بديلة عنها ولكنها سرعان ما تركت العمل لذا
اتصلوا بي لسؤالي إذا ما كنت ارغب في العودة.. ما رأيك؟))

لم ينتظر مراد كثيرا قبل أن يقول لها بصوتٍ هادئ

((حسنا يمكنك ذلك))

عقدت جالا حاجبها باستغراب وهي تراه يوافق ببساطة بلا
إظهار أي امتعاض أو اعتراض لتقول له بتلقائية متسائلة

((حقا يمكنني ذلك؟))

هز مراد راسه بعفوية قائلا وهو يطالعها ببساطة

((نعم وما المشكلة؟ مجرد عمل تطوعي لعدة ساعات بالنهار..
لا بأس به))

تعلقت عينها الدامعة بلامحه في عتاب لكل لحظة ماضية
رفض بها هذا العمل لتسأله بثبات غاضب

((إذا لماذا دفعتني بالبداية أن اتركه بحجة تربية البننتين؟))

رفع أنامله يمررها فوق وجنتها الناعمة وهو يقول لها بعبوس

((جالا توقفي أرجوك عن ذكر الماضي))

إلا أنها تابعت بوجوم معاتبة

((لان والدتك أخبرتك ألا تسمح لي بالعمل جعلتني أتوقف
للذهاب إليه رغم رضاك عنه.. والآن إذا ما غضبت والدتك من
موضوع عملي هل ستعود لتجبرني أن أتوقف عن الذهاب
له؟))

كان سابقًا يخشى إن بين لجالا أن والدته مخطئة أن يقوى
موقفها أمامه وتتجرأ عليه..

تنهد مراد ثم قال لها بثبات وجدية وهو يعتدل قليلا من نومه

((لا جالا لن افعل.. وأمي صدقيني لن تدخل أبداً من الآن
وصاعدا.. وضمن لك هذا المرة أن كل شيء سيكون مختلف
وسأعرف كيف أتحكم بزمام الأمور بعد عودتنا.. هذا وعد
مني))

أطرقت جالا رأسها قليلا..

وهي سبق وقالت له أنها ترى فيه كل التغير الحاصل من طرفه
لكن مشكلتها هي أنها لا تضمن التغير بعائلته خاصة والدته
فضلا عن تراكمات نفسية تجاههم لا تستطيع تجاوزها..

فكثيرة هي الليالي التي نامت بسببهم حزينة لتستيقظ باليوم
الثاني مُحمرّة الوجه ليبدو عليها الهزل من كثرة البكاء
واضحًا..

سمعته يردف وهو يعيد احدى خصلات شعرها المتمردة لخلف
أذنها

((ولكن أرجوك اعلمي أيضًا أن من حق والدي عليّ إكرامهما
وحسن معاملتهما حتى عند سعيهما المعتاد في التدخل في
شؤون بيتنا فالنار لا تُطفأ بالنار بل بالماء))

هزت جالا رأسها لكلامه برقة لبيتسم لها وهو يحيط ظهرها
بذراعه ويعيد يغمرها بأحضانه..

أنه فعلا يحاول في الأيام الحالية أن يفرغ نفسه لقراءة الكتب
ومتابعة دورات بسيطة عن الحياة الزوجية..

قد يبدو الأمر سخيفا خاصةً وسط انشغاله الشديد جدا بعمله إلا
أنه فعلا اكتشف أشياء كثيرة كان لا يعرفها..

كان عليه من البداية أن يتغلب على أنانيته ويقاوم ميله بمواقف
كثيرة تجاه أهله..

كان عليه أن يشفق عليها ويعيد النظر في موقفه غير العادل
فانحيازها أحيانا لجهة عائلته ضد جالا هو ما جعل الأمور
تتطور إلى هذا الحد من الجدل والتراشق بالتهم ثم إلى زج
علاقتهم الزوجية في متاهة الخلاف والشقاق..

بنفس الوقت.. في منزل محمد الدال..

تقلب محمد بنومه حتى سمع بوابة المبنى الخارجية تُفتح فهز كتف
زوجته بكفه يخبرها بتوجس

((هل هذا مراد من خرج؟))

اتسعت عينا روعة الناعستان وهي ترفع رأسها من الوسادة
قائلة بدهشة

((ماذا تقول؟))

كرر عليها محمد السؤال لتزفر روعة بضيق وتعرف أن ابنها
كعادته ذهب ليقضي الليلة وينام عند زوجته فقالت له

((وما أدراني أنا.. أسأل اليواب غدا صباحاً))

ظهر الضيق على وجه محمد فعبست روعة لضيق زوجها..

تنهدت بعمق وبعد دقائق قالت بغتة له

((محمد يا عزيزي كنت أقول بنفسي أنه ألم بطل بقاء جالا بيت
أخيها؟ مراد يعيش مثل الأعزب منذ ربما أشهر))

ظهر الامتعاض على وجه زوجها محمد وهو يقول بخشونة بالغة

((إلى ماذا تلمحين؟ هل قلت لك أنني أمانع أن تزوجه؟ بل أحب
ما على قلبي ولكن أفتنيه أولاً))

قالت روعة له بامتعاض

((ولدك تغير وصار عنيدا.. ونحن الاثنان نعرف أننا لن
نستطيع إقناعه أبداً بالزواج حتى ولو رفضت ابنة سميحة
العودة هنا للأبد.. قلبه وعقله انفقوا على أنه لا يريد لإمرأه
غيرها أن تربطه بها أياماً وليلال حالكات ومؤسسات))

الجملة الأخيرة خرجت من روعة بسخرية بالغة ومرارة ليقول
محمد هاتفا بنبرة عالية لا تناسب هدوء الليل

((وماذا نفعل إذا؟ لا تحلمي أن اذهب لإحضارها من منزل
أخيها.. ولن اسمح لابنك حتى بإحضارها.. كما خرجت هي من
تلقاء نفسها ستعود وحدها))

قالت روعة له متبرمة بشدة

((ابنك يذهب عندها بكل مرة.. هل تظن بأنها لو وافقت على
العودة سينتظر سؤالك قبل أن يفعلها؟))

تكلم محمد من بين أسنانه قائلاً بانفعال

((روعة.. ماذا تريدان؟ لا أنا أتحمل النقاش لمدة طويلة))

أخبرته روعة ببعض التوتر وهي تتلملم مكانها

((كنت أقول ما رأيك أن تسمح لي بالذهاب عندها لأعرف ما هو خطبها؟))

قال محمد هاتفا بعنفٍ مكبوت

((هل تريد من أن نتوسل لها أن تعود؟))

صمتت روعة قليلاً وهي تستمع لكلام زوجها الغاضب فبهت وجهها قليلاً..

على ما يبدو أنها شحنت زوجها ضد جالا بشكل كبير وإلى حد أنها الآن أن تقنعه بما قالته بسهولة..

تنحنت روعة وهي تقول مرة أخرى ممسكة ذراعه وبصوت متوسل

((لم اقصد هذا يا أبا مراد.. ولكن دعني اذهب لأتفقد هاري ومشكلتها.. لن أعيدها ولكن أريد أن اعرف إلى متى سيبقى الحال على هذا النحو))

زفر محمد بضيق شديد ثم استدار يعطي زوجته ظهره هاتفا

((افعلي ما تريدين ولا تدخليني بالموضوع.. لقد سئمت من مشاكل ابنك وزوجته التي لا تنتهي))

=====

مساء..

وبينما كانت كل من رانسي وجالا أمام التلفاز بالصالة جالستان على الأريكة..

استندت جالا رأسها على كتف رانسى وهي تتنهد تنهدًا طويلًا عميقًا..

ثم قالت جالا ما كانت تفكر منذ مدة قوله بنبرة حاولت جعلها مرحة

((كيف هو الزواج من أخي يا رانسى؟))

صدر من رانسى صوت مستغرب وهي تقول عاقدة الحاجبين

((زواج من راجي.. مثل أي زواج.. لم أفهم سؤالك))

هزت جالا كتفيها وقالت بينما تطفئ شاشة التلفاز أمامها

((لا اشعر حقيقة باي تناغم بينكما))

سألته رانسى بوجوم ونبرة مبهمة

((ماذا تقصدين؟ لم افهم؟))

استدارت جالا لها ببطء وهي تبتسم بأحراج تداري سخافة طريقة كلامها وتدخلها فيما لا يعنيهها..

ثم قالت لها بعفوية وهدوء وهي تحاول الدخول بصلب الموضوع

((أنا لم أخبرك الكثير عن زوجته السابقة.. ولكن صدقيني لو عرفتها عن قرب سنتعجبين كيف تزوج من امرأة مثلها))

ساد الصمت للحظتين بينهما ثم سألتها رانسى بصوتٍ فاتر

((جالا لا أفهمك.. ما الذي جلب سيرة زوجته السابقة؟ الم تقولي إنك سمعتي بأنها تزوجت))

تابعت جالا كلامها وهي تجلس متربعة على الأريكة لتكمل باهتمام

((دعيني أكمل لك سبب بقائه معها طوال المدة الماضية رغم أنها من نوعية النساء التي يكرهها.. هل تريدان أن تعرفين لماذا؟))

تتهددت رانسى بصوتٍ مسموع وقد بدا عليها الانزعاج من الخوض بهذا الموضوع..

ثم قالت بجمود وهي تحدق في الأرض بوجود وعدم رغبة حقيقية بالمعرفة ((لماذا؟))

أجابتها جالا بنفس تركيزها السابق

((ليس راجي وحسب بل أي رجل قد يتغاضى عن نواقص زوجته في كثير من الأمور متى تحقق له مطلبان أساسيان فقط.. الرجل فقط يريد متعة الفراش الحقيقي.. وإحساسه بأنه مقبول من زوجته وأن تشعره انه رجل له قيمته.. هل أكمل؟))

ظلت رانسى صامتة طوال كلام جالا وساكنة بينما ملامحها هادئة تماما دون أي تعبير يعكس ما بداخلها..

لكن سرعان ما اتسعت عيناها نهاية الحديث..

فرفعت نظرها تحديق بوجود شديد لجالا التي فتحت لها يديها قائلة باستنكار

((لماذا تنظرين لي بهذا الشكل؟ كف عن أخذ أفكار وردية عن الرجال.. راجي كغيره.. يجب عليك أن تجعلي العلاقة بينكما أولوية.. فهي سنزيد تقاربكما عاطفيا..))

قاطعتها رانسى قائلة بنبرة جليدية شديدة الخفوت

((جالا كيف تتحدثين معي بهكذا أمور؟))

تفهمت جالا ما تحاول إيصالها لها فقالت لها ببراءة

((أنا أحاول المساعدة فقط فأنا اعرف أشياء مجدية عن أخي
سننفعلك))

ابتسمت لها رانسى ابتسامة غير ودية وهي تقول لها

((شكرا لك.. ولكن لا أحبذ التحدث بموضوع شديد الحساسية
أو عن أمر يخصني أنا وزوجي مع أي أحد آخر.. حتى لو
كانت أخته))

كان لهجة رانسى صارمة وقاطعة فعبست جالا وهي تزم
شفقتها مغمغمه

((كنت أحاول المساعدة فقط.. صدقيني راجي رجل حار..
استطاعت سارا السيطرة عليه كليا من خلال هذه الأمور.. مهما
كنت زوجة مثالية لن تستطيعي أن تكوني كافية لو لم تحاولي
أن تسعديه في غرفة..))

عادت رانسى تزجرها بغضب وصرامة

((جالا اخرسي ولا تدخلني بهذه الأمور الخاصة))

حاولت جالا التبرير مجددا

((صدقيني أنا فقط أحاول المساعدة لأنني اشعر بخطب ما بينكما
رغم السعادة التي تظهرانها للجميع.. لماذا اتفقت معه على
إحضار سريرين منفصلين لكلاكما؟))

أغمضت رانسى عينيها بغیظ شديد وهي تصك على أسنانها
وتشتم راجي بعقلها لإحضاره سريران منفصلان..

ثم فتحت عينيها لتقول ببطء بعد لحظات بابتسامة كيرياء
جريحة تبرر

((أنت لا تفهمين هكذا أمور.. العلاقة بين الزوجين تصبح مثيرة
في حال حصل كل زوج على سرير منفصل.. بل يصبح

الاجتماع كأنه موعد غرامي مثير.. لذلك شجعته أن نحضر
سريرين منفصلي))

وقبل أن تهجم جالا بنطق شيء قاطعتها رانسي تردف بإصرار
وحزم أكبر

((جالا يكفي للمرة الأخيرة.. أمورنا على خير ما يرام وإياك أن
تتدخل بيننا ما دام لم يشكو أحد منا عن الآخر))

همست جالا لها بصوتٍ مختنق

((لماذا غضبت؟ أنا اسفه.. كنت اقصد كل خير لكما))

أخذت رانسي نفسا عميقا ثم ردت بصوتٍ أجش مضطرب
وببعض اللين وهي تتفهم أنها لم تقصد أي سوء بتدخلها

((نعم جالا اعرف ذلك ولم اقصد أن انفعل بهذا الشكل معك..
لكن صدقيني نحن على خير ما يرام.. الأمر فقط أن مثل هذه
أمور لا يجب أن يتدخل بها أحد))

لربما سبب انفعال رانسي هو أنها ظنت أن جالا تلمح لها ولو
من بعيد أنها مقصرة مع أخيها من هذا الجانب..

لكن مالا تعرفه عن علاقتهما أنه لا يوجد أي شيء مشترك
بينهما إلا هذا الأمر..

وأن أخيها معدوم العاطفة معها وفي التعبير عن التقدير
والحب..

بل أخيها في الخارج ومع الجميع مرح بشوش أما معها يكون
بخيل حتى بالكلمات الطيبة..

أغمضت رانسي عينيها مجددا وتنفست بعمق وهي تريد أن
تشعر بالاسترخاء والتفكير في أمر يبعث على الهدوء والراحة
لها..

وبعد لحظات اعتدلت واقفة من مكانها تقول بمرح وهي تلكز
كنف جالا

((ساعد لنا الاثنتين عصيران مثلجان.. ما رأيك؟))

زمت جالا شفيتها ثم سرعان ما هزت لها رأسها بلهفة..

بعد دقائق وضعت رانسي الصينية التي تضع فيها كؤوس
العصير المثلج على المنضدة أمام الأريكة..

وقبل أن تجلس شعرت بباب البيت يُفتح فعرفت أنها هو لتتقدم
فورا من الباب وتستقبله..

دلف راجي للمنزل وهو يحمل بيديه بعض أغراض البيت التي
سبق واشتراها..

لكن تفاجأ برانسي تحمل بعض الأكياس من يديه وهي ترتفع
على مشد قدمها لتلثم جبينه قائلة بشكر

((سلمت يداك على ما أحضرته))

تتنحج راجي بارتباك وانزعاج وهو يشيح بالنظر عنها..

فما بها تتصرف هكذا وتبالغ بشكره لمجرد إحضار أغراض
البيت..

وأمام جالا!

غمغم لها راجي بوجوم ظاهري

((لا تبالغي))

ابتسمت رانسي بمشاكسة على حرجه مما فعلت لكنها لم تبالي
دام أنه يعرف كيف يمثل دور الزوج المحب واللطيف أمام
الغير فلم لا تبدأ باستغلال وجود جالا لتمثل وتعامله بالمثل بل
وتفعل كل ما تريد معه؟

دنت جالا منهما وفوق شفتيها ابتسامة ناعمة تتمايل بشقاوة
وهي تقول لأخيها هادرة

((هل أنت محرج لأنها تظل تقبل راسك أمامي؟))

زاد الانزعاج المرسوم على وجه راجي ليزفر بضيق مفتعل
وهو يترك ما بيديه ثم يصعد الدرج فوراً إلى حجرة النوم..

واغرب ما فكر به أن تصرفاتها هذه تجعله يشعر بالسعادة
والنشوة والتحليق عالياً بل ويدفعه لتقديم المزيد لها..

=====
=====

بعد مرور أسبوع..

أغلقت جالا أنوار المنزل ومرت إلى الصالة لتنتبه لأخيها
يستلقي بطوله الفارع فوق الأريكة بينما يشاهد على التلفاز
أحدى البرامج الرياضية..

وبدا أنه ليس مركزاً بشيء مما يراه بل عقله سارح بمكان آخر
وهناك ابتسامة شاردة مرتسمة فوق شفتيه وكأنه يتذكر أمراً
ما..

قالت جالا له بصوتٍ هادئٍ من خلفه تسأله

((لماذا لست نائماً إلى الآن؟))

جفل راجي على صوتها ليعتدل شبه جالسا على الأريكة ثم
أخفض صوت التلفاز بحركة هادئة بينما يحمل أداة التحكم عن
بُعد وهو يجيبها

((سأنام متى شعرت بانني أريد النوم.. توقفي عن التصرف مثل
الفزاعة))

قالت جالا له وهي تدور حول الأريكة لتجلس على الطرف
المقابل له

((هناك تلفاز بجناحك.. شاهد التلفاز فوق))

رمقها راجي باستغراب ولم يخفت عليه شحوب وجهها وكأنها
مريضة..

لكنه تجاهل سؤالها عن حالها وهو يقول لها

((هل يزعجك الصوت أو حتى يصل لغرفتك؟ لأنني أريد أن
أبقي هنا لمدة أطول فرانسي نائمة فوق))

كنتفت جالا ذراعها وهي تقول له بينما تمط شفتيها

((غريب أن تهتم براحتها))

تألقت عينا راجي بالتوجس مما تقوله ليسألها

((لماذا تقولين هذا؟))

بادلته جالا النظر قليلا ثم هدرت بخفوت وبساطة

((لا اشعر أنك تحبها))

تركزت مسامعه على حديثها وعندما لم تكمل شيئا وتململت
مكانها تشيح بوجهها لجهة التلفاز عنه سألها وهو يرفع حاجبيه

((ولماذا تتحدثين وكأنك موقنة من ذلك؟))

وضعت قدما على القدم وهي تعيد نظرها له هادرة

((هكذا فقط.. لا اشعر بحب بينكما.. كان بينك وبين سارا تناغم
أكثر))

بمزاج أفلت راجي ضحكة رائقة إنما خافتة جدا من بين شفثيه
وهو يقول لها

((لم يمر على زواجنا أكثر من ثلاثة أشهر حتى وتريدني مني
ومن الآن أن أكون صريعا في هواها!))

عبست جالا وهي تقول له متذمرة

((هل تعرف ماذا؟ أنا لا أدري ما الذي أعجبك بسارا لتحبها
وبنفس الوقت لا تستطيع أن تقع بحب امرأة مثالية مثل رانسي؟
لم أراها ترفض طلب لك حتى.. لا ينقص إلا أن تتذلل من
أجلك لترضى عنها.. أخبرني صدقا ما الذي وجدته بسارا
لتحبها ولا تستطيع حب رانسي؟))

قال راجي لها بنبرة غريبة أشاعت توترا فيها

((جالا سؤالك بل كل حديثك سخي ف بكل ما للكلمة من معنى))

لكن أتى صوت جالا ببعض الاقتضاب وهي تقول

((فقط أجبني.. ما الذي تحبه بالمرأة أو يعجبك؟ هل ما أثار
إعجابك بسارا أنها تعامل نفسها بعلو وكرامة وتعزز بنفسها؟))

نظر راجي بدهشة بالغة لسؤالها الغريب هذا لكنه أجابها وهو
يحرك عينيه بعفوية وتفكير

((لا أستطيع أن أعجب برانسي لمجرد أنها تستلم لي وتبحث
دائما عن استحسانني لها وعلى تصرفاتها.. سارا كانت بالبداية
فتاة غامضة تبدي لي الاهتمام القليل فقط.. كأنها تريد أن
تجعلني أنا من أحاول فهمها فتثير طبعي الفضولي.. لكن
بالنهاية أنا لا أريد امرأة تسعى للكمال أو امرأة كاملة بل أريد
امرأة التي تشعرني بالراحة.. لذلك أحب زواجي من رانسي
وصدقيني لم أعد أكن أي شيء لسارا بل أنا نادم من معرفتي
بها حتى))

كان راجي يتحدث بجدية لكن جالا قالت له بنبرة حملت بعض
السخرية

((نعم معك حق سارا تختلف كلياً عن رانسى.. كل صفاتهم
متضادة.. لكن يمكنك التحكم برانسى لتكون كم تريد أنت))

عقد راجي حاجبيه باستنكار وهو ينظر لها بحيرة ثم قال بتلقائية

((لا أحب المرأة التي تكون كما أريد))

ردت جالا بنبرة حاتقة

((مجدداً.. أنا لا أستطيع فهمك يا أخي))

ساد الصمت للحظات بينهما ثم قال لها بنبرة عادية

((بل أنا الذي لا أفهمك.. لماذا تصرين على التدخل بأمر لا
علاقة لك بها؟ ركزي بحل بموضوع زوجك الذي تسكنين بعيداً
عنه منذ أشهر طويلة وابتئتيك.. أنا ورانسى بخير ولسنا
بحاجة..))

بتر راجي كلامه يحدث باستغراب بجالا التي بدا هذه المرة أنها
لم تستطع كبح شعورها المُلح بالغثيان منذ أن داهمها..

اتسعت عينا راجي بصدمة ما إن رآها تنهض وتبتعد عنه
مهولة عقب أن غطت فاهها بيدها..

تعثرت جالا في كل شيء حتى بلغت المرحاض بصعوبة
لنتها لك على ركبتيها وتفرغ ما بجوفها..

ما إن انتهت حتى وقفت من مكانها تدنو من المغسلة لتغسل
وجهها فاقترب منها راجي يسألها بلهفة قلقاً وهو يلامس كتفها
بحنان

((جالا ما بك؟ هل أنت بخير؟ يجب أن نذهب الآن للمشفى..
وضعك غير طبيعي.. أثناء صباح أمس أيضًا داهمك مثل هذا
الغثيان))

سحبت منشفة لتجفف وجهها وهي تقول له بينما لا تزال تشعر
ببعض الدوار

((لا تقلق الغثيان سيلازمني الفترة القادمة.. هذا كل ما في
الأمر))

أبعدت المنشفة عن وجهها لتتظر مباشرة لوجه راجي المصدوم
وكانت لحظات حتى ارتعش كل ما فيها من فرط الأجرأج
والخوف..

فر القلق من وجه راجي ليحل محله الصدمة ويتابع التحديث في
وجه جالا للحظات طوال لا يستوعب صحة ما فهمه الآن..

لحظات أخرى ولم يتمالك راجي نفسه ليمسك ذراعها سانلا إياه
بنبرة خافتة مشحونة بشكل مخيف

((هل.. هل أنت حامل؟))

نحجت جالا بصعوبة بسحب ذراعها منه متأوهة وهي تحببه
بتوتر وتلعثم

((ما.. بس.. بك يا راجي؟))

قبض راجي بكفيه على اعلى ذراعي جالا بقسوة سانلا إياه
بعنف وقوة

((بأي شهر أنت حامل؟ هيا قولي؟))

عضت جالا طارف شفتها تمنع نفسها البكاء وعندما تألمت من
قوة كفي أخيها قالت باختناق وبنبرة شديدة التوتر

((اخفض صوتك.. الوقت متأخر.. ربما.. ربما الشهر الثاني؟))

قال راجي بعد لحظات وعينيه لا تزالان على اتساعهما كأنه لا
زال لم يستوعب الأمر بعد ((متى كان يأتي مراد للبيت؟
بأنصاف الليالي؟))

نفض راجي يديه عنها ليرفع سبابتها هاتفا بغضب

((قولي له بدل أن يتسلل لبيتنا أن يسترجل ويأخذك عنده.. من
الغد سأحدث معه))

ثم استدار للخلف يتحرك بعنف لتلاحقه جالا قائلة بتصميم
مبطن بالتوسل

((لا لن اذهب قيل أن اشعر بالأمان بمنزلنا وانه لن يتدخل أي
أحد من أفراد عائلته بيننا.. لا تدخل يا راجي وتفسد الأمر
أرجوك))

إلا أن راجي تجاهل كلامها وهو يسير الى حجرة نومه بغضب
كتبه بصعوبة..

=====
=====

في ظهيرة يوم إجازة صدح صوت رنين جرس منزل احمد..

فخرج من حجرة نومه التي صار ينام فيها بشكل دائم بعد أن
طرده هيام من حجرة نومهما بعد زواجه ليفتح الباب..

ما إن فتحه احمد حتى اتسعت عيناه وهو يحرق بالشباب الأنيق
فارع الطول الواقف أمامه..

أزاح الشاب نظارته الشمسية لتظهر عيناه بلون الغيوم
الشاحبة..

وكأب أهف القلب يرى ولده الوحيد بعد سنوات طويلة من البعد
لم تستطع عينا احمد بعد لحظات إلا أن تدمعان وترتجف شفثاه
وهو يحاول التبسم متسائلا بصوت متحشرج بالألم

((عدن.. عدنان؟ هل هذا أنت بني؟))

أومئ عدنان برأسه لتتسع ابتسامة احمد وهو يراه يقترب منه
ويرتمي على صدره يعانقه بحماس ولهفة هادرا

((أبي لقد اشتقت لك.. اشتقت لك جدا))

كان احمد لا يصدق أن ولده الذي بدأ يسير في خطى حثيثة نحو
سن التاسعة عشر الآن أمامه بعد أن رحل مع والدته قبل أكثر
من عقد مضى..

مرت دقائق على عناقهما قبل أن تتلاشى ابتسامة احمد ويرفع
ذراعيه ليبادل ابنه العناق ثم يسأله بعتاب وحرقة قلب

((لماذا لم تزرني طوال السنين الماضية يا عدنان؟ خاصة وأنت
تعرف أنني أب سيء وأن كبريائي أطغى من أن يجعلني ألح
على ولدي الوحيد ليتقبلني بعد تلك المشاكل التي حدثت))

شدد احمد من احتضان ولده وهو يغمض عينيه وكأنما يريد
دفنه في ثنايا جسده.. بينما حاول عدنان التغلب على ذلك
الشعور القاسي الذي يتسلل إليه ويغمره ليجيب بصعوبة

((أنا اسف يا أبي.. لكن صدقتي بكل زيارة لنا للبلاد كنت أتى
هنا لهذه البناية بنية زيارتك.. قبل أن يبدأ شيء ما بداخلي
بالظهور ودفعي للتراجع بأخر لحظة قبل أن اطرق باب المنزل
بقبضة يدي.. لكن الآن أنا سعيد لأنني استطعت فعلها))

فتح احمد عينيه متنهدا ثم عقد حاجبيه بشدة وقد نال الألم من
كل جوارحه كأب بعدما سمعه..

رباه كم كان والدا سيئا لابنه إلى حد أنه احتاج لسنوات قبل أن يتمكن من الشفاء من الندوب التي تسبب بها له قبل أن يتمكن بنفسه من المجيء هنا..

تحسر احمد كم أضع من عمره سنوات كثيرة في سبيل تحقيق رغباته على حساب ابتعاده عن ولده الوحيد!

خفف احمد من احتضان عدنان وأبعد رأسه عنه وأنامله تلامس شعره الناعم ليبتسم لعينيه قائلا

((لا أصدق يا عدنان أنني أراك الآن أمامي؟))

احتارت ملامح عدنان وهو يحدق بعيني والده بحزن كان بمثابة سهام لقلبه المعذب..

فك احمد ذراعيه المحيطتان بعدنان ليرفع كفيه محاوذا وجه ابنه ويتأمل ملامحه التي تشبهه قبل أن يعود بأخذه في أحضانه مجددا..

وهو بالكاد يمنع نفسه من ذرف الدموع ليذرفها قلبه عوضا عن عينيه فتحرق صدره..

مال عدنان على كتف والده الذي كان يقصره بأربع إنشآت يقبله وكله ندم لأنه رفض تقبل مصالحة أبيه قبل اليوم رغم حث الجميع له على ذلك..

فالوالد يظل والدًا مهما كان خطؤه وحدة طبيعه وسوء تصرفه خاصة أنه يعرف طبع والده غير سهل التغيير والذي دائما ما تأخذه العزة بالإثم على الاعتراف والمبادرة..

فتحت هيام باب غرفتها على أصواتهم بالخارج وسرعان ما اندفعت للخلف وأغلقت الباب عندما لمحت شابا في داخل البيت..

باستغراب شديد عادت تفتح الباب بشكل قليل تنتظر لهما
متوارية عن الأنظار قبل أن تشهق بدهشة وهي لا تصدق أن
عدنان ابن احمد هنا..

تقدمت هيام منهما وهي تفتح الباب على اتساعه بابتسامة
ضاحكة وعينين متسعيتين..

قالت هيام بصوتٍ متحشرج وحماس

((عدنان هذا أنت؟ لا اصدق أنك أخيرا قررت زيارة والدك..
هل تعرف كم عانى وتعذب والدك بعيدا عنك؟ لم يكن عليك
التدخل بالمشاكل التي حصلت بين أمك وأبيك))

ابتعد عدنان عن حضن والده ببطء ثم حرك نفسه لينظر لها
ويرشقها بنظراته بازدراء..

مهما مر من السنين لن يستطيع رؤيتها إلا نفس المرأة التي
كانت السبب بفراق والديه وهدم منزلهم الصغير..

فمنذ عادت من جديد لحياة والده حتى تغير والده وبدأ يتغيب
عن البيت كثيراً..

رؤيتها الآن ذهبت بعقله لذكريات قديمة ومريرة لا يريد
تذكرها..

خاصة لذلك اليوم الذي رآها أول مرة بحياته عندما أخذه والده
لإحدى المطاعم ليُعرفه عليها..

يذكر عدنان أنه صُدم في ذلك اليوم بل بقيت الصدمة مرسومة
على وجهه حتى بعدما عاد للبيت..

وعندما حاول أبيه امتصاص حزنه وألمه مؤكدا أنه سيتزوجها
ولكنه لن يتخلى عنه أو عن والدته بكى ليلتها بكاءً شديداً حاراً..

السنة الأخيرة التي عاشها عدنان مع والده كانت مأساوية
بامتياز فقد كان والده مشغول كلياً بهيام وبات لا يعود للمنزل
إلا ليلاً..

وغالباً ما يكون عدنان بهذا الوقت نائماً فيوقظه والده احمد
ويقبله على رأسه قبل أن يذهب إلى غرفته وعندما كان عدنان
يصحو لا يجده..

وعندما كان عدنان يطلب من والده شيئاً كان يستجيب تارة
ويعتذر عشرات المرات على خلاف السابق..

حتى تلك الهدية الباهظة والفضمة التي كان قد وعده أبيه
بشرائها له عند حصوله على معدل عالي ومنذ مدة طويلة..

اعتذر عن إحضارها مبرراً ذلك بأن التزاماته المادية
ستضاعف وعليه إنذار المال ولن يكون مستعداً لتلبية أي
متطلبات ترفيحية له بعد الآن..

ليس كأن والده كان من النوع المهتم جداً به ولكنه على الأقل
كان يذاكر له دروسه أيام عطلة وكان عدنان يسعد بحكاياته
الطريفة التي يقصها عليه قبل أن ينام..

إلا أن عدنان حُرِم من كل هذا في اللحظة التي عادت فيها تلك
الساحرة الشريرة لحياة والده..

صحيح أن الرضا والسعادة يملأن حياته الحالية أكثر بكثير مما
سبق وعاشه مع والديه معاً ولكنه لا يستطيع أن يَمحي كل تلك
الذكريات البائسة بطفولته تماماً..

عاد عدنان للواقع ولمواجهته مع زوجة أبيه هيام ليقول رداً
على كلامها وشفقته ترسمان ابتسامة متهمكة

((أمي وعائلتها كانوا أكثر من يحثوني على التصالح مع أبي
ولكن أنا من كنت ارفض ذلك بسببك أنت.. لذا لا تتجرتي على

جلب سيرة أُمي على لسانك يا هادمة البيوت.. استغلّيت حب
أبي القديم لك لتسليبي عقله وتخطفيه من زوجته وابنه))

أشاحت هيام بعينيها بعيدا عنه وهي تزفر نفسا ملتهبا بالذنب
لأنها كانت فعلا أحد أسباب طلاق والديّ عدنان..

لكنها حركت نظرها لأحمد تنتظر أن تسمع منه أي نهر لابنه
على وقاحته معها إلا أنها لم ترَ إلا رضا مرسوم على وجهه
بينما يسمع ابنه يردف له

((أبي أنا اعتذر أني أمتك طوال السنين الماضية لوحدك بسبب
ضعفك أمام تلك المرأة بالحب والغراميات.. ولكني الآن سعيد
أنك على الأقل عرفت حقيقتها الحقيرة وتزوجت من غيرها))
عقدت هيام حاجبيها وهدقت به باستهجان وهي تراه ينعتها بـ
"الحقيرة"..

لكنها عادت تنظر لأحمد بتحفر وتنتظر ردة فعله على ما نعتها
به ابنه..

إلا أنها سمعت احمد يرد عليه بينما يلكز كتفه

((أبيها الشقي! طوال تلك السنوات كنت تتردد بزيارتي ولم
تستطع أن تأتي إلا بعد أن سمعت بخبر زواجي من غير
هيام؟))

هز عدنان كتفيه ليقول ببراءة

((بصراحة نعم))

عيس احمد وهو يحدج ابنه بتوبيخ ثم سرعان ما قال بمرح
جعل عدنان يبتسم بخفوت

((فعلا شقي.. لو كنت اعلم أن زواجي من غيرها سيلين قلبك
عليّ لفعلتها منذ زمن))

ارتفعت وتيرة تنفس هيام وهي تشعر بمنتهى الألم والحُرقة
والغضب من كلامه الساخر والجارح لها..

لطالما أثقلت نفسها بالذنب لأنها كانت احدى الأسباب التي
تسببت بفراقه عن ابنه الوحيد بينما هو الآن مستعد أن يضع كل
اللوم والحق عليها ليكون ذلك الرجل المسكين الذي لا يملك من
أمره شيئاً قبل أن تتمكن الساحرة الشريرة من إغواءه.. فقط
ليكسب ابنه لجانبه..

والأنكى أن احمد يضل والده مهما فعل بينما هي الغربية التي
لن يستطيع أن يغفر لها أبداً من عدنان..

مرر عدنان أنامله بين خصلات شعره الناعم واحمد يسحبه
ليجلس على احدى أرائك الصالة بينما يسأله بلهفة وشوق
ومتجاهلاً تماماً وفوق هيام عند عتبة غرفتهما وكأنها نكرة

((هل جئت وحدك هنا؟))

حرك عدنان نظره نحو أرجاء الصالة بالمنزل الذي كان يعيش
فيه يوماً ما برفقة والديه ورغم اختلاف الأثاث ولون دهان
الجدار إلا أن كل جزءٍ فيه ما يزال يحمل له ذكرى سعيدة
وأخرى موجعة..

ثم طالع والده بابتسامة صغيرة على ثغره وهو يقول

((لا بل أمي وأختي تنتظرانني بالأسفل.. قال أبي أن.. أعني..
أقصد أبي ادم قال بأنه سيأتي بعد قليل أيضاً..))

قاطعه احمد ارتباكه بكلماته الأخيرة يسأله بينما يطالعه
باستهجان

((من هذا الذي تتاديه بـ "أبي" يا عدنان؟))

قال عدنان بتوتر

((أنه آدم.. زوج أمي))

انتفض احمد هاتفًا بحدة

((كيف تنادي زوج والدتك بـ "أبي"؟ هذه الكلمة من حقي أنا))

جفل عدنان من صوت والده لكنه نظر له بعبوس شديد هادرا

((أنا أناديه أبي على سبيل الإكرام والاحترام لا على سبيل

النسب.. لماذا غضبت؟ هل تريد مني ألا أبره؟))

كلام عدنان مزق احمد ليشعر بنار جحيم تشب داخل كيانه..

قال احمد له مؤكدا بصوتٍ خشن وغلظة ((عدنان.. عليك أنك

تعرف أن برك بأبيك أعظم أولى وأعظم أجرا من إحسانك إلى

زوج أمك أو غيره من الناس؟ هل تفهم؟ ركز على البر بي

وحسب))

عقد عدنان حاجبيه يقول له بخفوت وعدم رضا

((ولكن أبي ادم بالنسبة لي..))

قاطعه احمد مرة أخرى بصوتٍ أعلى حدة ونبرة

((مهما أحسن إليك زوج أمك وأسدَى إليك من خير أو معروف

فإن حقي أنا والدك عليك أعظم منه.. هل تدرك هذا يا عدنان؟

من يكون زوج أمك هذا لتراه مثل أبيك؟))

خرجت آخر جملة من احمد مشبعة بالسخرية والغیظ

والاستخفاف مما جعل وجه عدنان يشتعل بالغضب ويشد على

أسنانه بينما يحدج والده بنظراته بحنق..

لكن سرعان ما تقبضت يد عدنان وهو ينتفض واقفاً من مكانه

قائلا

((أبي أنت أنسان أناني.. أنا نادم لأنني قدمْتُ لديك وليكن بعلمك
أنا لا اسمح لك أنت أن تتحدث بهذا الشكل عنه))

لا شعوريا وجدت هيام نفسها تبتسم في إثارة لطيف وجه عدنان
العابس على كلام احمد لتتقدم منه هادرة

((حبيبي عدنان لا تتفعل.. احمد بالتأكيد لا يقصد أن يتحدث
بهذا الشكل المهين عن الرجل الذي تكفل برعايتك والاهتمام بك
طوال فترة ابتعاده عنك))

ثم التفتت هيام لأحمد وابتسامتها الناعمة المدروسة توحى
بالشماتة أكثر من الأسي عليه كما تحوي نبرة صوتها لتردف

((لم يخطئ بشيء ابنك يا احمد لأن ما يفعله هو من باب رد
الجميل ومعرفة الفضل لأهله فزوج إيما هو من قام بتربية ابنك
بينما كنت أنت مشغولا هنا بالحب والغراميات كما سبق وقال
عدنان))

تجمد احمد مكانه بظهر منتصب كمن شدد أوتاره بقوة فجأة
لكلام هيام التي توقفت قليلا عن الكلام عند آخر جملة لترى
رؤية تأثير كلماتها عليه وكم شعرت بالراحة لكلماتها التي
أصابته بمقتل..

التفت عدنان يكتف ذراعيه وهو ينظر لهيام قائلا رغم النفور
الظاهر على ملامحه من قريها منه

((لأول مرة بحياتك يا زوجة أبي تقولين شيء منطقي))

ردت هيام على عدنان بنبرة شامطة قوية جعلت من ملامح وجه
احمد تشحب

((أنا لا أقول إلا الحقيقة.. لو كتب الله لي أن أنجب وأرزق بابن
رائع مثلك لم أكن لأفرض به أبداً.. ولكنك ضحيت بكل شيء
املكه في هذا العالم من أجله ومن أجل أن أوفر له بيئة مناسبة
وصحية ليعيش فيها))

كانت كلمات هيام تجعل احمد وكل ما فيه يعيش عذاباً ووجعاً
وندماً.. لكنها لم تأبه وهي تردف

((وإذا ما حدث وتفوقت أنانيتي ورغباتي على واجبي كأم له
والقيت مسؤولية تربية ابني بإهمال وقسوة لامرأة أخرى
غيري.. لكنت وضعت المرأة التي ربيه أيا كان من تكون فوق
راسي بامتنان وشكرتها لأخر عمري.. ولم أكن لأهينها كما
يفعل احمد مع زوج أمك.. اعذرنى على صراحتي ولغنى كلام
احمد مجحف جدا بحق زوج أمك))

نفخ عدنان بحنق شديد بينما يهز رأسه مقتنعاً بكلام هيام..

وهو يقول لنفسه متذمراً بصوت مقتضب

((ماذا افعل الآن؟ أنا فعلا غاضب ولا أريد العودة هنا لزيارتك
يا أبي مرة أخرى قبل رحيلي.. لقد خيبت ظني بك بالتحدث
هكذا عن زوج أمي ادم))

انحنى شفاه هيام باستهزاء وهي تسمع احمد يقول مستنكراً
بقهر وهاتفا بابنه

((خيبت ظنك بي لأنني تحدثت عن زوج أمك؟))

لم يهتم عدنان بالغضب الذي غزا وجه والده ليجيبه بثبات
وبرود

((نعم فأنا اعتبره والدي لا زوج أمي فقط))

انعقد حاجبا احمد بشدة وهو ينهض من مكانه هاتفاً بهمس
غاضب

((اخرس.. أنا والدك الوحيد هنا.. حتى لو كنت أسوأ البشر
أضل والدك الوحيد.. والآخر العمر.. هل تفهم؟))

قال عدنان بصوتٍ خافتٍ أجوف دون أن يحيد بعينه عن عيني
احمد

((حسنا كما تريد لن أقول عنه والدي.. سأناديه عم ادم.. ولكن
على عمي ادم أنا يرى كيف تتحدث عنه بهذا الأسلوب..
فبالوقت الذي كان دائما ما يطلب مني زيارتك وتفقدك ومحاولة
تحسين صورتك بعقلي بالرغم من أنه لا يعرفك شخصيا وعنده
فكرة جيدة عما فعلته بالماضي.. أنت هنا سارخط لمجرد مناداتي
له بكلمة "أبي")

قست عينا عدنان وهو يردف بصلافة

((أنا نادم فعلا لأنني قدمت هنا.. لقاؤنا هذا بعد جفاء السنين
خيب ظني حقا))

ازداد انعقاد حاجبي احمد وتغيرت النظرة في عينيه وهو يرى
ولده يستدير ويعطي ظهره له بنية المغادرة..

أغمض احمد عينيه ثم قال بصوتٍ بطيء
((عدنان انتظر))

توقفت خطوات عدنان المغادرة البطيئة..

ويدون أن يستدير عدنان له قال ببرود

((نعم يا أبي))

فتح احمد عيناه ليرشق هيام بنظرات غل مما جعلها تشيح
بوجهها جانبا بلا أي شعور بالذنب لما قالت له رغم وجومها..

عاد احمد ينظر أمامه متنهدا ثم دنا من عدنان يمد يده ليسمك
ذراعه ويديره له قائلا بصوتٍ جاف متوتر

((أنا اسف لانفعالي.. لم اقصد ما قلتك لك.. يمكنك مناداته بما
تريد))

ضاقت عينا عدنان وهو يشعر بتصلب أنامل والده حول ذراعه
بشدة ليقول بصوتٍ أجش له

((أبي أنت تظلمه جدا))

هز احمد راسه قائلا بصوتٍ هادئ

((حبيبي أنا لا أريد إلا أنا أبقى على تواصل معك.. وأن
تزورني باستمرار.. أنت ابني الوحيد))

جره احمد ليجلس ويُجلسه بجانبه ثم يقول مبتسما له وهو يرفع
يده الأخرى يحاوط فيها وجنته

((ابتسم يا عدنان لا أريد رؤية أي حزن مرسوم على محياك يا
ولدي))

ثم أردف وهو يقول مبتسما بوجهه

((اليوم ستبيت عندي يا حبيب عمري.. مفهوم؟))

نظر عدنان لهيام التي كانت لا تزال واقفة ثم قال بحنق وهو
ينظر

((لا.. لا أريد النوم هنا.. أرجوك لا تضغط علي))

حرك احمد راسه لجهة هيام ثم عاد ينظر له باستغراب قائلا

((هل ترفض بسبب تواجد هيام؟ ولكن.. ولكن غرفتك
وأغراضك منذ طفولتك لا زالت كما هي.. أرجوك عدنان.. إذا
كان السبب هيام..))

تململ عدنان مكانه متنهدا ثم قال مقاطعا والده بلامبالاة ظاهرة

((لا أبي ليست زوجتك هي السبب.. أنا فقط لا أريد النوم هنا
ببيتنا هذا القديم التي قامت زوجتك بالاستيلاء عليه))

ارتبك احمد للحظات قبل أن يقول بابتسامه وهو يهز رأسه
بتأكيد

((هيام لن تقضي الليلة هنا فهي كانت تهم بزيارة أحد أفراد
عائلتها.. أخيها أو ربما أمها.. صحيح هيام؟))

عند السؤال نظر احمد لهيام بترقب موافقتها لكنها ضيقت
عينها ثم كظمت غيظها وهي تقول ببرود وازدراء

((أنا قلت متى باني أريد زيارة من يا احمد؟ لأنك من الواضح
أنك تتذكر ما أقوله أكثر مني))

شدد احمد على أسنانه هادرا وهو ينظر لها بنظرات حارقة
ومتوعدة

((هيام))

أخذت عينا هيام تمران على احمد بتدقيق مختلف وبعينين
صقيعيتين ثم قالت بتصميم

((بالواقع أنا أرى فعلا أنا علي الذهاب لأحد أفراد عائلتي..
ولكن بلا عودة لهذا المكان))

وفورا غادرت هيام المكان لتتسع عينا عدنان وينظر لأبيه قائلا
بدهشة وهو يشير بسبابته لها وهي تغادر الصالة

((زوجتك تريد الرحيل يا أبي.. هل ستطلقان الآن؟))

ابتسم له احمد قائلا

((لا أريد أن أخيب ظنك ولكن لا.. لن نتطلق))

قال عدنان ببراعة وهو يرفع حاجبيه

((ولكنها بدت غاضبة جدا.. ماذا لو رفعت عليك قضية خلع
بالمحكمة؟ هل ستطلقها؟))

ضحك احمد بخفوت ومرح وهو يهز رأسه نافيا بياس من تفكير
ابنه ثم قال له وهو يبعضر شعره

((عدنان دعك منها.. سأعيدها فيما بعد.. الآن دعنا نركز
بقضاء الوقت مع بعضنا.. سنتبقى عندي لأكثر من أسبوع ولا
أريد رؤية مخلوق سواك أنت))

عقد عدنان حاجبيه قاتلا

((تريدني الأسبوع كاملا؟ ولكن نحن جننا للبلاد بهذا الموعد
على غير العادة من اجل زفاف خالي ولن يصح ألا أتواجد في
هذه الأيام ببيت جدي..))

قاطعه احمد بعبوس وانفعال

((أريد الحصول عليك لأسبوع واحد.. بقيت لسنوات بعيد
عنك.. ألن يتحملوا تركك لي لأسبوع واحد؟))

اطرق عدنان رأسه أرضا وهو يقول

((حسنا ولكن سأبقى فقط لخمسة أيام.. وأيضا عليك اخذي يوميا
عدة ساعات لنادي السباحة لتدرب من أجل المسابقة التي
سأشارك فيها بعد أسبوع بعيدا عن موضوع زفاف خالي..
حسنا؟))

هتف احمد بحماس وعيناه تحتضان ابنه بعاطفة جياشة لفكرة
أنه سيقوم بشيء ما مشاركة مع ابنه بعد أن غدا شابا

((أوه حقا؟ يبدو الأمر مثيرا.. سأحرص على اخذ إجازة من
عملي لحضور مسابقتك..))

ظهر الارتباك على وجه عدنان ليقول بعد لحظات

((أبي لحظة.. أنا اقصد.. أعني.. المسابقة ستكون داخلية
وسيمنع دخول أحد من الأهالي.. يمكنك مرافقتي بأيام
التدريب.. ولكن المسابقة للأسف لن تستطيع الحضور))

هز احمد رأسه بعفوية متسائلا

((أوه فعلا؟))

أجاب عدنان بتلقائية

((نعم أنا اسف.. ولكن بالتأكيد سأحرص على إبلاغك بمركزي
الذي سأحصل عليه))

قال احمد بابتسامة مرحة وبحماس وهو يعيد احتضانه لا يزال
يصدق أن هنا معه

((لا باس يا ولدي الحبيب.. خمسة أيام أماننا ومن اليوم علينا
اغتنامها معا))

قطعت هيام جوهم المليء بالعواطف الجياشة هاتفة بوجوم وهي
تندفع للخارج وتجر خلفها الحقيبة

((إلى اللقاء يا احمد.. أرسل لي ورقة طلاق للمنزل))

شهق عدنان وهو يقول بينما يبتعد عن أحضان والده ويراهها
تفتح باب المنزل

((أبي إنها تحمل حقيبة كبيرة.. يبدو أنها فعلا ستطلب الطلاق..
هل ستطلقها؟))

زفر احمد بضيق فلا ينقصه الآن أن يبدأ باسترضائها واحتوائها
وقد سأم وضجر من الأمر..

لكن وقف من مكانه يدنو منها ويوقفها مكانها وهو يمسك
بذراعها قبل أن تنتسعا عينا الاثنان بصدمة وقد تفاعلا كلاهما
بأخر امرأة توقعها رؤيتها الآن..

بعد مرور كل تلك السنين..

وقفت إيمان خلف عتبة باب المنزل المفتوح بخطوات تنظر لهم..

باب المنزل الذي كان في يوم من الأيام تعيش فيه هي وابنها مع من كان زوجها..

كانت هذه هي أول مرة لأحمد هو وهيام يرينها بعد الانفصال..

طالع احمد إيمان بانشداه يتفحصها وهي تقف مكانها وتحمل على ذراعها بعناية طفلاً بتجاوز عمره السنة..

وعيناها تومضان بالحياة وتقاسيم وجهها وكأن العمر توقف عندها فلا تبدو كامرأة ستدخل في عامها الأربعين بل أصغر بعشر سنوات..

كلها كان نابضا بالحياة فبدت بشرتها ساطعة وبراقة وزاهية بخلاف مظهرها الذي بدا أكثر حيوية وجمالاً وأناقة مما كانت عليه عندما كانت متزوجة منه.. أكثر بكثير..

على عكسه هو.. وهيام.. فكل منهما قد خط العمر علاماته عليهما وغزت ملامح الإرهاق وجههما من خلال الخطوط التي تحيط العين والقم..

تنفست هيام بعمق كأنها تجاهد نفسها على مواجهة هذا الموقف المخزي والشامت وقد انفلتت من صدرها تنهيدة أقرب من الأنين بعمق مواجهها النفسية..

بينما همس احمد بصوتٍ حاول جعله قويا ثابتاً إلا انه خرج باهتاً وعينيه مسطّتان على عيني إيمان بتركيز

((مرحبًا إيمان))

هزت إيمان رأسها تجيبه بابتسامة هادئة

((أهلا احمد))

ثم حركت عينيها لتلك الواقعة بجانبه وتمسك بيدها الأخرى
حقيبة كبيرة بعجلات جرارة لتردف

((مرحبا هيام كيف حالك؟))

طأطأت هيام رأسها وخجل شديد يجتاحها لكنها قالت بشفتين
مرتعتين وصوت متحشرج لا يقل بهوتا عن صوت احمد

((أهلا إيما.. أنا بخير))

تملص أنس ذا الشعر الأشقر والبشرة الحليبية بينما تحمله إيمان
لتتحني وتسمح له بنيل فرصة الحب فوق سجاد الشقة..

ثم رفعت إيمان وجهها قائلة بابتسامة محرجة إنما فاتنة

((كنا أنا وعدنان وابنتي بسيارة أجرة قبل أن يُصر عدنان علينا
على التوقف هنا لزيارتك.. اتصلت بزوجي وسيأتي بسيارة
أسامة ليأخذنا بعد قليل.. لذا سأنتظر قليلا هنا برفقة عدنان إذا
لم تمنع))

أغمضت هيام عيناها بشدة وشدت على أسنانها وهي تشعر
بأنامل احمد التي تحاوط ذراعها تحفر فيها..

بل تستطيع الشعور به ومعرفة أنه يتألم ويتشرب من حزن
فقدان عائلته السابقة..

خاصةً وهو يرى أن زوجته السابقة رزقت بأطفال من غيره
وأحد أطفالها الأربعة من آخر طفل رضيع يلهو ويحبو فوق
السجاد أمام عينيها..

لكن المشهد الذي يحدث الآن أصابها هي الأخرى بمقتل..

ابتلعت هيام غصتها ثم فتحت عيناها تنظر خلفها لأحمد بنيه
وهي تقول بارتجاف بينما تسحب ذراعها من كفه بقوة شديد

((سأغادر الآن))

نظرت إيمان باستغراب لهيام وهي تخرج وتجر خلفها الحقيبة
مثقلة الكتفين إلا أن صوت عدنان منعها من التفكير بالأمر
لثقت له وتسمعه يخبرها بمرح

((أمي أنا اسف لجعلك تنتظرين بالأسفل كثيرا.. ولكن لا داعي
أن آتي معكم.. سأبيت مع أبي.. لا اليوم فقط بل لخمسة أيام))

ابتسمت إيما لعدنان ولم تتوقع بأنه سيتعامل مع أبيه بسلاسة
ويدون أي مشاكل..

فقد صدمها عندما قال بشكل مفاجئ أنه يرغب بزيارة والده بعد
سنوات من العناد والإصرار على الجفاء وعدم الوصال..

سألته إيما بفضول وهي تعود لتلتقط طفلها الصغير

((ولكن.. ماذا بشأن الأماكن التي اتفقنا على الذهاب لها مع
ادم؟))

انتهت على احمد يقول لها برتابة وصوت خافت مهترئ وهو
يطالع بخواء إيما التي تقف قبالة ولا تعطي أي تركيز إلا
عدنان

((أنا والده ومن حقي أنا أرى ابني بقدر ما أريد.. دعيه يبقى
هنا وسأذهب بنفسه برفقته لمواعيد التدريب من أجل مسابقة
السباحة التي أخبرني عنها.. لا تقلقي))

صدر رنين هاتف إيمان عاليا لتقول وهي تخرج من المنزل

((لا بد أن ادم وصل ويركن السيارة أمام البناية ينتظرني..
سأخبره أنك ستبيت عند أبيك وسنعود فورا لمنزل جدك بسرعة
فقد تركت التوأم وأختك هناك ولا بد انهم استيقظوا الآن..
سأطلب من أسامة أن يحضر لك حقيبة ملابسك ليلا.. أبقى على
تواصل معي.. إلى اللقاء حبيبي))

جذب عدنان امه في عناقٍ سريعٍ ولثم وجنتي شقيقه الصغير
أنس قبل أن يودعهما ملوفاً ببديه..

ليس وكأن احمد ينقصه المزيد من القهر لكن لا شعوريا ذهب
للناذرة يراقب بأسى إيمان تخرج من البناية نحو سيارة زوجها
الذي يادر بالخروج وحمله صغيره منها بحُب شديد..

شدد احمد على ملامح زوجها وقد بدا منزعاً قليلاً.. ربما
منزعج من فكرة وجودها بنفس المكان مع زوجها السابق إلا
أن لم يظهر شيئاً لها..

ربما لم يسمع أي شيء من محادثتهما إلا أنه تابعهما حتى
استقلا السيارة وغادرا المكان..

التمعت احدى عيني احمد بدمعة انكسار إلا أنه لم يذرفها بل
سارع بمحو هذه النظرات الخاوية منها وهو يستدير نحو عدنان
ابنه يعاقر برسم ابتسامة بوجهه ببهجة لرؤيته أخيراً بعد كل
تلك السنوات..

=====
=====

توقف راجي عن تحريك الطعام ممتعضاً ثم ضغط أسنانه بغیظ
ليقول بينما يعلق عينيه

((كف عن النفخ بحنق كل دقيقة.. أنت تثيرين توتري من دون
داعي.. بل اشعر بانني لو بقيت قليلاً أكثر هنا فستشعلين بي نار
أخرى غير نار الفرن))

فتح راجي عينيه ينظر نحو رانسي التي كانت تقف مائلة تستند
إلى الطاولة الكبيرة وهي تكنف ذراعها بمقت اجتاحتها منذ أن
دخل المطبخ..

أجابته رانسي بوجوم وبنبرة متذمرة قوية

((أنت من تثير استيائي.. هل يمكن أن تخرج من المطبخ حتى
اعد على العشاء نفس نوع الباستا التي وعدت لين أن أعدها؟))

انعد ما بين حاجبي راجي بقوة قبل أن يقول بصوت شديد
الاستنكار

((هل تطرديني من مطبخي المتواجد بييتي أنا؟))

استقامت رانسي بوقفها وفكت ذراعيها لتقول له بصوت محايد
وبجدية

((راجي إن الطهي بالنسبة لي أكثر من واجب.. هو هواية..
ولكن أكثر ما أكرهه هو دخول أحد معي المطبخ والتدخل في
كل كبيرة وصغيرة ونقضه للطريقة التي يتم العمل بها..
تواجدك.. أعني.. نعم تواجدك معي هنا بالمطبخ هو فقط عبارة
عن فرصة كبيرة للنزاع وإثارة المشكلات بيننا.. لذلك رجاء
أخرج من هنا))

كان راجي ينظر إليها وبعديتها بالكلام باستغراب متغضب
الجبن..

لكنها بنصف الكلام تلجلجت للحظة قبل أن تكمل فرسم فوق
محيّاه خيطا واهيا من التسلية وهو يسمع آخر كلامها..

قاطعتهم جالا التي دخلت المطبخ لشرب كأس ماء وهي توجه
كلامها لرانسي باستغراب متسائلة

((لماذا تغضبين من دخول راجي المطبخ؟ حتى لو تدخل في
كل شيء عليك تشجيعه على ذلك.. أتمنى لو كان مراد مثله
لكنت وجدتها فرصة ثمينة لاعتماده على نفسه وتخفيف العبء
عني خاصة إذا كانت متعبة من ترتيب البيت))

تحولت نظرات رانسي لراجي له وكأنها تستكشفه..

بعد ثلاث أشهر زواج صارت تعرف الكثير من التفاصيل عنه
بخصوص ما يحب وما هو معتاد على شربه واكل..

لكنها لم تعرف قبلا عن شغفه بالطهي مثلا تمامًا..

تابعت جالا الحديث عن أخيها قائلة عقب أن ارتشفت من كأس
الماء البارد

((صحيح أنه لم يعد يدخل المطبخ منذ زواجه منك لكن صدقيني
هو شغوف بكل ما يخص الطهي.. اليوم هو الجمعة وكان سابقا
اليوم المفضل له لدخول المطبخ له))

لن تنكر رانسي أنه أثار دهشتها بما صنعه على الفطور صباحا
عندما استيقظ قبلها وقد كانت أول مرة تأكل من يديه مما أثار
السعادة بداخلها..

أو حتى عندما اعد لابنتي جالا شطائر على شكل وجه حيث قام
باستخدام حبات الزيتون كبؤبؤ للعين فوق البيض..

في حين شكل أوراق البقدونس هيئة الشعر أعلى الشطيرة..

كانت هذه أول مرة يصنع شيئا بالمطبخ بعد زواجه منها
وأمامها..

ويدا جانبيا لذيذا فيه لاكتشافه.. حيث كانت وقتها تراقبه بنهم
وكانه يقوم بعمل خارق لا مهارة بسيطة..

غادرت جالا المطبخ وبدأت رانسي تراقب راجي ما إن عاد
للتركيز بالطعام الذي يعده بوجه بشوش بدل الوجه الحائق الذي
كانت ترسمه قبل قليل..

قالت رانسي له بعد لحظات من خلفه بصوتٍ دافئٍ ومازح وهي
تدنو منه

((أن كرهى لدخول أحد المطبخ معى فقط لعدم رغبتى فى
تحمل المزيد من الأعباء والقيام بتحضير الأكل فى أقل وقت..
كما أنى لست مستعدة أن تعتمد علىّ بتنظيف الفوضى التى
ستحدثها فى تحضير الطعام وتخليف ورائك الكثير من الأطباق
وأدوات المطبخ دونما يكون هناك حاجة لاستعمالها كلها))

مط راجى شفتيه وهو يلتفت برأسه لها حيث تقف بجانبه ثم قال
بحق عقب لحظات طويلة

((ماذا؟ هل تظنين أنى مجرد هاوى؟ إذا كان الطهى بالنسبة لك
هواية فهو شغف بالنسبة لى.. إلى حد أنى كنت أشارك أحد
زملائى القدامى فى المكتب هذه الهواية لدرجة أن اغلب أحاديثنا
كانت تنصب حول الأكل وأنواعه وبرامج الطهى بدلا من
المناقشة بالقضايا التى نمر فيها بالمحكمة))

ضحكت رانسى على حديث راجى لبيتسم لها بهدوء وهو يعود
للنظر الطعام أمامه الموضوع فوق الفرن قبل أن يغلقه..

راقبتة رانسى كيف يضع لمساته الأخيرة على باقى الأطباق
بسلاسة ثم يضعهم على منضدة الطعام قبل أن يهتف بصوت
عالٍ لجالا ورورو ولين للقدوم..

وقبل أن تقترب من الطاولة أبعدها راجى قائلا

((سأنظف مكان إعداد الطاولة بنفسى حتى لا أسمع أى كلمة
متذمرة منك))

ابتسمت رانسى له وهى تبتعد وتسمح له بذلك..

ويدون أن تنحسر ابتسامتها قالت له بصوتها العذب ونظرات
عينها الشاردة

((أبى رحمه الله كان على النقيض تماما منك.. كان يهوى الأكل
ولكنه لا يجيد ولا يحبذ عمله بل يكره دخول المطبخ.. كان

يعتمد عليّ اعتمادا كلياً لدرجة أنه لا يقوم بعمل كوب شاي لنفسه حتى إذا اضطرر لذلك))

لم يخف عليها أن راجي كان ينظر لها أثناء حديثها باهتمام وتركيز..

وكان هذا من الأمور النادرة التي يفعلها راجي بشيء يخصها لتتابع رانسي كلامها بنفس مازحة بمرح

((ومعه حق فنحن لم نعتد رؤية الرجل وهو يقشر البصل ويجهش بالبكاء مثلاً أو يلبس إزار المطبخ.. فقد تعودنا أن يجلس معزراً مكرماً وتُلبى جميع طلباته))

سكنت ملامح رانسي وهي تراه يبتسم تلك الابتسامة التي تسرق خفقات قلبها على كلامها المازح..

قال راجي لها معترضا بينما يجلس مقابلها على احدى الكراسي الموضوعه حول مائدة الطعام

((ومن قال إن الطهي حكر على النساء فقط لتعلمه؟ الرجل يمكنه تعلم الطهي أيضا.. لن تنجحي بجعلي ابتعد عن المطبخ فأنا لست من النوع الذي يهتم برأي المحيطين بي إزاء معرفتهم بأني أحب ممارسته فأنا لا أجد أي عيب فيما افعله على الرغم من انشغالي الدائم بالعمل.. ولربما لو كنت أعيش بفرنسا عند أبي لأصبحت شيفاً بدلا من دخولي كلية المحاماة..))

كانت أيضاً هذه المرة من المرات النادرة والقليلة التي يتحدث فيها راجي عن نفسه أو والده وما يحب وكمنتمت رانسي ألا تتوقف دقائق حديثهم هذه أبداً..

حدقت رانسي به وهي تراه يخفض بصره بينما يسحب طبقا فارغا ليبدأ بتعبئته بأصناف مختلفة من الأطعمة التي أعدها للعشاء..

أطالت التحديق به طوال الوقت لئنتبه لتحديقها فرجع عيناه لها
باستغراب يتأمل وجهها الذي تزين بحمرة الحياء وكأنه مسك
بها متلبسة..

هربت بعينيها عن بصره وهي تسحب كرسيها مقابلة وتجلس
عليه وهي تبذل جهدا لترسم ابتسامة على فمها وتحاول جهدا
إخفاء دواخلها من مشاعر..

وقبل أن تسمح للصمت أن ينتشر بينهما سألت مبتسمة بنعومة
بلا أي وعي ما خطر على بالها لتستمر هذه المحادثة
((هل فعلا تتمنى أن تصبح شيف؟))

هز راجي رأسه وهو يقول لها بصراحة

((نعم.. أنا استمتع كثيراً بدخول المطبخ خاصة إذا كنت احضر
الأكل لأحد الأصدقاء أو المعارف الذين يزورننا من فترة
لأخرى.. وصدقا كلنا أختاي كانتا سعيدتان جدا بهوايتي خاصة
وأنهما لم تجيدا صنع الكثير من أصناف الطعام ولا تحبا دخول
المطبخ كثيرا.. بل لم تتعلما أي شيء إلا بعد زواجهن))

قالت رانسي له دون أن تتحسر بسمتها وهي ترفع ذراعها فوق
الطاولة لتسند وجهها

((شقيقتي ملمة في أمور البيت وما يشمله من الطهي والتدبير
والخباطة والتطريز وما إلى آخره.. أما أنا فلست كفؤ مثلها إلا
بأمور الطهي.. فتعلم ما يخلص المطبخ سهلا جدا و فقط عن
طريق التعلم والممارسة والمداومة))

قال راجي لها بابتسامة رجولية غامزا إياها

((وهذا أكثر من كافي بالنسبة لي.. ركزي فقط بالطهي وأكثر
لربما نكتسبين بضع كيلوغرامات.. ستفيدنا نحن الاثنان
بالكثير))

احمر وجهها خجلا كأنه احترق وكانت هذه حرفيا أو عبارة
جريئة تخصها يقولها أمامها وبصراحة..

لكنها اعتدلت من حركتها لتضم يديها معا في حجرها..

انتبه على الارتيابك الذي احتلها بفعل الخجل والإحراج من
ذكره لمسألة وزنها وهو يسمعها تقول بصوتٍ تغيرت نبرته
عن سابقتها

((من هذه الناحية ولسوء حظك فلا تتفاعل كثيرا.. لأنني اكل
الطعام بشكل جيد واهتم بصحتي ولكن طبيعة جسمي هكذا.. لا
يزداد وزني مهما تناولت أطنانا من الطعام))

ازرد راجي ريقه وقد ندم فعلا على جلب سيرة وزنها..

هل يا ترى لا تزال تذكر ذلك الكلام السخيف والتافه الذي قاله
أمامها عن نحافتها قبل زواجهما؟

قال راجي وهو يعاقر برسم ابتسامه وتجاهل ما قاله

((إن.. ربما سيختلف الأمر من الآن وصاعدا وسيتحول دخول
المطبخ بيوم عطلك إلى منافسة بيني وبينك بعد أن عاد شغفي
بالطهي لي.. وبالتأكيد لن يخلو الأمر بيننا من بعض المناقشات
الساخنة خاصة عندما أبدي رأيي فيما تعديه بشكل صريح فأنا
لن أفوت أي شيء منه))

نظرت رانسي له بقليل من الدهشة ثم قالت وهي تسحب طبقا
آخر بحماس

((إن ستكون أيام إجازتك هي الأفضل بالنسبة لي.. لأنها الأيام
التي سنتشارك فيها بشيء واحد على الأقل ولو كان الطهي
وحسب))

عاد راجي يلتفت إليها بحاجب مرفوع فعضت رانسي لسانها
بضيق لأنها أبدت كل هذا التلهف على شيء بسيط كهذا..

أشفق قلب راجي قليلا عليها فهي منذ زواجهما وهي تحاول
إيجاد شيئا مشتركا بينهما.. فقال لها متسانلا عقب أن افعل
التفكير

((هواية؟ هل تريدان أن نتشارك بهواية ما؟))

نظرت له رانسي بالدهشة التي صارت الليلة ملازمة لها بشكل
كلي..

قال راجي لها بجدية وهو يطالع وجهها

((مممم.. هل تعرفين ماذا؟ كنت أتعلم رقص التانجو مع سارا
قبل أن ننفصل بأشهر فهي كانت تحب ممارستها كثيرا.. لذا ما
رايك أن أتابع تعلمها معك؟))

نظرت رانسي له ببلاهة وقد أوشكت لثانية أن تضحك عليه
ساخرة لكنها فجأة شهقت لتقول باستنكار متعجب

((أتعني الرقص؟))

هز راجي رأسه بعفوية لتقول بحاجبين معقودين

((ما هي التانغو؟ أنت غريب الأطوار لا أنا.. ثم أنا لم يمر عليّ
رجل بحياتي يحب أي نوع من أنواع الرقص.. تفكيرك مثل
الغرب فعلا))

ضحك بخفوت على رفضها الشديد الذي تبديه من فكرة الرقص
معا ليقول لها بمرح

((لماذا تقولين هذا؟ التانغو سهلة نسبيا ومن الممكن ممارسة
أساسياتها الأولية وتعلمها.. على كل واحد منا فقط أن يؤدي
حركات معينة تتوافق مع ما يؤديه الطرف الآخر.. سنتشعرين
أثناء رقصها بتحرر مشاعرك))

اتسعت عينا رانسى قليلا وهي تستمع له بينما يتحدث عن
رقص التانغو..

هل هو نفس راجي الذي تعرفه؟

عادت رانسى تركز بطبقها وتبدأ بتعبئته وهي تقول بحنق
مصطنع

((دعك من تلك السخافة))

برق عبث من عينيه ليقول بابتسامة مشاكسة يلهو معها

((انسي التانغو.. كنت سأقترح علينا القيام بعمل تطوعي معا
لكن وقتي لن يسمح لذا لنبدأ بأشياء ابسط وأسهل.. ما رأيك أن
تقترحي لي قائمة موسيقى على ذوقك لاستمع لها في طريقي
للعمل؟))

حدقت رانسى براجي أثناء حديثه قبل أن تقول له بهدوء

((بصراحة لا استمع للموسيقى أبداً))

نظر راجي لها وهو يهز راسه ثم قال

((فعلا؟ وأنا أيضا مؤخرا ما عدت أحب الاستماع للموسيقى..
إذا))

رفعت راسها تقول ببعض الإحباط والحرج وهي تراه يبحث
جاهدا على نقطة تواصل بينهما بلا فائدة

((الأمر صعب.. أنا لا أشبهك بالتفكير ولا الشخصية وأيضا لا
املك صفات جسدية تجذبك.. أو حتى قدرة على الاندماج بنفس
اهتماماتك.. مثل زوجتك السابقة))

شعر راجي بغضب من نفسه وهو يسمعها تعيد ما قاله خاصة
ما دار حول جسدها..

لا زالت تذكر كلمتيه الصغيرتين عنها سابقاً..

لكنه تتحنح قبل أن يقول لها بصوتٍ هادئٍ عما قاله قبل قليل

((رانسى أنا اعتذر.. لم أكن لم اقصد أن أقارنك بسارا عندما
ذكرتها بشكلٍ عابرٍ قبل قليل))

هزت رانسى راسها بابتسامة حزينة تنفي

((لا راجي.. أتفهمك.. أي أحد بالعالم يريد من شريك حياته أن
يكون هو الأجل والأكثر متعة بالرفقة..))

قاطعها راجي بحزم وهو يؤكد على كلامه

((رانسى.. لم أن أقارنك بها.. كل امرأة لها جمالها الخاص
وطريقتها وإذا ما تحدثت مرة أخرى عنها أخبريني بشكل
مباشر وواضح أن أتوقف))

وقبل أن ترد عليه انتبهت للين الصغيرة تأتي مهرولة بطفولية
شقية نحو خالها الذي حملها قائلاً عقب أن لثم جبينها

((لقد برد الطعام.. أين رورو وأمك؟))

بعد طعام العشاء..

صعدت رانسى لجرة نومها وهي تشعر بدقات قلبها تكاد تصم
أذنيها..

الليلة كانت واحدة من أجمل ليالي حياتها الزوجية مع راجي..

وقد كان للحديث الذي استمر لوقت صغير قبل العشاء حديثاً
فارقاً بعلاقتها معه وهي تراه مهتماً بتبادلته معها بانفتاح..

ربما لم يتحدثا أكثر من نصف ساعة لكن كانت أطول فترة
زمنية حصل فيها تبادل حديث بينهما.. حديث حقيقي يتعلق
عنهما..

فأعجب ما في الأمر أنه تصرف الليلة وكأنه مهتم بما تحب
ويشارك ببناء جسورًا بينهما ويكتشف ذاتها ومناطق اهتمامات
مشتركة لهما..

قبل أن تغير رانسي ملابسها لأخرى مناسبة للنوم حركت
وجهها إليه هامسة باستغراب وهي تراه يرش العطر على نفسه

((هل تجهز نفسك للخروج؟))

رفع راجي حاجبيه وهو مستمر بالنظر أمام مرآة منضدة الزينة
وهو يرد بعفوية عليها

((وأين سأخرج بمنصف الليل وبمنامة النوم هذه؟))

قالت له بتعجب

((لماذا تضع العطر إذن؟))

وضع الزجاجاة فوق المنضدة ثم استدار ينظر لها بوجه عابث
وهو يقول لها

((عطر وأضعه لزوجتي.. ما المشكلة؟ ألا تحبين وضع الزينة
الخفيفة لي؟))

فغرت رانسي فاها لحديثه بصدمة..

وما أن انتبهت على نفسها حتى قالت بقليل من الاقتضاب وهي
تشيح بوجهها جانبًا بحرج

((لا أضعها لك.. أضعها في البيت من أجلي))

صمت راجي يحدق بها قبل أن تتحول نظراته المشاكسة
لأخرى مبهمة..

وهو يركز على البلوزة القطنية الضيقة التي ترتديها وتظهر
هشاشة جسدها..

ولأول مرة كل شيء فيها شعر به بوقد نار الرغبة في جسده..

رغبة حقيقة لم يسبق وان شعر بها معها..

انتهت رانسي على جموده وهو يقف يطالعها بنظراته التي
بدت نهمة لجسدها مما دفع الاستياء أن يظهر على وجهها وقد
فهمت ما يريد..

لم تكن تريد أن تفسد نهاية هذه الليلة المميزة بالنسبة لها..

لكن لماذا لا تسعده كما فعل لها الليلة..

وأساسًا هي فقط مجرد دقائق سريعة لن تطول كثيرا وكل ما
عليها أن تتصرف فيها وكأنها جثة لا حياة فيها..

فقال رانسي بعملية وجمود وهي تزيل بلوزتها عنها وكأنه
ليس جسدها ما سيحدث عليه أي شيء بعد لحظات

((هيا تعال ولننتهي بسرعة))

رفع راجي عيناه بتقاسيم وجهه الهادئة لوجهها..

ثم تقدم منها وهو يفك أزرار قميصه المنزلي ليظهر جسده
الرياضي وعضلاته المتينة والصلبة على خلاف الكثير ممن
بعمره ولا يهتمون بممارسة أي نوع من أنواع الرياضة..

مما جعلها بحركة عفوية ترتد للخلف مبتعدة وهي تشهق بخجل
وخفوت وكانت هذه أول مرة تتأمله بهذا التمعن..

جلست رانسى على السرير وهي تفرك يديها ببعضهما البعض
ونظراتها المشتتة تتوتر قبل أن تغلق عينيها وهي تشعر بخفقات
فؤادها الصاخبة تكاد تهلك روحها من فرط التوتر..

دنا راجي منها أكثر حتى ما عاد يفصلهما شيء ومد أنامله
ليلامس وجهها..

أبعدت وجهها بارتباك عن مرمى يده وهي تغمض عينيها
بقوة..

ثم غمغمت لراجي باضطراب بينما تتمدد على ظهرها فوق
السرير

((اغلق الإنارة أولاً))

شعر راجي بنبرة الارتباك والخوف ممزوجة بصوتها مما جعله
يعقد حاجبيه ويعتلها بجسده العضلي ليتفشى الارتباك في سائر
جسدها أكثر..

همس راجي وهو يقرب وجهه منها بهدوء شديد رغم خشونة
صوته ليزيد من اضطرابها

((حتى الإنارة الخافتة علينا إغلاقها؟))

فتحت رانسى عيناها تتمتم باعتراض حانق

((اغلقها وحسب))

عقد راجي حاجبيه لكلامها لتحرك ثغرها المرتعش مردفه بنبرة
صوتها التي تشبع بالارتباك

((أرجوك))

ابتعد راجي عنها ينفذ ما طلبته ولم تشعر به إلا وهو يعود كما
كان مقتربا ليأثم خدها..

تشنج كل جسدها لكن راجي تابع نثر قبالاته بتفرق على طول وجهها..

شعرت رانسى به يبدأ بإرخاء ما ترتديه هي..

ربما بسبب بطء حركته وتأنيتها أو لسبب آخر تجهلها لكنها شعرت بأنه يقوم بتحريرها من ملابسها عنها بشكل مختلف الليلة..

أشفق راجي عليها وهو يشعر بخوف شديد يلف قلبها المسكين وكأنه وحش سيفترسها..

هي تتصرف وكأنها لم يسبق وأن تزوجت من قبله حتى.. بل وكأنه أول مرة يقترب منها فعلا..

هل ما كان يقوم به بالأشهر سابقا بتلك الطريقة يؤذيها كثيرا؟
أمرها راجي بلطف وهو يمسك يدها الرقيقة ويرفعها إلى خلف رقبته

((ضعي يديك هنا.. واجذبي شعري إذا أردت ولو بقوة))

استهجنرت رانسى ما يقوله ويفعله مما جعلها تشعر بخفقات قلبها في جوف صدرها بازدياد عنيف أكثر من أي موقف بهذه الليلة فحاولت إبعاده عنها فما يفعله شيء جديد..

لم يحاول باي مرة سابقة أن يلمسها أو يقبلها..

إلا أنه عاندها ولم يستجب لها وهو يعيدها مكانها ويعود ليقتررب منها..

لم يسبق لها وان حاولت لمسها.. ربما خوفا من ردة فعله فهو لا يعتبر نفسه ملكها ولا يعترف بحق ليها فيه..

مع استمراره بما يقوم به عاث التوجس والخوف في أنحاء صدرها والتخبط بدا جليا عليها.. تخبط بمشاعرها..

همست له رانسى

((لا اشعر بالارتياح.. أبدًا))

لم يأبه لكلامها وهو مستمر بمحاولة جعلها تشعر بأنوثتها
وإحساسها بسيطرته الكاملة عليها..

لا يريد أن تمارس العلاقة معه كمهمة روتينية يجب عليها
أداؤها والتخلص منها..

لذلك حاول أن يضح دماء جديدة في علاقتهما.. بأثارة..

وبالكاد جعلها تتمم اسمه في حياء..

أحاطت عنقه بذراعيها.. كأنها تريد الاحتماء بداخله..

وشعر بها تجذب شعره بقوة ألمته لكنه تحامل على نفسه..

حتى تفاجئ بها تبعده عنها وتنهض من مكانها وهي تلف
جسدها بالملاء كأنها تريد أن تسبقه بالاعتسال..

لكنه اعتدل جالسا على سريرها ومنعها وهو يمسكها من
ذراعها ليجلسها فوق ركبتيه..

دون أن يُقدر خجلها فشبهت رانسى مجفلة من حركته..

وكانت تريد الابتعاد عنه بإصرار إلا أن فرط التوتر أو هن
ثباتها خاصة وهي تشعر به يضمها ويدفن جسدها بصدرة
ويريح عنقه فوق راسها هامسا باسمها

((رانسى..))

عقدت حاجبيها وهممت له لتسمعه يردف بهمس أجش

((أريدك أن تشعرني بالسعادة معي.. أن تتغيري أيضًا وتخرجي
الأنثى التي بداخلك..))

ارتسم خط وهن عليها وهي تسمع كلامه الذي شعرت من
خلاله بأنه يبطن وراء كلماته أنها بشبه جمودها معه ليست
أنثى..

منذ متى أساسا وهو يعتبرها أنثى؟

صحيح أنه ما فعله هذه المرة كان مختلفا عن أي مرة سابقة
وبادلها بكلمات بسيطة كلاما معسولا عفويا من خلال ما حدث
بينهما..

والآن يبدو وكأنه يميل للتحدث معها بلطافة..

لكنها بقيت صامتة للحظات وهما على نفس الوضع لا يُسمع إلا
صوت انفاسهما قبل أن تبتعد بعثة عنه وبقوة لتخطو نحو
الحمام المرفق بالحجرة..

اغتسلت رانسي و غيرت ملابسها ثم دفنت نفسها داخل سريرها
قبل أن تفاجئ به بعد مدة يتمدد بجانبها على نفس السرير بعد
أن ارتدى منامة بيئية..

اعتدلت رانسي تتكأ على مرفقها وهي تنظر له باعتراض قائلة

((لماذا تنام بجانبني؟))

قال راجي لها بصوت متحشرج مغمض العينين وبصوت
ناعس

((أنا متعب ولا أستطيع أن انهض من هنا الآن))

اعتدلت رانسي أكثر لتجلس على سريرها قائلة بصرامة
وامتعاض وهي تهز كتفه بيدها

((سريرك هناك بجانبك.. خطوتان وتجد نفسك متمدد فوقه))

حرك راجي كتفه يبعد يدها المزعجة عنه مغمغا بضيق

((اتركيني.. أريد النوم وحسب.. أنا متعب وأشعر بالنعاس الشديد))

كنت رانسى ذراعيها ثم قالت له متدمرة وهي تزم شفئيتها
((إذا ما زلت مصرا أن تحتلي سريري.. سأنهض وأنام أنا فوق سريرك))

ما إن همت لتعتدل واقفة حتى فتح راجي عينيه بغضب وهو
يمسك ذراعها ويعيدها لتهبط مكانها بقوة هادرا بصلاصة
((لا.. لا أريد أن تنامي فوقه))

قالت رانسى له بعينين متسعيتين وبصوتٍ ممزوج بالحنق
باستنكار

((لماذا؟ ألم تقل إنك لا تحب ولا تستطيع أن تنام بجانب أحد))
زفر راجي بضيق وهو يعتدل شبه جالسا ثم قال لها بخشونة
((نعم ولكني متعب الآن وبالفعل تمددت هنا ولا أستطيع النهوض مجددا.. دعينا ننام سويا وحسب))

حاولت رانسى أن تكون هادئة وهي ترد عليه باذلة كل طاقتها
حتى لا تغضب من تبريره السخيف والغير منطقي وهي تشير
بكلتا يديها لنفسها

((لا تنهض إذا وتتعب نفسك أنا من..))

بتر كلامها باعتراض حارم وبصرامة

((إياك أن تجلسي عليه.. لن اسمح لك بالرقود فوقه.. لا أحب أن ينام أحد غيري على سريري))

عقدت رانسى حاجبيها لتقول بتحفز وهي تنظر له بامتعاض
واستنكار

((ولكنك تنام على السرير خاصتي))

شعر راجي بالرفض وهو يرى إصرارها على النوم منفردان
فقال لها من بين أسنانه وبتقاسيم وجه جافة كما نبرته وهو
يصر على ما قاله

((نعم لأنني اشتريت كلا السريرين بنقودي.. وضعي مختلف
عنك ولي حق النوم أينما أشاء وعلى أي سرير))

بقيت رانسي تنتظر له لحظات بعينين حادتين كمن تريد افتراسه
بأي لحظة..

ثم لانت ملامح وجهها إلى الاستسلام ونفخت بصوت عالٍ نافذ
الصبر..

هزت رانسي رأسها مغمغمه بنبرة مرتعشة وكأنها على وشك
البكاء بأي لحظة

((حسنًا.. أهني مع سريرك الاثنين.. سأنام على الأرض))

واعتمدت واقفة من مكانها فوق السرير لتقفز أرضاً بخفة وتبدأ
بتحضير فراشها فوق أرضية الحجر..

قال لها راجي بصوت مكتوم بالضيق رغم إظهاره اللامبالاة
وهو يستدير ليعطيها ظهرها

((نامي أرضًا.. لا يهمني..))

رمت رانسي الغطاء باقتضاب فوق الفراش ثم استلقت لتتمدد
فوقه وغطت نفسها وهي تعطيه أيضًا ظهرها..

بعد لحظات تملل راجي المستلقي فوق سريرها وهو يمرر
أنامله بين خصلات شعره بأنامله باقتضاب..

قال لها بصوت خافت إنما حانق بشدة

((إذا شعرتِ بالتعب من النوم على الأرض يمكنك النوم بجانبى هنا فوق سريرك لكن إياك أن تنامي على سريري.. أنا أذكرك فنومي خفيف ومن السهل الاستيقاظ في كل ساعة لأتأكد من عدم احتلاله من قبل أي أحد.. عَلم؟))

أجابته رانسى ببرودٍ متحفظ وهي تقول

((نعم عَلم.. لا تخاف على سريرك الحبيب مني))

ساد صمت آخر أطول من أي صمت حدث بينهما قبل قليل وكان كافياً ليُشعر فيه راجي بسخافة أسلوبه وخشونة كلماته.. كان بإمكانه ببساطة أن يخبرها أنه يريد منها أن تنام بجانبه من الآن وصاعداً..

صحيح أن كلا السريران منفردان ولكن الاثنان كبيران بما فيه الكفاية ليكون أي واحد منهما مكاناً لنوم شخصان معاً..

تنهد راجي وهو يعود للاستدارة للجهة الأخرى ثم يخفض بصره حيث تنام رانسى بالأسفل..

همس راجي لها بصوتٍ أجش

((هل أنتِ نادمة على الزواج بي؟))

رفعت رانسى حاجبيها باستغراب من سؤاله الذي جعل نبضات قلبها فجأة تزداد..

هل هو حقاً مهتم إذا ما كانت سعيدة وليست نادمة أو لا بهذا الزواج؟

أجابته رانسى بنبرة غريبة

((لا على العكس..))

بيحة خاصة سألتها راجي وبنفس همسه السابق

((حقاً؟))

تنهدت رانسى قبل أن تقول بهدوء

((بعض النساء يتزوجن رجالاً فيهم عيوب صعب تقبلها على
أمل التغيير بعد الزواج.. لكن لا أحد يتغير.. وهذا ما حدث
بزواجي الأول رغم علم أبي بكل مساوئ ابن عمي.. أما أنت
فوافقت على الزواج منك ليس لأنني رغبت بك أو لأنني أملت أن
تكون كما ارغب.. بل لأنني أستطيع تقبل عيوبك.. وحتى تلك
التي عرفتها بعد الزواج ليست صعبة للتأقلم معها))

شعر راجي بضيق شديد لذكر ابن عمها الذي كان زوجها..

لكنه ابعد هذه السيرة عن تفكيره وهو يراها تستدير أخيراً لجهته
وهي ترفع بصرها له ليتوصلا الاثنان بعينيهما تحت ضوء
الحجرة الخافت قبل أن تردف رانسى كلامها وتقطع الصمت
متسائلة

((وأنت؟ هل تشعر بندم على عدم حزمك بشكل جدّي أمام
عائلتك برفض الزواج مني؟))

بقي ينظر بعينيها مباشرة وهو يجيبها بعاطفة

((الحقيقة.. لا.. بل وربما لم أتوقع قط ومسبقاً بانني سأندم على
هذا الزواج رغم عدم رغبتني الملحة به))

بقيا ينظران لبعضهما البعض ويتبادلان مشاعر تخص كل واحد
فيهما وبنظرات مليئة بمشاعر جياشة غير معلنة قبل أن يغلب
النعاس عينا رانسى لتسدل جفنيها بهدوء ورقة..

انتظر راجي دقائق قبل أن ينهض من مكانه ويخفض جسده
ليحملها بركة وخفة ويضعها فوق فراش سريرها..

رغم طولها إلا أنها كانت خفيفة الوزن كالريشة..

تمدد راجي بجوارها ومسد شعرها بيده وهو يطالعها بنظرات
مبهمة..

بكل مرة يحدق فيها أثناء نومها تبدو له جذابة جدًا بشعرها
القصير الأسود الحريري وبطريقة تسلب حواسه..

شعر بأنه ضائع.. وكان العالم الهادئ البارد الذي يعيشه منذ
انفصاله عن سارا تم نسفه تماما عندما جاءته رانسى بالرغم
من طريقة تعامله الباردة معها لأشهر..

تنهد بأسف لطبيعة هذه الحياة التي يعيشها معها..

لكن المشكلة أن زواجه برانسى جاء بعد زواج سابق كارثي
استنزفه نفسياً لفترة طويلة..

لذا عندما يرى بعض محاولاتها للتقرب منه أو تصرفاتها التي
تتحبب بها إليه يراجع مشاعره بدون أن يعرف طبيعة ما يشعره
تجاهها..

ولا يظن بأنه يستطيع أن يعدها بشيء في المستقبل إذا ما طلبته
منه..

لكن عاد يسأل نفسه مجددا.. هل أذاها كثيرا منذ أن تزوجا؟
بسهولة.. يمكنه معرفة الإجابة..

نعم بالغ بالفعل فيما فعل.. أو فيما لم يفعله..

وطوال الأشهر الماضية هي عاشت معه في عذاب.. بل ربما
تتلذذ في تعذيبها..

كان يدحجها ببرود عند غضبها أو احتجاجها من شيء يفعله
ولا يروقها..

كان يهملها عند حاجتها إلى صدر حنون منه..

كان يتسكع بالخارج مع أصدقائه أوقات فراغه بينما يتركها غارقة بالوحدة هنا بالمنزل وخاصة عندما تتشغل جالا عنها هي الأخرى ببنتيها..

كان يشعرها بالضيق والانزعاج كلما حاولت التقرب منه بالحديث..

بل لم يجد أي مشكلة بالتحدث عن سارا أمامها..

ولم يهتم بمجاملة شكلها بعد أن تمضي وقت طويل بتزيين نفسها..

وحجته أنه لا يشعر بالحب تجاهها لن تكون مجدية حيث هي الأخرى لا تحبه إلا أنها لم تتردد منذ أول يوم ارتبطت به أن تربط بين علاقتهما حبال مودة ورحمة..

وهو فعلا لو لم يكن يريد الزواج لما استطاع أحد من أفراد عائلته أن يتزوجها..

لف راجي ذراعه حول جسدها النحيل يضمها إليه ويستشعر دفء جسدها قبل أن يشعر بها بعد لحظات تتلملم بين ذراعيه وكأنها رغم نومها العميق أحست به وترفض قربه..

إلا أنه شدد من احتضانها إلى حد أن شعر بنبضها يعانق نبض قلبه..

شاهد دمعة متسللة من إحدى عينيها المغلقتين وبحركة عفوية هبط بفشتيه وقبلها متذوقا ملوحتها ببطء.. وعمق..

ابعد راجي وجهه عنها قليلا يطالع لمرّة أخيرة تقاسيم محياها الجذاب ورفع أنامله يعود لتمسيد شعرها بهدوء تام..

حتى اغلق عينيه وذهب في نوم عميق..

وعند الفجر تأكد من أن يعود للنوم في سريره حتى لا نظن أنه
بعد أن حملها لسريرها قضى الليلة بجانبها وتزعج..

=====
=====

في اليوم التالي..

شدت لين التي جاءت مهرولة ثوب أمها وهي تخبرها بلهفة

((أمي.. جدتي روعة هنا وتستقبلها زوجة خالي))

تصلبت جالا الواقعة أمام نار فرن المطبخ مكانها للحظات قبل
أن تستدير لصغيرتها وتتنظر لها بدهشة لتقول بعدم تصديق

((هل جاءت فعلا؟ أين هي الآن؟))

هزت لين رأسها بتأكيد وأشارت لأمها بسبابتها للصالة لتشعر
جالا بالارتباك..

لو أرادة رؤية حفيدتها لكانت طلبت مجيئهم عندها لا المجيء
هنا وتكذب عناء الخروج..

إذن هي قد جاءت من أجلها..

لكن هل عليها أن تخرج وتقابلها؟

أم تجعل رانسي تستقبلها وتخبرها بعد مغادرتها ماذا تريد منها؟

ضيقت جالا عينها وهي تفكر أن مجيء والدتها مراد بهذا الوقت
معناه أنها تريد رؤيتها هي والتحدث معها هي دون تدخل أي
أحد حيث يكون راجي في عمله..

انحنى جالا تحمل صغيرتها ثم انتصبت واقفة وهي تشعر
بالارتباك يعترئها بينما تتقدم من الصالة..

لكن تحاملت روعة على نفسها وهي تسألها بأمر بعيد عن
الموضوع الذي جاءت من أجله بمحاولة التخفيف من حدة
الموقف

((هل تزوج أخيك من صديقتك رانسى؟ بصراحة لم أمعن جيدا
بالنظر بها إلا الآن.. تبدو جذابة ولطيفة.. محظوظ أخيك بها))

قالت جالا بصوتٍ خافتٍ

((نعم هو كذلك))

عاد الصمت بينهما لدقائقٍ أخرى بترته روعة وهي تسألها

((كيف حالك يا جالا؟))

كان من النادر لروعة أن تناديهما باسمها فبدا الأمر غريبا قليلا
عليها..

لكن ولان جالا كانت تريدها أن تدخل بصلب الموضوع مباشرة
قالت لها بقليل من الحدة التي لم تقصدها

((ابنة سميحة بخير))

عقدت روعة حاجبيها وهي لا تتقبل طريقة محادثة جالا لها
لكنها عادت تتحامل على نفسها لتقول بانزعاج

((لماذا تتحدثين معي بهذا الشكل الغير مهذب؟))

أشاحت جالا بوجهها بعيداً عنها ترفض الإجابة بما يعتمل
بداخلها وهي تشعر فجأة أن الصالة ضيقة وقد ضاقت بنفسها من
هذه المواجهة التي لم تبدأ حتى..

قالت روعة عقب أن تنهدت مسنغفرة

((متى ستعودين لبيتك وزوجك؟))

قالت لها جالا ميتسمة بسخرية ومرارة تعكس ألمها لكل ما
مرت به بسبب مشاكلهما السابقة

((قال لي مراد أنك وحتى الآن لم تطلبي أي عاملة دائمة
لمساعدتك.. هل يعقل أنه لا يوجد بهذه القرية كاملة عاملة
تتمتع بنفس مهاراتي بخدمتك وتنظيف المنزل إلى حد جعلك
تتنازلي وتزورني من أجل إحضاري عندك؟))

نظرت لروعة لها بعدم تصديق ولجراتها على قول هذا الكلام
أمامها.. لترد جالا عليها بجفاء

((حسنا يا ابنة سميحة لن اطلب منك مجددا أن تتردي على
منزلي.. بل لن اسمع لك بدخول عتبه حتى لو أردت وتوسلت
لي من أجل ذلك.. خسئت أن أتوسل قريك أو زيارتك.. كل
هذه المشاكل والخلافات من أجل موضوع تنظيف منزل؟ يا
سخافة الوضع الذي نحن به))

هدرت جالا معترضة

((أنتِ تعرفين أنني ارفض رؤيتك أو التردد على منزلك لأنك لا
تتوقفين عن الطلب مني تنظيف البيت كاملا طوال اليوم رغم
أنه يكون نظيفا ولا تنفكين عن إهانتني وإهانة أمي حتى أمام
جاراك.. وتسمحين ليأرا بالتناول علي كثير))

قالت لها روعة بحق وامتعاض شديدا

((أنتِ من كنت تحرضين مراد على ابنة خالته المسكينة.. منذ
آخر شجار حصل بينكما وهو يفرغ كل غضبه على يارا
بأوقات زيارتها القليلة أصلا لنا.. هل تعرفين منذ متى يارا لم
تزرني بسبب معاملة مراد الجافة لها رغم أنها تعيش وحيدة
بمنزلها مع سفر زوجها المستمر ورغم حاجتها لمن يكون
بجانبا ومعها أثناء تربيتهما لطفليها))

ردت عليها جالا بغضب هادرة

((حتى وانا جالسة ببيت أخي وبعيدة عنكم تتهميني بتحريضه
على يارا؟ حتى بعد كل الأذى الذي تسببت به يارا لي تضعين
الحق عليّ؟ أساسا أنت كنتي السبب بتماديها عليّ))

بقيت روعة تحددق بها بحدة لدقيقة قبل أن تقول بتصلب رغم
قهرها وهي تشيح بعينها بعيد عن مرمى نظرها

((لنعود من أجل الموضوع الذي جنت من أجله.. متى
ستعودين؟ تلك الصفحة التي صفعها مراد بلا أي شك اعتذر لك
عنها طوال الأيام التي كان يزورك فيها لذا لا توجد لك أي
حجة للبقاء هنا.. يكفيك دلالات))

هدرت جالسا بها بإصرار وعزم

((لن أعود أبداً.. وما الذي تغير لأعود؟ ثم أن الموضوع ليس
مجرد صفقة بل أكثر بكثير منها))

ثم أردفت تزيد بصوت مبتئس لتغشي الدموع عيناها

((حتى ولو تصالحت الأنفس.. أنا منذ مجيبي هنا وأتذكر كل ما
فعلته بي بالماضي.. من ضمنه اتهامي بشرفي.. ولا أنسى
كيف كنت تجالين سهر للبيت لتلقتي انتباه مراد لها.. لا أنسى
محاولاتك لتزويجه سواء ببداية زواجنا أو مؤخرًا.. كل هذه
الأمر تجعلني ابكي كثيرا حتى أكاد اشعر بانني سأصاب
بانهيار عصبي.. لم انس شيئا مما فعلته بي.. بل بسببك
أصبحت منكسرة وألوم نفسي كثيرا.. واندم كثيرا أنني كنت
أفركك برويتي ضعيفة))

كانت كلمات جالا تزيد من آلام روعة بذنوبها فضلا عن
الأعمال التي قامت بها وتسببت بها بؤسا لابنها..

وكلما تحدثت جالا أكثر تجلدها بسوط اللوم والاتهام جاعلة من
الجليد المتكون حول قلبها تجاهها ينكسر..

نظرت روعة مبهوتة رغم ثباتها من الخارج لجالا ولعينيهيها
المليئين بالألم والوجع ثم همست لها بتصلب معترفة

((أنا لست نادمة على أي شيء إلا على اتهامي لشرفك.. لكنها
كادت ردة فعل تلقائية للأهوال التي سمعتها من ابني.. لم أكن
لأصدق مرور سنة على زواجكما دون أن يحصل أي شيء
بينكما لمجرد خوفك ورهبتك.. ولكن لم يعرف أحد بذلك الاتهام
من داخل العائلة على عكس ابني الذي تم فضحه بالقريبة كلها..
لذا أنا مدينة لك باعتذار واحد حقيقي))

تتهدت قبل أن تكمل روعة بوجه جامد الملامح

((أنا أسفة فقط على ما قلته عنك بشرفك قبل أكثر من عقد
زمان.. ودائما ما أدعو ربي أن يغفر لي ذنب القذف بلا أي
دليل.. وأتمنى أن تسامحيني على هذا الذنب حتى أتبرا منه
وارتاح أخيرا))

نظرت لها جالا بحرقة صامته للحظات ثم قالت لها بصوتٍ
مرتجف من الغضب والغيض

((حسنا.. مع أن ما قلتيه عني أذاني أنا وعائلتي بشدة لكن
سأسامحك عليه لأنك لم تحاولي فضحي خارج عائلتي على
الأقل.. ولأنني كنت سببا لحدوث هذا معي بتمنعي.. لكن وماذا
بشأن الأمور الأخرى؟ هل ستطلبين مني السماح لأجلها؟ حتى
هناك الكثير من الأمور التي أذاني مراد فيها بسببك وبسبب
تحريضك))

قالت روعة بمكابرة وثقل

((لا لن اطلب.. لم أخطأ بشيء.. أي امرأة كانت مكاني لكانت
حاولت تزويج ابنها.. سواء بما يخص محاولتي بالسابق أو
مؤخرا حتى))

قالت لها جالا بثورة مخنوقة

((أنت لا تعامليني مثل ابنتك.. لا تعتبريني مثل يارا.. هل
لكنتي تفعلين نفس الشيء لو كانت يارا زوجته؟))

ثم قست عينا جالا ورفعت رأسها المُحمر وقد بدأت عبراتها
الساخنة تهبط على جانبي وجهها

((لذلك أنا لا أستطيع اعتبارك مثل أمي ومن المستحيل أن
أتعامل معك على هذا الأساس))

لن تتكر روعة أن كلام وملامح جالا هزوها..

بل وأوجع قلبها أن تكون علاقتها هكذا معها هي.. زوجة ابنها
الوحيد..

خاصةً وهي الآن تجلس وحيدة ببيتها بمغادرة يارا وسكنها
بمحافظة أخرى..

وزوجها محمد الذي رغم تقدمه بالسن يرفض التقاعد أو تقليل
ساعات عمله ولا يقضي معها وقتًا طويلاً في البيت..

هي فقط ساعات قليلة تروح فيها عن نفسها بالأسبوع عندما
يزرنها جاراتها وتزورهن وحسب..

قالت روعة بصوتٍ مختنقٍ لجالا

((يبدو أنني أيضاً مدينة لك بالاعتذار عن إساءتي لك أمام
جاراتي والإساءة لوالدتك وهي التي لم تسيء لابني مرة.. أما
بشأن طلبي بمساعدتك بالتنظيف فهذا واجبك لي أنا حمائك..
وأنا كنت اعمل نفس شيء مع حماتي))

قالت لها جالا معاندة بصوتٍ خافت

((لا لست مجبرة بذلك وليس شأني ما كنتي تقومي به لحمائك..
تعرضك للظلم لا يسمح لك بظلم غيرك من نفس الجنس
والظلم.. أساساً كما قلت سابقاً أنا لن أعود.. لا أستطيع نسيان

الماضي.. وانا متأكدة من أنه لن يتغير شيء من جهتك
بعودتي))

صرخت بها روعة بغضب

((وهل ستظلين على هذا الحال أنتِ وابني؟ هل تزوج هو
ليعيش هذا التشتت؟ وأنتِ عدتي للعمل صحيح؟ تركت زوجك
وبيتك وعدتي للعمل؟))

أجابتها جالا بهدوء

((نعم عدت ولكني توقفت بعد أن عرفت أنني حامل بطفل
ثالث.. فكما تعرفين لي تجارب كثيرة مع الإجهاض التلقائي أو
فقدان الجنين ولا أستطيع المخاطرة وإرهاق نفسي))

وهنا عادت جالا تذكر تلك المرات التي فقدت حملها فيها بأول
خمس سنوات من زواجها..

فبينما تكون هي غارقة بالكآبة والألم وهي تشعر أنها فقدت
جزءاً من الحياة خاصة وأنه كلما طالقت فترة الحمل وحدث بعده
الإجهاض التلقائي كلما كان الحزن أعمق داخلها..

كانت روعة لا تهديها إلا التذمر والتوبيخ لأنها غير قادرة على
إعطاء ابنها أطفالاً..

همست روعة بشحوب متسائلة

((هل أنتِ حامل؟))

قالت جالا بتأكيد

((نعم.. ولا يعرف أحد بحملي إلا رانسي وأخي.. حتى أُمي
ومراد لم أخبرهم بعد.. لا أريد أن يتم إجباري على العودة
لمجرد أنني حامل))

ذفنت روعة وجهها في كفها لدقائق قبل أن تبعده قائلة بصوت
باهت مليء بالمرارة

((من المهم أن يعيش الرجل مع زوجته بفترة حملها.. عودي
للمنزل ولا تحرمي ابني من هذه اللحظات))

وقفت جالا من مكانها قائلة

((لن أعود.. سأذهب الآن لأتأكد إذا ما تم تجهيز الغداء فلا
يصح أن تذهبي..))

قاطعتها روعة وهي تزرق بها بغضب شديد

((لا أريد اكل شيء.. سأغادر من هنا))

ثم جذبت روعة حقيبة اليد خاصتها واعتدلت من مكانها واقفة
بدون أن تهتم لكلمات جالا المعترضة وهي تتخطاها..

ولكن قبل أن تغادر روعة الصالة قالت بصوتٍ مختنقٍ وهي
تطفي جالا ظهرها وتشعر بألم داخل قلبها بشكل لا يمكن
وصفه

((إذا كان شرطك للعودة هو أن تسكني بشقة بعيدة عن بنايتنا..
فسأسمح لك بذلك.. بل من اليوم سأطلب من زوجي أن يطرد
مراد من شقته فوقنا ويطلب منه السكن بعيدا عنا))

ثم أردفت روعة بصوتٍ مختنقٍ لفكرة أنها ستعيش بعيدا عن
ولدها الوحيد ولن يكون هناك المزيد من الزيارات المسائية
عندما يدخل بيتها لساعتان كلما عاد من عمله مرهقا

((لا أريد لإحساس ابني بافتقاده للعائلة والعاطفة بحياته أن يؤثر
عليه سلبيا ويعيش ببؤس.. أنه يعيش الآن بعيدا عن الراحة
والطمأنينة وحياته جافة.. عودي أنتِ والبننتين لحياته واجعليها
كما كانت.. ولا أريد أكثر من ذلك.. فلا ذنب لابني بكرهك
لتصرفاتي))

=====
=====
انتهى الفصل

بعد مرور أسبوعين..

فوق ظهر البيت..

نظر راجي إلى السماء الواسعة والتي لا نهاية لها ذات لون
أرجواني والمرصعة بالنجوم وهو يفكر أنه لم يبق سوى قليل
من الوقت يفصله عن بزوغ الفجر..

أطلق راجي تنهيدة وتخلل شعره بأنامله وقد بدأت أفكاره
تتسارع ووجد نفسه يفكر بأمور مختلفة وكثيرة تخص علاقته
مع رانسى..

مع في الأيام السابقة تغير كلياً معها إلا أنه يشعر خلال
لحظاتها الخاصة أن لديها برود تجاهه..

لا يعرف السبب الذي يجعلها تشعر بذلك معه تحديداً لكن من
الواضح أنه معنوي..

الحقيقة أنه لا يجب عليه أن يقف مطولاً عند هذا السؤال بل
يلتفت لنفسه..

لأنه موقن بأنه سبق وهضم حقوقها الروحية وعاملها كأداة
لقضاء احتياجاته وأشعرها بأنها مجرد كيان لا قيمة له..

وأنها لا تمثل شيئاً في حياته..

فلأشهر لم تكن هناك مشاعر بينهما..

لا ود ولا حب ولا مشاعر صادقة..

لكنه تدارك نفسه في النهاية وبدأ في الأيام السابقة معاملتها باختلاف وعلاج علاقتها ومحاولة أن يشعرها بكيانها..

هو زوجها.. فإن لم تجد ذلك عندك فأين تجده؟

سمع راجي صوت أذان الفجر يصدح في السماء فتنهد قبل أن ينزل من ظهر البيت نحو المسجد..

.

.

عند ساعات الصباح الباكرة..

حجرة النوم..

بدأ راجي تغيير ملابسه ببطء قبل أن يسمع قرعا على الباب..

استدار نصف استدارة للخلف عندما سمع صوت شهقة يعرف مصدرها تماما وهو يبتسم بعينين يرى وجهها المحمر الذي أشاحته جانبا وهي تراه عاري الصدر لا يرتدي شيئا إلا بنطال جينز..

فدنا راجي منها ليحمل عنها الصينية التي كانت تمسكها ويضعها فوق منضدة صغيرة..

كانت قد جلبت فوق الصينية كوب شاي وشطيرة شهية أعدتهم له قبل ذهابه للعمل..

وقبل أن تسارع رانسي بمغادرة الحجرة أمسكها راجي من ذراعها بقوة وجذبها إليه..

شعرت رانسي بجسده القوي الصلب يلامس جسدها قبل أن يحني راجي رأسه وجبينه يلامس جبينها..

همس راجي لها بشجن حنون رغم العبث البارق من عينيه

((فليكن بعلمك أنا مراع جدا لك لأنه لم تمر سنة على زواجنا بعد.. ولكن بعد ذلك عليك التخلص من هذا الخجل.. أريد أن أعلمك ونجرب أموراً أخرى ومختلفة.. أكره الروتين في..))

يتر كلامه ولم يكمله.. فهو يعلم أنها خجولة بعض الشيء معه وهو أمر طبيعي في بداية زواجهما.. حتى ولو كانت متزوجة قبله..

لكن عليها أن تكسر حاجز الخجل لديها معه..

أطرقت عينها للأرض كأنها ترفض التفكير بجرأة كلامه وما يقصد حتى..

وسرعان ما تملمت رانسي بين ذراعيه تحاول خلق أي فرصة للهرب من ذراعيه اللتين تحبسانهما بداخلهما لتقول له بصدق شفاف واقتضاب واضح

((أنت جريء جدا يا راجي))

قد يبدو من الخارج صاحب نبرة هادئة وأسلوب مميز ومتمزن عاقل..

ولكنه معها صار تحديداً شخص آخر تماماً..

وهي بالحقيقة لم يكن عليها توقع شيئاً مختلفاً عن ذلك..

فهو ما زال شاباً ببداية الثلاثين.. في أوج عنفوانه وشبابه..

وهي تتصرف وكأنها امرأة عجوز فهي أبطأ من تجاريه..

بالليالي السابقة كان شديد الجرأة..

شديد الجرأة بدرجة تجعلها تخجل من مجرد استعادة ذكرى أي ليلة من تلك الليالي في كل صباح عند استيقاظها..

ولا تستطيع أن تشعر بالراحة وهي تعرف تماما أنها لن تترقى
لمعاييرها العالية..

ولن يلبث قليلا حتى يعلن عن حقه بأخرى تناسبه..

لا ترى زواجهما امن بالنسبة لها حتى هذه اللحظة!

أنصت راجي لشكواها وما لبث ثوانٍ حتى أطلق ضحكة عالية..
خشنة.. شقية.. وهتف لها بجملة ساخرة تهكمية

((أنتِ تدريكن أننا متزوجان صحيح؟ ها!))

رغم سخرية كلامه إلا أنها شعرت بالدفء يغمر كيانها من
احتجازه له بذراعيه فأغمضت عينيها للحظات..

تغيره جاء بشكل كبير وملحوظ جدا وبنفس الوقت تغير فجائي
ودفعة واحدة بلا أي مقدمات..

من محاولاته للاقتراب منها..

أو محاولاته بتقديرها وجعلها تشعر بإنسانيتها ويستوعبها..

أو محاولاته أن يعاملها كصديقة له ويفتح لها بابا من الحوار
لتكلمه عن مشاعرهما ورغباتها..

فتحت رانسي عيناها ما إن مرر راجي أطراف أنامله فوق
جبينها ثم فوق انفها الصغير ولمساته ترسل الارتعاش في كامل
جسدها..

قال راجي لها وكأنه يختير رباطة جأشها بابتسامته الساحرة
وعينيهِ البنيتين الشقيتين

((هل تذكرين تلك القبلة التي طلبيتها مني ورفضتها بغباء؟ متى
ستعودين لطلبها مجددا؟ أريد أن نحظى بقبلة تكونين المبادرة
فيها))

ضحك راجي بنعومة وهو ينتبه لخط حنق ظاهر على جبينه
بينما كلها تكاد تذوب بين ذراعيه من الحرارة التي بدأت تغزو
بشرة وجهها..

وبنفس الوقت شعرت بجفاف حلقتها وهي تحس بشيء خفي
يداعب قلبها جراء سماع كلماته..

لكن سرعان ما انتصب راسها عاليا لتقول بصوتٍ متحرج
ومختق بصرامة مقتعلة

((أي قُبلة؟ لقد كنت محمومة عندما طلبتها.. أرجوك أنساها))

أبعدهت رانسي عنها بقوة وخطت لداخل الحجرة لتفتح دولا ب
ملابسه وتخرج له قميصا..

تكذب عندما تنكر أن الذي تهواه فيما يفعله هو قبلاته وكلماته
ونظراته الرقيقة المعبرة عن الشوق والعاطفة..

رفعت رانسي عينيها له تمد له قميصه وهي تزدرد ريقها بتوتر
قبل أن تهتمهم بخفوت بمحاولة تغيير الموضوع

((سأذهب للينا اليوم))

حذق راجي بها للحظات وهو يلتقط القميص منها وما لبث أن
تمتم لها مستفسرا

((ابنة عمي؟))

أجابته رانسي بتلقائية بحاجبين معقودين

((نعم ومن غيرها))

مرر راجي أنامل يده في شعره المبعثر قانلا بتذمر وضيق

((هل تعرفين أنني مقصر بحقها! منذ أن انفصلت عن زوجها ووفاة عمي فيصل رحمه الله وأنا حتى لم اتحدث معها أو أسألها بشكل مباشر عن أحوالها))

تبادلت رانسى هي وراجي الذي كان يزرر قميصه النظرات بينما تتقدم منه لتقول وهي تمد له سترة خُلته

((مسكينة.. الطلاق مع طفلين بعمر صغير صعب.. الأولاد يكسرون ظهر الأم))

همهم راجي لها موافقا ولكنها لم تعلق عليه ولاحظ نظراتها المترقبة فقال لها بنبرة تحمل الإعجاب

((لكنها قوية.. كما أنها تعيش بمنزل والدها مع زوجة والدها أمينة.. وأنا متأكد أن زوجة عمي أمينة تهتم بها جيدا فهي دائما تخبرني عن أحوالها حتى بدون أن أسألها وهذا ما يجعلني مطمئن بشكل كبير))

قالت رانسى له تحته

((أنها ابنة عمك.. عليك أن تعتني بها بشكل أفضل وتكون أكثر مسؤولية تجاهها..))

ارتدى راجي السترة واستدار لها وقد مضت عيناه ببريق أثار تورد وجنتيها الذي لا يزال ظاهراً.. تنحنح راجي قبل أن يقول لها بلهجة مميزة وقد علت وجهه ابتسامة مآكرة لامست شغاف قلبها

((حسننا سأفعل.. ولكن بعد أن اعتني بزوجتي أنا بشكل أفضل سأركز بها))

رفعت رانسى عيناها لتتنظر لمحيط حديقته العابت..

قالت بثبات له عقب أن لوت شفيتها بنزق بينما تشبك ساعديها أمام صدرها

((راجي.. أنا اتحدث بجدية.. لينا ليست من النوع الذي يحب
المنفتح أو من قد يطلب الاهتمام.. لذا عليك السؤال من تلقاء
نفسك بما أنك الرجل الوحيد بالعائلة))

قال راجي لها بحزن مفتعل ومبطن بعبث بينما يصف شعره

((جالا ستعود قريبا عند زوجها.. أعني كما أمل وأتمنى أنا..
ولكن يبدو أن فرحتي لن تكتمل فأنتِ وجدتي لينا صديقة أخرى
غيرها تشغلين نفسك معها بدلا من جالا بعيدا عني.. وضعي
محزن ومثير للحسرة))

عبست رانسي بتعجب قبل أن تقول له بصراحة

((لينا وجالا لا تبدوان صديقتان أبداً مع انهما قريبتان من
العمر))

رمقها راجي بنظرة متفحصة قبل يهز رأسه مؤكدا على كلامها

((نعم فجالا كانت تتصرف بلؤم شديد جدا معها وهي صغيرة
لأنها كانت تشعر بالغيرة منها.. بنظر جالا فلينا كانت تحظى
بكل ما لا تحظا هي به.. كانت جالا شرسة بصغرها مع
الجميع))

قالت رانسي بابتسامة عفوية مازحة

((نعم أخبرتني جالا قليلا وبكل صراحة اشعر أن كل ما فعلته
حماتها وابنة خالة زوجها يارا سابقا معها جزاء على أفعالها مع
لينا))

اتسعت عينا راجي قليلا وهو يضحك بخفوت عليها لتقول لها
ناهية بتذمر رقيق

((إياك أن تقول ما أخبرتك إياه لجالا))

قال راجي بدهشة قليلة لا تخلو من الشقاوة

((تعرفتي على ليانا منذ مدة قصيرة جدا وبعثت جالا فعلا.. بعد
أشهر ستيبعني أنا من اجل ليانا))

كان كلامه فيه لمسة جدية فوجودها بجانبه مع كل ما تقدمه له
يشعره كأنه طفل مدلل..

ولا يحب أن تتشغل عن أحد آخر غيره..

قالت رانسي له تلومه برقة

((ليانا امرأة لطيفة ومحبوبة.. اشعر أنني أصبحت صديقة مقربة
منها واعرفها منذ سنوات.. لا أدري كيف لا تكون جالا مقربة
من أختها أبداً))

ارتشف راجي قليلا من كوب الشاي ثم قال وهو يفتح أحد
أدراج المنضدة الصغيرة يسارع بالبحث عن محفظته

((عليّ الذهاب الآن ولسوء الحظ لن أستطيع أن اكل من
الشطيرة التي قمت بإعدادها من أجلي..))

قالت رانسي له بلهفة وهي تسارع بأخذ الصينية

((انتظر قليلا سأضعها داخل حافظة الطعام وخذا معك
للمكتب بدل الاعتماد على الطعام السريع من المطاعم طوال
اليوم))

شبهت رانسي بصوت خافت وهي تبتتر كلامها بينما ترى إحدى
أقرانها تقع أرضا عندما حاول راجي إخراج بعض الأشياء
من أحد الأدراج الصغيرة بينما يبحث عن محفظته بشكل
متعجل وفوضوي..

الأقران كانت عبارة عن حبوب الحمل التي تشربها بانتظام
وتضعها كل مرة باهمال بمكان مختلف..

ولغيانها لم تجد أن تضع محفظته إلا بإحدى هذه الإجراء وقد فاتها أنها سبق ووضعت فيها الأقراص آخر مرة..

وقفت رانسي مكانها متجمدة الأطراف وكل نظرها مُركز نحو مشط الأقراص المرمي أرضاً لا تجرؤ على رفع بصرها ومواجهته خوفا ورعبا من المواجهة..

جنّا راجي والتقط الأقراص بيديه ففغرت رانسي شفيتها وهي تراه يمد الأقراص التي يمسكها بيده لها..

بيبء شديد رفعت رانسي وجهها لتطالع عينيه اللتين كانتا تبعثان لها بنظرات لو كانت تقتل لسقطت مكانها جثة هامة..

فبقيت رانسي للحظات طويلة مرت عليها دهرا على وقوفها بينما تضم قبضتها بجوارها وتتنظر له بجمود والذعر يمتلك منها من ردة فعله..

وعندما طال الوقت ولم تمد يدها لتأخذ منه الأقراص هدر بها راجي بصوتٍ هادئ

((ما بك؟ خديهم))

اتسعت عينا رانسي اللتان بدتا وكأنهما فقدتا الحياة لردة فعله الهادئة الخالية من أي انفعال..

ثم قالت بارتباك وبصوت متذبذب مرافق لشحوب وجهها

((راجي.. أنا لم أقصد أن أخفي عنك.. الأمر..))

انتبه راجي لوجهها الشاحب وشفيتها المرتجفتين..

فتقدم منها أمام نظرها القلق والمترقب حتى توقف أمامها لتشهق بخوف حينما قبض بيده على أناملها الرقيقة..

جرها راجي برفق لتجلس فوق سريره ليقول له بصوتٍ هادئ

((لا بأس عليك رانسى.. أنا اعرف أنك تستخدمينها))

عضت رانسى شفيتها تواليه ظهرها المرتجف وهي تحارب
انجراف دموعها لتهمس بخزي

((أنا أسفه لم يكن عليّ اللجوء لها بدون الأخذ رأيك.. ولكن..
لكن لم أكن متأكدة من استمرار زواجنا.. قلت لنفسي باني
أستطيع تحمل النتائج مهما كانت عندما أغامر وامضي قدما
بهذا الزواج.. لكن لا ذنب للأطفال الذين سأنجبهم بمغامرتي
هذه.. لذا..))

بتر راجي كلامها المرتبك وهو يقول لها بصوتٍ حنون

((نعم كان عليك إخباري فمثل هذا قرار يجب أن يكون مشتركاً
بيننا ولكن لا بأس.. أتفهم بأن وضعنا والعلاقة التي كانت بيننا
في البداية لم تكن مباشرة بل ومثيرة للقلق.. على كل حال..))

فتح أناملها ليضع الأقرص براحة يدها مردفاً

((يمكنك الاستمرار بأخذ هذه الحبوب.. ومتى ما شعرتي
بالأمان في علاقتنا توقفي..))

بترت رانسى كلامه قائلةً بلهفة بنبرة صوتها المرتجفة

((سأتوقف من الآن..))

إلا أن راجي ردعها قائلاً بصدق

((لا رانسى أنا جدي بكلامي.. يمكنك التوقف متى ما شعرتي
أنك تريد ذلك.. أهم شيء أن تراجعني إحدى الطبيبات للتأكد
من أن هذه الحبوب لن يكون لها عليك أي أضرار جانبية
عليك))

لم ترد رانسى عليه ولم تكن تنتظر له فتابع كلامه بلين وهو
يأخذ الشطيرة من الصينية هادراً قبل أن يغادر

((سأضعها بمغلف وأخذها معي للعمل.. سلمت يدك والى
اللقاء))

=====
=====

تحركت هيام متجهة الى سيارتها المركونة بجانب الطريق
وهي تقرب الهاتف الموضوع بجانب أذنها فتسمع صديقتهما مها
تقول له بنبرة حملت الكثير من اللوم

((يوما ما فعلتي مثلما فعلت))

استقلت هيام سيارتها وشغلت سماعة البلوتوث الصغيرة ليظهر
ضوء ازرق اللون عليها من الخارج..

سمحت لهاتفها بالاقتران بالسماعة لتكمل المكالمة وهي تقول
بنبرة عبرت عن إنهاكها لما قضته من أيام وليالي سابقة
بالتفكير بقرارها التي ستتخذه

((لا أرجوك يا مها لا تقارني بيننا.. ظروفنا وما مررنا بها كان
مختلفا كلياً.. لم أكن أنا أو احمد نستطيع العيش من دون بعضنا
لذلك تزوجنا.. بينما زواجه من سارا كان..))

بترت مها كلامها بصوتٍ محايد

((ولماذا تفترضين انه لا يحبها؟ لماذا لا يكون هانما بعشقها لذا
طلبها للزواج وخشية على مشاعرك كذب عليك وأخبرك أنه
تزوجها لأجل الأطفال فقط؟))

فرت الدماء من وجه هيام قبل أن تبتلع غصة بحلقها بصعوبة
بمحاولة استعادة رباطة جأشها..

بدأت قيادة سيارتها على الطريق ثم قالت بعد لحظات طويلة من
الصمت بصوتٍ مختنق

((لا زلت حتى الآن لا اصدق ما قرأته بهاتف احمد عندما قمت بتفتيشه قبل أيام قبل أن ارحل.. قرات الكثير من الرسائل التي كانت ترسلها له بشكل دائم مشبعة بالشتائم والإهانات على أشياء فارغة كرفضه مثلاً إحضار شيئاً لها أو إخراجها.. هل هذا احمد نفسه الذي يتفاخر بكبريائه بين الجميع؟ كيف يسمح لها بإهانتته بهذا الشكل ويبقى متمسكا بها؟))

وصلها صوت صديقته الهازئ والمحتقر

((الأحمق يبدو أنه يحبها إلى درجة تحمل الذل الذي تدينه له))

قالت هيام بصوتٍ متحشرج وهي تشد بيديها على مقبض السيارة

((كيف أحب امرأة مثلها رخيصة.. لم تكن تظهر رخصها بهذا الشكل والمقدار عندما كانت متزوجة من راجي وهذا ما جعل أخي يتحملها.. لكن مع احمد! هي لم تبذل لأحمد ما يستلجب محبته أو يستدر مودته شيئاً.. فلماذا يهيم بها حباً ويطلب رضاها في كل وقت مع انه يعلم انه لا يملك في قلبها إلا مكانة وضيعة؟))

كانت كلماتها الأخيرة مستنكرة ومتهدجة على حد سواء..

عندما وقفت هيام سيارتها أمام إشارة ضوئية تنهدت وخرج صوتها المعذب بغصة بكاء

((منذ أن تزوجها وصحتي في تدهور.. حتى إيماني أشعر أنه في نقصان وأني في صلاتي غير خاشعة.. تفكيري كله منصب على احمد وسارا.. كيف يحدثها ويقضي ليلته معها وكيف يدللها.. الغيرة تدمرني وتدمر كياني.. أحياناً اشعر بأنه يريدني لكن حبه لسارا اقوى منه.. مشكلتي ليس بأنه تزوج فقط ولكنه صار يجاملني في كل شيء.. وهذا ما يدفعني ألا اسمح له بدخول غرفة نومي فهذا يحطمني ويحطم كرامتي))

أغمضت هيام عيناها وهي تفكر بأنها عليها الخروج من هذه
التعاسة ومن هذه الظروف التي اجبرها احمد عليها وجعلها
ترتكب في حقها أبشع جريمة يقبولها الصمت..

سألتها مها بهدوء

((وماذا تفكرين الآن؟))

فتحت عيناها متنهدة وهي تعود للتركيز بالقيادة ما إن أضاءت
إشارة المرور اللون الأخضر لتقول

((أفكر بالطلاق لأتفرغ لنفسي ولعمل جديد احصل عليه وحتى
لعبادتي التي ضاعت بين أهاتي وأنيبي.. وسأتركه يعيش حياته
معها وأعيش بعيدة عن مجاملاته السخيفة.. أعرف بأن
الحصول على الطلاق أمر صعب.. ولكنني أحترق في كل يوم
مئة مرة))

قالت لها مها بصوتٍ عميق

((أنت قرارك وأنتِ المسؤولة عنه وحدك ففكري به جيداً.. لكن
هل ستعودين للسكن عند أخيك؟))

أجابتها هيام بهدوء

((لا.. بالتأكيد لا مع أي وثيقة بأنه سيصر على ذلك ولكن
يكفيه جالا.. كنت أبيت في الأيام الماضية عند أمي وزوجها
وأخبرتُهما عن قراري بالطلاق والاثنان يدعمانني ويصران
عليّ في العيش عندهما وأنهما سيسعدان برفقة أحد في بيتهما))

قالت مها لها مغمغة بتشجيع ولطف رغم صراحتها

((أتمنى لك التوفيق بكل ما تخططين به.. لكن بشأن عمالك لا
أتوقع أنه سيكون من السهل أن تعودي للعمل في الجامعة.. لقد
توقفتِ عن العمل لما يزيد عن عشر سنوات وأصبحتِ شهادتك
العلمية تقريبا بلا فائدة))

وافقتها هيام بمرارة الندم والخسارة

((نعم يا مها اعرف ذلك.. لكن أستطيع على الأقل العودة للتدريس ولو في إحدى المدارس الخاصة أو مراكز التقوية.. لن يكون الأمر صعبا.. سأفكر بشأن عملي فيما بعد وبعد أن استعيد التوازن في حياتي قليلا.. لكن مبدئيا علي أن احصل على الطلاق أولا والآن من احمد))

ترجلت هيام من سيارتها وهي تغلق الهاتف وتستعد لمواجهتها الآن مع احمد فمن المفترض أن ابنه عاد للسكن مع جده..

صعدت هيام الدرج ببطء وبقيت واقفة عند نهايته وهي تلاحظ وجود حقائب كثيرة وضخمة فعرفت على الفور أن احمد قرر بوضاعة أن يدع سارا تنتقل للشقة بالطابق العلوي مستغلا غيابها تلك الأيام..

في الشقة العلوية لبناية احمد..

وأمام بابها المفتوح والمكان المتسع أمام مدخل الشقة قالت سارا متأففة وبصوت ساخط أمام ميادة التي رافقتها هي واحمد لتساعدها بحزم أمتعتها

((سألتزم بأوامرك يا احمد كما تريد ولن اخرج من الشقة.. ولكن بما أنك تمنعني من الخروج وحدي أو مع احدى صديقاتي ولست متفرغا الليلة لإخراجي فليكن بعملك أنك مجبر بعمل جلسة تدليك لي مثل آخر مرة))

عض احمد على شفته السفلى وهو ينظر بطارف عينه لميادة لينتبه أنها مشغولة بنقل الأغراض ولم تسمع شيء مما قالتها سارا..

ثم نظر لسارا قائلا بصوتٍ مختنقٍ باردٍ

((نعم ولن اسمح لقدماك أن تخرجا عتبة الشقة من دوني..
فامرأة مثلك لا أومن عليها الخروج وحدها))

توشحت نظرات احمد بسخط أكبر..

بينما فكرت سارا بسخرية هل فعلا يصدق احمد أنها تلتزم
أوامره ولا تخرج من وراء ظهره؟

نفخت سارا أنفاسها الضيقة بضجر..

لو عرف أحد من أفراد عائلتها عن طبيعة الرجل المتخلف الذي
تزوجته لطلبوا منها أن تتحرر منه في أسرع وقت ممكن..

تقدمت سارا من احمد تقول له بصفاقة وحة بينما تنظر له
بصقيع محتد

((حسنا لا بأس.. ولكن أريد الليلة أن تقوم بجلسة التدلي مرة
أخرى.. تذكر أن هذه الشقة العزيزة مسجلة باسمي ويمكنني أن
اغدر بك وأبيعها بأي وقت ممكن))

اتسعت عينا احمد ووجه حدقتيه لسارا يطالعها بنظرات شرسة
بينما يقول بصرامة رافعا إحدى حاجبيه بتحذير

((اخرسي.. فعلتها مرة ولن أعيدها فلا تتماذي.. وتوقفي عن
تهديدك المستمر ببيع الشقة لأنني لو أردت أن أطلقك فلن أبالي
بموضوع الشقة التي سجلتها باسمك.. عند كرامتي ملعون أي
شيء آخر.. هل تدركين ذلك؟))

لوهلة شعر احمد بالاحتقار تجاه نفسه عندما يتذكر كيف جعلته
يقوم بجلسة التدليك تلك وكأنه مجرد أجبر أو عبد مدفوع الأجر
يجلس تحت أقدام سيّده لتشعر هي بالخيلاء والعظمة..

ساد صمت طويل بينهما واحمد يرشقها باحتقار واقتضاب..

هو ليس غريبا عن غرورها و غطرتها فهي دائما ترى نفسها
الأهم والأفضل

تريد منه الاهتمام بها وتدليلها وتلبية طلباتها ولا مانع في أن
يؤثر ذلك في حياته وعمله وعائلته..

وإذا ما فكر بالتقصير تجاهها لن تتردد بتركه فهو لا يعني شيئا
لها..

فضلا عن كونها أكثر إنسانة كسولة وخاملة بهذا العالم..

ترغب في أن تحصل على كل ما تحتاجه دون العمل أو السعي
من أجل الوصول إليه..

حتى أنه لا يستغرب أنها لم تحاول أن تعمل رغم امتلاك والدها
شركة كبيرة ورغم حصولها على درجة البكالوريوس من
احدى الجامعات المرموقة في المحاماة فهي إنسانة غير طموحة
أبدأ..

لو كانت على الأقل مثقفة تستطيع مخاطبة عقله وتملك القدرة
على أبدأ رأيها والنقاش معه بدلا من أن تكون امرأة جاهلة
ذات العقلية التافهة لا تهتم إلا بجمالها وأوثنتها لخفف الأمر
عليه..

لقد خُذع بها وها هو الآن يعيش معها في هذا الواقع الأليم ولا
مجال للفرار وعليه أن يتقبل أن يكون بالمركز الثالث أو العاشر
لنهاية حياته..

وأسوء ما في الأمر أن فيها شيء رغم ذلك يجذبه لها ويجعله
متمسكا بها بالإضافة للشقة التي كتبها باسمها..

تنفس احمد بعمق بينما يُخفض بصره لينظر لحدائنها..

ثم سألها بصوت بارد

((لماذا تلبسين يا سارا حذاء كعب عال بهذا الطول؟ لن تحتاجي
لجلسات تدليك لو توقفت عن ارتداء هذا النوع من الأحذية))

نظرت له سارا بعنجهية واستخفاف ثم قالت له بصوتٍ خفيض
فاتر

((هل سبق وان رأيت فتاة أنيقة تسير دون ارتداء كعب عال؟
أنا عشقي هي الكعوب العالية وارتداء أشكال مختلفة منه وفقاً
لآخر صيحات الموضة ومقاييسها.. فضلاً عن أنها تساعد بشدً
كلتا ساقاي وتجعلهما أكثر طولاً ورشاقة))

قال احمد لها بيأس وهو يهز رأسه

((لو تعرفين كم هم ضارين عليك لتوقفتِ عن ارتدائهم.. ثم أنا
أكره أن تلبسي حذاء كعب عالي عندما ترافقيني لمكان ما
فتبدين أطول مني))

رفعت سارا رأسها لأعلى زافرة ثم نظرت له قائلة بغضب

((ليست مشكلتي أنك قصير.. ما فائدة عينك الزرقاوان وطولك
لا يتجاوز المتر وثلاث وسبعين؟ الطول مسألة مهمة عند
الرجال بالنسبة لي))

التقط احمد بضع أنفاس كأنه متعب حتى من النظر إليها..

سارا تجعله يشعر بشعور مقيت فهو شيئاً فشيئاً يصدق العيوب
التي تتهمه بها حتى لو لم تكن حقيقية..

عاد احمد يلتفت لها قائلاً بغیظ من بين أسنانه

((سارا.. هل يمكن أن تتوقفي عن معايرتي بطولي لأنني اعرف
أن طولي مناسب.. ثم حتى ولو لم يعجبني طولي أنا لم أخلق
نفسي.. توقفي عن عد عيوبي وانظري لعيوبك أنت))

تخصرت سارا قائلة له بعنجهية ملازمة لها

((الحمدالله أنا بلا عيوب))

التفتت سارا لجانبها وهي ترى ميادة تتقدم منها بعد أن أنهت ترتيب أغراضها في الداخل وهي تقول لها بينما ترشقها بتلك النظرة الساخطة بعينها

((ولو فرضنا أنك امرأة بلا عيب ظاهر يا سارا.. فهذا حري بك لأن تحمد الله تعالى وتشكره على نعمه عليك.. لا أن تسخري من عباده وخلقه.. ومن الذي يأمن تبدل الحال وتغير المآل؟ فقد يمسي الجميل قبيحا.. والغني فقيرا.. والضاحك باكيا))

ظهرت لمسة امتعاض على وجه سارا من كلام صديقتها وزوجة أخيها لكنها قالت مفتعلة الابتسام لها

((حسنا يا ميدو سأفعل.. ولكن دعينا الآن نركز على نقل أغراضي))

قالت لها ميادة بحنق

((لا تتجهمي يا سارا.. توقفي عما تفعلينه.. الاستهزاء بالناس محرم.. ألا تخشين أن يسلب الله منك نعمه وان تعاقبي فتصابي بمثل ما استهزأت به عيب!))

هزت سارا رأسها بحذر وهي تنتهد مستسلمة بحنق

((حسنا معك حق.. سأتوقف))

ثم قالت وهي تنظر بطرف عينيها لأحمد بغضب ولوم

((مشكلتي هي بالرجل الذي تزوجته.. بدلا من يبحث عن راحتي يخشى الاعتراف لزوجته بانه تزوجني مع أني أكيدة أن لارا أخبرتها بزواجنا))

قالت لها ميادة وهي ترفع حاجبيها بينما تكثف ذراعيها أمام
صدرها

((لقد سرقتني زوجها بالتأكد لن يرى احمد الأمر هينا عليها))

عقدت سارا حاجبيها بتعجب لاتهام ميادة ثم غمغمت بسخط

((ميدو أنت تعرفين أن الرجل ليس طفلا ولا يسرق.. الحقيقة
هو من سرقتني من حياتي الجميلة.. حسنا.. دعك من ذلك
الموضوع.. لكن صدقيني رجل كأحمد بكل تأكيد تزوجني بعد
أن اكتسب خبرة كافية في الحياة وأصبح لديه مسؤوليات تجعله
رجلا غير مراهق.. وكان على هيام الخروج من إطار
الصراعات والأنانية وحب التملك الذي تتمتع به في تقييد احمد
حتى لا يتزوج مني))

نظرت بأخر كلامها لأحمد الذي انتفخ صدره من شدة غيظه
منها وهي توجهه

((تلك العاقر البائس العجوز.. كان عليك التزوج من غيرها منذ
سنوات يا احمد))

لم تمر ثوان حتى دو صوت صفعة على وجه سارا هزت
أرجاء المكان..

شبهقت سارا فورا بفزع وبصوتٍ عالي لترفع يدها على وجنتها
حيث تم صفعها وقد ارتسمت علامات الصدمة عليها..

بينما كانت ميادة ترميها بنظرة ميئة لا روح فيها لتهتف لها
سارا بعدم تصديق

((ماذا فعلتي يا ميادة؟))

عالتها ميادة بغل بصفعة أخرى قوية على خدها أظهرت معالم
يدها في وجهها دون أن تمهل أحد ليفيق من صدمة الصفعة

الأولى سواء احمد أو سارا أو حتى هيام التي كانت تنظر لهم
وهي تقف عند نهاية الدرج..

ثم هتفت ميادة بغضب أعمى

((من نعتيها بالعاهر البائس قبل قليل أيتها الحقيرة؟))

بهت وجه سارا المصدوم وهي ترى ميادة واقفة أمامها وكامل
جسدها لا يتوقف عن الارتجاف ربما بسبب كلامها مع أنها لم
توجهه لها..

قالت لها سارا تدافع عن نفسها زاعقة

((ما بك يا ميادة؟ بالتأكيد أنا اقصد هيام لا أنت))

دوت صفةة ثلاثة فوق وجنة سارا بصوتها الحاد لتشيق سارا
وهي ترى ميادة والتي أصبحت كمن تلبسها الجنون تهتف
بشراسة بها

((تعرفين أنه لو طلبت هيام الطلاق من احمد منذ زمن لربما
تزوجت من غيره وأنجب لذا فهي ليست عاقر مثلي أنا التي
فقدت رحمي))

همست سارا بصوت ذاهل مصدوم رغم معرفتها بحالة ميادة
((ولكن أنا اقسم لك أنني لم أقصدك.. أنا فعلا قصدت هيام.. أنا
حتى قلت العجوز))

صرخت ميادة بها بحدة وشراسة تشتعل عينيها بالغضب

((أيتها الحقيرة أنتِ تقصدين معياريتي أنا لا هيام لأنني لا
أستطيع الأنجاب لأنه لا يوجد عندها عيب بالإنجاب بل عيوب
العالم متجمعة بزورك الفحل.. أنت يا سارا تحملين من الغيرة
أبشع أنواعها والتي تجعلك شخصية متسلطة.. تسعى فقط

لإثبات أنها الأفضل ولهذا اختارها أي رجل وتزوجها.. أنتِ
إنسانة مريضة نفسياً))

قاتلتها ميادة ثم استدارت تنوي المغادر قبل أن تمسك سارا
ذراعها قائلة برجاء وهي لا تزال تضع يدها الأخرى فوق
وجنتها المصفوعة ثلاث مرات

((ميادة أين تذهبين؟ ميادة أنا اسفه لم أقصدك أنتِ.. أنا مصرّة
أني كنت اقصد هيام.. لقد قلت عجوز وأنتِ جميلة الجميلات
ولست عجوزاً))

دفعت ميادة يد سارا عنها بقوة وهي تقول لها بشراسة

((سأخبر أخيك كل ما قلتيه الآن عني وسأجعله يقاطعك نهائياً
عقب أن أخيره بيني وبينك.. وإذا اختارك أنتِ سأفصل عنه))

فغرت سارا شفقتها وهي ترى ميادة تستدير وتسير بخطواتها
بسرعة وعنف لتغادر المكان كاملاً حتى أن كنفها اصطدم
بكتف هيام التي كانت لا تزال واقفة مكانها بنهاية الدرج..

نظرت سارا خلفها إلى احمد الذي كان شاهداً على ما حدث
بينها وبين زوجة أخيها بانكسار وقد ترقرت الدموع بين
حروفها وعينيها..

تراخت قدميها لتجلس منبسطة على الأرض وتبدأ البكاء ليشعر
احمد بارتجاف قلبه صوت نحيبها بطريقة لا يفهمها..

انخفض احمد على ركبتيه يحاوطها بذراعيه ثم مرر إحدى
ذراعيه بين خصلات شعرها المملس المفرد على ظهرها
لتتلمس بحركته بعض الراحة والاحتواء..

وكله كان تحت أنظار هيام التي كانت تطالعهما بهدوء شديد..
ومميت..

رأته هيام بعد مرور دقائق يرفع بيده رأس سارا ليمسح وجهها
الملطخ بالدموع بنعومة بمنديل حريري كان بحوزته ثم يقبل
شفتيها بهدوء.. قبلة طويلة.. وشغوفة..

ابتعد احمد فورا عن سارا ما أن انتبه لها ليقف فورا من مكانه
شاهقا

((هيام متى عدتي؟))

قالت هيام له بصوتٍ لا حياة ولا تعبير فيه

((أريد التحدث معك بموضوع مهم جدا لا يحتمل التأجيل لذا أنا
مضطرة لمقاطعة ما تفعله))

انتبهت سارا على تواجدها لتعتدل من مكانها واقفة وهي تمسح
عينها من بعض الدموع المترققة فيها وتتحرك لمغادرة
المكان نحو احدى الغرف داخل الشقة لتتركهما لوحدهما..

دنت هيام منه ببطء وكأنها تحسب خطواتها..

باغتها احمد وهو يقربها منه أكثر ما تقدمت منه ليقبل جبينها..

شعرت هيام بأنه يريد أن يبثها اسفه واعتذاره ويمحي الألم
الذي شعرت به وهي تراه يقبلها ولكنها لم تشعر بأي عاطفة
رجل شغوف من خلالها..

بحذر قمعت هيام انفعالاتها وهي تقول بجمود بينما تبعده عنها
بعنف

((ابتعد عني يا احمد.. أريد التحدث))

فغر احمد شفتيه وقد تردد للحظات قبل البدء بالحديث وهو
يشعر بتنفسه يزداد بقوة..

ولكنه حسم أمره وهو يقول هامسا بخفوت

((وانا أيضًا أريد التحدث معك))

دخل احمد للشقة ودخلت هيام من بعده وجلسا متقاربان على
احدى الأرائك..

اتسعت عينا هيام وهي تراه يخرج بيديه من جيب سترته مغلف
فيه أقراص أدويتها التي وصفها في وقت سابق ذلك الطبيب
النفسي الذي طلب منها أن تلجأ لهم..

أطرقت هيام برأسها هامسة وهي تأخذ الأقراص منه

((لقد نسيت بعض من أدويتي هنا))

قال له احمد لائما بصوتٍ حنون مشوب بالحزن

((لماذا بدأتى شربهم؟ ألم أعلمك بكل جوانبهم وأثارهم؟ ألم
تقولي بلسانك أن هذه الحبوب هي المرض بعينه))

تمتتمت هيام له بصوت خافت منهك

((لقد اضطررت اللجوء لها حتى تفصلني عن الواقع.. ذلك
الواقع البائس الذي أعيشه معك.. أنت لم تحبني يا احمد
وخذعتني وغدرت بي بالزواج من سارا وفضلتها علي بل
وأحببتها أيضًا.. لذا لا تلمني على اخذي لتلك الحبوب))

أشفق قلب احمد في البداية عليها وهو يراها بهذا التعب
والإنهاك والاستنزاف بشكل واضح..

لكنه بدء الاندفاع بالقول الغاضب وهو يقول بخشونة عندما
لمحت بلومه لما جرى لها

((لم هذا الهجوم علي من قبلك يا هيام؟ هل أنا بنظرك فعلا
شخص أناني خائن ومهزوز وطامع؟ بصراحة لا تهمني كل
هذه المسميات.. لأنني اعرف أن سبب غضبك مني هو فقط
لأنني مشاعري تحركت لغيرك.. أنت خائفة من أن تسلمي

بحقيقة أنني أحببت مرة أخرى امرأة غيرك.. لم أنت خائفة من الاعتراف أن المستحيل عندك كامرأة هو مقبول عندي كرجل؟ كذب عن اعتقادك الساذج بأن النهاية السعيدة هي أن يحارب الرجل من أجل حبيبته ثم يتزوجوا ليعشوا بنبات ونبات لنهاية العمر.. الواقع لا يعمل بهذا الشكل يا هيام.. وهذا لا يعني أن حبي لك ضعيف أو أنني شخص أناني ويربي كل شي.. اعرف أنني أكدت عليك ملايين المرات أنني لن أحب غيرك ولكن.. لكن مشاعري لا تعمل بضغطة زر.. ادعاء المثالية وأنا لم احمل أي مشاعر لسارا غير منطقي.. لا تلوميني))

تراجعت هيام بجلستها لظهر الأريكة بخيبة أمل وكسر وقهر لم تستطع إخفاءهم طوال حديثه..

ثم قالت له باشمنزاز رغم جمود ملامحها

((ليت مشاعرك فقط تحركت المرأة تستحقها بدلا من امرأة رخيصة مثلها لا تكن لك أي ذرة مشاعر لك.. أو ربما واقعة بحب عشرة رجال غيرك))

وكأنها أصابت وترا حساسا به فصرخ احمد بها منتفضا وهو يرفع سبابته بتحذير

((اخرسي.. لا اسمح لك بالتحدث بهذا الشكل عن زوجتي.. نعم أحب سارا ولم اعد أخشى الاعتراف بالأمر وإياك أن تحاولي التفريق بيننا.. وكما قلت سابقا هذا لا يعني أنني توقفت عن حبك.. لكن عليك أن توقني بأن سعادتني وحبي مع سارا وإذا ما حصل بيننا أي طلاق أو انفصال فلن أعيش معك براحة))

نظرت هيام لزرقاويه أثناء حديثه بوجع مفرط..

كلماته المتعلقة بان سعادته وحباه متعلقان بسارا ستبقى محفورة بعقلها طوال أبد الدهر..

قالت هيام له ساخرة وهي تجلب سيرة أخرى بغتة

((لا تخبرني الآن أنك كنت تحب إيما أيضا؟ لان الحسرة والندم على تركها كانا واضحا جدا على وجهك ذلك اليوم))

الحقيقة أنه ومنذ طلاق إيما ومن اختفت من حياته وعقله صار يعدّ مميزاتا وتلاشي من ذاكرته الأسباب التي كان من أجلها يريد الافتراق..

نظر لها قاتلا بقلة حيلة

((والله يا هيام لن أنكر.. فحلاوة الزواج الأول لا تعادله أية بهجة.. نعم.. نعم.. أنت حب الأول.. ولكن هي كانت زوجتي الأولى.. وأحيانا بمرات عابرة.. اشعر بأني احن لها.. ولذكرياتي معها هي وعدنان فالمرء محبوب على الحنين إلى الماضي.. ولكن ما باليد حيلة.. لقد تزوجت وبالتأكيد لن أعيش أنا على أطلال إيما))

قالت هيام له وابتسامة صخرية ترسم على زاوية شفتها

((أنا سعيدة أن إيما تزوجت ولم تجلس على الأطلال تنتظرك.. قمة الغباء والسذاجة أن تضيع عمرها وهي تنتظرك لتنتهي نزواتك وأحلامك وتعود لها.. وأساء ما في الأمر أنك ربما لا تعود لها.. ولن تجني هي حينها إلا خيبات الأمل.. مثلي تمامًا))

تمتم لها احمد معترضا بتحفز

((أنت لم تكوني نزوة ولن تكوني كذلك يوما فتوقفي عن قول ذلك عن نفسك))

تجاهلت كلامه وهي تقول بهدوء بينما تهز راسها

((المهم الآن هو أنني سعيدة بزواجك من سارا.. أتمنى أن تعيشا سويا لنهاية العمر فأنتما تستحقان بعضكما.. لكن قبل ذلك طلقني))

قال لها احمد بصوتٍ متحشرج خفيض

((هيام.. تعرفين حربي بالماضي لنيلك زوجة لي.. كنت مستعدا
لفعل المستحيل حتى تبقي معي ولا زلت مستعدا لفعل الكثير
من اجل أن تبقي معي.. حتى لو توقفت عن حبي سأبقى احبك
ولكن..))

بتر كلامه للحظات..

بينما هي لم تستطيع تصديق كلامه الزائف.. كلامه المخالف
تماما لم تشعر هي به..

لم تستطيع أبداً تصديقه وتكذيب إحساسها..

فهي كما تردد دايمًا على نفسها احمد رجل أقوال لا أفعال إلا
عندما يكون الأمر موافقا لرغباته التي تحكم موافقه..

فتحت هيام فاهها تقول أمام بفضول

((ولكن ماذا؟))

قال احمد بعد أن تنهد بتعب عقب مقدمة دفاعية عن نفسه

((منذ زواجي يا هيام بسارا وانا لم أقصر معك بشيء وكنت
أراعيك وانفذ طلباتك واعدل قدر استطاعتي فكنت إذا اتصلت
بي سارا وانا متواجد عندك اظهر الضيق وأتحدث معها
برسمية من أجلك.. وكنت إذا ما تواجدت عند سارا اختلس
الأوقات لأتحدث معك وأراسلك بكلمات تبقيك اشثياقي لك))

قالت هيام له تحنّه على الإكمال بجفاء

((وبعد؟ أسرع بالقول حتى يتسنى لي طلب الطلاق منك
والرحيل من هنا فأنا مشغولة))

تابع احمد كلامه بصوتٍ مجهود

((أنت بدأتني تنفرين مني وتقصرين بحقوقتي بل الأصح أن أقول
ترفضين إعطائي إياها.. اشعر أحيانا أنك تكرهيني وأحيانا

أخرى أنك تحبيني ولكنك تقاومين إلى حد أنني أحيانا أعجز عن
تحديد معرفة مشاعرك الثابتة))

لطالما تسائل احمد بداخله نفسه لماذا يبعتها عنه أميالا طويلة
لو كان فعلا يحبها؟

لم يدفعها مرة بعد مرة لكرهه وكره حبه واستحقاره مع انه فعلا
يحبها ولم يختفي حبه.. ولم يريد أن تكرهه؟

ربما لأنه يعرف بقرارة نفسه أن بقاءها معه لن يفعل شيئا سوى
زيادة في كرهه.. سوى إيلاهما..

ربما سر كل تصرفاته تجاهها لأنه يريد أن يبعتها عنه حتى لا
يؤلمها..

ليته ابعتها عنها قبل حتى أن يتزوجها..

ليته طلب منها منذ أول مرة التقيا ألا تقف بحياتها أكثر من أجله
وترى نفسها مع شخص آخر..

تتهد احمد ثم قال لها بصوتٍ فيه بعض الصلابة والثبات

((لا أنكر يا هيام عندما أقول لك أنني وقبل أن تجلي لي سيرة
الطلاق فكرت بطلاقك حتى لا أظلمك))

عقدت هيام حاجبها بحيرة وترقب لكلامه ليتابع

((نعم فكرت بطلاقك فقد تتزوجين شخصا آخر تحبينه ويحبك
وتسعدني معه.. لكن أخشى بطلاقي لك أن أكون ظالما فأنت
ولأكثر من عقد زمان لم تقصري أبداً وإطلاقا بحقي بل
ضحيتي بالكثير من أجلي.. ورغم أنني احبك وتحبيني إلا أنني لا
أرى السعادة بعينيك.. لا أرى إلا المزيد والمزيد من الحزن
والكآبة والألم.. لا أريد أن تذهبي لطبيب نفسي بسببي وبسبب
زواجي فهذا امر يثير شفقتي عليك.. أنا أيضاً طبيب واعرف
كيف سنتعبك هذه الأدوية التي بدأت بشربها))

شعرت هيام بتشنج من الألم الذي يضرب كل إنش بقلبها وهي
تنتظر إليه بعجز لا تعرف ماذا ترد عليه..

كيف يتحدث عن تمنييه تزوجها من غيره بسهولة هكذا؟

هل فقدت مظهرها وسحر الأنوثة ولم يعد فيها ما يرغبه
فانعدمت مشاعر الغيرة التي سبق وكنها لها ولا تهمة فكرة أن
تتزوج بعده؟

زمت شفيتها حتى تتمالك نفسها ثم حثته على المتابعة وهي
تحاول التحكم في دموعها بصعوبة

((وماذا بعد؟))

قال لها احمد وهو يشبك أنامل كلتا يديه

((يعلم الله أنني لا أريد الفراق لكني بين نارين يا هيام.. نار
فراقك أو نار تعاستك واكتئابك.. لذا من أجلك ومن أجل
سعادتك سأعطيك ما تريدين))

بدأت ملامح محيا هيام تخونها بالضعف بشكل فاضح..

كان عليها هي أن تقول وتطلب من امر الانفصال وتصر على
طلب الانفصال مهما أبدى تمنعا ورفضاً وتوسل منها..

ازدرت هيام ريقها وهي تقول له بصوتٍ متهدج صادق

((إذا هي قلها يا احمد.. قلها لأرتاح.. فأنا تعبت منك كرجل
مشترك يمارس البطولة في حكايتين ومكانين ومنزلين إثنين))

شعور بالخيبة والخذلان تتفاقم بداخل هيام فرغم كل شيء كان
احمد عازماً على إطلاق سراحها قبل حتى أن تفكر هي
بالطلاق بجديّة..

فك احمد تشابك أنامله وهو يأخذ نفساً عميقاً بصوتٍ عالي..

ثم قال لها بصوتٍ جاهد أن يكون ثابتًا

((أنت طالق))

أغلقت هيام عينيها تمنع نفسها بالكاد من كتم دموعها
المترقرة..

حاولت أن تفغر شفتاها المزمومة بصعوبة لكن لم يخرج أي
صوت من فاهها ليتردد كل ما كانت تنوي قوله من أصوات في
أعمق أعماق ذاتها..

حتى أنها شعرت بتلك الأصوات تجوب أنحاء جسدها كله بدلا
من الدماء التي ظهر انسحابها من بشرة وجهها جليا..

خافت على خفقات قلبها من التوقف إثر تسممها بتلك الأصوات
المكتومة..

ولكن عندما لم يحدث لقلبها شيء عرفت أن تلك الأصوات
المسمومة قتلت شيء آخر في داخلها..

فتحت هيام عيناها تنتظر له فرغم كل شيء ها هو الآن يتركها
ويحرر نفسها منها وكأنه يتخلص من عبئها في حياته..

قالت هيام بعد دقائق طويلة من الصمت والجمود الظاهري
وبصوتٍ متذبذب

((بالمناسبة يا احمد.. كنت أعطيك بعض أدوية عدم الكفاءة..

لكن الآن بما أنني لن أبقى هنا فأتوقع بأن أحوالك ستعود
كالسابق.. تناول الكثير من الفجل.. واهتم بمظهر أكثر إذا
أردت ألا تتركك سارا وتتوقف عن الخجل من إظهارك أمام
صديقاتها وعائلتها.. إلى اللقاء))

ظهر الضيق على احمد من كلامها الساخر الأخير رغم صدمته
بما فعلت به بإعطائه تلك الأدوية..

لكنه لم يحاسبها أو يعنفها لم فعلته مسامحاً إياه بدل ما قام بفعله تجاهها..

تنهد احمد ثم قال بصوتٍ خافت وهو لا زال مكانه بينما يراها تغادر المكان وتتجاوزهُ

((إلى اللقاء يا هيام.. أتمنى لك التوفيق بحياتك القادمة ومع شخص تحببته.. مـ.. ماذا تفعلين؟))

انتفض احمد مكانه متراجعا لنهاية الأريكة وهو يرفع كلتا ذراعيه ليحمي نفسه من ضرباتها القوية المباغطة التي شرعت بضربه إياه على حين غرة وهي تعود مهرولة نحوه من الخلف بحقيبتها الكبيرة والثقيلة..

وقبل أن يسألها بألم عن سر جنونها زعقت هيام فيه بأعلى صوتها وهي مستمرة بضربه بحقيبتها بكل ما أوتيت من قوة وغل

((أيها الحقيـر.. الآن تريد مصلحتي وسعادتي؟ الآن؟ الآن أيها النذل؟ أنا أكرهك أيها الخسيس.. أين كانت مصلحتي وسعادتي عندما بقيت لأكثر من سنة تلاحقتي أيها الحقيـر لأقبل الزواج منك أنت حينما كنت متزوجا من ابنة عمي؟ أين كانت؟ أين أنت؟))

فتح احمد عينيه بصعوبة وهنف مكررا بعنف ومتجه الملامح

((هيام توقفي.. توقفي.. توقفي أيتها المجنونة))

استشاطت عينا هيام بمزيد من الغضب هاتفة بصراخ وهي مستمرة بضربه بغل

((لن أتوقف.. لماذا بقيت لأكثر من سنة تلاحقتي وتقنعني أنا وأبي لأتزوجك؟ لماذا؟ لماذا؟ ألم تهتم وقتها لموقفي وسمعتي أمام عائلتي وأقاربي عندما أتزوج زوج ابنة عمي كزوجة ثانية؟ لماذا لم تقنعني أن امرأة مثلي تستحق أكثر من نصف

رجل مثلك؟ لماذا لم تقنعني عندما سجنت أنت أن أتطلق منك
من أجل سعادتني وراحتني؟ لماذا لم تقنعني عندما عرفت بعقمك
أن أتطلق ولا أخسر أمومتي؟ أين كانت تفكيرك في سعادتني
تلك الأيام؟))

ابتلع احمد غصة التوتر والإحساس بالذنب وهو مستمر
بوضعية ذراعيه للدفاع عن نفسه..

غمغمت هيام بأنفاسها اللاهثة بغضب بعد أن توقفت عن ضربه

((أيها الحقيير لو لم أتزوجك لكنت اقتنعت بالنهاية أن أتقبل
الواقع وأتزوج رجلا آخر أفضل وارجل منك بمئة مرة أو على
الأقل لكنت بقيتُ بي بيت عائلتي معززة مكرمة))

جرح كلامها رجولته ولكنه لم يتجرأ على قول أي شيء وهو
يراهها تفق أمامه بشراسة على استعداد لنهش لحمه إن تجرأ
ونبس ببنت شفة..

ثم تابعت هيام بصوتٍ اقل لهاثاً وصدرها يرتفع هبوطاً ونزولاً
بعنف

((أنا سعيدة جدا بطلاقي منك.. نعم.. نعم.. أفضل شيء فعلته
من أجلى هو الطلاق يا احمد.. أنا استحق كل ما حدث لي لأنني
أمنت على رجل مثلك سبق وغدر بابنة عمي))

ورغم صعوبة ما شعرت به وهي تراها يتركها بهذه السهولة
وكانها عبئ عليه وقد كان تمسكه بها باهتا جدا..

إلا أنها سعيدة جدا أنها تحررت منه أخيراً وللأبد ومن الذل
والهوان التي كانت تشعر بأنهما يذبحانها بكرامتها وينهسانها
كل يوم يمضي عليها برفقته..

خرجت هيام من الشقة وهي تنوي حتى ألا تأخذ أي شيء من
الشقة من حاجياتها حتى لا يذكرها بتلك الحياة البائسة التي
سنرميها خلف ظهرها..

بينما خرجت سارا من الحجرة التي كانت تحبس نفسها فيها وقد
سمعت بعضًا من نهاية حديثهم لتقترب من احمد الذي كان يدلك
ذراعيه بألم قائلة بابتسامه ناعمه

((أنا سعيد حبيبي لأنك طلقته.. لقد نجحت بالتخفيف عني بعد
ما حصل بيني وبين ميادة))

بينما بالأسفل.. خرجت هيام من الشقة والمكان كله الذي كانت
تعتبره بيوم ما منزلها وحيث تنتمي..

اقتربت نحو سيارتها وفتحت بابها لكن قبل أن تستقلها استدارت
نصف استدارة للخلف تنظر للبنائية والأفكار تختلط بالذكريات
لدقائق ثم غادرت..

وسارت بسيارتها لتقف بها أمام جامعتها التي سبق ودّرت
فيها وكان يأتيها احمد هناك باستمرار..

وقفت للحظات أمام ذلك الطريق وذلك الدرب الذي شهد تاريخ
حبهما وذكرياتهما فلم تجد إلا أطلال زائله ومتهالكة وبقايا عمر
رحلت نحو المجهول وذكريات بالية لن تعود وأحلام ضائعة
بين الأيام والشهور..

=====
=====

في الليل..

رفع راجي عيناه ليجد رانسي قد استقامت جالسة تحتضن
الملاءة وتتطلع إليه بنظرات فهم منها أنها تريد أن تسبقه
لتغتسل..

ما إن تحركت قليلا حتى شهقت متفاجئة وهي تراه يمد كفه
ويقبض على معصمها النحيل ثم يجذبها إليه بقوة وسرعة
يعيدها لتستلقي على ظهرها فوق الفراش..

خلال لحظات معدودة فقط كانت هي تحته وهو يثبتها بجسده
فوقها بحركة مسيطرة وهو ينظر لها بتلك الابتسامة العابثة..

رمشت رانسي عدة مرات وهي لا تفهم ماذا يريد وقد أخذ توا
ما أراده منها..

سألته بارتباك بحدقتين متسعيتين ومهترتين عاجزة عن بلورة
معنى تقاسيم وجهه

((هل.. هل هناك شيء ما؟))

احتكم راجي ذراعيها تحت جسدها وقبضتيه تسيطران على
كففيها ما إن شعر بها تتلملم مكانها وتبعده عنها..

قال لها بينما يدفن وجهه بعنقها بحركة جعلت جسدها يرتعش

((لماذا لا اشعر بتفاعلك معي بتلك اللحظات؟ ألا تشعرين معي
بالسعادة؟ هل أقوم بأي شيء يزعجك؟))

أبتعد عن رقبتها يصوب عينيه على عينيها التي أغمضتهما
فورا..

لن تنكر أنها استغربت بالدقائق السابقة اهتمامه الكبير
بالتفاصيل الصغيرة كمدى ملائمة الإضاءة لها وراحتها على
السريير وهل هي مرتاحة أو لا..

قالت رانسي له بتلعثم وهي تفغر شفتيها المرتجفتين

((لا.. لا يوجد أي شيء خاطئ أو يزعجني تقوم به.. المشكلة
بي أنا.. لا تهتم أرجوك بما اشعر ولا تكدر صفوك))

ظهر خط رفيع على جبين راجي برفض لما تقوله..

لكن بعد ثواني فتحت رانسى عينيها لتتظر بعينه وهو يقول لها
ببطء وبصوت أجش

((اعرف يا رانسى أن طبيعتك تختلف عني تماما.. وأنا
بالحقيقة أحمل نفسي كرجل كبير من مسئوليتك في
علاقتنا.. لذا أرى نفسي الملام بعدم استجابتك لي))

صحيح أنها صارت أفضل..

فهي على الأقل توقفت عن هروبها بوعيتها بعيدا عنه تاركة له
جسدها مستسلما بسكون تام..

لكنه بعد ما تغير مئة وثمانين درجة معها صار لا يفهم سر عدم
استجابتها له كما يريد وخجلها..

هل هو مثلا نتيجة للكثير من الأفكار الخاطئة التي تظنها ببعض
النساء مثلا عن العلاقة الزوجية؟

أم أن هناك أعباء مختلفة تحملها خلال هذا الزواج لا يعرف
عنها شيئا؟

حررت رانسى إحدى ذراعيها بصعوبة وهي تعيد خصلة
سوداء خلف أذنها هامسة بحزن يلتمع من عينيها

((لا تقل هذا.. أنت لست الملام.. لا تحمل نفسك أي شيء
واقعل ما تريد بدون أن تهتم بي))

تغضن جبين راجي لكلامها وضيق عينيه بانزعاج..

لا بد أنه تجاوز الحدود بما فعله معها ببداية زواجهما لتظن أنه
كالحبوان لا يُفكر إلا بحاجته؟

مد راجي أنامله يلامس جانب وجهها بنفس الهمس قائلا
بصراحة

((اشعر أحيانا بانك تتصرفين وكأنك لم تكوني متزوجة من
قبل))

قالت رانسى له بنبرة خافتة وهي تشيح بعينيها جانبا بينما تتشعر
بأنامله تبدأ بالعبث بشعرها الحريري القصير برقة

((زواجي السابق لا يمكن أن أقول حتى أنه استمر لأشهر
بالحقيقة))

ثم أردفت هامسة

((أنا لا اعرف كيف اعتذر لك لأنني لا أناسب حتى أدنى
توقعاتك بي.. وكأنني مريضة بالفتور والبرود..))

بترت كلامها وهي تفكر أنها بالحقيقة دائما ما تطلب منه إغلاق
الإنارة حتى لا يتمعن بالنظر بجسدها..

فمهما أنكر لاحقا وحاول مجاملتها أو أن يتصرف بلطف مبالغ
إلا أنها لا تزال تذكر ما قاله بخصوص أن جسدها نحيل وهش
لا يجذبه..

هي تدرك جيدا أنها لم ولن تعجبه..

لكن تغييره وتفاعله وانفتاحه معه هو ما يثير استغرابها وربيتها
رغم تمنيتها سابقا ومنذ البداية أن يكون هكذا..

انتبهت لراجي يضع سبابته فوق شفيتها برقة يمنعها من
الاسترسال ما أن همت بالحديث..

ثم قال لها وهو يقرب وجهه منها وأنفاسه تضرب بشرة محياها

((ششششش.. رانسى.. هل عليّ أن أكرر على مسامعك كثيرا
أني أفهم كل شيء يصدرك منك.. ولكن ساعديني حتى اعرف
كيف أرضيك.. وأسعدك))

ازدردت رانسى ريقها وهي تحاول الاعتدال جالسة ما إن
ارخى راجي إحكام جسده عليها لتقول بتردد

((راجي.. أريد الاغتسال..))

ابتعد راجي عنها لكنه منعها من أن تقوم من مكانها هامسا
بجوار أذنيها

((انتظري قليلا.. أريد أن نبقى معا أكثر))

قالت له بفضول بصوت متحرج

((لماذا؟ ما المختلف الليلة؟))

نعم فهي اعتادت منه أن يقلب ظهره لها ليخلد مباشرة للنوم
بمجرد أن ينهيا الأمر..

وربما هذا هو سبب ما جعلها لا شك بحقيقة أنه لا يصل للرضا
معها..

وكيف قد يحب هذه الأوقات معها أن كانت هي نفسها تبغضها؟

لكن استجابات رانسى له وعادت تتمدد لينام هو بجانبها..

وكان الليلة مختلفا بشكل أثار ذهولها..

بل وأثار استغرابها من تغييره المستمر معها..

فقد أمضى راجي بطولها يخبرها كم هي جميلة..

أمضاها وهو يهمس في أذنها بكلمات رقيقة تصف لها مشاعره
تجاه ما فيها من جمال..

دقق بالهمس مع تفاصيل فيها يراها جذابة بشكل جعلها رغما
عنها تصدقه.. حتى مع اعتقادها السابق أن ما يقوله هو فقط
مجاملة..

فتركت رانسى خوفها من أي شيء كان يدور بعقلها..

ربما لأنه كان فعلا يريد أن يكون قادرا على إسعادها وبيذل
جهده ليعرف أكثر على طبيعتها.. على مراعاة اختلافها عنه..

فهو لاحظ أنه بمجرد أن ينتهي حتى يشعر بالتعب ويفضل
الاجتسال والنوم سريعا..

بدون أن يراعيها كامرأة يستشعر أنها لا تبحث إلا عن المشاعر
والعواطف الدافئة..

الليلة لم يكن يريد النوم قبل أن يتبادل معها الحديث وكلمات
الحب الذي يريد أن يخلق بينهما..

وبعد صلاة الفجر..

كان كل واحد منهما ينام في سريره..

كما تصر رانسى عليه كئثار صغير لكرامتها فهو من اقترح
وجلب سريرين منفصلين لكل منهما بدون أخذ رأيها..

فهمس لها راجي النائم على جانبه عند طرف سريره ليتسنى له
رؤيتها من أقرب مكان بصوتٍ خافت

((تصبحي على خير.. أو تصبحي بعد ساعات بما أن الصباح
قريب))

لم تجبه رانسى واستمرّ صمتها طويلاً الى أن ظنّ أنها قد نامت
ولكنه تفاجأ بهمسها التي لم تظنّ انه سمعها

((لماذا تغيرت هكذا فجأة.. بشكل مثير للريبة معي؟))

غمغم راجي بصوته الخافت الناعس قبل أن يغمض عينيه
وابتساماً مرسومة على وجهه

((لان كل حصوني التي بنتيها أو هن من ألا تتحطم وبدون أن
اشعر بدفئك))

قبل وقت الظهيرة..

تتهدد رانسي المستلقية على سريرها بعمق وهي تتطلع الى
السقف بشروء..

نظرت بعد دقائق إلى جانبها لراجي الذي مهما تكرر عليه في
الليل أنها لا تسمح له أن ينام بجانبها..

بلا فائدة تُرجى..

كانت تستلقي بأحضانه وساعديه العضلين اللذين يضماتها بشدة
لتنام في أحضانه يثير في نفسها شوقا أخرجها للأمس..

هناك شيء مختلف كان بليلة أمس فعلا جعل إحساس السلام
والدفاء يغمرها في جميع أنحاء جسدها وقلبها..

حاولت عقب دقائق رانسي الإفلات من أحضانه المحكمة
ليتململ راجي مصدرا همهمات استيقاظ ويبدأ بفتح عينيه
ببطء..

وسرعان ما فتح عينيه لينتبه لها تحديق به..

رؤية راجي ينظر لها جعل رانسي تتذكر فورا ما حدث بليلة
الأمس وما قاله لها عندما كان يحتضنها مما جعلها تهرب من
عينيه وهي تشعر بوجنتيها تلتهبان..

ثم حاولت رانسي فعلا التملص من ذراعيه المحكمتين حولها
إلا أنه أبى تماما تحريرها بتمتمات معترضة

((توقفي.. أين تريدين الفرار..))

قاطع صوت رنين هاتفه كلاهما فأفلت راجي يدا واحدة كانت
تمسكها بامتعاض وهو يمسك هاتفه من فوق المنضدة الصغيرة
الملاصقة للسريير..

تراجع راجي بظهره على الفراش وجذبها معه لتستلقي بين
أحضانها ورأسها مستقر فوق صدره..

ثم انحنى فوق جبينها مقبلا إياه برقة شديدة قبل أن يجيب على
المكالمة بصوتٍ أجش من أثر النوم بينما ينظر من بين عينيه
الناعستين لرانسي

((نعم أمي صباح الخير.. نعم معك حق مساء الخير))

تطمئن راجي بعدة أسئلة عن هيام التي عرف عن طلاقها من
احمد ثم غيرت والدته الموضوع عن جالا تونبه على الهاتف
بينما هو يمرر شفتيه على خد رانسي وهو يستمع لها

((كيف تسمح يا راجي لأختك أن تبقى عندك طوال هذه المدة
لمجرد حزنها على وفاة والدها؟ هل هذا تصرف أخ عاقل؟ وأنا
التي كنت ببلاهة اصدق كلامها الذي تخبريني إياه بكل مرة
ازرك أنها تقضي فقط عدة أيام هنا.. سأؤكد مستقبلا من أن
أفقد منزلك كل أسبوع حتى لا اسمح لها أن تبيت عندك ولا
ليلة))

بقي راجي صامتا للحظات لا يعرف كيف يجيب امه دون
الدخول بتفاصيل طلاق جالا أو ما حدث معها هي ومراد..

عاد يعطي انتباهه لرانسي القابعة بأحضانها واخذ يمسح بأنامله
برقة على وجنتيها وشعرها المبعثر قليلا من أثر النوم وهو
يهدر لأمه

((لا تقلقي يا أمي العزيزة.. تواصلت مع مراد وقال لي بأنه سيأتي غدا لأخذها.. صدقيني لن اسمح لها بعد اليوم أن تعتب بقدمها المنزل لاي زيارة أكثر من ساعتين))

حاولت رانسي استغلال تركيزه بالمكالمة لتتلمص منه مجددا لكن دون جدوى وراجي يمنعها..

لكنه أبعد الهاتف قليلا عن أذنه هامسا لها وهو يحكم قوة ذراعه المحيطة بها أكثر

((اسكني حبيبي مكانك))

همست له رانسي معترضة بخجل

((أريد صنع الفطور لك قبل حلول الظهيرة))

أفلتها وهو يمسك الهاتف بكلتا يديه ويعتدل أكثر بطريقة استلقائه وهو يستمع لشيء تقوله والدته ليرد عليها مودعا

((نعم مراد قادم غدا.. لا تقلقي.. سيصل سلامك لرانسي..))

استدارت له رانسي التي كنت تقف عند الباب لكنها أبعدت عينيها خجلا من مظهره عندما انتصب جالسا بعد أن كان شبه مستلق فأنحسر الغطاء عن جذعة العضلي..

ازدرت ريقها وعادت بتوتر تنظر له وهي تقول له بخجل

((أرسل لوالدتك أيضًا سلامي))

هز راجي رأسه بتقرير لها وهو يردف لوالدته

((وهي أمي ترسل لك كذلك الأمر.. إلى اللقاء))

دخلت رانسي الحمام المرافق لتغسل وجهها وتغير ملابسها بعيدا عن أنظاره..

خرجت لحجرة النوم دون أن تلتفت له ومن ثم فتحت باب
الحجرة لتخرج منها بهدوء..

لكنها شهقت بصدمة من اليد التي أحاطت بخصرها تجرّها
عنوة لتعود وتستلقي على الفراش بين أحضانة المحكمة هادرا
بها

((غيرت رأيي لا أريد الفطور.. أنت أكثر من كافية لأشعر
بالشبع بل بالتخمة))

كان صوته مغوي وجعلها تذوب خجلا..

لكنها حاولت أن تكون حازمة وهي تقول له معترضة بجديّة لم
ينجح ارتباكها بإظهارها

((راجي توقف.. ثم ماذا أخبرتك عن سريري؟ سأدفع لك ثمنه
من أموالك لكن لا أريدك أن تنام عليه كل يوم بداعي وبغير
داعي))

قال راجي لها مبتسما يناكفها

((هل الجميل لا يزال حاقدا عليّ لما قلته بلحظة غياب؟))

زمت رانسي شفيتها بحزن وهي تطرق بعينها بعيدا عنه فشررد
بنظراته بها بهدوء..

ولا يدري لماذا تذكر مسألة حبوب الحمل..

صحيح أنه قال لها ألا تتوقف عنها إلا عندما تشعر بالأمان
معه..

إلا أنه توقع وبكل صراحة أنها ستلتزم بالكلام الذي قالته ولن
تتناول أي حبة..

لكن استمرارها بشربها حتى ليلة أمس رغم حرصها على
استمرار إخفاء الأمر عنه يحبطه بشدة..

استرخى راجي على السرير واغلق عينيه وظلا هكذا لدقائق لا
يقطع الصمت السائد بينهما سوى صوت أنفاسهما المتعالي حتى
همست رانسي اسمه وقطعت شروده

((راجي))

فتح راجي عينه سريعا يطالعهما بلهفة وهو يمد أنامله أسفل ذقنها
ليرفع وجهها له..

قالت له رانسي بصوتٍ هادئ

((أنا أسفه بشأن ما حدث لأختك الكبيرة.. قالت لي جالا عن
طلاقها بينما لم تخبرني أنت أي شيء.. لكن أتمنى أن تكون
بخير))

زفر راجي زفرةً متحسرةً ثم أخذ نفساً عميقاً يفكر وهو ينظر
لها ليقول

((صدقيني أنا لست غير مبالٍ بما يحدث معها بل أنا اعرف
جيذا كيف يكون الطلاق.. فبحكم أنني محامي مرت علي في
البداية قضايا طلاق ومشاكل متزوجين وكنت أتعب نفسي
خلالها لدرجة أنني لم أكن أقدر على النوم إذا كان لدي جلسة
طلاق في الغد.. وأتعب أكثر إذا كان بينهم أطفال أو قضية
حضانة.. كنت أحيانا بتوفيق من الله أساعد بإصلاح الأمر
وعودة الزوجين لبعضهما.. وأحيانا لا.. لكن كثيرا كنت ما
أردد أمام نفسي أن هذه الأشكال فعلا من المؤسف أن
يتزوجوا))

شدد من احتضانها بقوة إلى صدره ثم رفع أنامله يلامس
خصلات شعرها القصير بينما يقول مبتسما بتهكم بينما هي
تنظر بانتهاء تام له

((لكن ولأرحم نفسي التي تتأثر بسهولة صرت أرفض قضايا
الطلاق وبقيت محاميا فقط للشركات وما إلى ذلك.. وظننت أنني

سأكون اسعد إنسانا بعد زواجي من سارا خاصة بسبب بخيرتي
التي اكتسبتها بمهارة وسرعة.. لكن الحياة لا تصفوا لأحد ولم
يكتمل الأمر عندي.. ونفس الشيء حدث لأختي وأتمنى فعلا أن
تتخطاه بسرعة))

لمعت عينا رانسي المحدثان به وكم تمنيت لو تتحدث بانفتاح
أكثر له عنها.. وعن تجربتها السابقة كما يفعل هو الآن..

فهو رويدا.. رويدا يبدأ بالتحدث لها عن ماضيه وما مر به..

فهي لم تكن تعرف إلا من جالا أنه سبق وتزوج من سارا
زوجته السابقة عندما كان بالعشرين من عمره ثم تطلقا..

ثم تزوجها مرة أخرى بعد سبع أو ثمانية سنوات قبل أن يتطلقها
مرة أخرى..

تتحنحت رانسي ثم قالت له

((أريد أن اعد الفطور لك يا راجي.. الآن حقا))

قال اجي لها مبتسما

((اليوم أنا من سأعد الطعام لك.. سأصنع الغداء بما أننا في
الظهيرة))

ثم رفع سبابته محذرا أمام شففتيها المضمومتين

((ولا أريد أي اعتراض))

هزت رأسها تخيره بعفوية وهي تهز كتفيها مبتسمة ببشاشة

((حسنا.. إذا كنت مصرا))

.

.

بعد ساعتين..

انتهى راجي من صنع طعام الغداء الذي وضعه فوق منضدة
الطعام الموجودة بالصالة لجالا..

واخذ صينية أخرى له ولرانسى ليتناولوا غذائهما بشكل منفرد
بحجرة نومهما..

اتسعت ابتسامه رانسى وهي تنظر لعينيه وحرارتها تُرجف
قلبها بلذة..

اعتدلت رانسى بجلستها على الكرسي وهي تنتظر له وهو يمد
شوكته ليضع في طبقها قطعة دجاج شبيه يقطر منها الصوص
اللذيذ..

جلس راجي على مقعد مقابلها وابتسامه صغيره لاحت على
شفتيه وهو يتأمل حلاوة ملامحها وشعرها القصير بسواده
الناعم المريح الذي تركته خرا ووضعت به دبوس للشعر
ليجمعه للخلف..

رفعت رانسى عينيهما المبتهجتين وهي تبدأ بمسك الشوكه

((حسنا لنتذوق إبداعاتك يا شيف))

لكن قبل أن تأكل قامت بنفسها بتعبئة طبق له ووضعت تحت
أنظار راجي الذي كان يرمقها بابتسامه متلعبه قبل أن يقول
لها بنبرة حارة

((محظوظ أنا بوجود من يدللني))

ارتجف قلبها برد فعل تلقائي لترتبك بينما تعيد مسك شوكتها..

اتسعت ابتسامه راجي قابضا على تأثيره عليها ليقول ضاحكا
برضا وهو يضع قطعة الدجاج المغمسة بالصوص بين شفتيهما

((صحتين على قلبك))

راقبها بنهم وبعينين متفحصتين بينما تتهرب من عينيه وهي
تلعق شفيتها..

قالت رانسى له بامتنان

((شكرا لك.. أنها لذيذة))

مسك راجي يدها يشدها نحوه يلثم وجنتها قبل أن يقول لها بثقة

((هكذا الناس العاقلة تقول شكرا))

توتر كل ما فيها وشع الخجل من وجهها لكنها عادت تجلس
باعتدال مكانها وحافظت على ابتسامتها وهي تبدأ بتناول غذائها
الشهي..

بقيا لدقائق يتناولان طعامها والأمر لم يخلو من بعض مناكفاته
معها..

مما جعلها مستمرة برسم ضحكات صادقة عميقة مع اشتعال
وجنتيها بالخجل أكثر..

أنهيا كلاهما طعام الغداء ليقول راجي لها مبتسما بخبث

((غدا سترحل جالا وسأخذ راحتنا أكثر))

التفتت رانسى إليه بضحكة متعجبة هادرة

((طابق كامل لنا ولم تكن تستطيع أخذ راحتك بعد؟))

عبس راجي باصطناع ثم قال مبتسما بخبث فكاهي

((بعد أن يخلو الطابق الأرض أيضا سأوريك ماذا كان يفوتنا))

تصاعد صوت وصول رسائل لها تفهمها لتتقدم نحوه وتمسكه
متفحصة مصدر الرسائل وهي تتمتم

((إنها لنا.. تريد الذهاب للسوق الآن وتطلب مني مرافقتها))

التفتت رانسى له مردفه تسأله

((هل أتجهز واذهب معها الآن؟))

نظر راجي لها لحظات بهدوء وهو يهز كتفيه بلا مبالاة مفتعلة

((بالتأكيد.. إذا كنت تريدين الذهاب.. هل أوصلكما؟))

شعت السعادة من عينيها ثم قالت له ببهجة صافية

((لا أريد أن نتعبك معنا.. ثم لقد طلبت لنا سيارة أجرى حتى

تأتي بعد قليل))

دقائق وكان راجس يجلس على الأريكة بينما ينظر لها بتعبير

حانق..

لا يصدق كيف تقوم بتغيير ملابسها بفرحة خاصة وأنه تمنى أن

يقضي معها عطلة اليوم والغد كاملة لوحدهما بدلا من الذهاب

إلى لنا التي لا تمل منها..

أنهت رانسى ارتداء ملابسها واتجهت نحو الباب قائلة بلا انتباه

وهي مشغول بتفقد محتويات حقيبتها

((هل تريد أي شيء آخر؟))

غمز لها راجي بإحدى عينيها لها بابتساماة عابثة

((أن تعودي بسرعة))

هزت رانسى رأسها له ثم أغلقت الباب خلفها وهي تشعر بسبب

الساعات الأخيرة التي أمضتها معه بالسعادة والقوة والرغبة في

الحياة..

وظهر كل هذا جليا على محياها بشكل يسهل قراءته من لمعة
عينها وتورد وجهها..

لم تعد تريد أن تفكر بأي شيء يتعلق بتغييره المفاجئ بتعامله
معها إلا أن تبقى وتعيش هذه السعادة معه للأبد..

بينما بداخل الحجرة..

تنهد راجي بضجر حين أصبح وحده وهو يكتف ذراعيه ويتمدد
بطول جسده فوق الأريكة زافراً بضجر..

=====
=====

اليوم التالي.. في منزل راجي..

انحني مراد حتى جثا على ركبتيه ليأثم خد ابنته لين ثم قال لها
بصوتٍ رجولي أبوي

((نعم يا حبيبتى سنعود للبيت.. هل أنت متحمسة للعودة لبيتنا أم
تريدين البقاء هنا؟))

هزت الصغيرة رأسها بإيجاب وبهجة ثم قال ببراعة طفولية
لذيذة

((أحب البقاء هنا وهناك))

ضحك مراد بخفوت عليها وهو يضم رورو بأحضانه أيضا
وليأثم جبينها هي الأخرى..

قال راجي الواقف باقتضاب مقابله وبنفور بدون النظر الى وجه
مراد البغيض على قلبه الآن

((سأنادي جالا لتأتي هي وحقائبها الآن))

انتبه مراد لوقوف راجي وحده بتلك النظرة القاتمة بينما يشبك ذراعيه أمامه..

لكن لم يلمه بل التزم الصمت حتى لا يثير أي مشاكل أخرى قبل أن يأخذ زوجته وابنتيه..

بمجرد أن علم من امه بحمل جالا كان يريد الهرولة لها ليشاركها هذا الخبر السعيد قبل أن يتفاجأ برسالة منها تخبره بأن راجي اغلق نوافذ والشرفة المرفقة لـحجرة نومها بإحكام وبالمطرفة والمسامير..

التفت راجي جانبا يقترب من جالا قاتلا بنبرة متسلطة خافتة وهو يمسك حقائبها

((أذهبي مع زوجك وإياك أن تخطو قدمك عتبة بيتي لزيارة مدتها أكثر من ساعتين))

استدارت جالا له ترد بوجوم

((حسنا لا تقلق لن أزعجك مجددا.. لقد قلت لي هذه الجملة مئة مرة))

تقدم راجي من مراد وعيناه محتدتان بالنظر له بينما يقول بنبرة خشنة غليظة

((امشي معي نحو سيارتك لأضع الحقائب بداخلها معك))

بقي مراد ملتزما الصمت حتى وضع راجي الحقائب واستقلت جالا السيارة في المقعد الأمامي بجانبه وابنتاه بالخلف..

شغل مراد محرك سيارته وقيل أن يسير بها التفت لثوانٍ لجالا بضيق فهي لا تظهر أي سعادة على محياها لعودتها معه..

لا أحد بالقريبة وربما حتى أمها يعرف عن الطلاق الذي حصل
بينهما وربما يظن الجيران حاليا أنها تبقى في بيت أخيها فقط
لتأثرها بموت والدها..

ولكن الأشهر التي بقيت فيها بمنزل أخيها حقا طويلة وستجلب
الإشاعات والأقاويل إذا زادت أكثر..

في الأيام السابقة عندما كان يزورها ويتحدث معها على الهاتف
كان يمضيا شبه جلسات حوارية هادئة يبحث فيها معها سبب
انهيار علاقتهما الزوجية وما جعلها تؤول إلى ما وصلت عليه..

وعرف أنها تأخذ عليه مأخذ لكنه هو الآخر كان يتسلخ بفائمة
من المآخذ التي يأخذها عليها ليبدأ بالحوار الأول معها..

حرص مراد على أن يكون الحوار بينهما حواراً موضوعياً
يستمتع فيه منها بصبر معترفا بعيوبه التي تخبره فيه..

لكنه يبين لها أن فيها هي أيضاً عيوباً توازي عيوبه..

ويقول لها إن العدل أن تقبلها ويقبله فهكذا تقتضي المودة التي
زرعها الله في نفسيهما حين جمع بينهما بالزواج..

وكما أمل من جلساته الحوارية تلك انتهى الأمر بينهما إلى تعهد
متبادل بأن يسعى كل طرف إلى إصلاح عيوبه..

تنهد مراد بثقل قانلا وهو ينظر للطريق أمامه

((لماذا أنت عابسة بهذا الشكل؟ هل أنت حزينة لأنك غادرتي
بيت أخيك؟ لم تكوني تريدان العودة معي؟))

هزت جالا كتفيها بدون أن تجيبه وهي تتلملم مكانها..

قد يبدو ظاهرياً أن راجي اجبرها على أن تعود معه لأنها
حامل..

لكنها في الحقيقة أمضت الأيام السابقة وهي تفكر بكل ما حدث
بينهما وانتهى بها التفكير بعد تقليب الرأي وموازنة الإيجابيات
والسلبيات واستخارة الله إلى رؤية حياتها المستقبلية أكثر
استقرارًا بالعودة إلى شقتها الزوجية..

تتهجد مراد عدة مرات متفرقات بإجهد فانتبهت عليه جالا ولم
يخف عليها كيف يمسك عجلة القيادة بتحفز وتشنج وحتى
صوته لم يكن طبيعيا قبل قليل..

التفتت جالا له تسأله عاقدة الحاجبين وهي تتمعن النظر بجانب
وجهه الظاهر لها

((هل أنت بخير مراد؟))

قال مراد لها بصوتٍ خافت وباهت شديد الإرهاق

((لا لست كذلك.. منذ اليوم الذي ذهبتى فيه))

لم تملك الجرأة لتضل تحدق به بإمعان لتشبح بوجهها قائلة
بصوتٍ أكثر ألما وإعياءً

((أنا أسفه))

التفت مراد لثانية ينظر لجانبه لها مبتسما بابتسامة شعرت بها
جالا لتلتفت له وتبادلته إياه بأخرى صافية لتظهر معها إشراقة
وجه نفص عنه الحزن الذي تسبب به كلمات مراد..

قال مراد لها بصوتٍ منعش بالحيوية يبتتر هذا الجو الكئيب
بينهما

((لكن الجيد أنه ستتحسن حالتي بعد أن عدتني.. وسننسى نحن
الاثنتان هذه الفترة الحرجة في حياتنا.. وليكن بعلمك لقد كنت
أركز على تطوير نفسي وتثقيفها بدور الزوج والأب والأمور
التربوية..))

بتر كلامه السابق بأخر وهو يقول لها حانقا عقب أن أطلقت
ضحكة أنثوية مرحة خافتة

((لماذا تضحكين؟ أنا جاد بكلامي))

ابتسمت جالا لحنقه المحبب لقلبها وهي تسأله برقة عفوية

((هل أنت سعيد بحملي؟))

مد مراد أنامله الى خدها ومسد جانب وجهها لثواني أثناء قيادته
ليقول لها بحب وعاطفة

((وهل هذا سؤال؟ بل أنا في قمة سعادتي فأنا مقبل على مرحلة
رائعة من حياتنا وستكون أمتع هذه المرة بحضور طفل ثالث))

قالت لها متشدقه بمزاح

((نعم وفيها من المتعة بقدر ما فيها من المشقة))

قال مراد لها مشجعا

((لا تقلقي هذا الحمل الثالث لك.. وصرت على اطلاع كامل
تقريبا على كل ما يعتريك من تغيرات انفعالية ونفسية في
مرحلة ما بعد الولادة.. سأكون لك أكثر عون))

تنهد مراد قبل أن يكمل

((المهم حاليا.. أنا أحاول التوازن في النوم والطعام والبعد تماما
عن المنبهات والمُشْتَبِتَات.. وكما قلت سابقا فلنعتبر إذا هذه
الفترة مرحلة تطوير واستعداد للمرحلة القادمة بحياتنا))

همهمت جالا له موافقة وشردت بالنظر أمامها طويلا بتفكير..

هل ستواجه أي مشكلات بعد عودته وهل ستزعجها والدته مراد
بأي شيء؟

لحظات وبدأ طوفان من المواقف الكثيرة المؤذية يجري أمام عينيها لتقول بصوتٍ حائق والآن عاج بدأ واضحا على محياها

((ولكن ما هناك أوقات أتساءل يا مراد كيف وبماذا كنت تفكر عندما تظلمني على حساب رضا اهلك.. لماذا لم تكن تعرف الموازنة؟))

ضاققت عينا مراد بتصلب في الطريق أمامه.. هذه المرة المنة بعد المليون الذي تلومه بشأن هذا الموضوع..

تنهد ثم قال بعد لحظات هامسا بصوتٍ مختنق

((اعرف أنني كنت مخطئا واسمح لأمي وربما ليارا أيضا بالتمادي عليك.. لكنني لست سيء لهذه الدرجة.. أحيانا أخطأ ولكن خطئي لا يستحق أن تكني نحوي كل هذه الضغائن.. أنا بالنهاية بشر أخطئ وأصيب.. وصدقيني دائما ما أحاول اتخاذ القرار الصائب.. كل ما في الأمر أن الأمور لم تسير في الاتجاه الصحيح المقصود.. أيضا في بعض الأحيان لا يجب أن تعتمد على تفسير وافتراسات من عقلك وإنما تسأليني عن وجهة نظري وعن أسبابي اتخاذ هذه القرارات.. ربما تكون نواياي السليمة سبباً كافياً للغفران وتخطي الأمر والمضي قدماً في حياتنا.. صحيح؟))

وعندما لم تجبه وهي تتابع النظر أمامها بشرود أردف مراد لها بصوتٍ ممتد حزين وشديد العمق

((جالا.. يكفيننا هدرا لأيام حياتنا.. أهدك أني سأعوضك عن الماضي))

بعد فترة طويلة همست له بخفوتٍ مجيبة

((حسنا))

مد يده من عجلة القيادة ليسحب كفها ويلثمها بخفة وبسرعة لتشعر بازدياد عدد خفقات قلبها..

ضحكت بارتجاف وحيات فضية تلمع في عينيها لا تعرف سبب
ترقرقها في عينيها الآن بينما روحها تنبض بسعادة خالصة..

لتقول جالا بغتة له

((هذه المرة لو كانت بنتاً فأنا من سأسميها))

هز مراد رأسه موافقا لها ببشاشة فتنهدت جالا بسعادة..

نعم هي رغم كل شيء سعيدة لأنها ستعود للنوم بأحضانها بكل
ليلة بلا أي انقطاع..

وهل هناك سعادة أكبر من أن تمتلك رجلا مثل مراد ذو قلب
محب و صدر حنون..

لأجله لا تمنع أحيانا بالتنازل عن أي شيء بطيب خاطر
وتسامحه وتسامح نفسها على الماضي.. لتبقى معه..

يكفي أنها صارت تثق بأن رجلها بعينيها ذات اللون البندي
امتلا بها ولن ينظر لغيرها.. حاضرة كانت أو غائبة..

بينما ضل مراد يختلس النظر لجهتها طوال الطريق وكم ود أن
يوقف سيارته ويتقدم منها ويمسح دموعها المترقرة ويقبل
عينها الجميلتان بخفة..

.

.

في حديقة منزل راجي..

وتحت السماء الصافية بقي راجي يتمشى قليلا ويستنشق الهواء
النقي وسط جمال حديقتهم البهيج الذي يريح النفس ويدفي
القلب..

توقف مكانه فجأة وهو ينظر للقادمتين نحوه فارتفع حاجبيه وهو
يدس كفيه في جيبه بنطاله..

سارت لنا وزوجة عمه فيصل باتجاهه لتقول أمينة متسائلة

((هل ذهبت جالا مع زوجها؟))

ابتسم راجي مجيبا إياها بخفوت

((نعم جاء قبل قليل وأصحبها))

قالت أمينة بعبوس وخشونة

((من الجيد أنها عادت لبيت زوجها.. ليست أول من تفقد
والدها.. ليس من اللائق أن تترك بيت زوجها لأشهر بحجة
الحزن على والدها))

هز راجي راسه لها موافقا وساد الصمت بين الثلاثة للحظات
ليخفض راجي نظره محذقا في الأرض منتظرا منهم أن يبدئن
الحديث..

بترت لنا الصمت فائلة بابتسامة لطيفة لراجي

((رانسى في الداخل؟))

رفع راجي وجهه وهو يقول مؤكدا ببعض الحنق الغير ظاهر

((نعم هي بالداخل.. الآن دخلت بعد أن عادتك من عندهم))

ثم اتبع كلامه بترحيب مبادلا إياها الابتسامة يحاول تغيير نبرته
لأخرى الطف وهو يدرك انه فعلا لم يرى أو يحدث لنا منذ
مدة

((أهلا بك لنا.. لم أراك منذ مدة.. أتمنى أن تكوني بصحة
جيدة))

تمتعت لبنا بخفوت عبارات سريعة تفيد أنها بخير ثم أردفت
كلامها وهي تقول موضحة

((قلت لرانسى بأني سأتي لزيارتها أنا وخالة أمينة في زيارة
سريعة بعد أن خرجت من منزلنا خاصة بعد أن عرفت بان
جالا ستغادر.. لكن انتظرت حتى يذهب ولديّ للمدرسة لأني
فدائما ما تزورني رانسى ولا أرد لها الزيارة.. أيضاً أعددت
لكما شينا لذيذا.. أتمنى أن يعجبكما))

قالت أحر جملة بابتسامة بشوشة ولطف وهي ترفع الحافظة
التي تضع فيها صنف من الحلوى وتمسكها بيديها..

ليقول لها راجي شاكرا بينما وهو يشير بيده للبيت

((سلمت يدك.. تفضلي))

تقدمت لبنا للأمام نحو باب البيت وما إن هم راجي أن يسير
خلفها تجمد مكانه ينظر بحيرة لزوجته عمه التي كانت تتمتم
بعبوس لنفسها بصوت خافت إنما مسموع له

((فليرحم الله أيامنا بالماضي.. عندما لم يكن باستطاعة الرجل
في القديم أن يرفض أو يتجاوز قواعد وتقاليد العائلة التي
تضطره للزواج بإحدى بنات عمه))

قال راجي لها بخفوت متحفظاً باقتضاب

((ما هذا الذي تقولينه يا زوجة عمي!!))

قالت أمينة له بغضب مؤنبة إياه بنفس درجة الصوت المنخفضة

((لطالما كان فيصل رحمه الله يريدك أن تتزوج إحدى بناته..
إلا أنك كنت ترفض بإصرار من أجل تلك السفرة التي
طلقتها.. كان عندك أربع بنات عم وكان بإمكان أن تختار أي
واحدة منهن فما الحاجة لك للزواج من خارج العائلة؟))

هز راجي رأسه فاتحا فاهه قليلاً بعدم تصديق من أنها تتحدث
معه بهذا الموضوع من الماضي بصراحة..

وضع أحد يديه في خصره يتنفس بسرعةٍ ونفاذ صبرٍ ثم قال
أخيراً بصوتٍ قاتمٍ باردٍ

((ما الحاجة لقول ذلك الآن يا زوجة عمي.. كل بنات عمي
الآن متزوجات وأنا متزوج من امرأةٍ أخرى))

وعندما التفت أمامه ينوي السير وصله صوتها من خلفه تقول
وهي تحمل رنةٍ سخريةٍ مقبّيةٍ

((هل تمازحني؟ والمرأة التي مرت الآن من أمامك متزوجة؟
أم هي حالياً منفصلة من زوجها؟))

تتنحج راجي مطلقاً نفساً عميقاً ثم نظر برأسه للخلف فوق كتفه
لها قائلاً بامتعاض متجاهلاً كلامها

((تفضلي يا زوجة عمي.. لندخل المنزل))

من جهة بدأ امر انشغال رانسي عنه بلينا وطفليه يغيبه..

ومن جهة أخرى يربكه ما تخطط له زوجة عمه رغم أنها
ليست من هذا النوع..

=====

=====

في وقت متأخر من الليل..

وبعد أن انتهت زفاف أخ إيما وغادر المدعوين صالة الاحتفال..

غادرت إيما معهم وفورا ارتدت معطف الفرو الثقيل والطويل
فوق فستانها الأسود المتداخل باللون الذهبي بشكل خلاب..

سارت إيمان في الشارع المظلم بجانب ابنها عدنان وهي تنظر
لهاتفها وتتواصل مع زوجها آدم الذي ذهب ليحضر سيارته
المركونة بمكان بعيد..

نظر لها عدنان متسائلا وهو يرى والدته تكتب على الهاتف
لزوجها بينما تسير

((هل وصل أبي للسيارة؟))

هزت إيمان له رأسها بإيجاب ليقول لها عدنان متنهدا

((لقد جهزت كل حقائبي استعدادا لسفرنا بعد غد.. بقي أن
أذهب لأبي لأودعه لساعة ثم..))

بتر عدنان كلامه ليتوقف هو وإيمان مكانهما وينظران بدهشة
لصاحبة الصوت

((مرحبا إيمان))

رمشت إيمان عدة مرات بعينيها قبل أن تخفض يديها التي
تمسك بهما الهاتف لتقول بعد لحظات للتي أمامها بتعجب
مستنكر

((هيام؟))

كانت هيام تقف أمامها مبتسمة وبجانبها صديقتها مها التي
لولاها لما تجرأت على القجوم..

في الواقع هي كانت تنوي منذ أيام مقابلتها إلا أن التردد بكل
مرة كان يغلبها ويدفعها للتراجع..

و بمجرد أن عرفت بان طائرتها ستقلع بعد غد قتلت أي تردد
وجاءت مسرعة لتنتظر خروجها داخل سيارتها أمام قاعة حفل
زفاف أخيها..

قالت هيام بصوتٍ مبوحٍ وترددٍ واضح

((مرحبا إيما كيف حالك؟ كنت أريد حضور زفاف أخيك
والمباركة لك.. لكن للأسف لم أستطع.. مع أنني فعلا رغبتك
بذلك))

ضاقت عينا إيمان وهي تقول لها بهدوء

((فعلا لاحظت أنه لم يحضر أحد من أفراد عائلتك باستثناء
جالا مع زوجها..))

شبكت هيام أنامل يداها المنخفضتان ببعضهما تتلاعب فيهم قبل
أن تقول بارتباك

((حتى راجي صدقا كان يريد الحضور ولكن الظروف..
تعرفين أن العلاقة بين العائلتين..))

هزت إيمان رأسها بخفوت ثم قالت بنفس نبرة الهدوء دون أن
تبتعد عيناها عن وجه هيام

((نعم أنا اعرف ذلك.. لكن أبي لا يكن أي بغض لاي أحد من
أفراد عائلتكم.. وكان أسعد لو لبيتم الدعوة لزفاف أخي.. بعد
موت والدك رحمه الله علينا أن نعرف أن الحياة قصيرة ولا
طائل من بقاء أي عداوة بيننا.. نحن أقارب في النهاية))

ازدردت هيام ريقها.. بسبب الماضي ما تزال العائلتان ولأكثر
من عقد تتعامل بحساسية مع الأخرى..

قالت هيام بابتسامة مرحة بافتعال وهي تشير بيدها لصديقتها
التي تقف بجانبها

((هذه صديقتي مها))

نظرت إيمان لمها قائلة بابتسامة متحفظة

((مرحبا مها))

فبادلتها مها الابتسام وهي تتمتم لها الأخرى بكلمات مرحبة..

انتشر الصمت بين الجميع وشعرت هيام بأن توترها يتضاعف
لكنها قطعتة وهي تسأل بفضول مفتعل

((ستعودين بفجر بعد الغد.. صحيح؟))

باختصار مقيت أجابتها ايمان

((نعم صحيح))

قالت لها هيام محافظة على ابتسامتها

((أتمنى لك ولعائلتك رحلة مريحة))

ردت إيمان مجاملة إياه بتهديب

((شكرا لك))

وعندما عرفت إيمان أن هذه المحادثة لن تبدأ إذا لم تكن هي
المبادرة سألتها بجفاء

((إذن.. هل هناك شيء جئت للتحدث به معي قبل أن أغادر؟))

رفعت هيام ذقنها قائلة بصوتٍ ثابتٍ رغم إرهاقها النفسي الذي
تعيشه

((كنتُ أريد أن اعتذر لك))

اتسعت عينا إيمان وقد كان ما سمعته من هيام آخر ما توقعت
أن تقوله لها فغمغت لها بنبرة خافتة مندهشة

((ماذا؟))

ارتعشت شفتا هيام وكانت لوهلة تريد المغادرة والهرب
منسحبة من هذا المواجهة..

لكن تقبضت كلتا يديها على جانبيها وهي تحاول تمالك نفسها
ورباطة جأشها لتقول أخيرا بهدوء ووضوح وعيناها في عيني
إيمان مباشرة

((نعم أردت أن اعتذر لك.. لم أكن أريد تفويت فرصة تواجهك
هنا.. خاصة وأنت لا تعودين للبلاد إلا لأيام قليلة سنويا وأحيانا
كل سنتين))

تجمدت نظرات إيمان المبهمة عليها للحظات طويلة..

ولم تقل فيها حرفاً واحداً..

فتشدد عدنان ساخرا بشراسة.. وألم.. وهو يكتف ذراعيه أمام
صدره ثم قال

((وعلى ماذا ستعتذرين لامي؟ أساسا هل أنتِ نادمة فعلا على
ما فعلتيه بامي؟ أم نادمة فقط من أجل ما حصل مؤخرا لك؟))

انعقد حاجبا هيام بشدة وكأنها لم تتوقع رده هذا..

لكنها تجاهلت سخريته لتقول بهدوء وإقرار وهي توجه نظرها
لإيمان

((نعم لطالما أردت ذلك ومنذ زمن.. ربما سبب رغبتني
بالاعتذار لك بالسابق هو ندمي من الزواج بأحمد خاصةً باني
لم أتخيل باني سأمر بما مررته معه.. لكن الآن أنا اعتذر منك
بدافع ندمي على ما فعلته بك.. أنا مدينة لك فعلا بالاعتذار..
وأتمنى من أعماق قلبي أن تسامحيني.. وربما ما يزيد عذابي
أني لا اصدق أنني أذيتك بما فعلته من أجل رجل حقير وخسيس
مثل احمد لا حصر أبداً لعيوبه))

اتسعت عينا عدنان للحظة قبل أن يبتسم بسخرية عصبية
مستكرا وهو يقول بحدة مكتومة

((رباه.. عشنا وشفنا أناساً يعييون ويشتمون الخلائق وهم
مكبلون بالخزي وتكاد أيديهم ألا تُفارق وجوههم عاراً))

هتفت مها به موبخه بحدّة

((ما أطول لسان وما اقل احترام هذا الشاب اليافع الواقف
معنا))

التفتت إيمان لعذنان أمرة إياه بصلافة دون أن ترفع صوتها
((عذنان اهدأ))

هتف عذنان بتجاوزٍ وهو يشير لأمه بيديه منفعلًا بشكل بالغ
ومحتد

((هل تريدن منها أن تشتم أبي وأضل صامتاً؟))

أخفضت هيام نظرها أرضاً وكم شعرت لحظتها أنها
مرضوضة جداً..

بل إذا جاز التعبير نظرات إيمان وابنها قادرة على أن تمزقها..

عادت إيمان تلتف لهيام لتقول هامسة بصوتٍ ميت بارد

((تابعي هيام))

أخذت هيام نفساً عميقاً مؤلماً عبر حلقها الجاف.. ثم قالت بتهكم
مرير

((قد يبدو ما سأقوله مثيراً للضحك ولكن أتمنى فعلاً أن
تسامحيني على الأقل بدافع أنه اتضح بانني قمت لك بأفضل
خدمة بالزواج من احمد.. فلولا له لما انفصلت عنه وتزوجت من
رجل آخر أفضل منه بكثير وعشتي معه بسعادة بالغة أكثر
مما..))

حاولت إيمان التمهّل قليلاً قبل أن تقاطع هيام ببطء وتوجس
((وما أدراكي أنه أفضل من احمد واني أعيش معه بسعادة أكبر
من السعادة التي شعرت فيها مع احمد؟))

قال عدنان ساخراً دون أن يرف له جفن أو أن يشعر بخجل
((أرايتِ أمي؟ يبدو أن مشكلتها ليست بأبي بل بأي رجل
تتزوجينه أنت.. يبدو انه تفكر بالتقرب منك والسفر معنا
وملاحقة زوجك الحالي))

صرخت به مها وقد استنقرها

((أهدأ يا ولد.. أنت تتحدث بوقاحة.. أنها أكبر من والدتك فكيف
تتحدث معها بهذا الشكل؟))

وبختها هيام من بين أسنانها هامسة بصوتٍ مرتعش
((مها اهدئي.. أنتِ تفسدين كل شيء))

عادت إيمان تقول لابنها بنفس النبرة الثابتة لكن تحمل حزماً
وأمرأ

((عدنان أنها على حق.. لا تتدخل في أمور الكبار واسبقني
لأدم في نهاية الشارع وأخبره أن ينتظرني قليلاً))

تتهددت هيام تحاول تجاهل كلام عدنان القاسي ونبرته المهينة
فهي تعرف أنه محق بعض الشيء رغم وقاحته معها..

بينما زفر عدنان بضيق وهو يلتفت لهيام ومها ويدحجهم
بنظرات ممتعضة قبل أن يغادر لتقول إيمان بنبرة فاترة لمها

((لقد أحسنتُ بالفعل تربية ابني وهذه ليست هي شخصيته.. أنه
لا يتصرف بهذا الشكل إلا عندما يتعلق الأمر بوالده.. لأن
الأمر مرتبط بالنسبة له بذكريات بانسة تخص طفولته لذا أنا لا
اسمح لك بالتحدث عنه بهذا الشكل))

نظرت لها مها باستياء ثم قالت قبل أن تغادر لهيام باقتضاب
وهي تططبب فوق كتفها

((هيام سأسبقك للسيارة.. انهي هذا الاعتذار والحقيقي.. الوقت
تأخر.. لقد اتصل زوجي عدة مرات بي وكان يريد اخذي لولا
أني أخبرته أنك سترافقيني بسيارتك ولا يصح أن ادعك
تعودين وحيدة بهذا الليل))

ثم نظرت لإيمان تقول لها بجفاء امرأة

((وبالنسبة لك فعليك مسامحتها لأنك لا تعرفين ما مرت به هيام
وقصتها التي ينبجس منها الألم.. لا أريد أن أطلق شرارة
كلامي هذا ولا أن اذر الملح على ما حدث معها.. لكنها وصلت
إلى ذروة الألم النفسي.. فترفقي بها))

أغمضت هيام عيناها وشدت على أسنانها بندم لأنها طلبت من
مها أن ترافقها إلى هنا فقد أفسدت فعلا كل شيء بتدخلاتها..
أطرقت هيام بوجهها وهي تضغط جبهتها بأصابع مرتعشة ثم
رفعته قائلة بإرهاق

((أنا اعتذر لك لما قالته مها.. لم يكن عليّ اصطحابها معي إلى
هنا))

بنفس وقفة إيمان ردت عليها بجفاف وعيناها بعيني هيام

((لا بأس.. وبالنسبة لاعتذارك فهو مقبول وبالنسبة لمسامحتي
فأنا سامحتك أنتِ ووالد عدنان منذ زمن طويل.. ليس من أجل
أحد إلا من أجلي.. حتى ارتاح وأنسى))

سألتها هيام برجاء وصوتٍ خفيضٍ ميت

((هل نسيت فعلا كل ما حدث بالماضي؟))

أومأت إيمان برأسها قائلة بهدوء

((الحقيقة أنا لم انسَ كل شيء ولكن بمرور الوقت لم تعد تلك
الذكريات قادرة على التحكم بي.. على الأقل ليس كثيرًا))

ثم أردفت بصوتٍ مختنقٍ قاسي

((أنا بخير وسعيدة وأعيش بأفضل حال وأسامحك على ما
حدث.. ها أنا أخبرك ما تريدين سماعه.. لذا يمكنك الذهاب))

أبعدت هيام عينيها بصعوبةٍ وهي تقول بصوتٍ مرتجف

((إيما.. أنت لم تنسي شيئًا مما حدث.. صحيح؟))

رفعت إيما رأسها شامخة لتقول لها بصوتٍ أهدأ

((فقط أخبرني صديقتك التي كانت تتحدث عن معانتك وما
مررت به أني مررت بأضعافه.. وأساء ما في الأمر أني لم
اختار أن أعيش كل هذا.. بينما أنت دخلت الوضع يا هيام
بكامل إرادتك))

نظرت إليها هيام قائلة بمرارة

((أنت محقة إيما.. وأنا اعترف فعلا أني كنت مخطئة بالماضي
لأتصرف بأنانية دون الاكتراث لمشاعرك أو مشاعر طفل
صغير لا ذنب له))

تنهدت إيما قبل أن تقول بصراحة

((بعض الأحيان.. أفكر بان عتبي عليك ربما كان أكثر من
احمد الذي كان زوجا لي لسنوات وبيننا عشرة.. ربما لأنك
امرأة مثلي وكان عليك تفهمي مشاعري ولأنك بمقام ابنة
عمي.. لقد ضللت لأشهر أتوسل لك أن تبتعدي عنه وتتوقفي
عن خروجك معه لكن بلا فائدة))

سألتها هيام هامسة بضعفٍ

((لا بد أنك مررت بوقت عصيب بسببي.. صحيح؟))

أومات بشبه إيماءة وهي تجيب قائلةً بصوتٍ حزين

((نعم.. ربما أنت بحاجة للنظر إلى البحر لتقديري وتخليكي كم
دموع نزقتها دما من عيني بسبب خياناته المستمرة لي معك..
وربما أيضًا أنت بحاجة إلى منازعة عاصفة للأشجار لعلك
تتصورين كيف كنتما تنتزعان قلبي من محجره))

فتحت هيام فمها تنوي التحدث.. بأي شيء..

لكنها تلجمت لحظة ورفعت أصابعها تدخل بحجابها شعيرات
وهمية.. ثم قالت لها بصوتٍ خفيض باهت

((أنا أسفه))

تابعت إيمان بنبرةٍ حملت فيها بردًا لاسعا لهيام

((حينها.. لطالما تساءلت ألا تأتيناك أنت أو هو بعض اللحظات
التي يقطر فيها قلبكما ألمًا.. على الأقل لشيء فعلتماه بي.. لكن
بالنهاية اقتنعت ألا أتوقع شيء منكما.. خاصةً من احمد فهو
قطعة من الجحود.. أنكر بسهولة سنوات العشرة التي كانت بيننا
متذرعًا باني أنا من هدمت هذا البيت بطلبي الطلاق لا هو.. لم
يكن أمامي إلا أن أغادر وابحث بنفسي عن سعادتني بل وابنيها
بنفسي وأنساكما أنتما الاثنيين مع تأكدي بأن القدر يخفي لكما
الكثير من الألم لما فعلتماه بي.. فجرائم جرح وتعذيب المشاعر
لا يُحاكم عليها القانون إنما القدر))

صمتت هيام وشحب وجهها بشدة.. ثم رمشت بعينيها قائلةً
بصوتٍ متذبذب

((أنت محظوظة لان القدر أهداك فرصة أن تكوني شاهدة على
ما سيحدث بي))

أغمضت إيمان عينيها لتتداخل لها بعض الذكريات القديمة لتلك
الأيام ودموعها البائسة تنساب على وجنتيها البارديتين بفعل
انخفاض درجة الحرارة بهذا الوقت من الليل..

وبعد لحظات فتحت عيناها وهي تزفر حتى كادت تبكي من فرط ارتعاش قلبها..

نظرت لهيام قائلة بصوتٍ متهدج وهي تمسح دموعها من وجهها بأطراف أناملها

((أنا لا اهتم بان أكون شاهدة على أي شيء.. كنت متأكدة بان القدر له تصفياته ولكن بالتأكيد لم أكن لأضيع حياتي على مراقبة من أذاني.. وصدقيني لم اعرف عنكما أي شيء إلا زواجه مؤخرا من اجل الإنجاب.. يا إلهي كم هو أناني.. كان بإمكانه استعادة ود ابنه الوحيد بدلا من التفكير بإنجاب غيره.. لو أن عدنان لم يزره بنفسه ويتحدث معه لم يكن احمد ليكلف نفسه على الأقل برفع سماعة الهاتف والتواصل معه))

شعرت هيام بوتيرة أنفاسها تضعف وهي تقول لها

((على كل حال.. أنا انفصلت عن احمد))

قالت لها إيمان بدهشة وتلقائية

((حقا؟ أنا لم اعرف.. وأسفة بشأن هذا.. أتمنى لك الأفضل.. عدم قدرتك على الإنجاب هي نصيب من الله وسيعوضك بشيء آخر))

ابتسمت هيام بمرارة.. فإيمان مثل الجميع تظن أن المشكلة بها..

هل عليها أن تخبرها أن المشكلة من احمد وأنها ربما لم تكن لتتجب غير عدنان لو بقيت معه؟

تنهدت هيام ثم همست لها بوهن ساخرة

((لا عليك.. لكن إذا كانت يا إيما بعض ذكرياتك ألم.. فذكرياتي أنا ندم))

تتهددت إيمان تقول مختصر حديثهم

((كما قلت لك لقد سامحتك.. من أجل نفسي ولأنني استحق
الراحة.. وأحاول قدر الإمكان ألا أتذكر تلك الأيام المؤلمة..
لكن بالرغم من السعادة والراحة التي اشعر حاليا بها إلا أنه من
الصعب نسيان كل تلك الذكريات المريرة.. آخر سنة زواج لي
مع احمد استنزفتن بشكل كلي وعلى جميع الأصعدة.. ولا تزال
أثار بعض ندوبها متواجدة بروحي حتى الآن))

قالت لها هيام وقد تجمعت الدموع في حدقتها

((أنا فعليا لا اعرف لم نرتكب تصرفات غبية ثم ندرك مدى
غبائها فيما بعد ونندم عليها.. لا اعرف كيف قمت بقرارات
وتصرفات جارحة.. قاسية.. خسرت فيها من حولي وأمورا
أخرى بعدها أنا في غنى عنها.. وعدت لأندم.. خاصة أنه لم
تعد المياه لمجاريها بعد ندمي هذا))

وافقتها إيمان بخفوتٍ صلب

((للأسف كلامك صحيح.. لا تعود المياه إلى مجاريها دائما))

تسمرت هيام بكل ما فيها للحظات تمامًا..

ثم أغمضت عينيها وهي تهمس بصوتٍ مختنق

((أكرر لك مرة أخرى.. أنا نادمة على ما فعلته بالماضي..
ليس لان احمد تعامل معي كئذ.. بل لأنني شعرت بما فعلته..
ليس سهلا شعور أن يبيعك شخص بينكما عشرة طويلة..
ومشاعر أخرى.. بذلك الاتصال قبل سنوات طويلة لم يكن
عليك أن تقولي لي "ضعي نفسك مكاني واشعري بي" بل كان
عليك أن تقولي لي "غدا ستكونين مكاني وستشعرين بي")

ردت إيمان بنفس نبرة الصوت المختنقة

((أنا أسفه لكل ما مررت به.. لقد صدقيني لا يضاهي ما جعلتني أنتِ واحمد امر به.. لأنني باختصار لم اختار أن أكون بهذا الوضع.. لم يكن ما وصلت له نتاج قراراتي واختياراتي مثلك يا هيام))

ازداد شحوب وجه هيام وامتعت ملامحها شاعرة ببرود جسدها فكررت الأسف بصوتها المتهدج

((أنا أسفه.. جدا))

قالت إيمان شاردة بتحشرج

((أيضًا عندما أفكر بأنه لو لم يكن أبي معي.. ولو لم املك جنسية أمريكية ومال وفير وقدرة على السفر بعيدا عنكما ماذا كان سيحل بي؟ هل كنت لأكون قادرة على تقبل الأمر الواقع والبقاء معه وتحمل رؤيتكما معا أمامي لسنوات قادمة كثيرة؟))

ثم تنهدت وهي ترفع يدها إلى صدرها قائلة بصدق وبصوت مرتجف

((تخيل الأمر وحدة يجعل تنفسي يضيق))

ثم نظرت لهيام تقول لها

((هيام صحيح انه لم يعد الماضي يؤثر بي معظم الوقت.. وانا احمد الله على كل ما حدث وإلا لم أكن لأعيش حياتي هذه.. لكن مع ذلك ليس سهلا تجاهل المصاعب التي مررت بها بسببك أنتِ واحمد من إهانات وكسر قلبي وخاطري وروحي.. ليس.. ليس من السهل لذلك الجرح أن يندمل للأبد وتاماما))

عادت هيام تكرر على مسامعها

((أنا أسفه للمرة الألف واعلم أنني لن أستطيع أن اكفر عما فعلته بك.. لكن لا املك إلا الأسف والندم.. أرجوك سامحيني.. وأيضاً..))

بترت هيام كلامها وهي تسمع صوت رجولي من خلفها يتقدم
منها هي وإيمان

((إيما.. أنتِ هنا؟))

قالت إيمان للرجل الذي يتقدم منها له بلهفةٍ غير مُصطنعة
((لماذا نزلت من السيارة ومشيت هنا بدل القيادة؟ قلت لعدنان
أني قادمة))

رد عليها بحنان وخوف

((لقد تأخرت.. كما أنه لو قادت السيارة لهنأ لن أستطيع العودة
بها من نفس الطريق القصير))

ثم التفت ينظر لهيام باستغراب فقالت هيام فوراً وهي تستدير
وتعطيها ظهرها هاتفة

((إلى اللقاء يا إيما.. أتمنى لك رحلة سعيدة ومريحة))

قالت إيمان بخفوت وهي تراها تغادر

((إلى اللقاء))

بعد ساعة..

جلست مها خلف مقود السيارة بعد أن طلبت منها هيام القيادة
عوضاً عنها لأنها متعبة.. بل منهكة..

وضعت حزام الأمان ثم قالت بصوتٍ جامد لهيام قبل أن تغلق
النافذة وتشغل تدفئة السيارة

((لا تندمي أبداً يا هيام على شيء فعلتيه بالماضي.. فلو كان الماضي جيداً فهذا رائع ولو كان سيئاً فهذه خبرة.. العيش مع شعور الندم مقيت جداً فتوقفي عنه))

ابتسمت هيام بإجهد وبلا مرح وهي تقول لها بينما تبدأ مها بتشغيل محرك السيارة

((قد يبدو لو هلة كلامك منطقي.. لكنني فعلاً نادمة.. نعم أنا نادمة على قراراتي بالماضي.. فقد اكتشفت أنه الحياة أقصر من أن تخطئ مثل هذا النوع من الأخطاء.. وللأسف لن تُعطي لي فرصة أخرى لأعيش الماضي بطريقة مختلفة.. على الإنسان أن يختار بشكل صحيح.. لأن فاتورة الاختيار الخاطئ كبيرة.. كبيرة جداً وتأخذ من الروح قبل العمر.. وليس هناك دائماً من يحصل على فرصة أخرى))

بدأت تركز مها على القيادة بسيارتها وهي تقول لها برفق

((لا تقسي على نفسك.. لم تصبحي عجوزاً بعد))

تتهددت هيام وهي تكتف ذراعها وتشرد بالنظر أمامها

((منذ أن غدر بي احمد أول مرة وقال لي عن نيته للزواج للإنجاب كان علي الانفصال عنه.. لا اعرف لماذا استمررت بل وسعيت للتخطيط للبقاء معه.. على الرغم من إدراكي بعقلي الباطني أنني كلما توغلت فيه كلما كان وقع الندم أقوى وأثقل علي.. بل كلما تأخرت كلما تألمت أكثر وخسرت أمور أكثر وأكثراً))

ثم استرسلت بصوتٍ مريـر

((أعتقد أن ما أشعر به هو حقيقة يشعر بها الكثير من حولي.. وكم هو مر مذاق الندم خاصةً على تصرفات وقرارات اتخذتها بكامل إرادتي.. ظننت أن علي أن اضغط على كرامتي من أجل

احمد منتظرة منه إن يكلل كرامتي بتاج من الحب وللأسف لم
أجد منه إلا الجرح والمهانة))

قالت لها مها تنصحا

((هيام رغم كل شيء حاولي التخلص من الشعور بالندم فلم يبقَ
بالعمر وقتا كافي لتعيشي فيه مع الندم))

أغمضت هيام عينيها مرتاحة وكأنها تنام بفراش سريرها وهي
تقول بصوتٍ خفيض

((صحيح.. هذا هو ربما ما عليّ أن أحاول فعله.. ليس لأنني لا
أريد أن أعيش تفاصيل الندم على قرارات الماضي فقط بل
لأنني لا أريد أن أندم مرة أخرى على وقت ضيعته كنت أستطيع
أن أنجز فيه أكثر.. أريد أن أحاول جاهدة استرجاع روعي
الضائعة منذ سنين طويلة لعلها تعود مع تلك النشوة التي كانت
متواجدة بداخلي.. والتي كنت أشعر معها بارتياح دائم))

وبالطريق التي كانت تقوده مها بقيت كل عدة دقائق تختلس
النظر جانبا لهيام التي تجلس بجانبها ورأسها مترجع للخلف
مغمضة عينيها وكأنها في سبات عميق..

في بيت عدنان الدال.. عند منتصف الليل..

دلفت إيمان لغرفة نومها بعد أن تفقدت نوم صغارها ثم خلعت
مأزرها وعلقته على المشجب لتجلس فوق السرير بجانب
زوجها المتمدد عليه..

لقد أنهكوا جميعا بعد هذه الليلة الطويلة فضلا عن انشغالهم
بالأيام السابقة بترتيبات زفاف أخيها..

التقطت إيمان طبق الفاكهة الموضوع على المنضدة الملاصقة للسريير وبدأت بتقسير قطعة منه بالسكين وهي ترمي بنظرات جانبية زوجها ادم الذي يحرق بالفراغ أمامه بذهن مغيب..

تعرف أنه منذ أن اصطحبها من منزل احمد ورؤيته لزوجة احمد معها قبل ساعات وهو يشرد كثيرا بمحاولة إخفاء ضيقه من الأمر..

رغم المثالية التي يظهر فيها مع تفهمه بل وتشجيع عدنان على زيارة ووصال أبيه وبره إلا أنه بالتأكيد انزعج داخليا..

رغم أنه لم يفتح لها هذه السيرة بل لم يلمح لها أبداً إلا أنها تستطيع فهم ما يدور بداخله..

قطعت إيمان جزءاً من حبة الفاكهة بالسكين ومدت الجزء لأدم بصمت ليأخذ منها متنبها..

قالت له إيمان بابتسامتها الخلابية بينما يأخذ منها قطعة الفاكهة ((سغادر بعد يومين للولايات المتحدة.. هل ستستطيع تعويض ما فاتك من عملي بسبب هذه الزيارة؟))

قضم أدم الفاكهة التي يمسكها بأنامله وهو يخبرها عقب تنهيدة ((لا تقلقي عملي سيكون بخير.. أساساً لم أستطع ألا أرافك وأفوت زفاف أهلك))

هزت رأسها وهي تقضم عفوياً من قطعة الفاكهة التي تمسكها ثم قالت بغته بابتسامته حلوة

((أنا احبك))

مد ادم يده ليأخذ منها ما تبقى من قطعة الفاكهة في يدها ليقربها من شفثيه قبل أن يقضمها ثم يقول بصوت رخم دافئ

((وانا احبك أيضاً))

عبست إيمان في وجهه قائلة بعتاب مازح وهي تراه بمضغ ما
بفمه بتأن

((لماذا تقولها هكذا بدون تأثر.. يبدو أنك لم تعد تحبني مثل
السابق))

تركته بحضنها ودفنت وجهها في صدره تستمد القليل من دفئه
وهو يقول لها بعاطفة

((بل أحب كل شيء فيك يا غاليتي))

سألته إيمان ضاحكة

((مثل ماذا؟))

يعرف أنها لا تمل هذا السؤال أبدًا مستمتعة بكل مرة تسأله
بجواب مختلف عن أمور مختلفة تخصها..

أمسكت يده بمؤخرة رأسها وحركتها ببطء قبل أن يمسح شعرها
بلطف هادرا

((أنتِ أنيقة بطريقةٍ ملفتة.. وجذابة وخجولة أحيانًا لكن دائما ما
تدخلين القلب بسهولة.. ضحككك تنبع من قلبك.. رغم هدوئك
أمام من تُجيبين إلا أنه أحيانا يسيطر عليك عنادٌ غريب))

امسك آدم يدها يسحبها لفاهه يلثمها بحرارة وهو يردف هامسا
برقة

((ورغم كل شيء أعشقتك.. واعشقت هذوءك وعنادك وجمالك..
لا حرمني ربي منك يا غاليتي.. فهل هناك أجمل من وجود
امرأة مثلك تهون عليّ أمور الحياة وتتصنع لأجلي آلاف
الضحكات العفوية!))

أبدعت إيمان وجهها قليلا لترفع نظرها له وعيناها تفيضان
عشقا لهذا الرجل المميز في حياتها..

ثم ترقق صوتها هامسة

((تعرف كيف تجاملني يا ادم))

بادل آدم نظراتها بأخرى حارة تفيض عشقا جعلتها متوردة
قائلا بمزاج رائق ودافئ لا يشبه الذي كان عليه منذ أيام..

ثم شدد على يدها في كفه ورفعها لصدغه وهو يقرب رأسه
هامسا قرب خدها بذوبان أخرجها

((وأنتِ ماذا تحبين بزوجك المسكين؟))

ضحكت بخفوت عليه ثم أنزلت كفها لصدره تفترش أناملها
على قلبه هامسة

((أحب فيك يا ادم كل شيء.. صوتك.. ضحكاتك.. إحساسك..
حديثك معي.. اهتمامك بي.. مُراعاتك لمشاعري.. كل هذه
الأمور تُشعرني بأنني لا زلت أتنفس.. أنا أعشقتك كلك))

كانت تتحدث وهي مغمية بعينيه..

بالرغم من مرور كل هذه السنوات على زواجهما إلا أنها لا
تشعر بالوقت معه..

بل في وجوده تنقلب الساعات إلى ثوانٍ..

وهي أكثر من سعيدة أنه لم يتركها تزور عائلتها لزفاف أخيها
وحيدة..

انتبه ادم لدمعة وديعة تُداعب عينها ليسمح له أن تعود وتميل
إليه ويحتضنها بين ذراعيه هامسا بفكاهة

((لماذا صرتي عاطفية بهذا الوقت من الليل؟))

سالت الدمعة على خدها لتسقط على يده ويشعر فيها بينما تقول
له بحشجة

((أنا فقط أريد أن أشكرك على وجودك بحياتي))

مد ادم أنامله ليمسح دموعها الأخرى قائلاً بصوت عذب

((أحبك يا إيما يا بسمّة عُمرى))

فكم هي جميلة محطات العمر خاصةً تلك التي جمعته بإنسانة
رائعة ومتميزة بجمال روحها ومشاعرها الذواقة وأحاسيسها
المرهفة..

=====
=====

بعد يومين..

جلس عدنان على احدى المقاعد عند باب المدخل لشقة احمد
عقب أن ارتدى حذائيه الرياضيين وهو يضع الهاتف بقرب أذنه
ومغمغماً لآدم

((حسنا يا أبي.. نعم لقد ودعت والدي احمد والآن سأنزل عند
باب البناية الخارج وانتظر حتى تأتي بسيارتك.. لا تقلق..
إلى اللقاء))

أبعد عدنان الهاتف عن أذنه ليغلق الهاتف قبل أن يجفل على
صوت احمد الذي تقدم منه هاتفاً بامتعاظ

((ماذا قلنا بشأن كلمة "أبي"؟ ألا تفهم يا عدنان؟ هذه الكلمة من
حقي وحدي))

ظهرت ملامح الانزعاج على عدنان كمن قُبض عليه متلبسها
بقول كلمة بذيئة..

أغمض عينيه متأففاً بضيق وضجر قبل أن يزفر باستسلام
بعدها بلحظات..

حرك عدنان رأسه باتجاه والده الواقف أمامه متكثف الذراعين متحفزا ليقول وهو ينتصب واقفا من مكانه ويتقدم منه ليسايره

((حسنا لن أقولها لغيرك.. سأبدأ بمناداته بـ "عمي" من الآن وصاعدا))

زمرج به احمد مستاءً والقهر يغمره والغضب يعيث بعوافه

((هل تأخذني على قد عقلي يا ولد؟ هل تراني أمامك سفيه تحاول تجنب الجدل معه؟))

هدر عدنان له بنبرة مستاءة وقوية

((أبي لماذا غضبت بهذا الشكل؟ أخبرتك أنني لن أقول لاحد غيرك كلمة "أبي" فاهدا رجاء.. لقد صرخت عليّ بأيام مكوثي معك وعاتبتي على أمور حدثت في الماضي أكثر مما قضينا وقت ممتع.. هل يصح أن تعاملني بهذا الشكل وهذه هي أول مرة نلتقي فيها أخيرا بعد سنوات طويلة من الهجران؟ أنت بهذا الشكل تجعلني انفر منك ولا ارجب أن أعود للقبالك عندما أتى للبلاد مرة أخرى))

قال احمد مستنكرا وهو يعقد حاجبيه بنبرة متحشجة تحمل ألما لا يطاق شعر به

((هل تهددني بالابتعاد عني وتركي؟ هل..))

قاطعه عدنان بنفاذ صبر حقيقي

((أبي توقف.. لم اقصد هذا))

دنا احمد منه بخطوات عصبية ثم قبض على ذراعي ولده ليضغط عليهما بقوة ويهدر به بحدة

((كيف تصرخ عليّ بهذا الشكل؟))

تفهم عدنان أن التحول الذي صار عليه والده فجاءة وعصبيته الزائدة هو بسبب حزنه على رحيله..

بلطف ابعده عدنان يدي احمد اللتين بدأتا بالتراخي عنه وهو يقول له بنبرة أكثر رفقاً.. ورجاءً

((أنت من تستفزني يا أبي.. قلت لك أن موعد طائرتنا بعد ساعات فقط وأنا لم اقبل أن ارحل دون أن أمر عليك الليلة لأودعك لكنك مُصر بشكل كبير على ألا أغادر من هنا قبل أن تفتعل مشكلة معي من لا شيء.. هل تصرفك هذا يشبه تصرفات أب حزين على رحيل ابنه؟))

هتف احمد به ونبرة صوته تخرج معبرة عن كل ما يقاسيه من جروح الماضي

((ألا أبدو لك فعلا حزينا لأنك سترحل وتبتعد عني؟ أنا لم أراك منذ سنوات طويلة جدا.. زررتني قبل أيام لأول مرة منذ أكثر من عقد ولم تجلس عندي أكثر من خمسة أيام ومع ذلك تريد الآن المغادرة لخارج البلاد.. أنا أريد منك البقاء هنا))

اتسعت عينا عدنان بدهشة ليقول باستنكار

((أبي هل تتحدث بواقعية؟ لقد ظننتك تمازحني بكلامك السابق عن بقائي هنا وعدم العودة للولايات المتحدة))

قال احمد مستنكرا دهشته من كلامه

((ولماذا لا تبقى؟ لماذا لا تدرس بإحدى جامعات البلاد.. هناك الكثير من الجامعات هنا التي تحظى بمراكز متقدمة على المستوى العالمي..))

قاطعة عدنان بحدة وهو لا يستوعب إصرار والده على بقائه هنا

((أبي هل جننت؟ تريد مني أن اترك حياتي بالولايات المتحدة الأمريكية وأضيع سنة ونصف من دراستي بتخصص الاقتصاد هناك لأتي وأعيش وادرس هنا؟))

تقهقر احمد بينما يقول له بنبرة جامدة تواري اضطرام روحه التي تكاد تتحول الى رماد

((هل تقول عن والدك مجنون يا عدنان؟))

أغمض عدنان عينيه بشكل فوري وهو يشعر بأحاسيس مستاءة من نفسه تتفاوت بقوة في صدره لما قاله..

تنهد قبل أن يقول معتذراً بصوتٍ خافت

((يا ألهي بدأت أكره نفسي.. أبي أقسم لك لم أقصد.. مشكلتي أنني قليل الصبر والبال ومتهور في حديثي.. لكن صدقني لم أقصد أن أقل من احترامك.. لكن أنا لا زلت أتكيف واعتاد على الحديث معك كوالدي.. عندما تركتك كنت بالثامنة يا أبي ولا اذكر الكثير عن شخصيتك.. انسى.. دعك من كل ذلك.. أنا مشتت ولا اعرف ماذا أقول))

قال كلماته الأخيرة بطريقة مشتتة بالفعل وهو يهز رأسه بمحاولة التركيز أكثر..

عاد احمد يمسك ذراعيه قائلاً له ببطء وبصوت أجش وهو يركز بوضع عينيه بعيني عدنان

((إن عدنان.. لا ترحل.. أبقى هنا معي.. كلانا بحاجة للآخر.. دعنا نعوض كل سنينا السابقة.. أنا لن أتحمّل فقدك لمرة أخرى.. أنت لا تتخيل كم هو مؤلم بالنسبة لي أن أرى وأسمع من زملائي وأصدقائي حديثهم عن أولادهم فتتوارد بي غصات فقد وهجران وأغمض عيني متمنياً إلا يذوق أحدهم ما أدوقه بابتعادك عني))

بخطوات بطيئة مرهقة ابتعد عدنان عنه ليعود ويجلس على
المقعد قائلاً بامتعاض وحزن

((أبي لماذا تتحدث كأنني ساموت أو سأذهب بلا رجعة))

ردعه احمد باقتضاب

((كفاك الله أي شر.. لا تقل هذا أيها الأحمق))

رفع عدنان وجهه لأبيه يقول بلطفٍ بمحاولة أن يحنن قلبه عليه

((أبي صدقني أنا بالفعل أتمنى لو أعيش معك للأبد.. لكن لا
أستطيع.. حياتي وأسلوبها ينتميان للولايات المتحدة.. لن
أستطيع أن اتركها وأعيش هنا ولن أتكيف على الوضع..
صدقني لطالما أحببت زيارة جدي هنا إلا أنني بأخر الزيارة
أشعر بالضجر واعد الأيام حتى نرجع.. لأنني اعتنت العيش
هناك))

ازرد احمد ريقه بصعوبة ليقول والرجاء والاستعطاف يتألقان
في حدقتيه

((وانا كيف سأعيش بعد مغادرتك مجددا يا ولدي؟ ماذا افعل
عندما يهزني وجع الحنين لرؤيتك؟ لقد اعتدت بالأيام السابقة أنا
يبدأ صباحي برؤية وجهك وصوتك وابتسامتك.. ولن أستطيع
افتقاد هذا.. أنا منهمك أكثر من القدرة على العيش من دونك يا
عدنان))

غمغم عدنان بعبوس ممزوج بالشعور بالذنب والحزن

((أبي أرجوك لا تتحدث بهذه العاطفية.. أنا لن ارحل للأبد..
ربما لن أتي مع أمي سنويا هنا بعد أن أخرج من جامعتي
وأعمل ولكن صدقني سأحاول بقدر الإمكان المجيء هنا
وزيارتك.. لكن ما تقوله بشأن رغبتك بعدم عودتي الصادمة
والبقاء معك هو محض جنون.. أوه..))

بتر رنين هاتف عدنان كلامه ليمسكه قائلاً بعد أن فصل
المكالمة على المتصل

((لحظة.. لقد اتصلوا بي مجددا وأبي ادم ينتظرني أسفل بيتك..
أنا مضطر للرحيل))

اغلق احمد باب شفته بحنق وهو يقال باعتراض قريب للتوسل
وهو يستمر باستعطافه أكثر

((لا أريدك أن ترحل يا عدنان فعلا.. أبوقّ معي.. أنا أدمنت
وجودك الأيام السابقة رغم أنني كنت كمن يتعرف عليك من
البداية.. لكن.. تفاصيلك بت احفظها.. وضحكك صارت هي ما
تخفف وتمحي أحزاني.. نظرتك المليئة بالحماس هي صارت
ما تزيل أوجاعي.. إذا رحلت وذهبت لن يبوقّ لي مرّك شيء
سوى هذه الذكريات الشحيحة.. وسيتقطع قلبي وسينفطر شوقاً
لك))

أغمض عدنان عينيه والشعور بالذنب لأنه سيغادر ويبتعد عن
والده مجددا يصل إلى أقصاه..

لكنه ضغط على أسنانه وفتح عينيه ليقول بقسوة وتأنيب

((أبي أنت تتصرف بغير نضج.. لم تأبه قبل سنوات عندما
رحلت مع أمي بل وقلت لها أنني الخاسر بابتعادها عنك فأنت
تستطيع الإنجاب من تلك الساحرة الشريرة والاكتماء بأولادها..
الآن ماذا تغير؟ صحيح أنه اتضح أنها لا تتجب لكن ما زالت
تستطيع الإنجاب من زوجتك الجديد.. صحيح؟))

اتسعت عينا احمد والصدمة تجتاح أوصاله فجأة وقد كانت هذه
أول مرة يتحدث ابنه معه بلوم للماضي منذ أن جاء بهذه
الزيارة..

لكن سرعان ما ارتسم الغضب على وجهه وهو يقول هاتفاً

((من أخبرك هذا الكلام؟ أمك هي من أخبرتك وحرصتك
ضدي؟ صحيح؟ وأنت ماذا؟ هل تعاقبني وتريد الرحيل من أجل
تلك الكلمات السخيفة التي قلتها بالماضي؟))

وقف عدنان من مكانه قائلاً بتحفز وتلقائية

((أبي توقف عن ظلم أُمِّي.. أقسم لك أنها لم تحاول ولا مرة أن
تحرصني ضدك.. لكني لم أكن طفلاً صغيراً حتى لا اذكر
شيء من الكلام الذي كنت اسمعها تحكيه لجدي باكية.. كنت
حرفياً أتتصت من خلف الأبواب واسمع الكلام الذي كانت
تخبره لجدي عنك))

تابع عدنان الكلام بعد أن اخذ نفساً عميقاً بصوتٍ أقل اضطراباً

((ثم أنا لا أعاقبك.. لطالما تمنيت من سنين طويلة أن أعيد
وصالي بك ونعود كاب وابن.. ولكنني انتمى فعلاً للولايات
المتحدة ولن أستطيع التكيف أو إكمال حياتي هنا.. وأُمِّي
ستحزن جداً لو تركتها وأنا لا قدرة لي على إيلاهما ولو بمقدار
ذرة.. أُمِّي ادم أيضاً سيحزن جداً.. هل تعرف ماذا؟ لو قلت له
باني سأبقى عندك لن يحاول التأثير على قراري وسيشجعني
عليه لكنه من الداخل سيكون حزينا لابتعادي عنه.. وأنا لا قدرة
لي على جعلهم يحزنون بسببي.. لا أستطيع.. انهما اهم
شخصان بحياتي..))

التزم احمد الصمت لدقيقة وهو مكتفٍ برمق ابنه بنظرة مبهمة
قبل أن يقول بهدوء

((توقف.. لقد سمعت بما فيه الكفاية.. يمكنك الذهاب.. اذهب يا
عدنان فليحفظك الله يا ولدي))

قال له عدنان بتوسل وخوف من استمرار تضايقه وغضبه عليه
حتى بعد رحيله وهو ينظر إلى انعكاس صورته بحدقتي والده

((أبي؟ هل أنت غاضب مني؟ أرجوك لا تغضب.. لا أريد من
أن تحزن.. أرجوك سأبقى على تواصل معك))

أرعى احمد الواقف أمامه أجدانه وهو يقول له بصوتٍ هادئٍ
وشبه ثابتٍ ويديه على جانبيه تتقبضان

((أنا لا أبكيك اعتراضاً مني على ذهابك ولكنني أبكيك شوقاً
واشتياًقاً سأشعر به حالما ترحل))

صدر رنين هاتف عدنان للمرة الثانية ليغلقه عدنان متتهدا قبل
أن يقول بصوتٍ خافتٍ واهن

((أبي أنا اسف))

عندما لم يجد عدنان أي رد من أباه دنا من باب الشقة مطرق
الرأس ببطء..

بينما شعر احمد بكل الكلام الذي دار بينهما كغيمة جثمت على
صدره فأقلت نفساً طويلاً من بين شفتيه..

ليخطوا خلف عدنان مباشرة ويمسكه من ذرعه ليوقفه ثم
يخطف الهاتف من يديه ويفتحه قائلاً وهو يضغظ بأنامله على
الشاشة بصوتٍ رخمٍ دافئٍ لا يناسب الكلام والموقف الذي
حدث بينهما قبل قليل

((دعك من كلامنا السابق.. لكن قبل أن أنسي.. سأدخل على
حسابك على موقع "الفيسوك" لتضيفني عليه.. لطالما أرسلت
لك طلبات صداقة وكنت ترفضها.. لكن الآن بعد أن تضيفني لا
أريد منك التوقف عن مراسلتي من خلال آل..))

كان عدنان بيتسم ببهجة وهو يرى والده يطلب منه إضافته على
"الفيس بوك" وقد بدا أنه أتقبل رحيله..

أو على الأقل يحاول عدم إظهار مشاعره له ليسمح له بالسفر
مرتاحاً..

حتى بتر احمد كلامه فجاءة وحرك نظره من الهاتف له بصدمة
لثوانٍ قبل أن يعود وينظر لشاشة هاتفه..

نظر عدنان بترقب وعدم فهم له ليقول احمد وهو يتابع النظر
بتركيز للهاتف

((ما هذه الصور التي قمت بنشرها على صفحتك الشخصية؟))

قال عدنان عاقد الحاجبين

((أي صور يا أبي؟))

اغلق احمد هاتف ابنه ومد يده يعطيه إياه ليقول له متسائلا
بصوتٍ فاتر

((ألم تقل لي أن مسابقة السباحة لن يُسمح لأحد حضورها من
الأهالي؟))

عرف عدنان أن والده قد رأى الصور التي أدرجها هو على
الفيسبوك والمتعلقة بمسابقته ففغر شفتيه قليلا بدون أن يقول
شيء وهو يشعر بانه فقد قدرته على النطق فكانت أنفاس
كلاهما هي فقط المسموعة..

حتى اطرق عدنان راسه هامسا بنبرة لا تكاد تُسمع

((أنا اسف يا أبي))

ومضت عينا احمد الذي كان ينظر لوجه ابنه المطرق بشيء
غريب.. شيء براق شبيه بالانكسار..

ساد الاحمرار على لون عينيه والدموع كانت تجاهد لاحتلال
مقلتيه..

بعد لحظاتٍ من الصمت الرهيب لم يهدأ قلبه الملتاع لكنه
استطاع بجهد جبار أن يُبدل حاله خارجيا للتماسك والجلد..

وقال احمد بصوت متذبذب وببسمه مصطنعة

((ألهذا السبب تجاهلت طلبي بأرسال صور فوزك بالمسابقة لي؟ هل خفت من أن اعرف أنك دعوت أمك وزوجها في حين أخبرتني أن الأهالي لن يكونوا مدعوين لها؟))

اختلج عدنان حتى احمرت وجنتيه وهو يشعر أنه يكاد يذوب
خجلا كقطعة بسكويت في الشاي..

بينما شعر احمد بجنازة تحدث على قلبه وتم تشييعها حاليا لدفن
تابوتها..

سمع عدنان يقول له مبررا بصوت مرتجف ومحشرج وهو لا
يزال مطرق الراس بينما يمد يده المترددة ليلتقط هاتفه من يده

((أبي والله كان أحب على قلبي حضورك لترى فوري المؤكد
بالمسابقة.. ولكن ضع نفسك مكاني.. أنا عالق بينك وبين زوج
أمي.. قد يظهر لك أبي ادم أنه مثالي ولن يمانع من حضورك
لنفس المكان مع والدتي.. لكن بالتأكيد من الداخل سيكون
شعوره مختلف عما يُظهره.. خفت أن أؤذيه لو طلبت منك
الحضور.. وانا لا أستطيع ذلك.. لا أستطيع أن أؤذيه واطلب
منك الحضور لنفس المكان الذي سيتواجد هو فيه))

لم يقل احمد شيئاً بل اكتفى بالبرود القاسي الذي زخرف ملامح
وجهه كرد عليه..

رفع عدنان أخيرا وجهه ليلثم جبين والده وهو يقول بينما لا
يجرؤ على وضع عينيه بعيني والده

((أبي سامحني والله لا يهون علي ما فعلته ولكن ضع نفسك
مكاني.. لا ستطيع أذية رجلا له مكاني كبيرة بقلبي.. صدقتي
لو لم يكن هو وأمي يعرفان بشأن مسابقتي في السباحة لما كنت
دعوتهما وطلبت منك المجيء))

عندما لم يسمع عدنان من والده شيئاً لم ينتظر بدوره منه أي شيء أكثر واستدار يعطيه ظهره وفتح الباب وقدماه تسيران بتريث للخارج..

كانت الأشواك التي كانت قابعة في حنجرة احمد تمنعه من النطق وهو يرى ابنه الوحيد يغادر أمامه..

لكن عدنان توقف مكانه وهو لا يزال يعطيه ظهره ليقول بصوتٍ خافتٍ

((إلى اللقاء يا أبي كن بخير))

فهمس احمد له بصوت خشن مرير

((إلى اللقاء يا ولدي.. اعتني بنفسك وكن بخير))

خرج عدنان من شقة والده وقد ألجم آهة تود اختراق صدره والخروج منه بسبب الشعور الذي يعتمل في داخله بسبب الحزن الذي تسببه لوالده..

لكن لم يكن بيده شيئاً ولو عاد بالساعة لم يكن ليغير شيء مما فعله أو قاله فقد كان مرغماً..

نزل عدنان الدرج الى الأسفل بخطوات سريعة كأنه يهرب مما حدث قبل قليل..

=====
=====

انتهى الفصل

في إحدى النوادي التي يعتاد راجي الذهاب إليها مع أصدقائه
وقف أمام المقهى المتواجد في داخلها..

بابتسامة صريحة أخذ الموظف طلبه وبينما يقف منتظرا تجهيز
طلبه التفت لصوت آخر فتاة توقع رؤيتها هنا..

اتسعت عينا راجي قليلا وهو يرى سارا تتقدم منه لتقف بجانبه
مرحبة بابتسامة واسعة

((أهلا يا راجي.. لم أراك منذ.. ممممم.. منذ تقريبا سنة
ونصف.. لقد تزوجت منذ.. أربعة أشهر ربما.. صحيح؟))

بلامبالاة ظاهرية تجاهلها راجي وهو ينظر أمامه بينما يطرق
الطاولة أمامه بأنامله بشكل خافت ليفرغ عن الغضب الذي
اعتمل بداخله..

رفعت سارا يدها أمامه بطريقة أنثوية ناعمة وهي تقول
للموظف

((أريد كافييه لاتيه مثلج لو سمحت))

ثم حركت راسها لجانب راجي تقول له بابتسامة واسعة
ومتلعبة بينما تفتعل الدهشة

((راجي.. ألا زلت تداوم على المجيء لهذا النادي؟ لم أتي
هنا منذ مدة بصراحة))

وعندما لم تجد منه إلا التجاهل أيضا تتنحنت ثم قالت لاحد
الموظفين وهي تشير بإبهامها لراجي وبيدها الأخرى تمد له
بطاقتها الانتمائية

((ما طلبه الرجل هنا على حسابي.. تمام؟))

قال راجي بصوت مرتفع صارم للموظف أمامه وهو يقدم له
بطاقته هو

((أنا من سيدفع ما طلبته لو سمحت))

أخذ الموظف البطاقة من راجي ومن سارا ليدفع كل واحد منهما ثمن طلبه..

التفت راجي لها وقد التمعت عيناه بالخطورة ثم قال لها ببطء
بفحيح صوته وهو يشدد على كل كلمة

((ابتعد عني.. يا سارا.. كل.. شيء.. بيننا.. انتهى.. تمامًا))

ثم عاد ينظر أمامه وهو يشعر بالحنق الشديد فهو معتاد أن يأتي هنا لهذا المكان المألوف له برفقة أصدقائه حيث أنه مكان مريح يمكنهم اللقاء فيه والتحدث بأي موضوع بأي وقت ولا ينقصه رؤية سارا كمفاجئة غير سارة..

لم يطل سكون سارا الحائق من كلماته الحادة لها لتتركز نظراتها أكثر عليه وتقول وهي تستعيد نفس البشاشة التي أطلقت عليه بها

((راجي.. انفصالنا لا يعني أن نتوقف عن كوننا عن أصدقاء..
أو على الأقل لا يعني أن نصبح أعداء))

سند راجي وجهه لكف يده بضجر.. لكم دقيقة أخرى هو مجبر للوقوف هنا بجانبها؟

بالتأكيد لم يجد ابلغ حديث يوجهه ردا على محاولاتها للحديث معه إلا الصمت والتجاهل لأنه أرخص أنواع الفلسفة معها وأعمقها..

فليس كل ما يقال يستحق التفكير والرد..

أعاظ سارا هذا التجاهل وهي تشعر به يتشفى بها..

أعاد الموظف بطاقتي الائتمان لكل منهما وعندما حاولت سارا مرة أخرى التحدث قاطعها بكفه التي رفعها لها..

ثم بدون أن ينظر لها قال بسرعة ثلجية وبنبرة مثقلة بالاحتقار
((سارا اغرب عن وجهي لو سمحتي ولا تدعيني أثير فضيحة
هنا بهذا المكان العام.. لقد تطلقنا وأتمنى أن تحترمي على الأقل
حقيقة أن كلانا متزوج من آخر))

أخذت سارا بالعبوس والاقترصاب وهي تتطلع إليه بتدقيق مبالغ
فيه وعيناها تتلصق عليه بينما ترفض الابتعاد عنه..

فقالت بتلاعب تغير الموضوع بما توقعت أن يجعله يلتفت لها

((لقد رأيت صورة زوجتك عن طريق أحد الأصدقاء.. بدت
جميلة المظهر قليلا.. بالتأكيد ليست بجمالي ولكن لا بأس بها..
لا اقصد أن أقول عنها قبيحة لكن لا بأس بها..))

بترت كلامها وقد قالت الكلمات الأخير بصوتٍ خافتٍ محرر
وهي تراه مستمر على التجاهل..

مرت دقيقة عليهما وهي ترى تجاهل كامل منه وكأنه يريد أن
يعاملها بصغر واحتقار ويجعل منها أضحوكة أمام نفسها..

فعبست بغضب طفا على وجهها وهي تقول له مستنكرة بصوتٍ
حانق

((لماذا تتجاهلني بهذا الأسلوب الغير مهذب؟ ثم انظر لي عندما
اتحدث.. هذا الأمر يستفزني))

تكرم عليها وهو يقطر عليها برده أيضاً دون أن ينظر لها ولتلك
الهالة الزائفة والقيمة المصنوعة من الخارج فقط

((لأنني احتقرك ولوضاعتك وصفافتك فاني أكرم عيناك عن
القباحة))

قالت سارا له بقهر من بين أسنانها

((إلى هذا الحد أصبحت تكرهني؟))

تتهد راجي قبل أن يسترسل بصدق لها وبصوتٍ غريب عليها

((أنا لا أكرهك فالكره مشاعر أحملها معي وأنا لا أحمل لك أية شعور.. أنا احتقرك فقط وعندما احتقرك لا أراك.. فأنتِ رخيصة بمظهرك وبشخصيتك وبكل شيء فيك... بل الحقيقة أشفق عليك لأنك تظنين أن الأنوثة والجمال بذاك الرخص والاحتقار.. فكيف لمثلك أن تتفاخر بنمط الحياة المتدني الذي تعيشينه ظنا منك أنها حرية))

شعرت سارا به يدنس كرامتها ويمرغها في الوحل وهو يتجاهلها بينما تتحدث هي معه باستماته..

وصلها الطلب بينما كان راجي ما يزال واقفا مكانه ينتظر حيث أنه طلب عدة طلبات بالإضافة إلى شطائر سريعة..

لكنها لم تغادر.. بل قالت له بصوتٍ شديد النعومة وهي تقطع الصمت بينهما

((أنا سعيدة أنك تزوجت فلا يصح أن تجلس على الأطلال من بعدي))

للحظة اشتعل لهب غاضب في حدقتيه وتقبضت يده التي على جانبه وقد نجحت باستفزازه فشعرت سارا بانتصار صغير أخيرا..

فهي لن تسمح له بأن يعاملها وكأنها إنسان فارغ أجوف لا قيمة له تذكر..

فأكملت ببراءة مفتعلة وبنبرة غامضة في ظاهرها متسلية

((أوه صحيح.. مؤخرا التقيت أحد من زملائك الذي لا احفظ إلا شكله لكنني اذكر أنك تشاركت معه احدى القضايا وقال لي أن كل شيء تغير فيك بعد الزواج.. إلى حد أن زوجتك تصر على الاهتمام بتناولك طعام منزلي بدلا من الوجبات السريعة))

التفت راجي لها وقد نجحت أخيرا بفعلها لكن تلاشت التسلية
من وجهها وهي ترى كيف بدت تقاسيم وجهه مخيفة وكأنه على
وشك أن يفقد عقله وسيطرته على نفسه وينقض عليها في هذا
المكان العام..

لقد أخبره زميله الذي تتحدث عنه عن رؤيته لها والحديث الذي
دار بينهما..

لكن من هي حتى تتحدث عنه مع أحد زملائه وعن حياته
الخاصة وتتساءل عنها بفضول قاتل؟

ازدرت سارا ريقها وهي تراه مستمر بمطالعنها في هذا الشكل
المخيف..

مخيف إلى حد أنه يجب وضع لوحة فوقه مكتوب عليها

"لا ينصح باستفزازه أكثر من هذا"

اهتزت حدقتا عينيها للحظة وارتعشت شفتاها إلا أنها رفعت
برأسها وكبريائها المزيفان عليه قائلة غضب ظهر واضحا
بنبرتها

((يبدو أن زوجتك تحبك.. كيف لا وهيام هي من حاولت جعلك
تنزوح منها من البداية وهي بلا شك وافقتها))

ضيق راجي عينيه قليلا بتوجس لا يفهم ماذا تقصد أو إلى ماذا
تريد أن تصل..

تأتأت سارا قليلا وهي ترى ملامح وجهه لكنها أرذفت بابتسامه
مهزوزة

((لا تنتظر لي بهذا الشكل؟ لا يبدو أن زوجتك امرأة سهلة أبدا..
قال لي زميلك أنك بالبداية لم تكن موافق على الزواج منها لولا
أن ضغطت عائلتك عليك على الزواج.. سواء هي أو هيام ليستا
سهلتان مطلقا لجعلك تنزوح منها مع أنك رافض من الأساس))

لم تختفِ ملامح القسوة من وجه راجي بل زادت وتصلبت وهو يلتزم الصمت وينظر بتوجس لكلامها قبل أن يسألها باستغراب وإحساس بالنفور الشديد يبتابه منها فيظهر عليه جليًا

((ما هذه الترهات التي تتحدثين عنها؟ وما دخل أختي من الأساس؟ تزوجتِ زوجها وجعلتيه يطلقها ولم تهديني بعد؟ اتركي المخلوقة بحالها والتفت لزوجك الطبيب.. هل سيُسر عندما يعرف أن زوجته جاءت وحدها إلى هذا النادي وتحديدًا بهذا القسم المختلط وتحاول التحرش بزوجها السابق؟))

قالت بصوتٍ تمكنت من جعله قاسياً میناً مؤكدة وهي ترفع إحدى حاجبيها بنية العودة لاستفزازة

((نعم سيقبل فأنا كنت أزوره أحيانا بمكتبه بالمشفى عندما كنت متزوجة منك.. لذا.. كما قيل أن يلتقي بي عندما كنت متزوجة منك عليه أن يقبل هذا الوضع))

وسرعان ما اعترفت لنفسها أنها تشعر الآن بأنها خائفة منه فعلا ومن أن يقوم بشيء لها على الملأ هنا فهي لم تره من قبل على هذه الحال من الغضب والحقد الدفين والقديم الظاهر على وجهه بمجرد أن رمت ما قالته..

ابتعدت سارا خطوة صغيرة للخلف وازدردت ريقها..

بينما كان راجي يغلي في أعماقه بل يشعر أن كلماتها هذه تاكل من روحه وستقضي الليلة على مضجعه..

فغضبه من حقيقة أنه عُدر من قبلها وكان أحمقا غر سمح لها أن تلهو من خلف ظهره تجعل الغليان يتخلل أوردته..

بل يتخلل ما بين جلده وعظمه..

وهو الملام بهذا.. هو المذنب الأكبر لثقتة بها..

امرأة مثلها لم يكن خفيا عليه نمط حياتها الذي تعيشه..

لكنه تمالك نفسه لأقصى حد و فقط قرب وجهه منها قائلاً
بصوتٍ شديد العمق والخطورة

((اقسام بالله يا سارا إن لم تبتعدي من هنا فلن يحدث شيء
يسرك لك.. والله لن اكثرث لكونك امرأة وزوجة رجل آخر
وسأعيد تربيتك من جديد))

ازدادت أنفاس سارا بقلق لكنها لم تتراجع بل شددت على أسنانها
وهي تقول له باستياء

((أخبرني على الأقل لماذا تزوجت من المرأة التي كانت هيام
تريد تزويجك إياها هي عن دون النساء جميعهن؟ هل هذا يعني
أنك أردت الزواج منها منذ البداية؟ لا استغرب هذا الأمر
بالحقيقة فيبدو أنها واقعة في حبك لدرجة أن تتأمر مع هيام
لتنزوج منك))

شعر راجي بأنه محاصر بكلامها الفارغ والغير مفهوم
مقصده..

ما شأنها بسبب زواجه من رانسي دون الجميع؟

ومن أين جاءت بتلك الترهات والكلام الخاطي؟ فقال راجي لها
بجفاء

((أنتِ مجنونة حرفياً.. لا افهم شيء مما تقولينه.. ما علاقة
هيام بها.. إنها أساساً صديقة جالا.. صديقة جالا أيتها
المعتوهة.. وانا لا اسمح لك بالتحدث عنها بهذا الشكل))

قالت سارا له بغل شديد والكره يبرق من عينيها

((أنا متأكدة من أن هيام من قالت لجالا أن تزوجك إياها إذن..
ثم كيف تدافع عنها أمامي؟ لا تقل إنك أحببتها فقط بغضون
أشهر؟ إلا إذا كنت قد بدأت برويتها عندما كنت متزوجاً
مني؟))

عقد راجي حاجبيه وهو يقول لها بصوتٍ خشن

((هل تظنين أن الجميع مثلك؟ ثم وما شئناك بكوني أحبها أو لا؟
ليست زوجتي؟ إذا لم أحبها فمن تريد أن أحب؟))

رقت سارا صوتها الى اقصى حد يستطيع إخفاء غضبها
المستعر في الداخل وهي تتساءل بعدم تقبل وبسخرية لم تنجح
بإخراجها

((أنت تحاول أن تظهر لي أنك توقفت عن حبي وبدأت بحبها..
لكن منتهى الغباء أن تستبدل امرأة تحبها بامرأة تحبك لتتساها يا
راجي.. لن تستطيع مهما هامت هي بك عشفاً أن تنسيك إيانى))

سيطر راجي على نفسه وهو يقول لها بتعابير هادئة وحازمة
على وجهه بنفس الوقت انعكست تماماً في نبرة صوته

((إذا جنئت للواقع فأنا لا أظن أنها تحبني.. هي فقط تقوم
بواجهاتها تجاهي كزوجة فقط.. لكن ما بدأت أشعره تجاهها
ربما يكون حبا بعد أن اكتشفت أن كل ما كنت أكنه لك هو
مجرد وهم.. بينما هي أحب فيها كيف باستطاعتها أن تستنفد
كل طاقاتها لإسعادي وحتى تصرفاتها أعمق وابلغ.. عش
زوجيتنا أجده قائم على التفاهم والطمأنينة والهدوء ومعرفة ما
يحب وما يكره بالنسبة للطرفين.. ربما ما أكنه لها هو فقط
احتياج.. لكن أليس الحب هو الاحتياج؟))

هنا الغضب اشتد داخلها واندفعت الدماء برأسها في غليان
يتصاعد لتقول متسائلة بغيظ شديد

((هل بدأت تحبها فعلا؟ وهل كان حبك لي وهم؟ هل أنت
مجنون؟ أنا ما زلت إلى الآن احبك فكيف اتضح أن حبك لي
هو مجرد وهم؟ هل من المنطقي أنني حتى بعد زواج من احمد
لا زلت أكن لك الحب بينما أن تقول لي ببساطة أنك تحب
زوجتك وحبك السابق لي هو مجرد وهم؟))

وصلت صينية طلبات راجي إلا أنه لم يلتفت لها على الفور بل بقي يحدق بسارا بملامح مبهمه وساد صمت طويل بينهما قبل أن يقول بصوتٍ خافتٍ وقوي يقطر احتقار لها

((هل تعرفين لماذا احتقرك يا سارا بل لا أكن إلا كل الاحتقار لشخصك؟ لا لن تعرفي.. كما لن اعرف أي حق تعطيه لنفسك في أن تخوني زوجك ولو حتى بفكرك.. والأكثر من ذلك أن تعلمني خيانتك هذه وتجهرى القول بها بل وربما تفتخري بها.. حتى لو أن احمد لا يستحق منك الإخلاص.. لكن كيف لك أن تكوني متزوجة به وأنتِ تخدمينه وتعيشين الحب مع غيره؟ أين ضميرك أيتها الحقيرة؟ بلا شك قمتي بقتل ضميرك ودقنه بيديك حتى يبتثنى لك فعل ما يروق لحضرتك.. لكن فليكن بعلمك أن كلامك لا ينقص إلا من قدرك أنت.. هذا لو كان لديك بعض العزة والكرامة))

شعرت سارا وهي تسمع كلماته وكأنها في دوامة..

بل وكأن كلماته التي يوجهها تنبض من اشمزازاه منها فتخرج كل كلمة منه وكأنه يبصقها عليها..

ثم ألتفت راجي يأخذ صينية طلباته وهو يردف لها

((إذا سالتني عني أحدا أو حاولت رؤيتي فلن يحدث خيرا لك يا سارا))

شدت سارا على أسنانها بغل وهي تراه يتركها معطي إياها ظهره وكأنها أكبر نكرة ويسير نحو أصدقائه حيث يجلسون بركننا خاص بهم حول طاولة بتصميم عصري مدورة الشكل..

=====

مساءً..

طبقت رانسى ملايس راجي المغسولة ورتبتها برفوف دولابها
عقب أن قامت بتبخير بعض القطع..

أخفضت بصرها لساعة يدها التي تشير إلى الساعة السابعة
مساءً ثم رشقت بنظراتها راجي الشبه متمدد على سريره أمام
حاسوبه المحمول وكومة أوراقه..

تحركت تخطو إلى سريرها وسحبت غطاءه وقبل أن ترقد
سمعت همسا منه يتذوق حروف اسمها

((رانسى))

استدارت تنظر له وقلبا ينتفض نبضا لتراه ينظر بنظرات
هائمة وابتسامة خلابة أمام الحاسوب المحمول الموضوع فوق
ساقيه فسألته وهي تحت تأثير نطقه لاسمها المختلف

((نعم؟ هل هناك شيء))

حرك راجي رأسه لها يسألها بنبرة مرحة وهو ينظر لها بعينه
البنيتين الدافنتين

((ما معنى اسمك؟))

عقدت رانسى حاجبيها قليلا وهي تجيبه بهدوء

((معناه "الغزال" ومرة قرأت أن معناه أيضًا "النهر" .. لكن
لماذا؟))

عاد راجي ينظر للحاسوب أمامه وهو يخبرها باهتمام

((مكتوب هنا بإحدى المواقع التي أتصفحها أنه اسم فرنسي
الأصل وله الكثير من المعاني الرائعة غير التي قلتيها.. مثل
"شروق الشمس")

تساءلت رانسى بخفوت ذاهل

((حقاً؟))

نظر راجي لها يراقب جاذبية تقاسيم وجهها فيبتسم قليلا وهو
يخبرها بالمزيد

((نعم وأيضا بعد البحث في احدى معاجم اللغة العربية
المتواجدة على الإنترنت اتضح أن اسمك يعني أيضًا باللغة
العربية "صوت البرق")

رفعت حاجبيها تقول له بنفس الدهول

((واو.. يبدو اسمي مثيرا للاهتمام.. لحظة..))

عقدت حاجبيها في آخر كلامها بلا تصديق وهي تنتبه لما
يفعله..

سألته رانسي باستنكار وهي تشير بيدها على حاسوبه

((هل كنت على الحاسوب المحمول طوال الوقت تقرأ عن
معاني اسمي؟ وانا التي كنت أظنك تقوم بأمر تخص عملك))

أوما راجي لها ببساطة مغیظة يرد عليها

((فعلا معك حقا.. لقد عدت بالكثير من الأوراق والعمل التي
بحاجة أن يتم الانتهاء منها بأسرع وقت ممكن.. ولكني اشعر
أني اكسل من أن اجلس بمكتبي بالدور السفلي أو أكملها هنا..))

فغرت رانسي فمها تحاول الكلام لكنها تراجعته وهزت رأسها
بحنق قبل أن تقول له

((إن ماذا تنتظر؟ اترك ما بيدك وركز بالورق والمستندات
المنثورة حولك))

اتسعت ابتسامه راجي وهو يرد عليها وعينه تشعان عثا

((حسنا ولكن قبلا عليّ أن ابحث عن اسم دلّال لك.. بالتأكيد ليس على الإنترنت.. ممممم.. مثلا.. رنوس.. رنو.. رونا.. أو راني.. أو ماذا يدللونك بالعادة؟))

عقدت حاجبيها لكلامه لكنها شردت وهي تفكر قبل أن تقول
بجدية

((صديقاتي كان يفلن لي نوسة.. أبي رحمه الله كان يقول لي سوسو... اختار أي شيء منهما أو من الأسماء التي سبق وقلتها قلّتها))

صمت راجي للحظات مدعي التفكير ثم قال بفكاهة

((الموضوع صعب وشائك.. وانا بحاجة أكثر للتفكير باسم دلّال يناسبك))

سرعان ما تلاشت ابتسامتها التي ارتسمت لثوان وهي تقول له
بنبرة متشددة

((راجي انهي عملك بلا أي تلوّز))

مطت شفّتيها بينما تعقد ذراعيها على صدرها وهي تنظر له
يتلّك

((لقد نسيت إحضار ذلك المستند الأخضر الكبير الذي جنّبت به اليوم من عملي ووضعتُه بمكتبي بالدور السفلي.. الآن أنا أشعر بالكسل لإحضاره من الأسفل))

قالت رانسي له مقترحة بعفوية وهي تفك عقدة ذراعيها

((نعم اذكره ذاك المستند الذي جلبته معك من العمل اليوم.. هل انزل لأحضره لك من الأسفل لهذا؟ الأفضل أن تكمل عملك هنا فوق السرير براحة.. فالعمل في المكتب ثم العودة للمنزل للجلوس في مكتب آخر فيه نفس الأجواء المملة والمثيرة للضجر سيكون صعبا))

هز راجي رأسه وهو يبعد الحاسوب المحمول من فوق قدميه
عنه ثم انتصب واقفا من السرير قائلاً

((حسنا فكرة جيدة.. لكن سأحضره أنا بالإضافة إلى أوراق
أخرى لن تعرفي مكانها بالضبط بداخل غرفة مكنتي))

..
..
بعده مدة..

عاد راجي ليتمدد شبه جالساً فوق سريره ويتكأ على ظهره وهو
يطالع عدد من الأوراق أمامه بعناية قبل أن تضع رانسي كوب
شاي فوق المنضدة الصغيرة الملاصقة لسريره متمتمه

((تفضل كأس الشاي))

نظر لها راجي بامتنان وحرك يده نحو الكوب يمسكه..

ارتشف ببطء ثم طالع بطارف عينه رانسي متسائلاً

((ألم تعدي شاي بالنعنع؟))

ارتشف من الكوب مرة أخرى وهو يقول متذوقاً وسارحاً
بطعمه

((ما نوع هذا الشاي؟ مختلف بطعمه عن الشاي الذي تعدينيه
بالعادة.. لكنه لذيق))

استدارت رانسي له قائلة بلهفة

((نعم شاي الكرديية.. أخذت من عند ليلى الزهور الملونة من
نبات الكردييه.. لو وضعته بكأس زجاجي للاحظت أن لونه
احمر وردي.. أليست نكهته منعشة ولاذعة؟ هل أخبرك كيف
تصنعه ليلى..))

قاطعها راجي بانزعاج لم يظهره جليا

((لا.. لا.. لا.. لا أريد أن اعرف أي شيء عن الشاي.. ندمت
على الإشارة لطعمه.. وأنتِ تتحدثين بانبهار عن ليئا وكأنها
اكتشفت هذا النوع من الشاي))

رفعت رانسي حاجبيها كتعابيرها المتعجبة منه لتقول له بخفوت
بينما تمط شفيتها

((حسنا كما تريد))

رأته يحرك رأسه متنهدًا وهو يقوم بلملمت أوراقه فاقتربت من
سريره تحني جذعها قليلا وهي تسأله بحماس

((هل أساعدك بشيء؟))

رفع راجي وجهه ببطء يحدق بها عن قرب ثم قال لها

((لا أريد أن أتعبك))

لمعت عينيها بسعادة ملهوفة لتقول له بابتسامة فاتنة

((أتعني بقدر ما تشاء..))

زم شفتيه وهو يرفع كفه ويعيد خصلة من شعرها خلف أذنها ثم
قال

((ممم حسنا بعض المساعدة ستكون جيدة جدا.. فمشكلة عملي
بالمنزل هو عدم وجود مساعدي معي))

التفت راجي لأوراقه المنثورة فوق سريره ليمللمهم ويمدهم
لها..

ابتسمت وهي تنظر للأوراق التي أخذتهم منه ثم قالت وهي
ترفع أنظارها له بهدوء

((ماذا افعل بهذه الأوراق والمستندات؟))

أخبرها راجي بعملية وهو يعود للنظر أمام الحاسوب

((اصنعي لي ملفا ملائما لحفظ البيانات وصنفي لي هذه المحفوظات مع ترميزها ووضع فهرس لها ثم احفظيها بداخله.. أيضا اطبعي لي الموضوعات التي تحتاج إلى متابعة من الطابعة الموجودة في مكنتي بالأسفل..))

ثم تابع وهو يحرك فأرة الحاسوب أمامه

((افتحي حاسوبك وسأرسل لك بالبريد الإلكتروني بعد قليل ملفات أخرى أريد منك تحريرها ثم طباعتها.. وعندما تنزلين الدور السفلي قومي أيضا بتصوير الأوراق والمستندات المطلوبة التي سأشير لك عليها قبل أن اطلب منك أن تصممي النماذج المطلوبة للعمل..))

تجمد كل ما فيها وهي تنتظر إليه ترمش بعينها ببلاهة لا تعرف كيف ستعمل كل ما يقوله لتهمس له مقاطعة كلامه

((ماذا؟))

التفت راجي لها يقول بتلقائية

((ماذا؟))

ضيققت رانسي عينها بحرج هامسة

((ماذا قلت لي أن افعل أول شيء؟))

حدق راجي بها للحظات ثم قال لها بعد تفكير

((انسي ما قلته.. ما رأيك أن تستخدم حاسوبي وتقومي بمعالجة بريدي الإلكتروني.. أعني أن تفرزي الرسائل التي وصلتني اليوم.. قومي فقط بتوجيه رسائل البريد حسب

الاختصاص والأهمية.. أو حفظ البريد الموجه للحفظ وتسجيل
البريد الصادر..))

بتر كلامه وهو يلتفت لها بعد أن لاحظ الهدوء التام ليجدها
تنظر إليه بعينين متسعيتين كالبلهاء فعلا تحملق به..

فغر راجي فاه قليلا ثم سألها بخفوت

((ألا تعرفين؟))

هزت رانسي رأسها تقول بصوت يكاد يسمع

((لا))

لم يعرف ماذا يقول لها..

قطب جبينه بحيرة ثم قال لها عقب أن اخذ نفسا قصير وهو
يتململ مكانه

((حسنا دعك من الأمر.. لا أريد أن اعمل شيئا.. لننام مبكرا
الليلة.. سأقوم بأشياء بسيطة ثم سأغلق حاسوبي المحمول
وأنام))

خفضت رانسي من نبرة صوتها بشكل مُربك وهي تنتصب
واقفة من مكانها وتقترب منه قائلة

((يمكنك تعليمي كيف أساعدك.. أنا دخلت كما تعلم فنونة جميلة
ولا اعرف الكثير عن أمور السكرتاريا لمهامي))

اخذ راجي منها الأوراق وهو يقول لها بصوت هادئ بلمسة
تأنيب

((الأمر ليس اختراع ذرة.. ربما لو كنت تقضين مؤخرا وقت
الفراغ معي بدلا من لينا لكنك علمتك ولعرفتي كيف تساعدني
بعملي))

عقدت رانسي حاجبها لم يقوله فما علاقة هذا بلينا؟

لم يسبق وأن طلب منها من الأساس مساعدته..

وليس وكأنها ستتعلم شيئاً عن السكرتاريا بوقت فراغها الذي
صارت تشغله مع لينا..

ابتلعت رانسي ريقها وقالت له معترضة

((ولكن أنا فقط تعمقت علاقتي بلينا منذ مدة قصيرة))

وكان متابعتها للحديث معه عن لينا جعل عينيه تتجمدان عليها
بنظرة مكتومة الغضب وهو يقول لها بغيظ

((بل أكثر.. منذ أسابيع كثيرة.. نعم منذ أسابيع وأنتِ تقضين
معها من وقتك لساعات))

قالت له رانسي وهي تطالع وجهه المتجهم

((أنا أحب أن اذهب لأساعدنا في العناية بصغيريها.. ثم أنا
اقضي عندها بالوقت الذي تكون فيه فقط بعملك))

لم تعد له أي رغبة بعمل أي شيء فأغلق حاسوبه وجمع كل
الأوراق وهو يقف من على السرير هادرا

((وبوقت عطلتي أيضاً تقضين وقتك عندها))

قالت رانسي له بعبوس رقيق

((عدة ساعات فقط.. بالسابق كنت تقضي كل وقت عطلتك
بالخارج وأنا أبقى في بيتنا هنا بالقرية بعيدا عن عائلتي لا أجد
أحد اقضي معه وقت الفراغ إلا جالا عندما كانت هنا وزيارة
لينا ببيتها.. هل يزعجك الأمر؟ هل أتوقف عن الذهاب؟))

وضع راجي كل أغراضه فوق منضدة جانبية بحجرة نومهما..

رفع رأسه يحرك رقبتَه بتعب وكلامها يجعله غاضب جدا من نفسه ويلومها..

ويستحق حقا اللوم فهو من جعلها تبحث عن بديل لتقضي معه وقت فراغها بعطلة..

التفت راجي لها يقول بصوتٍ هادئٍ ومبتسما بلطف حتى لا تظن أنه معترض

((لا بالطبع لا لم اقصد هذا.. على العكس أنا سعيد بأن علاقتك صارت متينة كثيرا معها.. إنها ابنة عمي))

تحرك راجي نحو دولا ب ملبسه يفتح بابه ليخرج منه منشفة ومناطة نومه..

بعد ثلث ساعة.. رفعت رانسي المستلقية على سريرها عيناها عن هاتفها عندما خرج راجي من الحمام..

نظرت بارتباك لهيأته الرجولية بينما يرتدي مئزره..

اختلج قلبها بقوة فرغم أنه من المفترض أنها اعتادت على مظهره هذا إلا أنها بكل مرة تراه تشعر بقليل من الرهبة..

امتدت يد راجي للثياب التي حضرتها له رانسي على حافة السرير متمتما برقه ما إن وقع نظره على المنضدة التي كان يضع أغراضه فوقها

((لماذا أتعبت نفسك وأنزلت أغراضي لمكتبي بالأسفل؟ كنت سأرتبهم بعد أخذني لحمامي المنعش هذا))

ابتلعت رانسي ريقها وهي تضع هاتفها جانبا لتعتدل واقفة من مكانها وتخطو نحوه..

حرك راجي عينيه الحائرتين لها ما إن شعر بها تمسك منشفة
وتبدأ بتغطية رأسه بها لتجفيف شعره المبتل وقد ساعدها طولها
على ذلك بعد أن حاولت الوقوف على أطراف قدميها..

تاقت نظرات راجي بوجهها وخفق قلبه بقوة وهي على هذا
القرب منه..

أخفض راجي بصرها قليلا لينتبه أنها ترندي ثوبا قطنيا ناعما
بكمين من الحرير..

وفتحة عنق واسعة أظهرت توردها بشرتها الخمرية وطول عنقها
ونعومتها حيث كانت ترفع شعرها اعلى رأسها مثبتة إياه بمشبك
بينما تتمرد الكثير من الخصل القصيرة منه..

وبدون شعور وجد راجي نفسه يمد ذراعه ليطفئ زر الإنارة
على الحائط القريب منه..

ثم حملها ببطء بين ذراعيه وقدميه تقوده الى حيث يجتمع بها..
فوق سريرها..

مددها عليه والتحق بها هامسا بصوته الدافئ الذي يُذيب
أعصابها

((تبدين جذابة فعلا الليلة))

فهمت رانسي ما يريد ولا تدري لماذا شعرت بالألم يمزق
قلبيها..

ربما لأنها تدرك أنها لا تعجبه وبيئتها عاطفته لأنه لا يوجد له
بديل غيرها..

وكم تمننت لو تستطيع التغيير وتتعلم كيف تكون كما يريد حتى
لا تشعر بهذا النقص معه..

فحالها الآن لا ينقصها إلا أن تعلن أمام نفسها أنها قريبا ستعاني
من العزوف عن العلاقة بسبب برودها وفتورها معه..

لماذا الفتور والبرود حتى بعد ما تغير؟

بالبداية ربما لأنها كانت لا تشعر بالتقدير منه ولا تشعر أن لها
نفع إلا لتدفئة فراشه ويصعب تغيير الأمر الآن..

فصلا عما تعلمته منذ صغرها من موروثات مجتمعها
الخاطئة..

صحيح أن تفكيرها تغير ولم تعد تؤمن بتلك الموروثات
المتخلفة التي أقتعتها بأنها كامرأة يجب عليها ألا ترغب في
العلاقة الزوجية أو أن تريدها أو أن تستمتع بها وعليها أن
تفعلها فقط إرضاء للزوج وتلبية لرغبته فقط..

لكن بعد تجربة زواجين لا تستطيع تحري كذب ما يقال..

فلا ابن عمها سابقا ولا ببداية زواجها من راجي كانت تشعر
بالسعادة أو المتعة خلالها..

بل لا تجد إلا الرجل بهذه اللحظات إلا شخصا أنانيا ينظر
لاحتياجاته فقط كأنها هي آلة وليس لديها احتياج أو مشاعر
يجب أن تحصل عليه..

فلا ملاحظة كافية ولا محاولة لإثارتها.. بل ممارسة فجائية دون
التمهيد لها حتى..

شعرت براجي يقبل جبينها بخفة ورقة فأغضت عينيها..

حدق راجي فيها بعينيه للحظات.. طويلة.. تحت الضوء الخافت
جدا..

مبديا.. لا يريد الليلة أي شيء أن يحدث.. يريد فقط أن يحاول
فهمها رغم تعقيدها..

نعم معقدة فهي تتصرف بغموض ودائما تلجأ للسكوت وعدم الإفصاح عن أي من رغباتها بما يخص احتياجاتها..

إذا كان هو المتسبب في شعورها بالفتور وكره العلاقة بينهما كونه لم يعاملها لليالي طويلة إلا كآلة لتفريغ رغباته..

فهو المسؤول الآن لجعلها تشعر بالاستعداد والرغبة كما يشعر هو..

على الأقل هي منذ مدة في حالة توافق وانسجام معه..

وبداية.. احتضنها.. ثم قبلها..

وهمس بالقرب من أذنها كم تبدو أكثر جمالا وجاذبية اليوم أكثر من أي يوم سبق..

كان يريد أن يصل إلى قلبها ويلامس وجدانها وبعدها لن يكون هناك أسهل عليه من امتلاك جسدها..

قبلها قبلات سطحية طويلة.. قبل أن تصبح قبلاته جائعة تلتهمها بكل شبر فيها..

وبالنسبة لها.. لم يكن هناك أجمل من أن تتلقى منه قبلة.. أو عناق..

ومن دون أن تشعر امتدت أناملها لأعلى تتخلل شعره..

لم تكن تدري ما بداخل أعماق قلبه وما نوع المشاعر التي يكنها لها..

ولكن لم تستطيع إلا أن تشعر معه بالود والسعادة والحب..

في النهاية لم يبتعد كما كان يفعل عندما يعطيها ظهره وينام بسريره وكأنه لا يعرفها بل واصل إشعارها بوده لها ورغبته في دوام التواصل معها..

لوقت طويل استمر سريان المشاعر الهادئة والرومانسية بينهما
حيث كانت تنتقل المشاعر بينهما بصورة نظرات امتنان..
ورضا..

حتى اغلق راجي عينيه ببطء تاركا اياها قابعة بأحضانه على
سريرها.. بأمان..

قبل أن يفتحهما بصورة فجائية وهو يراها تبتعد عنه وتعطيه
ظهرها متكورة على نفسها وترفع الغطاء فوقها تغطي نفسها..
وعندما تعالى قليلا صوت بكائها لم يستوعب..

هل هي حقا تبكي؟

لم يكن ليحدث الآن شيء أكثر إفزاعا له أكثر من سماعه لها
تبكي..

بل شعر بفيضان من الأسئلة يغرقه ويجول في رأسه عن الخطأ
الذي ارتكبه لجعلها تبكي هكذا؟

مد راجي يده المرتجفة يلامس كتفها وهو يسألها بقلق واضح
بعينه

((لماذا تبكين؟))

خفت قبضة رانسي المشدودة المرتجفة على الغطاء وهي تقول
له بصوت متحشرج

((أنا لا اعرف.. صدقتي.. لكن أرجوك لا تضع نفسك في موقع
المسؤولية.. فأنا.. حقا لا اعرف))

عقد حاجبيه وهو لا يستطيع فك طلاسم سبب بكائها..

خشي أن تكون قد مرت اليوم بأي شيء تسبب بحزنها وما
حدث قبل قليل دفعها إلى تفرغ ما بها من أفكار ومشاعر..

فسألها بارتباك.. وبلاهة

((هل هي.. هرمونات مثلا؟))

رفعت رانسى الغطاء إلى ما فوق كتفها بوجل وهي تقول
وعينها لا تتفك عن ذرف الدموع

((نعم.. ربما هي ما تؤثر على جانبي العاطفي وتسبب تقلبا
مزاجيا لي الآن))

قد يبدو الأمر جنونيا لكن الاسترخاء الذي شعرت به على ما
يبدو تسلسل لجسدها وعقلها وجعلها تريد البكاء..

فهي كانت تشعر بتوالي ضغوط فوقها وهذا الاسترخاء الذهني
والجسدي يجعلها تريد تفريغ طاقتها والشحنة السلبية بداخلها
من خلال البكاء..

وكأنها لم تجد وسيلة للتعبير عن مدى صدق وعمق مشاعرها
التي تشعر بها الآن تجاهه بعد عملية الاتصال العاطفية العميقة
غير أن تذرف دموعها التي كانت نتاج السعادة التي تغمرها..

بينما كانت نظرات راجي لا تزال متجمدة عليها بعدم فهم
ووجهة متلون باستنكار..

هل يمكن أن يكون قد تسبب بدون قصد لها بالألم أو المتعة؟

سألها راجي وهو يدور بعينه على وجهها بنظرة متسائلة يحفها
القلق

((رانسى.. هل أذيتك حبيبتي؟ هل سببت لك أي ألم؟))

استرسل بنفس الלהفة والقلق السابقين وهو يطالع نظراتها
الباهتة

((هل تشعرين بأي ألم عندما اقترب منك؟ ألهذا كانت رغبتك
معدومة لك باي شيء يتعلق بهذا الأمر؟))

استدارت تنام على جانبها لتتنظر له وهي تتكوم على نفسها
فيتضح له احمرار وجنتيها..

بقيت على صمتها وهي لا تقوم إلا بمسح دموعها بأناملها
مطرقة العينين فتابع قائلا وهو يمد أصبعه الى ثغرها مداعبا
((أنت فعلا تتصرفين كأنك زوجة حديثة الزواج.. أو كأن هذه
هي أول مرة اقترب منك))

الحقيقة هي فعلا شعرت بأن ما يحصل بينهما كان للمرة
الأولى..

والآن تشعر بخجل شديد يعجز عقلها عن السيطرة عليه
واستيعابه..

مرة واحدة تفجرت هذه الأحاسيس والمشاعر المثقلة بالخجل
فيها لتترجمها بهذه الدموع التي تذرفها لعل عقلها يفرغ ما
حدث لها من اضطراب..

جذبها إليه يضمها وهو يسألها متمتما

((هل أنت حزينة يا رانسى من شيء؟))

ابتسمت تلاففها ذكرى رفته معها وما غمرها به من حب
لتجيب

((بل سعيدة..))

نعم كانت تشعر بالسعادة..

بسبب الراحة والشعور بالحب والأمان الذي جعلها تشعر به
نحوه جعل لسانها يفقد القدرة على التعبير بما تريد قوله حقا..

شعر راجي بصدق ما تقوله فأحس براحة تتسرب له..

فهو لا يريد إلا أن يكون ما يحدث بينهما يشعرها بالطمأنينة
والرغبة فيها معه..

باغتته بسؤال مفاجئ وهي تتبعد قليلا عنه وترفع عينيها
لتضعهما بعينيها ترتجي الصدق

((هل أعجبك يا راجي؟ أم ما أمضيت الوقت تهمسه بأذني
كانت مجرد كلمات عابرة تُقال تحت تأثير اللحظة ولا تقصدها
حقا))

همس راجي بدهشة وهو يرفع حاجبيه

((ماذا؟))

ارتبكت ملامحه أمام عينيها المحدثتين به بتركيز بانتظار إجابته
ففغر شفتيه يعجز عن الإجابة لتقول رانسي له بصوت أجش
((دائما ما أردت أن أسألك هذا السؤال بعد ما أسمعك تقوله لي
في تلك اللحظات.. ولكني أتراجع))

عندما بقي راجي ينظر لها بدهشة وقد ارتجف قلبه من نبرتها
وكلامها دون أن يجد الكلام طريقا له للخروج من شفتيه
أخفضت رانسي وجهها تخفي ملامحها البائسة عنه..

تلاشت الدهشة من على وجهه وابتسم وهو يعيدها إلى أحضانه
يلثم مفترق شعرها سائلا إياها

((هل يشغلك الأمر إلى هذا الحد؟))

عbst رانسي قليلا.. نعم نحافتها خاصة وانه سبق وأشار لها
فيها تجعلها لا تتوقف عن القلق عن كيف ينظر لها وانطباعه
عنها بصورة كبيرة..

كورت رانسي قبضتها بوجع وقلة حيلة هامسة

((نعم))

كلامها كان يصفع عقله.. ألهذا تطلب منه دائما أن يغلق
الإنارة؟

تمتم راجي بجديّة وبنبرة ثانية

((لا تخجلي من نفسك.. تبا لرائي السابق فيه.. هل ستظلمين
طويلا تذكرينا أنا وأنت في هذا الرأي البالي؟))

لم تجبه رانسي وهي تحافظ على عيوسها..

فقال راجي وهو يمد أنامله لذقتها ويرفع رأسها لتواجهه

((رانسي.. حبييتي))

لم يلمح أي استجابة منها وهي تنتظر له جامدة الوجه ومرتجفة
الأوصال..

توهجت عيناه مطلقا نفسا طويلا مبتسما ثم قال وهو يغلغل
أنامله بشعرها

((نعم حبييتي.. احبك يا رانسي.. احبك كيفما كنتي لأني لا اهتم
إلا بجوهرك وروحك))

قالت له بتهكم لم يظهر على ملامح وجهها

((هل رجل مثلك يهتم بجوهر المرأة وروحها أكثر من مظهرها
الخارجي؟))

قال راجي لها عاقد الحاجبين

((هل ترينني شهواني إلى هذا الحد؟ ثم لماذا تتحدثين وكأنك
أساسا مُنفرة المظهر؟ أجمل ما فيكي بعد جاذبية وجهك هي
رشاقتك.. قوام جسديك بالذات لها أثر فعال في إظهار جمالك..
طالما لا تؤثر على صحتك))

حدقت رانسى به للحظات بتشتت قبل أن تقول بنظرة غائمة
وبحزن خالص يشع من عينيها

((أنت تكذب عليّ.. أنت لا تحب نحافتي أبدا.. كيف صار فجأة
ما لا يعجبك بي مصدر جمالي؟))

وضع راجي يده على جانب شعرها قائلا

((لا أكذب يا رانسى بكلامي.. بل هل سأظهر لك كمختل لو
قلت لك أنك تمنحيني الإحساس بالقوة والرغبة في حمايتك؟
فأنتِ هشة.. للغاية))

اتسعت عينا رانسى ليقول بنظراته الهائمة به

((رانسى أنا احبك))

همست له رانسى بصوتٍ خافت

((هل تحبني؟))

أنزل يده عن شعرها قائلا بملء روجه لها

((نعم وأهديك أنفاسي وعمرى وكلّ إحساسي.. اشعر خلال هذه
الأسهر منذ أن تعرفت فيها إليك أنك دنيبي.. ولا تتصورين كم
أريدك أن تضلي بجواري لأخر العمر لتكون سكني ودياري
وليلي ونهاري))

همست اسمه بحدقتين مهتزتين وبحلاوة

((راجي..))

دسها بأحضانه مؤكدا على كلامه لتغمض عينيها تتمتع بدفئه..

=====
=====

ليلاً.. شقة احمد وسارا.. حجرة النوم..

أنهت سارا الجالسة متربعة فوق سريرها تجفيف شعرها تماماً
باستخدام مجفف النفخ الهوائي بينما تضع هاتفها أمامها فوق
السرير على وضع السماعة الخارجية..

وصلها صوت ديمة الباهت الضجر

((لا أفهمك يا سارا.. هل أنت حزينة لأنه يجب زوجته؟ ألم
تتزوجي احمد لأنك تحبينه أيضاً؟ حلال عليك أن تحبي زوجك
وحرام عليه؟))

قامت سارا أثناء تسخين مكواة الشعر.. بتسريح نهايات شعرها
المصبوغ باللون الأشقر حتى تستطيع فرد طول الشعر..

ثم رشت سائل الحماية من درجة الحرارة في جميع أنحاءه وهي
ترد على ديمة بانفعال لم تتخلص منه كل ما تتذكر موضوع
النادي

((نعم احبه ولكني ما زلت أحب راجي.. أما هو فقال إنه
اكتشف أن حبه لي هو محظ وهم.. المجنون.. فجاءة عندما
تزوج من زوجته أيقن أن حبه لي طوال تلك السنين هو وهم!))

أخذت ديمة نفسا طويلا جدا منتهدة ثم اختلط صوتها بالضجر
والحنق وبمزاجها الذي لم يعد يتحمل تفاهة سارا لتقول وهي
تجاريها بمحاولة تغيير الموضوع

((سارا دعك من راجي.. كيف هي إخبار زوجك؟))

قسمت سارا شعرها إلى قسمين متساويين على كلا جانبي
وجهها وبدأت تضيف كل قسم من الشعر على طوله وتثبت
الأطراف بشرائط مطاطية أثناء إجابته لديمة بصوت محبت

((هل تقصدين احمد؟ يا إلهي لا قدرة لي على التعبير.. إنه
يعيش حاليا بحالة كآبة لابتعاد ابنه عنه وسفره وكان الفتى

توفي.. المشكلة أنه يريد جري لغيمة الحزن خاصته.. وانا يا
ديمة لا قدرة لدي أحياناً.. أو.. ربما دائماً.. المهم لا قدرة لدي
على احتوائه عندما يأتيني شاكياً أو غاضباً أو متألماً سواء كان
من بعض مشاكل عمله.. أو علاقته بأبنه.. لا أتحمل متابعة
الإصغاء له.. انه يخبرني انه يفقد الإحساس بأنه الركيزة
الأولى وعماد البيت في هذه الأسرة ولكني لا أستطيع
مساعدته.. كما أنه يتمن عليّ أنه طلق هيام مع أنه يحبها وعليّ
أنا أعوضه بشكل كامل عنها))

كان لا زال الضجر واضحا على صوت ديمة وهي تسأل سارا
بعملية وكأن هذه الأسئلة من باب الواجب والمجاملة فقط

((وكيف هي أخبار ميادة؟ لا تزال تخاصمك؟))

أنهت سارا تضيف شعرها ثم تمددت على ظهرها فوق سرير
نومها وهي تترك شعرها كما هو مضفر حتى يأخذ تموجات
طبيعية بعد تركه طوال الليل إلى الصباح..

ثم مسكت هاتفها وأغلقت السماعة الخارجية لتضعه بجانب
أذنها هادرة

((نعم إلى الآن.. ولست مستعدة أن أذل نفسي أكثر لنعيد علاقتنا
كالسابق.. لكن اكتشفت من أمي أنها أخيرا استطاعت هي
وأخي تبني طفل رضيع بعد أن أنجبت أختها وأرضعت الطفل
الذي يريدون تبنيه.. على الأقل أنا سعيدة من أجلها هي وأخي..
هذا الطفل كان حلمها منذ زمن))

همهمت ديمة موافقة لها ومررت لحظات قبل أن تقول بصوتٍ
متردد

((سارا))

قالت سارا لها بتلقائية وفضول

((قولي يا ديمة ماذا تريدين.. فمئذ بداية مكالمتنا وبدا هناك شيء بجعبتك تريدين التحدث عنه))

قالت لها ديمة بهدوء

((هل تعرفين أنني نقلت أوراقى من شركة والدك؟))

رفعت سارا يدها تلامس احدى ضفائرها وهي تقول بعفوية

((نعم عرفت وكنت سأسألك عن السبب))

أجابتها ديمة بنفس نبرة صوتها العملية التي تحافظ عليها

((السبب هو أن هناك شاغر بالشركة التي يعمل فيها زوجى وأنا سأنتقل لها لذا انسحبت من شركة والدك))

هزت سارا رأسها قائلة بهدوء

((حسنا هذا جيد.. إذن كيف هو عملك الجديد؟))

تنهدت ديمة قبل أن تقول بعدها بلحظات بصوتٍ مُخرج

((سارا بما أنني انتقلت من شركة والدك فلا أظن أنه هناك أى داع لبقاء صداقتنا الآن.. أتمنى أن نلغى أى شيء بيننا))

اتسعت عينا سارا وهي تبعد الهاتف عنها قليلة وتنظر له بصدمة ثم أعادت وضعه قرب أذنها هاتفة باستنكار شديد

((ماذا تقولين يا ديمة؟ هل جننت؟))

قالت لها ديمة بحزم وجدية

((بل ما أقوله هو عين العقل.. صرثُ يا سارا كريمة بثلثنا لأنى لا زلت صديقة لك بعد أن حرصت لارا الجميع عليك وعلى من يبقون بصلة بك..))

اعتدلت سارا جالسة على سريرها بغضب مستعر وهي تشعر
بالغدر من قبل أقرب صديقاتها..

ثم فقالت بصوتٍ مرتجفٍ من شدة انفعالها مؤنبة ديمة بقسوة
((ماذا؟ هل أنتِ مجنونة؟ هل سندعين لارا تلك البلهاء التي
كانت من صغرها تغار مني ومن اسم عائلتي وبكل ما يتعلق
بي تؤثر عليك؟))

تمتت ديمة بعد لحظات من التفكير

((أنتِ تعرفين يا سارا أنني بطبعي مسالمة لا أريد إلا أن اقضي
وقتاً سعيداً معهن ثم إن لارا بكل صراحة شعبية لا يستهان بها
أبداً.. لم يكن عليك اختيار رجلها هي من بين الرجال))

شهقت سارا ثم قالت باستهجان من بين أسنانها وإحدى كفيها
تتقبض بغضب وتشنج

((هل تقصدين احمد؟ الحقيبة تحاريني بكل هذه الخسة والقوة
من اجل احمد؟ هل هي مختلفة؟ أستطيع أن اعطيها احمد وكل
عائلته هدية معه لها إذا أرادت))

قالت لها ديمة مفسرة

((يا سارا القضية ليست قضية من تحصل على احمد إنما قضية
مبدأ.. ولارا لا تقبل أن تسرق امرأة أخرى رجلاً منها))

وقبل أن تقول سارا شيئاً قاطعتها ديمة برجاء مردفه

((سارا دعينا لا نكثر الكلام.. لنلغي كل شيء بيننا..))

جاء صوت سارا لها ضائقاً متحسراً

((ولكن ماذا سأفعل من دونك؟ أنتِ آخر صديقة تبقت لي))

قالت لها ديمة مقترحة

أجهشت سارا بالبكاء وهي تبدأ بضرب احمد على صدره
بانفعال..

صُدم احمد مما تفعله بدون أن يفهم ما حدث فحاول إمساك كلتا
يديها يمنعها من ضربه بقوة وهو يخاطبها باستهجان

((لماذا؟ لماذا؟ ماذا هناك؟ ماذا حصل؟ كل هذا لأنني رفضت
أن اسمح لك للذهاب لتلك المراكز الخاصة بالتدليك؟))

لكنها لم تكن تستمع له وهي تضربه كالمغيبة بكل الغضب
والقهر الذي شعرت به بعد مكالمتها مع ديمة..

وبكل الحقد الذي تكنه له لان حياتها صارت أسوء فقط بسبب
زواجها منه..

حتى عائلتها وخاصة والدها يرفضون التحدث معها وتزويدها
بمصرفها الشخصي بعد زواجها منه..

صاح احمد بها بغضب وهو يدفعها للخلف لترتمي على ظهرها
فوق السرير

((أيتها المجنونة قللي ماذا حدث))

اعتذلت واقفة من على السرير كأنها رجل آلي لا يعرف إلا
ضربه لتصرخ به كره شديد وهي تدنو منه بينما ترفع كلتا
قبضتيه

((أنا أكرهك ونادمة على الزواج منك))

شد احمد على أسنانه مزجرا بغل وصرامة وهو يمسكها من
شعرها ليمنعها من ضربه هادرا بقرب أذنها بقوة

((ألا يكفي أنني ادعي عدم معرفتي بتسللك خارج المنزل عند
ذهابي للعمل؟ ألا يكفي أن أمي امرأة عجوز وكبيرة بالعمر

وعندما طلبتُ منها أن تبدأ بالسكن هنا لتعاونيها على طعن سننها
تجعلينها تخدمك))

بصعوبة استطاعت سارا إطلاق سراح شعرها من أنامله متألّمة
لتبتعد عنه حتى أنها رمشت بعينيها وكأنها في مواجهة زئيرٍ
متوحش..

شعرت بقوتها تنهار فجلست على السرير مطأطأة الراس
وشاهقة ببكاء..

لم يسبق وأن تعامل أحد معها بهذا الغل والصرامة فقدمت
لاحمد بنبرة مخنوقة وجسدها ينتفض بخفوت

((أنا اعرف أن لك علم بشأن خروجي من البيت من وراء
ظهرك.. وهل أمك تبقى أي كلمة بداخل فمها؟ ثم هل تزوجتني
لأخدمك أنت وأمك أيها الحقير؟))

هدر احمد بعصبية وهو يدنو منها وقد فارت الدماء به بغلٍ

((قلت لك اعتني بها واخدمها فقط لنهاية الأسبوع حتى اطلب
ممرضة وخادمة لها.. عدة أيام فقط.. ما الصعب بهذا؟))

رفعت سارا رأسها له صارخة باعتراض

((أيها الحقير لقد تعبت وانا أخبرك أن تجلب لي خادمة منذ
زواجنا وأنت ترفض طلبي.. والآن بمجرد أن مرضت أمك
لهنت تطلب خادمة وممرضة لها؟ لا اسمح لك أن تعاملني بهذا
الشكل))

رفع احمد حاجبيه قائلا لها بغضب وهو يقرب وجهه من وجهها
فتبتعد برأسها للخلف بشكل تدريجي عنه

((لم أمنعك أيتها البلهاء من إحضار خادمة.. إذا أردت حتى
فأطلبني أسطول خدم لسيادتك ولكن سيأخذون رواتبهم منك..
ألسبت غنية؟ ألم تشكي لي عندما كنت متزوجة من راجي أنه لا

يسمح لك بطلب أي شيء نقود من والدك بحجة أنه هو
المسؤول عن الإنفاق عليك؟ حسنا أنا لست متعنتا مثله.. فهي
نقودك ونقود والدك ولك حرية إنفاقهم كما تريدين))

نظرت سارا له بكره..

يبدو أنه فعلا وكما قالت ميادة أن من أسباب تزوجه لها أنا غنية
وهو يريد زوجة أخرى تنفق على نفسها ولا تطلب منه إلا
القليل على عكس ما حدث معه مع لارا..

صرخت سارا به باحتدام وقد توقف رأسها عن التراجع للخلف

((والذي سحب مني اغلب بطاقتي الائتمانية ظنا منه أنك
تزوجتني من أجل نقودي.. النقود التي أنفقها على نفسي
وخروجات هي ما أستطيع أخذه من أمي.. عليك أنت يا زوجي
العزيز أن تنفق عليّ بشكل كامل من الآن وصاعدا.. أنت
طبيب ومن المفترض أنك غني))

ابتعد عنها احمد زافرا بضيق وهو يغمض عينيه ويغطيها
براحة يده قبل أن يقول

((نعم غني ولكن لحدود معينة فأنا لا املك شركة كبيرة))

وقفت سارا من مكانها بعصبية فائلة بعناد

((ومع ذلك عليك الإنفاق عليّ.. بسببك والذي قطع عني
المصروف.. عليك تعويضي.. أين هي نقودك؟ أين تخبيهم؟
انهم من حقي أنا))

كانت سارا قد فقدت عقلها حرفيا وهي تتبعد عنها وتكمل
صراخها وهي تبحث بجواريره الشخصية..

فتح احمد عينيه بصدمة قائلا كمن ينظر لامرأة مجنونة
مستهجنا ما تفعله

((هل فقدت عقلك؟ كل نقودي بحسابي بالبنك.. هل هناك من
يخبأ نقوده أساسا بالمنزل هذه الأيام بعد؟ أوه أُمي ماذا
تفعلين؟))

نظر احمد للخلف عند آخر جملة ليرى والدته تتقدم منه قائلة
بصوتٍ خافت لا تكاد تصدق ما ترى

((ماذا تفعل زوجتك المختلة؟ هل تريد سرقتك وأمامك يا
احمد؟))

توقفت سارا عن جنونها وهي تنظر لهما ووتيرة أنفاسها تزداد
بشكل كبير..

قال احمد بإجراج وهو يسند والدته التي جاءت بدون عصاها
التي تتوكأ عليها عادة لتجلس على طرف السرير..

قال لها احمد محاولا تهدئة روعها

((أُمي لا تغضبي.. لا تغضبي أرجوك.. إنها كما قلت مختلة))

قالت والدته بقهر وهي ترفع يدها على صدره

((إنن طلقها وتخلص منها.. لماذا تتحمل منها وتجبرني أيضًا
على تحملها كل هذا الوقت؟ يبدو أنها عاقر هي الأخرى ولا
تستطيع الإنجاب.. منطقيًا يا احمد كيف ستتجب بتلك العلمية؟
لو كان الأمر سينجح لنجح أثناء زواجها من راجي الذي بقيت
متزوجة منه لسنتين بدون أن تتجب))

اتسعت عينا السارة الواقعة مكان لتضع يدا على خصرها وتقول
بصوتٍ غريب

((هل تقولين إنني عاقر أنا الأخرى؟ ومن هي الأولى؟ هيام؟
حماتي هل أنت مجنونة أم تدعين الجنون؟ ألا تعرفين أن ابنك
هو المعيوب))

استدار احمد لها يزعم بها

((اخرسي يا سارا.. عدم الإنجاب هو قدر ورزق ونصيب من
الله ولا يعينني أبداً هذا الأمر))

قالت له والدته وهي تمسك ذراعه شاكية وقد دُهلّت لتجراً
زوجة ابنها عليها رغم انهم لم تتوقف عن دهشتها من جراً
سارا منذ زواجها بأحمد

((إنها تقول عني مجنونة يا احمد؟ أنها تهين والدتك يا فلذة
كبيدي وأمامك))

بنفس نيرتها السابقة صرخت سارا بها مستكثرة بينما تشير
بيدها منفعة لها

((نعم أنتِ مجنونة.. تعرفين أكثر منا جميعاً أن المشكلة بابنك
ومع ذلك تخرجين إشاعات عن عقم هيام بكل مكان تذهبين
إليه.. أليس هذا جنونا؟))

قال لها احمد بتحذير وهو يقترب منها وعينيه تطلقان شرراً لها
((اخرسي يا سارا))

ثم مد ذراعيه ليدفعها من كتفيها فيرتطم ظهرها بدولاب
الملابس..

قالت سارا له شاهقة بذهول ومتألّمة

((أوه.. هل دفعتني مجدداً يا احمد؟ حسناً انتظر قليلاً أيها
الحقير))

نظر احمد بعدم فهم لها وهو يراها بإصرار تتقدم من أمامه
وتخرج من حجرة النوم..

عقد احمد حاجبيه يخرج خلفها قبل أن يصدم بها وهي تفتح
نافذة المنزل المطلّة على الحي..

اتسعت عيناه الذاهلتان ما إن رآها تخرج نصف جسدها من
النافذة صارخة بصوتٍ عالي

((يا عالم يا بشر.. العيب بعدم الإنجاب هو من زوجي لا من
زوجته السابقة.. إنجابه لطفل من زواجه الأول لا يعني كذب
هذا الكلام.. العيب من الدكتور لا من زوجته السابقة.. العيب
من الدكتور احمد رؤوف الغالي))

اندفع احمد يدنو بسرعة نحوها ويحيط جسدها بذراعيها يبعدها
عن النافذة..

إلا أنها كانت تمسك أطراف النافذة بقوة ترفض الابتعاد أو
التوقف عن الصراخ مما جعله يسحب احدى كفيه ليكتم فمها
وبقوة أكبر يحاول إخراجها قاتلاً بغيظ وقد التم بعض الناس
بالحي عليهم ينظرون فوق على النافذة

((ادخلي أيتها أل ***** .. ادخلي فضحتينا))

لكن سارا كانت مستمرة في الصراخ بجنون قائلة

((لن ادخل.. يجب أن يعرف كل من في الحي أن العيب فيك
أنت.. يجب أن يعرف الجميع أن العيب فيك أيها الحقيير))

بصعوبة استطاع إبعادها عن النافذة وإغلاقها بعد أن تسبب
بخدوش لأناملها التي كان ينزعهم نزعا عن طرف النافذة..

حملها مبتعدة عن النافذة وهو يعيدها نحو حجرة النوم بينما
تتلوى وتضرب ساقيه وظهره حتى أنها عضت كفه التي يكتم
بها صوتها بشراسة جعلته يتأوه عالياً وهو يسقطها على
الأرض بمجرد أن دخل حجرة النوم..

حبت سارا على أربعة مبتعدة عنه ثم جلست للمكان الذي
وصلت له واستدارت نحوه وكان كلاً منهما يلهث ناظراً للأخر
بجنون حتى تمتمت له من بين أنفاسها الثقيلة تثير غضبه أكثر

((لقد ظلمت نفسي بالزواج من رجل مثلك عجوز.. أيها الحقيير
لقد تطلقت من هيام ولم تعد تضع لك تلك الحبوب والأدوية التي
بدأت التحجج بها أمامي بمجرد أن أخبرتك.. والآن ما هي
حجتك؟ لماذا لا تعرف كيف تسعدني؟ لماذا لا تعرف كيف
تجدد الروتين بكل مرة.. هل أنا مجبرة بكل مرة أن أعلمك؟))

شد احمد على أسنانه وكان ينظر لها وعيناه تطلقان الشرر لا
يعرف كيف يمنع نفسه من الاقتراب منها وقتلها..

إلا أنه التفت ينظر لوالدته التي شحب وجهها شحوبا يحاكي
الموتى وهي ترفع يدها لصدرها فقال احمد لها بقلق ولهفة

((أمي هل أنت بخير؟))

لوحث والدته بكفيها بانفعال وبصوت مرتجف

((طلقها يا احمد طلقها.. قلبي لن يتحمل.. طلقها))

احتوى احمد بكفيه قبضتي والدته يشد عليهما لعله يهدأ من
روع امه

((أمي انتبهى على نفسك أرجوك))

الآن أنها قالت له بقهر وقوة

((لا تتعذر أمامي بالشقة التي سجلتها باسمها.. طلقها حتى لو
سجلت باسمها البناية كاملة وشقة والدك.. أريد أن أعيش
بالشارع لكن طلقها))

أوما احمد شبه إيماءة لأمه ليهدئها قبل أن يقول لها بصوت شبه
ثابت

((أمي الموضوع ليس موضوع الشقة التي سجلتها باسمها
فقط))

التفت احمد للصوت الساخر من خلفه وهو يخبره أمرا

((معها حق أمك.. طلقني يا احمد.. أنا أريد ذلك أيضا))

قال احمد بصوتٍ جاد خفيض بعينين متوعدتين

((اخرسي))

هدرت سارا به تعانده أكثر بعنفوان وهي تنظر لوالدته وترفع
احدى حاجبيها بدلال تغيظها

((طلقني يا احمد.. اعتبره تحدي لوالدتك.. هل ستطيع والدتك
وتبر بها أم لا؟))

رمقها احمد بنظرة حادة غير مقروءة التعبير وهو يتنفس
بسرعة وجهد..

بينما نظرت والدة احمد لسارا وكانت تريد الرد عليها بما
يحاول ردعها عن الإنقاص من ولدها العزيز..

إلا أنها رفعت يديها لصدرها تكاد تغيب عن الوعي من شدة
الانفعال من وقهرها وإرهاقها الذي تسببت به سارا..

فصرخ احمد بها فزعا

((أمي.. أمي هل أنت بخير؟))

التف احمد لسارا التي كانت تظهر اللامبالاة قائلا قيل أن يغادر
فورا

((سأذهب بها للمشفى الآن))

ما لبث أن خرج من المنزل هو وأمه حتى استلقت على ظهرها
فوق الأرض وقد انهارت قواها من شدة الانفعال..

.

.

عند منتصف الليل..

شعرت سارا بأحمد يفتح باب الشقة ويدخل من الباب ثم يدخل
لحجرة نومهما والظلام يعم بالشقة كاملة..

بينما يخلع احمد سترة حلته تمتمت سارا له متسائلة وهي تتقلب
على الفراش

((أين أمك؟ لماذا عدت وحيدا؟ هل وافتها المنية؟))

رد احمد بغیظ رغم الإنهاك الذي يحتل جسده وعقله

((كفاها وابتعد عنها كل شر.. فيكي أنت ولا هي))

لا يدري كيف تجاهلت سارا الرد عليه أو شتمه لكنها فعلت ذلك
وهي تغمض عينيها بمحاولة النوم..

جلس احمد على طرف السرير يثني ظهره ويدفن وجهه بكفيه
متنهدا بإرهاق..

وهو الذي ظن أن بزواجه من سارا ستتسابق كل واحدة منهن
على راحته والفوز بحبه لكن انتهى الأمر بطلاق هيام ويبدو أن
طلاق تلك التي بجانبه وشيك..

ابتعد احمد وجهه قليلا عن كفيه وهو ينظر جانبا لتلك المتمددة
بجانبه..

بالرغم من غضبة المستعر منها وخاصةً بعد عودته من المشفى
ولزوم نوم والدته هناك إلا أنه شعر بأنه يريد أخذها بين
ذراعيه بقوه..

وهذا ما فعله وهو يدفن وجهه بين طيات شعرها يستنشق
رائحتها عن قرب كأنه يريد أن ينسى تعبها وإنهاكه بين
أحضانها..

بعد لحظات شعرت به سارا وهو يحتضنها لتتململ قائلة
بخشونة بصوت أجش من النُعاس

((ابتعد عني أيها الحقيير.. أريد النوم))

لكن احمد لم يكن يريد أن يبقى دافنا وجهه بجانب عنقها
ويتنشق رائحتها الجميلة وينسيها وينسى نفسه العالم كله من
حولهما..

يريهها كيف يحبها ويعلمها أن تحبه بالطريقة التي يريد فهمس
لها بصوت مثقل

((دعينا نبقى هكذا قليلا))

تململت أكثر وهي تحاول إطلاق سراحها من ذراعيه وعندما
رفض وهو يشدها بقوة لکمت معدته بقبضتها وهي تبعده عنها
زاعقة فيه

((ابتعد أيها الحقيير لا ينقصني النوم بأحضانك الآن))

نظر له احمد بغل وقد عاد كل ما حدث بينهما قبل ساعات
لذنه فقال لها بصوت صارم

((سارا علينا التحدث بما حدث اليوم.. لأنني لن اسمح لك
بتكراره أبداً..))

قالت سارا له متأففة وهي تعطيه ظهرها وتنام على الجانب
الأخر

((احمد أنا متعبة وأخر ما أريد سماعه هو صوتك))

تنهد احمد بتعب لتجاهلها له وتمدد على ظهره فوق السرير
يغمض عينيه دون أن تهدأ وتيرة تنفسه المرهقة..

هذه الأيام تمر عليه بشكل صعب جدا..

ألا يكفي لقاءه بإيمان ذلك اليوم بعد كل تلك السنوات.. بصدفة
من غير ميعاد عندما زاره عدنان للبيت..

حيث كلاهما تأمل الآخر من مكان وقوفه..

لكنه لم يجرأ على الاقتراب أو النطق خوفاً من المواجهة فكانت
الخطوة الأولى منها وهي من تقدمت منه.. مبتسمة..

لم يتحدثا بأي موضوع.. لكن عينا كل منهما الزرقاوان فعلت..

مشهد هيام تحمل حقيبتها للمغادر كان كفيلا بإخبارها عن قصة
زواجه الفاشلة التي انتهت بالانفصال عن تلك.. تلك التي فضلها
عليها..

بينما مشهد زوجها وهو يأخذها من بيته بسيارته كان يخبره بأن
الشخص الذي أخذ بيدها بعد أن تركها.. لم يتركها ولو لوهلة..

وهي وجدت عند زوجها الحب الذي تعذبت فيه عنده وترقرقت
لأجله دموعها حيث أنه لم يرددها أكثر من أم أولاده وبديلا عن
حبه ولو للحظة..

بدأت أنها فعلا تعيش مع زوجها الحب حتى غمر قلبها وجعلها
تشعر بلون لحياتها حتى كانت ثمرة الزواج الأطفال الذين
أنجبتهم منه..

هنا فقط.. أدرك أنه هو الخاسر بينهما..

خاسر.. لأنه دمر بيده عائلته الصغيرة..

تقلب احمد بفراشه وهو يشعر بضيق بالتنفس وحتى أنه للآن لم
يغير ملابس عمله..

لكن إلى متى سيضل هذا الحال؟

فكل ليلة يتذكر ذلك المشهد لإيمان وزوجها يتناول منها
طفلتها..

يقسم أن المشهد لن يمحي من ذاكرته حتى توافيه المنية..

إلى متى سيضل يتحسف على ما فعله بالماضي ويرغب للعودة
زمنياً لإصلاح ما قام به ويبقى يعيش إقامة دائمة في مدائن
الندم؟

نظر احمد بغل لجانبه إلى تلك المتمددة بسكينة..

لو كان يعرف أنها بهذا الشكل يقسم أنه لم يكن ليتزوجها..

هل كانت هكذا أثناء زواجها مع راجي؟

زمر احمد بها وهو يعتدل نصف جالس ويهز كتفها بخشونة

((سارا علينا التحدث.. عليك أن تتصرفي ولو لمرة كزوجة
أصيلة لي.. أنا بحاجة لان تستمعي لي.. وهذا المرة الموضوع
متعلق بأمي لا بابني الوحيد))

أبعدت سارا جسدها عنه وهي تقول بضيق من بين أسنانها له
بينما تجلس على السرير

((احمد هل يمكن أن تأتي بليمونة كاملة من الثلاجة لي لأضعها
بفمك لعلك تخرس قليلا وتتوقف عن نشر الطاقة السلبية حولي
سواء كان يتعلق الأمر بحزنك على ابنك أم والدتك؟))

توقعت انفعالاً أو غضباً وصراخاً منه على كلامها الوقح معه
إلا أنه اكتفى سؤالها هامسا ببرود

((أي طاقة سلبية؟ حديثي لك عن حزني بفراق ابني هي طاقة
سلبية؟ سارا ألسنت زوجتي؟ أليس من حقي عليك أن تستمعي
لهمومي ومشاكلي؟))

أمل أن يرى في عينيها ولو اختلاجة واحدة فقط تدل على
حزنها عليه أو ندمها على الطريقة التي تعاملها به لكنها كتفت
ذراعيها وهي تقول له

((احمد.. حُبي هداً من روعك.. نعم نمر جميعاً بفترات سيئة..
لكن هناك فرق بين "التعبير عن الحزن" ونشر الطاقة السلبية
في الأجواء.. وانا بدأت اعرف الفرق بينهما حينما أصبح
الوقت الذي اقضيه معك مصدرًا للقلق لي وعدم ارتياح.. قد لا
تصدق ولكن حينما تغلق فمك اشعر كأني تحررت من ثقل على
نفسي))

بقي احمد يحدق بها بعينين بدتا كقطعةٍ من جبلٍ جليدي ازرق
لتقول له وهي تغادر السرير مع غطاؤها

((سأذهب للنوم بمكان آخر.. حتى لو في المطبخ.. مثل
سندريلا))

هدر احمد لها بقصد إغاظتها وهو يراها تخرج من حجرة
نومهما

((أنتِ زوجة الأب لا سندريلا))

تمدد احمد غاضبا على سريره لكن بعد دقائق قفز منه وهو
يسير نحو الصالة حيث تتمدد سارا على احدى الأرائك الكبيرة
ليقول لها بتوجس وهو يراها تدفن راسها بهاتفها

((سارا ماذا تفعلين؟))

جفلت سارا على صوته حيث لم تكن قد شعرت بدخوله لتقول
له مؤنبة وهي تعتدل جالسة على الأريكة عقب أن رمت الهاتف
فوق نهاية الأريكة

((أتصفح الأنترنت.. ماذا تريد؟))

أشعل احمد الإنارة ثم قال لها بينما يجلس على احدى الأرائك
مقابلها ويشبك كفيه ببعضهما

((سارا علينا التحدث بجدية.. حول الكثير من المواضيع..
مواضيع تخصنا نحن الاثنان ولا نثقل.. لن أتعبك بالحديث عن
أحزاني ومتاعبي))

زفرت سارا باستياء وهي تكثف ذراعيها قائلة بطريقة تستفزه
((أي موضوع إذن؟ عن طريقة تعاملي مع أمك أم موضوع
الحمل؟))

قال لها احمد بجفاء

((نعم ذكرتني بموضوع الحمل فهو موضوع آخر بحاجة لجلسة
أخرى طويلة.. طويلة جدا))

ابتسمت سارا ببطء.. أساسا هو منذ مدة لم يفتح أمامها موضوع
الحمل لذا ستكون بلهاء أن ظنت بأنه لن يفكر في التحدث
بخصوصه قريبا..

قالت سارا له بخفوت

((احمد كما اتفقنا قبل الزواج عليك أن تنتظر أكثر قبل أن
تطلب مني الحمل))

هدر احمد بها بنفاد صبر وانفعال

((إلى متى سننتظر؟ هل تعرفين كم شهر مر على زواجنا؟))

قالت سارا لها بنعومة تغيظه أكثر

((قلت لك باني لن أفكر بالموضوع قبل مرور سنة وأنت وافقت
على طلبي.. إذا غيرت رأيك سأبدأ بالتفكير بانك تزوجتني
كوعاء حمل فقط لا لأنك كنت معجبا بي))

قال احمد لها مصححا

((إلى متى سأنتظر أكثر؟ هل تعرفين يا سيدة كم صار عمرك؟
هل تظنين أنه سيكون متاحاً لك باي وقت مستقبلاً إجراء تلك
العملية؟))

ردت سارا عليه بعصبية وهي تنتصب واقفة

((احمــــد.. توقف واغرب عن وجهي.. أو هل تعرف
ماذا؟ أنا سأذهب لأخذ حمام دافئ لأتخلص منك))

زفر احمد نفساً حاداً مخيفاً كذلك النظرة النارية في عينيه وهو
يراقبها بغل تخطو من أمامه نحو الحمام قبل أن يحرك بصره
نحو الأريكة حيث وضعت هاتفها ونسيته مفتوحاً..

ظل للحظات طويلة ينظر لهاتفها بلامح مبهمه..

ورغم أنه كان ليحتقر نفسه سابقاً لو قام بهذه الحركة..

لكن الآن الوضع مختلف.. وكل شيء بسارا لا يسير على نحو
جيد..

ولا أحد له حق أن يلومه لعدم ثقته فيها..

فهي لا تبالي بمطالبه ولا تهتم بشؤونه كما كان يظنها ستفعل..

ودائماً مشغولة طوال الوقت بأي أعمال أخرى في محاولة
للهرب منه أو الحوار معه..

وخصوصها بهاتفها..

حيث أصبحت تقضي وقتاً أكبر مما كانت عليه في مكالمات
هاتفية بحجة الحديث مع إحدى الصديقات أو أهلها أو أي حجة
واهية أخرى..

ببطء التقط احمد هاتفها وبدء تصفحه..

دخل على "الفييس بوك" وبدأ يتصفح أحر الأشخاص الجدد على صفحاتها..

ربما اغلبهم يحملون أسماء نسانية حتى.. حتى لا تفتح له مجالاً للشك؟

لأنه خاصة في ظل أفعالها السابقة لن يستغرب إذا ما كانت على علاقة برجل ولو بحجة الصداقة..

لوهلة توقف احمد عن التصفح وهو يصفن شاردا..

هل.. لحظة.. هل هو فعلاً يشك بأنها تخونه أو على الأقل على علاقة بأحد الرجال من أصدقائها ومع ذلك لا يفعل أي شيء تجاه الأمر سوى التجسس على هاتفها من خلف ظهرها؟
يا رب السماء الرحمة..

هل يمكن أن يصل لخزي أو احتقار للذات أكبر من ذلك؟

في الحمام بدأت سارا تفكّ ضفائرها وتضع أناملها بين أقسام شعرها لتفريق التموجات وهي تنظر بتحسر لها..

فبعد أن صنعت هذه التموجات التي منحت شعرها مظهراً جذاباً طبيعياً ستُفسد بعد حمامها هذا..

لكن وقبل أن ترخي رباط مآزرها خرجت من الحمام هاتفة بصوتٍ ناعمٍ ومغوي

((احمد ما رأيك يا حُبي أن تدخل معي وأعلمك كيف تعمل جلسة مساج... احمد))

شبهقت وهي تجري نحو هاتفها وتسحبه منه وهي تصرخ به بغضب

((لماذا تمسك هاتفني أيها الحقيير؟))

بيده القوية وبتلقائية ضرب كتفها بدون مراعاة إلى أن تراجعته للخلف عدة خطوات حتى كادت أن ترتطم بالطاولة خلفها..

لكنها تماسكت واقفة وهي تسمعه يهدر بها هامسا من بين أسنانه بنبرة جامدة

((اخرسي صوتك العالي هذا بهذا الوقت المتأخر من الليل))

رفعت سارا أناملها لتدلك جهة كتفها الذي ضربه بعنف متألمة وهي تنتظر له بعدم تصديق أنه لا يظهر أي ذرة ندم على وجهه لتجسسه على هاتفها..

ثم رمت هاتفها الذي تمسك بيدها الأخرى بعد أن أغلقت الشاشة على الأريكة ثم أخفضت وجهها واضعة يديها في خصرها تتنفس بسرعةٍ ونفاذٍ وهي تهتف به بصوتٍ عالي

((حتى هاتفني لا آمن على تركه هنا بهذا البيت خوفا من أن تتجسس عليه أيها الحقير))

وتيرتها أخذت في الارتفاع والحدة أكثر وأكثر حتى باتت آخر كلماتها صراخاً همجياً عنيفاً لم يكن احمد ليتحمل أكثر الصبر عليها فتقدم منها يدفعها مرة أخرى ينهر صوتها العالي مما جعلها تتأوه وهي تبتعد عنه قائلة بصوتٍ قاتم بارد لكن مرتجف وهي على وشك البكاء

((أوه.. اتركني يا حقير))

ابتعدت سارا عنه أكثر مردفه وقد تجمعت الدموع بعينها فعلا

((لو عرف والديّ المعاملة السيئة التي أتلقاها من قبلك والله لجعلوك تبصر نجوم الظهر.. وانا لن ابق صابرة طويلا عليك.. سأخبرهم عن مقدار الضرب الذي أتعرض له على يدك جعلهم للكسر أن شاء الله))

اتسعت عينا احمد عند دعائها عليه فتقدم منها ولكن قيل أن
يتمكن منها كانت تهرول باتجاه الحمام وتغلق الباب خلفها
لتصرخ من خلف الباب بتهديدها المعتاد

((بالمناسبة أنا أفكر ببيع الشقة التي سجلتها باسمي لاحد أفراد
عصابات المافيا ثم الهرب بعيدا لأخر البلاد لأتخلص منك))

ضرب احمد باب الحمام وهو يتمتم بشتائم لم تصل لمسامعها..

ثم تنهد وهو يدفن وجهه بكلتا كفيه يمسه بارهاق..

بينما هي بالداخل جلست على حوض الاستحمام بإنهاك وهي
تسند جبينها بكفها..

ثم شعرت بأن كل طاقتها على تحمله نفذت فرفعت كفيها إلى
وجهها وانفجرت في بكاءٍ قويٍ بصوتٍ عالٍ غير قادرة على
كبت نفسها أكثر..

إلى متى ستظل معه لأنه عليها أن تتخلص من هذا الزواج
بأقصى سرعة..

لا يمكنها أن تكمل حياتها مع احمد..

عليها مستقبلا إذا ما فكرت بالزواج مجددا الابتعاد من هذا
النوع من الرجال فوراً.. لأنه سام جداً..

ما الذي أعجبها برجل مثله لتحبه وتقبل الزواج منه تحت
إصراره؟

إلى متى ستظل تجد نفسها مضطرة للكذب على احمد
بخصوص أشياء تافهة كخروجها من المنزل أو ذهابها إلى
أماكن أخرى..

تعرف أنه يعرف بشأن تسللها للخارج ولكن هل ستبقى لنهاية
عمرها تتسلل لفعل كل ما تريده خلف ظهره؟

بدأ صوت بكائها المنهار ينخفض حتى تحول لشهقات ثم إلى حبيبٍ خافت قبل أن تتماسك وتقف من مكانها لتبدأ بأخذ حمامها..

=====
=====

ارتدت رانسي ملابس رياضية فضفاضة وطويلة ومريحة ثم وقفت أمام المرأة المستطيلة الضخمة تعدل من حجابها ومظهرها لمرّة أخيرة..

لوهلة ركزت نظرها على وجهها تطالع نفسها وكانت ابتسامتها العريضة المرتسمة على وجهها مشرقة بينما عيناها تلمعان ببريق الحياة..

أكثر ما تحبه الآن في حياتها هو فكرة أنها متزوجة من راجي.. فهو صار يحب أن يتحدث معها ويستمتع إليها بكامل انتباهه ويكرس لها الكثير من وقته..

وقد أخبرها الآن بعد عودته من العمل بما أنه قد غادره باكرا وبما أن الغد عطلة أن تتجهز الآن ليخرجا معا في نزهة يتجاذبان فيها أطراف الحديث ويقضيان وقتا لطيفا..

حرصت رانسي على تجهيز وإعداد نفسها بنفس الساعة التي حددها حتى لا تجعله ينتظر ويتأخرا بالخروج ثم هل هناك أجمل من أن تجده يسترق بعض الوقت ليقتضي معها أوقاتا جميلة؟

نزلت الدرج للصالة وتفاجأت به متمدد على الأريكة يتابع برنامجا رياضيا على التلفاز فقالت له بصوتٍ هادئ هاتفة

((هل تشاهد شيئا على التلفاز؟ ألن نغادر الآن؟))

اعتدل راجي شبه جالسا على الأريكة يسألها بدهشة بينما
يخفض صوت التلفاز من خلال جهاز التحكم عن بعض

((ما زال الوقت مبكرا..))

قالت رانسي له باستغراب وهي تقترب منه

((لكن.. لقد أخبرتني أن أكون جاهزة بالضبط الساعة
الخامسة.. وباقي أقل من دقيقتين على أن يصير الوقت كذلك))

مد راجي ذراعه أمام وجهه ينظر لساعة يده عاقد الحاجبين ثم
قال

((لم أتوقع أن تتجهزي على الوقت المحدد بالضبط مع أنني لم
أخبرك عن الخروج إلا قبل وقت قصير.. فحددت موعدا أبكر
بساعة حتى اضمن أنك ستجهزين قبل))

تنهدت رانسي بإحباط قم قالت له مستنكرة وبنبرة خافتة وهي
تكتف ساعديها

((أنت لا تنفك عن التحدث عن مقدار كرهك للأشخاص الغير
منضبطين بالوقت لذلك حرصتُ على عدم التأخر))

رفع راجي حاجبيه وهو ينتصب واقفا من موضعه بينما يغلق
التلفاز وهو يفكر بأن الأمر يصيبه من شدة المثالية بالصداع..

الصداع..

شاذة هي عن باقي جنس النساء بموضوع التزامها في المواعيد
بشكل دائم..

صعد راجي لحجرة النوم ودقائق كانت حتى أنهى ارتداء
ملابسه الرياضية المريحة..

استقل كلاهما سيارته ووضعت رانسي بالخلف سلة المأكولات
التي أعدتها للتنزه..

ورغم أنهم كانوا بموسم الخريف إلا أن الأجواء كانت دافئة
ومناسبة للتنزه والخروج..

ذهبا لإحدى الحدائق المفتوحة المتواجدة بالمدينة والتي تأخذ
شكل جزيرة وسطية حيث كانت توفّر الحديقة مسافات كبيرة
لممارسة رياضة المشي والجري وسط المساحات الخضراء من
الأشجار والنخيل..

وتوفر أماكن أخرى فيها مخصصة لركوب الدراجات الهوائية
وأخرى مخصصة للزلاجات..

بالإضافة أيضاً لملاعب للكرة الطائرة وكرة السلة والتنس..

قضت رانسي وقتاً طويلاً بالمشي وسط طرق المنتزه..

عند وقت غروب الشمس وضعت المفروش بإحدى المناطق
المثالية لمشاهدة منظر الغروب..

والذي كان مشهداً خلاباً خاصة وان السماء والأرض وأشجار
النخيل تمتزج معه في تناغم قل مثيله..

أخيراً انتهى راجي الذي لم يتوقف عن الجري منذ أن جاء
للحديقة الآن ثم سار بخطواته يقترب منها..

خلع حذائه وخطى فوق المفروش ثم انخفض يلتقط زجاجه ماء
من ضمن الأشياء التي وضعتها فوقه..

استقام راجي أمام عينيها وبدأ يسكب الماء على نفسه ويبلل
نفسه في مشهد خطف أنفاسها..

طوال فترة مراقبتها له وهو يجري بجسده الممشوق وعضلات
صدره البارزة بدأ أنه يستمتع جداً بالجري..

الحقيقة لو أنها حاولت أن تجري ربع ما جراه اليوم لأحست
بصدرها يتوقف عن التنفس ويخرج من مكانه..

جلس راجي بجانبها يلهث قليلا ثم غسل يديه قبل أن يتمدد
أرضا فوق المفرش واضعا رأسه فوق حجرها لتبتسم رانسي
بعذوبة..

قالت له بينما تفتح السلة التي جلبتها معه

((مع أنني أرى أن الوقت المتأخر من النهار يتطلب أن
نخصصه للشواء لكن هذه المأكولات الخفيفة مع العصائر
والفاكهة التي جلبتها معنا ستجدي نفعاً))

قال راحي بنبرة مرحة منتعشة وهو يرفع يده لها وصدرة لا
زال يتعالى بأنفاس متسارعة

((اعطيني أي شيء من السكريات))

مدت رانسي له قطعت حلوى وهي تدفعه من كتفه للجلوس
حتى لا يختنق أثناء الأكل..

ثم قالت له وهي تتلهف لمعرفة إذا ما أعجبه طعامها

((طحننُ البسكويت ثم وضعت فوقه جبنة كريمي وكريمي
طازجة وبالأعلى نوع المربى المفضل لك.. هل أعجبك
طعمها؟))

قرب راجي الحلوى من فمه يستمتع متلذذا بالأكل منها وتقاسيم
وجهه كانت أفضل إجابة عن مدى لذة ما صنعتها فازدادت
ابتناسمتها..

بعد دقائق أخرجت رانسي من إحدى العلب المتواجدة بالسلة
أسيخا هادرة بحماس

((أشعل نار صغيرة هنا يا راجي))

نظر لها باستغراب لتردف بينما تضع بعض حبات الفراولة
وقطع المارشملو وقطع البراوني داخل الأسيخ مغممه

((هل تعرف ما هو أفضل من شواء كباب اللحم؟))

ضحك بخفوت وهو يقول لها مجيبا بتلقائية

((كباب المارشملو والفراولة بالطبع))

سلط راجي سيخ قطع المارشملو بالقليل من النار بينما يسمع
رانسى تقول له متتهدة

((ألا تشعر باي دوار أو ألم في الكتفين بعد كل هذا الجري؟))

هز راجي كتفيه يقول ببساطة وثقة

((أنا معتاد جدا على الجري.. كنت اخرج للهرولة بصغري
وأوقات فراغي عدة مرات بالأسبوع.. وبعد الممارسة لكل هذه
السنين بدأت أحسن بشكل تدريجي من الهرولة إلى الركض
وقللت الوقت الذي اقطع فيه المسافات خلال ساعة.. بل أستطيع
أن اجري أكثر من عشر كيلومتر خلال نصف ساعة))

التفتت رانسى له دون أن تحسر ابتسامتها لتتلاقى عيناها بعينيه
لتقول له بإعجاب زاد من زهوه

((أنت مذهل جدا فبينما كنت أنا أتمشى كنت أنت تركض مثل
الحصان مبتعدا عني وتعود إليّ عدة مرات في حين أني بالكاد
كنت التقط أنفاسي من مجرد المشي بسرعة))

كان لا يزال ينظر لها حتى رآها تضم شفقتها عقب حديثها
فانفلتت منه ضحكة مفاجئة ومن القلب حقا لكلامها..

استمرا الاثنان بقضاء الوقت بالحديث بأمر بسيط تتعلق
بأشياء عشوائية..

تحدث أمامها عن عمله وعن ما مر فيه خلال اليوم ثم بدأ
يستدرجها لمبادلة الحديث معه..

ورغم كل شيء.. أذهلته وهي تناقشه بعقلانية ومنطقية عندما
سأل رأيها بأخر قضية عميل عنده..

ثم بدأ يسألها عن أكثر عن نفسها لتتحدث عن قصص تخصصها..

مؤخرا صار يجيد استدراجها للتحدث أكثر معه فصارت أبسط
الأساليب التي يظهر لها حبه من دون كلام عندما يصغي لها..

وهي تكلمت له بالكثير بينما ترسم على وجهها ابتسامة لطيفة
وهي تتابع سرد تفاصيل مختلفة عنها..

وبمنتصف أحد المواضيع بترت رانسي حديثها لتسأله عاقدة
الحاجبين

((لحظة.. هل سبق وأخبرتكم عن هذه القصة؟ أخبرتكم بها عدة
مرات فهي قد حدثت بطفولتي؟))

مسك راجي أناملها وفي لحظة كان يضع رأسه على حجرها
يعيده مرة أخرى ويمسك بيدها الأخرى يمررها على شعره
كأنه يطلب منها ذلك قبل أن يجيبها بصوت أجش

((في الواقع قلتيها لي مرتين سابقا.. ولكني أريد سماعها من
جديد منك))

ضحكت بخفوت على ما قاله دون أن تبخل عليه وهي تمرر
أناملها لتتخلل شعره..

تحب كيف تخبرها بأمر مرّات عدّة فلا يقاطعها ويصغي إليها
ببساطة..

عند الرحيل وضعت رانسي بداخل السلة المستلزمات التي
جلبتها معها في هذه النزهة..

لتفاجئ براجي يحمل عنها السلة بيده وبالأخرى التقط يدها
ليسير سويا نحو السيارة..

فقدته رانسى يدها التي تمسك راجي..

وقبل أن يشغل راجي محرك سيارته سمعها تقول له بشرود
جميل بينما أنظارها تتابعان شخصان كبيران بالسن يجلسان
على احدى المقاعد

((كم يعجبني ويفلقتني عندما أخرج وأرى منظر زوجان بجانب
بعضهما البعض في جلسة حميمية بريئة.. تساعد في شيء
ويساعدها هو في شيء آخر.. يقدم لها الكرسي لتجلس عليه
وهي تمسك يده ليصعد درجة.. أين منهم الكبار بالسن الذي
يعيشون حولي!))

ظهرت الدهشة على راجي وهو ينظر لها لتحرك رأسها تحادثه
وعيناها بعينيه مردفه بابتسامة تقطر عذوبة بينما تتابع بصوتٍ
دافئ

((لا أريد منك في هذه الحياة إلا إذا أصبحت في مثل هذا العمر
وتجدد الوجه وزال الشباب وانعدمت الصحة أن تكون بجانبني
تساندني في هذه الحياة.. وألا تتركني وحيدة انتظر زيارة
الأحفاد والأبناء في نهاية الأسبوع فقط))

كان فعلا يؤلمها عندما تسمع عن شخصان تطلقا أو رجل تزوج
امراة أخرى بعد عشرين أو ثلاثين أو حتى أربعين عاما!

فكلها حوادث متأخرة كان ينبغي فيها الإنسان أن يصل للنضوج
والاتفاق على السعادة المشتركة بعد هذه السنوات..

بينما الواقع للأسف لا يؤكد هذا..

بقي راجي مستمر بالنظر لها بدهشة ولحديثها المفاجئ هذا
ودقات قلبه في تزايد..

وكان كلماتها التائهة تبحث عن أمان مفقود راجية أن تجده.. فيه
هو..

تتهددت وهي تغمض عينيها ثم تريح راسها للخلف على المقعد
لتشعر بأنامله تحيط وتشبك بأناملها عقب أن شغل السيارة
فداعتبت ابتسامة صغيرة شفتيها وهي تشعر بشعور لذيذ تتمنى
ألا ينتهي..

ركز راجي بالنظر للطريق أمامه وفي داخله رغبة الحماية
والاحتواء تضاعف تجاهها..

وأكثر ما أمد قلبه بشعور جميل هو تحدثها عنهما معا في
المستقبل.. وأطفالهما.. وأحفادهما!

قال راجي لها بصوتٍ عذب يقطع الصمت بينهما

((غدا الجمعة سيكون المنتزه مزدحم.. لكن بإمكاننا الخروج
يوم السبت مرة أخرى مثل اليوم قبل أسبوع عمل جديد ممل))

فتحت رانسي عينيها اللتين بدأتا تتسعان بفرح بينما تدنو وجهها
منه هاتفة بحماس

((حقا سنخرج معا؟ لكنك تدخر أيام السبت لأصدقائك وإذا
خرجت معي فسيكون هذا ثالث سبت تفوته مع أصدقائك من
أجلي!))

هز راجي كتفيه يقول متهمكا بمشاكسة بينما يحرك راسه ينظر
لها لثانية قبل أن يعود للنظر بالطريق أمامه

((أبيع كل أصدقائي مقابل قضاء وقت لطيف مع زوجتي
الجميلة))

ضحكت رانسي بخفوت على كلامه لكن سرعان ما تجهم
وجهها في الحال قائلة بتراجع وهي تتذكر شيء فاتها

((ولكن يوم السبت ولأنك معتاد على الخروج فيه ولأنك لم
تعلمني قبل الآن انفتحت أن اخرج للتسوق مع لينا وجالا.. أحاول
أن اجعلهما يتقربا من بعضهما))

نظر راجي لها عابسا

((ألا يمكن لمحاولاتك الإصلاحية هذه أن تؤجلها ليوم آخر؟))

عقدت رانسي حاجبيها باعتذار هادرة

((لا أستطيع ذلك فبصعوبة وجدت يوما مشتركا بينهما
يستطيعان فيه التفرغ نظرا لوجود أولادهما.. وخاصة لينا))

زفر راجي بضيق ثم قال لها متذمرا

((خاصة لينا محظوظة.. صارت تقضي معك وقتا أكثر مني))

زمت رانسي شفثيها وهي ترقق صوتها

((لا تبالع يا راجي))

افتعل العيوس وهو يناغشها عاطفيا

((سأسحب منك لقب غز التي الذي أطلقته عليك وسأناديك من
الآن وصاعدا يا "صديقة لينا"))

لكزت رانسي كتفه قائلة بحنق

((راجي))

عند الليل..

ناما الاثنان على سريرها كما صارت العادة فهو واسع كفاية
ليتسع اثنين..

كانت أغبي فكرة فكر بها وطبقها أن احضر سريران منفصلان لكل واحد فالتقارب عند النوم بينهما هو ما يحول دون انقطاع مشاعر الحب والمودة..

بل أحيانا خلال يوم عمل حافل ومتعب لا تتوفر لهما فرصة للحديث بالكثير من الأمور المهمة التي تخصهما إلا قبل النوم ليلا..

وبالرغم من تمنعها بالسماح له في تمضية الليل بجانبها إلا أنها لم تستطع الاستمرار بمنعه أن ينام بقربها على نفس السرير أكثر وعن رومانسية النوم بجانبه طوال الليل..

وهو لا يبخل عليها بملاطفتها بلمساته وكلامته العذبة أو إغراقها بكل المشاعر اللطيفة التي تشعرها بحبه..

حتى مبادرته لعناقها لدقائق طويلة بعد علاقتهما من طرفه كانت شيء أساسي..

هو باختصار صار لا يتوقف عن ضحك السعادة عبر الشريان لقلبها..

لكن ما زال عدم مبادلتها له مشاعر الحب أو الكلمات رغم أنها تهتم به كثيرا وتشعره بالحب من خلال تصرفاتها..

لأنه يريد المزيد.. فهو يعبر لها عن اشتياقه لها وأنه لا يستطيع الانتظار حتى يكون معها حتى وهو في العمل..

لكنه الآن يفهم عواطفها الحساسة ورقة قلبها وخجلها وهذا ما يدفعه إلى منحها المساحة الكافية دون الضغط عليها أكثر..

لكن بالتأكيد مستقبلا يريد أن تكون معه أكثر انفتاح وقل تحفظاً وخوفاً من الاستسلام والانجراف في مشاعرها له..

فهو يحاول ألا تندفع نحوه بل تتأني في تفسير مشاعرها وتحاول السيطرة عليها..

على عكسه هو الذي يعبر بتصريح عبارات الحب المتبادل
بينهما ولا يحاول إخفاء مشاعره نحوها..

=====
=====

علت طرقات باب شقة جالا لتخرج من حجرة نومها وهي
تربط منزرها المنزلي الحريري ثم فتحت الباب..

جفلت جالا قليلا متفاجئة لمرآ حماتها فهي منذ أن عادت للمنزل
هنا ولم تلتق بها إلا مرات معدودة ولم تنفردا الاثنتين أبداً..

قالت روعة المُمسكة بالصينية بهدوء بينما تمدها لجالا

((جلبت لك بعضا من الأطباق التي صنعتها اليوم للغداء))

ترددت جالا قليلا وهي تفغر شفيتها وتنظر للصينية ثم بسرعة
مدت يديها تلتقطها منها وهي تقول بارتباك هامسة

((لماذا أتعبت نفسك يا عمة.. لقد صنعت الغداء))

قالت لها روعة بهدوء وهي تضم كلتا يديها ببعضهما

((قلت بنفسى أنك ربما لن تستطيعي صنع شيء بسبب تعب
حملك))

وضعت جالا الصينية على المنضدة القريبة منها ثم قالت
بابتسامة متوترة

((لا بأس حملي هذا لا يتعبني كثيرا))

هزت روعة راسها بهدوء لها ثم ما إن همت حتى تستدير
وتغادر لتنزل الدرج نحو شقتها قالت جالا بلهفة توقفها

((لحظة يا عمة.. هل تريدن النفضل والدخول لبعض الوقت؟
ربما لنحتسي بعض القهوة؟))

التفتت لها روعة تحديق بها للحظات ثم قالت عقب أن ازدردت ريقها

((فيما بعد ليس الآن.. ثم أن الحامل لا يجب عليها أن تشرب القهوة))

قالت لها جالا مقترحة بترحيب

((حسنا.. يمكنني صنع عصير طازج لكلينا إذا أردت))

عادت روعة تطلع فيها ورغم أنها لم تنو أبداً الدخول لمنزلها إلا أن قدمها ساقناها لتدلف للداخل ببطء..

جلست روعة على الأريكة الموضوعية ببداية الصالة ثم جلست جالا مقابلها..

حاولت روعة شغل أناملها ونظرها بجلبابها البيتي تمسده بينما تقول بعفوية

((كيف حالك الآن يا جالا؟ وكيف هو حملك؟))

تمتتمت جالا بحمد وهي تهز رأسها

((الحمدالله))

مرت عليهما دقائق صمت لتبترتها جالا هامسة

((وأنتِ كيف حالك يا عمّة؟))

تمتتمت روعة لها هي الأخرى

((الحمدالله..))

بدا التوتر والارتباك يعم أجواء جلستهما لتقول جالا هاتفة وهي تهتم بالوقوف

((حسنا سأذهب لأعد العصير..))

قاطعتها روعة وهي ترفع وجهها لها

((ليس الآن فأنا أريد سؤالك قبل هذا عن شيء))

فغرت جالا شفيتها قليلا ثم عادت تجلس وهي تقول بفضول

((تفضلي يا عمه))

شعرت روعة بالارتباك والتوتر الشديدين مما ستسألها خاصة وعيني جالا تحدقان بها لكنها قالت أخيرا بصوتٍ لا حياة فيه لكن حاولت جعله طبيعيا

((لم يتحدث مراد معي أبداً بشأن السكن بعيدا في منزل مستقبل عن هذه البناية.. وكنت أقول في نفسي.. أعني..))

ضاعت الكلمات من روعة فصمتت منتظرة أن تقول جالا أي شيء بلهفة وقلوبٍ منتفض لترد جالا عليها بعقب وهي تعقد حاجبها

((أي سكن بعيد عن هنا.. الشقة واسعة وكبيرة ولن نجد في القرية مكانا أفضل منها للسكن))

ابتلعت روعة ريقها ثم لعقت شفيتها ثم همست

((لقد كنت أظن أنك قبلتي العودة بشرط السكن بعيدا عن هذه البناية كما عرضت عليك مسبقا))

اتسعت عينا جالا تقول دفاعا

((ماذا؟ بالتأكيد لا أجرؤ على طلب هكذا أمر.. كيف اطلب من مراد السكن بعيدا عن والديه وهو وحيدهما))

ردت عليها روعة ببعض الخشونة

((هل نسيت أنك في إحدى المرات غادرت لبيت أبيك رحمه الله
وقلتي أنك لن تعودى إلا حينما يجلب لك مراد شقة منفصلة عن
هذه البناية لتسكني فيها!))

ساد صمت طويل ولم تتحرك عضلة في ملامح جالا التي
تجمدت ثم أشاحت بوجهها لتأخذ نفسا قبل أن تنتظر لها وتقول

((نعم صحيح.. لكني تراجعته.. كان قصدي أني أوصل له أني
سئمت ولم اعد تحمل تحكمتك وتداخلاتك بي.. ولان مراد كان
يجبرني على التردد على منزلك ودخوله يوميا))

رفعت روعة احدى حاجبيها وهي تقول لها باقتصاب

((لم يعد هناك الآن من يجبرك على الدخول عندي.. إذا لم يكن
من خاطرك أن تدخل بي بيت حماك بارادتك فلا تدخله))

نفخت جالا وجنتيها ثم قالت لها بعبوس

((لا اقصد شيء ولكنك لا تتوقفين عن التعمد للإساءة لي
ولامي.. وخاصة أمام جاراتك لذا من الطبيعي ألا أحب أن
ادخل منزلك.. هذا بعيدا عن كونك تطلبين مني أن أنهك نفسي
بتنظيف الكثير من أثاث منزلك التنظيف أصلا فقط لمعاملتى
مثل الخادمة لديك))

ردت عليها روعة فورا بتلقائية

((كله صار من الماضي.. هل رأيت أو سمعت مني أي شيء
قد يزعجك منذ أن عدت للشقة وبالمرات القليلة التي دخلتني
فيها بيتي مع مراد؟))

تمتمت لها جالا مجيبة بامتعاض

((في الحقيقة لا))

لكنها لم تعد إلا من مدة قصيرة لذا لا يمكنها أن تحكم من الآن
بأن والده مراد لن تتعرض لها بأي إساءة متعمدة مستقبلاً..

تتحنت روعة قليلاً والارتباك يكسو محياها وهي تقول
بصعوبة وتعثر

((وأيضاً.. ربما هناك موافق كنت أتمادى فيها ضدك.. لذا أنا
أسفه بشأنها))

قالت لها جالاً بصوتٍ خفيضٍ وهي تطرق بعينيها أرضاً
((سامحك الله لقد نسيتها))

الحقيقة هي لم تنسَ أغلب تلك المواقف ولا تظن أنها ستفعل
فالأذى الذي لحق بها من والده مراد كثير..

لم تنسَ أبداً الكثير من الأمور الكثيرة التي فعلتها بها ومن
ضمنها..

اتهامها بأنها فرطت بشرفها مع خطيبها السابقة..

محاولاتها المستمرة لجعل مراد ينفصل عنها..

جعلها تمر بوقت صعب بأول مرتين أجهضت بهما..

محاولاتها تقريب مراد من سهر خطيبته السابقة..

سماحها ليارا بالتمادي بأفعالها وأقوالها تجاهها..

سارعت جالاً تهز رأسها تنفض كل هذه الأمور عن رأسها فهي
تريد أيضاً نيل السلام ولا تريد افتعال المزيد من المشكلات..

فضلاً على أنها تشعر بأن هذه المرة بالذات ستكون مختلفة..

فيكل مرة كان مراد هو من يؤكد لها أن الأمور ستتحسن وإن
امه ستغير معاملتها معها..

لكن هذه المرة جاء التأكيد من والدة مراد نفسها..

رفعت جالا وجهها تنظر لها قائلة

((لا بأس.. وأنا أيضاً سامحيني إذا أحننتك أو أزعتك باي
تصرف من تصرفاتي الهوجاء))

أخذت روعة نفساً عميقاً ثم قالت بخفوت وثبات وهي تهز
رأسها

((أسامحك.. وأتمنى أن نفتح صفحة جديدة بيننا.. على الأقل من
أجل ابني ومن أجل الطفلتين حتى ينشأن بأسرة سعيدة))

عم الصمت بينهما لدقائق ثم قالت روعة وهي تعتدل واقفة
ببطء يناسب عمرها

((نادي لي لين وروعة الصغير لينزلوا معي فجدهم يريد
تمضية الوقت معهم))

ابتسمت لها جالا وهي تقول مستجيبة

((حسنا سأناديهن الآن))

خطت روعة باتجاه الباب وقبل أن تفتحه التفتت تقول لجالا

((وأنت أيضاً لا ألزمك أي شيء.. لكن إذا أحببت فراقهم
بالنزول لمنزلي ولو مرة بالأسبوع.. مثلاً لساعتين.. دعينا بأحد
المرات نتناول جميعاً الغذاء معا كما السابق))

من أكثر الأمور التي افتقدتها روعة بصدق منذ تلك المشكلة
هي جمعهم جميعاً بأيام العطل حينما يجتمعون حول مائدة
واحدة..

نظرت لها جالا بجمود ثم ردت عليها بما جلب البسمة المجردة
لها

((بالتأكيد سأنزل معهن.. ومن الأسبوع القادم سأبدأ النزول
عندكم كل يوم جمعة لتناول الغداء والعشاء))

اللحظة شعرت جالا بالشفقة عليها جدا فهي تريد منها النزول
لبيتها وتناول الطعام حتى يجلس ابنها مدمن العمل في المنزل
عندها لأكبر وقت ممكن..

وكانت تريد جالا حقا أن تخبرها بأنها ستعود مثل السابق
وستبدأ حتى بتناول اغلب وجبات الطعام عندها يوميا..

لكنها قست قلبها وتراجعت واكتفت بما قالتها..

تخاف إذا ما عاد الوضع كالسابق أن تعود والدتها مراد لعادتها
المتسلطة المتحكمة وتعود للتدخل بها والتحكم حتى في تدخلها
بها في أدق خصوصياتها بما ينغص عليها استمتاعها بحياة
خاصة..

أو حتى تحريض مراد على قضاء وقت اقل معها ولومها إذا ما
أخرجها مثلا للتنزه بيوم الإجازة..

لذا أفضل شيء الاعتدال..

لا داعي لزيارات يومية ولا داعي للبقاء عندها لساعات
طويلة..

فتحت روعة الباب وهي تقول

((حسنا سأنزل لشقتي بالأسفل.. وانزل البنيتين بعد قليل))

وقبل أن تخرج من عتبة الشقة توقفت وهي تنتظر لجالا التي
هتفت

((لحظة يا عمه))

اقتربت جالا منها مبتسمة بحماس ثم أردفت وهي تنظر اسفلا
لأناملها التي تتشغل بهم

((عمة.. ذهبت صباح أمس مع مراد للمشفى للكشف عن
جنس الجنين))

قالت روعة بدهشة

((حقاً؟ لقد كنت أتساءل أينما ذهبتهم صباحاً بالأمس.. احمممم..
اقصد وماذا كان جنس الجنين؟))

نظرت لها جالا ببهجة قائلة

((لم نعرف بعد لكن سنعرف الليلة هذه))

ضيقت روعة عيناها هادرة

((لم افهم))

تنهدت جالا ثم شرحت بفرح لها

((أردنا هذه المرة أن نعرف أنا ومراد جنس جنينا بطريقة غير
تقليدية.. فطلبت من الطبيبة أن تكتب جنسه بورقة ولا تخبرنا
إياه وأعطيت الورقة التي تحمل جنس الجنين للينا ورانسي..
وأخبراني أنهم سيتولين تطبيق فكرة المفاجأة والتي تكشف
جنسه من خلال اللون الذي تخفيه الفلوة سواء الوردي إذا ما
كان بنتا أو الأزرق إذا كان صبياً))

سألته روعة بفضول وهي لم تفهم بعد

((وكيف ستعرفين الليلة؟))

ردت عليها جالا وعيناها تتلألأ لأن ببريق لافت

((بعد قليل ستأتي رانسي وتجلب لي البالونات وقالب الحلوى..
وليلا سنعرف من خلالهم جنس الجنين))

ابتسمت روعة وهي تسارع القول بلهفة

((حقاً؟ إذا سارعوا فوراً لإخباري بمجرد أن تفتحوهم))

قالت لها جالاً أكثر عن الموضوع

((كنا سنقيم الليلة بعد عودة مراد من العمل احتفالاً صغيراً جداً بالبيت مع البننتين ولكن إذا لم يكن عندك مانع يمكننا فتح البالونات وقالب الحلوى بالشقة عندك.. وأنا من سأتولى تنظيف أي فوضى بعد الحفل))

سارعت روعة ترد عليها ببهجة كبيرة

((ماذا؟ بالتأكيد.. أكيد لا أمانع.. هل احضر مأكولات وحلويات بهذه المناسبة؟))

هزت جالاً راسها نافية وهي تقول لها

((لا لا داعي لقد جهزنا لكل شيء وستحضر رانسي كل ما يلزمنا بعد قليل.. وأنا متأكدة من أن رانسي أخبرت راجي عن جنس المولود ولم تستطع كتم الأمر عنه وهو من جهة سيكون قد أخبر أمي وشقيقتي وباقي أفراد العائلة إلا أنه بهذه البناية فنحن سنعرف جنسه جميعاً بنفس الوقت الليلة))

بعد ساعات..

فتح مراد باب شقة والديه كما هي عادته منذ زواجه بعد عودته من العمل بالدخول لشقة والديه أولاً لبعض الوقت قبل الصعود لشقة والديه..

ثم وضع بعض أكياس المشتريات وهو يقول هاتفاً بينما يدلف لداخل الشقة

((أمي جلبت بعض الفاكهة معي.. ماذا أعددت على العشاء؟
سأكل القليل فقط ثم سأصعد فوق لأننا سنقيم احتفالا صغيرا))
خرجت روعة من المطبخ وهي تخلع منزر المطبخ بينما تقول
مفتعلة الفضول

((احتفال ماذا يا مراد؟))

جلس مراد على احدى الأرائك متنهدا بتعب وهو يقول
((الحقيقة يا أمي لم افهم ما قالت لي جالا بالضبط ولكن سيكون
هناك حلوى وبالونات.. وأيضا مفاجأة أخرى جميلة.. لكن لن
أخبرها لك ولابي الآن))

اندفعت لين من غرفة الضيوف وهي تهرول بلهفة باتجاه أبيها
الذي اخفض جسده ليحملها ويضعها بحجره ثم يلثم جبينها
هادرا

((لين الجميلة حبيبة أبيك.. أين هي أختك؟))

كنتف روعة ذراعيها وهي تقول ردا على كلام مراد السابق
بينما تتميز غيظا لأنه لم يخبرها قبلا عن موضوع الاحتفال

((لسنا بحاجة لتخبرنا عن شيء.. قالب الحلوى وبالونات
هناك بغرفة الضيوف سنفتحهم بالداخل وأنت اصعد للشقة
وأبقى فيها لوحدي))

ابعد مراد لين التي كانت تحتضنه قليلا بينما يقول بدهشة لامة

((ماذا؟ هل جالا بالداخل؟))

هزت امه رأسها قائلة

((نعم بالداخل))

بهذه اللحظات خرجت جالا التي كانت ترتدي ثوبا منزليا احمر
بدت فائتة به فانحدرت عيناه الشغوفتان بها لا اراديا نحو بطنها
ليلاحظ الانتفاخ الطفيف الظاهر من ثوبها..

قالت جالا بلهفة وبهجة وهي تتقدم منه وتتنظر لعينيه ذات اللون
البندقي الساحر

((مراد لقد جهزنا أنا وأمك كل شيء.. تناول القليل من طعام
الغداء وارتاح قليلا قبل أي شيء))

تذمرت رورو هاتفة باعتراض وهي تخرج من غرفة الضيوف
((ماذا! هل سننتظر حتى ينهي أبي طعامه! دعيني أولا نفتح
البالونات))

ضحك مراد بخفوت على حركة ابنته الحائقة ليقول بينما يضع
لين على الأرض وينتصب واقفا من مكانه

((حسنا يا لين الجميلة دعيني فقط اغتسل سريعا فوق وأغير
ملابسي لأخرى مريحة ثم سنفتح البالونات سويا))

قالت له لين وهي تشير بكفها للباب بصوتٍ طفولي
((هيا بسرعة اصعد فوق يا أبي))

وكانت دقائق حتى عاد مراد ليدلف لشقة والديه وكل من لين
ورورو تتشبهان بكفيه ويحثانه على الإسراع بدخول غرفة
الضيوف حيث تتواجد روعة وزوجها وجالا..

كان هناك عدد من البالونات الغير الشفافة والممتلئة بغاز
الهيليوم معلقة في السقف ويتدلى منهم الشبر..

وعند دخول مراد أمسكت جالا يده تجره للداخل وهي تعطيه
إبرة صغيرة ليفجر أكبر بالون بينهم..

دقائق من التشويق وقرع الطبول حتى فجر مراد أكبر بالون
منهم لتتناثر قصاصات من ورق الحفلات والبالونات الصغيرة
الملونة باللون الوردي كلون موحد لهم جميعا..

قالت لين ببهجة وهي تنظر فوق لامها

((لونهم وردي.. هل ستكون بنت يا أمي؟))

سمع مراد صوت ابنته المبهور ليقول بعاطفة أبوية فياضة وهو
ينخفض ليلثم وجنتها هادرا

((نعم أنها كذلك.. أميرة ثالثة قادمة عنا))

تقدمت منه رورو هاتفة ببهجة ليحتضنها هي الأخرى ويلثم
رأسها بحنان..

ثم استقام لتقول له جالا مبتسمة وهي تطالع عيناه بينما تمسك
ذراعه بكلتا يديها

((هل أنت سعيد يا مراد؟))

رفع مراد ذراعه يحيط كتفها يقربها منها بينما يلثم جبينها قائلا
بامتنان لها

((بأقصى حالات سعادتي يا مليكتي))

ابتعد مراد قليلا عن جالا وهو ينتبه لوجود والديه..

اقتربت منه روعة التي كانت تصور بهاتفها المشهد ثم وضعته
على الكرسي قائلة بصدق مشاعر فرحها وهي تحضنه

((مبارك يا ولدي.. اهم شيء أن تأتي بكامل صحتها وتكون
ابنة صالحة))

لثم مراد ظاهر يد امه داعيا الله أن يحفظها هي ووالده له بينما
التفتت روعة لجالا تهنئها

((مبارك لك يا جالا))

اتسعت ابتسامه جالا وهي تشكرها

((شكرا لك يا عمه))

التفت مراد ينظر لأبيه الذي كان جالسا مكانه يخبره

((مبارك لك يا ولدي.. أنا سعيد من أجلك))

انخفض مراد يلثم جبين والده شاكرا

((شكرا لك يا أبتى))

قفزت لين مكانها بلهفة

((لنفتح قالب الحلوى يا أمي.. ماذا سيكون لونها؟))

ناكفتها رورو وهي تلتكز كتفها

((بالتأكيد وردي يا ذكية))

هرولت لين لمراد ترجوه بطفوليه

((أبي دعنا نفتح القالب الآن.. الآن يا أبتى))

ضحك مراد على لين وهو يقول بمحاولة تهدئة حماسها المفرط

((حسنا على رسلك يا لين))

توجه نحو الطاولة الموضوع عليها صناديق صغيرة وزهور

وشموع وإكسسوارات خاصة بالمواليد الجدد وبمنتصفها قالب

حلوى كبير تم إعداده بالكريمة البيضاء من الخارج..

التقط مراد السكين الكبير وقيل أن يهم بقطعه مسك يد جالا

ووضع راحة يده فوقها ليقطعا سويا القالب..

مدت جالا لتسحب قطعة من القالب لتظهر كريمة السكر بلون
وردي من بين طبقاتها ثم وضعتها فوق طبق..

أمسكت الطبق وسحبت شوكة لتقطع منها جزئيا ورفعت يدها
تقريبها من ثغر مراد ليتناولها..

عاد مراد يعانقها بينما تمتد يده دون شعورٍ منها لتلامس بطنها
ببطء وهو يحمد الله على قدوم فرد جديد لعائلته..

=====
=====

بعد مرور ست أشهر..

مساءً..

في منزل راجي..

كان الضحك والبهجة يعم الأجواء حول منضدة الطعام التي
يجتمع حولها مع رانسي وجالا ولينا وأمينة أرملة فيصل..

كانت جالا تتابع بنظراتها الجميع ولم يخف عليها السعادة التي
كانت ظاهرة على رانسي..

فعلی الرغم من أنها لم تكن تضع أي زينة أو مساحيق تجميل
على وجهها إلا أنها بدت متأقّة..

ولون بشرتها بدا متوهجا..

انتصبت جالا التي لم يمض كثيرا على إنجابها ابنتها التي
اختارت لها اسم "مرام" ..

ثم قالت بصوت جلي

((عليّ العودة الآن قبل أن يحل الظلام.. هل اطلب من مراد أن
يصحبني من هنا أم ستوصلني يا راجي؟))

هتف راجي بها وهو يقف من مكانه

((سأوصلك يا جالا.. انتظريني حتى اجلب مفاتيحي))

انتظرته جالا حتى يحضر المفاتيح بينما تحيط كتفي لينا
بذراعها قائلة بمودة

((إلى اللقاء لينا.. أراكي مجددا))

ابتسمت لها لينا بلطف بلامحها الهادئة المترنة قائلة

((إلى اللقاء وقبلي الصغيرات الثلاث عني))

هزت جالا راسها لها مبتسمة ثم خطت نحو الباب ليقفز ابن لينا
الصغير سند مهرولا نحو الراجي متشبثا به ليهتف له بطولية
حماسية

((أريد ركوب السيارة معك))

هتف راجي للينا وهو يلتقطه ويحمله بذراعه

((سأخذ هذا البطل الصغير ليقود معي))

هزت لينا راسها لراجي بموافقة وهي تنظر بتمعن لنظرة
التوهج والسعادة في عيني صغيرها..

وأمنية أيضًا حدقت بالطفل سند حتى غادر مع راجي البيت ثم
نظرت لوجه لينا قبل أن تنتهد بحزن..

التقطت آمنية شوكتها تعاود إكمال الأكل من الطبق أمامها قائلة
بصوتٍ محايد للينا

((أنا سعيدة فعلا بأنك وجالا تقربتما من بعضكما فلا يجوز أن
يضل البعض بينكما بعد مرور هذه السنوات وبعد أن كبرتما
وصرتن أمهات))

قالت ليئا لها موافقة بصوتها الهادئ

((لسنا مقربات كثيرا بعد.. ولكن على الأقل صرنا بعيدين كل
البعد عن بعض ومشاكل الماضي))

رفعت ليئا بصرها نحو رانسى التي تجلس أمامها وتبتسم لها
((الشكر لرانسى طبعاً فهي من تصر على جعل جالا تحضر
عندي بكل زيارة لها))

تأملتها رانسى بسعادة مبهجة وهي تستند على راحة يدها قبل
أن تقول للينا

((شقيقتي تكبرني بالكثير وهناك فجوة عمرية وفكرية بيننا.. لذا
لطالما تمنيت أنا امتلاك أخت قريبة من عمري.. أنتما الاثنان
بمنتهى السخافة للتصرف بهذه الطفولية طوال تلك السنين.. من
المفترض أن تكونا صديقتان مقربتان))

أومات ليئا برأسها ثم قالت شاردة

((ها قد صححنا وضعنا السابق وصارت علاقتنا أفضل من
السابق بكثير))

لنصف ساعة استمرا بمبادلة الحديث فيما بينهم..

ثم وظبن مائدة الطعام وأخيرا جلسن بالصالة أمام التلفاز..

سمعن صوت فتح البوابة الخارجية لتقول ليئا بعد دقيقة بترقب
وهي تنظر لرانسى

((لقد جاءت سيارة راجي.. لماذا لم يدخل بعد هو وسند؟))

قامت رانسى من موضعها ثم خطت نحو النافذة تنظر لهم
مبتسمة وهي تقول

((لا تقلقى.. سند يعدو ويقفز في الحديقة بالخارج وراجي
يلاعبه))

قالت لها ليانا وهي تعتدل واقفة من مكانها وتقف بجانب رانسى
أمام النافذة

((راجي يحب الأطفال جدا))

همهمت لها رانسى بتأكيد

((نعم هو كذلك))

جاءهم من الخلف صوت أمينة بغثة وهي تتساءل لتلفتا كلتاها
لها

((لماذا لم تحملي حتى الآن يا رانسى؟ وقبل ذلك كنت متزوجة
لسنوات من رجل آخر ولم تنجبي منه))

اتسعت عينا ليانا بصدمة لتطلق منهما شرارات ترشقها بأمينه
بحدة تؤنبها على سؤالها الغير ملائم..

بينما احمر وجه رانسى قليلا لتطرق راسها بتردد ثم تقول
بعفوية

((بالنسبة لعدم حملي.. أنا بالفعل أراجع الطبيبة للحمل))

تمتت أمينة بخفوت وعدم اقتناع متجاهلة تحذيرات ليانا لها
ولومها

((فعلا؟ لأن عمرك بالضبط خمسة وثلاثون.. العمر يجري
بك))

سارعت ليلى تنظر لرانسى قائلة بصدق وود بينما تمسك كتفها
بدعم وهي تقاطع كلام أمينه

((أنا بالفعل أدعو لك بالحمل بصلاتي كلما أذكرك.. لم يمض
سنة على زواجك من راجي))

نظرت رانسى لها بامتنان قبل أن يصدر صوت فتح باب
المنزل ليدخل راجي وهو يقول بينما يضع سند على الأرض
ليهرول الصغير باتجاه امه

((سند البطل جاء ويريد تناول طبق طعامه الذي رفض إكماله
سابقا.. صحيح؟))

حملت ليلى سند ليقول هاتفا لامه بطفولية

((لكن بعد أن انهيه كاملا سنعود للعب بالخارج))

رفعت ليلى ذقن طفلها وهي تقول له برفق

((لا يا سند لقد تأخرنا وعلينا العودة للبيت))

تقدمت رانسى قائلة باعتراض وهي تمسك كتف ليلى

((لماذا تريدان العودة؟ ابقى لمدة أطول هنا))

زم راجي شفتيه وهو يتقدم منهم ليقول رافعا حاجبيه بصوت
محايد ذان مغزى

((إذا كانت تريد العودة فلا تضغطي عليها يا رانسى))

قالت ليلى موافقة وهي تعدل من طريقة مسكها لسند جيدا

((نعم الوقت متأخر وأريد أن أجهزهما للنوم.. لدى أخته مدرسة
بالغد))

قال راجي بتأكيد وهو يضع عينيه بعيني رانسى

((أوه فعلا معك حق يا والدة سند))

نظرت رانسي لساعة الحائط المعلقة لتقول مضغنة الجبين

((لم تتخط الساعة السابعة بعد.. ضلي قليلا.. من اجل سند على الأقل))

قالت ليئا معتذرة وهي تثبت سند الذي تحمله بذراعاها بينما تمسك يد طفلتها

((مرة أخرى لكن يجب علي الذهاب الآن))

تململ سند بضجر وحنق وهو يقول لامه برجاء يرحها بصوته الحزين المتحشرج المنذر ببكائه

((أمي لنبقى قليلا هنا.. أريد أن اركض مع عمي راجي))

تقدم راجي منها يفتح يديه لينزل سند من ذراعي امه ويهرول ناحية راجي الذي قال له معاتبا تبرمه الطفولي

((لماذا البطل بدأ يبكي؟ تعال للمطبخ معي لأعطيك بعض الحلوى))

استسلمت ليئا لهما وهي ترى كيف يتمسك سند به ويحتضنه ويمسكه بسعادة وبهجة طفولية..

داخل المطبخ كان يمسح راجي على شعر سند الجالس فوق منصدة الطعام وهو يراه يلتهم خبزا مدهونا بالشكولاتة..

التفت راجي نصف التفاتة للخلف ما إن شعر بدخول أحدهم ليرى أمينة تتقدم وتحمل سند من على الطاولة قائلة بجفاء وهي ترمي الكلام

((هات اعطيني إياه.. لو كنت حقا تهتم به لكنت ضمته لجناحك واعتبرته ابناً لك بدلا من الاهتمام الذي يقاته منك من يوم لأخر))

رشقها راجي بنظرات حادة وبسرعة عاقداً حاجبيه بينما يرد
على تلحينها له

((زوجة عمي ما الداعي لهذا الكلام؟ ألن ننتهي من هذا الموال
كل فترة؟))

قالت له أمينة متأففة

((لا تتعب نفسك بالتفكير.. هذه أخطر مرة أجلب لك سيرة هذا
الموضوع فقد ينست منك ومن محاولة إخراج حَمِيَّتِكَ على ابنة
عمك))

ظل راجي صامتاً للحظات طويلة يحرق بها بعدائية وبدا ظاهراً
أنه يستطيع الرد عليها بالكثير من الكلام..

لكنه أثر السكوت فمهما أوتي من بلاغة لن يستطيع إفهامها أنه
يمكنه أن يُكن خير سندٍ لاي واحدة من بنات عمه دون الداعي
للزواج منها..

أخيراً قال راجي لها متجهماً بصوتٍ خفيض

((كل مرة تقولين أنّ هذه آخر محاولة يائسة منك لفتح هذا
الموضوع لكن سرعان ما تعودين لذكر الأمر أمامي.. متى
سننتهي حقاً؟))

قبل أن يتركها راجي مغادراً المطبخ قبلها وقد ضجر من الأمر
حقاً..

.

.

بعد ساعات.. في حجرة النوم..

قال راجي المتمدد على السرير بينما يضع كلتا ذراعيه تحت
راسه وينظر للسقف سارحاً باقتضاب

((لا تعجبني زيارات زوجة عمي لنا خاصة عندما تعرف أنني متواجد في البيت))

قالت له رانسي وهي تنتصب واقفة من أمام منضدة الزينة عقب أن أنهت وضع الكريم الليلي على وجهها

((لماذا؟ أنا اسعدُ فعلا عندما تقبل لنا دعوتي للمجيء هنا))

تزحزح راجي من موضعه لداخل السرير يتيح لها مكانًا لتنام بجانبه عقب أن أطفأت الإضاءة..

تنهد راجي ثم قال لها بجدية

((نعم لنا لا مشكلة بها لكن زوجة عمي لا أحب أبدًا أن تزورنا.. بل ما عدت أحب أن أتحدث معها أبدًا))

التفتت له ترشفه بملامح ممتعضة ثم هادرت بصوتٍ مستنكر

((ما هذا الذي تقوله؟ هل تريد مني أن أقول مرة أخرى للينا أن تأتي بدون الحاجة أمينة؟))

زفر راجي بضيق وهو يستلقي على جانبه لجهتها ثم رفع رأسه وسنده على كفه قائلاً

((لم اقصد.. حسناً.. انسي الأمر))

تقوست شفتا رانسي للأسفل وهي تسأله بقلق

((لماذا تبدو حانقا عليها؟ هل حدث شيء؟))

نظر راجي لها للحظات بوجهه بدون أن يرد قبل أن يتنهد وينقلب على ظهره بينما يكتف ذراعيه قائلاً بجدية مفتعلة

((أريد أن اسمك تتغنين لي بالحب والغزل.. أنا بانس وبجاجة لذلك))

ضحكت رانسى بخفوت عليه ثم قربت وجهها تنظر له بتجهم
مصطنع وهي تقول له مبررة بغنج أتقنته بدون أن تتعمد تعلمه

((أنا لا اعرف كيف أقول كلاما معسولا مثلك))

فعلا هي ليست بارعة بالكلام مثله..

لكنها تحبه.. تحبه أكثر مما يفعل وأكثر مما يكنه بداخل قلبه
تجاهها..

وهو يعرف ذلك بشكل أكثر من جيد..

أبقى راجي الحنق والامتعاض منها مرسومان على وجهه وهو
يستلقي على جانبه من الجهة الأخرى ويعطيها ظهره..

قالت له بحزن ظاهري وهي تكلز كتفه بدلال

((لماذا أعطيتني ظهرك! حسنا..))

مالت بقرب أذنه هامسة بصوتٍ متحشرج تمنحه بعض ما يريد
وكانها تسترضيه

((أنا احبك يا حياتي))

أغمض راجي عينيه وهو يشعر بأنفاسها تداعب جانب بشره
وجهه قبل أن تقبل ما بين عينيه وهي تبتسم عفويًا..

فتح عينيه وهو لا يزال على وضع جسده ليشاكسها فيقول لها
بصوتٍ مقتعل الاقتضاب بينما يظهر لها ملامح متعنتة بغير
رضا

((لا يهمني.. فكما تعلمين الاهتمام لا يطلب أبدًا.. ولم تعد قيمة
لاي كلمة من كلماتك الآن))

مدت رانسى أناملها الرقيقة تمسح على شعره بينما تقول له
بصوتٍ واهن تستمر باصطناع الحزن

((إذن لم اعد الآن غزالتك أو قمرك الأجل؟))

ابتسم على مشاكستها بدون أن تنتبه ثم خرج صوته حانقا بينما يقول

((بالضبط صرت الآن بالنسبة لي اللقب الثالث الذي أعطيتك إياه))

عقدت حاجبيه تسأله بتفكير

((أي لقب ثالث؟ هل تقصد لقب "صديقة لنا؟"))

رفع راجي وجهه يناظرها بينما يقول رافعا احدى حاجبيه مظهرا الجدية في مناغشة عاطفية

((نعم.. بالضبط يا صديقة لنا.. ربما مستقبلا ستحزمين أغراضك وتذهبين للسكن عندها بنهاية الشارع وتزوريني مشكورة ساعتين في الأسبوع))

ابتسمت رانسي بشقاوة وهي تناكفه

((ربما افعلها.. سعيدة باقتراحك هذا جدا))

لانت ملامح راجي قليلا وهو يسألها بجدية وصدقته البنيين تطالعان عينيها في عمق

((هل حقا تحبين أن تقضي جل وقتك هناك؟))

انفجرت شفتنا رانسي لا تعرف كيف تجيبه وهو يبدو جدي في كلامه..

فقالته بخجل طفيف وارتباك وهي تخفض بصرها وتلاعب أناملها ببعضهم

((راجي أنا امزح.. لكن.. لكن اشعر أنك تبالغ.. أنا اقضي
وقتي عندها فقط عندما تكون بعملك فأنت لا تعود إلا بوقت
متأخر من المساء في كثير من المرات))

هز راجي كتفيه قبل أن يقول مبتسما بعذوبة لها وهو يرفع يده
ليلامس بأنامله شعرها الناعم الأسود

((نعم اعرف.. ولكن أحيانا تجعليني أغار من قربك من لينا
لهذا الحد.. صرتي تتحدثين عنها وعن طفليها أكثر مما تحدثين
عنا الاثنان))

صوته بنهاية الجملة صار بطينا ثقيلًا مما جعلها تقول بحرج
((لا تبالغ يا راجي))

اتسعت ابتسامته أكثر للون الأحمر الذي تلطخت فيه وجنتيها
ليقول وهو يرفع يده الأخرى لتحاطا وجنتيها وقد داع ثغره
ابتسامه رقيقة

((حتى لو كنت مشغولا يمكنك أن تتحدثي معي بخصوص أي
موضوع بدلا من الحديث عن أخبار لينا.. صدقيني يمكنني أن
أكون صديقا جيدا بجانب كوني زوجك))

هزت رانسي رأسها في طاعة وخجل وهي تقول بصوتٍ
خفيض

((حسنا سأفعل..))

ظل ينظر لها للحظات قبل أن تتلاشى ملامحه السابقة ثم قال
راجي متسائلا بجديّة

((هل تزعجك زوجة عمي عندما تقومين بزيارة لينا؟))

لم تفهم رانسي عليه فنظرت له بتوجس قائلة

((تزعجني بماذا تحديدا؟))

هز راجي كتفيه ثم قال بفضول

((لا اعرف.. لكن هل تقول شيء يثير إزعاجك بحدِيثها أو شيء من هذا القبيل؟))

لم تستطع رانسي أن تفهم مغزى كلامه فقالت بصوتٍ خافتٍ

((لا أبدًا إنها تعاملني بلطف بالغ وترحب بي دائما عندما أزور ليينا))

شرد راجي بعينه جانبا ثم هز رأسه بذهن غائب ليغمغم

((حسنا جيد..))

سألته رانسي بريبة وهي تعقد حاجبيها

((لماذا تسأل؟))

أجابها راجي بهدوء

((لا شيء.. اسأل هكذا فقط))

أذعنت له رانسي وهي تقول

((حسنا.. أوه ماذا تفعل؟))

شبهت رانسي ما أن جذبها راجي من ذراعيها جاعلا إياها فوقه..

قال راجي لها بصوتٍ أجش يشاكسها بشفاوةٍ محببة تتوهج من عينيه

((الآن وقت النوم وبحاجة لاستعارتك حتى أستطيع الغرق فيه بعمق وراحة))

قالت رانسى له معترضة بمزاح وهي تحاول الابتعاد عنه
والنوم بجانبه على الأقل

((استعارتى؟ هل أنا دمية اشتريتها وصارت ملكك؟))

حاوط راجي جسدها بذراعيه جيدا وبقوة يمنعها من التحرك
وهو يقول لها بعناد وإصرار اشد

((نعم أنت ملكي.. كلك ملكي.. وانا أيضا ملكك))

حافظت رانسى على تعابير وجهها المبتسمة له بينما تسأله
بصراحة وهي تمعن النظر بعينيه بوله

((هل حقا أنت ملكي كلك؟))

هز راجي رأسه لها هادرا بابتسامة عريضة وتعابير غامضة

((نعم و عليك حماية أملاكك جيدا.. هل تفهمين؟))

كان يقصد شيئا آخر لا تعرف عنه شيئا إلا أنها أجابته متهمكة

((حسنًا.. سأحميك من أي عدوان يتم شنه عليّ أو محاولة
سرقه))

تركها راجي فجأة لتتحرك جانبه بينما يبتعد قليلا للخلف
متنهدا..

ثم قال لها بتعابير هادئة

((رانسى.. أريد التحدث معك بأمر جدي))

شعرت رانسى بتوجس من التحول الغريب الذي حل عليه
لتنسأله عقب أن ابتلعت ريقها

((ما هو؟))

وقبل أن يجيبها شهقت رانسى جافلة عندما سمعت صوت هاتفها يعلو رنينه..

عقدت حاجبها وهي تنظر لراجي بحيرة ثم ابتعدت تخطو نحو منضدة الزينة حيث تضع هاتفها..

اتسعت عيناها بتوجس وهي ترى اسم ليلى يعلو شاشتها لتفتح الخط وتجيب بصوتٍ خافت

((نعم ليلى! ماذا حدث؟))

جحظت رانسى عيناها مرة أخرى لكن بفزع وهي تفغر شفتها تحاول النطق بشق الأنف بصوتٍ مرتجف

((يا إلهي.. يا إلهي هل هي بخير؟ حسنا سنأتي حالا))

أغلقت رانسى الهاتف ليقفز راجي من السرير نحوها قائلا بتحفز وقلق

((ماذا حدث لليلى؟))

قالت رانسى له بوجه شاحب وعيناها تغرورقان بالدموع

((انسكب شاي ساخن على ذراع ابنتها.. قامت بالإسعافات الأولية لها لكنها بحاجة أن تذهب بها للمشفى حالا وهي لا تعرف القيادة ومن الصعب طلب سيارة أجرة في هذا الوقت..))

التقط راجي فزع القلب بلهفة مفاتيح سيارته وهو يقول لها

((ارتدي أي شيء فوق ملابسك والحقيني سنأخذها حالا للمشفى))

.

.

بعد ساعتين.. في منزل لنا..

قالت رانسى لها داعمة وهي تمسح على كتفها بينما تجلس لبنا بجانب ابنتها على الفراش

((لا تقلقي اتضح أنه مجرد حرق سطحي من الدرجة الأولى.. ستلتئم حروق جلد ذراعها خلال فترة تتراوح بين ثلاثة وستة أيام دون أن تترك أي ندبة دائمة عليها))

تحرك حلق لبنا بصعوبة مؤلمة وارتعشت شفتاها بينما هناك دمعة تكاد تفلت من إطباق أحفانها..

فتحت لبنا عينيهما لتقول بينما تطالع ابنتها التي نامت أخيرا بعد وصلة بكاء بحرقة

((لكن لا بد أنها تؤلمها.. انظري من أسفل ذراعها حتى يدها كيف هي جافة وحمرء.. سأعرضها للتهوية طوال الليل حتى لا تستيقظ وتعود للشعور بالألم))

ارتفعت شفتا رانسى تود الحديث بشيء ما يخفف عن لبنا أكثر بدون فائدة فأسرعت تطبقهما وهي ترى دموع لبنا تتحدر هذه المرة دون رادع بصمت..

انتبهت رانسى لراجي الذي كان واقفا عند عتبة البيت يتحرك متمللا مكانه ويخطو هنا وهناك قبل أن يتنح بصوتٍ عالي وهو ينظر لها ويرسل لها رسالة بعينه أنه يريد العودة للمنزل من اجل النوم فعذا يوم عمل..

فاعتدلت رانسى واقفة ببطء متهددة وقبل أن تهم بالسير نحوه عادت تلتفت لبنا مقترحة بلهفة

((إذا اعطيني سند الليلة لأقلل من الحمل عليك))

رفعت لبنا وجهها لرانسى الواقفة ثم قالت باعتراض

((.. لا خالتي أمينة موجودة فلا داعي..))

قاطعتها رانسى بإصرار وتحفز

((لا سأخذة الليلة ولا نقاش في هذا))

اندفعت رانسى خارج الحجرة إلا أن يد راجي المحكمة أوقفها
ليقترب منها هامسا من بين أسنانه

((رانسى إذا كانت امه لا تريد فلا تضغطي عليها.. زوجة
عمي أمينة متواجدة عندها..))

استشعرت رانسى بعيني راجي رغبة مفاجئة لينفرد بها..

سمع سند الصغير ما قالته رانسى ليركض بسرعة نحو راجي
يطلب منه حمله وهو يقول له

((هل سأنام عندكم؟ سيكون ممتعا أن أنام خارج المنزل
كالكبار))

تتهد راجي مستسلما للهفة الطفل بينم يلاثم جبينه لتقول أمينة
وهي تسير نحو حجرة نوم الطفلين

((دعيه يا لينا يقضي هذه الليلة عندهم.. سأجهز له منامة
النوم))

تبع راجي أرملة عمه وهو يضع سند أرضا ويمسك يده
الصغيرة..

رأى أمينة تفتح دولا ب ملابس الصغير تتمم متذمرة بصوت
عالي

((انظر للمراتين كيف هما متحابتين لأقصى حد.. لكن المشكلة
بك أنت..))

فهم راجي ما تحاول أن ترمي له أمينه فقاطعها قائلا بخشونة

((زوجة عمي ألن تلتزمي بكلامك أبداً بأنك لن تذكر لي هذا
الموضوع مجدداً؟))

التقط راجي منها أغراض سند بفضاطة وهو يعطيها ظهره
ويندفع للخارج..

سألت رانسي راجي بعفوية ما إن خرج من الحجرة وهو يحمل
حقيبة سند الصغيرة

((هل جلبت له زجاجة الحليب خاصته ليشرّب منها صباحاً؟ لا
يشرب إلا من الزجاج الموضوع عليه صورة الدب الصغير..))
بترت رانسي كلامها ما إن ألقى راجي الحقيبة لها لتأنتقظها بكلتا
يديها بصعوبة شاهقة..

فقال راجي لها بينما يخبرها ببرود وهو يحمل سند ويخطو نحو
باب المنزل للخروج

((اجليبيها أنتِ له وانا سأسبقك للمنزل))

.

.

بعد ساعة.. في منزل راجي..

دلف راجي لحجرة النوم هادراً يسألها بصوتٍ هادئٍ منخفض
وهو يغلق الباب خلفه

((هل نام؟))

رفعت رانسي الغطاء لأعلاه ووقفت من مكانها قائلة بصوتٍ
دافئٍ خفيض

((نعم ذهب للحمام ونام فوراً على سريرك بعد أن حكيت له
قصة قصير))

ثم أردفت متسائلة وهي تخرج فراشا وتضعه أرضا

((هل ستنام على الأرض أم أنام أنا؟))

التفت راجي لها بوجوم سانلا إياها بتوجس وجدة

((ولماذا لا ننام معا كالعادة على سريرك؟ لماذا ينام أحدنا على الأرض؟))

ازدردت رانسى ريقها وهي تشعر بغضبه لكنها قالت مبتسمة
بارتباك

((سند هنا سينام معنا بنفس حجرة النوم.. ماذا لو استيقظ
بمنتصف الليل؟))

قال راجي لها مستنكرا وعاقد الحاجبين

((هل أنت مجنونة؟ وماذا لو استيقظ. أعني أنه صغير لم يتعدى
الرابعة من عمره))

ابتلعت رانسى ريقها بدون أن تنحسر ابتسامتها ترجو تفهمه
وهي تقول له

((لا أريدك أن تنام بجاني فأننا لا أضمنك ومتأكدة أن الأمر لن
يتوقف عندك لمجرد النوم وحده لذا.. إنس.. لكن أيضًا أنا لا
أستطيع أن اجعل سند ينام بغرفة أخرى لوحده))

قلقت رانسى عندما شعرت باختناق راجي منها ونفاد صبره..

لكنه سارع برسم ابتسامة متشنجة بينما يقول لها ببرود بينما
يتمدد على الفراش الموضوع أرضا ويدثر نفسه

((حسنا يا غز التي افعلي ما تريدين.. لكن لن أنسى بالمناسبة ما
تفعله بي.. لن أنسى))

ابتسامة صغيرة داعبت ثغرها لحنقه المشاكس المحبب لها بينما
تطفئ الأنوار وترقد فوق سريرها..

بينما تقلب راجي بفراشه وهو يفكر بجدية أنه أذمنها ولا
يستطيع الابتعاد عنها حتى أثناء النوم..

ولو كانوا بنفس الحجرة..

وبنفس الوقت.. غيابها عنه لدقائق قليلة يشعره بالإهمال من
طرفها..

صحيح أنه يجب عليه أن يكون سعيدا من قربها من لينا فعلى
الأقل قد أعادت ود بعض العلاقات المقطوعة في العائلة..

لكنه في بعض الأحيان يرغب في أن يشعر بأنه الأول في
حياتها والأكثر أهمية..

يريد أن يشعر بحبها له صريحا وعاصفا..

تنهد راجي بضيق وهو يغمض عينيه..

سكون ليلة عصبية بعيدا عن أحضانها..

.

.

صباحًا..

دلف راجي المطبخ وهو يقول بصوتٍ ناعسٍ منزع رغم
اغتساله وارتدائه لملابس عمله

((هل جهزتِ الفطور؟))

رأته يحرك كتفه متأوها وهو يضع سترة حلتاه فوق احدى
كراسي منضدة الطعام مردفا

((النوم على الأرض كسر ظهري))

التفتت رانسى له تسأله بقلق طفيف ظاهر على محياها

((سلامتك من كل شر.. هل يؤلمك شيء؟))

رفع راجي يده بحركها نافيا بينما يجلس على الكرسي ثم فرك عينيه وهو يعيد راسه للخلف مغمما بتعب

((لا بأس إنس سأذهب للعمل بمجرد أن أتناول فطور..))

شعرت رانسى بالذنب لما يحس به فتنهدت بضيق هادرة

((دقائق وسأضع الفطور على منضدة الطعام))

لكنها عادت تلتفت للعجة التي تعدها بينما تقول له برجاء

((سأتعبك لكن هل يمكن أن توقظ سند وتعطيه للينا لأنها لم تستطع النوم جيدا بعيدا عنه وحتى أنها أخبرتني برسالة أنها كادت أن تأتي فجرا لهننا لأخذه))

ابعد راجي أنامله عن عينيه قائلا لرانسى بملامة وامتعاض

((أرايت؟ الم اقل لك لا تأخذه! ها هي امه لم تعرف أن تنام بعيدا عنه.. أساسا زوجة عمي أمينة كانت سنتتعني به.. إذا كنت لهذه درجة تحبين الأطفال فاحملي يا سيدة وانجبي فريفا كاملا ولن يلومك أحد))

التفتت رانسى تخطو لتدنو منه ثم انحنيت لتلثم جبينه بينما تقول له بصوت رقيق ناعم

((راجي أنت تعرف أي توقفت عن تلك الحبوب لكن الطيبة قالت لي أنه من المتوقع أن احتاج عدة أشهر قبل أن احمل))

نظر راجس لها بطارف عينيه بغير رضا لتبتسم وهي تقول له بترقب بينما تعود لتقف باستقامة

((لماذا تضايقت؟ حسنا أبقى هنا وانا بعد أن اجهز الفطور لك
سأرسل سند لامة.. بيتهم باخر الحارة يبعد عنا بالكاد ثلاث
دقائق))

نظر راجي لها والشرر يتطاير من عينيه لكنه زفر بصوت
عالي متذمر وهو يقف قانلا باقتضاب

((اجلسي أنتِ هنا وانا سأذهب لأوظفه وأرسله لامة))

وكانت دقائق حتى طرق راجي منزل لينا لتفتح أمينة البيت
تلتقط سند منه مدممه مباشرة بلا أي مقدمات

((هات اعطيني إياه امه المسكينة لم تتم الليل بعيدة عنه..
أصلحك الله يا راجي.. لو كنت متزوجا من لينا ألم تكن ستنتبه
لسند وبنفس الوقت يبقى قريبا من امه؟ كانت ستسكن لينا
بالأسفل ورائسى بالأعلى وسيتفقدن سويا.. لكن المشكلة ليست
بالنساء فهن يتعاملن مع بعضهن مثل الأخوات.. المشكلة بك
أنت))

فتح راجي فاهه أثناء حديثها ينوي إيقافها عن بث هذه الكلام
الذي ترميه به كل فترة إلا أنه تراجع عن الهجوم وهو يسمعها
تكمل..

ليسألها أخيرا ببطء وحذر ما أن أنهت كلامها وهو يضيق عينيه

((هل حاولت سابقا التحدث مع رائسى بهذا الموضوع؟))

نظرت أمينة له للحظات ثم أجابت بعد تفكير مبتور بشبه
ازدراء

((لا لم افعل.. عليك أن توافق أولا قبل أن أتحدث معها))

ازدرد راجي ريقه والغضب يشع بوضوح من وجهه اتجاه
أرملة عمه..

أخذ نفساً عميقاً ثم همس بصوتٍ جامد خفيض

((حسنا يا زوجة عمي سألتصرف.. سألتصرف))

وأمام منزله توجه ليستقل سيارته بدلا من الدخول وأرسل
لرانسى على هاتفها رسالة قبل أن يشغل محرك سيارته

"سأذهب للعمل مباشرة ولن أعود لتناول الفطور"

ظهراً..

شعرت رانسى بغضب وحنق راجي منها رغم مبالغته لكنها
عرفت أنها بحاجة لتعويضه بدلا من ليلة الأمس..

كتبت له رسالة وأرسلتها ليفتحها بعد دقائق بينما هو غارق في
العمل بمكتبه

"راجي ما رأيك أن تأخذ وقت مستقطع قصير من عملك وأتي
عندك مع علبة الغداء؟ وإذا لم يكن هناك أي عملاء عندك
نحتسي القهوة معا؟ مكتبك ليس بعيدا ربما لو استقلت سيارة
أجرة سأستطيع الوصول خلال نصف ساعة؟"

إلا أنه رد بإيجاز وبرود

"لا.. سأذهب بعد قليل للمحكمة.. أنا سأكون مشغول طوال
اليوم"

عبست رانسى بشدة عند استلامها رسالته..

وليلا استهجنتم عدم وصوله أو حتى عدم إخبارها مسبقا بتأخره
كالعادة وكما يفعل إذا ما تأخر..

فتبادلت معه الرسائل النصية

"لماذا تأخرت الليلة؟"

"ماذا هناك لأعود له باكرا؟"

"باكرا! لقد تأخر الوقت بساعات عن موعد عودتك المعتاد..
على كل حال زوجتك المحبة تنتظرك منذ ساعات.. بأفضل حلة
طبعاً"

"لن أعود قبل الساعة التاسعة"

"لماذا؟ هل حدث شيء ما؟"

"لا شيء.. لكن أريد التنزه بمفردي"

"حسناً.. سأنتظرك"

وبعد ساعات شعرت رانسي بفتح باب المنزل فاندفعت خارج
المطبخ تستقبله..

كان قد أنهى مكالمة ما وهو يغلق الباب خلفه لتقول له بابتسامه
وفضول عفوي وهي تتقدم منه

((مع من كنت تتحدث؟))

أخبرها راجي ببرود وهو يتجاوزها ويجلس على احدى أرائك
الصالة

((مع زوجة عمي.. طلبت مني أن أشاركهم العشاء لكنني قلت
لها اني متعب بعد العمل))

قالت رانسي باستغراب بدون أن تنحسر ابتسامتها اللطيفة

((غريب لم تخبرني أن آتي معك))

أجابها راجي ببرود ضايقها

((أساسا الدعوة كانت لي وحدي..))

شعرت رانسى ببعض الغرابة بصوته مما جعلها تعقد حاجبيها..

جلست بجانبه على نفس الأريكة وهي تسأله باهتمام

((هل اجهز العشاء لك؟))

قال راجي بجمود بما جعل رانسى لوهلة ترتبك وهي تحاول
قراءة عينيه

((رانسى أريد التحدث معك بخصوص موضوع))

اختلفت عينا رانسى للحظة لكنها قالت بهدوء

((أنت تثير خوفي.. ما هو الموضوع؟))

التفت راجي لها قائلاً ببرود وجمود غائماً بها

((لقد كنت أفكر بابنة عمي لنا ووضعها وطفليها))

للحظات صمت راجي مغمضاً عينيه فابتلعت رانسى ريقها
وهي تحثه قائلة

((نعم وماذا بعد؟))

وسرعان ما جحظت عينها لكلامه وتحركت تقاسيم وجهها
باضطراب ما أن سمعته يقول

((قررت أن أتزوجها.. أريد أن تذهبي غدا عندها وتطلبها
لي))

ببساطة وإيجاز قال كلماته ثم انتصب واقفا من مكانه ليسير نحو الدرج ويصعده لحجرة النوم تاركا إياه مصعوقة مكانها تكاد لا تصدق ما سمعته..

بعد أكثر من ساعة..

خرج راجي من الحمام المرفق لحجرة النوم بعد أن اخذ حماما سريعا ليجد أنها قد صعدت ودلفت لحجرة النوم..

كانت جالسة على الفراش جامدة وصامتة ومغلقة التعابير ورأسها يستند على ركبتيها..

أما عيناها ثابتان على نقطة ما في الجدار أمامها..

كأنها لوح خشبي لا حياة فيه..

حاولت عينا راجي أن تقرأ ملامحها المقتضية دون جدوى..

تحرك ليفتح دولااب الملابس ويخرج منامة نوم بيئية وما إن صدر صرير باب الدولااب حتى جفلت رانسي بخفة وكأنها الآن شعرت بوجوده..

فتحركت مكانها معتدلة لترقد على الفراش وهي تغطي جسدها بالدفثار وتعطيه ظهرها..

عندما دنا راجي منها يهم لسحب الدثار ليرقد بجانبها صدر منها صوت خافت إنما حاد وصارم

((راجي.. هل يمكن أن أنام على سريري المفرد لوحدي))

اضطرب راجي للحظات لكنه حافظ على جمود ملامحه وهو يلبي رغبتها ويستدير نحو سريره..

رفع الغطاء عنه ثم تمدد فوقه وهو لا يدري لماذا أخبرها
باسخف شيء قد ينطق به طوال حياته..

لم يقل ما قاله لأنه غاضب منه هي أو لأنه مثلاً يحبها ويريدها
لدرجة حب التملك..

فهو ليس من النوع الذي يثيره أي صدود أو عدم اكتراث منها
لدرجة أن يدفعه لهذا التصرف الأحمق..

هو قطعاً ليس من النوع الذي يُستثار وينفعل لأقل سبب ممكن..

إلا أنه ببساطة توقع منها أن تلحق به ما أن يبتعد عنها وتساله
عن السبب بوضوح أكبر..

أو تعترض.. أو تصرخ به..

فيخبرها عما تخطط له أرملة عمه أمينة وما يجعله حانق تجاه
صداقتها مع لينا..

ليرى ردة فعلها تجاهه من جهة وتواجه بنفسها أمينة بأن
صداقتها ولطافتها مع لينا لا تعني أنها يمكنها ببساطة تقبل ما
تريده..

لكن وللعجب مرة ساعات على ما قاله ولم تبد ولا ربع ردة
فعل..

شعر راجي بأنه يكاد يحترق ليعرف ما تفكر به الآن..

لكن ولأول مرة رأى أن عليه أن يبتعد قليلاً عنها ويتركها تفكر
وتتصرف كما تريد..

في اليوم التالي..

مع التقاء الشمس بمغربها أوقف راجي سيارتها أمام منزله..
ثم فتح باب المنزل وداخله شوق ملهوف للهرع نحو حجرة
نومهما..

يريد فقط النظر إليها والاحتواء بأمانها ودفئها..

أكل هذا لأنه لم ينم بجانبها بالأمس ولم تستيقظ معه صباحا
وتعد الإفطار وتسير معه للخارج حتى تودعه للذهاب لعمله
كالعادة؟

دلف راجي للمطبخ والعادة لا أثر على دخولها له حتى..
يبود أنه لا غداء اليوم..

فتح راجي الثلاجة ليلتقط أي شيء موجود فيها ويأكله على
عجل..

صعد حجرة نومهما وكانت ممتدة على السرير تقرأ بكتاب ما
وتجاهلت دخوله بدون أن تبدي أي حركة.. وكأنه شبح..
سابقا.. كانت تشعر فيه بدون أن يتكلم..

بل هي وحدها من استطاعت التعرف على روحه خلال مدة لم
تتجاوز السنة حتى..

انتفضت رانسي عندما لمس كنفها وهي تقول له بخفوت بينما
تعتدل جالسة على السرير

((ماذا تريد؟))

صمتت راجي للحظات قبل أن يقول بهدوء

((أريد التحدث معك))

قالت رانسي بحدة وبرود مخفية رعشتها

((لا ليس الآن.. أنا لست مستعدة.. بحاجة للتفكير))

ابتلع راجي ريقه وهو يقاوم أهة قلب متيم بها ليسألها في نيرة
صوت هادئة خافتة

((بالتفكير بماذا؟))

زمت رانسى شفيتها وهي تواصل النظر بعيداً بوجهها العابس
والجامد قبل أن تقول

((بحاجة فقط للتفكير))

=====
=====

انتهى الفصل

غسلت هيام وجهها جيدا ثم دلفت لحجرتها القابعة في منزل
زوج أمها ياسر وهي تجفف وجهها بالمنشفة بنعومة..

جلست هيام على حافة سريرها وأسدت جفניה لدقائق قبل أن
تأخذ نفساً عميقاً..

انتصبت واقفة من مكانها وهي تتوجه نحو دولااب ملابسها
لتنشل ملابساً مناسبة لليوم من أجل عملها بعد أن صارت
تُدرس في إحدى المعاهد..

وقفت هيام أمام مرآة منضدة الزينة تعدل من ملابسها ونظارتها
الطبية..

لوهلة حدقت بنفسها وجسدها الذي كان يميل للامتلاء لكنه فقد
مؤخراً عدة كيلو غرامات..

ثم رفعت ناظرها لوجهها وبدأت بتطبيق كريم عيون مناسب
لعينيه والمنطقة الرقيقة حولها وهي تشدد على الزوايا
الخارجية لعينيهما والجفون..

توقفت للحظات عما تفعله وهي تمنع النظر بوجهها كاملاً ثم
إلى تلك الخطوط الرفيعة التي تبدأ بتهديد نفاوة وجهها في
أشاره صريحة أن أيام الشباب ولّت..

رغم اهتمامها الكثيف مؤخراً ببشرتها وترطيبها وتدليكها
وتطبيق أقنعة الوجه الطبيعية وغيرها..

إلا أنه واقع لا مفر منه لها كامراً بمنصف الأربعين تماماً أن
تخسر بشرتها مرونتها وتصيبها الكثير من التغيرات وعلى
رأسها غزو علامات التقدم في السن وظهور التجاعيد..

أمعنت هيام النظر أكثر في وجهها وهي تذكر شكلها أيام
الشباب..

نادراً ما فكرت بنفسها منذ صغرها بانها جميلة بالمعنى الحرفي
لللمة..

لكنها موقنة الآن بانها كانت جميلة.. كانت جميلة لأنها كانت
شابة..

ففضارة الشباب هي من اهم حسابات الجمال والتي لم تكن
تدركها كما لم تدرك أنها كانت جميلة بشكل أساسي لأنها كانت
شابة إلا بعدما بدأت هذه النظرة بالذبول..

تتهددت هيام بعمق وهي تنهي ما تبقى من كريم واقى للشمس
بيدها على وجهها..

انتهت منذ أشهر عدة طلاقها ولكن لا يخامرها الندم لقرارها
والفضل يعود من البشر لجميع أفراد عائلتها..

وأيضاً لها ولامتلكها العزيمة والقوة لبدا حياة جديدة وكأنها
ولدت من جديد لتنهض فيها بأهداف جديدة وتواجه الظروف
والعقبات بكل قوة..

لا تنكر الأشهر الماضية كانت أياما صعبة لم تعرف كيف
تعيشها وهل كانت خلالها تُدرج مع الأحياء أم لا وهل ستفقد
من موتتها أم لا..

وإذا ما فاقت منها وتم إنعاشها.. ماذا ستكون الخطوة التالية
بحياتها؟

حيث كانت في كل ليلة تمر مشاهد حياتها السابقة مع احمد
كالقطار السريع..

من حبهما.. صداقتهم.. الوقت الممتع الذي قضته معه.. حتى
وصلت لزواجهما..

ثم ما آلا إليه من دمار فيما بعد..

حتى وقت زواجهما كان يبدو أن القادم أفضل وان احمد سيكون
مخلصا لها لنهاية عمرها..

لكن.. البدايات دائما هكذا.. فالكل يبدع فيها..

والعبرة.. فقط بالخواتيم..

ترى لو لم يحدث معها ما حدث ولو لم تخض وتشعر بما
شعرته إيمان هل كانت لتندم على كل ما أقدمت عليه بحق
نفسها وغيرها؟

على كل حال.. من قال إن الحياة تقف لمجرد وصولها
لمنتصف الأربعين؟

فأهم شيء أنها قدرت أخيرا أن تتجرد من المجازفة وعاطفة
اللوم..

صارت على استعداد ألا تملك من دنياها إلا نفسها وعائلتها..
على كل حال.. حياتها الحالية يمكن أن تقول إنها راضية عنها..
يكفي أنها استطاعت تقريبا تجاوز الماضي بمدة اقل مما توقعت
واستطاعت اهم شيء الانتصار على نفسها..
فلأسف.. نضالها كان ضد نفسها.. فهي ليس لها عدو آخر..
ويمكن القول أن سماحها لنفسها بالتعبير عما خالجه من
عواطف ساعدها لتتخطى انفصالها بسرعة أكبر..
فهي قامت بتحويل كل حزنها إلى طاقة مُلهمة جعلتها تتعرف
إلى مكنوناتها وما تحبّه..

لم تحاول أن تلهي نفسها بأمور تبدو مرحة للوهلة الأولى..

بل ببساطة سمحت لنفسها أن تحزن وتعبّر عن غضبها
واستيائها لما حدث معها وخوفها من مستقبل مجهول..

فهي تعرف يجدا أن بعد الطلاق تبدأ معاناة أخرى لها كامرأة
عند مواجهة المجتمع حيث تم رشقها بنظرات الإشفاق أو حتى
اللوم..

إلا أن اهم ما تعلمته هو أن الشعور بالذنب لا يجعل ما فعلته
أمرا صحيحا بينما القبول بما نتج عن اختياراتها بالماضي هو
الأصح..

وإذا كانت نشوة الحب هي التي جرفتتهما لكل ما قامت به
بالماضي فنشوة المغفرة والنسيان الآن هي ما تحثها على أن
تسير قدماً في حياتها ولا تنظر إلى الوراء ولا تقبل بالبقاء في
مثل ذلك الوضع الذي لم تتوقع أبداً أن تجد نفسها فيه يوما ما..
والسعادة التي تصنعها بيدها هي الأكثر دواماً فكل ما يأتي من
الأخرين هشّ وقابل للزوال..

ستذهب بعد عملها اليوم إلى النادي الرياضي الذي صارت
تلتزم له عدة أيام بالأسبوع وتحاول بنهاية الأسبوع التوجه مع
والدتها والعم ياسر في أقرب حديقة عامة..

وفي أوقات العطل تتواصل مع صديقاتها وتتشارك معهن بعض
الاحتفالات والنزهات..

خرجت هيام من حجرتها نحو الصلاة وجلست أمام منضدة
الطعام لتبدأ بتناول فطورها مع كل من والدتها والعم ياسر في
جو يحيطه الدفء العائلي قبل أن تذهب لعملها بسيارتها..

الحقيقة أنها لم تكن تريد أن تسكن إلا بمنزلها القديم مع راجي
إلا أن والدتها وزوجها أصرا عليها بشكل رهيب أن تسكن
عندهما فهما بحاجة لرفقة..

ويمكنها القول إن اللحظات الأسعد في حياتها هي تلك القليلة
التي تقضيها في المنزل في أحضان عائلتها..

خاصة عندما يحضر أخيها وزوجته وجالا وبناتها الصغيرتين
فيدخل حضورهم في قلبها بهجة لا حدود لها..

فرؤيتهم جميعا متجمعين ولو لساعات قليلة خلال الأسبوع في
جو من المرح والسعادة يزيح عنها تعب الأيام..

إذ ليس أجمل من تجمّع العائلة معًا في أجواء من البهجة والفرح
لتقاسم الأوقات الرائعة..

هي أكثر من ممتنة لتواجدهم جميعا بحياتها..

=====
=====

بعد مرور عدة أيام..

لا يعرف بعد مرور ما يقارب الأسبوع لم قال ما قاله بل ولم هو مستمر بالسكوت حتى الآن..

لقد اعتاد منها دائما أن تقابله بالابتسامة والترحاب لدرجة تجعله هذه الأيام هو من يحرص على البحث عنها فور وصوله للمنزل..

ماذا يريد بالضبط بعد مرور هذه الأيام؟

هو بالبداية فقط كان يريد أن يُعلمها عما تريده وتنتويه زوجة عمه من الجميع..

لكن كان عليه التراجع عن الترهات التي قالها..

للحق توقع أن تحاوره وتسأله خلال الأيام السابقة أن يفسر ما قاله فيخبرها هو حانقا أنها ساذجة لان تصرفاتها هذه هي ما تشجع زوجة عمه على تفكيرها..

لكنها ومنذ ذلك الوقت منزوية ومبتعدة عنه ولا إثر لها على أنها تعيش معه بنفس المكان عقب أن صار الصمت هو اللغة المتعارفة عليها بينهما..

فبالرغم من انهما لا يزالا ينامان في نفس حجرة النوم إلا أنها تسبقه لسريرها وتنام قبل أن يدخل..

حتى أنها توقفت عن الذهاب إل لينا أو التحدث معها..

أيضًا توقفت عن إعداد الطعام أو الحديث معه..

وإذا ما حاول المبادرة بالكلام بتردد توقفه بصراحة متحججة بأنه تفكر بأمر ما ولا تريد أن تتكلم معه بحرف..

وهنا وجد نفسه أن عليه الاستجابة لها ليعرف بماذا تريد التفكير؟

نعم يعرف أنها تبادلها الحب والمشاعر..

لكن لا يريد الاكتفاء لهذا الحد.. يريد ان تغار عليه..

ان تكون متملكة بكل شيء يخصه..

فقد مر وقت مناسب جدا على زواجهما..

لكن.. الان مر اسبوع على تلك الليلة ولم تفتح معه الموضوع بعد..

وقد ضجر من الامر فهو بدأ يحس ببيته بالغربة والمرارة والوحدة وهي بعيدة عنه بنفس المكان المتواجدان تحت سقفه..

لذا بمجرد عودته اليوم من العمل سيفتحها بالموضوع مرة اخرى ويخبرها ان تفتح ما في قلبها له وبماذا كانت تريد الوقت لتفكر به..

بنفس الوقت.. في المنزل..

جلست رانسي على احدى المقاعد بمكتب راجي المتواجد بالدور السفلي من البيت بجمود وهي تنتظر للورقة التي تمسكها وتنتظر لها باصرار عجيب..

فبعد مرور ما يقارب الاسبوع من التفكير اتخذت قرارها..

تعرف ان لنا لا ذنب لها..

وبنفس الوقت ان كان راجي سيتزوج من بعدها سيتزوج فلينا هي افضل من أي امرأة أخرى..

أعطته مجالاً لأسبوع كامل أن يحاول التحدث معها أو مناقشة تلك الجملة الصاعقة التي رماها به قبل أسبوع لكنه لم يفعل..

وإذا ما حاول التحدث معها فيمجرد أن تقول له أن يبتعد عنها
حتى ينصاع لكلامها ببساطة..

هل كان ينتظر منها طوال الأسبوع أن تذهب للينا بنفسها
وتطلبها له؟

حسنا ستفعل اليوم.. بل الآن..

نعم الآن ستذهب لمنزل لينا وستخبره أنها فعلت بمجرد عودته
من العمل ليكون هذا آخر يوم لها تنام في هذا المنزل..

انتصبت رانسي واقفة من مكانها لتفتح إحدى المستندات
الرئيسية له ووضعت الورقة في إحدى المستندات ثم عدلت
النشال الذي ترتديه على رأسه وهي تتنهد بعمق تستعد للذهاب
لمنزل لينا..

لكن.. هذا الحزن الخالص الذي تشعر به قاسي..

قاسي جدا تكاد تشعر به ينتزع روحها كل ساعة ولا يكاد يمل
منذ أن أخبرها..

إلى حد أن تتمنى أن يموت فؤادها مرة واحدة.. ولا أن يموت
ألف مره في يوم واحد..

هل حقا ستكون اليوم نهاية قصتهما وسينتهي كل شيء بينهما
برمشة عين؟

لكن في بالها الليلة أن تسأله كيف يمكنه أن يكون على هذا
النحو القاسي حيث يشبعها بكلام وغزل يقطر منه العشق ثم
يخبرها أن يريد الزواج؟

ولكنها لا تستطيع ذلك..

فهو سيتزوج من ابنة عمه لأنها بحاجة له بينما هي لم تحمل
حتى الآن بطفل منه..

رمشت رانسى بأهدابها بشكل متكرر وسريع تمنع انحدار دمة
من احدى عينيها..

هل.. ربما لم يكتب الله حتى الآن أن تحمل منه لتنتهي قصتهما
بلا أي صعوبات أو تعقيدات؟

رباه.. فكرة أنها لن تكون له ولن يكون لها كما سبق واكد
باستمرار على مسامعها يجعلها تشعر بحزن مميت..

وما أصعب الشعور بالحزن خاصة عندما يكون حد العمق
وكانه كامن في داخلها ومتسببا لها بألم عريق..

وحتى لو تحررت منه لاحقا كيف ستستكمل وحدها الطريق؟
لطالما عرفت جيدا كيف تضمد نفسها بنفسها..

لكن الآن هي حقا لا تعرف كيف ستكون حياتها من دونه بعد
كل ما عاشته معه بهذه الأشهر..

لا تستطيع رؤيتها إلا حياة حياتها بلا هدف.. بلا رفيق..

لم تشعر بنفسها ووجهها يغرق بالدموع وهي تفكر بكل هذا
بينما يتحول أي أمل باقي بحياتها بالبقاء معه إلى بريق!

لكن وعلى الأقل من الجيد أنها لم تلق بنفسها في بحر عشقه
دون طوق نجاة..

والا وقتها لم تكن ستجد منقذاً لها من الغرق سواه..

وهو.. للأسف.. لن يكون قادرا على انتشالها..

فاينة عمه أولى من امرأة مربوطة به تحت مسمى الزواج دون
شيء آخر..

لكن.. هل فعلا هي لم تلق نفسها في بحر عشقه؟

حركت رانسى رأسها برفض فلا مزيد من الوقت للتفكير..

خاصة وان تفكيرها يدفعها للتراجع عما تنويه الآن..

وهي مجبرة على أن تحرر قلبها من قيود الارتباط والتعلق به
إذا ما أرادت عدم عرقلت سير حياتها بعد الطلاق..

نعم لا حل أمامها إلا الطلاق.. فإذا ما ارتبط بلينا لن يتحمل
قلبها المزيد من الأذى..

عليها الآن أن تذهب للينا وتنتهي ما قررتة فالوضع لا يتحمل
تأجيل أكثر من هذا..

.

.

بعد ساعة.. في منزل لينا..

تلاشت ضحكات لينا التي تجلس بجانب رانسى على نفس
الأريكة..

أطرقت برأسها قليلا لمستوى رأس رانسى وبدت غامضة وهي
مستمرة بالتحديق بها..

فبعد ابتعاد رانسى فجأة عنها والعزوف عن التحدث لها وعجم
زيارتها لعدة أيام بلا سبب بدت زيارتها الآن لها غريبة..

إلا أنها لم تركز بالأمر أو تفكر بسؤالها عنه بل ابتهجت
لمجيئها ورحبت بها..

وها هما الاثنتان جالستان وقد تناولتا مقبلات ضيافة خفيفة بينما
تحدثن بمواضيع عادية وعشوائية حتى عم صمت بينهما فبثرتة
رانسى بكلام صاعقي رهيب لها..

مرت لحظات.. طويلة جدا..

ودقيقة أخرى مرت حتى استطاعت ليّنا فتح شفّتها لتقول
بخفوت حاد في محاولة التأكّد مما سمعته من زوجة ابن عمها
((هل تمازحيني رانسى؟ هل تظنين أن ما تقولينه مضحك؟ إنها
إهانة بحقي))

كانت وتيرة أنفاس ليّنا تزداد وقد شعرت من العرض الذي
عرضته رانسى عليها قبل لحظات بغتة بمثابة سخريّة
واستخفاف واستهزاء بها..

أغمضت رانسى عينيها بقوة ثم ازدردت ريقها بصعوبة وهي
تضع فنجان القهوة الذي كان بيدها فوق منضدة الطاولة
الصغيرة بقربها..

ثم فتحت عينيها الخاليتين من الحياة لتضعهما بعيني ليّنا التي لا
زالت تفترسها بنظراتها لتقول بمرارة

((لا ليّنا أنا لا امزح.. أنا فعلا أطلبك للزواج من راجي وأتمنى
من كل أعماق قلبي أن توافقني))

تجمدت تعابير ليّنا لتقول بعدها بلحظات بصوت خافت شرس
((واضح فعلا أنك لا تمزحين أو تسخرين مني))

كانت نيرة ليّنا مهاجمة بمحاولة إخفاء توترها مما سمعته..

كأنها تخشى تصديق ما سمعته لان تعابير رانسى لم تظهر ولا
أي ذرة مزاح أو عدم جدية فيما قالته..

ردت رانسى عليها بتعابير حازمة جدية تدعم ما تقوله

((أنا فعلا لا امزح يا ليّنا))

ارتفعا حاجبا أمينة قلبلا التي جاءت من المطبخ ووقفت عند
باب ما إن سمعت بصوت ليّنا يرتفع وبدت أكثر فضولا لتعرف
ما يدور بينهما وإذا كان عما كانت تلمح فيه لراجي منذ أشهر..

ثم تقدمت لتجلس مقابلهما قائلة بفضول ظاهري

((ماذا كانت تقول رانسى لك يا لينا؟))

قالت لينا بصوتٍ حادٍ وبتقاسيم وجهٍ مقتضبةٍ وهي تحرك رأسها باتجاه أمينة بينما تنتظر بطارف عينها لرانسى

((كانت تقول أنها تريد مني أني أتزوج من ابن عمي))

حركت أمينة عينها إلى رانسى وهي تسألها بتلقائية حملت بعض الفضول لمعرفة إلى أي مدى جديتها

((ولماذا تريد ذلك؟))

أغمضت رانسى عينها بقوة بينما يسود الصمت من الجانب الآخر بانتظار أجابتها.. حتى مرت لحظات طويلة..

فتحت رانسى عينها المرهقتين عندما شعرت بأن الصمت طال لتقول بدون أن تواجههما بعينها

((لست أنا من أريد.. هو قال لي أن أخبر لينا أنه يريد الزواج منها..))

لا تعرف رانسى حقا لماذا أكدت على أن الفكرة كانت منه..

هل تستنحي منها ألا توافق؟

لكنها ألم تقل أمام نفسها بإصرار بأنها قد حسمت أمرها بطلب الطلاق؟

إذن بماذا سيفيد رفض لينا من موافقتها؟

لنتبث هذا الكلام لنفسها رفعت رانسى عينها لهما بصلاية ظاهرة مردفه

((وبالتأكيد أنا موافقة ولا مانع عندي من زواجه))

نظرت لها ليانا بتمعن وهي تقسم أنها شعرت بعُصتها بالحديث
فسألتها باقتضاب

((هل أنتِ موافقة حقا؟ كيف ترضين بذلك؟ أنا لا اشعر بانك
راضية.. أبدا))

هزت رانسي كتفها بلا اكتراث مفتعل لتردف ليانا بعدم فهم
((ولماذا يريد مني أنا الزواج؟ هل تريدين حقا أن أكون أنا من
يتزوجني؟))

ردت رانسي وهي تحاول أن يكون صوتها عادي وطبيعي
((ولماذا لا تكونين أنتِ؟ سيتزوج سواء منك أو من غيرك وفي
الحالين سأقاسي نفس المشاعر.. فماذا سيفرق الوضع بالنسبة
لي؟))

قالت ليانا معترضة بحدة عنتها جيدا

((لا لن أكون أنا.. لا اقبل أن أتزوج بعد كل هذه الصداقة التي
كانت بيننا.. والتي بالمناسبة ما تزال قائمة للآن))

سكنت ليانا للحظات ووتيرة أنفاسها في تزايد أكثر وأكثر بسبب
غضبها من أكثر من شيء..

فأردفت متسائلة وهي حقا وحتى الآن لا تزال لا تصدق هذا
الكلام الرهيب الذي تسمعه

((رانسي.. أنتِ حقا لا تمزحين.. صحيح؟))

همست رانسي وهي تغالب غصتها

((صدقيني أنا لا افعل))

قالت ليانا مستنكرة بحدة أكبر وهي تشير بكلتا يديها بانفعال
متسائل

((ولكن لماذا؟))

قالت رانسى متلعثمة والحروف تخرج بصعوبة من شفثتها

((ربما.. هو.. هو فقط ربما يظن أن من واجبه.. وأنا كنت أظن
بأنه يحبني.. ولكن يبدو أن الواجب لا علاقة له بالحب..))

قاطعتها ليينا عاقدة الحاجبين

((لم افهم.. ألا يحبك؟))

تنهدت رانسى مجيبةً بهدوء وهي تخفض بصرها

((لا أدري))

هي فعلا لم تعد تعرف شيء.. ولا أي شيء..

وبنفس الوقت وبشكل غير منطقي لا تستطيع تصديق أن غزله
الذي كان يمطرها به لأشهر غير حقيقي..

ضيقت ليينا عينيها وهي تهز رأسها بخفوت رافض ثم قالت
باعتراض لم يخلو من الانفعال

((ولكن حتى لو كان لا يحبك فهذا ليس مبررا له.. أنتِ إنسانة
طيبة وهادئة الطباع ولا تحبين المشاكل..))

خافت أمينة من أن تقدر ليينا على جعل رانسى تتراجع عن
موافقتها وتدمر ما كانت تخطط له فقالت بلهفة وبيعض الحزم
وهي تقاطع ليينا

((ولكنه يا ليينا لم يكن مقتنعا بالزواج منها.. جالا وأمها
أصلحهما الله هن من ضغطن عليه للزواج منها))

عادت رانسى تغمض عينيها بقوة مطرقة برأسها اسفلا وهي
تشعر بالخزي وانعدام الكرامة..

هل كل من في القرية يعرفون أنه لم يكن موافقا على الزواج
منها ومع ذلك هي قبلت بالزواج منه ببساطة؟

لكنها ارتاحت قليلا عندما سمعت أمينة تردف

((لقد كان فيصل رحمه الله يقنعه أمامي بالموافقة على رانسي
وهو كان يُبدي رفضًا عجيبًا))

على الأقل فقط من هم من داخل العائلة والمقربون جدا على
علم بهذا..

قالت لنا بنبرة متحيرة للغاية لأمينة وهي تسترق النظر لرانسي

((لكن إن جئنا للتفكير بمنطقية فموافقة راجي على الزواج غير
مبررة لأنه كان مجبرا على إثبات موقفه من البداية ورفض
الزواج منها اذا لم يكن كذلك))

فتحت رانسي عينها ببطء ثم أجلت حنجرتها تحاول أن تقول
شيئا لكنها لم تستطع..

فعدت لنا تستجوبها بنيرتها المستنكرة وهي تنظر لها بشكل
تام

((ولكن لماذا؟ لماذا؟ أنا أرى بعيني وبنفسي ماذا تفعلين من
أجله.. أنت تبذلين له الغالي والنفيس وتجاهدين دوما في طلب
رضاه وتحرصين كل الحرص على نيل محبته.. كثيرا ما
أجلس أنا وخالتي أمينة معكم ونرى هذا بوضوح أثناء تمضيبتنا
للوقت معكم))

أدركتها أمينة قائلة وهي تضع يدها على نراع لنا

((يا لنا وما أدراكي عما يحدث بينهما؟ هل تعيشين معهما
بنفس البيت وبنفس غرفة النوم لتكوني بهذا التأكيد؟))

عضت لينا شفتها السفلى ثم مالت ناحية خالتها قائلة بهمس
وإحراج شديد

((توقفي يا خالتي.. ما هذا الذي تقولينه))

زفرة أمينة بضيق وهي تشعر بمزيد من الإحباط من لينا..

إنها حقًا تفسد عليها تعب أشهر طويلة كانت تفعله من أجلها هي
وطفتها..

كنت لينا ذراعيها قائلة وهي تحاول حث رانسي لقول أي شيء
ولتفهم أكثر عن الهراء الذي تخطط له هي وراجي

((لا افهم لماذا لا يحبك.. هل يمكن أن تكون مثالية أكثر من
ذلك لجعله يحبك؟))

زمت رانسي شفتيها وارتعشت نظرة ضعف في عينيها وكأن
لينا غرزت شوكة في قلبها..

واجهت نفسها بشيء قد أنكرته سابقا لكن من المستحيل أن يكون
راجي لا يحبها..

من المستحيل ألا يكون صادقا بما قدمه لها من عاطفة سابقا..

هي ليست بلهاء الى هذا الحد حتى لا تُصدق صدق عاطفة
الرجل الذي تحبه تجاهها..

لكن مع ذلك هي مضطرة على الإقدام على قرارها فلا تستطيع
البقاء معه أكثر بعد ما قرره..

خرجت تنهيدة مرتجفة من رانسي وهي لا تعرف حقًا بماذا ترد
على لينا..

لكن لماذا من الأساس وضعت نفسها بهذا الموقف وجاءت لينا
لتطلب منها قبول الزواج من راجي؟

ماذا جنت من الأمر؟

لماذا لم تطلب الطلاق بدون أن تتدخل بزواجه من ليلى وحسب؟
استغلت أمينة صمت رانسى وهي ترمقها بنظرة باردة بينما ترد
على ليلى

((ليلى.. ليس لاحد أن يحرك قلوب عباد الله أو أن يتحكم بها..
وليس لاحد أن يُحبيب إلى إنسان ما قد بغض أو أن ينفره مما
أحب وهوى.. وأنتِ ليس لك دخل إلا بالتفكير في العرض الذي
أوصلته رانسى لك فقط))

ارتبكت رانسى للحظة ما أن رفعت عينها لأمينة واقشعر
جلدها من برودة نظراتها..

لكنها تماسكت وهي تقول مبتسمة بهدوء ظاهري وهي تحرك
نظرها لليلى

((خالتيك معها حق.. القلوب بيد مُقلبيها وحده.. وأنا لم املك إلا
أن ابذل الأسباب الموجبة لمحبتة لي وتجنب ما يُثير البغضاء
في قلبه.. ليس هناك شيء بيدي لأقوم به غير ذلك))

ساد الصمت بينهم للحظات وليلى تنتظر لرانسى بتعجب..

ثم قالت بنبرة جفاء وهي تقول مختصرة بحزم لرانسى

((على ابن عمي أن يفهم بأن العلاقات لا تبني جميعها على
أساس الحب وأن زيجات كثيرة حدثت بطريقة تقليدية ثم أثمرت
مودة ورحمة وسكنا وأبناء صالحين.. وبأن الرجل الحقيقي لا
يفكر فقط في نفسه.. اخبريه بهذا الكلام وناقشيه فيه.. دعيه
يسمك رغما عنه أو دعي حتى والدته تتدخل بالأمر.. هذا اذا
كان يضع الحب سببا للزواج لأنني لست مقتنعة بهذا السبب..
ربما طلب منك أن تطلب الزواج مني لأنه يظن بأنه بهذه
الطريقة يكون سندا لي.. المهم يا رانسى عليك أن تتحلي بالثقة

بنفسك أكثر وأن تدعي خضوعك هذا جانباً معه.. وأنا سأعتبر نفسي لم اسمع شيء من كلامك))

عقدت أمينة حاجبها وهي تمنع النظر في لنا بغير رضا بينما تهز رأسها بياس منها..

فغرت رانسي شفيتها بعجز ولم تعرف ماذا ترد وتطلعت حولها تبحث عن حقيبتها الصغيرة..

ثم قالت مبتسمة بإجهد مما مرت فيه الأيام السابقة وهي تمسك حقيبتها

((أنا فقط أوصلت لك طلبه.. لكن سأغادر الآن.. إلى اللقاء لنا ويا حاجة أمينة))

ردت لنا على رانسي تحية الوداع بينما تجاهلت أمينة رانسي تماماً وهي تغادر المكان للمطبخ بعصبية واضحة..

وما أن أغلقت لنا الباب خلف رانسي خرجت أمينة من المطبخ هاتفة لها بخشونة واضحة

((لينا تعالي لتحدث))

بحق وامتنعاض تقدمت لنا لتقول لها معاتبة

((ما هذا الذي فعلته يا خالتي؟ لم ينقص إلا أن تتصلي على راجي ليأتي هو والمأذون لنعقد قراننا بنفس هذه اللحظة))

قالت أمينة وعيناها تفيضان بفحوى كلماتها

((وماذا فيها؟))

زفرت لنا بقوة ثم التفتت لأمينة وقالت مستنكرة

((ماذا فيها!!))

لم تجيبها أمينة وهي تعود لتجلس على احدى مقاعد الصلاة
لتجلس لينا بعدها بلحظات وهي شاردة وعاقدة حاجبها بانفعال
بالغ و غضب لتقول أمينة تستدعي انتباهها وهي تميل لها

((أنا لم افتح معك الموضوع سابقا لأنني كنت انتظر من رانسي
أن تقول هي أولا احتراما لها.. لكن فعلا راجي طلب يدك مني
وانا وافقت عنك))

اتسعت عينا لينا صدمة وهي ترد عليها مصعوقة

((ماذا؟ هل تمزحين أم تقولين الصدق؟))

قالت لها أمينة بارتباك وهي تشيح بعينها جانبا

((وهل هذا امر يُمزح فيها يا لينا؟))

رفعت لينا يدها لصدرها قاتلة بنبرة متقلبة بالدهشة

((أنا حتى الآن أتحرى صدق ما قالته رانسي.. فمن الصعب
حقا تصديق ما قالته.. والى الآن أقول أنها كانت تسخر مني..
لكن حديثك الآن بشأن راجي.. أنه فقط.. حقا صادم))

قالت لها أمينة عابسة

((ولماذا صدمك؟ أنتِ ابنة عمه ومن مسؤوليته أيضًا يا لينا وانا

حرصت كل الحرص لأشهر على جعله يفعلها يتقدم لك))

ارتبكت نظرات لينا وهي تقول بغير تصديق

((هل أنتِ من حرصتبه على ذلك يا خالتي فعلا؟))

انكشمت أمينة بندم على اندفاعها بالحديث وفضح نفسها لتتمتم

بوهن

((الرجل لا يستطيع أي حد تحريضه لفعل شيء لا يريد))

هتفت لينا بعينين متسعيتين وقد تقبضت يداها فوق حجرها

((خالتي كيف تفعلين بي هذا؟))

رسمت أمينة الغضب على وجهها وهي ترد بدفاع تلقائي رغم التوتر الذي ظهر جليا عليها

((أنا فعلته من أجلك يا لينا.. هل تظنين أنني كنت غافلة عن إعجابك براجي منذ صغرك؟ كنت دائما ما أرى الحق يظهر على وجهك عندما يحث والدك راجي الزواج من إحدى إخوتك الثلاث الأصغر منك ويستثنيك لأنك تكبرينه بسنة.. ولكن ها قد تزوج من رانسي وهي تكبره بستنين.. اذا كان لا مشكلة له بالعمر فلماذا لا يتزوجك!))

اتسعت عينا لينا بمشاعر مختلطة بين صدمة وعدم استيعاب لتقول لأمينة وبحاجبين معقودين استهجاناً

((من أجلي؟ وما ذنب رانسي؟ إنها لطيفة وتعاملك باحترام بالغ بينما تحيكن بالخفاء ضدها؟ كيف تستطيعين النظر بوجهها عندما تعرف أنك من اقنع راجي بفكرة الزواج))

شحبت ملامح أمينة لصدق ما تقوله لينا.. لكنها هتفت معاندة ومبررة بصوتٍ متعثر

((لا ذنب لها وأنت أيضاً لا ذنب لك.. كما أنك عانتني كثيرا مع من كان يوماً ما زوجك أنت وطفلاك وخرجت من هذا الزواج بكثير من الآلام والأزمات النفسية.. وكنت معجبة براجي منذ صغرك وترينه مثالي..))

بترت أمينة كلامها وهي لا تعرف كيف تكمل حديثها..

بينما رفعت لينا أناملها لتدلك رأسها بين خصل شعرها الناعمة عسى أن تخفف من الصداع الذي حل عليها فجأة..

هتفت لينا بعد دقيقة بامتعاض

((نعم كنت معجبة ولكن الآن توقفت عن ذلك.. قولك بان راجي فعلا طلب يدي للزواج منك صدمني بل وجعلني اصرف النظر عنه كرجل مثالي بالنسبة لي.. لو كان مثالي لاهتم بمشاعر زوجته))

قالت لها أمينة متبرمة

((وماذا الآن؟))

تنهدت لينا ثم قالت بنبرة أكثر ثباتا وهي تشبك أناملها بين ركبتيها

((خالتي اذا كان قصدك من محاولة تزويجي لراجي أن تتخلصي من عبئي أنا وطفلي فأنا بإمكانني الانتقال لمنزل آخر.. ورثتي ومؤخري اللذان امتلكهما برصيدي في البنك فضلا عن النفقة التي تصلني من طريقي ستمكنني..))

اضطربت ملامح أمينة ثم تجهمت رغماً عنها وهي تقاطع لينا هاتفه بتوبيخ وألم

((اخوسي يا لينا ما هذا الذي تقولينه.. هذا البيت لوالدك وقد سجله بحياته باسمكن جميعا وباسمي حتى يضمن ألا يشاركنا أحد فيه بعد وفاته.. وأنت هنا صاحبة المنزل مثلي مثلك ولست ضيفة ولا أجرؤ على التلميح بهذا الهراء الذي تتحدثين عنه حتى))

مالت شفيتها في ابتسامة شاردة ثم أردفت هامسة ببطء

((ألا تعرفين أنه بعد وفاة والدك وجودك معي أنت وولديك هو ما يؤنسني؟ والله لم يكتب لي أن ارزق بأطفال من والدك أو زوجي المرحوم الأول لذا لطالما اعتبرتك أنت وأخواتك بناتاً لي.. لكن كل ما في الأمر أنني أفكر بمصلحتك))

نظر لينا إليها للحظات دون تعبيرٍ مقروء ثم قالت بخفوت

((وانا أيضًا احبك يا خالتي أمينة وقد كنتي لي ولخواتي أم ثانية
بعد وفاة أُمِّي))

قالت أمينة بصوتٍ خفيضٍ يحمل بعض التوتر وهي تتابع
تبريرها

((كل ما في الأمر أنني أراكي لا زلت بعز شبابك ولا أرضى
لابنتي التي ربيتها أن تفني عمرها بلا زوج.. وبما أن ابن عمها
موجود فما المانع من أن تتزوجيه ولن تجدي أحد احرص منه
على أولادك وربما حتى أكثر من والدهم..))

رشت لنا بعينيهما وهي تنتهد مترفقا بأمينة ثم قالت بنبرة أكثر
رفق بها وهي تهدر بالقول القاطع

((المشكلة هي أنه متزوج من رانسي وهذا ما لن اقبله أنا..
فرانسي ساندتني كما لم يساندني أحد.. لقد رأيتُ منها ما لم أراه
بوحدة من أخواتي حتى من الرحمة والمروءة.. لقد كانت تأتي
لتخدمني وتصنع لي الطعام.. الآن أنا لا اقبل أن أسمح حياة
امرأة رأيت منها كل هذا.. وأنتِ كذلك الأمر يا خالتي أمينة..
أقدر ما تفعلينه من أجلى ولكن أتمنى أن تدركي أنه لا ذنب
لها.. لا يعقل ما تفكرين بفعله بحق إنسانة تكن لك كل الود
والاحترام.. أرجوكِ إنسَ ما تخططين له))

قالت أمينة باقتضاب وحنق

((حسنا سأنسى ولكن لا تعطيههم رفضك الآن.. فربما ستشعرين
بالحزن والندم اذا رفضتي هذه الفرصة.. خدي وقتك بالتفكير
بدلا من رفض عرضها مباشرة فراجي رجلاً كما ينبغي أن
يكون الرجل وفيه كل ما تتمنين.. بالماضي لم تحلمي حتى أن
ينظر لك))

ابتسمت لنا بسخرية مريرة قائلة

((خالتي هل أنت جادة بإكمالك هذا الحديث؟ على الأقل اهتمي لكلام الناس.. ماذا تريدون منهم أن يقولوا عني؟ هل تريدون أن يقولوا أخذت ابن عمها بعد أن صادقت زوجته ويتهموني بالغدر ونسيان معروف ما فعلته لي؟))

قالت لها أمينة بجبين متغضن

((دعك من كلام الناس.. ما المانع من زواجك به؟ راجي كما تتمنين من الخلق والدين.. أتفهم أنك تخشين نظرة عتاب من رانسى وتخافين أن تبغضك أو تظن بك سوء فأنت مدينة لها كثيرًا.. لكن لا ذنب لك..))

تنهدت لينا باستسلام من النقاش هذا وهي تنتصب واقفة قائلة بصوت حزين

((ومجددا أقولها لك رانسى لا ذنب لها.. ثم أتظنين يا خالتي أن الظفر بزواج مثل راجي ليس من العسير الحصول عليه وأغلى وأنفس من الحصول على صديقة مثل رانسى؟))

قالت لها أمينة وهي تشير بيديها

((ولكنها قالت لك سيتزوج بكل الحالات))

طالعت لينا وجه أمينة لتردف الأخيرة

((رانسى لا يعيبها شيء.. لكنها نحيلة جدا ومعتلة الصحة.. هي طاهية ماهرة ولا أنكر هذا لكنها تقضي جل وقتها في المطبخ ومعك..))

قاطعتها لينا بتصحيح

((خالتي أمينة لا تستنقصي منها فالكثير يتمنين ويدفعن الكثير للحصول على قِدر شيق مثلها.. تقاسيم وجهها جذابة.. أكثر جاذبية مني))

قالت أمينة لها باعتراض

((حتى ولو كانت تقاسيم وجهها جذابة ولكنها مختلفة كلياً على زوجته السابقة التي كانت تعتني بمظهرها وتحرص على جمالها.. وربما لهذا يريد الزوج.. فلماذا لا تهتمين بشكل أكثر وتوافقين علي..))

ارتفع صوت لينا قليلاً وهي تقاطعها قائلة وهي تكثف ذراعيها بحركة توحى بالضيق الشديد والغضب المشتعل بداخلها

((لا يهمني سبب رغبته بالزواج.. سواء كان لا يحبها أو يريد امرأة مدمنة بالاهتمام بنفسها أو كان يريد أن يهتم بي وبأولادي بعد الطلاق.. لكن أنا لن يتغير موقفي أو قرارى.. ولي ثقة أن الله تعالى خزائنه مليئة لا تنفد وأن رزقي سيأتيني ولو بصور أخرى غير الزواج))

ثم أردفت لينا بصرامة رغم الرجفة في أعماق نبرتها القوية

((وأخيراً خالتي عليك أن تستوعبي أنني لا يمكن أن أفعل برانسى أي شيء يضرها فهي صديقتي والصديقة الحق تتألم لألم صديقتها وتقف إلى جوارها في أحزانها وتمد لها يد المساعدة كما فعلت هي معي.. لذا أنا لن أفكر إلا برد جميلها بكل السبل لا انتهب الفرص للذليل من سعادتها ولو كان ما سأفعله مباحاً))

قالت لها أمينة بصوت جاف خافت

((إذن أنت ترفضين عرضها لأنها صديقة لك؟))

قالت لينا بصوت هادئ وملامح جامدة بينما ترخي ذراعيها

((وحتى لو لم تكن صديقة لي سأرفض لأنني لن أكون سعيدة.. فضلا عن أنني لست مقتنعة بأنه لا يحبها.. لست غبية إلى حد كبير))

نعم فلم يغف عن لنا مرة سمعت راجي يمتدحها ويثني على جمالها ومهاراتها..

تغضن جبين أمينة وهي تسألها بينما ترسم ملامح عدم الفهم
(ماذا تقصدين؟)

تتهدد لنا وهي تقول بصوتٍ أجش

((ربما السبب الذي دفع راجي لأن يطلب يدي منك لما تخطئه
رانسى في نقل مشاعرها المتعاطفة مع ما قد صار إليه حالي
إليه فتُحرك دون أن تدري في نفسه من مشاعر الشفقة
والتعاطف ما يدفعه للارتباط بي))

قالت لها أمينة برفض

((لا هذا غير صحيح.. لا يوجد رجل يتزوج من اجل مشاعر
الشفقة))

ردت عليها لنا بندرة قوية رغم تذبذبها بالنهاية

((ولكن ربما يتوهم هذه الشفقة والتعاطف حبا حتى اذا ما تمَّ
الزواجُ تجلَّت له مشاعر الشفقة في صورة مُجردة فأزالت عن
عينيه كلَّ ما كان يحيط بها ويشعر حينها أنه قد تسرع.. وانا
من سأدفع الثمن من جديد))

أغمضت لنا عينيها للحظات ثم أخذت نفساً عميقاً قبل أن
تستدير نحو باب الصالة بخفوت

((سأذهب لأكمل عنك طهي وجبة الغداء))

نادتها أمينة بخفوت ((لينا))

ردت عليها لنا دون أن تستدير ((نعم))

قالت لها أمينة الحقيقة بخفوت وهي تطرق راسها

((الواقع هو أن راجي لم يقل لي ولم يجلب لي حتى سيرة
الزواج أبداً.. ولكن عندما سمعت رانسي تفتحك بالموضوع
وهي تضيف أنه هو من أخبرها بذلك قلت بنفسني أنه لا بد
سيأتي ويطلبك للزواج مني قريباً))

كانت لينا تستمع ذاهلة لكلام خالتها فاغرة فمها حتى استدارت
فجأة بغضب جلي على وجهها وارتفع حاجباها للحظة قبل أن
تقول بعتاب وامتعاظ

((من الجيد أنك أخبرتني الحقيقة يا خالتي.. لأنه حتى لو آلمني
الأمر ولكن الواقع الذي أفصله أمامي الآن خيرٌ من غد قد
يفاجئني بما ينغص عيشي.. الآن أنا متأكدة من صحة قراري))

ليلاً..

نهض راجي من مكانه بعنف ليدور في حجرة نومهما بعصبية
أمام عينا رانسي الجالسة على سريرها..

طالعه بتوتر وهو يمسح رأسه بحنقٍ ثم يضرب الجدار بقبضته
ليجفلها قبل أن يندفع إليها فجأة بملامح ذاهلة غاضبة وهو
يخاطبها صارخاً

((ما هذا الذي فعلتبه اليوم؟))

فغرت رانسي شفتيها بخوف ظهر عليها..

وقبل أن تنطق بشيء سمعته يصرخ مكرراً بعينين تتقدان
انفعالاً

((لماذا! لماذا! لماذا!))

رمى راجي احدى قطع الكريستال الموضوعه فوق المنضده
الموضوعه بزاوية الحجرة لتشهق رانسى بخوف..

ثم رآته يلهث غاضبا وهو يدنو من النافذة واضعا كفه فوق
زجاجها متأملاً الليل الممتد أمامه وأنفاسه تتسارع انفعالا
لاهنأاً..

قالت له رانسى بصوتٍ جاهدت في جعله مرتفع النبرة وثابتا
رغم اهتزازه وهي لا تفهم سبب غضبه

((الم تقل لي أن أخبرها عن رغبتك بالزواج منها؟ من ماذا أنت
غاضب؟))

استدار راجي وهو يعود ليدنو منها قائلاً وهو يشير بكتفي كفيه
نحو صدره قائلاً باستنكار شديد

((أنا من قلت لك ذلك؟))

نظرت رانسى له بتعجب قليلا قبل أن تجيب بانفعال واستهجان
من استنكاره ((نعم))

شعر راجي أن عيناه توشكان على الخروج من محجريهما
لكلمتها البسيطة..

نعم هو فعلا قال لها أن تطلبها للزواج له..

ولكن أن تقوم بفعلها والذهاب لها بكل جديه فهذا ما لم يخطر
على باله بأنها قد تفعله..

لا يعرف إن كان غاضباً أكثر أم مصدوماً منها؟

قال راجي لها ولسانه يعجز عن النطق بجمله كاملة وحالة
رهيبه تتملكه

((نعم قلت ذلك.. ولكن.. لكن..))

تلعثم لم يعرف كيف يكمل جملته ليقترّب من الجدار بجانبها
ويضربه مجدداً بقبضته هادراً

((تبا لك.. تبا لك يا رانسي.. تبا لك))

نظرت رانسي له بخوف وجسدها يرتعش قليلاً بينما تتراجع
للخلف قليلاً..

لماذا تلبسه كل هذا الغضب بمجرد أن أخبرته عن ذهابها لمنزل
لينا وإخبارها عن طلبه للزواج منها؟

هو أمرها وهي فعلت ما أمرها به فما الخطأ الذي اقترفته
ليصير على هذا الحال؟

تمتم لسانها بانفجار وشيك وهي شاردة فيه وتشعر بالظلم

((لماذا؟ فعلت ما أردته تماماً فأين الخطأ؟))

نظر لها راجي بذهول شديد لتهدر له بانفعال منفلت غير
مسيبوق وقد فقدت كل هدونها وأعصابها النالفة من الأساس

((ماذا فعلت لتغضب عليّ؟ هل نسيت أن أخبرها شيئاً آخر مع
عرض زواجك؟ أم أنت من نسيت أن تخبرني ألا اذهب لأطلبها
لك لتعرض عليها طلب الزواج أنت.. ربما بطريقة أكثر
رومانسية أو..))

شحب وجه راجي تماماً وهو يستمع لكلامها وهو متمسّر
مكانه..

هل ظننت أو حتى صدقت انه يمكن فعلاً أن يطلب لينا للزواج؟

وجد نفسه تلقائياً يصرخ فيها بغضب غاشم بينما يقاطعها

((اخرسي ودعيني أفكر بحل للمصيبة التي قمت فيه))

صمتت رانسي خوفا منه وهي تراه يعود كالمجنون وهو يدور
في الحجرة لا يهدأ له بال وعقله شارذ بأمر ما..

كأنه يحاول السيطرة على انفعاله فيفشل ليصدر نفسا حانقا..

أساسا زوجة عمه لا تنفك عن ذكر سيرة أمنية عمه ورغبته
بالزواج من احدي بناته..

والآن بعد ما قامت زوجته المصونة بطلب لبنا للزواج كيف
سيذهب الآن عندهم ويخبرهم أن كل ما قالته هو هراء بدون
الشعور بالإحراج الشديد؟

أن تنشق الأرض وتبتلعه أهون عليه بمئة مرة من أن يتواجه
مع لبنا الهادئة والمسالمة بمثل هكذا الموقف..

وتمنى أن تشك الأرض لتبلعه

سمع رانسي تتمم بعدم فهم له وبصوت مرتجف ينبأ ببكاء
وشيك

((أي مصيبة؟ قلتي أنك تريد الزواج منها وانا ذهبت لطلب يدها
لك.. صحيح؟ بماذا أخطأت؟))

كانت متمها بمثابة تأهب لهجوم تلقائي محتمل تتوقع منه ما أن
يجمع أفكاره التي تدور بعقله وبدون حتى أن تعرف بماذا
أخطأت..

بذل راجي مجهوداً مضاعفاً وهو يلجم انفعاله بينما يقول ببرود
جليدي

((وما أدراني بأنك ستفعلينها حقا بكل غباء))

ألجمتها الدهشة للحظات ثم ما لبثت أن قالت له بوجود

((ولكن ألم ترد مني فعلا الذهاب عندها..))

قاطعها راجي بعنف وهو يتقدم منها ويجلس على سريره
المقابل لها قانلا بينما يمسك كلتا كفيها عنوة غير أبها
لمحاولاتها بسحبهم

((رانسى اسكتي قليلا وأخبريني ماذا قالت لك لبنا بالضبط حتى
اعرف كيف سأحدث معها الآن لأصحح وأشرح ما فعلته قبل
قليل بأقل الخسائر ودون صنع المزيد من الضغائن بين
العائلة))

تشنجت يدي رانسى اللتين يمسكها راجي..

هطلت دموعها رغماً عنها وهي تقول بقوة وصمود رغم نبرتها
المكتومة

((تصحح ماذا؟ ألم تكن تريد الزواج منها))

قال راجي لها موضحا بنبرة قاطعة يزعق بوجهها

((لا لم أرد ذلك.. ولا أريد امرأة غيرك أنتِ بحياتي))

كلماته ألجمت لسانها لتحدق فيه بصدمة للحظات..

ثم فجاءة انفعل دب في جسدها جعل الأدرينالين يعلو لتقول
بعنف ووجها يغرق بالدموع بينما تلوح بيدها

((ولكنك قلت بالأمس..))

بترت رانسى كلماتها وهي تشعر بالضيق على نفسها مما جعلها
تضغط على شفيتها لتمنع انفلات شهقة بكائها..

رأها تصمت مقهورة ومحطمة الفؤاد وكل ما في جسدها
يرتعش..

فصمت هو الآخر وهو يطالع شحوب وجهها..

كيف قدر ما قاله لها بغباء على النيل منها إلى هذه الدرجة!

شعر بتمزق نياط قلبه فليس من السهل رؤية الحزن والدموع
والنحيب في وجه من كان لا يراها إلا الضاحكة مبتسمة..

غمغمت رانسى له بوجع مرير نابع من أعماق روحها بينما
تهدل كتفيها بعجزٍ منك

((قل لي بماذا أخطأت؟ لماذا أشبعنتي بكلمات الحب في الأشهر
الماضي؟ ما الذي تغير وجعلك تطلب مني ذلك.. ألم أكن أتلمس
احتياجاتك واهتماماتك كلها؟))

مسك راجي كتفيها بقهر قائلا قسوة

((هل فعلا صدقتي أنني أريد ما طلبته منك؟ هل ظننت أنني
صادق ولو لحظة فيما أقوله؟ كنت فقط ارغب في أن أرى
مكانتي لديك وأن يُنير الأمر غيرتك عليّ كما اشعر بالغيرة
عليك من أي أحد آخر.. لأني.. لأني شعرت بالاحتياج للمزيد
من حبك واهتمامك.. كنت أريد فقط الشعور باهتمامك واني من
أولوياتك.. كنت أريد منك أن تتقربي أكثر مني وتظهري لي
مشاعر الحب والاهتمام))

وضعت رانسى عينيها بعينيه ولأسباب كثيرة كانت تتوقع في
نظراته المحدقة بها أي شيء إلا الألم وهو يردف لها

((أنا اعتذر منك.. اعتذر جدا.. لم أكن أريد إيلاكم.. ولكنك
كنتي تغيطيني بتقربك من ليلى وزوجة عمي تضغط عليّ بشكل
كبير.. كنت أريد أن أعلمك بماذا تخطط زوجة عمي من
خلفك))

طالع عيناها طويلا ويكاد يقسم أنه رأى رغبة جلية بعينها
المغرقتين بالدموع بضربه... بقوة..

همست رانسى له بصوتٍ مروع ونبرة متهدجة غير مركزة
أو منتبهة لجزئية أرملة عمه

((لا يُمكنك أن تُعالج ما حدث بالاعتذار.. الاعتذار يُقبل حين تتأخر عن موعد أو تتصل برقم خاطئ لا عندما توشك على شرخ قلب أحدهم))

عقدت رانسى حاجبها بشكل طفيف وهي ترى شبح ابتسامه يطوف مدغداً شفتيه المرعشتين..

حاولت التظاهر بهدوء مغيط وعينيها تقدحان غضباً وكل خلية بجسدها لا تزال ترتعش..

أبعدت رانسى يديه عنها وانتصبت واقفة بينما تقول بقهر

((أريد النوم بعيداً من هنا))

تحركت تنوي المغادرة من كل الحجرة لكنه امسكها من مرفقها بإحكام ليقربها منه بقوة مما جعلها تصرخ فيه بانها مضي وهي تحاول إبعاد يده عنها هادرة

((راجي اتركني أريد المغادرة..))

امسك راجي ذراعها عنوة مرة أخرى يوقف حركتها..

مما جعلها تسكن وهي تنتظر له وقد بدت موجوعة بشكل لا يطيقه قلبه وشفقتها ترتجفان..

رفع راجي سبابته ليضعها على فمها يمنعها الحديث بينما يحاول جاهدا السيطرة على رعشته هو الآخر وهو يراها تبكي بطريقة رقيقة للغاية تناسب نعومتها وشفافية روحها..

ثم قال لها بصوتٍ أجشٍ مبجوح

((أنا سعيد بثورتك الصغيرة هذه.. وسعيد أنك لم تتقبلي اعتذاري))

تراجعت رانسى للخلف وهي تبعد سبابته عن شفتها عن طريق
إدارة وجهها المٌحمر جانبا لتبعد عينيها البارقتين بالمزيد من
الدموع عن مرمى عينيهِ وتقول بصوتٍ متذبذب

((لم افهم عليك))

تمنى راجي أن يأخذها بأحضانه ويبقيها مستقرة لا تنتزحزح إلا
أنه تمالك نفسه وهو يمسك كنفها بقوة مرة أخرى بينما قلبه
يهتف قبل لسانه باسمها بركة

((رانسى..))

أخذت رانسى نفساً عميقاً مرتجفاً قبل أن تنتظر له بالم ليسترسل
لها

((أردت من البداية أن تبتعدي عن خضوعك هذا معي.. منذ أن
لم أقم بأي خطوة اتجاهك مع أنك كنت تعيشين معي تحت سقف
واحد.. أو حتى عندما كنت أعاملك بجفاء اعتقدت بأن صمتك
هو الحل.. وهذا أكبر خطأ وقعت فيه لأن لك أنت أيضا
احتياجات عاطفية ونفسية ومن الظلم أن تعاني وحدك في حين
تتركيني أكمل حياتي وكأني غير متزوج.. لقد كنت تفعلين
الكثير من أجلي بينما أبخل عليك بكلمة حب أو لمسة حنان أو
حتى نظرة))

تنهدت رانسى وشهقت بخفوت ببقايا بكائها هامسة له
باضطراب وألم ودموعها تنسكب بالمزيد

((إنسن الماضي.. لماذا أخبرتني أنك تريد من أن اطلبها للزواج
بك وأنت لا تريد ذلك؟ هل تعرف كم ألمني وقتلني الأمر؟))

عادت رانسى تشيح بعينيها عنه وهي ترفع يدها لتمسح وجهها
بظاهر كفها..

شعر راجي بقلبه يتمزق أشلاء وهو يدرك ما فعله بها بغياء
الفترة الماضية..

حركها من كتفها لتجلس على سريرها ثم تقدم من المنضدة
ليسحب بعض المناديل الورقية من علبتها..

عاد يتقدم منها وهو يمسح وجهها الملطخ كله بالدموع لينفلت
من لسانه أخيرا اسمها هامسا

((رانسى))

همسته جعلت أي دمة متحجرة بعينها باقية تنساب على
وجنتيها والصمت يعم بينهما لدقيقة كاملة..

تنهد راجي بعجز بينما يتمم لها بعاطفة تذوب رقة وحنانا
ومعانتا برقة

((إذا كان الأمر آلمك لهذا الحد لماذا لم تناقشيني فيه؟ لماذا لم
توقيني عند حدي عندما تماديت معك بقسوة؟))

وعندما رفع أنامله ليلامس دموعها أبعدته عنها بحركة سريعة
عن جسدها..

ما زالت الجراح في قلبها تنزف حتى بعد ما قاله الآن عن
حقيقة موقفه..

ما تزال تلك الجراح تذرف الدموع وقد أطفأت رغبتها في
الشعور في الحياة..

طرقت رانسى راسها شاهقة وهي تقول وصوتها المرتجف
يترقق

((ما قلته ليس مبررا لما فعلته بي؟))

أردفت رانسى له بحزم لم تنجح بإظهاره

((أريدك أن تحررني منك وتزوج من ليلى فعلا.. ولا تقلق
علي.. من الجيد أنني لم أبع قلبي ولم ادفع بمشاعري وأحاسيسي

بكايتهما ثمناً لنيل حبك وإخلاصك.. لذا حررتني بدون أن تخشى
من فكرة أنه تم استنزافي من قبلك))

لم يتمالك راجي نفسه وهو يراها تعبر بالمزيد وتدفق من
الأمها..

لم يعد يطيق أبداً ذرفها لأي دمعَة أخرى خاصة وأن كل هذه
الدموع بسببه..

ألا يكفي أنه السبب هذه الأيام بذبول ضحكتها ووهن محياها
وشحوب صوتها لأيام؟

جذبها الى صدره بحماية يكاد يغمرها داخل أحضانه وهي لم
تستطع أن ترفضه أكثر وانهارت على صدره..

كانت مستنفذة القوى وما أحوجها إلى هذا الحضن منه الآن..

شعر بها ترتجف بين ذراعيه وهي تبدأ البكاء مجددا بصوت
تقطع له نياط قلبه ليرفع كفه ويمسح بها ظهرها همس في أذنها
بصوتٍ أجش مختنق

((أرجوك لا تبكي يا غزالتى.. لا أغلى على قلبي منك يا حبيبة
قلبي))

سحبها لسريره ليستلقيا فوقه فدفنت وجهها بعنقه مغممه له بألم
من بين شهقات بكانها

((أنت لا تحبني.. كاذب.. كاذب.. أريدك أن تحررتني منك))

زاد راجي من ضمها إليه وهو يهمس لها بصوت متحشرج

((أنا لم أحب امرأة غيرك.. وإياك أن تنطقي لمرّة أخرى يا
غز التي موضوع تحررك مني.. لأنه لن يحدث يا قمري
الأجمل.. فأنا لن أتحمل مجافاتك ولا لساعة أخرى حتى بعد

تلك الأيام.. لن أتحمل أن يلوع قلبي ببعدك بل انشطاره
لنصفين.. حيث سيكون أحدهما معك أينما تكونين))

ازداد تشبثه بها وهو يشعر بانتفاضات جسدها من شهقات
بكانها..

أخذ راجي يهددها كطفلة هامسا لها بنعومة ورقة باعتذار عما
فعله وهو يفكر بانه لا يريد إلا أن يقضي ساعات يحتوي
مشاعرها وأحاسيسها الفياضة..

أشعرها بالدفء والأمان بينما يضمها إلى صدره الحنون وهو
يردف لها هامسا بالقرب من أذنها "أحبك" يتبعها بكلمات رقيقة
شفافة تزيد من صخب نبضات قلبها بشكل يصم الأذن..

مرت الدقائق عليهما وهما على هذا الوضع حيث يستكين
رأسها بين حنايا عنقه حتى توقفت أخيرا عن البكاء..

رفعت رأسها ببطء وابتعدت لينظر إلى وجهها شديد الاحمرار
بعينين معذبتين..

ابتلعت رانسي ريقها عندما أطرقت بعينيها اسفلا هامسة
بصوت خافت متألم بينما أنفاسها الناعبة تداعب وجهه

((ماذا سنفعل بشأن لينا؟ هي غضبت مما قلته ولكني قلت لها
أن تفكر بالأمر قبل أن اذهب))

انتبه راجي لها كيف تطالعه بحدقتيها المهترتين اللتان ترفضان
أن تنزاحا للحظة عن عيني.. لتعترفان له بوجعه..

ابتسم راجي لها بحنان هامسا لعينيها بعتاب عاشق

((وهل هذا شيء تقلقين منه؟ من المستحيل أن افعل بك هذا))

قالت رانسي له بأهداب مسبلة بخجل

((لا أنا لا أقصد تنفيذك لما قلته لها..))

بترت رانسى كلامها وهي تشعر بحزن فعلي مما فعلته اليوم..

لكن الأمور ألت إلى منحنى لم يخطر على بالها حتى..

لكن هل معنى هذا أن صداقتها بلينا ستنتهي؟ بسبب حماقة ما فعلته؟

شعرت براحة قليلة وراجي يقول لها

((غدا من تلقاء نفسي سأشرح لها الأمر يا غزالتى.. وسأعرف كيف أوقف زوجة عمي عند حدها))

انتبهت رانسى لأخر جملة قالها راجي لتتساءل

((هل كانت زوجة عمك هي من تقول لك أن تتزوج من لينا؟ لأنها أظهرت استياءً كبيراً لرفض لينا لما قلته لي))

مد راجي أنامله لتتخلل خصلات شعرها قائلاً بصوت أجش

((لا تقلقي فأنا لن أمرر الأمر بسهولة أو بساطة لها أبداً.. المهم أنك عرفتي ما كانت تحاول فعله))

سألته رانسى بصوت حزين مترقبة أجابته وبقلب منقبض

((ولكن.. هل يمكن مستقبلاً أن تفكر بابنة عمك.. أنا لا أقصد شيء ولكن.. هي وحيدة ولها طفلين..))

بترت كلامها عندما جذب راسها إليه مرة أخرى يحتضنها فوق صدره بقوة..

لامس راجي شعرها الحريري القصير هامساً بأنفاس ثقيلة

((هناك يا غزالتى أمور ووسائل كثيراً يمكنني من خلالها أن أكون سنداً لاي واحدة من بنات عمي بدون حل الأمر تحت مسمى الزواج.. وأنا لن أكون رجلاً لو فكرت بتركهن يحتجن للغريب بينما أنا موجود))

تمدد على سريرها جاعلا إياها ترقد بجانبه وهو يحكم ذراعيه حولها..

وما لبث أن مرت دقائق حتى ابتسمت برضا..

بينما تسترخي أكثر بوجهها الموضوع فوق صدره لتغرق في سبات.. لذيذ.. وعميق.. ومريح بعد أيام لم تذق فيها طعم الراحة..

أما راجي فأبى الاستسلام للنوم وهو يستغل كل ثانية تمر عليه يتطلع فيها لوجهها الجميل.. المبتسم.. والذي حُرِمَ من النظر إليه الأيام الماضية..

عند اذان الفجر..

تململ راجي بمكانه وهو يشعر بألم حاد في رأسه لكن لا يضاهي الذي شعر به بالأمس عليها..

فكم من المؤلم أن يدرك أنه تسبب التعاسة لإنسانةٍ صارت هي عالمه..

تحرك راجي شبه جالسا بمكانه قبل أن يدرك أن رانسي فعلا هنا بجانبه فوق السرير..

انسابت نظراته عليها ومد أنامله يلامس بشرة وجهها الناعمة وهو يغمض عينيه متنهدا براحة..

بمجرد أن يعود من عمله اليوم سيقوم بتحطيم سريريه الأخر بأكبر مطرقة..

كخطوة متأخرة كان عليه القيام بها ميكراً..

بالأيام الماضية تملكه فيها اليأس والضياع وهو يراها مبتعدة عنه..

فمرت عليه أياما سوداء لا تعرف معنى الألوان..

أياما محتضرة.. متقطعة الأنفاس.. إياما كالأشباح..

فقط يسكنها الصمت والعذاب وتغمرها ظلمة الليل..

وكم كان صعبا عليه أن يحتاجها ولا يجدها وان يشناق لها ولا يحادثها..

وأن يحبها ولا تكون قابعة بأحضانه..

تبسم راجي بشجن حقيقي وهو يلثم كلتا وجنتيها قبل أن يغادر السرير ليتوضأ للصلاة قبل أن يعود للنوم بجانبها..

استيقظ بعد ساعتان ونزل الدرج للأسفل بعد أن اغتسل وغير ملابسه لأخرى مناسبة لعمله..

دخل مكتبه ليأخذ بعض الأوراق..

انتبه لمستند مهم موضوع على الطاولة وما أن هم ليحمله ويضعه بإحدى الجوارير حتى سقطت ورقة بيضاء من المستند أرضاً..

عقد حاجبيه باستغراب وهو ينخفض ليلتقط الورقة ويرى محتواها وما لبث أن اتسعت عيناه بشدة..

طلاق؟ هل وضعت ورقة تطلب فيها الطلاق عنده؟

لماذا؟ هل تريده مثلا أن يكون محاميا لها ضد زوجها الذي يكون هو ويحررها منه!

أي كانت تريده أن يحررها من نفسه؟

هل كانت فعلا تظن أن موضوع طلبه للبنا حقيقيا لتصل الى
هذا الحد فذهبت فعلا لطلبها له عقب أن قررت تركه وترك هذه
الورقة له هنا بالمكتب؟

مزق راجي الورقة التي بين يديه لمئة ألف قطعة ثم خطا خارج
حجرة مكتبة تفوده قدماه ليصعد الدرج ويعود ل فوق وهو يشعر
بفورة في مشاعره وانفلاته المحتدم..

تقدم راجي عبر باب الحجرة ليراهها ممددة وأنفاسها المنتظمة
جعلته يظن أنها لا تزال نائمة..

اقترب منها ورفع رأسها له وهو يقبض على رقبتها من
الخلف..

ورغم عنف المشاعر بداخله إلا انه جذب راسها له ليقبل شفاتها
بطيء وكأنه يستمتع.. ويعوض كل لحظات البعد السابقة..

وسرعان ما تحولت طبيعة قبلاته الرقيقة لها لتصبح أكثر شغفا
وجموحا ما إن شعر بها تبادلته التقبيل متأوها بنعومة أذابته..

كانت تدعي النوم وعندما قبلها حاولت بوهن المقاومة للإفلات
منه..

لكنها استسلمت ما إن شعرت بأنفاسه الدافئة تلامس وجهها
وتنقلها لعالم آخر..

لكن ثوان أخرى حتى تذكرت كل ما مرا به..

لم تتجاوز ما فعله بها..

لا يوجد عنده سبب منطقي أو حقيقي يبرر ما فعله وقاله لها..

دفعته رانسى من كتفيه بيديها هامسة بصوت ناعس مضطرب

((ماذا تفعل يا راجي الآن؟))

لم يلن بل شد قبضته الممسكة بظهر عنقها لا يترك لها مجالاً
للابتعاد إلا بعد أن شعر بطعم الدم في فمها بعد أن أدمى شفثها
السفلى..

ابتعد راجي عنها وهو ينظر لها بينما يلهث بكلماته هادراً

((سنتفاهم أكثر بعد أن أعود من عملي اليوم رغم رغبتني
الشديدة بعدم الذهاب.. أمامنا حديث مطول جداً.. جدا))

كان يقف عند عتبة الباب وهو يقول آخر كلماته بينما يرشقها
بنظرات حذرة ومتوعدة للحظات قبل مغادرته لكل الحجرة..

=====
=====

في ساعات الصباح الباكرة..

فتحت أمينة باب منزلها لتتسع عينيها مجفلة وهي تنظر للطارق
الذي كان هو راجي يحدق بها بوجوم بينما يعقد حاجبيه الكثيفين
بوجه "يقطع الرزق من البيت" كأنسب مثل شعبي يعبر عن
وجهه..

زمت أمينة شفثيها بوجوم هي الأخرى وهي تقول بينما تنتبه أنه
يرتدي حُلته مستعداً للذهاب للعمل

((راجي ماذا تفعل بهذا الصباح الباكر؟))

زفر راجي بتعب من كل ما مر به مؤخرا بالأيام السابقة ثم قال
بفتنوط

((لقد أخبرتني رانسی كل ما قالته بالأمس لكم))

أشاحت أمينة بوجهها جانبا قائلة بحنق

((حسنا.. وماذا بعد؟))

ازداد انعقاد حاجبي راجي وهو يقول بوجوم

((لا شيء.. لكن كل ما تفوهت به لكما هو مجرد ترهات وانا
لم اقصد فعلا ما قالته))

توترت زاويتي شفتي أمينة وهي تشبك أنامل يديها بتشنج قائلة

((ولينا قالت لها أنها ترفض من الأساس هذه الفكرة))

ساد صمت ثقيل حولهما للحظات طويلة ثم قال راجي بفتور

((أبضا أخبرتها أنك من كنتي تريدين حدوث ذلك))

هزت أمينة رأسها بإحساس مقبض لتقول بامتعاض

((لماذا أخبرتها؟ لم يكن داعي أن تعرف أنني من قلت لك))

رد راجي بتلقائية ونبرة صوته ترتفع

((بل حرصتُ كل الحرص على أن تعرف جيدا ماذا كنت
تقولين لي من خلف ظهرها.. لا أحب النفاق يا زوجة عمي))

عبست أمينة والمرارة تقطر من كل لمحة من لمحاتها التي
كانت ترشقها لراجي قبل أن تقول بصوتٍ جاف متوتر

((هل أنا مناققة يا راجي؟ حسنا إذن لا أريد رؤية وجهك هنا
ولا أريد دخول منزلك))

أغمض راجي عينيه وقال لها بصوتٍ بطيء

((وهذا هو المطلوب))

انزعجت نظراتها ولكن قاطع حديثهما صوت هادئ من خلف
أمينة

((راجي.. هل هذا أنت؟))

انفكت ملامح راجي الواجمة وهو يسألها بعفوية

((لينا.. كيف حالك؟))

أجابته بصوت هادئ وهي تنظر إليه مبتسمة بتهذيب

((الحمدالله.. وأنت كيف حالك؟))

ارتبك راجي قليلا بحيرة وتشتت نظره ليسمعها تردف له
وكانها تحاول التخفيف عنه

((بشأن رانسي أخبرها أنني نسيت كل ما سمعته منها))

رفع بصره نحوها ولوجهها البشوش وسرعان ما بادلها
الابتسامة قائلا بامتنان لتفهمها

((شكرا لك يا لينا.. أنا ممتن جدا لك))

هزت لينا راسها له بقبول ليأتي صوت طفولي شقي يهرول
هاتفا باتجاه راجي الذي سارع بحمله وتقبيل جبينه

((عمي.. سأذهب الآن للحضانة وسألعب مع أصدقائي))

افتعل راجي الدهشة وهو يحدثه بفخر بينما يلامس جبينه جبين
سند

((فعلا؟ أيها المحظوظ.. بعد أن أعود من العمل أريد اللعب
معك لساعات))

بقيت لينا تراقب ابنها وراجي دون أن تنحسر البسمة عن شفيتها
حتى أخبرها راجي

((سأصحب سند معي لنهاية الشارع لمكان وصول حافلة
الحضانة))

عقدت لينا حاجبها وهي تقول له بلطف

((لا داعي لإتعابك.. سأليس الآن وأوصله لنهاية الشارع))

ابتسم راجي له وهو يبدأ السير للأمام

((كلها عشرة دقائق وستصل حافلتة.. لا تعب في الأمر كله))

شكرته ليña بامتنان وهي تعطيه حقيبة سند

((شكرا لك يا راجي.. وأنت يا سند إياك أن تقفز وتتعب عمك
كثيرا.. ضل واقفا بتهديب عند نهاية الشارع بانتظار حافلتك))

هز سند رأسه بطاعة بينما يهتف عاليا بحماس

((سأفعل أُمي.. لا تقلقي))

شعرت ليña بالسعادة لطفلها الصغير وفرحته ثم أغلقت باب
المنزل لتتنفث أمينة نفساً مكتوماً حانقاً قبل أن تقول ليña لها
معانبة بانزعاج

((هل أعجبك هذا يا خالتي؟ بسببك تعرضت للإهانة.. أتمنى
الآن أن تكوني راضية))

قالت لها أمينة معذرة بتبريرها الواهن الوحيد

((ولكن أنا والله لم أرد إلا كل خير لك))

بقي الوجود مرتسما على لينا وهي تناظرها ثم تنهدت بياس
وأعطتها ظهرها وهي تعود لتتفقد طفلتها..

بعد ساعات..

قالت لينا بنبرة عادية وهي تشير للقهوة التي لا تزال موضوعة
على المنضدة

((احتسي قهوتك ستبرد يا رانسي))

تنهدت رانسي بثقل وهي مستمرة بعدم القدرة على مواجهة لينا
بعينها بينما تقول للمرة الألف

((كيف حالك يا لينا؟))

هزت لينا وجهها مبتسمة ببشاشة وفي عينيها الصافيتين وميض
عطف على رانسي وهي تقول لها برقة

((الحمدالله بخير.. وأنت؟))

أجابت رانسي أخيرا بصوتٍ حاولت أن يكون ثابتا وهي تقول
عقب أن ارتشعت من فنجن قهوتها

((بخير حال))

ساد صمت ثقيل بينهما ورانسي تحرق في الفراغ أمامها بوجه
خالٍ من أي تعابير إلا من التردد والارتباك فأشفقت عليها لينا
أكثر لتقول لها مباشرة مبتسمة

((أنا نسيت كل شيء قلتيه لي سابقا فلا تقلقي.. تعاملي بأريحية
معي))

ارتفع حاجبا رانسي وهي تسألها ذاهلة

((ماذا؟))

لحظات وحادث رانسى بنظراتها بعيدا عنها وهي تسترسل
بخفوت

((أنا أسفه.. لا ذنب لك لندخلك أنا وراجي بهكذا نوع من
المشاكل بيننا))

كانت لا تزال تنظر بعيدا عن أينا فعقدت أينا حاجبيها تقول
بتأكيد وبنبرة أكثر صلابة

((لا تقلقي.. عرفت ما كانت تقوله خالتي أمينة لراجي ولا أكن
أي عتاب أو لوم لك أو لراجي.. لكن ما فعلتیه كان بمنتهى
الغباء.. لذا إياك أن تكرريه.. من أجلك أنت))

داعبت شفتي رانسى ابتسامة متوترة كانت تحاول من خلالها
بذل جهدها لإخفاء دواخلها لتقول للينا بامتنان

((سأفعل.. أنا أسفه مجددا))

خفت أينا الحرج عليها بقولها

((لا بأس))

ولتلف الأجزاء أكثر أردفت لنا بحماس وبنبرة مرحة

((ما رأيك أن نخرج الأسبوع القادم للتسوق معا؟))

وكان وجه لنا البشوش والداعم فعلا ما خفف الضغط والثقل
الذي كانت رانسي تشعر به لترد عليها قائلة

((نعم.. سيكون هذا رائعا))

في نفس الوقت..

أرسل راجي الجالس على كرسيه الدوار خلف مكتبه بالعمل
أكثر من رسالة لرانسي إلا أنه لم يتلقَ منها أي رد..

اتصل بها وكان اتصاله هذا الثالث ولم تجب مكالمته هذه المرة
أيضًا فشرد ذهنه بعيدا..

أظلمت النظرة في عينيه للحظة لينتصب واقفا من مكانه
وسرعان ما أخبر مساعده أنه مضطر للمغادرة الآن لظرف
طارئ حدث بالبيت..

استقل راجي سيارته يقودها وما إن ركنها أمام منزله حتى
ترجل منها نحو الباب ليفتحه بعنف يعلن عن وجوده..

أسرع بخطواته كخفقات قلبه المنقبضة يتفقد وجودها بالمطبخ
وعندما لم يجدها هرول يصعد الدرج نحو حجرة النوم التي
وجدتها أيضًا فارغة..

كالمجنون بحث عنها لاهنًا في كل أنحاء المنزل مناديا باسمها
وكان المنزل خاليا منها تماما..

جلس بعنف على احدى الأرائك بالصالة يعود ليرفع هاتفه
ويطلب رقمها مجددا لينتبه لتصاعد رنين هاتفها الموضوع فوق
المنضدة..

عقد حاجبيه باستغراب لخروجها من المنزل بدون اخذ هاتفها
وسرعان ما تناها لسمعه صوتها المستغرب وهي تدلف للمنزل

((لماذا عدت للبيت في هذه الساعة المبكرة؟ لو لم أرَ سيارتك
مركونة لظننت أن لص حاول الدخول للمنزل فالباب مفتوح
على وسعه))

انتصب واقفا مكانه وهو يستدير لجهة الباب سائلا متغضن
الملامح

((أين كنتي؟))

تسمرت رانسي مكانها تنظر بدهشة لانفعاله قبل أن تجيبه
بعفوية

((عند ليينا))

نظرتها تعلقت بنظرته التي احتدت نظراته للحظة حتى خافت
منها وشعرت أنها ارتبكت خطأ ما وهي تسمعه يقول بعصبية
وسأم

((مجددا))

ازدردت رانسي ريقها وسألته بتوتر وخفوت

((هل تريد مني ألا أزورها؟))

زفر راجي بضيق وهو يهز رأسه بتوتر قبل أن يمسه
متنهدا..

ثم قال بصوتٍ حاول جعله هادئا وهو يقول رغم اهتزاز أنفاسه
التي لا تزال منفعلة من خوفه السابق قبل قليل من فكرة عدم
وجودها بالبيت

((لا.. لا قطعاً لا.. لم اقصد هذا))

تنفس راجي بتعب يوم طويل رغم عدم انتهائه وهو يمسخ
وجهه بيده لتقترب منه رانسي تسأله بقلق وبصوت أجش

((ما بك؟))

تنهد راجي وهو يعطيها ظهرها ويخطو نحو الدرج هادرا

((أنا متعب.. أريد أن اخذ قسطاً من الراحة))

سارت رانسى خلفه تصعد الدرج وهي تسأله بقلق شديد ولهفة
لامست قلبه وجعلت ابتسامة صغيرة تداعب شفثيه

((وجهك شاحب قليلا.. هل حدث شيء؟ لماذا عدت مبكرا من
عملك؟))

أزال راجي البسمة من على محياه المتعب وهو يدلّف لـحجرة
النوم ويستدير نحوها قائلا بخفوت بينما يبدأ بك أزرار قميصه

((شعرت بتعب بسيط وفضلت أن أعود للبيت))

هزت رأسها له باطمئنان وهي تجلس متنهدة على كرسي تتابعه
بناظريه بينما يحرر نفسه من ملبسه ويرتدي منامة بيثيه
مريحة لتقول له أخيرا وهي تطرق بعينيها أرضا وتتلاعب
بأناملها

((قالت لي لينا أن أنسى كل ما حدث.. وسنخرج سويا الأسبوع
القادم للتسوق))

توقف راجي عما يفعله وهو يحدق برانسى طويلا.. ثم قال لها
وهو يتجه للسرير

((جيد.. إذن وهل ننسى أيضًا كل ما حدث بيننا؟))

رفعت راسها تنظر ناحيته قائلة بوهن وخفوت

((نعم.. أتمنى ذلك))

تمدد راجي على السرير.. وشيء ما بداخلها دفعها لتقول
باستفزاز وانفعال وسط الحال الهادئ بينهما وبصوت مرتجف

((لكن.. ما زلت لا افهم لما قلت ما قلته لي.. ما كانت غايتك
مما قلته؟ كيف هنت عليك هكذا وبهذا الشكل؟))

مرت عينا راجي على رانسي بمتلكئ وهو يناظر ملامح وجهها
العائبة والحزينة والغاضبة عليه..

نعم هي محقة.. لقد كان قاسيا مع امرأة رقيقة وهشة مثلها..

كان سخيفا جدا معها وبلا أي مبرر لما فعله..

قال راجي لها بنبرة هادئة إنما مثقلة بالذنب تجاهها وهو يشرح
لها تفكيره العقيم

((لا أدري حقا.. لكن شعرت أنني أريد أن أرى ردة فعلك أو استفسارك عن السبب.. وأنت.. أنتِ بقيتِ لأسبوع صامتة لا تتحدثين معي))

تقدمت رانسي نحوه قائلة بضيق وعتاب

((وبماذا قد أتحدث معك بخصوص شيء كالذي قلته لي))

نظر راجي إلى ملامحها المرهقة القريبة من ملامحه وفتح شفقاته ينوي التحدث لكنه عاد يضمهما وهو يراها تجلس بملامحها الرقيقة الحزينة على طارق السرير..

فامسك بكفيه يدها ونظر لإبهاميه يتحركان فوق يدها بينما يقول
برجاء

((رانسي لنتوقف.. لا أريد حتى تذكر الأمر.. دعينا نفقد ذاكرتنا بما يخص هذا الأمر.. أريد فقط الاستلقاء وإغماض عيني لساعات طويلة))

هزت رأسها له بموافقة صامتة.. ثم قالت بعد لحظات تسأله

((حسنا.. هل اجهز لك طعام الغداء قبل أن تنام؟))

هز راجي رأسه نافيا وهو يشد يدها بخفة له هادرا

((فقط استلق بجانبى قليلا حتى أغرق في النوم))

قالت رانسى له معترضة وهي تقوس شفاتها عابسة

((ولكن راجي.. كيف تريد مني أن أنسى ببساطة واستلقى بجانبك بسهولة.. أنا لازلت غاضبة.. ولولا معرفتي أنك لم ترد فعل ما قلته لما بقيت بالبيت هنا))

كان صوتها بأخر الكلمات مرتجفا ومتألما يندر بالبكاء مما جعله يعتدل جالسا وهو يشد على كفها ويقرب وجهه بصرامة منها ويفترسها بنظراته سائلا إياها

((وهل شككت للحظة أنني يمكنني فعل ذلك؟))

رشقته رانسى بغضب مكتوم وهي تقول بصوت مختنق بالبكاء

((نعم شككت.. فيمجتمعنا يعاني الرجال من غياب ثقافة الرفض حيث لا يستطيع الواحد منهم الرفض أو قول "لا" لاحد يعرض

عليه امرأة مع حبها واهتمامها به.. وانا لا أدري ماذا قالت
زوجة عمك لك تحديدا لتشجعك على اتخاذ هكذا الخطوة))

ضيق راجي عينيه وهو يطالعها وما لبث أن مد أناملها ليرفع
ذقنها ويجعلها تطالعه ليقول لها بصدق وهو يطالعها برقة
وحنان

((ولكن أنت تعرفين جيدا وكما قلت سابقا أنا لم أفكر لولها أن
أقبل.. نعم أعرف ابنة عمي ولكن لا يجمعنا حتى أي حوار من
أي نوع.. فقط أسلم عليها عندما تكون موجودة معك.. ونفس
الشيء أتصرف مع أي امرأة لأنني اعلم أن زوجتي لو كانت
معني كانت لتغار علي.. فأكون حريصا في التعامل مع أي
امرأة.. بجانب أنني لا يمكن أن أنظر إلى أي امرأة أخرى
غيرك))

جذبها من ذراعها لتجلس بجانبه وحاطها بذراعه وهو يردف

((نعم كنت أتضايق عن تحدثك عن لنا بإسهاب واعرف أنك
تتحدثين بتلقائية وطبيعية بدون أن تفكري مسبقاً بما قد يفسره
مستمعك.. ولكن مشكلتك أنك ككتاب مفتوح وتفكرين بأن
الجميع يفكرون مثلك وأن كلامك مجرد فضفضة أو دردشة..
وأردت أن تكوني حذرة من زوجة عمي))

بدأت عيناها تغرورقان بالدموع مما جعله يقرب أكثر له بينما
يهمس يقرب أذنها

((إذا الخطأ خطئي أنا أني لم اعرف كيف أجعلك توقنين أني
أحبك ولا أقدر أن أحب أو أهوى غيرك لأنني عقلي لا يفكر إلا
فيك وكل نبضة قلبي هي لك))

تراقصت السعادة بقلبيها وهي تسمعه يستطرد كلامه في فورة
عواطفه

((أحبك يا غزالي.. يا جميلتي فأنت دنيتي.. أحبك وسأظل
أحبك مادام في قلبي نبض وخفقان))

ورغم أنها لم تكن تنظر له مباشرة إلا أنها خفضت عينيها
بخجل ووجنتيها تشتعل بالحمرة لتقول له بصوت متحشرج

((وانا أيضًا احبك يا راجي.. لم أحب أنسان كما أحببتك.. لا
أزال لا اصدق أني بظرف سنة وقعت بحبك إلى حد أن صرت
تغنيني بحبك عن الجميع))

سألها راجي بشقاوة متبرما

((هل حقا أغنيك عن الجميع ولي الأفضلية عندك؟))

قالت له بتأكيد وهي تشعر بلمسة شك بكلامه

((لا تشك أنك أهم شخص في حياتي))

قال لها يشاكسها وأنامله ترتفع لتداعب شعرها الحريري الأسود

((ولكني اشعر أنني لست أقرب منك من ليينا.. أو حتى جالا؟
لماذا لست منفتحة بمشاعرك معي أكثر؟))

قالت له بخفوت بعد لحظات صمت وارتباك

((لا أدري.. ربما لأننا جميعا نساء ونفهم بعضنا.. وأنت كرجل
صعب عليك أن تفهمني.. أحيانا..))

قاطعا راجي وهو يبتعد عنها سائلا إياها بعبوس

((لماذا صعب علي؟))

نظرت له بدهشة..

هي لطالما كانت اجتماعية وتقيم الصداقات باي مكان تذهب إليه وبدخلها اعتقاد جازم بأن ولا أي رجل بحياتها يمكن أن يغنيها عن تكوين الصداقات..

فصحبة وصداقة النساء لبعضهم مختلفة..

فالنساء فقط من يعرفن كيف يتحدثن ويجاملن ويعانقن ويهتمن بتفاصيل بعضهن البعض في حين أنه من النادر أن يهتم رجل لهذه الأمور لزوجته..

لكن بحالته هو ولتكون صريحة مع نفسها فهو يهتم ويعرف كيف يشبعها بالغزل والمجاملات.. هو بارع بالكلام معها..

ويهتم جدا برغباتها واحتياجاتها دون أن يحصر الأمر في العلاقة الجسدية..

ويهتم بالتفاصيل.. باي تفاصيل تخصها..

فلماذا لا تكون كما يكون معها؟

تحقق حلمها بالزواج من رجل يبادلها نفس الشعور ويكون وفياً معها ولا يقسُ عليها..

فلماذا لا تعطيه ما يريد.. وما تريده هي الأخرى؟

فمعه فقط حصلت على بيت يملأه الحب والسكينة والطمأنينة..

معه حصل على الدفاء سواء في العلاقات أو المشاعر أو
الأزمات التي تمر بها..

معه حصلت على قلب يحتفظُ بها ويرعاها ويُشعرها بكيئونها
وأنها ملكة في نظره..

معه شعرت بأنه أب واخ وصديق وسند..

قاطع راجي تفكيرها وهو يرفع يده يلامس بشرة وجهها
الخميرية الناعمة بتأمل لتقول له مبتسمة

((تعال لنتناول شيء من الطعام معا))

قال راجي لها بخفوت معترض

((ولكنني متعب وأريد النوم))

ألحت عليه بإصرار وهي تقول له بطفولية

((ولكني لا اعرف أن اكل شيء لوحدي))

هز راجب كتفيه قائلاً ببراءة

((اذا كنت مصرة لن أقول لا))

تشدقت رانسي بسعادة غامرة للبريق المبتهج في عينيه البنيتين
وهي تقف من مكانها وتشدده لتجذبه لها

((نعم أنا مُصرّة جداً.. ولا تنام الآن والا لن يجافيك النوم ليلاً
يا عزيزي))

لم يستجب فوراً لطلبها وحاول العودة للنوم وهو يشعر بدمه
يتدفق في شرايينه بسعادة غامرة لمشاكستها وهي تشد يده بقوة
هادرة بدلال

((هيا يا راجي قم من مكانك.. لن أستطيع جرك أو حملك))

لكنه تمادى بشعور التدلل عليها قائلا بصوت خافت وعيناه
تكادان تتغلغان تلقائيا

((ولكني حقا متعب))

قالت له متذمرة بدلال ونعومة سلبته

((راجــــــــــــــــي.. هيا))

.

.

ليلا..

وضع راجي ظاهر يده على فمه عند تثائبه ثم غمغم وهو يتمدد
على سريرها

((اغلقي الإنارة وتعالني نامي بجانبني.. لا زلت على كلمتي التي
قلتها اليوم لك.. السرير الآخر سأتخلص منه بأقرب فرصة
حتى اذا تخاصمنا مجددا لا تجدي إلا تنامي بقربي أو أرضا))

هي أبداً ليست حالة ترفيته في حياته..

يشتاقها حين يُكُون في العمل أو الخارج..

يشتاقها حتى حينما يكون في زمرة الاكتظاظ..

ابتسمت رانسى وهي تراه يرفع الدثار ليغطي نفسه والنُعاس
الذي جافا كلاهما لأيام عاد ليداعب جفونه..

أطفأت رانسى الإنارة واستلقت بجانبه..

مرت دقائق عليهما وحجرة النوم لا تزال تسبح في ظلام دامس
وكانهما الاثنان بمكان بعيد عن كل هذا العالم..

أحست بشبه انتظام أنفاسه فالتفتت برأسها تسأله هامسة

((هل أنت مستيقظ؟))

لم تتلقَ منه أي رد فتهددت قبل أن تشعر به يتململ متمتما
بصوتٍ أجش

((لا أنا نائم))

ضحكت رانسى بخفوت عليه وهي تشعر به يحيطها بذراعيه
ويضغط عليها بشدة..

أخيرا بعد هذا الجفاء ستتمتع بأحضانة طوال الليل وتغمض
عينها الطالبتان للنوم بسكينة..

إلا أنها شهقت بخفوت وهي تشعر به يمسك رأسها ويقربها منه
خاطفا أنفاسها بقبلة عميقة فرفعت أناملها النحيقة تريحهم على
وجنته وهي تبادلته القبلة..

تركها راجي لاهثة ليغمض عينيه ويعاود وضع رأسه على
الوسادة بابتسامة متسليه هادرا

((غسل الأسنان بطعم النعنع هذا لذيذ))

وأخر ما توقعه أن يشعر بها تدس وجهها في تجويف عنقه
تطبع قبلات ناعمة رقيقة ارتجف لها جسده بقوة..

لمساتها الرقيقة العفوية.. كلماتها العذبة.. كل ما فيها كان دافئا
يفيض حبا ويعكس شوقها وألمها منه..

ليخطفها معه الى عالمهم الخاص بعيدا عن أي شيء قد يعكر
صفوهم..

ولم يشعر بنهاية لقائهما إلا بسعادة خالصة وهو يراها تعود
مقتربة منه وبداخلها فخر وعاطفة متدفقة تشعر بها وهي تفكر
بأنها زوجته.. امرأته..

همست رائسى له بهمس مرتجف

((أنا احبك يا راجي.. وممتنة لوجودك بحياتي))

لم يقدر ألا يضمها لصدره بقوة كبيرة يكاد يحطم أضلاعها وهو
يستنشق عبير شعرها حتى هدأت أنفاسهما اللاهثة..

مرت الدقائق عليهما قبل أن يشعر باهتزاز جسدها..

ببطء وارتياب ابعدا عنها يلامس بشرة وجهها بأنامله ليشعر
بها رطبة جراء دموعها المستمرة بالانزلاق..

تأملها راجي بريية وعدم فهم في هذا الظلام وبالكاد ملامحها
تتبين له..

ظل محتفظا إياه بصمت.. ربما لصدمته التي تستلبسه عند
بكائها..

لكن وعلى الرغم من صمته إلا انه هناك شيئا يحاوره ويدخل
معه في مناقشة جادة وهو الشك..

لم يعد يفهم بكائها بعد اغلب لقائتهما رغم تبريراتها الواهنة
فشعر راجي ببعض الضيق..

بل رغما عنه شعر بانه ربما في الأمر شيء يتعلق به وبذاته قد
جعلها تبكي..

رفعت رانسى ذراعها تحيط بجسده قائلة له برقة وبصوت
مرتجف وقد شعرت بتخبطه

((أرجوك لا تهتم بدموعي.. كما سبق وأخبرتك أنا لا أستطيع
منعها))

لانت ملامحه قليلا وهو يقرب شفاته لمفترق شعرها هادرا
((لا تبكي.. لا أحب رؤيتك تبكي))

قالت رانسى له بصوتٍ متحشرج

((رغما عني.. لا أتحكم بدموعي صدقتي.. إنها شغفي بحبك..
لم أنل قربك منذ أيام طويلة))

قال راجي لها بصوتٍ حمل بعض المرح

((إذن ربما هو امر يجب أن يجعلني بالسعادة.. لكن حتى ولو..
لا تبكي.. أرجوك))

شددت رانسى باحتضانه وهي تقول

((لكني لا أجد إلا البكاء طريقة للتعبير عن سعادتي لقربك))

تلمس ظهرها بإحدى يديه مع استمراره باحتضانها

((أنت ملاكي ومن تجعليني اشعر أنني أكاد أكون أسعد مخلوقٍ
في هذه الدنيا وأفضلهم خطأً وأوفرهم غنى))

تجاوبت معه وهي تقول له بصوتٍ مثقلٍ بالعاطفة

((أحبك يا راجي بكلّ ما تحمله هذه الكلمة من معنى.. أحبك بكلّ إحساس بداخلي يتلهف لرؤيتك.. أحبك بكلّ ما تخبئها هذه الكلمة من غناء))

رفع راجي يده الأخرى إلى وجهها يربت على خدها بلطف
هادرا

((وانا احبك.. أحبك ولا أريد سماعها من أحد غيرك.. فمهما
قبيلت لم أشعر بها مثلما شعرت بها معك فأنت الحب ومن
علمني كيف الإحساس يكون))

هي حياته.. هي من أحبته بصدق إحساس..

هي من جعلته يحمل بداخله حباً يجعله يسير إلى الأمام برغبة
مجنونة تدفعه إلى تحقيق المستحيل من أجلها فقط..

معها شعر بحب مختلف سابقا إلا أن ما يشعره الآن هو مودة
أعمق ومرتبطة بمواقف وذكريات وأدل من الحب الذي يعبر
عن فورة لحظية..

=====
=====

أغلقت جالا باب غرفة ابنتيها بعد أن فقدتهما قبل أن تدلف
لحجرة نومها هي ومراد..

لم تكن لحسن حجها صغيرتها الرضيعة مرام قد استيقظت
بعد..

استلقت جالا على السرير وهي تنظر بحنان لمراد النائم بجانبها
وهي تعود لذكرياتها في أشهر حملها الأخيرة..

ففي الأشهر الأخيرة من حملها كانت تعتني بنفسها كثيرا من
خلال طهي الوجبات الصحية التي تخفف أعراض الغثيان لديها
وممارسة التمارين الرياضية المناسبة لها وغيرها من
النشاطات..

كانت تأخذ جولات للمشي الليلية بحديقة بنايتهم التي تداوم عليها
تقريبا بشكل يومي وأحيانا يتمشى مراد معها..

حياتها بشكل مبدئي تحسنت كثيرا حتى أنها غالبا ما تتردد عدة
مرات أسبوعيا لشقة حماتها التي لا تزال مستمرة على معاملته
بود ولطف..

ومتأكدة بأن والده مراد لن تعود لسابق عهدها بمعاملتها الفظة معها لان الوعود بالتغيير والأمر المختلف في هذه المرة جاء منها هي وبإصرار لا من مراد أو غيره..

تنهدت جالا وهي تذكر ليلة إنجابها مرام..

فالأمر بدأ عندما زمت شفيتها وهي تخلع وشاحها وسترتها الطويلة التي ترتديه فوق منامتها البيئية لتعلقهم على المشجب بينما نظرها مصوب نحو مراد المستلقي على السرير..

كان يضع ذراعه فوق عينيه لكن تنفسه الغير منتظم أوحى لها بأنه لا زال مستيقظاً..

فأغلقت الإنارة إلا من ضوء مصباح خافت بينما ترفع غطاء السرير وتتمدد بجانبه هامسة بحنق متدل

((لماذا اشعر أنك تتعمد الابتعاد عني يا مراد؟))

ابعد مراد ذراعه عن عينيه وأمال رأسه للجانب لينظر لها عاقد الحاجبين لكلامها..

فهم قصدتها بأي بعد بالضبط فهي لا تقصد قربه العادي لأنه ومنذ حملها وهو يقضي معها أوقاتاً مضاعفة ويدلها كما لم يفعل طوال سنوات زواجهما..

لكن سرعان ما تحول تأمله لها لتأملٍ متسلٍ وهو يقول بينما
يرفع حاجبيه

((أيام قليلة وستلدين وهذا هو جل ما تفكرين به الآن؟))

ابتسمت جالا له بافتنان وهي تقترب منه لتقبل أرنبة أنفه ببطء
هامسة

((ولكن تتعمد ألا تقترب مني منذ فترة لا الآن فقط.. مسألة
الخوف من تعريض حياة الجنين للخطر غير حقيقية.. ألم
نستفسر من الطبيب لمعرفة هذه التفاصيل وسمعت ما قال؟))

أبفاها مراد على قرب منه وراح يعبث بخصلات شعرها
الناعمة النبية ثم قال لها بصارحها

((لا أدري.. لكن لا أستطيع إلا الشعور بأن كل حركة خاصة
القريبة من بطنك فيها خطر عليك وعلى الجنين))

ابتسمت جالا وهي تداعب لحيته بافتنان وقالت له بخفوت

((إذن لا داعي لأن تبتعد تماما عني بدافع الخوف علي وعلى
الجنين.. يمكنك فقط احتضانني))

قربها مراد منه ليضع رأسها على صدره ثم قبل مفترق شعرها
بعمق متنهدا باسترخاء..

هو في الواقع لم يشعر بالتغيرات الجسدية لها أو بوجود الجنين
إلا خلال الأشهر الثلاثة الأخيرة من الحمل حيث بدأ يشعر
بتحركات طفله من خلال لمس بطن جالا لذا رغا عنه تراجع
إقباله على وصالها..

قالت جالا له هامسة وهي تسدل جفنيها

((هل تفكر بشيء ما؟))

رد مراد بهدوء بعض صمت لثوان معدودة

((لا شيء..))

ثم استرسل بعد لحظات وهو يبعد رأسها عنه قليلا ويحركها
نحوه ليهمس لعينيها بمشاكسة مازحًا

((بالفترة الأخيرة صرتي هادئة وهذا الأمر غير مطمئن.. أنا
أريدك عبري عن مشاعرك يا مليكتي بصدق.. يمكنني تحمل
كل تقلباتك الهرمونية والمزاجية وإجهاذك))

تغضن جبين جالا بافتعال وهي تقول له برخامة وتجهم

((لا شكرا ولكن لا داعي لنتحمل أي شيء.. ولا تقلق عليّ
أيضا فحالي متزنة نفسيا))

ضحك مراد بخفوت على تعابير وجهها التي تغيرت ثم عاد
يضمها أكثر وقال لها بحنان وضوت أجش

((بعيدا عن المزاح.. اذا كنتي مجهدة أو تشعرين بألم ترغبين
بالتعبير عنه بالصراخ أو البكاء يمكنك ذلك.. عبري عن نفسك
ولا تقمعي المشاعر التي تعتمل داخلك.. لست معتادا على ذلك
منك))

قالت جالا له بصدق متنهدة

((لا تقلق وضعي صار أفضل فلقد تخطيت مشكاتي مع الغثيان
والتعب))

قال مراد لها معارضا

((على العكس لاحظت ازدياد متاعب حملك مع مرور الأشهر
بحملك هذا مع صعوبة التنفس وانتفاخ يديك والإرهاق عند
القيام بأي مهمة مهما كانت بسيطة))

جارته جالا وهي تقول

((نعم أنت عندك معرفة سابقة بالضغط النفسي والاكتئاب
المزاجي الذي يصيبني بسبب شعوري بالعجز والتقييد داخل
جسدي مما يجعل أعصابي سريعة الانفلات.. لكن صرت مع
حملي الثالث هذا أتحكم بالأمر معظم الوقت.. لذا هدوني وعدم
تدمري هو مؤشر جيد لا يجب عليك القلق بشأنه))

قال مراد لها عابثا وهو يعود ليتخلل شعرها بأنامله

((بل يحب أن اقلق وأن أمنحك المزيد من الاهتمام والتدليل))

قالت جالا تتناكفه بمرح

((حرفيا أنا سألد خلال أيام معدودة.. الآن تفكر بأمر مضاعفة
تدليلي؟ إنسَ وفكر فقط ماذا ستفعل بيوم ولادتي))

ثم استرسلت بصوت متخم بذكريات الماضي أثناء حملها بكل
من رورو ولين

((المرّة الأولى بدأت الولاد بـ "أهه" طويلة مدوية على الهاتف
والمرّة الثانية كانت في منتصف الليل في البيت.. هذه المرّة
كيف ستكون يا مراد؟))

لا شعوريا وجد نفسه يبتسم في إثارة لطيف وجهها العابس
بدون أن ينظر مباشرة لها..

قال عقب أن اخذ نفسا عميقا

((لا أدري بالضبط كيف ستكون.. أتمنى أن تمضي على خير
فقط))

هزت جالا رأسها وابتسامة شجية تداعب شفقاها دون أن تعلق
على كلام مراد قبل أن تشعر بانتظام أنفاسه بإشارة لسقوطه في
النوم لتبتعد عنه وتعديل من نومه ليصبح أكثر راحة واسترخاء
له..

انتبهت على كفه الأخرى التي كان يضعها على بطنها بحركة
صارت ملازمة منه عندما يريد الشعور بحركة الجنين في
أحشائها وكأنه يعزر الارتباط بينه وبين طفلتهما القادمة حتى
قبل أن تُولد..

لطالما عرف كيف يتكيف كأبٍ سريعاً وكان في حالة تأهب
قصوى بعد ولادتها لكل من لين ورورو وتمكن من الانتباه لهن
ومساعدتها في رعايتهن ليلاً ونهاراً..

وهذه المرة لا تختلف أبداً عن سابقتها بل يبدو متحمساً أكثر
بدءً من متعة تتبعه حركات طفلتها منذ شهرها السابع وركلاتها
ومحاولاته الاستماع لنبضها..

حتى مشاركته لها في كافة تفاصيل الحمل من الحديث عن
الطفلة وشراء مستلزماتها واصطحابها خلال زيارات الطبيب..

لكن لم يبقَ الهدوء مستمراً على خير وهي تُفزع مراد
بصراخها

((مراد.. أرجوك استيقظ))

هَبَّ مراد فزعا من نومه بعينين متسعيتين..

وسرعان ما وجد نفسه بغمّة في دوامة سريعة بدأت بذهابه بها
للمستشفى..

إلى لحظات الترقب الثقيلة خارج غرفة الولادة حتى سماع
الصرخة الأولى لمرام ورؤيتها وضمها للمرة الأولى قبل أن
يُؤذن في أذنها..

ابتعدت جالا قليلا عن مراد وهي تنتهي من تذكر هذه
الذكريات..

ثم سندت ظهرها على السرير ورفعت درجة إنارة المصباح
بجانبا قليلا بينما تلتقط أحد الكتب المختصة بالحمل وتربية
الطفل الموضوعه على المنضدة الملاصقة للسرير لتبدأ بقراءته
حتى يجد النوم لها طريقاً..

=====
=====

كان احمد بزيارة لمكان عمل أحد أصدقائه الذي يعمل بمشفى
أخر وتخصص مختلف عنه..

وهناك جلس مع زملاء صديقه من أقسام مختلفة والذين سبق
وتحدث معهم أكثر من مرة خلال تردده على هذا المشفى..

تبادل معهم لبعض الوقت الأحاديث والمجاملات قبل أن يغادر
كل واحد منهم وبقي يتبادل الكلام مع طبيب يتجاوز الستين من
عمره لدقائق معدودة أخرى..

وضع احمد قذح القهوه فوق الطاولة وانتصب واقفا من مكانه
يستعد للمغادرة قاتلا

((إن عليّ الذهاب الآن والعودة للمنزل فأنا متعب وكنت قد
أخذت من الأساس مغادرة مبكرة اليوم))

هز الطبيب رأسه بموافقة لكن عقد حاجبيه باستغراب عندما
أحس باختلال توازن احمد أثناء سيره للخارج..

رفع احمد يده لرأسه يلامسه مغمض العينين ليسأله الطبيب
الكبير بالسن والذي لاحظ الإنهاك باديا على محياه منذ قدومه

((هل هناك خطب ما يا دكتور احمد؟ تبدو متعبا جدا))

أوما احمد برأسه مبتسما له فهو لم ينام جيدا منذ أيام..

ثم قال بخفوت مطمئنا الطبيب أمامه وهو يعود للجلوس مكانه
حتى يستعيد رباطة جأشه

((لا تقلق.. مجرد صداع بسيط))

ثم أردف ضاحكا بمزاح

((لم نعد شبابا يا دكتور.. لقد صرنا بمنصف الأربعين))

تجهم الطبيب واستاء من مزاح احمد الذي بدا جديا بمضمونه
فقال له

((من منطلق خبرتي بالحياة أنا كرجل عجوز أنظر إلى
الماضي وأفكر بأنني كنت محظوظاً في سن الأربعين فهو بداية
الحياة.. لا بداية النهاية.. لا تتحدث عن هذا السن يا احمد وكأنه
سن الشيخوخة))

انتبه الرجلان على دلوفا احدى ممرضات القسم وهي تضع
احدى الملتزمات التي طلبها الطبيب وتسمعه يردف لأحمد

((وتوقف يا دكتور احمد التصرف وكأنك عجوز.. بل أرى..))

قاطعته الممرضة وهي تنتفض مكانها شاهقة واضعة يدها على
صدرها جالبة انتباه الاثنين..

قالت الممرضة بسرعة ولهفة لأحمد الذي تحفظ شكله واسمه
لكثرة ترده على هذا القسم بالمشفى

((لا تقل عن نفسك هكذا يا دكتور احمد.. والله أنا لا أرى رجلا
أكثر شبابا ورجولة منك.. يكفي عينك الزرقاوان الساحرتان))

ضيق الطبيب الأخر عينيه وهو يحدج الممرضة بنظراته موبخاً
لغزلها الصريح هذا بينما يقول موجهها كلامه لأحمد
((أسمعت إطراء الممرضة غديرا! أنها تتمناك زوجا))

صممت الممرضة الشابة بغيظ وهي ترمق الطبيب الكبير بالسن
بنظراتٍ حاتفةٍ لتسببه بإحراجها أمام احمد..

تدخل احمد بمحاولة تطيف الجو مازحا

((إنها تجاملني يا دكتور من باب اللطافة.. ما الحاجة لشابة
يافعة بالزواج من رجل بعمر أبيها وما زالت صغيرة في مقتبل
عمرها..))

عادت الممرضة تلتفت لأحمد شاهقة بعنف واستهجان شديد ثم
سارعت القول نافية كلامه بحرص وهي تشير بيديها من
الانفعال

((لا أنا لا أبالغ بل والله وبالله وتالله لا أبالغ يا دكتور.. أنا
تحديدا أفضل الاقتران برجل في سن الأربعين عن مثيله الشاب
الذي لا يزال ينقصه بعض الحكمة والخبرة العامة والخاصة
ويتخبطه طيش المراهقة الذي قد يحيلني الى ضحية))

لاحظت الممرضة ملامح الدهشة على كلا الرجلان لكلامها
قبل أن يهمس احمد ببطء واستغراب

((كيف هذا؟ أعني.. أنا لم أفهم..))

قالت الممرضة بجديّة وبصوتٍ عميقٍ شارحةً نفسها باهتمام

((بالنسبة لي أرى أن ابن الأربعين لا يزال يتمتع بقدر من
الشباب وأن فارق السن إلى عشرين عاماً هو منطقي ومقبول
وفي صالحها كامرأة واستقراري.. ومع رجل بنفس لون عينا
الدكتور احمد فلن أقول لا لو تقدم لي بل سأكون ممتنة جدا
لأحظى بنصيب مثله!))

مرت لحظات على الممرضة لتتسعا عيناها بحرج وهي لا
تصدق أنها اندفعت وبدت واضحة وصريحة بإعجابها بأحمد
إلى حد أنها وافقت على الزواج منه بدون أن يطلبها رسمياً..

أغمضت الممرضة عينيها شاعرة بالرغبة في الاختفاء من أمام
أنظارهما..

لكنها تمكنت من الهمس باختناق

((عفوا لم أقصد أن أكون مندفعة.. إلى هذا الحد..))

بترت كلامها وهي تعض شفتها السفلى لتمنع نفسها من التفوه
بالمزيد من الحماسة..

قد تكون فعلا قد انجرفت بكلامها وصراحتها إلا أنها فعلا كانت
لا تقول إلا الحقيقة..

فكثير من صديقاتها ممن تزوجت برجال في سن العشرين أو
الثلاثين انفصلن عن أزواجهن..

وهي لا تمنع بل تفضل الاقتران برجل في الأربعين عن مثيله
الشاب العشريني وذلك لخبرته العامة والخاصة..

وأیضا لاستقراره المادي الذي يمكنه من تحقيق كل مطالبها
ورغباتها ويبقيها مدللة مترفة..

فضلا عن انها لا تتخيل إلا أن رجل مثله لو تزوجها سيدلها
وسيظل حريصا عليها مليبا لرغباتها وطلباتها جاعلا منها ملكة
متوجة على عرش قلبه..

ارتفع حاجبا الطبيب الكبير بالسن متمتما لأحمد وهو يقول
بصراحة

((انظر لجرأتها ووقاحتها أنها تطلبك بشكل رسمي للزواج))

رفعت الممرضة يدها إلى جبهتها شاعرة بالغباء الشديد مجددا
لما سبق وقالته إلا أنها لم تلبث أن نظرت إليهما بابتسامة
اعتذار وهي تقول بخفوت

((لا أنا لم اقصد هذا لقد كنت أقول.. حسنا الى اللقاء))

فرت الممرضة مغادرة المكان بسرعة وبإجراج بينما بعدها
بدقائق غادر احمد المكان مودعا الطبيب الأخر..

وقف احمد يتفحص وجهه في مرآة مصعد جيد الإضاءة
للحظات..

لن ينكر أنه شعر بانتشاء بعد ما سمعه من كلام الممرضة قبل
قليل..

بل أن موقع ومكانته بالعمل تجعله يتعرض غالبا لمثل هذه
المواقف والمجاملات ولطالما سمع غزل من الموظفين أو
المرضى من النساء عنه..

إلا أنه ليس كافيا ليجعله ينسى حقيقة أنه بعمره هذا فقد عنفوانه
وحيوية الشباب ونشاطه المعهود..

نعم ربما تجاوزه لمنتصف سن الأربعين لا يجعل منه عجوزا
كما سبق وقال له الطبيب الآخر ولكنه أيضًا لا يجعل منه شابًا..

خرج احمد من بوابة المشفى العامة واستقل سيارته..

بدأ القيادة ورغم أنه تركيزه على الطريق أمامه كان عاليًا إلا
أنه سرح بتفكيره نحو حقيقة ما صار إليه حاله مؤخرًا بمرارة..

فبعد أخذه الكثير من الأدوية وزيارته للأطباء وأجرائه
الفحوص لم يعتقد بأن حاله ستتراجع ولن يتمثل للشفاء
ويستطيع إنجاب طفل يقر عينه به..

نعم فالآن صار لا أمل له بالإنجاب تقريبا حتى وبحالة اقنع
سارا أن تجهز نفسها لعملية الحقن..

وربما هذا السبب الذي دفعه مؤخرًا ليشعر بانعدام ثقته بنفسه
ورؤية الحياة بنظرة سوداوية فقل اهتمامه بمظهره وصحته
ونفسه فبدا ظاهريا منهك القوى وقد قل شبابا وكأنه كرجل
أشرف على الستين..

الشيء الوحيد الذي تبقَ له بحياته يعمل بشكل صحيح ومشرف
هو وظيفته..

إلا أنه أيضًا ومهما ترقى في عمله لم يعد الأمر يثير نفس
مشاعر الإعجاب السابقة له..

فصار معلومه وأساتذته ووالدته وأخيه ومن كانوا يسعدون
بإنجازاته مشغولين بهبوط منحى حياتهم..

حتى أنه لا يمتلك أولادا بقربه ليفخر هو بإنجازاتهم ودراستهم..

فابنه الوحيد يعيش بعيدا عنه.. بقارة أخرى.. ولا يمكنه
التواصل معه بشكل يومي أو حتى بشكل جيد..

كم يتمنى بحسرة لو تتصرف سارا كزوجة أصيلة متيقظة
وتشعر به والحالة النفسية السيئة والمرة التي تتلبس به مؤخرًا..

إلا أنها ومهما أبدًا تغيرا على حالته النفسية لا تشعر به ولا
تصرح ولا تحاول حتى فهمه..

وربما لو بقيت حياته مع سارا على هذا المنوال ستصاحبه
أمراض العصر مثل الضغط والسكر..

لذا عليه أن يُغير من سارا ويعمل على إعادة تأهيلها ذاتياً
وحياتياً وجعلها تنظر بعين الجدية لزوجها..

وصل احمد أمام منزله وركن سيارته إلا أنه قبل أن يخرج منها
عقد حاجبيه وهو يلتقط هاتفه عقب أن سمع رنين وصول رسالة
له..

فتح الرسالة التي اتضح أن سارا هي من أرسلتها وسرعان ما
ارتسم الاقتضاب على وجهه وهو يقرأ محتواها

"متى يا حبي ستحررني من سجنك؟ أرجوك لا تجبرني على
الذهاب للمحكمة لرفع قضية خلع عليك.. لا تستهين بتهديدي
ولا تنسى أنني درست المحاماة"

تأمل احمد بعدائية الكلمات التي يقرأها ورغم أنه كان جالسا
بسيارته المركونة حرفياً أمام المنزل إلا أنه رفع أنامله يرد
عليها

"لا يوجد عندي طلاق فلا تحلمي حتى به"

وسرعان ما وصله سريعا ردها

"حسنا.. إذن سأنفذ تهديدي.. سأتصالح مع أفراد عائلتي وأطلب منهم أن يطلقوني منك عنوة.. سأحزم أغراضي الآن وأذهب لشقتي.. لحسن الحظ لم أبعها بلحظة ضعف عندما احتجت للمال لأنفقه على نفسي عند عجز من تزوجته أن يجعلني أعيش برفاهية كالأميرات"

اتسعت عينا احمد بشراسة ولم يتحكم بنفسه وهو يسارع الخروج من سيارته وإغلاق بابها خلفه بقوة شديدة..

بخطوات سريعة وعنيفة دلف احمد لشقته ثم فتح باب حجرة النوم على سارا صارخا بغضب غير أيها لوجود احدى الممرضات بحجرة امه القريبة من حجرتهما

((ســــــــاراء.. أين أنتِ؟))

دلف احمد الى حجرة نومهما ليسارع القول بانفعال شديد

((هل يمكن أن تشرحي لي لماذا لا زلتى مصرة على الطلاق؟
هل أخطأت بشيء بحقك؟ لقد أخبرتك حرفيا أنني لم اعد أريد
منك الإنجاب))

استدارت له سارا التي كانت بالفعل قد بدأت بحزم أغراضها
وجهازت حقيبتها لتتنظر إليه ببرود..

كان احمد يراقبها بعدائية فرفعت جفنيها وأعدت إليه نفس
النظرة العدائية وهي ترى وتيرة أنفاسه بتزايد بينما يلقي بهاتفه
الذي يمسكه على السرير بعنف..

ازدرد احمد ريقه بمحاولة استعادة رباطة جأشه وتقليل غضبه
المشتعل..

ثم قال لها كاذبا كونها لا تعرف حقيقة أنه امر إنجابه صار
صعبا حتى لو وافقت الخضوع لعملية جراحية

((نعم يا سارا فقط من أجلك صرفت النظر عن فكرة الإنجاب..
بما أنك لا تترتاحين لفكرة أنجابك لطفل فأنا لن أجبرك بل لن
اطلب منك أبداً وقطعياً أن تنجبي من أجلي.. باختصار أنتِ من
تهميني لا الطفل الذي ستجلبينه لي))

ظهر بلون عينيّ سارا الأسود طيف ناري وهي تحدق بأحمد
الذي ورغم محاولته أن يكون هادئاً إلا أن فكه كان يتوتر
بتصلب..

للحظة أشفقت سارا عليه وأرادت أن يكون هذا الطلاق وديا..

فأخذت نفسيا عميقا ثم قالت له بهدوء ومحاولة أن تكون متحضرة بكل التحضر الذي فقدته بعد زواجها منه

((أنا أريد الطلاق يا احمد لأسباب كثيرة غير ضغطك عليّ
للإنجاب.. لكن بشكل عام يا احمد أنت لست مخطئ بشيء
ولست المسؤول عن انفصالنا بل أنا هي المسؤولة.. فأنا أراك
زوج وحتى أب مثالي لابنك الوحيد والبعيد عنك.. وجدا.. لكن
أنا امرأة لا أقدر الحياة الزوجية ولدي أحلام وطموحات أهم من
الزواج والاستقرار.. لذا أرجوك دعنا ننفصل بهدوء وود..
أوه))

تقبضت يد احمد أثناء كلامها لدرجة أن ابيضت معها مفاصل
أنامله وهو يشعر بغضب عارم انتشر في جوارحه على نحو
غير مسبوق لسماع ما تنفوه به..

كان حرفيا يغلي من الداخل والدماء في عروقه تكاد تذيب
جدران تلك العروق..

خرج الأمر عن سيطرته على نحو لم يألفه فيجرف فيه أي تعقل
ليتقدم نحوها فجأة متهجماً بينما يقاطعها صارخا وأمر بشكل
قاطع

((سارا لن اسمح لك بالمغادرة أو الطلاق.. هل تفهمين؟))

كان قد مد يده ليمسك ذقنها بخشونةٍ وقوةٍ أمتها وهو يتحدث
أمام وجهها بينما يلهث بأنفاسه..

خرجت تأوهات سارا المتألّمة عالية من قسوة وخشونة أنامله
الممسكة بذقنها فقالت صارخة باختناق غير محتملة الألم وهي
تحاول ابعده يده عنها

((ابتعد عني أيها الهمجي البدائي.. ابتعد
عني))

ابتعد احمد عنها قبل أن يفقد سيطرته على نفسه ويقتلها ولم يجد
أمامه إلا ثوب لها على السرير القريب منه ليلتقطه ويمزقه
بمحاولة إفراغ بعض الغضب بداخله..

هدرت سارا بفحيح وهي ترفع أناملها لتدلك ذقنها المُحمر
وتخفف من الألم الذي تشعر به

((أيها الغبي لماذا مزقت فستانتي المميز هذا!!))

رأته يلهث بقوة بينما يجلس أخيرا على طرف السرير وسرعان
ما تحفز كبريائها لتقول له بخبث بما يجرح رجولته وكأنها تريد
أن تكتب نهاية حياتها على يديه

((حسنا يا احمد.. كنت أحاول أن أكون لطيفة بطلبي للطلاق
منك لكنك لا تستحق ذلك لذا سأكون صريحة معك.. أنا أريد
الطلاق منك لا لشيء أو عيب فيك إلا أنك رجل متخاذل
ومتكاسل ولا تعرف حتى كيف تشعرني بأني مرغوبة ومثيرة..
كما أنك بارد ولا مبالي أو فلنقل أكاديمي.. وأنا أحب الرجل
المثير.. المنطلق.. الجريء.. كل من زوجي السابقين كانا
أفضل..))

اشتعل كل من قلب وروح احمد ولم يجد لنيرانه ما يخمدها إلا
أن يعود من جديد ويتهم عليها..

عاد يتهم عليها ولطم خدها بصفعة قوية جعلت وجهها يُدار
جانبا للجهة الأخرى فيخرس كلماتها الي تصله كخنجر مسموم
تقطع أحشاء رجولته..

ابعد احمد يده التي بدأت الارتجاف عنها كما ازدادت وتيرة
أنفاسه مزجرا

((حقيبة.. وتافهة.. تتصرفين تماما مثل بنات الليل))

رغم أنها شعرت بخيط دماء ينزلق من فمها إلا أنها بقيت جامدة
ومتسمة مكانها للحظات قبل أن تدير وجهها له مبتسمة أمام
عينيه المريرتين لتقول مغمغمه بازدياء شديد

((ابتعد عني أيها الهمجي البدائي.. أنت لا تستحقني.. أنا كثيرة على رجل مثلك لذلك أنت ببساطة لا تستطيع الحفاظ علي.. سأخلعك يا احمد.. سأخلعك أيها الحقير.. وسأتزوج رجلاً آخر يعرف كيف يقدرني ويجعل مني ملكة متوجة ويحافظ علي وأنت مت بغيظك وحسرتك وندمك))

كانت سارا تبصق كلماتها وهي تشعر بالغل ينغل بجوفها ولا يخفف عليها إلا رؤيتها لاهتزاز مقلتيه وتصلب فكه وقد بدأت كلامها بنبرة جامدة متماسكة..

لكن وتيرتها أخذت في الارتفاع والحدة حتى باتت مع آخر عبارة صراخاً همجياً عنيفاً وهي تدفع صدره بقبضتيها بعيداً عنها..

ترجع احمد خطوات للخلف جراء دفعها له وهذا المرة جحظت عيناه لكلامها وإصرارها على ما تخطط له واحتدت وتيرة أنفاسه لتصير لاهثة أكثر..

جرّ احمد على أسنانه مدممًا بتهديد واحتقار

((أيتها الحقيرة تذكرين الزواج من رجلاً آخر بحضرتي وجودي وأنت لا زلتني على ذمتي؟ من أي قامامة ابتليت فيكي أنا؟))

ابتسمت سارا بإجهد أمام وجهه الباهت المرير قبل أن تقول
بخفوت ونعومة ساخرة

((إذا كنت ترى أنني أنتمي للقمامة سارع بالتخلص مني وتنفيذ
طلبي بالطلاق.. لو كنت رجلا حقيقيا كنت ستطلقني عندما
اطلب منك ذلك))

أظلمت عينا احمد بسوادٍ عميق ورأت حلقة يتحرك مما جعلها
تدرك أنها أصابت رجولته وكرامته بمقتل آخر..

ولم تعرف لماذا هو مصر على الاحتفاظ بها وعدم تركها وكأنه
يريدها أن تبقى بقربه حتى يتفنن في تعذيب نفسه..

أخيرا صرخ بها بتهديد خطير

((لا تحلمي بتركي.. يا سارا))

قالت سارا معاندة بشراسة لما قاله ورفض وتحدي أمام الغضب
الكامن في حذقيته

((بل سأتركك وأبيع هذه الشقة التي سجلتها باسمي أيها الحقير
لعصابة تنغص عليك معيشتك لنهاية أيامك بالسكن بالدور
السفلي))

هنا لم يتحكم بنفسه ليدنو منها ويضعها مرة أخرى صفقة أقوى
جعلتها ترتعد للخلف خطواتٍ وتقع على الأرض قبل أن يلامس
خدها طرف السرير الخشي الحاد..

مسح احمد على صفحة وجهه وهو يحاول أن يللم شتات
نفسه..

ثم استدار معطيا إياها ظهره و متممه بإجهاد وإنهاك

((سأغادر وأبقى عدة أيام بمكان لا يعرفه أحد ثم سأعود..
وسأذكر أن ارفع بحقك دعوى أمام محكمة الأسرة للمطالبة
بإلزام الجهات المعنية بمنعك من السفر خارج البلاد دون إذن
كتابي مني باعتبارك زوجتي حتى الآن))

غادر احمد الحجرة وخرج من البيت غير أبها للممرضة التي
كانت تقف بتخبط على باب حجرة والدته وشهدت على هذا
الشجار المعتاد بينه وبينه سارا أمامها..

((للمرة المليون يا مدام سارا أنا اسمي أميرة لا سميرة.. ثم
أنا..))

بترت الممرضة بخوف كلامها وهي ترى الدماء تملأ وجه
سارا..

لكن سرعان ما اختفى كل هذا الخوف وانمحت آثار الشفقة
والقلق على وجه الممرضة عندما هتفت بها سارا موبخه بقلّة
احترام بصوتها المرتعش وغير الثابت

((اخرسي وتعالى لتتفقدى وجنتي.. إنها تنزف.. ربما أموت من
الصدمة.. أو قد ينشوه وجهي.. أيتها البلهاء لماذا لا تتحركين
من مكانك! هل أنت عمياء حتى لا تستطيعي رؤيتي أنزف؟))

عضت أميرة شفتها السفلى تكتم غيظها ثم قالت هاتفة بغضب
رغم نبرة صوتها الخفيضة التي تستحق جائزة على ثباتها

((تحدثي معي باحترام لو سمحتي.. فبعد آخر إهانة تلقيتها منك
كنت سأتوقف عن العمل لولا أن الدكتور احمد..))

قاطعته سارا قائلة من بين أسنانها تشدد على كل حرف وكأنها
تشتمها مع كل كلمة رغم الفزع الظاهر على محياها الشاحب
بينما هي مستمرة بوضع يدها على خدها لعلها توقف نزيفه

((توقفي عن الثرثرة الفارغة وتعالى هنا وعالجيني.. عمودي
الفقري ربما يكون قد كُسر ولن أقدر على الوقوف مجددا..
زوجي يعطيكِ الراتب لذا عمليا أنتِ خادمة تعملين هنا عندي))

بقيت ملامح الممرضة أميرة هادئة وهي تنتظر لسارا بلا مبالاة
بل استغزتها عندما داعبت شفيتها شبه ابتسامة ساخرة وهي
تقول بتقرير

((حسنا.. هذه المرة حقا لن أعود للعمل هنا وسأتركه للأبد. لقد
أخبرني الدكتور احمد انه يمكنني المغادرة الليلة مساءً
وستحضر عوضا عني ممرضة أخرى.. لكن يبدو أنني مضطرة
للاعتذار الآن فانا لا يمكنني أن اصبر لساعتين إضافيتين
بالتواجد بنفس المكان معك))

هزت سارا رأسها فاتحة فمها قليلاً بعدم تصديق من برود هذه
الممرضة ثم قالت صارخة باستهجان قبل أن تراها تستدير
وتعطىها ظهرها

((أيتها الغبية تعالي لمعاجلتى.. أنت ممرضة ومن واجبك
إسعاف أي مريض.. إياك أن تذهبي وتتركييني أنزف هنا.. إنها
جريمة بحق الإنسانية.. وقتها لن تختلفي شيئا عن زوجي
وسأتهمك بمحاولة قتلي))

استدارت الممرضة نصف استدارة لها وهي تقول لسارا
بصوتٍ قاتمٍ باردٍ فقد اكنفت من إهاناتها

((ربما سيحتاج وجهك الى تقطيب و غرز بسيطة لكن لا تقلقي
فالجرح ليس غائرا ولا كبيرا.. اضغطي عليه جيدا وفيه
بشريطة واذهبي للمشفى لتلقي العلاج المناسب من طبيب
مختص فانا مجرد ممرضة))

تمتتم سارا وهي تحاول الاعتدال واقفة من مكانها بصعوبة
والم

((أيتها الحقيرة.. أنا..))

لكن الممرضة ذهبت وخرجت من الشقة كلها غير مبالاة لها..

رفعت سارا يدها الأخرى لتستند بها إلى الجدار مغمضة عيناها
وهي تشعر ببده تسرب الدماء من أناملها رغم ضغط يدها على
خدها..

فتحت عيناها عند سماعها صوت وصول رسالة لهاتف احمد
لتلثقت بتخبط تبحث عنه قبل أن تنتبه على وجوده فوق
السريير..

متحاملة على ألمها ودموعها المنزلة على وجنتيها لتختلط
بعضها بالدماء مدت سارا يدها الأخرى النظيفة لتمسك الهاتف
وتفتح الرسالة المكتوب فيها

"أنا اعتذر يا دكتور احمد ولكني مضطرة للمغادرة الآن قبل
موعد مغادرتي بساعتين بسبب قلة احترام زوجتك وإهانتها لي
كما السابق حيث أنه لم ألقَ أي احترام منها كما سبق ووعدتني
عقب إهانتها السابقة لي حيث تريد مني أن أكون خادمة لها
وممرضة لأمك لأنك ترفض إحضار خادمة لها.. أتمنى أن
تتواصل مع الممرضة الأخرى التي قلت لي بانها ستأتي
لتمرير والدتك بعد انتهاء نوبتي لتأتي باكراً.. إلى اللقاء"

القت سارا الهاتف على السرير مجددا متممة باقتضاب

((الغبي احمد نسي هاتفه))

لكن وقيل أن تستدير سرعان ما لمعت فكرة للانتقام برأسها
لتعود وتأخذ الهاتف وتبدأ بطلب رقما ما..

بدأت تنتظر أن يأتيها رد من الهاتف وهي تلهث منفعة بدرجة
أوجعت صدرها فعلياً وما إن أتاها الرد حتى رفعت الهاتف
لأذنها هاتفة فوراً بلا أي مقدمات بغل

((مرحبا.. هل أنت الطبيب الذي تعمل كرئيس قسم بمكان
عملي زوجي احمد رؤوف الغالي؟))

لوهلة تردد الصوت على الجهة الأخرى باستغراب وقلق عند سماع صوت زوجة زميل له بالعمل تطلبه..

لكن سارعت سارا تسترسل

((نعم أنا زوجته.. لا لم يحدث شيء.. لا فقط أردت أن أخبرك.. نعم صحيح أنا زوجته الأخيرة.. ربما تعتقد أنه تزوجني لأنه زوجته السابقة لا تتجب لكن الحقيقة أنه هو العقيم لا هي.. هذا هو سره الخطير الذي يخفيه عن كل أصدقائه وأقاربه))

أغلقت سارا الهاتف ثم سارعت بأخذ قميص قطني لها مرمي على الأرض لتضعه على خدها النازف وهي تشعر بفقدان سيطرتها على وقف نزيفه..

تابعت سارا طلب رقم آخر بانتشاء وقد أنساها ما تفعل الألم الشديد الذي تشعر به جراء جرحها..

بل بالأحرى كانت وجنتها مُخدرة تمامًا..

جفلت سارا فجأة على صوت والدة احمد الواقعة عند الباب والمتكئة بوقوفها على عصاتها بضعف وهي تنظر إليها بنظراتٍ سوداء مصدومة وقد عجزت عن النطق بحرف

للحظات قبل أن تستطيع أخيرا القول بصوتٍ أجشٍ خفيض
وواهنٍ للغاية

((أيتها الحقيرة عن ماذا كنت تتحدثين على هاتف ابني مع
رئيس قسمه؟))

أغمضت سارا عيناها بضجرٍ للحظات ثم همست بصوتٍ ساخر
لا يحمل من المرح شيء

((واو أنا فعلا مذهولة.. ألم تكوني يا حماتي مريضة؟ كيف
فجأة صرت مثل الحصان وقمت من حجرة نومك وسرت
لهنا؟))

ثم عادت سارا تخفض نظرها للهاتف تتابع طلب الرقم التالي
لتصرخ بها والدة احمد

((بمن تتصلين أيتها الحقيرة؟))

توقفت سارا عما تفعله وحملت الحقيبة التي سبق وجهازتها
ووضعت فيها بعض الثياب وأوراقها المهمة ثم اتجهت نحو
الباب لخارج حجرة النوم بينما تقول بغلٍ واضحٍ وقسوةٍ لوالدة
احمد

((أريد الاتصال على كل زملاء وأقارب وكل صاحب رقم هاتف مسجل عنده حتى صاحب مطعم البيئزا الشهير لأخبرهم أن سبب زواج احمد مني ليس عقم زوجته السابقة كما يُشاع بل العقم منه هو.. وسأخبرهم أنه ليس إلا شبه رجل يستخدم العنف معي كل يوم))

غادرت سارا المكان كله لتختلي بنفسها بحجرة أخرى وتغلق الباب خلفها لتكمل اتصالاتها بكل الأرقام المسجلة على هاتف احمد..

بينما لم تكن والدته تصدق شيء مما يحدث..

ماذا فعل ولدها المسكين احمد بحياته ليبتلي بشيطانة صغيرة مثلها؟

المسكين بدلا من أن يكون مثل أي رجل بعمره قد أستقر أسرياً وله أبناء يُكْرَس كل وقته لهم وفي توفير حاجاتهم هو يعيش الآن مع تلك الساحرة الدنيئة التي تجرده ببقائها معه ثوب الوقار..

شعرت والدة احمد بقلبها يدقُ بسرعة حتى اعتقدت أنها ستصاب بسكتة قلبية فرفعت يدها لقلبها هادرة بصوتٍ مختنق خافت

((أين تلك الدنيئة! قلبي.. قلب.. قلبي..))

أحست بثقل قدميها وسرعان ما انهارت أرضا وقد أصابتها تلك
السكنة القلبية فعلا..

بينما بعد مرور ساعات وبداخل حجرة سارا الفت هاتف احمد
أرضا بعد أن أنهت الاتصال على جميع الأرقام على هاتفه..

كانت أثناء الاتصال بهم تلتصق الشاش والضمادات من علبة
الإسعافات الأولية على خدها الذي توقف عن النزيف أخيرا..

مدت سارا يدها تلتقط هاتفها لترسل رسالة صوتية لهاتف أمها
بصوت باكي

((أمي.. أمي أرجوكِ سافري هنا وتعالى لإنقاذي.. أعيش
بحجيم مظلم هنا مع احمد ولا أستطيع الاحتمال أكثر.. أرجوكِ
تعالى وانقذيني منه.. يتعامل معي بعنف وقسوة ولم يترك مكانا
بجسدي دون أي يضربه.. لا املك مالا كافيا ولم يتبق لي أي
صديقة.. وأخي يرفض التحدث معي بعد مشكلتي مع ميادة..
أرجوكِ يا أمي تعالى.. أريد الابتعاد من هنا بأسرع وقت ما..
بالتأكيد أيضا عقب أن ارفع قضية خلع على احمد وأبيع الشقة
التي سجلها باسمي لأخس صنف من البشر))

أنهت سارا رسالتها الصوتية وهرولت نحو المطبخ تغسل يدها
ووجهها الملطخ وقميصها المُلطخين الدماء والدموع بحذر مِن
أن يتسرب لجرحها مِن خلال الشاش..

ثم عدلت شعرها وهيأتها قدر الإمكان قبل أن تأخذ حقيبتها
وتندفع خارج الشقة نحو شقتها بانتظار رد أمها..

وكل هذا بدون أن تحاول الدخول لحجرة نومها..

=====
=====

أنهت رانسي إعداد العشاء وصعدت به لحجرة نومهما لتصنع
بالمكان جوّاً رومانسياً مليئاً بببتلات الزهور الحمراء والشموع
الصفراء كما يحب تمامًا أن تفاجئه..

عقب ذلك أخذت حماما سريعا وارتدت ذلك الثوب المثير الذي
اشترته خصيصا لهذا العشاء الرومانسي..

الواقع أنها قامت مؤخرا بتجديد كل خزانة ملابسها التي كانت
معظم قطعها التي تضمها قديمة وتصلح لكبار السن لأخرى
مثيرة وأنيقة حتى الملابس النهارية منها فهي صارت تعرف
ذوق راجي جيدا وتبحث عن كل ما يحبه..

جريت الليلة تصفيفة شعر ناعمة تناسب شعرها الأسود الذي
يصل لتحت أكتفاها بقليل ومساحيق تجميل تناسب بشرتها
الخميرية..

أنهت كل شيء في الوقت الذي تتوقع وصوله ونزلت للدور
السفلي تنتظره بشذى عطرها..

عند سماع فتح باب المنزل تقدمت بلهفة له تستقبله بشوق..

اغلق راجي الباب خلفه بخفة بيده وبالأخرى وضع المفاتيح في
جيبه وهو ينتبه لها تتقدم منه بمظهرها الفاتن وابتسامتها الخلابة
التي سارعت نبضات قلبه..

ما إن وقفت أمامه ببشاشة وسعادة حتى مال إلى الأمام ولف
ذراعيه حول خصرها جاذبًا إياها إليه وابتسامتها تجعله ينسى
كل تعب عمله المكتظ والمرهق اليوم..

رفعت رانسي ذراعيها حول رقبتة هامسة لعينييه بصوت مثل
بالعاطفة

((لقد تأخرت الليلة))

ثم مالت إليه واضعة كامل جذعها على جذعه فرفعها في الهواء
رغم طولها وزاد من ضمها إليه مما جعلها تقهقه عاليًا ولو لم
تكن تخشى تمزيق ثوبها القصير لكانت شبكت قدميها حول
قدميه كما تفعل عندما يرفعها عن الأرض أثناء عناقه لها..

عادت قدمها تلامس الأرض ووضع راجي رأسه على كتفها
وهو يهدر لها

((كان اليوم استثنائنا وبقيت لوقت متأخر بالمكتب.. المهم أني
عدت الآن))

رفع يديه يدلك ظهرها بخفة يشعرها بالدفء أثناء العناق
لتصدر منها ضحكات خافتة وهي تدمدم له

((اغتسل سريعاً فقد جهزت لك عشاء رومانسيا في حجرة
نومنا))

ابتعد عنها راجي قليلاً ينظر في عينيها ثم حرك نظره في
ملاحها وهو يرفع يده ليعيد إبهامه رسم خطوط ذقنها مبتسماً
بحماس

((لا تكفين يا غزالتى عن مفاجئتي))

مسك يديها يجرها لتسير خلفه صعوداً نحو الدور العلوي
وصوت ضحكاتهما المرحة تتعالى..

بعد ساعة..

طلب راجي منها أن تصعد لسطح المنزل وتحضر معها فراش
بسيط وبعض الوجبات الخفيفة فالعشاء الرومانسي الغربي لم
يكن مشبعاً لهما..

ارتدت رانسى شيئاً ثقيلاً فوقها وانتبهت له بطارف عيناها وهو
يجمع بعض الأوراق وينظمها تارة ويتحدث بهاتفه مع حساب
يضع صورة امرأة شقراء تارة أخرى..

لكنها لم تسأله وهي تسارع بإعداد شراب ساخن ثم الصعود
للأعلى ومرت دقائق حتى سعد راجي خلفها..

تمدد الاثنان فوق الفراش الموضوع على الأرض يحدقان
بالسمااء..

كان الوقت من الليل أكثر من مناسب للاستمتاع سوياً بمراقبة
النجوم والكواكب والأفلاك..

ومنزلهم المرتفع نسبيا عن باقي المنازل البعيدة من الأساس
عنهم أمن لهم اخذ راحتها بالحركة والاستلقاء دون أن
يشاهدتهم أحد..

تشاركنا لبعض الوقت قصصًا مرتبطة بالمجموعات النجمية
أثناء الاستمتاع بمشروب ساخن..

صمتنا الاثنان لدقائق وهما يعودان لمتابعة التحديق بالسماء
لتفاجئ به يسحب ذراعها التي تضعها تحت رأسها وهو يعتدل
من مكانه ليجلس متربعا..

تتبع راجي أنامل كفها بأنامله وهو ينقر عبارات الحب على
كفها ثم على طول ذراعها رغم أنها كانت ترتدي كُما طويلا
ثقيلا..

ابتسم راجي مستمتعاً بتعابيرها المندهشة وضحكاتنا الخافتة
التي تشرق وجهها الوضاء..

شيك أنامله بأناملها ثم قبل أطرافهم بقبلة بدفء..

خفت ضحكاتنا بينما توردت وجنتيها لترفع عينيها تتأمل
ملامحه الوسيمة قبل أن تسأله بدون أن تتحسر ابتسامتها

((هل تلك المرأة الشقراء التي كنت تتحدث معها هي زوجة
أبيك الفرنسية؟))

نظر راجي لها للحظات ثم بدأ يتحسس أصابع يدها الناعمة بيده
ناظرا لعمق مقلتيها وهو يخبرها

((نعم أنها زوجة أبي.. كانت تخبرني وتتحدث معي قليلا عن
أبي))

سألته وهي تحاول الاعتدال جالسة بقربه

((كيف هي علاقتك مع أبيك؟ هل هي مختلفة عن عمك فيصل؟
لا أسمعك بالعادة تتحدث عنه أو معه))

أطلق راجي تنهيدة عميقة وأنفاسه مثقلة بأفكاره ومشاعره تجاه
أبيه قبل أن يقول

((بالماضي.. كنت أرى نوعا ما عمي فيصل رحم الله حنوننا مع
بناته كلهن وهيام وجالا كنا دائما ما يزرنه وبشكل يومي.. لكن
لم أكن أرافقهن فقد كنت أشعر بحقد وكره عميق من عمي
تجاهي.. ربما لأني كنت أكثر حفيد محبوب لجدي وجدتي أو
بالأحرى الحفيد الذكر الوحيد.. وبالنسبة لأبي..))

قاطعته رانسى بصوتٍ خافت تسألته وهي تقترب منه أكثر

((لقد كنت حلم الصبي الذي لم يستطع الحصول عليه عمك..
صحيح؟))

نظر راجي لملامحها الخمرية التي لا يميل من النظر إليها
ونظرتها اللامعة بالحنان تنفذ لقلبه بل وتلامس كيانه..

ثم رفع يده لامسا خدها بظاهر أنامله وهو يجيبها

((نعم.. وأيضاً كنت نتاج زواج أخيه بزوجته السابقة.. ولك أن
تتخيلي الأمر.. جدي هم من ضغطوا عليه وأقنعوه أن يتزوج
بابنة عمه بعد أن عرض عمه عليه الزواج منها بلحظات حياته
الأخيرة.. وعندما أبت أُمي إلا أن تطلق بعد زواجه.. كان جدي
الاثنتين أيضاً هما من ضغطوا عليها أن تتزوج أخيه))

التفت جانبا وقد صدرت منه ضاحكة خافتة بنهاية الحديث
لعلاقات عائلته المعقدة والمتغيرة.. فعلا علاقات متغيرة
ومعقدة..

عادت عينا راجي تنظر بعمق عينيها السوداوين ثم انحدرت
لشفتيها وأصابه تسرح على وجهها قبل أن يتنبه لها تقول
بجدية

((علاقات معقدة جدا.. جدا.. بالكاد فهمت علاقتكم العائلية
بالفترة الأخيرة.. لكن كيف اقتنع والدك بالزواج من أمك بينما
كان متزوجا من زوجته الفرنسية التي يحبها؟))

أجابها راجي بعفوية وببساطة

((كان وقتها منفصلا عنها بلا طلاق قانوني.. وجديّ الاثنان
أفنعاه أيضًا أن يتزوجها بما أن زوجته الفرنسية ترفض
الأنجاب وخوفا من زواج أمي من آخر غريب يدخل عليها
وعلى أختي.. لكن عندما عرفت أمي بأنه لا زال متزوجا من
زوجته طلبت الطلاق فورا فهي لم تخرج من زواج لتدخل
بزواج آخر مشابه له.. وطبعا أبي لم يتوانى عن تطبيقها
والعودة الى فرنسا بعزم على إصلاح علاقته بزوجته
الفرنسية))

نظرت رانسي له بملامح عابسة ثم قالت له بصوت الممزوج
للمسة حزن

((هل تشعر أحيانا بحقد عليه؟))

نظر راجي لها للحظات ثم قال بصدق وبملامح عادية

((لا أبدًا.. رغم انه لم يعد للبلاد إلا لمرات معدودة.. لكننا
نتواصل كثيرا على مواقع التواصل الاجتماعي.. وتقريبا كنت
اقتضي كل إجازاتي الصيفية معه منذ سن السادسة حتى تخرجي
من الجامعة.. زوجته امرأة لطيفة أيضا))

تأملت رانسي ملامحه في هدوء ثم رفعت يدها هي الأخرى
تتلمس خده هامسة بابتسامة

((أنت رجل رائع.. كيف تعامل والدك بهذا الشكل رغم تقصيره
بحقك))

رفع راجي حاجبيه ثم قال لها وهو يبعد كفيه عنها

((بالتأكيد أحب أبي بل كيف أستطيع كره من كان السبب بتواجدي للحياة بعد الله؟ أنا فعلا ممتن له لأشياء كثيرة.. مثلا رغم عدم حاجتي سابقا للنقود ومع كل الأملاك التي باسمي والراتب الذي احصل عليه من وظيفتي إلا أنه كان يصر على إرسال راتب شهري يقدر بثلاث راتبه.. ولظما ازداد راتبه ازداد المصروف الذي كان يرسله لنا وبصعوبة اقتنع أن يتوقف عن إرساله لأن لا حاجة لي لماله.. وكأنه يتمسك بالشيء الوحيد القادر عليه لتعويضي))

تتهد راجي قبل أن يسترسل

((زوجته كانت تتحدث معي قبل قليل وتطلب مني مساعدة أبي فهو يعاني صعوبات مادية.. وتوسلت لي ألا أخبره أنها من قالت لي ذلك.. لذا أفكر الآن بطريقة لأرسل النقود لأبي لمساعدته بطريقة لا تجعله يتحسس من الأمر أو يشعر بأي نقص))

كلامه الطويل العميق عن والده جعلها تتحدث بملامح جادة وهي غارقة بذكرياتها وبوجع الماضي وهي تطرق برأسها أرضا رغم أنها أخبرته عنه لمحات كثير وموجعة عما مرت به

((حالي ربما كان أسوء منك بكثير.. والدي.. أعني.. أنا لم اشعر بالفترة الأخيرة من حياتي أنني امثلك والدا أو سندا.. مع انه بالماضي كان جيدا معنا أنا وأختي قبل وفاة أمي..))

بترت رانسي كلامها وهي تشعر بأنها تريد التوقف عن الحديث ويكفي ما قالته سابقا..

وفهم راجي عليها فقام بالتربيت على يديها وهو يضغط بابهامه على ظهر يدها..

فاجئها وهو يعود ليتمدد واضعا رأسه فوق حجرها بعادة
صارت ملازمة له وهو يقول مغيرا الموضوع كما نبرة صوته
وأجواء المكان لأخرى مرحة

((المهم.. كنت أفكر بإمكانية بناء مسيح صغير هنا.. أريد أن
نجرّب السباحة معا.. يمكن أن تنافس في سرعة السباحة من
أحد طرفي المسبح للطرف الأخر))

امتدت أنامل رانسي تعبت بشعره وهي تقول له

((مجنون.. هل نلغي الصالة ونجعلها مسيح؟ ثم أي سباق وانا
حتى لا أستطيع العوم))

رفع راجي عيناه للأعلى أكثر مغمما

((مفسدة المتع أنت.. اطلبي مني أن أعلمك إذن))

ثم ابتعد عن حجرها يستدير نصف استدارة لها قائلا وقلبه يدق
بنفس قوة كلمته

((ولكني أحبك رغم كل شيء))

=====
=====

انتهى الفصل

=====
=====

كان احمد بزيارة لمكان عمل أحد أصدقائه الذي يعمل بمشفى
آخر وتخصص مختلف عنه..

وهناك جلس مع زملاء صديقه من أقسام مختلفة والذين سبق
وتحدث معهم أكثر من مرة خلال تروده على هذا المشفى..

تبادل معهم لبعض الوقت الأحاديث والمجاملات قبل أن يغادر
كل واحد منهم وبقي يتبادل الكلام مع طبيب يتجاوز الستين من
عمره لدقائق معدودة أخرى..

وضع احمد قرح القهوة فوق الطاولة وانتصب واقفا من مكانه
يستعد للمغادرة قائلاً

((إذن على الذهاب الآن والعودة للمنزل فأنا متعب وكنت قد
أخذت من الأساس مغادرة مبكرة اليوم))

هز الطبيب رأسه بموافقة لكن عقد حاجبيه باستغراب عندما
أحس باختلال توازن احمد أثناء سيره للخارج..

رفع احمد يده لرأسه يلامسه مغمض العينين ليسأله الطبيب
الكبير بالسن والذي لاحظ الإنهاك باديا على محياه منذ قدومه

((هل هناك خطب ما يا دكتور احمد؟ تبدو متعبا جدا))

أوما احمد برأسه مبتسماً له فهو لم ينام جيدا منذ أيام..

ثم قال بخفوت مطمئنا الطبيب أمامه وهو يعود للجلوس مكانه
حتى يستعيد رباطة جأشه

((لا تقلق.. مجرد صداع بسيط))

ثم أردف ضاحكا بمزاح

((لم نعد شبابا يا دكتور.. لقد صرنا بمنتصف الأربعين))

تجهم الطبيب واستاء من مزاح احمد الذي بدا جديا بمضمونه
فقال له

((من منطلق خبرتي بالحياة أنا كرجل عجوز أنظر إلى الماضي وأفكر بأني كنت محظوظاً في سن الأربعين فهو بداية الحياة.. لا بداية النهاية.. لا تتحدث عن هذا السن يا احمد وكأنه سن الشيخوخة))

انتبه الرجلان على دلوف احدى مرضات القسم وهي تضع احدى الملتزمات التي طلبها الطبيب وتسمعه يردف لأحمد

((وتوقف يا دكتور احمد التصرف وكأنك عجوز.. بل أرى..))

قاطعته الممرضة وهي تنتفض مكانها شاهقة واضعة يدها على صدرها جالبة انتباه الاثنين..

قالت الممرضة بسرعة ولهفة لأحمد الذي تحفظ شكله واسمه لكثرة ترده على هذا القسم بالمشفى

((لا تقل عن نفسك هكذا يا دكتور احمد.. والله أنا لا أرى رجلاً أكثر شباباً ورجولة منك.. يكفي عينك الزرقاوان الساحرتان))

ضيق الطبيب الآخر عينيه وهو يحدج الممرضة بنظرته موبخاً لغزلها الصريح هذا بينما يقول موجهها كلامه لأحمد

((أسمعت إطراء الممرضة غدير! أنها تتمناك زوجاً))

صممت الممرضة الشابة بغیظ وهي ترمق الطبيب الكبير بالسن بنظراتٍ حانقةٍ لتسببه بإجراجها أمام احمد..

تدخل احمد بمحاولة تطييف الجو مازحا

((إنها تجاملني يا دكتور من باب اللطافة.. ما الحاجة لشابة يافعة بالزواج من رجل بعمر أبيها وما زالت صغيرة في مقتبل عمرها..))

عادت الممرضة تلتفت لأحمد شاهقة بعنف واستهجان شديد ثم
سارعت القول نافية كلامه بحرص وهي تشير بيديها من
الانفعال

((لا أنا لا أبالغ بل والله وبالله وتالله لا أبالغ يا دكتور.. أنا
تحديدا أفضل الاقتران برجل في سن الأربعين عن مثيله الشاب
الذي لا يزال ينقصه بعض الحكمة والخبرة العامة والخاصة
ويتخطبه طيش المراهقة الذي قد يحيلني الى ضحية))

لاحظت الممرضة ملامح الدهشة على كلا الرجلان لكلامها
قبل أن يهمس احمد ببطء واستغراب

((كيف هذا؟ أعني.. أنا لم افهم..))

قالت الممرضة بجدية وبصوت عميق شارحة نفسها باهتمام

((بالنسبة لي أرى أن ابن الأربعين لا يزال يتمتع بقدر من
الشباب وأن فارق السن إلى عشرين عاماً هو منطقي ومقبول
وفي صالحه كامرأة واستقراري.. ومع رجل بنفس لون عينا
الدكتور احمد فلن أقول لا لو تقدم لي بل سأكون ممتنة جدا
لأحظى بنصيب مثله!))

مرت لحظات على الممرضة لتتسعا عيناها بحرج وهي لا
تصدق أنها اندفعت وبدت واضحة وصريحة بإعجابها بأحمد
إلى حد أنها وافقت على الزواج منه بدون أن يطلبها رسمياً..

أغمضت الممرضة عينيها شاعرة بالرغبة في الاختفاء من أمام
أنظارهما..

لكنها تمكنت من الهمس باختناق

((عفوا لم اقصد أن أكون مندفة.. إلى هذا الحد..))

بترت كلامها وهي تعض شفتها السفلى لتمنع نفسها من التفوه
بالمزيد من الحماسة..

قد تكون فعلا قد انجرفت بكلامها وصراحتها إلا أنها فعلا كانت لا تقول إلا الحقيقة..

فكثير من صديقاتها ممن تزوجت برجال في سن العشرين أو الثلاثين انفصلن عن أزواجهن..

وهي لا تمنع بل تفضل الاقتران برجل في الأربعين عن مثيله الشاب العشريني وذلك لخبرته العامة والخاصة..

وأيضاً لاستقراره المادي الذي يمكنه من تحقيق كل مطالبها ورغباتها ويبقيها مدللة مترفة..

فضلا عن انها لا تتخيل إلا أن رجل مثله لو تزوجها سيدلها وسيظل حريصا عليها مليبا لرغباتها وطلباتها جاعلا منها ملكة متوجة على عرش قلبه..

ارتفع حاجبا الطبيب الكبير بالسن متمتما لأحمد وهو يقول
بصراحة

((انظر لجرأتها ووقاحتها أنها تطلبك بشكل رسمي للزواج))

رفعت الممرضة يدها إلى جبهتها شاعرة بالغباء الشديد مجددا لما سبق وقالته إلا أنها لم تلبث أن نظرت إليهما بابتسامة اعتذار وهي تقول بخفوت

((لا أنا لم أقصد هذا لقد كنت أقول.. حسنا الى اللقاء))

فرت الممرضة مغادرة المكان بسرعة وبإحراج بينما بعدها بدقائق غادر احمد المكان مودعا الطبيب الأخر..

وقف احمد يتفحص وجهه في مرآة مصعد جيد الإضاءة للحظات..

لن ينكر أنه شعر بانتشاء بعد ما سمعه من كلام الممرضة قيل قليل..

بل أن موقع ومكانته بالعمل تجعله يتعرض غالباً لمثل هذه
المواقف والمجاملات ولطالما سمع غزل من الموظفين أو
المرضى من النساء عنه..

إلا أنه ليس كافياً لجعله ينسى حقيقة أنه بعمره هذا فقد عنفوانه
وحيوية الشباب ونشاطه المعهود..

نعم ربما تجاوزه لمنتصف سن الأربعين لا يجعل منه عجوزاً
كما سبق وقال له الطبيب الآخر ولكنه أيضاً لا يجعل منه شاباً..

خرج احمد من بوابة المشفى العامة واستقل سيارته..

بدأ القيادة ورغم أنه تركيزه على الطريق أمامه كان عالياً إلا
أنه سرح بتفكيره نحو حقيقة ما صار إليه حاله مؤخراً بمرارة..

فبعد أخذه الكثير من الأدوية وزيارته للأطباء وأجرائه
الفحوص لم يعتقد بأن حاله ستتراجع ولن يتمثل للشفاء
ويستطيع إنجاب طفل يقر عينه به..

نعم فالآن صار لا أمل له بالإنجاب تقريباً حتى وبحالة اقنع
سارا أن تجهز نفسها لعملية الحقن..

وربما هذا السيب الذي دفعه مؤخراً ليشعر بانعدام ثقته بنفسه
ورؤية الحياة بنظرة سوداوية فقل اهتمامه بمظهره وصحته
ونفسه فبدأ ظاهرياً منهك القوى وقد قل شباباً وكأنه كرجل
أشرف على الستين..

الشيء الوحيد الذي تبقّى له بحياته يعمل بشكل صحيح ومشرف
هو وظيفته..

إلا أنه أيضاً ومهما ترقى في عمله لم يعد الأمر يثير نفس
مشاعر الإعجاب السابقة له..

فصار معلموه وأساتذته ووالدته وأخيه ومن كانوا يسعدون
بإنجازاته مشغولين بهبوط منحنى حياتهم..

حتى أنه لا يمتلك أولادا بقربه ليفخر هو بإنجازاتهم ودراستهم..

فابنه الوحيد يعيش بعيدا عنه.. بقارة أخرى.. ولا يمكنه التواصل معه بشكل يومي أو حتى بشكل جيد..

كم يتمنى بحسرة لو تتصرف سارا كزوجة أصيلة متيقظة وتشعر به والحالة النفسية السيئة والمرة التي تتلبس به مؤخرا..

إلا أنها ومهما أبداً تغيرا على حالته النفسية لا تشعر به ولا تصرح ولا تحاول حتى فهمه..

وربما لو بقيت حياته مع سارا على هذا المنوال ستصاحبه أمراض العصر مثل الضغط والسكر..

لذا عليه أن يُغير من سارا ويعمل على إعادة تأهيلها ذاتياً وحياتياً وجعلها تنتظر بعين الجدية لزوجها..

وصل احمد أمام منزله وركن سيارته إلا أنه قبل أن يخرج منها عقد حاجبيه وهو يلتقط هاتفه عقب أن سمع رنين وصول رسالة له..

فتح الرسالة التي اتضح أن سارا هي من أرسلتها وسرعان ما ارتسم الاقتضاب على وجهه وهو يقرأ محتواها

"متى يا حبي ستحررني من سجنك؟ أرجوك لا تجبرني على الذهاب للمحكمة لرفع قضية خلع عليك.. لا تستهين بتهديدي ولا تنسى أنني درست المحاماة"

تأمل احمد بعدائية الكلمات التي يقرأها ورغم أنه كان جالسا بسيارته المركونة حرقيا أمام المنزل إلا أنه رفع أنامله يرد عليها

"لا يوجد عندي طلاق فلا تحلمي حتى به"

وسرعان ما وصله سريعا ردها

"حسنا.. إذن سأنفذ تهديدي.. سأتصلح مع أفراد عائلتي واطلب منهم أن يطلقوني منك عنوة.. سأحزم أغراضي الآن واذهب لشقتي.. لحسن الحظ لم أبعها بلحظة ضعف عندما احتجت للمال لأنفقه على نفسي عند عجز من تزوجته أن يجعلني أعيش برفاهية كالأميرات"

اتسعت عينا احمد بشراسة ولم يتحكم بنفسه وهو يسارع الخروج من سيارته وإغلاق بابها خلفه بقوة شديدة..

بخطوات سريعة وعنيفة دلف احمد لشقته ثم فتح باب حجرة النوم على سارا صارخا بغضب غير أبها لوجود احدى الممرضات بحجرة امه القريبة من حجرتهما

((سارا.. أين أنتِ؟))

دلف احمد الى حجرة نومهما ليسارع القول بانفعال شديد

((هل يمكن أن تشرحي لي لماذا لا زلتى مصررة على الطلاق؟ هل أخطأت بشيء بحقك؟ لقد أخبرتك حرفيا أنني لم اعد أريد منك الإنجاب))

استدارت له سارا التي كانت بالفعل قد بدأت بحزم أغراضها وجهازت حقيبتها لتتنظر إليه ببرود..

كان احمد يراقبها بعدائية فرفعت جفניה وأعدت إليه نفس النظرة العدائية وهي ترى وثيرة أنفاسه بتزايد بينما يلقي بهاتفه الذي يمسه على السرير بعنف..

ازدرد احمد ريقه بمحاولة استعادة رباطة جأشه وتقليل غضبه المشتعل..

ثم قال لها كاذبا كونها لا تعرف حقيقة أنه امر إنجابه صار صعبا حتى لو وافقت الخضوع لعملية جراحية

((نعم يا سارا فقط من أجلك صرفت النظر عن فكرة الإنجاب..
بما أنك لا تترتاحين لفكرة أنجابك لطفل فأنا لن أجبرك بل لن
اطلب منك أبداً وقطعياً أن تتجبي من أجلي.. باختصار أنتِ من
تهميني لا الطفل الذي ستجلبينه لي))

ظهر بلون عينيّ سارا الأسود طيف ناري وهي تحقّق بأحمد
الذي ورغم محاولته أن يكون هادئاً إلا أن فكه كان يتوتر
بتصلب..

للحظة أشفقت سارا عليه وأرادت أن يكون هذا الطلاق ودياً..

فأخذت نفسياً عميقاً ثم قالت له بهدوء ومحاولة أن تكون
متحضرة بكل التحضر الذي فقدته بعد زواجها منه

((أنا أريد الطلاق يا احمد لأسباب كثيرة غير ضغطك عليّ
للإنجاب.. لكن بشكل عام يا احمد أنت لست مخطئ بشيء
ولست المسؤول عن انفصالنا بل أنا هي المسؤولة.. فأنا أراك
زوج وحتى أب مثالي لابنك الوحيد والبعيد عنك.. وجداً.. لكن
أنا امرأة لا أقدر الحياة الزوجية ولدي أحلام وطموحات أهم من
الزواج والاستقرار.. لذا أرجوك دعنا ننفصل بهدوء وود..
أوه))

تقبضت يد احمد أثناء كلامها لدرجة أن ابيضت معها مفاصل
أنامله وهو يشعر بغضب عارم انتشر في جوارحه على نحو
غير مسبوق لسماع ما تنفوه به..

كان حرفياً يغلي من الداخل والدماء في عروقه تكاد تذيب
جدران تلك العروق..

خرج الأمر عن سيطرته على نحو لم يألفه فيجرف فيه أي تعقل
ليتقدم نحوها فجأة متهجماً بينما يقاطعها صارخاً وأمر بشكل
قاطع

((سارا لن اسمح لك بالمغادرة أو الطلاق.. هل تفهمين؟))

كان قد مد يده ليمسك ذقنها بخشونةٍ وقوةٍ ألمتها وهو يتحدث
أمام وجهها بينما يلهث بأنفاسه..

خرجت تأوهات سارا المتألّمة عالية من قسوة وخشونة أنامله
الممسكة بذقنها فقالت صارخة باختناق غير محتملة الألم وهي
تحاول ابعده عن يده عنها

((ابتعد عني أيها الهمجي البدائي.. ابتعد
عني))

ابتعد احمد عنها قبل أن يفقد سيطرته على نفسه ويقتلها ولم يجد
أمامه إلا ثوب لها على السرير القريب منه ليلتقطه ويمزقه
بمحاولة إفراغ بعض الغضب بداخله..

هدرت سارا بفحيح وهي ترفع أناملها لتدلك ذقنها المحمر
وتخفف من الألم الذي تشعر به

((أيها الغبي لماذا مزقت فستانتي المميز هذا!!))

رأته يلهث بقوة بينما يجلس أخيرا على طرف السرير وسرعان
ما تحفز كبريائها لتقول له بخبث بما يجرح رجولته وكأنها تريد
أن تكتب نهاية حياتها على يديه

((حسنا يا احمد.. كنت أحاول أن أكون لطيفة بطلبي للطلاق
منك لكنك لا تستحق ذلك لذا سأكون صريحة معك.. أنا أريد
الطلاق منك لا لشيء أو عيب فيك إلا أنك رجل متخاذل
ومتكاسل ولا تعرف حتى كيف تشعرني بأني مرغوبة ومثيرة..
كما أنك بارد ولا مبالي أو فلنقل أكاديمي.. وأنا أحب الرجل
المثير.. المنطلق.. الجريء.. كل من زوجي السابقين كانا
أفضل..))

اشتعل كل من قلب وروح احمد ولم يجد لنيرانه ما يخمدتها إلا
أن يعود من جديد ويتهجم عليها..

عاد يتهجم عليها ولطم خدها بصفعة قوية جعلت وجهها يُدار
جانباً للجهة الأخرى فيخرس كلماتها الي تصله كخنجر مسموم
تقطع أحشاء رجولته..

ابعد احمد يده التي بدأت الارتجاف عنها كما ازدادت وتيرة
أنفاسه مزمجراً

((حقيرة.. وتافهة.. تتصرفين تماما مثل بنات الليل))

رغم أنها شعرت بخيط دماء ينزلق من فمها إلا أنها بقيت جامدة
ومتسمة مكانها للحظات قبل أن تدير وجهها له مبتسمة أمام
عينيه المريرتين لتقول مغمغمه باز دراء شديد

((ابتعد عني أيها الهمجي البدائي.. أنت لا تستحقني.. أنا كثيرة
على رجل مثلك لذلك أنت ببساطة لا تستطيع الحفاظ علي..
سأخلعك يا احمد.. سأخلعك أيها الحقيرة.. وسأتزوج رجلاً آخر
يعرف كيف يقدرني ويجعل مني ملكة متوجة ويحافظ علي
وأنت مت بغيظك وحسرتك وندمك))

كانت سارا تبصق كلماتها وهي تشعر بالغل ينغل بجوفها ولا
يخفف عليها إلا رؤيتها لاهتزاز مقلتيه وتصلب فكه وقد بدأت
كلامها بنبرة جامدة متماسكة..

لكن وتيرتها أخذت في الارتفاع والحدة حتى باتت مع آخر
عبارة صراخاً همجياً عنيفاً وهي تدفع صدره بقبضتيها بعيداً
عنها..

ترجع احمد خطوات للخلف جراء دفعها له وهذا المرة جحظت
عيناه لكلامها وإصرارها على ما تخطط له واحتدت وتيرة
أنفاسه لتصبح لاهثة أكثر..

جرّ احمد على أسنانه مدمدمًا بتهديد واحتقار

((أيتها الحقيرة تذكرين الزواج من رجلا آخر بحضرتي
وجودي وأنت لا زلتى على ذمتي؟ من أي قمامة ابتليت فيكي
أنا؟))

ابتسمت سارا بإجهد أمام وجهه الباهت المرير قبل أن تقول
بخفوت ونعومة ساخرة

((إذا كنت ترى أنني أنتمي للقمامة سارع بالتخلص مني وتنفيذ
طلبي بالطلاق.. لو كنت رجلا حقيقيا كنت ستطلقني عندما
اطلب منك ذلك))

أظلمت عينا احمد بسواد عميق ورأت حلقة يتحرك مما جعلها
تدرك أنها أصابت رجولته وكرامته بمقتل آخر..

ولم تعرف لماذا هو مصر على الاحتفاظ بها وعدم تركها وكأنه
يريدها أن تبقى بقربه حتى يتفنن في تعذيب نفسه..

أخيرا صرخ بها بتهديد خطير

((لا تحلمي بتركي.. يا سارا))

قالت سارا معاندة بشراسة لما قاله ورفض وتحدي أمام الغضب
الكامن في حدقتيه

((بل سأتركك وأبيع هذه الشقة التي سجلتها باسمي أيها الحقير
لعصابة تنغص عليك معيشتك لنهاية أيامك بالسكن بالدور
السفلي))

هنا لم يتحكم بنفسه ليدنو منها ويضعها مرة أخرى صفقة أقوى
جعلتها ترتعد للخلف خطواتٍ وتقع على الأرض قبل أن يلامس
خدها طارف السرير الخشي الحاد..

مسح احمد على صفحة وجهه وهو يحاول أن يلملم شتات
نفسه..

ثم استدار معطيا إياها ظهره وتمتمه بإجهد وإنهاك

((سأغادر وأبقى عدة أيام بمكان لا يعرفه أحد ثم سأعود..
وسأنتكر أن ارفع بحقك دعوى أمام محكمة الأسرة للمطالبة
بإلزام الجهات المعنية بمنعك من السفر خارج البلاد دون إذن
كتابي مني باعتبارك زوجتي حتى الآن))

غادر احمد الحجرة وخرج من البيت غير أبها للمرضة التي
كانت تقف بتخبط على باب حجرة والدته وشهدت على هذا
الشجار المعتاد بينه وبينه سارا أمامها..

حاولت سارا الاعتدال من مكانها وهي تبكي بألم قبل أن تفتح
عينها بغتة وتتجمد مكانها بريئة عند شعورها بسائل دافئ يمر
بخدها..

وسرعان ما اتسعت عيناها المصويتان على يدها شاهقة بفزع
ما أن انتهبت لقطرة دماء تتبعتها قطرات أخريات يتساقطن من
خدها..

فخدها تقريبا مخدر ولم تشعر بجرحها ونزفه..

رفعت سارا يدها المرتجفة لخدها تلامسه وأبعدتها لتنتظر
بعينها ليدها الملوحة بدماء خدها..

وسرعان ما تمتمت قبل أن تعلقو نبرتها لتصرخ بهلع وخوف
((دم.. دماء.. دم... دم... دم... دم... دم... أنا أنزف.. يا
إلهي أنا أنزف ولا اشعر بوجنتي.. اللعنة عليك.. سميرة..
سميرة))

دلفت الممرضنة ببطء لحجرة نوم سارا هادرة بحنق وانزعاج
((للمرة المليون يا مدام سارا أنا اسمي أميرة لا سميرة.. ثم
أنا..))

بترت الممرضة بخوف كلامها وهي ترى الدماء تملأ وجه سارا..

لكن سرعان ما اختفى كل هذا الخوف وانمحت آثار الشفقة والقلق على وجه الممرضة عندما هتفت بها سارا موبخه بقلة احترام بصوتها المرتعش وغير الثابت

((اخرسي وتعالى لتتفقدى وجنتي.. إنها تنزف.. ربما أموت من الصدمة.. أو قد يتشوه وجهي.. أيتها البلهاء لماذا لا تتحركين من مكانك! هل أنت عمياء حتى لا تستطيعي رؤيتي أنزف؟))

عضت أميرة شفتها السفلى تكتم غيظها ثم قالت هاتفة بغضب رغم نبرة صوتها الخفيضة التي تستحق جائزة على ثباتها

((تحدثي معي باحترام لو سمحتي.. فبعد آخر إهانة تلقيتها منك كنت سأتوقف عن العمل لولا أن الدكتور احمد..))

قاطعتها سارا قائلة من بين أسنانها تشدد على كل حرف وكأنها تشتمها مع كل كلمة رغم الفزع الظاهر على محياها الشاحب بينما هي مستمرة بوضع يدها على خدها لعلها توقف نزيفه

((توقفي عن الثرثرة الفارغة وتعالى هنا وعالجيني.. عمودي الفقري ربما يكون قد كُسر ولن أقدر على الوقوف مجددا.. زوجي يعطيك الراتب لذا عمليا أنت خادمة تعملين هنا عندي))

بقيت ملامح الممرضة أميرة هادئة وهي تنظر لسارا بلا مبالاة بل استنزفتها عندما داعبت شفتيها شبه ابتسامة ساخرة وهي تقول بتقرير

((حسنا.. هذه المرة حقا لن أعود للعمل هنا وسأتركه للأبد. لقد أخبرني الدكتور احمد انه يمكنني المغادرة الليلة مساءً وستحضر عوضا عني ممرضة أخرى.. لكن يبدو أنني مضطرة للاعتذار الآن فانا لا يمكنني أن اصبر لساعتين إضافيتين بالتواجد بنفس المكان معك))

هزت سارا رأسها فاتحة فمها قليلاً بعدم تصديق من برود هذه
المرمضة ثم قالت صارخة باستهجان قبل أن تراها تستدير
وتعطيها ظهرها

((أيتها الغبية تعالي لمعالجتي.. أنت ممرضة ومن واجبك
إسعاف أي مريض.. إياك أن تذهبي وتتركيني أنزف هنا.. إنها
جريمة بحق الإنسانية.. وقتها لن نخلفي شيئاً عن زوجي
وسأتهمك بمحاولة قتلي))

استدارت الممرضة نصف استدارة لها وهي تقول لسارا
بصوتٍ قاتمٍ باردٍ فقد اكتفت من إهاناتها

((ربما سيحتاج وجهك الى تقطيب وعرز بسيطة لكن لا تقلقي
فالجرح ليس غائراً ولا كبيراً.. اضغطي عليه جيداً ولفيه
بشريطة واذهبي للمشفى لتلقي العلاج المناسب من طبيب
مختص فانا مجرد ممرضة))

تمتعت سارا وهي تحاول الاعتدال واقفة من مكانها بصعوبة
والم

((أيتها الحقيرة.. أنا..))

لكن الممرضة ذهبت وخرجت من الشقة كلها غير مبالاة لها..

رفعت سارا يدها الأخرى لتستند بها إلى الجدار مغمضة عيناها
وهي تشعر ببده تسرب الدماء من أناملها رغم ضغط يدها على
خدها..

فتحت عيناها عند سماعها صوت وصول رسالة لهاتف احمد
لتلتفت بتخبط تبحث عنه قبل أن تنتبه على وجوده فوق
السرير..

متحاملة على ألمها ودموعها المنزلة على وجنتيها لتختلط
بعضها بالدماء مدت سارا يدها الأخرى النظيفة لتمسك الهاتف
وتفتح الرسالة المكتوب فيها

"أنا اعتذر يا دكتور احمد ولكني مضطرة للمغادرة الآن قبل موعد مغادرتي بساعتين بسبب قلة احترام زوجتك وإهانتها لي كما السابق حيث أنه لم ألقَ أي احترام منها كما سبق ووعدتني عقب إهانتها السابقة لي حيث تريد مني أن أكون خادمة لها وممرضة لأمك لأنك ترفض إحضار خادمة لها.. أتمنى أن تتواصل مع الممرضة الأخرى التي قلت لي بانها ستأتي لتمرير والدتك بعد انتهاء نوبتي لتأتي باكراً.. إلى اللقاء"

القت سارا الهاتف على السرير مجددا متممه باقتضاب

((الغبي احمد نسي هاتفه))

لكن وقبل أن تستدير سرعان ما لمعت فكرة للانتقام برأسها لتعود وتأخذ الهاتف وتبدأ بطلب رقما ما..

بدأت تنتظر أن يأتيها رد من الهاتف وهي تلهث منفعة بدرجة أوجعت صدرها فعلياً وما إن أتاها الرد حتى رفعت الهاتف لاذنها هاتفه فوراً بلا أي مقدمات بغل

((مرحباً.. هل أنت الطبيب الذي تعمل كرئيس قسم بمكان عملي زوجي احمد رؤوف الغالي؟))

لوهلة تردد الصوت على الجهة الأخرى باستغراب وقلق عند سماع صوت زوجة زميل له بالعمل تطلبه..

لكن سارعت سارا تسترسل

((نعم أنا زوجته.. لا لم يحدث شيء.. لا فقط أردت أن أخبرك.. نعم صحيح أنا زوجته الأخيرة.. ربما تعتقد أنه تزوجني لأنه زوجته السابقة لا تنجب لكن الحقيقة أنه هو العقيم لا هي.. هذا هو سره الخطير الذي يخفيه عن كل أصدقائه وأقاربه))

أغلقت سارا الهاتف ثم سارعت بأخذ قميص قطني لها مرمي
على الأرض لتضعه على خدها النازف وهي تشعر بفقدان
سيطرتها على وقف نزيفه..

تابعت سارا طلب رقم آخر بانتشاء وقد أنساها ما تفعل الألم
الشديد الذي تشعر به جراء جرحها..

بل بالأحرى كانت وجنتها مُخدرة تمامًا..

جفلت سارا فجأة على صوت والدتها احمد الواقعة عند الباب
والمتكئة بوقوفها على عصاتها بضعف وهي تنتظر إليها
بنظراتٍ سوداء مصدومة وقد عجزت عن النطق بحرف
للحظات قبل أن تستطيع أخيرا القول بصوتٍ أجش خفيض
وواهن للغاية

((أيتها الحقيرة عن ماذا كنت تتحدثين على هاتف ابني مع
رئيس قسمه؟))

أغمضت سارا عيناها بضجر للحظات ثم همست بصوتٍ ساخر
لا يحمل من المرح شيء

((واو أنا فعلا مذهولة.. ألم تكوني يا حماتي مريضة؟ كيف
فجأة صرت مثل الحصان وقمت من حجرة نومك وسرت
لهنا؟))

ثم عادت سارا تخفض نظرها للهاتف تتابع طلب الرقم التالي
لتصرخ بها والدتها احمد

((بمن تتصلين أيتها الحقيرة؟))

توقفت سارا عما تفعله وحملت الحقيبة التي سبق وجهزتها
ووضعت فيها بعض الثياب وأوراقها المهمة ثم اتجهت نحو
الباب لخارج حجرة النوم بينما تقول بغل واضح وقسوة لوالدة
احمد

((أريد الاتصال على كل زملاء وأقارب وكل صاحب رقم هاتف مسجل عنده حتى صاحب مطعم البيئزا الشهير لأخبرهم أن سبب زواج احمد مني ليس عقم زوجته السابقة كما يُشاع بل العقم منه هو.. وسأخبرهم أنه ليس إلا شبه رجل يستخدم العنف معي كل يوم))

غادرت سارا المكان كله لتختلي بنفسها بحجرة أخرى وتغلق الباب خلفها لتكمل اتصالاتها بكل الأرقام المسجلة على هاتف احمد..

بينما لم تكن والدته تصدق شيء مما يحدث..

ماذا فعل ولدها المسكين احمد بحياته ليبتلي بشيطانة صغيرة مثلها؟

المسكين بدلا من أن يكون مثل أي رجل بعمره قد استقر أسرياً وله أبناء يُكزس كل وقته لهم وفي توفير حاجاتهم هو يعيش الآن مع تلك الساحرة الدنيئة التي تجرده ببقائها معه ثوب الوقار..

شعرت والدة احمد بقلبها يدقُ بسرعة حتى اعتقدت أنها منصاب بسكتة قلبية فرفعت يدها لقلبها هادرة بصوتٍ مختنق خافت

((أين تلك الدنيئة! قلبي.. قلب.. قلبي..))

أحست بثقل قدميها وسرعان ما انهارت أرضا وقد أصابتها تلك السكتة القلبية فعلا..

بينما بعد مرور ساعات وبداخل حجرة سارا القت هاتف احمد أرضا بعد أن أنهت الاتصال على جميع الأرقام على هاتفه..

كانت أثناء الاتصال بهم تلتصق الشاشة والضمادات من علبة الإسعافات الأولية على خدها الذي توقف عن النزيف أخيرا..

مدت سارا يدها تلتقط هاتفها لترسل رسالة صوتية لهاتف أمها
بصوت باكي

((أمي.. أمي أرجوكِ سافري هنا وتعالى لإنفاذي.. أعيش
بجحيم مظلم هنا مع احمد ولا أستطيع الاحتمال أكثر.. أرجوكِ
تعالى وانقذيني منه.. يتعامل معى بعنف وقسوة ولم يترك مكانا
بجسدي دون أي يضربه.. لا امثلك مالا كافيا ولم يتبق لي أي
صديقة.. وأخي يرفض التحدث معى بعد مشكلتي مع ميادة..
أرجوكِ يا أمي تعالى.. أريد الابتعاد من هنا بأسرع وقت ما..
بالتأكيد أيضا عقب أن ارفع قضية خلع على احمد وأبيع الشقة
التي سجلها باسمي لأخس صنف من البشر))

أنهت سارا رسالتها الصوتية وهرولت نحو المطبخ تغسل يدها
ووجهها الملطخ وقيصها المُلطخين الدماء والدموع بحذر من
أن يتسرب لجرحها من خلال الشاش..

ثم عدلت شعرها وهيأتها قدر الإمكان قبل أن تأخذ حقيبتها
وتندفع خارج الشقة نحو شقتها بانتظار رد أمها..

وكل هذا بدون أن تحاول الدخول لحجرة نومها..

=====
=====

أنهت رانسي إعداد العشاء وصعدت به لحجرة نومهما لتصنع
بالمكان جوّاً رومانسياً مليئاً بببتلات الزهور الحمراء والشموع
الصفراء كما يحب تمامًا أن تفاجئه..

عقب ذلك أخذت حماما سريعا وارتدت ذلك الثوب المثير الذي
اشترته خصيصا لهذا العشاء الرومانسي..

الواقع أنها قامت مؤخرا بتجديد كل خزانة ملابسها التي كانت
معظم قطعها التي تضمها قديمة وتصلح لكبار السن لأخرى

مثيرة وأنيقة حتى الملابس النهارية منها فهي صارت تعرف
ذوق راجي جيدا وتبحث عن كل ما يحبه..

جربت الليلة تصفيفة شعر ناعمة تناسب شعرها الأسود الذي
يصل لتحت أكتفاها بقليل ومساحيق تجميل تناسب بشرتها
الخميرية..

أنهت كل شيء في الوقت الذي تتوقع وصوله ونزلت للدور
السفلي تنتظره بشذى عطرها..

عند سماع فتح باب المنزل تقدمت بلهفة له تستقبله بشوق..

اغلق راجي الباب خلفه بخفة بيده وبالأخرى وضع المفاتيح في
جيبه وهو ينتبه لها تتقدم منه بمظهرها الفاتن وابتسامتها الخلابة
التي سارعت نبضات قلبه..

ما إن وقفت أمامه ببشاشة وسعادة حتى مال إلى الأمام ولف
ذراعيه حول خصرها جاذبًا إياها إليه وابتسامتها تجعله ينسى
كل تعب عمله المكتظ والمرهق اليوم..

رفعت رانسي ذراعيها حول رقبته هامسة لعينيه بصوت مثقل
بالعاطفة

((لقد تأخرت الليلة))

ثم مالت إليه واضعة كامل جذعها على جذعه فرفعها في الهواء
رغم طولها وزاد من ضمها إليه مما جعلها تقهقه عاليا ولو لم
تكن تخشى تمزيق ثوبها القصير لكانت شبكت قدميها حول
قدميه كما تفعل عندما يرفعها عن الأرض أثناء عناقه لها..

عادت قدمها تلامس الأرض ووضع راجي رأسه على كتفها
وهو يهدر لها

((كان اليوم استثنائنا وبقيت لوقت متأخر بالمكتب.. المهم أنني
عدت الآن))

رفع يديه بذلك ظهرها بخفة يشعرها بالدفء أثناء العناق
لتصدر منها ضحكات خافتة وهي تدمدم له

((اغتسل سريعا فقد جهزت لك عشاء رومانسيا في حجرة
نومنا))

ابتعد عنها راجي قليلا ينظر في عينيها ثم حرك نظره في
ملاحظتها وهو يرفع يده ليعيد إبهامه رسم خطوط ذقنها مبتسما
بحماس

((لا تكفين يا غزالتى عن مفاجئتي))

مسك يديها يجرها لتسير خلفه صعودا نحو الدور العلوي
وصوت ضحكاتهما المرححة تتعالى..

بعد ساعة..

طلب راجي منها أن تصعد لسطح المنزل وتحضر معها فراش
بسيط وبعض الوجبات الخفيفة فالعشاء الرومانسي الغربي لم
يكن مشبعًا لهما..

ارتدت رانسى شيئا ثقيلًا فوقها وانتبهت له بطارف عينها وهو
يجمع بعض الأوراق وينظمها تارة ويتحدث بهاتفه مع حساب
يضع صورة امرأة شقراء تارة أخرى..

لكنها لم تسأله وهي تسارع بإعداد شراب ساخن ثم الصعود
للأعلى ومرت دقائق حتى سعد راجي خلفها..

تمدد الاثنان فوق الفراش الموضوع على الأرض يحقان
بالسمااء..

كان الوقت من الليل أكثر من مناسب للاستمتاع سوياً بمراقبة
النجوم والكواكب والأفلاك..

ومنزلهم المرتفع نسبياً عن باقي المنازل البعيدة من الأساس
عنهم أمن لهم اخذ راحتها بالحركة والاستلقاء دون أن
يشاهدهم أحد..

تشاركنا لبعض الوقت قصصاً مرتبطة بالمجموعات النجمية
أثناء الاستمتاع بمشروب ساخن..

صمنا الاثنان لدقائق وهما يعودان لمتابعة التحديق بالسماء
لتفاجئ به يسحب ذراعها التي تضعها تحت رأسها وهو يعتدل
من مكانه ليجلس متربعا..

تتبع راجي أنامل كفها بأنامله وهو ينقر عبارات الحب على
كفها ثم على طول ذراعها رغم أنها كانت ترتدي كُما طويلاً
ثقيلاً..

ابتسم راجي مستمتعاً بتعابيرها المندهشة وضحكاتها الخافتة
التي تشرق وجهها الوضاء..

شبك أنامله بأناملها ثم قبل أطرافهم بقبلة بدفء..

خفت ضحكاتها بينما توردت وجنتيها لترفع عينها تتأمل
ملامحه الوسيمة قبل أن تسأله بدون أن تنحسر ابتسامتها

((هل تلك المرأة الشقراء التي كنت تتحدث معها هي زوجة
أبيك الفرنسية؟))

نظر راجي لها للحظات ثم بدأ يتحسس أصابع يدها الناعمة بيده
ناظراً لعمق مقلتيها وهو يخبرها

((نعم أنها زوجة أبي.. كانت تخبرني وتحدث معي قليلاً عن
أبي))

سألته وهي تحاول الاعتدال جالسة بقربه

((كيف هي علاقتك مع أبيك؟ هل هي مختلفة عن عمك فيصل؟
لا أسمعك بالعادة تتحدث عنه أو معه))

أطلق راجي تنهيدة عميقة وأنفاسه مثقلة بأفكاره ومشاعره تجاه
أبيه قبل أن يقول

((بالماضي.. كنت أرى نوعا ما عمي فيصل رحم الله حنونا مع
بناته كلهن وهيام وجالا كنا دائما ما يزرنه وبشكل يومي.. لكن
لم أكن أرافقهن فقد كنت أشعر بحقد وكره عميق من عمي
تجاهي.. ربما لأنني كنت أكثر حفيد محبوب لجدي وجدتي أو
بالأحرى الحفيد الذكر الوحيد.. وبالنسبة لأبي..))

قاطعته رانسى بصوتٍ خافت تسألته وهي تقترب منه أكثر

((لقد كنت حلم الصبي الذي لم يستطع الحصول عليه عمك..
صحيح؟))

نظر راجي لملامحها الخمرية التي لا يمل من النظر إليها
ونظرتها اللامعة بالحنان تنفذ لقلبه بل وتلامس كيانه..

ثم رفع يده لامسا خدها بظاهر أنامله وهو يجيئها

((نعم.. وأيضاً كنت نتاج زواج أخيه بزوجته السابقة.. ولك أن
تتخيلي الأمر.. جدي هم من ضغطوا عليه وأقنعوه أن يتزوج
بابنة عمه بعد أن عرض عمه عليه الزواج منها بلحظات حياته
الأخيرة.. وعندما أبت أُمي إلا أن تطلق بعد زواجه.. كان جدي
الاثنتين أيضاً هما من ضغطوا عليه أن تتزوج أخيه))

التفت جانبا وقد صدرت منه ضاحكة خافتة بنهاية الحديث
لعلاقات عائلته المعقدة والمتغيرة.. فعلا علاقات متغيرة
ومعقدة..

عادت عينا راجي تنظر بعمق عينيها السوداوين ثم انحدرت
لشفتيها وأصابه تسرح على وجهها قبل أن يتنبه لها تقول
بجدية

((علاقات معقدة جدا.. جدا.. بالكاد فهمت علاقتكم العائلية
بالفترة الأخيرة.. لكن كيف اقتنع والدك بالزواج من أمك بينما
كان متزوجا من زوجته الفرنسية التي يحبها؟))

أجابها راجي بعفوية وببساطة

((كان وقتها منفصلا عنها بلا طلاق قانوني.. وجدّي الاثنان
أقنعاه أيضاً أن يتزوجها بما أن زوجته الفرنسية ترفض
الأنجاب وخوفا من زواج أمي من آخر غريب يدخل عليها
وعلى أختي.. لكن عندما عرفت أمي بأنه لا زال متزوجا من
زوجته طلبت الطلاق فورا فهي لم تخرج من زواج لتدخل
بزواج آخر مشابه له.. وطبعاً أبي لم يتوانى عن تطبيقها
والعودة الى فرنسا بعزم على إصلاح علاقته بزوجته
الفرنسية))

نظرت رانسي له بملامح عابسة ثم قالت له بصوت الممزوج
للمسة حزن

((هل تشعر أحيانا بحقد عليه؟))

نظر راجي لها للحظات ثم قال بصدق وبملامح عادية

((لا أبداً.. رغم انه لم يعد للبلاد إلا لمرات معدودة.. لكننا
نتواصل كثيرا على مواقع التواصل الاجتماعي.. وتقريبا كنت
اقضي كل إجازاتي الصيفية معه منذ سن السادسة حتى تخرجي
من الجامعة.. زوجته امرأة لطيفة أيضا))

تأملت رانسي ملامحه في هدوء ثم رفعت يدها هي الأخرى
تتملمس خده هامسة بابتسامة

((أنت رجل رائع.. كيف تعامل والدك بهذا الشكل رغم تقصيره
بحقك))

رفع راجي حاجبيه ثم قال لها وهو يبعد كفيه عنها

((بالتأكيد أحب أبي بل كيف أستطيع كره من كان السبب
بتواجدي للحياة بعد الله؟ أنا فعلا ممتن له لأشياء كثيرة.. مثلا
رغم عدم حاجتي سابقا للنقود ومع كل الأملاك التي باسمي
والراتب الذي احصل عليه من وظيفتي إلا أنه كان يصر على
إرسال راتب شهري يقدر بثلاث راتبه.. ولظما ازداد راتبه ازداد
المصروف الذي كان يرسله لنا وبصعوبة اقتنع أن يتوقف عن
إرساله لأن لا حاجة لي لماله.. وكأنه يتمسك بالشيء الوحيد
القادر عليه لتعويضني))

تنهد راجي قبل أن يسترسل

((زوجته كانت تتحدث معي قبل قليل وتطلب مني مساعدة أبي
فهو يعاني صعوبات مادية.. وتوسلت لي ألا أخبره أنها من
قالت لي ذلك.. لذا أفكر الآن بطريقة لأرسل النقود لأبي
لمساعدته بطريقة لا تجعله يتحسس من الأمر أو يشعر بأبي
نقص))

كلامه الطويل العميق عن والده جعلها تتحدث بلامح جادة
وهي غارقة بذكرياتها وبوجع الماضي وهي تطرق برأسها
أرضا رغم أنها أخبرته عنه لمحات كثير وموجعة عما مرت
به

((حالي ربما كان أسوء منك بكثير.. والدي.. أعني.. أنا لم
اشعر بالفترة الأخيرة من حياتي أنني امتلك والدا أو سندا.. مع
انه بالماضي كان جيدا معنا أنا وأختي قبل وفاة أمي..))

تبرت رانسي كلامها وهي تشعر بأنها تريد التوقف عن الحديث
ويكفي ما قالته سابقا..

وفهم راجي عليها فقام بالتربيت على يديها وهو يضغط بإبهامه على ظهر يدها..

فاجئها وهو يعود ليتمدد واضعا رأسه فوق حجرها بعبادة صارت ملازمة له وهو يقول مغيرا الموضوع كما نبرة صوته وأجواء المكان لأخرى مرحلة

((المهم.. كنت أفكر بإمكانية بناء مسيح صغير هنا.. أريد أن نجرب السباحة معاً.. يمكن أن تنافس في سرعة السباحة من أحد طرفي المسبح للطرف الأخر))

امتدت أنامل رانسي تعبت بشعره وهي تقول له

((مجنون.. هل نلغي الصالة ونجعلها مسبح؟ ثم أي سباق وأنا حتى لا أستطيع العوم))

رفع راجي عيناه للأعلى أكثر مغمما

((مفسدة المتع أنت.. اطلبي مني أن أعلمك إذن))

ثم ابتعد عن حجرها يستدير نصف استدارة لها قائلا وقلبه يدق بنفس قوة كلمته

((ولكني أحبك رغم كل شيء))

=====
=====

انتهى الفصل

بعد مرور ثلاث سنوات..

دلفت جالا لشقة والدّة مراد واضعة كيسا اسودا فوق المنضدة
الموضوعة بالصالة لتقول ببشاشة لروعة التي استقبلتها

((أهلا يا عمّة.. أحضرت لك بعض المانجو))

تقدمت روعة نحو المنضدة تفتح الكيس وتلتقط حبة مانجو وهي
تقول له معاتبة بلطف

((لماذا أتعبت نفسك؟))

هزت جالا راسها بنفي ثم قالت لها عقب أن أخذت نفسا أخيرا

((لقد كنت أتسوق ودخلت أحد متاجر الفاكهة صدفة.. وعندما
ضغطت برفق على المانجو التي يبيعهها وجدت استجابة منها
وعرفت أنها ناضجة ولم أستطع ألا اشتريها لنا وأحسب حسابا
لك))

سارعت روعة تقول لها بترحيب ولهفة

((سلمت يداك.. لكن ما رأيك أن اصنع منها عصيرا طبيعيا
وتسهرى مع مراد هنا الليلة عندي أنا وأبا مراد؟))

بقيت الابتسامة تزين ثغر جالا وهي تقول له معنذرة بأسف

((لا أظن أنني سأستطيع الليلة فكما تعرفين غدا ليست عطلة
لمدرسة البنات.. لكن سنأتي بنهاية الأسبوع كالعادة أن شاء
الله))

صمت روعة للحظات قبل أن ترفع كتفيها بخيبة حاولت عدم
إظهارها وصوت يلامسه الحزن مغمغمه

((معك حق.. حسنا))

قالت لها جالا وهي تستدير نحو الباب للمغادرة للدو العلوي
بشقتها

((إلى اللقاء.. ألك على خير يا عمه))

أغلقت روعة الباب بعد ذهابها عقب أن وعدتها ثم جلست على
أحدى الأرائك حزينة الملامح ومحبطة..

تعرف أن جالا صارت تعاملها بؤد واحترام أكثر من السابق
وتحاول الاهتمام دائما بكسب قلبها من خلال التعامل معها بلباقة
وذكاء وتقديم الهدايا لها وإشعارها انهم عائلة واحدة..

وهي أيضًا لم تعد تلك الحماة القوية المتسلطة التي لا تتوانى
عن جرح مشاعرهما وانتقادها وتحاول إهانتهما هي أو أمها..

لكن بنفس الوقت صارت جالا تعاملها بطريقة أقرب للرسمية
وبحذر شديد دون محاولة التقرب منها أكثر أو الاحتكاك أكثر
من ذلك..

وكأنها تخاف إذا ما ازدادت العلاقة قريبا ازدياد المشاكل
والتدخلات كالسابق..

تنهدت روعة بهدوء وحزن وهي تفكر بأنها لو تصرفت منذ
البداية كسيدة راقية في التعامل وأما توزع رعايتها وحنانها
لزوجة ابنها وحفيداتها وجعلت جالا تلامس منها الحب والود
والاحترام هل كان لتربطها بزوجة ابنها الوحيد علاقة صداقة
توازي علاقة أم وابنتها؟

دلفت جالا لشقتها وأغلقت الباب خلفها..

وضعت الأكياس التي تحتوي ما ابتاعته من السوق لإنهاء
اللمسات الأخيرة لحجرة ابنتها لين ذات سنوات الستة ومرام
ذات الثلاث سنوات..

فبعد أن استقلت ابنتها الكبيرة روعة بحجرة لوحدها..

بدأت جالا بتجهيز الحجرة الأخرى للصغيرتين ومنذ أيام..

حتى أن مراد قام بطلاء الجدران كما أرادت الفتاتان بالضبط..

أخيرا استفادت من كونها قد درست "فنون جميلة" في ابتكار وتصميم الحجرة مستعينة بمخيلتها..

مع الأخذ طبعا بعين الاعتبار رغبات البنيتين الصغيرتين فيما يتعلق بالديكور واللون الذي يحملن به لحجرة النوم ولون الفراشات فيها..

وضعت جالا آخر الإكسسوارات واللمسات الأخيرة ثم وقفت عند الباب وأخذت متخصرة بكلتا يديها تتأمل بفخر وسعادة ديكورات المكان..

الكراسي.. الوسائد الملونة.. الصور المفرحة والألعاب والرسومات..

كانت نتيجة الحجرة النهائية تشرح النفس وتشعرها بالسعادة والراحة..

كما أنها تحوي قطع لا تستهلك مساحة كبيرة لإضفاء المزيد من الرقي على الحجرة وترك مساحات فارغة للصغيرتين بحيث يمكنهن اللعب فيها بمقدر ما يشأن..

ومتأكدة بأنهن سيتبهجن لرؤيتها بعد أن يعدن للمدرسة خاصة وأنهن قبل أيام شاركن مراد في عملية طلاء الحجرة من شدة الحماس..

كان طلاء الجدارين المتقابلين باللون نفسه وهو البنفسجي الفاتح معطيا للحجرة مظهرا حالما وناعما وقد تم إضافة ورق الجدران المطبوع بالفراشات الملونة على أحدهما..

أما الجدارين المتبقيين كانا باللون البنفسجي الداكن والأبيض
بشكل مقلّم بالطول مع إدخال تمشيدات بسيطة فضية معطيا
حيوية للمكان..

السجادة زادت المكان جاذبية بلون ناسب ديكوره والمرأة تم
إصاق بعض الفراشات الملونة الصغيرة فوقها..

فضلا عن سريريّ الحجره كانا على شكل فراشة كما تعشقه
بنتيها الصغيرتين لتشعرا أنهن يعشن بعالم خاص بهن..

التفتت جالا للخلف لمراد الذي كان يذنو منها وهو يمسك بيده
كوب قهوة هادرة بلهفة لسماع رأيه

((ما رأيك بها؟))

رفع مراد حاجبيه بإعجاب وهو يتطلع بالحجرة كاملة ثم قال
مبتسما لجالا

((إنها مذهلة.. سينعكس هذا التغيير بشكل كبير على الحالة
المزاجية للنبات.. خاصة مع هذه الألوان البراقة))

وافقته جالا بصوتها المفعم بالسعادة

((نعم فمن المذهل أن يستيقظن بهذه الحجره ويجدن الفراشات
والورود تحيط بهن من كل جهة.. لا أطيق انتظار عودتهن من
المدرسة لرؤيتهما))

عقد مراد حاجبيه متذمرا

((لقد ضيعت أيام إجازتي بطلاء جدران غرفة لين ومرام))

ثم لمعت عيناه مردفا بابتسامة ماكرة

((سأكون بحاجة لتعويض حقيقي وكبير منك))

وضع مراد الكوب الذي كان يمسكه على طاولة قريبة منه بينما
يتأمل تورّد خديها ثم دنا منها يضع شفثاه فوق شعرها بينما
تحاوطه بذراعيها قائلة بوعد

((نعم سأفعل))

=====
=====

فتح احمد دولا ب ملابسه ليرتدي منامة مريحة بعد أن اغتسل
فور عودته من العمل..

وضع طعاما بسيطا سهل الإعداد ليتناوله خلال دقائق وبعد أن
أنهى طعامه اعتدل واقفا ببطء وطاقة منتهية لتوضيب المائدة..

وضع الأطباق القليلة بالجلالية المخصصة لهم ثم وقف مطرق
الراس يكتف ساعديه متنهدا ومغمض العينين..

الأيام تمر عليه يوما بعد يوم وعمره بازدياد بدون أن يجد
لحياته أي معنى..

فقد أي رغبة بداخله في الحصول على ما كان مهماً بالأمس
عنده..

الحزن.. الكآبة.. عدم الرضا.. تدني المزاج.. النقمة على الذات
والحياة.. كلها مشاعر تغلغل بأعماق وتلازم خلال أيامه
الحالية..

يجترئ كل يوم ذكريات ماضيه المؤلم بدون أن يجد من قد
يبوح له بمكنونات قلبه..

والدته غادرت الحياة قبل ثلاث سنوات..

شقيقه الوحيد إياد يعيش مع زوجته وأبنائه بمكان بعيد فلا
زيارات تحدث بينهما إلا عدة مرات بالشهر..

وابنه الوحيد يعيش بقارة أخرى من العالم..

أصدقائه وزملائه ليسوا على صلة قريبة منه تسمح له أن يتحدث معهم بهذا النوع من المواضيع..

كل هذه الظروف تجعله يعيش في ديمومة الكآبة بل والغرق فيها بحياة صار يشعر بانها بلا قيمة بل أنها عبء ولا طعم لها..

كأنه لا يجيد إلا العجز.. أمام ذاته والأخرين.. والحاضر والمستقبل..

والغرق في جلد الذات وظلمات الماضي واليأس..

لا تغيير ولا دافعية ولا نهوض باستثناء عمله الرتيب..

ولن يكذب إن قال أنّ الخوف من أن يموت وحيدا بانسا صار هاجسا له واستولى تقريبا على عقله ووجدانه..

اغلق احمد زر إنارة المطبخ يتوجه نحو حجرة نومه..

تمدد على السرير وتدثر نفسه وهو مستمر بالتفكير بحياته..

ابنه الوحيد يتواصل معه يوم بعد يوم إلا أن هذه الدقائق القليلة التي يحكي فيها معه لا تظماً من عطشه لوصاله شيئا..

وبعد أن أدرك أن عدنان دائما ما يستثنيه حسابه بالمنشورات والصور التي ينشرها على حسابه على "الفيس بوك" منعا لجرح مشاعره..

قام احمد بصنع حساب آخر وهمي وأضافه كصديق عنده حتى يتمكن من مشاهدة منشوراته كلها بلا أي قيود.. وبحسرة..

نعم يشعر بنار مهولة تشب من أعماق صدره وتحرقه كلما رآه ينزل صور لها مع والدته وزوجها لكن الأمر أهون عليه من ألا يكون على علم وبعيدا عن عالم ابنه..

ابنه الشاب الذي بدلا من أن يصبح عكازه يعيش بعيدا عنه
بقارة أخرى على الكرة الأرضية..

ابنه الذي أستخسر فيه شبابه ونفسه وكان هو سببا بتدمير
عائلته..

يتعجب كيف كان تفكيره بالماضي وكيف لم يساوره الشك ولا
لبرهة أنه ظالم.. وأناني.. لنفسه.. ولغيره..

ولكن ماذا ينفع الندم الآن؟

فالإنسان دائما يحلم بواقع أفضل من واقعه ويتحرك في اتجاه
الحلم مضحيا بهذا الواقع ثم لا يجد في آخره إلا الحسرة التي
يتجرعها هو الآن..

أما سارا فقد سبق وتوسل لها كثيرا أن يحن قلبها عليه وتبقى
معه ولا تتركه وحيدا إلا أنها رفضت..

فقرر وتحديدا قبل ثلاث سنوات أن يحترم نفسه ويحافظ على
ذرات كرامته المتبقية ويعطيها الطلاق الذي إرادته لتتحرر منه
نهائيا..

سارا التي لم يجدي معها أي نفع أو فائدة رغم أنه أعطاها كل
ما حرم منه إيمان أثناء زواجهما من حب وحنان ووقت
واهتمام ومال ومكالمات ورسائل وإخلاص ووفاء..

وكل ما حرم هيام أثناء زواجهما من نبل وصدق وطيبة
وخرجات وسفر..

فكان كلما يعطي سارا شيئا تنمادى هي في الأخذ وعدم الاهتمام
والإهمال واللامبالاة في كل شيء..

لا يدري شيء عن حياتها الحالية الآن لكنه سبق وصرحت له
أن مدة زواجها به كانت الأسوأ بحياتها..

فبعد أن تسبب بجرح في وجنتها بغير قصد ذهبت سارا بنفس
اليوم الى قسم الإسعاف والطوارئ التابع لإحدى أقرب المشافي
الحكومية لها..

وهناك تلقت من أحد الأطباء المناوبين علاجاً بواسطة " خياطة
الجرح" والذي عرضها لتشوهات أثناء عملية معالجته للجرح
القطعي في وجنتها..

نعم فرغم أن الجرح لم يكن غائراً إلا أن الخطأ الطبي هو ما
تسبب لها بمضاعفات وتشوهات بوجنتها..

ورغم أن عائلتها قامت برفع عدة قضايا ضد الطبيب المناوب
وقدمت عدة شكاوى من أجل التحقيق في التدخل الطبي غير
الصحيح ومحاسبة المقصرين واتخاذ اشد العقوبات بحقهم..

استطاعت عائلتها بعد طلاقها منه عرضها على أفضل الأطباء
وإجراء عملية تجميلية وتدخل جراحي لها إلا أنها لم تعد كما
كانت في السابق على حسب ما سمعه..

تتهد احمد قبل ان يبتسم ابتسامة صغيرة حزينة وهو يتذكر
دنيا.. الطبيبة الجديدة التي بدأت العمل معه..

فبعد أن حاول احياء الود القديم بينه وبين هيام لتعود زوجة
وحبيبة له عقب أن ندم على كل شيء فعله بها..

كان الرد منها رفضاً قاطعاً مهيناً وهي تؤكد عليه أن كل ما
بينهما انتهى للأبد.. وبأسوأ طريقة..

فلم يجد أمامه إلا أن يكمل حياته وحيداً..

حتى جاء اليوم الذي التحفت للمشفى الذي يعمل به طبيبة زميلة
له.. وهي الأخرى مطلقة منها..

وقد سمع من الثرثرة المنتشرة في المشفى انها كانت من طلبت
الطلاق من زوجها بعد مرور أكثر من إثنين وعشرين سنة
دون ان يكتب الله لها ان تجلب له طفلا..

فقررت تركه حتى لا تحرمه من كلمة "أب"..

للحقيقة فلا يوجد بتلك الطيبة الجديدة دنيا أي شيء فيها كامرأة
يجذبه..

ولا يشعر باتجاهها حتى أي شيء قريب من مشاعر الحب..

إلا انه الان هو بأمس الحاجة لامرأة وونيس في حياته.. ولا
يرى في أي امرأة غير دنيا تصلح لذلك..

=====
=====

عقب أن قرأت عليه ادعيتها وآيات الحفظ رفعت هيام ابن أخيها
بيديها عاليا وهي تناغشه بدلال قائلة

((رامي البطل.. جميل أنت يا صغيري))

ارتسمت ابتسامة حلوة على ثغر رامي ابن السنيتين ونصف
وأشرق محياه ضاحكا بصوته الطفولي العذب..

أنزلته هيام لتضعه على حجرها والتفتت لراجي المبتسم دون
إرادة على منظرهما لتسأله بفضول

((هل عرفت إذا ما كانت هذه المرة رانسى حامل بأنثى أو
ذكر؟))

هز راجي كتفيه قائلا وعيناه تشردان بعيدا بتفكير

((لا ندرى بعد.. ما زال الوقت مبكرا لمعرفة جنس الجنين..
لكن من الآن علينا البحث عن أسامي إناث وذكور تبدأ بحرفي
"ر")

قالت لها هيام تناكفه

((نعم بالتأكيد فالأب والأم تبدأ أسمائهم بحرفي الراء والألف
وعلى طفليهما أن يبدأ أيضًا بنفس هذان الحرفين))

علت ضحكات راجي قبل أن يقول لها

((نحن عائلة مجنونة صحيح؟))

مدت رانسي الجالسة بجانبه يديها لتلتقط ابنها رامي بمجرد أن
شعرت بتملله بأحضان هيام..

فأعطته هيام لها وهي تقول لراجي مؤكدة بمزاح

((جدا.. لكن سأسجل لك قائمة بأسماء تبدأ بحرفي "را"
لأساعدكما))

رد راجي عليها بتلقائية وشقاوة محببة ومتأصلة به

((سنكون أكثر من متشكرين لك))

انتصبت هيام واقفة من مكانها وهي تنتظر لرامي قائلة

((لا يهون عليّ الرحيل والابتعاد عن هذا الشقي كوالده
بصغره.. لكن عليّ ذلك فغدا بداية أسبوع جديد وعليّ النهوض
باكرا للذهاب للجامعة))

تدخلت رانسي قائلة بتهديب

((هل ستغادرين الآن؟ ابق قليلا.. دعينا أعد شرايبًا دافنا على
الأقل))

اعتذرت هيام منها بلطف

((لا أنا مضطرة للمغادرة.. إلى اللقاء))

وقف راجي ورائسى من مكانهما ليقول لها راجي بسعادة
صديقة لأخته

((أنا فعلا سعيد يا هيام لأنك استطعت العودة للتدريس
بالجامعة))

تنهدت هيام وهي تخطو باتجاه الباب بينما تقول

((صحيح أنني عدت وأخذت مكان أستاذ جامعي كان يدرس
على شهادته في الماجستير بعد تقاعده.. لكن أنا سعيدة على
الأقل أنني أعدت أحاضر بالجامعة.. فرغم قلة عدد ساعات
العمل بالمدارس إلا أنني أفضل العمل بالجامعة.. الآن إلى
اللقاء))

خرج راجي مع هيام يرافقها للخارج حتى استقلت سيارتها
وشغلتها..

ثم تابعها بعينيه حتى وصلت بها لنهاية الطريق أمامه..

عاد راجي يذلف للبيت ويغلق الباب خلفه..

نظر بوله لرائسى وهي تمسك ابنيهما وتناغشه قبل أن يحرك
نظراته لشعرها المنسدل بصفيرة طويلة ثم إلى قميصها المنزلي
الضيق وبنطالها الجينز والذي لن نستطيع لبسه مجددا ما أن
ينفخ بطنها قليلا..

اقترب راجي منها ليقول لها بصوت أجش

((اعطيني رامي قليلا))

التفتت رائسى له وفهمت ماذا يريد فرفعت كتفيها بدلال ورقة
أنوثة رافضة وهي تعطيه ظهرها..

.

.

بعد ساعة..

ركنت هيام سيارتها أمام المنزل الذي لا تزال تعيش فيه مع والدتها وزوجها..

ترجلت من السيارة لتتفاجأ بجار لهم بهم برفع يده لطرق الباب لكنه تراجع ما إن انتبه لها..

تقدم الجار منها وهو يحمل بيده الأخرى أكياس مشتريات هادرا بابتسامة بشوشة رغم توترها

((طلب مني صاحب البقالة أن احضر المشتريات التي طلبتها والدتك الحاجة سميحة))

كان الجار هو السيد سائد.. رجل خمسيني.. أرمل.. أب لابنتان متزوجتان..

وكان واقفا بجانبه صديق له بنفس عمره..

تنحنت هيام قبل تقول له بهدوء وتحفظ بينما تمد يديها لأخذ الأكياس منه

((لماذا أتعبت نفسك يا سيد سائد لو أخبرتني أمي كنت لأخذتهم من البقالة قبل الدخول للبيت))

أجابها سائد بابتسامة مهذبة مجاملا

((لا بأس غلبتكم راحة))

فتحت هيام باب منزلهم وهي تنظر له قائلة بابتسامة عذبة

((شكرا لك))

كان ينظر لها باهتمام حتى أخذت أكياس المشتريات منه وأغلقت الباب خلفها بدون أن يعي على نفسه..

لكن شيء ما دفع هيام أن ترهف سمعها من خلف الباب وهي
تشعر بانه ما زال واقفا مكانه ولا يغادر..

جفل سائد على صوت صديقه وهو يخبره بتحذير

((أفق يا سائد أفق.. ألا زالت تفكر بالتقدم لها؟ إنها تعمل
كدكتورة جامعية بينما أنت موظف متقاعد وأرمل.. صدقتي لن
توافق عليك إذا فكرت بالتقدم لها))

ارتسم الضيق على ملامح هيام والامتعاض من خلف الباب
بينما نظر سائد لصديقه بريية ثم قال له باقتضاب

((هل حقا لو تقدمت منها سترفضني على الأغلب؟))

أكد له صديقه

((نعم بلا أي شك.. لا تظن أن كونها مطلقة وفي نهاية
الأربعين من عمرها سيجعلها تقبل الزواج من أي رجل يتقدم
منها))

التفت سائد جانبا ينظر للباب بضيق بينما أطرقت هيام من خلف
الباب عينيها بإحباط شديد وهمت أن تبتعد عنه قبل أن تعود
لوضع أذنها على الباب وتتسع عيناها بما تسمعه من سائد يرد
به على صديقه بتحدي

((لا.. لا لن أراجع.. سأحاول على الأقل.. مرة.. مرثيتين أو
عشرة حتى توافق.. الفرق التعليم بيننا ليس مشكلة.. وضعي
المادي مناسب أيضاً وأنا قادر على إقناعها بانتي سأكون رجل
مناسب لها))

داعبت زاوية شفتي هيام ابتسامة مترقبة للقدام..

ستكون بانتظاره.. وأكثر من متحمسة هي لما سيفعله لإقناعها
بالزواج منه..

هل سيكون له قصة في حياتها مستقبلا أم لا؟

هذا ما ستجيب عنه أيامها القادمة..

=====
=====

ليلا..

وبعد أن نام الصغير رامي استلقى كل من راجي ورائسي على
سريرهما الوحيد الكبير على جانبه بحيث يواجه كل منهما
الأخر وعلى بُعد بضعة سنتيمترات متواصلان بالعينين اللتين
تبتان المشاعر التي يمكن بثها من خلالها..

تركا للسمت ليملاً الفراغ بينهما أثناء تزامن صوت تنفسهما
المسموع فكان الأمر وكأن كل واحد منهما يتنفس الآخر..

رفع راجي عينيه فجأة لشعرها من فوق ثم اخفضهما لنهايته ولم
يستطع منع نفسه من أن يقول إطرأً لطيفاً على شعرها وهو
يخلله بأنامله

((ما أجمل هذه الخصلات الحريريّة التي طالنت يا غزالتى))

لكن رائسي عقدت حاجبيها وهي ترى نظره يرتفع لشعرها من
فوق لتسأله بشك وهي تعقد حاجبيها وترفع أناملها لتلمس
شعرها بتوجس

((ماذا هناك؟ إلى ماذا تنظر؟))

أجابها راجي ونظره لا زال مصوباً لشعرها

((هناك شعر أبيض يتخلل شعرك.. القليل فقط))

تضربت وجنتا رائسي بحمرة لكنها ابتسمت وهي تقول له

((ألم تشاهده من قبل؟))

قال رجي لها وهو يرفع حاجبيه نافيا ((لا))

تنهدت رانسى وهي تقول له بصوتٍ أجش

((اصبغه بالعادة أولا بأول حتى لا يظهر لكن قرأت أن صبغة الشعر مؤذية للمرأة الحامل رغم أنني كنت اصبغه بحملي الأول فتوقفت.. لكن عدت لأقرأ أن الصبغة ليس عليها أي تأثير عليّ أو على الجنين.. لذا سأعود لصبغه بعد عدة أيام.. ربما أذهب مع لينا لإحدى صالونات التجميل))

زم راجي شفتيه بتفكير ثم قال لها مقترحا

((وانا أيضًا بدأ بنبت شعر ابيض لي.. إذا صبغتي شعرك مرة أخرى أخبريني.. لنصبغه سويا))

مدت رانسى أناملها النحيفة تتخلل شعره القصير هي الأخرى وهي تقول له ضاحكة

((تلك الشعرات الفضية المتناثرة بشعرك أجدها نوعا من الجاذبية والأناقة.. لا تصبغها))

قال راجي لها معاندا برفض

((شكرا لك لكن لا أريد أن أكون جذابا.. ما زلت في السادسة والثلاثين ولا أحب فكرة أنه بدأ يظهر لي شعر ابيض مبكر على حين غرة ودون ميعاد أو سابق إنذار))

عقدت رانسى حاجبيها تسأله بحقن بدا له لذيذ

((ولماذا أنت مهتم لهذا الحد بأن لا تظهر أكبر من سنك؟))

تشدق راجي ضاحكا من قلبه على كلامها ثم مد يديه مداعبا شحمة أذنها وهو يسمعها تقول له

((سأصبغه باللون الأسود أنا فهو من أفضل التدرجات التي
يمكنني اللجوء إليها لتغطيته لا سيما أنّ لون شعري الطبيعي
هو الأسود.. لكن شعرك أنتِ افتح قليلاً))

امتدت يد راجي للتمسيد على خدها ورقبتها أثناء التحدث معها
والتحديق في عينيها بلمسات حنونة هادئة وكأنها قماشة من
الحرير الناعم

((كان شعري بصغري لونه بني فاتح لكن مع مرور السنوات
صار يميل للون الأسود.. الأسود سيفي أيضاً بالعرض معي))

قالت رانسي له مقترحة بتعابير محببه له

((مممم.. جيد إذن))

ثم انتبهت على يده تعود ليمررها على شعرها ويلاعب
خصلاتها التي طالت بهدوء قبل أن يجمعه وراء أذنها لتسأله
مردفه

((هل سيضل يعجبك شعري لو امتلأ كله بالشعر الأبيض؟))

عاد راجي يتشدد ضاحكا لعفوية كلامها ثم قال

((أحبك وسأبقى أحبك حتى لو صرتي عجوزا بلا أسنان))

مال نحوها يقبل جبينها بعمق ثم همس بمشاكسة وهو يضع
جبينه فوق جبينها

((الشيب وقار يا حبيبتى.. أبسط تسليك يمكن أن أقوله لحالنا
نحن الاثنان))

ثم اخفض شفتاه يقبلها بقبلة مليئة بالعاطفة منجرفا خلف مشاعر
الحب نحوها.. وبادلتة هي إياها..

ثم سمح لها أن تضع رأسها على كتفها وهو يعيد رفع أنامله
لتمشيط خصلاتها مستمتعا بنوم هادئ وباسترخاء في أحضانها
هي.. حبيبته وشريكة حياته..

انتهى.

#####

الرواية انتهت واكتملت وهكذا نكون وصلنا لنهاية مشوار
رواية "علاقات متغيرة" ..

أتمنى أن تكون ولو واحدة من قصص الإخوة الثلاث " راجي،
جالا، هيام" في الرواية نالت إعجابكم ولو قليلا..

شكرا لكل القارئ العزير اللواتي تابعوني سواء بصمت أو
من تركز تعليقات تعبر عن روحهن الجميلة..

أول فصل نزل بتاريخ 3-09-19

وأخر فصل نزل بتاريخ 22-07-20

نهاية الرواية.. وفي أمان الله..